

الحديقة
مجموعة أدب بارع وحكمة بليغة
انتقاها
الكاتب الإسلامي الكبير
محب الدين الخطيب
رحمه الله
اعتنى بها
سليمان بن صالح الخراشي
المجلد الأول
المكتبة السلفية
القاهرة
دار العاصمة
الرياض
الحديقة
مجموعة
أدب بارع
وحكمة بليغة
انتقاها
محب الدين
الخطيب
اعتنى بها
سليمان الخراشي
٢
المكتبة السلفية
القاهرة
دار العاصمة
الرياض
الحديقة
مجموعة
أدب بارع
وحكمة بليغة
انتقاها
محب الدين
الخطيب
اعتنى بها
سليمان الخراشي
٣-٤
المكتبة السلفية
القاهرة
دار العاصمة
الرياض

الحديقة

مجموعة أدب بارع وحكمة بليغة

انتقاها

الكاتب الإسلامي الكبير
محب الدين الخطيب
رحمه الله

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي

المجلد الأول

دار العاصمة
الرياض

المكتبة السلفية
القاهرة

الحديقة

مجموعة أدب بارع وحكمة بليغة

(١)

الطَّبعَةُ الثَّانِيَةُ
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

رقم إيداع دار الكتب المصرية : ٢٠١٠/٢٤٩٩٥

المكتبة السلفية
ميدان عمان - الدقي - الجيزة - مصر
هاتف: ٣٧٦١٠٧٧٢ - ٠٠٢٠٢٣٧٦١٥٤٩٤
بريد الكتروني: alsalafeya@hotmail.com

توزيع
دار العاصمة
المملكة العربية السعودية
الرياض - ص.ب: ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي: ١١٥٥١
المركز الرئيسي: شارع السويدي العام
هاتف: ٤٤٩٧٢٢٤ / فاكس: ٤٤٩٧٢٢٥

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده و نستعينه و نستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فقد قال العلماء: «اختيار المرء، قطعةٌ من عقله»، فكيف إذا كان المُختار والمنتقي في مقام الأستاذ الكبير، والكاتب الإسلامي الشهير: محب الدين الخطيب رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو الذي خاض غمار العلوم والآداب مُذ كان في ميعة الصِبا، وريعان الشباب، حيث كان شيخه طاهر الجزائري يُكلفه عندما كان في المدرسة الثانوية بنسخ المخطوطات والكتب المتنوعة «لتتوسع ثقافته الإسلامية»(١)، ثم صار يُلقح ثقافته بالمطالعات الأخرى المتنوعة، التي فتحت أمامه آفاقًا واسعة من المعرفة والتذوق العلمي والأدبي، إضافة إلى استفادته من مجال الصحافة الذي اقتحمه، ودخل من أوسع أبوابه، وتنقل فيه مبكرًا.

(١) من سير الخالدين بأقلامهم؛ لحسن السماحي سويدان (ص ٩١).

وهذا الكتاب الذي بين يديك - أخي القارئ - هو عُصارة وثمرة خبرات ومطالعات الأستاذ الكبير، استحق بها كتابه أن يكون - كاسمه - (حديقة) وارفة، يقطف الناظر فيها من ثمارها كل مالذّ وطاب، من فروع العلم والثقافة، وجميل الآداب، مع عدم خلوها من المواعظ والذكرى النافعة لأولي الألباب.

فهي - بحق - كما قال الشاعر محمد صادق عرنوس لصاحبها[1]:

أهديتني ثمرَ الحديقهْ ... ولقد حرصتُ بأن أذوقهْ
فإذا هو السحرُ الحلا ... لُ يشيعُ في نفسي المشوقهْ
أغصانُهُ متهدّلا ... تٌ أوشكتْ أن لا تُطيقهْ
فاعجبْ له قد صارَ قبـ ... لَ قطافه خمرًا عتيقهْ
لا غَوْلَ فيها بل رشا ... دٌ تستقيم به الطريقهْ
متخيرًا أسلوبها ... بينَ الأساليب الرشيقهْ
إن أسهبتْ غاصت ورا ... ءَ الدرّ في اللجج العميقهْ
أو أوْجزتْ أذنت مسا ... فاتِ التعابير السحيقهْ
هتكتْ عن المعنى الجميـ ... ـل بقوّةٍ حُجُبًا صفيقهْ
فيها مفاجأةٌ تلـ ... ـذُ من الخيال إلى الحقيقهْ
علمٌ و آدابٌ قِوا ... مُ فصولها نكتٌ دقيقهْ
حِكمٌ بأبدع صورة ... وأدقّها وضعًا مسوقهْ
فعلى الشجاعة والعلا ... يتعوَّد الرجل الفَرُوقهْ
والفاسقُ الخرِّيبُ من ... تأثيرها يسلو فسوقهْ
يا طالما هشَّ البخيـ ... ـلُ إلى الندَى وأقام سوقهْ

(١) وستأتي في الجزء التاسع من هذا الكتاب - إن شاء الله -.

ولطالما كانت لنضـ و الهمّ مسلاة رقيقهْ
مسحتْ مثار همومه فتقلَّصت بيدٍ رفيقهْ
تثبُ النفوس إلى مجا نيها بلا قيدٍ طليقهْ
هي قدرة في الاختيـ ـار بكلّ تمجيد خليقهْ
آسٌ بجانب نخلة وبجانب العنب الشقيقهْ
ما بين فاكهة المذا ق وزهرة الشمّ الأنيقهْ
لا قيدَ في تبويبها وكذاك أشجارُ الحديقهْ
الجاهليُّ بجانب ابن العصر معدودٌ شقيقهْ
طوبى لمن تخذ الحديقـ ـة وقت خلوته صديقهْ

ولذا؛ فقد أحببت تقريب تلك الثمار اليانعة من المتشوقين لها، بالاعتناء بها، وإعادة طبعها من جديد، لاسيما وقد تقادم العهد على طبعتها الأولى[1]، مُعلقًا على ما يستحق التعليق[2]، ومهذّبًا ما يحتاج إلى تهذيب.

ولعل القارئ يراعي قبل قطف ثمار هذه الحديقة هذه الأمور:

الأول: أن الكتاب جاء مُعبرًا عن الحالة العامة التي كان يعيشها العالم العربي والإسلامي، حيث التطلع إلى التحرر من سيطرة الأعداء الغاصبين، والمستعمرين المدمرين، ومن ثمّ جاءت خطوطه العريضة تستحث هِمم المسلمين إلى النهوض، وفك القيود الظالمة، وتدعوهم إلى ترك اليأس والكسل، وتُرغبهم في مزاحمة أمم الأرض إلى التقدم.

الثاني: تأثر بعض اختياراته بشائبة من الروح القومية العربية التي شابت تلك

---

(١) صدرت أجزاؤها متتابعة عن طريق «المطبعة السلفية» التي يملكها محب الدين الخطيب. ابتداءً من عام ١٣٤١هـ، إلى ١٣٥٤هـ. وطُبع بعضها طبعتان.

(٢) مُتْبعًا تعليقاتي بحرف (س).

المرحلة، عندما بدأ الفصام النكد بين الأتراك والعرب، حيث تعصب كلٌ منهما لجنسه، متناسين أخوَّة الإسلام، مما أحدث فتنة استفاد منها الأعداء، ونفذوا من خلالها إلى الوصول لأهدافهم، من تفريق بلاد المسلمين، وإثارة النعرات بينهم. وإن كان محب الدين ﷺ قد بيّن رأيه في هذه القضية بقوله: «أنا عشت ما عشت للعروبة والإسلام»[١].

الثالث: يتردد أحيانًا لفظ «الشرق»؛ للدلالة على الإسلام وأهله، في مقابل «الغرب»، وهو لفظ شاع استعماله بين الكتاب والأدباء منذ أوائل هذا القرن العشرين، متغافلين عن كونه مصطلحًا واسعًا، لا يدل على المقصود منه؛ لأنه يُدخل ضمن الشرق دولاً ومجتمعات غير إسلامية، بل مشركة، كالصين واليابان وغيرها. وفي ظني أن المقصود من نشره وإشاعته بين المسلمين تلك الأيام، هو صرفهم عن المصطلحات الشرعية؛ كبلاد الإسلام، ونحوه، وأن يكون الصراع بين «شرق» و «غرب»، لا بين «إسلام» و «كفر». فينبغي التنبه لهذا.

أسأل اللَّه أن ينفع بهذا الكتاب، ويجعله سلوةً لخاطر مَن طالعه، ومستراحًا لنفس مَن اقتناه، وشارحًا لصدر من قلّب الطرف في محتواه. وأسأله تعالى أن يغفر لمحب الدين الخطيب، ويرفع درجته في المهديين؛ جزاء ما قدّم وورّث من خير لأمته، والأجيال من بعده..

والله أعلم، وصلى اللَّه وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

سليمان بن صالح الخراشي

Alkharashi1@hotmail.com

---

(١) انظر: رسالة «محب الدين الخطيب، آثاره ودوره في خدمة الدعوة الإسلامية»؛ لمحمد فوزي إسماعيل (ص ٦٥).

ترجمة الأستاذ محب الدين الخطيب[١]

١- نشأته وحياته العلمية:

جاء في مذكراته[٢]:

أنه يُنسب لأسرة آل الخطيب الحسني الشهيرة في دمشق، فقد ولد فيها، وتعلم في مدارسها، والده: الشيخ أبو الفتح الخطيب، من علماء دمشق ومدرسيها وأئمتها وخطبائها، كان أمين دار الكتب الظاهرية في دمشق منذ تأسيسها عام (١٢٩٦هـ - ١٨٧٩م)، حتى وفاته.

وأسرة محب الدين، أسرة علم: خطابةً وتدريسًا، لهم مكانة في التجارة، ومناصب في الحكومة، وامتاز كثير منهم بالشجاعة والشهامة وسلامة الطوية.

توفيت والدته وهي عائدة من أداء فريضة الحج، عام ١٨٩٣م، بين مكة والمدينة، بينما كان محب الدين آنذاك صغيرًا في حجرها، وكانت على تقوى وصلاح، ثم شمله والده برعايته حتى وفاته في ١٢/ ٦/ ١٨٩٧م.

وقد أدخله والده في المدارس الأميرية للدولة العثمانية، والمدرسة الثانوية الوحيدة في دمشق آنذاك والتي كانت تسمى في تلك الأيام: «مكتب عنبر».

---

(١) نقلاً عن: «علماء الشام في القرن العشرين وجهودهم في إيقاظ الأمة والتصدي للتيارات الوافدة»؛ للشيخ محمد حامد الناصر (ص ٩٩ - ١١٢) - بتصرف يسير -. وترجمته ﷺ مشهورة معلومة، من أوسعها: الرسالة الجامعية: «محب الدين الخطيب - آثاره ودوره في خدمة الدعوة الإسلامية»؛ لمحمد فوزي إسماعيل (لم تُطبع بعد).

(٢) مذكرات محب الدين الخطيب سيرة جيل، طُبعت تحت عنوان: من سير الخالدين بأقلامهم، للفترة (١٨٨٦ - ١٩٢٨م)، تحقيق: حسن سويدان، طبع دمشق وبيروت، ١٤١٨هـ.

ثم توفي والده، فأصبح يتيم الأبوين[١].

«ثم قيض الله لهذا اليتيم: الشيخ طاهر الجزائري، فهو أبوه الروحي بعد وفاة والده الراحل...».

«وصار الشيخ طاهر يختار من مخطوطات دار الكتب الظاهرية مما ألفه علماء الإسلام، ؛ كشيخ الإسلام: ابن تيمية وأضرابه، فيكلف صاحب الترجمة بنسخها، لتتوسع ثقافته الإسلامية، وليشغل وقته بعمل علمي مفيد، ولينتفع بأجر ما ينسخه من هذه الرسائل»[٢].

ثم يتحدث محب الدين عن أثر طاهر الجزائري، ومدرسة عبد الله باشا العظم «القريبة من الجامع الأموي»، في تكوينه الثقافي فيقول: «وقد أشار الشيخ طاهر عليه، أن ينتفع من فضائل العالم القارئ الشيخ «أحمد النويلاتي»، وقد كان زاهدًا منقطعًا للعلم، معتزلاً الناس في غرفته من مدرسة عبد الله باشا العظم، وكانت هذه المدرسة آنذاك، إحدى حصون الدعوة إلى الإصلاح في عاصمة بني أمية».

ففيها غرفة للشيخ طاهر، وغرفة للشيخ جمال الدين القاسمي، يجتمع كل منهما مع جماعة من تلاميذه، وصار محب الدين يتردد على غرف هذا الحصن، ويلازم شيخه الجليل «أحمد النويلاتي» الذي قرأ عليه عددًا من الكتب[٣].

وفي هذه الفترة صار يُكثر من قراءة الكتب في دار الكتب الظاهرية، كما كان يطلع على الصحف والمجلات، ولا سيما: المقتطف والهلال والضياء، وقد

---

(١) مذكرات محب الدين: (ص٨٨ - ٩٠)، بإيجاز يسير.
(٢) المرجع السابق، (ص٩١، ٩٣).
(٣) المرجع السابق، (ص٩١، ٩٣).

ساعده اطلاعه على مؤلفات ابن تيمية في التعرف على الإسلام من ينابيعه الأصلية الصافية، البعيدة عن البدع والضلالات.

وتكونت بذلك عنده عقيدة بأن للناطقين بالضاد، ومن سار في قافلتهم من المسلمين رسالة خالدة، هم المسئولون عن القيام بها في كل مكان وزمان، . . . وقد ظلت هذه العقيدة ثابتة في قلب صاحب الترجمة وعقله طول حياته، ولم يتجدد له بعد ذلك ما يغيرها، أو يدخل عليها أي تعديل على حسب قوله[(١)].

وكان رحمه الله إذا أعجبه كتاب جديد مثل كتاب: «أم القرى» للكواكبي، أو «كتاب الإسلام والنصرانية» لمحمد عبده يقرأه لنفسه أولاً، ثم يحرص على أن يعيد قراءته مع طالب آخر يختاره من زملائه. .

وكان لمحب الدين حلقة صغيرة في دمشق يلتقي فيها مع أقرانه، وأخرى كبيرة يرأسها طاهر الجزائري، وكان من رواد هذه الحلقة: جمال الدين القاسمي، ورفيق العظم، ومحمد كرد علي، وعبد الحميد الزهراوي، والضابط سليم الجزائري، وشكري العسلي، وعبد الوهاب الإنجليزي، وفارس الخوري وغيرهم.

وكان محب الدين - وهو حديث السن - يلازم هذه الحلقة، ويكون الصلة بينها وبين حلقته الصغرى التي يجتمع فيها مع أصدقائه[(٢)].

وفي السنة النهائية، وهي السنة السابعة في «مكتب عنبر»، طلب محب الدين الانتقال إلى بيروت، لأن المدرس ضبطه مشغولاً (وهو في الفصل) بقراءة بعض الكتب الممنوعة آنذال»، مثل: قصائد لشاعر الترك، رأس الأحرار العثمانيين،

---

(١) المرجع السابق، (ص٩٤ - ٩٥).

(٢) المرجع السابق: (ص٩٦ - ٩٨)، بإيجاز.

نامق كمال، وطبقته - حسب تعبير محب الدين - وكلها كانت في تمجيد الحرية، وكتب أخرى ممنوعة التداول أيام السلطان عبد الحميد.

وتخرج محب الدين من ثانوية بيروت (في ٩/ ٧/ ١٩٠٥م)[١].

ثم سافر الشاب إلى إستانبول عاصمة الخلافة، والتحق في جامعتها، وسجل في كليتين معًا: الحقوق والآداب. واندمج هنالك في محيط الطلبة العرب، وتفاعل معهم أدبيًا وقوميًا... وقد غاظه ما وجده من جهل الطلاب هؤلاء لقواعد اللغة العربية وإملائها، فضلاً عن آدابها وثقافتها... كما كانوا يتكلمون فيما بينهم باللغة التركية.

ومن أجل ذلك اتصل محب الدين بمحمد كرد علي، وكان يقيم في مصر آنذاك، وطلب منه أن يرسل إليه مع بريد كل باخرة طردًا بريديًا كبيرًا ليستعين بها على تعليم زملائه آداب العرب ولغتهم وشعرهم... وكان هؤلاء الشباب يشعرون يومًا بعد يوم بعظمة قوميتهم العربية، وبجلال الإسلام ومفاخره على حد تعبير محب الدين[٢].

٢- نشاطه السياسي:

كان لمحب الدين الخطيب دور فعال في الحركة العربية وفي تأسيس الجمعيات، والمساهمة في نشاط بعضها، ومساندة ثورة الشريف حسين، كل ذلك أيام شبابه وفي الثلث الأول من القرن العشرين.

❑ **تأسيس جمعية النهضة العربية**: فقد أعلن مع زملائه الممتازين بأن عملهم

---

(١) المرجع السابق: (ص٩٨ - ٩٩)، بإيجاز.

(٢) المرجع السابق: (ص١٠١ - ١٠٣)، بتصرف يسير.

في دروس اللغة العربية، يبشر بنهضة مباركة، واقترح أن تسمى حلقتهم العلمية هذه: «جمعية النهضة العربية».

وعقدوا أول لقاء لأعضاء الجمعية في جزيرة «بيوك آضة» قرب إستانبول، في ١٣/ يوليو/ ١٩٠٧م.

وقد لفت نشاط الطلبة العرب خلال عامين، نظارة الضبطية، أي «الأمن العام»، مما أدى إلى مداهمة كبار رجال الأمن لغرفة محب الدين في حلقة تدريس العربية.. وشملت الرقابة بعد ذلك بيوت كثير من أصحابه، فسافر صيفًا إلى دمشق، وكان في السنة الثانية من كلية الحقوق بعد أن انقطع عن دراسة كلية الآداب(١).

وتحولت الجمعية إلى دمشق بسبب الظروف الطارئة، ثم تأسست عدة جمعيات؛ كالمنتدى الأدبي، والجمعية القحطانية، وجمعية العهد، حول الضابطين (سليم الجزائري وعزيز المصري)(٢).

ثم سافر إلى اليمن للعمل كمترجم في القنصلية التركية في مدينة الحديدة.. وهناك عمل محب الدين على تأسيس فرع لجمعية الشورى العثمانية، والتي كان من أركانها: رفيق العظم ورشيد رضا وآخرون.

وكان هؤلاء يطالبون بالحكم النيابي في البلاد العثمانية، وبلإعلان الدستور، ووضع حد للحكم الفردي. وكان لهذه الجمعية ثلاثة عشر فرعًا في داخل البلاد العثمانية.

وفي اليمن تعرف محب الدين على طائفة من الضباط المبعدين إليها، بسبب نزعتهم للحرية وميلهم إلى الحياة النيابية.

---

(١) المرجع السابق: (ص١٠٣ - ١١٠).

(٢) المرجع السابق، (ص١١٤ - ١١٥).

وقد علم محب الدين أن جمعية الشورى العثمانية في مصر، أُلحقت بجمعية الاتحاد والترقي، وعملاً بمبدأ تعجيل الأمر الواقع أعلن أن الفرع الرابع عشر لجمعية الشورى العثمانية في الحديدة، أصبح فرعًا لجمعية الاتحاد والترقي[١].

وفي شهر تشرين الثاني عام ١٩٠٨م، غادر محب الدين اليمن متوجهًا إلى دمشق، وهنالك رأى أن الدولة تأبى أن تعترف بعنوان: «جمعية النهضة العربية» لأن كلمة (العربية) غير مرغوب فيها عند رجال الاتحاد والترقي، وأجبروا الجمعية على أن تجعل اسمها: **جمعية النهضة السورية**.

واضطر محب الدين أن يغادر دمشق، بسبب نشاطه السياسي، فسافر إلى إستانبول، والتحق بمعهد الحقوق في السنة الثالثة[٢].

ثم سافر محب الدين إلى القاهرة، في آب ١٩٠٩م، بعد مضايقات أمنية كان يتعرض لها، فباع منزلاً كان يملكه في دمشق، وأسس بثمنه المكتبة السلفية، واشتغل في تلك الفترة في تحرير جريدة «**المؤيد**» التي كان يصدرها الشيخ «علي يوسف»، والذي يعتبر أستاذه الأول في فن الصحافة، واستمر في هذا العمل منذ شهر أيلول ١٩٠٩م، إلى ما بعد وفاة الشيخ علي يوسف[٣].

وخلال اشتغاله في تحرير «المؤيد»، ازداد غلو الاتحاديين العنصري، فكان مجال محب الدين في الجريدة واسعًا للرد على هذا الاتجاه، وتشجيع الحركة العربية في سوريا والعراق، وسائر البلاد العربية العثمانية[٤].

وقد ذاع صيت السيد محب الدين في تلك المرحلة، وانتشرت مقالاته

---

(١) ينظر تفصيلاً لرحلة محب الدين إلى اليمن، في: المذكرات: (ص١١١ - ١٣١).
(٢) المرجع السابق: (ص١٣٧ - ١٤٠).
(٣) المرجع السابق: (ص١٤١ - ١٤٤)، بإيجاز.
(٤) المرجع السابق، (ص١٤٤ - ١٤٥)، بإيجاز وتصرف.

وترجماته، وخاصة فيما يخص المستشرقين والمبشرين وخططهم في تنصير المسلمين، من ذلك المقالات التي كان يترجمها عن الفرنسية للمبشر الفرنسي «لوشاتليه»، مع زميله (مساعد اليافي)، وكان من هذه المقالات كتاب «الغارة على العالم الإسلامي»، وكان للكتاب والمقالات التي نُشرت أثر طيب في أوساط المسلمين، حيث استيقظوا إلى ما يراد بهم وبدينهم[1].

وفي القاهرة تعاون محب الدين مع الأحزاب القومة التي أسست في تلك الفترة مثل: حزب اللامركزية الإدارية العثماني، الذي تأسس عام ١٩١٣م برئاسة رفيق العظم، وكان من كبار رجاله: رشيد رضا، وحقي العظم، وكان محب الدين عضو مجلس الإدارة لهذا الحزب، وكاتم سره الثاني.

كما تعاون مع «الجمعية العربية الفتاة»، التي أُسست في بيروت ثم في باريس، وقد كان لهذه الجمعية شأن عظيم في الحركة العربية، وحكومة فيصل بن الحسين. وكان محب الدين ممثلاً لهذه الجمعية في مصر.

وكان لمحب الدين دور نشط لعقد المؤتمر العربي الأول في باريس الذي عقد في شهر تموز ١٩١٣م، بالتعاون بين حزب اللامركزية وجمعية العربية الفتاة، وقد انتدب السيد عبد الحميد الزهرواني ليكون رئيسًا لهذا المؤتمر، وإسكندر عمون وكيلاً للرئاسة.

يقول محب الدين: «وكان للمؤتمر تأثير عظيم في الكيان العربي، وقد تردد صداه في أنحاء البلاد» ومن ثم تولى محب الدين جمع أعمال هذا المؤتمر في كتاب نشره في القاهر سنة ١٩١٣م[2].

---

(١) المرجع السابق: (ص١٤٤)، وأعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة: عبد الله العقيل، (ص٣١٠).

(٢) المرجع السابق: (ص١٤٥).

❑ وحول قيام الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م[١]:

يقول محب الدين: «عندما انحازت الدولة العثمانية إلى جانب الألمان، كان ذلك مقامرة غير حميدة، وكان من رأي رجالات العرب في «العربية الفتاة» و «اللامركزية» عدم الدخول في الحرب، وأن تبقى الدولة على الحياد...».

واختير - في هذه الفترة - محب الدين ليقوم بمهمة قومية في الخليج العربي، بقصد الاجتماع بأمير نجد والإحساء آنذاك «الأمير عبد العزيز آل سعود»، وبالسيد «طالب النقيب» زعيم العراق الجنوبي، وبغيرهمامن زعماء العرب.

وكان الغرض من هذه الرحلة توحيد الجهود في الشئون العربية، وما ينبغي للعرب أن يقوموا به لوقاية بلادهم من شرور الحرب العامة ونتائجها، إلا أن محب الدين لم يستطع إكمال مهمته، حيث اعتقلته السلطات الإنجليزية، فسُجن في البصرة مدة سبعة أشهر.. وعاد بعدها إلى مصر، وكانت الحرب في شدتها، واضطهاد الترك للعرب في ذروته.

❑ وحول موقف محب الدين من الشريف حسين بن علي والثورة العربية[٢]:

يقول محب الدين في مذكراته: «شعر الشريف حسين بحاجته إلى الاستعانة - لتوطيد حكومته المنتظرة - برجال يؤمنون بحق العرب في الحياة والاستقلال، فأرسل إلى مصر يطلب رجالاً: عسكريين وإداريين، من ممثله الضابط العراقي «شريف الفاروقي»، وكان الفاروقي قد اتخذ دارًا باسم «الوكالة العربية»، كان يتردد عليها أنصار القومية العربية يوميًا، وفي طليعتهم الضابط عزيز المصري»[٣].

---

(١) المرجع السابق، (ص١٤٦ - ١٥٣).
(٢) المرجع السابق: (ص١٥٤ - ١٥٨).
(٣) المرجع السابق: (ص١٥٥ - ١٥٦).

وقد طلب الشريف حسين من ممثله «الفاروقي» أن يُرسل إليه محب الدين، وكان قد زكاه إليه الشيخ كامل القصاب، ممثل «العربية الفتاة»، الذي وصل إلى الحجاز قبل الثورة.

فسافر محب الدين إلى الحجاز بعد عيد الفطر، عام ١٣٣٤هـ، وكان العمل الظاهر له في تلك الفترة: تأسيس المطبعة الأميرية لحكومة الحجاز آنذاك، وإصدار جريدتها الرسمية «القبلة»، ولذلك حكم عليه الأتراك بالإعدام غيابيًا عام ١٩١٦م. إلا أن الملك حسين كان يستشير صاحب الترجمة «محب الدين»، والشيخ كامل القصاب يوميًا، في أكثر أموره الخارجية، بصفتهما من رجال جمعية «العربية الفتاة»، وموضوع ثقة سائر الجمعيات العربية.

غير أنه مع تظاهره بالاستشارة والثقة لمن يستشيره، كان سيء الظن بجميع الجهات، ويتوجس منها خيفة.

ثم يتابع محب الدين قوله: «لقد أردنا والشيخ القصاب للملك حسين وأولاده كل الخير والكرامة، بشرط أن يكون الخير والكرامة للأمة الكريمة التي يكونون على رأسها ولكن الملك حسين وأولاده، عاشوا وماتوا بعقلية عصور الإقطاع، التي تعتبر الأوطان مزارع للملوك»(١).

ثم يقول متألمًا: «ذهب محب الدين إلى الحجاز، وكله آمال أن يجد الميدان العملي لتطبيق نظراته وتحقيق آماله.. فلما وصل مكة، درس الحالة عن كثب فتقرر لديه: أن الملك حسين لم يقم لأجل أن تقوم للعرب دولة، بل قام لأن الترك كانوا على نية إلغاء «شرافة مكة»، وإلى هذه النتيجة توصل محب الدين، وفي ذلك إخفاق آماله وخيبتها»(٢).

---

(١) ينظر: المذكرات: (ص١٥٦ – ١٥٨)، والأعلام: للزركلي، (٥/ ٢٨٢).
(٢) المرجع السابق.

❑ الجيش العربي في دمشق وخيبة الآمال الوطنية:

بعد دخول الجيش العربي دمشق بقياد الأمير فيصل، استأذن محب الدين الشريف حسين في العودة إلى دمشق، لصلة رحمه، فأذن له على أن يعود في أول فرصة مواتية.

وبعد وصوله دمشق، عام ١٩١٨م، دعته «جمعية العربية الفتاة» ليكون عضوًا في لجنتها المركزية، التي تُشرف على إدارة الدولة من وراء ستار.

ونيط به إدارة وتحرير الجريدة الرسمية للحكومة، واسمها «العاصمة»، وسُمح له أن يكتب فيها مقالات توجيهية، كما يشاء، بلا رقيب(١).

ويحدثنا محب الدين عن تبدل مواقف الأمير فيصل بقوله: «لما ذهب الأمير إلى أوربا، ليُطالب بحقوق الاستقلال العربي والسوري في مؤتمر الصلح، رجع إلى سوريا بغير الوضع الذي كان عليه، إذ وافق على قبول الانتداب الفرنسي لسوريا، بعد اجتماعه برئيس وزراء فرنسا «كلمنصو».

كان قد قال للعسكريين الذين خرجوا لوداعه إلى أوربا: يريد منهم تقوية الجيش بقدر الاستطاعة، ومن ثمّ قام الشيخ كامل القصاب والأستاذ محب الدين بتأسيس اللجنة الوطنية العليا، واللجان الفرعية، التي تحولت دمشق بها وسائر المدن السورية إلى ثكنات عسكرية، كما تحولت الأمة كلها إلى أمة مسلحة»(٢).

عاد الأمير فيصل، وقد أصبح موقفه مذبذبًا، فجاهرته جمعية العربية الفتاة بالمعارضة الصريحة، وخلال لقاء خاص بقيادة الجمعية، قال: «إنه لا يريد أن يكون ملكًا صورة ولا ملكًا ختامًا».

---

(١) مذكرات محب الدين الخطيب: (ص١٦٢)، والأعلام: للزركلي، (٥/ ٢٨٢).
(٢) المرجع السابق: (ص١٦٢ - ١٦٣).

ثم انصرفوا عنه على تنافر واختلاف، مما أدى بالملك فيصل، إلى الاستعانة بالأعيان والمشايخ، لتأسيس الحزب الوطني السوري، حتى يقف في مواجهة العربية الفتاة، واللجنة الوطنية العليا وفروعها.

وكان بعدها المأساة: إنذار القائد الفرنسي غورو، ومعركة ميسلون التي سُرح قبلها الجيش السوري الوليد[(١)]!

❑ وقفة مع آراء محب الدين السياسية:

يلاحظ مما سبق أن محب الدين الخطيب قد تعاون مع:

- العربية الفتاة، وفيها كثير من القوميين العلمانيين.

- تعاون مع الشريف حسين وأولاده، لمحاربة الدولة العثمانية.

- كما وقفوا جميعًا مع الاتحاديين ضد السلطان عبد الحميد.. وقد تبين لهم خطؤهم في تلك المواقف، ولكن بعد فوات الأوان، فقد صرح محب الدين بخيبة أمله من الحسين وأبنائه، ومن الاتحاديين وسياستهم العنصرية[(٢)].

❑ نشاطه الفكري وأبرز آثاره ومؤلفاته:

توارى محب الدين عن الأنظار في دمشق، بعد دخول الفرنسيين إليها، وتمكن من الفرار برًا مع قافلة من الإبل، ورعاتها، فوصلوا فلسطين، ثم سافر في القطار إلى مصر.

وهنالك التحق بقلم تحرير «صحيفة الأهرام» القاهرية، ولبث محررًا فيها نحو خمس سنوات، حتى أواخر سنة ١٩٢٥م.

---

(١) المرجع السابق: (ص١٦٤)، بإيجاز.

(٢) سنفصل الحديث عن هذه القضايا في الفصل الخامس من هذا الباب.

وخلال تلك الفترة أسس «مجلة الزهراء»، إلى جانب المكتبة السلفية ومطبعتها.

وكانت «مجلة الزهراء» مجلة أدبية احتماعية شهرية، استمرت خمس سنوات، حتى عام ١٩٢٤م[١].

ثم أصدر محب الدين مجلة «الفتح» عام ١٩٢٦م، واستمرت حتى عام ١٩٤٨م.

وكانت الفتح أوعى مجلة إسلامية آنذاك، كانت توجه حتى في عناوين الأخبار العامة التي تنقلها عن وكالات الأنباء، وكان لها دور عظيم في تنبيه المسلمين وإيقاظهم وإرشادهم، والتمهيد لهذه الصحوة الإسلامية التي نسأل اللَّه دوامها ودرء الأذى عنها.

وكان لمجلة الفتح مواقف مشهودة في الرد على كتاب «الشعر الجاهلي»، للدكتور «طه حسين»، والذي كان مليئًا بالكفر الصريح، وكتاب «الإسلام وأصول الحكم»، وهو كتاب أسوأ من الأول، لعلي عبد الرازق[٢]:

كما أصدر محب الدين «مجلة الزهراء»، التي كانت تُعنى بالبحث العلمي والنقد الموضوعي للأفكار الوافدة، التي يرددها المتغربون من أتباع المستشرقين وأذناب المستعمرين.

يقول المستشار عبد اللَّه العقيل: «واستمر الأستاذ الكبير محب الدين في كفاحه العلمي من خلال «المكتبة السلفية»، و«المطبعة السلفية»، يُصدر الكتب والنشرات، ويحقق كتب التراث الإسلامي.

---

(١) المرجع السابق: (ص ١٦٧ - ١٦٨).

(٢) ذكريات الشيخ علي الطنطاوي: (١/ ٢٥٩ - ٢٦٠).

ثم سعدنا به رئيسًا لتحرير (مجلة الأزهر) بناءً على ترشيح شيخ الأزهر الشيخ محمد الخضر حسين.

وكانت افتتاحياته زادًا لنا، نحن طلبة الأزهر، تشخذ هممنا، وتستثير نخوتنا الإسلامية للذود عن الإسلام وحرماته»[١].

لقد أسهم رحمه الله بعلمه الغزير وقلمه السيال، في فضح دسائس الباطنية وغلاة الرافضة، ومكائد الصهيونية، وسموم الاستعمار، وحقد المجوسية.

فقد كان يُكرر بأن كل أنواع الهدم والتخريب والتزوير، الذي أصاب المسلمين في القديم والحديث: إنما هو من صنع اليهود والمجوس، لأنهم كانوا وراء ذلك كله، وهم الذن أنشأوا الحركات الهدامة والجمعيات السرية والفرق الباطنية، وما يزال هذا ديدنهم حتى اليوم[٢].

❑ **مؤلفاته:**

وكان رحمه الله قد أثرى المكتبة الإسلامية: بمؤلفات وتحقيقات وتعليقات قيمة منها:

١- الرعيل الأول في الإسلام.

٢- ذكرى موقعة حطين.

٣- تاريخ مدينة الزهراء في الأندلس.

٤- الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الاثني عشرية.

٥- مختصر التحفة الاثني عشرية، تأليف شاه عبد العزيز الدهلوي، حققه محب الدين وعلق على حواشيه.

---

(١) من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة: (ص٣١١).

(٢) المرجع السابق: (ص٣١٣).

٦- ومنها تعليقاته على كتاب «العواصم من القواصم»، و «المنتقى» للإمام الذهبي، وتعليقاته على كتاب «الخراج» لأبي يوسف. . . فضلاً عن ترجمته لعدد من الكتب، وعلى رأسها: «الغارة على العالم الإسلامي»، وكلها تدل على الفهم العميق، والفقه الدقيق[(١)].

وقد سعى ﷺ مع ثلة من المفكرين والدعاة لإنشاء: «جمعية الشباب المسلمين»، في القاهرة، التي شارك في تأسيسها: الشيخ محمد الخضر حسين، والأستاذ عبد السلام هارون؛ ومحمود شاكر، وعبد المنعم خلاف وآخرون. . وكان تأسيس هذه الجمعية في مصر حدثًا عظيمًا، من أحداث الحركة الإسلامية، لأنه كان مفاجأة لدعاة الإلحاد والتضليل ولدعاة التبشير بالمسيحية. . لأنهم ظنوا أن قيادة الرأي العام قد أفلتت من أيدي ممثلي الإسلام من أزهريين وغيرهم.

فقد كان جو القاهرة الفكري والثقافي، في ذلك الحين متشبعًا بثقافة الغرب، بكل ما فيها من خير وشر[(٢)].

وعمومًا كان محب الدين الخطيب مفكرًا بارزًا، وصحفيًا لامعًا، كافح تيارات الغرب والتشيع، وتعاون مع رجال الحركات الإسلامية، ودافع عن فكر السلف، ودعا إلى اتباعهم.

يقول الدكتور محمد رجب البيومي في كتابه القيم: «النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين»[(٣)]: «إن محب الدين الخطيب، كان أمة في واحد،

---

(١) المرجع السابق: (ص٣١٤)، والأعلام: للزركلي، (٥/ ٢٢٦).
(٢) ينظر: مذكرات محب الدين: (ص١٦٩ - ١٧٣).
(٣) من أعلام الحركة الإسلامية المعاصرة؛ للمستشار عبد الله العقيل (ص٣١١).

لأن أكثر حركات التحرر الإسلامي في الأمة العربية، عرفت منه الظهير المؤيد، والمقترح المصمم،.. على مدى نصف قرن متطاول، في كثير من المواقف الحاسمة، لأنه انتقل في دنيا الكفاح الإسلامي (ما بين دمشق وبيروت والقاهرة وتركيا واليمن ومكة المكرمة) انتقال المكافح الذي يقف في مقدمة الصفوف.. وقد تعاون حقًا مع الدعاة والمصلحين والزعماء المخلصين».

الحديقة

مجموعة أدب بارع، وحكمة بليغة

الجزء الأول

انتقاها

الكاتب الإسلامي الكبير

محب الدين الخطيب رحمه الله

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد،

فإني كثيرًا ما تمر بي - وأنا أطالع صحيفة سيارة، أو كتابًا لم يعم انتشاره في أيدي جماهير الأمة - قطعة جليلة من شعر متخيَّر، أو جملة بديعة من نثر مصطفى، أو كلمة ذات روعة من حكمة جرت بها حقائق الحياة على لسان الرجل البليغ، فأتمنى لو يكون ذلك مجموعًا في كتاب قريب التناول، سهل المأخذ، صالح لطبقات الجمهور؛ من رجال الأعمال، وطلاب المدارس، وربات الخدور، فيستلطفه طالب النزهة في نزهته، والمسافر في رحلته، والفتاة في مدرستها وفي منزلها، ويكون مع ذلك عونًا للنهضة القومية الحاضرة على تهذيب النفس الفردية، والنفس الاجتماعية.

ولما صحت عزيمتي على تحقيق هذه الأمنية، جعلت أراقب الصحف والكتب التي أطالعها، فأنتقي منها خيارها، وأصطفى كل ما توفرت فيه المزايا التي أشرت إليها. ورأيت أن تكون هذه المجموعة أشبه شيء بالحديقة، يتنقل فيها المرء والمرأة، والفتى والفتاة؛ من الأزهار، إلى الأثمار والأشجار؛ ومن مرجة خضراء، إلى ينبوع ماء؛ فيكون جمال هذه الحديقة في تنوع مناظرها، واختلاف مظاهرها. لذلك جاءت كالطبيعة على غير اطراد.

وإن في النية - إذا وجدنا من القراء رضىً عن هذه المجموعة- أن نوالي إصدار أجزاء أخرى من (الحديقة)، فتكون سلسلة من كتب «مكتبة الجيب» التي عزمت المكتبة السلفية على إصدارها تباعًا في كثير من فنون العلم والأدب. ومن اللَّه نستمد العون.

القاهرة: غرة رجب، ١٣٤١،

محب الدين الخطيب

في ذكرى عام

للمرء أن يتسمع ما يخفق به قلبه، ويقيّد ما يمر من الخواطر بوجدانه. وله أن يخفي منها ما شاء، وله أن يعلن منها ما شاء، ما دام الناس لا يصيبهم أذى من سره، ولا مكروه من جهره.

أقيد بعض ما اتصل بنفسي في الساعة التي كانت برزخًا بين ذلك العام الذي رحل، وهذا الآخر الذي حل.

غشيت قبل منتصف الليل داري، والتحفت حرصًا على الدفء بدثاري، في ساعة كان بردها عليَّ شديدًا. وأخذت على نفسي أن لا أضطجع، وأن لا أنام، حتى يلفظ العام نفسه الأخير. فأذكر له بالخير ما أحسن به إلي، وأسامحه مما أساء. ولكل راحل إلى اللّه حقٌ في الذكرى، وحقٌ في المغفرة.

جلست على مائدة كتابتي، وأخذت أعد بطاقات أكتب عليها كلمات التهاني والمجاملة.

وأخذت أحصي الأسماء على قطعة من الورق، فلما انتهيت من ذلك الإحصاء وأعدت عليه النظر، تولاني خاطر مزعج اضطربت له النفس، وقد يزعج النفس الأليمة ما قل وما جل.

غدًا أرسل لزيد تلك البطاقة، وفي غد يحمل البريد لخالد تلك الأخرى، وفي غد أغشى دار بكر لأبسم في وجهه.

في غد يحصل كل ذلك، ولكن كم من هؤلاء الذين أذكرهم غدًا لا يسعدني وجودهم ولا يشقيني غيابهم، ولا يسعدهم وجودي ولا يألمون لفقدي. على أني أجامل الناس كما يجاملوني، وأخضع لقوانين النفاق الاجتماعي كما

يخضعون.. فتبًا لأساليب الحياة، تُعلم الناس النفاق باسم الجميل والأدب.

وفي اليوم الذي أحيي فيهم من لا تسعدني بسماتهم، ولا خير لي ولهم في تبادل التحيات، يحول الزمان وصروف الدهر والغِيَر بيني وبين من كانت تُشرق لي بسماتهم، ومن كان اللَّه يجعل لي من دعواتهم ظفرًا وسعادة....

تركت مائدة كتابتي وفتحت بابًا لأصل بين غرفة نومي وغرفة علمي، حتى يتسع المكان لسيري وخطواتي التي يستفزني إليها القلق، ثم استلقيت على كرسي كبير، وأخذت أتذكر في مكان اللَّه الواسع أراضيَ أحببتها ونعمت فيها حينًا. وتذكرت في زمان اللَّه الواسع أيامًا كالسيل قد مضت وانقضت.

وتذكرت من خلق اللَّه - الذي لا يُحصى عددا - أشباحًا تلاشت في ظلمات الثرى:

اذكرونا مثل ذكرانا لكم   رُب ذكرى قربت من نزحا

ثم أخذت أحاسب نفسي عن زلاتها. وأزن أمامها آمالها. وأتبين في ذهني، بل في غشاء قلبي، بل في لحمي وعظمي، ما فعله به الزمن، وما رسمته عليه السنون.

وبينما أنا مستغرق في أمري، نبهتني من غرفة أخرى دقات الساعة الكبيرة إلى الأهبة لوداع عام يفوت.

كأن دقات الساعة كلمات يعدد بها العام المنصرم بعض ما يذكره لنفسه من خير وشر، إذ كان العام في دقائقه الأخيرة.

تن... سخرت من الغافلين حتى صحوا من الشدة بما نحن...

تن.. أغريت الإنسان بالذهب الوهاج، يتهافت على ناره كما يتهافت على النور الفراش...

تن... جعلت في الناس والأمم من يصلون لقتل الضعيف ولو كان بريئا...

تن... آويت اللص.. وسيرت الخديعة... وكثيرًا ما أعليت الباطل على الحق..

تن.. نفّرت بين قلوب، وأشعلت ضغائن، وأثرت فتنًا...

تن... صرفت الناس عن وجهك يا اللّه ليعمدوا إلى الأثرة والشهوات...

تن... تمخضت بآراء، وقدمت عظات وعبرًا.

ولكن الناس لا يفقهون..

تن.. حرقتُ أفئدةً وأجريتُ دموعًا وشربتُ دماء..

تن.. كم من صحيحٍ أضعفت... وكم من عزيزٍ أذللت... وكم من عليلٍ داويت...

تن.. جردت أشجارًا من ورقها الأصفر الجاف.. استبدلتها به ورقًا جديدًا... وجعلت عليها زهرًا نضيدًا...

تن.. صرفت العاشقين وهم في سكرات القُبل عن مرارة العيش، ثم أخذتهم أخذ الجبار، فبدلت هناءهم تعسًا، وجعلت سعادتهم شقوة وجحيما..

تن.. لبيك اللهم لبيك...

وما كادت تتلاشى في أذني الرنة الأخيرة التي كانت تمام الساعة الثانية عشرة من منتصف الليل لآخر شهر ديسمبر من سنة ١٩٢٢، حتى تصعدت في قلبي زفرة، وحارت في عيني دمعة... عندئذ وجهت وجنتي إلى السماء قائلا:

أيتها الأزلية[1] التي تجتمع فيها الأزمان المتلاشية، وتستقر عندها الأحقاب

(١) السماء من مخلوقات اللّه ﷻ. ومثل هذا الدعاء ينبغي أن يُطلب منه تعالى، لا من =

المتتابعة، وتتوحد في وجهتها جميع الخلائق. مغفرة عمّا قدمنا من ذنوبنا، وما أخّرنا، وصفاء لنفوسنا بما تصفو به نفوس الصالحين. اللهم آمين.

منصور فهمي

من قديم مصر حتى حديثها

قفي يا أختَ (يُوشَع) خَبِّرينا ... أحاديثَ القرونِ الغابرينا[١]
وقُصِّي من مَصارِعهم علينا ... ومن دُولاتهم ما تعلمينا[٢]
فمثلكِ من رَوى الأخبارَ طُرا ... ومن نسب القبائل أجمعينا[٣]
نرى لك في السماء خضيبَ قرن ... ولا نُحصي على الأرض الطعينا
مشيتِ على الشباب شُواظَ نارٍ ... ودرتِ على المشيب رحىً طَحونا
تعينين الموالدَ والمنايا ... وتبنينَ الحياةَ وتهدمينا
فيالكِ هِرَّةً أكلتْ بنيها ... وما وَلَدُوا، وتنتظر الجنينا

أَأُم المالكينَ بني (أمون) ... لِتَهْنِكِ أنهم نَزَعوا (أمونا)[٤]

= مخلوقاته. والكاتب منصور فهمي (ت ١٣٧٨هـ) كان مستغربًا، ثم آب إلى الإسلام في آخر حياته، فليس بمستغرب عليه هذه الثقافة الإسلامية الضحلة. انظر عن أوبته: «النهضة الإسلامية في سِير أعلامها المعاصرين»؛ للدكتور محمد رجب البيومي (٥/ ٣٩٠ - ٤٠٤). (س).

(١) الخطاب للشمس، وقصة وقوفها للنبي يوشع ﷺ معروفة.

(٢) دولاتهم: دواهيهم.

(٣) نسب القبائل: ذكر أنسابهم.

(٤) نزع أباه: أشبهه.

وَلَدَتِ له (المَآمينَ) الدواهي ... ولم تلدِي له قطُّ (الأمينا)[1]
فكانوا الشُّهْبَ حين الأرض ليلٌ ... وحين الناس جدُّ مُضَلِّلينا
مشت بمنارهم في الأرض (روما) ... ومن أنوارهم قَبست (أثينا)
ملوك الدهر بالوادي أقاموا ... على (وادي الملوك) محجبينا
فَرُبَّ مُصَفَّدٍ منهم[2]، وكانت ... تساقُ له الملوكُ مصفَّدينا
تقيدَ في الترابِ بغير قيْدٍ ... وحل على جوانبه رَهِينا
تعالى اللَّه كان السحرُ فيهم ... أليسوا للحجارة مُنْطِقينا[3]
غَدَوْا يبنون ما يَبقى، وراحوا ... وراءَ الآبداتِ مخلدِينا
إذا عَمَدُوا لمأثرةٍ أعدُّوا ... لها الإتقانَ والخلقَ المتينا
وليس الخلدُ مرتبة تُلَقَّى ... وتؤخذ من شِفاهِ الجاهلينا
ولكن منتهى هِمَم كبارٍ ... إذا ذهبتْ مصادِرُها بقينا
وسرُّ العبقريةِ حينَ يسري ... فينتظم الصنائعَ والفنونا
وآثارُ الرجال إذا تناهت ... إلى التاريخ خير الحاكمينا
وأخذُكَ من فم الدنيا ثناء ... وتركُك في مسامعها طنينا
فغالي في بنيكِ الصِيدِ غالي ... فقد حُب الغلوُّ إلى بنينا
شبابٌ قُنَّعٌ لا خيرَ فيهم ... وبورك في الشباب الطامحينا
فناجِيهمْ بعرشٍ كان صِنْوًا ... لعرشكِ في شبيبته سَنينا[4]

---

(١) إشارة للخليفتين الأمين والمأمون. يقول: ولدتِ لهم أشباه المأمون، ولم تلدي أشباه الأمين. ونعتقد أن الأمين أعظم مما بقي عنه في ذاكرة التاريخ، ولذلك براهين ليس هنا موضع بسطها.

(٢) أي: رُب مدفون منهم في رمه بوادي الملوك.

(٣) يريد أنهم أنشأوا من المباني ما يتعلق بعظمتهم.

(٤) سنينك: هو الذي يكون من سنك.

وكـان الـعـزُّ حـلـيـتـه وكـانـتْ قـوائـمـهُ الـكـتـائـبَ والـسـفـيـنـا
وتاجٍ من فرائده (ابن سيتي)[١] ومن خَرزاته (خوفو) و (مينا)[٢]
عـلا خَـدًا بـه صـعَـرٌ وأنـفًـا ترفع في الحوادثِ أن يَدينا
ولستُ بقائل ظَلموا وجاروا على الأُجراءِ أو جلدوا القطينا[٣]
فإنا لم نُوَقَ النقصَ حتى نُطالبَ بالكمال الأوَّلينا[٤]
وما (البَسْتيلُ) الا بنت أمْس وكم أكل الحديد بها سجينا[٥]
ورُبـة بِـيـعـة عَـزتْ وطـالـتْ بَنَاها الناسُ أمسِ مسخرينا[٦]
مشيدة لشافي العُميِ (عيسى) وكم سمل القسوسُ بها عيونا

❋ ❋ ❋

(أخا اللوردات) مثلكَ من تحلى بـحـلـيـةِ آلـهِ الـمـتَـطَـوّلـيـنـا[٧]
لك الأصلُ الذي نَبَتَتْ عليه فروع المجد من (كرنارفونا)[٨]

---

(١) ابن سيتي: رمسيس الأكبر، وهو الثاني.
(٢) خوفو ومينا: من الفراعنة الذين بلغت مصر في عهدهم شوطًا بعيدًا في المدنية. والأهرام من آثارهما. ومينا عربي جاء إلى مصر من طريق سينا، وهو أقدم فراعنة مصر.
(٣) القطين: الخدم. ولشوقي من قصيدة (النيل) الآتية في هذا الجزء قوله يندد بظلم الفراعنة ويعتذر لهم:

هي من بناء الظلم إلا أنه يبيض وجه الظلم منه ويشرق
لم يرهق الأمم الملوك بمثلها فخرًا لهم يبقى وذكرًا يعبق

(٤) يقول: إن عصرنا ليس أقل عسفًا وظلمًا من عسفهم وظلمهم.
(٥) البستيل: سجن في باريس لم تحمل الأرض أشد منه، هدمه الثوار سنة ١٧٨٩، وفي مكانه اليوم تمثال للحرية.
(٦) البِيعة: الكنيسة.
(٧) المخاطب: اللورد كارنارفون مكتشف الكنوز. وقد مات في القاهرة في أواسط شعبان سنة ١٣٤١ . والمتطولون: الأغنياء.
(٨) أي أن الأصل من أمجاد انكلترا القديمة.

ومالكَ لا يُعدُّ، وكلُ مالٍ ... سَيَفْنى، أو سيفني المالكينا

وجدتَ مذَاقَ كل تليد مجدٍ ... فكيف وجدتَ مَجْدَ الكاسبينا

نشرتَ صفائحًا[1] فجزتكَ (مصرٌ) ... صحائفَ سُودد لا يَنْطوينا

فإن تكُ قد فتحتَ لها كنوزًا ... فقد فتحتْ لكَ الفتحَ المبينا

فلا (قارون) فوق الأرض إلا ... تمَنَّى لو رضيتَ بهِ قرينا

سبيل الخلدِ كان عليكَ سهلاً ... وعادتهُ يكدُّ السالكينا

رأيتَ تنكرًا وسمعتَ عتبًا ... فعُذرًا للغِضابِ المحْنَقينا

أُبوَّتُنا وأعظُمُهم تُراثٌ ... نُحاذِرُ أن يَؤولَ لآخرينا

ونأبى أن يَحُل عليه ضَيْمٌ ... ويذهب نهبة للناهبينا

سكتَ فحامَ حولك كلُ ظنٍ ... ولو صَرَّحتَ لم تُثِرِ الظنونا

يقول الناس في سرٍ وجهرٍ ... ومالكَ حيلةٌ في المرجفينا

أمَنْ سرقَ الخليفةَ وهو حيٌّ[2] ... يَعِفُّ عن الملوكِ مكفَّنينا؟

❃ ❃ ❃

خلِيليَّ اهبطا الوادي، ومِيلا ... إلى غُرَفِ الشموس الغاربينا

وسِيرا في مَحاجرهم رُويدا ... وطُوفا بالمضاجع خاشعينا

وخُصّا بالعَمار وبالتحايا ... رُفاتَ المجدِ من (تُوتَنْخَمِينا)[3]

وقبرًا كادَ من حُسن وطيبٍ ... يُضيء حجارةً وَيَضُوع طينا

يُخال لرَوْعَةِ التاريخ قُدَّتْ ... جَنادِله العُلى من (طور سينا)

---

(١) الصفائح: حجارة القبور.

(٢) يشير إلى فرار السلطان وحيد الدين في ربيع الثاني سنة ١٣٤١، على المدرعة البريطانية (ملايا) فرارًا من الكماليين.

(٣) العمار: الريحان يزين به المجلس، وفيه معنى التحية أيضا.

وكان نزيله بالمَلك يُدعى | فصار يُلقب الكنز الثمينا
وقومًا هاتفين به، ولكن | كما كان الأوائل يهتفونا
فثم جلالة قَرت ورامت | على مَرِّ القرون الأربعينا[١]
جلال الملكِ أيام وتمضِي | ولا يَمضِي جلالُ الخالدينا
وقولا للنزيل: قدومَ سعد | وحيا اللهُ مقدمَكَ اليمينا[٢]
سلامٌ يومَ وارتك المنايا | ببواديها، ويومَ ظهرت فينا
خرجتَ من القُبور خروجَ (عيسى) | عليك جلالةٌ في العالمينا[٣]
يجوبُ البرقُ باسمكَ كلَ سهل | ويخترقُ البخارُ به الحُزونا
وأقسم كنتَ في (لوزانَ) شُغْلا | وكنتَ عجيبةَ المتفاوضينا[٤]
أتعلم أنهم صَلِفوا وتاهوا | وصدوا البابَ عنَّا مُوصدينا
ولو كنا نَجُرُّ هناك سيفًا | وجَدْنا عندهم عَطفًا ولينا
سيقضي (كُرْزُنٌ) بالأمر عنا | وحاجاتُ (الكنانة) ما قُضينا[٥]

❀ ❀ ❀

تعال اليومَ خبِّرنا: أكانت | نَواكَ سِناتِ نومٍ، أم سنينا
وماذا جُبتَ من ظُلماتِ ليل | بعيدِ الصبح يُنضي المدلجينا[٦]
وهل تبقى النفوس إذا أقامتْ | هياكلها، وتَبلى إن بلينا؟
وما تلك القبابُ، وأين كانت، | وكيف أضل حافِرها القرونا؟[٧]

---

(١) رامت: أقامت.
(٢) اليمين: المبارك.
(٣) الناظم لا يدين بالصلب، ولكنه نظر في هذا التشبيه إلى عقيدة المخاطب «النصرانية».
(٤) كان مؤتمر الصلح الأكبر منعقدًا يومئذ بمدينة لوزان في سويسرا.
(٥) كرزن: مندوب انجلترا في مؤتمر لوزان.
(٦) ينضي: يهزل، المدلجين: السائرين أول الليل.
(٧) العصور.

مـمـردةَ الـبـنـاءِ تُـخـال بُـرجًـا ببطن الأرض مخطوطا دفينا
تَغطى بالأثاثِ، فكان قصرًا وبالصُوَر العتاقِ فكانَ زُونًا[١]
حملت العرشَ فيه، فهل تُرجّي وتأمُلُ دولةً في الغابرينا؟
وهل تلقى المهيمنَ فوق عرش ويلقاه الملا مُترجلينا[٢]
وما بالُ الطعام يكادُ يَقدَى كما تركته أيدي الصانعينا[٣]
ولم تكُ أمسِ تصبرُ عنه يومًا فكيفَ صبرتَ أحقابًا مِئينا
لقد كان الذي حذر الأوالي وخاف بنو زمانِك أن يكونا
يُحب المرءُ نبشَ أخيهِ حيًا وَيَنْبِشهُ ولو في الهالكينا
سلِلْتَ من الحفائر قبلَ يوم يَسلُّ من الترابِ الهامدينا
فإن تك عند بَعثٍ فيه شكٌ فإنَّ وراءهُ البعثَ اليقينا
ولو لم يعصموكَ لكانَ خيرًا كفى بالموت مُعْتَصَمًا حصينا
يُضَرُّ أخو الحياة، وليس شيء بضائرِه إذا صَحِبَ المنونا

❊ ❊ ❊

زمان الفردِ يا (فرعونُ) وَلى ودالت دُولة المتَجَبرينا
وأصبَحَتِ الرعاةُ بكل أرض على حُكم الرَّعية نازلينا
(فؤاد) أجلُّ بالدستور دنيا وأشرفُ منك بالإسلام دينا
وأهدَى في بناءِ الملك جدًا وَأجْوَدُ والدًا في المحسنينا
بنى (الدارَ) التي لا عزَّ إلا على جنَباتها للمالكينا[٤]

---

(١) الزون: معرض الأصنام.
(٢) فيه تهكم بالفكرة التي حملت هؤلاء الجبابرة على تعطيل هذه الكنوز تحت الأرض.
(٣) قدى الطعام: طاب طعمه ورائحته.
(٤) الدار: دار النيابة.

ولا استقلال إلا في ذَرَاها لمتبوع ولا للتابعينا[١]
ترى الأحزابَ ما لم يدخلوها على جِد الحوادث لاعبينا
وإن فُقِدت فأمر القوم فَوضى وإن وَلِيَتْهُ أيدي (الراشدينا)
إذا سارت به أيدٍ شمالا أَتَتْ أيدٍ فسرن به يمينا
فعجِّلْ يا (ابنَ إسماعيل) عجِّلْ وهاتِ النورَ واهد الحائرينا
هو المصباح فأتِ به، وأخرجْ من الكهف السوادَ الغافلينا
ملايينٌ تجرُ الجهلَ قَيْدًا وتُسْحَبُ بالقليل المطلَقينا
فداوِ به البصائر فهو (عيسى) وفُك براحتيه المقعَدينا
ومن يرَ دونه حقًّا فإني أراه وحْدَهُ الحق المبينا

أحمد شوقي

في البادية (الذئب والشاعر)

وماء كلون الغِسْلِ قد عاد آجنًا قليل بِهِ الأصواتُ في بلدٍ مَحْلِ[٢]
وجدتُ عليهِ الذئبَ يعوي كأنه خليعٌ خَلا من كل مالٍ ومن أهلِ[٣]
فقلت له: يا ذئبُ هل لك في فتىً يواسي بلا مَنٍ عليك ولا بُخلِ

(١) الذرا: الملجأ.
(٢) الغِسل: ما يُغسل به الرأس من سدر وخطمي ونحو ذلك، والآجن: الماء المتغير الطعم واللون. يريد أن ذلك الماء كان متغير اللون من طول المكث مخضرًا أو مصفرًا ونحوها، وقوله: قليل به الأصوات، يريد أنه قَفر لا حيوان فيه. والبلد: الأرض والمكان. والمحل: الجدب، وهو انقطاع المطر ويبس الأرض من الكلأ.
(٣) الخليع: الذي قطعه أهله لجناياته وتبرؤوا منه.

فقالَ: هداك اللَّه للرشدِ، إنما دعوت لما لم يأته سبُعٌ قَبْلي
فلست بآتيه ولا أستطيعه ولاكِ اسقني إنْ كان ماؤكَ ذا فضلِ
فقلت: عليك الحوضَ، إني تركتُهُ وفي صَفْوه فضلُ القَلوص من السَجلِ[1]
فطرّبَ يستعوي ذئابًا كثيرة وعدتُ وكلٌّ مِنْ هواهُ على شُغلِ[2]

النجاشي الشاعر

❑ قصة هذا الشعر:

كان النجاشي الشاعر عرض له ذئب في سفر له، فدعاه إلى الطعام وقال: هل لك ميل في أخ - يعني نفسه- يواسيك في طعامه بغير مَن ولا بُخل. فقال له الذئب: قد دعوتني إلى شيء لم يفعله السباع قبلي من مؤاكلة بني آدم، وهذا لا يمكنني فعله ولست بآتيه ولا أستطيعه، ولكن إن كان في مائك الذي معك فضل عما تحتاج إليه فاسقني منه.

وهذا الكلام وضعه النجاشي على لسان الذئب، كأنه اعتقد فيه أنه لو كان ممن يعقل أو يتكلم لقال هذا القول.

وأشار بهذا إلى تعسفه للفلوات التي لا ماء فيها، فيهتدي الذئب إلى مظانه فيها؛ لاعتياده لها.

(١) الصفو: الجانب المائل. والسجل: الدلو العظيمة.
(٢) طرب في صوته: رجّعه ومده.

الإحسان إلى أهل الأذى

❑ ١ ❑

قال بعضهم: دخلتُ الباديةَ فإذا عجوزٌ بين يديها شاة مقتولة وجَرْوُ ذئب مُقْع.
فنظرت إليها فقالت:

أتدري ما هذا؟

قلت: لا.

قالت: جرو ذئب أخذناه وأدخلناه بيتًا، فلما كبر قتل شاتنا. وقد قلتُ في ذلك شعرًا

قلتُ لها: ما هو؟

فأنشدتني هذه الأبيات:

بَقَرْتَ شُوَيهَتي وفجعْتَ قلبي ... وأنت لشاتنا ولدٌ ربيبُ
غذيتَ بدَرّها ورَبيتَ فينا ... فمَنْ أنباك أنْ أباكَ ذيبُ
إذا كان الطِباعُ طباعَ سوء ... فليس بنافع فيها الأديبُ

❑ ٢ ❑

خرجَ قوم إلى الصيد في يوم حار، فبينما هم كذلك إذ عرَضت لهم أمُّ عامر، وهي الضَّبُعُ، فطَردوها. فأتعبتهم حتى ألجأوها إلى خباءِ أعرابي، فاقتحمته، فخرجَ إليهم الأعرابي فقال:

- ما شأنكم؟

فقالوا: صيدُنا وطريدتُنا.

فقال: كلا، والذي نفسي بيده لا تصلون إليها ما ثبت قائم سيفي بيدي.

فرجعوا وتركوه. فقام إلى لَقْحَة له فحلبها وقرّب إليها ذلك، وقرب إليها ماءً. فأقبلت مرةً تلغ من هذا ومرة تلغ من هذا، حتى عاشت واستراحت. فبينما الأعرابي نائم في جوف بيته إذ وثبت عليه فبقرت بطنهُ وشربتْ دمه وتركته، فجاء ابن عمٍ له، فوجده على تلك الصورة، فالتفتَ إلى موضع الضبع، فلم يرها. فقال: صاحبتي والله. وأخذ سيفه واتبعها، فلم يزل حتى أدركها فقتلها، وأنشأ يقول هذه الأبيات:

ومن يصنع المعروفَ معْ غير أهلهِ ... يلاقِ الذي لاقى مُجير أم عامِر
أدام لها - حين استجارت بقربه - ... قِراها من ألبان اللَقاح الغَرائر
وأشبَعَها، حتى إذا ما تملأتْ ... فرَتْهُ بأنيابٍ لها وأظافر
فقل لذوي المعروف: هذا جزاء من ... غدا يصنَعُ المعروفَ مع غير شاكر

الثوب الأحمر

بينما «المنصور» في الطواف بالبيت ليلاً، إذ سمع قائلا يقول: «اللهم إني أشكو إليك ظهور البغي، والفساد في الأرض، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع».

فجزع المنصور. فجلس بناحية من المسجد وأرسل إلى الرجل. فصلى الرجل ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول، فسلم على المنصور بالخلافة، وجرى بينهما الحديث الآتي. قال الخليفة:

- ما الذي سمعتك تذكر من ظهور الفساد والبغي في الأرض، وما الذي يحول بين الحق وأهله من الطمع؟ فو اللّه لقد حشوت مسامعي ما أمرضني.

- إن أمنتني يا أمير المؤمنين أعلمتك بالأمور من أصولها، وإلا احتجرت منك، واقتصرت على نفسي، فلِيَ فيها شاغل.

- أنت آمن على نفسك، فقل.

- يا أمير المؤمنين، إن الذي دخله الطمع وحال بينه وبين ما ظهر في الأرض من الفساد والبغي هو أنت.

- ويحك، كيف ذلك، كيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء في قبضتي، والحلو والحامض عندي؟

- وهل دخل أحدًا من الطمع ما دخلك، إن اللَّه استرعاك أمر عباده وأموالهم؛ فأغفلت أمورهم، واهتممت بجمع أموالهم، وجعلت بينك وبينهم حجابًا من الجص والآجر، وأبوابًا من الحديد، وحراسًا معهم السلاح. ثم سجنت نفسك منهم، وبعثت عمالك في جبايات الأموال وجمعها، وأمرت أن لا يدخل عليك أحدٌ من الرجال إلا فلان وفلان، نفرًا سميتهم. ولم تأمر بوصول المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العاري إليك. ولا أحدٌ إلا وله في هذا المال حق. فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك، وآثرتهم على رعيتك، وأمرت أن لا يُحجبوا دونك، تجبي الأموال وتجمعها. قالوا: هذا قد خان الله، فما لنا لا نخونه، فأتمروا أن لا يصل إليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا، ولا يخرج لك عامل إلا خونوه عندك ونفوه، حتى تسقط منزلته. فلما انتشر ذلك عنك وعنهم، عظمهم الناس وهابوهم وصانعوهم، فكان أول مَن صانعهم عمالك بالهدايا والأموال، ليقووا بها على ظلم رعيتك، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم، فامتلأت بلاد اللَّه بالطمع ظلمًا وبغيًا وفسادًا، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وأنت غافل. فإن جاء متظلم حيل بينك وبينه، فإذا أراد رفع قصته إليك عند ظهورك،

وجدك قد نهيت عن ذلك، وأوقفت للناس رجلًا ينظر في مظالمهم، فإن جاء ذلك المتظلم فبلغ بطانتك خبرهُ، سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته إليك، فلا يزال المظلوم يختلف إليه ويلوذ به، ويشكو ويستغيث، وهو يدفعه.

فإذا أجهد وأخرج، ثم ظهرت أنت، صرخ بين يديك، فيُضرب ضربًا مبرحًا يكون نكالًا لغيره، وأنت تنظر فما تُنكر. فما بقاء الإسلام، وقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر الصين، فقدمتها مرة وقد أصيب ملكهم بسمعه، فبكى بكاء شديدًا. فحثه جلساؤه على الصبر، فقال: أما إني لست أبكي للبلية النازلة، ولكني أبكي لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته، ثم قال: أما إذ قد ذهب سمعي فإن بصري لم يذهب. نادوا في الناس أن لا يلبس ثوبًا أحمر إلا متظلم. ثم كان يركب الفيل طرفي النهار، وينظر هل يرى مظلومًا. فهذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله بلغت رأفته بالمشركين هذا المبلغ، وأنت مؤمن بالله من أهل بيت نبيه، لا تغلبك رأفتك بالمسلمين على شح نفسك، فإن كنتَ إنما تجمع المال لولدك، فقد أراك اللَّه عبرًا في الطفل يسقط من بطن أمه ماله على الأرض مال..

وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه، فما يزال اللَّه يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس له. ولستَ الذي تعطي، بل اللَّه تعالى يعطي من يشاء ما يشاء. فإن قلتَ إنما تَجمع المال لشديد السلطان، فقد أراك اللَّه عبرًا في بني أمية، ما أغنى عنهم جمعهم من الذهب، وما أعدوا من الرجال والسلاح والكراع، حين أراد اللَّه بهم ما أراد. وإن قلتَ إنما تَجمع المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنت فيها، فو اللَّه ما فوق ما أنت فيه إلا منزلةً ما تُدرك. وهل تعاقب من عصاك بأشد من القتل؟

- لا.

- فكيف تصنع بالملك الذي خولك ملك الدنيا، وهو لا يعاقب من عصاه

بالقتل، ولكن بالخلود في العذاب الأليم. قد رأى ما عقد عليه قلبك، وعملته جوارحك، ونظر إليه بصرك، واجترحته يداك، ومشت إليه رجلاك؛ هل يغني عنك ما شححت عليه من ملك الدنيا، إذا انتزعه من يدك، ودعاك إلى الحساب؟

- فبكى المنصور، وقال:

- ليتني لم أُخلق. ويحك، كيف أحتال لنفسي؟

- يا أمير المؤمنين إن للناس أعلامًا يفزعون إليهم في دينهم، ويرضون بهم في دنياهم، فاجعلهم بطانتك يرشدوك، وشاورهم في أمرك يسددوك.

- قد بعثتُ إليهم فهربوا مني.

- خافوك أن تحملهم على طريقتك. ولكن افتح بابك، وسهل حجابك، وانصر المظلوم، واقمع الظالم، وخذ الفيء، والصدقات على حلها، واقسمها بالحق والعدل على أهلها، وأنا الضامن عنهم بأن يأتوك يساعدوك على صلاح الأمة.

- وأذن المؤذن، فصلى المنصور، وعاد فطلب الرجل، فلم يوجد.

نشيد سعد باشا زغلول(١)

اسلَمي يا مِصْرُ إنني الفِدا

ذِي يدي إن مَدتِ الدنيا يَدا

---

(١) المتوفى عام (١٣٤٦هـ). زعيم علماني وطني معاصر، تعاون مع الاحتلال الإنجليزي لبلاده. انظر عنه وعن ثورته التي خُدع بها كثيرون: «جيل العمالقة والقمم الشوامخ في ضوء الإسلام»؛ للأستاذ أنور الجندي رحمه الله (ص ١٠٧ - ١٣١). و «واقعنا المعاصر»؛ للأستاذ محمد قطب (ص ٣٠٤ - ٣٣٢). (س).

أبَدًا، لن تَشْتَكيني أبَدا
إنني أرجو مَعَ اليَوْمِ غَدا
وَمَعي قَلْبي وَعَزْمِي لِلجِهَاد
ولقَلْبي أنتِ بَعْدَ الدينِ دِين

❀ ❀ ❀

لَكِ يا مِصْرُ السَّلامَةْ وَسَلامًا يا بِلادي
إنْ رَمَى الدَّهْرُ سِهَامَهْ فَاتَّقِيهَا بفؤادِي
واسْلَمي في كل حِين

❀ ❀ ❀

أنا مصري بَنانِي مَنْ بَنَى
هَرَمَ الدَّهر الذي أعْيَا الفَنَا
وَقْفَةُ الأهرام فيما بَيْنَنا
لِصُرُوفِ الدهر وقْفَتِي أنا
في دِفاعي وجِهادي للبلادْ
لا أميلُ، لا أمَلُّ، لا ألينْ

❀ ❀ ❀

لك يا مصرُ السلامَةْ

. . . .

❀ ❀ ❀

وَيْلَكَ يا مَنْ رَامَ تَقْيِيدَ الفَلَكْ
أيُ نَجْم في السَّما يخضَعُ لَكْ
وطَنُ الحُرّ سَمًا لا تُمْتَلَكْ
والفتَى الحُر بأفْقِهِ مَلَكْ
لا عدا يا أرضَ مِصْر بِك عاذْ
إننا دون حِماكِ أجمعينْ

❁ ❁ ❁

لك يا مصر السلامَهْ

....

❁ ❁ ❁

وبمصْرٍ شرّفوا المستَقْبَلا
وفِدًا لِمصرنا الدُّنيا فَلا
تَضَعُوا الأوطانَ إلا أولا
جانبي الأيْسَرُ قَلبُهُ الفؤادْ
وَبلادِي هيَ لي قلبي اليَمينْ

مصطفى صادق الرافعي

الإسلام
صوت الرحمة والإخاء والمساواة

قال كارليل (الأبطال ١: ١٥٢):

في الإسلام خلة أراها من أشرف الخلال وأجلها، وهي التسوية بين الناس. وهذا يدل على أصدق النظر وأصوب الرأي. فنفس المؤمن راجحة بجميع دول الأرض، والناس في الإسلام سواء، والإسلام لا يكتفي بجعل الصدقة سنة محبوبة، بل يجعلها فرضًا حتمًا على كل مسلم، وقاعدة من قواعد الإسلام، ثم يقدرها بالنسبة إلى ثروة الرجل فتكون جزءا من أربعين من الثروة، تُعطى إلى الفقراء والمساكين والمنكوبين.

- جميل والله كل هذا، وما هو إلا صوت الإنسانية، صوت الرحمة والإخاء والمساواة، يصيح من فؤاد ذلك الرجل: أين القفار والصحراء، ﷺ.

آل السلطنة

هم يُعدّون بالمئات ذكورا ... وإناثًا لهم قصورٌ مُشاله
ولهم أعبدٌ بها وإماء ... ونعيم ورفعة وجلاله
تركوا السعيَ والتكسُّبَ في الد ... نيا وعاشوا على الرعيّة عاله
ألِفوا القصف والترفُّهَ في العيـ ... ـش وناموا على فِراش العطاله
يتجلَّى النعيم فيهم فتبكي ... أعينُ السعي من نعيم البطاله

يأكلون اللُّباب من كدّ قوم أعوَزتهم سَخية من نخاله
فكأن الأنامَ يشقون كدا كي تنال النعيمَ تلك السلاله
وكأن الإله قد خلق النا سَ لِمَحْيا آل السلاطينِ آله
نَعِمُوا في غَضارة المَلْكِ عيشًا وحملنا من دُونهم أثقاله
فإذا ما صال العدوُّ خرجنا دونهم للوغى نردُّ صِياله
وإذا همْ جرُّوا الجرائرَ يومًا فعلينا تكون فيها الجِماله
وإذا ما استهلَّ فيهم وَليد فعلينا رَضاعُهُ والكَفاله!
قد رضينا بذاكَ لولا عتوٌّ أظهروه لنا على كلِّ حاله
ما بهم ما يميزهم عن بني السُو قة إلا رسوخُهم في الجهاله
ومن الناس حيث لو غُربِل النـ ـاس لكانوا نُفاية وحُثاله
ومن الجهل حيث لو صُور الجهـ لُ لكانوا بين الورَى تمثاله
حَمَّلونا من عيشهم كل ثِقل ثم زادوا أصهارَهم والكلاله
فكَفَيْنا أصهارَهم مؤنة العيـ ش فكانوا ضِغثًا على إباله
فكأنا نعطيهمُ أجرَ البِضـ ع كما أعطيَ الأجير العماله
تلك والله حالة يقشعرُّ الـ حقُّ منها وتشمئزُّ العداله
هِيَ منهم دناءةٌ وشنارٌ وهي منا حماقةٌ وضلاله
ليسَ هذا في مبدأ الاشتراكـ ـيّة إلا من الأمور المحاله
وهو في الملّة الحنيفيّة السمْـ ـحةِ كفرٌ بربنا ذي الجلاله

معروف الرصافي

من حِكَم الفرس

في حِكَم الفرس: «ما أضعف طمع صاحب السلطان في السلامة» وذلك أنه إن عف جنى عليه العفاف عداوة الخاصة، وإن بسط يده جنى عليه البسط ألسنة المتنصحين، فلزمك بذلك أن يكون حذرك أغلب من رجائك، وخوفك أكثر من أمنك، ولئن تكدر بهما العيش فهما إلى السلامة أدعى.

وقال بعض الحكماء: «بالصبر على ما تكره تنال ما تحب، وبالصبر على ما تحب تنجو مما تكره».

الحمامة

رُبَّ ورقاء هَتوفٍ في الضُّحَى ... ذَاتِ شَجْوٍ هَتَفَتْ في فَنَنِ
ذكرَت إلفًا وخِدْنا صالحًا ... فبكت حُزْنًا فهاجت حَزَني
فبكائي ربما أرَّقها ... وبُكاها ربما أرَّقني
ولقد تشكو فما أفهَمُها ... ولقد أشكو فما تفهمني
غير أني بالجوى أعرِفها ... وهي أيضًا بالجوى تعرفني

القلم

* قال ابن المقفع: «القلم بريد القلب يُخبر بالخبر، وينظر بلا نظر».

* وقال أبو دُلَف: «القلم صائغ الكلام يفرغ ما يجمعه العلم»

* وقال الجاحظ: «الدواة منهل، والقلم ماتح، والكتاب عطن».

* وقال سهل بن هارون: «القلم أنف الضمير إذا رعف أعلن أسراره، وأبان آثاره».

* وقال عمرو بن مسعدة: «الأقلام مطايا الفطن».

* وقال المأمون: «لله در القلم كيف يحوك وشي المملكة».

* وقال جالينوس: «القلم طبيب المنطق».

* وقال أحمد بن عبد الله: «القلم راقد في الأفئدة، مستيقظ في الأفواه».

* وقيل: «عقول الرجال تحت أسِنَّةِ أقلامها».

* وقال آخر: «القلم أصم يسمع النجوى، وأخرس يُفصح بالدعوى، وجاهل يعلم الفحوى».

* وقال أحمد بن يوسف: «عبرات الأقلام في خدود كتبها أحسن من عبرات الغواني في صحون خدودها».

* وقال أيضًا: «القلم لسان البصر يناجيه بما استتر عن الأسماع، إذا نسج حلله، وأودعها حكمه».

* وقال العتابي: «الأقلام مطايا الأذهان».

* وقال عبد الحميد: «القلم شجرة ثمرتها الألفاظ، والفكر بحر لؤلؤه الحكمة».

* وقيل: «بِريّ القلم تروى القلوب الظمئة».

* وقال ابن أبي دُواد: «القلم سفير العقل، ورسوله الأنبل، ولسانه الأطول، وترجمانه الأفضل».

* وقال أيضًا: «القلم الدنيا والآخرة».

* وقال آخر: «بنوء القلم تصوّب الحكمة».

* وقال ابن ميثم: «من جلالة شأن القلم أنه لم يُكتب لله تعالى كتاب قط إلا به».

* وقالوا: «القلم قيم الحكمة».

* وقال يحيى بن خالد البرمكي: «الخط صورة روحها البيان، ويدها السرعة، وقدمها التسوية، وجوارحها معرفة الفصول».

* وصف أحمد بن إسماعيل خطًا حسنًا فقال: «لو كان نباتًا لكان زهرًا، ولو كان معدنًا لكان تِبرًا، أو مذاقًا لكان حلوًا، أو شربًا لكان صفوًا».

* وقال أقليدس: «الخط هندسة روحانية، وإن ظهرت بآلة جسمانية».

* أخذه النظّام فقال: «الخط أصل في الروح وإن ظهر بالجسد».

* وقال بعض الملوك اليونانية: «أمر الدين والدنيا تحت شيئين: قلم وسيف، والسيف تحت القلم».

* وقال أفلاطون: «الخط عقال العقل».

* وقال أرسطاطيس: «القلم العلة الفاعلة. والمداد العلة الهيولانية. والخط العلة الصورية. والبلاغة العلة النامية».

* سئل بعض الكتاب عن الخط متى يستحق أن يوصف بالجودة؟ فقال: إذا اعتدلت أقسامه، وطالت ألفه ولامه، واستقامت سطوره، وضاهى صعوده حدوره، وتفتحت عيونه، ولم تشبه راءه نونُه، وأشرق قرطاسه، وأظلمت أنفاسه، ولم تختلف أجناسه، وأسرعت إلى العيون صوره، وإلى العقول ثمره، وقدرت فصوله، واندمجت وصوله؛ وتناسب دقيقه وجليله، وخرج عن نمط الوراقين، وبعُد عن تصنع المحررين، وقام لكاتبه مقام النسبة والحلية.

* وقالوا: «القلم أحَدُ اللسانين، والعم أحد الأبوين، والتثبت أحد العفوين، والمطل أحد المنعين، وقلة العيال أحد اليَسارين، والقناعة أحد الرزقين، والوعيد أحد الضربين، والإصلاح أحد الكسبين، والرواية أحد الهاجيين، والهجر أحد الفراقين، واليأس أحد النجحين، والمزاح أحد السبابين».

* وقال آخر: «مساق أمر الدنيا بسين وقاف فيقال سق»، يريد السيف والقلم.

* وقال: «القلم لسان اليد».

* قال ابن الترجمان - وكان الواثق أنفذه إلى ملك الروم بهدايا -: وافقتُ لهم عيدا، فرأيتهم قد علقوا على باب بيعتهم كتبًا بالعربية منشورة، فسألت عنها فقيل: هذه كتب المأمون بخط أحمد بن أبي خالد الأحول، استحسنوا صوره وتقديره فجعلوه هكذا. فحدثت أنا بهذا الحديث أبا عبيد اللَّه محمد بن داود بن الجراح، فقال: هذا حق، قد كتب سليمان بن وهب كتابًا إلى ملك الروم في أيام المعتمد، فقال ملك الروم: ما رأيت للعرب شيئًا أحسن من هذا الشكل، ولست أحسدهم على شيء حسدي إياهم عليه. والطاغية لا يقرأ العربي، وإنما راقه باعتداله وهندسته وحسن موقعه ومراتبه.

* وقال هشام بن عبد الملك لأعرابي: انظر كم على هذا الميل من عدد الأميال. وكان الأعرابي لا يُحسن أن يقرأ، فمضى ونظر ثم عاد فقال: رأيت كرأس المِحجن، متصلاً بحلقة صغيرة، تتبعه ثلاثة كأطْباء الكلبة[1]، تفضي إلى هنة كأنها رأس قطاة بلا منقار. ففهم بصفته أنها (خمسة).

* قال بعض الكتاب: «القلم الردي كالولد العاق».

* وقالوا: «رداءة الخط إحدى الزمانتين، كما أن حسنه إحدى البلاغتين».

---

(١) الأطباء جمع طبي، وهو بمعنى الثدى.

* اعتذر رجل إلى محمد بن عبد اللَّه بن طاهر من شيء بلغه عنه، فرأى خطه قبيحًا فوقّع في رقعته: «أردنا قبول عذرك، فاقتطعنا عنه ما قابلنا من قبح خطك. ولو كنتَ صادقًا في اعتذارك لساعدتك حركة يدك، أو ما علمت أن حسن الخط يناضل عن صاحبه بوضوح الحجة، ويمكّن له درك البغية».

* وكان أبو هفان عبد اللَّه بن أحمد المهزمي من أقبح الناس خطًا، وكان يبتديء الخط من رأس الورقة، ويعوّج سطوره حتى يبقى آخر سطر في الورقة كلمة واحدة. فرثاه يحيى بن علي فقال في مرثيته:

مع خطٍ كأنه أرجل البط أو الحط في ذوى الفتيان

* قالوا: رداءة الخط زمانة الأديب.

* نظر عبد اللَّه بن طاهر إلى خط بعض كُتابه فلم يرضه، فقال: «نَحُّوا هذا عن مرتبة الديوان، فإنه عليل الخط، ولا يؤمن أن يعدي غيره».

* أنشد العنزي الحسن بن علي في قبح الخط:

جزعت من قبح خطي فيه، وضعي وَحطي
رجعت من بعد حذقي إلى تعلم خُطي

* دخل على الرشيد أعرابي، فأنشده أرجوزة - وإسماعيل بن صبيح يكتب بين يديه كتابًا، وكان أحسن الناس خطًا، وأسرعهم يدًا - فقال الرشيد للأعرابي: «صف هذا»، فقال: «ما رأيت أطيش من قلمه، ولا أثبت من حلمه».

ثم قال:

له قلما بُؤسى ونعمى، كلاهما سحابته في الحالتين دَرور
يناجيكَ عما في ضميرك لحظه ويفتح بابَ النُّجْح وهو عسير

فقال الرشيد: «قد وجب لك يا أعرابي عليه حق هو يقضيك إياه، وحق علينا فيه نحن نقوم به. ادفعوا إليه دية الحر»، فقال له: «على عبدك دية العبد».

* جاء يومًا عبد اللَّه بن المعتز في المسجد الجامع إلى أبي العباس أحمد بن يحيى ليُسلم عليه، فقام له وأجلسه مكانه، فداس ابن المعتز قلمًا فكسره، فلما جلس قال لمن حوله:

لِكفّي وتر عند رجلي لأنها ... أثارت قتيلاً ما لأعظمه جبر

فعجب الناس من سرعة بديهته.

* أهدى رجل إلى إبراهيم بن المدبر قلمًا وكتب إليه:

قد وجهت إليك - أعزك اللَّه - بمفاتح العلوم، بادٍ جمالها، تام كمالها، فهي كما قال الشاعر:

ليس فيها ما يقال له ... كملت لو أن ذا كملا

كل جزء من محاسنها ... كائن من حسنه مثلا

قال أحمد بن إسماعيل:

وإذا نَمْنَمَتْ بنانك خطًا ... معربًا عن إصابة وسداد

عجب الناس من بياض معان ... يُجتنى من سواد ذاك المداد

قال أبو هفان: سألت وراقًا عن حاله فقال: «عيشي أضيق من محبرة، وجسمي أدق من مسطرة، وجاهي أرق من الزجاج، ووجهي عند الناس أشد سوادًا من الحبر، وخطي أحقر من شق القلم، وبدني أضعف من قصبة، وطعامي أمر من العفص، وسوء الحال ألزم لي من الصبغ».

فقلت له: عبرت عن بلاء ببلاء.

* ومثله قول قائلهم:

أفٍ لرزق الكَتَبهْ ... أفٍ له، ما أتعبه

أفٍ لرزق يُرتجى ... من شِق هذي القصبه

* سئل وراق عن حاله فقال:

إذا كنتُ بالليل لا أكتب وطول النهار أنا ألعب
فطورًا يبطلني مأكل وطورًا يبطلني مشرب
فإن دام هذا على ما أرى فبيتي أول ما يخرب

مملكة النحل

مملكةٌ مُدَبَّرهْ بامرأةٍ مؤمّرهْ
تحملُ في العمال والـ صُّناع عبء السيطرهْ
فاعجبْ لعمَّال يُولـ ونَ عليهم قيصرهْ
تحكمُهمْ راهبة ذكارة مُغبرهْ[1]
عاقدة زُنّارَها عن ساقها مشمّرهْ
تلثَّمَتْ بالأرجُوا ن وارتدتْه مئزرهْ
وارتفعتْ كأنّها شرارة مُطيّرَهْ
ووقعتْ لم تختلجْ[2] كأنها مسمّرهْ

مخلوقةٌ ضعيفةٌ من خُلقٍ مُصوَّرَهْ
يا ما أقل مُلكها وما أجل خطرهْ
قفْ سائلِ النحل به بأي عقلٍ عبرهْ
يُجبكَ بالأخلاق وهيَ كالعقولِ جوهرهْ

---

(١) التغبير: ترديد الصوت بالقراءة.

(٢) الاختلاج: الاضطراب.

تغني قوى الأخلاقِ ما   تغني القوي المفكّرهْ
ويرفع اللّه بها   من شاء حتى الحشرهْ

❁ ❁ ❁

أليس في مملكة الـ   نّحلِ لقومٍ تبصرهْ
مُلكٌ بناهُ أهلُهُ   بهمةٍ ومجدُرهْ
لو التمستَ فيه بطّـ   الَ اليدين لم تَرَهْ
تُقتلُ أو تُنفى الكسا   لى فيه غيرَ مُنذرهْ
تحكم فيه قيصره   في قومها موقّرهْ
من الرجالِ وقيو   دِ حُكْمِهِمْ محرّرَهْ
لا تورث القومَ ولو   كانوا البنينَ البَرَرَهْ
الملكُ للإناثِ في الـ   دستورِ لا للذكَرَهْ[1]
نَيرة تنزلُ عن   هالها لنيّرهْ
فهل تُرى تَخْشى الطّما   عَ في الرجال والشَّرَهْ
فطالما تلاعبوا   بالهمَج المصَيَّرهْ
وعبروا غَفْلَتها   إلى الظهور قَنطرهْ
وفي الرجال كرمُ الـ   ضعفِ ولؤمُ المقدُرهْ
وفتنةُ الرأي وما   وراءها من أثرهْ

❁ ❁ ❁

أنثى ولكن في جَنا   حَيْها لَبَاةٌ[2] مُخْدِرَهْ
ذائدةٌ عن حوضِها   طاردةٌ مَنْ كدّرَهْ

---

(١) الذكرة: الذكور.
(٢) اللباة: اللبوة.

تقلّدَت إبرَتها ... وادّرعت بالحَبَرهْ
كأنها تركيةٌ ... قد رابطت بأنقرهْ[1]
كأنها (جاندَرك) في ... كتيبة معسكرهْ
تَلقى المغير بالجنو ... دِ الخشُنِ المنمّرهْ
السابغين شِكَّة ... البالغين جَسَرَهْ[2]
قد نَشَرَتهم جُعبةٌ ... ونفضتْهم مِئبرهْ
من بَيْنِ ملكًا أو يَذُدْ ... فبالقَنا المجرَّرهْ
إنَّ الأمورَ همَّةٌ ... ليسَ الأمورُ ثرثرهْ
ما الملك إلا في ذرى الْـ ... ألوية المُنَشَّرَهْ
عرينهُ مذْ كان لا ... لا يحميه إلا قَسْوَرَهْ
رَبُّ النُيوبِ الزُّرْقِ والـ ... مخالبِ المذكَّرهْ

❀ ❀ ❀

مالكةٌ عاملةٌ ... مُصلحة مُعمِّرهْ
المالُ في أتباعها ... لا تَستبين أثرَهْ
لا يعرفون بينهم ... أصلًا له من ثَمّرهْ
لو عَرَفوه عرفوا ... من البلاء أكثرهْ
واتخذوا نقابة ... لأمرهم مسيرهْ
ونغصَ الشّهدَ عليـ ... نا شَغْبُهم ومرَّرَهْ
سبحانَ من نَزَّه عنـ ... ه مُلكَهمْ وطَهَّرَهْ
وساسه بحرَّةٍ ... عاملةٍ مسخرَهْ
صاعدةٍ في معملٍ ... من معمل مُنحدرهْ

---

(١) قبل أن تتفرنج التركية بضغط ساسة أنقرة.

(٢) الشكة: السلاح. الجسرة: الجسارة.

واردةٍ دسـكـرة صـادرة عـن دسـكـرهْ
بـاكـرةٍ تـسـتـنـهـضُ الـ عـصـائـب الـمـبـكّـرهْ
الـسـامـعـيـن الـطـائـعـيـ نَ الـمـحـسـنـيـنَ الـمـهـرَهْ
مـن كـل مـن خـطّ الـبنـ اءَ أو أقـام أسْـطُـرَهْ
وشـدَّ أصـلَ عـقـدهِ أو سـدّه أو قـوّرهْ
أو طـاف بـالـمـاء عـلـى جـدرانـه الـمـجـدّرهْ

❁ ❁ ❁

وتـذهـبُ الـنـحـلُ خِـفـا فًـا وتـجـيء مـوقّـرَهْ
جـوالـبَ الـشـمـعِ مـن الـ خـمـائـل الـمـنـوَّرَهْ
جـوالـبَ الـمـاذي[1] مـن زهـرِ الـريـاض الـشّـيـرهْ[2]
مـشـدودة جـيـوبـهـا عـلـى الـجـنَـى مـزَرّرَهْ
وكـلٌّ خُـرطـومٍ أدا ةُ الـعَـسَـلِ الـمُـقَـطَّـرهْ
وكـل أنـف قـانـيء فـيـه مـن الـشُّـهـدِ بُـرَهْ
حـتـى إذا جـاءتْ بـه جـاسـت خـلالَ الأدورة[3]
وغـيـبـثْـهُ كـالـسُّـلا فِ فـي الـدنـانِ الـمُـحـضَـرَهْ
فـهـل رأيـتَ الـنـحـلَ عـن أمـانـة مُـقـصـرهْ
مـا اقـتـرضـتْ مـن بـقْـلَـةٍ أو اسـتـعـارتْ زَهـرَهْ
أدتْ إلـى الـنـاسِ بـه سُـكَّـرَةً بـسُـكَّـرهْ

أحمد شوقي

---

(١) الماذي: العسل.

(٢) الشيرة: الحسان.

(٣) الأدورة: الديار، يراد بها الخلايا.

رأي غليوم الثاني
في الخطة التي يجب أن تتبع إزاء انكلترا

قال الإمبراطور غليوم في مذكراته:

وقد سألني (بيلوف) في أول اجتماع عقدته معه بعد ما صار مستشارًا: ما هو رأيي في الخطة التي يجب انتهاجها للسير مع الانكليز على أحسن أسلوب، وجعل علاقاتنا حسنة معهم؟ فقلت له: رأيي هو أن الصراحة التامة ضرورية في مفاوضتهم. فالانكليزي عنيد في الدفاع عن مصلحته ووجهة نظره بصراحة تبلغ حد الغلظة. لذلك لا يستغرب معاملة الآخرين له بالمثل بل يفهمها تمامًا. فلنحذر من أن نعمد إلى السياسة أو إلى الحيلة في معاملة الانكليز، لأن هذه الخطة لا تنجح إلا مع اللاتين والصقالبة. أما الانكليزي فتزيده حذرًا، وتجعله يعتقد بأن مخاطبه لم يُخلص له، وأنه ينوي خداعه والتلاعب به. ومتى تسرب الشك إلى قلب الانكليزي، فمن المحال أن يتم معه عمل، رغم عباراته الجميلة الخلابة ومبالغته بالتساهل والتلطف، لذلك لم أستطع أن أنصح المستشار إلا باستعمال الصراحة في سياسته مع انكلترا.

من أمثال العرب

* المرء حيث يضَعُ نفسَه.
* مَن ترَك الشهواتِ عاش حرًا.
* الصدقُ عِزٌ والكَذِبُ خضوعٌ.

* عزُّ الرَّجُلِ استِغْناؤه عن الناسِ.

* ظَمَأٌ قامِحٌ خيرٌ من رِيٍّ فاضح.

* لا تصحبْ من لا يرى لك من الحقّ مثل ما ترى له.

* الإفراط في الأنس مَكْسَبَةٌ لقُرَناءِ السّوء.

* لا تمازح الشريفَ فيحقدَ عليك، ولا الدنيء فيجترىء عليك.

* لن يهلكَ امرؤ عرف قدره.

* الوحدة خير من جليسِ السوءِ.

* الدنيا قروض ومكافآت.

* إياك وأعراض الرِّجال(١).

* تركتني خِبرةُ الناسِ فردًا.

* كلُّ صمتٍ لا فكْرَةَ فيه فهو سَهْوٌ.

* للباطل جَوْلةٌ ثُمَّ يضْمَحِل.

* الحازم من ملك جِدُّه هَزْلَه.

* المرء بِأصغريه.

* من استرعى الذئبَ ظلم.

* من ضَعُف عن كسبه اتكلَ على زادِ غيرِهِ.

* مَن اتكل على زاد غيره طال جُوعه.

---

(١) من كلام يزيد بن المهلب فيما أوصى به ابنه: إياك وأعراض الرجال، فالحر لا يرضيه من عرضه شيء.

* لو لم يترك العاقلُ الكذبَ إلا للمروءة لكان حقيقًا بذلك، فكيف وفيه المأثمُ والعار.

* كما تَدين تُدانُ.

* إن كَذِبٌ نَجَّى فَصِدْقٌ أخلقُ.

* شرُّ الناسِ من لا يبالي أن يَرَاهُ الناس مُسيئًا.

* اعقِلْ وتَوَكَّلْ.

* تقاربوا بالمودَّة ولا تتكلوا على القرابة.

* الرَّباحُ مع السَّماحِ.

* رُبَّما كان السكوت جوابًا.

* الحزمُ حفظُ ما كلِّفتَ وتركُ ما كُفِيت.

* مَنْ طلب شيئًا وجده.

* طاعةُ النساءِ ندامةٌ.

* المرء بخليله فلينظر امرؤ من يخالِلُ.

* العَجْزُ رِيبَةٌ[1].

* في الاعتبار غنًى عن الاختبار.

* رضى الناس غايةٌ لا تُدركُ.

* إياك والسآمة في طلب الأمور فتَقْذِفَكَ.

* الرجالُ خلفَ أعقابها.

---

(١) يعني: أن الإنسان إذا قصد أمرًا وجد إليه طريقًا، فإن أقر بالعجز على نفسه ففي أمره ريبة، قال بعضهم: هذا أحق مثل ضربته العرب.

* رُبَّ كلمة سلبت نعمة.

* الصناعةُ في الكفّ أمان من الفقر.

* تعاشروا كالإخوان وتعاملوا كالأجانب.

* التدبير نصفُ المعيشة.

* إذا ترضيتَ أخاك فلا أخًا لك[١].

* البغيُ آخِرُ مدَّةِ القوم[٢].

* ليس للأمور بِصاحب مَنْ لم ينظر في العواقب.

* من العجز والتواني نتجت الفاقة[٣].

* مقتل الرجل بين فكَّيه.

* إذا زَلّ العالِم زل بزلته عالَم.

* إذا نُصر الرأي بَطل الهوى.

* حسبك من شرٍ سماعُه.

* رُبّما أراد الأحمق نفعكَ فأضرّك.

* من لم يكن ذئبًا أكلته الذئاب.

* الحكمة ضالّة المؤمن.

* أولُ الحزم المشورة.

---

(١) الترضي: الإرضاء بجهد ومشقة، أي إذا الجأك أخوك إلى أن تترضاه وتداريه فليس هو بأخ لك.
(٢) يعني: أن الظلم إذا امتد مداه في قوم أذن بانقراض مدتهم.
(٣) الفاقة: الفقر.

* إياكم وخضراء الدمن(١).
* الشماتَة لؤم.
* الدالُ على الخير كفاعله.
* أخوك من صَدَقَك النصيحةَ.
* أتْرِكِ الشرَّ يتركك.
* الحياء في غير موضعه ضعف.
* خير الناس من فَرِحَ للناس بالخير.
* دلَّ على عاقلٍ اختيارُه.

قلب الشاعر

أنا ساهرٌ والكون نام ... وكلُّ ما في الكون نام
نام الجميع ومقلتي ... يَقظى تجولُ مع الظلام
حتى نجوم الأفق نامت ... فوق طيات الغمام
أنا ساهر، وجبال لبـ ... نان عليها الصمت حام
خلع الجلال على مفا ... رقها مواهبَه الجسام
فكأنها إذ صَعّدت ... في الجو مرَّاد عظام
صمتت لَدُنْ برز الدجى ... فكأنّ في فمها لجام

(١) يعني: المرأة الحسنة في المنبت السوء.

أنا ساهر، والسهل في حضن الطبيعة كالغلام
وكأمه فتحت ذرا عيها ليهنأ بالمنام
يغفو ويحرس ثغره روحُ البنفسج والخزام
السهل نام، فلا حرا ك ولا هتاف ولا بغام

❁ ❁ ❁

أنا ساهر، والبحر أخـ رس لا هدير ولا احتدام
كالمارد الجبار منطرح على صدر الرّغام
فكأنه والرمل إلفا صبوة منذ الفطام
فتعانقا عند المنا م وملء ثغرهما ابتسام
لا حسَّ حتى خلتُ أنْ ساد الحِمام على الأنام
وحسبتُ أنفاس الورى سُجنت بأقفاص العظام
صمتٌ يقزك فيه خَبُّ النمل في ملس الرخام
في ذلك الصمت الرهيب وذلك الليل الجهام
ما كان يخفق غير قلـ ب كاد يُتلفه السقام
قلب شقيّ في حنا يا أضلعي اختار المقام
قلب تأكّله الغرا م وظل يخفق للغرام
ما أعظم الضوضاء يُحـ دثها فؤاد المستهام
إذ راح يخفق وحده خفقان أجنحة الحمام
في ذلك الصمت الرهيب وذلك الليل الجهام

بشارة الخوري

حضارة العرب

مَلكنا فكان العفو مِنَّا سَجِيةً ... فلما ملكتُم سالَ بالدمِ أبطَحُ
وحللتمُ قتلَ الأسارى وطالَما ... غدونا على الأسرى نمُنُّ ونصفَحُ
فحسبكمُ هذا التفاوت بَيْنَنَا ... وكلُّ إناء بالذي فيه يَنْضَحُ

سعد بن محمد

الإنسان ابن السعي

ولم أجدِ الإنسانَ إلا ابنَ سعيه ... فمن كان أسعى كان بالمجدِ أجدَرا
بالهمةِ العلياء ترقى إلى العُلا ... فمن كان أعلى همة كان أظهرا
ولم يتأخر من أراد تقدمًا ... ولم يتقدمْ من أراد تَأخرا

العرب

❑ ١ ❑

قال لسان الدين بن الخطيب: العربُ لم تفتخرْ قَطُّ بذهب يُجمع، ولا ذُخْر يُرْفع، ولا قَصْرٍ يُبنى، ولا غرْس يجنى.

إنما فخرُها عدوٌ يُغلب، وثناءٌ يُجلب، وجُزُر تنحَر، وحديث يُذكر، وجودٌ على الفاقة، وسَماحةٌ بحسب الطاقة.

فلقد ذهب الذهب، وفنِيَ النَّشَب، وتمزّقت الأثواب، وهلكت الخيل

العِراب، وكل الذي فوق التراب تراب، وبقيت المحاسنُ تُروى وتُنقل، والأعراضُ تُجلى وتصقل.

❑ ٢ ❑

قال ابنُ المُقَفَّع: إنَّ العربَ حكمت على غير مِثال مُثِّلَ لَهَا، ولا آثار أثِرت، أصحابُ إبل وغنم، وسكان شعَر وأدَم، يجود أحدهم بقُوته، ويتفضل بمجهوده، ويشاركُ في ميسوره ومعسوره، ويصف الشيء بعقله فيكونُ قدوةً، ويفعله فيصيرُ حجةً، ويُحَسِّنُ ما شاء فيحسُن، ويقبِّحُ ما شاء فيقبح.

أدَّبَتْهُم أنفسهُم، ورفعتهم هِمَمُهُمْ، وأعلتهم قلوبُهم وألسنتهم.

فمن وضَع حقهم خَسر، ومن أنكر فضلَهم خُصم.

عدنان وقحطان

إلى بني العباس

لَمَّا اعتقدتُم أناسًا لا حُلومَ لهم ... ضِعْتمْ وَضيعتُمُ من كان يَعْتَقِدُ(١)

ولو جعلتم على الأحرار نعمتكم ... حمتكم السادة المذكورةُ الحُشُدُ

قومٌ هُمُ الجذمُ والأنسابُ تجمعُهُمْ ... والمجد والدين والأرحامُ والبلدُ(٢)

إذا قريش أرادوا شَدّ ملكِهم ... بغيرِ قحطانَ لم يبرحْ بهِ أوَدُ(٣)

يزيد المهلبي

---

(١) اعتقدتم: قربتم ووثقتم.

(٢) الجذم: الأصل.

(٣) شد ملكهم: تقويته. الأود: الاعوجاج.

دار الآثار العربية في القاهرة

في مصرَ دارٌ حَوتْ ما خلّفَ العَرَبُ ... يلوحُ فيها لعينِ الناظر العَجَبُ
فمنْ محاريبَ زانَ النقشُ حِلْيَتَها ... إلى منابر كم رنّتْ بها الخُطَبُ
ومن سيوف، إلى دِرْعٍ، إلى زردٍ ... إلى سهام، إلى ما يجمعُ اليلَبُ[1]
ومن مَصابيحَ لولا أنها خزَفٌ ... ما خالَها الطرف إلا أنها شُهُبُ
ومن دواةٍ، إلى طِرسٍ، إلى قلمٍ ... إلى صِحافٍ عليها يَسطع الذهبُ
فثمّ آثارهم تزهى بجدتها ... وثم أزياءهم رَغْمَ البِلى قشبُ
كذاك تنطِقُ بالاعجاز آيتهم ... ما قورنَ الناسُ إلا فاقتِ العربُ

محمد الهراوي

السلف الماجدون والخلف الغافلون

ورِثنا المجدَ عن آباءِ صِدْقٍ ... أسأنا في جوارِهم الصَّنيعا
إذا المجد الرفيعُ تَعَاوَرَتْهُ ... بُناة السُّوءِ أوشكَ أن يَضيعا

معن بن أوس

(١) اليلب: أدوات الحرب.

الواجب القومي

قال بعضهم:

أبغ للعُرب من الخير كما تبغي لنفسكْ
وارحم العُربَ جميعًا إنهم أبناء جنسكْ

السجايا الخالدة

قال إبراهيم النبهاني:

فإن تكنِ الأيام فينا تبدَّلت ببؤسى ونُعمى والحوادث تفعلُ
فما لَيَّنَتْ منا قناة صليبة ولا ذَلَّلَتْنَا للتي ليس تَجْملُ

أخلاق العرب

قال سويد اليشكري:

كتبَ الرحمن والحمد له قوَّةَ الأخلاق فينا والضّلَعْ[1]
وإباءً للدَّنيَّات إذا أُعطيَ المكثور ضَيْمًا فكَنَعْ[2]

(١) الضلَع: القوة واحتمال الثقل.
(٢) كثرة: غلبه في الكثرة. كنع: قبض وانضم.

وبـنـاءً لـلـمـعـالـي إنـمـا يـرْفَـعُ الـلـهُ ومـن شـاء وَضَـعْ
نِـعَـمٌ لـلـهِ فـيـنـا ربَّـهـا وصـنـيـعُ الـلـهِ والـلـهُ صـنـعْ[1]

يوم الخلاص: ذكرى ١٥ مارس

أشرقْ فدتك مشارق الإصباح وأمط لثامك عن نهار ضاح
بوركت يا يوم الخلاص ولا ونت عنك السعود بغدوة ورواح
بالله كن يمنًا وكن بشرى لنا في رد مغترب وفك سراح
أقبلتَ والأيام حولك مثل صَفين تخطر خطرة الميّاح
وخرجتَ من حجب الغيوب محجلاً في كل لحظ منك ألف صباح
لو صح في هذا الوجود تناسخ لرأيت فيك تناسخ الأرواح
ولكنت يوم (اللابرنت[2]) بعينه في عزة وجلالة وصحاح
يوم يريك جلاله ورواؤه في الحُسن قدرة فالق الإصباح
خلعتْ عليه الشمس حلة عسجد وحباه «آذار» أرق وشاح
الله أثبته لنا في لوحه أبد الأبيد فما له من ماح
حييه عنا يا أزاهر واملئي أرجاءه بأريجك الفياح
وانفحه عنا يا ربيع بكل ما أطلعت من «رند» و «نور أقاح»
فاليوم قرّي يا كنانة واهدأي حرم الكنانة لم يكن بمباح

---

(١) رَب النعمة: زادها.

(٢) «اللابرنت» أو«قصر التيه» بالفيوم. وهو أول برلمان عقد في عهد الفراعنة، وكان فيه ثلاثة آلاف وخمسمائة حجرة، لكل نائب حجرة.

من ذا يُغِير على الأسود بغابها أو من يعوم بمسبح التمساح
للنيل مجدٌ في الزمان مؤثل من عهد آمون وعهد فتاح
فسل العصور به وسل آثاره في مصر كم شهدت من السياح

❁ ❁ ❁

يا صاحب القطرين غير مدافع ما مثلُ ساحك في العلى من ساح
أو لم يكن لك ملكُ مصر ونيلها ينساب بين مروجها الأفياح
منضورة الجنات حالية الربى مطلولة السرحات والأرواح
قد قال (عمرو) في ثراها آية مأثورة نُقشت على الألواح
بينا تراه لآلئا وكأنما نشرت بتربته عقود ملاح
وإذا به للناظرين زمرد يشفيك أخضره من الأتراح
وإذا به مسك تشق سواده شق الأديم محارثُ الفلاح
قم يا بن مصر فأنت حر واستعد مجد الجدود ولا تعد لمراح
شمرْ وكافح في الحياة، فهذه دنياك دار تناحر وكفاح
وانهل مع النُهال من عذب الحيا فإذا رقا فامتحْ مع المتاح
وإذا ألح عليك خطب لا تهن واضرب على الإلحاح بالإلحاح
وخضِ الحياة وإن تلاطم موجها خوض البحار رياضة السباح
واجعل عيانك قبل خطوك رائدًا لا تحسبن الغمر كالضحضاح
وإذا اجتوتْكَ محلة وتنكرت لك فاعدُها وانزح مع النُزاح
في البحر لا تثنيك نار بوارج في البر لا يلويك غابُ رماح
وانظر إلى الغربي كيف سمت به بين الشعوب طبيعة الكداح
والله ما بلغت بنو الغرب المنى إلا بنيات هناك صحاح
ركبوا البحار وقد تجمد ماؤها والجوّ بين تناوح الأرواح

والبر مصهور الحصى متأججًا   يرمي بنزاع الشوى لوّاح
يلقى فتيّهم الزمانَ بهمة   عجب ووجه في الخطوب وِقاح
ويشق أجواز القفار مغامرًا   وعر الطريق لديه كالصحصاح
وابنُ الكنانة في الكنانة راكد   يرنو بعينٍ غير ذات طماح
لا يستغل - كما علمت - ذكاءه   وذكاؤه كالخاطف اللماح
أمسى كماء النهر ضاع فراته   في البحر بين أجاجه المنداح
فانهض ودع شكوى الزمان ولا تنح   في فادح البؤسى مع الأنواح
واربح لمصر برأس مالك عزة   إن الذكاء حُبالة الأرباح
وإذا رُزقت رياسة فانسج لها   بُردين من حزم ومن إسجاح
واشرب من الماء القراح منعَّمًا   فلكم وردتَ الماء غير قراح

حافظ إبراهيم

بين عامين

بين شطيّ الماضي والمستقبل يجري نهر الحياة ثملاً بعقيقه الفخم، ليصب في بحر الأبدية حيث لا جديد ولا قديم، وخيالات البشر تتهادى بين جماجم الموت وأغراس الحياة، مخفيةً طيّ ضلوعها كثيرًا من الآمال، وكثيرًا من الكلوم:

فإلى بحر الأبدية، أيها العام الراحل!   وأنتَ أيها العام الجديد، إلينا!

وطئتَ الأرض طفلاً جميلا، فنبهت في قلوب الشيوخ الحنان، وكنتَ صلة حب بين أرواح الخلصان، امتزجت نُسيماتك بدقائق الأثير، فأصبح مغرّدًا لامعًا، وامتشقتَ حسام الصبح ضاربًا أعناق جيوش الظلام، فسالت منها الدماء

في المشرق، وملأت كتائبُ النور الأرضَ والسماء.

وداست أعقابك على هام الأيام، فأفنت قديمها، وغدا اليأس أملاً، والنُواح تهليلاً.

هي الإنسانية طفلة في هرمها كلما ذاقت عذابًا رجت حظًا، ولئن مزقت أحشاءها الضغائن والأحقاد، فموجات الحب العظيم ما برحت غامرة فؤادها.

فاسمع هتافها متخللاً أصوات الصباح: رحماك أيها العام، رحماك!

لقد كتبتْ اسمك يدُ الزمان على باب الوجود، فساعدنا لننقش أسماءنا على باب السعادة!

كنا بالأمس نلمس الأوتار، فتسيل عليها الدموع مرخية قواها، فما تسمعنا سوى شكوى المذلة وأنين العبودية، أما اليوم فنريد أن ننعش أرواح العيدان؛ لنوقع أسمى المبادئ على أعذب الألحان.

رحماك أيها العام الجديد، الإنسانية تتألم، فارفق بها.

رحماك، أيها الطفل الحبيب!

تعال نعطِيك القبلات السنوية الثلاث: فعلى جبهتك قبلة الرجاء، وعلى ابتسامتك قبلة الوداد؛ وعلى يديك قبلة الالتماس والتوسل.

جبهتك مستودع الأفكار، وابتساماتك عبير الأزهار، ويداك رمز القوة المنتقلة، أبدية من أدهار إلى أدهار.

هذه أمانينا نلقي بها عند قدميك، فلا تدسها فتلاشينا، بل ضمها إليك فتحيينا (١٩١٣).

إسماعيل صبري باشا

خير ما قيل في وصف شعر أستاذ الشعراء إسماعيل صبري باشا قول الشاعر الكبير خليل مطران:

«أكثر ما ينظم فلخطرة تخطر على باله، من مثل حادثة يشهدها، أو خبر ذي بال يسمعه، أو كتاب يطالعه.

ولما كان لا ينظم للشهرة، بل لمجاراة نفسه على ما تدعوه إليه، فالغالب في أمره أنه يقول الشعر متمشيًا، وربما قاله بحضرة صديق وهو مائل عنه بعنقه. وله بين حين وحين أنةٌ بمثل ما تنطق لفظة «ايه» مستطيلة.

ينظم المعنى الذي يعرض له في بيتين عادة إلى أربعة إلى ستة، وقلما يزيد على هذا القدر إلا حيث يقصد قصيدة وهو نادر.

شديد النقد لشعره، كثير التبديل والتحويل فيه، حتى إذا استقام على ما يريده ذوقه من رقة اللفظ وفصاحة الأسلوب، أهمله ثم نسيه.

وهكذا يمر به الآنُ بعد الآن، فيجيش في صدره الشعر، فيرسل بيتيه إطلاق زوجَي الطائر، فيذهبان في الفضاء ضاربين من أشطرهما بأجنحة ملتمعة، شاديين على توقيع العروض، إلى أن يتواريا، وينقطع نغمهما من عالم النسيان. ذلك هو الشعر للشعر».

خليل مطران

❑ **وإلى القارىء طائفة من مختار شعر إسماعيل صبري باشا:**

❑ الخطوة الأخيرة ❑

يا مَوتُ! ها أنا ذا فخذ ... ما أبقتِ الأيامُ مني
بَيني وبينَكَ خطوةٌ ... إنْ تخطُها فرَّجتَ عني

❑ تمثال جمال ❑

يا لواءَ الحُسنِ أحزابُ الهوى ... أيقظوا الفتنةَ في ظلِّ اللواء
فرقتهم في الهوى ثاراتُهم ... فاجمعي الأمرَ وصُوني الأبرياء
إنَّ هذا الحُسنَ كالماءِ الذي ... فيه للأنفُسِ ريٌّ وشفاء
لا تَذُودي بعضَنا عن وِردِه ... دونَ بعض، واعدلي بينَ الظّماء
أنتِ يمُّ الحسن فيه ازدحمت ... سفُنُ الآمال يُزْجيها الرجاء
يقذفُ الشوقُ بها في مائج ... بين لجَّيْن: عَناء وشَقاء
شدّةٌ تمضي، وتأتي شدة، ... تقتفيها شدّة، هل من رجاء؟
ساعفي آمالَ أنضاءِ الهوى ... بقبولٍ من سَجاياكِ رخاء
وتجلي واجعلي قومَ الهوى ... تحتَ عرش الشمس بالحكم سَواء
أقبلي نستقبلِ الدنيا وما ... ضُمّنته من مُعَداتِ الهناء
واسفِري، تلك حلي ما خُلقتْ ... لتُوارى بلِثامٍ أو خِباء
واخطُري بينَ النَّدامى يحلفوا ... أنْ روضًا راحَ في النادي وجاء
وانطقي ينثرْ إذا حَدثتِنا ... ناثرُ الدرْ علينا ما نَشاء
وابسمي، مَن كان هذا ثغرُه ... يملأ الدنيا ابتسامًا وازدهاء
لا تخافي شططًا من أنفُسٍ ... تعثرُ الصبوةُ فيها بالحياء
راضتِ النّخوةُ من أخلاقنا ... وارتضى آدابَنا صدق الولاء
فلوِ امتدَّتْ أمانينا إلى ... مَلَك ما كدّرَتْ ذاك الصفاء

أنـتِ رُوحـانـيـةٌ لا تـدَّعـي ... أنَّ هذا الشكلَ من طين وماء
وانزعي عن جسمك الثوبَ يَبِنْ ... للملأ تكوينُ سكانِ السماء
وأري الدنيا جناحَيْ مَلَكٍ ... خلفَ تِمثالٍ مَصوغٍ من ضِياء

❑ طيف الود ❑

إذا خانني خل قديم وعقني ... وفوَّقت يومًا في مقاتله سهمي
تعرض طيف الود بيني وبينه ... فكسّر سهمي فانثنيت ولم أرمِ

❑ فؤادي ❑

أقصرْ فؤادي! فما الذِّكرى بنافعةٍ ... ولا بشافعةٍ في رَدّ ما كانا
سلا الفؤادُ الذي شاطرتَهُ زمنًا ... حَمْلَ الصبابةِ. فاخفقْ وحدَك الآنا
هلا أخذتَ لهذا اليومِ أهبتَه ... من قَبلِ أن تصبح الأشواقُ أشجانا
لَهْفي عليكَ قضيتَ العمرَ مقتحمًا ... في الوصل نارًا وفي الهِجران نيرانا

❑ ذكرى الشباب ❑

تمسي تذكرنا الشبابَ وعهده ... هيفاءُ مرهفة القوام فنذكر
تثِب القلوب إلى الرؤوس إذا بدت ... وتطلُّ من حدق العيون وتنظر

❑ إلى الله ❑

يا رب أين ترى تُقام جهنمٌ ... للظالمينَ غدًا وللأشرار
لم يُبق عفوك في السماوات العلى ... والأرضِ شِبرًا خاليًا للنار
يا رب أهِّلني لفضلك واكفني ... شَطَطَ العقول وفتنة الأفكار
ومُرِ الوجودَ يشف عنك لكي أرى ... غضبَ اللطيف ورحمة الجبار
يا عالمَ الأسرار حسبي مِحنة ... علمي بأنك عالمُ الأسرار
أخلقْ برحمتك التي تسَع الورى ... ألا تضيق بأعظم الأوزار

❑ ساعات الألم ❑

كم ساعة آلمني مسها — وأزعجتني يدُها القاسيه
فتشت فيها جاهدًا لم أجد — هنيهةً واحدةً صافيه
وكم سقتني المرّ أخت لها — فرُحتُ أشكوها إلى التاليه
فأسلمتني هذه عنوة — لساعة أخرى وبي ما بيه
يا شاكيَ الساعات اسمع عسى — تنجيك منها الساعة القاضيه

❑ الحياة والموت ❑

إن سئمتَ الحياة فارجع إلى الأر — ض تنم آمنًا من الأوصاب
تلك أم أحْنى عليك من الأ — م التي خلفتك للأتعاب
لا تخف فالممات ليس بماحٍ — منك إلا ما تشتكي من عذاب
وحياة المرء اغتراب فإن ما — ت فقد عاد سالمًا للتراب

❑ يا آسيَ الحي! ❑

يا آسي الحيّ، هل فتشتَ في كبدي — وهل تبينت داءً في زواياها
أوّاهُ من حرق أودت بمعظمها — ولم تزل تتمشى في بقاياها
يا شوق! رفقا بأضلاعٍ عصفتَ بها — فالقلب يخفق ذعرًا في حناياها

❑ الشباب والمشيب ❑

«تضمين مثل فرنسي»

لم يدر طعمَ العيش شبـ — ـان ولم يدركه شيب
جهلٌ يضلّ قوى الفتى — فتطيش، والمرمى قريب
وقوى تخور إذا تشبـ — ـث بالقوى الشيخ الأريب

فيما يقال كبا المغفـ ... ـل إذ يقال خبا اللبيب
«أوّاه لو علم الشبا ... ب، وآه لو قدر المشيب»

❑ ريحانة أنتِ ❑

يا راحة القلب، يا شغل الفؤاد، صِلي ... متيمًا أنت في الحالتين دنياه
زيني النديّ، وسيلي في جوانبه ... لطفًا يعمّ رعايا اللطف ريّاه
ريحانة أنت في صحراء مجدبة ... من الرياحين حيانا بها الله
إن غاب ساقي الطلا أو صدّ لا حرج ... هذا جمالك يغنينا محياه

إسماعيل صبري باشا

صيانة العلم

سمع يونس رجلًا ينشد:

إستودَعَ العلمَ قرطاسًا فضيعه ... وبئسَ مُستَوْدَع العلم القراطيسُ

فقال: ما أشد صبابةَ القائلِ بالعلم وصيانته للحفظ، إن علمك من روحك: ومالَكَ من بدنك، فصن علمَك صيانتك روحك، ومالَكَ صيانتَك بدَنك.

الخاتم النبوي وما صار إليه زمن الخلفاء

روى نافع عن ابن عمر أن رسول اللّه ﷺ اتخذ خاتمًا من ذهب، فلبسه ثلاثة أيام، ففشت خواتيم الذهب في أصحابه، فرمى به واتخذ خاتمًا من ورِق نقش

عليه «محمد رسول الله»، فكان في يده ﷺ، حتى مات، وفي يد أبي بكر حتى مات، وفي يد عمر حتى مات، وفي يد عثمان ست سنين، فلما كثرت عليه الكتب دفعه إلى رجل من الأنصار ليختم به، فأتى قليبًا لعثمان رحمه الله، فسقط الخاتم في القليب، فالتمسوه فلم يجدوه، فاتخذ خاتما من ورِق ونقش عليه «محمد رسول الله».

ولم يتخذ ﷺ الخاتم حتى احتاج إلى مكاتبة الملوك منصرفه من الحديبية سنة ست، فقيل له: إن الملوك لا تقبل الكتاب إلا أن يكون مختومًا، فاتخذ خاتمًا من فضة، ونقش عليه «محمد رسول الله»: محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر[1].

الأختام العربية

- كانت بنو أمية لا تولي ديوان الخاتم إلا أوثق الناس عندها. وأول من رسم هذا الديوان معاوية رضي الله عنه.

- كانت الخواتم في خزائن الملوك لا تدفعها إلا إلى الوزراء، فاطرد الأمر على ذلك حتى ملك بنو أمية، وأفرد معاوية ديوان الخاتم وولاه عبيد بن أوس الغساني، وسلم الخاتم إليه.

- كان على خاتم معاوية: «لكل عمل ثواب».

- كان محمد بن عبد الملك الزيات إذا أراد أن يختم الكتب دعا بدرج فيه

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٧٣).

الخاتم، فإذا جيء به وهو خاتم الملك، قام قائمًا فأخذه إجلالاً له، ثم جلس فأخرجه وختم الكتاب به، ورده إلى الدرج وختم عليه.

اللحن

- كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري ﵄، وقد قرأ في كتابه لحنا: قَنِّعْ كاتبَك سوطًا!

- كان ابن قادم مع إسحاق بن إبراهيم المصعبي، فكتب كاتبه ميمون بن إبراهيم إلى المأمون كتابًا فيه: وهذا المال مالاً يجب على فلان. فخط المأمون على «مالاً» ووقع بخطه في حاشية الكتاب:

- أتكاتبني بلحن يا إسحاق؟

فاشتد ذلك عليه. وقال لكاتبه: قد عفوت عنك فالزم صحيح الإعراب، ثم أكبَّ ميمون يقرأ النحو.

- قال عبد اللَّه بن قتيبة: كتب إليّ رجل من (سُرّ مَن رأى):

قد قرأتُ كتابك المترجم بكتّاب الكتاب، وقد أعبت عليك فيه حرفًا.

فكتبت إليه: وصل كتابك وفهمته، وقد عبت عليك قولك «وأعبت عليك» والسلام!

- وقالوا: «اللحن في الكتاب، أقبح منه في الخطاب».

- كتب ابن الرومي كتابًا بخطه إلى أبي الحسن محمد بن أبي سلالة فلحن فيه، وقد كان كتابه احتبس عن ابن الرومي، فكتب إليه ابن الرومي وقد علم بذلك:

ألا أيها الموسوم باسم وكنية وجدناهما اشتقا من الحمد والحُسنِ

أتبخل بالقرطاس والخط عن أخٍ | وكفّاك أندى بالعطاء من المزنِ
أيغلق عني علمه بكتابه | أخ لي وقلبي عنده علق الرهنِ
عطفناك فاعطف، إن كل ابن حرة | أخو مكسر صلب وذو معطف لينِ
وإنْ سقطاتي في كتابي تتابعت | فلا تلحني فيما جنيت على ذهني

الملق في المكاتبة

- قال أحمد بن محمد الأسدي: كتب رجلٌ إلى المهدي كتابًا عنوانه «عبده فلان» فقال: لا أعلمن أحدًا نسب نفسه إلى عبودة في كتاب أو عنوان، فإنه ملق كاذب، وليس يقبله إلا غبي أو متكبر.

- قال عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن طاهر: رأى طاهر بن الحسين رقعة كتبها ابنه عبد اللَّه بن طاهر إلى (المأمون) عليها «عبده» فقال: يا بني سميتك عبد اللَّه وكذلك أنت، فلا تُشركن في الملك أحدًا، فإنه جعلك بإنعامه حرًا لا مولى لك سواه.

- كتب ابن ثوابة إلى عبيد اللَّه بن سليمان يعتذر إليه من تركه مكاتبته بالتفديه (وهي أن يقول الكاتب للمكتوب إليه «جعلت فداك» وكان ذلك من رسوم المكاتبة عندهم): «الله يعلم - وكفى به علما - لقد أردت مكاتبتك بالتفدية، فرأيت عيبًا أن أفديك بنفس لا بد لها من الفناء ولا سبيل لها إلى البقاء. ومن أظهر لك شيئًا يُضمر خلافه فقد غش وألام، إذ كانت الضرورة لا توجبه، وتحقق أنه ملق لا يتحقق، وعطاء لا يتحصل، وإن كان عند قوم نهاية من نهايات التعظيم، ودليلاً من دلالات الاجتهاد، وطريقًا من طرق التقرب».

رسالة في النهي عن الكِبر

كتب أحمد بن إسماعيل إلى بعض الكُتاب، وقد نال رتبة فنقص إخوانه في الدعاء (وكانت للدعاء مراتب تختلف باختلاف منازل الرجال في رسوم الدولة):

«الكِبر أعزك اللَّه معرض يستوي فيه النبيه ذكرا، والخامل قدرا. ليس أمامه حجاب يمنعه، ولا حاجز يحظره، والناس أشد تحفظًا على الرئيس المحظوظ، وأكثر اجتلاء لأفعاله، وتتبعًا لمعائبه، وتصفحًا لأخلاقه، وتنفيرًا عن خصاله، منهم عن خامل لا يُعبأ به، وساقط لا يُكترث به. فيسير عيب الجليل يقدح فيه، وصغير الذنب يكبر منه، وقليل الذم يُسرع إليه. والحال التي جددها اللَّه لك وإن كنت أراها دون حقك، وناقصة عن همتك، وأرضًا عند سمائك، حال الحاسد عليها كثير، وآمال المنافسين إليها تسير. والمودة تقتضي النصيحة، والمقه تدعو إلى صدق المشورة. وليس يحرس النعمة ويحوطها، ويحسم الأطماع ويصرفها، ويستجيب القلوب النافرة ويُطلقها، إلا ترك ما أراك تستعمله في ترتيب المكاتبة، وتمييز المخاطبة، والمحاضة في ألفاظ الدعاء، والبخل بيسير الثناء، وتطبيق إخوانك ومعامليك في ذلك، حتى صار عندك كأنه نسبٌ لا تتعداه، ونعت لهم لا تتخطاه. فأما إخوانك فليس من حقك أن تحطهم حال رفعتك، وأن تنقصهم دولة زادتك. كما ليس من حقك عليهم أن يُغالطوك فيمسكوا عن خطابك، ويتحاملوا عن عتابك».

بلاغة طاهر بن الحسين

قال طاهر بن الحسين - وهو يحارب الأمين، وكان أبو عيسى بن الرشيد معه - لكُتابه:

- اكتبوا إلى (أبي عيسى) كتابًا تتقربون به إليه وتتباعدون، ولا تُطمعوه ولا تؤيسوه.

فقالوا: إن رأى الأمير أن يُعلمنا كيف ذلك ويحدَّه لنا؟

فقال: اكتبوا:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

حفظك اللّه وأبقاك وأمتع بك، وعزيزٌ عليّ أن أكتب إلى صغير منكم أو كبير بغير التأمير، وقد بلغني عنك ممالأة للمخلوع، فإن كان ذلك منك ميلاً على أمير المؤمنين فقليلُ ما أكاتبك به كثير. وإن كنتَ كما قال الله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾، فالسلام عليك أيها الأمير ورحمة اللّه وبركاته.

جمال الطبيعة في الصحراء

وقانا لفحةَ الرمضاء وادٍ — وقاه مضاعف النبت العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا — حنوّ المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالاً — ألذّ من المدامة للنديم

يصدُ الشمس أنى واجهتنا ... فيحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حاليةَ العذارى ... فتلمس جانب العقد النظيم

المناذري

التاريخ عند العرب

❑ التاريخ وما قيل في معناه:

تاريخ كل شيء غايته ووقته الذي ينتهي إليه، ومنه: فلان تاريخ قومه في الجود، أي الذي انتهى إليه ذلك.

فأما العرب فكانوا يؤرخون بالنجوم قديمًا، وهو أصل.

وكانت العرب تؤرخ بكل عام يكون فيه أمر مشهود متعارف، فأرخوا بعام الفيل، وفيه وُلد النبي ﷺ، وكان في السنة الثامنة والثلاثين من ملك كسرى أنوشروان.

وأرخت العرب بعام الخُنان؛ لأنهم تماوتوا فيه وعظم عندهم أمره، فقال النابغة الجعدي:

فمن يك سائلًا عني فاني ... من الشبان أيام الخُنان[1]
مضت مائةٌ لعام وُلدت فيه ... وعشرٌ بعد ذاك وحجتان

وأرخت قريش بموت هشام بن المغيرة المخزومي؛ لجلالته فيهم، ولذلك

---

(١) قال السيد المرتضى: الخُنان أيام كانت للعرب قديمة هاج بها فيهم مرض في أنوفهم وحلوقهم. انتهى. وكان في عهد المنذر بن ماء السماء، وكانوا يؤرخون به.

قال شاعرهم:

وأصبح بطن مكة مقشعرًا كأن الأرض ليس بها هشام

وروي عن الزهري والشعبي أن بني إسماعيل أرخوا من نار إبراهيم عليه السلام إلى بنائه البيت حين بناه مع إسماعيل، وأن بني إسماعيل أرخوا من بنيان البيت إلى تفرق معد. ثم كانوا يؤرخون بشيء شيء إلى موت كعب بن لؤي. ثم أرخوا بعام الفيل، إلى أن أرخ عمر بن الخطاب رضي الله عنه من هجرة النبي ﷺ.

وكان سبب ذلك أن أبا موسى كتب إليه: إنه يأتينا من قِبل أمير المؤمنين كتب ليس لها تاريخ، فلا ندري على أيها نعمل. وروي أيضًا أنه قرأ صكًا محله شعبان فقال: أي الشعابين؟ الماضي أم الآتي، فكان سبب التأريخ من الهجرة، بعد أن قالوا نؤرخ بعام الفيل، وقالوا من المبعث، ثم أجمع الرأي على الهجرة، وقالوا: ما يكون أول التاريخ؟ فقال بعضهم: شهر رمضان، وقال بعضهم: رجب فإنه شهر حرام والعرب تُعظمه، ثم أجمعوا على المحرم، فقالوا: شهر حرام، وهو منصرف الناس من الحج، وكان آخر الأشهر الحرم فصيروه أولًا، لأنها عندهم ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، والفرد رجب، فكانت الأربعة تقع في سنتين فلما صار المحرم أولاً وقعت في سنة.

وغلّبت العرب الليالي على الأيام في التاريخ، لأن ليلة الشهر سبقت يومه، ولم يلدها وولدته، ولأن الأهلة لليالي دون الأيام، وفيها دخول الشهر، وما ذكرهما الله ﷻ إلا قدم الليالي.

والعرب تستعمل الليل في الأشياء التي يشاركها فيها النهار، دون النهار، فيقولون: أدركني الليل بموضع كذا، لهيبته.

وقال النابغة:

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلتُ أن المنتأى عنك واسع

والعرب تسمي أول ليلة من الشهر ليلة البراء، لتبرؤ القمر من الشمس، ويسمونها النحيرة؛ لأن الهلال نحَرها، أي رؤي في نحرها وأولها.

قال ابن أحمر:

ثم استمر عليها واكفٌ همع   في ليلة نحرت شعبان أو رجبا

قال بعض الكتاب: التاريخ عمود اليقين، ونافي الشك، وبه تُعرف الحقوق، وتُحفظ العهود.

نحاول مُلكًا

بكى صاحبي لَما رأى الدَّربَ دونَهُ   وأيقنَ أنَّا لاحقان بقيصَرا
فقلتُ له لا تبك عينك إنَّما   نُحاوِلُ مُلكًا أو نموت فَنُعْذَرَا

امرؤ القيس

الديوان

كان سبب تدوين الدواوين: أن أبا بكر رضي الله عنه لما تولى الأمر جاءه مال من البحرين فقسمه، فأخذ الرجل عشرة دراهم والمرأة كذلك والعبد كذلك.

وجاء في العام الثاني أكثر من ذلك، فأصابهم عشرون درهمًا لكل واحد منهم، فتكلمت الأنصار في ذلك فقالوا: «نصرنا وآوينا فلنا فضلنا، فلمَ تساوي بيننا وبين من ليس له شيء مما لنا؟».

فقال أبو بكر: صدقتم ذاك لكم، فإن كنتم عملتموه لله فدعوا هذا، وإن كنتم فعلتموه لغيره زدتكم، فقالوا: عملناه لله. وانصرفوا

فرقى أبو بكر المنبر ثم قال: والله يا معشر الأنصار، لو شئتم أن تقولوا: إنا آويناكم وشاركناكم في أموالنا ونصرناكم بأنفسنا لقلتم، وإن لكم من الفضل ما لا نحصيه عددًا وإن طال به الأمد، فنحن وأنتم كما قال الغنوي:

جزى اللَّه عنا جعفرًا حين أزلقت بنا نعلنا في الواطئين فزلتِ

أبوا أن يملونا، ولو أن أمنا تلاقي الذي يلقون منا لملتِ

همُ أسكنونا في ظلال بيوتهم ظلال بيوت أدفأت وأكنَّتِ

ثم توفي أبو بكر رضي الله عنه، وقام عمر رضي الله عنه بعده، فأتى أبو هريرة رضي الله عنه بمال من البحرين وكان مبلغه ثمانمائة ألف درهم، وفي أخرى خمسمائة ألف درهم فخطب الناس فقال: «إنه قد جاءكم مال، فإن شئتم كِلتهُ لكم كيلا، وإن شئتم عددنا لكم عددًا».

فقال له الهرمزان - وروي أن غيره قال له -: إن العجم تُدون ديوانًا لهم يكتبون فيه الأسماء، وما لواحد واحد.

فأمر باتخاذ الديوان.

❑ تحويل الديوان إلى العربي ❑

كان بالبصرة والكوفة ديوانان لإعطاء الجند والمقاتلة والذرية بكتاب بالعربية، وديوان بالفارسية، وبالشام ديوان بالعربية لمثل ذلك، وديوان بالرومية. فحول ديوانَ العراق إلى العربية: أبو الوليد صالح بن عبد الرحمن البصري.

وكان صالح يكتب لزادان فروخ على الدواوين أيام الحجاج، فقال له زادان فروخ:

- لا بد للحجاج مني؛ لأنه لا يجد من يقوم بحساب ديوانه غيري.

فقال له صالح:

- إنه إن أمرني بنقل الحساب إلى العربي فعلت.

- قال: فانقل شيئًا منه بين يدي.

ففعل. فقال زادان فروخ لكُتابه الفرس:

- التمسوا مكسبًا غير هذا.

قال: وقدّم الحجاج صالحًا، فقلب صالح الديوان إلى العربي، وكان كتاب العراقين كلهم غلمانه وتلاميذه.

وكان ديوان الشام إلى سرحون بن منصور، وكان روميًا نصرانيا، كتب لمعاوية ولمن بعده إلى عبد الملك بن مروان، ثم رأى عبد الملك منه توانيًا، فقال عبد الملك لسليمان بن سعد وكان على مكاتبات عبد الملك والرسائل:

- ما أحتمل سحب سرحون. أفما عندك حيلة في أمره؟

فقال: بلى، انقل الحساب إلى العربية من الرومية.

فقال: أفعل، فحوله. فولاه عبد الملك جميع دواوين الشام، وصرف سرحون.

فلم يزل سليمان بن سعد على ذلك إلى أيام عمر بن عبد العزيز رحمه الله. ثم إن عمر بن عبد العزيز وجد عليه فعزله، واستكتب مكانه صالح بن كثير الصدائي من أهل طبرية.

أعظم مظاهر العدل
خليفة عربي بين يدي القاضي

قال محمد بن إبراهيم بن نافع: قدم المهدي البصرة وقاضيه عليها عبيد اللّه بن الحسن العنبري، فقال له: انظر بيني وبين أهل (المرعات) نهر من أنهار البصرة، فجلس لهم وحضر المهدي وحضر من يناظره، فقال عبيد الله:

- ما تقول يا أمير المؤمنين؟

فقال: أقول إن الأرض لله في أيدينا للمسلمين لم يقع ابتياع فيها يعود ثمنه على المسلمين كافة أو في مصالحهم. أما إذا أقطع من إمام فلا سبيل لأحد عليه.

فقال للقوم: ما تقولون؟ قد سمعتم فما عندكم؟

قالوا: هذا النهر لنا بحكم رسول اللّه ﷺ؛ لأنه قال «**من أحيا أرضًا مواتًا فهي له**»[1]، وهذه موات.

قال: فوثب المهدي ووثب الناس حتى ألصق خده بالتراب عند ذكر النبي ﷺ وقال:

- قد سمعت وأطعت. ثم عاد فقال: ننفي أن يكون مواتًا والماء محيط بها من جوانبها، فإن أقاموا البينة على هذا سلمتُ لهم.

فلم يأتوا ببينة، وأحب عبيد اللّه أن يتحدث الناس بأنه حكم على المهدي بحكم. فخلط حكمًا بسؤال. فضج المهدي ووثب وتفرقوا. فعزله المهدي

(١) أخرجه أبو داود (٣٠٧٣)، وصححه الألباني.

وقال: والله ما أردت إلا أن يقول الناس: حكم على المهدي، وإلا فقد علمت أن الحق معي.

استعجام الدولة العربية

مُلَّ المقامُ فكم أعاشرُ أُمّةً ... أمرت بغير صلاحِها أمراؤها
ظلموا الرعيةَ واستجازوا كيدَها ... وعدَوا مصالحها وهم أجراؤها

أبو العلاء المعري

الديمقراطية العربية في صدر الإسلام

لما حبس معاوية رضي الله عنه على الناس أعطياتهم قام إليه أبو مسلم الخولاني وهو يخطب فقال:

- يا معاوية، إن هذا المال ليس لك ولا لأبيك وأمك، فلمَ حبست على الناس العطاء؟ فغضب ثم نزل فدخل وأومأ إلى الناس أن تثبتوا ولا تتفرقوا. ثم خرج فعاد إلى المنبر فقال:

أيها الناس: إن أبا مسلم الخولاني قد قال ما قال، فوجدت لذلك؛ وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا غضب أحدكم فليغتسل**»[1]، وصدق أبو مسلم، فاغدوا على أعطياتكم، فخذوها على بركة الله.

---

(١) ضعيف الجامع؛ للألباني (٣٩٣٣).

حلم ملك عربي
أيام حكم العرب في أوروبا

ثارَ على عبد الرحمن الأندلسي ثائرٌ، فغزاه فظفر به. فبينما هو منصرف - وقد حُملَ الثائرُ على بغل مكبولاً- نظر إليه عبد الرحمن وتحته فرس، فقنّع رأسه بالعباءة وقال:

- يا بغلُ ماذا تحملُ من الشقاق والنفاق!

قال الثائر:

- يا فرس ماذا تحمل من العفو والرحمة!

فقال له عبد الرحمن:

- والله لا تذوق موتًا على يدي أبدًا!

الساعة العربية في دمشق في القرون الوسطى

قال ابن جبير في رحلته:

عن يمين الخارج من باب جيرون - في جدار البلاط الذي أمامه - شبه غرفة لها هيئة طاق كبير مستدير، فيه طيقان من صُفر قد فتحت أبوابًا صغارًا على عدد ساعات النهار، ودُبرت تدبيرًا هندسيًا. فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صُفر من فمي بازيين من صُفر قائمتين على طاستين من صُفر مثقوبتين، فتبصر البازيين يمدان أعناقهما بالبندقتين إلى الطاستين، ويقذفانهما

بسرعة وتدبير عجيب تتخيله الأذهان سحرًا، فعند وقوعهما يُسمع لهما دوي فيعودان من الأثقاب إلى داخل الجدار إلى الغرفة، وينغلق الباب للحين بلوح صُفر، فلا يزال كذلك حتى تنقضي الساعات، فتغلق الأبواب كلها، ثم تعود إلى حالاتها الأولى.

ولها بالليل تدبير آخر، وذلك أن في القوس المنعطف على الطيقان المذكورة اثنتى عشر دائرة من النحاس مخزمة، في كل دائرة زجاجة، وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة، فإذا انقضت عمَّ الزجاجة ضوء المصباح، وأفاض على الدائرة شعاعًا، فلاحت دائرة محمرة، ثم ينتقل إلى الأخرى حتى تنقضي ساعات الليل. وقد وُكل بها من يدير شأنها، فيُعيد فتح الأبواب، ويسرح الصنج إلى موضعها، وهي التي تسمى «الميقاتية».

الشعر

وإن أشعرَ بيت أنت قائلهُ ... بيتٌ يُقال إذا أنشدتَه صدقا
وإنما الشعر لبُّ المرء يعرِضُه ... على البريّةِ إن كَيسًا وإن حُمُقا

حسان بن ثابت رضي الله عنه

وبالشعر يبدي المرء صفحة عقله ... فيعلنُ منه كلّ ما كان يكتمُ
وسيان مَن لم يمتطِ اللب شعرَه ... فيملكُ عِطفيْه وآخر مُفْحمُ

ابن دريد

النيل

إلى الأستاذ مرغليوث

مدرس اللغة العربية في جامعة اكسفورد

❑ أيها الأستاذ الكريم:

تذكرت «أثينة» مدينة الحكمة في الدهور الخالية، وأيامًا غنمناها على رسومها العافية وأطلالها البالية. فكأني أنظر إلى المؤتمر، علماؤه الهالة وأنت القمر، أو زُمَر الحجيج وأنت حادي الزمر. وأرى الملوك في الحفر، بنيانهم مصدوع الخُدُر، وبيانهم نورُ البشر. نزلنا بهم فإذا الدول خبَر، وإذا الممالكُ أثر، والطلولُ شغلُ الفؤاد والبَصر، منّا العَبرات ومنها العِبَر، صمت الإنسانُ ونطق الحَجَر، فسبحان العزيزِ المقتدِر، القاهر فوق عباده بالقدَر، كان ذلك والحوادث أجنَّة، والأمور في أحسن الأعنّة، والأرض بالسلم مطمئنّة. مغتبطةٌ بسلامة الشباب، منبسطة بتلاقي الأحباب، والصفوُ في الدار والاكدارُ بالباب، ثم أخذ اللّه الأممَ بذنوبهم فرماهم بعَوانٍ في الماء، ضروسٍ في الأرض والسماء، مَنهومة بالأموال مدمنة للدماء. نزلتْ بالبرية فعصفتْ بأحسن شبابها ونباتها، ونَقصت موفورَ أمنها وأقواتها، وهتكتْ من الثرَى مصونَ رُفاتها، وخلطتْ في الخنادق أحياءها بأمواتها. وَعدَتْ على الوحش في فَلواتها، وعلى الطير في وكناتها، وعلى الرياح في مُخْترقاتها، وعلى بَلَم البحار وأحواتها[1]، وهَوامِ القفار وحشراتها، وعلى بيوت اللّه في ستراتها، والنواقيس في قبابها

---

(١) البلم: صغار السمك.

والمآذن في سماواتها. فسبحان الملك الأكبر، الذي يَقهر ولا يُقهر، ويُغيّر ولا يَتغيّر، والذي يُقيم القيامة في مِيقاتها.

الشعر كالأحلامُ تدخل على المسرور الكرَى، وَتكثر على المحزون في السرى. وقريحة الشاعر كعَين صاحب الأيام، عندها للحُزن عَبرة وللسرور عَبرة. وهذه أيها الأستاذ الكريم كلمةٌ قيلت والهمومُ سارية، والأقدار بالمخاوف جارية. والدماء والدموع متبارية، وذئاب البشر يقتتلون على الفانية، نظمتها تغنّيًا بمحاسن الماضي، وتقييدًا لمآثر الآباء، وقضاءً لحق النيل الأسعد الأمجد. نسبتها إليك عرفانًا لفضلك عن لغة العرب، وما أنفقتَ من شباب وكهولة في إحياء علومها، ونشرِ آدابها، وإلقائها كلما طلعت الشمسُ خلف الضباب دُروسًا نافعة على أنبل شباب العصر في أعظم جامعات العالم، فلعلها تقعُ إليك فنتذاكر على النوى تلك الأيام، ونتنادم عن بُعد على بِساط الأدب والكلام. ونسأل اللّه أن يحقن الدماء ويُقيم جدار السلام.

من أيّ عَهدٍ في القرى تَتَدَفَّقُ ... وبأيّ كف في المدائن تغدِقُ
ومِنَ السماء نزلت أم، فُجِّرْت من ... عُليا الجِنان جَداولا تترقْرَقُ
وبأيّ عَين أمْ بأية مُزْنَةٍ ... أم أي طُوفان تَفيض وتفْهقُ[1]
وبأي نَوْل أنتَ ناسجُ بُردةٍ ... للضفتين جديدُها لا يخلُقُ
تَسْودُّ دِيباجًا إذا فارقتها ... فإذا حضرتَ اخضَوْضَر الاسْتَبرق
في كل آونةٍ تُبدّلُ صِبْغَةً ... عجبًا وأنتَ الصابغُ المتأنقُ
أتت الدهورُ عليكَ مَهدُك مترَع ... وحياضُك الشُرق الشهيةُ دُفَّقُ
تَسْقي وتُطعم: لا إناؤك ضائِقٌ ... بالوارِدين، ولا خِوانك يَنْفُقُ
والماء تسكُبه فيُسْبك عَسجدا ... والأرضُ تغرقها فيحيا المغْرَقُ

(١) المزنة: المطرة. فهق الإناء: امتلأ حتى صار يتصبب.

تُعيى منابعُك العقولَ ويستوي مُتخبّط في علمها ومحقّقُ
أخلقتَ راوُوق الدهور، ولم تزل بكَ حَمْأةٌ كالمسك لا تترَوّقُ[1]
حمراء في الأحواض، إلا أنها بيضاء في عُنُق الثرى تتألقُ
دين الأوائل فيكَ دِينُ مُروءة لِمَ لا يُؤلّه من يَقوت ويَرزقُ!
لو أن مخلوقا يؤلّه لم تكنْ لسواك مرتبةُ الألوهة تُخلقُ[2]
جعلوا الهوى لك والوقارَ عبادة إنّ العبادة خَشية وتعلُّقُ
دانوا ببحرٍ بالمكارم زاخر عَذب المشارِع مَدُّه لا يُلحقُ
مُتقيدٍ بعهوده ووعوده يجرى على سَنن الوفاء ويصدُقُ
يتقبّل الوادي الحياةَ كريمةً من راحتيكَ عميمةً تتدَفَّقُ
متقلّب الجنبين في نَعْمائه يَعرَى ويُصْبَغ من نَداك فيورِقُ
فيبيتُ خصبًا في ثراه ونِعمة ويَعُمه ماءُ الحياةِ الموسَقُ[3]
وإليك بعد اللّه يرجع تحتَه ما جفَّ أو ما مات أو ما ينفُقُ[4]

❁ ❁ ❁

أين الفراعنةُ الألى استذرَى بهم عيسى ويوسفُ والكليم المُصْعَقُ[5]
الموردونَ الناس مَنهلَ حكمةٍ أفضى إليه الأنبياء ليَستقوا
الرافعونَ إلى الضحى آباءهم فالشمس أصلهمُ الوضيء المعرقُ
وكأنما بين البِلى وقبورِهم عهدٌ على أن لا مِساس وموثقُ
فحجابهم تحت الثرى من هيبة كحجابهم فوق الثرى لا يُخرقُ

---

(١) الراووق: المصافاة. الحماة: الطين الأسود. تتروق: تصفو.
(٢) هذا من الغلو. (س).
(٣) المحمول.
(٤) ما يهلك من حيوان.
(٥) استذرى: استظل.

بلغوا الحقيقةَ من حياةٍ علمُها حُجب مكشفة وسرٌ مغلقُ
وتبيّنوا معنى الوجود فلم يروا دون الخلود سعادة تتحققُ
يبنون للدنيا كما تبني لهم خِرَبًا غرابُ البين فيها ينعقُ
فقصورهم كوخ وبيت بداوة وقبورهم صرح أشم وجَوْسقُ
رفعوا لها من جَندل وصَفائح عَمَدًا فكانتْ حائطًا لا يَنْتِقُ(١)
تتشايع الداران فيه: فما بدا دُنيا، وما لم يبدُ أخرَى تصدقُ
للموت سرٌّ تحتَه، وجداره سُورٌ على السرّ الخفيّ وخنْدقُ
وكأنّ منزلَهم بأعماق الثرى بين المحلّةِ والمحلّة فُندقُ
موفورة تحتَ الثرى أزوادُهم رحبٌ بهم بين الكهوف المطبقُ

❁ ❁ ❁

ولمن هياكلُ قد علا الباني بها بين الثريا والثرى تتنسقُ
منها المشيّد كالبروجِ، وبعضَها كالطود مضطَجع أشمٌّ منطقُ(٢)
جُدُدٌ كأول عهدها وحِيالها تتقادم الأرضُ الفضاء وتَعْتُقُ
من كل ثِقْل كاهلُ الدنيا به تَعِبٌ ووجه الأرض عنه ضيّقُ
عال على باع البِلَى لا يهتدي ما يَعْتَلي منه وما يَتسلَّقُ
متمكن كالطود أصلا في الثرى والفرع في حَرَم السماء محلقُ
هي من بناء الظّلم، إلا أنه يبيض وجه الظلم منه ويشرقُ(٣)

---

(١) لا يتزعزع.
(٢) مرتفع لايبلغ السحاب رأسه.
(٣) تقدم لشوقي في قصيدة توت عنخ أمون اعتذار آخر للفراعنة عن إرهاق الأمة بإقامة هذه الآثار:
ولستُ بقائل ظلموا وجاروا على الأجراء أو جلدوا القطينا
فإنا لم نوق النقص حتى نطالب بالكمال الأولينا

لم يرهِقِ الأممَ الملوكُ بمثلها ... فخرًا لهم يبقى وذكرًا يعبقُ
فِتنت بشطيك العباد، فلم يزل ... قاصٍ يحُجُّهما، ودانٍ يَرمقُ
وتضوعتْ مسكَ الدهور كأنما ... في كلّ ناحية بخورٌ يحرقُ
وتقابلتْ فيها على السرر الدمى ... مُستَردياتِ الذلّ لا تتَفنّقُ(١)
عَطَلتْ وكان مكانُهنّ من العلى ... بِلقيس تَقبِس من حلاه وتسرقُ
وعلا عليهنّ التراب، ولم يكن ... يزكو بهنّ سوى العَبير ويَلبقُ
حُجراتها موطوءةٌ، وستورها ... مهتوكة، بِيَد البلى تتخرقُ
أودى بزينتها الزمان وحليها ... والحسن باق والشباب الريّقُ
لو رُدَّ فرعونُ الغداةَ لراعه ... أن الغَرانيق العلى لا تَنطقُ(٢)
خَلع الزمانُ على الورى أيامَه ... فإذا الضحى لك حِصة والرّوْنقُ
لك من مَواسمه ومن أعياده ... ما تحسرُ الأبصارُ فيه وتبرقُ
لا (الفُرسُ) أوتوا مثله يومًا، ولا ... (بَغدادُ) في ظلّ (الرشيد) و(جِلقُ)
فتحُ الممالك أو قيام (العجل) أو ... يوم القبور أو الزفافُ المونِقُ
كم مَوكب تَتخايلُ الدنيا به ... يُجلى كما تَجلى النجوم ويَنْسَقُ
فِرعون فيه من الكتائب مُقبِل ... كالسحبِ قرنُ الشمس منها مُفْتِقُ(٣)
تعنو لعزته الوجوه، ووجهه ... للشمس في الآفاق عانٍ مطرِقُ
آبتْ من السَّفَر البعيد جنودُه ... وأتته بالفتح السعيد الفيلقُ
ومشى الملوكُ مصفدين، خدودهم ... نعلٌ لفرعونَ العظيم ونمرُقُ
مملوكة أعناقَهم ليمينه: ... يَأبى فيضرِبُ، أو يَمنُّ فيعتِقُ

---

(١) لا تتنعم.
(٢) الغرنوق: الشاب الأبيض الجميل. وأراد بالغرانيق هنا التماثيل.
(٣) فتق قرن الشمس: أصاب فتقًا من السحاب فبدا منه.

ونجيبة بين الطُّفولة والصبا عَذراء تَشرَبَها القلوبُ وتَعلَقُ
كان الزفاف إليكَ غايةَ حظِّها والحظُّ إن بلغ النهايةَ مُوبِقُ
لاقيت أعراسًا ولاقت مأتمًا كالشيخ يَنعَم بالفتاة وتَزْهقُ
في كل عام دُرَّةٌ تُلقى بلا ثمنٍ إليكَ وحُرَّةٌ لا تُصْدَقُ
حولٌ تسائل فيه كل نجيبةٍ سُبِقَت إليك متى يَحول فَتلْحَقُ
والمجدُ عندَ الغانياتِ رَغيبةٌ يُبغى كما يُبغى الجمالُ ويُعْشَقُ
إن زوَّجوكَ بهن فهي عقيدةٌ ومِنَ العقائد ما يَلَبُّ ويَحْمُقُ(١)
ما أجملَ الإيمانَ لولا ضَلَّةٌ في كل دِين بالهداية تَلْصَقُ
زُفَّتْ إلى ملك الملوك يَحثُّها دِينٌ، ويَدفَعُها هوًى وتَشَوُّقُ
ولَربَّما حسدتْ عليكَ مَكانَها تِرْبٌ تَمسَّحُ بالعروس وتُحدِقُ
مَجلُوَّةٌ في الفُلكِ يَحدُو فُلْكَها بالشاطِئَيْنِ مُزَغرِدٌ ومُصَفِّقُ
في مِهْرجانٍ هَزَّتِ الدنيا به أعطافها، واختال فيه المشرقُ
فِرعونُ تحتَ لوائه، وبَناته يجري بهنّ على السفينِ الزوْرَقُ
حتى إذا بلغتْ مواكبُها المَدَى وجرى لغايته القَضاء الأسبقُ
وكسا سماءَ المهْرجان جلالةٌ سيفُ المنيّة وهو صَلْتٌ يَبْرُقُ
وتَلفَّتَتْ في اليَم كلُّ سفينةٍ وانثالَ بالوادي الجموعُ وحَدَّقوا
ألقتْ إليكَ بنفسِها ونَفِيسها وأتتْك شَيِّقَةٌ حَواها شَيِّقُ
خَلعتْ عليك حياءَها وحياتَها أأعزُّ من هذينِ شيءٌ يُنفَقُ
وإذا تَناهى الحبُّ واتفق الفِدى فالروحُ في باب الضحية أليَقُ
ما العالَمُ السُّفليُّ إلا طينةٌ أزَليَّة فيه تضيء وتفسِقُ

---

(١) يلب: يكون لبيبًا.

هيَ فيه للخِصْب العَمِيم خَميرةٌ ... يَندَى بما حملت إليه ويَنْبُثُق
ما كان فيها للزيادة مَوضعٌ ... وإلى حِماها النقصُ لا يَتَطرَّقُ
منبثّةٌ في الأرض تَنتَظِم الثَّرَى ... وتنال مما في السماء وتَعْلقُ
منها الحياةُ لنا، ومنها ضدُّها: ... أبدًا نعود لها ومنها نخلقُ
والزرع سنبُله يُصيب وحبُّه ... منها فيخرج ذا وهذا يُفلَقُ
وتشد بيت النحلِ فهو مطنب ... وتمد بيتَ النمل فهو مروَّقُ
وتظلُّ بين قوَى الحياة جوائِلًا ... لا تستقر، دَوائلًا لا تُمحَق
هي كلمة اللّه القدير، ورُوحه ... في الكائنات، وسِره المستغلَقُ
في النجم والقمرين مَظهَرُها إذا ... طلعت على الدنيا وساعةَ تخفُقُ
والذرُ والصخراتُ مما كوَّرت ... والفيلُ مما صَورت والخِرنقُ(١)
فتنت عقولَ الأوّلين، فألهوا ... من كل شيء ما يَرُوع ويخرُقُ
سجدوا لمخلوقٍ وظنّوا خالقًا ... من ذَا يميز في الظلام ويفرُقُ
دانت (بآبيس)(٢) الرعيةُ كلها ... من يستغلُّ الأرض أو من يَعزقُ
جاءوا من المرعى به يمشي كما ... تمشي وتلتفت المهاة وترشُقُ
داجٍ كجنح الليل زان جبينه ... وَضَح عليه من الأهلّة أشرقُ
العسجد الوهاجُ وشيُ جلاله ... والورد موطيءُ خفّه والزنبقُ
ومن العجائب بعد طول عبادة ... يُؤتى به حوض الخلود فيُغرَقُ
يا ليت شعري هل أضاعوا العهدَ أم ... حَذروا من الدنيا عليه وأشفقوا
قومٌ وَقارُ الدين في أخلاقهم ... والشعبُ ما يَعتاد أو يتخلَّقُ
يدعون خلف الستر آلهةً لهم ... ملأوا الندى جلالة وتأبقوا

---

(١) الخرنق: الفتى من الأرانب.
(٢) العجل الذي عبده قدماء المصريين.

واستحجبوا الكهان: هذا مبلغ ... ما يهتفون به، وذاك مصدّقُ
لا يسألون إذا جرت ألفاظهم ... من أين للحَجر اللسان الأذلقُ
أو كيف تخترق الغيوبَ بهيمةٌ ... فيما يَنُوب من الأمور ويطرقُ

❊ ❊ ❊

وإذا همُ حجّوا القبورَ حسبتهم ... وفدَ (العتيق[1]) بهم ترامى الأينقُ
يأتون (طيبة) بالهدِيّ أمامهم[2] ... يغشى المدائن والقرى ويطبّقُ
فالبَرّ مشدود الرواحل محدَج ... والبحر ممدود الشراع موَسّقُ
حتى إذا ألقوا بهيكلها العصا ... وفّوا النذور وقربوا واصّدَّقوا
وجرت زوارقُ بالحجيج كأنها ... رُقْط تدافع أو سهام تمرُقُ
من شاطيء فيه الحياة، لشاطيء ... هو مضجعٌ للسابقين ومرفقُ
غربوا غروبَ الشمس فيه واستوى ... شاهٌ ورُخٌ في التراب وبَيدقُ
حيث القبورُ على الفضاء كأنها ... قِطَعُ السحاب أو السرابُ الدَّيْسَقُ[3]
للحقّ فيه جَولة، وله سنا ... كالصبح من جنباتها يتفلقُ
نزلوا بها، فمشى الملوك كرامة ... وجثا المدلُّ بماله والمملقُ
ضاقت بهم عرصاتها فكأنما ... رَدت ودائعها الفلاةُ الفَيْهَقُ[4]
وتنادمَ الأحياء والموتى بها ... فكأنهم في الدهر لم يتفرقوا

❊ ❊ ❊

أصلُ الحضارة في صعيدك ثابت ... ونباتها حسَنٌ عليك مُخلّقُ

---

(١) البيت العتيق: الكعبة المشرفة.
(٢) طيبة: من مدائن قدماء المصريين في الصعيد.
والهديُ: البهيمة التي تُهدى للمعبد ليضحي بها.
(٣) الأبيض.
(٤) الواسعة.

وُلِدت فكنتَ المهد، ثم ترعرعتْ فأظلَّها منك الحفيُّ المشفقُ
ملأتْ ديارَكَ حكمة، مأثورها في الصخر والبَرْدِي الكريم منبَّقُ[١]
وبنت بيوتَ العلم باذخَةَ الذرَى يسعى لهنَّ مغرِّب ومشرقُ
واستحدثتْ دينًا فكان فضائلًا وبناءَ أخلاق يطول ويَشهَقُ
مهَدَ السبيلَ لكل دينٍ بعده كالمسك ريّاه بأخرى تُفْتَقُ
يدعو إلى بِر ويرفَعُ صالحًا ويَعاف ما هو للمُرُوءة مخلِقُ
للناس من أسراره ما عُلّموا ولشُعْبة الكهنوت ما هو أعمقُ
فيه محلٌّ للأقانيم العلى[٢] ولجامع التوحيد فيه تعلُّقُ
تابوت موسى لا تزال جلالةٌ تبدو عليكَ له وريّا تنشَقُ
وجمال يوسف لا يزال لواؤه حولَيْك في أُفق الجلال يرنّقُ
ودموع إخوته رسائل توبة مسطورهن بشاطئيكَ منمّقُ
وصلاة مريم فوق زَرْعك لم يزل يزكو لذكراها النبات ويسمُقُ
وخُطى المسيح عليك روحًا طاهرًا بركاتُ ربّك والنعيم الغَيْدقُ
وودائعُ (الفاروقِ) عندك دِينُه ولواؤه وبيانه والمنطقُ
بعث الصحابةَ يحملون من الهدى والحق ما يُحيي العقولَ ويُفتقُ
فتحُ الفتوح من الملائك رزْدَق فيه ومن (أصحاب بدر) رزدقُ[٣]
يبنون لله الكنانةَ بالقَنا واللهُ من حَول البناء موفِّقُ
أحلاسُ خيل[٤] بيد أن حُسامهم في السلم من حذر الحوادث مغلقُ
تُطوى البلادُ لهم وينجد جيشهم جيش من الأخلاق غاز مورِقُ

---

(١) مصطف.

(٢) الأقانيم: الأصول والأشخاص، وعقيدة الأقانيم قديمة، وكانت في وثنيات أمم متعددة.

(٣) الرزدق: السطر من النخل، والصف من الناس.

(٤) ملازمون ظهورها.

في الحق سُلَّ وفيه أغمِد سيفُهم ... سيفُ الكريم من الجهالة يفرَقُ
والفتح بغي لا يهوّن وقعَه ... إلا العفيفُ حُسامه المترفّقُ
ما كانتِ (الفسطاطُ) إلا حائطًا ... يأوي الضعيفُ لركنه والمُرْهَقُ
وبه تلوذ الطيرُ في طلب الكرى ... وبيت (قيصرُ) وهو منه مؤرقُ
(عمرو) على شُطب الحصير معَصَّب ... بقلادة اللّه العلي مطوّقُ[1]
يدعو له (الحاخامُ) في صلواته ... (موسى) ويسأل فيه (عيسى) البطرقُ

❁ ❁ ❁

يا نيل أنت بطيب ما نعَت (الهدى) ... وبمدحة (التوراة) أحرى وأخلقُ
وإليك يهدي الحمد خلقٌ حازهم ... كنفٌ على مرّ الدهور مرهّقُ[2]
كنف كمعن أو كساحة حاتم ... خَلْقٌ يودّعه وخلق يَطرُقُ
وعليك تُجلى من مصونات النُّهى ... خُودٌ عرائس خِدْرُهنّ المُهْرَقُ[3]
الدر في لَباتهن مُنظَّم ... والطيب في حبراتهن مرقرقُ
لي فيك مدحٌ ليس فيه تكلُّفٌ ... أملاه حُبٌّ ليس فيه تَملُّقُ
مما يحمّلنا الهوى لك أفرخٌ ... سنطيرُ عنها وهي عندك ترزقُ
تهفو إليهم في التراب قلوبُنا ... وتكاد فيه بغير عِرْق تخفقُ
تُرجى لهم، واللهُ جلّ جلاله ... منّا ومنك بهم أبرُّ وأرفقُ
فاحفظْ ودائعكَ التي استُودعتَها ... أنت الوفيُّ إذا ائتُمِنتَ الأصدقُ
للأرض يومٌ والسماءِ قيامة ... وقيامةُ الوادي غداة تحلّقُ[4]

أحمد شوقي

---

(١) الشطب: الأخضر الرطب من جريد النخل. والمعصب: المتوج.
(٢) مرهق: كثير غشيان الناس والأضياف.
(٣) المُهرق: الصحيفة.
(٤) تجف.

أين وطني؟

خطبة الآنسة مي - في منزلها، مساء الخميس ٢٥ شعبان ١٣٤١

(بمناسبة تكريم الأستاذ جبر ضومط)

❑ أيها السادة:

عندما عهد إليّ والدي أن أقوم أمامكم بالواجب العذب، واجب الترحيب والامتنان، كنت أقرأ لماكس نورداو كتابًا ورد فيه رأي من الآراء المعروفة لهذا الكاتب، وهو قوله «إن الشكر الذي يزعمونه إقرارًا بجميل حاضر أو سابق إنما الغرض الصميم منه اقتناص جميل جديد»، فأغوتني هذه المغالطة الشيقة ككثير من مغالطات نورداو، وطفقت أقلبها على وجوه شتى لأتبين الغاية التي أرمي إليها - على غير معرفة مني -، تلك الغاية المضمرة التي ما زلنا نطلبها بعد أن فاز منزلنا بتشريفكم له وضمكم ساعة بين جدرانه السعيدة بحضوركم.

أما الغاية الصريحة التي نسدي الشكر لأجلها، فهي تفضلكم بتلبية الدعوة وحضور هذا الاجتماع الذي عُقد مع العلامة جبر أفندي ضومط. وإنما أردنا بهذا الاجتماع أن نزجي إلى الأستاذ تحية يشترك فيها أصدقاؤه الذين عموا بعطفه فقدروا ما فطر عليه من الصلاح والصدق والإخلاص. تحية يشترك فيها تلاميذه العديدون المنتشرون في القطر المصري - فضلا عن الأقطار الأخري -، اعترافًا بما له من يد في تخريجهم على حب اللغة العربية إتقانها، على حب العلم وخدمته، على حب التخلق برضى الأخلاق، وهو لهم في ذلك خير قدوة، تحية يشترك فيها كذلك أهل العلم وحملة الأقلام الذين عرفوه في كتبه اللغوية القيمة، أو فيما سمعوا عنه من حديث فضله، فجاءوا يثبتون أنه بينا

تتناحر الأسر باحتكاك الحاجات، تتنابز الأنساب بتنافر المطالب، يظلون هم أهل العلم والقلم عائلة واحدة سامية دوامًا على استعداد لتوحيد الكلمة في كل ما هو تحبيذ للفضل، تقدير للكفاءة، شحذ للعزائم، وفي كل ما من شأنه أن يبعث في النفوس نورًا وحياة ونبلا.

بيد أن لدي أمرًا آخر أود أن أفضي به، وقد اكتشفته عند الأستاذ ضومط خلال الصيف الماضي: كان ذلك على قمة من قمم لبنان الشماء المشرفة على استدارة الشواهق المتناسقة، على الآكام والهضاب المترامية نحو الساحل، على البحر البعيد الفسيح، وقد امتزج أفقه الأقصى بسحب الغروب الملتهبة. كنا هناك تحت خيمة النُزل في حلقة من الزائرين، وأمام مشهد الماء البنفسجي، أمام مشهد الشفق الرائع.

تعلمون - أيها السادة - ما يخالج النفس من توق عميق وصبابة إلى أزمنة غير معروفة، إلى أمكنة غير محدودة، إلى مدركات غير مدركة، يحاول المرء أن يفسرها بحاجاته البشرية الوجيعة، ويحاول الإحاطة بها بممكناته الإنسانية الميسورة، وإنما هو يحاول ذلك ليتسنى له أن يرجو، يحاول ذلك ليتسنى له أن يستخدم - في سبيل أمر ما - ما أوتي من ذكاء ونشاط وقوة.

عندئذ وتحت هذا التأثير دوت نفسي بأسئلة تضطرب لها اليوم الشبيبة الشرقية اليقظى، وقد ينطوي كثير منها تحت هذا السؤال الواحد:

أين وطني؟ أين وطني، يا من تقدمتموني في حياة الأمة فأناخ عليكم الدهر بكلكله، فما تركتم لي غير ميراث موزع الأجزاء مقطع الأوصال؟

أين وطني أيها المتقاذفون بالحجج والأدلة، المتمادون في التأويل والتحريف؛ حتى نسيتم في غضبكم الغرض الذي لأجله تغضبون؟

أين وطني أيها الجيل السائر أمامي، الطالب مني الخضوع والامتثال، ولكنك لا تستطيع أن تنتهي لي في الحياة سبيلا، وها أنا بين ترددك وترددي في عناء وشقاء؟

أين وطني، أيتها الأرض التي أنت هي وطني، أين وطني؟

وهنا لفتني عن سؤالي المتكرر مناقشة دارت حولي بين اثنين من الزائرين: مناقشة هادئة حصيفة، ولكنها جادة جليلة الشأن موضوعها: يقظة الشرق، وكيفية تنظيم الرابطة المعنوية بين أهل المشرق. فأحد الرجلين يقول بالعنصرية، والآخر يدعو إلى القومية- العربية.

المناظر الواحد يقول: إنما أريد للشرق مناعة وكرامة وإن لم يكن لذلك من سبيل سوى العنصرية - أي تغلب عنصر على عنصر أو على عناصر - فحي على العنصرية، وإني لملم بمواهب أبناء الشرق وبعظمة كرمهم الموروث، لأكون واثقًا بإنصافهم في إعطاء كل ذي حق حقه.

فيعترض المناظر الآخر قائلا: كلا! لقد أصبح الشرق أشرف من أن يتسول أهله الإنصاف والحرية؛ وإذا شئنا أن نكون من أبناء الحياة فعلينا بالقومية بما تنطوي عليه من عوامل اللغة والاقتصاد والعلم والعطف والتفاهم. إلخ. فنتبادل ضمنها الحقوق والواجبات، الحرية والمساواة لا تبرعًا ولا تسولا، بل بالحق الطبيعي المعطى لكل ذي مقدرة. فبالقومية وحدها نقيم صرح الشرق الجديد.

قد يظن لأول وهلة أن الداعي إلى القومية - أو المتطور كما نقول بلغة هذا العصر - هو من الأقلية في بلادنا، بينا المدافع عن العنصرية - أو المحافظ كما نقول بلغة هذا العصر أيضا - هو من الأكثرية -، ولكن الواقع هو أن ذلك «المتطور» هو رجل من أكبر البيوتات الإسلامية في سورية، تلك البيوتات التي

كانت الزعامة دوامًا في يدها، أما المدافع عن العنصرية أو «المحافظ» فكان هذا الأستاذ ضومط المسيحي الذي ترون.

لذلك أضيف إلى تلك التحية المشتركة تحية أخرى:

إني أحيي فيه الرجل الشرقي الصميم الذي يحب بلاده لا لأجل ما يجني منها ويبتغي، بل يحبها لأنها هي هي، شأن المحب العنيد الذي يستوي عنده الغُنم والتضحية والعذاب والنعيم.

قد تقولون - أيها السادة - إن ماكس نورداو صدق هذه المرة، لو أنا سألتكم أن تزدادوا اهتمامًا بموضوع القومية الشرقية. وإني لأرضى أن يقال إن وراء شكر أسديه إنما أدعو إلى الجمع بين الرأيين اللذين لا غنى لنا عنهما: رأي المحافظة على كل ما عندنا من موروث نبيل، ورأي احتضان كل مكتسب نافع. وتلك سنة الخليقة في جميع الموجودات، إذ لا تتم للكون غاية من جميع أجزائه إلا بتتابع النبذ والمحافظة، والتخلي والاكتساب.

إني لأغتبط أن ترك فيكم هذا الاجتماع ولو بعض الرغبة في أن يتناول كلٌّ منكم هذا الموضوع بعطفه، ويمحصه بمقدرته، وينشره بنفوذه، فيكون عاملاً في سبيل غاية عظيمة. وإنما السعي لغاية عظيمة غاية في ذاته ورفعة ونوال.

أما أنت - أيها الأستاذ المسافر- فغدًا عندما تجتاز الصحراء تمر بالعريش - الذي يرونه الحد الفاصل بين مصر وسورية -، فتراه أنت الشرقي الصميم يدًا خضراء، يد السلام والرجاء، الجامعة بين القطرين، رغم أهوال المفاوز وقحط الصحراء. وحسبك يا سيدي فخرًا وفضلاً أن تواصل ما قمت به إلى الآن، وهو نشر اللغة الجميلة، لغة القرآن، وتأييد العلم والعرفان، والدعوة إلى الثقة والتسامح ومحبة الأوطان.

نحن والماضي

عهدتُكَ شاعرَ العرب المجيدا ... فما لك لا تطارحنا النشيدا
فنحن إليك بالأسماع نصغي ... فهل لك أن تُفيد فتستفيدا
بشعر لا تزال تنوط منه ... بجيد بدائع الدنيا عقودا
فلو أنشدتَنا في الفخر شعرًا ... تذكّرنا به العهد البعيدا
تذكرنا الأوائل كيف سادوا ... وكيف تبوأوا الشرف المديدا

❀ ❀ ❀

فقلت له وقد أبدى ارتياحًا ... إليّ إذ ارتجلتُ له القصيدا
أجلْ إن القبائل من معدٍّ ... علوا فتسنَّموا المجدَ المجيدا
وإن لهاشمٍ في الدهر مجدًا ... بناه لها الذي هشم الثريدا
ومذ قام ابن عبد اللّه فيهم ... أقام لكل مكرُمة عمودا
وأنهضهم إلى الشرف المعلّى ... وكانوا عنه قبلئذٍ قعودا
فأصبح واريًا زَندُ المعالي ... وقبلاً كان مقدمه صلودا
فهم فتحوا البلاد ودوّخوها ... وقادوا في معاركها الجنودا
وهم كانوا أشدَّ الناس بأسًا ... وأمنَع جانبا وأعمّ جودا
وأرجحهم لدى الجلّى حلومًا ... وأصلبهم لدى الغمَرات عودا
ولكن أيها العربيّ إني ... أراك لغير ما يجدي مريدا
وما يجدي افتخارك بالأوالي ... إذا لم تفتخر فخرًا جديدا

❀ ❀ ❀

أرى مستقبل الأيام أولى ... بمطمح من يحاول أن يسودا
فما بلغ المقاصد غير ساعٍ ... يردِّد في غدٍ نظرًا سديدا

فوجّهْ وجهَ عزمك نحو آتٍ ... ولا تلفت إلى الماضين جيدا
وهل إن كان حاضرنا شقيًا ... نسود بكون ماضينا سعيدا؟
تقدَّم أيها العربي شوطًا ... فإن أمامك العيش الرغيدا
وأسس من بنائك كل مجدٍ ... طريف واترك المجد التليدا
فشرّ العالمين ذوو خمولٍ ... إذا فاخرتهم ذكروا الجدودا
وخير الناس ذو حسَب قديم ... أقام لنفسه حسبًا جديدا
تراه إذا ادعى في الناس فخرًا ... تقيم له مكارمه الشهودا
فدعني والفخار بمجد قومٍ ... مضى الزمن القديم بهم حميدا
قد ابتسمت وجوه الدهر بيضًا ... لهم، ورأيننا فعبسن سودا
وقد عهدوا لنا بتراث ملك ... أضعنا في رعايته العهودا
وعاشوا سادة في كل أرض ... وعشنا في مواطننا عبيدا
إذا ما الجهل خيّم في بلادٍ ... رأيت أسودها مسخت قرودا

معروف الرصافي

تشييد المجد الجديد

وآنف من أخي لأبي وأمي ... إذا ما لم أجده من الكرَام
ولستُ بقانعٍ من كل فضل ... بأن أُعزى إلى جَدّ همام
ولم أرَ في عيوب الناسِ شيئًا ... كنقص القادرين على التمام

أبو الطيب المتنبي

الإيجاز

* قيل لأبي عمرو بن العلاء: «هل كانت العرب تطيل؟» قال: «نعم ليُسمع منها، قيل «فهل كانت توجز؟» قال «نعم ليُحفظ عنها».

وقالوا: «البلاغة لمحة دالة». وقالوا: «لا تنفق كلمتين إذا كفتك كلمة».

وقال الأحيمر السعدي في كلمة:

من القول ما يكفي المصيبَ قليله ... ومنه الذي لا يكتفي الدهرَ قائله
يصدُّ عن المعنى فينزل ماتحًا ... ويذهب في التقصير منه تطاوله
فلا تك مكثارًا تزيد على الذي ... عُنيت به في خطب أمر تزاوله

* كان الحجاج يستبطيء المهلب في حرب الأزارقة، والمهلب مُحسن مجتهد يستحق مكان الذم الشكر. فكتب إليه المهلب: «إن من البلاء أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يُبصره».

فلما قرأ الحجاج هذا أقصر عن مكاتبته بمثل ذلك.

* قال محمد بن معاوية الأسدي: لما ظفر المهلب بالخوارج وفرغ من أمرهم قال الحجاج: «الآن يرد كتاب المهلب طويلاً بوصفه، جامعا لشرح أحواله، وإنه لحقيق بكل وصف، وأهلٌ لكل مدح».

قال فورد كتابه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكافي بالإسلام فقدَ ما سواه، المُعجل النقمة لمن بغاه. الذي يزيد مَن شكره، ويرزق مَن كفره. أما بعد: فقد كان من أمرنا ما أغنت جملته عن تفصيله. وكنا نحن وعدونا في مدة هذا التنازع على حالتين مختلفتين:

يسرنا منهم أكثر مما يسؤونا، ويسوؤهم منا أكثر مما يسرهم، على شدة شوكتهم، واجتماع كلمتهم، وانزعاج القلوب لمخافتهم، حتى نوّم بذكرهم الرضيع، وأصمّ لخوفهم السميع. فانتهزت منهم الفرصة عند إمكانها، بعد أن تنظرتُ وقت إبانها، واستدعى النهل علله، وبلغ الكتاب أجله، فقُطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين.

* ونحو هذا، إلا أنه في التهدد، ما حدّث به عبد الواحد بن العباس الهاشمي قال: سمعت الرياشي يقول: كتب ملك الروم إلى المعتصم كتابًا يتهدده فيه، فأمر بجوابه. فلما قرئت الأجوبة عليه لم يرضها، وقال للكاتب: «اكتب»، فأملى عليه:

«أما بعد: فقد قرأت كتابك، وسمعت خطابك، والجواب ما ترى لا ما تسمع».

* قال بعض الكتّاب: أكثر حيل الكاتب في بلاغته، يقصد شيئًا فيأتي بغيره، ويدرجه فيه.

* قال محمد بن يحيى الصولي: ومن ذلك ما حدّثنا الحسين بن فهم قال: حدثنا عبد اللّه بن أحمد بن يوسف عن أبيه قال: دخلت على المأمون وفي يده كتاب ورد من عمرو بن مسعدة، وهو يردد النظر فيه مرات ثم قال لي:

أظنك قد أفكرت في تردادي النظر في هذا الكتاب؟

قلت: قد أفكرت في ذلك.

قال: إني عجبت من بلاغته واحتياله لمراده، كتب: «كتابي إلى أمير المؤمنين أعزه الله، ومَن قبلي من قواده وأجناده في الطاعة والانقياد على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم».

ألا ترى يا أحمد إلى إدماجه الخلة في الأجناد، وإعفائه سلطانه من الإكثار؟

ثم أمر لهم برزق ثمانية أشهر.

* وأنشد أحمد بن إسماعيل الكاتب لنفسه:

خير الكلام قليلٌ على كثير دليل
والعي معنى قصيرٌ يحويه لفظ طويل
وفي الكلام فضولٌ وفيه قال وقيل

* قال إسحاق الكاتب: سمعت جعفر بن يحيى يقول لكتّابه: «إن استطعتم أن تكون كتبكم توقيعات فافعلوا».

قال بعض الكتّاب: الإيجاز في الابتداء أمكن منه في الجواب، ما لم يكن منه في إعذار وإنذار، وعود وبدء، وفتوح وعهود.

* قال أبو بكر الصولي: والذي عندي أنه يحتاج الكاتب والخاطب والشاعر إلى أن يُخرجوا معانيهم في أقواتها من الألفاظ على الاختصار، ما لم يحتج إلى إكثار، فإن احتيج إلى ذلك جيء به بما لا بد منه. وأكثر ما يقع ذلك في الرغبة والرهبة.

الشورى

قال الأصمعي: قلت لبشار:

يا أبا معاذ، إن الناس يعجبون من أبياتك في المشورة.

فقال لي: يا أبا سعيد إن المشاور بين صواب يفوز بثمرته، أو خطأ يشارَك في مكروهه.

فقلت له: والله أنت في قولك هذا أشعر منك في شعرك.

سيروا بنا

لأبي المكارم الشيخ عبد المحسن الكاظمي،

نظمها يوم ١٩ جمادى الأولى، ١٣٣٧هـ

سيروا بنا عَنَقًا وشَدًّا ... سيروا بنا مَمْسَى ومَغْدَى
سيروا فردى أو ثَنى ... والجمعُ للغايات أجْدَى
لا يقعدنَّ بعزمنا ... يومٌ يُرينا الهَزْلَ جدًّا
ولئن تخلف من تخلفَ ... واستحالَ القربُ بُعدا
فالسيف يقطع في يدَي ... بطل وإنْ ثكِلَ الفِرنْدا
ما خاف يومًا أن يهي ... مَنْ أحكَمَ الأهواءَ شدًّا
فلربما جاء المريبُ ... وليسَ يدْري جاءَ إدّا
ولرب رأي ذي سدا ... د عارَضَ الرأيَ الأسَدّا
من ذا رأى الحد المذرَّ ... بَ أبْطَلَ الحدَّ الأحدّا
لتسر وفودكمُ إلى ... تلكَ الرُّبى وَفدًا فوفدا
ليرى الورى أيَّ الورى ... أهدى الورى وأضل قصدا
من لي بمن إن شاء أحيا ... عزمَه أو شاءَ أردى
فرقى المنابر واعظًا ... أو أن يعود الغَيُّ رشدا
من رام إدراك المرا ... م سعى بلا مَلَلٍ وجدًّا
من لم يعزَّ بموطن ... حُرٍ يكن للذلِّ عبدا

❁ ❁ ❁

سيروا إلى الوطن الموقى ... بالنقائب والمفدَّى

سيرو إلى من سار ذكرُ جمالهِ في الكون نَدًّا
سيروا إلى ذي طلعة كالنجم للساري وأهدَى
سيروا إلى ذي راحة كالسُحب لا بل تلك أندى
يا حبذا وطن أعادَ الفضلَ في الدنيا وأبدى
يا حبذا وطنٌ يُغنى باسمه أبدًا ويُحدى
وطنٌ تقادم ذكره عند المكارم واستجدّا
وطنٌ إذا نضب الرّوا أولى عوارفه وأسدى
هو موطن القوم الأُلى فضلوا الانامَ أبًا وجدا
حسبٌ إلى قحطان متّ وعدّ يعرب حين عدا
وكفى به فخرًا إذا ما عدَّ فهدًا أو معدّا
نحن الكرام السابقو نَ إلى العلى قبلا وبَعدا
مَن شامَنا شام الحيا ة وشام برق ردى ورعدا
لما تزلْ عزماتنا قداحة زندًا فزندا
من بات مرمى للحوا دث صيّر العزمات صردا

❀ ❀ ❀

سيروا إلى وصل الذي يشكو من الأهلين صدًّا
عبثت به أيدي الضنا وتركنَه عظمًا وجلدا
وبرغم كل هداية أضفى الضلالُ عليه بُردا
وأخاف إن وقف العلا ج مشى إلى الباقي فأهدى

❀ ❀ ❀

سيروا نذبُ عن الحِمى ونرد عنه المستبدًّا
نحمي حمى أوطاننا ونصونها غورًا ونجدا

ونرد عنها من عدا ظلمًا عليها أو تعدى
سيروا نؤلفُ شملها ونعيدها عِقدًا فعِقدا
إن كان حربٌ فابتنوا لي في بطون الطير لحدا
أو كان سِلم فاجعلوا ذاك الثرى عينًا وخدا
تالله لا أرضى الحيا ةَ أرى لديها الخسف وِردا
أيروق لي عيشٌ أرى فيه الكريم الحر عبدا
وإذا نظرت إلى الهوا نِ رأيتُ طعم الموت شهدا
إن لم تكن تجدي الحيا ةُ بعزها فالموت أَجدى

❀ ❀ ❀

أنا لم أكن للمجد إن لم أبتن للمجد مجدا
من شاقه وصل الحبيب قضّى ليَالي الهجر سهدا
نفسي وما ملكت يدي لك يا حبيب النفس تُهدى
من يفتدي أوطانه لم يُودَ إمّا قبل أودى
الذكر أبقاه الذي كانت له الأوطان خُلدا
لا تحسبوا أوطاننا هندًا نحنّ لها ودعدا
هي نور أعيننا التي أبدًا نُراح بها ونُغدى
أوطاننا أرواحنا بل إنها بالروح تُفدى
أوَ يستعاض بندّها من ذا رأى للروح نِدّا
أبدًا نُطالب بالحقو ق حقوقنا أو نستردا
أبدًا نجاهد دونها ونكافح الخصمَ الألدا
ونصد عنها من نوى أو همَّ يومًا أو تصدى
أخذ الأمانَ من الزما ن من تأهب أو أعدا

فلكم ليالٍ قد تجلت ثم عادت بعدُ رُبدا
سلني أُجبك عن الزمان وقد تحدَّى من تحدى
إني خبرت الدهر سَبطا جاء بالحُسنى وجَعدا
وفليت تاريخ الورى ونقدتُ هذا الخَلق نقدا
ورأيتُ ذا كرمٍ يرو قك فعله ورأيتُ وغْدا
ولقيت عيشًا أنكدًا من بعد ما لاقيتُ رَغدا
لم يسترح من بعدُ إلا من يكن من قبلُ كدا

❁ ❁ ❁

سيروا نَشِدْ لديارنا عدلا يهدُّ الظلم هدا
ما كل من ساسَ الأنا م قضى فريضتها وأدى
شتان من ساس الورى عدلاً ومن بهم استبدا
ولرُب يومٍ خطبُه عم الورى عكسًا وطَرْدا
أرأيتمُ كيف انبرى الضا ري وكيف قضى وحدا
صقلَ النيوب وقال كو نوا في نشوب الخطب دُرْدا

❁ ❁ ❁

يا قلبُ كن حجرًا إذا ما قلّبوه كان صلدا
من لان للخطب الشد يد توقع الخطب الأشدا
يا قلب لا تجزع فقد بلغ المنى من كان جَلدا
لا يأخذ الحدَثان ممن كان في الحدَثان فندا

❁ ❁ ❁

بالله يا وطني أجب ما بال قلبك ليس يَهدا
كلٌ يبل غليله مما رجاه وأنتَ تصدا

يرضيك تصبح للخراب ... وكنتَ للعمران مهدا
يا أيها الوطن الذي ... نادى بنيه واستعدا
وأسرَّ نارًا كلما ... قيل اخمدي تزداد وقدا
ورمى بكلتا مقلتيه ... ولم يجد من ذاك بُدا
يدعو كهولهمُ كما ... يدعوهم شيبًا ومُردا
لكَ من بنيك النُجـ ... ب كل غضنفر وقّى وفدى
روّح فؤادك واسترح ... فبنوك لا يألون جهدا
ستراهمُ كالبيض منضا ... ة تقدُّ الهام قدا
ستراهمُ كالأسد وا ... ثبة تردُّ الخطب ردا
يكفيك أبناءٌ إذا ... عاينتهم عاينت أُسدا
ركبوا الدجى جملاً كما ... ركبوا الصباح أقب نَهدا
قومٌ كآساد الشرى ... سميتهم في الروع جندا
قومٌ فضائلهم كنجم الأ ... فق لا تحصيه عدا

❀ ❀ ❀

سيروا قواصدَ للمنى ... أو تبلغَ الأوطان قصدا
وترى البلادُ جميعها ... علمًا طويل الظل فردا
يا حبذا العلَم الذي ... إن تقصر الأعلام مدا
خلوا هُذيما خلفكم ... واستقبلوا من كان سعدا
وإذا بدأتم فاختموا ... تُنهى المسائل حيث تبدى
خير المعاد معاد مَن ... للخير أصبح خير مبدا

الدم العربي في مصر

قال المستشرق الإيطالي الدكتور أباتا باشا[1]:

كل شيء له علاقة بالعصور التي سبقت التاريخ المعروف لنا فهو قائم على الفروض، فلا بد لنا إذن من الاكتفاء بإلقاء نظرة سريعة على الأمم الأولى التي كانت في مصر.

فمن هذه العصور الخالية إلى عائلة منيس يجب علينا أن نعتبر سكان مصر الأول أنهم الأبناء الأصليون لهذا البلد في العصور الأولى.

جاء جماعة من أهل البادية المقيمين على ضفاف البحر الأحمر، واجتازوا الصحراء (صحراء العرب الآن)، بينما اخترق صحراء ليبيا جماعة من بدو الشمال وأقاموا في البلاد الواقعة تحت الشلال الأول، حيث كان طمي النيل قد كوّن الدلتا إلى البحر الأبيض المتوسط.

وبينما الساميون الذين جاءوا من آسيا والليبيون اللذين جاءوا من شمال إفريقية يجتمعون جماعات وفرقًا؛ كان الأثيوبيون الذين جاءوا من الجنوب قد نزلوا إلى بلاد النوبة وأدخلوا فيها العنصر الأسود الذي لا يزال قائمًا بها إلى الآن.

---

(١) كان رئيس الجمعية الجغرافية المصرية. وهذه القطعة من خطاب له تلاه الأستاذ عبد العزيز باشا فهمي في الجلسة الثانية من جلسات المؤتمر المصري المنعقدة في هليوبوليس في يوم السبت آخر ربيع الثاني سنة ١٣٢٩ ردًا على مزاعم الأقباط في مؤتمرهم المعلوم بأسيوط.

من هذه الاجتماعات الأولى تكونت الأسر الفرعونية الأولى.

لما انتشر طمي النيل في واديه، أخصبت طبقات الأرض الأولى. هذا الطمي القائم المسمى «كم»، ومن ذلك سمى السكان الأولون البلدة «تو - كم»، وقد بقي هذا الاسم علمًا على البلد زمنًا طويلا.

وفي ذلك الحين رأى الفراعنة أن من الضروري لهم جدًا أن يتخذوا إقليم «كوبتوس» مبدءًا لغزواتهم لأقاليم سينا الجبلية، وأن يجلبوا منها المانك «النحاس»، ثم دعتهم الحاجة الملحة إلى جلب الذخيرة إلى فرع النيل الأيمن. ولما كانت صحراء العرب هي أقرب الطرق إلى البحر الأحمر، فقد أصبحت أسهل وأعمر النقط التي يرحل إليها سكان الجزء الأعلى الأقدمون، وبذلك صارت مدينة «كوبتوس» موردًا للتجارة، ومركزًا للمواصلات بين القصير والبحر الأحمر والصومال.

وقد لاحظ ذلك المقدونيون عند غزوهم مصر، فغيروا اسم «كي» باسم «أجبت»، الذي نسخوه من اسم مدينة «كوبتوس» التي كانت ترحل منها القوافل؛ لأنها كانت مركزًا للتجارة. فكوبت أو كيبت «قفط» كانت عاصمة إقليم كان يحرسه إله اسمه «خيم»[1]، وأصلها مشتق من اسم البلد القديم «كم»، الذي يؤيده اللون الأسود، واليونانيون أضافوا لهذه الكلمة حسب عادتهم حرفًا يضعونه أول الكلمات «ابثيلون»، وبذلك كونوا كلمة «أجبت».

مصر العليا التي دُعيت بهذا الاسم الجديد كان يُرمز إليها بباقة من زهر اللوتس، بينما كان الوجه البحري يُرمز له بورقة البردي؛ لأنه كان يوجد بكثرة زائدة في مستنقعاتها.

---

(١) وفق معتقداتهم الباطلة. (س).

متى؟

إن العراق وإن الشام من زمن ... صفران ما بهما للملك سلطانُ
حتى يقوم إمام يستقيد لنا ... فتعرف العدل أجبال وغيطانُ

أبو العلاء المعري

لا يكون السريُ جاهلاً

لا يصلُحُ الناسُ فوضى لا سَراةَ لهُمْ ... ولا سراةَ إذا جُهَّالُهُمْ سادُوا
تبقى الأمور بأهل الرأي ما صَلَحتْ ... فإن تَولتْ فبالأشرار تنقادُ
والبيت لا يبتني إلا له عمَدٌ ... ولا عمادَ إذا لم تُرْس أوتادُ
فإن تجمَّعَ أوتادٌ وأعمِدَةٌ ... وساكنٌ بلغوا الأمرَ الذي كادُوا

الأفوه الأودي

دمشق وبغداد

ماذا بنا وبذي الديار يرادُ ... فُقدت (دمشق) وقبلها (بغدادُ)
من موطن الميعاد قامت نزّعًا ... خيل لهن (بجِلّقٍ) ميعادُ
ساءتْ وقائعها وما سُرَّت بها ... لا الهجرةُ الأولى ولا الميلادُ
وردتْ مياهَ (الرافدين) مغيرة ... شقرٌ من القب البطونِ وِرادُ

هجنٌ شأونَ من الجياد كرائمًا ... عـربـيـة فـكـأنـهـنّ جـيـادُ
بردَى ووأديةَ (الفرات ودِجلة) ... (والنيل) غصَّ بمائها الورّادُ
نَبَأ بأعلى (قاسيون) تَجاوبتْ ... بـدويِّـه الأغـوارُ والأنـجـادُ
وأصاب (بحر الروم) حتى عبّرت ... عن شجوه الأمواج والأزبادُ
أعيادَ هذا الشرق صرتِ مآتمًا ... لـكـنـهـا لـعـداتـنـا أعـيـادُ
لسنا نحد عليك يومًا واحدًا ... أو لـيـلـة، كـل الزمان حِدادُ
الجوُّ وهو مقطبٌ متجهمٌ ... يبكي لنا والأرض وهي جمادُ

❁ ❁ ❁

يا راكبين إلى (دمشق) تزوّدوا ... مني السلام لكلّ ركب زادُ
الملك مضطرب النظام كأنّه ... جسدٌ (دمشق الشام) منه فؤادُ
هل في مروج (الغوطتين) لأهلها ... ولـرائـديـهـا مـربـع ومـرادُ
وهل الرُّبى حُلل ضواف طُرزت ... وطـرازهـا الأزهـار والأورادُ
وشيت من الروض الأريض مطارف ... خـضـر الأديم وفـوّفـت إبـرادُ
أوَ ما تزال على معاهد جِلق ... ترد الضيوف وتصدر الوقادُ
يحلو لها هذا القريض مهذبًا ... ويـروقـهـا الإنـشـاء والانـشـادُ

❁ ❁ ❁

غدتِ العواصم خطةً مغزوّةً ... لا الخيل تعصمها ولا الأجنادُ
لا آل (حمدانٍ) ولا أيامهم ... فيها لهاتيك الثغور سدادُ
الذاهبون مضى لنا بذهابهم ... في اللّه جدٌّ دائم وجهادُ
أخذوا المضايق، والدروبُ تغلغلت ... فيها الجيوش وأمعن القوادُ
خُنّا ذمام الفاتحين وعهدهم ... ما هكذا تستنجب الأولادُ
إنا بما نجني وهم فيما جنوا ... بئسَ البنونَ ونعمتِ الأجدادُ

❁ ❁ ❁

يا أيها الجيلُ الطريد كم انقضت   فيما تحاولُ غارةٌ وطِرادُ
وَعدَتْ بغربتك الرواة وإنّهُ   حتمٌ عليك كما بدأتَ تعادُ
مما أضعتُم من تُراثٍ (بابلٌ)   ومصانع (الخلفاء) والأسدادُ
لم تخلُفوا باني السدير بما بنى   ومشيّديه بما أتوهُ وشادوا

محمد رضا الشبيبي

سليلة عدنان

- إلى إسماعيل صبري باشا -

يا مليك البيان دعوة خلٍ   وجد الصبر بعدكم مستحيلا
قل لحسانَ إن مررت عليه   في ظلال الفردوس يُطري الرسولا
إن مصرًا أحيت موات القوافي   وأقامت عمودها أن يميلا
وأعادت إلى (سليلة عدنا   ن) شبابًا غضًا ومجدًا أثيلا

الشيخ علي الجارم

روائع أبي الطيب المتنبي

❑ مطامح النفوس الفتيّة ❑

وفي الجسمِ نفسٌ لا تشيبُ بشيبِهِ   ولو أنّ ما في الوجه منه حِرابُ
يغيّرُ مني الدهرُ ما شاء غيرَها   وأبلغُ أقصى العمر وهي كَعابُ

وأصدى فلا أبدي إلى الماءِ حاجةً … وللشمسِ فوقَ اليَعْمَلات لُعابُ
وما العشقُ إلا غرةٌ وَطماعةٌ … يعرِّضُ قلبٌ نفسهُ فتصابُ
وغيرُ فؤادي للغواني رَمِيّةٌ … وغيرُ بناني للزّجاج رِكابُ
تركنا لأطراف القنا كلّ شهوة … فليسَ لنا إلا بِهِنَّ لِعابُ
أعزُّ مكانٍ في الدنى سرجُ سابحٍ … وخيرُ جليسٍ في الزمان كتابُ

❑ ثراء الذليل ❑

ذلَّ مَن يغبط الذليل بعيشٍ … رُبَّ عيشٍ أخفُّ منه الحِمامُ
كلُّ حلمٍ أتى بغير اقتدار … حُجَّةٌ لاجيءٌ إليها اللِئامُ
مَن يَهنْ يسهُل الهوانُ عليه … ما لجرحٍ بمَيّت إيلامُ

❑ الحياة ❑

صحِبَ الناسُ قَبْلَنا ذا الزَّمانا … وعناهم من شأنه ما عنانا
وتولَّوْا بِغُصّةٍ كلّهُم منـ … ـه وإن سَرّ بعضَهم أحيانا
رُبَّما تُحسِنُ الصنيعَ لياليـ … ـه ولكن تكدرُ الإحسانا
وكأنَّا لم يرض فينا بريب الد … هر حتى أعانَه من أعانا
كلَّما أنبتَ الزمانُ قناةً … ركَّبَ المرءُ في القناة سنانا
ومُرادُ النفوسِ أصغر من أن … نتعادى فيه، وأن نتفانى
غير أن الفتى يلاقي المنايا … كالحاتٍ ولا يلاقي الهوانا
ولو أنّ الحياة تبقى لحيٍ … لعددنا أضَلَّنا الشجعانا
وإذا لم يكن من الموت بدٌّ … فمن العجز أنْ تكونَ جبانا

❑ الشرف الرفيع ❑

لا يسلمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى … حتى يُراقَ على جوانبِهِ الدَّمُ
والظلمُ من شِيَم النفوسِ فإن تجدْ … ذا عفَّةٍ فلعِلةٍ لا يَظْلِمُ

ومن البلية عذلُ من لا يرعوي عن جهله وخطابُ من لا يفهمُ

❑ لذة الألم ❑

حتامَ نحن نُسارِى النجمَ في الظُلَمِ وما سُراه على خُفٍ ولا قَدَمِ
ولا يُحِسُّ بأجفانٍ يُحس بها فقْدَ الرُّقادِ غريبٌ باتَ لم ينمِ
سبحانَ خالقِ نفسي كيف لَذّتُها فيما النفوسُ تراه غايةَ الألمِ
الدهرُ يَعجبُ من حملى نوائِبَه وصبر نفسي على أحداثِهِ الحُطُمِ
وقتٌ يضيعُ وعمرٌ ليت مُدَّته في غير أمته من سالف الأممِ
أتى الزمانَ بنوهُ في شبيبته فسرّهم وأتيناه على الهرمِ

❑ السعادة ❑

تصفو الحياة لجاهلٍ أو غافلٍ عما مضى منها وما يُتَوقَّعُ
ولمن يغالط في الحقائق نفسَه ويَسومُها طلبَ المحال فتطمعُ
أين الذي الهَرَمانِ من بُنيانِه ما قومُه، ما يومه، ما المصرَعُ
تتخلَّفُ الآثارُ عن أصحابها زمنًا ويتبعها الفناء فتتبعُ

الوطن

ولي وطن آليت أن لا أبيعه وأن لا أرى غيري له الدهرَ مالكا
وحبّبَ أوطانَ الرجال إليهم مآربُ قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

ابن الرومي

الحليف الصادق

فلما نأت عنّا العشيرة كلها أنخنا فحالفنا السيوف على الدهرِ
فما أسلمتنا عند يوم كريهة ولا نحن أغضينا الجفون على وترِ

يحيى بن منصور الحنفي

المسلم في الفتنة

قال الحسن البصري رحمه الله: «كن في الفتنة كابن لبون (أي كابن الناقة في العام الثاني من عمره) لا ظهرٌ فَيُركب، ولا لبن فيُحلب».

حلم الحياة

المرء كالحالم في المنام يقول: إني مدرك أمامي
في قابل ما فاتني في العام والمرء يدنيه إلى الحِمام
من الليالي السود والأيام أن الفتى يُصبح للأسقام
كالغرض المنصوب للسهام أخطأ رامٍ وأصاب رامي

أبو النجم العجلي

الشورى(١)

إذا بلغَ الرأيُ المشورة فاستعنْ ... برأي نصيحٍ أو نصيحة حازمِ
ولا تجعلِ الشُّورى عليك غَضاضَةً ... فإنَّ الخوافي قوةٌ للقوادمِ(٢)
وَما خيرُ كَفّ أمسكَ الغلُّ أختَهَا ... وما خيرُ سيفٍ لم يؤيد بقائمِ(٣)
وخلّ الهُوَيْنى للضعيف ولا تكن ... نَؤومًا فإنّ الحزم ليس بنائمِ

عروس اللغات

- من رثاء إسماعيل صبري باشا -

بني مصرَ والدنيا لما قمتمُ به ... من النهضة الكبرى عيونٌ نواظر
تعالوا أحدثكم على غير مسمع ... فإن لنا سرًّا عليه أحاذر
لنا لغة كاد الزمان يبيدها ... وكادت عليها أن تدور الدوائر
أتعفو وأنتم أمة عربية ... لها في سجل الدهر ماضٍ وحاضر
كتابكُم يا قوم صونوا لسانه ... وخافوا عليه الدهر فالدهر غادر
فليس سوى مصر ولا غير أهلها ... له ناصر، إن عز في الناس ناصر

---

(١) تقدم حوار بين الأصمعي وبشار حول هذا الشعر.
(٢) القوادم: ريشات في مقدم الجناح، وهي كبار الريش. والخوافي صغاره، وهي تحت القوادم.
(٣) الغل: طوق من حديد. قائم السيف: مقبضه.

عروس اللغى صبرًا على الدهر إن يكن ... عليك قضى حكمٌ من الدهر جائر
عروس اللغى أما الزمان فمقبل ... عليك وأما العهد بعدُ فناضر

محمد الهراوي

الوطن

بلد صحبت بهِ الشبيبة والصبا ... ولبستُ ثوب العيشِ وهو جديدُ
فإذا تمثل في الضمير رأيتُهُ ... وعليه أغصان الشباب تميدُ

ابن الرومي

الحزم

الحزم حفظ ما وليت، وترك ما كفيت.

أكثم بن صيفي

التربية في قصور بني أمية

قال العتبي: أسرَّ معاوية إلى ابن أخيه عمرو بن عنبسة بن أبي سفيان حديثًا.

قال عمرو: فأتيت أبي وقلت له:

إن أمير المؤمنين أسرّ إلي حديثًا، أفأحدثك به؟

قال: لا.

لأنه من كتم حديثه كان الخيار إليه، ومن أظهره كان الخيار عليه، فلا تجعل نفسك مملوكًا بعد أن كنت مالكًا.

فقلت: أو يكون هذا بين الرجل وأبيه؟

قال: لا.

ولكن أكره أن تعوّد لسانك إذاعة السر.

قال عمرو: فرجعت إلى عمي فأخبرته بذلك، فقال:

أعتقك أخي من رق الخطأ.

مدنية أوربا فقيرة وانية بجانب مدنية الإسلام

قال الفيلسوف الألماني نيتشه أحد عظماء أوربا في القرن الماضي:

«لقد حرمتنا المسيحية ميراث العبقرية القديمة، ثم حرمتنا بعد ذلك من الإسلام. فقد ديست بالأقدام تلك المدنية العظيمة، مدنية الأندلس المغربية. ولماذا؟ لأنها نشأت من أصول رفيعة ومن غرائز شريفة. نعم! من غرائز رجال. تلك المدنية لم تُنكر الحياة بل أجابتها بالإيجاب، وفتحت لها صدرها. وقد قاتل الصليبيون تلك المدنية بعد ذلك، قاتلوها وكان أولى بهم أن يسجدوا لها على التراب ويعبدوها. وما مدنيتنا في هذا القرن التاسع عشر إلا فقيرة وانية بجانب مدنية الإسلام في ذلك الوقت».

دموع

❑ يا زمان ❑

متى، تُرى تبسِمُ لي، يا زمانْ!

ألا حَنان؟

أسلمتَني، لا أُنسَ لي، لا أمانْ!

للحدَثان!

عيناي - لمّا تبرحا - تجريانْ،

نضّاختان!

أبكي رُبوعًا لا تُطيقُ الهوانْ،

رَهْنَ امتهان!

أبكي ديارًا خُلقتْ للجَمَالْ

أبهى مِثالْ!

أبكي تراثَ العزّ والعز غالْ،

صعب المنالْ!

أبكي نفوسًا قَعَدتْ بالرجالْ

عنِ النضالْ!

أبكي جَلالَ الملكِ كيف استحالْ!

إلى خَيالْ!

❋ ❋ ❋

ما لِرحابي، وَجِنانِ الرحابْ..

آضت يَبَاب!

ما لبنيها، كلهم في اكتئابْ..

أسرى عَذاب!

أيـن أُلُـو طـعـانِـهـا والـضِـرابْ

أين الحراب!

ما بال شِيب عُربها والشبابْ

غيرَ غضاب!

❀ ❀ ❀

ضاعتْ بلادي، يا زمانَ الصِّغارْ!

والاندِثار!

الناسُ يَبنون، وما في الديارْ،

غيرُ الدمار!

أمَا تَرَى الغربَ تعلَّى وطارْ،

فوقَ البحار؟

وأمتي - هاويةٌ، في انحدارْ!

بئسَ القرار!

❀ ❀ ❀

أيـن بـنـو هـاشـمِ الأوَّلـونْ،

أينَ البَنون؟

أيـنَ بـنـو أمـيـة، الـفـاتـحـونْ،

يَنتقمون؟

أينَ بنو العباس، أهلُ الفنونْ،

يَحتكمون؟

أين بنو فاطمةَ الغابرونْ؟

هلْ يُبعثون؟

❀ ❀ ❀

يا زَمَنَ الشُّؤمِ، سَقَيْتَ الشآمَ

كأسَ حِمَامْ!

القِبْلَتَانِ، اشتكتا، وَالمقامْ

مِمَّا نُسَامْ!

إلى متى نبقَى أُسارَى انقسامْ!

ونُستضامْ!

مصرُ تُناجيكَ، ودارُ السَّلامْ:

مُلَّ المُقامْ!

خير الدين الزركلي

البنات

رأيتُ رجالا يكرهون بناتِهم ... وفيهِنّ لا نُكذبْ نساءٌ صوالحُ

وفيهن والأيامُ يعثُرْنَ بالفتى ... عوائدُ لا يَمْلُلْنَهُ ونوائِحُ

معن بن أوس

الكرم

فسامحْ ولا تستوفِ حقك كلهُ وأبق، فلم يَستقصِ قطُّ كريمُ
ولا تغْلُ في شيء من الأمر واقْتَصدْ كلا طرَفَيْ قصد الأُمورِ ذميمُ

البستي

لم تفِ يا قمر

لم تُبقِ أيدي الحادثاتِ ولم تَذَرْ فعلامَ تضحكُ في سمائكَ يا قمرْ؟

أرأيتَ تائهةً على أترابها فتّانةً بسُفورها وحِجابها
خلابةً بدلالها وعِتابها غلاّبةً بحديثها وخِطابها
ذهبَ الزمانُ بمالها وشبابها وتفرّدتْ بأنينها ومصابها
ناجتكَ شاكيةً تصاريفَ القَدَرْ وظللتَ تضحك في سمائك يا قمرْ!

أرأيتَ بين مَسارِح الأقلامِ مترسلا أو مستجادَ نظامِ
ما كاد يعرف بهجةَ الأيامِ حتى رماه من الفَوادح رامي
نَهدتْ إليه قوارعُ الآلامِ فبكى اليراعَ مودِّعًا بسلامِ
عهدَ النبوغِ، وصوغَ آيات العِبرْ ونَعِمتَ تؤنسُكَ الكواكبُ يا قمر!

أشهدتَ في غسق الظلام غريبا ملأ الفضاء تفجّعًا ونحيبا
ناءَى أحِبَّتَه وعاش كئيبا قلقَ الجنان، على الزمان غضوبا

الشوق يُذكي في حَشاه لهيبا والدمعُ يَجرح مقلتيه صبيبا
يرعاك مُضطربَ الجوانِح والفِكرْ! وتتيه في خُيَلاء كبرِكَ يا قمرْ!

❊ ❊ ❊

ومُعاقِرًا خَمر الصِّبي يترنحُ كالظبي، يسكنُ في الرياض ويَسرحُ
يَلهو بزَوْرَقه الصغير، ويسبحُ في سَلْسَلٍ كالنُّور أو هو أوضحُ
قَذفتْ به هُوجُ العواصف تطرحُ فهوى، ووجهُ الموت أكدرُ أكلحُ
وله على صفحات جدوله أثرْ! وعلوتَ تُزهى في نجومك يا قمرْ

❊ ❊ ❊

أسمعتَ أنّات الجريح مُمدَّدا يَطوي الليالي، لا يَقر، مُسهَّدا
لا العيشُ طاب له، ولا اشتاق الرَّدى! يُمسي، ويصبح، شاكيًا متنهدا
ضعُفت قُواه، فما يُطيق تجلُّدا وتعاصَتِ الزَّفرات أن تتصعَّدا
غَضَّ الجفونَ، وقال: حسبُك يا غِيَرْ! وسهرتَ تبسمُ للكوارث يا قمرْ

❊ ❊ ❊

أشهدتَ في كُرةِ الشقاءِ كتائبا وأسنَّةً وهَّاجةً وقَواضبا
جيشان: كلٌّ هبَّ يحمي جانبا يتطاحنان، تباعُدًا وتقارُبا
هذا يئنُّ، وذاك يقضي صاخبا ربحَ المطامع كم تجر معاطبا
تفنى النفوسُ، وأنتَ تهزأ بالبشرْ ويغرُّك الألقُ المحبَّبُ يا قمرْ

❊ ❊ ❊

أرعاك مبتئسٌ شَكا ألم الطوى ومروَّعٌ، ضلّ السبيلَ، وما غوى
ومتوَّج عَنَتِ الجباهُ له، هوى عن عرشه، لا المُلك دام ولا القُوى
ومودَّعٌ مستسلمٌ لهوى النوى ومعذَّبٌ بغرامه بادي الجوى
وقسوتَ هل قُدّتْ ضُلوعك من حجرْ لم تحتجبْ، لم تَرْثِ، لم تفِ يا قمر!

خير الدين الزركلي

عصفورة النيربين

«النيربان متنزهان متقابلان في دمشق على جانبي الطريق بين مرجها وربوعها»

عُصفورةَ النَّيرَبَينِ غَنّي، وارْوي حديثَ الأنِينِ عني!
أنا المعنَّى، وما المعنّي غيرُ حَنينٍ، أذابَ مني
شَغافَ قلبي، وحُسنَ ظني

❀ ❀ ❀

عصفورةَ النَّيرَبينِ - نُوحي يضمد النوحُ من جروحي،
لم يُبقِ لي الهمُّ غير رُوحي؛ ما القلبُ، ما الجسم، بالصحيح!

❀ ❀ ❀

ما بيَ عِرقٌ بمطمئن! ألفتُ شَجوي، وعفت لهوي،
فأين صفوي، وأينَ زهوي؟ سكرتُ حتى نسيتُ صحوي،
ومن كؤوس النكوب نشوي، ومن أجاج الخطوب دَني

❀ ❀ ❀

ان أهوَ، لا أهوَ، غير آلي: دمي فداءٌ لهم، ومالي!
أحسنتُ ظني بهم فما لي خابت أمانيّ في الرجالِ؟
ليت الأمانيَّ بالتمنّي!..

خير الدين الزركلي

هداية الشعر

ولولا خِلالٌ سنَّهَا الشعرُ ما درى بُغاةُ العُلى من أين تُبغى المكارمُ

أبو تمام

بنيان المجد

لسنا وإن أحسابُنا كَرُمت يوما على الاحساب نَتَّكلُ
نبني كما كانت أوائلُنا تبني ونفعلُ مثلَ ما فعلوا

المتوكل الليثي

الرياء

ثوب الرياءِ يَشُفُّ عمَّا تحتَه فإذا التحفتَ بهِ فإنّك عارِ

التهامي

يوم التحاليق

قال معاوية رضي الله عنه لدَغفل[1]:

أخبرني عن قومك بكر بن وائل، واصدقني.

قال: كانوا أهل عز قاهر، وشرف ظاهر، ومجد فاخر.

قال: فأخبرني عن إخوتهم تغلب.

قال: كانوا أسودًا تُرهب، وسهامًا لا تُقرب، وأبطالاً لا تكذب.

قال: فأخبرني كم أُديلوا عليكم في قتلكم كليبًا؟

قال: أربعين سنة، لا ننتصف منهم في موطن نلقاهم فيه، حتى كان يوم التحاليق، يوم الحارث بن عباد بعد قتلة ابنه بُجير، وكان أرسله في الصلح بين القوم، فقتله مهلهل وقال: «بوء بشع نعل كليب»، فقال الغلام: «إن رضيتْ بهذا بنو بكر رضيت». فبلغ الحارث فقال: «نعم القتيل قتيلاً أن أصلح اللّه به بين بكر وتغلب، وباء بكليب». فقيل له: «إنما قال مهلهل: بؤ بشع نعل كليب»، فتشمر الحارث للحرب - وكان قد اعتزلها - وأكبر قتل كليب؛ وأمر بحلق رؤوسنا أجمعين، وهو يوم التحاليق، فأُدلنا عليهم يومئذ، فلم نزل منهم ممتنعين إلى يومنا هذا.

وفي هذا اليوم قال الحارث بن عباد:

قـرّبـا مِـربَـطَ الـنـعـامـةِ مـنِّـي   لقحت حربُ وائلٍ عن حيال

---

(١) من حديث ذكره أبو علي القالي في ذيل الأمالي والنوادر.

قـرّبـا مـربـط الـنـعـامـة مـنـي إنَّ بيعَ الكرامِ بالشِسعِ غالي
لم أكن من جُناتِها علم اللهُ وإنـي بـحـرّهـا الـيـومَ صـالـي

فقال معاوية:

أنت والله يا دغفل أعلم الناس قاطبة بأخبار العرب.

كرم أمير عالم

قيل: إن شاعرًا قصد الأمير الحكيم خالد بن يزيد الأموي، فأنشده:

سألتُ الندى والجود: حُرّانِ أنتما؟ فـقـالا: يـقـيـنًـا إنـنـا لـعـبـيـدُ
فقلت: ومن مولاكما؟ فتطاولا إلـيّ وقـالا: خـالـدٌ ويـزيـدُ

فقال خالد: يا غلام، أعطه مائة ألف درهم.

فأخذها الشاعر وأنشد يقول:

هو البحر من أي الجهات أتيته فلجته المعروف والجود ساحله
جواد بسيط الكفّ حتى لو أنه دعاها لقبضٍ لم تُجبه أنامله

فقال خالد: يا غلام، أعطه مائة ألف درهم.

فأخذها الشاعر وأنشد:

تبرعتَ لي بالجود حتى نعشتني وأعطيتني حتى حسبتك تلعبُ
وأنبتَّ ريشًا في الجناحين بعدما تساقط مني الريش أو كاد يذهبُ
فأنت الندى وابن الندى وأخو الندى حليفُ الندى ما للندى عنك مذهبُ

فقال خالد: يا غلام، أعطه مائة ألف درهم، وقل: إن زدتنا زدناك.

فأخذها الشاعر وقال: حسبُ الأمير ما سمع، وحسبي ما أخذتُ!

البلاغة

سمع خالد بن صفْوان رجلا يتكلم ويُكثر فقال له:

اعلم- رحمك الله- أن البلاغة ليست بخفة اللسان، وكثرة الهذيان، ولكنها بإصابةِ المعنى، والقصد إلى الحجة.

كما تريد تكون

قال بعضهم:

إذا أعْـجَـبَـتْـكَ خِـلالُ امـرِيءٍ فكُنْهُ تكنْ مثلَ مَنْ يُعجبُكْ
وليسَ على المجد والمكْرُمَا تِ إذا جِئْتها حاجبٌ يَحجبُكْ

أمير المؤمنين المأمون بين يدي القاضي يحيى بن أكثم

روى البيهقي أن المأمون جلس يومًا للمظالم، فدخل عليه رجل برقعة يتظلم فيها منه؛ لأن له قِبَله ثلاثين ألف دينار لم يدفعها له، فحاجّه فيها وأنكر قصتها عليه، فقال الرجل:

إذن أدعوك إلى الحاكم الذي نصبته لرعيتك.

قال: نعم، يا غلام عليّ بيحيى بن أكثم.

فإذا هو قد مثُل بين يديه، فقال:

يا يحيى.

قال: لبيك يا أمير المؤمنين.

قال: اقض بيننا.

قال: في حكم وقضية؟

قال: نعم.

قال: لا أفعل.

قال: ولمَ؟

قال: لأن أمير المؤمنين لم يجعل داره مجلس قضائي.

قال: قد فعلت.

قال: فإني أبدأ بالعامة أولاً ليصح المجلس للقضاء.

قال: أفعل.

ففتح الباب وقعد في ناحية من الدار، وأذن للعامة، ونادى المنادي، وأخذ الرقاع، ودعا بالناس، ثم دعا الرجل المتظلم، فقال له يحيى:

ما تقول؟

قال: أقول أن تدعو بخصمي أمير المؤمنين المأمون، فنادى المنادي، فإذا المأمون قد خرج في رداء وقميص وسراويل قد أرسلها على عقبيه في نعل رقيق، ومعه غلام يحمل مصلى، حتى وقف على يحيى وهو جالس، فقال له:

اجلس.

فطرح المصلى ليقعد عليه، فقال له يحيى:

يا أمير المؤمنين، لا تأخذ على خصمك شرف المجلس، فطرح له مصلىً آخر، فجلس عليه، وقال له يحيى:

ما تقول؟

فقال:

لي على هذا ثلاثون ألف دينار.

قال: ومن هذا؟

قال: أمير المؤمنين المأمون.

قال له يحيى: يا أمير المؤمنين قد سمعتَ ما يقول؟

قال: سله ما وجهها؟

فأعاد قصة الدعوى، فقال المأمون:

ما أعرف له حقا.

فأقبل على الرجل فقال: قد سمعتَ، ألك بينة؟

قال: لا.

قال: فما تريد؟

قال: ما يوجبه الحكم لمن عدم البينة.

قال المأمون: ويحك، قد لججت في اليمين!

قال: يا أمير المؤمنين أتحلف؟

قال: أي والله، ولا أوطيء نفسي العشوة في إعطاء رجل ما لا يجب له ظلمًا.

فقال: قل: والله.. (فاستحلفه غموسًا).

ثم وثب يحيى عند فراغ المأمون من يمينه (أي وقضائه)، فقام على رجليه.

فقال له المأمون: ما أقامك؟

فقال: إني كنت في حق اللَّه جل وعز حتى أخذته منك، وليس الآن من حقك أن أتصدر عليك!

الحرية

ولا يقيم على خَسْفٍ يُرادُ بِهِ   إلا الأذَلَّانِ عَيرُ الحي والوتدِ
هذا على الخسف مشدودٌ برُمَّتِه   وذا يُشَجُّ فلا يَرْثي له أحدُ

لو أنصف الناس .. بل لو أنصف القاضي

حدَّث الشيخ محمد العتر رَحِمَهُ اللَّهُ أنه زار القاضي يحيى أفندي[١] في داره يوم عيد، فأراد أن يفاتحه الكلام وقال له:

يا مولانا صدق من قال: «لو أنصف الناس استراح القاضي».

فاستوى القاضي يحيى وكان جالسًا، ثم قال بحدَّة:

كلا، لو أنصف القاضي استراح الناس.

---

(١) هو قاضي مصر أيام ولاية الخديو عباس الثاني.

حكم عربية

بعضُ الشرِّ أهونُ من بعض.

طَرَفة

قول الحقِّ لم يدَع لي صديقًا.

أبو ذَرّ

في التجارِب عِلم مُسْتأنَف.

عمر بن عبد العزيز

شذرات

* عندما رمى بي اللّه حجرًا إلى بحيرة الحياة، أحدثتُ الدوائر على سطحها، ولكني ما بلغت أعماقها حتى صرت هادئًا.

* الناس رجلان: رجل مستيقظ في الظلام، ورجل نائم في النور.

* حقيقة الناس في ما يخفونه عنك. فإذا شئت أن تعرف الناس فلا تصغ إلى ما يقولونه، بل إلى ما لا يقولونه.

* ما أظلم من يعطيك من جيبه ليأخذ من قلبك.

* الخيال حقيقة لم تتحجر بعد.

* بعض الوجوه الحريرية مبطنة بنسيج خشن.

* يقولون لي: «لستَ والعالم الذي تسكنه سوى ذرة رمل على شاطيء بحر اللانهاية»، وليست العوالم أجمع سوى ذرات على شاطيء.

* أشتاق إلى الأبدية، لأنني سأجتمع فيها بقصائدي غير المنظومة، وصوَري غير المرسومة.

* أنا الشعلة، وأنا الهشيم، وبعضي يأكل بعضي، فهلاً حوّلتَ وجهك عني كي لا يعميك دخاني!

* كيف أشكُّ بعدل الحياة، وأحلامُ من يفترش الريش ليست بأجمل من أحلام من يفترش الثرى..

* لولا جهلي ما تعرفونه لما عرفتُ ما تجهلونه.

* للرجل العظيم قلبان: قلب يدمى، وقلب يتجلد.

* كم مرة عزوت لنفسي جرائم لم أرتكبها قط، كي لا أظهر أرفع ممن يجالسني من المجرمين.

* اجعل يا رب قوة أعدائي مضارعة لقوتي، كي لا تكون الغلبة إلا للحق.

* بعض الناس يسمعون بآذانهم، والبعض ببطونهم، والبعض بجيوبهم، والبعض لا يسمع أبدًا.

* ما أشبه أرواح بعض الناس بالاسفنج: فإنك لا تستقطر منها إلا ما امتصته منك.

* أبعدُ الناس عن قلبي راغب يمثل دور مرغوب.

* لو وُجد رجلان متشابهان لما وسعتهما الدنيا.

* إنما الانتظار سنابك الزمن.

* أشد الناس كآبة: كئيب لا يعرف سبب كآبته.

* الحياة مركب يستسرعه البطيء فيتنحى عنه، ويستبطئه السريع فيتنحى عنه أيضًا!

* يظن بعض الناس أنني أغامزهم عندما أُغمض عينيّ كي لا أراهم.

* أقرب الناس إلى قلبي ملك لا مملكة له، وفقير لا يعرف كيف يُستعطى.

* ما أغربني عندما أشكو ألمًا فيه لذّتي.

* قلت للحياة: ألا فأسْمعيني الموت متكلمًا. فرفعت الحياة صوتها عن ذي قبل وقالت: أنت تسمعه الآن..

جبران خليل جبران

من مصر إلى الأندلس[1]

اختلافُ النهارِ والليلِ يُنسي ... أُذكرا لي الصِّبا وأيامَ أُنسي

وصِفا لي ملاوةً من شباب[2] ... صُوِّرتْ من تصوُّراتٍ ومَسِ

عَصَفتْ كالصَّبا اللَّعوبِ ومرَّت ... سِنةً حلوة ولَذَّةَ خَلسِ

وسَلا مِصر هل سلا القلبُ عنها ... أو أسا جرحَهُ الزمانُ المؤسِّي

كلّما مرَّت الليالي عليه ... رق، والعهد في الليالي تقسّي

(١) نظم (شوقي) هذه القصيدة يوم رحل إلى (الأندلس) بعد انتهاء الحرب العظمى، وقد عارض بها قصيدة البحتري التي مطلعها:

صنتُ نفسي عما يُدنسُ نفسي

(٢) الملاوة - بفتح الميم وضمهما وكسرها - البرهة من الزمان.

مُستطارٌ إذا البواخر رنّت ... أولَ الليل، أو عَوَتْ بعدَ جَرْسِ
راهبٌ في القلوع للسفن فطن ... كلما ثُرْنَ شاعَهن بنَقْسِ(١)
يا ابنة اليمّ ما أبوكِ بخيلٌ ... ما لَه مُولَعًا بمنعٍ وحبسِ
أحرامٌ على بلابله الدَّوح ... حلالٌ للطير من كل جنسِ
كلُّ دار أحقُّ بالأهل إلا ... في خبيثٍ من المذاهب رِجسِ
نَفَسي مِرجَلٌ، وقلبي شِراع ... بهما في الدموع سيري وأرسي
واجعلي وجهك (الفنارَ) ومجرا ... ك يد (الثغر) بين (رمل) و(مكسِ)(٢)
وطني لو شُغِلتُ بالخُلد عنه ... نازعتْني إليه في الخلد نفسي(٣)
وهفا بالفؤاد في سَلْسبيل ... ظمأٌ للسواد من (عين شمسِ(٤))
شهد اللهُ لم يغبْ عن جُفوني ... شخصه ساعةً ولم يخلُ حسي
يصبح الفكر و(المِسَلّة) نادِ ... يهِ وبالسرحة الزكية يُمسي
وكأني أرى (الجزيرة) أيْكًا ... نغَّمتْ طيرُه بأرخم جَرْسِ
هي (بلقيس) في الخمائل: صرح ... من عُباب، وصاحبٌ غير نِكسِ
حَسبُها أن تكون للنيل عِرسًا ... قبلها لم يُجن يومًا بعرسِ
لبِست بالأصيل حلَّةَ وشي ... بين (صنعاء) في الثياب و (قُسِّ(٥))
قدَّها (النيل) فاستحت فتوارت ... منه بالجسر بين عُرى ولُبسِ

---

(١) النقس: ضرب النواقيس.

(٢) الفنار والثغر والرمل والمكس - في كل ذلك إشارة إلى الاسكندرية.

(٣) هذا من غلو شوقي في وطنيته. انظر للرد عليه: «الكافي في التحذير من مضلات القوافي»؛ للشيخ عبدالكريم الحميد (ص ٦٠ - ٦١). (س).

(٤) عين شمس: الاسم القديم لمنطقة المطرية بمصر، وفيها منزل الشاعر. وسواد كل بلد ما حوله من القرى.

(٥) صنعاء باليمن. وقس: موضع في مصر، بين العريش والفرما. وكلاهما اشتهر بنسج الثياب.

وأرى (النيل) كالعقيق بوادِ | يهِ، وإن كان كوثرَ المتحسِّي
ابن ماء السماء ذو الموكبِ الفخم | الذي يحسُر العيونَ ويُخسي
لا ترى في ركابه غير مُثنٍ | بجميل وشاكر فضل غرسِ
وأرى (الجيزة) الحزينة ثَكْلَى | لم تُفق بعدُ من مناحة (رمسي)[(١)]
أكثرتْ ضجةَ السواقي عليه | وسؤالَ اليراع عنه بهَمْسِ
وقيامَ النخيل ضفّرن شعرًا | وتجرَّدن غيرَ طوق وسَلْسِ
وكأنّ الأهرام ميزان فرعو | ن بيوم على الجبابر نحسِ
أو قناطيرُه تأنَّق فيها | ألفُ جابٍ وألف صاحب مَكسِ
رَوعةٌ في الضحى مَلاعب جنّ | حين يغشى الدجى حِماها ويُغسي[(٢)]
ورهينُ الرمال أفطس، إلا | أنه صُنع جِنّة غير فُطسِ[(٣)]
تتجلى حقيقة الناس فيه | سَبُعُ الخلق في أسارير أنسي
لَعِبَ الدهرُ في ثراه صبيًا | والليالي كواعبًا غير عُنْسِ
ركبت صُيَّدُ المقادير عينيه | لنَقْدٍ ومِخْلَبيه لفَرْسِ[(٤)]
فأصابت به الممالكَ: كسرى، | وهِرَقلًا، والعبقريَّ الفرنسي

❊ ❊ ❊

يا فؤادي، لكل أمر قرارٌ | فيه يبدو وينجلي بعد لَبسِ
عَقَلتْ لُجةُ الأمور عُقولًا | كانتِ الحوتَ طولَ سبحٍ وغَسٍّ[(٥)]
غرقت حيث لا يُصاح بطافٍ | أو غريق، ولا يصاخ لحُسِ

---

(١) رعمسيس.

(٢) غسا الليل وأغسى: أظلم.

(٣) هو تمثال أبي الهول، يشير إلى الكسر الذي أصيب به أنف التمثال.

(٤) الفرس: الافتراس.

(٥) غس في البلاد غسًا: دخل فيها ومضى قدُمًا.

فَلَكٌ يكيف الشموسَ نهارًا ويسوم البدور ليلةَ وَكسِ
ومواقيت للأمور إذا ما بلغَتْها الأمور صارت لعكسِ
دولٌ كالرجال مُرتهَناتٌ بقيام من الجُدود وتَعسِ[١]
وليال من كلّ ذات سِوارٍ لَطمت كلّ رب رُوم وفُرسِ
سَدَّدَتْ بالهلال قوسًا وسَلّت خنجرًا ينفذانِ من كل تُرسِ
حكّمتْ في القرون (خوفو) و(دارا) وعفت (وائِلاً) وألوت (بعبسِ)
أين (مروانُ): في المشارق عرشٌ أمَوي، وفي المغارب كرسي؟
سقمت شمسهم، فردَّ عليها نورَها كلُّ ثاقب الرأي نَطسِ
ثم غابت وكل شمس- سوى ها تيك - تبلى وتنطوي تحت رمسِ
وعظ (البحتريَّ) إيوانُ كسرى وشفتني القصور من (عبد شمسِ)
رُبَّ ليلٍ سريتُ، والبرق طِرفي، وبساط طويت، والريحُ عَنسي[٢]
أنظمُ الشرقَ في الجزيرة بالغر ب وأطوي البلادَ حزنًا لدَهسِ[٣]
في ديار من (الخلائف) دُرسٍ ومَنار من (الطوائف) طمسِ
ورُبى كالجِنان في كنَف الزيـ تون خضرٍ وفي ذرا الكرم طُلسِ
لم يرعني سوى ثرى (قُرطُبيّ) لمست فيه عبرةَ الدهر خَمسي
يا وقى اللّه ما أصبِّحُ منه وسقى صفوةَ الحيا ما أمسّي
قريةٌ لا تُعَدُّ في الأرض، كانت تمسك الأرضَ أن تَميدَ وتُرسي
غشيتْ ساحل المحيط، وغطت لجَّة الروم من شراع وقلسِ[٤]

---

(١) الجدود: الحظوظ.
(٢) الطرف: الكريم من الخيل. والعنس: الناقة الصلبة القوية.
(٣) الحزَن: ما غلظ من الأرض. والدهس: المكان السهل.
(٤) القلس: حبل للسفينة ضخم.

ركب الدهرَ خاطري في ثراها فأتى ذلك الحمى بعد حَدْسِ
فتجلَّت ليَ (القصور) ومَن فيـ ـها من (الغُرِّ) في منازلَ قعسِ
ما ضَفَتْ قطُّ في الملوك على ندْ ل المعالي، ولا تردَّت بنَجْسِ
وكأني بلغتُ للعلم بيتًا فيه مال العقول من كل درسِ
قُدُسًا في البلاد شرقًا وغربًا حجَّة القوم من فقيه وقَسِّ
وعلى الجمعة الجلالة، و (النا صر) نور الخميس تحت الدَّرفسِ[١]
يُنزل التاجَ عن مَفارق (دونٍ) ويُحلي به جبين (البرنسِ)
سِنَةٌ من كرىً وطيف أمان وصحا القلبُ من ضلال وهَجسِ
وإذا الدارُ ما بها من أنيس وإذا القوم ما لهم من محسِّ
ورقيقٍ من البيوت عتيقٍ جاور الألف غير مذموم حرْسِ[٢]
أثرٌ من (محمد) وتراثٌ صار (للرُّوح) ذي الولاء الأمسِّ
بلغ النجمَ ذروة وتناهى بين (ثهلانَ) في الأساس و(قُدْسِ)[٣]
مَرمرٌ تسبح النواظرُ فيه ويطول المدى عليه فترسي
وسوَارٍ كأنها في استواء ألفاتُ الوزير في عرض طرسِ[٤]
فترة الدهر قد كست شطرتيها ما اكتسى الهدبُ من فتور ونعسِ
ويحها، كم تزينَت لعليم واحدِ الدهر، واستعدّت لخمسِ[٥]
وكأن الرَّفيفَ في مَسرح العِين مُلاءٌ مدنَّرَاتُ الدمَقْسِ[٦]

---

(١) الناصر: هو الخليفة عبد الرحمن الأموي. الخميس: الجيش. الدرفس: الهواء.
(٢) الحرس: الدهر.
(٣) ثهلان: جبل بالعالية. وقدس: جبل عظيم بنجد.
(٤) الوزير: ابن مقلة الخطاط.
(٥) أي أنها دار تدريس وعلم، وتقام فيها الصلوات الخمس.
(٦) الرفيف: الروشن. الملاء: جمع ملاءة، ثوب يُلبس على الفخذين.

وكـأنَّ الآيـاتِ مـن جـانـبـيـه ... يـتـنـزَّلـنَ مـن مَـعـارِجِ قُـدسِ
مِنبر تحت (مُنذِر) من جلال ... لم يزل يكتسيه، أو تحت (قُسِّ)[1]
ومكانُ الكتاب يغريك رَيّا ... وَرده غائبًا، فتدنو للمسِ
صنعةُ (الداخل) المبارك في الغر ... ب، وآلٍ له ميامينَ شُمسِ

❀ ❀ ❀

من (لحمراءَ) جُللت بغبار الدَّ ... هر، كالجُرح بين بُرء ونكسِ
كسنا البرق لو محا الضوء لحظًا ... لمحتها العيون من طول قبسِ
(حصن غرناطة) و (دار بني الأحـ ... مر) من غافل ويقظان نَدسِ[2]
جلل الثلجُ دونها رأسَ (شيرى) ... فبدا منه في عصائبِ بِرسِ[3]
سَرمدٌ شيبُه، ولم أر شيبًا ... قبله يرجي البقاء وينسي
مشتِ الحادثاتُ في غرَف (الحمـ ... راء) مشيَ النعيِّ في دار عُرسِ
هتكت عزَّةَ الحجاب، وفضّت ... سدَّةَ الباب، من سميرٍ وأنسِ
عَرَصاتٌ تخلتِ الخيل عنها ... واستراحتْ من احتراس وعَسِ
ومغانٍ على الليالي وضاء ... لم تجد للعشيّ تكرار مَسِّ
لا ترى غيرَ وافِدينَ على التّا ... ريخ ساعينَ، في خشوع ونكسِ
نقّلوا الطّرفَ في نَضارة آسٍ ... من نُقوشٍ، وفي عصارة وَرسِ
وقِبابٍ من لازَوَردٍ وتبرٍ ... كالرُبى الشمِّ بين ظِلّ وشمسِ
وخطوطٍ تكلفت للمعاني ... ولألفاظها بأزيَن لُبسِ

---

(١) منذر بن سعيد: قاضي الأندلس وخطيبها. وقس بن ساعدة: خطيب العرب.

(٢) الندس: الفهم.

(٣) عصائب برس: بيض كالقطن. وشيرى: جبل.

وترى (مجلس السّباع)[١] خلاء ... مُقفرَ القاع من ظباء وخُنسِ
لا (الثريا) ولا جواري الثريا ... يتنزَّلنَ فيه أقمارَ إنسِ
مرمر قامتِ الأسودُ عليه ... كلَّة الظُّفر، ليّناتِ المجسِ
تنثرُ الماء في الحياض جُمانًا ... يتنزّى على ترائبَ مُلسِ
آخرَ العهد بالجزيرة كانت ... بعد عَركٍ من الزمان وضَرسِ
فتراها تقول: رايةُ جيش ... باد بالأمس بين أسر وحَسٍّ[٢]
ومفاتيحها مقاليدُ مُلك ... باعها الوارث المضيِّع ببُخسِ
خرج القوم في كَتائبَ صُمٍّ ... عن حِفاظٍ كموكب الدفن خُرسِ
ركبوا بالبحار نعشًا وكانت ... تحت آبائهم هي العرش أمسِ
رُبَّ بانٍ لهادمٍ وَجمُوعٍ ... لِمُشتٍ ومُحسنٍ لِمخسِ
إمرة الناس همة لا تأتّى ... لجبانٍ ولا تسنَّى لِجبسِ[٣]
وإذا ما أصاب بنيانَ قوم ... وَهيُ خُلق فإنه وهيُ أسِّ

❀ ❀ ❀

يا ديارًا نزلتُ كالخلد ظِلاً، ... وَجنىً دانيًا، وسلسال أنسِ
محسناتِ الفصول: لا ناجِرٌ فيـ ... ـها بقيظ، ولا جُمادى بقرسِ[٤]
لا تحسُّ العيونُ فوقَ رُباها ... غيرَ حُورٍ حُوّ المراشف لُعسِ[٥]

---

(١) يريد: (قاعة الأسود) من (قصر الحمراء)، التي وصفها (ابن حمديس الصقلي) بقصيدته، التي منها:

وضراغم سكنت عرين رئاسة ... تركت خرير الماء فيه زئيرا

(٢) الحَس القتل.

(٣) الجبس: الجبان.

(٤) شهر ناجر: كل شهر في صميم الحر.

(٥) حوّ المراشف: سُمر الشفاه، وهو مستملح من النساء. وكذلك اللعس.

كُسيت أفرخي بظللكِ ريشًا ... ورَبا في رُبَاك واشتدّ غَرسي
هم بنو مصر: لا الجميل لديهم ... بمضاع، ولا الصنيع بمنسي
من لسانٍ على ثنائك وقفٍ ... وَجنانٍ على ولائك حَبسِ
حسبُهم هذه الطُّلولُ عِظات ... من جديد على الدهور ودرسِ
وإذا فاتك التفاتٌ إلى الما ... ضي فقد غابَ عنكَ وجه التأسّي

أحمد شوقي

بين العراق والشام

ببغدادَ أشتاق الشآمَ وها أنا ... إلى الكرخ من بغداد جم التشوّقِ
هما وطنٌ فردٌ وقد فرّقوهما ... رمى اللّه بالتشتيت شمل المفرّقِ
إذا قمتَ نصبَ العين يا عهدَ تَدمُر ... ذكرت ادكار الطيف عهد الخورنقِ
وهل بلد أولى من الشام بالهوى ... وبالحب أجدرُ في دمشق وأخلقِ

رضا الشبيبي

متى تجب الحرب؟

وحاربْ إذا لم تُعطَ إلا ظُلامة ... شبا الحربِ خيرٌ من قبولِ المظالمِ
وما قَرَع الأقوامَ مثلُ مُشَيَّعٍ ... أريبٍ ولا جلّى العَمَى مثلُ عالِمِ

بشار بن برد

الحديقة

مجموعة أدب بارع، وحكمة بليغة

الجزء الثاني

انتقاها

الكاتب الإسلامي الكبير

محب الدين الخطيب رحمه الله

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى اللّه على الإنسان الكامل «سيدنا محمد» وآله وصحبه وكل من أحيا هدايته، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعدُ:

فإنّ في ذهني صورةً للمروءة أتمنَّى لو تحلَّى بها المرء والمرأة من قومي، واتَّخَذْناها مثلًا أعلَى في تكوين فُتُوَّة فِتْيانِنا وفَتَياتنا.

إنّ هذه السطور من مقدّمة «الحديقة» لَتضيقُ عن رسم صورة المروءة والفتوَّة اللائقتين بأبناء عصر قد جَدّ فيه الجِدّ، وتراكمتْ فيه علينا واجباتٌ لا ينهض بها إلا رجلُ الصدقِ الحازمُ العالمُ الذي ربَّى في نفسه مَلَكَةَ التوحيد، والتنظيم والتثمير واعتاد الاقتصادَ في كل شيء، والإنصافَ في جميع المواقف، والوفاءَ للماضي المجيد، والجهادَ في سبيل المستقبل السعيد، والتضحيةَ يومَ يرى قوميته في حاجة إليها، وإذا ضاقت هذه السطور عن رسم تلك الصورة فإنَّ أعيان البيان من الحكماء والشعراء والكتَّاب ما فَتِئوا في كل عصر ومصر يَصفون بألسنتهم وأقلامهم ما تنفذ إليه بصائرهم من أسرارها، مُحبّبين إلى طلاب الكمال -من الفتيان والرجال- الاتصافَ بأوصافها، والتجهُّزَ بأسلحتها، كيما يتأهّلوا بذلك لحمل أعباء القومية، والسير بالأمة في طريق الصلاح، والارتقاء بالوطن ذُرَى العز.

لقد أخذتُ على نفسي منذ تكوَّنتْ عندي فكرة إنشاء «الحديقة» أن أجمع فيها أثناء المطالعة ما كنتُ أودُّ أن أدَّخره لنفسي في مذكراتي الخاصة من قصيدة بليغة

حكيمة أو قطعة أدبيَّة ذات روعة أو فصل إصلاحي نافع، متوخيًا في مجموع ذلك أن يكون من بواعث اللذة للقرّاء والقارئات، وأن يكون -مع ما تقدَّم- عونًا لهذه الأمة على إيقاظ ما في نفوسها من الفضائل القومية بما يتخلَّله من بيان صفات المروءة، وفي النية أن أثابر على إصدارها أجزاء بهذا الحجم. والله الموفق.

القاهرة: ١٥ شعبان، ١٣٤٤

محبُّ الدين الخطيب

أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان

روى الحكيم الإسلامي الكبير أبو حيان التوحيدي في كتابه «الإمتاع والمؤانسة» قال:

قال مالك بن عمارة اللخمي: كنت أجالس في ظل الكعبة، أيام الموسم: عبد الملك بن مروان، وقبيصة بن ذؤيب، وعروة بن الزبير، وكنا نخوض في الفقه مرة، وفي الذكر مرة، وفي أشعار العرب وآثار الناس مرة، فكنت لا أجد عند أحد منهم ما أجد عند عبد الملك بن مروان: من الاتساع في المعرفة، والتصرّف في فنون العلم، والفصاحة، والبلاغة، وحسن استماعه إذا حُدّث، وحلاوة لفظه إذا حَدّث.

فخلوت معه، ذات ليلة، فقلت:

- والله إني لمسرور بك لما أشاهده من كثرة تصرّفك، وحسن حديثك، وإقبالك على جليسك.

فقال لي: إنك إن تعش قليلًا فسترى العيون طامحة لي، والأعناق قاصرة نحوي، فلا عليك أن تعمل إليّ ركابك.

فلما أفضت إليه الخلافة شخصت أريده؛ فوافقته يوم جمعة، وهو يخطب الناس، فتصديت له. فلما وقعت عينه عليَّ كشر في وجهي فأعرض عني. فقلت: لم يثبتني معرفة، لو عرفني ما أظهر نُكرة؛ لكن لم أبرح مكاني حتى قضيت الصلاة ودخل، فلم ألبث أن خرج الحاجب إليّ فقال:

- مالك بن عمارة!

فقمت وأخذ بيدي وأدخلني عليه، فلما رآني مدّ يده إلي وقال: - إنك تراءيت

لي في موضع لم يجز فيه إلا ما رأيت من الإعراض والانقباض؛ فمرحبًا وأهلًا. كيف كنتَ بعدنا، وكيف كان مسيرك؟

«فقلت»: بخير، وعلى ما يحبه أمير المؤمنين.

«قال»: أتذكر ما كنتُ قلت لك.

«قلت»: نعم، وهو الذي أعملني إليك.

«فقال»: ما هو بميراث ادّعيناه؛ ولكن أخبرك عن نفسي خصالًا سمت لها نفسي إلى الموضع الذي ترى: ما لاحيت ذا ردّ قط ولا ذا قرابة، ولا شمتُ بمصيبة عدو قط، ولا أعرضت عن محدث حتى ينتهي، ولا قصدت كبيرة من محارم اللَّه متلذذًا وواثبًا عليها، وكنت من قريش في بيتها ومن بيتها في وسط، فكنت آمل أن يرفع اللَّه مني، وقد فعل، يا غلام بوّئه منزلًا في الدار.

«فأخذ الغلام بيدي وقال»:

- انطلق إلى رحلك.

وكنت في أخفض حال، وأنعم بال، وكان يسمع كلامي وأسمع كلامه، فإذا حضره عشاؤه أو غداؤه أتاني الغلام وقال:

-إن شئت صرتَ إلى أمير المؤمنين، فإنه جالس، فأمشي بلا حذاء، ولا رداء، فيرفع مجلسي، ويُقبل على محادثتي، ويسألني عن العراق مرة وعن الحجاز مرة، حتى مضت لي عشرون ليلة، فتغديت يومًا عنده، فلما فرغ الناس نهضت للقيام.

«فقال»: على رسلك أيها الرجل، أي الأمرين أحبّ إليك: المقام عندنا فلك النصفة في المعاشرة والمجالسة مع المواساة، أم الشخوص ولك الحباء والكرامة؟

«فقلت»: فارقت أهلي وولدي على أن أزور أمير المؤمنين، فإن أمرني اخترت فِناءه على الأهل والولد.

«قال»: بل أرى لك الرجوع إليهم، فإنهم متطلعون إلى رؤيتك، فتُحدث بهم عهدًا ويحدثون بك مثله، والخيار في زيارتنا والمقام فيهم إليك، وقد أمرنا لك بعشرين ألف دينار، وكسوناك وحملناك. أتراني ملأت يدك أبا نصر؟

«قلت»: يا أمير المؤمنين، أراك ذاكرًا لما ورثت عن نفسك.

«قال»: أجل، ولا خير فيمن ينسى إذا وعد، ودّع إذا شئت، صحبتك السلامة.

صقر قريش

مَنْ لنضوٍ يتنزَّى[1] ألما ... برّح الشوقُ به في الغَلَسِ
حَنّ للبان وناجى العَلَما ... أين شرقُ الأرضِ من أندلسِ

بُلبلٌ علّمه البينُ البيانْ ... بات في حبل الشُّجون ارتبكا
في سماءِ الليلِ مخلوعَ العِنانْ ... ضاقتِ الأرضُ عليه شبَكا
كلما استوحش في ظل الجِنانْ ... جُنَّ فاستضحكَ من حيثُ بكى

ارتدى بُرْنُسَهُ والتثما ... وخطا خُطْوةَ شيخ مُرْعسٍ[2]

---

(١) يتوثب.

(٢) مرعش.

وَيُرى ذا حَدَبٍ إن جَثما[1] فإن ارتدَّ بدا ذا قَعَسِ[2]

❁ ❁ ❁

فَمُهُ القاني على لَبَّتِهِ كبقايا الدم في نصْلٍ دَقيقْ
مَدَّهُ فانشقَّ من مَنبتِهِ من رأى شِقَّيْ مِقَصٍّ منْ عَقِيقْ
وبكى شَجْوًا على شُعبتِه شَجْو ذات الثُّكل في السِتْرِ الرقيقْ

❁ ❁ ❁

سَلَّ من فِيهِ لسانًا عَنَما[3] ماضيًا في البثِّ لم يحتبسِ
وَترٌ من غير ضَربٍ رَنَّما في الدُّجى أو شَرَرٌ من قَبَسِ

❁ ❁ ❁

نَفَرَتْ لَوْعَتُه بَعْد الهدوءْ والدُّجى بيت الجوى والبُرَحا
يتعايا بجَناحٍ، وينوءْ بجَناحٍ؛ مُذْ وَهَى ما صَلَحا
ساءَه الدهرُ وما زال يسوءْ[4] ما عليه لو أسا ما جَرحا

❁ ❁ ❁

كلما أدْمَى يَدَيْهِ ندمَا سَالَتا من طوقِهِ والبُرنُسِ
فَنِيَتْ أهدابُهُ إلّا دَمَا قَامَ كالياقوت لم ينبجسِ[5]

❁ ❁ ❁

---

(١) الحدب: خروج الظهر ودخول الصدر.

(٢) القعس: دخول الظهر وخروج الصدر.

(٣) أحمر كالعنم. وهو شجر يحمل ثمرًا أحمر.

(٤) هذا من سب الدهر، وقد قال ﷺ: «لاتسبوا الدهر فإن اللّه هو الدهر» أخرجه البخاري (٧٤٩١) ومسلم (٢٢٤٦). قال ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/ ٤٢١): «أي أنكم إذا سببتم فاعل ذلك، وقع السب على اللّه ﷻ؛ لأنه هو الفاعل، والدهر لا فعل له، بل هو من جملة مخلوقات اللّه تعالى». (س).

(٥) لم يسل.

مَدَّ في الليلِ أنينًا وخَفَقْ   خَفَقان الفرط في جُنحِ الشَعَرْ
فَرَغَتْ منْهُ النوى غَيرَ رَمَقْ   فضْلةَ الجُرْحِ إذا الجُرحُ نعَرْ
يتلاشى نزَواتٍ في حِرَقْ   كذُبالٍ آخِرَ الليلِ استَعَرْ

❋ ❋ ❋

لم يَكُنْ طَوْقًا ولكن ضَرما   ما على لبَّتِه من قَبَسِ
رحمةُ اللّه لَه هل عَلِما   أن تلك النَّفسَ من ذا النَفَسِ

❋ ❋ ❋

قلتُ لليل - ولليل عَوَادْ-:   مَنْ أخو البثِّ؟ فقال: ابنُ فراقْ
قلتُ: ما واديه؟ قال: الشَّجْوُ وادْ   ليس فيه من حجازٍ أو عِراقْ
قلتُ: لكنْ جَفْنُهُ غير جَوادْ   قال: شرُّ الدمعِ ما ليس يُراقْ

❋ ❋ ❋

نَغْبِطُ الطَّيرَ و ما نَعْلَم ما   هي فيهِ من عَذابٍ بَئِسِ
فدعِ الطيرَ وحظًّا قُسما   صيّر الأَيْكَ كَدُورِ الأَنسِ[1]

❋ ❋ ❋

ناحَ إذ جِفناي في أسر النُجُومْ   رَسَفا في السُهْدِ والدمعُ طليقْ
أيُّها الصارخُ من بَحْرِ الهُمُومْ   ما عَسى يُغْني غريقٌ من غريقْ
إنَّ هذا السهم لي منه كُلومْ   كلنا نازحُ أيكٍ وفريقْ

❋ ❋ ❋

قِلّب الدنيا تجدها قِسما   صُرِّفتْ من انْعُمٍ أو أبؤسِ
وانظر الناسَ تجِدْ من سَلما   من سِهام الدَّهْرِ شَجّتْهُ القِسِي

❋ ❋ ❋

يا شبابَ الشّرْقِ عنوانَ الشبابْ   ثَمَرات الحَسبِ الزاكي النمِيرْ

(١) الأنس: الناس.

حَسْبُكُم في الكَرَم المَحْضِ اللُّبابْ ... سِيرَةٌ تبْقى بقاء ابنيْ سَمِيرْ[١]
في كتاب الفَخْرِ (للداخل)[٢] بابْ ... لم يَلِجْه من بني المُلك أميرْ

❁ ❁ ❁

في الشموس الزُّهْر في الشامِ انتمى ... ونَمى الأقمارَ بالأندلس[٣]
قَعَدَ الشرقُ عليهم مأتما ... وانثنى الغربُ بهم في عُرُسِ

❁ ❁ ❁

هل لكم في نبأ خير نبا ... حليةِ التاريخ مأثورٍ عظيمْ
حلَّ في الأنباء ما حلت سبا ... مَنْزِلَ الوسطى من العِقد النظيمْ
مثلَهُ المقدار يومًا ما خبا ... لسليبِ التاج والعرْشِ كَظيمْ

❁ ❁ ❁

يُعجزُ القُصَّاصَ إلا قلما ... في سوادٍ من هوىً لم يُغْمَسِ
يُؤْثِرُ الصِدْقَ ويَجْزي علما ... قَلْبَ العالمَ لو لم يُطْمَسِ

❁ ❁ ❁

عن عِصامِيٍّ نَبِيلٍ مُغرِقِ ... في بُناةِ المجْدِ أبناءِ الفَخَارْ
نهَضَتْ دُولَتُهم بالمشرقِ ... نَهضةَ الشَّمْسِ بأطرافِ النَّهارْ
ثم خانَ التاجُ ودَّ المفْرِقِ ... ونَبَتْ بالأنْجُم الزُّهْر الديارْ

❁ ❁ ❁

غَفَلوا عن ساهِرٍ حول الحمى ... باسطٍ من سَاعديْ مُفْترِسِ
حامَ حَوْلَ الملكِ ثم اقتحما ... وَمشى في الدَّم مَشْيَ الضَّرِسِ

❁ ❁ ❁

---

(١) ابنا سمير: الليل والنهار.

(٢) هو الأمير عبد الرحمن.

(٣) نماه: أي رفعه بالنسب إليه.

جُـزِيَـتْ مـروانُ عـن آبـائـهـا | مـا أراقـوا مـن دمـاء ودُمُـوعْ
ومِـن الـنَّـفْـسِ ومـن أهـوائـهـا | ما يؤدّيه عن الأصلِ الفرُوعْ
خلَت الأعـواد من أسـمـائـهـا | وتـغـطّت بـالـمـصـاليـب الجذوعْ

❁ ❁ ❁

ظَلَمتْ حتى أصابتْ أظلما | حاصِدَ السيف وبيء المَحْبسِ
فـطـنًـا فـي دعـوةِ الآل لـمـا | هَمَس الشاني وما لم يَهْمسِ

❁ ❁ ❁

لَـبِـسَـتْ بُـرْدَ الـنَّـبـيّ الـنـيّـراتْ | مِنْ بني العباس نورًا فَوْقَ نُورْ
وقـديـمًـا عـنـد مَـروانَ تِـراتْ | لـزكـيـاتٍ مـن الأنـفـسِ نُـورْ
فنجَا (الداخلُ) سَبْحًا بالفُراتْ | تـارِكَ الـفـتْـنَـةِ تَـطْـغَـى وتَـنُـورْ

❁ ❁ ❁

غَـسَّ كـالحُـوت بـه، واقـتـحـمـا | بـيـن عـبـريْـهِ عـيـونَ الـحَـرَسِ
ولَقد يُجْدِي الفَتى أن يَعْلَما | صَـهْـوَةَ الـمـاءِ ومَـتْـنَ الـفَـرَسِ

❁ ❁ ❁

صَـحِـبَ الـداخـلَ مـن إخـوتـهِ | حَدَثٌ خاضَ الغِمارَ ابنُ ثمانْ
غَـلَـبَ الـمَـوجُ عـلـى قُـوَّتِـهِ | فكأنّ الموجَ من جُندِ الزمانْ
وإذا بـالـشـطّ -مـن شـقْـوَتِـه- | صَائِحٌ صَاحَ به: نِلْتَ الأمانْ

❁ ❁ ❁

فـانـثـنـى مـنـخـدعًـا مـسْـتَـسـلـمـا | شاةٌ اغْتَرَّتْ بعهد الأطلسِ(١)
خَضبَ الجُنْدُ به الأرض دَما | وقُلوبُ الجُنْدِ كالصخرْ القَسي

❁ ❁ ❁

---

(١) الذئب.

أيُّها اليائسُ متْ قبلَ المماتْ ... أو إذا شِئْتَ حياة فالرجا
لا يَضِقْ ذَرْعكَ عندَ الأزماتْ ... إن هي اشْتَدَّتْ وأمِّلْ فَرَجا
ذلك (الداخِلُ) لاقى مُظْلِمَاتْ ... لم يكنْ يأمُلُ منها مَخْرَجا

❊ ❊ ❊

قد تَولَّى عِزُّهُ وانْصرَمَا ... فَمضَى من ردِّهِ لم ييأسِ
رامَ بالمغْربِ مُلْكًا فرمى ... أبْعد الغَمْرِ وأقصَى اليبسِ

❊ ❊ ❊

ذاكَ واللهِ الفَتى كلُّ الفَتى ... أي صَعْبٍ في المَعَالي ما سَلكْ
ليسَ بالسائل إن همّ: متى؟ ... لا ولا الناظِرِ ما يُوحي الفَلَكْ
زَايَل المُلكُ ذويْهِ، فأتى ... مُلكَ قَوْمٍ ضَيَّعُوهُ فَملَكْ

❊ ❊ ❊

غمراتٌ عارَضَتْ مُقْتحِما ... عَاليَ النَّفْسِ أشَمَّ المَعطَسِ
كلُّ أرْضٍ حلَّ فيها أو حِمى ... مَنْزِلُ البَدْرِ وغابُ البَيْهَسِ[1]

❊ ❊ ❊

نزل الناجي على حُكْمِ النوى ... وتوارى بالسُّرَى من طالبيهْ
غيرَ ذي رحلٍ ولا زادٍ سوى ... جَوْهَرٍ وافَاهُ من بِنْتِ أبيهْ
قمرٌ لاقى خُسوفًا فانزوى ... لَيْسَ من آبائِه إلا نبيهْ

❊ ❊ ❊

لم يجِدْ أعوانَه والخدَما ... جانبُوه غيرَ (بَدْر[2]) الكيِّسِ
من مَوالي مَرَوانَ القُدَما ... لم يخُنهُم في الزَّمَانِ الموئِسِ

❊ ❊ ❊

---

(١) الأسد.

(٢) بدر اسم خادمه المشهور.

حِين في إفريقيَا انحلَّ الوئَامْ واضْمَحلّتْ آيَةُ الفَتْحِ الجليلْ
باتت الأمّةُ في غيْرِ التئامْ وكثيرٌ ليس يَلتَامُ قَليلْ
يَمَنٌ سَلَّتْ ظُبَاها والشآمْ شَامَها هنْديةٌ ذات صَليل

❀ ❀ ❀

فرَّقَ الجنْدَ الغِنى فانقَسَما وغَدا بينهُم الحق نُسي
أوْحش السؤدَدُ فيهمْ وسَما للمعالي من بهِ لم تأنسِ

❀ ❀ ❀

رُحموا بالعَبْقَرِيِّ النابهِ البعيدِ الهمَّةِ الصعْبِ القِيادْ
مدَّ في الفَتحِ وفي أطنابهِ لم يَقِفْ عند بناء ابن زِيادْ
هجر الصيْدَ فما يُعني بهِ وهو بالملْكِ رفيق ذو اصطيادْ

❀ ❀ ❀

سلْ به أندلسًا: هل سلِما من أخي صَيْدٍ رفيق مَرِسٍ؟
جرّد السيف وهزَّ القلما ورمى بالرأي أمّ الخُلَسِ(١)

❀ ❀ ❀

بسلام يا شراعًا ما درى ما عَلَيْه من حياء وسَخاءْ
في جناح المَلَكِ الروح جرى وبسَمحاءَ من اللُطف رُخاءْ(٢)
غسل اليمُّ جراحات الثرى ومَحا الشدةَ من يمحو الرّخاءْ

❀ ❀ ❀

هل درى أندلسٌ مَن قدِما دارَهُ من نحو بَيْتِ المَقْدِسِ؟
بسليل الأمويين سَما فَتْحُ موسى مُسْتَقِرَّ الأُسسِ(٣)

❀ ❀ ❀

---

(١) أحسن الفرص.
(٢) الرخاء: الريح اللينة.
(٣) موسى بن نصير.

أمَـويٌ لـلـعُـلـى رحْـلـتـهُ والـمَـعـالـي بـمـطـيٍّ وَطُـرُقْ
كـالـهـلال انـفـردت نُـقـلـتـهُ لا يـجـاريـهِ ركـابٌ فـي الأفُـقْ
بُـنـيـت مـن خُـلـق دولـتـهُ قد يَشيدُ الدُّوَلَ الشمُّ الخُلُقْ

❁ ❁ ❁

وإذا الأخلاقُ كانت سُلَّما نالَتِ النجْمَ يدُ الملتمسِ
فَارْقَ فيها ترقَ أسبابَ السما وعَلى ناصيةِ الشمسِ اجلسِ

❁ ❁ ❁

أيَّ مُلكٍ من أفاعيل الهممْ أسس الدّاخِلُ في الغَرْبِ وشادْ
ذلك الناشئُ في خير الأممْ سادَ في الأرض ولم يُخلَقْ يُسادْ
حكمت فيه الليالي وحكمْ في عواديها قيادًا بقِيادْ

❁ ❁ ❁

سُلبَ العزَّ بشرقٍ، فرمى جانِبَ الغَرْبِ لعزٍّ أقعَسِ
وإذا الخيرُ لعبدٍ قُسما سَنَحَ السَّعْدُ له في النحَسِ

❁ ❁ ❁

أيها القلب أحقٌّ أنت جازْ للذي كانَ على الدهر يجيرْ
هاهنا حلّ به الركب وسارْ وهنا ثاوٍ إلى البَعْث الأسيرْ
فلكٌ بالسعد والنحس مُدارْ صَدَعَ الجامَ وألوى بالمدِيرْ

❁ ❁ ❁

هاهنا كنت ترى حُوَّ الدُّمى فاتناتٍ بالشفاهِ اللعُسِ
ناقلاتٍ في العبير القَدَمَا واطئاتٍ في حبيرِ السندسِ

❁ ❁ ❁

خذ عن الدنيا بليغ العظةِ قد تَجلّتْ في بليغ الكلمِ
طرفاها جُمعا في لفظةٍ فتأمل طَرَفَيْها تَعلمِ:

الأماني حلمٌ في يقظةٍ والمنايا يقظةٌ منْ حُلمِ

❀ ❀ ❀

كل ذي سقطين في الجو سما[1] واقعٌ يومًا وإن لم يُفرَسِ
وسيلقى حَينهُ نَسرُ السما يومَ تُطوى كالكتابِ الدَّرِسِ

❀ ❀ ❀

أين يا واحدَ مروانَ عَلَمْ من دَعاكَ «الصقرَ» سماهُ العقابْ
رايةٌ صَرَّفها الفردُ العلمْ عن وُجوهِ النصر تصريفَ النقابْ
كنتَ إن جرَّدت سيفًا أو قلمْ أُبْتَ بالألبابِ أو دِنت الرّقابْ

❀ ❀ ❀

ما رأى الناسُ سواه علما لم يُرَمْ في لُجةٍ أو يبسِ
أَعَلى ركنِ السِّماك ادّعما وتغطى بجناحِ القُدُسِ؟

❀ ❀ ❀

قصرُك «المنيةُ» من قرطبةٍ فيه واروك ولله المصيرْ
صدفٌ خُطَّ على جوهرة بيْدَ أن الدَّهر نبَّاش بصيرْ
لم يدع ظلا لقصر «المنية» وكذا عُمْرُ الأمانيّ قصيرْ

❀ ❀ ❀

كنتَ صقرًا قرشيًا علَما ما على الصَّقْر إذا لم يُرْمسِ؟
إن تسلْ: أين قبورُ العظما؟ فعلى الأفواه أو في الأنفُسِ

❀ ❀ ❀

كم قبورٍ زَينت جيدَ الثرى تحتها أنجسُ من ميْت المجوسْ
كان من فيها وإن حازوا الثرا قبل موت الجسم أمواتَ النفوسْ

---

(١) السقط: الجناح.

وعـظـام تـتـزكـى عـنـبـرا من ثناءٍ صرن أغفال الرموسْ

❁ ❁ ❁

فاتخذْ قبرك من ذكرٍ فما تَبنِ من محموده لا يُطمَسِ
هبك من حرصٍ سكنت الهرما أين بانيه المنيع الملمسِ؟

أحمد شوقي

جنة الدنيا

دمشق مدينة ذكريات تاريخية عظيمة الأثر في نفوس زائريها؛ لأنها أقدم مدينة عامرة على وجه الأرض، لم تزحزحها نكبات الدهر عن موضعها الأول في سفح جبل «قاسيون»، ولا حرمتها كوارث الأيام من مغانيها بين جداول «بردى».

ومن هذه المدينة سارت جيوش الفتح الإسلامي ناشرة لغة العرب، وحكمتهم، وحضارتهم في القارات الثلاث: آسيا، وإفريقيا، وأوربا، مدة الخلافة الأموية، وهي مع ما لها من هذا الامتياز التاريخي؛ ما برحت معروفة من مئات السنين بأنها «جنة الدنيا»، بغوطتها الغناء وأوديتها السكرى بخمرة الجمال، على خرير الجداول المتفرعة من بردي، والعيون المنبثقة إلى جانبها في أهضام[1] تلك الأودية ذات الروعة الخالدة.

وقف شوقي بك أمير شعراء العرب أمام هذه المشاهد، وتلك الذكريات، فألهمته هذه الآية من شعره الحكيم، وقد ألقيت في حفلة جمعت المئات الكثيرة

(١) الأهضام: بطون الأودية.

من شباب دمشق وأدبائها، وقد أقاموها لتكريمه في دار المجمع العلمي العربي بدمشق.

قمْ نَاجِ جِلّقَ[١] وَانْشُدْ رَسْمَ من بَانُوا ... مَشَتْ عَلى الرَّسم أَحْدَاثٌ وأزْمَانُ
هذَا الأديمُ كِتَابٌ لا كِفَاءَ لَهُ[٢] ... رَثُّ الصَّحَائِف، بَاقٍ مِنْهُ عُنْوَانُ
الدِّينُ وَالوَحْيُ وَالأخْلاقُ طَائِفَةٌ ... مِنْهُ، وَسائِرُهُ دُنيا وَبُهْتَانُ
ما فيهِ إنْ قُلبَتْ يَوْمًا جَوَاهِرُهُ ... إلَّا قَرَائِحُ مِنْ رَادٍ[٣] وَأذْهَانُ
بَنُو أُمَيَّة لِلأنْباءِ ما فتحُوا ... وللأحادِيثِ ما سادُوا وما دانُوا
كانوا مُلوكًا سرِيرُ الشَّرْقِ تحْتهُمُ ... فهلْ سألْت سرِير الْغرْبِ ما كانُوا؟
عَالِينَ كالشَّمْسِ في أطْرَافِ دَوْلَتِها ... في كلِّ ناحِيَةٍ مُلْكٌ وسُلْطانُ
يا وَيْحَ قَلبيَ مَهْما انْتابَ أرْسُمَهُمْ ... سَرَى به الهَمُّ أو عادَتْهُ أشْجانُ
بالأمْسِ قُمْتُ على الزَّهْراءِ أنْدُبُهمْ ... واليَوْمَ دَمْعي على الفَيْحاءِ هتانُ
في الأرْضِ مِنْهُمْ سَماوَاتٌ وألوِيَةٌ ... وَنَيِّرَاتٌ وأنْواءٌ وَعِقْبانُ
مَعادِنُ العزّ قدْ مالَ الرَّغامُ بهمْ ... لوْ هانَ في ترْبهِ الإبْرِيزُ ما هانُوا
لوْلا دِمَشْقُ لما كانَتْ طُلَيْطُلَةٌ ... وَلا زَهَتْ بِبَنِي العَبَّاسِ بَغْدَانُ[٤]
مرَرْتُ بالمَسْجِد المحْزُونِ أسْألُهُ ... هَلْ في المُصلى أو المِحْراب مَروانُ
تَغَيَّرَ المَسْجِدُ المَحْزُون واخْتَلَفَتْ ... على المنابِرِ أحْرَارٌ وعِبْدانُ
فَلا الأذَان أذانٌ في مَنارتِهِ ... إذَا تَعالى ولا الآذَانُ آذانُ

❁ ❁ ❁

---

(١) دمشق.
(٢) لا مساوي له ولا نظير.
(٣) الراديو.
(٤) إحدى لغات كثيرة في بغداد.

آمنْتُ باللهِ واسْتَثْنَيْتُ جَنَّتَهُ(١) دِمَشْقُ رَوْحٌ وَجَنَّاتٌ وَرَيحانُ
قال الرِّفاقُ وَقَدْ هَبَّتْ خَمَائِلُها الأَرْضُ دارٌ لها الفَيْحاءُ بُسْتانُ(٢)
جرَى وصَفَّقَ يَلْقَانا بِها بَرَدَى كما تَلَقَّاكَ دُونَ الخُلد رِضْوانُ(٣)
دخَلَتُها وحوَاشِيها زُمُرُّدَةٌ والشَّمْسُ فوْق لُجيْنِ الماءِ عِقْيانُ(٤)
والحورُ في (دُمّرٍ) أوْ حوْل (هامتها) حُورٌ كواشفُ عنْ ساقٍ وولدانُ(٥)
و(رَبْوةُ) الوادِ في جِلباب راقصةٍ السَّاقُ كاسيةٌ والنَّحر عُرْيانُ(٦)

(١) هذا من الأبيات التي طغى بها قلم شوقي، فقاده غلوه في مدح دمشق إلى أن يجعلها بمثابة جنة الله! وقد دارت حول هذا البيت مجادلات، مابين لائم ومتأوّل، لكنه بالاتفاق: بيتٌ موهم، كان ينبغي تجنبه. (س).

(٢) «الفيحاء» من أسماء دمشق. «والخمائل»: جمع خميلة، وهي الشجر الكثير الملتف.

(٣) «يقول»: إن مكان (بردى) من دمشق كمكان رضوان -خازن الجنان- من جنة الخلد، فهو دليل ضيوفها إليها، يؤنسهم بما على ضفافه من غياض تأوي إليها السعادة، ومقاصف لا تبلغها الهموم.

وقوله: «جرى وصفق» من قولهم: صفق فلان الشراب، أي: حوله من إناء إلى إناء ليصفو. وقد وصف حسان بن ثابت نهر بردى بذلك يوم نزل على أمراء غسان البريص - وهي غوطة دمشق- فقال:

لله در عصابة نادمتهم يومًا بجلق في الزمان الأول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

(٤) العقيان: الذهب الخالص.

(٥) الحور -في صدر البيت-: شجر باسق معتدل القامات يملأ غياض دمشق. وقد شبهه بحور الجنان كاشفات عن سوقهن؛ لأن أعالي هذه الشجر مكسوة بأوراقها وسائرها عريان، و(دمر) و(الهامة) من متنزهات دمشق في وادي بردى.

(٦) يقول: إن ربوة هذا الوادي على خلاف ما فيها من أشجار الحور، فإذا كانت الأشجار كاسية النحور، عارية السوق، فإن جبال الربوة كاسية الساق بما في سفحها من أشجار ومروج وأزهار بينما نحرها عريان؛ لتجرد أعالي تلك الجبال من خضرة النبات وأفواف الزهور. =

والطَّيْرُ يصْدَحُ مِنْ خلفِ العُيُونِ بها ... وللعُيُونِ كما للطيْرِ ألحانُ[١]
وأقبلتْ بالنَّبات الأرْض مختلفًا ... أفْوَافُهُ[٢]، فَهْوَ أصْباغٌ وألوانُ
وقدْ صفى (بردَى) للرِّيح فابْتردت ... لدى سُتُورٍ حواشيهنَّ أفنانُ[٣]
ثم انْثنتْ لمْ يزُلْ عنها البلالُ ولا ... جَفَّتْ مِنَ الماءِ أذْيالٌ وأرْدانُ
خلفتُ لُبْنان جنَّاتِ النَّعيم وما ... نُبِّئْتُ أنَّ طريق الخلْدِ لبنانُ[٤]
حتَّى انحدرْتُ إلى فَيحاءَ وارفةٍ ... فيها النَّدى وبها طيٌّ وشيْبانُ
نزلْتُ فيها بفتْيانٍ جحاجحةٍ ... آباؤُهمْ في شباب الدَّهْر غسَّانُ[٥]
بيضُ الأسرَّةِ باقٍ فيهمُ صَيَدٌ ... من عبْدِ شمْسٍ وإنْ لمْ تبْقَ تيجانُ[٦]

= و(الربوة) هي متنزه دمشق القريب. وقد وصفها اللّٰه تعالى في القرآن الحكيم بقوله: ﴿رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾. قال ياقوت في معجم البلدان: هي موضع ليس في الدنيا أنزه منه.

(١) العيون: عيون الماء يسمع خريرها من ألحان البلابل والعصافير في الجبال والأودية.

(٢) جمع فوف، نوع من الثياب، والمراد هنا الزهر.

(٣) بردى هو نهر دمشق، ينبع من جبال الزبداني على مسافة أربعين كيلو مترًا ونيف من دمشق في شمالها لغرب، وينحدر في وادي بردى حتى إذا بلغ ينبوع (الفيجة) انضم هذا إليه، ثم ينفصل عنه (نهر يزيد بن معاوية) نحو الشرق في لحف جبل قاسيون، وينفصل عنه بعد ذلك نهر ثورا، فيجري في جنوب نهر يزيد، ثم ينفصل عن بردي نهر (بانياس) والقنوات. ويدخل بردى مدينة دمشق من مرجتها الشهيرة، حتى إذا ارتوت منه بساتينها وضواحيها الشرقية انصب في بحيرة المرج، وكان السريانيون يسمون بردى (نهر أبانا)، وسماه اليونانيون (خريسوروئه) أي: مجرى الذهب.

(٤) يشير الشاعر إلى قوله: لما بلغ لبنان ولم يكن رأى دمشق:

لبنان والخلد اختراع اللّٰه لم ... يوسم بأزين منهما ملكوته

فلما رأى دمشق، علم أنها جنة اللّٰه في أرضه، وأن لبنان هو طريق الخلد.

(٥) «الجحاجحة»: السادة المسارعون في المكارم.

(٦) «الصيد»: الأنفة والعزة ورزانة الزهو. وعبد شمس: جد الخلفاء بني أمية الذين أنشأوا أعظم مملكة إسلامية متحدة في القارات الثلاث.

يا فتْية الشَّامِ شكْرًا لا انْقضاءَ له ... لو أنَّ إحسانكمْ يجْزيه شكرانُ
ما فوْق راحاتكم يوْم السَّماحِ يدٌ ... ولا كأوْطانكمْ في البِشْرِ أوْطانُ
خَميلةُ اللهِ وشَّتْها يَدَاهُ لكمْ ... فَهَلْ لها قَيِّمٌ مِنْكُمْ وجنّانُ[1]
شيدُوا لهَا المُلكَ وابنُوا رُكنَ دَوْلَتِها ... فالمُلكُ غرْسٌ، وتجْدِيدٌ، وبُنيانُ
لوْ يَرْجعُ الدهْرُ مفْقُودًا لهُ خَطَرٌ ... لآبَ بالواحدِ المَبكيّ ثكلَانُ
المُلكُ أنْ تَعْملوا ما اسْطَعْتُمُو عمَلًا ... وأنْ يَبينَ على الأعمال إتْقَانُ
المُلكُ أنْ تُخْرَجَ الأمْوَالُ ناشِطَة ... لِمَطْلَب فيهِ إصْلَاحٌ وعُمْرانُ
المُلكُ تحتَ لِسانٍ حَوْلهُ أدبٌ ... وتحْتَ عقْلٍ على جَنْبَيْهِ عِرْفانُ
الملكُ أن تتلاقَوْا في هَوَى وَطَنٍ ... تفرَّقَتْ فيهِ أجناسٌ وأديانُ

❁ ❁ ❁

نصيحةٌ مِلؤُها الإخلَاصُ صادِقَةٌ ... والنُّصْحُ خالصُهُ دينٌ وإيمانُ
والشّعْرُ ما لمْ يكُنْ ذِكرى وعاطِفَةً ... أوْ حِكْمةً فهوَ تَقطيعٌ وأوْزانُ
ونحْنُ في الشَّرْقِ والفُصْحى بَنو رحِمٍ ... ونحْنُ في الجُرْحِ والآلامِ إخْوانُ

أحمد شوقي

كلمة عن قصيدة شوقي الدمشقية

ماذا يقول الإنسان عن شعر شوقي بأجمعة، فحسب الإنسان أن يقول إنه شعر شوقي، أو أن ينشد قول شوقي نفسه:

ما كلام الأنام في الشمس إلا ... أنها الشمس ليس فيها كلامُ

(١) القيم والجنّان بمعنى البستاني: الأول اصطلاح عراقي، والثانية اصطلاح أندلسي.

وقصيدته التي قالها مؤخرًا في دمشق لا أتوخى وصفها من حيث أنها شعر؛ لأنها من النسج نفسه، ومن القريحة بعينها التي لا تسيل إلا بالبدائع، والتي هي كالغيث لا يُدرى أأوَّلُه خيرٌ أم آخره. ولكني معجب بما فيها من المرامي القومية والمنازع الوطنية التي أثبتت لنا ما كنا نأمله من مبادئ شاعرنا الأكبر، التي تزيده حبًّا ومكانة لدى الأمة العربية، وتبين به عن غيره من المصريين الذين لما دعاهم الفرنسيس في الصيف الماضي إلى اجتماع عقدوه في لبنان تقارضوا وإياهم الثناء وتكلموا عن سورية في كل شيء إلا عن استقلال سورية. . . !

أما شوقي فحقق أنه كما ضارع أبا تمام، والمتنبي في الشعر، فقد ضارعهما في الحمية على قومه، وأنه بالفعل شاعر أمّة، انظر إلى قوله:

حتى انحدرتُ إلى فيحاءَ وارفةٍ ... فيها الندَى وبها طيٌّ وشيبانُ
نزلت فيها بفتيانٍ جحاجحةٍ ... آباؤهم في شباب الدهر غسانُ
بِيض الأسرَّة باق فيهم صَيَدٌ ... من عبد شمس وإن لم تبق تيجانُ

فهل تجري هذه الألفاظ على لسان لم يكن وراءه قلب مفعم بالعربية؟

ثم انظر كيف يثير همم الشاميين إلى تحرير وطنهم، ونفض غبار السيطرة الأجنبية عن أنفسهم، وهم أهل السماحة والسجاحة، فهو يقول:

ما فوق راحاتكم يوم السماح يدٌ ... ولا كأوطانكم في البشر أوطانُ
خميلة اللّه وشَّتها يداه لكم ... فهل لها قيّم منكم وجنّانُ

نعم! إن شوقي يقول: إن الشام هي جنة اللّه في أرضه؛ لكنه يريد أن يكون جنانها منها لا غريبًا عنها، ثم إنه يقول، ولا يتلجلج:

شيدوا لها الملك وابنوا ركن دولتها ... فالملك غرسٌ، وتجديدٌ، وبنيانُ

نعم، والله ما الملك إلا الغَرس، والتجديد، وإدارة الحائط حول ما غرست وجدَّدت، ثم إنه يعرِّف الملك، بقوله:

الملك أن تعملوا ما استطعتمُ عملًا وأن يبين على الأعمال إتقانُ

أي: أن تصلوا في العمل إلى الدرجة القصوى، فلا تدّخروا مجهودًا، ولا تُحجموا عن مستطاع، فإن الممالك أعمالٌ لا آمال، ولابد لكم من أن تجوّدوا الأعمال حتى يظهر عليها أثر الكمال.

ثم كأنه لحظ ما في بر الشام من خلق الكرم وفرط السخاء، منحصرًا ذلك في الولائم والمآدب، والمطاعم والمشارب، حتي اذا جيء إلى مصلحة وطنية ومشروع عام؛ كزَّت الأيدي وجمدت النفوس، واثَّاقل مَن عهدته أسرع الناس مهزَّة، فقال:

الملكُ أن تخرج الأموالُ ناشطة لمطلب فيه إصلاحٌ وعمرانُ

فعساك تُسمع الصم يا شوقي، ويكون كلامك صور إسرافيل!

ثم حث الناس على العلم والأدب؛ لأنهما من لوازم الملك، وأبنية الدول، فقال:

الملك تحت لسانٍ حوله أدبٌ وتحت عقلٍ على جنبيه عرفانُ

لغة ذات آداب، وعلمان مطبوع ومسموع، ثم قال:

الملك أن تتلاقوا في هوى وطنٍ تفرقت فيه أجناس وأديانُ

وهي النصيحة الكبرى والعروة الوثقى التي لابد منها لأحراز الملك، وتأسيس الاستقلال، لاسيما في قطر كثرت أجناسه وتعددت أديان أهله، ثم قال:

والشعر ما لم يكن ذكرى وعاطفةً وحكمةً فهو تقطيعٌ وأوزانُ

أبى شوقي بحمية نفسه وجائشة صدره أن يجعل قصيدته عن دمشق أوصاف جنان، وذكرى روح وريحان، والترنم بأفواف نبات هي أصباغ وألوان، دون أن يذكر قومه بمجدهم السالف، ويعطف عليهم في بؤسهم الحاضر، ويبدي لهم رأيه فيما يجب أن يعملوه ليلموا شعثهم، وبمثل هذا تتفاضل الرجال، وتتفاوت الآماد في الأخلاق، ثم صرح بالتضامن، الذي كنا نحب أن نسمعه من كثير من المصريين، ونادى بالأخوة بين الناطقين بالضاد والمتجاورين في الشرق نداءً أغلى قيمته عندنا أنه صُداح بلبل وادي النيل، والطائر المحكي في الشرق كله، وأشار إلى أنه إن لم يكن لنا جماعة سوى تشابه الحالات وكون السلسلة واحدة لكفى، فقال:

ونحن في الشرق والفصحى بنو رحمٍ ... ونحن في الجُرح والآلام إخوانُ

كانت هذه القصيدة برهانًا لشوقي على أنه في الحمية القومية والنُعَرة العربية كما هو في الملكة الشعرية والعبقرية البيانية، ندٌّ لأبي تمام في قصائده على غزوات المعتصم، وللمتنبي في وصفه غارات سيف الدولة، وأنه لا يكتفي بأن يكون عربي اللسان، حتى يكون عربي الجنان، ولله ما أشجى قوله في هذه القصيدة:

بنو أمية للأنباء ما فتحوا ... وللأحاديث ما سادوا وما دانوا

بالأمس قمتُ على الزهراءِ أندبهم ... واليوم دمعي على الفيحاء هتّانُ

لولا دمشق لما كانت طليطلةٌ ... ولا زهت ببني العباس بغدانُ

هنا مجرى السوابق ومجرُّ حديث الغابر، ومفاض العبرات من المحاجر، ومجلى روح شوقي بتمامها بين ذلك الأول، وهذا الآخر.

ثم يقول:

تغير المسجد المحزون واختلفت ... على المنابر أحرار وعبدانُ

فلا الأذان أذان في منارته ... إذا تعالى ولا الآذان آذانُ

كنت أحب أن يقول هنا :

إذا الأذان أذانٌ في منارته وقد تعالى فما الآذان آذانُ

لأن الأذان باقٍ كما هو في الواقع ؛ ولكن السامعين اليوم غير السامعين بالأمس .

«والخلاصة» : أننا نسأل اللَّه ألَّا يُسكت «هذا الطائر الغرِد»، والشاعر الفرد، الذي يسلي العرب على مصائبهم، وينهض بهم إلى استئناف معاليهم، واسترداد ماضيهم .

جنيف في ٩ سبتمبر سنة ١٩٢٥

شكيب أرسلان

هل استيقظ الشرق؟

مما يعنى الغربيون بدرسه وتفهمه، مسألة اليقظة في الشرق، والعناصر التي تتألف منها، وهل هي يقظة حقيقة أم لا ، وفي الولايات المتحدة الأمريكية معهد سياسي اسمه «معهد وليمستون»، أسس لترويض الأذهان على المشاكل الدولية . وقد أصدر هذا المعهد أخيرًا كتابًا عنوانه : «يقظة الشرق»، مؤلفًا من فصول بأقلام الأخصائيين في الأمور الشرقية، ومنهم السير «فالنتين تشيرول» الإنكليزي الذي تناول الكلام على : مصر، والهند، وأكد القول بأن يقظة الشرق حقيقية .

ومما قاله : إن الغرب قد عجز الآن عن تضييق الخناق على الشرق، فينبغي لرجال السياسة أن يهتموا بدرس هذه اليقظة وتفهمها .

ومن فصول الكتاب، فصل بقلم المستر «تورسيني» الياباني، ومن رأيه أن الشرق لم تتم يقظته بعد، ولكنه سيستيقظ لا محالة عما قريب .

الشعر والمطمح القومي

الشعرُ الذي يصدر من القلب ليدخل في القلب، ما برح -منذ القِدَم- حادِيَ موكب الأمة في سُراها الهادئ نحو المطمح القوميّ، وصوتَ القيادة العالي في يوم الملحمة إذا غُمَّ على الأمّة أمرُها، وإنّ الكلمة البارعة يرسلها الشاعر في الموقف الرهيب -وقد استمَدَّها من أصوات الإلهام التي تخاطب ضميره من أعماق الماضي وطيّات الحَاضر وأغوار المستقبل - لا تلبث أن تفنى من دونها جَمْجَماتُ الحيرة، ويخفت بها لَغَط الهوى واليأس والاستكانة، وخليقٌ بالشاعر -وقد آتاه اللَّه هذه الموهبة- أن يكون في كل موقف من مواقفه حسنَ التصرُّف في هذه القوة السامية التي لها أثرها البليغ في سير الأمة ومصيرها، وأن يكون متينَ الأخلاق، حاضر الذهن، متثبّتًا من أنه وهو يندفع في الإحسان إلى قوميته من ناحية لا يجترم الإساءة إليها من ناحية أخرى.

أردتُ أن أتكلَّم على الشاعر العربي وواجبه نحو المطمح القومي؛ وشاعرُنا ما برح مشاركًا في حمل أعباء الواجب نحو القومية من قبل زمن امرؤ القيس، وسيبقى كذلك أبد الدهر، غير أنَّ فهمه لمعنى القومية قد دخل في عدّة أطوار، بتأثير الكيان السياسي والاجتماعي، ولقد كان هذا الكيان وما برح في كل زمان ومكان المُعْجَمَ الذي يرجع إليه الشاعر في فهم معنى القومية.

وأما الطور الأول فكان زمن «حياة القبيلة»، وكان إذا نبغ الشاعر في القبيلة يومئذ أصبح مفخرة من مفاخرها، وجاءت القبائل تهنئها بنبوغه، ونيط به أمر الدفاع عن شرفها وحقوقها، وأيُّ موقف للشاعر أنبلُ من موقف الحارث بن حِلّزة في مجلس عمرو بن هند، ملك الحِيرة، وبينهما سبعة ستور، فجعل يرتجل معلّقته ارتجالًا، في الدفاع عن حقوق قبيلته بني بكر بن وائل على خصومها بني

تَغْلِب، ويستدلّ في وجوه دفاعه بحوادث التاريخ، وكان متوكّئًا على قوسه وهو ينشدها في محضر جموع من أنصاره وأعدائه، فاقتُطم كفه من شدة تفكيره وهو لا يشعر.

وكانت أمُّ عمرو بن هند إلى جانب ابنها الملك تسمع البلاغة تتدفَّق على لسان الحارث، فقالت: «تالله ما رأيتُ كاليوم قطُّ رجلًا يُقول مثل هذا القول يُكلَّم من وراء سبعة ستور...».

فما زال الملك يقول: «ارفعوا سترًا وأدنوا الحارث»، حتى أقعده قريبًا منه على مجلسه، وحكم لبكر بن وائل على تغلب. وأمر الحارث ألَّا ينشد قصيدته إلا متوضئًا.

ولما انتقل الناطقون بالضاد من «حياة القبيلة» إلى «حياة الدولة»، كان للشعر العربيّ أثره الذي لا ينكر في كيان الدولة، وكانت مكانة الشاعر فيها سامية الذرى رفيعةَ الشأو، يغبطه عليها أكبر أعيان المملكة ثروة وأعظمهم جاهًا.

ثم أصيبت الأمة بكارثة هجوم الجنس المغولي من الشرق والجيش الصليبي من الغرب، وجاء دور الطوائف، واستعجمت الحكومات، فانحدر الشعر العربي إلى «طور آخر»، يصح أن يكون مرآة للمجتمع يومئذ بكل ما كان لذلك المجتمع من حسنات وسيئات.

وما برح كذلك حتى صار هذا الشرق العربي تحت تأثير المعارف الحديثة والضغط الأوروبي والرجوع إلى درس البلاغة القديمة والاقتباس من الأدب الغربي، فنبغ فينا إسماعيل صبري، وأحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، وخليل مطران، والأمير شكيب أرسلان، ومصطفى صادق الرافعي، وسليمان البستاني، وكان للشعر بهم، وبسائر فحول هذه الطبقة «طورٌ جديد» دعوناه الشعر العصري، وفي ظني أن هذا الدور يبتدئ في أوائل الربع الأخير من القرن

التاسع عشر، وينتهي في أواخر الربع الأول من القرن العشرين. ويخيَّل إليَّ أننا الآن في فجر «الطور المنتظر» للشعر العربي من الوجهة القومية التي هي موضوع هذا المقال.

وقد بشَّر شاعرنا الأكبر شوقي بك بهذه الوجهة القومية الجديدة للشعر العربي في طوره المقبل، وذلك يوم أرسل من دار (المجمع العلمي العربي) بدمشق إلى جميع أنحاء العالم فريدته الدمشقية العصماء في هذا الوصف، وختمها بقوله:

والشعر ما لم يكن ذكرى وعاطفةً ... أو حكمةً، فهو تقطيع وأوزانُ

ونحن في الشرق والفصحى بنو رحمٍ ... ونحن في الجُرح والآلام إخوانُ

فإذا كان شعر العاطفة والوجدان يستمدّ نغماته من إلهام المحاسن في الطبيعة الواسعة، فإن الشعر القومي يستمدّ نبراته من مصادر فسيحة المدَى أشرتُ إليها في صدر هذا المقال، وهي إلهام التاريخ، وإلهام المصير، وبينهما آلام المجتمع الحاضر وآماله، وروح العصر التي ليس في استطاعة حيّ أن ينسلخ عنها، ومرجعُ هذه المصادر الثلاثة إلى المعنى الاجتماعي للقومية السائد في عصرنا الحاضر، فإذا كان الحارث بن حلّزة معدودًا من شعراء القبيلة؛ فذلك لأن حياة العرب في عصره كانت «حياة قبيلة»، وإذا كان جرير، والفرزدق، وأبو تمام، والبحتري، وأبو نواس، معدودين من شعراء الدولة؛ فذلك لأن الحياة الاجتماعية في زمانهم كانت «حياة الدولة».

أما نحن اليوم فإننا نعيش في عصر يسود فيه معنى «حياة الأمة»، والأمة في العرف العامّ ليس لحياتها حدّ، فإذا أرسل الشاعر نظرته البعيدة؛ ليرى أمته تراءت له مواكب الأجيال الماضية، والأنسال الآتية، منضويةً كلها تحت لواء شعره، مصغية إليه، قريرة العين بإحسانه، ممتعضة من هفواته وغلطاته، فيعتزّ بمفاخرها، ويشيد بذكر من نبغ فيها من أبطال وعلماء وعظماء، داعيًا آخرها إلى

إكمال ما بدأ به أوّلها وتلافي ما فاته، وعنده أن كل ما خلَّفه الماضي للحاضر، وما سيخلفه الحاضر للآتي، من بلاغة وحكمة وابتكار، هو من ثروة الأمة التي لا ينضب ينبوعها ولا تفنى مادتها.

هكذا يفهم جيراننا أدباء الترك اليوم معنى «الأمة»، ولمثل هذا المطمح يُعدّون شعرهم القومي، فإذا قالوا «ترك» فإنهم لا يخنقون هذه اللفظة في مدلولها المحدود بحدود الأنضول؛ بل يُوسعون لها المجالَ إلى بخارى، وسمرقند، وما وراء ذلك من فيافي شاسعة وجبال متسلسلة، غير مبالين بما بين هذه الأقطار من تفاوت في المرتبة الاجتماعية، ولا بما يفصلها على الخريطة من خطوط وألوان، وإذا قال التركي «قومي»، فإنه لا يريد من هذه الكلمة المعنى الصغير الذي عناهُ قريط العنبري يوم قال:

لكن «قومي» وإن كانوا ذوي عددٍ ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

ولا معنى النسب الذي يفهمه قارئ «التوراة» إذا أتى فيها على ذكر الأمم، فإنَّ الأنساب بوجه عام لا يقوم عليها بنيان القوميات في الحضارة، ولو كان الأمر كذلك لنفض رجال تركيا أيديهم من ذكر القومية والاعتماد عليها؛ لأن الأنضول وهو عمادهم في ذلك إنما يرجع بأنسابه وتكوين سحنة سكانة إلى الإغريقية والأرمنية والكردية.

فالشاعر التركي في كل ما يرمي إليه من مطمحٍ قومي يقول مع شاعرنا «كفى جامعًا هذا اللسان»[1]، ولا يعبأ بالقوميات التي كانت في الأنضول قبل أن يتخذ الأنضول اللغة التركية لغةً له.

---

(١) بل كفى بالإسلام جامعًا للأمة. وتُراجع المقدمة لمعرفة الظروف التي كتب فيها الأستاذ محب الدين الخطيب مثل هذا المقال، ومعرفة رأيه في الإسلام والعروبة (س).

والقوم على صواب في ذلك؛ لأن أمم الغرب نفسها ترجع إلى جامعة اللسان دون جامعة الأنساب، وتعدّ الأديب الكبير «أميل زولا» من مفاخر فرنسا، وإن كان اسمه يدل على رجوع أصله القريب إلى إيطاليا.

ومسألة أخرى ذات أهمية كبرى في تعيين المطمح القومي سنكون منها عما قريب تُجاه أمر واقع، وهي أن الدنيا تتطوّر الآن تطوُّرًا سياسيًا ينطوي تحته معنى قومي: ففي أوروبا فكرة اتحاد لاتيني يقابله اتحاد آخر لا يبعد أن يكون فيه الإنكليز والجرمان معًا، وفي أقصى الشرق فكرة الاتحاد الأصفر، وستتحقق إذا خففت اليابان قليلًا من مطامعها.

وثَمة فكرة الاتحاد الحِلفي في الشرق الأوسط الأعجمي، وعماده تركيا وفارس والأفغان، وتلتحق به حكومات القفقاس متى سنحت الفرصة، وإن ذوي الشأن في أنقرة وطهران وكابُل تكاد تختمر هذه الفكرة عندهم، ومن ورائهم كثيرون من رجال العمل يسعون لتحقيقها، وما ذلك ببعيد في الزمن الذي نعيش فيه. وهذا الاتحاد العظيم -وهو قومي أكثر مما هو دَوْلي- لا يمكن أن يَنظر بعين الحرمة إلى الشعوب الناطقة بالضاد في غرب آسيا وشمال إفريقية، إلا إذا بدأت تفهم معنى القومية على النحو الذي يفهمه الترك ولفيفهم، وأوروبا وجموعها، ولا ينتظر أن ينهض بهذه المهمة العظمى عندنا إلَّا الشعراء: لبعد نظرهم، وعلو هممهم، ولأنهم حُداة الموكب، ومن أفواههم ينبعث صوت القيادة في الساعات العصيبة.

ونحن إذا رأينا من أفن الرأي انسلاخ الترك عن الجامعة الإسلامية وتقطيعهم أواصر كانت تجمع بين شعوب هذا الشرق الضعيف، فإننا نحمد لهم ما يعملونه لحياطة قوميتهم من عوامل الانحلال، وتلقيحها بعناصر القوة المستمدَّة من إلهام التاريخ وحاجة العصر وأمل المصير.

ولا يفوتني وأنا أتكلم على الشعر من الوجهة القومية أن أعزوَ الأعمال إلى أهلها، فإن هذا المعنى العامَّ الذي صار الترك يفهمونه من لفظ «الأمة» إنما هو من عمل شاعر التورانية الأعظم محمد أمين بك، في نشيدته الكبرى التي عنوانها: «أيها الترك انتبهوا!»[1]، وفي ديوانه الحافل «زمّارة الترك»[2]، وفي مجموعته الأولى «الأشعار التركية»[3]، ومجموعته الثانية «في قرى الأنضول»، وهو أيضًا من عمل يوسف اقجورا في كتاب «جنكيز»، وأحمد آغايف في كتاب «العالَم التركي»، وكوك آلب في كتاب «التفاحة الحمراء»، وخالدة أديب في كتاب «توران الجديدة»، وفؤاد كويربلي في «دعاء التركي». فهؤلاء هم الذين أنشأوا ناشئة تفهم أن الأمة التركية غير محصورة في داخل الأنضول؛ بل هي تمتد من أقصى الشرق في روسيا إلى أقصى الغرب في تركيا، فنشأت على ذلك الطبقة الجديدة من الشعراء وحملة الأقلام.

وإذا كان الترك مضطرين إلى الاعتزاز بأمثال قره خان، وأوغوز، وآتيلا، وجنكيز، وتيمورلنك، وياووز؛ فإن للشاعر العربي في تاريخه القريب والبعيد مفاخر يفنى الدهر ولا تفنى أناشيدها وأغانيها.

محب الدين الخطيب

---

(١) أي: تورك أويان: شركة المطبعة الخيرية بالقسطنطينية، ١٣٣٠ .

(٢) تورك سازي: شركة المطبعة الخيرية، ١٣٣٠ .

(٣) طبعت مرارًا.

العربية والإنكليزية

قال القس س. م. زويمر في كتابه «جزيرة العرب مهد الإسلام»:

«يوجد لسانان لهما النصيب الأوفر في ميدان الاستعمار المادي، ومجال الدعوة إلى الله، وهما: الانكليزي والعربي. وهما الآن في مسابقة وعناد لا نهاية لهما لفتح القارة السوداء مستودع النفوذ والمال، يريد كلٌّ منهما أن يلتهم الآخر، وهما المعضدان للقوتين المتنافستين في طلب السيادة على العالم البشري. أعني النصرانية والإسلام».

أسنان الذهب عند العرب

روى السيوطي في طبقات النحاة أن مُعاذ بن مسلم الهراء كان يشد أسنانه بالذهب من طول ما عمّر. ويظن بعضهم أنه أول من وضع علم التصريف.

ولد أيام عبد الملك بن مروان، وتوفي سنة ١٨٧، ومات أولاده وأولاد أولاده وهو باق، حتى قال فيه أبو السريّ سهل بن أبي غالب الخزرجي الشاعر من قصيدة:

إن مُعاذ بن مسلم رجلٌ ليس لميقات عمره أمَدُ
قد شاب رأس الزمان واكتهل الدّ هر، وأثواب عمره جددُ
يا نَسر لقمان كم تعيش وكم تأكلُ طول الزمان يا لُبَدُ!

النقود الإسلامية في شمال أوربا

قال الأستاذ محمود بك سالم في خطبة له كان ألقاها يوم ١٩ المحرم عام ١٣٢٣هـ في الجمعية الجغرافية الخديوية: روى الدكتور جورج ياكوب أنهم وجدوا عام ١٨٣٦ نقودًا إسلامية في جهة (ميودال) من أعمال (ميرار) في جزيرة (اسلاندة)، بل وفي (غروينلاندة) على مقربة من القطب الشمالي. ولكن لم يظهر حتى الآن كيف نُقلت تلك النقود الإسلامية إلى المنطقة الجليدية.

ووُجدت كنوز عديدة من النقود الإسلامية في كثير من الأقطار الأوروبية الشمالية، وخاصة في روسيا، وألمانيا، والسويد. وقد أحصى الأستاذ (تونبرغ) عام ١٨٥٧ المحلات التي أخرجت منها النقود العربية في بلاد السويد وحدها فبلغ عددها ١٦٩ موضعًا.

وأحصى الدكتور (هانس هيلد براند) عام ١٨٧٣ قطع النقود الفضية العربية التي عُثر عليها في جزيرة غوتلاندة وحدها على صغرها فأربى ما أحصاه على ١٣ ألف قطعة.

«ووجدوا نقودًا بلغارية وألمانية ونورمندية وانكليزية سكسونية موشاة بخطوط كوفية جميلة».

قتل الأفراد وقتل الأمم

قتل امرئ في غابة جريمة لا تغتفرْ
وقتلُ شعبٍ آمنٍ مسألة فيها نظرْ!

والحق للقوة لا يُعطاه إلا من ظفرْ
ذي حالة الدنيا فكن من شرها على حذرْ

أديب إسحاق

الزكاة الشرعية دواء الاشتراكية

مهما ارتقى نوع الإنسان وتوفرت لدى آحاده وسائل السعادة والهناء، لابد أن يبقى بعض أولئك الآحاد مقصرين عن بقية إخوانهم في تحصيل أسباب الهناء ومقومات السعادة، ومهما اهتم العقلاء والمصلحون في التسوية بين أفراد النوع في ذلك، كان اهتمامهم عبثًا؛ لأن في هذه التسوية مقاومة لطبيعة الكائنات التي فطرها الخالق تعالى على التباين. ولكن إذا كان من سنن اللّه وحكمته أن يبقى أفراد من البشر غير مساوين للآخرين في الحظوظ ووسائل السعادة، وفي الثروة والنشب - فليس معنى هذا أن يُنبذ أولئك الأفراد، ويُغضى عنهم، ويُترك السعي في تخفيف بؤسهم وجلب الخير إليهم، وإلا كنا كذاك الذي كان يُسرح سائمته السمينة في الأرض الممرعة ذات الماء والكلأ، ويطرد الأخرى العجفاء إلى القفر حيث لا ماء ولا شجر، ويعتذر عن فعلته هذه بأنه لا يُسعد ما أشقى الله، ولا يشقي ما أسعد الله!

هذه الطبقة البائسة من بني البشر هي موضوع عناية الله، وان معظم اهتمام الوحي والأنبياء وعقلاء البشر موجهة إليها، وربما كانت روح الدين أو الغرض الأصلي منه تعزية الفقير وتسليته عما فقده من حظوظ الدنيا، بما سيكون له في الآخرة، ولم تكتف الديانة الإسلامية بذلك، وبأن تقول للغني تمتع بغناك،

وللفقير اصبر على فقرك وبلواك، بل شرعت لهما من الأحكام، ما يأخذ بحجزهما عن النزاع والخصام، فهي قد أثبتت للأول حق الملكية وحق التصرف فيما يملك من دون مشارك أو منازع، ونهت الثاني أن يمد عينيه إلى ما في يدي الغني، وأن يتعرض له بالسؤال، وعلمته أن يترفع عن هذه الخطة، وأن يُكرم نفسه، ويستعمل ما آتاه اللَّه من المواهب والقوى في تحصيل ما يتوق إليه، من مائدة النعم الإلهية المبسوطة بين يديه، فإذا سعى أولئك البائسون وكدحوا ولم يوفقوا، هل نبقى على كلمتنا الأولى من أن الأول سيدٌ في غناه، والآخر عبدٌ لفقره وبلواه؟

هنا يتغير وجه المسألة، ولا يعود يكتفي الدين بذلك؛ بل يلزم الأغنياء أن يُشركوا الفقراء في أموالهم، وسمى تلك الشركة «زكاة»، وحدد أصولها ورسم خطتها بما لم يدع مجالًا لقائل.

فجعل للفقير -بعد أن يتحقق أنه مصرف للزكاة- حقًّا في قدر معين من مال الغني، وهو ربع العشرة، أي جزء واحد من أربعين جزءًا، فمن كان لديه أربعون ألفًا كان للفقراء منها في آخر السنة ألف واحدة. وجعل ذلك فرضًا عينيًّا على الغني لا هوادة فيه، ولا تدنو حيلة منه.

بهذه الألف يواسي الغني كلوم الفقير، ويقدع طمعه وتطلعه الذي هو منبعث الشرور والعدوان، وهذا القدر -كما ترى- زهيد، ومع هذا لم يدع الشرع حث الفقير على السعي والكسب، وألَّا يكون عالة على الغني؛ بل علّمه أن اليد العليا خير من اليد السفلى، ونبهه إلى أن الأخذ إنما يجوز له إذا كان بحيث لا يتمكن معه من السعي وتحصيل تكاليف معيشته، وأداء هذه الألف يحمل الغني على الجد والعمل، وترك البطالة والكسل، خشية أن تذهب الزكاة بماله رويدًا رويدًا، فهو يسعى في تثميره، حتى إذا أخرج منه ألفًا في السنة أضاف إليه آلافًا من باب الاكتساب وتقليب المال في صنوف المتاجر.

ففي إخراج هذه الألف دواء للحالة الاجتماعية - في إخراجها تهدئة قلب الفقير، فلا يعود يضطرب ويغلي فيه الحقد وحب الانتقام والعدوان، وتحريك ليد الغني فلا يميل إلى البطالة فالترف فالفسوق.

إذا قدرت الأموال التي يجب فيها الزكاة في مدينة من المدن الإسلامية بمليون جنيه، كانت زكاتها في السنة خمسًا وعشرين ألف جنيه، وهو جزء من أربعين جزءًا من رأس المال.

لا جرم أن إنفاق هذا المبلغ في كل سنة على فقراء تلك المدينة يُنفس كربهم، ويُرفه من حالهم.

وللفقهاء في هذا المقام قولٌ أنا لم أفهم مغزاه إلى الآن: قالوا إنه لا ينبغي أن يعطي المزكي للفقير من زكاة أمواله مقدار النصاب: فلا يعطيه خمسة جنيهات مثلًا دفعة واحدة؛ بل أقل منها، وذلك لئلا يصبح الفقير غنيًّا بهذا النصاب، ويصير ممن يجب عليهم إخراج الزكاة، فلا يكون المزكي جرّ إلى الفقير مغنمًا، وإنما حمّله مغرمًا، وهو إيجاب الزكاة عليه! ولقائل أن يقول: إن في إعطاء الفقير نصابًا وافيًا أو أنصباء -مساعدةٌ له في توفير رأس مال في يده، فهو إذ ذاك يضن به دون بذله في تافهات الأمور، ويحتفظ به، ويأخذ في تقليبه في الكسب والتجارة، وربما أصبح بسببه بعد حصة من الزمن ذا ثروة طائلة، ينتفع الفقراء بزكاتها كما انتفع هو بثروة غيره.

فريضة الزكاة من أفضل الفرائض التي شرعها الإسلام؛ لسلامة الاجتماع وحفظ الموازنة المادية والأدبية بين الآحاد.

وقد أهمل المسلمون أو معظمهم القيام بهذه الفريضة، فلم يعودوا يجنون ثمراتها المقصودة للشارع في تشريعها.

نعم، إن في المسلمين -والحمد لله- من يزكي، ولكن ليس لذلك من حسن الأثر في مجموع الأمة مثل ما يكون لو أخرج كل أهل مدينة زكاة أموالهم مسانهةً، وتحت نظام يتكافلون على الجري عليه والذود عنه، وإذا بحثنا عن الأسباب التي ربما كانت هي الحائلة بين المسلمين وبين اطّراد إخراج الزكاة وجني ثمراتها الاجتماعية، وجدناها لا تتعدى هذه الأمور:

١- ترك إخراجها إلى تقوى المرء، بحيث لا يكون له محاسب سوى نفسه، ولما انحطت الأمة في علمها ومجموع أخلاقها وشئونها الاجتماعية والسياسية - تبع ذلك إهمال للفريضة وتهاون في شأنها، فلم يعد يُخرجها إلا القليل ممن تشبع بروح الدين.

٢- وهؤلاء القلائل الذين يُخرجون الزكاة إنما يوزعونها مبالغ طفيفة حسب رأي الفقهاء، كما ذكرنا آنفًا، فلا يكون لها أثرٌ في تحسين حالة الفقراء الذين أُدّيت الزكاة إليهم.

٣- ثم إن مصارف الزكاة، أي: مستحقيها، اختلط حابلهم بنابلهم، فلم يعد يُعرف المستحق من غيره، وربما كان في هذا ما يُثبط عزائم المزكين عن إخراجها طيّبةً بها نفوسهم.

ولو أُلّف في كل بلدة إسلامية لجنة من أهل الدين والعفة والأمانة، بحيث تتوفر على الوساطة بين الأغنياء والفقراء، وتعد لذلك عدته من اتخاذ الأعوان والنقباء: للبحث عن المستحقين، وما مبلغ حاجة الواحد منهم؟ وأيهم الأكثر استحقاقًا وأشد عوزًا؟ ثم تتناول هذه اللجنة أموال الزكاة -التي قدرناها بخمس وعشرين ألف جنيه- من الأغنياء، وتصرفها بالوكالة عنهم إلى الفقراء؛ لو أُلفت تلك اللجنة لكان خيرًا للأغنياء والمعدمين معًا، ولظهر أثره الحسن في

المسلمين، بعد قليل من السنين. اللجنة أقدر على وضع الزكاة في مواضعها من الغني وحده، وإذا وثق الغني بتلك اللجنة ووكل إليها الأمر في زكاة ماله كل سنة؛ قلده غيره من إخوانه، وتسابقوا جميعًا في القيام بهذه الفريضة، وتمتع مجموعهم بفوائدها، وتخلص ضميرها من وخز إهمالها، والتفريط فيها، وتكون الفائدة أتم لو انبرى أفاضل علماء الدين وبحثوا عما إذا كان يجوز إنفاق أموال الزكاة في تعليم أولاد الفقراء والعلوم والصنائع، وإعطائهم رؤوس أموال يشتغلون بها، وبناء ملاجئ للزمنى، ومستشفيات للمرضى إلخ. وإذا جاز صرف مال الزكاة في تغذية أجسام أولئك البائسين، أفلا يجوز لنا صرفه في تغذية أرواحهم، وتهذيب نفوسهم؟

ومجمل القول أن قليلًا من مال الزكاة يُنفقه غني على فقير - لا ينفع الأمة النفع الاجتماعي المقصود للشارع من إيجاب هذه الفريضة، مثل ما ينفعها إذا كانت الأموال كثيرة تؤخذ بنظام وتُصرف بنظام، بواسطة لجنة إسلامية موثوق بها.

إذا اتسعت دائرة العمران في أمة إسلامية، وانفسخ فيها مجال الأعمال، وقامت الحرب بين العمال وأرباب الأموال -على نحو ما هو حاصل في أوروبا وأميركا لهذه الأزمنة-، ثم جعل أغنياء المسلمين وأرباب رؤوس المال يخرجون زكاة أموالهم حسب الفريضة الشرعية، وجعلوا يصرفونها على فقرائهم وعمالهم بواسطة جمعيات خيرية أنشئت لهذا الغرض، هل تحسب أن تقوم في مدينة هذا شأنها جمعيات اشتراكية أو أحزاب نهليستيه تعمل على العبث بالنظام، والكيد لحكومة البلاد، وإقلاق راحة العباد؟

إذا كان الغرض من المبادئ الاشتراكية أن نوفق بين الطبقة العالية والطبقات السفلى من الفقراء والعمال، وأن يكون لهؤلاء نصيب في الحظوظ التي ساقتها

التقادير إلى أولئك -؛ فروح الاشتراكية تكون موائمة لروح الدين، ويكون للاشتراكية من «الزكاة الإسلامية» دواء ناجع لدائها.

أما إذا كان الغرض من الاشتراكية معنى غير الذي قلناه(١)، فلتبحث لها عن دواء غير الذي ذكرناه، ولا نظنها تجده؛ بل لا نظنه موجودًا.

الشيخ عبد القادر المغربي

من شعر ابن رشيق رحمه الله

إذا أتى اللهُ يومَ الحشْرِ في ظُلَل ... وجيء بالأمم الماضين والرسلِ
وحاسبَ الخلقَ من أحصى بقدرته ... أنفاسَهم، وتوفاهم إلى أجلِ
ولم أجدْ في كتابي غيرَ سيّئة ... تسوؤني؛ عسى الإسلام يسلم لي
رجوت رحمة ربّي وهي واسعةٌ ... ورحمة اللّه أرجى لي من العملِ

❑ صحبة الناس ❑

من يصحب الناس مطويًّا على دَخَلٍ ... لا يصحَبوه، فخَلوا كل تدخيلِ
لا تستطيلوا على ضَعْفي بقُوّتكم ... إن البَعوضة قد تعدو على الفيلِ
وجانِبوا المَزْح إن الجِدَّ يتْبعه ... وربّ مُوْجِعة في إثر تقبيلِ

---

(١) بل لها معنىً آخر، ومفاسد كثيرة تُخالف الإسلام؛ كما بينه العلماء. انظر: رسالة «الأدلة على بطلان الاشتراكية»؛ للشيخ ابن عثيمين رحمه الله. (س).

حولَ المعجم العربيّ

بعض حاجاتنا العلمية - سلطان اللغة العربية - اللغة العربية وقاعدة التوحيد - تدوين اللغة - نشوء المعجم العربي - عيوب معاجمنا - المعجم الذي نحن في حاجة إليه.

❏ بعض حاجاتنا العلمية:

حقًّا إنها لحالةٌ محزنة!

أمةٌ ناهضة، تموج أنحاءُ المغرب من آسيا بشعوبها، وتتغنَّى ربوعُ الشمال من إفريقية ببيانها، ويرجع العالم الإسلامي في جميع الدنيا إلى مكتبتها وعلومها باحترام وإجلال، وهي لا تزال -مع ذلك- فقيرةً فيما لا غنى لأمة عنه:

مِن كتابٍ في التاريخ منقَّح محرَّر، يروي غلَّة الصادي من شباب هذه الشعوب العربية التي تعرف دخائل ذلك الماضي المليء بالبطولة والمروءة والإحسان والعرفان، والمتعثر بالغلطات والتراخي والتقاطع والنسيان، ويستعين به أفاضلنا على فهْم ما كان أجدادُنا متحلين به من سجايا نهضت بأعباء مجدهم، ثم ما طرأ على الأمة من أخلاقٍ وأمراض ودسائس وكوارث، أودت بنا إلى ما صرنا إليه مع عزو كل فقرة إلى مصدرها، وإرشاد المطالع إلى جميع المراجع التي تمكّنه من الاستقصاء في التوسع إذا شاء.

ومِن معجمٍ يحيط بتراجم رجالنا في العلم والعمران والسياسة والحرب والشعر والرواية والموسيقى[1] وغيرها، من أقدم الأزمان إلى الآن، على

(١) الموسيقى محرمة، لافائدة للأمة من الاعتناء بها وبرجالها. (س).

اختلاف بلدانهم ومذاهبهم ومشاربهم، بحيث يجمع هذا المعجم من أخبار رجالنا خلاصة ما في كتب التراجم والطبقات والوفيات وأسفار الجرح والتعديل، وما تبعثر في كتب التاريخ والأدب وغيرها، مخطوطة أو مطبوعة، حتى لا يكاد يخلو من هذا المعجم الحافلِ ذكرُ رجلٍ يرد اسمه في كتبنا العربية؛ هذا مع الإيجاز البليغ والتنقيح المنخول، والتنبيه في نهاية كل ترجمة إلى الكتب التي توسعت في ذكر هذا المترجم له ليرجع إليها من أراد البسط والتفصيل.

ويزداد هذا المعجم حُسنًا إذا كان له في آخره فهارس تُصنَّف فيها التراجم كلها بحسب العلوم التي اشتهر بها المترجم لهم: فتكون ثمة فهارس لطبقات الفقهاء والشعراء والأطباء والنحاة... إلخ، وأخرى بحسب البلدان كالمصريين والشاميين والعراقيين واليمانيين والمغاربة والأندلسيين.. إلخ، وثالثة باعتبار المذاهب كطبقات المعتزلة والشيعة.. إلخ، ورابعة بترتيب العصور لأعيان المائة الأولى والثانية والثالثة.. إلخ.

وحاجتنا ماسة أيضًا إلى معجم جغرافي يحيط بأسماء البلدان والأماكن والجبال والأنهار والبقاع والقصور والمساجد والمباني الأثرية، وغير ذلك مما يرد ذكره في دواوين الشعر وكتب الأدب وحوادث التاريخ وتراجم الرجال، بحيث يجمع ما ذكره ياقوت إلى ما أورده أبو عبيد البكري، ومن أتى قبلهما أو بعدهما من جغرافِيي العرب المحققين، وإكمال ذلك بما حدث بعد هؤلاء جميعًا في وطننا الأكبر من بلدان ومباني وآثار عمرانية، والإشارة إلى الأسماء القديمة التي بدأت بأسماء مستحدثة، مع الاستعانة بالمصوَّرات (الخرائط) الموضعية والعامة، التي تعين القارئ على فهم الوصف الجغرافي.

ونحتاج إلى معجم ثالث لجماعاتنا القومية والدينية: من قبائلَ ونِحلَ ومذاهبَ وبيوتٍ كبرى: ممن سجل لهم التاريخ آثارًا علمية أو سياسية أو

عمرانية، بحيث تنتظم في هذا المعجم كلُّ المعلومات المتفرقة في كتب الأنساب والتاريخ والتراجم عن هذه البيوت والجماعات، وجميع ما في كتب النِحَل والفِرَق من التحقيقات المنقحة عن هذه المذاهب، مع الحرص على اقتباسها من كتب أهلها بقدر الإمكان، والابتعاد عما يقوله أهل المذاهب المختلفة بعضُهم في بعض.

وما لم تتغلَّب العزائم والهمم -من أنصار العلم وأهل الاختصاص وذوي الحول والطول- على تذليل العقبات وتسهيل السبل لإظهار مثل هذه الكتب والمعاجم، وتقريب يوم انتشارها في أيدي الناشئة، فمن الصعب أن تكون لنا مَعْلمة (دائرة معارف) للعلوم العربية والمعارف الإسلامية يمكن الاعتماد عليها؛ لأن هذه الكتب -إذا كانت تامة الإحاطة ومُشارًا فيها إلى جميع المصادر والمراجع مع تعيين مواضعها -هي الأساس للمَعْلمَة، وهي الطليعة بين يديها.

ولو كان في شبابنا العددُ الكافي من المتطوّعين لخدمة العلم، المنقطعين للاشتغال به، الذين يُؤْثرون حياة الخلود على حياة الفناء؛ أو لو كانت لنا سجية التعاون والاشتراك في الأعمال التي لا يقوم بها الفرد وحده؛ أو لو كانت حكومات بلاد الناطقين بالضاد متشبعة بإدراك الواجب القومي، فتمد يد المعونة لمثل هذه الأعمال العظيمة كما تفعل حكومة الترك لهذا العهد؛ بل لو كان الأزهر -الذي يُنْفق عليه من أوقافه ما لا يقل عن مائتي ألف جنيه مصري في كل سنة- أعدّ نفسه لتكوين الدعائم الأساسية في المعارف العربية والإسلامية، لو كان هذا كله -أو شيء منه- موجودًا، إذن لكانت تكون حركة التأليف والنشر في العالَم العربي متمشية مع نهضة شعوبه، ولائقة بكرامته، وجديرة بممالكه الكثيرة، وسكانها الذين لا يُؤْتَون من قِلَّة.

وإذا كانت هذه المعاجم والكتب -بل و«المَعْلمة العربية الإسلامية» نفسها- معدوداتٍ من الضروريات لأمة ناهشة، فنحن في حاجة أمسّ، وفاقة أعظمَ، إلى ما هو أكثر استعمالًا، أعني «المعجم اللغوي» الذي لا تكون للأمة حياة علمية وأدبية إلا به، وهو ما أردتُ أن أتكلم عليه في هذا المقال بتوسع، مكتفيًا بالإشارة السريعة إلى مثل الكتب التي ذكرتها آنفًا.

وإن المجال في هذه الصفحات يضيق عن استعراض أسماء المعاجم العربية التي ألفها علماؤنا في اللغة من أيام الخليل بن أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ إلى اليوم، وعن بيان مزية كل معجم ونقائصه والغرض الذي أُلف لأجله والبيئة التي ألّف لها؛ فإن تاريخ المعاجم جدير بأن نفرد له مقالًا خاصًا به.

❑ **سلطان اللغة العربية:**

اللغة العربية فرع من اللغات السامية، وهي أخت اللغات التي كان يتكلم بها الكلديون والآثوريون في العراق، والسريانيون والفينيقيون والعبرانيون في الشام، والحبشة وراء الساحل الغربي من بحر القُلْزُم، ولها صلة عظيمة جدًّا بلغة قدماء المصريين. وكانت هذه اللغات في العصور الأولى متشابهة بحيث يُعتبرنَ كلهنَّ لهجاتٍ للغة واحدة، ولذلك استطاع سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يتنقل بين العراق والشام ومصر والحجاز وأن يتفاهم مع جميع سكان تلك الأقطار، إذا لم يكن يومئذ بين لغاتها من فرق إلا كما يوجد الآن بين لهجات العربية في المغرب ومصر والشام وسائر هذه البلاد.

ولا نستطيع القول بأن واحدة منهن هي الأصل وأن الأخرى فروع عنها؛ بل الراجح أن اللغة الأصلية -التي ترجع إليها كل هذه اللغات- ذابت فيهن، غير أن الحالة التي كانت عليها كل اللغات السامية قبل ظهور الإسلام تحملنا على القول بكل جزم وتأكيد أن العربية أرقاهن، ومعنى هذا أنها أعرقهن في القدم،

فلا يبعد أن تكون هي البنت البكر لأمها الساميّة الأولى. وأرى أن من معجزات سيدنا محمد ﷺ التي لم يذكرها في جملة معجزاته، أنه أعاد للبلاد السامية وحدتها القومية واللغوية بعد أن فرق بينها كرُّ الأزمان، وترامي الأوطان، فأصبحت اللغة العربية لغةَ الأمم الساميّة كلها كما كانت أمُّها اللغةُ الساميّة الأولى لغتهن قبل التشتت والانقسام، فحيثما ترى العربية راسخة الدعائم ثابتة الأصول يعضّ أبناؤها بالنواجذ على آدابها وبديع أسرارها، فاعلم أن ذلك عن إرث من اللغة الساميّة الأولى، انتقل إلى بنتها البكر لغة زهير بن أبي سُلمى، وأبي تمام الطائي، وأبي الطيب المتنبي، وحكيم المعرّة.

وقد انتشرت العربية في أواسط آسيا وجنوب أوربا حينًا من الدهر، غير أنها تراجعت عنهما بتراجع الجيوش العربية، ولم تثبت إلا حيثما كان لها من تراث أمها السامية أسس ودعائم.

فالوطن العربي الحاضر قائم على أساس صحيح من القومية، وله من الاستحالات اللغوية سلطان شرعي خالد. وإذا كانت المطامع الأوروبية قد قطعت كل آصرة سياسية بين أطار الوطن العربي الأكبر فإن البيان العربي سيمثل دوره العجيب، في المستقبل البعيد أو القريب، والليالي من الزمان حبالى...

❑ اللغة العربية وقاعدة التوحيد:

انبلج نور الإسلام في جزية العرب، واللغةُ العربية سائرة إلى غاية لا تلائم قاعدة التوحيد، التي هي روح الإسلام، فكان للإسلام أثره الاجتماعي البليغ في ردها عن طريقها ذاك، ومنْعِها من الاستمرار فيه، فكما كانت اللغة الساميَّة الأولى قد بلغت -قبل ألوف السنين- الطور الذي جعلها تتفرع إلى لهجات صارت فيما بعدُ لغاتٍ مختلفة، هكذا كانت العربية العدنانية -وهي بنتها البكر كما قلنا- تتحوَّل رويدًا رويدًا إلى لهجاتٍ يتباعد بعضها عن بعض حتى يكون مآلها الافتراق.

وفي الواقع كانت العربية عند ظهور دين التوحيد لغةَ قبائل: لرَبيعة في شمال جزيرة العرب لهجةٌ، ولتَميم وقيس ومن انضاف إليهم في وسط الجزيرة لهجةٌ، ولكِنانة وهُذَيل وثَقيف وخُزاعة أسَد وضَبَّة وألفافها من عرب الحجاز وتِهامة لهجةٌ، فضلًا عن لغة اليمانيين في جنوب الجزيرة، وكانت لهجة القبيلة الواحدة تفترق عن لهجة غيرها في مادة اللغة وفي كيفية النطق بها.

ولما جمع اللَّه العرب بالإسلام تحت لواء واحد، وائتلفت قبائلهم في السرّاء والضراء، واختلطت في السلم والحرب، في مواطنهم والبلاد التي فتحها اللَّه لهم؛ كان للاجتماع والائتلاف أثرهما على ألسنتهم، فخطا بالعرب خطوات في سبيل توحيد اللغة: فبعد أن كانت اللهجات المتعددة مظهرًا من مظاهر الفرقة والضعف القومي، تحوّلت فيما بعد إلى سبب من أسباب الاتساع الأدبي؛ لأن تعدد الأسماء عند القبائل المختلفة للمسمى الواحد دعا عند تباري علماء الإسلام في تدوين مادة اللغة في الدفاتر والمعاجم إلى ما نرى من غناء اللغة العربية بالمفردات وكثرة المترادفات، وما كان من اختلاف تلك القبائل في كيفية النطق -من إمالة وتفخيم وهمز ومد وقصر- أفاد وسيفيد أهل كل قطر عربي في معرفة القبائل التي نزلت ديارهم في صدر الإسلام، وقبل ذلك وبعده؛ لأن افتراق القبائل في مصر والشام والمغرب وسائر الأقطار قد ترك أثرًا من لهجة كل قبيلة على ألسنة أهل البلاد التي نزلتها، وما نراه اليوم من اختلاف لهجات المصريين والشاميين والعراقيين والمغاربة راجع إلى أسباب هذا من أهمها.

علم القراء مما تقدّم أن الإسلام كان ينزع إلى التوحيد حتى في غير العقائد، وأن من مظاهر ذلك ما كان له من التأثير في توحيد اللغة العربية، وقد روى عشرون من الصحابة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**أُنزل القرآن على سبعة أحرف**»، ونصَّ أبو عبيد على أن صحة هذا الحديث بلغت حدَّ التواتر لكثرة رواته.

وأخرج البخاري ومسلم، عن عبد اللَّه بن العباس بن عبد المطلب، أن النبي ﷺ قال: «**أقرأني جبريل على سبعة حرف، فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف**»[١].

وقد ذهب العلماء مذاهب في تفسير السبعة الأحرف، ومن مذاهبهم فيها أنها سبع لغات، كل حرف منها لقبيلة، ورويت عنهم نصوص في تعيين هذه القبائل، فقال بعضهم: خمس في هَوازن، واثنتان لسائر العرب، وقال آخرون: لغة قريش ولغة لليمن ولغة لجرْهُم ولغة لهوازن ولغة لقُضاعة ولغة لتميم ولغة لطَيّء.

وقال عبد اللَّه بن العباس: لغة الكعبَيْن، وهما كعب بن عمرو وكعب بن لُؤَيّ، ولبطونهما سبع لغات، ورأى آخرون أن السبعة الأحرف هي: الهمز، والإمالة، والفتح، والكسر، والتفخيم، والمد، والقصر، وهي أيضًا من لغات القبائل.

❑ تدوين اللغة:

كان للتوحيد اللغوي والاجتماعي في الإسلام نوعان من التأثير في لغة العرب: أحدهما داخلي، والثاني خارجي.

فتوحيد الأمة العربية نفسها جعل لغة قريش التي ظهر الإسلام فيها تحت تأثير لهجات من اختلطت قريشٌ بهم من سائر العرب، كما أنها هي نفسها قد كتب لها الغلبة عليهن؛ لأن اللَّه اختارها لكتابة وحكمة رسوله ﷺ، ولأن الدولة الإسلامية مدة الراشدين، وبني أمية وصدر من بني العباس، كان كبار رجالها وذوو التأثير فيها من قريش، وبني عمومتهم من مُضَر، فذهب ذلك بلغات القبائل الأخرى، ولم يبق منها إلا ما حفظه شعرها ومن اندمج في لغة قريش فصار منها.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢١٩) ومسلم (٨١٩). (س).

أما التأثير الخارجي فقد تجلَّى في اختلاط العرب بسائر الأمم، فنشر فيها لغة الضاد وأعاد إلى سلائل الأمم الساميّة وحدتهم اللغوية، غير أن اللغة العامية كانت قد انفرجت مسافةُ الخلف بينها وبين الفصحى، فكان ذلك مما حمل علماء القرن الثاني للهجرة وما بعده إلى جمع مادة اللغة العربية من أفواه عرب البادية وفصحائها شعرائها ممن لم يصل تأثير الأعاجم إلى بيئتهم ولم تَشُب ألسنتهم شائبة، وكان عملهم هذا من أعظم ما خدم به علماءُ أمةٍ قوميّتهم.

إنهم حفظوا مادة هذه اللغة، ذات الأسرار العجيبة والتكوين المعجز، ولو تأخروا في جمعها قرنًا واحدًا لكان ذلك الإهمال كارثة لا يقوى الزمان على تلافيها.

إذن؛ فلنذكرهم بالرحمة والرضوان، ولنوسع لهم من قلوبنا وصدورنا موضعَ حرمة وإجلال يتوارثه عنا أولادنا إلى الأبد.

❑ نشوء المعجم العربي:

لما انبَرى علماء السلف رحمهم اللَّه لجمع اللغة العربية وتدوينها سلكوا لذلك طريقين:

«أحدهما»: يُنتقل فيه من جانب اللفظ إلى المعنى.

«والآخر»: يُنتقَل فيه من جانب المعنى إلى اللفظ[١].

«فالأول منهما»: موضوع لمن شعر باللفظ، كمن سمع لفظ «الشَّفَق»، أو رآه في كتاب ولكن جهل معناه أو هيئة مبناه، وهذه الكتب مرتبة على حسب المباني (الألفاظ)؛ ليتيسر للطالب أن يجد الكلمة في الموضع لمعقود لذلك المبنى؛ ليقف فيه على المعنى، والمعاجم كلها من هذه الصنف.

---

(١) مقدمة «الكافي في اللغة» لأستاذنا الشيخ طاهر الجزائري (ص٣٣).

«والثاني» منهما: موضوع لمن شعر بالمعنى، كمن رأى «الشَّفَق» في السماء ولكن جهل اللفظ الدالَّ عليه، وهذه الكتب مرتبة على المعاني، ككتاب المخصّص لابن سيده.

والخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠-١٧٥هـ) أجزل اللّه له المثوبة أوّل من فكر في وضع المعجم للغة العربية[١]. وهو نابغةٌ عربي من مَفاخر الأزد، من بطن منهم اسمهم آل يَحْمَد.

«قال أبو الطيب اللغوي في كتابه «مراتب اللغويين»: «إن الخليل ألف كلام العرب على الحروف في «كتاب العين[٢]» فرتب أبوابه، وتُوفي من قبل أن يحشوه». والمفهوم من كتب التاريخ أن جماعة من العلماء من تلاميذ الخليل حَشَوْا كتاب العين وأكملوه، ووقع فيه خلل لتعدّد الأيدي التي تداولته؛ ولكن من المحقق أن الخليل هو راسم خطة المعجم وواضع بنائه، وكتاب العين هو المعجم الأول في العربية.

ولقد ترقى المعجم العربي بسنة النشوء، فاجتاز طرائق ثلاثًا:

«الطريقة الأولى»: طريقة الخليل في كتاب العين، وتابعه عليها كثيرون، منهم: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر (٢٨٢-٣٧٠) في معجمه «تهذيب

---

(١) وكذلك كان أول من استقصى أنواع الألحان في أغاني العرب وذم أصناف النغم فيها، ووضع في ذلك كتاب «الموسيقى»، فكان آية في الإبداع. وهو أول من استقصى شعر العرب فاستخرج منه أوزان الشعر في علم سماه «العروض» وله فيه كتاب «الفرش» وكتاب «المثال»، ومات وهو يفكر في اختراع طريقة لم يُسبق إليها في تسهيل عمل الحساب، وهو الذي بسط النحو ومد أطنابه، وسبب علله، وفتق معانيه، وأوضح الحجاج، حتى بلغ أقصى حدوده، فلقن سيبويه من دقائق نظره ونتائج فكره، وحمله عنه سيبويه فألف فيه «الكتاب».

(٢) كان جماعة من أهل الغيرة على العربية شرعوا في طبع مختصره لأبي بكر الزبيدي بمدينة بغداد قبيل الحرب العظمى، وهذا المختصر خير من أصله، ولكنهم انقطعوا عن مواصلة العمل.

اللغة»، ثم أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الضرير الأندلسي (٣٧٨-٤٥٨) في معجمه «المحكم».

وبيان هذه الطريقة أن الخليل كان يذكر الكلمة، وما ينشأ عنها بالقلب، فيذكر مثلًا مواد ضام وضمي ومضى وضمّ وأمض وأضم في موضع واحد، ويفرد كل نوع من الصحيح والمضاعف والمهموز والمعتلّ على حدة؛ ليمتاز كل نوع عن غيره.

والحكمة في ترتيب كتاب العين على ما تقدم: أن الكلمات التي تشترك في الحروف، وإن اختلفت في الترتيب، لابد أن يكون لها معنى مشترك بينها، هو جنس لأنواع موضوعاتها.

ويدخل في هذه الطريقة ما جرى عليه نابغةٌ آخر من نوابغ الأزد أيضًا -أي: من قوم الخليل بن أحمد- وهو أبو بكر محمد بن الحسن بن دُريد (٢٢١ - ٣٢٣) إمام العصر الثالث في اللغة والأدب والشعر، فإنه ألف معجمه «جمهرة الكلام[1]» وابتدأه بالثنائي أب ثم أت، ثم أث... إلى آخر الحروف. وانتقل بعد ذلك إلى بت، ثم بث، ثم بج... إلخ، وبعد الثنائي أتى على الثلاثي، ثم الرباعي، ثم ملحق الرباعي، وكذا الخماسي والسداسي وملحقاتهما، وجمع النوادر في باب مفرد، وصنع ما صنعه الخليل من ذكر الألفاظ الثلاثية مع مقلوبها.

«الطريقة الثانية»: طريقة العلامة إسماعيل بن نصر بن حمّاد الجوهري، (توفي في حدود الأربعمائة)، وقد نظر فيها إلى أواخر الكلمات المجرّدة لا إلى

---

(١) عنى بتصحيحها الأستاذ كرنكو Krenkow الانكليزي وعارضها بسبع نسخ، وتستعد مطبعة دائرة المعارف النظامية في حيدر آباد الدكن (الهند) لطبعها.

أوائلها، فابتدأ كتابه بالكلمات التي أواخرها همزة، ورتب هذه الكلمات التي أواخرها همزة بحسب أوائلها فقدم ما أوله همزة ثم الذي أوله باء... إلخ، وبعد أن انتهى من الكلمات التي أواخرها همزة انتقل إلى ما أواخره باء، فقدّم منه ما أوله همزة ثم ما أوله باء... إلخ، وتركَ طريقة الخليل في جمع الألفاظ ومقلوبها، ووضع المقلوب في بابه على طريقته.

ولا نعلم مزية لهذه الطريقة غير التسهيل على طالبي القوافي والأسجاع؛ لأن الكلمات تتسلسل فيه على حرف واحد في أواخر الكلم.

والجوهري أول من وضع هذه الطريقة الثانية، وهي مع كونها غير طبيعية، قد استحسنها الناس، وانتشر كتاب «الصحاح» فيهم لتركه الجمع بين الكلمة ومقلوبها كما تقدم، ولمزية أخرى امتاز بها، وهي اقتصاره على اللغات الصحيحة الفصيحة الثابتة بالرواية، فهو في اللغة كصحيح البخاري في الحديث.

وتابع الجوهريّ على طريقته الإمامُ رضيُّ الدين الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوي العمري الصغاني (٥٧٧-٦٥٠) في معجم «العُباب»، ولعل الذي حمله على ذلك أنه ألف «تكملة الصحاح» وهي أكبر حجمًا منه، فتابعه على ترتيبه في التكملة وفي العباب. ويمتاز العباب بأن الصغاني ذكر في آخر كل مادة منه ما يدل عليه تركيبها، من معنى عام تندرج تحته معاني مشتقاتها المختلفة، وينبه على الألفاظ المقلوبة.

ثم جرى على هذه الطريقة الإمام جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري الخزرجي (٦٣٠-٧١١) في معجمه العظيم «لسان العرب»، وقاضي القضاة مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الصدّيقي الفيروزآبادي (٧٢٩-٨١٧) في معجمه «القاموس المحيط».

«الطريقة الثالثة»: أن يُنظَر في الترتيب إلى أوائل حروف الكلمات المجرَّدة، ويراعى الحرف الثاني والثالث وما بعدهما، وهي أرقى الطرق في ترتيب موادّ المعاجم، وسماها أستاذنا الشيخ طاهر الجزائري في مقدّمة معجمه الكافي «طريقةَ الجمهور». وأول من جَرَى عليها فيما أعلم: الإمامُ أبو الحسين أحمد بن فارس (٣٢٩ - ٣٩٥[١]) في معجمه «المجمل»[٢]، ومعاصرُه الإمامُ أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (المتوفَّى سنة ٤٠١)، وكلاهما معاصر للجوهري، فكأن الطريقتين وُجدتا في المعاجم العربية في عصر واحد.

وقد سلك «طريقةَ الجمهور» كثيرون من مؤلفي المعاجم؛ كالراغب الأصفهاني (المتوفّي عام ٥٠٥) في كتابه «مفردات غريب القرآن»، وجار اللَّه الزمخشري (٤٦٧-٥٣٨) في معجمه «أساس البلاغة»، وأبو موسى محمد بن أبي بكر المديني الأصفهاني المتوفى سنة ٥٨١، في «الاستدراك على الغريبين»، ومجد الدين بن الأثير (٥٤٤-٦٠٦) في معجمه «النهاية»، والفيومي (٧٣٤) في «المصباح»، ومحمد طاهر بن علي الصدّيقي الفتَّني (٩١٤-٩٨٦) في «مجمع بحار الأنوار»، والبستاني في «محيط المحيط»، و«قطر المحيط»، والشرتوني في «أقرب الموارد».

❑ «الموازنة بين مزايا الطرائق الثلاث»:

إن الذين أطالوا النظر وردّدوه في دقائق أسرار اللغة العربية أدركوا شيئًا كثيرًا من ذلك في مختلف حالاتها: فمن هذه الأسرار اللطيفة أن الألفاظ المركبة من

---

(١) مؤلف كتاب «الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها» الذي نشرناه قبل ستة عشر عامًا، وفي صدره ترجمة مطولة للمؤلف.

(٢) طبع ربعه الأول في القاهرة، سنة ١٣٣٢ في ٣٢١ صفحة، وبلغ إلى آخره مادة (دلك).

حروف لا تختلف إلا بترتيب تركيبها، يجمعها في الغالب معنى عام مشترك بينها، وأن الرغبة في التماس هذا المعنى المشترك بين الألفاظ ومقلوبها هو الذي حمل العلامة الحكيم الخليل بن أحمد على إيثار الطريقة الأولى في تأليف المعجم العربي، غير أن صعوبة استعمال الناس لهذه الطريقة أدّى إلى إهمالها.

ومما ثبت عند علماء الاشتقاق أن التقارب في حروف أوائل الكلمات وأواخرها -نحو قَسمَ وقصَمَ- يدلّ على التقارب بين معانيها، وهذا متوفر في الطريقة الثانية التي اتبعها الجوهري ومَن تابعه.

ولكن التقارب الأعظم بين المعاني يكون في التقارب بين الكلمات في حرفيها الأوّلين -مثل بَتَرَ وبَتَكَ- وهو الغالب في اللغة العربية، وجاء في مقدمة «الكافي» للشيخ طاهر (ص٣٥): «وكأن القائلين بهذا القول يذهبون إلى أن الأصل في هذا الباب هو حرفان وضعا لمعنى، ثم زيد عليهما حرف آخر ليدلّ على معنى آخر يكون بمنزلة النوع للمعنى الأول، الذي هو بمنزلة الجنس لأنواع معاني الألفاظ التي نشأت عنه بالزيادة».

وما دام الاستقصاء قد دلّ على أن التقارب الأعظم في المعاني تابع للتقارب في الحرفين الأولين، فالأفضلية ثابتة للطريقة الثالثة التي هي طريقة الجمهور، زد على ذلك أنها الأسهل استعمالًا عند القراء.

❑ عيوب معاجمنا:

كان أول ما حرصَ عليه علماء السَّلف عند تدوين المعاجم العربية في القرنين الثاني والثالث وما يليهما أن يصونوا جواهر هذه اللغة الشريفة من العبث والضياع: فكانت همتهم مصروفة إلى جمع متنها، وتصحيح رواية مفرداتها، وتحديد معانيها، وهم -مع كل ذلك- لم يُهملوا ملاحظة المزايا العلمية فيما اختاروه من طرائق الترتيب، كما أشرنا إلى ذلك آنفًا.

وقد محَّص الزمانُ طرائقهم فدَرستْ الطريقة الأولى منذ عصور لصعوبة استعمالها، وعاشت الطريقة الثانية مع الأسجاع والقوافي، وكتب اللهُ البقاءَ لطريقة الجمهور: فهي لا تزال في موضع الأنس والرضا من مؤلفي المعاجم العربية ومستعمليها.

والحقُّ أن علماء القرنين الثاني والثالث قد قاموا بما عليهم للغة القرآن من حقٍّ بجمعهم مادتها، كما قام من جاء بعدهم من العلماء بمهمة الاستقصاء والتبصر.

وكان يكون جانب الكماليات في تأليف معجمنا مستوفى على أتمّه لو لم تستعجم الدولة، وتنتقل من أيدي أبناء الشرف وسادة البيان إلى أيدي مماليك «لم يكن لهم ذلك العقل الذي راضَهُ الإسلام، والقلبُ الذي هذّبه الدين، بل جاءوا إلى الإسلام بخشونة الجهل، يحملون ألوية الظلم: لبسوا الإسلام على أبدانهم، ولم ينفذ شيء منه إلى وجدانهم»؛ كما قال الشيخ محمد عبده[١]، فوقف سير العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والكونية، وعمَّ الجمود كل ضرب من ضروب الحياة في الأمة، ولولا هذا لكان تقدُّمنا في استمرار، ولبقيت قيادةُ الحضارة في أيدينا، ولكُنا اليومَ من أوربا في مكان أوربا اليومَ منا، مع التفاوت المعلوم فيما بين حضارتنا الروحية ولينها، وحضارتهم المادّية وقسوتها.

إن ما نجده في معجمنا من مظاهر النقص إنما هو عَرَض من أعراض النقص العام في مجتمعنا الحاضر، ومن الواجب علينا، وقد بدأنا نفكّر في الإصلاح أن

---

(١) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية (ص١٢٢). قلت: وتُنظر رسالة «الشيخ محمد عبده وآراؤه في العقيدة الإسلامية، عرض ونقد»؛ للأستاذ حافظ الجعبري؛ لمعرفة حال الشيخ محمد عبده. (س).

ينصرف المشتغلون منّا باللغة إلى التفكير في أقوم الطرق لإصلاح معجمنا بحيث يسدّ حاجتنا العصرية من كل الوجوه.

وهنا ملاحظة لابد من إيرادها وهي أن الفوضى في الإصلاح شرٌّ من الجمود، فكما أن الإصلاح الإسلامي مطلوب للمسلمين بشرط أن يبقوا مسلمين حقًّا، فكذلك الإصلاح في المعجم العربي لا مناص منه بشرط أن يبقى عربيًّا حقًّا.

والعيب في معجمنا الحاضر آتٍ من جهتين أصليتين:

«الأولى»: من جهة ترتيب أجزاء المادة.

«والثانية»: افتقاره إلى الأسماء الجديدة للمسميات الجديدة.

فأما النقص الأول فسببه أن الجمود اعترض سبيل المعجم بعد زمان جمع مادة اللغة، فحال الجمود دون الخلاص من ذلك النقص، مع أن هذه الأمة نبغ فيها نوابغ كان لهم ذوق دقيق في تفهّم أسرار هذه اللغة العجيبة، واكتشاف ما بين ألفاظها ومعانيها من مناسبات لا يدركها إلّا الحكيم، بل قال العلامة الكبير أبو الفتح ابن جني في كتاب «الخصائص» قبل نحو ألف سنة: «إن وراء هذا ما اللطفُ فيه أظهر، والحكمةُ أعلى وأصنع، وذلك أنهم قد يُضيفون إلى اختيار الحروف تشبيه أصواتها بالأحداث المعبَّر عنها، وتقديم ما يضاهي أوّل الحدث، وتأخير ما يضاهي آخره؛ سوقًا للحروف على سمت المعني المقصود، والغرض المطلوب».

وإني على مثل اليقين من أنه لولا عارض الجمود الذي أبان الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده سببه السياسيَّ على ما نقلناه آنفًا؛ لبلغ المعجم العربي أوج الكمال منذ عصور كثيرة، ولَظَهر في مؤلفي المعاجم عندنا مَن اقتبس حكمة

العلّامة ابن جني في فهم فقه اللغة وأسرار العربية، وسار فيها شوطًا بعيدًا، وطبّق ذلك بالعمل في ترتيب مادة اللغة ترتيبًا تتجلّى فيه أسرار الاشتقاق الأكبر، ويكون مثابة لتاريخ المادة من موادّ اللغة، وكيف تسلسلت وجوه استعمالاتها وصِيَغ مشتقّاتها منذ كانت في دور الفطرة الأولى إلى أن بلغت عصر الحضارة.

انظر إلى دقة فهم ابن جني لهذا الضرب من فقه اللغة، فقد جاء بمادة (شَدَّ) مثالًا لذلك وقال: «فالشين لما فيها من التفشّي تشبه صوت أول انجذاب الحبل قبل استحكام العقد، ثم يليها إحكام الشدّ والجذب فيعبّر بالدال التي هي أقوى من الشين، لاسيما وهي مدغمة، فهي أقوى لصيغتها وأدلّ على المعنى الذي أريد بها. فأما الشدة في الأمر فإنها مستعارة من شدّ الحبل». أي: أن معنى «شدّ الحبل» أقدم عند ابن جني من معنى «الشدة في الأمر»، فذلك أصل وهذه مستعارة منه.

مثل هذه الملاحظات الدقيقة لم يجد مؤلفو المعاجم الأولى وقتًا للعمل بها في ترتيب مواد المعجم؛ لأنهم كانوا في شاغل عنها من جمع اللغة نفسها، وتحقيقها، وما قاموا به عمل أساسي، وما شُغلوا عنه عمل كمالي. وإذا قرأت كتاب «الجاسوس على القاموس» و«سر الليال في القلب والإبدال» للعلامة أحمد فارس الشدياق ترى أن ما يجب على من يتصدّى لتأليف المعجم أن يلاحظه في هذا الباب أوسع من أن يُشار إليه في مقال.

وأما نقص المعجم العربي من جهة الأسماء الجديدة للمسميات الجديدة فإن الخطب فيه أعظَم، وحاجتنا إلى التعاون على تلافيه أكبر، ولا يتسنى لنا هذا إلا بتوطين العزائم عليه، وتوجيه جميع القوى إليه، وإقناع حكومات الأقطار العربية بتشجيع المساعي له، ولا مناص لنا -مع ذلك- من سلوك الطريق الذي سلكته الأمم الأخرى، وهو الاصطلاح على ألَّا تدخل كلمة جديدة في المعجم إلا إذا

أقرها مجمع علمي مؤلف من كبار رجال الاختصاص في اللغة، وتكون له السلطة العليا في آدابها.

❑ المعجم الذي نحن في حاجة إليه:

إذا قلت «المعجم» فإنما أريد الكتاب الذي يرجع إليه الناس في تعرّف معاني مفردات اللغة: فيجدون فيه ضالّتهم بأصح وجه، وأقرب وقت، ويغنيهم عن التماسها في كتاب آخر.

إن المنقطعين للعلم -في كل عصر وفي كل أمة- حريصون على أن يستفيدوا من وقتهم إلى أقصى مدى، ومن حقّهم على من يؤلف في أي ضرب من ضروب العلم -ولاسيما معاجم اللغة والتراجم والبلدان- أن يحقق لهم هذه الأمنية المشروعة، فيتعب المؤلف مرّة ليستريحوا في كل مرة.

إذن؛ فالمعجم الأكبر يجب أن يمتاز بميزات ثلاث: الصحة، وسهولة المراجعة، والإحاطة.

أما «الصحة» فالضمان الوحيد لها أن يكون المتصدي لهذا العلم من الإخصائيين فيه الذين تفقّهوا بكتب علمائه، وتذوّقوا دقائق أسراره، وخبروا قواعد العلوم التي هي من لوازمه؛ وأن يحرص مع ذلك على نقل تفسير اللغة من أقوال العلماء بنصوصها التي كانوا يشدّون الرحال لتلقّيها من أهلها الأولين.

وأما «سهولة المراجعة» فتكون بالتزام المؤلف ترتيب مشتقات المادة الواحدة بطريقة علمية إذا عرفها المراجع وأراد أن يراجع معنى أحد المشتقات يستطيع أن يعرف موضعها بالتقريب إذا كان في أول مشتقات المادة أو في وسطها أو في آخرها. مثل أن يلتزم مؤلف المعجم وضع المجرّد قبل المزيد فيه، والحقيقة قبل المجاز، والكلمات التي هي من أوضاع الفطرة الأولى قبل الكلمات التي هي

من مستحدثات الحضارة، ومن المسلم به أن لغات البشر لم توجد كل مفرداتها في آن واحد؛ بل كانت في أقدم الأزمان بحالة أبسط ثم حدثت فيها أسماء جديدة لمسميات جديدة عصرًا بعد عصر.

وإذا تأمل ذو الذوق في هذا الأمر يرى بين بعض مشتقات المادة رابطة قريبة جدًّا، ويرى بين البعض الآخر من مشتقات المادة نفسها رابطة أبعد.

ومن المعقول أن الكلمتين المتقاربتين في رابطة المعنى قد اشتُقت إحداهما من الأخرى إما بلا واسطة أو بواسطة قريبة، فإصابة المحزّ وتطبيق المفصل في تأليف المعجم أن يجعل المؤلف الكلمات المتقاربة في المعنى متقاربة في الوضع، بحيث إذا نظر القارئ إلى مشتقات المادة مرتبة على هذا الترتيب تحدث عنده فكرة تدله -بقدر الإمكان- على تاريخ تلك المادة وتسلسل ألفاظها والروابط المعنوية فيما بينها، من أقدم صِيَغ تلك المادة إلى أحدثها.

وأما «الإحاطة» فلا مناص منها للمعجم الأكبر، وقد حاول العلّامة ابن مكرم الأنصاري في «لسان العرب»، والسيد مرتضى الزبيدي في «تاج العروس» فسدّا بذلك مسدًّا عظيمًا، غير أن المجال لا يزال متسعًا للاستمداد من المعاجم الأخرى من مخطوطة ومطبوعة، ومن الرسائل والكتب المؤلفة في اللغة لأبواب خاصة، وزيادةً في الاستقصاء والاستيفاء يجب أن يحوي المعجم الأكبر جميع الشواهد ليستغني الناس به عن غيره في كل ما يتعلق باللغة.

أما الأعلام التاريخية والجغرافية فأرى أن تجرّد من المعجم على كل حال، وسيّانِ بعد ذلك أن يُجمع ما يوجد منها في كتب اللغة ويوضع في آخر المعجم على حدة بشكل كتاب مستقل، أو أن هذا يُترك الأمر لمعجم التراجم الأكبر والمعجم الجغرافي المحيط اللذين أشرت إليهما في صدر هذا المقال.

ومن الواجب الآن الاقتصار في المعجم الأكبر على المواد التي احتوتها المعاجم القديمة حتى يكون هذا المعجم مرجعًا صحيحًا لأصل اللغة، ويكون الموردَ الصافي لعلماء اللغة وللمجمع اللغوي المنتظر متى شرعوا في وضع الأسماء الجديدة للمسميات الجديدة، وحينئذ يتسنَّى إضافة الجديد إلى القديم في معجم آخر غير هذا.

وقد بشرتنا دار الكتب المصرية في تقريرها الذي صدر أخيرًا (ص٢٢-٢٣) بأنها تفكر في طبع معجمي لسان العرب والفيروزآبادي اللذين جمعهما معًا المرحوم محمد النجاري بك وحولهما إلى طريقة الجمهور[1]، ولصديقي القاضي الفاضل الأستاذ الشيخ أحمد شاكر السعي في تحقيق هذا المشروع النافع.

وترى دار الكتب المصرية أن تعهد إلى لجنة من أهل الفضل بإكمال الجزء الأخير من هذا المعجم، وأن تكون بين يديها كتب اللغة الأخرى الموثوق بها، فما وجدته زائدًا عما في معجم النجاري بك وضعته في موضعه مع بيان المصادر المنقول عنها. وليس لي ما أقترحه عليها وعلى اللجنة التي ستعهد إليها بهذا العمل غير العناية بترتيب مشتقات كل مادة ترتيبًا علميًّا على نحو ما وصفتُ آنفًا، ثم إن المرحوم نجاري بك نقل الكلمات المزيد فيها من مواضعها في مادتها الرئيسية ووضعها في المكان الذي تقضي به حروف الزيادة. مثال ذلك أنه نقل

---

(١) أظن أنني أول من اطلع على هذا المعجم، فقد ندبتني لذلك جريدة «المؤيد» عقب وفاة مؤلفه المرحوم نجاري بك، فكتبت في وصفه مقالة نشرت في فاتحة أحد أعداد المؤيد. وكان نجاري بك قد أكمل تسعة عشر جزءًا من لسان العرب وما يقابلها من القاموس، وبقي الجزء الأخير من اللسان وما يُقابله من القاموس على حالهما.

كلمة «مفتاح» من مادة «ف ت ح» في حرف الفاء إلى حرف الميم، وأنا أعارض في ذلك كل المعارضة وأراه مشوّهًا لجمال هذه اللغة، وضاربًا بحجاب كثيف دون روابط الاشتقاق الموجودة فيما بين أجزاء المادة الواحدة، ونحن لا نتصوَّر أن بين الذين يراجعون معجمًا كبيرًا كهذا من يجهل مراجعة كلمة «مفتاح» في مادة «فتح».

المادة اللغوية أمّ وأجزاؤها أطفالها، وأن التفريق بينهما على هذا الوجه ينافي أصالة اللغة العربية، وتغدو به الكلمة -وهي كالغصن الغضّ في الشجرة الوارفة الظلال- كالحطبة التي تُقطع من الجذع وتلقى بعيدًا عنه، وهل هذا إلا انتقال من الحياة إلى الموت؟

إن المشروع لا يزال في دور التفكير والتكوين، وفي استطاعة اللجنة التي أشار إليها تقرير دار الكتب أن تعيد هذه الألفاظ المشرَّدة إلى مواطنها، ونرجو لدار الكتب بعد ذلك التوفيق من اللَّه سبحانه في تحقيق هذه الأمنية وإمتاع ناشئة الأمة بهذا المعجم الجزيل النفع.

محبُّ الدين الخطيب

ذات الأمثال لأبي العتاهية

قال أبو دُلف هاشم بن محمد الخزاعي: تذاكروا يومًا شعر أبي العتاهية بحضرة الجاحظ إلى أن جرى ذكر أرجوزته المزدوجة التي سماها «ذات الأمثال»، فأخذ بعض من حضر يُنشدها، حتى أتى إلى قوله:

يا للشباب المرح التصابي ... روائح الجنةِ في الشبابِ

فقال الجاحظ للمنشد: قف. ثم قال: انظروا إلى قوله: «روائح الجنة في الشباب» فإن له معنى كمعنى «الطرب»، لا يقدر أحد على معرفته إلا بالقلوب، وتعجز عن ترجمته الألسن، إلا بعد التطويل وإدامة التفكر، وخير المعاني ما كان القلب إلى قبوله أسرع من اللسان إلى وصفه، وهذه الأرجوزة من بدائع الشعر، يُقال إن فيها أربعة آلاف مثل، منها قوله:

حسبك مما تبتغيه القوت ... ما أكثر القوت لمن يموت
هي المقادير فلمني أو فذر ... إن كنتُ أخطأتُ فما أخطا القدَر
لكل ما يؤذي وإن قلّ ألم ... ما أطول الليل على من لم ينم
ما انتفع المرء بمثل عقله ... وخير ذُخر المرء حسن فعله
من جعل النّمام عينا هلكا ... مُبلغك الشر كباغيه لكا
إن الفساد ضده الصلاح ... ورب جد جَره المزاح
إن الشباب والفراغ والجِدَه ... مَفسدة للمرء أيُ مفسده
ما عيش من آفته بقاؤه ... نغّص عيشًا كله فناؤه
ما زالت الدنيا لنا دار أذى ... ممزوجة الصفو بألوان القذى
من لك بالمحض وليس محض ... يخبث بعضٌ ويطيب بعض
يا رُبَّ من أسخطنا بحمده ... قد سرنا اللّه بغير حمده
ما تطلع الشمس ولا تغيب ... إلا لأمر شأنه عجيب
لكل إنسان طبيعتان ... خيرٌ وشرٌ وهما ضدان
والخير والشر إذا ما عُدّا ... بينهما بون بعيدٌ جدا
إنك لو تستنشق الشحيحا ... وجدته أنتن شيء ريحا
كذا قضى اللّه فكيف أصنع ... والصمت إن ضاق الكلام أوسع

الساعات العربية- خزانة المنجانة

قال الحافظ أبو عبد اللّه التنسي في كتابه «نظم الدرر والعقيان في شرف بني زيان[١]» في معرض وصفه حفلات المولد النبوي في تلمسان أيام حكم صاحبها أبي حمو المعاصر لابن خلدون:

«وخزانة المنجانة ذات تماثيل لُجين محكمة الصنعة، بأعلاها أيكة تحمل طائرًا فرْخاه تحت جناحيه، ويختله فيها أرقمٌ خارج من كوة بجذر الأريكة صاعدًا. وبصدرها أبواب مرتجة بعدد ساعات الليل الزمانية، يصاقب طرفيها بابان كبيران، وفوق جميعها دُوَين رأس الخزانة قمر أكمل، يسير على خط الاستواء سير نظيره في الفلك، ويسامت أول كل ساعة بابها المرتج، فينقضّ من البابين الكبيرين عُقابان في يد كل واحد منهما صنجة صُفر يلقيها إلى طست من الصُفر مجوف بوسطه ثقب يفضي بها إلى داخل الخزانة، فيرن وينهش الأرقم أحد الفرخين فيصفّر له أبوه.

فهناك يُفتح باب الساعة الذاهبة وتبرز منه جارية محتزمة كأظرَف ما أنت راء، بيمناها إضبارة فيها اسم ساعتها منظومًا، ويسراها موضوعة على فيها كالمبايعة بالخلافة».

وقد مضى في صفحة ٨٩ من الجزء الأول من «الحديقة» وصف مثل هذه الساعة في دمشق.

---

(١) نفح الطيب (٤/ ١٩٣) طبع مصر سنة ١٣٠٢ .

المصائب

يجدر بنا -ونحن نلقي النظرة بعد النظرة على شئوننا العامة في حياتنا الاجتماعية- ألَّا يفوتنا الكلام على عامل كبير من عوامل إيقاظنا وإنهاضنا، وأعني به المصائب... فهي موضع سر اللَّه في تهذيب عباده وإعدادهم لكل خير، ومغزى حكمته في استكمال أسباب وقايتهم من كل ضير. وإن أمة لا تنفذ، مداركها إلى مطاوي حكمة اللَّه فيما يختصها به من مصائب الدهر وصروف الحدثان لهي أمة غرقى في نومها، سكرى بأوهامها وأحلامها.

المصائب عصا الأزلية، تسوق بها أبناء البشر إلى فراديس السعادة الأبدية. ومن خصائصها أنها تزداد ثخنًا وغلظًا بكثرة الاستعمال. فيالسعادة أمة تذعن للخفيف من ضربات تلك العصا فتكتفي بأولاها عن أخراها. وويل لأمة تفقد نعمة الإحساس، فلا تؤدّبها ضربات المصائب، ولا توقظها نكبات الدهر.

المصائب نتائج متحتمة، لذنوب متقدّمة، وما كان اللَّه ليصيب قومًا بمصيبة إلا بما قدمت أيديهم من أسبابها، فإذا انتبهوا بعدها إلى سوء سلوكهم؛ فأصلحوا من شأنهم وصاروا أمة صدق وحزم وشجاعة وتعاون وإنصاف، تكن المصيبة حينئذ سبب شفائهم من أمراضهم الأخلاقية، وعلاجًا لأدوائهم الاجتماعية، وإن كأس المصيبة وكأس العلاج صنوان متشابهان: كلاهما مرّ المذاق، وكلاهما مفيد إذا جاء على شرطه، والمصاب أخو المريض في آلامه وفي دواعي السلامة منها.

أنا لا أخشى سرعة وقوع المصيبة التي نحوك مقدماتها، فهي واقعة على كل حال، وخير لنا أن يؤدبنا اللَّه بها قبل حين عسى أن ينفعنا التأديب، فنثوب إلى

رشدنا، ونعدل إلى جادة الصواب في حياتنا، فنكون أمة جديرة بسعادة السعداء، وقوة الأقوياء، وعزة الأعزاء، أما بقاؤنا على عيوبنا واستمرارنا في طرق غينا فذلك ما أخافه علينا، وحبذا المصيبة تأتي على أثره، فتوقظنا من غفلتنا، وتأخذ بأيدينا إلى طريق الرجولية الصحيحة.

أهلًا بالمصيبة تزلزل بنا مراقدنا، فتنبهنا من سُبات أزعجنا كابوسه، وأثقل رؤوسنا بخار خموله وكسله وانحلاله.

أهلًا بالمصيبة توحّد كلمتنا، وتستلّ سخائم نفوسنا، وتجعلنا أعوانًا للحق على أنفسنا، مسرعين إلى أداء الواجب في ساعة الحاجة إلى أدائه.

أهلًا بالمصيبة تُصلينا بنارها، فتُطهر جوهر حديدنا من هذا الصدأ المتراكم عليه، فنكون حينئذ صالحين لأن يُصنع منا ذلك الصارم المحمود عمله في يوم الشدائد...

أيتها المصائب!

إن أمتي صندوق مواهب الخير، وإن بلادي خزانة ثروة الطبيعة، وأنتِ أيتها المصائب مفتاح الصندوق وهذه الخزانة، وكنا قد أضعناه من بضعة قرون فوجدناه بكِ الآن، فمرحبًا بمفتاح الخير لهذه الأمة وبلادها.

أيتها المصائب!

إن أمتي أجهدت نفسها في إيقاد مصابيح المدنية بين البشر، أيام كان البشر غارقًا في دياجير الجهالة، ثم تعبت من عملها هذا فنامت، وكان نومها طويلًا... أما الآن فإني أرى النائمة تتحرك في سريرها، وقد أخذت تستيقظ على صوت نفير المصائب، فمن ذا الذي يكره المصيبة إذا كانت من عوامل اليقظة والانتباه؟

أيتها المصائب!

إن الزمان قد استدار، ونحن الآن في إبان الانتقال من طور إلى طور؛ لنعود -كما كنا- أمة عاملة صالحة تعرف واجبها نحو الإنسانية فتؤدّيه في حينه، وتعرف حقها في هذه الحياة فتطلبه من كل وجوهه. وقد كان لوخزاتك المؤلمة أيتها المصائب فضل كبير علينا في إخراجنا من طور الراحة المميتة إلى طور العمل المفيد، لذلك أنا أمجّدك أيتها المصائب، وأعدّك من أكبر عوامل نهوضنا، وأقول كما كان أسلافنا يقولون: «جزى اللّه المصائب كل خير».

محب الدين الخطيب

الأصحاب

كان الأصمعي يستحسن قول أبي العتاهية:

أنت ما استغنيت عن صاحبك الدهرَ أخوه
فإذا احتجت إليه ساعةً مجَّكَ فوه

كتاب الآداب لابن المعتز

عني الأستاذ أغناطيوس كراتشقوفسكي -عضو مجمع العلوم الروسي- بتحقيق وتصحيح كتاب الآداب لأمير المؤمنين عبد اللّه بن المعتز العباسي، معتمدًا على نسخة المتحف البريطاني، وقد نشر الأستاذ أخيرًا كتاب ابن المعتز في مجلة العالم الشرقي Le Monde Oriental، وهو مجموعة حكم بليغة:

بعضها من قول ابن المعتز، وبعضها من نوادر كلام أمير المؤمنين علي ﵁، وأمثال المتقدمين، وقد اخترنا منها الحكم الآتية:

- الأدبُ صورة العقل؛ فحسّن عقلك كيف شئت.

- إعادة الاعتذار تذكير بالذنب.

- العقل غريزة تربّيها التجارِب.

- العلماء غرباء لكثرة الجهّال بينهم.

- النفس أدنى عدوّ.

- النيّة أساس العمل.

- النصحُ بين الملإِ تقريع.

- إذا تَمَّ العقل نقص الكلام.

- أقم الرغبة إليك مقام الحرمة بك.

- عظم نفسك عن التعظيم، وتَطوَّل ولا تُطاول.

- الأملُ رفيقٌ مؤنس: إن لم يُبلغك فقد استمتعتَ به.

- لا يقوم عزّ الغضب بذُلّ الاعتذار.

- نفاق المرء من ذُلّه.

- عقوبة الحاسد من نفسه.

- نعمة الجاهل كروضة على مزبلة.

- أنس الأمن يُذهب وحشة الواحد، ووحشة الخوف تذهب أنس الجماعة.

- لا تُنكح خاطبَ سرك.

- من أحبَّ البقاء فليعدّ للمصائب قلبًا صبورًا.

- علامة الكذاب جُوده باليمين لغير مستحلِف.

- من زاد أدبه على عقله كان كالراعي الضعيف مع غنم كثيرة.

- افرح بما لم تنطق به من الخطأ مثل فرحك بما لم تسكت عنه من الصواب.

- إذا علمتَ فلا تفكر في كثرة من دونك من الجهال؛ ولكن اذكر مَن فوقك من العلماء.

- المرض حبس البدن، والهمُّ حبس الروح.

- إذا هرب الزاهد من الناس فاطلبه، وإذا طلبهم فاهرب منه.

- البِشر دالٌّ على السخاء، كما يدلُّ النُّوْر على الثمر.

- مَنْ تملّقك فقد استغرَّ فطنتك.

- النمام جسر الشر.

- من لم يضنّ بالمودة كثر غفرانه للذنوب.

- لا تشِنْ وجه العفو بالتقريع.

- الجزع أتعب من الصبر.

- إنما أهل الدنيا كصور في صحيفة: كلما نُشر بعضها طُوى بعضها.

- العاقل لا يَدَعُهُ ما سَتر اللّه من عيوبه يفرح بما أظهر من محاسنه.

- أن تُذَمَّ بالعطاء خير من أن تُذَمَّ بالمنع.

- مَنْ لم يتعرَّض للنوائب تعرَّضتْ له.

- إذا رأيتَ المحسود عليه علمت أن الحاسد كان يحسد على غير شيء.

- الأعمال المفترضة تذكرة للعبد بربه، لئلا يغلب نسيانُه عليه.

- اجتنب مصادقة الكذّاب، فإن اضطُررت إليه فلا تصدّقه، ولا تُعلمه أنك تُكذبه فينتقل عن ودّه ولا ينتقل عن طبعه.

- مبالغة الظالم في العقوبة تقرّبه من حكم اللّه عليه.

- العجز نائم والحزم يقظان.

- قبر العاقّ خير منه.

- من تجرّأ لك تجرّأ عليك.

- لا ينبغي للعاقل أن يطلب طاعةَ غيره، وطاعةُ نفسه عليه ممتنعة.

- الحسد والنفاق والكذب أثافيّ الذلّ.

- العقل بلا أدب كالشجرة العاقر.

- عبد الشهوة أذلُّ من عبد الرقّ.

- لا تستبطئ الدعاء بالإجابة، وقد سدَدْتَ طريقه بالذنوب.

- الناس نفسان: واجد لا يكتفي، وطالب لا يجد.

- كلما كثر خُزّان الأسرار ازدادت ضياعًا.

- ما أدري أيُّما أمرُّ: موت الغني أو حياة الفقير.

- لله في السراء نعمة التفضّل، وفي الضّراء نعمة التطهير.

- لا تكاد تصحُّ لكذّاب رؤيا؛ لأنه يخبر عن نفسه في اليقظة بما لم يرَ، فتُريه في النوم ما لا يكون.

- بشّر مال البخيل بحادث أو وراث.

- الحازم من لم يشغله البطر بالنعمة عن العمل للعاقبة، والهمُّ بالحادثة عن الحيلة لدفعها.

- بالمكارهِ تظهر حيل العقول.

- العالم يعرف الجاهل؛ لأنه قد كان جاهلًا، والجاهل لا يعرف العالم؛ لأنه لم يكن عالمًا.

- حسبُك من عدوّك ذله في قدرتك.

- إخوان السوء كشجرة النار يُحرق بعضها بعضًا.

- كفى بالظَّفَر شفيعًا للمذنب إلى الحليم.

- من ترفَّع بعلمه وضعه اللَّه بعمله.

- الساعي كاذب لمن سعى إليه، أو خائن لمن سعى عليه.

- البلاغةُ بلوغ المعنى، ولم يَطُلْ سَفَرُ الكلام.

- أوهنُ الأعداء كيدًا أظهرهم لعداوته.

- حُسن الصورة الجمال الظاهر، وحسن العقل الجمال الباطن.

- من مدحك بما ليس فيك، فحقيقٌ أن يذمك بما ليس فيك.

- أبقِ لرضاك من غضبك.

- إذا طرتَ فقعْ قريبًا.

- قلوب العقلاء حصون الأسرار.

- دار الوفاء لا تخلو من كريم، ولا يستقرّ فيها لئيم.

- النفس المنفردة أن تطلب الرغائب وحدها تهلك.

- مَنْ قرأ سطرًا قد ضُرب عليه من كتاب فقد خان؛ لأن الخط يحرم منه ما تحته.

- إن لم تدرَك الحاجة بالرفق والدوام فبأي شيء تدرَك.

- إذا قدُمتْ الحرمة تشبَّهت بالقرابة.

- لا تسرع إلى أرفع موضع في المجلس، فالموضع الذي ترفع إليه خير من الموضع الذي تنحطُّ منه.

- اشتغل بشكر النعمة من البطر بها.

- من تكلَّف ما لا يعنيه فاته ما يَعنيه.

- إذا قوي العقل كثر يقينه، وإذا ضعف كثر شكُّه.

- السامع للغِيبة أحد المغتابين.

- المسئول حرٌّ حتى يَعِد، ومسترَقٌّ بالوعد حتى ينجز.

- المصائب مفاتيح الأجر.

- لو تميَّزت الأشياء كان الكذبُ مع الجبن، والصدق مع الشجاعة، والتعب مع الطمع، والراحة مع اليأس، والحرمان مع الحرص، والذلُّ مع الدَّين.

- المعروفُ غُلٌّ لا يفكُّه عنك إلا شكر أو مكافأة.

- لا تذكر الميت بسوء فتكون الأرض عليه أكتمَ.

- لم يكتسب مالًا من لا يصلحه.

- كثرة مال الميت يعزي ورثته عنه.

- مَن كرمت عليه نفسه هان عليه ماله.

- رأس السخاء أداء الأمانة.

- من كثر مزاحه لم يسلم من استخفاف به أو حقد عليه.

- رب صديق يؤتَى من جهله لا من نيته.

- ليست الصورة الإنسانَ إنما الإنسانُ العقلُ.
- عِلْمُ الإنسان ولدُه المخلد.
- مَنْ لم يقدّم الامتحان قبل الثقة، والثقة قبل الأنس، أثمرت مودته ندما.
- اللحظ طرف الضمير.
- الأمانة رأس مال.
- الجاهل صغير وإن كان شيخًا، والعالم كبير وإن كان حدثًا.
- الميت يقلُّ الحسد له، ويكثر الكذب عليه.
- الفرصة سريعة الفوت، بطيئة العود.
- لسان الجاهل مفتاح حتفه.
- الملك بالدِين يبقى، والدين بالملك يقوى.
- العُجْب شرُّ آفات العقل.
- إذا صحت النية، وتوكَّدت الثقة؛ سقطت مئونة التحفظ.
- الخضاب من شهود الزور.
- الدنيا تهين من كانت تكرمه، والأرض تأكل من كانت تُطعمه.
- لا أشجعَ من بريء، ولا أجبن من مذنب.
- الظلم من اللؤم، والإنصاف من السخاء.
- أهل الدنيا كركب يُسار بهم وهم نيام.
- الأعمال أثمار النيات.
- غضب الجاهل في قوله، وغضب العاقل في فعله.

- كأن الحاسد خُلق ليغتاظ.

- أغنِ من ولَّيته عن السرقة، فليس يكفيك من لم تكفهِ.

- عقل الكاتب في قلمه.

- التواضع سُلّم الشرف.

- العيون طلائع القلوب.

- التجارب عقل مكتسب.

- وعاء الخطأ بالصمت يختم.

- لا ترى الجاهل إلا مفرطًا أو مفَرّطًا.

- ما كل من يحسن وعده يحسن انجازه.

- ربما شرَق شارب الماء قبل ريّه.

- التثبّت يسهّل طريق الرأي إلى الإصابة.

- من ولج في النائبة صابرًا خرج منها مثقّفًا.

- لما عرف أهلُ النقص حالهم عند أهل الكمال استعانوا بالكبر ليعظّمَ صغيرًا، ويرفع يسيرًا، وليس بفاعل.

- الناس وَفدُ البِلَى، وسُكان الثرى، ودَين المنايا.

- أنفاس الحيّ خُطاه إلى أجله.

- العاقل لا يستقبل النعمة ببطر.

- الاختيار يدل على العقل، كما يدل توريق الشجرة على حسنها.

- أعدلُ الناس من أنصف عقله من هواه.

- ربّ مزاح في غَوره جدّ.

- من غلب هواه فليس لعقله سلطان.

- تمام العلم التواضع.

- المعروف كنز، فانظر من تودعه.

- بإصلاح المال يدوم الإفضال.

- إنما ينفق العالم بالعارف، وإلا فالعالم حسرة.

- الوفاء أكرم الكرم.

- من ترك العقوبة أغرَى بالذنب.

❑ جملة من كلام (ابن المعتز) في (الفصول القصار) ❑

- الحكمة شجرة تَنبُت في القلب، وتُثمر في اللسان.

- خُلْفُ الوعد خُلُق الوغد.

- الشرّير لا يظنُّ بالناس خيرًا؛ لأنه يراهم بعين طبعه.

- الطمع في وثاق الذلّ.

- العتاب حياة المودَّة.

- العلم جمال لا يَخفَى، ونسب لا يُجفَى.

- ما مات من أحيا عِلْما.

- مات خزَنة الأموال وهم أحياء، وعاش خُزّان العلم، وهم أموات.

- من أسرع كثر عثاره.

- من لم يتّضع عند نفسه لم يرتفع عند غيره.
- نُصح الصديق تأديب، ونصح العدوّ تأنيب.

قوة الحق

جَلّتْ قدرةُ الحق، فهو القاهرُ الذي تعنو له قوة كل باطل، الظافرُ الذي ترتكزُ رايتُهُ فوقَ كل رابِية، وهو الشمسُ التي ينقشعُ بضيائها رُكام كل ظلام.

الحقُّ قوة روحانية، ما لمستْ القلبَ المتواضعَ إلا مَلأتهُ ثقةً بالله، وأيَّدَتْه بالاعتماد على الله، وأنارتْ سرائرَهُ بجلال الله.

الحق اسم من أسماء صاحب هذا الملكوت، ومدبر ما يحدث فيه من حركة وسكون، فإذا كان لقومٍ ولاية على حق في هذا الكون، فأحسنوا المحافظة عليه، والدفاع عنه، والقيام بواجباته؛ رفعهم اللَّه إلى كريم عليائه، وأنزلهم منازلَ أوليائه، فلينتهز صاحب الحقّ الصريح هذه الفرصةَ السانحة للدخول في زمرة أولياء الحق جلت قدرته، وعز سلطانُه.

خسئَ من قال: إن الحق شيء والقوة شيء آخر: الحق قوة القُوى؛ ولا يستهين بها إلا غافلٌ عن سر الكون، جاهلٌ بتصاريف الناموس، ذاهل عن أنّ الحقَّ جل جلاله مؤيّد لكل حق، موفّق لكل من يدافع عن حق، وقد كتب اللَّه على كل قوة تجنح إلى جانب الباطل أن يمسخها ضعفًا بكل صفات الضعف ومعانيه.

كمالُ الحق في أن يؤمن صاحبهُ بالحق، ويقوم بواجب الاحتفاظ به والدفاع

عنه، ومتى اقترن إلى الحق إيمان ثابت، وعزم أكيد، وسعي حكيم؛ كان الحق المتواضع أمنع على الباطل الطامع به من جبهة الأسد.

إن فيما ورثناه عن أجدادنا من المقدسات الخالدة أن النجاة للمُتقَحّم والهَلكَةَ للمتَلَوّم، وقد كان لها ميم العرب وسَنامها الأعظم في كل عصر وقطر، يكتنفون حفَافيْ راياتِ الحق، ولا يزالون يناضلون عنها حتى يكونوا غير محجوز بينهم وبين غاياتهم المشروعة بعَقَبَةٍ ولا مانع.

إن عصا موسى لما تجلت فيها آية الحق صارت رمزًا لقوته التي لا ينالها وهن، وعنوانًا لظَفَره الذي لا يشوبه تلَكُّؤٌ ولا ضعف. وما زال الباطل يُذعر من الحق ذُعر المعزى من زئير الأسد.

هل الحق بذاته موجود أو غير موجود؟

هذه المسألة مسألة إيمان وجحود، مسألة اعتقاد بالمادة وحدها أو وثوق بها وبالذي أوجدها من العدم.

وجود الحق حقيقة، لا يمكن أن يرتاب فيها إلا المخدوع بالقوة الظاهرة، الغافل عن قوة الغيب القاهرة، تلك القوة التي لا تحيط بها العقول، ولا تدرك سرَّها الأحلام.

قوة الحق هي التي أيدت كل حق من بداية الخلق حتى الساعة، ولولا هذه القوة لما وجدت في هذا العالم فضيلة، ولا قامت لدين من الأديان قائمة، ولا خاض بطل حومة الوغى، ولا ارتفعت معالم الأوطان، ولا خفق لواء العز لأمة من الأمم.

لقد حاول الباطل من بداية خلق العالم إلى هذه الساعة أن يسحق الحق ويطفئ نوره، وكان اللَّه يتم نوره، ولو كره المبطلون.

الحق عين القوة ما دام مستمدًا قوته من الحق جل جلاله.

وإن القلب الممتلئ بقوة الحق هو الذي برهن في التاريخ على فوزه وانتصاره، أما إذا تهاون صاحب الحق بأوامر الحق، ورضخ لقوة الباطل الموهومة؛ فإنه يعدُّ متنازلًا عن حقه، مبدًا بإرادته له، وحينئذ لا يستحق ذلك المدد الروحاني الذي كتب اللَّه على نفسه أن ينصر به من ينصره، وتلك سنة الله، ولن تجد لسنة اللَّه تبديلًا.

محب الدين الخطيب

إصلاح الأسرة

لا تستقيم أمة، ولا تتكون لها قوة، ما لم تُصلح أفرادها وأسرها، وإذا شئت أن ترى كيف تتقوض أركان الوطن، وتتفكك عرا القومية، فانظر إلى أمة قد تمشى أسرها داء الإهمال.

وآثار الأسرة ومبادئها تظهر في الأفكار والأفعال، والأقوال والعواطف، وفي كل غرض من أغراض الحياة، حتى لتظهر في ملبس الإنسان ومسكنه، وفي حزنه وسروره؛ والرجل الذي يقدر شأن الأسرة، إنما هو الرجل الذي يعرف معنى الحياة، وقيمة الوطن.

شارل وانير

إفلاس الحضارة الغربية

خلاصة المحاضرة التي ألقتها الكاتبة الفرنسوية مدام سنت بوانت في جمعية الرابطة الشرقية بالقاهرة

إخواني الشرقيين:

لم أقف اليوم بينكم لأتكلم عن محضر اتّهام الحضارة الغربية الذي فتحه منه نصف قرن المفكرّون من رجال الشرق؛ بل والكثيرون من رجال الفكر في الغرب أيضًا.

إن المناقشة دائرة بشدة بين أولئك الذين نصبوا أنفسهم للدفاع عن المدنية الغربية، والذين يحملون عليها، وقد تناولتْ هذه المناقشة صفحات الحياة الاجتماعية، وتجاوزت حدود الاطلاع، أما أنا فمن الفريق الذي يتهم المدنية الغربية، ويحمل عليها.

ولم تكن حملتي عليها بنت اليوم، بل ترجع إلى زمن طويل، وفي كل يوم يقوم دليل جديد يؤيد مذهبي فيها، ويبرهن على أني إنما كنت على صواب في الحملة عليها.

لم تكن هذه الأدلة الجديدة أقوالًا مجرَّدة؛ بل هي أعمال قطعية: أشلاء، وحرائق، وخرائب، ومن وراء ذلك دموع سخينة تُذرَف، ودماء طاهرة تُسفك، وأحقاد تتأصل جذورها في الصدور...

ولكنكم ترونني -أيها السادة- ضعيفة اليوم عن توجيه التهمة على أتمّها إلى المتهمين، على ما يرضي العدل والإنصاف.

ولعلي كنت أكون محتفظة برباطة الجأش بعد «مجزرة دمشق»، لو كنت شرقية،

ولكن شاء القدر أن أكون غربية[1]، وأن أكون مشاركة في ذلك مع الجلادين، وأن أحمل عبء التهمة الشنيعة، وأن يكون لي نصيب من تبعة جرائم الغرب.

أنا اليوم في موقف الطفل يتهم أمه؛ فيا لهول الموقف الذي أقفه!

أنَّى لي أن أقوم بهذه المهمة كما يمليه عليَّ الواجب الإنساني، وأن أرفع الدعوى على الغرب، وأنا لا قدرة لي على احتمال الاحتقار، ولا طاقة لي بكبح جماح ما يثور في نفسي من غضب على ما ارتكبته قوة الغرب، وعلى الدماء التي أسرفت في سفكها حضارة الغرب...

وكيف لا تأخذني القشعريرة، ولا يتولاني الألم من جراء هذه الأعمال، وأنا مضطرة إلى الوقوف أمامكم موقف المتهمة لقومها؟

أجل، إنني واقفة اليوم فيكم موقف المتهمة لقومها، والآلام تنتاب قلبي لأني لا أزال من الغربيين، وأحمل اسمهم كما يحمله آخرون غيري من مفكري أوربا وأمريكا الذين يستهجنون هذه الأعمال.

وسنرى إفلاس المدنية الغربية، وسنفحص أسبابه بتؤدة واعتدال وإنصاف، ومن الواجب على الشرق أن يعرف هذا الإفلاس، ويدرس أسبابه لئلا يقع هو أيضًا فيما وقع فيه الغربيون من أغلاط، ولئلا يبني أحكامه على هذه القواعد المزيفة التي شادها الغرب.

إنني أتهم المدنية الغربية بأنها قصَّرت في القيام بالمهمة التي تزعم أنها ألقيت على عاتقها في الأجيال الأخيرة، أعني المهمة التي ترمي إلى نشر تعاليم الإنسانية وتعميمها على وجه الأرض، وتؤدي إلى الاتحاد.

---

(١) الصواب أن يقال: شاء الله. انظر: «معجم المناهي اللفظية» للشيخ بكر أبو زيد رحمه الله (ص٣١٣). (س).

ويمكن للإنسان أن يعبّر عن هذه المهمة العظيمة بوسيلتين لا غير، وهما وسيلة «حب الذات»، ووسيلة «حب الغير» إحداهما قذرة شنيعة، والثانية كريمة سامية.

أما الغرب فإنه لم يقع اختياره إلا على الوسيلة الأولى، وسيلة الأنانية وحب الذات، وكان اختياره لها جريمة، وكان ذلك سبب ضياعه واضمحلال نفوذه؛ لأن الوسيلة التي لجأ إليها قذرةٌ ملعونة.

إن الأنانية تقضي على الخير، وتلتهم كل بر؛ فيجب على الأمم -كما يجب على الأفراد- أن يقضوا على الأنانية، ويقوضوا دعائمها؛ لأنها شر البلايا.

ولقد أراد الغرب أن يوحد العالم، ولكن تحت سلطانه ومصلحته، والعالم لا يساس إلا بالعدل، وبالحب، وبالإخاء، وبردّ الحقوق إلى أهلها؛ ولكن الغرب لجأ إلى القوة الغاشمة، ولم يرع غير مصلحته وحدها، ولم يهتم إلا بأطماعه.

اعتمد الغرب على القوة وحدها، وتعدَّى حدود الله، وعبث بالشرائع الدينية، وخالف تعاليم المسيح عيسى ابن مريم الذي أمر بمحبة الناس أجمعين.

تعلمت أوربا دين المحبة وقواعد الحقوق من الحضارة الشرقية القديمة، ومن مصر واليونان؛ لكنها أنكرت الجميل، وجحدت فضل الشرق، وعبثت بقواعد الحضارة الحقيقية، وكان مما ارتكبته فيما سلف أنها أحرقت الآثار، وأتلفت المتاحف، وأبادت دور الكتب، وقضت على جمال الماضي.

وفي الحقيقة إن الشرق أضاء دياجير أوربا بنور تعاليمه، وما هذه العلوم التي يفخر بها الغرب إلا من علوم الشرق، وما هذه الحضارة التي يتشدق بها الغربيون إلا بنت حضارة الشرقيين السالفة.

ليس الذي يحجب النور عن الأنظار هو تمدن الشرق القديم، بل الوحشية الغربية، ودين القوة، وحب الذات، والأنانية التي يعمل بها الغرب؛ كل ذلك حجُب كثيفة تحجب نور السعادة الحقيقية عن البشر. إن الغرب مجرم، وقد

اختار الرذيلة على الفضيلة، وأنه بالتجائه إلى الوسائل التي لا تقرها الإنسانية قد أثبت أن مدنيته أفلست.

لابد أن يعود للإخاء الفعلي سلطانه على أمم الشرق، ولكن لا تنتظروا ذلك من الغرب، والبرهان على ذلك أنوار الحرائق التي شبت في (دمشق)، وانعكست أشعتها على دماء الضحايا التي امتلأت بها الطرق في تلك المدينة المقدَّسة.

لقد ديس الحق بالأقدام، أمام المباني الأثرية التي هُدّمت أو أحرقت في (دمشق)، وأمام المفكرين الذين سحقت رؤوسهم في الديار الشامية أو ألقوا في غيابات السجون، وأمام الأطفال والنساء والشيوخ الذين أزهقت أرواحهم، وأمام الشهداء الذين ذهبوا ضحية القوة.

لا يستطيع الشرق عملًا بعد اليوم إلا بالاتحاد؛ لأن الاتحاد هو سر البعث، وسبب الرجوع إلى الحياة.

إنني أكرر القول بأن الاتحاد الشرقي أصبح لا مناص منه لتثبت الحضارة في العالم، فيجب على الشرق أن يتحد ليحرّر نفسه.

لا تنتظروا خيرًا من الغرب، واعملوا على ضمّ صفوفكم أيها الشرقيون، اعملوا لاتحاد أمم الشرق الأدنى الذي اعتدت عليه دول أوربا، وإذا لم تتمكنوا من القضاء على مطامعكم الخاصة، وأن تستأصلوا الأنانية من نفوسكم، وإذا بقيت مآربكم الشخصية ممتزجة بواجباتكم القومية، وإذا قصرتم في تثقيف أبنائكم وإعدادهم لحمل أعباء الواجب؛ فذلك هو القضاء على الشرق قضاءً مبرمًا، يجعله فريسة للغرب، وأداةً تتصرَّف فيها القوة الغاشمة، وما القضاء على الشرق غير القضاء على المدنية العظيمة التي باتت الإنسانية في حاجة إليها.

إن بعض المصائب لا يزال ينتظركم، فلا يَفتَّ ذلك في أعضادكم، وتعاونوا لاحتمال هذه الآلام والمصائب.

الإفرنجي أمس واليوم

قال الأمير شكيب أرسلان:

«إن الإفرنجي هو الإفرنجي... ما تغير شيء من طبعه، فهو اليوم كما كان عندما زحف إلينا من ثمانمائة سنة، بما فيه من الظمأ إلى الدماء، والقرَم إلى اللحم. وإن هذه المدنية التي يتدرّع بدعواها إن هي إلا غطاء سطحي لما هو كامن في طبعه، متهيئ للظهور لأدنى حادث.

فالمدنية العصرية لم تزد الإفرنجي إلا تفننًا في آلات القتل، وفصاحة في التمويه وتسمية الأشياء بغير أسمائها. وبالجملة فالذي ازددناه منه هو الرثاء لا غير».

الاتحاد قوةٌ والتفرُّقُ ضعفٌ

هذه قاعدةٌ عامةٌ، وقانونٌ مطَّرِد، تمثّله المحسوسات، وتثْبتهُ المشاهدات:

تأمل خيطَ القطنِ الرفيعَ ترى الطفلَ الصغيرَ يقطَعُهُ بلا مشقَّةٍ، ولكن إذا اجتمعَ عدَدٌ عظيمٌ منه تعذّرَ على أقوَى الرجال قَطْعهُ.

وانظر قطرَةَ المطر تنزلُ من السَّحاب المرتفع فلا تخدِشُ وجه الأرْضِ، ولا تحرِّكُ مثقالَ ذرةٍ من الرَّمل، وإذا تجَمعتْ قطراتٌ كثيرةٌ صارتْ سيْلًا جارفًا يخدُّ الأرضَ ويقتلعُ الصخور والأشْجار.

ولاحظْ أشعةَ نور الشمس تجدْ أنها تنْبعثُ إلينا من جِرْمها الملْتهب، إلا أنها

لِتَفَرُّقها لا يصل تأثيرُها إلى درجَةِ الإحراقِ ولكنها إذا جُمعتْ بواسطَة البلَوْرَةِ المعروفَة أحرقتْ ما تمسُّه.

ولا يَغْرُبْ عن فكرِكَ حكايةُ المهلّبِ بن أبي صُفْرَةَ الذي جمعَ أولادَهُ حينما قَرُبتْ وفاتهُ، وطلبَ رماحَهم وربَطها حُزمَةً واحدةً، وأمرهمْ واحدًا بعد واحدٍ بكسْرها؛ فعجَزوا، ثم فرّقها عَليهمْ فكَسّرَ كل واحِدٍ رُمْحَهُ من غَيرِ تَعَبٍ ولا مشَقَّة، وعندَ ذلكَ قال لهم:

كُونوا جميعًا يا بَنِيَّ إذا اعترَى ... خطْبٌ ولا تَتَفَرَّقُوا آحادا

تأبى الرِّماحُ إذا اجْتَمَعْنَ تكسرًا ... وإذا افترَقْنَ تَكَسَّرَتْ أفْرادا

وها هيَ الشركاتُ والجمعِيَّاتُ الخَيريّة المفيدَةُ أمامَكم لم تُؤَلَّف إلا بالاتحادِ والاجْتماعِ، ولو حاولَ إيجادها فَرْدٌ لَعَجزَ مهما أُوتيَ من القُوَّةِ.

اقْرَأ تاريخ أية أمَّةٍ من الأمم تجدِ الاتحادَ والوفاقَ منْ أهم أسبابِ رقيّها، والتقاطعَ والشّقاقَ منْ دواعي تأخُّرِها وسقوطها.

وتأمَّلْ الأسْرَة التي تمَّ الوفاقُ بينَ أفرادِها تجدْها آمِنَةً مُطْمَئِنةً حافِظة مَجدَها القديمَ سائرَةً في طَريقِ العزِّ والغِنى في حين أنك تجدُ نَظيرتَها التي سَرَى في أفرادِها سُمُّ التَّفَرُّق وفَتكتْ بها جَراثيم الشّقاقِ، قدْ خيَّمَتْ عليها عناكِبُ الفقْرِ؛ وأحاطَ بها الذُّلُّ والهوانُ فذهَبَتْ ريحُها، وتغَلَّب عليها أضْعفُ أعدائها.

وقَدْ ضَرَب الرسولُ ﷺ أحْسنَ مثلٍ للاتحادِ بقوله: **«مَثَلُ المؤمنِينَ في تَراحُمِهِمْ وتَوادِّهم وتَواصُلِهِم كَمَثَلِ الجسَدِ إذا اشْتَكى عضوٌ منهُ تدَاعى لهُ سائرُ الجسَدِ بالحُمّى والسَّهر»**(١).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٥). (س).

وفي الأثر: «يدُ اللهِ معَ الجماعةِ»(١). يَعْني أنّ اللهَ تعالى يُساعد المتّحِدينَ ويُمِدُّهم بمعونَتِهِ ويُؤَيِّدُهم بنَصْرِهِ.

فالاتحادُ أمرٌ يدعُو إليهِ الدينُ، ويوجِبهُ العَقلُ، ويؤيدُهُ التاريخُ، لم تُوفَّقْ إليهِ أُمّة ولا أُسْرَةٍ ولا جماعةٌ إلا علا شأنُها، وعزَّ سُلْطانها، وأمِنَت غوائلِ الدَّهر وطَوارئَ الأيَّام.

من «دورس الديانة والتهذيب»

على ضريح خالد بن الوليد في حمص

يا قبرَ خالِدَ حولَ خالدَ عُصبةٌ ... عَرَبيَّةٌ، وفَدَتْ تُحَيّي القائدا
فامنُنْ على تلك الألوف بنظرةٍ ... واردُدْ على العرَب التُراثَ التالِدا
لَبَّيْكَ سيفَ اللّه إنَّكَ لم تَزَلْ ... في القبر مثلَكَ غازيًا ومُجاهدًا
ولَئِنْ طَوتْكَ الأرضُ جسمًا هامدًا ... فلقد رَجَعت اليومَ فِكرًا خالدا(٢)

فؤاد الخطيب

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٦٦)، وصححه الألباني. (س).

(٢) للفائدة: فرّق العلماء في مثل هذا الشعر المخاطب به شخصًا ميتًا: بين خطاب السؤال والدعاء؛ فهذا شرك. وبين خطاب التوجد، فهذا جائز. وعليه يُحمل شعر فؤاد الخطيب رحمه الله. انظر: «مصباح الظلام»؛ للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن (ص ٣٢٣ - ٣٢٤). (س).

الديك

نقل أستاذنا الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله في جزء سنة ١٣٣٥ من تذكرته عن «التذكرة الكمالية» لرئيس الشام كمال الدين بن العديم العقيلي الحلبي (٥٨٦-٦٦٦هـ) قال: أنبأني غير واحد من شيوخي، عن أبي طاهر السِّلفي، قال: أنشدني أبو الثناء حامد بن ثابت الغزي بالإسكندرية، أنشدني إبراهيم بن صدقة لابن معمعة الحمصي[1] في الديك:

يا ابن أقيال وائلٍ والكرام الصِّـ   ـيد من تَغلِبٍ قروم القروم
والأمير الذي عليه أمارا   ت المعالي: من حادث وقديم
قد مدحتُ الأمير بالأمس منثو   رًا، وجئتُ الغداةَ بالمنظوم
فاستمعْ قصتي، وفرِّج بإحسا   نك ما بي من طارقات الهموم

❁ ❁ ❁

ليَ ديكٌ حضَنْتُه وهو في البيـ   ـضة، من منصبٍ كريم الخِيم
ثم ربيتُه وهو كالطفـ   ـل رضيعًا ومنذ حال الفطيم
يأكل العفو كيف شاء من ما   لي كأكل الوصي مالَ اليتيم
وهو عندي في صورة الولد البرّ   وفي صورة الشفيق الحميم
أبيض اللون أفرق الطرف نظّا   رٌ بعين كأنها عينُ ريم
وعلى نحره وشاحان من شَذ   رٍ بهيج ولؤلؤ منظوم
رافع رايةً من الذهب المشْرِ   ق يسعى بها كسعي الظليم
وإذا ما مشى التَّبَهْنُسَ مشيَ   الطرف المنتشي من الخُرطوم

---

(١) هو منبجي؛ لكنه كان خطيب حمص فنُسب إليها.

وَسَمَ الأرضَ وَسْمَ طيٍّ كتابٍ بخواتيم كاتب مختوم
وله خنجران من قصب السا قين قد رُكّبا لحفظ الحريم
وعليه من ريشه طَيْلسانٌ صيغَ من صنعة اللطيف الحكيم
وجميع الديوك تشهد في حمـ صٍ له بالجلال والتعظيم
يتجاوبن بالصياح مشيرا تِ إليه في ذاك بالتسليم
وإذا ما رأيتَه بين خمس من دجاجاته كبارِ الجسوم
قلتَ مَلْكٌ يخدمنَه فتياتٌ يتهادين بين زِنج ورُوم
وترى عُرفه فتحسبه التا جَ على رأسِ كِسْرَويٌّ كريم
ثاقب العلم بالمواقيت ليلًا ونهارًا، وحاذق بالنجوم
ويحثُّ الجيران حولي على البرّ كحثّ المدير كأسَ النديم
وإذا قمتُ للصلاة دعوت اللهَ بالعز والنعيم المقيم
لشريف أبي المعالي بن سيف الد ولة السيد الكريمِ الرحيم

❀ ❀ ❀

وله أيها الأمير عليَّ الـ عهدُ في سالف الزمان القديم
أنه آمِنٌ من السوء عندي غيرَ يوم المنية المحتوم
وقد احتجتُ أن أضحيَ بالعيـ دِ به، حاجة الأديب العديم
وبناتي يقلن: «يا أبتانا أنتَ في ذاك بين غَدْرٍ ولوم»
وتراهُنّ حولَه يتباكيـ ن بدمع لفقده مسجوم
وعزيزٌ سؤال من يفتديه فافدِهِ منعمًا بذِبحٍ عظيم
تُبقِ في ذاك سُنةً لك يُنسِي ذكرُها ذكرَ كبش إبراهيم[1]
عشتَ في العزّ ما دعا اللهَ داعٍ أبدًا بين زمْزَمٍ والحَطيم

(١) هذا من غلو الشعراء. (س).

الوطن المصري

وطنك هو الذي نشأت فيه، وأقلتك أرضه، وأظلتك سماؤه، وغذّاك نباته وحيوانه، وأرواك ماؤه.

وطنك تراثٌ لك من آبائك، لم يصر إليهم عفوًا، إنما ملكوه بعد أن أدوا ثمنًا نفيسًا، هو دماؤهم التي سالت على حدود المناصل وأطراف الأسَل، وارتوى منها هذا الثرى، الذي تطؤه الآن بنعليك، فإن استطعت فاخلع نعليك، نعم ما أنت بالوادي المقدس طوى، ولكنك بوادي النيل حيث دماء آبائك المسفوكة، ولحومهم البالية، وعظامهم النخرة.

خفف الوطء ما أظن أديم الـ ... أرض إلا من هذه الأجساد
وقبيح بنا وإن قدم العهـ ... ـد هوان الآباء والأجداد

ألم تر إلى اليهود لما لم تبقَ لهم حكومة ولا وطن، تشتتوا في البلاد، وبطلت جامعتهم، وصار كل منهم نزيلًا في مملكة، ثقيل الظل جامد النسيم؟

وياليت شعري، ما هو معنى الأمة، وكيف يستقيم لها حال، إذا كان كل جماعة منها نزلاء في أمة أخرى، تسومهم الخسف، لا في العير، ولا في النفير.

قد يكون لك البيت في الحارة الرديئة، وهو مع ذلك ضيّق الحُجَر، قليل الضوء، فاسد الهواء، فتميل إليه، وتتعهده بالإصلاح، فيا عجبًا لك كيف لا تحفل بوطن، أما شماله فمطل على بحر الروم، وأما جنوبه فمتصل بالسودان، يشقه النيل، ويغطي تربته بساط أخضر، من النبات، وتعلوه سماء زرقاء صافية الأديم، ويتهادى بينهما النسيم.

إنك إذن لظلوم!

أما بنوه فإنهم إخوانك الذين تربطهم بك روابط شتى، كاتحاد المصالح والعادات، واللغة والحكومة، والقانون والتربية، والفكرة في الجملة، فأنت في أي بقعة من وطنك في بيتك وبين عشيرتك، إذا اعتدل النيل في فيضانه، كنتم سعداء معًا، وإن نقص عن الحاجة أو طفا، فأنتم على حال واحد، وكذلك إذا عدل القانون والحاكم أو جار، فإن شعوركم يكون واحدًا، أفلا تعتبر هذه البلاد مع ذلك وطنًا ينبغي أن نحبه ونحرص على خيره، وسكانها إخوانًا نودهم ونعمل لصالحهم؟!

إذا ارتحلت إلى جهة ثانية، نُظر إليك قدر ما يُنظر إلى وطنك، كأنك تحمل رايته، وفي صورتك الصغيرة انطوى هذا العالم الأكبر.

أفلا يكون هذا داعيًا إلى محبة الوطن وبنيه، والسعي في رفع ذكرهم وإعلاء كلمتهم؟ نعم إن كنتَ ابنًا بارًا وأخًا يفهم هذه الروابط؛ بل ينبغي أن تحب الناس جميعًا، وتعاملهم بالمعروف؛ لأنهم يخدمونك وإن نأت الديار، واختلفت المذاهب(١).

عبد الرحمن زغلول

الأزهر

قُمْ في فم الدنيا وحيِّ الأزهرا	وانثرْ على سَمْعِ الزمان الجوهرا
واخشعْ مليًّا، واقضِ حقَّ أئمةٍ	طلعوا به زُهرًا، وماجوا أبحرا

(١) الحب والمودة يكونان للمسلمين، وأما غيرهم فيعاملون بالعدل والقسط؛ قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآية. (س).

كانوا أجلَّ من الملوك جلالةً وأعزَّ سلطانًا، وأفخم مظهرا
من كل بحر في الشريعة زاخر ويُريكَهُ الخلُق العظيم غضنفرا
لا تحذُ حَذْوَ عِصابة مفتونة يجدون كل قديم شيء منكرا
ولو استطاعوا في المجامع أنكروا مَن مات من آبائهم أو عُمّرا
من كل ماضٍ في القديم وهدمه وإذا تقدَّم للبناية قصَّرا

أحمد شوقي

أبو العتاهية وابن الخليفة

مر القاسم بن الرشيد في موكب عظيم، وكان من أتْيَه الناس، وأبو العتاهية جالس مع القوم على ظهر الطريق، فقام أبو العتاهية حين رآه إعظامًا له، فلم يزل قائمًا حتى جاوزه فجاز ولم يلتفت إليه، فقال أبو العتاهية:

يتيه ابن آدم من جهله كأن رحى الموت لا تطحنه

فسمعه بعض من في موكبه فأخبر به القاسم، فبعث إلى أبي العتاهية وضربه مائة مقرعة، وقال له:

يا ابن الفاعلة أتعرّض بي في مثل ذلك الموضع؟

وحبسه في داره، فدس أبو العتاهية إلى زبيدة بنت جعفر هذه الأبيات، وكانت توجه له:

حتى متى ذو التيه في تيهه أصلحه اللَّه وعافاه
يتيه أهل التيه من جهلهم وهم يموتون وإن تاهوا
من طلب العز ليبقى به فإن عز المرء تقواه

لم يعتصم بالله من خلقه من ليس يرجوه ويخشاه

وكتب إليها بحاله وضيق حبسه -وكانت مائلة إليه-، فرثت له، وأخبرت الرشيد بأمره، وكلمته فيه، فأحضره وكساه ووصله وأطلقه، ثم لم يرضَ عن القاسم حتى بره وأدناه واعتذر إليه.

❑ المنايا ❑

قال أبو سلمة الباذغيسي:

قلت لأبي العتاهية: في أي شعرك أنت أشعر؟ قال قولي:

الناس في غفلاتهم ورحى المنية تطحن
ما دون دائرة الورى حصنٌ لمن يتحصن

❑ الفرَج المنتظر ❑

هي الأيام والعِبَرُ وأمرُ اللَّه يُنتظرُ
أتيأس أن ترى فرجًا فأين اللَّه والقدرُ

❑ عُباد الدنيا ❑

ومن شعر أبي العتاهية:

ألم تر ريب الدهر في كل ساعة له عارضٌ فيه المنية تلمع
أيا بانيَ الدنيا لغيرك تبتني ويا جامع الدنيا لغيرك تجمع
أرى المرء وثابًا على كل فرصة وللمرء يومًا لا محالة مصرع
تبارك من لا يملك الملك غيرُه متى تنقضي حاجات من ليس يشبع
وأي امرئ في غاية ليس نفسه إلى غاية أخرى سواها تطلّع

❑ أمير المؤمنين المأمون، والسيّدة زُبيدة ❑

أحست السيدة زبيدة من أمير المؤمنين المأمون بجفاء، فوجهت إلى أبي العتاهية تُعلمه بذلك وتأمره أن يعمل فيه أبياتًا تعطّفه عليها، فقال:

ألا إن صرف الدهر يُدني ويبعدُ ... ويؤنس بالآلاف طُرا ويفقدُ
أصاب بريب الدهر مني يدى يدي ... فسلمت للأقدر والله أحمدُ
وقلت لريب الدهر إن سلمت يدٌ ... فقد بقيت -والحمد لله- لي يدُ
إذا بقي المأمون لها فالرشيد لي ... ولي جعفر لم يُفقدا ومحمدُ

فحسن موقع الأبيات من المأمون، وعاد إلى أحسن مما كان عليه.

ويُقال إنها بعثت بهذه الأبيات إلى مخارق فغناها المأمون، فسأله المأمون عن الخبر، فعرّفه الصورة، فبكى ورق لها، وقام من وقته فدخل إليها وقبلت يده وقال لها: يا أمه ما جفوتك تعمدًا، ولكن شغلت عنك بما لا يمكن إغفاله.

فقالت: يا أمير المؤمنين، إذا حسن رأيك لم يوحشني بعدك.

فسر بذلك وأتم يومه عندها.

❑ مع الأيام ❑

قال أبو العتاهية:

ما أسرع الأيام في الشهر ... وأسرع الأشهر في العمر
ليس لمن ليست له حيلة ... موجودة خير من الصبر
فاخطُ مع الدهر إذا ما خطا ... واجرِ مع الدهر كما يجري
من سابقَ الدهر كبا كبوة ... لم يستقلها آخر الدهر

❏ الوعد ❏

قال سليمان بن مناذر: كنت عند جعفر بن يحيى وأبو العتاهية حاضر، فقال أبو العتاهية لجعفر:

- جعلني اللَّه فداك عندكم شاعر يُعرف بابن أبي أمية أحب أن أسمعه ينشد.

فقال جعفر: هو أقرب الناس منك.

فأقبل أبو العتاهية على ابن أبي أمية وسأله أن يُنشده، فأنشد:

إن وعدًا منكَ لا أنساه لي ... أوجب الشكر وإن لم تفعل
أقطع الدهر بوعد حسن ... وأجلى غمرة ما تنجلي
كلما أملت يومًا صالحًا ... عرّض المكروه دون الأمل
وأرى الأيام لا تدني الذي ... أرتجي منك وتدني أجلي

فأقبل أبو العتاهية يردد البيت الأخير، ويقبل رأس ابن أبي أمية، ويبكي ويقول:

- وددت أنه لي بكثير من شعري.

❏ القول والعمل ❏

أراك امرءًا ترجو من اللَّه عفوه ... وأنت على ما لا يُحب مقيم
تدل على التقوى وأنت مقصر ... أيا من يداوي الناس وهو سقيم
وإن امرءًا لم يلهه اليوم عن غد ... تخوفُ ما يأتي به لحكيم
وإن امرءًا لم يجعل البر كنزه ... وإن كانت الدنيا له لعديم

❏ بدائع أبي العتاهية ❏

«قال أبو تمام الطائي»: لأبي العتاهية خمسة أبيات ما شاركه فيها أحد، ولا قدر على مثلها متقدم ولا متأخر.

فمنها قوله:

النـاس فـي غـفـلاتـهـم ورحـى الـمـنـيـة تـطـحـن

وقوله:

ألم تر أن الفقر يُرجى له الغنى وأن الغنى يُخشى عليه من الفقر

وقوله:

ولـمـا اسـتـقـلـوا بـأثـقـالـهـم وقـد أزمـعـوا الـذي أزمـعـوا
قـرنـتُ الـتـفـاتـي بـآثـارهـم وأتـبـعـتـهـم مـقـلـة تـدمـع

وقوله في موسى الهادي:

هب الدنيا تساق إليك عفوا أليس مصير ذاك إلى الزوال

❑ أبو العتاهية يعظ أمير المؤمنين هارون ❑

كان الرشيد يُعجبه غناء الملاحين في الزلّالات إذا ركبها، وكان يتأذى بفساد كلامهم ولحنهم.

فقال: قولوا لمن معنا من الشعراء يعمل لهؤلاء شعرًا يغنون فيه.

فقالوا: ليس أحد أقدر على هذا من أبي العتاهية، وهو في الحبس.

فوجه إليه الرشيد أن يقول في ذلك شعرًا، ولم يأمر بإطلاقه، فغاظه ذلك، فقال: والله لأقولن شعرًا يُحزنه، ولا يسره، فعمل:

خـانـك الـطـرف الـطـموحُ أيـهـا الـقـلـب الـجـمـوحُ
لـدواعـي الـخـيـر والـشـر دنـوّ ونـزوحُ
هـل لـمـطـلـوب بـذنـب تـوبـة مـنـه نـصـوحُ
مـوت بـعـض الـنـاس فـي الـ أرض عـلـى قـوم فـتـوحُ
سـيـصـيـر الـمـرء يـومًـا جـسـدًا مـا فـيـه روحُ

بين عيني كل حي ... عَلَم الموت يلوحُ
كلنا في غفلة ... والموت يغدو ويروحُ
لبني الدنيا من ... الدنيا غَبوق وصبوحُ
رحن في الوشي وأقـ ... بلن عليهن المسوحُ
نُح على نفسك ... يا مسكين إن كنت تنوحُ
لتموتن ولو ... عُمِّرت ما عُمِّر نوحُ

فبكى الرشيد بكاء شديدًا وانتحب، فلما رأى الفضل بن الربيع كثرة بكائه أومأ إلى الملاحين فسكتوا.

❑ موعظة ثانية ❑

«من أبي العتاهية إلى أمير المؤمنين هارون»

قال الرشيد لأبي العتاهية: عظني.

فقال: أخافك. فقال له: أنت آمن.

فقال:

لا تأمن الموت في طرف وفي نفَسِ ... إذا تسترت بالأبواب والحرسِ
واعلم أن سهام الموت قاصدة ... لكل مدّرع منها ومتّرسِ
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليبسِ

فبكى الرشيد حتى بلّ كمه.

❑ آخر شعر أبي العتاهية ❑

إلهي لا تعذبني فإني ... مقر بالذي قد كان مني
وما لي حيلة إلا رجائي ... لعفوك إن فعلتَ وحسن ظني
وكم من زلة لي في الخطايا ... وأنت عليّ ذو فضل ومنِّ

إذا فكرت في ندمي عليها ... عضضت أناملي وقرعت سني
أجن بزهرة الدنيا جنونًا ... وأقطع طول عمري بالتمني
ولو أني صدقت الزهد فيها ... قلبت لأهلها ظهر المجنِّ
يظن الناس بي خيرًا، وإني ... لشر الناس إن لم تعف عني

الأرض

أيها البرقُ إن بلغتَ الشآما ... حيّ عني قصورَها والخياما
أنتَ نِعمَ الرسولُ يحمل شَجْوي ... حين لا يأمنُ الأنامُ الأناما
نفختْ فيكَ آيةُ العلم روحًا ... علَّمَتكَ البيانَ والإلهاما
وأفاضت عليكَ سحرًا حلالا ... كان في الغابرين سحرًا حراما
تركبُ الفلكَ تارةً، وأوانا ... تطأ الريحَ واثبًا والغَماما
قلْ لمن يُوجفُ الركابَ خِفافًا ... ولمن ناءَ بالخطوبِ جساما
ويحَ أمسي إن كنتُ أهبطُ رمسي ... نازحَ الدار، موجَعًا، مستهاما
يومَ يرمي القضاءُ بالنفس رميًا ... مثلما الأرضُ تجذُبُ الأجساما

كرةٌ تنهبُ الفضاءَ وتطوي ... في مداهُ القرونَ والأعواما
تترامَى والشمسُ دون مُناها ... دوارنًا من حولها وهياما
كفراش يحوم حولَ لهيبٍ ... أجلٌ ساقَه إليه فحاما

ذاتُ وجهين يشهدان عليها ... كلَّ يوم: نهارَها والظلاما

فهي من جانب تكون ضياءً وهي من جانب تكون قَتاما
كوجوه المنافقين وأشقى من جوار المنافقين مُقاما

❋ ❋ ❋

نَسَجتْ من غَلائل النبت بُردًا واستعارت من السحاب لثاما
وتراءت في ظاهرٍ مطمئنٍّ تحته النار تستشيط ضِراما
كبنيها أو أنَّ حقدَ بنيها فوقَ ما أضمرت جوىً وانتقاما

❋ ❋ ❋

تنفث الغيظَ مارِجًا ودُخانا فتشقُّ الوهادَ والآكاما
وتبثُ الذي انطوى من لظاها سُحبًا ثرَّةً وسيلًا رُكاما
ضجَّ منها صَعيدُها، وقديما خدَّدتْه السيولُ عاما فعاما
كخدود الباكين سَحَّ عليها مُهْرَقُ الدمع صَيّبا وسِجاما

❋ ❋ ❋

ولَكم سدَّد القضاءُ إليها من خلال المذنّباتِ سِهاما
نذرٌ كلَّ فترةٍ، وعِظاتٌ أذن اللهُ أن تمرّ لماما

❋ ❋ ❋

إيهِ يا أرضُ يومَ كنتِ خَلاءً هل أحسَّ الحُطام فيك الحطاما
فتململتِ وحشةً وانفرادًا وتغلغلتِ في الوجود اقتحاما
فتمخَّضتِ بالزواحف لهوًا لكِ تنسابُ في العَراء سواما
طَلعةٌ غثَّةٌ، وجسمٌ دَميمٌ يصف القُبحَ هامةً وسناما
كخطوط الوليد أوّلَ عهدٍ عرَف الخطَّ فيه والأقلاما
ضحكةٌ منكِ مُثِّلت فتجلَّتْ حيَوانًا مشوَّها مُستضاما
نشأتْ ثم أعقبَتْ ثم بادتْ وقطعتِ الصِلاتِ والأرحاما
وولدتِ الأنام بعد ليالٍ ثَقُلتْ وطأة وشطَّتْ مراما

جئتِ سِقطًا بهم وطالَ عليهم — أمدٌ ينشُدون فيه التَّماما
أقضاءً ولدتِهم واضطرارًا — بعد لأيٍ، أم شهوةً ووِحاما
لست أدري وليتني كنت أدري — كيفَ ذقتِ المخاضَ والآلاما
وشهدتِ الحياةَ كيف استهلتْ — فيك واستقتلتْ عليك زحاما
كفروع الغضَى التقتْ ثم شبَّتْ — فغدا بعضُها لبعضٍ طعاما

❀ ❀ ❀

فسل الحيَّ: كيف يطمعُ منها — بسلام، وأين يبغي السلاما؟
راضَ هُوجَ الرياح حتى امتطاها — ذلُلًا أسلست إليه الزماما
واستباحَ البحارَ فوقَ جَوارٍ — مُنْشآت تُطاوِل الأعلاما
خضعَ العلمُ في يديه ولكن — مسخَ العلمَ فتنةً وأثاما

❀ ❀ ❀

فانفرِي ما استطعتِ أيتُها الأر — ضُ فهيهاتَ تُرغمين النظاما
فانقُصي منه ذرَّة أو فزيدي — وانظري كيف ينسف الأجراما
ممسكٌ بالوجود عُلوًا وسُفلا — قدرة اللَّه سخَّرته خِطاما
كنتِ بالأمس شعلةً أو سديما — فاحذري البدءَ أن يكون ختاما

فؤاد الخطيب

❀ ❀ ❀

الأرض

تنبثق الأرض من الأرض كرهًا وقسرًا. ثم تسير الأرض فوق الأرض تيهًا وكبرًا.

وتقيم الأرض من الأرض القصور والبروج والهياكل، وتنشئ الأرض في الأرض الأساطير والتعاليم والشرائع.

ثم تملّ الأرض أعمال الأرض، فتحوك من هالات الأرض الأشباح والأوهام والأحلام.

ثم يرواد نُعاسُ الأرض أجفان الأرض، فتنام نومًا هادئًا عميقًا أبديًا...

ثم تنادي الأرض قائلة للأرض: أنا الرحم، أنا القبر، وسأبقى رحمًا وقبرًا حتى تضمحلَّ الكواكب، وتتحوّل الشمس إلى رماد...

جبران خليل جبران

ألف ليلة وليلة

كتاب ألف ليلة وليلة -وكلنا نعرفه حق المعرفة- كتاب مشهور في عالم الأدب العربي، طُبع عدة طبعات عربية، ونُقل إلى معظم اللغات الأجنبية، ويكاد يُجمع عامة الأدباء والبحاثين على اعتباره الكتاب القصصي الوحيد بالمعنى الصحيح في الآداب العربية، وهذا حقٌ إذا قارناه بما كُتب من القصص والأقاصيص العربية في مختلف العصور.

❑ **«مصادره»:**

مصادر الكتاب ثلاثة:

«أولًا»: كتاب «هزار إفسانه» الفارسي -أي: ألف خرافة- وهو مجموعة قصص خرافية فارسية وهندية.

«ثانيًا»: قصص كُتبت على نمط القصص الأصلية بعد أن تغيرت الأخيرة وتبدلت بأيدي الكتاب وعلى ألسنة الرواة والمؤلفين، وهذه القصص المقلدة

تتضمن قصصًا كتبت في بغداد وأخرى في مصر ظاهر على كل منها ما يميزها عن الأخرى. وقيل: إن كثيرًا من اليهود اشتركوا في تأليف هذه القصص.

«ثالثًا»: ما جمعه أبو عبد اللَّه محمد بن عبدوس الجهشياري صاحب كتاب الوزراء، من حكايات ونوادر للعرب والعجم والروم مما كانت تروى في حفلات السمر والمنادمة بواسطة المسامرين.

ومن هذه القصص: حكايات عن الرشيد، وأبي نواس، وحاتم طي، وغيرهم. وهذه القصص إما أن يكون لها أصل واقعي، أو أن تكون موضوعة وغُيرت بتداولها من لسان إلى لسان.

ومجموعة قصص ألف ليلة وإن اختلفت في مصادرها، فقد انتهت إلى أن تكون مجموعة جديدة ليس لها صلة بأصلها، عليها طابع واحد، وتكاد تكون لها وحدة مستقلة عن غيرها فقد محا الأصل الفارسي بما لحقه من التبديل الدائم الذي كان يقوم به الكتاب والرواة إرضاء لذوق الجمهور.

❑ تعدد الأساليب والأخيلة فيه:

ولكن بالرغم مما تقدم يُمكن للباحث المدقق الذي يريد رد القصص إلى أصولها ومصادرها، ويكشف النقاب عن مؤلفيها، أن يميز القصص، ويُلحق كل واحدة بقسمها الخاص بها، ولا ريب في أن هذا العمل دقيق يتطلب معرفة تامة وخبرة كبيرة، فالذي يريد فحص القصص على هذا المنوال يجب عليه أن يستعين بشيئين هامين؛ هما من آلات الفحص والاختبار، ونعني بهما «الأسلوب والخيال».

فمن القصص ذات الأسلوب العربي الصميم تعرف أنها كُتبت في العصر الأول حينما كانت اللغة خالية من شوائب العُجمة، متينة التركيب، تحمل آثار

البداوة، وقد قيل: إن الأصل نُقل قبل القرن الرابع الهجري. ومن القصص التي كُتبت بأسلوب يكاد يكون عاميًا نعرف أنها من صنع مؤلفي العصر المتأخر، حينما انحطت اللغة، وكادت تتغلب عليها لغة الدخلاء والعامة.

أما الخيال؛ فهناك الخيال الفارسي الأصلي ظاهر في بعضها رغم التغير الذي لحقه، وهناك الخيال اليهودي يصور لنا في قصصه خرافات بني إسرائيل، ويسمي لنا أشخاصًا بأسماء يهودية صرفة، وقلما تخلو قصص هذا القسم من تلك الخرافات القديمة التي حوت الديانة اليهودية كثيرًا منها.

أما القسم الإسلامي؛ فقلما نجد فيه خرافات كثيرة تستمد أصولها من مصادر تاريخية أو دينية غير إسلامية، لذلك أتت القصص الإسلامية في الكتاب قليلة الخرافة، تمتاز بوصف الحقيقة، والواقع، وهذا شيء طبيعي قد فسرناه بأن الأمة العربية لم تكن أمة أساطير (خرافات).

وإذا أردنا التفصيل والتشريح في معرفة أصول القصص ومؤلفيها، فيمكننا تقسيم القسم الإسلامي إلى قسمين هامين: قسم بغدادي، وآخر مصري.

فالقصص التي كُتبت في بغداد وما جاورها تختلف اختلافًا ظاهرًا عن تلك التي كُتبت في مصر؛ لاختلاف البيئة والأشخاص والعوائد، لذلك جاءت الأوصاف متباينة على كل منها رسم بلدها.

ولا ريب في أن البحاثين المدققين لهم أساليب عديدة يجرون عليها في أبحاثهم، ويستدلون بها على معرفة أصول هذا الكتاب المحاط بالأسرار والألغاز.

مما تقدم نعلم أن «ألف ليلة وليلة» لا يحمل اسم مؤلف واحد، حتى ولا أسماء عدة مؤلفين معروفة لدينا، فهو مجموعة قصص وأقاصيص نقلها وألفها

عدة مؤلفين غير معروفين، وبدّلها وغيرها عدّة رواة ونساخين على ممر السنين، حتى وصل إلينا كما هو الآن مجهول المؤلف، غير واضح المصدر.

محمد تيمور

أمير المؤمنين هارون، ورِثاء بني أمية

لما حج الرشيد أحضر أبا سعيد مولى فائد -وهو إبراهيم بن أبي سنة، وكان مولى عمرو بن عثمان بن عفان- وقال له: أنشدني قصيدك في بني أمية:

تقول أمامة لما رأت ... نشوزي عن المضجع الأنفس
وقلة نومي على مضجعي ... لدى هجعة الأعين النعس

فغناه لحنًا له في أبيات منها:

أفاض المدامع قتلى كُدا ... وقتلى بكثوة لم ترمس

وكان الرشيد مغضبًا، فسكن غضبه وطرب، فقال: أنشدني القصيد.

فقال: يا أمير المؤمنين كان القوم مواليّ، وأنعموا عليّ؛ فرثيتهم ولم أهج أحدًا. فتركه.

وهذا الشعر يقوله أبو عدي عبد اللّه بن عمرو العبلي فيمن قتله عبد اللّه بن علي بنهر أبي فطرس وفيمن قتل أبو العباس السفاح بعدهم من بني أمية. ومن القصيدة:

أفاض المدامع قتلى كدا ... وقتلى بكثوة لم ترمس
وقتلى بوجّ وباللابتيـ ... ـن من يثرب خير ما أنفُس

وبالزابيين نفوس ثوت ... وأخرى بنهر أبي فطرس
أولئك قومي أناخت بهم ... نوائب من زمن متعس
إذا ركبوا زينوا الموكبين ... وإن جلسوا الزين في المجلس
هُمُ أضرعوني لريب الزمان ... وهم ألصقوا الرّغم بالمعطس

حفيد عبد الملك

نظر عبد اللَّه بن علي العباسي إلى فتى عليه أبهة الشرف، وهو يقاتل في صفوف بني أمي مستقتلًا، فناداه: يا فتى لك الأمان، ولو كنتَ مروان بن محمد.

فقال: إلا أكنه فلست بدونه.

قال: فلك الأمان ولو كنتَ من كنت.

فأطرق مليًّا ثم قال:

أذل الحياة وكره الممات ... وكلاً أراه طعامًا وبيلا
فإن لم يكن غير إحداهما ... فسَيري إلى الموت سيرًا جميلا

ثم قاتل حتى قُتل. فإذا هو ابن مسلمة بن عبد الملك.

وِجْهة الشعر

قال الأصمعي: ذهب أمية بن أبي الصلت في شعره بعامة ذكر الآخرة، وذهب عنترة بعامة ذكر الحرب، وذهب عمر بن أبي ربيعة بعامة ذكر الشباب.

من شعر أمية بن أبي الصلت

❑ الولد العاقّ ❑

عتب أمية بن أبي الصلت على ولد له -وكان عاقًا له- فقال فيه:

غذوتك مولودًا وعلتك يافعًا ... تعل بما أُجري عليك وتنهل
إذا ليلة تأتيك بالشكو لم أبت ... لشكواك إلا ساهرًا أتململ
كأني أنا المطروق دونك بالذي ... طُرقت به دوني فعيني تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وإنها ... لتعلم أن الموت وقتٌ مؤجل
فلما بلغتَ السنن والغاية التي ... إليها مدى ما كنتُ منك أؤمل
جعلتَ جزائي غلظة وفظاظة ... كأنك أنت المُنعم المتفضل
وسميتني باسم المقيد رأيه ... وفي رأيك التقييد لو كنتَ تعقل
فليتك إذ لم ترعَ حق أبوتي ... فعلت كما الجار المجاور يفعل

❑ غولة الدهر ❑

ومن شعر أمية بن أبي الصلت:

كل عيش وإن تطاول دهرا ... منتهى أمره إلى أن يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي ... في رؤوس الجبال أرعى الوعولا
فاجعل الموت نصب عينيك واحذر ... غولة الدهر إن للدهر غولا

❑ سبيل الموت ❑

قال عكرمة، أنشد النبي ﷺ قول أمية بن أبي الصلت:

الحمد لله ممسانا ومصبحنا ... بالخير صبحنا ربي ومسّانا
ألا نبي لنا منا فيُخبرنا ... ما بعد غايتنا من رأس محيانا

بينا يربّبنا آباؤنا هلكوا   وبينما نقتني الأولاد أفنانا
وقد علمنا لو أن العلم ينفعنا   أن سوف تلحق أُخرانا بأُولانا

فقال النبي ﷺ: «إن كاد أمية ليُسلم»[(١)].

حفيرة السوء

بينما محمد بن عبد العزيز الزهري هو وإبراهيم بن هَرْمة الشاعر، إذ مرت بهم إبل لمحمد بن عمران تحمل علفًا.

فقال محمد بن عبد العزيز لابن هرمة: يا أبا إسحاق ألا تستعلف محمد بن عمران؟

وهو يريد أن يُعرضه لمنعه فيهجوه. فأرسل ابن هرمة رسولًا حتى وقف على باب ابن عمران، فأبلغه رسالته. فرد عليه ابن عمران الجمال، بما عليها. وقال: إن احتجت إلى شيء زدناك.

فأقبل ابن هرمة على محمد بن عبد العزيز، وقال: اغسلها عني، فإنه إن علم أني استعلفته ولا دابة لي وقعت معه في سوء.

قال: بم ذاك؟

قال: تعطيني حمارك!

قال: هو لك بسرجه ولجامه.

فقال ابن هرمة: من حفر لأخيه حفرة سوء وقع فيها.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنّف» (٢٦٠١٥). (س).

أبو نُوَاس ينقد الشعر

قال أبو نواس: شاعران شبها في بيتين، ووضعا التشبيه في غير موضعه، فلو أُخذ بيت هذا ووُضع مع بيت هذا، وبيت هذا ووُضع مع بيت هذا، لصار مشبهًا به، وهما قول جرير للفرزدق:

وإنك إن تهجو تميمًا وترتشي ... بما بين قيس أو سحيق الغمائم
كمهريق ماء بالفلاة وغره ... سرابٌ بدا في أغبر اللون قاتم

وقول ابن هرمة:

وإني وتركي ندى الأكرمين ... وقدحي بكفيّ زندًا شحاحا
كتاركة بيضها بالعراء ... وملبسة بيض أخرى جناحا

ولو قال ابن هرمة:

وإني وتركي ندى الأكرمين ... وقدحي بكفي زندًا شحاحا
كمهريق ماء بالفلاة وغره ... سرابٌ بدا في أغبر اللون قاتم

لكان أشبه لهما، ولكن ابن هرمة قد تلافى ذلك، فقال:

وإنك إن أطمعتني منك بالرضا ... وآيستني من بعد ذلك بالغضب
كممكنة من درها كف حالب ... ودافقة من بعد ذلك ما حلب

إلى جزيرة العرب

لِمَنْ المَضاربُ في ظِلال الوادي ... ريَّانة الجنَباتِ بالوُرّادِ
الله أكبر، تلك أُمَّةُ يَعرُبِ ... نفرَتْ من الأغوار والأنجادِ

طَوَتِ المراحلَ، والأسِنَّةُ شُرَّعٌ   والبِيضُ مُتْلَعَةٌ من الأغمادِ
وَمَشَتْ على الأسَلاتِ مِشْيةَ واثق   باللهِ، والتاريخِ، والأجدادِ

❀ ❀ ❀

لبيكِ يا أرضَ الجزيرة، واسمعي   ما شِئتِ من شَجْوي ومن إنشادي
لكِ في دمي حقُّ الوفاء، وإنه   باقٍ على الحدَثان والآبادِ
فنهضتُ مُضْطلعًا بما جَشَّمْتِني   وحَملتُ فيكِ سخائمَ الأضدادِ
ووقفتُ بينَ يديكِ أطرقُ خاشعًا   وكأنَّكِ المحرابُ للعبَّادِ
ورميتُ دونَكِ بالدَّليل مُسدِّدًا   فسمعتِ صوت الحارث بن عُبادِ(١)

❀ ❀ ❀

أنا لا أفرِّقُ بين أهلكِ؛ إنهم   أهلي، وأنتِ بلادُهم وبلادي
ولقد برِئْتُ إليكِ من وطنية   شلَّاءَ تُؤثرُ موطنَ الميلادِ
فلكل رِبع من ربوعكِ حُرمةٌ   وهوىً تغَلْغَلَ في صميم فؤادي

❀ ❀ ❀

كم ضجعةٍ بالقاع في غَلَس الدُّجى   فوق الرمال العُفر وهي وسادي
أدركتُ إذ أدركتُها معنى الكَرى   وسَكينةَ الأرواح في الأجسادِ
ولشدَّ ما انطوتِ العصورُ وما انطوت   للعيش فيكِ بَشاشةُ الأعيادِ
فسَفَرتِ بالفجر المبين لمُدْلِجٍ   وتفجَّر العرفانُ منكِ لصادِ
آمنتُ بالهمم التي أحيَيْتِها   فمضت تزلزلُ شامخَ الأطوادِ
وتخطَّفتْ شمَّ الحصون، وإنها   كانت تُعَدُّ مرابضَ الآسادِ
ولقد شهدتِ بنيكِ يوم تشمَّروا   متلبِّبين لغارةٍ وطِرادِ

---

(١) أحد الرهط الذي أوفده النعمان بن المنذر للدفاع عن حوزة عرب العراق بين يدي كسرى، وقد شهد الوفد للحارث بن عباد أن أفعاله أنطق من لسانه.

فعلمتِ كيف يثور مَن طلبَ العُلى ورأيتِ كيف عزائمُ الأمجادِ
فجريحُهم وأسيرهم كقتيلهم: نهبٌ يُراوحُه الردَى ويغادي
وهمُ الأُباة فما تلين قناتهم تحت السيوف ولا الحِمام العادي

❁ ❁ ❁

شُهداءُ مجدكِ في ثراكِ يضمُّهم وَلهانُ ضمَّ حفيظةٍ ووِدادِ
متَدَفِّقٌ من كل موقع طعنةٍ فيهم لسانُ دم بذكركِ شادِ
سهرتْ عليك جراحُهم كعيونهم بالأمس غيرَ ملمَّةٍ برقادِ
ولقد تطوَّع كهلُهم وغلامُهم للموت غيرَ مسخَّرٍ بقيادِ
وثَبَت بهم في نقع كلِّ كريهةٍ هممُ الغزاة وعفّة الزهادِ
ومَن اشترى استقلالَه بدمائه لم يستنمْ لأذىً ولا استعبادِ

❁ ❁ ❁

الملكُ فيكِ وفي بنيك وإنه حقٌّ من الآباءِ للأحفادِ
وأمانةُ التاريخ في أعناقهم من عهد (بابل) يومَ نهضة (عادِ)
وذوي (حمى ربى) و(آل سميذع) وبني (مَعينَ) و(حِمْيَرٍ) و(إيادِ)
ومن (الرعاة) ومن بني قحطان أو عدنان من متحضِّر أو بادِ
وأغرَّ أبلج من ذؤابة هاشم رفع اللواء ولَمَّ شعث الضادِ
فإذا انبروا للمجد فهو سبيلُهم يمشون فيه على هدًى وسَدادِ
تعسَ العداةُ فما يفرّق شملَنا متفرّقُ الأسماء والآحادِ
ظلموا وما علموا بأن وراءهم شعبًا، وأن اللّه بالمرصادِ

فؤاد الخطيب

إسراف البرامكة وتبذيرهم

«قال مخارق»: أذن لنا أمير المؤمنين هارون أن نقيم في منازلنا ثلاثة أيام، وأعلمنا أنه يشتغل فيها معه الحرم، وقيل: اشتغل الرشيد يومًا واصطبح مع الحرم، وأصبحت السماء مغيمة تطش طشًّا خفيفًا، فقلت: لأذهبن إلى أستاذي إبراهيم فأعرف خبره ثم أعود، وأمرت من عندي أن يسووا لنا مجلسًا إلى وقت رجوعي، فجئت إلى إبراهيم الموصلي وإذا الباب مفتوح، والدهليز قد كُنس، والبواب قاعد، فقلت:

- ما خبر أستاذي؟

فقال: ادخل.

فدخلت وإذا هو جالس في رواق له وبين يديه قدور، وأباريق تزهر والستارة منصوبة، والجواري خلفها، وقدامه طست فيه رطلية وكوز وكأس، فأخذت أترنم ببعض الأصوات.

«وقلت له»: ما بال الستارة لست أسمع من ورائها صوتًا؟

«فقال»: اقعد ويحك، إني أصبحت على الذي ظننت، فجاءني خبر ضيعة تجاورني وطلبتها وتمنيتها زمانًا فلم أملكها؛ وقد أعطى بها مائة ألف درهم.

«فقلت»: فما يمنعك منها؟ فلقد أعطاك اللّه تعالى أضعاف هذا المال بكثير.

«فقال»: صدقت، ولكن لست أطيب نفسًا بأن أخرج هذا المال.

«فقلت»: فمن يعطيك الساعة مائة ألف درهم؟

«فقال»: والله ما أطمع في ذلك من الرشيد، فكيف بمن دونه.

«ثم قال»: اجلس فخذ هذا الصوت.

ثم نقر بقضيب على دواة، وألقى عليَّ هذا الصوت في شعر أبي نصير البصير:

نام الخليون من همّ ومن حزن وبت من كثرة الأحزان لم أنم
يا طالب الجود والمعروف مجتهدا اعمد ليحيى حليف الجود والكرم

فأخذت الصوت، وأحكمته.

«فقال لي»: امض الساعة للوزير يحيى بن خالد، فإنك تأتيه قبل أن يفتح الباب ولم يجلس بعد، فاستأذنْ عليه قبل أن يصل إليه أحد؛ فإنه سيُنكر مجيئك، ويقول: من أين أقبلت في هذا الوقت؟ فحدّثه بقصدك إياي، وما ألقيتُ إليك من خبر الضيعة، وأعلمه أني قد صنعت هذا الصوت وأعجبني، ولم أر أحدًا يستحقه إلا جاريته فلانة، وإني ألقيته عليك لتلقيه عليها. فيأمر بالستارة ويدعوها ويوضع لك كرسي، ويقول لك: اطرحه عليها بحضرتي، فافعل، وائتني بما يكون.

قال: فجئت إلى باب يحيى بن خالد، فجرى الأمر على كل ما قاله إبراهيم، ثم قال: أتقيم عندنا يا أبا المهنا أو تنصرف؟

«فقلت»: أنصرف.

«فقال»: يا غلام، احمل مع أبي المهنا عشرة آلاف درهم، واحمل إلى أبي إسحاق مائة ألف درهم ثمن الضيعة، فأتيت إلى منزلي، ومضى الرسول بالمال إلى إبراهيم، ودخلت بيتي ونثرت على من عندي دراهم من تلك البدرة، وأكلت وشربت وطربت وتوسدتها ونمت، فلما أصبحت قلت: لآتين أستاذي؛ فلأعرفن خبره، فأتيته فوجدت الباب كهيئة بالأمس، ودخلت فوجدته كما كان بالأمس، فنزهت وطربت، فلم يلق ذلك بقبول.

«فقلت»: ما الخبر؟ ألم يأتك المال بالأمس.

«فقال»: بلى، فما خبرك أنت؟

فعرَّفته بالمال الذي أخذته، وقلت: ما تنتظر من خلف الستارة؟

«فقال»: ارفع السجف. فرفعته، فإذا عشر بُدَر.

«فقلت»: أي شيء بقي عليك في أمر الضيعة؟

«فقال»: ويحك، ما هو إلا أن دخل المال منزلي حتى شححت به وصار مثلما حويت قديمًا.

«فقلت»: سبحان الله، فتصنع ماذا؟

«قال»: أقم حتى ألقي عليك صوتًا آخر يفوق ذلك.

فجلست بين يديه، فألقى عليَّ صوتًا آخر في شعر أبي نصير أيضًا:

ويفرح بالمولود من آل برمك ... بغاة الندى والسيف والرمح والنصل

وتنبسط الآمال فيه لفضله ... ولاسيما إن كان من ولد الفضل

قال مخارق: فسمعت ما لم أسمع مثله قط، وصغر في عيني الأول، فأحكمته.

«فقال إبراهيم»: امض الساعة إلى الفضل بن يحيى، فإنك تجده لم يأذن لأحد بعد، وهو يريد الخلوة مع جواريه اليوم، فاستأذنْ عليه وحدثه بحديثنا أول أمس وأمس، وما كان من أبيه إلينا وإليك، وأعلمه أني صنعت هذا الصوت وهو عندي أرفع منزلة من الصوت الأول، وإني وجهت به قاصدًا لجاريته فلانة.

«قال»: فسرت إلى باب الفضل، فجرى الأمر على ما قاله، فسألني عن الخبر، فأعلمته بما وصل إلي وإلى واليه من المال.

«فقال»: أخزى اللَّه إبراهيم ما أبخله على نفسه.

ثم ضرب الستارة، وقال: ألقه.

فلما ألقيته وغنته جاريته لم تتمه حتى أقبل يجر مطرفه، ثم قعد على وسادة، وقال: أحسن والله أستاذك وأحسنت أنت، فأخذته الجارية وسر سرورًا شديدًا، وقال: أقم عندي اليوم.

فاعتذرت إليه.

«فقال»: يا غلام احمل مع أبي المهنا عشرين ألف درهم، وإلى أبي إسحاق مائتي ألف درهم.

فانصرفت إلى منزلي بالمال، وفتحت بدرة ونثرت على جواريَّ، وشربت وسررت، فلما أصبحت بكرت إلى إبراهيم، فوجدته على الحال التي كان عليها، فدخلت أترنم وأصفق.

«فقال»: أُدن.

«فقلت»: ما بقي؟

«فقال»: اجلس، وارفع سجف هذا الباب.

فرفعته فإذا عشرون بدرة مع تلك العشرة.

«فقلت»: ما تنتظر؟

«فقال»: ويحك ما هو إلا أن حصلت عندي حتى جرى عليَّ مجرى ما تقدم.

«فقلت»: ما أظن أحدًا نال من هذه الدولة ما نلت، فلِمَ تبخل على نفسك بشيء تمنيته دهرًا، وقد ملكك اللَّه سبحانه أضعافه؟

«فقال»: اجلس خذ هذا الصوت، وألقى علي صوتًا أنساني به الأولَين، في شعر مروان بن أبي حفصة:

إلى جعفر سارت بنا كلُ حُرَّة طواها سُراها نحوه والتهجر
إلى واسع للمجتهدين فِناؤه تروح عطاياه عليهم وتبكر

«قال مخارق»: فما سمعت مثله قط، فأخذته.

«ثم قال»: امض إلى جعفر، فافعل به كما فعلت بأبيه وأخيه.

ففعلت ذلك، وأخبرته بما كان منهما، وعرضت عليه الصوت. فسر به، وضرب الستارة، وأحضر جارية وأُقعدتُ على كرسي.

«ثم قال»: هات يا مخارق.

فألقيت الصوت عليها، ثم أخذته.

«فقال»: أحسنت يا مخارق وأحسن أستاذك. فهل لك في المقام عندنا اليوم؟

فاعتذرت.

«فقال»: يا غلام، احمل مع أبي المهنا ثلاثين ألف درهم، وإلى الموصلي ثلثمائة ألف درهم.

فصرت إلى منزلي بالمال، وأقمت ومن في منزلي مسرورين، ثم بكرت إلى إبراهيم، فتلقاني قائمًا. ثم قال: أحسنت يا مخارق.

«فقلت»: ما الخبر؟

«فقال»: اجلس، فجلست.

وقال لمن خلف الستارة: خذوا فيما أنتم فيه.

ثم رفع السجف، فإذا المال.

«فقلت»: ما خبر الضيعة؟

فأدخل يده تحت مسورة هو متكئ عليها.

«فقال»: هذه كتب الضيعة، سئل عن صاحبها فوُجد ببغداد فاشتراها منه يحيى بن خالد وكتب إلي:

«قد علمت أنك لا تسخو نفسك تشتري هذه الضيعة من مال يحصل لك، ولو حيزت لك الدنيا كلها، وقد ابتعتها لك من مالي».

ووجه إلي بكتبها وهذا المال كما ترى.

ثم بكى وقال: يا مخارق إذا عاشرت فعاشر مثل هؤلاء، ستمائة ألف درهم وضيعة بمائة ألف درهم وستون ألف درهم لك، حصلت ذلك، وأنا جالس في مجلسي لم أبرح منه!!

القانون والأخلاق

قال غوستاف لوبون في كتابه «روح الاشتراكية» (ص١٢): «تشتمل العوامل السياسية على القوانين والنُظُم، ويعزو النظريون من جميع الأحزاب -ولاسيما الاشتراكيون- أهميةً كبيرة إلى هذين العاملين، لاعتقادهم أن سعادة الأمة بأنظمتها، وأن مقاديرها تتغير بتغييرها، وهم بذلك على غير رأي بعض المفكرين الذين يعتقدون أن تأثير الأنظمة ضئيل جدًا، وأن مقادير الأمم بأخلاقها، أي: بروح أفرادها».

مصر والشام

يا سحابًا يُزجى إلينا رُكامًا فتَرى الوَدْقَ فائضًا من خلاله
أيُّ بحر سواك، بل أي أفقٍ بعد حبسٍ أُطلقتَ من أغلاله؟
أنْبِئ الأرض: هل حملتَ غديرًا في انحدارٍ نهفو إلى شلاّله
أم سيولًا تهيم في كل وادٍ أم رذاذًا يروق في أوشاله؟
أين تغدو: أشاطئَ البحر ترجو أم بَواديه، أم رءوسَ جباله؟
أإلى مصر، أم إلى الشام تصبو؟ والشقيقان واحدٌ في وصاله
بين مصرٍ والشام شاطئ بحرٍ ملءَ عين الأيام بعضُ نواله
وقفتْ بينه وبين الصحاري شامخاتُ الجبال أسرَى جماله
شيّدتْ صَرحَها عليه الليالي واستقرَّ التاريخُ في أطلاله
ربضت خلفه أسودُ البوادي شاهداتٍ عليه في أعماله
كلما جاءَها مخاضُ الليالي عزَّزتْه بنخبةٍ من رجاله(١)

---

(١) إشارة إلى مهاجَرات الساميين من بوادي جزيرة العرب إلى أقاليم البحر المتوسط التي عمروها منذ أقدم أزمنة التاريخ: في سوريا، ومصر، وبلاد المغرب، وقد ذهب المؤرخ المدقق «جمس هنري بريستد» الأستاذ في جامعة شيكاغو إلى أن جماعات سامية عظيمة قد هاجرت قبل زمن التاريخ من البقعة الهلالية الشرقية، فمشت غربًا حتى هبطت مصر بطريق سينا والسويس، فأقام بعضها في هذا القطر وعمّره، وهؤلاء هم أصل الشعب المصري القديم، ومؤسسو الحضارة المصرية، ومشى قسم آخر منهم إلى الحبشة فاستوطنها، وبقي قسم آخر يتنقل في إفريقيا الشمالية قرونًا عديدة، حتى استقرت منه جماعات كثيرة في بقاعها، ووصل بعضها حتى شواطئ بحر الظلمات «الاطلانطيك»، وليست حركة العرب عند ظهور الإسلام إلا مظهرًا آخر من مظاهر تلك المهاجَرات أنتجت توحيد المواطن السامية وبعثها في وطن عربي جديدة. (الناظم).

أدْنتِ المنتأى، وكانت دليلًا لفتاها الجبّار في إيغاله
هجرةٌ إثْرَ هجرة من صحاري كنّ أصلًا للبحر في أجياله
ملأت أفقَه بآمال مجدٍ فمشى البحر ناشطًا من عقاله

❁ ❁ ❁

(وطنٌ واحدٌ) لأبناء (سامٍ) عربيٌّ في خطوه ومجاله
ما استقل الآريُّ فيه وإن ظلَّ زمانًا يعدو على استقلاله[1]
ليس (عمرو) و(خالد) غير قطين أطلًا منه على آماله
بعثاه بعثًا جديدًا أرانا ضَوْء مجد مُخلَّدٍ في مثاله
(وطن العُرْب) خافَهُ كلُّ عاتٍ أغرق الفاتحين بحرُ رماله
كفلته الصحراء شرقًا وغربًا حين فتَّ الأعداءُ في أوصاله
وطن المرسلين بالحق نورًا ودهاةُ التشريع من عُمّاله
مصر والشام فرعه الوارف الظلّ وأهلُ القطرين من أشباله
خسئ العابث المغير وإن ظلَّ مُجدًّا في غيّه ومحاله
عشرات المليون للضاد ليسوا ليموتوا، فليرتجع عن ضلاله!
كرَّ هذا الزمان كرًّا عنيفًا فإذا هم لم يبرحوا من نصاله
وإذا هم من خالدي الفكر حتى في حضارات غربه وشماله[2]

---

(١) يرى مؤرخو الغرب وعلماء وصف الشعوب عند مقارنتهم بين الأحداث التاريخية والأوضاع الجغرافية، أن في انتشار الشعوب الآرية على حوض الشواطئ الشمالية للبحر المتوسط وانتشار الشعوب السامية على حوض الشواطئ الجنوبية لهذا البحر، ما يشبه خطين متناظرين أو جبهتي حرب كانتا وما زالتا ميدانًا للتنافس والتناحر بين الشرق والغرب منذ خمسة آلاف سنة حتى يومنا هذا. (الناظم).

(٢) إشارة إلى الحضارتين الإفرنسية والانكليزية.

منذ (خُوفُو) ومنذ (قَدْمُوسَ) يزهو بحر فنّانهم بحسنٍ لآله[١]
أن أدال الزمانُ منهم ملوكًا لم يُدِلْ من نبوغهم وجلاله

❁ ❁ ❁

مصر والشام مشرقان لشمسٍ ضاء منها الزمانُ في إقباله
نسَجَتْ من شُعاعها بُرْدَ مَجدٍ خلعته دهرًا على أقياله
فاستعاضَ الشرقيُّ منها بثوبٍ ذهبي الشعاع من أسماله

❁ ❁ ❁

مصر والشام لن تموتا وإن جا رَ علينا الدخيل يوم نزاله
لن تموتا والغرب غربٌ وهذا الشـ ـرق شرقٌ في روحه وإياله
لن تموتا والحق أثبتُ نورًا خمد البغي، أو مضى في اشتعاله

❁ ❁ ❁

مصر والشام مطلعان لفجرٍ عربيٍّ غطّى على آصاله
نهضا يبعثان عصرًا قديمًا في جديدْ حاكى على منواله
نهضا ينشران في الناس أن النـ ـاس أسمى في العيش من أنواله
ويضيئان للحياة سبيلًا عجز الغربُ عن سلوك كماله

❁ ❁ ❁

مصر والشام دوحتان لشعب صانه الله، مَدّ في أظلاله

محمد الشريفي/ نزيل عمّان

---

(١) خوفو مصر، وقدموس فينيقيا. قلت: والافتخار يكون بالإسلام وأهله، لا بالأقوام الكافرين. (س).

في قصر مسلمة بن عبد الملك

«قال إبراهيم الموصلي»: خرجت مع الرشيد إلى الشام لما غزا، فدعاني يومًا، فدخلت إليه إلى مجلس لم أر أحسن منه، مفروش بأنواع الرخام، فأكل وأمرني فأكلت معه، وتوليت خدمته إلى العصر، ثم خلع عليَّ خِلعة وشيٍ من ثيابه، وأمر لي بألف دينار.

«ثم قال»: انظر يا إبراهيم، كم من يدٍ أوليتك إياها اليوم؟ نادمتني منفردًا، وواكلتني، وخلعت عليك ثيابي من بدني، ووصلتك، وأجلستك في إيوان مسلمة بن عبد الملك.

«فقلت»: ما ذهب عني هذا من منتك. وإن نعمتك عندي أكرم من أن تُحصى. ثم قبلت رجليه والأرض بين يديه[١].

شاعر شعوبي (إفحام شعوبي)

كان إسماعيل بن يسار شعوبيًا، شديد التعصب للعجم، وله شعر كثير يفخر فيه بالأعاجم على العرب.

وأنشد يومًا في مجلس فيه أشعب هذا البيت:

إذ نربي بناتنا وتدسّو ... ن سفاهًا بناتكم في التراب

«فقال له أشعب»: صدقت يا أبا فائد، أراد القوم بناتهم لغير ما أردتموهن!

(١) هذا من الغلو. (س).

«فقال له»: وما ذاك؟

«فقال»: دفن القوم بناتهم خوفًا من العار عليهن، وزينتموهن لتنكحوهن!

فضحك القوم حتى استعبروا، وخجل إسماعيل حتى لو قدر أن يسيخ في الأرض لفعل.

ومن هذه القصيدة:

ما على رسم منزل بالجناب ... لو أبان الغداة رجعَ جواب
رُب خال متوّج لي وعمٍ ... ماجد مجتدىً كريم النصاب
إنما سمي الفوارس بالفر ... س مضاهاة رفعة الأنساب
فاتركي الفخر يا إمام علينا ... واتركي الجَور وانطقي بالصواب
واسألي إن جهلت عنا وعنكم ... كيف كنا في سالف الأحقاب
إذ نربي بناتنا وتدسو ... ن سفاهًا بناتكم في التراب

❑ قِحةٌ شُعوبية ❑

وإسماعيل بن يسار النسائي هذا، هو الذي دخل على هشام بن عبد الملك في خلافته، وهو بالرصافة جالس على بركة له في قصره.

فاستنشده -وهو يرى أن يُنشده مديحًا له فيه- فأنشده قوله يفخر بالعجم على العرب قصيدته التي يقول منها:

إني وجدّك ما عودي بذي خوَر ... عند الحفاظ ولا حوضي بمهدوم
أصلي كريم ومجدي لا يُقاس به ... ولي لسان كحد السيف مسموم
أحمي به مجد أقوام ذوى حسب ... من كل قرم بتاج الملك معموم
جحاجحٍ سادةٍ بلجٍ مرازبةٍ ... جردٍ عتاقٍ مساميحٍ مطاعيم
مَن مثل كسرى وسابور الجنود معا ... والهرمزان لفخرٍ أو لتعظيم

أُسد الكتائب يوم الروع إن زحفوا   وهم أذلوا ملوك الترك والروم
يمشون في حلق المازي سابغة   مشي الضراغمة الأُسد اللهاميم
هناك إن تسألي تُنبئْ بأن لنا   جرثومةً قهرت غرَّ الجراثيم

فغضب هشام، وقال له: أعليَّ تفخر، وإياي تُنشد قصيدة تمدح بها نفسك وأعلاج قومك، غطوه في الماء!

فغُط في البركة حتى كادت نفسه تخرج، وأُمر بإخراجه وهو بشرّ، فنفاه من وقته، وأُخرج من الرصافة منفيًّا إلى الحجاز، وكان مبتلىً بالعصبية للعجم والفخر بهم، فكان لا يزال محرومًا مطرودًا مضروبًا.

إبراهيم الموصلي والرشيد

سأل الرشيد إبراهيم الموصلي:

- كيف تصنع إذا أردت أن تصوغ الألحان؟

فقال: يا أمير المؤمنين أُخرج الهم من فكري، وأُمثل الطرب بين عيني، فتسرع إليَّ مسالك الألحان التي أُريد، فأسلكها بدليل الإيقاع، فأرجع مصيبًا ظافرًا بما أُريد.

فقال: يحق لك أن تصيب وتظفر، وأنّ حسن وصفك لمُشاكلٌ لحسن صنعتك وغنائك[١].

(١) الموسيقى محرَّمة. ويُنظر كتاب «هارون الرشيد: الخليفة المظلوم» للشيخين: أحمد القطان ومحمد الزين؛ لمعرفة الأكاذيب التي تُنسب له رحمه الله.

ظئر الإسلام

سلامٌ مِن صَبا (بَرَدَى) أرَقُّ ... ودمعٌ لا يُكفكَفُ يا دِمَشْقُ
ومعذِرةُ البَراعة والقوافي ... جلالُ الرُّزْءِ عن وصفٍ يَدِقُّ
وذِكرَى من خواطرها لقلبي ... إليكِ تلفُّتٌ أبدًا وخَفْقُ
وبي مما رمتْكِ به الليالي ... جراحاتٌ لها في القلب عمقُ
دخلتُك والأصيلُ له ائتلاقٌ ... ووجهُكِ ضاحكُ القَسَماتِ طَلقٌ
وتحت جِنانكِ الأنهارُ تجري ... ومِلْءَ رُباكِ أوراقٌ ووُرْقُ
وحَولي فِتيةٌ غُرٌّ صِباحٌ ... لهم في الفضل غاياتٌ وسَبقُ
على لهَواتهم شُعراءُ لسنٌ ... وفي أعطافهم خُطباءُ شُدقُ
رواةُ قصائدي فاعجب لشعرٍ ... بكل محلَّةٍ يرويه خَلقُ
غمزتُ إباءَهم حتى تلظَّتْ ... أنوفُ الأُسْدِ واضطرمَ المَدَقُّ
وضجَّ من الشَّكيمة كلُّ حرٍّ ... أبيّ من أُميَّةَ فيه عِتقُ

❊ ❊ ❊

لَحاها اللهُ أنباءً تَوالت ... على سمْع الوليّ بما يَشُقُّ
يفصّلها إلى الدنيا بَريدٌ ... ويُجمِلها إلى الآفاق بَرقُ
تكاد لرَوْعة الأحداث فيها ... تُخال من الخرافة وهي صِدقُ
وقيل مَعالم التاريخ دُكّتْ ... وقيل أصابها تَلفٌ وحرقُ
ألستِ دِمَشقُ للإسلام ظِئرًا ... ومُرضِعةُ الأبوّة لا تُعَقُّ
صَلاحُ الدين تاجُك لم يُجمَّلْ ... ولم يوسَم بأَزينَ منه فَرقُ
وكلُّ حضارةٍ في الأرض طالتْ ... لها من سَرحِكِ العُلويّ عِرقُ

سماؤك من حُلَي الماضي كتابٌ   وأرضُك من حُلَي التاريخ رَقُ
بَنيتِ الدولةَ الكبرى، ومُلكًا   غُبارُ حَضارتيه لا يُشَقُ
له بالشام أعلامٌ وعُرسٌ   بشائرُه بأَنْدَلُسٍ تُدَقُ

❀ ❀ ❀

رِباعُ الخلد ويحَكِ ما دهاها   أحقٌّ أنها دَرَسَتْ، أحقُ؟
وهل غُرَفُ الجِنان مُنضَّداتٌ   وهل لنعيمهنّ كأمس نَسقُ
وأين دُمى المقاصِر من حِجالٍ   مُهتَّكةٍ وأستارٍ تُشَقُ
بَرَزْنَ وفي نواحي الأَيْكِ نارٌ   وخلفَ الأيك أفراخٌ تُزَقُّ
إذا رُمنَ السلامةَ من طريق   أتتْ من دونه للموت طُرْقُ
بليلٍ للقذائف والمنايا   وراءَ سمائه خطفٌ وصَعقُ
إذا عَصفَ الحديدُ احمرَّ أفقٌ   على جَنَباته، واسودَّ أفقُ
سلى مَن راع غِيدكِ بعدَ وَهنٍ   أبينَ فؤاده والصخرِ فَرقُ
وللمستعمرينَ وإن ألانوا   قلوبٌ كالحجارة لا تَرِقُ
رماكِ بطيشه، ورمى فرنسا   أخو حربٍ به صَلَفٌ وحُمقُ
إذا ما جاءَه طُلَّابُ حَق   يقول: عصابة خرجوا وشقُّوا
دمُ الثُّوَّار تَعرفُه فرنسا   وتَعلمُ أنه نورٌ وحقُّ
جَرَى في أرضِها فيه حياةٌ   كمنهلّ السماءِ وفيه رزقُ
بلادٌ ماتَ فتيتُها لتحيا   وزالوا دونَ قومهمِ ليَبقوا
وحُرّرَتِ الشعوبُ على قَناها   فكيفَ على قناها تُستَرقُّ

❀ ❀ ❀

بني سوريةَ اطَّرِحوا الأماني   وألقوا عنكُم الأحلامَ، ألقوا
فمِن خِدَعِ السياسة أن تُغَرُّوا   بألقابِ الإمارةِ وهي رِقُّ

وكم صَيَدٍ بدا لكَ من ذليلٍ كما مالتْ من المصلوب عُنْقُ
فُتوقُ الملكِ تَحْدُثُ ثم تَمْضي ولا يَمْضي لمُخْتَلِفين فَتْقُ
نَصَحْتُ ونحن مُخْتَلِفونَ دارًا ولكن كلنا في الهمّ شَرْقُ
ويجْمَعُنا -إذا اخْتَلفتْ بلادٌ- بيانٌ غير مُخْتَلفٍ ونُطقُ
وَقَفْتمْ بينَ مَوتٍ أو حياةٍ فإنْ رُمْتمْ نَعيمَ الدهر فاشْقوا
ولـلأوطانِ في دمِ كلّ حرٍّ يَدٌ سلفتْ، ودَينٌ مُسْتَحقُ
ومَنْ يَسْقي ويَشْرَبُ بالمنايا إذا الأحرارُ لم يُسْقَوْا ويَسقوا
ولا يَبْنِي الممالكَ كالضحايا ولا يُدْني الحقوقَ ولا يُحِقُّ
ففي القتلى لأجيالٍ حياة وفي الأسْرَى فِدًى لهمُ وعتْقُ
وللحريةِ الحمراءِ بابٌ بكلّ يدٍ مضرَّجةٍ يُدَقُّ
جَزاكمْ ذو الجلالِ بني دمَشقٍ وعزُّ الشرقِ أوّلُه دمَشقُ
نَصَرْتمْ يومَ مِحْنَتِهِ أخاكم وكلُّ أخٍ بنصرِ أخيهِ حقُ
وما كان الدروزُ قَبيلَ شَرٍّ وإنْ أُخِذوا بما لم يَسْتَحِقُّوا[1]
ولكن ذادةٌ وقُراةُ ضيفٍ كيَنبوعِ الصَّفا خَشُنُوا ورَقُّوا
لهم جَبَلٌ أشَمُّ له شِعافٌ مواردُ في السحابِ الجونِ بُلْقُ
لكلّ لَبوءَةٍ ولكلّ شِبْلٍ نِضَالٌ دون غابتِه ورَشْقُ
كأَنَّ من السموألِ فيه شيئًا فكلّ جِهاتِه شَرَفٌ وخُلْقُ

أحمد شوقي

(١) غلبت القومية شوقيًا، حتى جامل «الدروز»! وإلا فهم أصحاب مذهب منحرف. انظر حقيقته في رسالة: «عقيدة الدروز: عرض و نقض»؛ للدكتور محمد بن أحمد الخطيب. (س).

الوطنية

الوطنية، هي اعتداد الأمة بنفسها، ورغبتها في الوصول إلى أرفع درجات المجد، ومحاولتها النهوض والرقي، لا من الناحية الأخلاقية والعقلية فحسبُ، بل من الناحية المادية أيضًا، وذلك لتبسط نفوذها وسلطانها على أجزاء من الأرض.

فلاديمير دورميسون

من مقالة في جريدة الطان/ يناير، ١٩٢٦

انتشار شعر المتنبي في حياته

قال رئيس الشام، كمال الدين بن العديم العقيلي في تذكرته الشهيرة:

قرأتُ بخط أبي الفتح عثمان بن جِنّي: حدثني المتنبي قال: حدّثني بمصر فلانٌ الهاشمي من أهل حَرَّان قال: أحدثك بطريفة، كتبتُ إلى امرأتي وهي بحران كتابًا تمثلت فيه ببيتك:

بِمَ التعللُ لا أهلٌ ولا وطنُ ولا نديمٌ ولا كأس ولا سَكَنُ

فأجابتني عن الكتاب فقالت: ما أنتَ واللهِ كما ذكرتَه في هذا البيت؛ بل ما أنت إلا كما قال الشاعر في هذه القصيدة:

سهرتُ بعد رحيلي وحشةً لكم ثم استمرَّ مريري وارعوَى الوَسَنُ

سورية الشهيدة

الأهلُ أهلي، والديارُ دياري ... وشِعار «وادي النَّيْرَبَين» شعاري
ما كان من ألم بجِلّقَ نازلٍ ... واري الزناد، فزَنْدُه بيَ واري
إن الدمَ المهراقَ في جَنَباتها ... لَدَمي، وإن شِفارَها لَشفاري
دمعي لما مُنيتْ به جارٍ هنا ... ودمي هناك على ثَراها جاري

❋ ❋ ❋

يا وامضَ البرق اطْمئنَّ وناجني ... إن كنتَ مطلعًا على الأسرار
ماذا هناك فإن صوتًا راعني ... والصوتُ فيه جَفوةُ الأذعار
النارُ محدقةٌ بجِلّقَ بعدما ... تركتْ «حماةَ» على شفيرٍ هار
تنسابُ في الأحياءِ مسرعةَ الخُطى ... تأتي على الأطمار والأعمار
والقومُ منغمسون في حمآتها ... فتكًا بكلِ مُبَرَّإٍ صَبَّار
الطفلُ في يدِ أمّه غَرَضُ الأذى ... يُرَمى، وليس بخائض لغمار
والشيخ متّكئًا على عُكازه ... يُرَمى، وما للشيخ من أوزار
صبرتْ دمشقُ على النكال لياليا ... حَرُمَ الرُقادُ بها على الأشفارِ
لهفي على المتخلفين برحبها ... كيف القرارُ ولاتَ حينَ قَرار
يترقَّبون الموتَ في غدواتهم ... وإذا نَجَوْا فالموتُ في الأسحار
لا يعلمون: أفي سواد دُجُنَّةٍ ... هم سُهَّدُ، أم في بياض نهار
الوابلُ المِدْرارُ من حُمَمِ اللَظَى ... متواصلٌ، كالوابل المدرار
والظلْم منطلق اليدين محكمٌ ... ياليتَ كلَّ الخَطْب خَطْبُ النار
أمجالسَ السمَّار ضاحكةً بهم ... ضحكَ الهوَى ما حلَّ بالسمَّار؟

أمعاهدَ الأدب الطَريف ثكلته ... غضَّ الصِّبا كتفتّح الأزهار
أُمَّ القصور نواعمًا رَبّاتُها ... ما للقصور دَوائر الآثار
أُمَّ الجِنان الكاسيات رياضُها ... حُلَلَ السَّنا، ما للرياض عواري؟
أُمَّ الحياة، وللحياة نعيمُها ... هل في ديارك بَعدُ من دَيّار
زهوُ الحضارة أنت مطلعُ شمسه ... أفتغتدين وأنت دارُ بَوار؟
ويحَ الحضارةَ كيف يَمتهن اسمَها ... متكالبون على الضعاف ضَواري
هم أوردوكِ وأصدروكِ على صدًى ... فشقيتِ في الإيراد والإصدار
هم أحرجوكِ فأخرجوكِ مَهيجةً ... فصرختِ فيهم صِرخةَ الجبَّار
طالتْ لياليكِ الثلاثُ، وإنما ... في مثلهنَّ يلوحُ نهجُ الساري
وإذا الظلام عنا تَبلَّجَ فجرُه: ... ظُلَمُ الحوادث مطلعُ الأنوار
ما انهار قصرٌ في حِماكِ مُمرَّدٌ ... إلا ليُرفعَ فيكَ قصرَ فخار
ما دمْروكِ هُم، ولكن دمَّروا ... ما كان فيكِ لهم من «استعمار»
حملوا عليك مُواثِبينَ وما لهم ... ثأر، وثرتِ وأنتِ ربةُ ثار
ما ينقمون عليكِ إلا أنهم ... شهدوكِ غير مَقودَةٍ لصغار
فإذا المنازلُ وهي شامخةُ الذرَى ... مُنهارُ أطلالٍ على مُنهار
وإذا المدينة «تَدْمُرٌ» أو«نينَوَى» ... أنقاضُ عُمران ورسمُ دَمار

❊ ❊ ❊

قم سائل الأجيالَ يا ابنَ نسيجها ... واستوحِ غامض سِرّها المتواري
فلعلّ عِبرةَ مجتلى صفحاتها ... في ما محاهُ الدهرُ من أسطار
إن الشعوبَ لتستفيقُ إنِ انتشَتْ ... والصحوُ غايةُ نشوةِ الإسكار
أرأيتَ كيف طغى الفرنجُ وأوغروا ... صدرَ الأسنّة أيّما إيغار؟
أرأيت كيف استُهتروا بمطامعٍ ... فيها المصارعُ، أيما استهتار؟

الشرقُ بين قويّهم وضعيفهم ... متداوَل الأنجاد والأغوار
وبنوه بين وَعيدهم ووُعودهم ... شتّى المذاهب شُرَّدُ الأفكار
لا تأمننَّ فأنتَ بين مُكافح ... منهم، وبين مُخادعٍ غرّار
وانظرْ إلى الآلاف من بُسلائهم ... يغزوهُم مائةٌ من «الثوّار»
من كل مِغوارٍ صَليبٍ عودُه ... يقتادُ كلَّ مدجَّجٍ مِغْوار
الواثبين إذا يُقال «تأهبوا» ... والقاحمين إذا يُقال «بَدارا!»
إن أنصفت أيامُ ذي قارٍ لنا ... سَلَفا، فنحن اليوم في «ذي قار»
طارتْ بألبابِ الفرنجةِ صيحةٌ ... في الشام فاندفعوا إلى الأسوار
واستهدفوا الأطفالَ في حُجُراتها ... والمطفلاتِ وهنّ في الأخدار
عَمُّوا بمضْطَرِب القذائف كل ذي ... ضَعفٍ، وخصّوا كل ذات إزار
ستروا بضرب الآمنين فرارَهم ... فاعجب لعارٍ ستَّروه بعارا!

❁ ❁ ❁

غضبتْ لسوريَةَ الشهيدة أمةٌ ... في مصرَ تطفئُ غُلّةَ الأمصار
ورَعتْ لها ذِمَم الوفاءِ، فلم يَضعْ ... عهدٌ تَسلسلَ في دم الأعصار
للهِ والتاريخِ والدمِ واللُّغى ... حقٌّ، وللآمال والأوطار
تأبى الجماعةُ أن تهون لغاصب ... والفردُ موقوفٌ على الأقدار
وإذا العُرَى انفصمتْ تولى أهلَها ... ضيمُ المغير بخَطبه الكُبّار

❁ ❁ ❁

يابنَ الكنانةِ ما الجراحُ دواميًا ... في الشام إلا في طُلى الأحرار
المشترين دِيارَهم بدَمارهم ... وهمُ يرون به رَباح الشاري
أنِفوا حياة الشاءِ كلّ عشية ... وضحى تعيث بها يدُ الجزّار
هلّا نظرتَ إلى الشآم فإنها ... ترنو إليك بشاخص الأبصار

ناءَتْ بحمل نكوبها فتقلقلتْ مَوجًا بأطفالٍ هناك صِغار
ليس الجِوار إذا عدلتَ بمقنع يأبى الشقيقُ عليك حقَّ الجار

خير الدين الزركلي

العدل في القوانين

ماذا يجدي أنَّ العدلَ في القوانين، إذا لم يكن في القلوب، وإذا كانت القلوب مؤذية فهل يُجدي أنَّ العدل في القانون؟

لا تقولوا: «نسنُّ شرائعَ عادلة ونعطي كل واحد حقَّه»، فلا رجل عادل. ولسنا نعلم ما ينفع الناس: نحن نجهل على السواء ما هو حسنٌ لهم وما هو سيء.

أناتول فرانس

من كتاب آراء «أناتول فرانس» للسيد عمر الفاخوري

الحديقة

مجموعة أدب بارع، وحكمة بليغة

الجزء الثالث

انتقاها

الكاتب الإسلامي الكبير

محب الدين الخطيب رحمه الله

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله باري الورى، وصلى اللّه على سيدنا محمد علم الهدى، ورحمته ورضوانه على كل من إذا قال قال خيرًا، ودعا إلى مكرمة وفضيلة واعتلا.

وبعدُ: فإني أضعُ بين أيدي قراء (الحديقة) الجزءَ الثالث منها؛ وقد حرصتُ على أن يكون جامعًا بين ما يلذُّ وما يفيد، وعلى أن يكون أهلاً لمسامرة محبِّي الأدب من رجالنا ونسائنا على اختلاف طبقاتهم.

ولعلّ (الحديقة) انفردتْ بهذه المزية، فلم يشاركها فيها كتاب آخر من نوعها. وكان كثيرون من الأدباء قد ظنوا أن الناس مالوا عن الأدب الأبيّ العفيف إلى عدوّه المتهتك، فدلّني رضى القرَّاء في جميع الأوطان العربية عن جزءَي الحديقة السالفين على أن هذه الأمة لا تزال إلى خير؛ فمضيتُ في عملي طالبًا من اللّه التوفيق.

القاهرة ١٢ ربيع الأول ١٣٤٥هـ

محب الدين الخطيب

الشرق الناهض
بمناسبة جهاد الأمم الشرقية في آسية وإفريقية

«للشاعر الكبير السيد محمد رضا الشبيبي،

وزير المعارف العراقية السابق»

نفَد الصبرُ، فهبتْ فَزَعا ... وأبَى السيفُ لها أن تَضرَعا
بعث اللهُ لها راقده ... من عصور ما أقضَّ المضجعَا
ودعا للذود عن أحسابها ... شرفُ العِرق، فلبَّتْ إذ دعا
أمةٌ خرساء كم واش وَشَى ... بنواديها، وكم ساعٍ سعى
أزمعتْ أن لا يراها جَملاً ... غاصبٌ صال عليها سَبُعا
واتَّقت حينًا، فلما علقتْ ... نبذتْ ذاك التقى والورعا
أشرعتْ عاملها، فاتهموا ... حدَّه المأثورَ حتى قَطعا
وادَّعاها - فنفتْ حُجتَه - ... داحضُ الحجةِ سَمْجُ المدَّعى
جمحَ الشرقُ على رائضه ... بعد ما استنَّ ذلولا طيعا
في جهات الأرض خَرقٌ، كلما ... رفأ الساسةُ منه اتسعا
جاذبتنا بُردةَ الملكِ يدٌ ... ملأتها من فساد رُقَعَا
كلما قام إمام جائر ... قادنا الضعفُ إليه تبعا
شتَتَ الشملَ جميعًا نفرٌ ... غبروا، لا يشهدون الجُمَعا
لا يبالون إذا ما قلّدوا ... ضرَّهم ما فعلوا أم نفعا
وإذا ما بحثوا مشكلة ... لم نجدهم شِيعةً بل شِيَعًا

❁ ❁ ❁

صلةَ الشرقيِّ بالماضي اسلمي لا تعودي سَنَدًا مُنقطِعا
جاهدي يا أممَ الشرق الألَى قتلونا، جاهديهم أجمعا
جدِّدي عهدَ عليّ غازيا وأعيدي مالكًا والنَّخَعا
واذكري ما فعل الغرب بمن هذَّبوه، واصنعي ما صَنعا
وثبَ الريفُ من الغرب بهم فأثارَ الشرقَ والغربَ معا
وتعالى في العراقينِ صَدَىً من بني الأطرش حتى أسمعا
جمع العلجُ لهم، فانبعثت همجاتٌ فرَّقتْ ما جَمعا
أتَنوخ هذه؟ أم أنجبت مرةً أخرى تَنوخُ تُبَّعا
ذهبت أيامهم فاسترجعوا ما أضاعوا، رُبَّ ماضٍ رَجعا
حضرٌ تفتخر المدنُ بنا أو بداةٌ تتحرَّى النجَعا
نَضَّرَ اللهُ عهودًا بالحِمى سالفاتٍ، ورعاها ما رعى
وسقَى مما يلي عاملة ذلك المصطافَ والمُرْتَبعَا
لا أغب الغيثُ صيداء ولا أخلفَ النوء المرجى جَبَعا
بلّ حِمصًا وتوخَّى حَلَبا ونحا بُصرى وروّى أذْرَعا
مدنٌ لو تُركت لاتصلتْ جَزَّأُوها - ليسودوا - قِطَعا
دفعوا الشامَ عن الحقِّ الذي دمُها سال عليه دفَعا
يا لها واقعة في جِلِّق جلَّ في حسباننا أن تقعا
جَنّةُ الأرض، وما أوحشها جنة بالنار عادت بَلْقعا
منحَ اللذات منها بلدٌ عَبقريٌ وأفاد المُتَعا
يا له حيًا لقاحًا لعبت فيه أيدي العابثينَ الخلعا

❊ ❊ ❊

ما لكم إن أحسن الشرقُ قِري أيها الضيفانُ زدتم جَشعَا

لا تقولوا طمعٌ. داؤكم جاوز الحد فأمسى طبعا
لا ربحتم من تجار عرَضوا أنفس الأحرار منا سِلَعا

التربية الرياضية

قال الغزالي: «ينبغي أن يؤذن للصبي - بعد الانصراف من المكتب - أن يلعب لعبًا جميلاً يستريح إليه. بحيث لا يتعب في اللعب. فإنّ منع الصبي من اللعب وإرهاقه في التعلم دائمًا يُميت قلبه، ويُبطل ذكاءه، وينغّص عليه العيش، حتى يطلب منه الخلاص رأسًا».

رسالة القاضي الفاضل إلى أخيه

نقل كمال الدين بن العديم العقيلي في تذكرته النفيسة رسالة كتبها القاضي الفاضل إلى أخيه عبد الكريم يؤنبه فيها على إيذائه الأمير علم الدين ابن النحاس، وهذه صورتها، وهي نموذج الإنشاء البليغ والأدب العالي:

«سبب إصدار هذه المكاتبة إلى الأخ أصلحه الله، إعلامه ما صحَّ عندي من الأحوال التي أخفاها، واللهُ مُبدها في حق الأمير علم الدين، وباللهِ أُقسم لئن لم تُداو ما جرحت، وتستدرك ما فعلت، وتمحُ ما أثبت، وتستأنفْ ضدَّ القبيح الذي كتبت به وشافهت، وتعتذرْ بالجميل فيما قاطعت اللّٰه به وبارزت؛ ليكوننَّ الحديث مني بغير الكتاب، ولأزيلنَّ السبب الذي قدرت به على مضرّة الأصحاب، وما أشد معرفتي بأن الطباع لا تتغير، وبأنك ستُحوجني بعد هذا

الكتاب إلى ما لا يتأخَّر، وبالجملة فاستدرك بفعلك، لا بأيْمانك لي وتنصلك إليَّ.

فالدَّمُ في النّصْل شاهدٌ عَجَبُ

وويلٌ لمن كانت غنيمتَه من الأيام عَقدُ القلوب على البغضاء، وإطلاق الألسنة بالمذام، ولولا أنني شريكك في كل ما تستوجبه من الناس، لألقيتُ حَبلك على غاربك، وتركتك وما اخترتَ لنفسك، ولكن:

كيف يمن يُرْمَى وليس برام

ولكنَّ سكوتَ الناس عن قبيحك مقابلةٌ لجميل كثير مني، فإذا أنت لا تُنفق إلا من كيسي، فأشفق على نفسك إن كنت تنظر في غدٍ، وعلى بيتك إن كنتَ تنظر في أمس، وعلى مكانكَ مني إن كنت لا تنظر إلا في اليوم، ولا تجاوبني إلا بلسان الرجل شاكرًا لك، فإنه وإن كان -واللهِ- ما ذمك فقد ذممتك به عنه، وما أظنُّ أنك تذكر أنني كتبت إليك كتابًا ولا كنت أوثره، ولولا حافزُ غيظ ما كتبته، ولولا علمي أن الكثير مما قيل عنك في أمر الرجل هو القليل مما فعلته لأضربتُ عن هذا كما أضربتُ عن غيره. وستُعرّفك الأيام ما كنت تجهل، والله يأخذ بناصيتك إلى رضاه، ويُغمد سيفَ حيلتك عن مقتلك. والسلام».

* * *

والذي حمل رقعة القاضي الفاضل إلى أخيه هو القاضي بهاء الدين محمد بن الحسن بن إبراهيم بن سعيد بن الخشاب.

جبابرة الأرض

قال أناتول فرانس: لينظر جبابرة الأرض إلى مواطئ أقدامهم، لينظروا إلى الشعوب التي يقهرونها، والمبادئ التي يزدرونها، فإن من ثمة سوف تُخرج القوة التي تصرعهم.

الليلة الرهيبة

❑ صورة الحزن ❑

يا ساهرَ الليل، ما للبرق يأتلقُ ... والمزنِ ترعدُ والأنواءِ تصطفقُ
هل بالطبيعة ما بي أم ألمَّ بها ... ما بالديار فثارتْ - كلُّها حنَقُ
مُربدَّةً لم يَهِمْ في جوِّها قمرٌ ... ولا تنفَّسَ في أطرافها فلَقُ
قدَّتْ من الليل سرْبالاً يُجَلِّلها ... وخفَ الذيول فلم يُسفر لها أُفقُ
مرأىً يُمثلِّ هولَ الحزن مختبطًا ... بين الجوانح سُدَّت دونهَ الطرقُ
أبصرتُ بالعين ما استشعرت من كمد ... في النفس لجَّ به التبريح والأرقُ

❁ ❁ ❁

❑ مصارعة الهموم ❑

ويحَ الهموم فكم أرخت أعنتَها ... شُعثًا تدفَّقُ أرسالا وتستبقُ
هوجاء تسمع منها كلما اقتربت ... صوتَ السلاسل فوق الصخر تنزلقُ
تهوي إليَّ وأهوي مطبقين معًا ... حتَّى نُصرَّع ملتفَّين نعتنقُ
هاجت وهِجتُ فكانت ثمَّ ملحمة ... داراتْ وسال دمي يجري به العرقُ

❁ ❁ ❁

❑ الحقد والقوم ❑

أصبحتُ منفردًا عن كلّ ذي ثقة ... حتى انطويت على ضِغن فما أثقُ
والغيظ يسكتُ عني ثم يهجم بي ... على القنوط، فحظّى عاثرٌ قلقُ
أنحت علي خطوبٌ قام شاهدها ... في الأسود الجَوْن دبَّ الأبيض اليَقَقُ
وكم عركتُ بجنبي زَلّة بدرَتْ ... من الصديق فلم يجمحْ بيَ النزَقُ
والقوم صنفان: إما فاتكٌ شرسٌ ... وَعرُ الطِباع، وإما خاتل لَبِقُ
واللين كالسيف إن يخدعْكَ مَلمسه ... فاسألْ به الحتفَ يشهدْ حَده الذلقُ

❑ مناجاة الربيع ❑

يا رَبع أين ليال فيك ناضرةٌ ... مرَّت، وأين نعيم فيك متَّسقُ
فالدار موحشةٌ صاح العفاءُ بها ... والروض صَوَّح منه النبت والورِقُ
لم يبق منه ومنها بعد زَهوها ... إلاَّ الهشيم، وإلا دِمنةٌ خَلَقُ
شط الأنيس، فهل أرضاك مرتحلًا ... بالطيف يطرق إلمامًا وينطلقُ
وهل أمدَّك في بلواكَ منه صدىً ... باقٍ يئن حسيرًا ثم يختنقُ
فالخير من جنَبات الشر مُرْتَقبٌ ... كالفجر من خَلَل الظَّلماءِ ينبثقُ
تبكي الطلول وتستبكي الغمامَ لها ... مهلاً، فتلك شئوي ماؤها غَدَقُ
كادتْ تُرفِّه ما في الصدر من غَلَل ... لو ساغ مُصطْبَحٌ منها ومُغتَبَقُ
ألقَتك في لهوات الحتف غائلةٌ ... من تحتها طَبَق، من فوقها طبقُ
لم ترفع الرأس إلا تحت كلكلها ... والناس مُسعَرةٌ والسيف ممتَشقُ
قد كان عن قَدَر ما قيل عن خطَلٍ ... وكم تحيَّف صفوَ الوارد الرَّنَقُ
تُعزَى العيوب إلى المنكوب مُقحمةً ... وِزْرُ الضعيف بقدْر الضعف يُختلقُ
والعائرون، وإن لم يجن عائرُهم ... قيل الجناة، وقيل الجهلُ والحمَقُ

❁ ❁ ❁

❑ الأمل الخائب ❑

ما أنضرَ الأملَ الموعود لو صدقت ... فيه الظنون، ولكن صدقها مَلَقُ
إن الأمانيّ كالأزهار من كَثَب ... تزهو، ويأرَجُ منها نشرُها العبقُ
لكن إذا اعتوَرَتْها كفُّ ملتمسٍ ... جفَّت وأودَى الشذى والمنظر الأنقُ

❁ ❁ ❁

❑ الخطوب الجسام ❑

كيف العَزاءُ ومالي بالعزاءِ يدٌ ... فالرُزْءُ مجتمعٌ حولي ومفترقُ
إني شممتُ من الأنفاس مُصعَدةً ... في الحي رائحة الأكباد تحترقُ
وقد فنيتُ عن الدنيا ولذّتها ... فلست أشعرُ إلا أنني رَمقُ

فؤاد الخطيب

لا طفرة

لم يأت زمن تبدَّلت الآداب والأفكار فيه طَفرة. فإن أعظم التبدلات الطاردة على الحياة الاجتماعية تحصل دون أن يشعر بها أحد، ولا يرى إلا عن بُعد، لذلك لا يُعيرها الذين يجتازونها أقل التفات.

أناتول فرانس

آراء لأناتول فرانس

مختارة من كتاب (آراء أناتول فرانس)

بقلم عمر فاخوري

* أولى لك أن تكون المخدوع أحيانًا، فقد علمتنا الحياة أن المرء لا يكون سعيدًا إلا بقليل من الجهل.

* سواء أعلم المرء أم لم يعلم فهو لم يتكلم. ليس يُعلم كل شيء، ولكن كل شيء يقال.

* ليس في هذه الحياة أجمل من الأهواء، ولكنها خرقاء، الحب أجملها وأبعدها عن الصواب.

* ليس في الدنيا ما هو أكبر سلطانًا من الجمال.

* إذا أسعدنا الحظ بأن نكون فقراء بالفعل فلا نجعل أنفسنا أغنياء بالفكر، ومتعلقي القلوب بمتاع الدنيا، مخافة أن نشقى أو نظلم الناس.

* يُورث كل تبدل يطرأ -وإن تمنيناه كثيرًا- حزنًا وغمًا، لأن ما نتركه جزءٌ منا.

* ينبغي أن نموت في حياة لندخل حياة أخرى.

* بالعاطفة تُبذر بذور الخير في الدنيا، ولم يُؤت العقل هذه القدرة.

* من الحسَن أن يكون القلب ساذجًا والفهم غير ساذج. بأي حقّ تسأل المرءَ أن يضحي حياته إذا سلبتَه الأمل في حياة أخرى؟

* من الحُمق العظيم أن تحتقر خطرًا يهددك.

* في الهموم تسلية عظيمة.

* ينتج الخطأ عن ضعف في الخلق أكثر مما ينتج عن ضعف في الإدراك.

* ليقلْ (لافونتين) ما شاء، فإن الأرنب يسبق السلحفاة دائمًا، كما أن النبوغ يفوز على حسن الإرادة.

* الإنسان في جوهره حيوان أحمق، وليست ترقياته العقلية إلا جهود قلقلة الباطلة.

* النساء والأطباء وحدهم يعلمون أن الكذب ضروري فيه منافع للناس.

* المصيبة هي أفضل معلم وخير صديق، فهي التي تَهدينا إلى معنى الحياة.

* الحقيقة كالشمس، لا يراها إلا من كانت له عين النَّسْر.

* يحتاج أكثر الناس إلى شيء من الزينة ليبدوَ أنهم عظام.

* كل شيء عكر في النفوس العكرة.

* الحركات الجميلة موسيقى العيون.

* قد يُحرم من تذوّقِ اللذة مانحها.

* لا يُجيد المرء الحديث عمن يحبُّ إلا متى فقده، وما قوَّة الشاعر إلا جمع الذكريات ومناداة الأخيلة.

* لكل صورة شعرية معان عدة، فأي معنى وجدته كان عندك معناها الحقيقي.

* يثور المرء إذا غُلب، أما الغالبون فلا يكونون عصاة ثائرين.

* من طبع الحكماء الحقيقين أن يُغضبوا سائر الناس.

* ليس بجائز أن يكون العالِمُ الحقيقي غير متواضع، فهو كلما خطا خطوة رأى طول الطريق أمامه.

* العِلم معصوم، لكن العلماء يخطئون دائمًا.

* لا يزدري العلم إلا من يزدري العقل، ولا يزدري العقل إلا من يزدري الإنسان.

* ومن يزدري الإنسان أغضب الله.

* المدن كتب مزينة بالرسوم نرى فيها الأجداد.

* يزهد المرء في الإبانة عن عواطفه إذا كانت الألفاظ ستُضعفها كثيرًا.

* كان البشر في الماضي كما نعرفهم اليوم: خيارًا وسطًا، وشرارًا وسطًا.

* ما الوطن؟ هو نهر يجري: شواطئه أبدًا متبدلة، ومياهه متجددة.

* كلما تقدَّمتُ في السن ازداد يقيني بأنه لا يوجد مجرمون، ولا يوجد إلا بؤساء مساكين.

* نحن أطفال مقضي علينا أن نظلَّ أطفالاً إلى الأبد، لا نفتأ نعدو وراء ألاعيب جديدة.

* الفلسفة والأدب هما (ألف ليلة وليلة) الغرب.

* لا شيء في الدنيا أجلّ من الألم.

* كل مصائبنا باطنة، ونحن مسببوها. نحسب -خطأ- أنها تأتينا من الخارج ولكننا نكوّنها في باطننا من نفس مأَدتنا لا نضيّعْ شيئًا من الماضي، فإن الماضي يَصنع المستقبل.

* كبار الشعراء هم لكل الناس أما صغارهم فأحقُّ بالغبطة أيضًا؛ لأن شعرهم لذة للمترفين الذين لا يقنعون بما يقنع به العامة.

* ما كان الجبنُ قطُّ دليلَ التعقل.

* كلمتا «الحقيقة» و «العدل» يكفي أن لا نحدّدهما لنفهم معناهما الصحيح. ان في هاتين الكلمتين بحد ذاتهما لجمالاً يضيء ونورًا سماويًا.

* قلّما يُسئمني الذين لا يتكلفون بل يظهرون كما هم في حقيقتهم، وقد يسلّونني.

* المجد كالحسناء لا يمنح نفسه إلا لخاطب.

* يلوح لي أن الإنسان إنما يشقى لإفراطه في إجلال نفسه وفي الثقة بالناس. فلو كان رأيه في الطبيعة البشرية أصح وأقربَ للتواضع لأصبح في أحكامه على نفسه وعلى الناس أرقَّ وأحلم.

* سذاجة الفلاسفة لا يُسبر غورها.

* إن المبادئ الاجتماعية لأسرع تبدلاً من آراء الفلاسفة. لذلك هي لا تقوم على أساس مكين، فلا يكاد الفكر يلامسها حتى ينقضَّ بنيانها.

* لا يعرف المرء عدم التبصّر إلا من قِبَل أهوائه.

* إن الهوى الشديد لا يدع لصاحبه برهة راحة، وهذه هي حسنته وفضيلته.

* إن كل شيء هو خير من أن ترى أنك تحيا.

* ماذا تكون بوادي الحياة لولا سراب أفكارنا الساطع؟

* إن أفعالنا ليست منا تمامًا، بل هي للأقدار أكثر مما هي لنا؛ نحن نُعطاها جائزة ولا نستحقها دائمًا.

* الشعراء كالأطفال، يعزّون أنفسهم بالصور.

* العمل يجعل الحياة سعيدة أحيانًا، ومحتملة دائمًا.

* قبل أن تغضب ألا يسعك أن تحاول فهم ما يقال؟

* لم يُعوزني قطُّ لأتمتع بالأشياء أن أكون مالكًا لها.

* يسأم المرء كل شيء إلا فهم كنه الأشياء.

* كنت في السادسة لما ابتليت بهذا التطلع العظيم الذي أصبح عذاب حياتي ونعيمها على السواء، ووقف نفسي على نشدان ما ليس لنفسي أن تدركه».

يوم الفزع الأكبر في دمشق

ملتقى الربيعين ١٣٤٤ (١٨ - ٢٠ أكتوبر ١٩٢٥)

أمدَّه الدمع حتى غاض جائده ... فَمن بأدمع عينيه يُرافدُه
الروح والدم والأحداق وَدَّ لها ... لو تستحيل إلى دمع يناجده
مشرّد النوم ما قرَّت مضاجعه ... وهل تقرُّ بموتورٍ وسائده
باتت دمشق على طوفانَ من لهب ... يادين قلبيَ من خطبٍ تكابده
موجٌ من النار لا تهدا زواخره ... يمدُّه آخرٌ ما ارتدَّ وافده
وبلُ القذائف هطالًا له مددٌ ... والنار والنفط والتهديم رافده
ترى القبابَ به غَرقَى فتحسبها ... سفنًا تهاوَى ببحر ثار راعده
في ذمة اللّه والتاريخ ما لقيت ... وفي سبيل الأماني ما تُصامده
أمسى الذي كان في جناتها فرحًا ... بمارج من سعير فار واقده
النار من فوقه والنار دائرة ... به، فإن فرَّ أردته رواصده
في كل زاوية رام، ومن نفروا ... شيبًا وحورًا وأطفالاً طرائده
ورُبَّ مكنونة كالدرّ ضُنَّ به ... على العيون فصانته نواضده
تخطتِ النارَ ليلاً وهي حاملة ... طفلاً قضى برصاص القوم والده
فيما تناءت به حتى أتيح له ... شظيَةٌ بان منها عنه ساعده
ضمت إلى صدرها شلوًا يسيل دمًا ... كالطير هاض جَناحًا منه صائده
يا هول ذلك من مرأى شهدتُ وقد ... وددتُ لو كنتُ أعمى لا أشاهده

قف في الخرائب وابكِ المجدَ معتبطًا ... فإنها -يا لأحزاني - مراقده

الذكريات من التاريخ قد درست ... وطارف المجد موؤود وتالده
يا آسيَ الجرح بادرْ ضَمْد سائلهِ ... إذا تريثت لم تنجع ضمائده
إن الذين تولوا كُبر نكبتها ... أخطاهمُ من صحيح الرأي راشده

❁ ❁ ❁

بَلَتْ دمشقُ بنيها يومَ محنتها ... فلم تجد غير من صَحَّت عقائده
ترى الحنيفيَّ يومَ الروع مبتدرًا ... إلى المسيحي في البلوى يساعده
خلّى حِماه ليحمي عرض صاحبه ... وصال خشية أن تؤتى موارده
أما سريرة من مانوا فقد فُضحت ... وانمارَ عن ثابت الإيمان فاسده
الحمدُ لله، إني في حمى وطن ... تحمي كنائسَه فيه مساجدُهُ
فكيف يغمط حقًا في قضيته ... واللهُ وهو الشهيد العدل شاهده

❁ ❁ ❁

بقيةَ السيف والنيران إن لكم ... شأنًا تراءت على قرب شواهده
لكم وإن مسَّكم قرحٌ وطول أذى ... من طيّب الذكر بعد اليوم خالده
لله يومُكم يومًا فإن له ... ما بعدَه وإن اشتدتْ شدائده
لله مَعقلكم من مَعقل أشِب ... على الوئام لقد شِيدَتْ قواعده
عالي البروج تعالى فوقه عَلَم ... الحقُّ رافعه والحقُّ عاقده

❁ ❁ ❁

فتى دمشق اصطبرْ للخطب تجبَهُه ... إن العُروبة جيشٌ أنت قائده
لا عذرَ في اليأس مما كان ممتنعًا ... إذا تقصيتَ أمرًا أنت واجده
أما دمشق فلا ترجو لنجدتها ... سوى فتاها الذي شاعت مَحامده
بلوعة الثُكل تدعوه لينصُرَها ... وبالجراح التي تَدْمَى تُناشده

خليل مردم بك

كيف صار روكفلر غنيا

روكفلر أغنى أغنياء العالم اليوم على الإطلاق، وقد سأله أحد أصدقائه:

- كيف توصلت إلى اقتناء هذه الثروة الطائلة؟

فأجاب: توصلت إلى ذلك بخلال أربع، لا غنى عنها لمن يرغب في إدخار المال، وهي:

١ - أن لا يشتري الرجل من الأشياء إلا ما كان ضروريًا له.

٢ - أن يدخر بعض ما يربحه.

٣ - أن يكون أمينًا دقيقًا في عمله.

٤ - أن يقلع عن العادات السيئة.

سبب انحطاط الشرق وكيف ينهض؟

نصيحة الدكتور غوستاف لوبون لِشَبَابِنَا

قرأت في مجلد السنة الثالثة من مجلة رعمسيس ص ٦١٩ رسالة بعث بها إليها الأديب المصري توفيق يزدي من باريس، وقال فيها: إنه زار الحكيم غوستاف لوبون في منزله بشارع افينيون بباريس، فدار بينهما حديث في أمور شتى، ومما قاله هذا الحكيم الفرنسوي يومئذ: «إن سبب انحطاط الشرق هو تركه روح الدين، وتشبثه بالعقائد الباطلة، فإن الدين قوة أدبية لا يُستهان بها. ومن الواجب عليكم أن تأخذوا من دينكم ما يوافق روح العصر، وأن تحافظوا على تقاليدكم الحسنة، وعاداتكم المرْضيّة».

ثم أردف قائلاً: «وعلى الطلاب الشرقيين - الذين يأتون أوربا لاقتباس نوار المعارف - أن ينتخبوا من العلوم والفنون والأفكار والعادات ما يفيد وطنهم ويوافق أخلاقهم».

وتكلم هذا العالم الكبير بعد ذلك عن الخطأ في تغيير العقائد والعادات بدون معرفة نتائجها الروحية.

ولما ودّعه توفيق أفندي يزدي كتب له العلامة غوستاف لوبون بخطه ما ترجمته:

«إن الشعب الذي يريد الرقي يجب عليه أن لا يقطع الصلة التي تربطه بماضيه، أي يجب أن يحترم تقاليده ويراعيها».

جنون التجرد الكاذب في الشرق
استهزاء جريدة أوربية بالمتفرنجين الشرقيين

أنشأت جريدة (منشستر غارديان) مقالة افتتاحية في يوم الخميس ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٦م (١٢ شعبان ١٣٤٤) بمناسبة افتتان بعض شبابنا بملابس الإفرنج، ووقوعهم في الأحابيل التي ينصبها لهم أعداؤهم في هذا الباب، ومما قالته فيها:

إذا كان هذا الجنون - الذي سلب ألباب الناس في الشرق الأدنى، ودفعهم إلى تقليد الملابس الافرنجية - يدوم طويلاً، فإننا سنشهد شر أنواع التقارب بين الأمم، وسيزول بذلك مظهر من مظاهر الجمال، ويدبُّ اليأس في نفوسنا من عالَم ذهب منه حبُّ التنوُّع.

«إن القوالب التي يضع فيها الغربيون الآن أيديهم وسوقَهم لم يقض بها حب الجمال، ولا حب الراحة والرفاء. وما من ضرورة تقضي الآن على التركي أو العربي أن يهجرا الأزياء التي أوجدها لها الاختبار مدة قرون عديدة، وجاءت ملائمة كل الملاءمة لحاجاتها وعاداتها.

وفضلاً عن ذلك فإنه بينما العرب والترك يُستعبدون للأزياء الغربية بأبشع أشكالها، وأبعدها عن جمال الخيال والتصور، يتحول الغربيون إلى التنويع والتزويق. وقد يصدر خير حكم على القوانين التي سنها مصطفى كمال في شأن الملابس عندما يأتي يوم نرى فيه مشايخ المسلمين سائرين ببرانيطهم والأمراء بقلانسهم، في حين أن أوربا تعود إلى أزيائها القديمة تاركة برانيطها وبنطلوناتها، أو تختار أزياء أجمل منها تستخرجها من سجلات الماضي؛ فتأتي أزياء يظهر فيها جمال التصور والابتكار» انتهى.

كلمة لكاتب وطني

قال الأستاذ عباس أفندي محمود العقاد، في مقالة افتتاحية بجريدة (البلاغ) المصرية: «لا غضاضة في الزينة المقبولة، ولا لوم على من يطلب المظهر الجميل. ولكن اللوم عليه أن ينسى -في طلب المظهر- كرامةَ الرجل وجمالَ المروءة. فإن هذا الجمال أجدرُ من الرجل الكريم بالمحافظة عليه من جمال الزي والشارة وكل جمال تراه العيون. فمن سقوط الهمة أن يتوارى الإنسان وراء القبعة خجلاً من جنسه، أو تهافتًا على لذة عارضة. ومن الجبن -لا من الجرأة على الجمود- أن يختلس مظهرَ قوم لا يحسبونه كأحدهم، ولا ينزلونه بينهم منزلتهم، وإنْ لبس ما يلبسون، وتكلم بما يتكلمون».

آثار العرب الخالدة

❑ قصر الحمراء ❑

قف على (الحمراء) واندب مُضَرَ الحمراءَ فيهِ
واسألِ البنيان ينبئـ ـكَ بأنباء ذويهِ
ويحدثْكَ حديث المجـ ـد والعيش الرفيهِ
بكلام محزن اللهـ ـجة يُبكي من يعيهِ
فيقول القلبُ «آهًا» وتقول الأذن «إيهِ»
صاحِ لو كان لذا الد هر حياء يقتنيهِ
ما رمى العُرْبَ أباةَ الضـ ـيم بالخَطب الكريهِ
لا ولا جر بغرناطة أذيال سفيهِ[1]
حيث هذا القطر أمسى خاليًا من مبتنيهِ
فازدرِ الدهرَ وسفهْ كلَّ من لا يزدريهِ
وإذا كنتَ حليمًا فابكِ من دهرٍ سفيهِ

معروف الرصافي

---

(١) هذا من سب الدهر، وقد قال ﷺ: «لاتسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» أخرجه البخاري (٧٤٩١) ومسلم (٢٢٤٦).
قال ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/ ٤٢١): «أي أنكم إذا سببتم فاعل ذلك، وقع السب على الله ﷻ؛ لأنه هو الفاعل، والدهر لا فعل له، بل هو من جملة مخلوقات الله تعالى». (س).

حدائق الحيوانات في الحضارة العربية

أول من استحدث حدائق الحيوانات العرب، وكانوا يسمونها (حير الوحش)، فقد أنشأ أمير المؤمنين المأمون واحدة من هذا النوع لزوجته بوران، وجعل ذلك متصلاً بالميدان وقصر الثريا الذي بناه المعتضد على نهر عيسى ببغداد، ثم جاء الخليفة المقتدر بالله فزاد في ذلك.

اكتشاف حقيقة انكسار النور (من مآثر العرب)

أول من اكتشف حقيقة انكسار أشعة الضوء الحكيم العربي ابن الهيثم في القرن السادس الهجري (الثاني عشر للميلاد).

صناعات أبناء الملوك

روى أبو عمر بن عبد البر في (بهجة المجالس): أن عبد الملك بن مروان قال يومًا لبنيه:

- يا بَني لو عداكم ما أنتم فيه ما كنتم تقبلون عليه؟

قال الوليد: أما أنا ففارسُ حرب.

وقال سلطان: وأما أنا فكاتبُ سلطان.

فقال ليزيد: فأنت؟

فقال: والله يا أمير المؤمنين ما تركا حظًا لمختار.

فقال عبد الملك: فأين أنتم يا بني من التجارة التي هي أصلكم ونسبكم؟

قالوا: تلك صناعة لا يفارقها ذل الرغبة والرهبة، ولا ينجو صاحبها من الدخول في جملة الدهماء والرعية.

فقال: عليكم إذن بطلب الأدب، فإن كنتم ملوكًا سدتم، وإن كنتم وسطًا رأستم، وإن أعوزتكم المعيشة عشتم.

البحر

ما له في عِظَم الشأن قرينْ ... كلُّ جبَّار يدانيه مَهينْ
سعة ليس لها من غايةٍ ... حسرتْ عنها عيون الناظرينْ
أنا إن أوْجستُ منه خيفة ... خافه قبلي أمير المؤمنينْ[1]
يملأ العين فتغضي فرَقا ... ويهول النفس حتى تستكينْ
ليست الأرض له كفؤًا وهل ... تستوى يومًا شمال ويمينْ؟
جوفه مضطَرب الأحياء إذ ... جوفها مقبرةٌ للعالمينْ
ليس في قيعانها غير لظًى ... وبقاع البحر كم كنز ثمينْ
السما منه استمدَّتْ غيثها ... فهو أن يفخَر بالجود قمينْ
كل يوم تسجد الشمس له ... فكأن الشمس بالبحر تدينْ
ترتمي في حضنه محمرَّة ... خجلاً كالورود في حضن خدينْ

(١) عمر بن الخطاب ﷺ.

كم تراءت صورٌ خلّابةٌ ... ومعانٍ فوقَهُ لا ينقضينْ
مَرَحُ الشبّان في شرخ الصبا ... وجلالُ الشيب مع برد اليقينْ
وفسيحاتُ المنى مخضرَّةٌ ... وشديد البأس والعزم المتينْ
زَبدُ الموج على زُرقته ... أنجمٌ في حالكات اللون جونْ
مع ما في صدره من سعةٍ ... شرسُ الخلق أخو حمق حرونْ
هل عراه طائفٌ من جنةٍ ... ليت شعري أم به مسُّ جنونْ؟
بينما التيّار يعلو جبلاً ... إذ به واد يهول المبصرينْ
أترى أمواجه أنفاسه ... رُدّدتْ بين شهيق وأنينْ؟
لم تكن إلا كشعب ثائر ... شنها حربًا على المستعمرينْ
جحفلٌ يركب منها جحفلا ... يتعادى كجنود زاحفينْ

❋ ❋ ❋

نفختْ في وجهه ريحُ الصبا ... فبدا فيه كتغضين الجبينْ
وتراءى الموجُ فيه عُكَنًا ... دغدغتها غمزات العابثينْ
ليّنٌ ما فدحته قسوةٌ ... رب قاس كان أجدى منه لينْ
قَلِقُ الأحشاء كالعاشق إن ... ثار في أحشائه وَجدٌ دفينْ

❋ ❋ ❋

قمتُ في غُدوته، والفجر ما ... زال في جوف الدجى بعدُ جنينْ
وطيور البحر في أسرابها ... تتهادى كشراعات السفينْ
قلتُ للسرب - وقد أقبل من ... أفقِ قلبي به عانٍ رهينْ -:
أيها القاطع عرض البحر هل ... لك عهدٌ بروابي قاسيونْ[1]
ثم مهوى القلب، دارات الهوى ... منزل الأهل، حمى المستضعفينْ

---

(١) جبل دمشق.

جيـرةٌ جـار عـليـهـا دهـرهـا ... ما على الجور لها قط مُعينْ
هل درتْ أنَّ على النأي فتى ... كاد يرديه إلى الشام الحنينْ؟
ولـقـد وَدَّ بـجـدع الأنـف لـو ... شام أفق الشام أو قطع الوتينْ
كـمـهـيـض جـنـحـهُ ود لـو أن ... طار للوكر ولكن لات حينْ
والـذي ينجو مهيضًا جنحه ... بعد طول السجن ما زال سجينْ
بـأبـي الـشـام وأمـي، إنـهـا ... كعبة الآمال والحصن الحصينْ
وأمـدَّ الـلَّـه قـومًـا بـذلـوا ... دونها الأرواح بالروح الأمينْ

الإسكندرية/ خليل مردم بك

المتنبي وابن جِني

قال ابن العديم في تذكرته:

قرأت بخط ابن جني: قال لي المتنبي يومًا: «أتظن أن هذا الشعر إنما أعمله لهؤلاء الممدوحين، هؤلاء يكفيهم منه اليسير، وإنما أعمله لك لتستحسنَه».

الوفاء

أبى اللهُ أن أُلفى كغيريَ مولعًا ... بخلعِ أحبّائي كخلع ثيابي؟
فما أنا مَنْ في كلّ يومٍ له هَوًى ... ولا كلَّ يومٍ لي جديد صوابِ
يراني صديقي منه حين إيابه ... بحيث رآني منه حين ذهابِ

وما ضاقَ صدري بالذين وددتهم ... ولا حرجتْ بالنازلينَ رحابي
وآنفُ سعيًا في ركابٍ فكيف بي ... ولي كلَّ حَوْلٍ أخذةٌ بركابِ

خليل مطران

زهد علي بن أبي طالب أمير المؤمنين رضي الله عنه

بلغ أميرَ المؤمنين علي بن أبي طالب أن عامله على البصرة عثمان بن حنيف دعي إلى مأدبة صنعها له قوم من أهلها ومضى إليها. فكتب إليه رسالة يقول فيها:

أما بعد - يا ابن حنيف -: فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة. فأسرعت إليها، تُستطاب لك الألوان، وتُنقل إليك الجفان. وما ظننت أنك تجيب إلى طعامِ عائلهم مجفو[1]، وغنيهم مدعو. فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم[2]، فما اشتبه عليك علمه فالفظه، وما أيقنت بطيب وجهه فنل منه.

ألا وإن لكل مأموم إمامًا يقتدي به، ويستضيء بنور علمه. ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه[3]، ومن طعمه بقرصيه. ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد. فوالله ما كنزت من دنياكم تبرًا، ولا ادخرت من غنائمها وفرًا، ولا أعددت لبالي ثوبي طمرًا[4] والنفس مظانها في غد جدث تنقطع في ظلمته آثارها؛ وتغيب أخبارها. وحفرة لو زيد في

(١) فقيرهم مطرود.
(٢) ما تأكله من هذا المأكل.
(٣) ثوبيه الباليين.
(٤) أي: ما عنده ثوب غير الثوب البالي الذي عليه.

فسحتها وأوسعت يد حافرها لأضغطها الحجر والمدر[١]، وسد فرجها التراب المتراكم، وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق. ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة. ولعل بالحجاز واليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع. أو أبيت مبطانًا[٢] وحولي بطون غرثى[٣]، وأكباد حرَّى[٤] أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داء أن تبيت ببطنة[٥] وحولك أكباد تحنُّ إلى القد[٦]

أأقنع من نفسي بأن يقال «أمير المؤمنين» ولا أشاركهم في مكاره الدهر. أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش[٧].

فما خُلقت ليشغلني أكل الطيبات؛ كالبهيمة المربوطة همها علفها، أو المرسلة شغلها تقممها[٨]: تكترش من أعلافها[٩]، وتلهو عما يراد بها. أو أترك سدى، وأهمل عابثًا. أو أجرّ حبل الضلالة، أو أعتسف طريق المتاهة[١٠].

وكأني بقائلكم يقول: إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف

---

(١) جعلاها ضيقة تضغط على من حل فيها.
(٢) منتفخ البطن من كثرة الأكل.
(٣) جوعانة.
(٤) عطشانة.
(٥) الامتلاء من الطعام.
(٦) قطعة جلد غير مدبوغ.
(٧) خشونته.
(٨) تناولها القمامة - وهي الكناسة - بفمها.
(٩) تملأ منه كرشها.
(١٠) أمشي على غير هدى.

عن قتال الأقران، ومنازلة الشجعان. ألا وإن شجرة البرية أصلب عودًا، والروائع الخضرة[1] أرق جلودًا، والنباتات البدوية أقوى وقودًا، وأبطأ خمودًا. وأنا من رسول اللّه كالصنو من الصنو، والذراع من العضد[2].

إليكِ عني يا دنيا فحبلك على غاربك، قد انسللتُ من مخالبك، وأفلتُّ من حبائلك، واجتنبت الذهاب في مداحضك[3]. أين القوم الذين غررتهم بمداعبك، أين الأمم الذين فتنتهم بزخارفك؟ ها هم رهائن القبور، ومضامين اللحود. والله لو كنتِ شخصًا مرئيًا، وقالبًا حيًّا، لأقمت عليك حدود اللّه في عبادٍ غررتهم بالأماني، وألقيتهم في المهاوي. وملوكٍ أسلمتهم الى التلف، وأوردتِهم موارد البلاء، إذ لا وِرد ولا صَدر[4]. هيهات من وطئ دحضك زَلِق، ومن ركب لجحك غرق، ومن ازوَّر عن حبالك[5] وُفق. أغرُبي عني، فوالله لا أذل لك فتستذليني، ولا أسلِس لك فتقوديني. وأيمُ اللّه يمينًا أستثنى فيها بمشيئته، لأروضَنَّ نفسي رياضةً تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعومًا، وتقنع بالملح مأدوما. أتمتلئ السائمة من رعيتها فتبرك، وتشبع الربيضة[6] من عشبها فتربض. ويأكل عليٌ من زاد فيهجع[7]! قرت إذن عينه[8] إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية.

---

(١) الأعشاب الغضة.

(٢) كناية عن التشابه والتماثل.

(٣) مزالقك.

(٤) أي: ما عاد يمكنهم التحول عن البلاء بعد ما حاق بهم.

(٥) حاد عن الوقوع في حبائلك.

(٦) الغنم الرابضة.

(٧) أي يسكن مثلها ولا ينشط للعمل.

(٨) يدعو على عينه بالجمود، وهو كناية عن الموت، فهو هنا من القرار، وكثيرًا ما كنوا بها أيضًا عن الفرح والسرور، ويكون إذ ذاك من القر وهو البرد.

طوبى لنفسٍ أدت إلى ربها فرضها، وعَرَكت بجنبها بؤسها[١]، وهجرت في الليل غمضها، حتى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها، وتوسدت كفها. في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم، وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم، وهمهمت بذكر ربهم شفاههم، وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، فاتق اللَّه يا ابن حنيف. ولتكفك أقراصك، ليكون من النار خلاصك. اهـ

العقل

إذا كنتَ في حاجةٍ مُرْسِلاً فأرسلْ حكيمًا ولا توصهِ
وإنْ بابُ أمْرٍ عليكَ التوى فشاورْ لبيبًا ولا تعصِهِ

الزهد في الحياة وأهلها

طال الثواءُ وقد أنى لمفاصلي أن تستبدَّ بضمّها صحراؤها
مُلَّ المقام فكم أعاشرُ أمةً أمرتْ بغيرِ صلاحِها أمراؤُها
ظلموا الرعيةَ واستباحوا كيدَها فعَدَوْا مصالحَها وهم أجراؤُها
فرقًا شعرتُ بأنها لا تقتني خيرًا، وإنَّ شرارَها شعراؤُها[٢]

أبو العلاء المعري

---

(١) أي صبرت على البلاء صبر الكرام.

(٢) الشعراء الذين أراد أبو العلاء أنهم شرار رعيتهم، هم الذين يهيمون في وادي الغواية، =

شيء عن الشعر

❑ شعر الأشراف ❑

قال معاوية بن أبي سفيان لعبد الرحمن بن الحَكَم:

إنك قد لهجتَ بالشعر. فإياك والتشبيبَ بالنساء فتعرِّ شريفة، والهجاء فتُهجن كريمًا أو تثير لئيمًا، وإياك والمدح فهو كسبُ الأنذال. ولكن افخر بمآثر قومك، وقل من الأمثال ما تَزين به نفسك وتؤدّب به غيرك. وإن لم تجد من المدح بدًّا، فكن كالملك المراديّ حين مَدح فجمع في المدح بين نفسه وبين الممدوح فقال:

أحللتُ رحلي في بني ثُعَلْ   إن الكريم للكريم محلْ

❑ الشعر الخالد ❑

يقولون: إنْ ذاقَ الردَّى مات شعرُهُ   وهيهات عُمر الشّعر طالت طوائلهْ
سأقضي ببيتٍ يحمدُ الناس أمرهُ   ويكثر من أهل الروايةِ حاملهْ
يموتُ رديءُ الشعرِ من قبل أهلهِ   وجيّدهُ يبقى، وإن مات قائلهُ

دعبل بن علي الخزاعي

= ويصرفون أوقاتهم في وصف راح ووجوه صباح، وتمليق أهل المناصب. وأما الذين يتوخون الصادقة، ويكون شعرهم إيقاظًا للمتوسن، وتنبيهًا للغافل، فهم في قومهم مصابيح الرشاد، وأعلام الهدى.

❑ العناية بلغة الشعر ❑

وقصيدة قد بتُّ أجمع بينها حتى أُقوّم ميلها وسِنادها
نظرَ المثقّف في كعوب قناته حتى يقيم ثقافه منآدها

عدي بن الرقاع

❑ القلم ❑

كم أثار اليراعُ خطبًا كمينًا وأمات اليراعُ خطبًا مُثارا
قطراتٌ من بين شقَّيْهِ سالت فأسالت من الدّما أنهارا
كان غصنًا فصار عودًا ولكن لم يزلْ بعدُ يحمل الأثمارا
كان يستمطرُ السحاب فحال الـ أمرُ فاستمطَر العقولَ الغزارا

مصطفى لطفي المنفلوطي

❑ ينابيع الشعر ❑

ولو كان يفنى الشعر أفناه ما قرتْ حياضك منه في العصور الذواهبِ
ولكنه صوبُ العقول إذا انجلتْ سحائب منه أعقبت بسحائبِ

أبو تمام

❑ أشعر العرب ❑

سُئل بعضهم عن أشعر العرب فقال:

امرؤ القيس إذا ركب، والأعشى إذا طرب، وزهير إذا رغب، والنابغة إذا رهب.

❑ مذاهب الناس في نقد الشعر ❑

قال الراغب الأصبهاني في كتابه (محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء) ج١ ص ٥٥:

ومذاهب الناس في ذلك مختلفة، فمنهم من يميل إلى ما سهل فيقول: خير الشعر ما لا يحجبه شيء عن الفهم.

وقال آخر: خير الشعر ما معناه إلى قلبك أسرع من لفظه إلى سمعك. ومنهم من يقول: ما كان مطابقًا للصدق وموافقًا للوصف.

كما قيل:

وإن أحسن بيت أنت قائله   بيت يقال إذا أنشدته صدقا

وسئل ذو الرمة عن أشعر الناس، فقال: من خبث جيده وطاب رديئه.

ومنهم من يميل إلى ما انغلق معناه وصعب استخراجه. كشعر ابن مقبل والفرزدق.

وكثير من النحويين لا يميلون من الشعر إلا إلى ما فيه إغراب مستغرب، ومعنى مستصعب.

وقال يزدان المتطبب: إن أبا العتاهية أشعر الناس لقوله:

فتنفست ثم قلت: نعم حبا جرى في العروق عرقًا فعرقا

فقال له بعض الأدباء: إنما صار أشعر الناس عندك من طريق المجسة والعروق!

الجواب الحاضر

لا شيء يغيظُ الإنسان مثل أن يغيب عنه الجواب في وقت لزومه، ثم يهتدي إليه بعد انقضاء الوقت، أو يذكره بعد لأي وتقاعس.

وآفة مَلَكَةِ استحضار الأجوبة هو الحياء والجبن: فإذا كان المرء حييًا أو جبانًا ووُجه إليه سؤال، أدركه الوجوم وضعفت نفسه عن الجواب. فمن ثمة كانت تربية الأطفال على الجرأة، وطبع نفوسهم بطابع الإقدام، من أفضل ما يساعدهم في مستقبل حياتهم، ويفتح في وجوههم أبواب العمل والنجاح. وقد يكون في الجواب -الذي لم يهتد إليه المرء في وقته- ما يُنجيه من مظلمة، أو يرد عليه حقًا.

وذهب بعضهم إلى أن البلاغة هي سرعة الخاطر في الجواب. سأل معاوية صحارًا العبديّ عن البلاغة فقال: «أن يُصيب فلا يخطئ، ويُسرع فلا يبطئ» ثم اختصر ذلك فقال: «لا يخطئ ولا يبطئ».

على أن السرعة في الجواب إذا استُحسنت في مواضع، فإن طول الفكرة وإعمال الروية لها مواضع يُستحب للمرء مراعاتها، والوقوف عندها.

ومما ذكروه من الأجوبة المسكتة: قوله ﷺ وقد سألته السيدة عائشة: «متى يعرف الإنسان ربه»؟ قال: «**إذا عرف نفسه**»[(١)]، يعني ومعرفة المرء نفسه محال، فمعرفة الرب محال (أي معرفته بذاته وكنه ألوهيته).

وقال له رجل: «يا رسول اللَّه إني أكره الموت» قال: «**ألك مال؟**» قال: نعم، قال: «**قدم مالك فإن قلب كل امرئ عند ماله**»[(٢)]. وقوله: «**قدم مالك**»، يعني به أنفقه في سبيل الخير وعمل المبرات، حتى إذا لم يبق منه إلا القليل لم تحرص على الحياة، بل ربما حَننت إلى الآخرة حيث أرسلت زادك ومؤنتك من العمل الصالح.

❃ ❃ ❃

وقال بعض الأمراء لنُصيب الشاعر: «هل لك في الشراب؟» فقال له: «الشَعر مفلفل، واللون مُرمد. وإنما قريني إليك عقلي فهبه لي». وكان نُصيب هذا أسود اللون، وكان شاعرًا مجيدًا مقدمًا في النسيب والمديح. ولم يكن له حظ في الهجاء، وكان عفيفًا، حتى قالوا إنه لم ينسب (أي يتغزل) قط إلا بامرأته. ويكفي في الدلالة على حصافة عقله وكبر نفسه جوابه السابق، فهو يقول إنه توفرت فيه من صفات الجسم ما يُستهجن؛ مثل تفلفل الشعر وارمداد اللون (أي اسمراره كالرماد)، فلا يريد أن يضيف إلى ذلك الهُجنة في العقل. فهو يطلب من الأمير أن يهبه عقله فلا يرزأه فيه. ولا ريب أن يكون لكلامه هذا تأثير في نفس الأمير، فيدع شرب الخمر ويضن بعقله، ويحتفظ بكرامته.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ليس هذا من كلام النبي ﷺ، ولا هو في شيء من كتب الحديث، و لايُعرف له إسناد». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٣٤٩). وانظر: «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة»؛ للقاري (ص ٣٣٧).

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٦٣٤)، بسند ضعيف مرسل.

وقيل لنُصيب مرة:

أنت لا تهجو لكونك لا تُحسن الهجاء.

فقال: بلى والله، أتُراني لا أُحسن أن أجعل مكان عافاك اللّه أخزاك الله؟

فقيل له: فاهج إذن فلانًا، فإنك مدحته فحَرَمك.

قال: لا والله ما ينبغي أن أهجوه، وإنما ينبغي أن أهجو نفسي حين مدحته.

فقالوا له: هذا والله أشدُّ من الهجاء.

وكان نُصيب ممن وفد على مصر يمدح أميرها عبد العزيز بن مروان، فنال حظوة وقبولاً لديه. وقد حدثوا أن عبد العزيز أركب نُصيبًا مرة على جمل وقد رحّله بغبيط -أي شد على الجمل غبيطًا وهو إكاف على هيئة خاصة- وألبس نُصيبًا ثيابًا من مقطعات وشي، وأخرجه إلى مقطم مصر على هذه الحالة، وأمره أن يُنشد. فاجتمع حوله السودان وفرحوا به.

فقال لهم نُصيب:

أسررتكم؟

فقالوا: اي والله.

قال: والله لما يسوؤكم من أهل جلدتكم أكثر.

أي إن رأيتم فيَّ ما يسر، فإن في بني جلدتنا معشر السودان ما يسوء من جهل وغباوة.

❀ ❀ ❀

وقال يحيى بن خالد لشريك: علمنا مما علمك اللّه يا أبا عبد الله.

فقال له شريك: إذا عملتم بما تعلمون، علمناكم ما تجهلون.

أي أنه لا فائدة للعلم بلا عمل، وأن العمل بالعلم القليل ينميه ويجعله كثيرًا. فلا عبرة بكثرة العلم إذن، وإنما العبرة بأن تعمل.

ويوشك أن يكون هذا هو معنى الحديث الشريف: «**مَن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم**»[1].

❋ ❋ ❋

ويُقال إن خطيبًا في بعض المساجد لزم خطبة واحدة يعيدها ويكررها من جمعة إلى أخرى بمناسبة ومن غير مناسبة، فقال له بعض أهل الحارة:

- إننا سئمنا هذه الخطبة، فنرجو منك أن تخطب لنا بأخرى سواها.

فقال: تعلموها جيدًا واعملوا بمضمونها حتى ألقي عليكم غيرها!

❋ ❋ ❋

وعُيّرَ أعرابيٌّ لمَذَلةٍ لحقَتْه على باب السلطان فقال:

أهين لهم نفسي لأكرمها بهم ... ولن تُكرم النفس التي لا تهينها

أي أنه يتوصل إلى أن تكرمه الملوك بإهانة نفسه لهم، ثم ضرب مثلاً لذلك فقال: إذا لم تهن نفسك لا تصل إلى كرامتها. وهل هذا صحيح؟ أو هي السفسطة بعينها؟

❋ ❋ ❋

ووضع الجعد (المشهور بالزندقة) ترابًا وماء في قارورة؛ فاستحال دودًا وهوام، وقال لأصحابه: إني خلقت ذلك لأني كنت سببًا في تكوينه.

فبلغ ذلك بعض آل البيت، فقال: ليقل الجعد -إن كان خلق تلك الدودات- كم

---

(١) لا أصل له. انظر: تعليق الألباني على كتاب «الإيمان» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣٢٢). وهو من أقوال السلف؛ كما في «الفتاوى» (٧/ ٣٣٩).

عددها وكم الذكران وكم الإناث وكم وزن كل واحدة منها؟ وليأمر التي تسعى إلى هذه الجهة أن ترجع إلى غيرها. ولما بلغ الجعد هذا السؤال خسئ وخجل.

❀ ❀ ❀

وقالت زوجة يحيى بن طلحة لزوجها:

- ما رأيت ألأم من أصحابك: إذا أيسرتَ (أي استغنيت) لزموك، وإذا أعسرت تركوك.

فقال: هذا من كرم أخلاقهم، يأتوننا في حال القوة منا عليهم، ويفارقوننا في حال الضعف منا عنهم.

❀ ❀ ❀

وقال زياد لأبي الأسود الدؤلي: لولا أنك قد كبرت لوليناك بعض أعمالنا، فقال: «إن كنت تريدني للصراع فليس عندي كفاية، وإن كنت تريد رأيي وعقلي فهما أوفر ما كانا».

وقيل لأبي الأسود أيضًا: «أنت والله ظرف لفظ. وظرف علم. وظرف حلم. (أي وعاء لكل ذلك)، غير أنك بخيل» فقال: «وما خير ظرف لا يمسك ما فيه»!

❀ ❀ ❀

وسأل المتوكل أبا العيناء عن دار بناها فقال: «رأيتُ الناس بنَوْا دورهم في الدنيا، وأمير المؤمنين جعل الدنيا في داره».

وقال له مرة: لولا أنك ضَرير لنادمتك. فقال: «إن أعفيتني من رؤية الأهلَّة وقراءة نقش الخواتم فإني أصلح»!

وقيل له: أي الجواب أحسن؟

قال: ما أسكتَ المُبْطل، وحيَّرَ المحق.

عبد القادر المغربي

أبيات في الدنيا وأبنائها

رأيت بني الدنيا كوفدين كلما ترحل وفدٌ حط في أثره وفد
وكلٌ يحث السير عنها ونحوها فيمضي بذا نعش ويأتي بذا مهد

❀ ❀ ❀

أرى الدنيا كخان في سبيل يمر عليه أبناء السبيل
فركب نازلٌ فيه مقيم وركب قد تهيأ للرحيل

تحليل شاعرية شوقي

ملخصة من مقال للدكتور محمد حسين هيكل في مقدمة الشوقيات(١)

❑ بيئة شوقي:

وُلد أحمد شوقي بك «بباب إسماعيل»، وشب في جواره ونشأ في حماه. فكان طبيعيًا أن تتأثر نفسه بالبيئة الاجتماعية والسياسية، وأن تكون أكثر تأثرًا بها، لقربها من المسرح الذي تشتبك فيه أصول هذه العوامل وأسبابها، وتضطرب فيه اضطرابًا يخفيه ما تقضي به حياة القصور، ثم تصدر إلى الحياة بعد أن تكون قد نظمت وهذبت. وشوقي ولد شاعرًا، والشاعر يتأثر أضعاف ما يتأثر سائر الناس. لذلك كان لكل هذه العوامل أثرٌ باد في شعره وفي حياته.

---

(١) ويُنظر للزيادة عن شخصية شوقي وشعره: «التدين و المجون في شعر شوقي»؛ للأستاذ عائض الردادي. و «الكافي في التحذير من مضلات القوافي - تعقيبات على ديوان أحمد شوقي: الشوقيات»؛ للشيخ عبدالكريم بن صالح الحميد. (س).

❑ الازدواج في شعره:

ومع أن شوقي درس في مصر ثم أتمَّ دراسته في أوربا، وتأثر بالوسط الأوربي وبالحياة الأوروبية وبالشعر الأوربي تأثرًا كبيرًا؛ فقد ظلَّ تأثره بالبيئة التي وصفناها ظاهرًا في حياته وفي شعره، كما ظل تأثره بالبيئة الأوربية ظاهرًا فيها كذلك. وإنك لتكاد تشعر حين مراجعتك أجزاء ديوانه كأنك أمام رجلين مختلفين جد الاختلاف، لا صلة بين إحداهما والآخر، إلا أن كليهما شاعر مطبوع يصل من الشعر إلى عليا سماواته، وان كليهما مصريٌّ يبلغ حبه مصر حد التقديس والعبادة. أما فيما سوى هذا فأحد الرجلين غير الرجل الآخر: أحدهما مؤمن عامر النفس بالإيمان، مسلم يقدس أخوة المسلمين ويجعل من دولة الخلافة قدسًا تُفيض عليه شؤونُه وحوادثه وحيَ الشعر وإلهامه. حكيم يرى الحكمة ملاك الحياة وقوامها. محافظ في اللغة: يرى العربية تتسع لكل صورة، ولكل معنى، ولكل فكرة، ولكل خيال. والآخر رجل دنيا يرى في المتاع بالحياة ونعيمها خير آمال الحياة وغاياتها. متسامح تسع نفسه الإنسانية، وتسع معها الوجودَ كله. ساخر من الناس وأمانيهم. مجدد في اللغة لفظًا ومعنى. وهذا الازدواج ظاهر في شعر شوقي من أول شبابه إلى هذا الوقت الحاضر. وإن كان لتأثره بالقديم الغلبة اليوم، وكانت آثار الرجل الآخر لا تظهر اليوم في شعر شوقي إلا قليلاً.

ولا تقل إن الازدواجَ النفسيّ شأنُ الشعراء، وإن أبا نُواس الذي يقول:

دع عنكَ لومي فإن اللوم إغراءُ وداوني بالتي كانت هي الداءُ

هو أبو نواس الذي كان يقول:

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشفتْ له عن عدو في ثياب صديقِ

فليس هذا من أبي نواس ازدواجًا في الروح. وما الحكمة الزاهدة عنده إلا فتور نفس أجهدتها اللذة، فأضعفتها، فأخافها الضعف، فألجأها إلى حمى الحكمة والزهد، وإلى استغفار اللَّه والتوبة إليه. لذلك لا تلبث نفسه أن تعاودها القوة حتى تعود إلى نعيم الترف والإباحة. وذلك هو السرّ في أنك لا ترى الزهد في شعر أبي نواس إلا عرضًا واستثناءً. وذلك شأن الشعراء جميعًا إلا قليلاً منهم. وشوقي من هذا القليل، ففي شعره صورتان من صور الحياة، تقوم كل منهما مستلة كأنما صاحبها غير الآخر.

فأنت تقرأ:

حَفَّ كأسَها الحبَبُ فهي فضةٌ ذهبْ

أو تقرأ:

رمضان ولَّى هاتها يا ساقي مشتاقة تسعى إلى مشتاقِ

فتراك في حضرة شاعر مغرم بالحياة وبمتاعها ونعمتها.

شاعر تختلف روحه جد الاختلاف عن صاحب (نهج البردة) التي مطلعها:

رِيمٌ على القاع بين البان والعَلمِ أحلَّ سفكَ دمي في الأشْهُر الحرمِ

وصاحب (الهمزية النبوية) الذي يقول:

وُلدَ الهُدَى، فالكائناتُ ضياءُ وفمُ الزمان تَبسُّمٌ وثناءُ

وهذان الروحان، أو هاتان الصورتان من صور الحياة تتجاوران في نفس شوقي وتصدران عنها، وهي في كل قوتها وسلطانها. وأنت لذلك حين تقرأ القصيدتين الأوليين تمتلئ إعجابًا بالحياة ومتاعها ولذتها، وحين تقرأ الثانيتين تكون أشد إعجابًا بكلمة الإيمان وروح الحقّ ورسالته. وأنت لا تشعر -في أي الحالين- بضعف نفساني عند الشاعر رفع به إلى لبوس روح غير روحه. بل أنت

فيهما جميعًا يبهرك شوقي بقوّة شاعريته الممتلئة حياة وخيالاً، والتي تفيض بمتاع العيش، فيْضَها بنور الإيمان كيف كان هذا الازدواج؟

كيف جمع شوقي -في نفسه- بين هذين الشاعرين: شاعر الحياة العربية بحضارتها الإسلامية، وبما فيها من قِدَم وإيمان، وبين شاعر الحياة الغربية الخاضعة لحُكم العلم وما يكشف عنه كل يوم من جديد؟

مسألة تبدو للنظرة الأولى دقيقة معقدة. فقد تزدوج في نفس واحدة حياتان بينهما من الصلة ما يبيح الازدواج، فيكون الرجل الواحد فيلسوفًا وشاعرًا كما كان المعري، أو كما كان فولتير. فأما أن يكون الرجل شاعرًا وحدة حياته الشعر، ثمَّ تكون نفسه مقسمة مع هذه الوحدة قسمة ازدواج على نحو شوقي، فذلك عجب في شاعر مطبوع يفيض عنه الشعر كما يفيض الماء من المنبع، وكما ينهمل المطر من الغمام، على أن لهذا الازدواج سببًا لم يكن مفر من أن يؤدّي إليه. ذلك أن شوقي كان في طبع شبابه رسول الحياة، كان شاعرَ:

حف كأسها الحببْ فهي فضةٌ ذهبْ

لكن هذا الشاب لم يكن في ملك نفسه، فقد بعث به الخديو توفيق باشا ليتم علومه في أوربا، وكان من قبل ذلك شاعرًا متفوقًا، وكان في تفوقه ككل شاعر شاب يُرسل القول كما تلهمه إياه نفسه. فلما عاد إلى مصر اتصل بالأمير الشاب عباس حلمي باشا وصار كلمته. ورأى يومئذ صنوًا له على العرش جعلته روحه الشابة مقدامًا لا يهاب. ومع ما فوجئ به أول ولايته في حادث عرض الجيش في السودان -مما اضطره للاعتذار-، قد بقي شبابه يدفعه إلى ما كان يندفع إليه جدُّه إسماعيل من مغامرة.

لكن قيام الاحتلال الإنكليزي في مصر جعل الخصومة بينه وبينهم، وليست بينه وبين الأتراك. بل لقد كان منظورًا إليه أكثر الأحيان بشيء غير قليل من

العطف في بلاط آل عثمان. لذلك كانت عواطفه متفقة وعواطف المسلمين الذين كانوا -بعد انتصار الأتراك[١]- يرون في الخليفة الموئل الأخير لأمم الإسلام جميعًا.

اتصل الشاعر الشاب بالأمير الشاب، فحتم عليه ذلك أن يكون المعبر عن الميول والآمال الكمينة في نفوس المسلمين جميعًا، لا في نفوس المصريين وحدهم. وبذلك اجتمع في نفسه من أول حياته ميله للحياة وحبه إياها وحرصه على المتاع بها، مع إيمان المسلمين جميعًا وحرصهم على وحدتهم وعلى كيانهم بإزاء الأمم الغربية التي كانت تنظر إليهم بعين صليبية بحتة. وكانت هذه الناحية التي تمثلها نفسه من ظروف الحياة ومن البيئة المحيطة به أكثر استيحاءً لشعره من الناحية الأولى التي هي من طبيعة نفسه، فكان بذلك كالرجل القوي الذي يرى وطنه في خطر: يصبح جنديًا، وجنديًا باسلاً، ويتفوَّق في كل مواقف الحرب، ويصبح القائد الأعظم. ولو أن وطنه لم يكن في خطر؛ لرأيته صديق النعمة، السعيد بها غاية السعادة.

❑ شوقي بين القوميتين: العربية والتركية:

إلى جانب مقام العاطفة الوطنية قويةً متسلطةً على نفس شوقي، تقوم عاطفة أخرى لا تقلُّ عنها قوة، وربما كانت أشد أخذًا بهذه النفس وإثارة لشاعريتها: تلك هي العاطفة الإسلامية. فشوقي شاعر الإسلام والمسلمين، كما أنه شاعر مصر وشاعر الشرق. وعاطفة المسلم تتجه حتى العصور الأخيرة إلى جهتين، ثم إلى قومين: فهي تتجه صوْبَ مكة مسقط رأس النبي ﷺ، ومقام إبراهيم كعبة

(١) أي في الحرب اليونانية أيام عبد الحميد الثاني، وهو الانتصار الذي وصفه شوقي بقصيدة (صدى الحرب).

المسلمين وقبلة أنظارهم؛ ومكة في بلاد العرب، والنبي عربي، والقرآن عربي. وهي تتجه -أو كانت تتجه- صوب الآستانة، مقر الخلافة الإسلامة، ومقام الخليفة من آل عثمان؛ والآستانةُ عاصمة الترك، وخليفةُ المسلمين كان تركيًا، فكل مسلم تعنيه وحدةُ المسلمين كان يتجه ببصره - إلى حين ألغيت الخلافة - نحو مكة ونحو الأستانة: يستمدُّ من الأولى المدد الروحي، ومن الثانية مدد السيف والمدفع.

إلى جانب ما يرجوه المسلم -من أهل بلاد الشرق العربي- في مكة من مدد روحي تحرك نفسه إلى هذه الأنحاء عاطفة أخرى هي العاطفة العربية، هي عاطفة هذه اللغة التي تربط اليوم أكثر من سبعين مليونًا أكثرهم مسلمون، وكلهم خاضع لما يخضع له غيرهم من بطش القوة وسلطان التحكم. واللغة في حياة الأمم ليس شأنها هينًا، فأمة لا لغة لها لا حياة لها، ورقي اللغة في أمة آية صادقة من آيات رقيها. وما دام العرب مصدر اللغة، وعلى رجل منهم هبط الوحي، وبينهم قام صاحب الشريعة، فلهم عند المسلمين كافة -وعند الذين يتكلمون العربية خاصة- حرمة تدفعهم إلى التغنّي بآثارهم، والإشارة بقديم مجدهم، وتمنّي خير الأماني لهم.

لذلك كان العرب، ومكة، والوحي، والقرآن، والإسلام، والرسول؛ كلها معان لها من الأثر في نفس شوقي ما ليس لسواها من آثار الماضي. ولذلك لم يكن شوقي يشيد بذكر المسلمين وبخلافتهم لغاية سياسة صرفة، بل إنه لَيؤمن بهذه المعاني إيمانًا يتجلى في الكثير من قصائده على صورة تتركنا في حيرة: كيف يبلغ الإيمان من نفس هذا المحبّ للحياة كلَّ هذا المبلغ، فلا نجد لحيرتنا جلاءً إلا من الحديث «**اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا؛ واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا**»[1].

---

(١) قال الشيخ الألباني رحمه الله: «لا أصل له، وإن اشتهر على الألسنة». «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٨).

وبحسبك أن تقرأ (الهمزية النبوية) و (نهج البردة) و (ذكرى المولد) التي مطلعها:

سلوا قلبي غداة سلا وتابا لعلَّ على الجمال له عتابا

لترى في غير إبهام أنه إنما أملت هذه قوة غلبت طبع الشاعر، هي قوة الإيمان. لكنك قد يُدهشك -مع تجلي الإيمان في هذه القصائد وغيرها- أن يكون شوقي أكثر تحدثًا عن الترك وعن الخليفة منه عن العرب وعن الرسول! فهذا الجزء الأول من ديوانه يشتمل ثلاث قصائد عن العرب ومكة والرسالة، ويشتمل ثماني عشرة قصيدة عن الخلافة وعن الترك، وأنت تلمس في هذه القصائد الثماني عشرة جميعًا حسًا أرقَّ من العاطفة، وفيضًا أغزر من الشعر، وقوة تكاد تعتد معها أن شوقي -إذ يتحدث عن الترك- إنما يملي ما يحسُّه فؤاده، وإنما يندفع بقوة كمينة هي قوة دم الجنس. أو أن اتصاله بالبيت المالك في مصر كان قوي الأثر في نفسه، إلى حد جعله يفيض من ذكر الترك بما ينبض به قلب سلالة محمد علي. وليس عليك إلا أن تقرأ أيًا من قصائده التركية لتقتنع بما تقول، ولعل مرجع ذلك أن قد اجتمعت في الأتراك عوامل كثيرة كان لشوقي اتصال بها، فكان لذلك تهزّه أكثر مما تهز سواه.

❑ شوقي شاعر الحكمة العامة، وشاعر اللغة العربية السليمة:

على أن شوقي -وإن كان شاعر مصر وشاعر العرب وشاعر المسلمين وكان فيه الازدواج بين حب الحياة ومتاعها والإيمان ونعيمه- له ذاتيته التي لا تخفى. فهو شاعر الحكمة العامة، وهو شاعر اللغة العربية السليمة، وإنك لتعجب أكثر الأحيان حين ترى عنوان قصيدة من قصائده، ثم لا تجد في القصيدة غير أبيات معدودة تدخل في موضوع العنوان، بينا سائرها حكمة أو غزل أو وصف أو ما

شاء لشوقي هواه، وما أحسب شاعرًا بالغَ في ذلك ما بالغ شوقي، فشيطان شوقي أشد حرصًا على متاعه بالشعر للشعر منه بموضوع خاص، أما القصائد التي يملك موضوعُها أبياتها جميعًا، فهي القصائد التي ملك موضوعها شوقي فأنساه نفسه بما كان له في هذا الموضوع من لذة ومتاع، وما أفاض على شاعريته من وحي وإلهام.

وحكمة شوقي وما يصدر عنه من وصف وغزل، وما يميز شعره جميعًا، يبدو كأنه شوقي عربي لا يتأثر بالحياة الغربية إلا بمقدار، وهذا طبيعي ما دام شوقي شاعر العرب والمسلمين، وما دام يجد في الحضارة الشرقية القديمة ما يغنيه عن استعارة لبوس المدينة الغربية إلا بالمقدار الذي تحتاج إليه أمم الشرق في حياتها الحاضرة لسيرها في سبيل المنافسة العامة، ولقد ترى شوقي يغلو في شرقيته وعربيته أحيانًا، ولقد تراه يتعمد ذلك في لفظه ومعناه. وسبب ذلك هو ما يراه من ضرورة مقاومة النزعة القائمة بنفوسٍ كثيرة تصبو إلى نسيان ما خلّف السلف من تراث، والأخذ بكل ما يلمع به الحاضر من وراء الغرب.

وقد يكون غلو شوقي أكثر وضوحًا في جانب اللغة منه في جانب المعاني: فهو بمعانيه وصوره وخيالاته يحيط مما في الغرب بكل ما يسيغه الطبع الشرقي وترضاه الحضارة الشرقية، أما لغته فتعمد إلى بعث القديم من الألفاظ التي نسيها الناس وصاروا لا يحبونها، لأنهم لا يعرفونها. ولعل سر ذلك عند شوقي أن البعث وسيلة من وسائل التجديد، بل قد يكون البعث آكد وسائل التجديد نتيجةً إذا وجد من أرباب اللغة من يفيضون على الألفاظ القديمة روحًا تكفل حياتها. والبعث له إلى جانب ذلك من المزايا أنه يصل ما بين مدنية دارسة ومدنية وليدة يجب أن تتصل بها اتصال كل خلف بسلفه.

ومَن ذا ترى من أرباب اللغة قديرًا قدرة شوقي على أن يبعث في الألفاظ

القديمة روحًا تكفل حياتها في الحاضر وتفيض عليها من ثوب الشعر ما يجعلها تتسع لما لم تكن تتسع له من قبل من المعاني والأخيلة والصور؟ إن اليونانية ما تزال موضع دراسة العلماء واللغويين؛ لأن هومير كتب بها إلياذته. واللاتينية ما تزال حياتها كمينة، وإن تدثرت بحجب الماضي أن كتب بها فرجيل شعره. واللغة العربية هي حتى اليوم لغة التفاهم بين سبعين مليونًا من أهل هذا الشرق العربي، وهي حية. وستبقى أبدًا حية. لكن كمال حياتها يحتاج إلى أن يبعث اللَّه لها أمثال شوقي ليزيدوا تلك الحياة قوة وروعة وجمالاً.

الشرق والغرب

بقلم الكاتب الكبير/ الأمير شكيب أرسلان

في مقدمة كتاب (أناتول فرانس في مباذله)

لم يعهد التاريخ دورًا من الأدوار خلص من علاقة الشرقيين بالغربيين، وخلطة الغربيين بالشرقيين، ونسْخ كل فريق عن الآخر، واقتباس هذا من ذاك: أخذًا وردًا وجزرًا ومدًا، حتى في أعرق الأدوار في القدم، وأوغل الأطوار في الظُّلَم.

وقد عم هذا التحاكُّ جميع أحوال الحياة، وأركان العمران: من التجارة، إلى السياسة، إلى الصناعة، إلى الثقافة. فكما تناقلوا فيما بينهم البضائع والمتاجر، فقد تناقلوا الحِكم والخواطر. وكما حمل بعضهم إلى بعض المهن والصناعات، فقد حملوا الاختراعات والبراعات. وكما تسلط منهم الأشجع

على الأجبن، والأشكُّ على الأعزل[١]، فقد تسلط الألحن على الألكن[٢]، والأعلم على الأجهل.

وإذًا الأخذ والعطاء بين الشرق والغرب قديمان منذ طلعت الشمس. وولي اليوم الأمس، لم ينحصرا في الأمور المادية والحوالات المالية والآثار اليدوية، بل شملا الأمور المعنوية والمسائل العقلية والشئون الاجتماعية. وما ترقت في سلَّم الاجتماع أمة في شرق ولا غرب إلا كان الآخر عيالاً عليها، جادًا في محاكاتها ومتحسرًا على مناغاتها، فقد أخذت يونان عن مصر، وأخذت بغداد عن يونان، وأخذت أوربة عن الأندلس، ثم أخذ الشرق في جدته الأخيرة عن أوربة، إلا أنه لم يعرف التاريخ فيما مضى -أي قبل ظهور الآلات البخارية والكهربائية- دورًا أثت[٣] في العلائق بين الشرق والغرب، وارتفعت فيه الحواجز على البعد والقرب وتشارك فيه الناس في تناول كل مادي ومعنوي، كما في هذه الأيام الأخيرة التي ألقى فيها الغرب بجرانه السياسي على الشرق، ورأى الشرق أن لا قِبل له بمناهضة الغرب على وجه كافل لنجاحه إلا بأن يقاتل بسلاحه، فاضطر الشرق إذًا أن يأخذ عن الغرب طوعًا أو كرهًا -والضعيف مولع بتقليد القوى- كلَّ ما يتسنى له أخذه من أسباب المدنية، كأداة الحرب والمتاع والماعون والعلم والحكمة والقانون، مجتهدًا في أكثر الأحيان أن يضمن هذه العلوم ألسنته الذليقة، ويطبع بها مدنيته العريقة، ويلقي على غرابتها ديباجته الشرقية، احتفاظًا بقوميته واعتصامًا بأنانيته، لأن كل أمة نسيت أصلها، ونبذت قديمها، وفرحت بجديدها، وأنكرت رميمها، فأحرِ بها أن تكون أمة ساقطة عن أمم، وأن تُعد خلطًا لا تُعرف من بين الأمم.

---

(١) الأشك: لابس السلاح التام. والأعزل: من لا سلاح معه.

(٢) الألحن: الأفطن والأفصح. والألكن: عكسه.

(٣) كثرت والتفتّ.

يوم الميدان

البرقُ هيَّج منكِ الذكرَ فاهتاجي وناشدي جلّقًا ما شئتِ أو ناجي
مِن الوفا أن تُريقي الدمع منسجمًا وأن تذودي الكرى عن طرفك الساجي
لمعُ الأسنَّة هذا البرقُ مؤتلقًا وومضُه ومضُ وَقْدٍ ثَمَّ وهَّاجِ
مرابع الشام أطلالٌ معطَّلة وأرسمٌ موحشات بعد إبهاجِ
والغوطتان، مثارُ النقع، روضُهما ذاو، وقد كانتا الفردوس للَّاجي
الباغماتُ عراها الذعر واجمةٌ والصادحات نواعٍ بعد إهزاجِ
ذوت محاسن أرض الشام وانطمست أنوارهُا بعد إشراق وإبلاجِ
مَن المُعيدُ لأرض الشام بهجتها ومُنقذُ الشام من رقّ وإحراجِ
مهوَى العروبة ماذا حلَّ ساحتها وأيُّ خطب تعانيه وإزعاجِ
في ذمّة العُربِ والتاريخ ما لقيت وما تُصابرُ من عُجمٍ وأعلاجِ
تلك العقائلُ من أدمى أناملَهَا مَن راعَ آمنها في الحِندس الداجي
مَنْ فكَّ دُملجَهَا مَنْ حز مِعصمها مَنْ بزَّها الثوبَ من وشى وديباجِ
مَنْ فضَّ برقعَها مَن حلَّ مئزَرِها مَنْ ساقها حاسراتٍ بين أفواجِ
مثقَّفاتِ ضلوعٍ خافقاتِ حشًا مهشَّماتِ أنوفٍ بعد أثباجِ
مَنْ مُرملٍ تذرع البيدا وثاكلةٍ قد جُشمت نهسَ أقتاب وأحداجِ
دعِ الأيامى ترقرقْ من مَدامعها فمن لها بعد أبناء وأزواجِ
هذي المنازلُ أنقاض مدمَّرة وكنَّ في منعة أمثالَ أبراجِ
تحت الخرائب أشلاءٌ ممزَّقة وفوقها قَبَسات ذاتُ تأجاجِ
وفي السجون غدت شيبٌ وأغلمة قد غلَّلوها فلم تطمعْ بأفراجِ

مضت دمشقُ ولم تجزعْ لنازلة ولم تقفْ موقفَ المستضعَف الراجي
وهيَّجت من بنيها للوغى أُسدًا من كل أروعَ ماضي العزم مهتاجِ
قساورٌ إن دُعوا للحرب مُسْعَرَة مَشَوا لها بين أفراد وأزواجِ
هبَّت تُناضل طورًا في مهندها وتارة بلسان غير لجلاجِ
واستبسلت في دفاع عن حقائقها بكل ذي لبدة للهول فرَّاجِ
لا تنكروا في اللقا يومًا فروستها فإنها نِضو إلجام وإسراجِ
والحقُّ يؤخذ من حدّ السنان ولا يُعطى عطاء بعض السؤل والحاجِ
سلوا الألى أمس جاءوها لنُصرتها في أي شرّ رموها ثمَّ أجاجِ
قد أبهظوا الشعب حتى ناء كلكله وأحوجوه ولكن أي إحواجِ
لم ينجُ من شرّهم طفل ولا يَفعٌ ولا أخو هرم من شرهم ناجي
يُخال «عنترةً» فينا جبانهم ويحسب السمحُ منهم ألف «حجَّاجِ»
عدَوا على الشام فاجتاحوا مآثرها وفجَّعوها بعزّ الملك والتاجِ
الشعب دامية منه أظافرهم وعندهم أيُّ دمٌ منه ثجاجِ
دمشقُ سيري إلى العلياء خافقةٌ منك البنودُ؛ بتأويب وإدلاجِ
فقبلُ راياتك الخفّاقة اقترعت هام الربى بين وادي السند والتاجِ[1]
ورفرفت فوق «سد الصين» وانبعثت إلى «المحيط» فماجت فوق أمواجِ
لا غروَ إما اصطليتِ الحربَ مكرهةً هم أخرجوك عليهم شرَّ إخراجِ
نشَدْتِ في دمِكِ استقلالَ سورِيةٍ وكلّ أفوهَ ثَبْتِ القول محجاجِ
ومَن سقى بالدم استقلالَه ينعت ثمارُهُ منتجات خيرَ إنتاجِ
رماك قادحهم بالسوء مفتريًا التربُ في فم ذاك القادح الهاجي

(١) وادي السند في الهند، ووادي التاج في إسبانية.

حُرّية الشرق بابٌ أنت مِفْتحُهُ والقوم قد أرتجوه أيّ إرتاجِ
الشرق والعالَم الغربي مرتقب أن تنهجي للمعالي خير منهاجِ
يا من غدوا ولهم في دارهم صَخبٌ أضعتم الوقتَ في شَغْب وإضجاجِ
ما ضرَّكم جمع شمل في هوى وطن لجمع شمل بنيهِ جد محتاجِ
لا تنثنوا بعداء في مواطنكم قد قَرَّبتْ بينكم أنسابُ أمشاجِ
النطقُ والعرقُ والأوطان واحدة ورحْمُكم من مَعَدٍّ ذاتُ أوشاجِ

❀ ❀ ❀

يا أرض جِلَّق حيَّاك الحيا وسقى لديك ملتفَّ غابات وأحراجِ
الحزنُ برَّحَ من بعد الفراق بنا وأنضج القلبَ منا أيَّ إنضاجِ
يا حبذا منك ريَّا نسمةٍ أرجت ونفحةٍ من نسيم الواد مِثراجِ
وحبذا بَردى والماءُ مصطفق يجري به بين ولاَّج وخرَّاجِ
البحر أزباده أفصحن عن شجني والموج عبَّر عن شجوي وإنشاجي
ما الشعر هذا الذي ترويه قافيتي لكنّه قطَعٌ من دمّ أوداجي

أديب التقى

❀ ❀ ❀

ما أتخوفه على الكاتبات

قال الأستاذ جبر ضومط (في مجلة نيرفا ٤ : ٣٤):

أخوف ما أتخوفه على الكاتبات أن يكثر عددهن كثرة تخرج بهن عن طور الأمهات وربات البيوت ومربيات المجتمع إلى عاملات فيه. وأقل ما أخافه أن يصلن إلى ما وصل إليه أهل الكتاب والأدب في أيام خلت، وينشدهن لسان

الحال -أو لسان المقال- ما أنشده عن نفسه الأديب الأول، حيث قال:

فلو خبرتمْ حَسَبي ونسبي ومذهبي
وما حوت معرفتي من العلوم النخبِ
لما اعتراكم شبهة في أن دائي أدبي
فليت أني لم أكن أُرضعت ثدي الأدبِ
فقد دهاني شؤمه وعقني فيه أبي

حضارة العرب في الأندلس

قصر الحمراء

قال الأمير شكيب أرسلان في كتاب (أناتول فرانس في مباذله) ص ٤٩:

قصر الحمراء -الذي هو من مفاخر الحضارة العربية الباهرة الآثار، بل من مفاخر الدنيا- لا تزال السياح من أطراف العالم تقصده إلى اليوم.

وهو في الحقيقة عدة قصور، يكاد يكون بحملته مدينة، ومركز الحمراء على رأس ربوة مشرفة على غرناطة، ووراءها (جنةُ العريف) التي يقول لها الأفرنج برطانتهم (جنراليف). وهو قصر تحفُّ به حدائق وجنان فيحاء، وفي الحمراء عدة قاعات تأخذ بالأبصار، أشهرها قاعة الأسُود، التي فيها اثنا عشر أسدًا، وقاعة بني سراج، وأوَّل من بنى الحمراء محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر سلطان غرناطة. وسميت بالحمراء نسبةً إلى هذا البيت المنسوب إلى الخزرج من الأنصار. ويقال إن بناءه انتهى سنة ١٣٣٨م (٧٣٩ هـ).

بركة الأسود

من قصيدة شاعر الأندلس ابن حمديس

وضراغمٍ سكنتْ عَرين رياسة ... تركت خريرَ الماء فيه زئيرا
فكأنما غشي النضارُ جسومها ... وأذاب في أفواهها البلورا
أُسْد كأن سكونها متحرّك ... في النفس لو وجدت هناك مثيرا
وتذكرت فتكاتها، فكأنما ... أقعتْ على أدبارها لتثورا
وتخالها -والشمسُ تجلو لونها- ... نارًا وألسنها اللواحس نورا
فكأنما سلت سيوف جداول ... ذابت بلا نار فعُدن غديرا
وكأنما نسج النسيم لمائه ... درعًا، فقدَّر سرْدَها تقديرا

❀ ❀ ❀

وبديعة الثمرات تعبر نحوها ... عينايَ بحرَ عجائب مسجورا
شجريةٌ ذهبيةٌ نزعتْ إلى ... سِحر يؤثر في النهى تأثيرا
قد صولجت أغصانها فكأنها ... قنصت لهن من الفضاء طيورا
من كل واقعة ترى منقارَها ... ماءً كسلسال اللُجين نميرا
خُرسٌ تعدُّ من الفصاح، فإن شدَت ... جعلتْ تُغرّد بالمياه صفيرا
وكأنما في كل غصن فضةٌ ... لانت فأرسل خيطها مجرورا
ضحكت محاسنها إليك كأنما ... جعلت لها زهر النجوم ثغورا

❀ ❀ ❀

ومُصفّح الأبواب تبرًا، نظّروا ... بالنقش فوق شكوله تنظيرا
تبدو مَسامير النضار كما علت ... تلك النهودُ من الجنان صدورا

خلعت عليه ظلائلاً وَرْسيَّة   شمسٌ تردُّ الطرفَ عنه حسيرا
وإذا نظرت إلى غرائب سقفه   أبصرتَ روضًا في السماء نضيرا
وضَعَتْ به صُنّاعُه أقلامَها   فأرتكَ كلَّ طريدة تصويرا
وكأنما للشمس فيه ليقةٌ   مَشقوا بها التزريقَ والتشجيرا
وكأنما وشّوا عليه مُلاءة   تركوا مكان وشاحها مقصورا

طه حسين في ميزان التشكيك «تحقيق شخصيته، طريقته»[1]

بقلم الأستاذ: إبراهيم عبد القادر المازني

كنت جالسًا ذات يوم مع صديقي الأستاذ العقاد، فتذاكرنا «حديث الأربعاء» وصاحبه، واستطردنا إلى طريقته في البحث و «التحقيق العلمي!» ثم إلى سيرة مجنون ليلى.

فقال الأستاذ العقاد: عن أي شيء يُسفر البحث يا ترى لو نسجنا على منوال الدكتور فيما كتبه عن المجنون؟ إنه لا يبقى منه شيء كما لم يُبق هو شيئًا من المجنون.

والحقَّ أقول: إن مقترح العقاد راقني، وإن نفسي ظلت تنازعني بعد ذلك أن أتولى إمضاء هذه الفكرة، فلبثت أتردد حتى لم أعد أستطيع المقاومة، وقد أقنعت نفسي بقولي لها: إن العقاد لا يضيره أن أسطو على فكرة أو أفكار له، فإنه أغنى من ذلك، وأنا أفقر من أن أدعها له، وإن كنت أردّها بهذا الإعلان إليه.

---

(١) ينظر عنه: «طه حسين في ميزان العلماء والأدباء»، للشيخ محمود الاستانبولي رَحِمَهُ اللهُ.

وبعد هذا البيان الذي لابد منه أقول: لنفرض أن مؤرخًا في القرن الثالث والعشرين مثلاً تناول حياة الدكتور بمثل «تمحيصه وتحقيقه العلمي»، فهل تكون النتيجة إلا كما يأتي: يزعمون أن رجلاً اسمه الدكتور طه حسين عاش بمصر في أوليات القرن العشرين، وأنه صاحب هذه الكتب المختلفة التي نسبوها إليه ونحلوه إياها، ولكن كل ما اطلعت عليه مما يعزى له يحملني على التردد بين رأيين: أحدهما أن يكون هناك أناس كثيرون يتسمون «طه حسين»، وثانيهما أن يكون هذا اسمًا استعاره فرد -أو عدة أفراد- لما كتبوه ونشروه. ذلك أنه -على ما روي- أزهري النشأة، والأزهر هذا جامعة إسلامية كبري يلبس طلابها الجبة والقفطان والعمامة، أو ما يماثل ذلك من ثياب العامة في ذلك الوقت مما نجد نماذج منه في المتاحف، فهو على هذا «شيخ». ويقولون إنه كان في صدر أيامه هذه يكتب في صحيفة يومية اسمها (الجريدة)، ولكني راجعت مجموعة هذه (الجريدة) في دار الكتب فألفيت أحد أدباء ذلك العصر اسمه «عبد الرحمن شكري» يسميه «طه أفندي حسين» في مقال له. وهو ما لا سبيل إلى حمله على أنه خطأ أو زلة قلم؛ لأن الفرق بين الأفندي والشيخ كان من الوضوح والاختلاف في التعليم والنشأة والوسط والزي، بحيث لا يُعقل أن يقع الخلط بينهما. فهل طه أفندي حسين هو عين الشيخ طه حسين؟

ولا شك أن شكري كان يعرف المعنيَّ (بطه أفندي حسين)، فقد كانت بينهما ملاحاة، يدل على ذلك قصيدة نشرتها الجريدة بإمضاء «طه حسين» مطلعها:

قل لشكري فقد غلا وتمادى بعض ما أنت فيه يشفي الفؤادا

وأحرَ بمتهاجيين أن يعرف كلٌ منهما صاحبه، وأن لا يجعله (أفنديًا) وهو شيخ. ومما هو خليق أن يضاعف الشك في أنهما شخص واحد: أن الشعر لم يكن من أدوات الشيخ طه حسين، وإن ناشري كتبه ومترجمي حياته لم ينسبوا إليه بيتًا واحدًا.

ويعزى إلى طه حسين -ولا أدري أيهما- مقال بل عدة مقالات في الجريدة، يدعو فيها إلى تغيير الهجاء ورسم الكلمات. فهل كان الداعي إلى هذا والملحَّ فيه الشيخ طه أو طه أفندي؟ أما الشيخ طه فكان على ما يقولون مكفوف البصر، وكان في ذلك الوقت لا يزال طالبًا بالأزهر. ومن المعلوم أن طلبة الأزهر كانوا من (المحافظين)، ومن أشد طبقات المتعلمين استنكارًا للبدع ونفورًا من أصحابها.

زد على ذلك أنه ضرير. وما اهتمام الضرير برسم الكلمات؟!! ماله ولهذا، وهو لا يعانيه ولا يكابد صعوباته؟! إن الاهتمام لذلك والتحمس له أحق بأن يكونا من رجل يكابد الكتابة بنفسه، لا من كفيف ما عليه إلا أن يملي، وهو على كل حال خاطر أولى به أن يجري ببال مبصر لا ضرير، فالأرجح في الاحتمال والأقرب إلى المعقول أن هناك شخصين اسم كل منهما «طه حسين»، وأحدهما أفندي مبصر يقول الشعر، ويدعو إلى تغيير الهجاء، والثاني شيخ ضرير يكتب في الأدب.

والآن من هو الدكتور طه حسين صاحب «حديث الأربعاء»، أهو الشيخ أم الأفندي، أم هو لا هذا ولا ذاك بل شخص ثالث؟ أما أنه أحدهما، فإني أقطع بنفيه. وحسبك الفرق بين أسلوب هذين وأسلوب ثالثهما. وسننقل لك فقرات تريك من التباين ما لا يدع مجالا للشك في أن الكتّاب عديدون:

قال الشيخ طه حسين في كتابه ذكرى أبي العلاء: «كان أبو العلاء يحرص أشد الحرص على أن يخفي نفسه على القارئ في بعض رسائله، ولكن شخصه كان يأبى إلا الظهور. وكان يلقي بينه وبين القارئ أستارًا صفيقة من غريب اللفظ، وحجبًا كثيفة من ثقيل السجع، ويقيم حوله أسوارًا منيعة من المباحث اللغوية والصور الدينية، ولكن عواطفه الحادة تأبى إلا أن تخترق هذه الموانع

كافة لتصل إلى قلب القارئ، فتترك فيه ندوبًا لدغاتُ الجمر أخف منها وقعًا، وأهون منها احتمالاً».

وهو أسلوب لا شذوذ فيه كما ترى. ولكن اقرأ الآن الفقرة الآتية من كلام (الدكتور) طه حسين في نفس الموضوع والمعنى، قال: «ذلك أن أبا العلاء كان -كما تعلم- من أشد الناس إيثارًا للغريب وتهالكًا عليه. ثم كان أبو العلاء إلى هذا -فيما أعتقد أنا- يتكلف الغريب ويتعمده ليصد عامة الناس وجهالهم -سواء في ذلك العلماء وغير العلماء- عن قراءته والظهور على ما فيه. وكأن أبا العلاء كان لا يكتب لعصره، وكأنه كان يحس أن عصره خليق ألا يكتب له، وكأنه كان يكتب لهذا العصر الحديث الذي نحن فيه وللعصور التي ستليه، وكأنه كان يخشى على آثاره الأدبية أن يفهمها أهل زمانه فيفسدوها ويشوهوها ويحولوا بيننا وبين فهمها، وكأنه إنما أقام من الغريب وقواعد النحو والصرف والعروض والقافية طلاسم وأرصادًا شغل بها أهل عصره عن هذا الكنز حتى لا يصلوا إليه وحتى تسلم لنا نحن خلاصته فنترك للقدماء نحوهم وصرفهم وغريبهم وعروضهم وقوافيهم، ونفرغ لخلاصة هذا الكنز من فلسفة في الخلق والجماعة والدين».

ثم اقرأ للشيخ طه حسين قوله من ذكرى أبي العلاء أيضًا: «من قرأ رسالة الغفران وأراد أن يفقه معناها حق الفقه احتاج إلى دقة ملاحظة، وحذق فطنة، وبعد نظر، ونور بصيرة، وإلى أن يدرس روح الكاتب فيحسن درسه ويعرف أغراضه، فإذا لم يوفق إلى ذلك مرت به رساله الغفران وهو يظنها من أقوم كتب الدين».

وقس هذا إلى ما كتبه (الدكتور): «أراد أبو العلاء أن يتفكه، وأراد أبو العلاء أن ينقد، وأراد أن يكفر، وأراد أن يؤمن، ولست أحتاط في لفظ ولا أتحرج من

معنى، وإنما أريد أن أكون حرًا فيما أفهم وفيما أقول، فالحرية وحدها هي السبيل إلى فهم أبي العلاء. وقد أراد أبو العلاء هذا كله، أراد أن يتفكه فتفكه إلى غير حد، وأراد أن يكفر فكر بغير حساب، وأراد أن يؤمن فآمن في غير شك. أراد هذا كله ووُفق إلى هذا كله أحسن توفيق إلخ»!

وإنما أكثرت من المقتطفات ليتيقن القارئ أن الكاتبين شخصان مختلفان، ولا عجب أن يكونا كذلك، فإن الأسلوب صورة من النفس، وهكذا صار عندنا من المشتركين في حمل هذا الاسم ثلاثة أشخاص متباينين: شيخ وأفندي ودكتور.

ويظهر أن هناك أكثر من دكتور طه حسين واحد: ففي بعض المقالات المعزوّة إلى المتسمي «الدكتور طه حسين» تنويه بأن كاتبها كفيف، وفي البعض الآخر ما يفيد أنه مبصر: فهو يقول: «قرأت، ورأيت، وشهدت»، وما إلى ذلك من الألفاظ الدالة على الرؤية، ويصف لك بعض المشاهد لا تخيلاً بل كما هي كائنة. مثال ذلك بعض رسائل بعث بها من فرنسا وفيها يصف مناظر البلدان، ومقالات عن روايات شهد تمثيلها، ولم يقتصر في كلامه عنها على تناول القصة بل جاوز هذا إلى التمثيل والأداء. ومما يؤكد هذا التعدد أيضًا أن لأحد هؤلاء الدكاترة -فإنهم على ما يبدو لي كثير- أبناء يسميهم أسماء أفرنجية[1]. وإن الصحف المحفوظة في دار الكتب مختلفة، فبعضها يقول الشيخ طه حسين، والبعض يذكر الدكتور طه، وواحدة تزعمه أستاذًا في الجامعة، وأخرى صَحَفيًا. ومعروف أن قوانين ذلك العصر لا تجيز أن يكون المرء موظفًا في جامعة أميرية

---

(١) للدكتور طه حسين ولدان، أحدهما أنثى سماها (مرغريت)، والآخر غلام سماه بأحد أسماء الأفرنج أيضًا.

وصحفيًا في الوقت عينه. وأحد هؤلاء الدكاترة كان مولعًا باللاتينية واليونانية، وكان يلح على وزارة المعارف أن تدرسهما في المدارس الثانوية ولا يكاد يتفق ذلك مع الصبغة الأزهرية الأولى. أضف إلى ذلك أن (الشيخ طه حسين) كان ذا لحية، وأن دكتور الجامعة أو الصحفي كان أفنديًا حليقًا. فالأمر كما ترى لا يعدو إحدى اثنتين. أن يكون هناك أشخاص عديدون بهذا الاسم وهو غير محتمل، أو أن يكون هذا الاسم مستعارًا وهو الأرجح».

وبعد؛ فكيف يرى القراء هذا المنطق؟ أليس مهلهلاً واهن الأركان متداعي البنيان؟ نعم هو كذلك بلا نزاع! ولكنه ليس أوهى من منطق الدكتور... ولقد أردنا أن نثبت بهذا التطبيق أنه ما هكذا يُكتب التاريخ، ولا من هذا النحو يكون «التعمق في البحث والإلحاح في التحقيق العلمي». وأنه إذا كان مجرد التضارب في الروايات والعجز عن التوفيق بينها يكفي لمحو رجل من الوجود، فقد صار ذلك سبيلاً لإنكار كل شيء.

ولقد تعمدنا فيما أوردنا أن نسوق أشياء من هنا وههنا، وأن نُهمل الصلات الكائنة بينها. لأن كثيرًا من حلقات السلسلة يسقط مع الزمن، ولأن هذا على الأرجح هو كل ما يبقى معروفًا عن المترجم له مد قرن أو قرون. وهل في تراجم العرب مثلاً أكثر من هذا؟ هل يعرف أحدنا عن شاعر أموي أو جاهلي ما هو أوفى أو أشد اتساقًا مما أوردنا عن حياة الدكتور؟ كلا! فإذا كان الدكتور طه يبيح لنفسه أن يُنكر وجود المجنون اعتمادًا على التضارب في الروايات ونقصها وتشويهها، فقد أضاع الدكتور نفسه والله! وشبيه بهذا أن يختلف شهود حادثة فننكر وقوعها!

الملكة السجينة -ملكة النحل-

لله ما أبهاكِ يا نحلتي ... في ثوبكِ الزاهي بوشيِ الذَّهبْ
تمشين في وَجْدِ العروسِ التي ... قد أرملتْ في عُرْسِها المُقْتَضَبْ
وحولَكِ الجَمْعُ: بناتٌ أبتْ ... طبيعةُ الكونِ لهنَّ النّسبْ!
يا حُسْنَ ذا العطفِ الكريمِ الذي ... يحييكِ للنَّفْعِ العظيمِ السَّبَبْ
تمشينَ في موكبِ نُبْلٍ وما ... أعطيتِهِ زَهْوًا لأجلِ الطرَبْ
لكنَّهُ حالُ الأسيرِ الذي ... يُساعدُ الآسرَ عند الطلَبْ!
أحكام شَعْبٍ مِنْ كبارِ المنى ... للنفْعِ والحكمةِ فيها الغَلَبْ
أفرادُهُ النّسوة في نهضةٍ ... فليعتبرْ منّا الكثيرو الصَّخَبْ!
ما الجنس للنفسِ فخارًا لها ... إنْ فاتها الجِدُّ وضاع الأدَبْ
وربّما كانَ النساءُ العلى ... وربما كان الرجالُ النُّوَبْ!
للهِ كَمْ مِنْ عبرةٍ كنْتِها ... يا نحْلتي بالجهْدِ...كمْ تُرْتَقبْ!

الدكتور أبو شادي

معرة النعمان

رعى اللّه عيشًا بالمعرة لي مضى ... حكاه ابتسام البرق إذ هو أومضا
فما المنحنى ما البان ما السفح ما النقا ... وما رامة عند المعرَّة ما الغَضا
فوالله لا فَضّلتُ في الأرض بُقعة ... عليها سوى ما فضّل اللهُ وارتضى
منازلُ كانت مرتعي زمن الصِبا ... فأبعدني المقدور عنها وأنهضا

مـراتـعُ آرام مـرابـعُ جِـيـرة　　مراتع غزلان معاهد تُرْتضى
فلله هاتيك الرُّبَى وسُفوحها　　ولله عمرٌ في سواها ليَ انقضى
وما عن رضىً كانت سواها بديلةً　　لها غير أن الدهر ما زال مُدْحِضا

ابن الوردي

الحزم

الرجال ثلاثة: حازم، وأحزم منه، وعاجز.

فالحازم من إذا نزل به الأمر لم يدهش له، ولم يذهب قلبه شعاعًا، ولم تعيَ به حيلته ومكيدته التي يرجو بها المخرج منه.

وأحزم من هذا: المقدامُ ذو العدَّة، الذي يعرف الابتلاء قبل وقوعه؛ فيُعظّمه إعظامًا، ويحتال له حيلةً، حتى كأنه قد لزمه؛ فيحسم الداء قبل أن يبتلى به، ويدفع الأمرَ قبلَ وقوعه.

وأما العاجز فهو في تردّد وتمنٍّ وتوانٍ حتى يهلك.

ابن المُقَفّع

التقليد في الزندقة

روى أبو عثمان الجاحظ في رسالة (أخلاق الكتَّاب) قال: «وقد قال أهل الفِطن: إن محض العمى: التقليد في الزندقة، لأنها إذا رسخت في قلب امرئ تقليدًا أطالت جرأته، واستغلق على أهل الجدل إفهامه».

الشكوكيون

ليس شيء من أمور الدنيا إلا وهو مُعرض للشك، حتى قال بعض الفلاسفة: إن كل شيء يقبل الشك حتى قولي هذا: «إن كل شيء يقبل الشك»! ومن بين الفلاسفة طائفة يُعرفون بأهل الشكوك، يشكون في كل شيء حتى في وجود ذواتهم!...

محمد المويلحي

الصبر والشجاعة

هما من الواجبات الشخصية التي ينبغي للمرء أن يتذرع بها، ويروض نفسه عليها منذ زمن الحداثة.

والصبر في أصل معناه اللغوي: الحبس. وهو باعتبار متعلَّقهِ ينقسم إلى ثلاثة أقسام: (الصبر عن...) و (الصبر على...) و (الصبر في...):

(فالأول): حبس النفس وردعها عن فعل السوء والشر ودواعي الهوى أو الشهوة، وكل ما يمس كرامة الإنسان ويشوه سمعته.

و (الثاني): أن يحبس نفسه ويوطئها على المكروه والألم وتحمل الرزايا والمصائب، وكل ما يُقلق الراحة وينغص العيش. ومن ذلك الصبر على ما يفوت الإنسان من المآرب والحظوط الدنيوية.

و (الثالث): أن يحبس نفسه ويمنعها عن التقهقر في مواطن الخوف والذعر، بل في مواطن الخطر أحيانًا، وذلك دفاعًا عن حق، أو حماية لمصلحة، أو

وقاية لعرض وشرف. وهذا النوع من الصبر يسمى الشجاعة والإقدام. فالشجاعة مما يشمله الصبر بدليل قوله تعالى في صفة طائفة من الأبرار: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ فالبأساء والضراء: الضيق والفقر والمرض، والبأس: الحرب. فهؤلاء الأبرار كانوا يصبرون لدى المصائب والآلام والكروب، كما يصبرون في المخاوف واشتداد هول الحروب.

وقال بعض الحكماء: ليس الصبر الممدوح صاحبه أن يكون الرجل قوي الجسد على الكد والتعب، لأن هذا تشاركه فيه الدابة. ولكن أن يكون للنفس غلوبًا، وللخطوب حَمولاً، ولجأشه عند الحِفَاظ مرتبطًا (أي مالكًا نفسه عند الغضب).

وهذا الخلُق -أعني الصبر والشجاعة- من دعائم الإسلام، ومن أخص الصفات التي يجب أن يتخلق بها المسلم، وإذا أردنا أن نعزو نجاح الإسلام وظهور أمره وانتشار كلمته في العالم إلى خُلق من الأخلاق، وجب أن يكون هذا الخلق هو خلق (الصبر والشجاعة) اللذين تَشَبَّعَتْ بهما نفوس سلفنا الصالح، وأبطالنا الأقدمين. قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «خمس خذوها عني: ألا لا يَرْجُوَنَّ أَحَدٌ إلا رَبَّه، ولا يخافنّ إلا ذنبه، ولا يستنكف أن يتعلم ما ليس عنده، وإذا سُئل عما لا يعلم فليقل لا أعلم، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد» اهـ.

وقال أيضًا: «لا يعدم الصبورُ الظفرَ وإن طال به الزمان».

وإن أعز شعوب هذا العصر، وأرفعها شأنًا، وأوسعها سلطانًا، هو الشعب الذي عُرف من أخلاقه الصبر والثبات في مواطن الأخطار، وَلَدَى اشتداد الأهوال: فهو يُعِدُّ للأمور عدّتها، ويهيىء لها أسبابها ووسائلها. ثم يصبر صبرًا بعد صبر حتى يحين الوقت، وينضج الأمر. وإذ ذاك يجني ثَمَرَته، ويحتجن فائدته.

هذا الخلُق يصح أن نسميه (الخلق القرآني) لكثرة ما ذكر في القرآن من التنويه به، والحض عليه، في أكثر من سبعين آية. من ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾.

ومعنى كون الصبر من عزم الأمور: أنه مما يتأكد طلبه وتتحتّم على الشخص ممارسته من أمور الأخلاق. لأن هذا معنى العزم في اللغة. ويكون ذلك شاهدًا على صحة إطلاق كلمة «الواجبات الشخصية» على الأخلاق والسجايا النفسية. وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ﴾، أي إنما كان أولئك القوم من المفلحين، والأئمة المهتدين الهادين، لأنهم كانوا متصفين بالصبر في عامة أحوالهم.

وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾، أي أنه تعالى يُعجبه من أولئك المدافعين عن الحق أن يكونوا في موقف دفاعهم متساندين متلازمين بما وطّنُوا نفوسهم عليه من الصبر والثبات؛ حتى يصبحوا كالبنيان الذي تراصّت أحجاره، وتماسكت جنادله.

وأحاديث الصبر والشجاعة كثيرة: منها قوله ﷺ - يبين مكانة الصبر، ومنزلته من سائر آداب الإسلام-: «**الصبرُ من الإيمانِ بمنزلة الرَّأس من الجسد**»[١]، «**الصبرُ سترٌ من الكروب، وعونٌ على الخطوب**»[٢]، «**إن اللَّه يحبُّ الشجاعةَ ولو على قتلِ حية**»[٣]، أي يجب الصبر في مواقف دَرْء الأخطار والإقدام على دفع

---

(١) ضعيف الجامع؛ للألباني (٧٩٧٤).

(٢) لا أصل له. والشيخ ينقله من «أدب الدنيا والدين»؛ للماوردي (ص ٣٥٩). قال: «وروي عن النبي ﷺ. .».

(٣) حديث موضوع. انظر: «الفوائد المجموعة»؛ للشوكاني (٢٠٩).

أذى كلّ مؤذ حتى ما كان قليل الشأن كالحيّة. فكيف ترى الشارع الإسلامي يُحب شجاعة الشجاع في المواطن العظام، كما إذا كان يدافع عن حق مقدس عامّ ينتج عن الجبن فيه، والنكوص عنه، ضياع أمّةٍ برمّتها مثلاً.

«آفَة الشَّجاعةِ البَغْيُ»(١)، يحذّر في هذا الحديث الشجاعَ من استعمال شجاعته وجلادته في الشر والفساد فَيَبْغي على غيره أو يبخسه حقًا من حقوقه.

«الصبرُ عندَ الصَّدمَةِ الأُولى»(٢)، في هذا الحديث أيضًا تنبيه للشجاع أو كل مَنْ كان في حالةٍ تستدعي ثبات القلب والصبر أن يُوطّن نفسه ويُنعش فيها خلُق الصبر والثبات لأوّل مفاجأة العدوّ أو الكارثة أو البلاء، حتى إذا تيسَّر له الصبر في ذلك الوقت، استمرَّ عليه لا يلبث، حتى يُلْقى في نفس خصمه أو مؤذيه الهيبةَ والإكبار، وربما اضطره بصَبره هذا إلى الهزيمة والفرار. أما إذا لم يَصْبر لدى الصدمة الأولى، واستسلم للخوفِ والجَزَع، أطمع خصمه فيه وجَرَّأه عليه. ثم صعُب عليه بعد ذلك أن يرجع إلى قوّته ويملك عنان نَحِيزتِهِ (نفسه).

وقد اتفقت كلمة أهل الأدب على أن أبلغ ما قيل في الحض على الصبر والشجاعة قول قَطَري بن الفُجاءةِ البطل العربي المشهور:

أقول لها وقد طارتْ شعَاعًا ... من الأبطال ويحك لن تراعي(٣)
فإنكِ لو سألتِ بقاء يوم ... على الأجل الذي لك لم تطاعي
فصبرًا في مجال الموت صبرًا ... فما نيلُ الخلود بمُستطاع

---

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٣٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٨٣) ومسلم (٩٢٦).

(٣) الضمير في (لها) يرجع إلى النفس. (طارت شعاعًا) كناية عن انتشار النفس وتفرقها هلعًا بحيث لا يعود يمكنها أن تستجمع قوتها.

ولا ثوب البقاء بثوب عزٍّ فيطْوَى عن أخي الخنَع اليَرَاعِ(١)
سبيلُ الموت غاية كل حيٍّ فداعية لأهل الأرض داعي(٢)
ومن لم يُعْتَبَطْ يَسْأمْ ويَهْرَمْ وتسلمه المنونُ إلى انقطاعِ(٣)
وما للمرء خيرٌ من حياةٍ إذا ما عُدَّ من سقط المتاع(٤)

وكأن الشاعر الافرنسي عقد هذا المعنى الذي قاله شاعرنا العربي فقال ما ترجمته:

«إذا خسر المرء كلَّ شيءٍ».

«ولم يَعدْ له أمَلٌ في استرجاع ما فقَد»

«كانتْ حياته عارًا عليه»

«وأصبح الموتُ أحَدَ واجباته»

❁ ❁ ❁

بقي أمرٌ جدير بالذكر: وهو أنه يُشترط في النوع الثاني من أنواع الصبر الذي سميناه «الصبر على الآلام والمصائب والكوارث» شرطٌ لا بدّ من مراعاته وتَحقّقه؛ ذلك أن المصائب والمكاره التي تنزل بالشخص قسمان:

---

(١) الخنع: الذل. واليراع: الجبان. ومعنى البيت أن ثوب البقاء وطول الحياة لو كان ثوب عز وشرف لطوي ولبعد عن الذليل الجبان فلم يلبسه. لكننا لما رأيناه قد لبسه وتباهى به، علمنا أنه ليس ثوب عز ولا فخار.

(٢) اللام في قوله «لأهل الأرض» متعلق بداعي في آخر البيت، أي أن داعي الموت يدعو أهل الأرض كلهم، ولا يستثني منهم أحدًا.

(٣) ومن لم يعتبط: أي ومن لم يمت شابًا صحيحًا، مات بعد هرم وسام من الحياة. فالموت واقع على كل حال.

(٤) سقط المتاع: رديئه وما لا قيمة له منه: أي إذا علم المرء أنه سيحيى ذليلاً في هذه الدنيا، لم يعد يبقى لحياته معنى. ولم يعد له فيها خير وفائدة.

قسم لا يكون فيه حيلة، ولا لدرئه وسيلة، كما إذا مات للشخص ابن أو أخ عزيز أو عَمِيَ أو إيفَ بعض أعضائه[١]، فالصبر الجميل إذ ذاك على المصيبة أمر محمود.

الدهرُ لا يبقى على حالةٍ لا بد أن يُقبِلَ أو يُدبِرا
فإن تلقَّاك بمكروهه فاصبر فإنَّ الدَّهر لن يصبرا

والقسمُ الآخر: أن ينزل بالشخص نازلة أو مصيبة يكون له حيلة في تفريجها أو وسيلة في تخفيفها. فالصبر على هذا المكروه محمود أيضًا: لكن يُشترط مع هذا الصبر الاجتهاد والعمل على اتخاذ السبب والوسيلة في دفعه، والتخلّص منه. أما الاستسلام إلى المكروه، والصبر على المصيبة، والتقاعد عن دفعها بالطرق والوسائل المشروعة الداخلة تحت الطاقة، فليس مما يرضاه الشرع ولا العقل لنا، ولا يكون الصبر عليه صبرًا محمودًا، ولا خلقًا مشهورًا:

ينزل بالمرءِ فقر أو ضائقة، وله عيال يتضوَّرون جوعًا وأسباب الرزق ممهَّدة بين يديه فيُعرِض عنها ويقول: إنهُ صابر، وإن الصبر مفتاح الفرج!

يُصاب المرء بمرض مؤلم ويكون له علاج أو دواء ناجع ومخفّف بإذن الله، فيتقاعد المريضُ عن تناول ذلك العلاج ويقول عن نفسه: إنه صابر، وإن الصبر سلاح المؤمن!

يعتدي مُعتدٍ عليك، أو يغتصب بعض حقك، ويكون في مكنتك كفّ أذاه بإحدى الطرق والوسائل، لكنك لا تفعل بل تذلُّ وتخضع وتدعي أنك صابر، وأن اللّه مع الصابرين! في نظير ذلك من أحوال الناس وأطوارهم التي تتكرّر مشاهدها تحت مواقع أبصارنا من وقت إلى آخر. وكلُّ هذا لا يقال إنه من الصبر

---

(١) إيف: أصيب بآفة أو عاهة.

المحمود، ولا ينبغي أن يُقَرَّظ صاحبه عليه. وإنَّ استنكار ذلك وبُعْدَه عن الأخلاق ومنافاته للواجبات الشخصية؛ أمرٌ ظاهر لا يحتاج إلى استدلال، ومنافاته للواجبات الشخصية؛ أمرٌ ظاهر لا يحتاج إلى استدلال، بل يكاد يكون الشعور باستنكاره من الوجدانات الطبيعيَّة، وكثيرًا ما سُمّي هذا الصبر الممقوت باسم «التوكل»، واشتبه به: فتُذِلُّ أُمَّةٌ أُمَّةً وتدوس حقوقها، ثم يقال للأمة المُسْتَذَلة: «اصبري وتوكلي، إن اللَّه مع الصابرين والله يحب المتوكلين»!! وهذا في الحقيقة خداع وتغرير، وإنَّ صَبْرَ هذه الأمة وتوكلها -إذا تظاهرت بالصبر والتوكل- ليسا من الصبر والتوكل الإسلاميين في شيء، ما دام في طاقتها الاستعدادُ، واتخاذ الأسباب لدفع الشرّ، واستردادِ الحَقّ، والاحتفاظ بالكرامة.

وقد مُني المسلمون في أُخْرَياتِ أيامهم بشيء من هذا الصبر والتوكل الممقوتين، بحيث التبس أمرهما عليهم، أو لبَّسوه على أنفسهم بالصبر والتوكل الشرعيين. وليس المقام بمتَّسع للإفاضة في هذا البحث بأكثر ممَّا ذكرنا، ولا للاستشهاد عليه من النصوص الشرعية، وأعمال النبي ﷺ والصحابة التابعين بأكثر مما أشرنا. وإنما نكتفي ببيت من الشعر قاله تابعي جليل من أصحاب سيدنا علي رضي الله عنه -وهو أبو الأسود الدؤلي واضع علم النحو-، وهو قوله:

إذا كنتَ مغْنيًا بأمرٍ تريده ... فما للمضَاءِ والتوكل من مِثْلِ

يقول: إذا كان يهمُّك قضاء أمر من الأمور، فلا طريقة للوصول إليه أحسن من المضاءِ والتوكل. والمضاءُ: النشاط وصدق العزيمة في طلب الأمر.

فانظر كيف قرن التوكل، وهو الاعتماد على الله، بالمضاء والجِدّ، فيكون التوكل في اعتبار سلفنا الصالح هو ما اقترن بالسعي والعمل، لا بالتقاعد والكسل.

الشيخ عبد القادر المغربي

أعظم مطبعة في العالم

أعظم مطبعة في العالم مطبعة الحكومة الأمريكية في واشنطون، وهي ذات بناء فخم مؤلف من ثماني طبقات، يعمل فيها أربعة آلاف عامل وفيها ١٤٤آلة صف (لينوتيب) و ٣٢٥ مصححًا. والقسم الخاص بطبع أوراق العملة يعمل لخمسة عشر ألف مصرف مالي، فضلاً عن طبعه جميع أوراق العملة في الولايات المتحدة. وفي المطبعة فرع للبطاقات يُصدر أربعة ملايين بطاقة في اليوم، وفرع لطبع طوابع البريد وتلوينها وتجفيفها في آن واحد. وفيها مستشفى خاص بعمالها.

موت العلماء

أصاب الأخفشين[١] بصيرُ خَطْبٍ ... أعاد الأعشَييْنِ[٢] بلا جِوار
وغِيْلَ المازني من الليالي ... بزَنْد من خطوب الدهر وار
وللجرْميّ[٣] ما اجترمتْ يداه ... وحَسْبُكَ من فلاحٍ أو بَوار
فأما فَرْخُه[٤] فبلا جناح ... يطير بحمل أثقال جوار
وما نقعَ المبرَّد من حميم ... وصادت ثعلبًا نُوَبٌ ضوار

أبو العلاء المعري/ عن لزوم ما لا يلزم

---

(١) الأكبر والأوسط: أي أبو الخطاب أستاذ سيبويه، وتلميذه أبو الحسن سعيد بن مسعدة.
(٢) أعشى قيس الأكبر ميمون بن قيس، وأعشى باهله عامر بن الحارث.
(٣) صالح بن إسحق، مولى جرم بن زبان المتوفي سنة ٢٢٥ .
(٤) كتاب للجرمي في النحو.

نبوغ أبي العلاء المعري في الحفظ[١]

نأتي هنا على أخبار رواها الثقات عن الثقات، والأصاغر عن الأكابر، سوى بعضها مما وقع فيه خلل في النقل. وما أكثر من يستنكرها من أبناء العصر، إذ حُرموا هذه الفضيلة، اللهم إلا شِرذمة منهم نَزْر. والعرب أحفظ الأمم، «ومَنْ يُشابِهْ أبهُ فما ظلَمْ»، والباعث على ذلك ليس إلا عِرْقهم في البداوة وسُكنى الوَبَر والمَدَر، وبُعدهم عن الوسائل المغنية عنها في الحَضَر

❊ ❊ ❊

(١) روى السمعاني في الأنساب[٢] عن التبريزي أنه كان قاعدًا في مسجده بمعرة النعمان بين يدي أبي العلاء يقرأ عليه شيئًا من تصانيفه، قال: وكنت قد أتممت عنده سنتين[٣]، ولم أر أحدًا من أهل بلدي. فدخل مغافصة المسجدَ بعض جيراننا للصلاة، فرأيته وعرفته وتغيّرت من الفرح. فقال أبو العلاء: ما أصابك؟ فحكيت له أني رأيتُ جارًا لي بعد أن لم ألق أحدًا من أهل بلدي سنين[٤]، فقال لي: قم وكلّمه، فقلت له: حتى أتمم السبق[٥]. فقال: قم أنا أنتظرك. فقمت وكلمته بالأذربية شيئًا كثيرًا، إلى أن سألت عن كل ما أردت. فلما عُدتُ وقعدت بين يديه قال لي: أيّ لسان هذا؟ قلت: هذا لسان أهل

---

(١) انظر أقوال العلماء عنه، ونماذج من شعره الكفري، في رسالتي «مشاهير في ميزان العلماء» (ص ١٧ - ٢٢). (س).

(٢) ورقة ١١٠ - وياقوت عنه ١: ١٧٣، ونكت الهميان ١٠٢، والبديعي ١: ١٠، والبغية ١٣٦، ومعاهد التنصيص ١: ٤٩ .

(٣) وفي غير نسخة الأنساب أقمت عنده سنين.

(٤) كذا في هذه الكتب بأسرها، إلا معجم الأدباء، فإنه روى ستين.

(٥) بمعنى الدرس، كما هو مستعمل إلى الآن بإيران والهند.

أذْرَبيجانَ. فقال لي ما عرفتُ اللسان ولا فهمته، غير أني حفظت ما قلتما. ثم أعاد لفظًا بلفظ ما قلنا من غير أن ينقص منه أو يزيد عليه، فجعل جاري يتعجب غاية العجب ويقول: كيف حفظ شيئًا لم يفهمه اهـ.

قال ياقوت: وهذه غاية ليس بعدها شيء في حسن الحفظ. وقال الصفدي: هذا أمر مُعجز، فإنه بلغنا عن جماعة من الحُفاظ. وما يحكى عن البديع الهَمذَاني وابن الانباري (لعله أبو بكر محمد) وغيرهما ما هو قريب من الإمكان، وأما حفظ ما لم يسمعه (يفهمه) الإنسان، ولا يعلم مفرداته ولا مركّباته، وهو أقلّ ما يكون أربع مائة سطر؟ - أي تعجب منه -.

❁ ❁ ❁

(٢) قال ابن العديم في العدل: قيل إنه أملى من ديوانه لزوم ما لا يلزم في ليلة واحدة نحو ألفيْ بيت، كان يسكت زمانًا ثم يملي نحو خمسمائة بيت، ثم يعود إلى الفكرة والعمل، إلى أن كملت العدة المذكورة.

❁ ❁ ❁

(٣) وروى ابن العديم أيضًا أن بعض أمراء حلب قيل له: إن اللغة التي ينقلها أبو العلاء إنما هي من الجمهرة، وعنده من الجمهرة نسخة ليس في الدنيا مثلها، وأشاروا عليه بطلبها منه قصد الأذاة. فسير أميرُ حلب رسولاً إلى أبي العلاء يطلبها منه. فأجابه بالسمع والطاعة وقال: تقيم عندنا أيامًا حتى تقضي شغلك. ثم أمر من يقرأ عليه كتاب الجمهرة، فقرئت عليه، حتى فرغوا من قراءتها. ثم دفعها إلى الرسول وقال له: ما قصدتُ بتعويقك إلا أن أعيدها على خاطري خوفًا من أن يكون قد شذَّ منها شيء عن خاطري. فعاد الرسول وأخبر أمير حلب بذلك، فقال: من يكون هذا حاله لا يجوز أن يؤخذ منه هذا الكتاب. وأمر بردّه إليه

❁ ❁ ❁

(٤) وروى أيضًا أن البغداديين أرادوا امتحان حافظته، فأحضروا دُستور الخراج الذي في الديوان، وجعلوا يوردون ذلك عليه مُياومة وهو يسمع، إلى أن فرغوا من ذلك، فابتدأ أبو العلاء وسَرد عليهم كلَّ ما أوردوا عليه

❁ ❁ ❁

(٥) روى البديعيّ[١]. عن الأمير أسامة بن منقذ عن أبي العلاء المعرّي. قال: كان بإِنطاكية خزانة كتب، وكان الخازن بها رجلاً علويًا، فجلست يومًا عنده فقال: قد خبأتُ لي خبيئة غريبة ظريفة لم تسمع بمثلها في تاريخ ولا في كتاب منسوخ. قلت: وما هي؟ قال: صبيّ دون البلوغ ضرير، يتردّد إلى وقد حفّظته في أيام قلائل عدّة كتب، وذلك أني أقرأ عليه الكرَّاسة والكُراستين مرّة واحدة، فلا يستعيد إلا ما شكّ فيه. ثم يتلو عليّ ما قد سمعه كأنه كان محفوظًا له. قلت: فلعله قد يكون محفوظًا له، قال: سبحان الله، كلّ كتاب في الدنيا يكون محفوظًا له! ولئن كان ذلك كذلك فهو أعظم. ثم حضر المشار إليه، وهو صبيّ ذميم الخِلقة، مجدَّر الوجه على عينيه قليلاً، وهو يتوقّد ذكاء، يقوده رجل طويل من الرجال أحسبه يقرب من نسبه، فقال له الخازن:

يا ولدي هذا السيّد رجل كبير القدر، وقد وصفتك عنده، وهو يُحب أن تحفظ اليوم ما يختاره لك. فقال: سمعًا وطاعة! فيختار ما يريد. قال ابن منقذ: فاخترت شيئًا وقرأته على الصبي وهو يموج ويستزيد. فإذا مرَّ بشيء يحتاج إلى تقريره في خاطره يقول: أعِدْ هذا. فأردّده عليه مرة أخرى. حتى انتهيتُ على ما يزيد على كراسة، ثم قلت له: يقنع هذا من قِبَل نفسي. قال: أجلْ حرسك اللّه قلتَ كذا. وتلا عليَّ ما أمليتهُ عليه، وأنا أعارضه بالكتاب حرفًا حرفًا، حتى

---

(١) الصبح المنبي ١: ٧، وهذه الحكاية توجد باختلاف يسير منسوبة إلى التبريزي في غرر الخصائص ١٨٧ .

انتهيت إلى حيث وقفتُ عليه، فكاد عقلي يذهب لما رأيتُ منه، وعلمت أن ليس في العالم من يقدر على ذلك إلا إن شاء الله. وسألت عنه، فقيل لي: هذا أبو العلاء المعري من بيت العلم والقضاء والثروة والغنى اهـ.

أقول: جمع البديعي بين الضبّ والنون، وحاول أن يُجري في البراري الفُلْكَ المشحون، فإن صاحبنا توفي سنة ٤٤٩هـ، وأسامة وُلد سنة ٤٨٨! فلعل الحكاية عن بعض متقدمي بني منقِذ، قبل أن يملكوا شيزَرَ بنحو نصف قرن، أو أكثر، أو الأصل «عمن حدثه عن أبي العلاء»، فيوجد ثمّ واسطة بينهما. والراجح هو الأول، ففي مساق هذه الحكاية في العدل والتحري ما يدلّ على أن صاحب أبي العلاء هو أبو المتوَّج مقلّد بن نصر بن منقذ، وكان يسكن حلب، وهو الذي ترجم له ابن خلكان وياقوت والعماد. ولكن هذه الخزانة على ما قال ابن العديم كانت في كَفر طلب أو في حلب. وذكر خبرًا طريفًا عن خزانة حَلَبَ.

❁ ❁ ❁

(٦) وروى أيضًا[(١)] قال: وأعجب من هذه ما حكى بعض طلبته عنه قال: كان لأبي العلاء جار أعجميّ، فاتّفق أنه غاب عن المعرّة، فحضر رجل يطلبه قد قدم من بلده، فوجده غائبًا فلم يمكنه المُقام. فأشار إليه أبو العلاء أن يذكر حاجته، فجعل ذلك الرجل يتكلم بالفارسية، وأبو العلاء يصغى إليه إلي أن فرغ من كلامه. ولم يكن أبو العلاء يعرف الفارسيّة، ومضى الرجل. وقدم جاره الغائب، وحضر عند أبي العلاء، فذكر له حال الرجل وجعل يذكر له بالفارسية ما قال، والرجل يبكي ويستغيث ويلطم، إلى أن فرغ من حديثه، وسئل عن حاله، فأخبر أنه أخبر بموت أبيه وإخوته وجماعة من أهله.

❁ ❁ ❁

(١) الصبح المنبي ١: ٩، ولعله عن كتاب (العدل والتحري) لابن العديم.

(٧) وحكى أيضًا[١] عن بعض أصحابه أن جارًا له سَمانًا كان بينه وبين رجل من أهل المعرة معاملة فجاء ذلك الرجل وحاسبه برقاع يستدعي فيها ما يأخذه منها عند حاجته إليه. وكان أبو العلاء في غرفة يسمع محاسبتهما. قال فسمع أبو العلاء السمَّانَ المذكور بعد مدة يتأوه ويتململ، فسأل عن حاله فقال: كنت حاسبت فلانًا برقاع كانت له عندي وقد عدمتها ولا يحضرني حسابه. فقال: ما عليك من بأس أنا أملي عليك حِسابه. وجعل يملي علي معاملته رقعة برقعة والسمان يكتبها إلى أن فرغ وقام. فما مضت إلا أيام يسيرة ووجد السمان الرقاع فقابل بها ما أملاه عليه أبو العلاء فطابق إملاؤه الرقاع اهـ.

ومثله ما في الوفيات لابن خلكان[٢] عن أبي بكر النحوي قال: لما قدِم الحسن بن سهل العراق، قال: أحب أن أجمع قومًا من أهل الأدب. فأحضر أبا عبيدة والأصمعي ونصر بن عليّ الجَهْضَميّ وحضرتُ معهم. فابتدأ الحسن فنظر في رقاع بين يديه للناس في حاجاتهم، فوقَّع عليها، فكانت خمسين رقعة، ثم أمر فدُفعت إلى الخازن. ثم أقبل علينا فقال: قد فعلنا وخيرًا نظرنا في بعض ما نرجو نفعه من أمور الناس والرعية، فنأخذ الآن فيما نحتاج إليه. فأفَضْنا في ذكر الحُفّاظ، فذكرنا الزهريّ وقتادة ومررنا، فالتفت أبو عبيدة فقال: ما الغرض أيها الأمير في ذكر من مضى، وبالحضرة ها هنا من يقول: ما قرأ كتابًا قط فاحتاج إلى أن يعود فيه، ولا دخل قلبه شيء فخرج عنه، فالتفت الأصمعي وقال: إنما يريدني بهذا القول أيها الأمير، والأمر في ذلك على ما حكى، وأنا أقرب إليك، قد نظر الأمير فيما نظر فيه من الرقاع، وأنا أعيد ما فيها، وما وقَّع به الأمير على رقعة رقعة، قال فأمر وأحضرت الرقاع. فقال الأصمعي: سأل صاحب الرقعة

(١) الصبح المنبي ١: ١١ .
(٢) ١: ٢٨٩ .

الأولى كذا واسمه كذا فوقع له بكذا، والرقعة الثانية والثالثة، حتى مرّ في نَيِّف وأربعين رقعة. فالتفت إليه نصر بن علي فقال: أيها الرجل أبْقِ على نفسك من العين. فكف الأصمعي اهـ.

وأغرب منه وأعجب ما روى الحميديّ في الجذوة والخطيب في تاريخ بغداد عن البخاري ومِحْنته هناك في مائة حديث مقلوبة الأسانيد والمتون. وراجع الوفيات[١].

❁ ❁ ❁

(٨) زعموا[٢] أن رجلاً من أهل اليمن وقع له كتاب في اللغة قد ضاع أوله، فعرضه على طائفة من أهل العلم فكلهم لم ينفعه (يعرفه)، ولم يدله على اسم الكتاب، فلما عرضه عن أبي العلاء أنبأه باسمه واسم صاحبه وأملى عليه ما ضاع منه. قال ابن العديم: قيل إن الكتاب هو ديوان الأدب للفارابي.

وفي النور السافر للسيد العيدروس: «وذُكر عنه أنه أملى المحكم والمخصص من صدره». أقول: لعل الراوي اشتبه عليه تذهيب الأزهري بالكتابين، وإلا فإنهما لم يكونا صنفًا بعدُ.

❁ ❁ ❁

(٩) حكى بعض العصريين[٣] -والعُهدة عليه إذ لم يُحل على مأخذ- أنه سمع محاورة إسرائيليين بالعِبْرية وهو في شأن غير شأنهما، ثم طُلب بعد مُدة مديدة للشهادة، فأعاد تلك المحاورة وهو لا يفقه من العِبْريّة حرفًا. اهـ.

ولم أعثر على الخبر فيما بيدي من دواوين الأخبار. وليس ببدْع من صاحبنا،

---

(١) ١: ٤٥٥.

(٢) ابن العديم في العدل والتحري، وصاحب ذكرى أبي العلاء ٣٢٣، ولعله عن القفطي.

(٣) وهو صاحب الإلياذة العربية في مقدمتها ٣٨. فإن صح اتكاله على الحفظ فهو الخبر الأول هنا.

إلا أنني رأيت المتأخرين يتكلون على حفظ ليس حفظ أبي العلاء، ولا يرجعون إلى الأصول، فيخبطون ويخلطون، والعصمةُ لله وحده[١].

هذا وغَرَّ أكثر الغربيين قولُ الصَفَدي[٢] أُظُنَّه: «وللناس حكايات يَضَعونها في عجائب ذكائه، وهي مشهورة وغالبها مستحيل»، وإني لأعجب كيف ذهب عليهم أو خفي عنهم مثل هذا، مع أنه ترك شغل السماع والمطالعة حين بلغ من العمر أشُدّه. وهذه جُمَل من نثره[٣]:

قال في مقدمة سقط الزند[٤]: وقد كنتُ في رَيَّان الحداثة وجِنّ النشاط مائلاً في صَفْو القريض... ثم رفضته رفض السَّقْب غَرْسَهُ، والرال تريكته اهـ.

وفي الملائكة: لو أعرضت الأغربة عن النعيب، إعراضي عن الأدب والأديب، لأصبحت لا تُحِس نعيبًا اهـ.

وفيه: وقد حُرّم عليّ الكلام في هذه الأشياء؛ لأني طلّقتها طلاقًا بائنًا لا أملك فيه الرجعة اهـ.

---

(١) سئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: «ما رأي فضيلتكم في هذه العبارة: «العصمة لله وحده»، مع أن العصمة لابد فيها من عاصم؟»، فأجاب: «هذه العبارة قد يقولها من يقولها يريد بذلك أن كلام الله ﷻ وحكمه كله صواب، وليس فيه خطأ، وهي بهذا المعنى صحيحة، لكن لفظها مُستنكر ومُستكره، لأنه كما قال السائل: قد يوحي بأن هناك عاصماً عصم الله ﷻ، والله ﷻ هو الخالق، وما سواه مخلوق، فالأولى أن لا يُعبر الإنسان بمثل هذا التعبير، بل يقول: الصواب في كلام الله، وكلام رسوله ﷺ». «مجموع فتاوى الشيخ» (٣/ ١٤١ - ١٤٢). (س).

(٢) معاهد التنصيص ١: ٤٩ . وليُعلم أن ترجمته له هي صدى لصوت الصفدي في الوافي.

(٣) ومن نظمه في المعنى قوله في لزوم ما لا يلزم:

وكيف أروم في أدب وفهم ... دراسًا والمآل هو اندراسي

(٤) ١: ٦ .

وفيه: ولو كنت في عمر الحِسْل لكنت قد أُنسيت أو نسيت، لأن حديثي لا يُجْهَل في لزوم عَطَني الضيِّق... وإنما ينال الرتَب من الآداب من يباشرها بنفسه، ويُفني الزمن بدرسه اهـ.

ومرَّ لنا نقل قوله من الإغريضيّة. وفي رسالته إلى الفلاحي[١]: «وإن العامة عهِدتني في صدر العمل أستصحب شيئًا من أساطير الأولين فقالت عالم، والناطق بذلك هو الظالم».

ومن رسالته إلى أبي المعلَّى[٢] «من غدا بفرع منال، فقد بَعُدَ عهدي بالنضال. ألم يبلغك... أني دفعت الأدب إلى جانب كليب، وعقدتُه بأذن الضبَيب».

وفي رسالته[٣] إلى النُكتيّ، وكان دعاه أبا العُلَى (مقصورًا)، ومحمدًا بدل أحمد، فنعى عليه سوء حفظه، ثم قال: فأما أنا فحفظت اسمه وكنيته ونسبه ولم أنس أيامه ولا مذاكرته... فعهدي به تعجبه هذه الأرجوزة» اهـ.

وهذا كله دليل على أن هذه المعارف اللغوية والنحويّة والتاريخيّة والدينية وغيرها مما نجده مبعثرًا في كتبه ورقاعه، ومما يدْهِش اللبيب، ويُكلُّ من حدّ بنانه ويراعه. ومن فنون يضيق عنها نطاقُ الدهر، وغاية يحضر دونها نجائب العمر. وغرائبِ الأخبار، طرائفِ الآثار - كلها من مكاسبِ صباه وشَرْخه، وثمرٌ غضٌّ لريعان عمره قبل حنكته ورَسْخِهِ.

وظاهرٌ أن عقد الثلاثين لا يفي بجمع مثل هذا العلم الجمّ، ما لم يكن ثَمّ واعيةٌ لا يشِذ عنها شيء حلَّ بها أو أمّ، وبحرُ حفظ لُعابه زَخْرٌ وطَمّ. وكيف لنا

(١) ص: ٦٠ .
(٢) : ٦٤٣ .
(٣) ٧٧ .

بالتكذيب والتبريزي أحد الثقات الأثبات فيما ينقله. وهذا ابن القارح يشهد له بذلك ويفضّله فيه على أعيان أشياخه قال[(١)]: «والعجب العجيب والنادر الغريب حفظه... لأسماء الرجال والمنثور، كحفظ غيره من الأذكياء المبرّزين المنظوم. وهذا سهل بالقَول صعب بالفعل» (ثم رجحه فيه على ابن خالويه وأبي الطيّب اللغوي وأبي عمر الزاهد الأُسوةِ في الحفظ).

لولا بدائع صنع اللّه ما نبتت   تلك الفضائل في لحم ولا عَصَب

وقال الذهبيّ مع عداوته له: «ويقال عنه إنه كان يحفظ ما يمر بسمعه. وكان عجبًا من الذكاء المفرط والاطّلاع الباهر على اللغة وشواهدها»[(٢)].

وأوثق من كل ما مر: ما رواه ابن العديم في (العدل والتحري) أن بعضهم سأل أبا العلاء عن حفظه، فأجابه بقوله: «ما سمعتُ شيئًا إلا وحفظته، وما حفظت شيئًا فنسيتُه».

ولكن هذا الحفظ الباهر بطلعته اختلّ في كهولته على ما يقول في لزوم ما لا يلزم:

رَضيتُ مُلاوة فوعيتُ علمًا   وأحفظني الزمان فقلّ حفظي

عبد العزيز الراجكوتي

---

(١) رسالته: ٢١ .

(٢) ونجد في الأمة الأمية كثيرًا من مفلقي الحفظ، فإن حرارة البلاد ترقق المزاج، وتلطف الأخلاط والأمشاج. والبلاد قد أنجبت وأعرقت. وكنت قد قرأت في بعض الجرائد أن بمدارس صبية من مشركة الهند حفظت عنها كتب سنسكربتية، وهي لم تعدُ الثامنة من العمر بعد، فأشار الأطباء على أهلها أن يخلوها وشأنها في حجرة فارغة من الشواغل. إبقاء على دماغها. ورفقًا بواعيتها.

الأنظمة والأخلاق

تشتمل العوامل السياسية على القوانين والنُّظُم، ويعزو النظريون من جميع الأحزاب -ولا سيما الاشتراكيون- أهمية كبيرة إلى هذين العاملين؛ لاعتقادهم أن سعادة الأمة بأنظمتها، وأن مقاديرها تتغير بتغييرها، وهم بذلك على غير رأي بعض المفكرين الذين يعتقدون أن تأثير الأنظمة ضئيل جدًا، وأن مقادير الأمم بأخلاقها، أي بروح أفرادها.

روح الإشتراكية، غوستاف لوبون، ص ١٣

قِدَم الشعر العربي

جاء في المقتطف (١٤ : ٢٨٣) بيانًا لِقدم الشعر العربي: «وقد شاهدنا صورة قصيدة وُجدت منقوشة بالقلم العادي على إحدى الخرائب القديمة ببلاد اليمن، ويُظن أنها نقشت قبل التاريخ المسيحي بأكثر من ألف سنة».

محافظون

مَثَلُنا ومَثَلُ دُعاة التجرُّد - ولا أقول التجدُّد - كمَثَل إخوة ثلاثة، نشأُوا من القرية في أرومة عزّها، وبيت سيادتها. وقد ترك لهم أبوهم قصرًا شامخ الذُّرى، فسيحَ الأرجاء، متينَ الدَّعائم: ادخر فيه الأجداد الأمجاد كلَّ ما حصَّلوه في

أدوار الغِنى والفقر من سَمِين وغَثّ، وما جمَّعوه في الأيام البيض والسود من أنيق ورث. ولكن غفلةَ أصحاب هذا القصر القديم عن تعَهّده دائمًا بالخدمة والإصلاح، وجهلَهم بقيمة ما فيه من دقيق الفنون الأثرية القائمة منه في بروج القوة ودعائم الخلود، انتهى بالقوم إلى أن صارت محاسن قصرهم محجوبةً بطبقات الغُبار، وفنونُ بدائعه مَستورة ببيوت العَناكب. . .

وكان قد قام إلى جانب هذا القصر العظيم القديم -في تلك الغفلة من أهله- منازلُ حديثة الطراز، ذات مَرافقَ للخير وأخرى للشرّ، جمعت جميعَ مظاهر الزخرف ووسائل الاغراء؛ لكنَّ شوامِخَها الغرّارة ارتفعت على دعامتين من حرمان لا حدَّ له، تستعبده شهواتٌ لا حدَّ لها؛ لذلك كانت حياة ساكني تلك المنازل الفتّانة بعيدةً كل البعد على طمأنينة السعادة.

فلما صار القصر القديم إلى هؤلاء الإخوة الثلاثة اختلف رأيهم فيه باختلاف البِيئات التي اتصلوا بها، والجماعات التي عاشروها، والميول التي نشأوا عليهما، والمعارف التي تغذّت مداركُهم بألبانها.

كان أحدُ الأخوة قد أَلِفَ الانزواء في قصر آبائه لا يبرحه قطُّ، ولا يقع نظرُه على ما حدث في جواره؛ فهو -لذلك- يأبى أن يجاريَ جيرانه في شيء مما عندهم من مستحدثات نافعة، كإبائِهِ ما انغمسوا في حمأته منَ المستحدثات الضارّة، بل إنَّ نُشوءه في دَور الفقر والانحطاط من أدوار ذلك القصر، جعله يستأنس بآثار ذلك الدور، ويستوحش من جميع الأساليب والوسائل التي بلغ بها أجدادُه قمةَ مجدهم، وأوجَ سيادتهم. فهو لا يرى من الصواب أن تمتدَّ يدٌ إلى هذا القصر بالإصلاح: سواء كان هذا الإصلاح من طريق الرجوع إلى وسائل الأجداد أيام عظمتهم واعتلائهم، أو باقتباس ما عند الجيران من أساليب القوة ودواعي التفوُّق.

والأخ الثاني زَهِدَ بقصر آبائه -لسبب من الأسباب-، فالتحق بمنازل الجيران، وانغمس إلى أُذنيه بما فيها من وسائل الإغراء المتنوعة. وما زال سمعُه يأنس بما يسمعه من ذمّ قصر آبائه، ووصف المنازل التي قامت إلى جنبه بجميع المحامد، حتى أخذ المِعْوَل بيده، وشرع يضرب أسوار القصر بفأسه مرة وبرأسه مرة أخرى، ثم يرجع عنها في المساء بلا طائل؛ لأن الفأس والرأس لم يُخلقا لقويض دعائم الخلود. . .

بين هذين الأخوين أخٌ ثالثٌ من دأبه التنقّلُ بين محاسن قصر أجداده، واستعراضُ ما يتجسَّم فيه أمام ناظِرَيه من ذكريات العزّ، ومَناقب المجد. فإذا استعصى عليه تعليل أسباب الانحطاط في القصر القديم، قام يطوف بين منازل الجيران باحثًا عن أسباب الاعتلاء في البناء الجديد. وما زال هذا دأبه: لا يحجب الغبارُ ونسيج العناكب محاسنَ بيت آبائه عن عينيه، ولا تحُولُ عداوةُ جيرانه له دون أن يرى بواعثَ نشأتهم، وأسبابَ قيام دولتهم؛ إلى أن تكونت عنده عقيدة راسخة كرسوخ أبراج ذلك القصر، بأنّ من الواجب أنْ تُصان دعائمه من عبث العابثين بها، وأن يَكُفَّ مِعْوَلَ أخيه عن محاولة التهديم الذي لا نتيجةَ له غير إضاعة ذلك المجهود كالهَباء ثم أن يحمل أخاه الآخر بكل وسائل الإقناع الحكيمة على السعي لتجديد شباب ذلك القصر، وإزالة ما يحجب محاسنه ويشوّه جمال بدائعه، وأن يعملوا جميعًا -كأن أيديهم كلها يدٌ واحدة- على مجاراة أولئك الجيران في أحدث أساليب العظمة والقوة والتقدُّم، مع الاحتفاظ بتقاليد القصر النافعة، وشعائره التي تبقى له معها شخصيته الممتازة في مِضمار الحياة.

ذلك مَثَلُنا ومَثَلُ دُعاة التجرُّد: أنهم يريدون إزالةَ ذلك البناء الشامخ من

أساسه إذا استطاعوا... وإقناعَ الصديق والعدوّ بأن مَحاسنَه سيئات ومَحامدَه دنيئات... وأنَّ جميعَ ما فيه من ذكريات العظمة والفضائل لم يكن شيء منه...

وهذا ما نسميه نحن «تجرُّدًا»، ونفتخر بمقاومة الجانحين له، وبيان ما يسيئون به إلى الحق بذاته، وإلى العلم النزيه، وإلى الأجداد في قبورهم، وإلى الجامعة القومية بكل مفاخرها.

وإذا دعوناهم إلى التعاون على نشر جميع ضروب المعارف النافعة، بشرط أن لا يسيئوا إلى الأمة في عقائدها وشعائرها بما لا طائل تحته، ولا دخلَ له في تقدُّم الأمة نحو الغاية المنشودة من القوة والثروة والتفوُّق في الصناعة وفنون العمران؛ قالوا: إنكم محافظون...!

وإذا دعوناهم إلى التعاضد في تسهيل أساليب تعليم هذه اللغة وتوسيع دائرة بيانها، وإحسان التأليف في مادّتها وفنونها وآدابها، بشرط أن لا نخرج على قواعدها الثابتة وأساليبها الجَزْلة البديعة التي قام عليها تأليف ملايين الكتب، واتبعتْ في ثمرات قرائح عشرات الألوف من الشعراء، واحترمها الناطقون بالضاد في جميع أنحاء الوطن العربي الأكبر، وتكون اللغة بالشذوذ عنها لغة أخرى؛ قالوا: إنكم محافظون...!

وإذا دعوناهم إلى أن نكون جميعًا متخلقين بخلق الأمانة والإنصاف والوفاء فيما نستنبطه من مادة التاريخ العربي والإسلامي التي تركها لنا السَّلف، فلا نَعمى عما هنالك من فضائل تبهر الأنظار بأشعَّتها، ولا نطير فرحًا بالهنة الصغيرة التي زلت بها قدمُ فرد من أفراد هذه الأمة فنصِم الأمة كلها بها؛ قالوا لنا: إنكم محافظون...!

وإذا قلنا لهم: جنّبونا طريق الذلّ والخنوع الذي تريدون من الأمة أن تسلكه: فتذوبَ في هؤلاء الإفرنج، وتفنى شخصيتها في شخصيتهم، ووجودَها في وجودهم، فتزداد بذلك ضعفًا على ضعفها، وذلاً على ذلها؛ قالوا لنا: إنكم محافظون...!

نعم، إننا محافظون. ولكن على كياننا، وعلى حياتنا المعنوية، وعلى شخصيتنا القومية، وعلى لغتنا التي أُعجب جميع المستشرقين بعجائب أسرارها وبدائع جمالها، وعلى ديننا الذي كنا أقوياء وأعزَّة يوم كنا متمسكين به وصرنا ضعفاء وأذلةَ يوم ضللنا عن هدايته، ومنذ تمسكنا بالخرافات التي سَطع نوره لتبديد ظُلماتها الحالكة.

أما التجدُّد...

التجدُّد الذي نبقى معه مسلمين حقًا...

التجدُّد الذي ينمي في نفوسنا فضيلة الوفاء لأجدادنا...

التجدُّد الذي يزيدنا قوَّةً وثروة ومَنَعة، ويرفع عنا ذلَّةَ الخنوع لنير الأجانب ونزعاتهم ونزغاتهم...

فذلك التجدُّد نحن دعاته، والمرحبون به، والحاضُّون عليه. فإذا علمنا بإقدام رجل من بني قومنا على فتح مصنع ميكانيكي يغنينا عن شيء من صناعات الأجانب، وإذا علمنا بأن شركة من بني قومنا عوَّلت على إنشاء باخرة تغني نفرًا من قومنا عن السفر تحت راية الأجانب، وإذا علمنا بأن حكومة من حكومات وطننا الأكبر أخذت في تنظيم جنديتها وإحداث تحسين في أسلحتها، وتوسيع دائرة معارف بلادها؛ كان ذلك كله روحًا لنا وريحانًا، واستقبلناه بالبشر والترحيب والتشجيع. أما انصراف مَدارك إخواننا الآخرين ومَواهبهم إلى تشويه

محاسننا الإسلامية والقومية؛ حتى تبلغ بهم آدابهم، وفهمهم المعكوس لروح التاريخ الإسلامي، إلى زعم أن النبي ﷺ كان يجاهد لأجل الدنيا، وأن أبا بكر ﷺ كان يقاتل لأجل الملك؛ ومحاولتهم صبغ تاريخنا -بوجه خاص- بلون أسودَ قاتم خلافًا للحق وافتئاتًا على الواقع؛ فذلك شيء ليس من التجدد في شيء، وما بهذا تسير الأمم في طريق القوة والحياة.

إذا كان الفوز كل الفوز عندهم في أن يُزلزلوا عقيدة الشابّ من شبابنا بدينه وقوميته، ويُبعدوه عنهما إلى جهة هؤلاء الإفرنج ولو بالظواهر التي لا يتوقف عليها نهوض ولا تقدم؛ ثم يريدون منا أن نعدَّ ذلك إصلاحًا وتجديدًا فذلك مما لا يسلّم به رجل في قلبه ذرَّة من إيمان، ولا يستطيع السكوتَ عليه فتى تجول في عروقه قطرة من دم القومية الطاهر.

أيها الإخوان، إن كنتم تريدون التجدُّد حقًّا، وإن كنتم تعرفون قيمة الوقت وتضنون به أن يذهب في السفاسف، وإن كنتم ترون السرعة التي يندفع بها أعداؤنا في طريق القوة؛ فدعونا من القشور التي توسع الهوَّة بينكم وبين جمهور الأمة، وألقموا من لا يدرك هذه الحقائق من إخوانكم حجرًا يمنعهم من الهذيان بما يؤذي الناسَ في عواطفهم ومقدَّساتهم. ضحُّوهم ولا تتردَّدوا، أو أسكتوهم إن كان ذلك في استطاعتكم، وتعالوا نعمل معًا في سبيل التجديد، فإن الطريق واسع، وكل من سار على الدرب وصل...

محبّ الدّين الخطيب

وحدة اللغة في الوطن السامي «في العصور القديمة»

استنتج الأستاذ سايس من قراءة الكتابات الآثورية التي وجدت سنة ١٨٨٩م في تل العمارنة بين المنيا وأسيوط أن اللغة الآثورية كانت لغة العلماء والسياسيين في مصر والشام والعراق قبل خروج بني إسرائيل من مصر.

حِكمة

قال عبد العزيز بن زُرارة الكلابيّ:

لقد عجبتُ منه الليالي لأنه صبورٌ على عَضْلاءِ تلك البَلابِلِ

إذا نال لم يفرَحْ، وليس لنكبة ألمَّتْ به بالجاشع المتضائلِ

المرأة العربية

نحن ننزع إلى الكمال لأن لنا نسبًا عريقًا، وطريقًا عميقًا. إذا انثنى عِطف الزمان فنحن مطلع فجره ومبعث فخره. أو التبست عقد العظائم فنحن حماة شرعتها، وكماة حومتها. بنا استحصفت مِرَّة المجد واستشرفت ذروته. ولنا عَقد لواؤه، وتأثل بناؤه. فإذا ابتغينا الحياة سنية، وابتعثنا الأمل جنيًا؛ فلسنا بُغاة نَصَفة، ولا عُفاةَ معدلة، وإنما هو ميراث سُلبناه في غفوة الليل، وغلس الظلام. فنحن ننزع عنه شرَك العوائق ونرد دونه كيد الخطوب.

تلك صفحة من صفحات تاريخنا الذي نعتز به، ونطرب له، ونستنشي الرجاء منه، ولعلها أحفل الصفحات بالعظات، وأجمعها للعظائم، وآهلها بنبل الخلق، وسناء الحياة.

تلك هي حياة المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، حياة العظمة الوادعة الرائعة، والنفس الأبية النقية.

تلك هي حياة المرأة التي يحدّث عنها المؤرخ المنقر الإنجليزي العظيم (كلاي Clay) -مما استشفه من أطلال بابل- أنها كانت منذ أربعة وأربعين قرنًا تجاذب الرجل سياسة الأمة، وولاية الأمر، وجدَّ العمل، وشئون الحياة.

تلك هي المرأة التي وثب بها الإسلام ووثبت به. وكان أثرها في تكوين رجاله وتصريف حوادثه أشبه ما يكون بأثر الغدير الهادئ الفياض، في زهر الرياض.

يريد نساؤنا أن ينهضن، فهن يبتغين الوسائل ويتلمسن الخطى. وما لهن لا ينهضن؟ ومن ذا يذودهن عما شرع اللَّه لهن؟ وهل هن إلا منابت حماتنا، وأساة جراحنا، وبناة دولتنا، ومنار دعوتنا، ومثار قوتنا؟ وهل نحن وإياهن إلا كجناحي النَّسر الصاعد: إذا هيض أحدهما خفض الآخر، فيصبح لا يجد في الأرض مقعدًا، ولا في السماء مصعدًا؟

لينهض النساء ما شئن أن ينهضن، ففي نهوضهن نهوضنا وبلوغ غايتنا. ولكن ليحذر الآخذون بيد المرأة والداعون إلى نهوضها التواء القصد، والتباس الطريق، فينالها الزلل، وتلجّ بها العثرات، حتى يقول قوم: لقد كان ما كانت فيه خيرًا وأبقى.

ألا وإن من التواء القصد، وضلال الطريق؛ أن ندَع نساءنا يتخذن من المرأة الأوروبية مثالاً يحتذينه، ويمعنّ في التشبه به.

نحن قوم تحتكم بنا أمزجتنا، وأسلوب حياتنا، وأجواء بلادنا، وتكوين طبائعنا، ونظم شرائعنا. فمن الظلم أن نقول لنسائنا: خضن ثبج البحر،

واقتحمن شعاف الجبل، وكن نساء أوربيات، ترين مايرين، وتدعن ما يدعن. ذلك تكليف لا قدرة عليه ولا خير فيه.

نعوذ بالله أن نُنكر على المرأة الأوربية وفر فضلها، وسماحة عقلها. فذلك ما لا نجد السبيل إلى جحده والإنكار له. ولكننا نُنكر عليها أعراضًا قد لا تبتئس بها، ولا يأبه لها من حولها، على أنها مما يحز المفاصل، ويستثير الغوائل، وهي إذا نُقلت إلينا كانت أشد وأفتك، ونخشى إذا حملنا نساءنا على الأسوة بنسائهم أن تكون تلك الأعراض هي الأولى والآخرة.

لا أكذب المرأة الأوربية فليست بالمثل الأعلى للمرأة العظيمة. فإن قيل: هي كاتبة حاسبة، وصانعة بارعة، قلنا: لم تزد أن دعمت حياة المادة وزادتها نوطًا جديدًا، ولو كان لها أثر نافذ في الحياة لنسخت عبادة القوة ودال سلطان الأثرة، ولأبصرت القوم يبادرون إلى عون الضعيف وغوث اللهيف، ولما استمعت أنة المظلوم تكاد تنفطر لها السموات، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هدًا.

أجلْ بصرك بين أعطاف هذا العالم وأطرافه، ثم انظر هل ترى إلا رجلاً مغشيًا بالغِل أو محنيًا على الضغينة؟ وهل تجد إلا امرأة مطوية على كبد حرَّى أو مهجة حسرى؟ وهل تُبصر إلا واترًا وموتورًا، وقاهرًا ومقهورًا؟ وهل تحس بين الألفاء والقرناء بإخاء صاف وود غير مدخول؟ وهل تعلم في القوم إلا الخلق المضطرب والخلة المموهة، ويدًا تمسح شعث الكلب وتدمي قلوب الشعوب، وفيما ينهل من الدم ويشكو الأوام! فأين يد المرأة وأين أثرها؟ وهل لغير تهذيب النفوس وتطهير القلوب خُلقت المرأة؟

لكل ذلك أناشد نساءنا أن يسدلن الحجب بينهن وبين نساء أوربا، ففي أمهاتنا الأولَيات فضل وغَناء. أولئك اللواتي نستن عن طيب أعراقهن وكرم

أخلاقهن، وتلك دماؤهن تترقرق بين جوانحنا وأعطاف قلوبنا، فأما ما نحن فيه من مظاهر النوء بالواجب والنكول عن الجد، فإنما هو صدأ عارض وغشاء مستحدث، ألقاه علينا تطاول الزمن وتتابع الحادثات، وما أصابنا في سبيل ذلك من فداحة الظلم وذل الآسار.

ففي سبيل الكمال المطلق، والحياة الخالدة، أسوق حديث المرأة العربية، لا إلى النساء فحسب، بل إليهن وإلى الرجال معهن، فإن صلاح كلٍ من الفريقين لا يقوم إلا على صلاح صاحبه، والتجاوز له عن حقه الذي شرع له. وسيعلم الناس مبلغ تلك المرأة في عهد جاهليتها من قوة النفس وحرمة الرأي وعزة الجانب ونبل الخليقة، وكيف انتهى بها الإسلام إلى أبعد مدى من الحياة، ونهج لها أوضح سنة من الفضائل، وألبسها أحسن لبوس من جلال الكمال، وجمال الخلال.

عبد الله عفيفي/ مرب سمو الأمير فاروق

المد يحمل البريد

ليس لجزيرة «سنت كيلدا» بشمال أسكوتلندا بإنكلترا مواصلات للبريد، إنما الذي يحمل بريدها هو مَد الأقيانوس. إذ ليس في هذه البقعة المنعزلة مكتب للبريد، ولا يُستطاع شراء طوابع للبريد بها. ولذلك تُوضع الخطابات المرسلة إلى العالم الخارجي في أوعية من الصفيح، ومعها النقود المقابلة لما يلزم لها من طوابع البريد، ثم تلقى هذه الأوعية في الأقيانوس، مرتبطة بعوامات من جلد الماشية، مقترنة بقطع من الخشب طافية، مكتوب عليها «بريد سنت كيلدا. الرجاء فتحه».

وتحمل تيارات الأقيانوس معظم الرسائل إلى جزائر شيتلاند، حيث تجري عليها الإجراءات البريدية، وتحملها بواخر البريد إلى بر إنكلترا الأصلي.

فتى العرب
شِكاةٌ مرسلة إلى العالم العربي

قضَيتُ شبيبتي وبذلت جهدي ... فلم تكنِ الحياةُ كما أريد
إلى كم أستحثُّ النفسَ عَزْمًا ... وكم أسعى، وغيري يستفيد؟
نهضتُ، فقيل أيُّ فتى! فلمّا ... خبرتُ الأمرَ أعجبني القعود
وإني -بعد مجهدةٍ- وقومي ... كضاربةٍ وقد بردَ الحديد
وحيدٌ بينهم، ولعلّ يومًا ... عصيبًا فيه يفتقَدُ الوحيد

لنا في الشرق أوطان، ولكن ... تضيقُ بنا كما ضاقت لحود
تنازعَ أهلُها فلكلّ حزبٍ ... حِمى، ولكل مملكة عميد
نقيم بها على ذلّ وفقرٍ ... ونظماً لا يَسوغُ لنا الورود
أكاذيبُ السياسة بيّناتٌ ... تَكيد بها الحكومةُ ما تكيد
وُعودٌ كلّها كذبٌ وزُورٌ ... فكم وإلامَ تخدعنا الوعود؟
إذا ما الملكُ شِيدَ على خداع ... فلا يبقى الخداع ولا المشيد
ومن لم يتخذْ مُلكًا صحيحًا ... فلا تغني الممالكُ والحدود
وقالوا دولة نشأت حديثًا ... تؤيدها السياسة والعهود
كذبتم ما لنا في الأمر شيءٌ ... فقولوا إننا شعبٌ عبيد

وقالوا أُمة نهضت تُداعي بحقٍّ كاد طالبه يبيد
تفرَّق أهلها، ومضى بنوها، وفي أرواحهم عزمٌ عتيد

❁ ❁ ❁

ألا ما للمشارقِ في اضطراب وما بالُ النوائب تستقيد
أعادتْ كرّةَ التاريخ طورًا فدان من الألى سادوا المسود
ودالتْ دولة جرَّتْ وبالاً عليه وعاقها الجهد الجهيد
تمخّضت الحروبُ فكان يومٌ عليه حوادثُ الآتي شُهود
وما بالُ الجزيرة لا نظام يتمُّ بها ولا رأي سديد
تضجُّ بها الحواضر والبوادي وتختلُّ الحزونة والنجود

❁ ❁ ❁

أرى الأمل الذي نحيا عليه أضاء من الصباح له عمود
خذوا بنفوسكم طُرُق المعالي فدهرُكُم عِصاميٌّ عنيد
وجُرح الشرق يُضمده بنوه وهل يتلاءم الجرحُ الفصيد
نيام أغرقوا في النوم حتّى أشيع بأنهم شعبٌ بليد!

❁ ❁ ❁

أرى الحرّيةَ اختضبتْ دماءً وقد خفقت لطالبها بنود
وأقسمُ أنّ عاشقَها زعيمٌ بخطبتها ولو قطع الوريد
رخيصٌ كلّ ما بذلوه فيها ولا تغلو النفوسُ ولا النقود
إذا جعلتْ لها الأرواحُ مهرًا فإنّ لمجدها كتِبَ الخلود
يسوم المجدُ طالبه بغالٍ ولا يطغى به الثمنُ الزهيد
إذا سهُلَ النزولُ إلى حضيضٍ يشق إذًا إلى القمم الصعود

بغداد/ محمد الهاشمي

ما بين النظم والشعر

❑ خطرات ❑

ما عرَّف الخليل الشعر إذ قال: إنه الكلام الموزون المقفى. ولكنه نظر إليه من جهة بنيته وقوافيه، فعرف القالب الذي يُفرغ فيه، وذلك هو النظم.

نعم إنه عرّف النظم وحده، وبقي الشعر على حدة، ولو كان الشعر كما قال، لكانت الشاعرية بين القافية والوزن لا في الديباجة والمعنى، ولكان كل من وضع قافية وأقام وزنًا شاعرًا، ولضاق بعدئذ رحب الفضاء بعداد النجوم المتَّسمين بسمة الشعراء!

ولعل تعريف الخليل هو الذي حدا جماعة النظامين على النظم، فما يكاد أحدهم يقف بهذا الباب، ويلم بالخفيف والثقيل من الأسباب، حتى يغامر في النظم يحسبه شعرًا، ثم يمعن فيه ما يمعن، وكلما حاول أن يقترب منه ابتعد.

ولقد تقرأ له مائة بيت في غرض واحد فلا تشم في تلك السطور عبقًا من المعاني الشعرية، ولا تلمح فيها شيئًا من جلال الشعر.

يطلع عليك أبدع أولئك بيانًا بأسطار في شكاية الهوى، فإذا نفضها على مسمعك مر به منها ألفاظ متنافرة شُد إلى أوتاد من الوزن وثاقها، ورأيت ديباجة كأنها الطلل البالي، وبصرت بالخيال يظل يساير صاحبه، فآونة تحت قدميه وأخرى إلى أحد جانبيه، لا يعني هذا النظّامَ إذا استقام له الوزن وظفر بالقافية أن يرتفع بأسطاره عن مرتبة اللغو، ولا به أن يبدهك بمعنى بديع، أو يروعك ببيت ترتع ألفاظه في نفسك، أو تشيع معانيه فيها.

ولو كان شاعرًا كما زعم لك؛ لأطلعك من قلبه على موضع ناره، وأسمعك منه رنين أوتاره.

ويجيئك آخر بكلام موزون مقفّى في الحماسة، فإذا جلس إليك طفق يرميك منه بما يغري بك الكرَى، ثم نقلك على جناح من خياله إلى أحد القطبين، فافترقتما وكلاكما في مكانه قائم!

ولو كان شاعرًا كما يقول، لهزَّ من قلبك وترًا جامدًا، وابتعث من عزمك ما كان خامدًا، واقتادك بحادٍ من شاعريته إلى السبيل التي يريد.

ويلقاك ثالث الجماعة بثالثة الأثافيّ في وصف الحرب وهولها، فإذا أعرْته أذنك، سمعت براعة مطلعه عتاب حبيب أو شكوى رقيب، فإذا جاوز المطلع وانحدر إلى ما يليه، لم يزد على أن يريك صديقين يتعانقان، لا جيشين يقتتلان!

ولو كان شاعرًا، لدرج بنفسك بين مسلّ السيوف، ومسيل الحتوف، وخاض بها من شعره بحرًا من الدم، ثم مشى بها على جسر من الأشلاء.

لقد حد النظّامون حتى هزُل الشعر، ولو أن بعض الذين سمعنا نظمهم وُفقوا إلى الصمت حينًا، وقُيّض لبعض الذين صمتوا اليوم ما يبعثهم على القول، لصغينا من شعرهم إلى مثل تغريد البلابل في الخمائل النضرات.

إن بين النظم والشعر أن ذاك وزن وتفعيل، وسبب خفيف وآخر ثقيل، وهذا تصوير لما تهش له السريرة من حكمة، ويخطر على القلب من أمنية، ويسكن إليه العقل من حقيقة، ويتعلق به الخاطر من خيال، ويأخذ بعنان النفس من كمال.

ومن أراد أن يتميز ما يمر بسمعه من القول ليعرف أشعرٌ هو أم نظم، فإن شعُر أن في كل بيت من معانيه محيًا جميلاً يُشرق من نافذته، وحُسنًا يترقرق على قافيته، فلم يتمالك أن يهش له ويطرب، وينقاد إلى الشاعر بزمام، فذلك هو الشعر.

وإن مر به القول، فلم يُحدث في نفسه من الأثر إلا مثل ما يُحدثه مر الطائر في الهواء، ولم يجد فيه من روعة الشاعرية ما يشغَف به القلب حنانًا، أو يصيب من النفس مكانًا، فذلك هو النظم.

غفرانك اللهم، أينطق الأعرابي وهو على غرارته الأولى بالبيت من الشعر، فيؤنس به غزالاً نافرًا، ويعطف به حبيبًا هاجرًا، ويريك من السحر المبين عيونًا، ويطبع من نظراتها سيفًا مسنونًا، ويستتيب به نفس المذنب، فتضل المآثم ساحة تقاها، ويثوب بها إلى هُداها، ويسلي به الغريب في غربته، ويخرج المليك من وقار الملك وهيبته، ويناجي به عافي الربوع فتجيبه آثارها، وتكلمه ملاعبها وأحجارها، ويخلق به من الغصن قدًا، ويصور به من الورد خدًا، وكأن في لسانه قوة من السماء، تريك الأشياء كما يشاء، ويحاول العصري الناشيء في حجر الحضارة، المتقلب في صنوف النعيم أن يقول فيكبو به جواده في أول الميدان، فإذا أمن العثار قصّر، فلم يبلغ مبلغ ذلك الأعرابي في فنون الشعر، ولم يشق له غبارًا؟!

ألا ليعلم أولئك الذين زعموا الشعر قافية ووزنًا، وليس لهم منه إلا الضرب والتقطيع، أنهم في واد والشعر في واد آخر، فإذا كان بهم أن يحسنوا إلى أنفسهم وإلى الناس فلينزلوا حيث أنزلتهم الفطرة، ولا يعالجوا إلا ما وجدوا من أنفسهم عليه القدرة، وليعفّوا آذاننا من استماع ما يسمونه شعرًا وما هو من الشعر في شيء، ثم ليُخلوا السبيل لأولئك الذين إذا شعروا دعوا الشعر فأجابهم عن كثب، وأعادوا إلى دولة الأدب جلالها الذي كان لها على عهد العرب.

محمد صادق عنبر

كلمات حكيمة

* قال علي بن أبي طالب لكُمَيل: يا كُمَيل، العلم خير من المال. العلم يحرسك وأنت تحرس المال. والعلم حاكم والمال محكوم عليه. والمال تُنقصه النفقة. والعلم يزكو بالإنفاق.

* لما حضرتْ عبدَ الملك الوفاة قال -وهو يعني الدنيا-: إن طويلكِ لقصير، وإن كثيرك لقليل؛ وإن كنا منك لفي غرور.

* أوصى رجل بَنيه فقال: يا بَنيَّ إياكم ومخالطة السفهاء، فإن مجالستهم داء وإنه مَنْ يحلم على السفيه يُسَرّ بحلمه، ومن يُجبه يندمْ. ومن لا يَقَرُّ بقليل ما يأتي به السفيه يَقَرُّ بالكثير، وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فلْيُوَطنْ نفسه قبل ذلك على الأذى؛ وليوقن بالثواب من اللَّه ﷻ، إنه من يوقن بالثواب من اللَّه ﷻ لا يجد مَس الأذى.

نوح العندليب

نقلاً عن «Arabisebe Dichter der Gegenwart»

تأليف الأستاذ Georg Kampffmeyer

دعِ العَنْدَليبَ على غصنهِ ... يردّدْ على الغصن أحزانَه
فلم أر في لحنه كلفةً ... تهجّنُ -إن ناح- ألحانه
لئن دَوّن الناسُ أشعارَهم ... لقد جعل الروضَ ديوانه

وإن قيَّد الوزنُ أفكارهم — لقد أطلق الشدوُ أوزانه
كتمت الشجونَ عن العندليب — فراح يَبثُك أشجانه
وأخفيتَ عنه دموع الجفون — وقد بلَّل الدمعُ أجفانه
فهل شطّ عن وكره جارُه — فأصبح يندب جيرانه
أم البازُ أودَى بخلّانه — فودَّع بالنوح خلّانه
أم الريحُ هبَّتْ بأفنانه — فزلزلتِ الريحُ أفنانه
فيالكَ من مُمعنٍ في الحنين — ألم يشهد الناس إمعانه
أتبكي العنادِلُ أوطانَها — ولا يندب المرءُ أوطانه

دمشق/ شفيق جبري

الكلديون والمقاييس

روى المقتطف (١٤ : ٢٧٩) أن الكلديين - سكان العراق القدماء[١] - سبقوا الناس أجمع إلى استعمال الحساب العَشْري في المقاييس والموازين، كما استعملوا الحساب الإثني عشري في قسمة السنين والأيام، والستيني في قسمة الدائرة والساعة الدقيقة. واشتقوا المكيال من مكعب الذراع، كما اشتق الفرنسيون الكيلو غرام من مكعب الدسي. ومن الغريب أن المتر الفرنسوي أقصر من مضاعف الذراع الكلدية السلطانية بنحو عقدتين فقط، والكيلو غرام أثقل من المنا الكلدي السلطاني بنحو قمحة أو قمحتين لا غير.

(١) انظر بيان أصل الكلديين في الزهراء ص ٣٢٣ من السنة الثانية، ورسالة (اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب) ص ٧ .

ويجب أن تبقيا كذلك

قال الشاعر الهندي رابندرانات تاغور للصحفي الإيطالي أولد سوراني:

أعتقد دائمًا أن المدنيتين -الشرقية والغربية- تستطيعان أن تبقيا متميزتين الواحدة عن الأخرى، ويجب أن تبقيا كذلك. وبالوقت نفسه يجب أن تُكمل كلٌّ واحدة منهما ما في الأخرى من نقص، وأن تتلاءم معها..

إذا كانت مصيبة الحرب كافيةً لتُعْرِب للغرب عن عواقب القلق الداخلي والخارجي الذي لا يدوم إلى الأبد، فسيأتي يوم تدركون فيه أن هذا الميل للمنافع الخارجية، وتكديسها، لا فائدة منه -فضلاً عن كونه خَطرًا- وحينئذ تشعرون بحاجتكم إلى السلام الحقيقي، وإلى تنظيم ما في بلادكم وبيوتكم ونفوسكم من اضطراب....

حينئذ تشعرون أن كثيرًا مما كنتم تحسبونه صالحًا هو في الحقيقة غير صالح، بل هو قذارةُ الأجيال المتراكمة؛ فتنهضون لتطهيرها، وتستريحون مما يضايقكم ويعرقل مساعيكم اليوم. ومتى بلغتم تلك الدرجة انتقلتم إلى أفق من آفاق نفوسكم -في داخلها وفي خارجها- هو أرض الميعاد الحقيقية؛ فتبنون عليها، وتزرعون فيها بذور المواسم السعيدة المقبلة، وتبلغون مدنيةً أرفع شأنًا وحياةً أسعد حالاً لأنفسكم ولمن تجاورونه...

إن أمريكا أبعد جدًا من أن تكون مصدر المعونة في العمل الضروري للتطهير والتجديد، لأنها فريسة المساوئ التي تهيج أوربا. وهي منهمكة بملاذّ هذا العالم، ويمكن أن يصدق على غناها قول السيد المسيح عليه السلام: لأنْ يَدخُلَ الجملُ من سمّ الخِياط أهْونُ من أن يَدخل غنيٌّ مَلكوتَ السماء...

«إن أمريكا ليست حرَّة. ونحن في الهند - وإن نكن تحت سيطرة أجنبية - أكثر حرّية من الأمريكيين، لأننا نتمتّع بحرية الرُّوح....».

السياسة

يقول غاندي الزعيم الهندي[1]: «ليست السياسة ذلك اللهو كما يفهمها الناس، وإنما هي توسيع دائرة الفضائل المنزلية حتى تشمل الوطن، وهي -في الوقت نفسه- وسيلة لتجديد الروح في الوطنيين».

بني يعرب!

أجِنْتم ركودًا: فأين الهِمَمْ ... وأين الحِفاظُ وأين الشممْ
وأين الإباه إباه الجدود ... وأين الوفاءُ وأين الشيَمْ
ألستم إذا الخيلُ ضاقتْ بها ... صدورُ الفَيافي لدى المزدَحمْ
ليوثَ شَرى صَهوات الجياد ... مَرابِضُها، والعوالي أجَمْ
نهوضًا إلى العزّ حيث القنا ... تميسُ وبيضُ الظبا تبتسِمْ
نهوضًا إلى العزّ في مقنب ... يَرفُ على حافَتيه العَلَمْ
فلا صبر أو تنجلي، والرؤوس ... كأن على الأرض منها أكَمْ
ولا صبر أو تنجلي، والدماء ... تسيل على الأرض سيل العرِمْ

(١) الهندوسي المتعصب. انظر للتعرف على حقيقته: «جيل العمالقة والقمم الشوامخ في ضوء الإسلام»؛ للأستاذ أنور الجندي رحمه الله (ص ٢٩٧ - ٣٠٤). (س).

وحتى تدين رقابُ العدى لأسيافنا أو تطيرَ القممْ
فهل نختشي عُددًا في العِدَى وشملُ الوفاق بنا ملتئمْ
يفوت العزائمَ خوضُ الغمار إلى العز ما لم تثرها الهممْ
وينبو حسامُك في غمده فإن نزع الغمد عنه حسمْ
قفوا تحت ظلّ القَنا موقفًا جيوشَ المنايا به تزدحمْ
على ضُمَّرٍ تتخطَّى الرؤوس بغير الكواكب لا تعتصمْ
وخوضوا إلى العز لُج الردى فإما الحياةُ وإما العدمْ

المحرم ١٣٤٥/ الحوماني

الحـج

قرأنا في مجلة النهضة النسائية (٤: ٢٣٠) مقالة بتوقيع الآنسة وداد صادق عنبر، تنم على القلم البليغ الذي ينشئ به والدها الفاضل فصوله الممتعة، ورسائله النافعة.

وهذه هي المقالة:

سيدتي الرئيسة الفاضلة، حال بيني وبين مراسة المجلة في الشهر الفارط مرض عاقني كرهًا أن أكتب وأن أقرأ عامة ذلك الشهر، فما ألمّت فيه يدايَ بقلم ولا صافحت عيناي سوادًا في بياض، فكنت في تلك الأثناء أشبه حرّة بسجينة؛ لأن المرض تعطيل للحرية فهو سجن لها، وإن كان مفتاح هذا السجن في يد القدر لا في يد القضاء.

ولقد بصُرت وأنا مغمضة العينين بما لم أكن أبصُر به من قبل، بصُرت من

خلل الظلمة، بنور القلب، إلى أي مدى تبلغ الرحمة بقلب الأبوين؛ فقد كان بودهما أن يمنحاني نور أعينهما لو ملكا أن يمنحا، وملكتُ أن أقبل.

وتبينت أن النظر هو وحده الجارحة التي يحس بها الإنسان في الدنيا بما فيها من رحمة وقسوة وحب وبغض وحسن وقبح.. إلى آخر فهرس المتناقضات!

وكان يُصبرني على هذه المحنة أنها ذاهبة أردت أو لم أرد، فكل شيء حتى المحنة التي تحزّ في النفس حزًا، لو طلب الإنسان دوامها لما دامت له؛ لأن كل شيء إلى مدى وانتهاء. ولو اطردتْ حالة بعينها واتسقت لبعض الناس لبقي بعضهم أشقياء مدى الحياة، وبعضهم سعداء حتى الموت، ومعاذ العدل الإلهي أن يكون ذلك.

وأذكر أني -ساعة صحت عيناي من الرمد وفتحتهما- أحسست كأني قفلت من سفرة بعيدة الشقّة؛ كثيرة المشقة. بل أحسست كأني وجدت نفسي، بعد أن كنت فقدتها قرابة شهر؛ ففرحت واستخفّني الفرح، فعرفت لماذا تطرب أمة ما حين ترتفع عنها الوصاية أو الحجر أو القهر في أي صورة كان، وتُصبح حاكمة نفسها بنفسها؟ إنها تطرب ويستخفها الطرب، فتهتف، لأنها تجد نفسها بعد فقدانها. وإذا كان الاستعباد فقدانًا، فإن الحرية لا تعدو أن تكون وجدانًا.

وقد حمدت اللّه أن اقترن شفائي وعودة السيدة الرئيسة الفاضلة من حجّتها المبرورة، ولشد ما تمنّيت لو كنت معها أسرّح النظر في تلك البقاع التي فجَّ منها نور النبوة كفجَّة الشمس أول شروقها، وكانت مغدىً ومراحًا للوحي، وكانت ميدانًا لصولة الحق في ذات محمد ﷺ، على الباطل في ذوات الأصنام التي كان العرب ينحتونها حجارة وينصبونها حجارة ويعبدونها حجارة، تلك البقاع التي خضبت بالدم الزكي: دم حماة الحقيقة من السلف الصالحين الذين فنوا ليبقوا؛ وإن فناء في الحق لهو - كما قال محمد عبده- عين البقاء.

أجل، لشدّ ما تمنيت لو أجلتُ عيني في تلك البقاع، فإن مرآها يهزّ النفس هزًّا بما يبعث فيها من الذكرى والحنين والاعتبار، بل إن مرآها ضربٌ من ضروب التربية السامية؛ لأنه ينشيء فيما بين جنبي الرائي أنبل فخر وأشرفه، إذ يذكر أن العرب الذين خاطوا -بإبر من الرماح وخيوط من الأعنّة- ثوب هذا المجد الذي يبلى هذا الدهر وهو لا يبلى، ما وفّقوا إلى ذلك إلا بأخلاقهم، تلك الأخلاق التي غزوا بها ما لم تغزُ سيوف الفاتحين منذ أشرع أول رمح في الأرض إلى أن يسقط آخر منطاد من حرم السماء. ويذكر أن على تلك الرمال -التي تتلهب في الهاجرة- قامت للحنيفية السمحة دولة أظلّت في مدى ثمانين عامًا ما لم تظلّ أطول الدول عمرًا في التاريخين القديم والجديد في ثمانية قرون، فيوقن أنه لا صلاح لعاقبة من هذه الأمة إلا بما صلحت به أوليتها.

هذا إلى أن الحجّ ركن من أركان الدين، من حكمته أن يرقّق القلوب ويصقلها ويصلحها لتلقى الفيض الإلهي. فإنه متى صلح القلب صلح الإنسان، لأن الإنسان تفصيلٌ أُجمل في حبة ودم منهما يكون القلب.

❁ ❁ ❁

ومن حِكمه أنه علاج لطيف لمزاج الأرستقراطية لأنه جَمْعٌ للملوك والسوقة في صعيد واحد، وإلزام لهم أن يكونوا طرازًا واحدًا، وتذكير للناس جميعًا أن من يحملون التيجان على رؤوسهم، ومن يحملون السلال عليها، سيستوون تحت الأرض استواءهم على ظهرها، حينئذ وحينئذ تخف سورة الأرستقراطية التي كانت أمس، كما هي اليوم، وكما تبقى في الغد، عوجًا لا استقامة لهذا النظام إلا به.

❁ ❁ ❁

ومن حِكمه أن يتعرف المسلمون بعضهم لبعض، ويتآلفوا ويتبادلوا الرأي فيما

يصلح من أمر دنياهم، وهل كان الحج إلا مؤتمرًا عامًا وإن غفل المسلمون عن ذلك أحقابًا طوالاً؟

وإذا كانت هذه الفريضة قد فاتتني في هذه السنة، فإني آمل ألا أفوتها في تاليتها، وهذا الأمل هو الذي يفثأ حدة حزني، وأكبر ظني أن الأمل تسلية إلهية للمرء تُصبره على ما يكره قليلاً، ليستمتع بما يحب طويلاً.

وأحسب أن الحياة لا أمل معها صورة حية للموت، فإنك لا ترى الآيس ولا تسمعه إلا حسبت أنك ترى محتضرًا وتسمع حشرجة...

بل أذهب إلى أبعد من هذا، فأزعم أن اليأس فن من الموت، كما أن الأمل هو أثمن عنصر في مادة الحياة أو هو الإكسير الذي يُذرُّ على الحياة فيُحيل معدِنها ذهبًا نضارًا.

وما رأيت قط فيما يتواصفه المبتلون من صنوف البلاء بلاء أوجع للنفس وأفجع لها وأذهب بها من بلاء اليأس، إذ لا تكون الدنيا في نظر الآيس إلا قبرًا متراميًا لا تكون الحياة معه إلا مرانًا على الموت، وما أحرى الآيس أن تُسقطه مصلحة الإحصاء من عداد الأحياء!

فالإنسان بخير ما أمَّل، لأن الأمل ينبه فيه جميع قواه، ويبعثها فيما خلقت له فتنبعث آثارها جلية، والجماعة بخير ما أملت؛ لأن الأمل يظهر خصائصها، ويشحذ ملكاتها، ويقوي شخصيتها، فتكون وهي جزء من أمة كأنها قائمة برأسها، والأمة بخير ما أملت لأن الأمل يطمح بها إلى العلاء، ويُصبرها على المكاره التي تحف بكل جنة في الدنيا، ويغريها بكل عظيمة، حتى لا ترى في المصور الجغرافي العام إلا البقعة التي تميزها بلونها.

النبي محمد ﷺ

هدّمْتَ أوهامَ القديم محررًا ... أيقالُ دينُكَ ملؤه الأوهامُ؟
وشرعتَ للعقلِ الحكيم سياسةً ... ضمنتْ بقاء جلالها الأيّامُ
بُنيتْ على النفع الأتمّ وكلٌ ما ... للعلم، فالعلمُ الصحيحُ قِوامُ
عقلٌ كعقلكَ لن يُبيحَ جهالةً ... أبدًا، فكم سطعتْ له أحكامُ
الشَّمْسُ بعض شعاعهِ ورِوائهِ ... وله على سُرُر الضياءِ دوامُ
تمضي القُرونُ ولن يزولَ حديثه ... فحدثته الإشعاعُ لا الإظلامُ
تفسيرُهُ شَرْحُ الذي يقضي به ... العلمُ والإبداعُ والإقدامُ
يا هادمَ الأصنام دينُكَ قَدْرُهُ ... أن لا تمتّ لوحيهِ الأصنامُ
بين الذين تعصّبوا وتقهقروا ... وحجاكَ يا عَلَمَ الشعوب خصامُ
هم يحسبون الدَّهرَ ليس بسائر ... ودليلُ شرعكَ للزمانِ إمامُ
آياتُهُ بنَت الفخارَ ولم تزلْ ... تَسَعُ الذي ترضى به الأفهامُ
مَنْ أنكر العلم الصحيح فدينُه ... وهْمٌ وليس لمثلهِ إسلامُ!

أبو شادي

البحر الأحمر أمس واليوم

كان مصدرَ المجادة لأمتنا، ومنبعَ السعادة لأجدادنا حينما كانت الكلمةُ متحدة، والغايةُ واحدة. ذلك البحر الذي أصبح اليوم وليس لنا فوقه راية، ولا في مصيره رأي، منذ تخاذلَ العرب، وانقسموا على أنفسهم، حتى مكّنوا العلجَ

من دَوس أعناقهم، ومن إرغام أنوفهم في عقر ديارهم، فأصبحوا فيها غرباء، بل خَوَلا أذلّاء... اللهم إلا في البقيّة الباقية لنا وسط جزيرتنا العربية المقدسة....

البحر الأحمر: الباخرة جنوى ١١ المحرم ١٣٤٥

أحمد زكي باشا

قلعة حماه

أشرقتْ في بُهْرَة الحي الأمين ... وسمتْ بين ربوع الصامتينْ
نطقتْ وهي معراة الذُّرى ... فهي بالصمت تَبذُّ الناطقينْ
ما لها من بعد ما كانت حِمَى ... أصبحت مَرعى الذئاب العابثينْ
أنّ من يذكرُ منها مجدَها ... يتولّى وهو بالقلب الحزينْ
ويرى الأحداثَ في كثبانها ... ماثلاتٍ ترقب الغيبَ الكنينْ
ولحًا إمَّا تراءت في الدُّجى ... صُوَرٌ شتَّى تَروع الناظرينْ
قمْ على السفح وشاهدْ منظرًا ... يبعثُ الوجدَ ويرضي الشامتينْ
جلَّلته روعة ممزوجةٌ ... بأفانينَ من الداء الدفينْ
وعلى الوادي جلالٌ قاتم ... في ثناياه عميم مستبينْ
وتأمَّل رهنَ لحدٍ ضيق ... بعد أن كان مليكًا لا يدينْ[١]
كم تعادت خيلهُ حاملةً ... أُسْدَ خَفّان إلى الحرب الزَّبونْ

(١) هو أبو الفداء، إسماعيل بن علي، ملك حماة وصاحب التاريخ.

دارهُ أضحت خلاءً وانْمَحَتْ ... عينُها حتى كأنْ لم يكُ عينْ
ليتَ «إسماعيل» حيٌّ فيرى ... وحشةَ الدار ونومَ القاطنينْ
ساد في أرجائها صمتٌ ولم ... يخلُ من رِكْز المنى هذا السكونْ
تلكم الدار وهذا رسمها ... هدمتْها بغتة أيدي المنونْ
بعثرتْ رِثمانَها كفُّ الشقا ... فجرتْ بين سهول وحُزونْ
قلتُ -لما أن تراءتْ طَللا ... دارسًا- قولَ أمير الشاعرينْ:
«يَمّحي الميْت ويبلى رسمهُ ... ويغول الربعَ ما غال القطينْ»[1]

❁ ❁ ❁

قمتُ والشمس تردى للنوى ... صفرةَ الخوف وبردَ البائسينْ
كلما مالت إلى الغرب بدا ... من نواحي الشرق آثارُ السكونْ
وعلى الرَبع تجلّى روعةٌ ... في ثناياها حَنينُ السالفينْ
فكأن الريحَ لما أن هفتْ ... ساعةَ المُمْسِي شِكاة الواجدينْ
وكأن الليل لما أن دجا ... بادرات اليأس للشخص المَنينْ

❁ ❁ ❁

أيُ قلب هائم خلّفته ... دون شط النهر أو تحت الغصونْ
يسمع البلبلَ يشدو ولكم ... شاقهُ من خشب الماء الأنينْ
ليته لم يتعلّلْ بالمنى ... ليته مِن أُلَّف السلوى يكونْ
إذْ يَلَذُّ النوم للسهْد يرى ... خافقًا يرجو وإن عمَّ الهدونْ

حماه/ عمر يحيى

---

(١) قصيدة «على قبر نابليون»؛ لشوقي، الزهراء ١: ٤٤٢ .

نفس الزاهد

قيل لرجل عليه جبة صوف متخرقة وقدماه حافيتان:

- لم لا تسأل نعلاً يقيك الحفا؟

فقال: يا أخي لَرَدُّ أمس بالحبال، وحبس عين الشمس بالعقال، ونقل ماء البحر بالغربال، أهون من موقف السؤال، وارتجائي من الخلق النوال.

ثم خرج إلى صخرة في البلد مكتوب عليها: «كُلْ من كدِّ يمينك، وعرق جبينك، فإن ضعفت نفسك، فاسأل المولى يعينك».

دار ابن لقمان ولويز التاسع ملك فرنسا

وصفها العلامة الكبير سعادة الأستاذ أحمد باشا تيمور في الجزء الأول من المجلد الثاني من الزهراء.. وكان الشاعر قد زارها سنة ١٣٢٧ صحبة صديقه الأستاذ القانوني محمود أفندي عزمي، من كبار رجال الضبط بمصر.

وخطاب الشاعر وتقديره في مستهل القصيدة موجه إلى سعادة الأستاذ المؤرخ الشهير:

بَسَمْتَ ثم بَكَيْتَ الذّكْرَ للناسِ ... كما بِكَيْتُ قديمًا ملْءَ أنفاسي!
فثارَ شعري بإحساسي على قلمي ... وما بطاقةِ مثلي دَفعُ إحساسي
فاصفحْ إذا كنتَ قد وفّيْتَ في عظةٍ ... درسَ الحكيم، فقولي وصفَةُ الآسي
لا خيرَ في الشِّعْرِ موقوفًا على طربِ ... وعازفًا عن بيان الفضل والباسِ

ولا بشاعرِ قوم لا يعلمُهمْ أسمى الحياةِ بقلبٍ جدّ حسّاسِ

❋ ❋ ❋

دار ابن لقمان(١) قد جدّدتّ دارسَها بوصفكَ المُرْجع التاريخَ للناسي(٢)
تكادُ تُخْلَق من بر معالمُها رغم الزّمانِ وتبدو بين حُرّاسِ
وقد صدقْتَ بما حقَّقتَ من أثر(٣) لكنّه وارثٌ مخبوءَ، آساسِ
كأنهُ حارسٌ كنزًا يضنُّ بهِ وساتِرٌ المعالي أيَّ مقباسِ
فهو الحقيرُ الجليلُ المنتمي شَرَفًا للتّاج والمُلْكِ ثمّ السؤددِ الرَّاسي

❋ ❋ ❋

يا دارُ عِيشي على رغم الرّدى القاسي فخرًا يشعُّ بنبراس ونبراسِ!
في موضعٍ سُوَرُ التاريخ ترقُبُهُ حَبْرى وترفعُ فيه جمعَ أقواسِ!
ولا تُفاخرُ منها أيّ واقعةٍ فقد تفرَّدْتِ في نصر ومقياسِ!
وفي ظلالكِ سارتْ مصر في شمَم(٤) إلى التغلُّب من حزْمٍ ومِنْ باسِ
أعجوبةُ الهمّةِ القعساء إنْ صدقتْ وغايةَ الصدقِ من جُند وسُواسِ
ولو درى ما بكى المأسورُ من خجل فالشعبُ في وَحدَةٍ كالضيغم العاسي(٥)

---

(١) هي الدار المعروف موضعها بمدينة المنصورة، وكانت للوزير الكاتب فخر الدين إبراهيم بن لقمان. وفيها سُجن ملك فرنسا لويز التاسع لما أسره المصريون بعد واقعة المنصورة الشهيرة سنة ٦٤٧هـ (١٣٤٨م).

(٢) إشارة إلى الوصف البليغ التفصيلي الذي سرده سعادة تيمور باشا، حتى كأنما تتجدد برًا بوصفه.

(٣) إشارة إلى ما وصل إليه تحقيق تيمور باشا متفقًا مع الأستاذ داريسي Daressy من أن الأثر الحاضر غير الدار الأصلية، وإن كان في موضعها.

(٤) إشارة إلى توحيد كلمة المصريين واشتداد عزيمتهم وحملهم حملة صادقة على الفرنسيين، بعد أن كاد المصريون يُهزمون شر هزيمة.

(٥) العاسي: الغليظ القوي الذي لا ينثني.

إنَّ الأسيرَ لبأس لا نظيرَ لهُ — غيرُ الأسير العثور الخاطئ الخاسي!

❁ ❁ ❁

وأنتَ يا وطني الباكي لضَيْعَتِه — بينَ الدسائسِ بعدَ الجهل والكاسِ!
صبْرًا فكلّ بلاءٍ سوف يعقبُهُ — تكافؤٌ بين إسعادٍ وإنعاسِ
وإنَّ ذِكرًا لأنثى[1] قد رفعتَ بها — نورَ الجلالِ ليكفينا لإيناسِ
وإنَّ رسمًا حواه المجدُ في حُجُب — ولم يُحَجَّبْ لأبْقى دونَ أحراسِ!
هيهات يطفي دُخانُ العسفِ شُعلتَهُ — هيهاتَ! هيهاتَ! فالدُّنيا بقسطاسِ
ولنْ يضيعَ جهادٌ في توَهُّجه — شمسٌ، وفي خُلْدِهِ المُفْني لأرْماسِ!

❁ ❁ ❁

وأنتِ يا دُرّةً[2] ضنَّ الزّمانُ بها — في الشرق قدرُكِ فوق الدُّرِّ والماسِ
أكسبتِ أسْرَ لويز[3] أيما شَرَفٍ — وتاجَ مُلكِكِ من نُبلٍ ومنْ راسِ
بكى دماء لنجم الدين فارسه — فجئتِ آسية في بأسِ فَرّاسِ
وعاشَ فضلك وضَّاءً يُشجعنا — بين المآتِم مُزجينا لأعراسِ
حتى نُعيدَ جلالاً صار غائبُهُ — يشْتاقنا شَوْقَ لورين والزاسي
نحنُ الأحق بسيراتٍ يُرَدّدها — جيلٌ لجيلٍ، وأقمارٌ لأشماسِ

أبو شادي

---

(١) يشير إلى جارية الملك الهمام والوطني الغيور الصالح نجم الدين أيوب، فهي التي أخفت خبر موته، وسيرت جثته سرًا إلى جزيرة الروضة حتى لا تذهب قوة الجيش المعنوية.

(٢) يشير مرة أخرى إلى جارية الملك. واسمها (شجرة الدر).

(٣) لويز التاسع ملك فرنسا الملقب عند قومه بسان لويز Saint Louis أي القديس لويز. ولد سنة ١٢١٠م وتوفي سنة ١٢٧٠م من وباء قضى عليه وعلى جيشه وهو محاصر لتونس في الحرب الصليبية الثامنة.

عبء الشهرة

قال رابندرانت طاغور عند زيارته الأخيرة لإيطاليا:

«إن إيطاليا تزداد في نظري بهجة وجمالاً، وفلورنسا أجمل المدن الإيطالية. وكان أفضل لو زرتها وأنا غير مثقل بالسنين والشهرة، إذن لكان في وسع الفتوة أن تدرك ما يوحيه الشعر الإيطالي أكثر مما تستطيعه الشيخوخة. ولكن ليس الحق عليَّ في أني شخت، وأني اشتهرت...

أنا لم أُخلق لأطوف العالم بين أصابع تدلُّ الجمهورَ عليَّ، ولا سيما الجمهور الأوربي، فإن حياتي والغرض من وجودها داخليٌّ.

يجتمع الناس ليشاهدوا الشاعر وليسمعوه، ولو أنهم رأوه وسمعوه لما عرفوه، لأنه يبقى مختبئًا. وكلما ازداد الجمهور عددًا؛ وعلا ضجيجه، ازداد الشاعر تواريًا في حمى نفسه، وبقي مجهولاً.

لست أدري كيف أتخلص من عبء الشهرة...».

الشاعر

هبط الوحيُ عليهِ من سماوات الخيالْ

في الظلامْ

وأضاءتْ جانبيهِ ربَّةُ السِحر الحلالْ

في الكلامْ

خرَّ يبكي وله -لما تجلتْ- صعقات قد وَعى سرَّ الوجود ومعاني العدمِ

في غَشيَتِهْ

فروَى بيتَ قصيدٍ من عيونِ الحكمِ

في صحوتهْ

نظمتْه زفراتٌ، قطّعتْه شهقاتْ

هتكتْ عن ناظريهِ مسدَلاتُ الحجُبِ

والستورِ

فجرى عن أصغريهِ غيرُ ما في الكتبِ

من سطورِ

صُوَرٌ عُلويَّةٌ مثَّلَها بالكلماتْ

❁ ❁ ❁

ظل يرنو للسماءِ واحمرارِ الشفقِ

ويقولُ:

ذا نجيعُ الشُّهَداءِ شاهدٌ في الأفقِ

لا يزولْ

فعليهم أعينُ السحب تُريق العبراتْ

نسمات الريح ثكلى لا تَني تنتحبُ

في أساها

ووميض البرق ليلاً جمرةٌ تلهبْ

في حشاها

أو فؤادٌ بينَ جنبيها شديد النزواتْ

هَـزَمَ الـرعـدُ فـقـالا ذا صُـراخُ الـبـائـسـيـنـا

فاعطفوا

ودَجـا الـلـيـلُ وطـالا وهـو عـسـفُ الـظـالـمـيـنـا

فارأفوا

وانـكـشِـفْ يـالـيـلُ إنَّ الـرعـدَ أمـسـى صَـرخـاتْ

❀ ❀ ❀

صَـوّبَ الـطـرفَ بـروضٍ بـاسـمٍ زاهٍ وسـيـمْ

فبكى

قـائـلاً -والـجـفـنُ مـغـضٍ-: هـا هـنـا صـبٌّ وريـمْ

هلكا

قـدُّهـا والـقـلـبُ مـنـه غـصـنٌ ذو زهـراتْ

عـلـقـت كـفٌّ بـكـف والـتـقـى خـدٌّ وخـدِ

في الترابِ

يـا لـهُ قـلـبًـا يـرِفْ وضـلـوعًـا تَـتَّـقِـدْ

بالتهابِ

ونـفـوسًـا قـد زكـتْ فـي الـزهـر مـنـهـا عـقـبـاتْ

أخـذ الـنـايَ وأدنـى فَـمَـهُ ثـم نـفـخْ

فيه روحَهْ

فـأذابَ الـنـفـسَ لـحـنًـا ومـن الـجـسـم انـسـلـخْ

كي يريحَهْ

هـكـذا تـذهـب أنـفـاس الـمـعـنّـى حـسـراتْ

دمشق/ خليل مردم بك

من أسباب عظمة أمريكا

* أنها تُنفق وحدها على التعليم بقدر ما يُنفق عليه العالم كله مجتمعًا.

* وأنها تحاشت الاصطدام بين رأس المال والعمل: فوفّقت بينهما، وجعلتهما شريكين في المنفعة.

* وأنها أقامت دستورها على قواعد ثابتة بعد تفكير طويل في جعله موافقًا لروح شعبها وحاجته، فلم تضطر بعد ذلك إلى الإلحاح عليه بالتغيير والتعديل؛ كالدساتير الأخرى التي صارت لكثرة التغيير فيها كالبنايات المهدمة!

* وأهم أسباب عظمة أمريكا الاتحاد العادل بين ولاياتها، ورفع الحواجز الجمركية فيما بينها، والتعاون على ما فيه مصلحة أقطارها.

الحرية

هاج نسيمُ الريح لي أمرَها ... بالله يا ريحُ ابعثي ذكرَها
تجهّزَ الدهرُ لإقلاقِها ... ما حمدتْ في ليلةٍ دهرها
إن تمْسِكِ الأقدارُ عن نصرها ... فما أنا مطرحٌ نصرَها
أو تعبس الظلماءُ في خِدْرها ... فأنت يا برقُ أنِرْ خِدْرها
دبّ مفيضُ الحبّ في أضلُعي ... لا تحسَبَنّي طاويًا سرَّها
صَبرتُ عنها مُهجتي ساعةً ... فلم تُطِقْ من بَعْدِها صبرها
بَلوت في ظلّ الصبا حُلوها ... فهل تراني باليًا مُرّها
عشقتها، والله أدري بنا ... ما مسّ صدري في الهوَى صدرها

ظلل أكنافَ الحِمى طيفهَا	هُنيهةً ثم ابتغى هجرَها

❊ ❊ ❊

لا تخفضن يا دهرُ من قدرها	كلُّ كريم رافعٌ قدرها
دحرتَها والنفس في إثرِها	خارجة، ما احتملتْ دحرها
كم حائر طاحت به ضلَّةٌ	ثم اهتدى لما رأى بدرها
وصاغرُ الموتِ به ذلَّةٌ	فعزَّ في إعلائه أمرَها
ومستبدّ راعه خَطْبُها	يجهد في تهتيكه سترَها
لئن طوَى استبدادُه ليلها	فما طوَى عن مُقلَتي فجرها
حصرتَ يا دَهرُ نفوسَ الورى	وهل أطاقتْ مهجة حصرَها
نجوت من ظلم ومن ظالم	يا دهرُ إن يسَّرتَ لي عُسْرها

❊ ❊ ❊

إن تُخرجوا الآساد في غابها	هيهاتَ ما تكفيكم شرَّها

دمشق/ شفيق جبري

❊ ❊ ❊

العربية في أمريكا قبل كولمبوس[1]

نشر في السنوات الأربع الماضية كتاب كبير في ٣ مجلدات ألفه لِيُوْوِينَر Leo Wianer من علماء جامعة هارفرد عنوانه «أفريقية وكشف أمريكا»، أثبت مؤلفه وجود كلمات عربية في لغات هنود أمريكا.

---

(١) من مقالة للمقتطف (أغسطس ١٩٢٦)، ملخصه عن مقالة للمستر برتن كلين في مجلة (العالم اليوم - World to day) فبراير ١٩٢٦م.

يعرف هذا المؤلف ٣٦ لغة. وقد شرع منذ سنوات في تعلم لغات هنود أمريكا؛ ليرى ما فيها من الكلمات والتعابير التي يستدل منها على الشعوب الذين اتصلوا بأولئك الهنود في غابر الزمن، فوجد فيها كثيرًا من الكلمات الإنكليزية والإسبانية والفرنسيوية والبرتغالية، وأقدم من هذه كلها كلمات عربية.

وقال بعد نشر كتابه: إنه يُرجع أقدم هذه الكلمات إلى سنة ١٣٩٠م، أي إلى قرنين قبل وصول كولمبوس إلى أمريكا، وقد يكون أصحاب تلك الكلمات اتصلوا بها قبل ذلك بقرنين آخرين.

وذهب بعض الباحثين الآن إلى أن عمران الأزدوالمايه عمرانٌ عربي محض، وأن الأزدوالمايه مستعمرات عربية وُجدت في أمريكا بين سنتي ١١٥٠ - ١٢٠٠م، والعمران العربي بلغ أوجَهُ في إفريقية في القرن التاسع المسيحي، وامتد جنوبًا إلى مندنجو في غرب إفريقية، ومن هناك وصل إلى مشواكان على شاطئ خليج المكسيك؛ لأن آثار العرب في لغات أمريكا تُرَد كلها إلى ذلك المكان وإلى مندنجو، وهي الكلمات التي تبقى عادة من لغة الغالب في لغة المغلوب، كالكلمات الطبيّة والسياسية، ولما انقطع اتصال العرب بأمريكا ذوى عمران الأزدوالمايه؛ لأنه كان مبنيًا عليهم، وكان في أساسه تجاريًا.

جهد المقل

□ ١ □

أنا ما حييتُ فقد وقفتُ لأمتي نفسي ومالي في سبيل بلادي
فإذا قُتلت -وتلك أقصى غايةٍ لي- فالوصية عندها أولادي

بنتٌ لتضميد الجراح، ويافعٌ ... يُعنَى بتثقيف القَنا الميَّادِ
حتى إذا بلغ الأشُدَّ رأتْ به ... ذُخرًا ليوم كريهةٍ وجلادِ

خليل مردم بك

❑ ٢ ❑

قل للخليل مفدّيًا أوطانَه ... وموصّيًا إن راح بالأولادِ
هذا لتثقيف القناة، وهذه ... وقفٌ لأسوِ جراحة وضمادِ:
في مثل هذا يا ابن مَرْدَمَ يلتقي ... عِظَمُ الجدود وسُؤدد الأجدادِ
إن كان في الشبّان مثلك جملةٌ ... فلنا الرجاء بأمة وبلادِ
أفديك بالروح العزيزة، إنها ... لفِداء مثلك من عزيز فادِ

الأمير شكيب أرسلان

الإجرام السياسي

أسفي على عهدٍ بهِ ... يَجْني الجبانُ على الجريحْ
ويسومُه أقسى الهوا ... نِ فيُقْتَلُ الخُلُقُ الصّحيحْ
باسم السّياسة حُلّلَ الـ ... إجرامُ والعيشُ القبيحْ
حتى تبرَّأ كلُّ ذي ... فضل من الفضلِ الصَّريحْ!

كيما يصونَ حياتَه كيما يُريحَ ويستريحْ!
أسفي على عهدٍ بهِ إنكارُ بطرس للمسيحْ![1]

أبو شادي

(١) تظاهر الحواري بطرس بإنكار علاقته بالسيد المسيح؛ اتقاءَ الاضطهاد.

الحديقة

مجموعة أدب بارع، وحكمة بليغة

الجزء الرابع

انتقاها

الكاتب الإسلامي الكبير

محب الدين الخطيب رحمه الله

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى اللّٰه وسلم على مصباح الإنسانية سيدنا محمد، صاحب دعوة التوحيد إلى البشر أجمعين.

وبعد، فهذا الجزء الرابع من الحديقة، أضعه بين أيدي أصدقائها وصديقاتها، الذين كثر عددهم بين مختلف الطبقات من قرّاء العربية في جميع أنحاء الوطن الأكبر، حتى بلغ من إقبالهم عليها وتشجيعهم لصاحبها، ما دعاه إلى توطين النفس على مواصلة إصدارها حافلة بما تعوَّدوه من بدائع المنثور والمنظوم، لفحول أدباء هذه الأمة وحكمائها من قدماء ومعاصرين.

وإن «الحديقة» لا تزال على عهدها لقرائها في كل ما التزمتْه من شروطٍ في اختيار ما تعرضه على أنظارهم، والله من وراء القصد.

القاهرة: ١٥ محرم ١٣٤٦

محبُّ الدين الخطيب

مظهر بديع
من مظاهر حضارة العرب في بغداد

من مخطوطات الخزانة التيمورية بالقاهرة جزء قديم (في كتب التاريخ رقم ١٣٨٣) من كتاب مجهول الاسم والمؤلف، رتبه مؤلفه على السنين، وما في هذا الجزء من سنة ٦٢٦ إلى ٧٠٠ .

وقد ألحق بآخره نبذة منقولة من مناقب بغداد لابن الجوزي، وهي التي نشرها صديقنا الأستاذ السيد محمد بهجة الأثري.

وقد جاء في حوادث سنة ٦٣٣ من هذا المخطوط القديم وصفٌ للساعة التي وضعها أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور المستنصر بأمر اللَّه في مدرسة الطب والمستشفى التابعَين لمدرسته العظمى المعروفة باسم (المستنصرية)، وقد أدخل سعادة العلامة أحمد تيمور باشا وصف هذه الساعة في كتابه «التصوير عند العرب»، الذي لم يُطبع بعد[١].

وإلى القارئ نص ما أبقته لنا يد الزمن من وصف ذلك الأثر العربي البديع، الذي يدل على ما كانت عليه حضارة الإسلام في دار السلام من الشأو الذي لم تبلغه مدارك البشر حتى ذلك الحين.

(١) ثم طبعه، وزاد عليه الدراسات الفنية والتعليقات: زكي محمد حسن، عام ١٣٦١ هـ. (س).

ساعة عربية بصورة الفلك الدائر

«قال المؤرخ»: «وفيها -أي: في سنة ٦٣٣هـ- تكامل بناء الإيوان الذي أنشئ مقابل (المدرسة المستنصرية)، وعُمل تحته صُفّة يجلس فيها الطبيب، وعنده جماعته الذين يشتغلون عليه بعلم الطب، ويقصده المرضى فيداويهم.

وبُني في حائط هذه الصفة دائرة، وصُوّرت فيها صورة الفَلَك، وجُعلت فيها طاقات لطاف لها أبواب لطيفة: وفي الدائرة بازان[1] من ذهب، في طاسين من ذهب، ووراءهما بندقتان من شبَه لا يدركهما الناظر.

فعند مضيّ كل ساعة ينفتح فمُ البازين، ويقع منهما البندقتان، وكلما سقطت بندقة انفتح باب من أبواب تلك الطاقات، والباب مُذهّب فيصير حينئذ مفضضًا، وإذا وقع البندقتان في الطاسين تذهبان إلى مواضعهما، ثم تطلع أقمار من ذهب في سماء لازوردية في ذلك الفلك مع طلوع الشمس الحقيقية، وتدور مع دورانها وتغيب مع غيبوبتها، فإذا جاء الليل فهناك أقمار طالعة من ضوء خلفها: كلما تكاملت ساعة تكامل ذلك الضوء في دائرة القمر، ثم يبتدئ في الدائرة الأخرى إلى انقضاء الليل وطلوع الشمس، فتُعلم بذلك أوقات الصلوات».

❀ ❀ ❀

ثم أورد صاحب هذا التاريخ المخطوط أبياتًا لشاعر من شعراء ذلك العصر الذهبي يذكر بها هذه الساعة:

«يا أيها المنصور، يا مالكًا   برأيه صعبُ الليالي يهون

---

(١) تثنية «بازي» الطائر المعروف.

شُيِّدتَ للّه ورضوانه أشرفَ بنيان يروق العيون
إيوان حسنٍ وضعه مدهش يَحارُ في منظره الناظرون
صُوِّرَ فيه فَلَك دائرٌ والشمس تجري ما لها من سكون
دائرة من لازوردٍ حكت[1] نقطة تبر فيه سرٌّ مَصون
فتلك في الشكل وهذي معًا كمثل هاءٍ رُكبتْ وسْطَ نون»

وجاء في حوادث سنة ٦٨٣ من هذا المخطوط أن نور الدين علي بن ثعلب الساعاتي توفي في تلك السنة، وكان يتولى تدبير الساعات التي تجاه المستنصرية، وأن مولده كان سنة ٦٠١هـ.

الحضارة الغربية

أطلقَت العقول تجدُّ وتبتدع، وأطلقتْ من ورائها الأهواءَ تلذُّ وتستمتع وتشتهي؛ فضربتِ الخيرَ بالشرّ ضربةً لم تَقتل، ولكنها تركت الآثار التي هي سبب القتل؛ إذ لا تزال تمدُّ مدًّها حتى تنتهي إلى غايتها، وذلك هو السر في أنه كلما تقادمتِ الأزمنةُ على هذه الحضارة؛ ضج أهلها وأحسُّوا عللًا اجتماعية لم تكن من قبل.

مصطفى صادق الرافعي

(١) يظن سعادة الأستاذ تيمور باشا أن صواب هذه اللفظة «حوت».

عرس الأصيل

غنَّى الأصيلُ فقمتُ أرقبُ عرسَه ... قبل التّفرُّقِ في المساءِ الداني
فإذا الأشعَّةُ راقصاتٌ مثلما ... رقصتْ لتلعب بالقلوب غواني
يتموَّجُ الماءُ الطَّروبُ وتزدهي ... وثباتُها عجَبًا على الأغصانِ
طورًا مذَهَّبَةً وآنًا فضَّةً ... وأعزُّها سِحرٌ بسحْرِ بيانِ
والتَّمْرُ محمرٌّ ومصفَرٌّ على ... عالي النخيل كجمعها الفتَّانِ
جُمِعَتْ به الأضواءُ بعد تفرُّق ... وبدتْ به الجَمَراتُ حلوَ جُمانِ
وإذا المروجُ عساكرٌ، أعلامُها ... خُضْرٌ، تهزُّ أسنّةَ المرّانِ
وإذا العَرُوسُ الشَّمْسُ بين زَوارقٍ ... هُنَّ السحابُ لبسن ثوبَ حسانِ
وإذا السماءُ بُحيرةٌ ترنو لها ... عينُ الطبيعة والجمالُ الهاني
في مَعْرِضٍ صُوَرُ الوجودِ ضحوكةٌ ... فيه تُشاطرُ صَفْوَه المتفاني
وأمامَه الدنيا على عَزْفِ الهوى ... سِرًّا وجَهْرًا في أحبِّ زمانِ
أين التفتَّ رأيتَ حسنًا باسمًا ... وشهدتَ أحلامًا وصدقَ أماني

أحمد أبوشادي

بنو هاشم وبنو أمية في نظر علي ومعاوية

❑ كلمة علي رضي الله عنه:

سأل رجل عامرَ بن شراحيل الشَّعبي -أحد كبار الفقهاء والعلماء في صدر الإسلام- عن بني هاشم وبني أمية، فقال:

إن شئتَ أخبرتك ما قال عليٌّ بن أبي طالب فيهم.

قال: أخبرني.

قال: «أما بنو هاشم فأطعَمُها للطعام، وأضرَبُها للهام، وأما بنو أمية فأسدُّها حَجَرًا، وأطلَبُها للأمر لا ينال فينالونه».

❑ كلمة معاوية رضي الله عنه:

قيل لمعاوية بن أبي سُفيان: أخبرنا عن بني هاشم -أي: قبل الإسلام-.

فقال: بنو هاشم أشرف واحدًا -يعني عبدَ المطلب بن هاشم-، ونحن أشرفُ عَددًا، فما كان إلَّا كلا، وبلى، حتى جاءوا بواحدة بذَّت الأولين والآخرين - يريد النبي ﷺ -.

أبو إسحاق الغزي ٤٤١-٥٢٤ هـ
قطعٌ مختارة من شعره

❑ منازل الأعراب ❑

يا رَبع فيك المها والأسدُ أحبابُ ... فقل لنا أكُناس أنت أم غابُ؟
بين الكثيبين حيٌّ لغوهم أدبٌ ... محض وإيجازهم في القول إسهابُ
خطو وأقلامهم خطّية سلب ... فهم على الخيل أمّيون كتّابُ
أهل الإصابة إن قالوا، وإن سمعوا ... وللسماع كما للقول إعرابُ
غير الهبيد وبرض البيد ما عرفوا ... والعز يعذب في أكوابه الصابُ
كلٌّ يحاول ما يبقى الصلاح به ... فالمبتغى واحدٌ والناسُ أضرابُ

❑ القلم ❑

وظمآن يروى بعد شَق لسانه ... ولو صح لم تنقع صداه المناهلُ
توهّم أن السفر بحر وماله ... سوى موضع العنوان والختم ساحلُ
فبادرَه يهوي على أم رأسه ... ولا موج إلا المشق والدر ثاملُ
إذا سقيت منه القراطيس أورقت ... وأورق عود المبتغي وهو ذابلُ
وألطف ما في صنعه أن رمزه ... بمصر إلى من بالعراقين واصلُ
وإن الذي تسقيه حين يمجه ... لجاف وعافٍ منه حتف ونائلُ
كذا ثمرات الأرض والماء واحد ... به اختلفت ألوانها والمآكلُ

مقاطعة المستبدين[1]

كان السلف الصالح -رضي اللّه تعالى عنهم- يفرّون من الأمراء المستبدين فرار السليم من الأجرب، حتى إن بعضهم سلكوا في هذا سبيل الخشونة، ولم يكرموهم وإن زاروهم، استحقارًا لهم.

ورووا في ذلك آثارًا وأخبارًا لا تكاد تدخل تحت العد والحصر، وقد جمع السيوطي كثيرًا منها في كتاب خاص أسماه: «ما رواه الأساطين، في عدم المجيء إلى السلاطين»، ولم نقف عليه[2].

منها قوله ﷺ: **«من بدا جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى السلطان افتتن»**[3].

---

(١) مقتبسة من كتاب «أعلام العراق» للأستاذ السيد محمد بهة الأثري.

(٢) طُبع عام ١٤١٣هـ، بدراسة و تحقيق أبي علي طه بوسريح؛ تقديم الشيخ: عبدالقادر الأرناؤوط. (س).

(٣) أخرجه أحمد (٨٨٢٣)، وصححه الألباني.

ومنها: «أن ناسًا من أمتي يتفقهون في الدين، ويقرؤون القرآن، ويقولون: نأتي الأمراء فنصيب من دنياهم ونعتزلهم بديننا، ولا يكون ذلك، كما لا يجتنى من القتاد إلا الشوك، كذلك لا يُجتنى من قربهم إلا الخطايا»(١).

ومنها: «سيكون في آخر الزمان علماء يرغّبون الناس في الآخرة ولا يرْغبون، ويزهّدون الناس في الدنيا، ولا يزْهدون، وينهون عن غشيان الأمراء ولا ينتهون»(٢).

وعن أيوب السختياني الإمام الثقة المشهور قال: قال لي أبو قلابة: «يا أيوب، احفظ عني ثلاث خصال: إياك وأبواب السلطان، وإياك ومجالسة أصحاب الأهواء، والزم سوقك فإن الغنى في العافية».

وكان سعيد بن المسيب يتجر في الزيت، ويقول: إن في هذا لَغِنىً عن هؤلاء السلاطين.

وقال وهيب: هؤلاء الذين يدخلون على الملوك هم أضرُّ على الأمة من المقامرين.

وقال أبو ذر لسلمة: يا سلمة، لا تَغْشَ أبواب السلاطين، فإنك لا تصيب من دنياهم شيئًا، إلا أصابوا من دينك أفضل منه.

وعن محمد بن داود البصري قال: لما ولي إسماعيل بن عُلية على العشور - أو قال: على الصدقات- كتب إلى عبد اللّه بن المبارك، يستمده برجال من القرَّاء(٣) يعينونه على ذلك، فكتب إليه عبد اللّه بن المبارك:

يا جاعل العلم له بازيًا يصطاد أموال المساكينِ

---

(١) ضعيف الجامع؛ للألباني (٤٦٢٨).

(٢) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة؛ للشوكاني (٩١٤).

(٣) يعنون بالقراء: علماء الدين.

احتلتَ للدنيا ولذّاتها بحيلة تذهب بالدينِ
فصرت مجنونًا بها بعد ما كنتَ دواءً للمجانينِ
أين رواياتك فيما مضى عن ابن عون وابن سيرينِ
ودرسك العلم بآثاره وترك أبواب السلاطينِ
تقول: أُكرهتُ، فماذا كذا زلّ حمار العلم في الطينِ
لا تبتغ الدنيا بدين كما يفعل ضُلال الرهابينِ

وأنشد ابن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب ويورثك الذلّ إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها
وهل بدّل الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها
وباعوا النفوس فلم يربحوا ولم تغلُ في البيع أثمانها
لقد رتع القوم في جيفة يبين لذي العقل إنتانها

وقال بعض الشعراء في فقيه يتردد إلى أمير:

قل للأمير مقالةً لا تركننّ إلى فقيه
إن الفقيه إذا أتى أبوابكم لا خير فيه

وقال محمود الورّاق:

ركبوا المراكب واغتدوا زُمَرًا إلى باب الخليفهْ
وصلوا البكور إلى الروا ح ليبلغوا الرتب الشريفهْ
حتى إذا ظفروا بما طلبوا من الحال اللطيفهْ
وغدا المولّى منهمُ فرحًا بما تحوي الصحيفهْ
وتعسفوا مَنْ تحتهم بالظلم والسير العنيفهْ

خانوا الخليفة عهده بتعسف الطرق المخوفهْ
باعوا الأمانة بالخيا نة واشتروا بالأمن جيفهْ
عقدوا الشحوم وأهزلوا تلك الأمانات السخيفهْ
ضاقت قبور القوم واتـ ـسعت قصورهم المنيفهْ
من كل ذي أدب ومعـ ـرفة وآراء حصيفهْ
متفقه جمع الحديـ ـث إلى قياس أبي حنيفهْ
فأتاك يصلح للقضا ءِ بلحية فوق الوظيفهْ
لم ينتفع بالعلم إذ شغفته دنياه الشغوفهْ
نسي الإله ولاذ في الـ ـدنيا بأسباب ضعيفهْ

الغيبة

اغتاب رجلٌ رجلًا عند سَلْم بن قُتَيبة، فقال له سَلْمٌ: اسكت، فوالله لقد تَلَمَّظْتَ مُضْغةً طالما لفظها الكرام.

كتاب الصناعتين ص٢٧٩

نفس الشريف

عليَّ ثياب لو يُباع جميعها بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفسٌ لو تقاس بمثلها نفوس الورى كانت أعزّ وأكبرا

جهاد مصر الوطني
ذكرى ١٣ نوفمبر ١٩١٨

خَطَوْنا في الجِهادِ خُطًى فِساحا ... وهادَنَّا ولم نُلْقِ السلاحا
رَضِيْنا في هوى الوَطن المُفَدَّى ... دَمَ الشُّهَداءِ والمال المُطاحا
ولمَّا سُلَّتِ البِيْضُ المواضِي ... تَقَلَّدنا لها الحقَّ الصُّرَاحا
فحطمْنا الشَّكيمَ[1] سِوَى بَقايا ... إذا عَضَّتْ أَرَيناها الجماحا
وقُمنا في شِراعِ الحقّ نَلقى ... ونَدْفَعُ عن جوانبه الرِّياحا
نُعالِجُ شِدَّةً ونَرُوضُ أُخْرى ... ونَسْعى السَّعْيَ مشروعًا مُباحا
ونَسْتَوْلي على القَسَماتِ الَّا ... كَمينَ الغيبِ والقَدَرَ المُتاحا
ومَنْ يَصْبِرْ يَجِدْ طُولَ التَّمَنِّي ... على الأيامِ قد صارَ اقتراحا

❊ ❊ ❊

وأيَّامٍ كأجْوافِ الليالي ... فَقَدْنَ النَّجْمَ والقَمَرَ اللَّياحا[2]
قَضَيْناها حِيالَ الحرب نخشَى ... بَقاء الرِّقّ أو نَرْجو السَّراحا
تَرَكْنَ الناسَ بالوادي قُعُودًا ... من الإعْياءِ كالإبِلِ الرَّزاحى
جُنودُ السِّلمِ: لا ظَفَرٌ جَزاهُم ... بما صَبَروا، ولا موتٌ أراحا
فلا تلقى سِوَى حَيّ كَمَيْت ... ومَنْزُوفٍ[3] وإن لم يَسْقَ راحا
تَرَى أسْرَى وما شَهِدوا قِتالا ... ولا اعتقَلوا الأَسِنَّةَ والصِّفاحا[4]

---

(١) جمع شكيمة: حديدة اللجام.
(٢) المضي.
(٣) من قولهم: نُزف الرجل (بالبناء للمجهول) أي: سكر.
(٤) تقلدوا الرماح والسيوف.

وَجَرْحَى السَّوطِ لا جَرْحَى المواضي ... بما عملَ الجواسيسُ اجْتراحا(١)

❁ ❁ ❁

صَباحُك كان إقبالًا وسَعْدًا ... فَيا يَوْمَ الرِّسَالَةِ عِمْ صَباحا
وما نألو نَهارَكَ ذِكْرَياتٍ ... ولا برهانَ غُرَّتك التِماحا
تكادُ حلاكَ في صَفحاتِ مصر ... بها التَّاريخ يُفْتَتَحُ افتِتاحا
جَلالُكَ عَنْ سَنى الأضْحَى تجلى ... ونُورُكَ عن هلالِ الفِطْرِ لاحا
هما حَقٌّ وأنْتَ مُلِئتَ حقًّا ... وَمَثَّلْتَ الضَّحِيةَ والسَّماحا
بَعثنا فيكَ هارونًا وموسى ... إلى فرعونَ فابْتدأ الكفاحا
وكان أعزّ مِن روما سُيُوفًا ... وأطْغى من قَياصرها رماحا
يكادُ من الفُتُوح وما سَقَتْهُ ... يخالُ وراءَ هَيْكله فِتاحا
ورُدَّ المرسَلونَ فقيلَ خابُوا ... فيالَكِ خَيْبةً عادَتْ نَجاها
أثارَتْ وادِيًا من غابَتَيْهِ ... ولامَت(٢) فُرْقَةً وأسَتْ جِراحا
وشَدَّت من قُوَى قوم مِراضٍ ... عَزائمَهُمْ فردَّتها صِحاحا
كأنَّ بِلالَ نودِيَ: قُمْ فأذِّن ... فَرجَّ شِعابَ مَكَّةَ والبطاحا
كأنَّ الناسَ في دينٍ جَديدٍ ... على جَنَباتِهِ استبقوا الصَّلاحا
وقد هانَتْ حَياتهُمُ عليهم ... وكانوا بالحَياة هُمُ الشِّحاحا
فتَسْمَعُ في مآتِمِهِمْ غِناءً ... وتَسْمَعُ في ولائِمِهِمْ نُوَاحا

❁ ❁ ❁

حَوارِيِّينَ أوْفَدْنا ثِقاةً ... إذا تُرِكَ البلاغُ لهم فِصاحا
فكانوا الحقَّ مُنْقَبِضًا حييًا ... تَحَدَّى السَّيْفَ مُنْصَلِتًا وَقاحا

---

(١) رميًا بالشر.
(٢) سدت.

لهمْ مِنّا بَراءَةُ أهْلِ بَدْرٍ فَلا إثْمًا تَعُدُّ ولا جُناحا
نَرَى الشَّحْناء بَيْنهُمُ عِتابًا ونَحْسَبُ جِدَّهُم فيها مزاحا
جَعَلْنا الخُلْدَ مَنْزِلهمْ، وَزِدْنا على الخُلْدِ الثناءَ والامتداحا

❊ ❊ ❊

يَمينًا بالتي يُسْعى إلَيْها غُدُوًّا بالنَّدامةِ أو رواحا
وتَعْبِقُ في أنُوفِ الحَجِّ رُكْنًا وتحْتَ جِباهِهِمْ رَحْبًا وساحا
وبالدُّسْتُورِ وهو لنا حَياةٌ نَرَى فيه السَّلامةَ والفَلَاحا
أخذناهُ على المُهَجِ الغَوالي ولم نأخذْه نَيْلاً مُسْتَماحا
بَنَيْنا فيه من دَمْعٍ رُواقا ومِنْ دَمٍ كلِّ نَابِتَةٍ جَناحا
لَما مَلأ الشَّبابَ كَرُوحِ سَعْدٍ ولا جَعلَ الحَياةَ لهم طِماحا(1)
سَلُوا عنه القضيَّةَ هل حَمَاها وكانَ حِمى القَضِيّةِ مُسْتبَاحا
وهَلْ نَظَمَ الكَهول الصِيد صفًا وألفَ مِنْ تجاربهم رَداحا(2)
هو الشَّيْخُ الفَتيُّ لو استراحت من الدأبِ الكواكِبُ ما استراحا
وليس بذائقِ النَّوْمِ اغتباقًا إذا دارَ الرُّقادُ ولا اصطِباحا
فيالكَ ضَيْغَمًا سَهرَ الليالي وناضَلَ دُونَ غابَتِه ولاحى
ولا حَطَمَتْ لَكَ الأيَّامُ نابًا ولا غضَّتْ لكَ الدُّنيا صَباحا

أحمد شوقي

---

(1) سدت.

(2) المقصود: سعد زغلول، المتوفى عام (١٣٤٦هـ). زعيم علماني وطني معاصر، تعاون مع الاحتلال الإنجليزي لبلاده. انظر عنه وعن ثورته التي خدع بها كثيرون: «جيل العمالقة والقمم الشوامخ في ضوء الإسلام»؛ للأستاذ أنور الجندي رحمه الله (ص ١٠٧ - ١٣١). و «واقعنا المعاصر»؛ للأستاذ محمد قطب (ص ٣٠٤ - ٣٣٢). (س).

تبسم للحياة

تبسَّمْ للحياةِ وكُنْ سَبُوحًا ... على غَمَراتها مثلَ (السقيّ)[١]
وكُنْ (كاللُّوتَسِ) الضاحي هنيئًا[٢] ... وإنْ لم يَنْمُ في ماءٍ نقيّ
تَعَوّدَ حَظَّهُ وأضاءَ زهْرًا ... وعاش بنعمة الحُرّ التقيّ
فتعشقُه العيونُ بلا سُكُون[٣] ... ويقنعُ بالحنينِ المَشْرِقيّ[٤]
وما سرَّ الحياةِ سوى احتمال ... سواءٌ للهنيّ وللشَّقيّ

أبو شادي

حضارة العرب وفلسفتهم

لكل عصرٍ شُعوبية، وإن شعوبية هذا العصر نفرٌ من أدباء مصر، لا تمرّ بهم فرصة يتنقصون فيها فضل العرب ويغضّون من منزلتهم في التاريخ وينحتون من أثلة مدنيتهم الشهيرة إلا تورَّدوها مبتهجين، ولا يرون للعرب عورة من العورات إلا تهافتوا على إظهارها تهافت الذباب على الحلواء.

ومن هذه الطائفة من يطعن في العرب جراهية بدون مواربة، نظير هذا سلامة

(١) السقي: هو نبات البردي المعروف.
(٢) اللوتس: تسمى النيلوفر. زهرة تنبت في مصر.
(٣) سكون: انقطاع.
(٤) إشارة إلى شروق الشمس.

موسى الذي يكتب في «الهلال»، والذي زعم أن العرب بدو هجموا على المدنيات الرومانية والإغريقية... إلخ.

وهذا النوع من العداء أقله خطرًا وأجدر بألَّا يباليه أحد؛ لأنه كلام ساقطٌ من نفسه: تكفينا الآثار الماثلة والتواريخ العامة -من شرقي وغربي- مؤونة الرد عليه.

ومن محاسن العرب أن يكون أعداؤهم -مثل سلامة موسى- إباحية يدعون إلى اختلاط الأنساب، ولا يرون بأسًا في ألَّا يعرف المولود بأبيه(١)، وهي الشناعة التي أراد بعضهم أن يعزوها للبولشفيك، فتبرأ هؤلاء منها، وأكبروا الأمر وهم البولشفيون الشيوعيون...

ومن هذه الطائفة مَن تراه يضيق صدره -﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾- إذا سمع كلمة خيرٍ في العرب، أو قرأ عبارةً توفر لهم قسطهم من المجد، وقد قامت قيامة طه حسين على أحمد زكي باشا، بزعمه أن الأستاذ المشار إليه قال: إن مدنية العرب فوق كل مدنية، مع أنه لم يقل ذلك، وإنما أطرى مدنية قومه، كما هو شأن الأمم كلها أن كلًّا منها تطري مدنيّتها وتفاخر بأحسابها، وكيف كان يقول لو قال أحمد زكي باشا: كلما كان الإنسان عربيًّا كان أقرب إلى البشرية، كما يقول الفرنسيس -ولا يُكبر ذلك طه حسين- «كلما كان الإنسان أفرنسيًا كان أعرق في البشرية»، أو كما يقول الألمان: «ألمانية فوق كل شيء»، وهلم جرًّا، فلا تتحرج صدور هؤلاء إلا إذا كان الإعجاب بالعرب.

ولعمري لو قال أحمد زكي باشا إن مدنية العرب كانت فوق كل مدنية بالنسبة إلى القرون الوسطى -أي: إلى الوقت الذي ظهرت فيه- لم يكن كاذبًا؛ بل لكان ظهيرَه التاريخُ العام كما يعلَّم في مدارس أوربه.

---

(١) انظر: الزهراء (٣/ ١٣٩).

ولا يعيب العربَ أنهم في القرون الوسطى لم تكن مدنيتهم أعلى من مدنية أوربة اليوم بعد القرون الوسطى بنحو تسعمائة سنة وألف سنة، فإنه من البديهي أن الآخِر بطبيعة الحال يعلم ما لا يعلمه الأول، وأن اللاحق يعي علم السابق، ويضيف عليه، إن الدنيا شخص معنوي، كلما علت سنُّه ازدادت تجاربُه، وقد يأتي دهر يجد الناس فيه مدنية أوربا الحاضرة لعبًا وددًا، ويهزؤون فيه بالقواعد التي يقررها علماء العصر الحاضر، وذلك كما نهزأ نحن ببعض القواعد التي كان الأولون يظنونها حقائق ثابتة، فأظهرت التجارب الأخيرة بطلانها، نعم لا يعيب السلف أن يكون الخلف أعلم منهم، وإنما يعيب السلف أن يكونوا قعدوا عن النهوض بالواجب عليهم في زمانهم؛ ولكن طه حسين أذنه صماء عن الفحشاء. . . فلا يحب أن يسمع هذا اللغو الذي هو مدح العرب، وسبحان من جمع بين عمى البصائر وعمى الأبصار، وأولهما أشد وأدهى.

يعلم اللّٰه أننا كنا نحب ألَّا تُستعمل لهذه الطائفة مثل هذه الألفاظ،، ولكن وقاحتهم على الوطن والدين واللغة والأخلاق والصيانة والقومية وما أشبه ذلك، تجاوزت حدَّها، فأصبح من الواجب على كتاب الوقت أن يضعوهم حيث وضعوا أنفسهم، وأن يصبُّوا السخن على هذه الجراثيم الفاسدة؛ للتخلص من شر عدواها.

ومنهم مَن لا تصل به الحماقة إلى هذا الحد؛ ولكنه يُنقب في الكتب والآثار حتى إذا وجد كلمةً يقدر أن يغمز بها العرب، ولو من طرف خفي، وقع عليها، وأخذ يستنتج ويقيس ويذهب إلى بعيد، وكأن مرماهم الأصلي هو سلب العرب محاسنهم التي حلَّاهم بها التاريخ، فإن لم يمكن، فسلبهم بعضها، وأيّ شيء وجدوه في هذا المعنى عدّوه ربحًا، فترى الواحد منهم يذكر فلاسفة العرب

وأطباءهم والكيماويين منهم، وهو يشير إلى أن هذا كان نصرانيًا وذاك كان يهوديًا وذلك صابئًا أو حرانيًا، وكأنه رفع بذلك التأصيل عن ظهره وقرًا، وكان صعبًا عليه أن يكون هؤلاء الكبار من خلق الله عربًا في النسب، فلما أثبت نسبتهم لغير العرب هانت عنده المصيبة. . .

ولو تأمل هؤلاء؛ لعلموا أن الذي أخبرهم بأن هذا كان فارسيًا أو تركيًا، وذاك كان يهوديًا أو صابئًا أو نصرانيًا إنما هم مؤلفو العرب الذين لم يكونوا ينظرون إلى العالم؛ بل إلى العلم الذي يحمله، وكان سيين عندهم أن يكون النبراس الذي يضيء لهم زيته من الزيتونة الشرقية أو الغربية، على أن هؤلاء العلماء كلهم بعد أن كتبوا مؤلفاتهم بالعربية لم تعرفهم الدنيا إلا عربًا، ومنهم ومن أقرانهم كانت الحضارة العربية التي انطووا فيها، وعلى فرض أنهم لم يكونوا عربًا في الأصل، فإن الفضل الأول في تأسيس المدنيات ونشر المعارف إنما هو للدول التي تستجيد العلماء، وتستوري زناد القرائح.

ولقد كانت تلك الدول عربية قحة، وما من أحد يقدرِ أن يقول إن معاوية كان فارسيًا، أو إن هارون الرشيد كان حرَّانيًا، ثم على فرض أن بعض فلاسفة العرب لم يكونوا من أصل عربي، فالعرب أغنياء بالرجال، وكم عندهم من فيلسوف وحكيم وطبيب يرجع في نسبه إلى قحطان أو إلى عدنان.

ثم إننا إذا نظرنا إلى الأمم وجدنا علماء كل أمة فيهم جم غفير ليسوا منها. . . ولكنهم منها. . . أفترى الفيلسوف الألماني المعاصر أينشتين خرج من نسبته إلى ألمانية من أجل أنه يهودي؟ وكم من عالم فرنسي أصله غير فرنسي، وكم من عالم انكليزي أصله غير انكليزي. . . إلخ.

ويلحق بهذا: قولهم إن العرب كان عندهم العلم الفلاني، وهم إنما أخذوه عن الأمة الأخرى، وأيُّ أمَّة اقتصرت في مدنيتها وعلومها على تحقيقاتها

واجتهاداتها الخاصة؟ وأنفت أن تستعير من غيرها؟ وهل يكون أحمق من تلك الأمة التي تأبى الاقتداء بغيرها في الأخذ بأمر نافع أو قول سديد!

ولكن التحامل كل التحامل هو قول بعضهم: إن العرب كانت علومهم كلها مبنية على الأسلوب الغيبي، وأنهم لم يعرفوا التجربة في العلم - كلمات ينقلونها عن بعض المؤلفين الأوربيين الذين لا يريدون أن يعترفوا بفضل الشرقيين، أو بعض مؤلفيهم الذين لم يفهموا تاريخ العرب حق الفهم.

ومن الغريب أن هذه الفئة إذا حاجَّها الإنسان بأقوال وشواهد من أناس من المستشرقين الأوربيين، كان جوابهم أن المستشرقين هؤلاء من دأبهم المبالغة، وهم لتعلّمهم اللغة العربية أحبّوها وصاروا يزينون كل شيء عربي! والحال أن المقام مقام تحقيق وتدقيق، ليس مقام ميل وعصبية.

فأمَّا إذا عثروا على رواية تنقّص من فضل العرب في كلام مستشرقي الإفرنجة، أسرعوا إلى نقلها وعدّوها آية منزلة، وبنوا عليها أحكامًا طويلة عريضة، ونسوا أو تناسوا أن المستشرقين الذين يكرهون العرب، ويشنأون العالم الإسلامي، ويُضمرون العداوة لكل شيء شرقي، هم أكثر عددًا من المستشرقين المحبين، فهم يحرّمونه عامًا، ويحللونه عامًّا، فالمستشرق الصادق عندهم هو الذي يتنقص العرب؛ لأنه يأتي بما تهوى أنفسهم، وأما المستشرق الذي يؤدّي العرب حقهم، فإنه بزعمهم مبالغ، ينظر بعين الحب الكليلة عن العيب. ولا تنسَ أن حملاتهم هذه الخفية على الحضارة العربية والتاريخ العربي إنما يأتونها باسم العلم وتمحيص التاريخ، وحب الحق[1].

---

(١) يُنظر للزيادة عن أحوال المستشرقين: كتاب «سموم الاستشراق والمستشرقين»؛ للأستاذ أنورالجندي رحمه الله. (س).

وليس من عربي عاقل يُحب أن يَنْحَل العرب ذرة مما لم يعلموه، ولا أن يمدحهم بالكذب؛ ولكن ليس من عربي عاقل يرضى بأن فئة مريضة من أهل هذا الزمان، تهجم على مدنية العرب التي اتفق على عظمتها المشرق والمغرب.

شكيب أرسلان

فضل الحضارة الإسلامية في العلوم الطبية[(١)]

في القرن السابع بعد الميلاد، وقعت الرابعةُ والأخيرة من هجرات العرب[(٢)] التي وثبوا بها على الأمم المجاورة، فتغلبوا على غرب آسيا، وما حول البحر الأبيض المتوسط، وقد اكتسب العربُ بسرعة مدهشة درجةً عالية من الحضارة، فهم شَعب فطين، ذو أربة وتثقيف، كان سريعًا في تمثيل العلوم والثقافات التي احتكَّ بها، خصوصًا علوم اليونان، فترجموا أشهر مؤلفاتها، وعن هذا الطريق وصلت لأوربا أكثرُ العلوم التي لولا العرب لانعدمت تمامًا.

كان العرب ماهرين في المناظرة والنقد والجدل، وسائر التفرعات المنطقية، وإن تعجب لشيء فهو انقلاب الحماسة الدينية عندهم إلى ولوع بالعلوم والآداب.

ففي أقل من قرن واحد بعد وفاة النبي ﷺ تُرجمَ أشهر مؤلفات اليونان الفلسفية، واستمر هذا الذوق السامي، والميل للعلوم، والنهوض بها، حتى بعد

---

(١) هذا نص المقالة التي أشار إليها الأمير شكيب أرسلان في فصله السابق.

(٢) انظر: البحث الذي كتبناه عن الهجرات العربية، بعنوان «اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب»، في الزهراء (٢/ ٣٢١-٣٤٠)، وقد طبعناه في رسالة مستقلة مع زيادات مهمة.

انقسام الإمبراطورية العربية بالمشاحنات والفتن إلى ثلاث دول: العباسيين في آسيا، والفاطميين في مصر، والأمويين في أسبانيا، فتناظروا، وتنافسوا في العلوم والآداب كتنافسهم في السياسة، واحتضنوا العلوم والآداب، واتخذوا منها كل طريق، ولم يهملوا موردًا أو مادة فيها تسلية للعقول، أو تهذيب وترقّ للنفوس، ومن مفاخرهم أنهم أخرجوا من الشعر والشعراء أكثر من جميع الأمم معًا، وبقي عرب الأندلس مئات من السنين متقدمين على سائر أوربا في العلوم والطب.

وفضلُ العرب على العلوم راجع لدراستهم على طريقة الإسكندرية، لا على طريقة أثينا وغيرها من مدن اليونان، وأدركوا سريعًا أن العلوم لا تتقدم أبدًا بمجرد النظر والتخمين -كما فعلت أثينا-؛ بل لابد لهم من امتحان الطبيعة بالمسائل العلمية وعمل التجارب، وكان من أخص مميزات طريقتهم: التجارب والرصد، فاعتبروا الهندسة والعلوم الحسابية وسائل وآلات للتفكير، ورياضة العقل، وتراهم في أكثر مؤلفاتهم العديدة -في الميكانيكا وعلوم السوائل والبَصَريات- يحلون المسائل بعمل تجربة أو بواسطة رصد بآلة.

هذه الطريقة هي التي مكنتهم من ابتداع الكيمياء، وابتكار آلات التقطير والتصعيد والصهر والترشيح... إلخ.

والتي جعلتهم في الفلَك يرجعون إلى الآلات المدرّجة والمقسمة: كالربع والاصطرلاب، واستعمال الميزان في الكيمياء، وعمل جداول الثقل النوعي، وهي الطريقة التي أدخلوا بها تحسينات عظيمة في الهندسة وحساب المثلثات، وأدت لاختراعهم ألجبر، وإدخال الأرقام الهندية في الحساب بدلًا من الأرقام الرومانية، وهي طريقة بديعة تعبر عن جميع الأعداد بعشرة أرقام لها قيمة مطلقة، وقيمة بالوضع.

كل ذلك كان نتيجة لتفضيلهم للطرق العلمية، وعمل التجارب، وإيثارهم على طريقة أرسطو القياسية، وعدولهم عن أفكار أفلاطون الغارقة في الخيال.

ومع ذلك؛ قد أنكروا على العرب ملكة الابتكار والابتداع في علم الطب وغيره، وجحدوا فضلهم على العالم عامة وأوربا خاصة، وقصروا نصيبهم من الثقافة على مجرد تشرّب علم اليونان ونقله لأوروبا الحديثة، فأول مدرسة طبية في أوربا كانت التي أسسها العرب في سالرنو بإيطاليا، وأول مرصد هو الذي أقيم على يد العرب في إشبيلية بأسبانيا، وقد نتجاوز المقام لو ذكرنا الكفاية عن نتائج هذه الحركة العلمية الباهرة، فالعلوم القديمة اتسعت كثيرًا، وجددوا علومًا أخرى وأوجدوها، ووصفوا أمراضًا كالجُدري والحصبة لم تميزها اليونان، وفي العلوم التجريبية أوجدوا الكيمياء، واكتشفوا كثيرًا من أهم موادها وكواشفها: الحمض الكبريتيك، وحمض الأزوتيك، والكحول، وأدخلوا هذا العلم في الطب العملي، فكانوا أول من سن ونشر الدساتير الطبية، وكتب الصيدلة، والمحاضرات الدوائية؛ وأول من أدخل فيها التحضيرات المعدنية. وفي المكانيكا عينوا قوانين سقوط الأجسام، وتكلموا في الجاذبية، والقوى الميكانيكية، وعملوا أول جداول للأثقال النوعية، وكتبوا في عَوم الأجسام وسقوطها في الماء.

وفي البصريات أصلحوا خطأ اليونان القائلين بمرور شعاع النور من العين إلى الجسم المرئي، وحققوا مروره من الجسم إلى العين، وفهموا الانعكاس والانكسار[1]، وابتكروا الجبر أو الحساب الشامل، وجعلوا منه طريقة لبحث الروابط بين المقادير من أي نوع كانت، وأكسبوا حساب المثلثات شكله

---

(١) انظر: الزهراء (٢/ ٤٥٥)، والحديقة (٣/ ٥٩).

الجديد، وأوصلوه إلى علم قائم بذاته، كما ألفوا في حساب المثلثات الكروية، والمساحة، وأبدعوا فيهما أيما إبداع.

وكانت للعرب غبطة خاصة في النظر إلى فروع الأدب الجدية، فكتبوا العجب في أمور شتى، وإن تعجبْ لشيء فاعجبْ لورود آراء كثيرة في مؤلفاتهم نعدها من مبتكرات العصر الحديث ومفاخره، فنظرية النشوء والترقي مثلًا، درسوها وعلموها في مدارسهم، وذهبوا بها إلى أبعد أمد، فطبقوها على المواد غير العضوية والمعادن[1].

وقد اشتهر من أطباء العرب: أبو علي القاسم والرازي وابن سينا، الذي استمرت مؤلفاته تُدَرس في جامعات الطب الأوروبية لغاية القرن الثامن عشر.

دكتور محمد شرف

جراح بمستشفى الملك بالقاهرة

أوراق الخريف

هل كان نثرُكِ غيرَ إيذان بعُمْرٍ قد تقضَّى؟

هل كنتِ إلَّا رمزَ أحلام نُفِضنْ اليومَ نَفضا؟

(١) بل هي نظرية باطلة، أثبت العلم الحديث تهافتها، فضلاً عن الشرع. وأُلفت لأجل هذا رسائل عديدة.
انظر على سبيل المثال: «سقوط نظرية داروين في ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة» للأستاذ ماهر خليل. (س).

مصْفَرَّةً -شأن المماتِ، بِحُمْرَةٍ تحكي النَّجيع

فكأنَّما قَتلتْكِ أحكامُ (الخريف) بلا شفيع!

❀ ❀ ❀

يرْثيكِ قبلي الطَّيْرُ، كم أنقذتهِ يا فانيهْ،

كم كُنْتِ ظِلًّا يَتَّقي فيه العوادي القاسيهْ

❀ ❀ ❀

يرثيكِ آلافُ الأشعَّةِ... من غرام كم تجلّتْ!

متكسّراتٍ في دلالٍ، بالزّمرّدِ قد تحلّتْ!

❀ ❀ ❀

يرثيكِ باكي الطَّلِّ كم أرضاك من بعد النَّدَى

كم كنتِ باسمةً تحيِّيهِ وتَعْطيهِ اليدا!

❀ ❀ ❀

يرثيكِ ذاوي العشْبِ محزونًا لما يَجني (الخريف)

يرثيكِ لاخِلٌّ يواسيهِ وقد غلبَ الحفيفْ!

❀ ❀ ❀

يرثيكِ عقلُ الفيلسوفِ يراكِ لُغْزًا مُذْهلا

العيشَ والموتَ والمعجَّلَ والرجاءَ المقبلا!

❀ ❀ ❀

يرثيكِ شعْرُ النَّحْلِ كم غنَّتْ لديك مُرنَّحَهْ

بين الأزاهير السخيّةِ والغصونِ المفْرِحَهْ

❀ ❀ ❀

ترثيكِ أنّات سُمِعْنَ من الجداوِلِ في الخريرْ

قد كُنَّ أنغامَ السُّرور فصرنَ آلامَ الزفيرْ

❁ ❁ ❁

ترثيكِ دُنيا قد تركتِ وأنتِ سَكْرَى راضيهْ

لا تأسفين، فإنّ رُوحَكِ رُوحُ دُنْيا ثانيهْ!

أبو شادي

التصوير العربي

اكتشفت مصلحة الآثار العربية في القاهرة، في الموضع الذي كانت فيه دارُ الوزارة الكبرى في عهد الأفضل ابن بدر الدين الجمالي، لوحًا حجريًّا كبيرًا، ذا أشكال عربية بديعة من آثار العهد الفاطمي، تُمثل طيورًا متقابلة فوق أغصان ملتفَّة على شكل عربي جميل، وموضع دار الوزارة الكبرى هذا يوجد فيه الآن جامع ببيرس الجاشنكيز، وقد وُجد اللوح الأثري في إحدى طرقات الجامع ووجهه إلى الأرض وهو مطموس.

ثراء اللغة العربية

قال عالم العراق السيد محمود شكري الألوسي في «بلوغ الأرب»:

«. . . . وقد سمعت بعض من لا خلاق له من الناس يدّعي أن لغات الإفرنج اليوم أوسع من لغة العرب، بناء على ما حدث فيها من ألفاظ وضعوها لمعان لم

تكن في القرون الخالية والأزمنة الماضية، فضلًا عن أن تعرفه العرب فتفوه به أو تتخيله فتنطق به، ولا يخفى عليك أن هذا كلام يُشعر بعدم وقوف قائلة على منشأ السعة، وأنه لم يَخُضْ بحار فنون اللغة حتى يعلم أن المزية من أين حصلت.

أما ما ذكر من أن مفردات العربية غير تامة بالنظر إلى ما استُحدث بعد العرب من الفنون والصنائع مما لم يكن يخطر ببال الأولين، فهو غير شين على العربية؛ إذ لا يسوغ لواضع اللغة أن يضع أسماء لمسميات غير موجودة، وإنما الشين علينا الآن في أنْ نستعير هذه الأسماء من اللغات الأجنبية مع قدرتنا على صوغها من لغتنا، على أن أكثر هذه الأسماء هو من قبيل اسم المكان أو الآلة، وصوغ اسم المكان والآلة في العربية مطرد من كل فعل ثلاثي، فما الحاجة إلى أن نقول «فَبْرِيقة» أو «كَرْخانة»، ولا نقول «معمل» أو «مصنع»، أو أن نقول «بيمارستان» ولا نقول «مستشفى»، أو نقول «ديوان» ولا نقول «مأمر»، أو نقول «إسطرلاب» ولا نقول: «منظر»؟

والعرب اليوم بخسوا اللغة حقها، فإنهم عدلوا عنها إلى اللغات العجمية من غير سبب موجب، فإن مَن يستعير ثوبًا من آخر، وهو مستغنٍ عنه يُحكم عليه بالزيغ والبطر، وإذا اعترض أحد بأن دخول الألفاظ العجمية في العربية غير منكر، وأن كل لغة من اللغات لابد أن يكون فيها دخيل، فاللغة هي بمنزلة المتكلمين بها، فلا يمكن لأمة أن تعيش وحدها دون أن تختلط بأمة أخرى، فإن الإنسان مدني بالطبع -أي: محتاج في تمدنه إلى الاختلاط مع أبناء جنسه-.

فالجواب: أن هذا الدخيل إنما يُغْضَى عنه إذا لم يوجد في أصل اللغة ما يرادفه، أو لم يمكن صوغ مثله، فأما مع وجود هذا الإمكان فالإغضاء عنه بخس لحق اللغة لا محالة، وإلا لزم المستعربين أن ينطقوا بالباء أو الكاف الفارسيتين، أو أن يقدموا المضاف إليه على المضاف، وهناك وجه آخر في العربية

لصوغ ألفاظ تسد مسد الألفاظ العجمية التي اضطررنا إليها، وهو باب النحت.

قال ابن فارس في فقه اللغة: العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار، وذلك كقولهم: «رجل عبْشَمِيّ»، منسوب إلى اسمين وهما: «عبد. شمس»، وأنشد الخليل:

أقول لها ودمع العين جار ... ألم تحزنكِ حَيْعَلة المنادي

من قولهم: «حيّ على كذا»، وهذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف أكثرها منحوت، مثل قول العرب للرجل الشديد «ضبطر» من «ضبط وضبر»، وفي قولهم: «صهصلق» أنه من «صَهَل وصلق»، وفي «الصلدم» أنه من «الصلد والصدم» إلى آخر ما قال، مما يدل على أن اللغة العربية أحسن اللغات صيَغًا وأساليب، وأتمها وأكملها نسقًا وتأليفًا، مع تسويغ استعمال النحت عند اقتضاء الضرورة.

ولو أن العرب الأولين شاهدوا البواخر وسكك الحديد وأسلاك «التلغراف» و«الغاز» و«البوستة»، ونحو ذلك مما اخترعه الإفرنج؛ لوضعوا له أسماء خاصة ناصة، فهم على هذا غير ملومين، وإنما اللوم علينا حالة كوننا قد ورثنا لغتهم، وشاهدنا هذا الأمور بأعيننا، ولم ننتبه لوضع أسماء لها على النسق الذي ألفته العرب، وهو الاختصار والإيجاز.

باني الهرم

سخر العلمَ ليبني آية ... فَوقَ شط النيل تبدُو كالعَلَمْ
هي ذكر خالد، لكنَّهُ ... عابسُ الوجه إذا الذكرُ ابتسمْ

كلُّ ما فيها على إعجازها أنها قبرٌ لجبَّار حُطَمْ
ليتَه سخَّرَ ما في عهده من قُوَى في غير تقديس الرِّمَمْ
من فنون أعجزتْ أطواقنا وعلوم عندها الفَهْمُ وَجَمْ
وبَنَانٍ مبدعات صَوَّرتْ أوْجُهَ العُذْرِ لعُبّادِ الصَّنمْ
أبدعتْ ما أبدعتْ ثم انطوتْ وعلى أسرارِها الدهرُ خَتَمْ

حافظ إبراهيم

أدب في المذهب، لا مذهب في الأدب

كان الأستاذ الكاتب البليغ الشيخ عبد العزيز البشري يطلع على قراء العربية في أيام شهر رمضان الماضي (عام ١٣٤٤) بفصول في مختلف المطالب الأدبية والاجتماعية، ثم عرض له في خلالها أن يستفتي بعض فحول الكتاب في هذا الذي يدعى أدبًا جديدًا، وكان الأستاذ الضليع محمد صادق عنبر، أحد أولئك المسئولين، فأجابه بالكتاب الآتي:

حضرة الأستاذ الكاتب الألمعي، العَلَم الشيخُ عبد العزيز البِشْري، حيّا اللَّه ما حنت عليه أناملك، ما أكرمه على الضاد وما أكرم الضاد عليه، فقد قرأت فيما قرأت من بلاغاتك كلمة أحلتَ بها سائلاً كريمًا على رأي هذا الضعيف، إلى جانب ثلاثة من أعيان البيان الذين يصفهم بعض أصحابنا بأنهم من شيوخ المدرسة القديمة؛ لأنهم هم يُحبون أن يوصفوا أبدًا بأنهم من فتيان المدرسة الجديدة.

وجوابي عما سأل، أني لا أعرف في الأدب مذهبًا جديدًا، وإنما أعرف من صفوة أدبائنا من دعوا إلى نسق يوزن فيه المعنى بمعياره، ويعتبر فيه اللفظ

بمقداره، ويتنزه به الكلام عن الفضول أيًّا كان مأتاه، ومردّ ذلك كله إلى الإبداع لا غير؛ فهو لا يبلغ أن يكون مذهبًا في الأدب، وإنما هو أدب في المذهب كما ترى.

ولكن آخرين جهلناهم قراء، فأرادوا أن نعرفهم كتابًا، أوّلوا هذه الدعوة على نحوٍ ما، فجعلوها عذرًا من جهلهم بالأدب العربي جملة وتفصيلًا، ثم قوي عندهم هذا العذر حتى عاد رأيًا.

وسرعان ما فتنهم ما رأوا، فبصرنا بهم وبين أنامل كل من يخط منهم مثل قرن الوعل، يحاول أن يضرب به في الجبل، ثم ما لبثنا أن سمعنا أن هناك مذهبًا جديدًا، وما هذا المذهب الجديد إلا أن يحيل هؤلاء هذه الفصحى عامية معربة...

لا بل هم يريدون العربية بلا قواعد ثابتة، لينحتوا لها من ملكاتهم قواعد متحركة، ويبغونها عوجًا؛ لأن هذه الملكات لا تستقيم إلا عليه، ويحبون أن تكون على عذبات ألسنتهم، وأسلات أقلامهم، كما تكون لعبة جديدة في أيدي صبية، وقصارى أمرهم أنهم يريدون أن يفصّلوا هذه اللغة على قياس آخر من خطرات أقلامهم، وهجسات أحلامهم، ويزعمون على هذا -والمصائب لا تأتي فرادى- أنهم يحررونها من رقها القديم!

فهل ترى ذلك بربك إلا مظهرًا من ضيق الذرع، وإلا فنًا من الذهاب بالنفس؛ وإلا ضربًا من جماح الفكر؟

وإلا فماذا يكون المصير إذا استحدث أهل كل قطر من الدنيا العربية عربيةً لهم، وصارت هذه تحت كل أفق مواضعةً واصطلاحًا بين من يظلهم، ثم انقطع ما بين هؤلاء جميعًا ومن يلونهم؟ إلا أن يكون لنا من كل جيل برج بابل، وأن تجتمع لنا على تتالي العصور عدة أبراج، ومن عجب أمر هؤلاء -وأمرهم عجب

كله- أنهم يحمسون لهذا الرأي وينضحون عنه، كأنما بلغ منه أن ينهض له ويحفل به!

أصحاب مذهب جديد في سياسة اللسان؟ نعم وإن في روسيا لإباحية؛ ولكنها مادية، وهي مذهب جديد أيضًا؛ ولكن في سياسة الاجتماع...

لقد كان في اللغة -منذ انشقت نبعتها عن عربي فصيح وعامي معرب- شيء من مثل هذا، ولكنه لم يكن نزاعًا، بل كان من أحد الجانبين اعترافًا بالعجز، ومن الجانب الآخر اعتزازًا بالقوة، ولا نعرف النقص في شيء، إلا إذا اعتبرت الكمال في شيء آخر.

فلا يحر سائلك الكريم، ولا يذهبن به الوهم إلى أن ثم نزاعًا بين مذهبين، أحدهما قديم والآخر جديد، فما هو نزاع، ولكنها أنات من سطوة الحق على الباطل.

فأما أن يكون للجماعة مذهب، فلا يقول بذلك إلا مَنْ لم ير في حياته موجة ضعيفة تتسحب على الشاطئ لترتد عنه، وهي بعدُ موجة ضعيفة، وهو أبدًا ذلك الشاطئ.

فلندعهم ينقطعون بإرادتهم من سلك التاريخ الأدبي، وإذا راب سائلك أنهم يكتبون بلغة لا هي عربية ولا هي إفرنجية، فلعل هذه السلالة تذهب بنسبها صُعدًا إلى الأنباط، فلقد كان هؤلاء بين العرب والعجم جنسًا لا يستقل بنفسه، ولا يلتحق بأحد الجنسين!

محمد صادق عنبر

الموازين العربية الدقيقة

من مقال للمسيو ابيه موريه، مدير رصد بورج بفرنسا،

نشرته صحيفة (بتي جورنال) الباريسية

أطال الأستاذ السر فلندرس بتري -عالم الآثار المعروف- فحص مجموعة موازين من الزجاج صنعها العرب في القرن الثامن للميلاد (الثالث الهجري)، فوجد أن فرق الخطأ في وزن الدراهم والدنانير لا يزيد على أربعة أجزاء من ألف جزء من الغرام.

ولم يقرب القرن الثامن من نهايته حتى عظمت دقة العرب في الأوزان، فإن ما عثر عليه الباحثون من أوزان ذلك القرن كان أقصى ما بينها من تفاوت لا يزيد على ثلث جزء من ألف جزء من الغرام، ولم يكن العرب ليستطيعوا أن يبلغوا هذا المبلغ من الدقة في صحة الوزن -على ما يقوله السر فلندرس بتري- إلا باستعمال أدق الموازين الكيماوية، وحفظها في أصلح أماكن الوقاية من تأثير العوارض عليها، كما يفعل أهل الفن في هذا العصر.

وللعلامة الخازن كتاب في الموازين وصف فيه (ميزان الماء) عند العرب وصفًا مفصلًا، وذكر فيه الأجسام الكثيفة مبينًا كثافتها بما لا يختلف عما هو معروف في العلوم الحاضرة، ومن ذلك أنه قال عن كثافة الرصاص أنها تقدر بـ: ١١,٣٣ والذي توصل إليه العلم الحديث أنها ١١,٣٥ فأنت ترى أن الفرق بين التقديرين لا يكاد يذكر.

ولست أجهل أن بعض المشتغلين بالكيمياء سيقولون: إن ما أثبته العرب في كتبهم لم يكن نتيجة أبحاث وتجاريب، وإنما وصلوا إلى تلك المعارف بطريق

الاتفاق؛ ولكن هذا الزعم لن يثير في نفسي شيئًا من الدهشة، فقد سبقهم على مثل هذا الزعم كثيرون غيرهم، حتى أن أعضاء المجمع العلمي الفرنسوي كانوا لا يُصدقون بسقوط الرجوم السماوية، ويعدّون ذلك حديث خرافة!

أقدم الخرائط الرمزية من اليمن

جاء في مجلة المقتطف (٦٩/ ٤٥٩) أن أقدم الخرائط الرمزية: خريطة محفورة على حجر من القرن التاسع قبل المسيح وُجد في بابل، ويظهر من شكلها أنها من جنوب بلاد العرب، مما يدلّ على قِدَم العمران هناك.

وقد ظن الدكتور ويدر أن خريطة الاصطخري -أول جغرافيي العربي- التي صنعها في القرن العاشر المسيحي بُنيت عليها، ومن المحتمل أيضًا أن بطليموس بنى خريطته عليها، في إيصاله إفريقية بآسيا عند الأوقيانوس الهندي.

حلب الشهباء واليمن

أكلّما وقعتْ عيني على بلد رَوّي جفونيَ منها عارضٌ هَتِنُ
أقمتُ -غير خليّ- في ذري جبل لا الأهل يؤنسني فيه ولا السكنُ

كأنما حدق الآرام ناعسةٌ والنرجس الغضُّ مشغوف به الوسَنُ
لم يُصبِ قلبيَ من ألحاظها حَوَرٌ ولا سيأتيَ منها منظرٌ حَسَنُ

كم وقفة ليَ بين الروض، أطرها دمعي، وأنشد قومي أيَّة ظعنوا
بكيت فيها حياةً كلها نصبٌ قضى بها ليَ دهرٌ كله إحَنُ

❁ ❁ ❁

بالله يا نسمات الروض هل بعثتْ فيك الشذا شاميَ الفيحاء أم عَدَنُ؟
هيَّجت وجدَ فتى لم يُدْم عَبرته منذ الطفولة إلا أنتِ والوطنُ
متى أرى الوطن المحبوبَ تمنعه هضمَ العدى: حلبُ الشهباء واليمنُ

الحوماني

❁ ❁ ❁

الرضا والزهد

روي عنه ﷺ، ما معناه أو كما قال: «**إن اللَّه بحكمته جعل الرَّوح والفرح في الرضا واليقين، والهمَّ والحزن في الشك والسخط**»[(١)].

وقال بعضهم: الراضي من لم يندم على فائت من الدنيا، ولم يتأسف عليها.

وكان عمر بن عبد العزيز يقول: «أصبحت ومالي سرور إلا مواقع القضاء».

وروي عنه ﷺ، لابن عباس حين أوصاه ما معناه -أو كما قال-: «**اعمل لله باليقين في الرضا، فإن لم يكن فإن في الصبر خيرًا كثيرًا**»[(٢)].

وفي الخبر أيضًا، ما معناه: «**من خير ما أعطي الرجل الرضا بما قسم له**»[(٣)].

---

(١) ضعيف الترغيب والترهيب؛ للألباني (١٠٦٤).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٦٣٠٣) بسند ضعيف، بلفظ: «**فإن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل، فإن لم تستطع فاصبر؛ فإن في الصبر على ما تكرهه خيرًا كثيرًا**».

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٠٥) بلفظ: «**وارض بما قسم اللَّه لك تكن أغنى الناس**»، وحسنه الألباني.

وسئل الشبلي عن الزهد، وعن حقيقته، فقال: «الزهد غفلة؛ لأن الدنيا لاشيء، والزهد في لا شيء غفلة».

محمود شكري الألوسي
أمثلة من زهده وأخلاقه

من كتاب أعلام العراق للأثري

قال الأب أنستاس ماري الكرملي يصف زهد عالم العراق السيد محمود شكري الألوسي رحمه الله: رأيته -بعد الاحتلال- يلبس حذاءً من أحذية جند الإنكليز، وكانت تباع رخيصة، فقلت له:

يا مولاي، أراك تلبس في رجلك ما لم يردْ أن يلبسه جند الإنكليز أنفسه، لضخامة هذه الأحذية، وشكلها الدميم، وللجلبة التي تحدثها إذا ما سار بها المرء.

قال: إني أقنع، بما بين يدي يقع. ولم يزد على هذا القدر.

وكان وصل على حالة قاصية من الحاجة إلى المال في عهد الاحتلال؛ لأن الأتراك كانوا قد أفقروا البلاد والعباد؛ فلما عرف ذلك المعتمد السامي (برسي كوكس) أهداه ثلثمائة دينار ذهبًا إنكليزيًا، وكلفني بتقديمها إليه، فلما أتيته بها رفض قبولها بتاتًا، وقال: خير لي أن أموت جوعًا من أنْ آخذ مالًا لم أتعب في كسبه.

فألححت عليه إلحاحًا مملًا مزعجًا، فأبى، وقال: لا تُكثر من إلحاحك لئلا أطردك من بيتي طردًا لا عودةَ إليه.

❊ ❊ ❊

إلا أن فاقته كانت وقرًا عليّ وعلى محبيه، وطلب إليّ بعض الأصدقاء أن أجد له منصبًا يثري منه، فتكلمت مع أولي الأمر، وتمكنت من أن يُعيّن قاضيَ قضاة المسلمين في العراق، فلما وقف على تنصيبه أبى، وقال لي: إن هذا المقام يستلزم علمًا زاخرًا، وذمةً لا غبار عليها، ووقوفًا تامًّا على الفقه، وأنا لا أشعر بذلك، ووجداني يحكم عليّ بأني غير متصف بالصفات المطلوبة لمن يكون قاضي قضاة المسلمين.

والخلاصة: كان الرجل آية في التواضع والفقر، كما كان آية في العلم والدين، وعاش مع ذلك سعيدًا، بل أسعد الناس؛ لأنه لم يكن يحتاج إلى أحد.

قلت: وقد وقع مثل ذلك للشيخ طاهر الجزائري مع خديو مصر عباس حلمي الثاني، وسأقصُّ قصته على قراء (الحديقة) فيما بعد.

محب الدين الخطيب

❊ ❊ ❊

روح الألوسي

ألا في سبيل اللّه روح الذي قضى ... كريمًا وأفنى أنفَس العمر هاديا

نعى البرقُ للأقوام علما وحكمة ... وللدين مشحوذَ الغِرارين ماضيا

غدا الزهدُ في أسماله وهو زائل ... وراح بمنسوج المحامد باقيا

تعرَّضتِ الدنيا له مستميلةً فآثر أخراه وأعرض نائيا
وقال لمعطيه الدنانير: عُدْ بها لصاحبها، إذ عزة النفس ماليا
هجرتك إن لم تُرجع المال هجرة بها لا ترى بيتي (أَنَسْتَاسُ) ثانيا
لأحوجُ للدينار مني مفيده إذا كان بالدينار يرمي المراميا

❁ ❁ ❁

فهل لرجال الدين يحذون حذوه لكيما يصونوا أوجهًا ونواصيا
أرى الدين بالأخلاق قام عموده وليس سوى الأخلاق للدين واقيا
فلا دينَ للمرء الذي ساء خلقه ولم يحمدوا منه التقى والمساعيا

عزُّ الدين عَلَم الدين

الألوسي والمنفلوطي

الليل بعد الراحِلَيْنِ طويلُ أو ما لصبغك يا ظلام نصولُ
يطوي الزمانُ النابغين فتنطوي لذهابهم أمم، ويهلك جيلُ
ولرب نعشٍ غاب في طيّاته فتحٌ أغر وموطن وقبيلُ
والناس أسياف: فمنها مغمدٌ صدئٌ، ومنها الصارم المسلولُ
في كل يوم للجزيرة كوكب يهوي، وسيف يعتريه فلولُ
قبرٌ بعاصمة الرشيد، وآخر في مصر حقّ ستوره التبجيلُ
بدرانِ قد بكر الأفول عليهما ولكل بدر طالعة وأفولُ
ومشيّعان إلى القبور بموكب يرتدّ عنه الطرف وهو كليلُ
فيه رعيل من ملائكة العلا ومن الجدود الأكرمين رعيلُ

عيسى وأحمد والكليم عصابة فيها الأمين المنتقى جبريلُ
ما للجزيرة؟ أين نور نبوغها؟ الزيتُ جفّ وأطفئ القنديلُ
بغداد شاكية ومصر مرنّة والشام حاسرة القناع ثكولُ
تلك الأقاليم الثلاثة واحد: بَرَدى، وشاطئ دجلة، والنيلُ
لا تنكروا حقَّ الحياة لأمّة فيها النبوغ على الحياة دليلُ
لم تخبُ أنوار النبوغ وإنما مرعى النوابغ في البلاد وبيلُ
ما قلّ فينا النابغون وإنما عدد الألى قدره النبوغ قليلُ

بدوي الجبل

حِكَم

* ثمرة الأدب العقل الراجح، وثمرة العلم العمل الصالح.
* حفظ الصحة أيسر من علاج العلة.
* أوجع الضرب ما لم يكن معه البكاء.
* من الناس من إذا ولي عزلته نفسه، ومنهم من إذا عزله ولاه فضله.
* الدنيا كالحية: ليّن لمسها، قاتل سمها.
* طوبى لمن كان بصره في قلبه، والويل لمن كان قلبه في بصره.
* الحب الذي تغسله العيون بدموعها يظل أبدًا طاهرًا وجميلًا.
* حياتنا أحلام تنتهي برقاد الموت.

التضحية
تحليل فلسفي للتضحية ونتائجها

للدكتور عبد العزيز بك أحمد

ناظر مدرسة الهندسة الملكية بالقاهرة

اطلعتُ أخيرًا في إحدى الجرائد العربية على خبر مؤداه أنه قد عُملت تجارب علمية على بعض النباتات والأحياء الدنيا، بأن وُضعت في ماء رُفعت حرارته تدريجيًّا، فلما وصلت الحرارة إلى درجة معينة انبعث منه تيار كهرباء، وانتشر في ذلك الماء، وفي الوقت عينه ماتت جرثومة الحياة فيه.

لم يصل إلى علمي للآن بيانات تفصيلية عن هذه التجارب، ولا أُريد أن أستنتج منها أن هناك علاقة بين الكهرباء وأصل الحياة، فنحن وإن عرفنا الشيء الكثير عن الكهرباء، فإن معلوماتنا عن سر الحياة لا تزال ناقصة، ولم يقم للآن ما يثبت إمكان تولد الأحياء من غير الأحياء ولكن التجارب المذكورة على إجمالها تعزز فكرة كانت قائمة في ذهني من زمن -وإن كنت لا أتذكر أصلها أو مصدرها-، وهي أن الروح لا تفنى من الوجود؛ ولكنها تتحول من حال إلى حال طبقًا لقانون طبيعي عام، وهو قانون «خلود الجهد» الذي نشرحه فيما يلي:

يقرر هذا القانون أن الجهد لا يفنى من الوجود؛ بل يتحول من نوع إلى آخر، فإذا اختفى في الظاهر نوع من الجهد، فلابد أن يظهر في شكل آخر من أشكاله المختلفة.

لا نعرف حقيقة الجهد بالضبط، ولذلك التجأ الطبيعيون إلى تعريفه بفعله ونتائجه، فيقولون إنه المقدرة على العمل، وهو يظهر في أشكال مختلفة؛ كالحرارة، والكهرباء، والضوء، والجهد الكيماوي، وجهد الحركة.

ويمكن تحويل هذه الأنواع بعضها إلى بعض، ولنضرب لهذا مثلًا، حرارة الشمس تقع على الأرض فتمتصها الأشجار، فتستحيل فيها إلى جهد كيماوي، ثم يأتي زلزال فيدك الأشجار إلى باطن الأرض، فتتغير بالضغط وبمرور الأجيال إلى فحم.

فإذا احترق الفحم في مرجل آلة بخارية متصلة بمولّد كهربائي، تحولت حرارته إلى حركة ثم إلى كهرباء تضاء بها الأنوار وتدار الآلات.

ففي هذا المثل انتقل في الجهد سلسلة من التحولات من حرارة الشمس، إلى الجهد الكيماوي المكنون في الفحم، فإلى الحرارة ثانيًا حالة مركزة، ثم إلى جهد الحركة، فإلى الكهرباء، فإلى الضوء، أو الحركة ثانيًا، وهو هو الجهد الأصلي بعينه امتصه النبات في المبدأ من حرارة الشمس في الأزمان الغابرة.

كذلك الروح التي تفنى في الظاهر في خدمة أمة أو جامعة، لا تنعدم من الوجود، وإنما تتحول إلى حياة أوسع نطاقًا متى خرجت من الجسد الضيق المحدود، وتنتشر في جسم تلك الأمة أو الجماعة، فتزيدها حياة ونشاطًا.

إن التاريخ حافل بالأمثلة التي تبين أن نهضات الأمم وحياتها لا تقوم إلا على التضحيات التي يبذلها أبناؤها في خدمتها، وفي رفعة شأنها -صغيرة كانت أو كبيرة-، فهي قوتها وغذاؤها، وكأنما كل نفس تفنى «باختيارها» في سبيل المنفعة العامة، فتبعث حياة جديدة، فيما فنيت لأجله، وكل ما يضحيه الفرد من حياته، ويكرسه من وقته في خدمته، يذهب لبناء كيانها ومجدها، وعلى قدر قيمة التضحية وعظمتها تكون النتيجة في حياة الأمة وسعادتها، وليس أدل على مجد أمة من معرفة عدد الضحايا التي بذلها أبناؤها في سبيل رقيها ومجدها.

إن التاريخ عظمة الأمم ليس مسطورًا على الصخور في المعابد، والكهوف، ولا على أوراق البردي، وصفحات الأسفار؛ بل هو منقوش على

هامات الأجساد التي تبذل في خدمتها، فمن اختراع جم الفوائد أفنى فيه صاحبه حياته كلها أو جلها، إلى نظرية علمية أنارت الأفكار، وبددت الأوهام، إلى مبدأ اجتماعي أو ديني استشهد صاحبه في سبيل نصرته، إلى عمل أو دفاع وطني لقي القائم به حتفه في تنفيذه، إلى قصيدة بالغة مؤثرة ذابت في إنشائها مهجة ناظمها.

إن القطعة الموسيقية البارعة تبدو لنا غريبة لأول وهلة، ثم تألفها آذاننا كلما كثر سماعنا لها، فنزداد شغفًا بها[1]، وقد سمعت تاغور شاعر الهند يقول: إن الذي يُطربنا من الموسيقي ليس تلاؤم نغماتها، بل ما نفخ فيها واضعها الأصلي من روحه، وكلما ازداد سماعنا لها اشتدت الألفة بين روحه وأرواحنا.

وعلى هذا النحو تتخذ التضحية أشكالًا مختلفة الوجوه والغايات، فتذهب جميعها لبناء حضارة الأمم بما تبث فيها من يقظة ورفعة.

ألم يكن في موت مصطفى كامل حياة لمصر، وفي جهاد زغلول ورفقائه تحرير لها، وأخيرًا، وليس آخرها، ألم تبعث في هذه الأمة أرواح شهداء الحرية -الطلبة الأبرار- روحًا وطنية جديدة.

لقد كتب هؤلاء -جميعهم- في تاريخ مصر الحديث صحيفة مجيدة خالدة تفاخر بها كلَّ الأمم، وتلقيها دروسًا على أبنائنا وأحفادنا، فتدفعنا جميعًا إلى العمل بإخلاص وإنكار الذات، وتأدية الواجب مهما أحاط به من الصعوبات والتضحيات.

---

(١) الموسيقى محرمة، ولا خير فيها، وهي تصد عن ذكر الله، فليُنزه المسلم الموفق سمعه عنها. (س).

الرُشد

قال عبد اللّه بن المعتز العباسي:

أخـذتْ مـن شـبـابـي الأيـامُ وتولى الصِّبا عليه السلامُ
وارعوى باطلي وبان حديث النـ ـفس مني وعفّت الأحلامُ

صبا نجد

ألا يا صَبا نجدٍ متى هجتَ من نجد فقد زادني مسراك وجدًا علي وجد
أإن هتفت ورقاء في رونق الضحى على غصن غضّ النبات من الرند
بكيتُ كما يبكي الوليد صبابة وذُبت من الحزن المبرِّح والجهد
وقد زعموا أن المحبَّ إذا دنا يملّ وأن النأي يشفي من الوجد
بكلٍّ تداوينا فلم يشف ما بنا على أن قُرب الدار خير من البعد
على أن قرب الدار ليس بنافع إذا كان من تهواه ليس بذي وُد

يزيد بن الطَّثَرِيّة

أم الخير ابنة الحريش

نقل عبد اللّه بن عمر الغساني عن الشعبي: أن معاوية رضي الله عنه كتب إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير ابنة الحريش، وأعلمه أنه مجازيه بالخير خيرًا، وبالشر شرًّا، بقولها فيه.

فلما ورد عليه كتابه، ركب إليها فأقرأها كتابه.

فقالت: وأما أنا فغير زائغة عن طاعته، ولا معتلة بكذب، ولقد كنت أحب لقاءَ أمير المؤمنين لأمور تختلج في صدري.

فلما شيعها وأراد مفارقتها قال لها: يا أم الخير، إن أمير المؤمنين كتب إلي أنه مجازيني بالخير خيرًا، وبالشر شرًّا، فما عندك؟

قالت: يا هذا، لا يطمعك برك بي أن أسرك بباطل، ولا يسوؤك معرفتي بك أن أقول فيك غير الحق.

فسارت خير مسير، حتى قدمت على معاوية، فأنزلها مع الحُرم، ثم أدخلها في اليوم الرابع وعنده جلساؤه.

فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة اللّه وبركاته.

قال لها: وعليك السلام يا أم الخير، بحق ما دعوتني بهذا الاسم؟

قالت: يا أمير المؤمنين لكل أجل كتاب.

قال: صدقت. فكيف حالكِ يا خالة، وكيف كنتِ في مسيرك؟

قالت: لم أزل يا أمير المؤمنين في خير وعافية حتى صرت إليك، فأنا في مجلس أنيق، عند ملك رفيق.

قال معاوية: بحسن نيتي ظفرت بكم.

قالت: يا أمير المؤمنين، يعيذك اللّه من دحض المقال وما تُخشى عاقبته؟

قال: ليس هذا أردنا. أخبريني كيف كان كلامك إذ قُتل عمار بن ياسر؟

قالت: لم أكن زوّرته قبلُ ولا رويته بعدُ، وإنما كانت كلمات نفثها لساني عند الصدمة، فإن أحببتَ أن أحدّثك مقالا غير ذلك فعلت.

فالتفت معاوية إلى جلسائه، فقال: أيكم يحفظ كلامها؟

فقال رجل منهم: أنا أحفظ بعضه يا أمير المؤمنين.

قال: هات.

قال: كأني بها بين بُردين كثيفي النسيج، وهي على جمل أرمك، وبيدها سوط منتشر الضفيرة، وهي كالفحل يهدر في شقشقته، تقول: يا أيها الناس، اتقوا ربكم، إن زلزلة الساعة شيء عظيم. إن اللَّه قد أوضح لكم الحق وأبان الدليل، وبيَّن السبيل، ورفع العلم، ولم يدعكم في عمياء مدلهمة، فأين تريدون رحمكم الله؟ أفرارًا من أمير المؤمنين، أم فرارًا من الزحف، أم رغبة عن الإسلام، أم ارتدادًا عن الحق؟ أما سمعتم اللَّه جل شأنه يقول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ﴾.

ثم رفعت رأسها إلى السماء، وهي تقول: اللهم قد عيل الصبر، وضعف اليقين، وانتشرت الرغبة، وبيدك يا رب أزمة القلوب، فاجمع اللهم بها الكلمة على التقوى، وألّف القلوب على الهدى، واردد الحق إلى أهله، هلموا رحمكم اللَّه إلى الإمام العادل، والرضي التقي، والصدّيق الأكبر، إنها إحن بدرية، وأحقاد جاهلية، ذئبها واثب حين الغفلة ليُدرك ثارات بني عبد شمس.

ثم قالت: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾. صبرًا يا معاشر المهاجرين والأنصار، قاتلوا على بصيرة من ربكم، وثبات من دينكم، فكأني بكم غدًا وقد لقيتم أهل الشام كحُمُر مستنفرة، فرت من قسورة، لا تدري أيًا يُسلك بها من فجاج الأرض، باعوا الآخرة بالدنيا، واشتروا الضلالة بالهدى، وعما قليل ليصبحن نادمين، حين تحيل بهم الندامة، فيطلبون الإقالة، ولات حين مناص، إن من ضل والله عن الحق وقع في الباطل، ألا إن أولياء اللَّه تصغروا عمر الدنيا فرفضوها، واستطابوا الآخرة فسعوا لها.

فالله اللَّه أيها الناس قبل أن تبطل الحقوق، وتُعطل الحدود، وتقوى كلمة الشيطان، فإلى أين تريدون رحمكم اللَّه عن ابن عم رسول اللَّه ﷺ وصهره وأبي سبطيه، خُلق من طينته، وتفرَّع من نبعته، وجعله باب دينه، وأبان ببغضه المنافقين؟

وهاهو ذا مفلق الهمام، ومكسر الأصنام، صلى والناس مشركون، وأطاع والناس كارهون، فلم يزل في ذلك حتى قتل مبارزيه، وأفنى أهل أُحد، وهزم الأحزاب، وقتل اللَّه به أهل خيبر، وفرّق به جمع أهوائهم، فيالها من وقائع زرعت في القلوب نفاقًا، ورِدّة وشقاقًا، وزادت المؤمنين إيمانًا، قد اجتهدتُ في القول وبالغت في النصيحة، والسلام عليكم ورحمة الله.

فقال معاوية: يا أم الخير ما أردت بهذا الكلام إلا قتلي، ولو قتلتكِ ما حرجت في ذلك.

قالت: والله ما يسوؤني أن يجري قتلي على يد من يُسعدني اللَّه بشقائه.

قال: هيهات يا كثيرة الفضول. ما تقولين في عثمان بن عفان رحمه الله؟

قالت: وما عسيت أن أقول في عثمان، استخلفه الناس وهم به راضون؛ وقتلوه وهم له كارهون(١).

قال معاوية: يا أم الخير ثناؤك الذي تثنين؟

قالت: لكن -والله يشهد وكفى بالله شهيدًا- ما أردت بعثمان نقصًا، وقد كان سابقًا إلى الخير، وإنه لرفيع الدرجة غدًا.

قال: وما تقولين في الزبير؟

---

(١) هذا من الكذب؛ لأن الذين كرهوه ثم قتلوه رضي الله عنه هم كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «طائفة من المفسدين في الأرض من أوباش القبائل وأهل الفتن». «منهاج السنة» (٤/ ٣٢٣). وانظر للمزيد: «فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وموقف الصحابة منها»؛ للدكتور علي الصلابي.

قالت: وما أقول في ابن عمة رسول اللَّه ﷺ وحواريه، وقد شهد له رسول اللَّه ﷺ بالجنة، وأنا أسألك بحق اللَّه يا معاوية -فإن قريشًا تحدثت أنك أحلمها- أن تعافيني من هذه المسائل، وتسألني عما شئت في غيرها.

قال: نعم ونعمة عين، قد أعفيتك منها.

ثم أمر لها بجائزة رفيعة، وردّها مكرمة إلى الكوفة، وبقيت في عزّ إلى أن توفاها الله.

❃ ❃ ❃

قلتُ: وفي هذه القصة من عبر التاريخ ما يجدر بشبابنا أن يطيلوا التأمُّل فيه، ويتخذوه درسًا في التربية السياسية.

انظر إلى أم الخير يوم كانت الحرب قائمة بين زعيمي الأمة، كيف وقفت حياتها، وصرفت بلاغتها لتأييد الفريق الذي كانت تؤمن بأنَّ الحق في جانبه، حتى إذا انقضت تلك المواقف، وعاد السيف إلى قِرابه، واستتب الأمر للفريق الذي لم تكن في جانبه، فانضوت البلاد تحت لوائه، وسارت جيوشه في البر، وأساطيله في البحر؛ لتوسيع دائرة ذلك المُلك، وحمل الدعوة الإسلامية إلى أمم الشرق والغرب، أدركت أم الخير بفطرتها الطاهرة أن لها في هذه الحالة الجديدة موقفًا غير ذلك الموقف القديم، فأطلقت على معاوية في حضرة والي الكوفة لقبَ «أمير المؤمنين»، وأعلنتْ أنها غير زائغة عن طاعته، ولا معتلّة بكذب.

ولما صارت بين يدي صاحب (الدار الخضراء) في دمشق[1]، كان أول ما خاطبته به قولها:

---

(١) الدار الخضراء: قصر الخلافة بدمشق، وكانت متصلة بالجدار القبلي من مسجد بني أمية في مكان الصاغة والقباقبية وحارة النقاشات الآن، وفي بقعة منها توجد اليوم (المصبغة الخضراء).

السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة اللّه وبركاته، ثم لما راجعها معاوية في ذلك، قالت: لكلّ أجلٍ كتاب.

ولا يحسبن القارئ أن موقفها في الكوفة وفي دمشق من مواقف المَلَق أو الرياء، فأمُّ الخير أكبر من ذلك، وكانت -وهي في جيش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه- آلت على نفسها أن تضحّي بحياتها في سبيله، وخطبتها في هذه أكبر شاهد، بل أكبر من ذلك شاهدًا أن معاوية لما أراد أن يداعبها بالذكريات الماضية ويكشف عما في نفسها من ذلك، كانت صريحة في أنها لا تزال هي هي لم تتغير، ولكن لما تغير الموقف وصار الأمر لصاحب (الدار الخضراء)، يتولى تسيير الجحافل من عاصمة الشام، وتجهيز الأساطيل من سواحلها، لإعلاء كلمة اللّه وتنوير الأرض بنور الهداية الإسلامية، وتوسيع رقعة الدولة العربية، أدركت أم الخير بفطرتها وفطنتها أن زمن الفرقة قد انقضى بما له من نتائج، مهما كانت، وأن على المرء المسلم، والمرأة المسلمة أن يكون كلٌ منهما جنديًا بيد القائم بإمارة المؤمنين، يصرفه للمصلحة العامة كيف يشاء، لذلك هي آلت على نفسها ألّا تكون زائغة عن طاعته، ولا معتلة بكذب.

تلك هي الروح التي بثها «دينُ التوحيد» في أجساد رجال تلك الأمة ونسائها، فكانوا إذا رأوا «الوحدة» في اليوم الأبيض، كان الواحد منهم صخرة في بنيانها، وإذا وقعت الفرقة في اليوم الأسود، التحق بعضهم بالجانب الذي يعتقد أن فيه الحق، بعد استنفاد الجهد في السعي لإصلاح ذات البين، وآثر البعض الآخر أن يعتزل الفتنة، وأن يعتصم منها ولو بشناخيب الجبال.

محب الدين الخطيب

الزبير بن العوام ابن عمة رسول الله ﷺ

أقام على عهد النبي وهديهِ حواريُّه والقول بالفعل يعدل
أقام على منهاجه وطريقه يوالي وليَّ الحق والحق أعدل
هو الفارس المشهور والبطل الذي يصول إذا ما كان يوم محجل
إذا كشفت عن ساقها الحرب حشها بأبيض سبَّاقٍ إلى الموت يرفل
وإن امرَءًا كانت صفيةُ أمه ومن أسدٍ في بيتها لمرفل
له من رسول اللَّه قربى قرابة ومن نصرة الإسلام مجدٌ مؤثل
فكم كربة ذَبَّ الزبير بسيفه عن المصطفى والله يعطي فيُجزل
فما مثله فيهم ولا كان قبله وليس يكون -الدهرَ- ما دام يذبل

حسان بن ثابت

❑ تعليقات على شعر حسان ❑

١- روي عن جابر قال: قال النبي ﷺ يوم بني قريظة: «من يأتيني بخبر القوم؟» فانتدب الزبير، فقال النبي ﷺ: «إن لكلّ نبي حواريًّا، وحواريي الزبير»[(١)].

وروى الحاكم[(٢)]، من طريق عاصم، عن زر، قال: قيل لعلي: إنَّ قاتل الزبير

(١) أخرجه البخاري (٤١١٣).
(٢) في المستدرك (٥٥٧٩).

بالباب. قال: «ليدخل قاتل ابن صفية النارَ. سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**إن لكل نبي حواريًّا، وإن حواريي الزبير**» ».

٢- قال عروة: كان في الزبير ثلاث ضربات بالسيف، كنت أدخل أصابعي فيها: ثنتين يوم بدر، وواحدة يوم اليرموك.

وكانت على الزبير يوم بدر عمامة صفراء معتجرًا بها، فقال النبي ﷺ: «**إن الملائكة نزلت على سيماء الزبير**»(١).

٣- أم الزبير صفية بنت عبد المطلب بن هاشم القرشية عمة رسول اللّه ﷺ، وشقيقة حمزة، أمها هالة بنت وهب خالة النبي ﷺ.

وزوجها العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزَّى بن قصي، فالزبير من أسد في بيتها وعمود نسبها.

وكانت صفية تُحسن تأديب ابنها الزبير في صغره، وتُغلظ عليه، فعاتبها عمه نوفل بن خويلد، وقال لها:

إنك لتضربينه ضرب مبغضة؟

فزجرت به صفية وقالت:

من قال إني أبغضهْ فقد كذبْ — وإنما أضربهُ لكي يَلِبْ
ويهزم الجيش ويأتي بالسَّلَبْ — ولا يكن لماله خبأ مخبْ
يأكل ما في البيت من تمر وحبْ

أي: أنها تريد أن تجعله لبيبًا حكيمًا شجاعًا، ذا رُجولة ومروءة، ولا تريد أن يكون قعيد بيته كالمرأة، فيأكل ما في البيت من مئونة حصلها غيره.

---

(١) الطبراني في الكبير - بنحوه - (٢٣٠).

ومن مناقبها العجيبة أن النبي ﷺ لما جعل نساءه يوم حرب الخندق مع حسان بن ثابت في أطمه الذي يُقال له (فارع) -وكان حسان رجلَ شعر، لا رجل حرب-، جاء رجل من اليهود فرقى الأطم حتى أطلَّ على نساء النبي ﷺ، فقالت صفية لحسان: قم فاقتله.

فهاب حسان الأمر، وقال: لو كان ذلك فيَّ لكنت مع رسول اللّه ﷺ.

فقامت صفية؛ فأخذت عمودًا فضربت به اليهودي حتى قتلته، ثم طرحته على قومه، وهم أسفل الأطم، فقالوا:

قد علمنا أن محمدًا لم يكن ليترك أهله خلوًا ليس معهم أحد، فتفرّقوا عن ذلك الموضع[1].

وصفية أول امرأة مسلمة قتلت رجلًا من محاربي الدعوة الإسلامية.

ولما انهزم المسلمون في يوم أُحد، جاءت صفية وبيدها رمح تضرب في وجوه المنهزمين، فنادى النبي ﷺ: **«يا زبير، المرأة...»**[2].

ومن شعرها ترثي النبي ﷺ:

إن يومًا أتى عليك ليومٌ   كوّرت شمْسُه، وكان مضيئا

٤- أسلم الزبير وله اثنتا عشرة سنة، وكان عمه يلفه في حصير، ويُدخن عليه ليرجع إلى الكفر، فيقول: لا أكفر أبدًا.

والزبير أول رجل سلّ سيفًا في الإسلام، فقد شاع في مكة -والدعوة

---

(١) الطبقات الكبرى؛ لابن سعد (٨/ ٤١)، بسند منقطع. وهي قصة مكذوبة، فيها قدحٌ بصحابي جليل كحسان بن ثابت ﷺ. انظر لنقدها تفصيلًا: كتابي «حسان بن ثابت لم يكن جبانًا». (س).

(٢) الطبراني في الكبير - بنحوه - (٢٣٠).

الإسلامية في بدايتها- أن النبي ﷺ قُتل فخرج الزبير متجرّدًا بالسيف صلتًا يشق الناس بسيفه، والنبي ﷺ بأعلى مكة.

ومناقب رجال ذلك العهد ونسائهِ أعظم من أن تُحصى.

حِكم

* خير الغِنَى القنوع.
* خير المال ما نفع.
* خير من الخير فاعله.
* خير الناس من فرح للناس بالخير.
* خير الوعظ ما ردع.
* لا خير في السرف. ولا سرَف في الخير.
* الأدب مال واستعماله كمال.
* أول الغضب جنون وآخره دم.

طلب المعالي

يُنسب إلى إبراهيم بن عبد اللَّه بن الحسن المثنى بن الحسن السبط رضي الله عنهم:

قاتلْ فإنك لو تكون بدومة ... في رأس قلة حصنها لم تخلدِ
واجرؤ على الجُلّي تكنْ من أهلها ... يومًا وأذْكِ سناءها لا تخمدِ

الدنيـا

يقول القاهر بالله أبو منصور الخليفة العباسي:

كلُّ صفو إلى كدرْ ... كل أمر إلى حذرْ
أين من كان قبلنا؟ ... ذهب الشخص والأثرْ

العصفور

ساكنَ الأغصانِ غَرِّدْ ... للمُنى شِعرًا وغَنِّ
صَوْتُكَ الصدَّاحُ سِحْرٌ ... يطردُ الأحزانَ عني

أنتَ لا تخْشى همومًا ... أنتَ تحيا في اجتهادْ
تُبصرُ الدُّنيا نعيمًا ... لم يُنغِّصْ بحدادْ

كُلُّ ما فيها جميلٌ ... طالما لم تَلْقَ أسْرا
كل ما تهوى خليلٌ ... صادقٌ لا مُلْك كِسْرى

أنتَ عنوانُ المعالي ... أنتَ رمزٌ للوفاءْ
بالوُجودِ الحُرِّ غالي ... بالتَّسامي والإِباءْ

تُنفق العُمْرَ مُجِدًّا ... دون أن تَنسى القناعَهْ

لا تــرى عَــمًّــا وجَــدًّا رُكْــنَ مَــجْــدٍ أو بَــراعــهْ

❋ ❋ ❋

ســاكــنَ الأغــصــانِ غــرِّدْ صَــفْــوَ مــا يَــهْــوَى الــربــيــعْ
أعــطــنــي درسًــا شــهــيًّــا يُــنْــعِــشُ الــقــلــبَ الــسَّــمِــيــعْ

أبو شادي

سبيل الحياة

قال مَروانُ بن الحكم:

وهل نحن إلا مثل من كان قبلنا نموت كما ماتوا ونحيا كما حَيُوا
ويـنـقـص مـنـا كـلّ يـوم ولـيـلـة ولابد أن نلقى من الأمر ما لقوا

الشيب

قال المستنجد بالله الخليفة العباسي:

عيّرتْني بـالـشـيـب وهـو وَقـارُ لـيـتـهـا عـيّـرت بـمـا هـو عـارُ
إن تكن شابت الذوائب مني فـالـلـيـالـي تَـزيـنـهـا الأقـمـارُ

ثورة معرة النعمان سنة ٤١٧هـ، وحضور أمير حلب للتنكيل بأهلها ثم رجوعه بشفاعة أبي العلاء

أورد العلامة المحقق الأستاذ الشيخ عبد العزيز الميمني الراجكوتي في كتابه «أبو العلاء وما إليه» (ص٢٣٨ - ٢٤٠) خبر هذه الثورة، نقلًا عن أبي غالب بن مهذب المعري، والقفطني، والذهبي، فاقتبسناها فيما يلي من مجموع هذه الروايات التي يُكمل بعضها بعضًا:

في سنة ٤١٧هـ، صاحت امرأة حامل يوم الجمعة في جامع المعرة، وذكرت أن صاحب الماخور[1] أراد أن يغتصِبها نفسها، فنفر كل من في الجامع، وهدموا الماخور؛ وأخذوا خشبة ونهَبوه.

وكان أسد الدولة صالح بن مرداس الكلابي صاحب حلب في نواحي صَيْدا، فوصل إلى المعرة، واعتقل من أعيانها سبعين رجلًا، وذلك برأي وزيره تادرس بن الحسن الأستاذ النصراني، الذي أوهمه أنَّ في ذلك إقامةً للهَيْبة، وقطع تادرسُ عليهم ألفَ دينار.

ولما نزل صالح بن مرداس على معرّة النعمان مُحاصرًا لها، ونصب عليها المناجيق، واشتدّ في الحصار لأهلها، جاء أهل المدينة إلى الشيخ أبي العلاء - لعجزهم عن مقاومة الأمير لأنه جاءهم بما لا قِبَلَ لهم به- وسألوا أبا العلاء تلافي الأمر، بالخروج إليه بنفسه، وتدبير الأمر برأيه: إمّا بأموال يبذلونها أو

(١) مجمع الفساق والخمارين، معرّب مي خور فارسية، بمعنى شارب الخمر، وقيل: عربية؛ لتردد الناس به، من مخر السفينة، كما قاله ثعلب، وجمعه مواخير ومواخر.

طاعة يعطونها، فخرج ويده في يد قائده، وفُتح له بابًا من أبواب معرّة النعمان، وخرج منه شيخ قصير يقوده رجل، فقال صالح:

هو أبو العلاء، فجيئوني به.

فلما مَثلَ بين يديه، سَلم عليه، ثمّ قال:

«مولانا السيد الأجل، أسد الدولة ومقدَّمُها، وناصحها، كالنهار الماتع اشتدَّ هجيرُه، وطابَ أبرادُه، وكالسيف القاطع؛ لأن صفحهُ وخَشُنَ حَداه، ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾».

فقال صالح: لا تثريب عليكم اليوم، قد وهبتُ لك المعرّة وأهلها.

ثم قال لأبي العلاء: أنشِدْنا شيئًا من شعرك لنرويه.

فأنشده بديهًا أبياتًا فيه.

ولم يعلم أبو العلاء أن المال قد قُطع عليهم، وإلا كان قد سأل فيه.

وأمر صالح بن مرداس بتقويض الخيام، فنقضت ورحل. ورجع أبو العلاء وهو يقول[١]:

نَجّى المعرّةَ من بَراثن صالح ... رَبٌّ يُعافي كلَّ داء مُعْضل
ما كان لي فيها جَناحُ بعوضَة ... اللهُ أَلْحَفَهم جَناحَ تفضُّل

ثم قال الشيخ أبو العلاء بعد ذلك شعرًا، وهو[٢]:

تغيّبتُ في منزلي بُرْهةً ... ستيرَ العيون فقيدَ الحسدْ

---

(١) البيتان في لزوم ما لا يلزم (٢/ ٢-٣ وقبلهما):

آليت أرغب في قميص مموء ... فأكون شارب حنظل من حنضل

والحنضل الماء المجتمع في نقر الصخور.

(٢) لزوم ما لا يلزم ٢٤١: ١ .

فلما مضى العمر إلَّا الأقل وحُمَّ لروحي فراقُ الجسدْ
بُعثتُ شفيعًا إلى صالح وذاك من القوم رأيٌ فَسَدْ
فَيَسْمَعَ منِّيَ سجع الحمام وأسمعَ منه زئيرَ الأسدْ
فلا يُعْجِبَنِّيَ هذا النِفَاق فكم نفّقت مِحْنة ما كَسَدْ

وذكر أبو العلاء هذه القصّة في لزومه فقال:

أتت جامعٌ يوم العَروبة جامعًا تَقصّ على الشُّهّاد بالمصر أمرَها
فإن لم يقوموا ناصرين لصوتها لَخِلتُ سماءَ اللَّه تُمْطِر جَمْرَها
فَهدّوا بناءً كان يأوي فِناءه فواجرُ ألقتْ للفواحش خُمْرَها
وزامرةٌ ليست من الرُّبْد خَضّبت يديْها ورِجْلَيْها تنفِّق زَمْرَها
ألِفنا بلادَ الشام إلفَ وِلادة نُلاقِي بها سُوْدَ الخطوب وحُمْرَها
فطوْرًا نُدارِي من سُبيعةَ ليثَها وحينًا نُصادِي من ربيعة نُمْرَها

❁ ❁ ❁

وَدِدت بأنّي في عَمايةَ فاردٌ تُعاشرني الأرْدَى فأكرَه قمرها
فإني أرى الآفاق دانت لظالم يَغُرُّ بغاياها ويشرب خمرها
ولولا أصول في الجياد كوامنٌ لما آبت الفرسانُ تَحْمَد ضمْرَها

ولعل البيتين الأخيرين ينظران إلى تادرس الوزير، فإنه لم يَهْجُ صالحًا.

ولمَّا ردَّه صالح بالإكرام، وإنجاح المرام، لهِجَ به في شعره، فقال في لزوم ما لا يلزم:

ما لمتُ في أفعاله صالحًا بل خِلْتُه أحسنَ مني ضميرْ
يا قومِ لو كنتُ أميرًا لكم ذممتم في الغيب ذاك الأميرْ
وإنما سائسكم دائبٌ يرعى المطايا ويسوق الحميرْ

أنا ونفسي

لمصطفى صادق الرافعي

أعْنتُّ نفسي حتى مضَّها السَّأَمُ ... وكدَّها عمُرٌ في الجِدّ ينصرمُ
قالت تُحاوِرُني: يا ويحَ قلبِكَ مِن ... قلب بني ما بناه وهو ينهدمُ
أذابَ أكـثـرَه إبـداعُ أيـسـرِه ... كالسنّ من قلم فيه انبرى القلمُ
مقيَّدٌ في وثاقٍ من خلائقه ... فـمـا لـه لـذَّةٌ إلا لـهـا ألـمُ
يُناشِدُ المثَلَ الأعلى وفيه إلى الْـ ... أدنى مُجاذَبةٌ ما دام فيه دمُ
يا مُفنيَ العمر في التفتيش عن حُلُم ... لو كان يُدرك ما كان اسمَه الحُلمُ
ما لذَّة العيش إمَّا كنتَ مقتسمًا ... ففيك قاض وسجَّانٌ ومتَّهَمُ
دأبًا تظلُّ سجينًا لا انطلاق لهُ ... ما دام للعقل قاضٍ فيك يحتكمُ
إن الصبيّ صبيٌّ في طبائعه ... فالنهيُ والأمر في أخلاقِه هرمُ
والقيدُ قيدٌ وإن قالوا اسمُه خلُقٌ ... والهمُّ همٌّ وإن قالوا اسمُه همُمُ
كم لفظةٍ في لغاتِ الناس مجرمةٍ ... لو حاكموها أماتوها وما رحموا
ففي القبور لسفَّاكي الدما رِممٌ ... وللشهامة في أجداثها رِمَمُ
موْتى كموتي فلا زادوا ولا نقصوا ... وإن تكن قتلت أحداهما الذممُ
واثنان لصَّانِ في الأموال قد رتعا ... اللصُّ تعرفه والآخر... الكرمُ
فقلت للنفس تأساءً وتعزيةً ... إن الصواعق مما تجلب الدِّيمُ

❁ ❁ ❁

يا نفسُ ويحك ما في السهم من قممٍ ... وإنما شخمتْ في طوْدها القِمَمُ
من كان في نفسه أرضًا مُوَطَّأةً ... تَطاُهُ من كل شيء حولهُ قَدمُ
ومن تكن نفسه بحرًا -تُرَجْرجُهُ ... أمواجُهُ- لم يزل يَدْوي ويلتطمُ

ومن يكن طاميَ البركان منفجرًا ... فَوَّارُهُ طاش منهُ الجمر والحُممُ
الخُلقُ ما الخُلقُ إلا ما ينوعهُ ... في الناس من دهرهم ما شاءت الحِكَمُ
منهم زجاجٌ ومنهم جَنْدَلٌ عَسِر ... فحاطمٌ -في تلاقيهم- ومنحطمُ
حالٌ تلائم حالًا في مناسبة ... والضد ليس بغير الضد يلتئمُ
إن لم يكن عندهم لوحُ الوجود فما ... عساك تحسبهم في اللوح قد رسموا
هي الرواية أحداث يجيءُ بها ... ممثلوها على ما صوَّر القلمُ
وكل لفظ لمعناهُ، فإن تكُ لا ... تجري المعاني فلن تجري بها الكلِمُ
يا حَيْرة العقل هل للظلمة انبثقتْ ... أنوارها أم على أنوارها الظُّلَمُ
والخير والشر أي اثنيهما هو من ... خيرٍ وأيهما الشرُّ الذي زعموا
هل الأُلى حُرموا إلَّا بمن رُزِقوا ... أم الأُلى رُزِقوا إلَّا بمن حُرموا
يجني على الشَّاءِ نابُ الذئب ويحكَ أم ... تجني على الذئب منْ لُحْمَانها الغَنَمُ؟
لم يُخْلَق الناسُ إلَّا خَلْقَ مُشكلة ... بما بِهِ افترقوا تلقاهُم انتظموا
لكانتِ الأرضُ لا همٌّ ولا تعبٌ ... لو أصبح العمر لا موت ولا سقَمُ
مما وُلدتَ رضيعًا وانتشأت فتًى ... وعشتَ من بعدُ كهلًا جاءَك الهرمُ
فما الذي أنت راضيهِ فحامدُهُ ... إلّا الذي أنت شاكيهِ فمتهمُ
همُّ الحياة كمثل الجمرة اضطرمت ... فما الرمادُ سوى ما كان يضطرمُ
يا نفسُ ويحك أرضى الجِدّ منكِ فتًى ... ماضي العزيمة وثَّابٌ فمقتحِمُ
لا تعرضي ليَ لذاتِ الهَوى أبدًا ... ما للهوى في لساني «لا» ولا «نَعمُ»
كاس المدامة في بعض الخطاب فم ... ومدفعُ الحرب في بعض الكلام فَمُ
ما لذتي أنا إلَّا أن أكون فتى ... كما يُرفرفُ في أعلى الذُّرى علَمُ
كأنه صفحة منشورة قرأت ... فيها ضمائرَها العُلْوِيَّةَ الأممُ
سِلمٌ وحربٌ له في سلمها عِظَمٌ ... يخشَوْنَه ولهُ في حربها عِظَمُ

الصديق العاقل

كان لي أخ، هو أعظم الناس في عيني؛ وكان رأس ما عظّمه في عيني صغرُ الدنيا في عينه.

كان خارجًا من سلطان بطنه، فلا يتشهى ما لا يجد، ولا يُكثر إذا وجد.

وكان خارجًا من سلطان لسانه، فلا يتكلم بما لا يعلم، ولا يماري فيما علم.

وكان خارجًا من سلطان الجهالة فلا يتقدم أبدًا إلا على ثقة بمنفعة.

وكان أكثر دهره صامتًا، فإذا قال بذَّ القائلين.

وكان يُرى ضعيفًا مستضعفًا، فإذا جد الجد فهو الليث عاديًا، وكان لا يدخل في دعوى، ولا يشارك في مراء، ولا يدلي بحجة، حتى يرى قاضيًا فهما وشهودًا عدولًا، وكان لا يلوم أحدًا فيما يكون العذر في مثله، حتى يعلم ما عذره، وكان لا يشكو وجعه إلا عند من يرجو عنده البرء، ولا يستشير صاحبًا إلا أن يرجو منه النصيحة، وكان لا يتبرم ولا يتسخط، ولا يتشكى ولا يتشهى، ولا ينتقم من العدو، ولا يغفل عن الولي، ولا يخص نفسه بشيء دون إخوانه من حيلته وقوته واهتمامه.

فعليك بهذه الأخلاق إن أطقتها، ولن تطيقها، ولكن أخذ القليل خير من ترك الجميع.

❑ الصديق الجاهل ❑

لا يؤمننك شرَّ الجاهل قرابةٌ ولا جوار ولا إلف، فإن أخوَف ما يكون الإنسان لحريق النار أقرب ما يكون منها، وكذلك الجاهل إن جاورك أنصبك، وإن

ناسبك جنى عليك، وإن ألفك حمل عليك ما لا تطيق، وإن عاشرك آذاك وأخافك، مع أنه عند الجوع سبعٌ ضار، وعند الشبع ملك فظ، وعند الموافقة في الدين قائد إلى جهنم، فأنت بالهرب منه أحق منك بالهرب من سم الأساود، والحريق المخوف، والدين الفادح، والداء العياء.

بقلم/ عبد الله بن المقفع

الصديق الكامل

بقلم/ الأستاذ محمد صادق عنبر

إني مخبركم عن صاحب لي ملأتُ منه يدي، وطويت على حبه نفسي، وجعلته ضِنِّي من بين صحبي.

كان بصيرًا بوِرد الأمور وصدرها، يعرف من مطلع كل أمر ما يكون مقطعه، وتقوم أدنى فراسة منه مقام البينة، ويصيب بالظن ما يخطئ غيره بالعيان.

كان أكتم ما يكون للسر، إذا باحت الألسنة من الأسرار يمصونها، وانفرجت صدور الثقات عن مكنونها.

كان أبيًّا، لو خطبت عليه إمارة على أن يكون مهرها ذل ساعة؛ لآثر أن يُزف إلى قبره على أن تزف إليه الإمارة.

كان صلب العود على النوَب، إذا رماه الدهر بخطب يبلوه، بلى منه الخطب بالنفس المرة، والخلق الوعر، والصدر الذي تضل في ساحة صبره كل نائبة.

كان متورعًا، لا يقوم مقامًا يقع عليه فيه ظل ريبة، ولا يقف موقفًا تسحب فيه ذيلها شبهة، ولا يقول قولة أو ينظر نظرة تعقبها ظنة.

كان كريمًا جم الإيثار، يطوي بطنه عن جاره، ولا يملك من ماله أكثر مما يملك منه إخوانه.

كان يقنع بالقليل، فما أكل فبلغ الشبع، ولا شرب إلا دون الري، ولا لبس منمنمًا ولا مُعْلمًا، وكان فيه عزة الملك، وعليه سِمات الزاهدين.

كان فتيًّا؛ ولكن همته كانت ترمي به وراء سنه؛ وهو يرمي بهمته حيث أشار السؤدد.

كان باهر الأدب، يشير عليك موهمًا أنه يستشيرك، ويدلك على الرأي كأنه يستدل بك عليه، ويريك مقطع الحق، ويدع لك أن تقطع من دونه، ولو رأيته وقد مثل بين يديه مستفيد، لحسبته بين يدي المستفيد ماثلًا، ولو سمعته يجيب مسئولًا لحسبته سائلًا.

كان أملك ما يكون لنفسه إذا رضي، ولحلمه إذا غضب، ولجِده إذا لعب، ولوقاره إذا طرب.

كان طويل الصمت، كأن بلسانه عوجًا، فإذا نطق استقام على نهج البيان، تتراءى فيه حِكم تأخذ المرء قبل أن يأخذها.

كان قليلًا ما يكتب، ولقد مضى عن كتاب ألا يكون من يد قارئه إلا كما يكون الحظ لو تمكن منه طالبه فجعله كما يريد.

كذلك كان صاحبي، ولبعض تلك الخلال يكبر الرجل، وقد ضرب الدهر بيننا، فمضى وبقيت وقد:

صفرتْ كفي منه ومضى   وقد امتلأتْ مني يدهُ

الإخوانُ في النوائب

إذا نابت أخاك إحدى النوائب -من زوال نعمة، أو نزول بليَّة-، فاعلمْ أنك قد ابتُليتَ معه، إما بالمؤاساة فتشاركه في البلية، وإما بالخذلان فتحتمل العار.

ابن المقفَّع

اللغة الخالدة وبعض حقوقها على أبنائها

قرأنا في مجلة (النور) التي تُطبع في اللاذقية (١/ ٤٩٩) مقالة ممتعة هذه خاتمتها:

من حقّ لغة الضاد الشريفة المتسعة الدقيقة ألَّا يعقَّها بعضُ أبنائها من حيث يتوهمون لها إصلاحًا وتزيينًا، فإن لها جمالًا ثابتًا ومادَّةَ قوَّةٍ لا تنفد، تستقيها في أكثر الأحوال من ينبوعَي الاشتقاق والمجاز، اللذين يغنيان عن الوضع، فهو أكبر خطر على هذه اللغة، لاسيما إذا طمى سيله، بحيث يتنكَّر وجهها في قليل من الدهر، وتُصبح لغة الغد غير لغة اليوم مما نراه في لغات أوروبا، إذ لا تكاد الواحدة فيها تبقى على أهليها أكثر من ثلاثة أو أربعة قرون، ثم تتقمص صورة جديدة؛ وأما لغتنا، فهي وحدها اللغة الخالدة، إذا صحت نسبة الخلود إلى شيء من شئون البشر.

وها نحن اليوم نفهم كلام امرئ القيس مثلًا، وقد مضى عليه خمسة عشر قرنًا، ولو كان امرؤ القيس حيًا لفهم كلامنا أيضًا، وبديهي أن الفضل الأعظم

في ذلك عائد إلى القرآن الشريف، ودين القرآن؛ فهما لا يحتملان تقمصًا، ولا تناسخًا في لغة الوحي هذه.

ورحم اللَّه كل عالم وأديب يغار عليها، ويتغالى في خدمتها جهده، منشدًا بلسان حاله قول القائل:

لا تَدْعُنِي إلا بيا عبدَها ... فإنه أشرفُ أسمائي

إدوار مرقص

حمى العروبة

هذه القصيدة أُلقيت في حفلة تكريم أقيمت في نزل بابل بالكرخ (بغداد)؛ للدكتور عبد الرحمن شهبندر، ورجال الوفد السوري إلى العراق.

حِمى العروبة جسمٌ قلبُهُ الشام ... والوفد سَوْداؤه، والعُرْب أرحامُ[(١)]

إذا تألَّمَ عضوٌ منه شاركه ... باقيه، وانتابه ضُرٌّ وآلامُ

رِيعتْ دمشق فضجَّتْ مصرُ واضطربت ... بغدادُ واكتأبتْ في الريف أقوامُ

تعيا السياسة عن تمزيق وحدتنا ... ما دام يجمعنا جِذْمٌ وإسلامُ[(٢)]

وإنّ شعبًا كهذا الوفد قادته ... يأبى الإله بأن تغويه أوهامُ

وقد تعالى عن الأنداد جَمَّلَهُ ... حزمٌ وعزم وإيمان وإقدامُ

---

(١) سوداء القلب وسويداؤه وأسوده: حبته، وقيل: دمعه.

(٢) الجِذم بالكسر: الأصل من كل شيء، والمراد هنا: الأصل العربي، ويُقال: جذم القوم: أهلهم وعشيرتهم، ومنه حديث حاطب: «لم يكن رجل من قريش إلا له جِذم بمكة». أخرجه أحمد (٥٨٧٨).

الهولَ يركبه، والصعب يجْشَمُهُ وليس يعروه في الحالَيْن إحجامُ
آلى بأنْ لا يحطَّ الرحل في بلدٍ ما لم تَفُزْ بالذي ثارتْ له الشامُ
طورًا بأعلى دمشق الشام محتربٌ وتارة برمال القاع عوّامُ
جاب المفاوزَ والأخطار محدقة وخاض في اللُّج والآذيّ آكامُ[(١)]
في اللَّه غاز، وللأوطان مغترِبٌ وللعروبة قوّام وجَشّامُ
آمنتُ بالهمة العلياء يبذلها ولم يسخّره دينارٌ ودِرْهامُ
فهكذا هكذا مَنْ يَبْتني شرفًا وهكذا هكذا الأبطالُ والهامُ[(٢)]

❁ ❁ ❁

يا وفدُ أهلًا وسهلًا إننا عَرَبٌ وهذه دارُنا والأهل خُدّامُ
ولستَ بالضيف لكن ربّ منزلنا وبعض حقك إجلالٌ وإعظامُ
وافيتَ فابتهجتْ أوطاننا فرحًا وثغرُ بغدادَ للأفراح بسّامُ
والأفق طَلْقٌ ووجه الأرض منبسط وللعنادِل في الأدواح أنغامُ
ورقتِ الريحُ أنفاسًا وراقَ بها ماءُ الحياة وطاب الليل والعامُ[(٣)]
حتى كأنّ الربيعَ الطلقَ مبتسمًا عادتْ لنا منه بالأفراح أيّامُ

❁ ❁ ❁

يا وفدُ فابقَ فإنّ القوم مغتبطٌ بالقرب منك وأنت الكافُ واللامُ
أعِدْ لنا ذِكْرَيَات المجد مشجيةً عسى تعود لمن قد ضل أفهامُ
نَسُوا عهودًا مضت في أرض أندَلس وغرَّهم زخرفٌ وشَّته أعجامُ
وأنكروا سلفًا في الصين دُقّ لهم طبلٌ، ورَفّتْ لهم في الغرب أعلامُ

---

(١) الآذي: الموج.
(٢) الهام: جمع الهامة: هو رئيس القوم وسيدهم.
(٣) العام: النهار، ومثله العبام، كسحاب.

وسفّهوا شِرْعةً جاء النبيُّ بها	وكلُّ ما عندهم نقضٌ وإبرامُ
إن قلتَ: هاتوا دليلًا تعتلون بِهِ	شالتْ نعامتهم، والجهل أقسامُ
إني لَأعجب إذ قد راج باطلُهم	وظُنَّ خيرَ دواءٍ وهْوَ بِرْسامُ
ما في مزاعمهم نفعٌ لنا ولهم	لو صَحَّ للقوم أفهام وأحلامُ
مآثر العَرَب العرباء خالدةٌ	والدهر يهرَمُ والإسلام إسلامُ
فليجحدِ الجاحدون اليوم ما قدروا	فالحقّ أبلجُ والبرهان صَمْصامُ
لنا مَعاوِلُ أمضى من صوارمنا	حدًّا، وأفئدةٌ صُلب، وأقلامُ
إذا انْبَرَيْنَ دفاعًا عن مآثرنا	حسبتَ رعدًا له هدر وإرزامُ
أمّا البيان -ونور الشمس رونَقه-	فإنما هو إيحاء وإلهامُ
يعيهِ كلُّ فؤادٍ صحَّ من مَرَض	إلا فؤادًا به غيّ وأسقامُ

❀ ❀ ❀

يا غافلين، ونارُ الشر موقدةٌ	سَوّوا صفوفكُمُ فالخطب مجهامُ
ذروا التفرق في الآراء واجتمعوا	إن التفرّق للأوطان هدّامُ
فيمَ العداء وقد حلّت بسوحكم	أرزاء، والجرحُ دامٍ ليس يلتامُ
ألم يجِئْكم حديث الشام إذ ضربت	فأصبحت وهْي أطلال وأرقامُ
عاث الفرنسيس فيها وهي آمنة	كما تعيث بنبت الحقل أغنامُ
هدّوا منازِلها، راعوا عقائلها	بزّوا أراملَها، والشرّ مجثامُ
مضت عليها شهورٌ وهي واجِفة	حتى أناخ بها ضرٌّ وإعدامُ
وذي الوفودُ ببغدادٍ مذكرةٌ	وعندها من حديث القوم أقسامُ

بغداد/ محمد بهجة الأثري

❀ ❀ ❀

دار العلم بطرابلس الشام
وعدد ما كان فيها من الكتب

اشتهر عن خزائن (دار العلم) بطرابلس الشام أن عدد ما كان فيها من الكتب عندما أحرقها الصليبيون سنة ٥٠٣هـ ثلاثة ملايين، وكنتُ نقلتُ في مجلة الزهراء (٢/ ١١٠-١١٢) من تاريخ ابن الفرات نصًا تاريخيًا عن لسان فخر الملك بن عمار صاحب تلك الخزائن، يؤيد صحة ذلك، ثم أطلعني سعادة العلّامة الأستاذ أحمد تيمور باشا على نصّ آخر في تاريخ ابن الفرات أيضًا، جاء فيه ذكر عدد كتبها في بداية تأسيسها، أي قبل حرقها بعهد طويل.

فقد أورد ابن الفرات -عند ذكره فتحَ طرابلس الشام من الإفرنج مدّة قلاوون سنة ٦٨٨- نبذة في تاريخها فقال فيها عن أمين الدولة أبي طالب الحسن بن عمار: «وكان ابنُ عمّار هذا رجلًا عاقلًا فقيهًا سديد الرأي، وكان شيعيًا من فقهائهم، وكانت له دار علم بطرابلس، فيها ما يزيد على مائة ألف كتاب وقفها، وهو الذي صنّف كتاب «ترويح الأرواح ومصباح السرور والأفراح» المنعوت بجراب الدولة. انتهى.

فهذا العدد كان في مبدأ أمر تلك الخزائن أيام الحسن بن عمار، ثم جاء بعده الأمير علي بن محمد بن عمار، وتولى بعدهما فخر الملك عمار بن محمد، وقد علمتَ مما قلناه في مجلة الزهراء (٢/ ١١٢) أن بني عمار عُنوا بهذه الخزائن عناية عظيمة، حتى كانت من عجائب الدنيا، وأنه كان فيها مائة وثمانون ناسخًا ينسخون لها الكتب بالجراية والجامكية، فضلًا عما كان يُشترَى لها من الكتب المنتخبة من جميع البلاد، بل قال ابن الفرات: إن طرابلس في زمن آل عمار صارت جميعها دار علم، فسبحان من يغيّر ولا يتغير.

السعادة

أمَّا السَّعادةُ (عندي) فلذَّةٌ مُستَعادَهْ
قالوا (القناعةُ) منها وإنَّ منها (السِّيادهْ)
وقد أصابوا، ولكنْ لها دَواعٍ وقادهْ
العاملون لخَيْرٍ المبتغون الإجادهْ
القانعون بعيشٍ للنَّفْع لا للبلادهْ
الرَّاضخون لحَقٍ عن راحةٍ مستفادهْ
يبنون لا قَصْدَ زَهْوٍ ولا لأجلِ الإشادهْ
لكن وُلوعًا بخَيْرٍ (فالخير) أصل (السَّعادهْ)

أبو شادي

الاستعمار، الحماية، الانتداب

جاء في تقرير المسيو موتيه -عضو مجلس النواب الفرنسي- الذي رفعه إلى مؤتمر الاتحاد الدولي البرلماني المنعقد في برن يوم ١٢ أغسطس سنة ١٩٣٤[(١)]:

من المحقق أن الاستعمار عمل لا يسوّغه قانون، وكثيرًا ما ظهر بمظهر الفظاظة والغلظة؛ لأنه هو القاضي بحكم القويّ على الضعيف، وقد مضى على

(١) ونحن ننقله عن التقرير المرفوع إلى رئاسة مجلس الشيوخ المصري، من حضرة الفريد بك شماس، عضو مجلس الشيوخ المنتدب إلى مؤتمر الاتحاد الدولي البرلماني.

وجوده قرون، بحجة نشر المدنية والارتقاء بين الشعوب المزعوم جهلُها وخمولها، والحقيقة أنه لم ينشر من تلك المدنية وذلك الارتقاء إلَّا الأسماء التي تنتحلها لنفسها الأمم المستعمرة.

وقد أراد المستعمرون أن يُسدلوا على أعمالهم ثوبًا شرعيًّا قانونيًّا، فقرروا ضم ما استولوا عليه من البلدان إلى ممتلكاتهم بحجة نشر المدنية والعلوم! والحقيقة أنهم لم يفعلوا ذلك إلا لمصلحة بلادهم.

ولما ظهرت أغراضهم للملأ، أبدلوا كلمة ضمّ بالحماية التي ليست إلا نوعًا من التذبذب والنفاق؛ لأنهم لم يقصدوا بالحماية إلَّا استعباد البلاد التي قد يستولون عليها، وإزالة كل مراقبة دولية عليها؛ لكي يستغلّوا خيراتها وحدهم دون سواهم.

ولما شاخت كلمة الحماية وهرمت، وتحقق أنه لا أسوأ منها لحماية البلدان والأمم، اتجهت أنظار المستعمرين إلى حكم البلاد النائية بشكل جديد سموه الانتداب، وذلك مما يذكرنا بقول لاروشفوكول:

«النفاق حكمةٌ تُقدّمها الرذيلة للفضيلة بكلّ احترام»!

زهد الشيخ طاهر الجزائري

أذكرني زهدُ عالم العراق في هذا العصر السيد محمود شكري الألوسي[1] بزهد صديقه عالم الشام الشيخ طاهر الجزائري، رحمهما اللَّه رحمة خالدة.

---

(١) سبق الحديث عنه، نقلاً عن تلميذه: بهجة الأثري. (س).

أنفق شيخُنا الشيخ طاهر كل ما ملكت يداه في اقتناء نفائس الكتب، ولاسيما المخطوطات الفذَّة أو النادرة[١]، فلما ضاق به وطنه (دمشق) زمن السلطان عبد الحميد، اختار القاهرة وطنًا ثانيًا، وصار يبيع فيها هذه النفائس، ويعيش بثمنها عيشة الكفاف، ومن عجيب أمره أنه كان يرضى من دار الكتب المصرية -مثلًا- بنصف القيمة التي كان يُمكن أن يحصل عليها من مثل المتحف البريطاني ثمنًا لكتاب من كتبه؛ إيثارًا لبقاء ذلك الكتاب في الوطن الإسلامي على انتقاله إلى أوربا.

وكان يحرص كل الحرص على أن يكون الكتاب المخطوط في مكتبة عامة؛ كدار الكتب المصرية، أو إحدى الخزانتين التيمورية والزكية، ولا تسمح نفسه بانتقاله إلى ملك الأفراد؛ لئلا يصير إلى بلاد أخرى.

خرج الشيخ عن كتبه كلها، وبقي معه من ثمنها ما يعيش به عيشة التقشف، وفيما كنتُ ذات يوم عند الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد، وفي مجلسه سعادة الأستاذ أحمد تيمور باشا، أخذا يتحدثان في حالة الشيخ طاهر، وما فُطر عليه من الإباء وعزّة النفس، وأنه -مع ضيق ذات يده- لم يُغير ما اعتاده من التصدق على الفقراء، والبذل في سبيل الخير.

فقال تيمور باشا لصاحب المؤيد:

ألا ترى يا أستاذ؛ أن من الواجب على مصر أن تعرف لهذا العالم الجليل قدرَه، فتستفيد من علمه وفضله في مثل دار الكتب مثلًا، لاسيما وهو اليوم أعلم الناس

---

(١) كنسخة كتاب الأصنام لابن الكلبي، التي اعتمد عليها الأستاذ زكي باشا في نشره، وككتاب الانتصار في الرد على ابن الراوندي، الذي افتخر اللورد كرومر في تقريره الرسمي بدخوله في دار الكتب المصرية، إلى غير ذلك من أمثال هذه النفائس، التي كانت عُرضة للضياع في أيدي غير أهلها، فأنقذها الشيخ، وما زال بها حتى جعلها في قرار مكين.

كافة بالكتب الإسلامية، وقد كان في الشام مفتشًا عامًّا على دور كتبها، وهو العامل على تأسيس دار الكتب الظاهرية بدمشق، والمكتبة الخالدية في بيت المقدس؟

فوعده الشيخ على يوسف بالسعي في ذلك، وكانت لصاحب المؤيد منزلة معلومة في المعية الخديوية، وفي أكثر وزارات الحكومة المصرية، وما من وزير إلا ويودّ أن تكون له يد عند الشيخ على يوسف، ليقابله بمثلها عند الحاجة، ورأى الأستاذ تيمور باشا أن يكاشف الشيخ طاهر في الأمر بأسلوبه اللطيف، فاعتذر له الشيخ بأنه اعتاد المطالعة في الليل إلى الفجر، وليس من السهل عليه أن يغير عادته، وهو في سن الشيخوخة، ولذلك لا يستطيع أن يتقيد بالأوقات الرسمية التي يتقيد بها الموظفون.

واجتمع الأستاذ تيمور باشا بصاحب المؤيد مرة أخرى، فذكر له كلمة الشيخ، ثم اتفقا على أن يطلب الشيخ على يوسف من الخديوي إجراء راتب للشيخ طاهر الجزائري من الخزينة الخاصة.

وفيما أنا قائم بعملي في قلم تحرير المؤيد يوم الخميس ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٣١ (أول مايو سنة ١٩١٣)، استدعاني الشيخ على يوسف -وكان يعلم أن سعادة أحمد تيمور باشا يتفضل بزيارتنا دائمًا- فقال لي:

أبلغ الباشا أنني تكلمت في مسألة الراتب للشيخ طاهر، وأن كل شيء قد تمَّ على ما ينبغي.

فشكرت له مسعاه الحميد، واجتمعت بالشيخ طاهر في ذلك اليوم قبل أن أرى سعادة تيمور باشا، فأخبرته بما وقع وكنتُ أظنّ أن هذا الخبر سيسرُّه، فظهر لي أنني لا أزال أجهل تلك النفس الكبيرة، رغم معرفتي بصاحبها منذ طفولتي، فقد غضب الشيخ طاهر من هذه الحادثة غضبًا لم أعهده فيه من قبل، وقال لي:

وكيف يُقْدم صاحب المؤيد على مثل هذا الأمر قبل أن يأخذ رأيي؟

وكان حزب اللامركزية قد دعا الناس إلى اجتماع كبير في فندق الكونتننتال، في الساعة الرابعة بعد ظهر ذلك اليوم، فذهبت مع الشيخ طاهر لحضور ذلك الاجتماع، ولما دنونا من الفندق رأينا صاحب المؤيد مُقبلًا بعربته ليحضر الاجتماع أيضًا، فاستوقفه الشيخ طاهر، ومشينا جميعًا نحو الفندق، وكان مما قاله الشيخ لصاحب المؤيد:

كأني معك يوم كلمتَ الخديويَّ بشأني فقلتَ له: إنك سمعتني أثني عليه لتعضيده مشروع زكي باشا في إحياء الآداب العربية بطبع النفائس التي نقلها بالفطغراف من خزانة الآستانة.

نعم، إني أثني على كلّ من يخدم العلم ويعمل على نشر كتب السلف؛ ولكن مَن ذا الذي يضمن لك ألّا أقف من الخديوي عكس هذا الموقف إذا صدر منه ما يناقض ذلك العمل؟ الأحسنُ يا أستاذ ألّا تعرّض نفسك لما قد يسودّ به وجهك بسببي، وإني بحمد اللّه في سَعة، ولا حاجة بي إلى الرواتب ولا إلى الوظائف، فأرجوك أن تعمل طريقة لنقض ما تم بشأني.

فذُهش صاحب المؤيد مما سمع، ثم قال لي بعد يومين:

لقد كان تيمور باشا محقًّا في إعجابه بالشيخ طاهر إلى هذا الحدّ.

إن الراتب الذي سعينا بترتيبه له، وقد رفضه بمثل هذا الإباء والشمم، لا أعلم من كلّ الذين أعرفهم إلا مَن يسعى للحصول عليه بكل وسيلة، وكنتُ أظن الذين يزهدون بمثل ذلك قد ذهبوا كلهم، فإذا لا تزال منهم بقية في الدنيا.

محبُّ الدين الخطيب

الناس

كلْ واشربِ الناسَ على خبرةٍ ... فهم يَمرون ولا يعذُبونْ
ولا تصدّقَهم إذا حدَّثوا ... فإنني أعهدهم يكذبونْ
إن أروك الوُدّ عن حاجة ... ففي حبال لهُم يَجذبونْ

أبو العلاء المعري

الدهر

دعا بك الدهر لو تجيبُ ... يا حبذا السامع المجيبُ
كم تصحب الدهرَ بالأماني ... يغرك الطرْف والنجيبُ
فخذ حديثًا عن الليالي ... فكلّ أبنائها عجيبُ
من خادع الدهر والبرايا ... فذلك السيّد النجيبُ
المجدُ فوز الفتى بحظّ ... فما تميمٌ وما تجيبُ
نادب خِدنٍ تركت يومًا ... وحظه الوجد والوجيبُ
مجدّلا في الثوب يدعى ... منه سميع فلا يجيبُ

أبو الطاهر السرقسطي

بين الحاضر والماضي

مهلا عليكَ، فما بنا طَرَبُ ... إن الفؤادَ لما عرا يَجبُ
الدار كانت روضة أُنُفًا ... أضحت وليس لأهلها نشبُ
سَرعانَ ما حالت معالمها ... منكوبةً تُرمي فتلتهبُ
إني لألمح في جوانبها ... بؤسي لعَمرُ اللَّه تصطخبُ
في عينها جزعٌ وتفديةٌ ... ولوُلدها لا يستجيب أبُ
وجنانها تشكو الخريف وهل ... شكوى الخريف تفيد من نكبوا
اللهُ يعلم ما ألمّ بها ... والحقُّ والتاريخ والكتبُ
إن قلتُ أنقاضٌ مآثرها ... قال العواذل: إنه كذبُ
أو قلت: قد غاضت محاسنها ... قالوا: تولّى قلْبَه الرَّهَبُ
أو قلت: ما مالت دعائمها ... قالوا: تملّك لبَّه الرغبُ
أو لاح لي في أفقها أمل ... غطى عليه وغاله وَصبُ
الحكم للأيام فانتبهوا ... لا الفخر ينفعنا ولا الطربُ

❀ ❀ ❀

لمنِ المغاني كنت أعرفها ... ملجًا يزين ربوعَه الحسبُ
يسقى من الأحلام ناشئها ... كأسًا يتوّج رأسَها الحببُ
الوِرق تصدح فوق غصْنتها ... والشرْبُ يخطب فيهم الأدبُ
والعود يشجي قلبَ سامعه ... والراح رقت ما بها نصبُ
والليل يلمع فوق مَفْرِقه ... بدرٌ يلوح لنا ويحتجبُ
والسعد رفرف فوقَ أرؤسنا ... يحنو علينا، والمنى تهبُ
هيهات كان الوصل من قِصرٍ ... وَمْضًا، وآتي أمرنا عجبُ

للدهر أعمال يحار لها لبُّ الحكيم وعلمه اللجبُ
آمنت بالأحداث قاطبةً وبما تجيء به وتنتهبُ

❊ ❊ ❊

مالي وقلبي كلما هدأت خفقاته جَدَّتْ به ندبُ
ما رامه من وجده سببٌ إلا وأقبل بعده سببُ
يرتاع للمغنى ومشهده وتروقه الآمال تغتلبُ
يرعى الدجى والسهدُ غالبه فكأنما سُماره الشهبُ
يا ليل! هل من ساهر دَنَف يشكو، وهل عاد الأُلى ذهبوا؟
جفَّت غروبٌ طالما انسكبت فعسى الغروب تُمدُّها السُّحبُ
ولكم تولت أكبدًا نوَبُ فتفتنت لله يا نُوبُ

❊ ❊ ❊

تلك الرياض ذوت محاسنُها بعد إليها تسفى بها التُّرُبُ
يأسى المشاهد ما ألم بها مصدوعة الأركان ترتعبُ
بالأمس كانت مربعًا خصبًا لبس الجدوبَ المربعُ الخصبُ
بالأمس كان لأهلها الغَلَبُ آضت وليس لأهلها الغلبُ
بالأمس كان حُماتها عَرَبا نام الحماة وهُدهد العربُ
أترى على أدواحها زهرًا ذهب الجميع: النَّور والذهبُ

❊ ❊ ❊

إنا لنذكر للورى نسبًا ودواؤنا الأخلاقُ لا النسبُ
لا تنفع الأحلام كاذبة اليأس أروحُ منها، إن تكن ريَبُ

حماه/ عمر يحيى

الافتقار إلى الناس- والاستغناء عنهم

قال عبد اللَّه بن المقفَّع: ليَجتمعْ في قلبك الافتقار إلى الناس والاستغناء عنهم، وليكن افتقارُك إليهم في لين كلمتك لهم، وحسن بِشرك بهم، ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عِرضك، وبقاء عزّك.

بعض كلمات تاغور

* كنت يومًا وأنا في سنّ الثانية عشرة أرقب الشمس تغرب وراء صف من الشجر، فتحدثتْ إليَّ نفسي: أليست الشمس تطلع غدًا لتغرب، ويتجدد مطلعها ومغربها، وهي أبدًا باقية؟ كذلك نحن: نطلع ونغيب، ولكننا أبدًا باقون في اللانهاية الشاملة لكل ما في الوجود.

* ليس الابنُ عزيزًا على أبيه لذاته؛ ولكن لأن الأب يرى فيه امتداد نفسه، ويرى فيه خلود حياته لأجيال مقبلة.

* بين الروح التي تتصل بحقائق الأشياء، والأدب الذي يُعبر عن المشاعر، اتصال دقيق: فكلاهما يحس الحياة الخالدة ويعبر عنها.

* شخصيتنا هي أول حق فينا: فنحن موجودون، ذلك ما لا شك فيه، ويسيرٌ علينا أن نعرف أنفسنا إذا بحثنا في غورها. ومعرفتنا نفسنا تسرّنا، لكنا تغشّي على هذه المعرفة في كثير من الأحيان مظاهرُ الأشياء المحيطة بنا، والتي تحول دون التفكير في حقيقة حالنا؛ لكن هذه الحقيقة تبدو لنا ونسعد بها إذا نحن أحببنا إنسانًا أو شيئًا؛ ذلك بأن نرى نفسنا في هذا الذي نحب، ومن ثم كانت

سعادة الحب، ومن ثم كانت حرية المحب، وإنك لترى نفسك أكثر ما تكون حرية إذا أحاط بك من تعرفهم من أهلك وأصحابك، فأما إن أحاط بك أجانب عنك، فحرّيتك تحدّ، وتشعر في نفسك بضيق لذلك أيَّ ضيق.

* فلسفة الهند تصوّر الحرية على أنها كمال الاتصال بما يحيط بنا، فإذا نقص اتصالنا نقصت حريتنا.

* ليست حبة القمح غاية لذاتها؛ بل واحدة في سلسلة خلد حياتها، ألست تراها تنفجر من حياة حبات من القمح تنفجر منها مثل ما تنفجر الأولى، ونحن في نظام الحياة كهذه الحبة، وروحنا تتصل بروح الكون، كما تتصل قوة الحياة في القمح جميعًا.

* الأمم تختلف في ظواهرها وتقاليدها وأفكارها، ولكن الرقيّ الحقيقي لن يتمَّ إلا بالتعاون بينهما جميعًا، وبعمل مشترك يقوم به العقل البشري، فيجب علينا ألَّا نكتفي بإبراز التقاليد القومية؛ بل أن نعمل لتوسيع المبادئ الصحيحة، وإيجاد نشاط أدبي مشترك كالذي نراه اليوم في أوربا.

* تُحلق الطيور في السماء لا لتبتعد عن الأرض ولكن لتعود إليها، وها أنا ذا حر طليق، لست على اتصال بأي شيء من الأشياء؛ ولكن لا، إن المحدود هو حقيقة المطلق، والحب هو شعار الصدق.

* أيتها الطبيعة، إنكِ عبد ذلول، نشرتِ بساطك المزخرف المتأنق بالألوان العديدة في البهو الأكبر، حيث أجلس وحيدًا كأني ملك متوَّج، وأنت ترقصين أمامي، وفي جيدك عقد من النجوم المتلألئة فوق صدرك.

* الفلاسفة يحدّدون الجمال، ويضعون له قواعد وتعريفات، أما الساذج فيراه بعينه في هذا البحر المضطرب الموج، وفي هذه السماء الصافية آنًا،

الغائمة آنًا آخر. وهذا الذي يراه هو حقيقة الجمال، أما تلك التعريفات والحدود، فإنها ليست في شيء من الحقيقة.

* الجمال هو: إدراك الحقيقة كما هي، والحقيقةُ من حيث هي جمال لا يعدله جماله، فالعجوز التي لا تسمى جميلة، إذا استطاع المصوّر المتقن أن يصورها كما هي، كان في هذه الصورة معنى الجمال؛ لأنه أدرك الحقيقة، واستطاع أن يُعرب عنها بتصويره.

* التعليم بلغتنا هو الذي أنعش روحنا وأحيانا، ورأيي أن التعليم ينبغي أن يكون كالأكل، بمعنى أنه عندما يسيغ الآكل اللقمة الأولى تتنبه معدته إلى عملها قبل أن تمتلئ، ويتمكن إذن عصيرُها من أن يؤثر كما يجب، ونقيض ذلك التعليم بالإنكليزية: فإن اللقمة الأولى تؤذن الطاعم بخلع سطري أسنانه، أو تزلزل فمه، وفي اللحظة التي يبتدئ يعرف فيها أن اللقمة ليست من جنس الحجارة - وإنما هي من السكر وقابلة للهضم- يكون قد ولّى نصفُ عمره، وبينما هو يعالج مضغ كتابتها ونحوها، تبقى روحه جائعة، فإذا تذوّقهما تكون شبهته قد ذهبت.

* سرُّ عظمة أوربا وتقدّمها السريع: وجودُ روح التعاون فيها من الوجهة الفكرية والفنية والأدبية والعلمية.

إلى حُماة اللغة

دعِ اليراعَ فكم من حاملٍ قلما ... لولا تنكُّرُهُ لاستُرْعِيَ النَّعما
من الغضاضةِ أن يُعنى أخو أدبٍ ... بما يعانيه مَن لا يفهمُ الكَلِما
يا من يرى اللغة الفصحى وقد نُكبت ... بكلِّ دهياءَ رَدّت نورَها ظُلما

هَوَتْ من الذروةِ العُليا وبثَّ لها شرَّ الغوائل قومٌ ضيَّعوا الهِمَما
من كلِّ أبلَه صَلْدِ الذِّهن ذي رَعَنٍ وكل فظٍّ إذا لاينتَهُ عرما
وكلّ جَعْدِ القفا لولا تبختُرُهُ لخلتَه جلمدًا أو خلتَه صنما
من الغرور ترى في خدهِ صَعَرا لا ينقضي، وترى في أنفه شمما
يظل يرقمُ في أوراقه جُملا من ساقِطِ اللفظِ مغترًا بما رقما
كأنه إذ يمجُّ الحبر مِرْقَمُهُ جانٍ من اللغةِ الفصحى يريق دما
ولو تلوتَ عليه ما يُسطره من السفاسفِ والأوهام ما فهما
سَمْج التعابير سَمْج الذوق متخذ من البلادة أسلوبًا به اتسما
يعدو على الجُمل الفصحى فيمسخها ويستحلُّ من التزييفِ ما حرما
وينظم الشعر رثًّا لفظهُ فمتى يسمعْهُ صاحبُ لبّ يشنِه الصمما
ويستجيز من الإبهام أقبحهُ فليسَ يفهمُ إلا اللهُ ما نظما
وإن أبنتَ له يومًا مَغالطه يؤججُ الحقدُ في أحشائهِ ضَرَما
ويدَّعي أنهُ ما زلَّ قطُّ ولا تعوَّد اللحن في قولٍ ولا وهما
وأنهُ ناثرٌ ألفاظه دُررًا وانهُ ناظمٌ أبياته حِكما
وأنهُ العَلَمُ الفرد الذي رفعتْ له مفاخرُهُ فوقَ السّهى علَما
وأنه العبقريُّ الفذُّ ليس له ندٌّ، وأنَّ له الشأنَ الذي عظما
لا تستقرُّ على أمر مزاعمهُ وهل يصدِّق إلا الغِرُّ ما زعما

❀ ❀ ❀

يا للبلاغة أمسى وَشْيُها خَلَقا وأصبحَ الدرُّ من ألفاظها فَحَما
يا للفحاحةِ أودي الأغبياءُ بها وربما جهل المغرورُ ما اجترما
تعاوروها بأقلام وألسنةٍ أخنت عليها ولم يستشعروا ندما
تخالهم عَرَبًا، حتى إذا خطبوا في الناس أو كتبوا لم يَفضلوا العجما

تلك الطروس التي ضمت سطورهمُ ... تكاد تشكو إلى قرائها ألما
إن الغبيَّ إذا أعطيتهُ قلما ... مثلُ الجبانِ إذا قلدتهُ خَذِما

❁ ❁ ❁

يا للبيان استباحوهُ وما تركوا ... من سحرِهِ غيرَ ما قد أورث اللَّمَما
هذي جرائدهم باللغوِ حافلة ... يكاد يجهلُ فيها المرءُ ما علما
تبدو صحائفها بيضًا، فإن تليتْ ... تسودُّ حتى يحاكي لونها الحُمَمَا
ترى سطورًا بلا معنى فتحسبها ... مدارج النمل حاكت في الثرى رُقُما
لم ينشروا صحفًا للناسِ قيّمةً ... وإنما نشروا بين الورى نقَمَا
وناصبوا الحقَّ حتى عزَّ باطلهم ... وزينوا اللؤمَ حتى نافسَ الكرما
يظنهم من يراهم سادةً نُجُبًا ... وذو الحصافةِ لا يرضاهمُ خَدَمَا
وتلك أشعارهم ساؤوا البيان بها ... مذلةً، وأهانوا الطرسَ والقلما
سفساف لفظٍ وأوزان منافيةٌ ... وزنَ القريضِ ومعنًى يُضحك الفَهِما
أسبابها نافرت أوتادها وبدا ... فيها زخافٌ وإبطاءٌ قد التأما
يبنونَ أبياتها واللحنُ يسكنها ... ومن بنى البيتَ مختلًا كمن هَدَمَا
فضاع بينهمُ صوتُ الأديب وقد ... يضيع صوتُ هزار جاورَ الرَّخما
قل للألى انتحلوا الآدابَ مختبرًا: ... هل انتحلتم لها الأخلاقَ والشِيَمَا

❁ ❁ ❁

ما الشعرُ إلَّا قوافٍ راضَ جامحها ... غمْرُ البديهةِ فحلٌ راسخٌ قَدَما
صانت جزالةُ مبناها معانيَها ... من أن يُلّم بها فهمٌ شكا وَصَمَا
إذا الحماسة أذكت بينها ضَرَمًا ... أسال تشبيبها من حوله سَنَما
شواردٌ عبقرياتٌ لها أرجٌ ... مازالَ يلطفُ حتى صاحبَ النّسَمَا
كأنها قِطَع الروض الذي سَكبت ... غر السحابِ على أزهارِهِ دِيَما

في بُهْرَةِ الليل من لألائها وَضَحٌ ... كالبرق ملتمعًا والصبحِ مبتسما
تمرُّ ألفاظها بينَ الشفاهِ كما ... يمرُّ صافي الطلا بالمسك قد ختما
يهتزُّ سامعها ما أُنشدتْ طربًا ... كما ترنحَ صبٌّ يسمع النّغَمَا
يكادُ يُنشدهنَّ الفجرُ متخذًا ... لنفسِهِ من أقاحيِّ الرياض فما

❀ ❀ ❀

يا معشرَ اللغةِ الفصحى أما لكُم ... عطف عليها يقيها النائباتِ أما
تداركوها وذودوا العابثين بها ... وجدِّدوا من مبانيها الذي انهدما
كانت لها عندكم فيما مضى ذممٌ ... ولم يكنْ شأنكمْ أن تخفروا الذمما

لبنان/ أمين ناصر الدين

صاحب جريدة الصفا

❀ ❀ ❀

كان الزبير بن العوام رضي الله عنه يُرقص ابنه عروة ويقول:

أبيض من آل أبي عتيقِ ... مبارك من ولد الصدّيقِ
ألذُّه كما ألذ ريقي

❀ ❀ ❀

زفرة في ليل

يُجَنّ جنوني حين ينتابُني الذكرُ ... فأفقدُ لبّي، شأن مَنْ ناله السحرُ
وأُرسلها كالغيث تترى مدامعا ... وعند جليل الخطب قد يخذُل الصبرُ
وأُصعدها من جانب الصدر أنّةً ... يضيق اكتئابًا عن تحمُّلها صدرُ

أبيتُ وقلبي بالقوارع جائش وهيهاتَ أن يهدا، وقد فقُم الأمرُ
سلافةُ وعدٍ نحن نحيا بشربها فتسكرنا، حتى يطيرَ بنا السكرُ
تروح بنا الآمال شرقًا ومغربًا وتقعدنا، والخُسْرُ يتبعه الخُسرُ
إلى م نُحابي الذئبَ، والذئبُ جاثمٌ ففي عينه مكرٌ، وفي نابه غدرُ
تُقرِّبُنا الأقوال، والفعل مُبعدٌ كأنا بليل لا يفارقه الكفرُ
وكم نالَنا مِنْ جانب الغرب طامع يُنَبِّئُنا عن حقده النَّظر الشَزْرُ
يقول لنا الإفرنج، والقول كاذبٌ نريد لكم خيرًا وهل يُرفض الخيرُ
فنحن أناسٌ قد وقفنا نفوسنا لخدمتكم، فليطمئنَّ لنا الفكرُ
نريد لكم أن تستقلَّ بلادُكم وما دأبُنا إلَّا المعونةُ والبرُّ
فما وعدوا، والله، إلَّا ليُخلفوا وما وعْدُهم إلَّا على غدرهم سِترُ
فما بالُنا كالطير في بَطن واحةٍ مروَّعةِ الأفراخ ينتابها صقَرُ
إذا لم تثب للمجد جمعًا قلوبنا فليس لنا إلا المهانةُ والضُّرُّ
ألسنا بني الأخيار مِنْ آل يعربٍ فما بالُنا كالعير يجتاحها العرُّ؟
سعى قومنا بالأمس، والله شاهدٌ فلم ينأ عنهم، حيثما يمَّموا، النصرُ
علوا عزةً فيما مضى، وسيوفهم تشيد لهم عزًّا تخرُّ له الزُهرُ
إذا طمع الأعداء يومًا بحيهم إلى الفتك بالأعداء تلقاهم كرُّوا
فأمَّا حياة ينعمون بظلِّها يردّون كيد الطامعين إذا ضُرُّوا
وإما ردى، والفخر يكفله الردى، لعمر العلى، والموت يصحبه الفخرُ

❊ ❊ ❊

سلوا أسطر التاريخ عن صدر دينكم وعن عزَّة الأجداد، ينبئْكم السِفرُ
ألم يُوقعوا بالفُرس في كل غارةٍ أما أخضعوا الإسبان يحميهم البحرُ

أما شتتوا الرومان في سهل جلقٍ أما جاز وادي النيل فارسُهُم عمرو؟

❁ ❁ ❁

فمن مجدنا تلك الظُبى تقرعُ الظُبى كفاحًا، وتلك السُّمر تقصفها السُّمرُ

دمشق/ الفتى

معاوية بن أبي سفيان في بيته

كان معاوية رضي الله عنه يقدّم أم ولده يزيد على أم ولده عبد الله، وقد جلس مع الثانية يومًا، فمرَّت بها أم يزيد -وهي ميسون بنت بحدل الكلبية-، فأتبعتها أم عبد اللّه عينها وقالت: لعن اللّه خمش ساقيك.

تشير إلى ما كانت عليه ميسون أيام كانت تعيش في البادية، وتنتقل في الوديان بين الشِيح والقيصوم، فتتعرض رجلاها للشوك.

فغضب معاوية وقال: أرأيت ذلك منها؟

فقالت: نعم.

فقال معاوية: أما والله -على هذا- لما انفرجت عنه ساقاها، خير مما انفرجت عنه ساقاك!

يشير إلى نجابة ابنها يزيد، وفصاحة لسانه، وتوقد لبه، وخمول أخيه عبد الله، وتراخي همته عن طلب المعالي.

❁ ❁ ❁

وغضب معاوية يومًا من ابنه يزيد، فاستدعى الأحنف بن قيس، ثم قال له: يا أبا بحر، ما تقول في الولد؟

فقال: ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم، يمنحوك ودهم، ويحبُّوك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقيلًا فيملوا حياتك، ويحبوا وفاتك!

فقال: لله درك يا أحنف، لقد دخلتَ عليّ وإني لمملوء غضبًا على يزيد، فسللته من قلبي.

النشيد الوطني

نُظم لناشئة البلقاء في مدرسة الصلت التجهيزية

جَـرّدوا بـيـضَ الـصـفـاحِ والـبـسـوا لـلـحـرب لامَـهْ
وبـأطـرافِ الـرمـاحِ فـادفـعـوا كـلَّ ظُـلامـهْ

نـحـن، والـصـبـحُ الأغـرُّ حـسَـبٌ فـيـنـا أنـارا
لا يـمـسُّ الـشـعـبَ ضـرُّ دون أن نـلـقـى الـدمـارا
أعـلَـى الـضـيـمِ نَـقِـرُّ أو يَـرى فـيـنـا قـرارا
ولِأبـطـالِ الـكـفـاحِ أعـرقـتْ فـيـنـا الـزّعـامـهْ

جـرّدوا بـيـض الـصـفـاحِ والـبـسـوا لـلـحـرب لامـهْ
وبـأطـراف الـرمـاحِ فـادفـعـوا كـلَّ ظُـلامـهْ

سـائـلـوا الـتـاريـخَ عـنّـا كـيـف دَوَّخْـنـا الـبـلادا
أنـجـبـت (قـحـطـانُ) مـنّـا أُسُـدًا تـهـوى الـجـلادا

تَخذوا الصبرَ مِجنا وأعدُّوا الموتَ زادا
لا ترى غير السماحِ ضاربًا فيهم خيامهْ

❁ ❁ ❁

جرّدوا بيض الصفاحِ والبسوا للحرب لامهْ
وبأطراف الرماحِ فادفعوا كلَ ظُلامهْ

❁ ❁ ❁

يبلغ الناشِئ فينا سيدًا نَدْبًا هُماما
فهو بين الدارعينا شبَّ كهلًا وغُلاما
تخذَ السُّمر عَرينا وحديدَ البأسِ لاما[1]
عفّ عن ذات الوشاحِ وجفا كأسَ المدامهْ

❁ ❁ ❁

جرّدوا بيض الصفاحِ والبسوا للحرب لامهْ
وبأطراف الرماحِ فادفعوا كلَ ظُلامهْ

❁ ❁ ❁

أَنُسامُ الضيمَ يوما وإلى (قحطان) نُنمى
لا ينال الخسفُ قوما قارَعوا الخطبَ المُلِمَّا
كم لهم في الرَّوع يوما بالرزايا مُدلَهِما
سلْ بهم سيلَ البطاحِ بين نجدٍ وتِهامهْ

❁ ❁ ❁

جرّدوا بيض الصفاحِ والبسوا للحرب لامهْ
وبأطراف الرماحِ فادفعوا كلَ ظُلامهْ

الصلت/ الحوماني

---

(١) جمع لامة.

خزائن الكتب والمطالعة

قال اللورد افبُري:

لقد أطرى أحد كبار الإنكليز (ريشاردي بوري) منذ خمسة قرون الكتبَ فقال:

«وهاكم المعلمين الذين يعلموننا بغير عصا ولا سَوط، ولا يسيئون المعاملة، ولا يغضبون، ولا يطلبون هدايا ودراهم، ومن إذا دنوتَ منهم لا ينأون عنك، وإذا سألتهم لا يخفون عنك شيئًا، وإذا تغاضيت عنهم لا يشتكون منك، وإذا كنت جاهلًا لا يسخرون بك».

فإذا كان هذا قولهم في قديم العهد، ألا يجدر بنا العمل به الآن، وقد طُبعت الكتب، وصارت زهيدة الثمن، سهلة الاقتناء والمطالعة، صغيرة الحجم، خفيفة الحمل؛ بعد أن كانت ضخمة عسيرة الحمل والقراءة.

ويحسب البعض أن ما يُنفق على تأسيس المدارس وخزانات الكتب ودُور الآثار نفقاتٍ هالكة، مع أنها في الحقيقة رأس مال محفوظ لسعادة الأمة وفائدتها.

وما توسيع نطاق مدارسنا، وإنشاء خزائن للكتب فيها، إلا لتحسين تعليم أبنائنا، وبث روح حب المطالعة في نفوسهم، وتوجيه أنظارهم بصفة خاصة إلى فوائدها، كما أن المكتبات مدارس الرجال.

يُحكى أن الملك ألفريد لما كان طفلًا أراد أخذ كتاب، فقالت له أمه:

سيكون لك حينما تقدر على مطالعته.

وبهذا الشرط حصل الملك على الكتاب.

فمتى تعلم أولادنا القراءة أيضًا، يجب مكافأتهم بنفيس الكتب، وهي كثيرة، وليس نفيسها بغالي الثمن، وربما كانت لذة المطالعة هي الشيء الوحيد الذي لا يرتبط بالغنى أو الفقر.

ولا ينبغي للشبان أن يقتصروا على الأشغال اليدوية، أو يضيعوا كل أوقاتهم فيها؛ بل عليهم تخصيص أوقات للمطالعة والأشغال العقلية؛ لإنماء مداركهم، ونفع الإنسانية من معلوماتهم.

قال السير (جون هرشل) أحد كبار علماء الإنكليز:

لو خُيرت في انتخاب ما أحفظ به حياتي؛ وأروّح فيه نفسي، وأصونها من ظلم الناس وشرور الدنيا؛ لاخترت المطالعة؛ لأن من تيسرت له أسبابها يصير ولا شك سعيدًا، وحيث تتجلى أمام عينيه أحوال الأمم الغابرة، ويكون كمن عاش مع جميع أفرادها، وكأنما خُلقت الدنيا له.

الكتب للناس كالحافظة الأمينة للرجل، فإننا نجد فيهما تاريخ الأمم، ومكتشفات الرجال، وجليل حكمة العقلاء، وخلاصة التجارب في سالف العصور؛ كما أنها مرآة عجائب الطبيعة ولطائفها، وهي الآخذة بناصرنا في أوقات الشدائد، المواسية لنا وقت الأحزان والمتاعب، وهي التي تُبدل ضجرنا بالسرور، وتملأ أذهاننا بمفيد التصورات.

وقال فليتشر: «دعني أروّض النفس فيما حلا لي، فإني مع كتبي كملك في قصره: أتكلم في كل آن مع عقلاء السلف وفلاسفتهم، ثم أنوّع سروري بمخاطبة الملوك والأمبراطرة، وأفحص مجالسهم، وأدقق النظر فيما كسبوه من الوقائع، وأمقت ذكرهم متى كانوا قد اكتسبوها بغير حق شرعي، وأهدم التماثيل التي شُيدت لهم بغير حق».

ونرى في تاريخ حياة ماكولي - صاحب الثروة الطائلة، والشهرة الفائقة، والصحة الجيدة - أنه كان يعتبر ساعات مطالعته أسعد أوقات حياته، وأنه قال:

«لو خُيرت أن أكون أكبر ملك في الأرض، ولي جميل القصور والبساتين، ولذيذ الطعام والشراب، وثمين العربات، وفاخر الثياب، ومئات الخدم؛ واشتُرط عليَّ في ذلك التجرد من الكتب، لرفضت ذلك الملك بغير مطالعة، وقبلت العيش فقيرًا في عشة، ومعي كثير من الكتب».

وانتخاب الكتب كانتقاء الأصحاب، وعلينا مسئولية ما نقرأ، كمسئوليتنا عما نفعل، فعلينا أن نستخلص من الكتب ما ترتاح إليه النفس، إن لم يكن أعظم ما يمكن من الفوائد، وأن نجعل مطالعتها لتقويم الفكر، لا لضياع الزمن.

وتتباين الكتب في قيمة الفوائد، فللكتب السهلة المطالعة، المسلية للنفس، فائدة؛ ولكنها كفائدة السكَّر، وهو عنصر مهم للتغذية؛ ولكنه لا يكفي وحده لحفظ الحياة.

أما رديء الكتب، فكفاها ذمًّا أنها رديئة، وقراءتها ضياع للوقت، وبعضها مفسد للأخلاق؛ نعم إن اطلاع العاقل على مثل هذه الكتب يزيده وعظًا، ولكن لا يفوتنا أن كل ما يجعلنا نألف الشرَّ شرٌّ، على أنه يوجد من حسن الحظ عدد عظيم من مفيد الكتب التي تفيدنا قراءتها، وترقي فكرنا إلى أعلى مداركه، وتنسينا مشاغل الدنيا ومتاعب الحياة.

ولقد أمر الدوق دوريان -مؤسس دار كتب مدينة أوريان- بتجليد جميع الكتب الموجودة بها بالأرجوان الموشى بالفضة.

وقال لامب: «يجب شكر اللّه قبل مطالعة كتاب جديد، كما يجب حمده عند الأكل».

أيها العرب

أيُّها العُرْبُ زاحموا ... إن للمجد مُزْدَحَمْ
فُرَصٌ لا تفُتْكُم ... ولَكم فُتْنَنا وكمْ
المصلي مَن اغتنى ... والمجلّي من اغتنمْ
نَدَمٌ لا يفيدنا ... يومَ ينتابُنا الندمْ
اترُكوها لياليًا ... نِعَمًا كُنَّ أم نِقَمْ
واطلبوها أمانيًا ... طالبُ العدلِ ما ظلمْ
وسواءٌ لمن سعى ... حَدُثَ العهدُ أم قدُمْ
أيقظوا العزمَ واجهدوا ... عاشق المجد لم يَنَمْ
إنما المجد حصة ... والمعالي لمن عزَمْ
لم تسد أمةٌ إذا ... لم يسُد عزمُها الخَذِمْ[1]
ليتَ شُبّانَنا دَرَوا ... ما دَرَى الشائخَ الهرمْ
متهمُ العزمُ والنِضا ... ل ومن شِيبنا الحِكَمْ
من أبى أن يسوده ... ظالمٌ ليس يحترِمْ
شاورَ الرأيَ وانتضى ... فاصلَ العزم واحتكمْ

❁ ❁ ❁

عاونوها بلادكم ... حيث لا عونَ يُتَّهمْ
وارحموها نفوسكم ... رحمَ اللهُ من رَحِمْ

---

(١) الخذم: السريع القطع.

عبسَ الدهر فارقبوا لكم الدهر يبتسمْ[١]

الكاظمي

الجامعة العربية
واجب العربي في كل منطقة

اجتمع صاحب جريدة الكرمل والأستاذ السيد عبد اللَّه مخلص بالمستشرق مسترجب GIBB، وكان مما قاله لهما: «من واجب طلاب الجامعة العربية في كل منطقة أن يعملوا لها في مناطقهم: بالسعي لإصلاح الأخلاق؛ وتحسين الحالة الاجتماعية، والنهضة الاقتصادية، وتكوين رأي عربيّ عام، كما يسعى من يريد أن يبني بيتًا، لإعداد جميع مواد البناء، حينئذ يصير مع المستطاع بناء الجامعة العربية، ويجب أن تعتمدوا في جميع ذلك على أنفسكم».

للفقراء مجانًا

للأستاذ/ محمود تيمور

بينما كان الظلام ملقيًا رداءه الأسود على المدينة، والسكون ضاربًا خيامه، والناس رقود في منازلهم، كان الدكتور (. . . . بك) جالسًا أمام مكتبه، يخط

(١) الدهر لايعبس ولا يبتسم، وإنما هو ظرف لأعمال الإنسان، فلا يُلقى اللوم عليه، بل على من قصّر فيه. (س).

بيده الكريمة ما يمليه عليه وجدانه الحي، وكيف لا يكتب الدكتور في تلك الساعة، وغدًا ستقام حفلة كبرى لأول مجمع طبي مصري، يخطب فيها الدكتور خطبة شائقة، تملك على الناس نفوسهم، وتستهوي أفئدتهم.

أجل؛ يكتب الدكتور ثم يفكر، ثم يكتب وهو ممسك بالقلم في يده كأنه رمز الجدّ والعمل والحنو والشفقة؛ وما لبث الدكتور في مكانه قليلًا حتى سمع صوت الساعة تدق الثانية عشر، فوضع يده على رأسه، وقال:

حان ميعاد النوم، ولكن الخطبة لم تتم بعد، وأمسك بيده القلم مرة ثانية، وكتب الجملة الآتية:

«الطب -أيها السادة- هو النبع الفياض الذي يستقي منه الفقير بلا أجر ولا ثمن، الطب هو الدار التي يدخلها المريض، وقد أشفى على الهلاك، فيخرج منها صحيحًا معافى؛ بل الطب في نظري -أيها السادة- كبيوت الله، تجمع بين الفقير والغني، والبائس والسعيد في مستوى واحد؛ بل ربما كان الطب أوسع صدرًا للفقراء، وأحنى قلبًا على الضعفاء البائسين[1]، الطب...».

ثم تمهل الطبيب قليلًا وفكر كثيرًا، وهو جالس أمام مكتبه يمنعه عن النوم والراحة ضميرُه الطاهر، ذلك الباعث القوي، باعث الخير والإحسان والشفقة على الفقراء من بني جنسه.

وكان الدكتور يسكن حيًا وطنيًا يضم في أحشائه جامعة ممن يبيتون على الخسف، ويشربون على غير ثميلة، قوم فقراء أضرّ بهم المرض، وشفهم الحزن، وعلق الدكتور على باب داره لوحة كبيرة كتب عليها بالثلُث: «للفقراء مجانًا».

(١) هذا من الغلو. ولا داعي لمثل هذه المقارنة الغريبة! (س).

ما أجمل هاتين الكلمتين: «للفقراء مجانًا». إذا مر الفقير وقرأها دخل دار الدكتور، وهو يقول: «سأدخل مريضًا، وأخرج صحيحًا، دون أن أدفع للدكتور ثمن عشاء الأطفال في البيت». أجل إذا قرأها الفقير تهلل وجهه، وأبرقت أسرّته، وابتسم ابتسامة تُعبر عما في قلبه من الشكر والرضى، وما رِضي الفقير إلا حسنة من حسنات اللَّه على بني الإنسان.

قلنا: إن الساعة كانت تدق الثانية عشرة، وإن الدكتور كان يكتب، ونسينا أن أحد الفقراء في تلك الساعة كان جالسًا القرفصاء بجوار فراش ابنته الحامل، التي كانت تصرخ من الألم، وهي ترتعد من البرد، وقد اصطكت أسنانها، وتقلصت شفتاها، وسالت دموعها على خدها، تكتب سطور البؤس والألم، ابنة في الثامنة عشرة من عمرها، مات زوجها بعد أن تركها حاملًا، وهي الليلة تلد، وقد تعسرت ولادتها، فأصبحت على قيد شبرين من الموت.

جلس الرجل الفقير القرفصاء واضعًا رأسه بين يديه، وهو كاسف البال، غائر العينين، لا يعرف ماذا يفعل، ولا يهتدي لوسيلة يخفف بها آلام ابنته، وإذا بزوجته العمياء التي كانت تبكي وتضرب رأسها في الحائط تقول له: أنسيت أن الدكتور. . . بك يعالج الفقراء مجانًا؟ اذهب إليه واطرق بابه، فربما رقَّ قلبه، وأنقذ ابنتنا من مخالب الموت.

فقام الرجل دون أن يفوه ببنت شفة، واتخذ وجهة الباب، وخرج للشارع ليأتي بالطبيب، مشى الرجل في الشارع وهو يترنح كالشارب الثمل، إلى أن وصل على باب الطبيب ودقه ثلاثًا، فخرج خادم أسود وهو يتمتم ويزمجر، وقال له: ماذا تريد؟

- ابنتي تموت، أريد أن أحادث الدكتور.

الدكتور مشغول جدًّا، وقد نبّه عليّ ألّا أجيب سائلًا.

- ولكن ابنتي تموت. . .

فأقفل الخادم الباب، ورجع الفقير من حيث أتى، وهو خافق القلب؛ ولكنه وقف هنيهة قبل أن يصل لمنزله، وقال: لنفسه:

- أجل سأفعل ذلك، وما ضرني لو فعلته.

وإذا به يرى رجلًا يسير الهوينا في الطريق، فمد له يده، وقال:

- حسنة يا سيدي.

فانتهره الرجل وسار في طريقه، ومر رجل ثان وثالث ورابع، وكان نصيب الفقير الخيبة في كل مرة، وإذا بالشرطي يقول له:

- ما هذا الفعل يا رجل؟ متسوّل في الطريق، هيا إلى القسم. . .

ولم يكن مع الفقير ما يسدّ به فم ذلك الشرطي، فقال له:

- لم أتعوّد التسوّل يا سيدي، ولكن ابنتي تموت، فأردت أن أجمع أجرة الطبيب، فلم أجد غير هذه الوسيلة؛ ولكن الشرطي قاده إلى القسم، وهناك قضى ليلته، وفي الصباح عاد الفقير إلى منزله بعد أن أُطلق سراحه، وكانت الساعة تدق العاشرة، وإذا به يسمع صراخًا وعويلًا، فهرول لداره، فوجد زوجته تبكي وتصرخ، وكانت ابنته قد فارقت الحياة، فانكبّ عليها وقد فقد الرشد!

في هذه الساعة، الساعة العاشرة، كان الطبيب الدكتور (. . بك) واقفًا يخطب في المجمع، ويصيح بملء فيه:

«الطب - أيها السادة - هو المنبع الفياض الذي يستقي منه الفقير بلا أجر ولا ثمن، الطب هو الدار التي يدخلها المريض وقد أشفى على الهلاك، فيخرج منها صحيحًا معافى. . .»!

الدواة

يا دواةُ اجعلي مِدادَكِ وِدًا لِوُفود الأقلام حينًا فحينا
ولْيكنْ كالزمان حالًا وحالًا تارةً آسنًا وأُخرى مَعينا
أكرمي العلمَ، وامنحي خادِميه ماءَك الغاليَ النفيسَ الثمينا
وابذُلي الصافيَ المطهَّرَ منه لِهُداةِ السَّرائر المرشدينا
وإذا الظلمُ والظلام استعانا يومَ نحسٍ بأجهل الجاهلينا
واستمَدَّا من الشرور مِدادًا فاجعليه مِن قسمةِ الظالمينا
واقذِفي النقطةَ التي بات فيها غضبُ القاهر المُذلِّ كَمينا
ليراعِ امرئٍ إذا خَطَّ سطرًا نبذ الحقّ وارتضى المَيْنَ دينا
وإذا كان فيكِ نقطة سوءٍ كُونَتْ من خَباثةٍ تكوينا
فاجعليها قِسطَ الذين استباحوا في السِّياسات حرمة الأضعفينا
وإذا خِفتِ أن يكون من الصخر جلاميدُ تَرجم السامعينا
فابخَلي بالمِداد بُخْلًا وإن أُعطيتِ فيه المِئينَ ثم المئينا
فإذا أعْوَزَ المدادُ طبيبًا يصف الداءَ دائبًا مستعينا
فامنحيه المرادَ منّا وعرفًا واستطيبي مَعونة المُحسنينا
وإذا مُهجةُ الحَمائم أسدتْ نقطة سِرها الزكي المصونا
فاجعليها على المودّات وقفًا وهبيها رسائلَ الشيِّقينا
فإذا لم تكنْ بقلبك إلّا ما أعدَّ الإخلاصُ للمُخلصينا
فاجعليه حظّي لأكتبَ منه شَرْحَ حالي (لباعث) المرسلينا

إسماعيل صبري باشا

سياحة في كتاب البؤساء

إن كان هذا الكتاب سَريًا في نسبه إلى اللغة الفرنسية التي كُتب بها، فهو في هذه الترجمة العربية التي أخرجها حافظ، كأنما ينتسب إلى شعاع الوحي الذي يُفيض اللغة إلهامًا، ويمسّ العقل فيستفيض كلامًا، ولئن كان في أصله البديع وحي الفكر، لقد عاد في ترجمته المبدعة فكر الوحي[١].

تناوله ناقله من ذلك الأصل، فتمثلّ في نفسه، ثم فاض على ذهنه، ثم انبث على قلمه البليغ كما ينبث الضوء. فإذا هو أشعة تسطع على أفق الأدب العربي، سطوع الفجر على الأفق، ثم إذا هو لغة معجزة قد لبست حلّة لغة معجزة، ثم إذا شاعر عظيم قدساير شاعرًا أجلّ عِظمًا، حتى خرجا إلى الناس معًا في كتاب واحد.

وإن هذا الجزء على قلة ورقه ليكاد يكون ذهنًا دقيقًا في رأس البلاغة الإنسانية، فهو من حيث تعلقتَ به يثب بك في الخيال من طبقة إلى طبقة أعلى، ومن أين تبيَّنته رأيته في كل شيء شيئًا بديعًا، وهو من ناحية يفتح لك من الإعجاب بابًا لا تنتهي من ورائه إلى حدّ تقف عنده، وإن أوله ليسير بك إلى آخره، ليسري بك آخره إلى أوله.

ولقد نقل المترجمون من تلك اللغة إلى هذه ما نقلوا، وإن منهم من أحالوا العربية إلى فرنسية، ونقل عنها حافظ فسحر تلك اللغة من حيث سحرته، وأدخل معانيها على لغة الضاد، كما يدخل اليقين في الفؤاد.

فلو خُيّرت الآداب الفرنسية ما اختارت على قومها قومًا، ولا رضيت من لغتها لغة إلا في تعريب البؤساء، فإنها لتسكن إليه سكون الفكرة إلى برهانها.

---

(١) هذا من الغلو. (س).

ولقد أصبح معرّب البؤساء علمًا في المعربين، لا بأنه أقدرهم على التعريب، وأبصرهم به، وأكرمهم فيه سابقة، فإن فيهم الثقات المتفردين؛ ولكنه تميز بأن ترجمته إعجاز من لغة، بإعجاز في لغة أخرى، فقد لفّ من حاشيتي اللغتين على أسلة قلمه لفًّا محكمًا.

على أن من المترجمين من يمزّق من اللغة التي ينقل منها، ليرقّع اللغة التي ينقل إليها، فيترك إحداهما عارية تتوارى، ويترك الأخرى -وهي كاسية- أشد تواريًا.

وقد تجد من هؤلاء من ينقل صحيحًا، ويؤدي فصيحًا، بيد أن فوق هذه المنزلة منزلة أخرى في الصناعة العالية، تشرف على نفسك بالمعنى المنقول من موقع الطرب، حتى لتحسّ من فرط الروعة والإعجاب أنه وحي يوحى.

ولقد وُفق حافظ توفيقًا نادرًا في هذه الترجمة التي لا تتسع أمامها إلا قوة مُطلع، قد أوسع اللغة بحثًا وتنقيبًا حتى ماج بتيار اللغة صدره، ولم يكن أطول من فكره إلا أمله وصبره.

فليهن معرّب البؤساء أنه أقدم على لغة تناولها، فتمكن منها، فكان يضع قلمه منها حيث شاء، لا يُعجزه ما يعجز غيره من أولئك، ولا يردّه عنها ما يردّهم، ولا يقف به ما يقف بهم في معنى عفّه في العربية لفظُه، وآخر ساء في التأدية حظّه، وعبارة من جوانبها مهدودة، وأخرى في غلطات الصناعة معدودة.

ثم ليَهنه أنه جاء بالترجمة من آثار بيانه، وإحكام صناعته، كأنها شعر اللغة أو لغة الشعر، فلا تكاد تمر بالجملة منها، حتى تجري على لسانك مجرى البيت النادر من الشعر على ألسنة الرواة.

محمد صادق عنبر

أذكى العرب وأذكى العجم

المشهور أن ابن المقفع كان نادرة في الذكاء، غاية في جمع علوم اللغة والحكمة وتاريخ الفرس، ويُقال: إنه لم يكن للعرب بعد الصحابة أذكى من الخليل بن أحمد، ولا كان في العجم أذكى من ابن المقفع، إلا أنه لم يكن كيِّسًا حازمًا.

وكان الخليل بن أحمد يحبُّ أن يرى ابن المقفع، وهو يحب أن يرى الخليل؛ فجمعهما بعض الكبراء؛ فمكثا يتحادثان ثلاثة أيام ثم افترقا؛ فقيل للخليل:

كيف رأيت عبد الله؟

فقال: ما رأيت مثله، وعلمُه أكثر من علقه.

وقيل لعبد الله: كيف رأيت الخليل؟

فقال: ما رأيت مثله، وعقلُه أكثر من علمه.

فقال بعضهم في ذلك: صدقا، فإن عقل الخليل أدّاه إلى أن مات أزهدَ الناس، وإنّ نقص عقل ابن المقفع أدَّاه إلى أن كتب أمانَ عبد اللّه بن علي بصورة أفضت إلى قتله.

الغد!

ذريني أعبّي للقتال كتائبي   فلي في غد شأنانِ في البرّ والبحرِ
ذريني أهيّء للأحاديث في غدٍ   فإن غدًا يوم سيبقى على الدهرِ

ولست أخافُ الدارعين وإنما أخافُ فُجاءاتِ الخيانة والغدرِ
وليس كمين الحرب ما أنا هائب ولكن كمين الغدر في ظلمة الصدرِ

أحمد شوقي

غفلاتنا

تنجوا الممالكُ ما نجا استقلالُها فإذا اضمحلَّ أعارها اضمحلالا
ما قام شَعبٌ نام عنه وُلاتُه واستشعرَ التفريطَ والإهمالا

* * *

إيهًا ولاةَ الشرق إن وراءَكم قومًا يوالون المغار عِجالا
سدُّوا الفضاء، وإنني لإخالهم جِنًّا بأرض الشرق أو أغوالا
وكأنّ ذا القَرنين عوجل سَدُّه وأراد ربك أن يَحول، فحالا
لا يَشبعون، ولا يزال طعامُهم شَعبًا أشلّ، وأمةً مِكسالا!
تأبى الطبيعةُ أن تُصافحَ أمَّةً ترضى الهوانَ وتألف الإذلالا
حيرَى بمضطرَب الحياة يَروقُها ألّا تزال على الشعوب عيالا
وَرْهاءَ تخذُل من يقوم بنصرها وتَظَلُّ تنصرُ دونَه الخَذّالا
وإذا أهابَ بها الهُداةُ رأيتَها تَعصي الهداةَ وتتبع الضُلّالا
تسعى الشعوب ونحن في غَفَلاتنا نأبى الفعال ونُكثرُ الأقوالا
ركبوا مُتونَ العاصِفات، وشأننا أن نركب الأوهام والآمالا[1]

(١) المجددون في اليابان -مثلًا- بدؤوا بالتجديد من دولاب الماكينات، وانتشاء أفران الفحم الحجري في المصانع، وتأليف شركات للبواخر، أما المجددون عندنا؛ فبدؤوا بالتجديد =

يا باعثَ الموتى ليوم مَعادها تَنسابُ من أجْدَاثها أرسالا
أعِدِ الحياةَ لأمةٍ أودت بها غَفَلاتُها، فَثَوَتْ سنين طِوالا
وأضيءْ لها سُبُل النجاة ليهتدي من زاغ عن وضح الطريق ومالا
وتَولَّها بالصالحات، ولَقّها منك الأمان، ووقّها الأوجالا
وامنُنْ عليها من لَدُنْكَ بقوّةٍ توهي القيودَ وتَصدَع الأغلالا
لا تجعلنّا في المهانة آيةً تخزي الوجوه، وفي الجمود مِثالا
واجمع على صِدق الإخاء فضاضنا فلقد تفرّق يمنةً وشمالا
أودَي بنا بين الشعوب تباغُضٌ صَدَع القلوب ومزَّق الأوصالا
تستفحلُ النكباتُ بَين ظهورنا ويزيد مُعضل دائنا استفحالا
نلهو ونلعب جاهلين، وإنني لأرى حياة الجاهلين مُحالا

❊ ❊ ❊

لهفي على الشرق الحزين وأمّةٍ لا تبتغي عزًّا ولا استقلالا
الله يحكم في الممالك وحدَه ويصرّف الأقدار والآجالا

أحمد محرم

أحدث طابعة

أنشئت أخيرًا -في القسم الشرقي من لندن- دارٌ فخمة سموها «دار نورثكليف»، لتكون فيها إدارة جريدة «ديلي ميل» ومطبعتها، وقد جُهزت المطبعة

= من كتاب الشيخ علي عبد الرزاق، وكتاب طه حسين، وفتنة لبس البرنيطة، فسبحان الموفق...!

بطابعة هي أكبر وأحدث طابعة في العالم كله، ومما وُصِفَتْ به أنها تطبع في الساعة الواحدة ٧٥٦ ألف نسخة من جريدة ديلي ميل، وتطويها، وتَعُدُّ نسخها، وتنقلها في طريق خاصّ إلى مَوقف السيارات المُعدَّة لحملها إلى محطات السكك الحديدة.

وإلى جانب هذه الطابعة ٤٢ آلة تنطلق بلمسة أصبع، فتدور بسرعة مدهشة، وتتغذّى الطابعة بملفّات الورق المرصوفة في أماكن منها غير ظاهرة، كما تتغذّى ماكينة الخياطة بالخيوط من أداة مخبوءة في داخلها.

وفي الطابعة أدوات تتناول بنفسها ملفّات الورق الضخمة، فكلما انتهى ورق ملف حلَّ محله أخوه.

وتدار الطابعة بثمانية عشر محركًا، قوة كل منها ١٠٠ حصان.

أما بناء «دار نورثكليف»، فمن أعجب المباني وأمتنها، وقد حفروا فيه ٣١٥٠٠ ياردة مكعبة، ليتمكنوا من جعل الطابعة تحت مستوى طريق المدينة بستة وثلاثين قدمًا، فبلغ ما ارتفع من الأتربة ٢٤ ألف طن و٤٨٠ طنًا.

مكانة الولد من قلب الوالد

كانت حية بنت الحارث زوج عمرو بن شأس تؤذي ولده عرارًا، فقال يتوعدها بالطلاق:

ألم يأتها أني صحوت، وأنني تحالمت حتى ما أعارم من عرم
وأطرقتُ إطراق الشجاع، ولو رأى مساغًا لنابيه الشجاعُ لقد أزم

حامد البقار وجهادُ الريف بعد عبد الكريم

انهضْ! فشعبكَ للبسالةِ حامِدُ شَعْبٌ بَنَتْهُ مَآثرٌ ومحامدُ
انهضْ زعيمَ الريف بعد زعيمه يهوي زعيمٌ حين يصعدُ صاعدُ
صدقت نُبوءةُ من أحبّ فخاركم حُبّي[1] فما سكنَ العَدُوّ الشاردُ
لكم البقاء مجدَّدًا ومكرَّرا وله المصائبُ والغُرورُ البائدُ
إن الأُولى أحْيَوا بكم ميثاقهم علموا بأنَّ المجدَ إرثٌ خالدُ
مَضَتِ القرون وما انقضى إلهامُهم أو أنّه بعد التأمل عائدُ
وكأنَّ شعري نَفْحة مِنْ سرّه وَثَبَتْ وإنْ جهلَ الجبانُ الجامدُ
وأنا الذي يجري لمطمحه دمي ولهُ بهِ حَقٌّ وأصلٌ واحدُ[2]
وأنا الذي لولا بلادٌ كوّنتْ نفسي لسار لكم فؤادي الجاهدُ
فلموطني رُوحي وكلُّ جوارحي ولكمْ حنيني والشُّعورُ الماجدُ
يكفي لنا النَّسَبُ العتيدُ مجّمعًا فجمعينا صَيْدٌ رماه الصائدُ
بعض الجوابِ وكم يُثير مشاعري هذا اللَّهيبُ تذوب منه قصائدُ!
ياليتها كانت قنابلَ قُوَّةٍ يشقَى العدُوُّ بها ويَفنى الكائدُ
قمتم فكنتم كالأذان لنهضةٍ فاعتزَّ مغلوب وهمَّ الراقدُ
ودعا الدعيُّ بأن تناثر فرقدٌ[3] ماذا أصابَ وفي الجموع فراقدُ؟
إثْأرْ لشعبِكَ ما استطعتَ فإنّه ثأرٌ له المجدُ المؤثَّل شاهدُ
ولو أنَّ بين المسلمين طوائفًا غفلت، كأنّ المسلمين أباعدُ!

---

(١) راجع قصيدة: «الأسد الأسير- عبد الكريم»، في الزهراء (٢/ ١٦٤).
(٢) إشارة إلى ما في نسب أسرته من دم أندلسي.
(٣) دعا: نادى. يشير إلى تسليم عبد الكريم.

فإذا عثرتم لم يفتكم لَوْمُهُم وإذا انتصرتمْ لم يفتكم جاحدُ
عذرًا فقد عبثَ الدَّخيل بنُبْلهم وكأنَّهمْ في العرْبِ عضو فاسدُ!
عُذرًا وصَبرًا ثم جُهْدًا آخرًا فلكُمْ من الحق العظيم مُساعدُ
ولسوف يتبعُكُم تآزر عُصْبَةٍ فَلَكم بَنتْ همَم الشعوبِ شدائدُ

أبو شادي

دار الحزن

ضَحِكُ الدنيا احتشادٌ للبكا وأغانيها مُعدّات الأنينْ
إنما الدنيا شجونٌ تلتقي وحَزينٌ يتأسَّى بحزينْ

أحمد شوقي

ربيع البائس

وبالسفح من جنبَ الحِمى كم مُفارق بكى شَجوَه، ثم انثنى يندُب الحِمى
أطافتْ به من ذلك الرَّبع نفحةٌ تأرَّجُ كافورًا وتُذكر مغرما
نسيم إذا ما هَبَّ أوقد جذوةً من الشوق للروض الذي قد تنمنما
كأن زهورَ الروض في جنباته درارٍ هفتْ شوقًا إليه من السما
تَلاحظُ من وردٍ ورندٍ ونرجسٍ عيونًا أفاقت بعد ما كنَّ نوَّما
يقرّ بعين العندليب جمالها فيبعث أنسَ السامعين مُرنّما

تثير تباشيرَ الربيع يدُ الصبا فتنسج فوق العاصي درعًا مرقّما[1]

❁ ❁ ❁

سقى عهدَ أنسٍ فيه عشنا بغبطةٍ عهادُ الحيا تروي النواديَ والدُّمى
فكم غادة بعد الترفّه والمنى ألمَّ بها عادي الشقا وتجهَّما
يظلّلها الغضُّ الوريف وتنثني كما ينثني لدن الغصون تنعما
وكان مُنى نفس المحبّ وصالُها فأصبح يبكي -بعدما نُكبتْ- دما

❁ ❁ ❁

ولو يعلم الولهان غاية أمره لما عَلقَ الولهان كحلاً ولو لمى
يهيّجه الطير المغرّد كلما شدا، ويقاسي للبعاد التألما
وحبّبَ ذا المغنى إلى القلب أنه يقاسمنا -في العيش- بُؤسى وأنعما

عمر يحيى

لا خير فيكم إذا لم تقولوها ... ولا خير فينا إذا لم نقبلها

قال رجل لعمر بن الخطاب ﷺ في كلام دار بينهما:

اتق الله!

فأنكر عليه بعض الحاضرين وقال له: أتقول لأمير المؤمنين اتق الله؟

فقال له عمر: دعه فليقلها لي، نِعْمَ ما قال؛ لا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خير فينا إذا لم نقبلها.

---

(١) العاصي: نهر حماه.

الحديقة

مجموعة أدب بارع، وحكمة بليغة

الجزء الخامس

انتقاها

الكاتب الإسلامي الكبير

محب الدين الخطيب رحمه الله

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله ربّ العالمين، وصلّى اللّه على المرشد الأعظم، والقُدوة الأكرم (محمد بن عبد الله)، وعلى آله وصحبه وسلّم.

وبعد؛ فهذا الجزء الخامس من «الحديقة»، أودعتُه خِيرة ما اطّلعتُ عليه من منثور كتّابنا، ومنظوم شعرائنا، خلال المدّة التي صرفتها في جمعه، ولا أزال أتوخّى فيما أختاره أن يكون جامعًا إلى بلاغة القول لذَّةَ الموضوع، وشرفَ الغرض، وحصولَ الفائدة؛ لتكونَ الأجزاء كلها كالينبوع المتدفّق، لا يبرح يأتي بماء جديد، وإن كان الآتي منه كالماضي في صفائه وعذوبته، والله وليُّ السداد.

القاهرة: ١٥ جمادى الأولى، ١٣٤٦

محبُّ الدين الخطيب

شعرنا وشاعرنا

بمناسبة أسبوع أحمد شوقي

❑ الأدبُ الناعِس:

ما برِحَ الأدبُ العربي يسير في طريقه ناعسًا، والشِّعرُ في نظر قرائنا بمنزلة الكماليات؛ حتى اصطَدَم بجَيْئة (تاغور) إلى مصر؛ فكان الأدبُ والشعر حديثَ الناس، وكانتِ الموازنةُ بين آثار هذا الشاعر البَنْغاليّ، وبين شعرنا العصريّ باعثةً على التفكير فيما بلغ إليه شعرنا، وما يحتاج إليه من إصلاح، ثم جاء (أسبوع شوقي) بعد (زيارة تاغور)، فاتَّسع الوقتُ للكلام على الشعر والشاعر، بما لم يسبق له مَثيل، منذ عهد طويل.

نعم، إن الفرصة أُتحيت لأدبائنا وكبار كتّابنا أن يقفوا من حياتنا الأدبية موقف الجدّ، فيطيلوا النظر فيها بتُوَدَةٍ وتدبّرٍ وإنصاف، ويفكّروا في المرحلة التي قطعها الأدب العربي في هذا العصر، والوقتِ الذي صرفناه للوصول إليها، والاتّجاهِ الذي يتقدَّم شعرُنا نحوَه، وما هي مواطِن الضعْف فيه وما هي بواعثُ هذا الضعف وما هو المخرج منه، وكان من حقّ شوقي -وقد أقمنا له أسبوعًا- أن يكون فرسانُ هذا الميدان كلُّهم في الحَلْبة، فلا يبقى واحدٌ منهم غريبًا عنها، ثم يتولَّى كلُّ رجل منهم ناحِيةً من نواحي شوقي، وشعرِ شوقي، وبيئةِ شوقي، فيوفّيها حقَّها من النظر، ويُفضي إلى شباب هذه الأمة وأهل الذوق الأدبيّ فيها بنتيجة درسه المستفيض: إما في حَفَلات «الأسبوع»، وقد اتسعتْ للكلام على المأمون والمستشرقين والجمعية الأثرية المصرية؛ وإمّا في الصحف وقد فَتحتْ صدرها للتحامل على شوقي بظلم، وللثناء عليه بأقلام لا يطمع بعضُ أصحابها

بأكثر من أن يفرحوا برؤية أسمائهم مطبوعة في الصحف السيّارة، كل هذا كان يجب أن يكون؛ بل بعض ما كان يجب أن يكون، لولا أننا أمة مازالتْ تلعب، ومازال أبناؤها يقيسون المصلحة العامة بمقياس الهوى، ويزِنون الحقائق بميزان الأوهام، لذلك كان أدبُنا بين حالتين:

أن يسير ناعسًا قبل الصدمتين الأخيرتين، ثم أن يضيع بعدهما صوابُ القول فيه: فيطغى عليه إغراقٌ في الذمّ لا حدَّ له، وإغراقٌ في الثناء لا حدَّ له...

❑ الشعرُ والشاعر، والمثل الأعلى الذي نطمع أن يصلا إليه:

إن الأدب العربيّ يطمعُ بشاعرٍ لم يُخلَق بعدُ، ولعلَّه خُلق ولكنَّ عِبءَ الشهرة ووباءَها لم يُنيخا بأثقالهما على صدره فيمنعانهِ من المُضيّ في طريق المهمَّة المحفوظة له في تاريخ اللغة العربية، لغةِ الخلود.

إن الأدب العربي يطمع بشاعرٍ قامت أعلامُ الفضيلة ومعَالم الإيمان حول الحَرَم الذي يسكنه فؤاده، فلا سبيلَ تسلُكه الأغراضُ الصغيرة إلى هذا الحَرَم، ولا مَنفذَ يَدخل منه الهوى إلى ذلك الفؤاد.

إن الأدب العربي يطمع بشاعرٍ له من قوى النفس ما يَقوى به على النفس فيَحُول بينها وبين أن تنحطَّ إلى غِمار أهل هذه الدُنيا الدنيئة ويمنعها من أن تستأسِر للشهوات الأدبية والمادية، ويرتفع بها غيرَ بعيد حتى تُشرف على آلام الفَرد وآماله، وعلى أمراض الجماعة وينابيع قوّتها، ويكون له من دقّة الحسّ ما يسمع به نابضَ الحياة في مجالي الطبيعة ويلمح بدائع ألوانها وأسرار أشكالها.

إن الأدب العربي يطمع بشاعر يخترق ببصيرته حُجُبَ الماضي، حتى يتراءى له ما خفي على التاريخ من أدوار هذه اللغة العجيبة التي عرفَ الناسُ شبابَها ولم يعرفوا طُفولتها. ثم يرتفع بهذه المعرفة حتى يشهد أمجادَ الناطقين بالضاد في

تلك الأدوار، أيامَ كانت ألسنتهم تدور باختراع صِيَغها وتقسيم أوضاعها، وتفنُّن بتنظيم لآلئها واشتقاق بدائعها، وتتحرَّى المناسبات العجيبة للتوفيق بين المعاني والألفاظ الدالّة عليها. فإذا انتقشت صورة ذلك الماضي النبيل على صفحة قلب الشاعر، وفي تلافيف دماغه، وامتزجت بجملة نفسه تحوَّل عنه إلى المستقبل، فتجلَّى له الأُفق الأقصى الذي يَتوقَّع أن تبلغهُ - بلل الذي يجب أن تبلغهُ - هذه اللغةُ القدسية، والشعوبُ الأمينة على بدائعها. ومتى كَشَفَتْ له ملائكةُ الشعرِ حُجبَ الغيب عن ماضي هذه القومية ومستقبلها، فَنِيَ فيها وصار لسانَها الناطق بأمجادها، والقائد الداعيَ إلى وصلْ ما بين ذلك الماضي وهذا الآتي بما يُرشد إليه من الأسباب التي تُهيئُ الناطقين بالضاد لأن يكونوا لذلك أهلًا.

إن صحافتنا تقوم اليومَ بمهمَّة الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون، وتؤدّي عملهم على أتمّ وجه، وتتقلَّب مع مقتضيات الدنيا وشهواتها وأهوائها بين كل صبح ومساء؛ حتى اكتفينا بهذا الضرب من الشعر، وبتنا في حاجة إلى الشاعر المفقود، إلى الشاعر الذي يُؤْمِن بما يقول، ويُفيض الإيمانَ على قلبه إلهامٌ تقتبسه مَداركه من ظلمات الحاجة الإنسانية، وتنتزعه عزائمه من أنياب الفاقة القومية؛ ثم تُرسِلانِهِ نورًا باهرًا تُبصر به الأمةُ سبيلها إلى الخير، وغِذاءً شهيًّا تقوى به على بلوغ مَطمحها المتواري وراء الآفاق.

تُرى هل وُلد الشاعر الذي يحمل رواء الناطقين بالضاد إلى ميدان الكفاح؟ وإذا كان قد وُلد، فهل هو يُعدّ نفسَه لهذه القيادة المقدَّسة، ويجهّز شاعريته بالأخلاق التي تؤهله ليكون «شاعر المستقبل».

إن العربية وأهلها ينتظران...

إنهما ينتظران، ولكن يجب أن يكون انتظارُهما انتظارَ حركة وحياة، لا انتظارَ سَكينة وانتحار؛ فالنبوغ لا يكون إلا في البيئة الصالحة له، ألم يقل

الأستاذ النَّشاشِيبي يومَ خَطبَ في (العربية وشاعرها الأكبر): إن «مِنْ سنن اللَّه ومن دَساتير الطبيعة ألَّا يفاجئ نابغةٌ أو عظيم -فيما قُدّرَ له أن ينبغ أو يعظُم فيه- قومَه مفاجأة دون أن يستعدُّوا له، إذ النابغة في شيء ما إنما هو جوهر أمّته، ولا يخلُص خيرٌ إلا من خير، وما حَدَث كونٌ عن عدم». فلولا وجود شوقي اليوم ما طمعنا في قرب ظهور الشاعر الذي ننشده، ولولا تقدُّم البارودي وصبري لما تأهَّلَت الأمةُ العربية الآن لقراءة الشوقيات.

❑ أول عهدي بالشوقيات:

لستُ أذكر على التحقيق في أيّ عام عرفتُ شعر شوقي للمرَّة الأولى، ولعل ذلك قبلَ نحو ربع قرن: فقد كنتُ غلامًا حديث السنّ أدرس في بداية القسم الثانوي من مدرسة الحكومة العثمانية بدمشق، يومَ وصَلَتْ الطبعة الأولى من الشوقيّات إلى مكتبة ابن هاشم في باب البريد، ووصَلَتْ معها نسخٌ من كتاب «السَفَر إلى المؤتمر» للأستاذ أحمد زكي باشا، فاقتنيتُهما وسهرتُ أتلو الشوقيات إلى الصباح: على نور مصباح البترول تارة، ونحت أشعة البدر تارة أخرى، مبتهجًا بأن يكون في العربية شعرٌ كذلك الشعر؛ ولم أكن أعلم قبل تلك الليلة أن في لغتنا شعرًا غير قصائد المدح والهجو التي كان الناظمون ينظمونها في مدينتنا، فانصرفتُ إلى درس الأدب التركي، وكنتُ مشغوفًا بما يكتبه أدباء مجلة (ثروت فنون): فِكْرَتْ، وجَناب، وخالد ضياء، ومحمد رءوف، وناظم، وسُعاد، وحكمت، وجاهد، وفائق عالي، وشيوخ هذه الطبقة: كمال، وحامد، وأكرم. وكنت في رُفقةٍ نستحي أن تكون لهؤلاء قطعة شعرية أو فقرة أدبية ليس لنا بها سابق علم.

ولشعراء الترك وأدبائهم حرمةٌ عند شَبابهم وسائر قرّائهم، لم أرَ مثلها لشعرائنا وأدبائنا عند شبابنا وسائر قرّائنا، فإذا نبغ الرجلُ فيهم صارت له في

قومه مكانة لا يطمع بمثلها وزير ولا سري، وحتى لو كان النابغُ لا يجد ما يجدّد به طربوشه مرة في كل سنتين!

فلما اكتشفتُ أنا ورُفقتي كنز الشوقيات؛ عكفنا عليه نختار في مجموعاتٍ لنا بعضَ تلك البدائع نكتبها بخطوط جميلة، ويُعنى بعضُنا بتصوير مدلولاتها: فإذا كتبنا ميميَّته في زيارة الإمبراطور غليوم قبرَ صلاح الدين، صوَّرنا إلى جانب القصيدة قبةَ صلاح الدين، وإذا كتبنا موشَّحة «البُسْفور كأنّك تراه» ملأنا الصفحات اليُسرى من مجموعاتنا بالمشاهد الموصوفة في تلك القطعة الشعرية وإلى يمينها الأبيات الخاصة بها، وإنما ننسخ هذه القصائد بالخطوط الجميلة ونزيّنها بالصور؛ لنعرب عن عنايتنا بها، وإلا فقد غدت محفوظة في الصدور، وبتنا ولشوقي في قلوبنا حرمة كالحرمة التي كنا نشعر بها نحو أدباء اللغة التركية، أضف إليها عصبية اللغة، وإن وراءَ هذا لأمرًا عظيمًا...

وانتقلتُ إلى بيروت ثم إلى القسطنطينية أنا وأخي الشهيد الأمير عارف الشهابي، ثم طوَّح بي الدهر إلى اليمن، فكانت الرسائل غادية ورائحة بيننا وبين بقية الرفقة: صلاح الدين القاسمي، والشهيد صالح قنباز رحمة اللّه عليهما، ورشدي الحكيم، الأديب الضليع، ولطفي الحفّار، الوزير الدمشقي المعتقل الآن في لبنان، وسامي العظم رئيس ديوان الرسائل بوزارة العدلية وغيرهم.

أتدري ماذا تحمل هذه الرسائل؟

إن أهم شيء فيها نسخةُ ما تنشره الصحف والمجلات من شعرٍ جديد لشوقي، ومطران، والكاظمي، والرافعي، والكاشف، والرصافي، ومحرَّم، فإن هذا الجديد من الشعر لم يكن يجوز أن يتأخر البريد يومًا واحدًا عن حمله إلى كل واحد من أولئك الرفقة، تحت أية سماء كانوا.

إذن؛ فأنا صديق قديم للشوقيات، ومن حقّ قرائي عليَّ أن أتحدَّث معهم عنها بمناسبة (أسبوع شوقي) الذي ماجت القاهرة بحفلاته في أوائل الشهر الماضي.

❑ شوقي وشوقيّاته:

جَلا شعرُه للناس مِرآةَ عصرِهِ ومرآةَ ماضي الشعرِ من عهد تُبَّعِ
يجيء لنا آنًا بأحمدَ ماثلًا وآوِنةً بالبحتريّ المرصّعِ
ويَشْأُو رُقى هِيكو، ويأتي نسيبُه لنا من ليالي (ألفِرِيدَ) بأربعِ

حافظ

شوقي ابن البِيئة التي أوجدتْه، والعوامل التي كوَّنته، والدواعي التي أخذت بيده فسيَّرته، ولا ريب أنَّ مواهبَه واجتهاده ساعدا تلك البيئة والعوامل والدواعي إلى أقصى مَدَى يستطيعه الشاعر المحفوف بظروفه، فكان لنا منه صاحبُ الشوقيّات بكلّ ما لها وما عليها.

قالوا: إن الشطر الأعظم من قريضه مدحٌ ورثاء، وعدّوا ذلك منه إسرافًا، وودُّوا لو كان في مكان تلك القصائد من الشوقيات نظراتٌ إلى دخائل الحياة المصرية، تشفّ عن فرط إحساسه الشعري، ومشاركته لطبقات الأمة آلامها وآمالها.

وقالوا: إن إرادته لم تكن بيده، وإنما كانت شاعريته تتأثَّر بعوامل السياسة وميول أهلها، لقربه من المسرح الذي تشتبك فيه أصول تلك العوامل وأسبابُها، ورتَّبوا على هذا أنه لم يكن ثابتًا على المبدأ، وأنه كانت تنقصه الشجاعة الأدبية.

وقالوا: إنه اصطنع الشعرَ للذَّته، فلم يغترف من طبائع الأشياء، وأوضاع

الناس في الحياة غَرفة شاملة يتذوَّق بها حاجةَ عصره، ولم يستغلَّ موهبته استغلالًا جيّد المحصول عامّ النفع؛ لذلك كان شعره كماليًا للأمة.

لقد قالوا مثل هذا القول وأكثروا منه؛ وأنا لم أجدْ فيما قالوه نقدًا لشعر شوقي، وإنما وجدتهم يريدون من شوقي لو كان عاش في غير البيئة التي عاش فيها، وكان ابنَ عواملَ أخرى غير العوامل التي كانت تحت تأثيرها، وأنْ لو انقاد لغير الدواعي التي انقاد لها.

أما وقد شاءت الأقدارُ[1] لشوقي أن تكون تلك بيئته، فإن الأدب العربيَّ لم يكن يطمع بأحسن مما أحسن به هذا الشاعر العبقريُّ إلى أدب لغته، حتى تبوَّأ منه المكانة التي رفعته الشوقيات إليها وضَمنَت له بها الخلود.

اتفقت الكلمة على أن نفسيَّة شوقي ترجع إلى أصول متغايرة، وعناصرَ مُتباينة، وتلك نتيجة طبيعيَّة لتباين العناصر التي تكوَّن منها شوقي، ولتغايُر الأصول التي امتصَّت منها شاعريتُه غِذاءها، ألم يقل لنا عن نفسه أنه مزيج جنسيّات متعدّدة؟ ألم تتناوب تكوينَ ثقافتِه مدينتنا القاهرة وباريس؟ أليس رفيقَ المتنبي وهيكو منذ أربعين عامًا؟ ألم يعش في بلد تنوَّعت فيه السلطات والأزياء والأحكام؟ أليس إذا أراد أن يعتزَّ بأمجاد التاريخ جعل يتنقَّل بين أهل الجنان الأندلسية من بني عبد شمس، وبين ذكريات الفراعنة في أنَس الوجود، وبين ما ينكره الكماليون اليوم من مَحامد آل عثمان؟ أليس هو القائل لرجال الأزهر:

يا فتيةَ المعمور سار حديثُكم ... نِدًّا بأفواه الركاب وعنبرا
المعهدُ القدسيُّ كان نَدِيُّه ... قطبًا لدائرة البلاد ومحورا
وُلدتْ قضيَّتُها على محرابه ... وحَبَتْ به طفلًا وشبَّت مُعصرا
هُزُّوا القُرى من كهفها ورقيمها ... أنتم لعمرُ اللَّه أعصابُ القُرى

---

(١) الصواب أن يقال: شاء الله. انظر: «معجم المناهي اللفظية»؛ للشيخ: بكر أبو زيد ﷺ (ص٣١٣). (س).

بينما هو القائل فيهم:

إذا عرض الجديدُ لهم تولَّوا كذي رَمد على الضوء امتناعا

أليس يرى من الكياسة ألَّا ينسى نصيبَ الصليب من الإشادة بالذكر(١)، كلما طلع الهلالُ بأفق من آفاق شعره، أليس هو الذي نادى الساقي في عيد الفطر، وكان يستطيع أن يناديه قبل العيد، لكنه لم يفعل، وكان يستطيع ألَّا يناديه قط، ولكنه لم يفعل أيضًا، ولو فعل إحداهما لكان معارضًا لمقتضى تلك الأصول المتغايرة والعناصر المتباينة.

إن الشوقيّات نِتاح هذه الأصول والعناصر، وقد استطاع شوقي بكياسته ودَهائه وعبقريته أن يوفّق بينها بما يبلغه جهد الشاعر العظيم، فإذا ابتسم للوردة بنشيد من أناشيد الطرف ادَّخر لأشواكها صيحة من صيحات الغضب يرسلها يوم تدعو الظروف إلى إرسالها؛ وفي كل غُصن من شجرة الحياة وردٌ وشوك، وفي كل يوم من أيام هذا الكون نورٌ وظلام، وللناس من دهرهم ابتسامةٌ وازْوِرار. وهل رأيتَ شيئًا تغنَّي شوقي بمَحامده كما تغنَّى بمحامد الخلافة الإسلامية وقوَّتها من عهد العُمرين عليهما رضوان الله، إلى يوم خاطب الطاغيةَ عبدَ الحميد(٢) بقوله:

وهابَ العِدى فيه خلافتكَ التي لهم مأربٌ فيها ولله مأربُ

---

(١) وهذه من زلات شوقي! إذ كيف يشيد المسلم بهذا الشعار الكفري «الصليب»، الذي أنكر القرآن على معتقديه، بقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾؟ ولكنها «الوطنية» المخالفة للإسلام، التي انساق معها شوقي، وأكثر أدباء وكُتّاب عصره؛ فأدته إلى مثل هذا الإشادة. (س).

(٢) يقصد: السلطان العثماني عبد الحميد الثاني. وقد جاء ﷺ إلى حكم الدولة العثمانية وهي تمر بظروف عصيبة؛ قد دب الوهن إلى جسدها، بسبب تكالب الأعداء عليها، وتململ بعض جهاتها من حكم الأتراك؛ كاليمن وغيرها، وبسبب انتشار الأفكار الغربية بين =

فلما أبلغهم مصطفى كمال مأربَهم فيها متقربًا بذلك إليهم، وظانًا -وبعضُ الظن إثم- أنه يحملهم بعمله على تغيير رأيهم في قومه، لم تضنَّ عبقرية شاعرنا العظيم بقولٍ جميل يرسله في الناس استحسانًا لما كان؛ فراح الناسُ يحفظون شعرَه الثاني كما حفظوا شعرَه الأوَّل؛ افتتانًا بجمال بيانه الساحر، وإنَّ من البيان لسحِرا.

لقد كان الأستاذ أنطون بك الجميّل وفيًّا للأدب بما اعتذر به لهذه الصفحات المتباينة من الشوقيات، ولقد والله ذكّر الناس بكثير من الحقائق؛ ولكن العذرَ الشامل لما مضى، وما سيأتي من أمثال ذلك إنما هو اختلافُ الأصول وتباين العناصر، وشوقي لم يَعْدُ سُننَ الطبيعة فيما يتركه من آثار ذلك في الشوقيات،

= أبنائها، وجمود أهل الدين على عقائد المتصوفة البدعية السلبية، ومعاداتهم لدعوة الكتاب والسنة، الدعوة السلفية؛ مما عجل بنهايتها، رغم محاولة السلطان عبدالحميد إعادة مجدها بالدعوة إلى الجامعة الإسلامية في مواجهة الأعداء، ورغم مواقفه المشرفة تجاه اليهود، إلا أن الشق اتسع على الراقع، لاسيما والسلطان نفسه - عفى الله عنه - ممن كان لهم دور كبير في تقريب دعاة التصوف والخرافة، والصدور عن آرائهم. وانظر للمزيد: رسالتي «كيف سقطت الدولة العثمانية؟». وانظر للمزيد عن حياة السلطان عبدالحميد وحكمه: «السلطان عبدالحميد آخر السلاطين العثمانيين الكبار»؛ للدكتور محمد حرب، و «عصر السلطان عبدالحميد»؛ لمحمد أبوعزة، و «السلطان عبدالحميد، حياته وأحداث عصره»؛ لأورخان محمد علي.

ولابد من التنبيه هنا إلى أن السلطان عبدالحميد رحمه الله قد شن عليه القوميون العرب - وفي مقدمتهم نصارى الشام - حملة عاتية، باتهامه بـ«الاستبداد»! وللأسف أن ينساق معهم محب الدين الخطيب! ومن تأمل حياة السلطان وأفعاله علم كذب هذا الاتهام، وأنهم إنما يعنون به وقوفه بحزم أمام تسرب الأفكار الغربية إلى بلاد الإسلام. وقد أنصفه الملك عبدالله بن الحسين عندما قال في «مذكراته» (ص ٢٩): «لقد زعم الناس أن عبدالحميد كان ظالمًا، ولقد كذب الناس، والله لم يكن بالظالم، ولكنه الحذِر المتحوط». فتنبه لهذا عندما تُطالع سيرته. (س).

وله المقدرة النادرة في تحويل الوجهة كلّما قضتْ عليه المواقف بتحويل مَراميه، وتلك من مزايا شاعرية شوقي التي لم أرَهم يفطنون لها.

وفيما خلا هذا فشوقي شاعر الوصف الذي ضنَّ علينا الزمانُ بمثله منذ ألف سنة، ويقولون إن أدب اللغة الفرنسوية أمدَّه بثروته، وأباح له مروجَ جنَّته؛ ولكن هل ضنَّت الآداب الإفرنجية بكنوزها وفراديسها على المئات بل الألوف من متعلمينا؟ أليس ذلك مباحًا لهم، ونرى أثره أكثر ظهورًا فيما يكتبون؟ والحق أن شوقي يملك بكل جدارة واستحقاق جميع ما في شعره من لآلئ؛ لأنها تأنس بمواضعها من شعره، وتظهر فيه بما هو أهل له من رونق وجمال، بينما هي في كثير من الشعر تبدو كالجواهر التي تستعيرها الغادة الفقيرة لتتجمَّل بها ليلة عرسها.

أقول قولي هذا ولا أجهل ما أشار إليه الرصافي والزيّات والشيخ عباس الجمل من طغيان المعاني على ألفاظها في بعض شعر شوقي، بحيث سهر الناس حائرين في تعليلها وتأويلها، بينما شوقي يقول مع أبي الطيب:

أنام مِلْءَ جُفوني عن شواردها ... ويَسهر الخلقُ جرّاها ويختصمُ

أما ما يؤاخذونه به من ضعف بعض مطالعه، فهو عندي دليلُ قوة لا دليل ضعف؛ لأن من دأب الجواد الكريم أن تزداد همَّته كلَّما بعُد الشوط بما لم يكن يظهر عليه في البداية، ويظن الأستاذ جبر ضُومط أن شوقي إذا ترك نفسَه على سجيَّتها أشدُّ منه إذا تعمَّل، بينما الأستاذ الزيات يقول: إن شوقي قد يعفي طبعه أحيانًا فيرسل الشعر كما يجيء من غير تنوّق فيه ولا تنقيح، فيأتي بما لا يتَّفق مع فضله، وأظنهما مُصيبَين جميعًا؛ لأن كلًّا منهما يتكلم من ناحية، وبين الوجهتين فرق دقيق، إذ التنقيح غير التعمّل، وقلَّما انتبه الناس إلى هذا الفرق.

ويرى الرصافي أن أرقى شعر شوقي ما قاله في الدور الأخير رغم تقدّمه في السنّ، فهو يتفق في هذا مع شوقي فيما يراه من أن أجود قصائده نونية «توت

عنخ آمون»، ولعلَّ لقرّاء الشوقيات رأيًا غير رأي شوقي في خير ما قاله من القصائد.

❑ ترجمة الشعر:

ذهب الأستاذ المازني إلى أن مقياس جودة الشعر عنده «أن الجيّد في لغة جيّدٌ في سواها»، وفي صدق هذه القضية نظر؛ لأن الشعر في لغةٍ إذا نقل إلى لغة أخرى، فإن الذي ينتقل إلى اللغة الأجنبية إنما هو عنصر واحد من عناصر الجمال في القطعة الشعرية، وهو المعنى، وتبقى عناصر أخرى كانت تبعث الروعة والإعجاب في نفوس قراء الشعر بلغته الأصلية، وهي مما لا يمكن نقله؛ لأنها ترجع إلى روابط خاصة بين تلك اللغة وعقلية أهلها، كما ترجع إلى ملابسات لا تعدو أبناءَ اللغة الأولى، كالإشارة إلى مَثل خاص بهم دون غيرهم، أو إلى حادثة لها في قرارة نفوسهم ذكريات لا يشعر بها غيرهم، ولعلَّ شعر الحكمة والتصوّف -كشعر المعرّى والخيّام وتاغور- هو بعد الشعر القَصصي أكثر من غيره احتفاظًا بجماله إذا نُقل من لغة إلى لغة، ومع ذلك فإن تاغور يرى أن قوة البيان لا تكون واحدة في اللغتين المنقول منها، والمنقول إليها؛ لأن لكل كلمة جوًّا خاصًّا بها في لغتها، وإذا أمكن ترجمة تلك الكلمة، فإن هذا الجو لا يُترجم، وإذا كان المُترجم شعرًا فإن موسيقى الشعر بلغته الأصلية لا تُنقل بالترجمة إلى لغة أخرى، حتى لو كان مترجمها باللغة الثانية هو صاحب الشعر باللغة الأولى.

يقول هذا الكلام تاغور الذي عانى هذه الصناعة، وتولى بنفسه نقل شعره إلى اللغة الانكليزية التي أجمع كل الذين سمعوه يتكلم بها أنه يجيدها إجادة لا مطمع لأحد بالزيادة عليها.

وأذكر أنني لما كنت في القسطنطينية؛ كتب الأستاذ مصطفى صادق الرافعي إلى ابن عم له هناك ملحًّا في أن يحملني على ترجمة شيء من الشعر التركي الحديث؛ ليطلع على أساليب القوم ومناحيهم، فكنتُ آخذُ المقطوعة البديعة جدًّا من المقطوعات الشعرية التي كنا نقرأها بشغف؛ فأترجمها محتفظًا بأدقّ ما فيها من المعاني، ثم أعلّق عليها بذكر ما يلابسها من نكات يعرفها القارئ التركي دون غيره، فإذا أعدتُ النظر فيها وقارنتها بالأصل، أجد من الظلم العظيم لصاحبها أن أرضى لشاعريته بالصورة التي ستنتقش في ذهن الأستاذ الرافعي عند قراءته ما أترجمه من شعر ذلك الشاعر.

ولما كتبتُ بحث «الأدب التركي في ثلاثة أدوار» وظهر بعضه في المجلد الثالث من (الزهراء)، عاد فطلب إليَّ أن أترجم شيئًا من شعر عبد الحق حامد، فوجدتُني لا أزال الآن على رأيي الذي كنت عليه لما كنت في القسطنطينية، ومع ذلك فإن الأستاذ كرد علي يقول: إنهم جرّبوا ترجمة «دِمَشقيَّة شوقي» بالفرنسية؛ فأُعجبوا بها، ولست أدري إلى أي حدّ تقيّدوا بأغراض شوقي ومعانيه عند نقلها.

❑ هل الفنُّ للفنّ، أم الفنُّ للفضيلة والخير؟

زعم المشتغلون بتعريف الفنّ فيما مضى أن الغاية منه «التعبير عن الجمال». ثم بدت لهم حقيقة رائعة، وهي أن الجمال عند قوم قد يكون قُبحًا عند آخرين، فما تراه الغادة اليوم جمالًا في شَعرها كانت تعتبره أمُّها قبل عشر سنين في منتهى القبح، وما تعتبره المرأة الصومالية جمالًا تتحدَّثُ عنه المرأة الإيطالية بتنقّص وازدراء.

وزعم آخرون أن غاية الفنّ تقليدُ الطبيعة، ولقد خُدِعتُ بهذا المذهب في طفولتي فقلت:

كأنَّما الطيرُ فوقَ الطرْسِ ينظرُ لي ... شَزْرًا يُقبّح ما في الطرس من فِكرِ
يقول: سُخطًا لشعرٍ رام قائلُه ... وصفَ الجمال فلم يرسُمْه كالصُّوَرِ

فهل يرى القارئ أن الصورة الشمسية لمشهد من مشاهد الطبيعة تعدُّ قطعة من القطع الفنية؟ الواقع أنه لا يراها كذلك.

وذهب إيبولِتْ تِنْ إلى أن الغرض الذي يرمي إليه الفن بيانُ الصفة الممتازة في طبائع الأشياء، ثم يكون ما بعدها من الصفات -سواء كان من لوازمها أو من الصفات المشتركة- تبعًا لتلك الصفة الممتازة. وهذا كلام حسن، لكنه يصبغ الفن بصبغة علمية، لأنه يُنكر شخصية المتفَنن وما لها من أثر جوهري في أسلوب البيان أو طريقة الأداء.

وقد انتبهَ إلى ذلك إميلْ زُولا فقال في حدّ الفن: هو الطبيعة منظورًا إليها من مِزاج المتفنّن، فالمتفنّن لا يعبّر عن الحياة، وعن الطبيعة بحقيقتهما الواقعة، كما كنتُ أظنُّ أيام الصبا؛ بل يعبّر عنهما كما يرتسمان في مزاجه؛ ومن هنا كان لشخصية المتفنّن والعناصر التي يتكوّن منها إيمانه وتفكيره وحُكمه دخلٌ عظيم في قيمة الآثار الفنية التي تصدر عنه إلى الناس.

ولكن هل يجوز أن يكون مزاج المتفنّن طليقًا من كل قيد، أم تشمله القاعدة التي تجعل للحرّيات حدودًا، أو بتعبير آخر: هل يستوي الشاعر الذي يقف مواهبه لخير الجماعة والشاعر الذي لا يبالي بما يصدر عن مواهبه من خير أو شر؟ والمشتغلون بالأدب اصطلحوا على أن يتساءلوا في هذه القضية: هل الفن للفن، أم الفنّ للفضيلة والخير؟

هنا أمران يجب أن يلاحظهما كل من يخوض في هذا الحديث:

الأوّل: أن الشاعر وكل متفنّن هل يعيش لنفسه أم للجماعة؟ وإذا كان يعيش للجماعة هل يريد أن يكون فيها كالكوكايين يلذّ ويؤذي، أم يريد أن يكون كالوردة يلذّ وينفع؟

الثاني: هل الاعتبارات الأدبية واحدة في كل أمة، أم أن الآداب للأمم كالغذاء للأفراد، فما يُتسامح به في الأمة القوية ربما كان وبالًا على الأمة الضعيفة؟

الذي أفهمه أنا هو أن هذا الشرق يجب أن ينتفض من سِنَة الكرى التي امتلأت بها عيناه، وأن يقتصد في الوقت، فيتخذ من كل قوَّة مَدَدًا لحياته: وما دام الشعر قوَّة ذات سلطان على النفوس فيجب أن تنصرف هذه القوة للجدّ لا للهزل، وللعمل لا للكسل، وللرجولة لا للتخنّث، ولتوجيه القوى القومية إلى آفاق المجد وتحويلها عن جوّ الفناء الضائعة فيه الآن تحت سقوف القهاوي والملاهي. . .

لقد سئمَت النفوس كتابَ حَلبة الكميت وديوانَ رامي، فغذُّوها بمثل شعر كيلنغ الانكليزي ومحمد أمين التركي.

إن أمم الشرق في خطر، فدَعونا من هذيان الفنّ للفنّ فيما لا يتفق مع الفضائل الفردية والقومية.

إن الشاعر لا يعيش لنفسه؛ بل يعيش لقومه، وهذه الشعوب الناطقة بالضاد أحوج إلى شاعر يأخذ بأيديها إلى معترَك الحياة وميدان العمل، منها إلى شاعر يأخذ بشبانها وشابَّاتها إلى باب الحانة بأحابيل الغَزَل.

إذا كانت أمم الغرب آمنة بأساطيلها وجيوشها وجامعاتها ومصانعها ومصارفها من الأخطار القومية والعلمية والاقتصادية وعندها متَّسع من الوقت تتمتع فيه بالفن الذي صيغ للفنّ، فنحن معاشر الشعوب الناطقة بالضاد موجودون في وسط حريقة، فهل يشعر بذلك شعراؤنا؟

❑ الإصلاح الذي نحتاج إليه في شعرنا:

أما الأسلوب والديباجة فيجب أن يبقيا عربيين كما ينظم بشّار والبحتري

والشريف والرضي، وكما كان ينثُر عبد الحميد وابن المقفَّع والجاحظ. وكما لا يجوز أن تمتدّ اليدُ الآثمة بالتشويه إلى الفن الذي أُبدِعتْ به جبهةُ الحمراء وأقواسها ونقوشها، ومَعالم مسجد السلطان حسن ودقائقُه وبدائعه؛ كذلك أسلوب العربية الصحيحة الخالد بالقرآن يجب أن يبقى ما بقي القرآن.

وأما فيما عدا ذلك، فكما يجوز لنا أن ننشئ وراء مثل جبهة الحمراء غرفًا مهندَسة بأنفع أساليب الهندسة الاقتصادية التي وصلت إلى معرفتها مَدارك البشر، كذلك يجوز أن نُعدل بعض نظرياتنا في الشعر، ما قضتْ بذلك حياتُه وحياة الأمة به.

ويحسُن بنا بعد الآن أن نعتبر القطعة الشعرية بمجموعها كُلًّا مؤلَّفًا من عناصرَ لا يتمُّ إلَّا بها، أي: أننا يجب أن نعدِل عن نظريتنا القديمة التي تعتبر البيت كُلًّا مستقلًّا، ويصبح الكلّ في نظرنا هو القطعة بمجموعها، وهذا لا يمنع أن تتخلَّل القطعةَ أبياتٌ استطرادية يكون الواحد منها مضرب المثل يتحدث الناسُ به في مقام الاستشهاد لحقائق الحياة، وآيةً في الحكمة ترتلها الألسنة في مواقف العظة والاعتبار.

وما دمنا قد اعتبرنا القطعة الشعرية كلًّا مؤلفًا من عناصر لا يتمّ إلا بها، فمن مقتضى ذلك أن يجتنب الشاعر هذه الاستطرادات في القصيدة الواحدة، وألا يتنقَّل فيها من موضوع إلى موضوع آخر ليس من جنسه، وأن نُعرِض إلى الأبد عن تقديم النسيب بين يدي الأغراض الأخرى التي هي مقصودة بالقصيدة دونه.

ومن مقتضى اعتبار القطعة بمجموعها كلًّا أن يُعنى الشاعر بمَغْرِبها عنايتَه بمطلعها، فيُفرغ في البيت الأخير من القوة ما يبقى رنينه في النفس طويلًا، كما يكون لتلك الضربة الشديدة التي ينتهي بها الدور في موسيقى الجيش.

ومما يحسُن ملاحظته أن يكون حجم القطعة الشعرية متناسبًا مع ما يحتمله موضوعها، فقد تكفي السبعة الأبيات ليؤدي بها الشاعر كلَّ غرضه، ويحيط فيها بما أراده، وتكون لها عند قرائها من الحرمة والمكانة ما للقصيدة الكبرى.

وقد كان شوقي أولَ من جرَّب الشعر التمثيلي في رواية (علي بك) قبل خمسة وثلاثين عامًا، ونظم القصيدة الكبرى غير مرة. لكن هذا النوع من النظم المطوَّل يجب أن تتداوله الأقلام الكثيرة وتتعاون عليه؛ ويجب أن يسعفه المسرح ويوالي التجربة فيه، ويحتاج إلى أن تكون في الشباب روح أدبية تتلقَّى ثمراته بإقبال؛ ليوالي كُفاتُها عملهم بنشاط، وفي القصيدة الكبرى، وفي الملحمة، يحسن تنويع الموضوعات والتنقّل فيها، ويحسنُ تنويع الوزن والقافية على ما تقتضيه المعاني، وعلى ما تقتضيه موسيقى تلك المعاني: من أوزان تلائم الروح الهادئة، إلى أوزان تسعف النفس الهائجة، إلى نغمة لائقة بمقام الحزن، على رنّة تكمل معنى الابتهاج؛ وكذلك الأمر في القوافي.

وبعدُ؛ فقد كان أشرفَ ينابيع الشعر التي شرب منها شوقي وغير شوقي من شعرائنا ينبوعان: الطبيعة والتاريخ.

وأبدع مظاهر شعره وشعرهم الوصف.

وما دمنا نتكلّم في الإصلاح والتجديد، فيجدُر بنا أن نلتمس من شعرائنا - وفي أيديهم مفاتيح القلوب- أن ينتقلوا بنا إلى أدبٍ آخر غير أدبنا الحاضر، إلى أدب التوحيد الذي تشترك فيها الشعوب القارئة لهذا الشعر، وإلى أدب الحياة الذي تعرف به هذه الجماعات طريق القوَّة، وإلى أدب التقوى الذي نخرج به من رذيلة الضعف، ونبرأ به إلى الإنسانية من جريمة الخنوع، نريد أن نحيا وتمنعنا

أدواء في الشعر علاجها، ونريد أن نسير وفي الصدور رهبة لا تزيلها غير صرخات الشعراء تهيب بناء إلى ميادين الشرف.

إن الغرب لما أراد أن يملك رقاب الشعوب التي تقرأ شعركم يا شعراء العربية، استهواها بملاهيه وزخارفه وأهوائه وموبقاته، ولا خلاص لهذا الشرق العربي من شِراك الغرب إلا إذا عدل أهله عن تلك الزخارف والموبقات، إلى ما في الغرب من صناعة ونظام ومعرفة، وهل من قوّة تستطيع تحويلَنا عن ذاك إلى هذا أشدُّ تأثيرًا من المدرسة للبنين والبنات، ومن قوة الشعر للفتيان والفتيات؟

إن الشاعر ترجمان الإلهام، ولا يكون الشاعر صادقًا فيما يترجم عنه من مُلهَمات الطبيعة والفضيلة والحياة إلا إذا كان متَّصفًا بما يدعو إليه من صفاتٍ ومحامدَ وأخلاق هو قائد الأمة، وحامل رايتها إلى المطمح الأقصى في الأغراض القومية، وإلى المثَل الأعلى في الفضائل الإنسانية؛ ولا يستطيع الشاعرُ خوض غِمار المعركة في هذه القيادة إلا إذا كان مؤمنًا بما ينطق به من إرشاد، وعاملًا بما يتغنَّى بذكره من مبادئ، وصادقًا فيما يأمر به من معروف وينهى عنه من منكر.

أما الكلام الجميل الذي يصدر عن اللسان، فيمرّ بالآذان ضيفًا، ثم يذهب طنينه مع موجات الريح، وأما الكلام الصادر من القلب فهو الذي يملأ القلب ويسكن في قرارة النفس، وذلك هو الشعر، وصاحبه هو الشاعر!...

محبّ الدّين الخطِيب

جمال فقدناه

❑ شَعر المرأة ❑

قال أبو الطيب:

نشرتْ ثلاث ذوائب من شعرها ... في ليلة، فأرت ليالي أربعا
واستقبلتْ قمر السماء بوجهها ... فأرتنيَ القمرين في وقتٍ معا

وقال ابن المعتز العباسي:

فلما أن قضت وطرًا وهمت ... على عجل بأخذٍ للرداء
رأت شخص الرقيب على تدانٍ ... فأسبلت الظلام على الضياء
وغاب الصبح منها تحت ليل ... وظل الماء يقطر فوق ماء

وادي موسى

تلك القبورُ ومائِل الأطلالِ ... صُحف منشَّرة وذكرٌ عالِ
للنفس بينهما، وحولَ حِماهما ... عِظةٌ ومَسْرح عِبرة وجَلالِ
إن ناح مُرتجِزُ السحاب عليهما ... فاستسق صَيّب دمعِك الهطّالِ
هي سِلْع، والبَتْراء ترجمة اسمها ... نَسجتْ عليها عناكبُ الإهمالِ
وأدال منه ومن مَعاهد أنسها ... زمنٌ يُروّع كلَّ ناعم بالِ
فإذا العرُوبة هُجنةٌ ممسوخة ... وإذا المنازل والديار خوالِ

❋ ❋ ❋

وادٍ تحفُّ به الشوامخ مُمعنٌ ... في السفح أربدُ قالِصُ السربالِ

يـنـدسّ آونـة ويـسـنـح تـارة بين الهضاب، ومن وراء جبالِ
متعرّج يلتفّ غيرَ معرِّج ويجول حين يَهيم كل مجالِ
فلو أن مرتاعًا يروغ مشرَّدًا ما كان أعجبَ منه في الإيغالِ
متجاوبُ الأصداء تسمَع -كلّما أصيغتَ- فيه هَماهمَ الأغوالِ
إن صرَّحتْ باليأس منه أمدَّها أملٌ على الأيام ليس بسالِ
شقَّ الأديم، إلى الصميم، مهرولًا ينحطُّ بين حُزونة ورمالِ
ذكر القطينَ فجدَّ يهبط خلفهم يتقحَّم الغَمَرات غير مبالِ
قد كان مُنتجَعَ العفاة، ولم يزل بعدَ العَفاء مَحطَّ كل رحالِ
لمشمّر بين البلاد، محبّرٍ نبأ العباد، وسائحٍ جوّالِ

❋ ❋ ❋

قلقُ المجازِ كأن كل طمِرَّة سُرُح اليدين عليه ذات شِكالِ
غبرت تعضُّ على الشكيم تغيّظًا وتدِبُّ بين تعسُّف وخَبالِ
تترقب القدَرَ المُتاح تلفتًا فتغَصُّ حين تهم بالتصْهالِ
وَيهولها الأملُ السحيق كأنها تجتاز فوق مَزالق الأجيالِ
أشرفتُ منه على العصور تمثَّلتْ ومشيتُ بين هدًى وبين ضلالِ
وشَققتُ جيبَ الأرض من أطرافها حتى انتهيت إليه نِضْوَ كَلالِ
وشهدتُ فيه مدينة منحوتة في الصخر نحتَ مُشيَّد التمثالِ
موصولة حُجراتها بفِنائها نقرًا على عمدٍ لهن طِوال
لبستْ إياةَ الشمس في ألوانها وزهتْ بأبرع زُخرُف وصِقالِ
والقصرُ نحوَ القصر ينظر شاخصًا نظرَ المدلّه مؤذِنًا بزيالِ
إن ورَّع العبرات[1] جاش أتيُّها وهمتْ سِجالٌ منه بعد سجالِ

---

(١) كفكفها.

ومَغارةٍ وقفتْ حِيالَ مغارة | ومُدرَّجٍ في إثرِ آخرَ تالِ
يتشعَّث الدرَج الشتيتُ خِلالها | كخطوط أعسرَ أو دبيب نمالِ

❁ ❁ ❁

بلد كأن يدًا دحتْه، فخرَّ من | قُلَل الجبال ممزَّقَ الأوصالِ
فهنا الصخور على الصخور تحطَّمتْ | وهناك منه حقيقة كخيالِ
أو كالطلاسم فوق مُهْرَقٍ ساحرٍ | في كل زاوية خبيثة حالِ
موتٌ تطوف به الحياة، وموقفٌ | خشعتْ لديه طوارقُ الأهوالِ
تمضي القرون على القرون كأنها | -وقد انحدرنَ إليه- بضعُ ليالِ
فانظر إلى الأمصار كيف تنكَّرتْ | وإلى القضاء يصول كلَّ مَصالِ
وإلى الأنام تلفُّهم أكفانُهم | بعد الجهاد ونضرة الآمالِ
وافزعْ إلى الملك المهيمن فوقهم | فالعلم ملَّ تنطُّسَ الجهَّالِ
وجدالَ دجال، وسُحفَ مُوسوسَ | يتشدَّقان بطائش الأقوالِ
سُبحان من يَهَب الحياة تبرُّعًا | من قبل أي رضىً وأي سؤالِ
متصرفٌ في الكون غيرُ مفرّط | يبني الجديد من القديم البالي
كَتبَ الخلودَ على الوجود، فلم يكن | في الموت غيرُ تحوّل الأشكالِ

فؤاد الخطيب

❁ ❁ ❁

بقية قلم

أهدى الأستاذ السيد محمد الخضر حسين قلمًا صغيرًا إلى الخزانة التيمورية

ومعه بطاقة كُتب فيها:

كان هذا القلم آخر أقلام ثلاثة حررت بها نقض كتاب «في الشعر الجاهلي»، وقد رأيت أن أهدي هذه البقية منه إلى خزانة صاحب السعادة الأستاذ أحمد تيمور باشا، وقلت على لسان القلم هذه الأبيات:

سفكتْ دمي في الطرْس أنملُ كاتبٍ ... وطَوَتْنيَ المِبْراة إلا ما ترى
ناضَلتُ عن حقّ يحاولُ ذوي هوىً ... تصويرَه للناس شيئًا مُنكرا
لا تضربوا وجهَ الثرى ببقيَّةٍ ... مني كما تُرمى النَّواةُ وتُزْدرَى
فخزانةُ الأستاذ تيمور ازدهتْ ... بحلًى من العِرفان تبهرُ مَنظرا
فأنا الشهيدُ، وتلك جنَّاتُ الهدى ... لا أبتغي بسوَى ذراها مظهرا

قوس قزح

يا ضاحِكَ اللَّوْن ما عِشْتَ للصَّوْنِ
عند السّماءْ
إنْ رُوِّعَتْ تَبْدُو إنْ أَشْرَقَتْ تَغْدُو
أنتَ المُساءْ!
تَمْتَدُّ في السُّحْبِ والشَّمْسُ في حُجْبِ
دُونَ الخفَاءْ
كُوِّنْتَ من نُورِ في وَشْيٍ بلّورِ
جَمّ الرُّواءْ
آياتُ ألوانْ في قَوْسِها الباني

هذا البهاء

كـالـقَـوْسِ لـلـنَّـصْـرِ تـمـتـدُّ فـي فَـخْـرِ

فَخرِ الضياءْ!

والـسُّـحْـبُ كـم تَـجْـري فـي لَـوْنِـهـا الـبَـدْري

من كهرباءْ

تَـحْـكـي الـمَـنَـاطِـيـدا دَفْـعًـا وتَـصْـعِـيـدا

سُفْنَ الهَواءْ!

تـلـقـاكَ فـي أُنْـسِ لـكـنّـهـا تُـمْـسـي

صَرْعَى الوفاءْ!

فـي وَشْـيِـكَ الـزَّاهـي قـد حـيَّـرَ الـلّاهـي

لَونُ الدّماءْ!

أصْـبَـاغُ نـقَّـاشِ جـادتْ بـإنـعـاشـي

والشُّعَرَاءْ!

مـا ذُبْـنَ فـي الـمـاءِ بـل زدْنَ إسـدائـي

إعجازَ ماءْ

لـكـنَّـهـا حَـلَّـتْ فـي الـزَّهـرِ مـذْ وَلَّـتْ

عن السَّماءْ!

أبو شادي

قيمة الوقت
كلمات مختارة من (صيد الخاطر) لابن الجوزي

رأيتُ العادات قد غلبت الناس في تضييع الزمان، وكان القدماء يحذرون من ذلك.

دخلوا على رجل من السلف فقالوا:

لعلنا شغلناك!

فقال: أصدُقُكم، كنتُ أقرأ فتركتُ القراءة لأجلكم.

وجاء رجل من المتعبّدين إلى سَرِيّ السقطي، فرأى عنده جماعةً، فقال:

صرتَ مناخ البطّالين!

ثم مضى ولم يجلس.

وكان جماعة قعودًا عند معروف، فأطالوا، فقال:

إن مَلَك الشمس لا يفتر في سوقها،

أفما تريدون القيام؟

وممن كان يحفظ اللحظات عامر بن عبد القيس، قال له رجل:

قف أكلمك.

قال: فأمسكْ بالشمس!

اغتيال الفاروق الأعظم في محراب الرسول ﷺ

❑ شهادة شاهد عيان اعتمدها الإمام البخاري في جامعه الصحيح[(١)]

قال عمرو بن ميمون الأودي يصف ما رآه بنفسه عند ما كان قائمًا في الصلاة، وراء الفاروق الأعظم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو في محراب مسجد المدينة:

إني لقائم ما بيني وبينه -يعني عمر- إلا عبد اللّٰه بن عباس رضي الله عنهما غَداة أُصيب، وكان إذا مر بين الصفين قام بينهما، فإذا رأى خللاً قال: استووا!

حتى إذا لم ير فيهن خَلَلًا تقدم فكبر. فربما قرأ بسورة يوسف أو النَّحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس.

فما هو إلا أن كبَّر فسمعته يقول:

قتَلَني (أو أكَلَني) الكلبُ. . .

حين طَعَنه، فطارَ العِلْج[(٢)] بسكين ذاتِ طرَفين: لا يمُر على أحد يمينًا ولا شِمالًا إلا طَعنه، حتى طَعن ثلاثة عشرَ رجلًا، فمات منهم تسعة (وفي رواية سبعة).

فلما رأى ذلك رجل من المسلمين[(٣)] طَرَح عليه بُرْنُسًا، فلما ظن العِلجُ أنه مأخوذٌ نحَرَ نفسَه.

---

(١) حديث رقم (٣٧٠٠). (س).

(٢) كنيته أبو لؤلؤة، واسمه فيروز، وكان مجوسيًّا، ويظهر أنه كان مدسوسًا على عمر.

(٣) يُقال: له حطان التميمي اليربوعي.

وتناولَ عمرُ ﷺ عبدَ الرحمن بن عوف ﷺ، فقدَّمه -أي للإمامة في المحراب-، فأما من كان يلي عمر فقد رأى الذي رأيتُ، وأما نواحي المسجد فإنهم لا يَدْرون ما الأمر، غيرَ أنهم قد فقَدوا صوت عمر وهو يقول:

سبحان الله، سبحان الله!

فصلى بهم عبد الرحمن صلاةً خفيفةً، فلما انصرفوا، قال عمر:

يا ابن عباس انظر من قَتَلني؟

قال فجالَ ابنُ عباس ساعة، ثم جاء فقال:

غُلامُ المغيرة بن شُعْبة.

قال: قاتله الله، لقد كنت أمرْتُ به معروفًا.

ثم قال: الحمد لله الذي لم يجعل منيّتي على يد أحدٍ من المسلمين، لقد كنت أنتَ وأبوك تُحبّان أن تكثر العُلوج بالمدينة(١).

وكان العباسُ أكثرهم رقيقًا، فقال ابن عباس ﷺ:

إن شئت فعلتُ - أي: إن شئتَ قتلناهم.

قال: لا، بعد ما تكلّموا بلسانكم، وصلّوا إلى قبلتكم، وحجُّوا حَجَّكم؟

فاحتُمل إلى بيته ﷺ، فانطلقنا معه، قال:

فكأن الناسَ لم تُصِبْهم مصيبة قبلَ يومئذ، فقائل يقول:

أخافُ عليه.

وقائل يقول: لا بأس به.

(١) يريد سبايا الفرس، وقد كان عمر يُحذر اختلاطهم بالناس فيُفسدوهم.

فأُتي بنَبيذ، فشرِبه فخرج من جَوْفه، ثم أُتي بلبن فشربه فخرج من جوفه، فعَرَفوا أنه ميِّت.

وجاء الناسُ يُثْنون عليه.

وجاء شابٌّ فقال:

أبشرْ يا أمير المؤمنين ببُشْرى اللَّه ﷻ، قد كان لك من صُحْبة رسول اللَّه ﷺ، وقَدَم في الإسلام ما قد علمت، ثم وَلِيت فعدَلْت، ثم شهادة.

فقال: ودِدتُ أن ذلك كان كَفافًا لا عليَّ ولا لي، فلما أدْبَر الرجل إذا إزاره يَمسُّ الأرضَ، فقال:

ردوا عليَّ الغُلام.

فقال: يا ابن أخي، ارفَع ثوبَك، فإنه أنْقى لثوبك، وأتْقى لربك.

ثم قال: يا عبد الله[1] انظُر ما عليَّ من الدَّين.

فحسَبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفًا أو نحوَه، فقال: إن وَفى به مالُ آل عمر فأدِّه من أموالهم، وإلا فسلْ في بني عَدِيّ بن كَعْب[2]، فإن لم تفِ أموالهم فسَلْ في قُريش، ولا تَعْدهم إلى غيرهم، وأدّ عني هذا المال، انطلقْ إلى أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقل: يَقْرَأ عليك عمر السلام، ولا تقل أمير المؤمنين فإني لست اليوم بأمير المؤمنين[3]، وقل: يستأذن عمرُ بن الخطاب أن يُدفن مع صاحبيه.

قال: فاستأذنَ وسلَّم، ثم دخل عليها وهي تبكي. فقال: يقرأ عليك عمر السلام، ويستأذن أن يُدفن مع صاحبيه، فقالت:

---

(١) يخاطب ابنه.

(٢) هم قبيلة آل الخطاب.

(٣) لئلا تتلقى ما سيطلبه كأنه أمر آمر.

كنت أريده لنفسي ولأُوثِرَنّه اليوم على نفسي.

فلما أقبل قيل: هذا عبد اللّه بن عمر قد جاء، فقال: ارفعوني فأسندَه رجل إليه.

فقال: ما لديك؟

قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين، أذِنَتْ.

فقال: الحمد لله، ما كان شيء أهمَّ إليّ من ذلك، فإذا أنا قُبِضتُ فاحملوني ثم سَلِّم وقُلْ: يستأذنُ عمر. فإن أذِنت لي فأدخِلوني، وإن رَدَّتني فرُدُّوني إلى مقابر المسلمين.

فجاءت أم المؤمنين حَفْصة[1] ﵄ والنساء يَسْتُرْنها، فلما رأيناها قمنا، فوَلَجتْ عليه، فبكَت عنده ساعة، واستأذن الرجال، فوَلَجَتْ داخلًا لهم[2].

فسمعنا بكاءها من داخل. فقالوا:

أوْص يا أمير المؤمنين، استَخْلِفْ.

فقال: ما أرى أحدًا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النَّفَر الستة الذين تُوُفِّي رسول اللّه ﷺ وهو عنهم راض.

فسمَّى عليًّا، وعثمان، والزُّبير، وطلحة، وعبد الرحمن بن عَوْف، وسعدًا ﵃، وقال:

يَشْهَدكم عبد اللّه بن عمر، وليس له من هذا الأمر شيء (كهيئة التَّعْزية له)، فإن أصابت الإمارةُ سعدًا فذاك، وإلا فليَسْتَعِن به أيُّكم ما أُمِّر، فإني لم أعْزِله من عَجْز ولا خيانة.

---

(١) بنت عمر.

(٢) أي: مدخلًا كان في الدار.

وقال: أُوصي الخليفةَ من بعدي بالأنصار، والمهاجرين، والأعراب، وبأهل الأمصار.

فلما قُبِض، خرجنا به فانطلقنا نمشي، فسلَّم عبدُ اللّه وقال: يستأذن عمر. فقالت (أي عائشة):

أدخلوه. فأُدخل، فوُضع هنالك مع صاحبيه، فلما فُرِغ من دَفْنه اجتمع هؤلاء الرَّهْطُ.

فقال عبد الرحمن بن عوف ﷺ: اجعلوا أمرَكم إلى ثلاثةٍ منكم.

فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى عليّ.

وقال طلحة: قد جعلت أمْري إلى عثمان.

وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف.

فقال عبد الرحمن: أيُّكما تبَرَّأ من هذا الأمر فنجعله إليه، واللهُ عليه والإسلام(١) لينظُرَنَّ أفضلَهم في نفسه. فأُسكِت الشيخان. فقال عبد الرحمن: أفَتجعلونه إليَّ؟ واللهُ عليّ ألَّا آلُو عن أفضلكم.

قالا: نعم.

فأخذ بيد أحدهما فقال: لك من قرابة رسول اللّه ﷺ والقَدَم في الإسلام ما قد علمت، فاللهُ عليك لئن أمَّرْتك لَتَعْدِلَنَّ، ولئن أمَّرتُ عثمانَ لتَسْمَعَنَّ ولتُطيعَنَّ؟

ثم خَلا بالآخر فقال له مثل ذلك. فلما أخذ الميثاق قال:

ارفع يدَك يا عثمان، فبايعه، وبايع له عليٌّ ﷺ، وَولَج أهلُ الدار فبايعوه.

---

(١) بالرفع فيهما، والخبر محذوف أي: رقيب.

ذكرى شهداء العرب

هبَّ والليلُ غُدَافيُّ الجناحْ
باكيًا يشكو بأحشاه جراحْ
كلما صعَّد أنفاسًا وناحْ
وخز القلبَ وأصلاه ضرامْ
كالسهامْ

رقد الناسُ وناجى وشكا
والدجى فيه مثارات البكا
يتعالى صوتُهُ مرتبِكا
وسوى رجعِ الصدى ما من مجيبْ
للكئيبْ

هبْ ليَ اللهمَّ صبرًا وجَلَدْ
وله. إذْ قد وهى منا الجسدْ
قد تقلبنا على نار الكَمَدْ
نتلظَّى حرقًا في حرقِ
في رَهَقِ

نزلت فينا وفي أمتنا

بـعـد عـزٍّ كـان فـي دولـتـنـا
نُـوَبٌ لـم تُـبْـقِ مـن هـمـتـنـا
وهي لـو حلّت على طودٍ لَهَارْ
في اندثار
أيـن مـجـدٌ أثَّـلَـتْـهُ الـخـلـفـاءْ
والـمُـعَـاوِيُّـونَ أقـمـارُ الـسـمـاءْ؟
قـد تـلاشَـى مـعَ ذرّات الـهـواءْ
مُـذْ تـسـاهَـلْـنـا وسـلـمـنـا الـزِّمـامْ
للأعجامْ
كـلُّ مـا حـلَّ بـجـسـم الـعَـرَبِ
مـن هُـزالٍ مـنـهـكٍ أو وَصَـبِ
لـم يـكـن إلا بـسـعـي الأجـنـبـي
غـيـر أن الـعُـرْبَ لـم يـعـتـبـروا
ويذكروا...
كـل مَـنْ جـاءَ يـحـيّـي بـابـتـسـامْ
وهـو لا يـبـطـن إلا الانـتـقـامْ
حـسـبـوه صـادقًـا يـرعـى الـذمـامْ
ثـم ولّـوه فـأصـمـى وغَـدَر
دون حَذَر

ليس يرعى العُرْبَ غيرُ العربي

أنبيًّا كان أم غير نبي!

وخَؤون من بني قومي غبي

لستُ أرضَى عنه «كسرى» بَدَلا

كلا ولا...

فعل «الفرْس» بنا ما فعلوا

و«بنو جنكيزَ» كم قد قَتَلُوا

من رجالٍ بهمُ المستقبل

كان يزهو مثلما تزهو ذُكاءْ

في السماءْ

من يَرُم يُحصي رزاياهم كتابْ

ضاق ذَرْعًا بالذي رامَ وخابْ

إن أذاقونا بما جاءوا عذابْ

فسنُصليهم بما نأتي سعيرْ

وثبورْ

إنما الحرب كما قيل سجالْ

وحياة الناس في الكون جدالْ

والليالي بالأعاجيب ثقالْ

ليس يدري الناس ما يأتي غَدُ

ثم بَعْدُ

❀ ❀ ❀

شهداءَ العُرْب عنوانَ الكرامْ

رحمةُ اللّه عليكم وسلامْ

إن رقدتم تحت أطباق الرجامْ

فلقد خلدتُمُ ذكرًا جميلْ

لا يزولْ

قد تركتم سيرةً في الآخِرِينْ

هي نورٌ وهدى للعالَمينْ

يُدْلِجُ الساري على فجر مُبِين

من سناها في الليالي الداجياتْ

القاتماتْ

قد رأيتم عيشة الإذلال عارْ

وأبيتم أن يسومونا الصَّغارْ

فاشتريتم بالدم الغالي الفخارْ

وبعثتم أمةً بعد المماتْ

للحياةْ

كتب التاريخ في الفخر كتابْ

أنتمُ الطُّغرى به في كل بابْ
كل سطر خطّه فصل الخطابْ
يتجلَّى فيه صدقُ المرسلينْ
في الغابرينْ

إن شعبًا أنتُمُ بعضُ بَنِيهْ
لهوَ شعب حازم الرأي نَبِيهْ
لن يهونَ الدهْرَ للخطب الكريهْ
ويرى في الهون عارًا أيَّ عارْ
وشَنَارْ

❀ ❀ ❀

يا شبابَ اليوم أبطال الغدِ
من بني يَعْرُبَ أهلِ السُّؤْدَدِ
أخلصوا في السعي والمعتقدِ
وانْهجوا نهجَ الكرام الشهداءْ
في الفداءْ

وَحِّدُوا الرأيَ وسيروا أُمَمَا
وانشروا العلم وجارُوا الأُمَما
إن بالعلم تنالونَ السما

وكـنـوزًا تـحـت أطـبـاق الـثَّـرَى

لن تحصرا

لـيـس أهـل الـغـربِ أرقـى فِـكَـرَا
إنــمــا جَــدُّوا فــنــالــوا الــوَطَــرا
وركــدنــا فــرجــعــنــا الــقــهــقــرى
لــيــس لــلإنــســان إلا مــا ســعــى

وانتفعا

حَطّموا الـقـيـد وثـوروا لـلـتـراثْ
فإلى كـم نـرتـضي الـضيـم حياةْ؟
أحــيــاة هــذه أم ذي مــمــاتْ
كـل يـوم نـبـأ يـكـسـو الـبـلادْ

ثوبَ حِدَاذْ

«جِـلّـقٌ» تُـرْهَـقُ بـالـبـيـض الـرقـاقْ
وزكـيُّ الـدم فـي «الـريـف» يُـراقْ
مـثـلـمـا أُهْـرِيـقَ فـي أرض الـعـراقْ
وبـلادُ الـعُـرْب لـلـمـسـتـعـمِـرِيـنْ

لا تستكين

بغداد: ٤ ذي القعدة، ١٣٤٥

محمد بهجة الأثري

العربيـة (في اللغة الأسبانية)

للكاتب المدقق أنطون افندي إلياس أحد أدباء العرب في الأرجنتين كتاب باللغة الأسبانية ذكر فيه الكلمات الأسبانية الكثيرة التي من أصل عربي، وقد أدّى به البحث إلى الحكم بأن العربية أقدم لغة حية، وقد أرجع كثيرًا من الكلمات الإنكليزية واللاتينية واليونانية وغيرها إلى أصلها العربي، وبرهن على أنها ليس لها في غير العربية تحليل ولا تركيب، فهي في غير العربية غريبة وفي العربية ذات نسب وسلالة. نقل هذا رصيفنا صاحب مجلة «الشمس»، الذي يعرف الأسبانية معرفة جيدة، ويؤكد أن نصفها من أصل عربي.

توبة بن نمر الحضرمي «قاضي مصر»

قال أبو عمر محمد بن يوسف الكندي (المتوفَّى سنة ٣٥٠) في كتابه (قضاة مصر) عندما كان يذكر قضاة هذه الديار زمن هشام بن عبد الملك.

ثم ولي القضاءَ بها -أي: بمصر- توبة بن نمر الحضرمي، فدعا امرأته عفيرة الأشجعية، وقال لها:

يا أمّ محمد، أيَّ صاحبٍ كنتُ لكِ؟

قالت: خيرَ صاحبٍ وأكرَمه.

قال: فاسمعي، لا تعرِضِنَّ لي في شيء من القضاء، ولا تذكرِنّي بخصم، ولا تسألِنّي عن حكومة، فإن فعلتِ شيئًا من هذا فأنتِ طالق، فإمّا أن تقيمي مكرَّمة، وإما أن تذهبي ذميمة.

ومما ذكره الكندي في كتابه «قضاة مصر» من أمر توبة هذا وشفَقته على المرأة:

أن رجلًا وامرأته اختصما عنده، فطلّقها، فقال له توبة:

متعها. فقال: لا أفعلُ.

فسكت عنه توبة؛ لأنه لم يره لازمًا له. فأتاه الرجل الذي طلَّق امرأته في شهادة، فقال له توبة:

لستُ قابلًا شهادتك.

قال: ولم؟

قال: إنك أبيتَ أن تكون من المحسنين، وأبيتَ أن تكون من المتقين[1] (ولم يقبل له شهادة).

❀ ❀ ❀

وكان توبة يقضي في الرجل يُفلس بصداق امرأته كاملًا، فما بقي من ماله كان الغرماءُ أسوة.

❀ ❀ ❀

وكان توبة لا يملك شيئًا إلا وهبه ووصل به إخوانه وأفضل به عليهم.

فلما ولي القضاء كان يرى أن يحجر على السفيه والمبذّر، فرُفِع إليه غلام من حِمْيَر لا تحوي يده شيئًا إلا وهبه وبذَّره، فقال له توبة:

أرى أن أحجر عليك يا بنيَّ.

---

(١) يشير إلى قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

قال: فمن يحجر عليك أيها القاضي؟ والله ما نبلغ في أموالنا عُشر معشارٍ من تبذيرك.

فسكت توبة، ولم يحجر على سفيه بعد.

وبقي توبة في القضاء إلى أن مات في ربيع الأول سنة عشرين ومائة.

إلى دار العلوم

قصيدة الشيخ محمد عبد المطلب في عيد (دار العلوم) الخمسيني

لي في ظِلالكِ مَسرحٌ ومَقيلُ   روضٌ أغنُّ ومَنزلٌ مأهولُ
ومعاهدٌ نشر الحياةَ بها الحَيا   فالعيش أخضر والنعيم ظليلُ
سرُّ الجمال جمالُ مصر إذا سَرَتْ   ريحُ الشمال بها وعبَّ النيلُ
بلدٌ جريتُ إلى المنى في ظله   سَبحًا على اللذات وهي شكولُ
أرِدُ المرابع والمصايف سادرًا   أختالُ بين ظِلالها وأجولُ
فِيحٌ إذا نهض القريضُ لوصفها   يحلو القريضُ بوصفها ويطولُ
أمرابعي والعمر فَينان الهوى   ومراد لهوي والصبا معسولُ
بالرمل منها منزل أشتاقه(١)   إن شاق صنوي حَومَل ودَخولُ
يزهي ظباءَ النيل رَوحُ رياضه   ونسيم ذاك البحر وهو عَليلُ
أهوى إليه على البخار إذا سرت   بالمنجدين هوادج وحمولُ
كالطيف يختلس الظلامَ إذا سرى   لمحًا، وطرفُ النجم عنه كليلُ

(١) الرمل: ضاحية الإسكندرية، اتخذه المصريون مصيفًا.

وإذا بكى الأثلاتِ يحيى شاقه … مغنى جفاه بقرقرى ومَقيلُ
غنَّيتُ نشوانَ القريضَ يهزّني … سِدرٌ بريف جُهينةٍ ونخيلُ[(١)]
أو غرَّدتْ ورقاءُ رامة هزّها … حيٌّ هناك بذي الأراك حلولُ
فيجانب الفسطاط من غربيّه … وُرْقٌ لها بالمنيلين هَديلُ[(٢)]
حيث القصور الشمّ تزهو حولها … غُلبُ الحدائق والنسيمُ عَليلُ
والنيل في ثوب المخيلة بينها … يسطو على جنباتها ويصولُ
متبهنسًا بين الرياض كما حبًّا … ليثُ العرين دجا عليه الغيلُ
يا نيلُ أنت ثراءُ مصر وغيثها … والأرض قفرٌ والبلاد محولُ
بك يرتوي الوادي إذا جفَّ الثرى … ويبلُّ من صادي الفؤاد غليلُ
وعلى يمنيك بالمنيرة حلةٌ … للعلم فيها جمة وحَفيلُ[(٣)]
راقت بها (دارُ العلوم) مواردًا … تروى بهن بصائرٌ وعقولُ
أمٌّ لنا في المنجيات مهادُها … دعم لمجد بلادها وأصولُ
أمٌّ إذا درج الوليد بحجرها … فالدِّين يَرعى والبيان يَعولُ
لله دَرُّ شبيبة كفلتهم … أمٌّ لنا في الأمهات بتولُ
أخذت علينا -منذ أيام الصبا- … عهدَ الكريم، وعهدُها مسئولُ

❊ ❊ ❊

يا أم عهدُكِ في القلوب موثَّقٌ … صدقُ الوفاء بحبله موصولُ
الدينُ عهدُكِ والمكارمُ بيننا … والعلم والآداب والتنزيلُ

---

(١) جهينة: بلدة في مديرية جرجا بصعيد مصر.

(٢) الفسطاط في جنوب القاهرة يشقه النيل، والمنيلان بين الفسطاط والقاهرة، وبجوارهما مدرسة (دار العلوم).

(٣) المنيرة: الحي الذي فيه (دار العلوم).

علَّمتِنا أن (الحنيفة) ملَّةٌ لا نهجُها وعرٌ ولا مجهولُ
تهدي إلى سُبل الرشاد إذا هوى المفتون بالإلحاد والضلّيلُ
رفعتْ منارَ الحق، لا يعيا به عقل، ولا ينجاب عنه دليلُ
إلّا الذين تبوَّءوا وَخَم الهوى فالنهج أعمى والمناخ وبيلُ
نزعوا إلى دنس الإباحة فانجلى للناس ذاك المنزع المرذولُ
مازوا الجديد من القديم، وما دروا أن الجديد من القديم سليلُ
جلبات إفك، في مهالك فتنةٍ هوجاء، كيدُ غواتها تضليلُ
دعوى، وما ضربوا لنا مثلًا بها يجري عليه من القياس مثيلُ
وإذا الدعاوى لم يقم بدليلها في العقل، فهي على السفاه دليلُ
إن كان ما زعموا «قديمًا» دينَنا فليأتِ منهم بالجديد رسولُ
أو علَّهُ لغةُ السماء؟ وأنها القرآنُ والتوراةُ والإنجيلُ
أو ذلك الأدبُ الذي شهدتْ له في كل شعب بالجمال عدولُ
زَخَرَتْ به أمُّ اللغات، ولم تزل بعُلاه تفترع اللغى وتطولُ
وسيعلمون إذا الحقيقة أعرضت أن الضلالة جُندها مخذولُ
وترى الجديد يصيح في حجراتهم يا قوم، على تلك المهالك زولوا
ما في القديم مَعابة إن لم يكن فيه عن السَّنن السويّ عدولُ
وذر الجديد إذا رأيتَ سبيله عوَجًا عن الحق المبين تميلُ
واسلك سبيلك غير ذي عوَج ترد شرع الحياة وصفوها مكفولُ
يا أمُّ كم من شِرْعة لك في الهدى لا وِردُها رَنْقٌ ولا مملولُ
يا أم كم لك من يد في شكرها يعيا المقالُ ويعجز التفصيلُ
أحييتِ أحياءَ الجزيرة: مَن نمى قحطانُ من ولدٍ، وإسماعيلُ
فبكلّ فصلٍ منكِ مَظهرُ أمةٍ من أهلها، وبكل يوم جيلُ

ولو استدارَ بكِ الزمان لأصبحتْ ... لكِ في عُكاظ من البيان فصولُ
هذا مَجالُك في البلاغة فاسلكي ... ما شئتِ، نهجُكِ في البيان ذلولُ
(لغة الكتاب) وديعة الأحقاب، ... ميراثٌ إلى الأعقاب عنك يؤولُ
مَن لم يُحط بقديمها لم يعتقد ... علمًا بمجد الشرق وهو أثيلُ
وخذي المعاني في جمال جديدها ... ما شئتِ، لا حرَجٌ ولا تخذيلُ

المفتاح

قال لويس كوست -الذي حرر الأمة المجرية من نير النمسا: «إذا استُعبِدَتْ أمةٌ ففي يدها مِفتاحُ حَبْسها ما احتَفَظَتْ بلُغتها».

عظم الهمة

محاضرة للعلامة الجليل السيد محمد الخضر حسين

في دار جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية في القاهرة

أيها السادة:

شؤون الأمم شتى، وأعزُّ شئونها مكارم الأخلاق، وحقوق الأمم على علمائها وزعمائها كثيرة، وأهم حقوقها القيام على هذه المكارم، فالجماعة التي تعمل على تقويم الأخلاق وترقية الآداب، هي التي تحمل من أعباء حقوق الأمة ما كان أرجح وزنًا، وأكبر نفعًا.

إذن رجال جمعية مكارم الأخلاق يُعنون بأعز شؤون الأمة، ويقومون على أهم وسيلة من وسائل سعادتها، فجمعية المكارم جديرة بالمؤازرة، خليقة بأن تكون أصلها ثابتًا وفرعها في السماء.

شدة أثر الأخلاق السامية في تقدم الشعوب وتفوقها، وقيام جمعية المكارم على بث الفضيلة وإعلاء كلمتها، هما اللذان يَسّرا على أن أتقدم على هذا المجمع الكريم، وألقي فيه كلمة صغيرة أصفُ بها خُلقًا من أجلّ الأخلاق وهو عظم الهمة.

❑ ما هو عظم الهمة؟

أحكمَ علماءُ الأخلاق بيان هذا الخلق، فقالوا: «هو استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور».

فعظيم الهمة يستخفّ بالمرتبة السفلى والمرتبة المتوسطة من معالي الأمور، ولا تهدأ نفسه إلا حين يضع يده في أسمى منزلة وأقصى غاية، ويعبر عن هذا المعنى النابغةُ الجَعْدِيُّ بقوله:

بلغنا السماءَ مجدُنا وجُدودُنا ... وإنا لنبغي فوقَ ذلك مَظهَرا

وإذا كان هذا الخلُق لا يقع إلا على معالي الأمور، فلا عظمة لهمم قوم يبتغون النهاية في زينة هذه الحياة، ويغرقون في التمتع بلذّاتها المادية، كهؤلاء الذين يُسرفون في الملابس المنمقة؛ والمطعومات الفاخرة، والمباني الشاهقة؛ فإن الزينة واللذائذ المادية لا تعدّ فيما تتسابق فيه الهمم من معالي الأمور

إذا كان في لبس الفتى شرفٌ له ... فما السيف إلا غِمدَه والحمائل

والشاعر الذي يقول:

همَمُ الملوك إذا أرادوا ذكرَها ... من بعدهم فبألسُن البنيانِ

لم يقل صوابًا ولم ينطق بحكمة، إلا أن يريد من البنيان ما أقاموه لمصالح عامة، كأن يكون مدارسَ أو مستشفياتٍ، أو دورًا للكتب، أو مساجدَ يُذكر فيها اسم الله، أو مَلاجئ تأوي إليها اليتامى والمساكين وابن السبيل.

يستصغر عظيمُ الهمة ما دون النهاية من معالي الأمور، وإذا رأى الوسائلَ في الخارج تخونه، وتأبى أن تساعده على إدراك النهاية، فإنه يمضي في عزمه ويرضى بمبلغ جهده، وإن كان دون المرتبة العليا.

ومن الخطل في الرأي أن ينزع الرجل إلى خَصلة شريفة، حتى إذا شعر بالعجز عن بلوغ غايتها البعيدة انصرف عنها جملة، والتحق بالطائفة التي ليس لها في هذه الخصلة من نصيب، والذي يوافق الحكمةَ ويقتضيه حق التعاون على سعادة الجماعة أن يذهب الرجل في هممه إلى الغايات البعيدة، ثم يسعى لها سعيها، ولا يقف دون النهاية إلا بحيث يَنفَد جُهده، ولا يهتدي للمزيد على ما فعل سبيلًا

والناس في الحقيقة أصناف:

رجل يشعر بأن فيه الكفاية لعظائم الأمور، ويجعل هذه العظائم همته، وهذا من يسمى «عظيم الهمة» أو «عظيم النفس».

ورجل فيه الكفاية لعظائم الأمور؛ ولكنه يبخس نفسه، فيضع همه في سَفْساف الأمور وصغائرها، وهذا من يسمى «صغير الهمة» أو «صغير النفس».

ورجل لا يكفي لعظائم الأمور، ويحس بأنه لا يستطيعها، وأنه لم يُخلق لأمثالها، فيجعل همته وسعيه على قدر استعداده، وهذا الرجل بصير بنفسه متواضع في سيرته.

هؤلاء ثلاثة، ورابعهم لا يكفي للعظائم؛ ولكنه يتظاهر بأنه قويّ عليها،

مخلوق لأن يحمل أثقالها، وهذا من يسمونه «فخورًا»، وإن شئت فسمه: «متعظّما».

❑ من أين ينشأ عظم الهمة؟

يتربى عظيم الهمة من طريق الاقتداء، كأنْ ينشأ الفتى تحت رعاية وليّ أو أستاذ يطمح إلى النهايات من معالي الأمور، أو من طريق تلقين الحكمة، وبيان فضل عظم الهمة، وما يكسب صاحبه من سؤدد وكمال، أو من طريق درس التاريخ والنظر في سِير أعاظم الرجال، فإنا لو أخذنا نبحث عن مفاخر أولئك الذين يلهج التاريخ بأسمائهم لوجدنا معظم مفاخرهم قائمة على هذا الخلُق الذي نسميه: «عظم الهمة».

والقرآن يملأ النفوس بعظم الهمة، وهذا العِظَم هو الذي قذف بأوليائه ذات اليمين وذات الشمال، فأتوا على عروش كانت ظالمة، ونسفوها من وجه البسيطة نسفًا، ثم رفعوا لواء العدل والحرية والمساواة، وفجّروا أنهار العلوم تفجيرًا، وإذا رأينا من بعض قرّائه هممًا ضئيلة خاملة فلأنهم لم يتدبَّروا آياته، ولم يتفقّهوا في حكمه.

❑ فضل عظم الهمة:

يسمو هذا الخلُق بصاحبه فيتوجه به إلى النهايات من معالي الأمور، فهو الذي ينهض بالضعيف يُضْطهد أو يُزدَرَى، فإذا هو عزيز كريم، وهو الذي يرفع القوم من سقوط، ويبدلهم بالخمول نباهة، وبالاضطهاد حرية، وبالطاعة العمياء شجاعة أدبية.

هذا الخلُق هو الذي يحمي الجماعة من أن تتملق خصمها، وتسل يدها من أسباب نجاتها ومنعتها، أما صغير الهمة فإنه يبصر بخصومه في قوة وسطوة،

فيذوب أمامهم رهبة، ويطرق إليهم رأسه حِطَّة؛ ثم لا يلبث أن يسير في ريحهم ويسابق إلى حيث تنحط أهواؤهم.

نعم، يورد هذا الخُلُقُ صاحبَه موارد التعب والعناء، ولكن التعب في سبيل الوصول إلى النهاية من معالي الأمور، يشبه الداء المرّ يتجرّعه السقيم؛ ليخلص من وجع لا يطاق.

وإذا كان حرص السقيم على الحياة يخفف على ذوقه طعم الدواء المرّ فيسيغه كما يُسيغ الشراب عذبًا باردًا، فإن عظيم الهمة قد يشتدّ حرصه على الشرف حتى لا يكاد يشعر بما يلاقيه في سبيله من أنكاد وأكدار.

وربما كان الشرف الذي يركب له الأخطار والشدائد أعزَّ وقعًا وأدلَّ على عظم همته، من الشرف الذي يناله في يُسر وسهولة.

أراد أبو الوليد الباجي -حين كان يناظر أبا محمد بن حزم- أن يُثبت لهمته فضلًا على همة ابن حزم، فقال له:

- أنا أعظم منك همة في طلب العلم، لأنك طلبتَه وأنت تُعان عليه، تسهر بمشكاة الذهب، وطلبتُه وأنا أسهر بقنديل بائت السوق.

وأجابه ابن حزم قائلاً: أنت طلبت العلم في حال فاقة رجاء تبديلها بمثل حالي، وأنا طلبتُه في حين ما تعلمه وما ذكرتَه، لا أرجو إلا علوَّ القدر العلمي في الدنيا والآخرة.

فضّل أبو الوليد الباجي همته على همة ابن حزم بما كان يلاقيه في سبيل طلب العلم من شدَّة وعناء.

وفضّل ابن حزم همته على همة أبي الوليد الباجي بأنه كان يطلب العلم لفضيلته، ولو صحَّ قول ابن حزم، وثبت ما اتَّهم به أبا الوليد من أنه كان يطلب

العلم لليسار والرفاهية، لكان أعظم همة؛ فإن الذي يطلب الفضيلة لشرفها، يكون أسمى همة ممن يريد اتخاذها وسيلة إلى منصب أو وجاهة أو مال.

يتعلق عظم الهمة بكل شأن رفيع ومقام محمود، ولا تسع هذه الكلمة إلا أن نُعرّج فيها على عظم الهمة، في العلم، وعظم الهمة في النصح والإرشاد.

❑ عظم الهمة في العلم:

تتفاضل العلوم بغاياتها، وبقدر ما يكون لها من الاتصال بسعادة الإنسان، وتتفاضل همم الطلاب بالنظر إلى هذه العلوم المتفاضلة في نفسها، فلكل من علم الأخلاق وعلم العروض -مثلًا- أثرٌ في الحياة الأدبية، ولكن علم الأخلاق أقرب إلى السعادة منزلة، وأوسع فيما ينفع الناس جولة، فمن يُعنى بالأخلاق ليتحلَّى بمكارمها يكون أرفع همة ممن يُعنى بالعروض ليعرف أوزان الشعر وما يلحقها من زحاف أو علة، وأعظم من هاتين الهمتين همة من جمع بين درس الأخلاق والعروض.

أخذ بعض أهل العلم يدرس العروض بعد أن بلغ من الكبر عِتيًّا، ولما لامه بعض أصحابه على اشتغاله بهذا العلم الصغير وهو شيخ كبير، قال: شهدتُ مجلس قوم كانوا يتحاورون في هذا العلم، ولم أكن على معرفة به، وكان نصيبي بينهم السكوت، فأخذتني ذلة.

فمن درس علمًا فأتقنه، ثم بسط نظره في علوم أخرى، كان أعظم همةً ممن درس علمًا ثم قعد لا يلقي لغيره من العلوم بالًا، ولا يعرف لثمرها اللذيذ طعمًا.

كان لطلاب العلم في الشرق حرص على أن يستكثروا من العلم ويضعوا أيديهم في فنون شتى، وما كانت رغبة الواحد منهم في الاطلاع على العلوم

والفنون بعائقة له عن أن يُرسل نظره في بعضها حتى يرسخ فيها فهمًا، ويأخذ بأطرافه علمًا، ويرقى إلى المنزلة التي تسمى «تخصصًا». فشيخ الإسلام ابن تيمية كان طَودًا راسخًا في علوم الشريعة، وأضاف إلى رسوخه في هذا العلوم أن بلغ في علوم اللغة مرتبةً تخوّله أن يخطّئ سيبويهِ في نحو أربع عشرة مسألة من علم النحو، وهذا الغزالي كان متضلّعًا من علوم الشريعة ووسائلها، وجمع إلى تضلعه في هذه العلوم أن كان يهاجم الفلاسفة في كثير من آرائهم ويناقشها بمنطق وروية، وهذا القاضي عبد الوهاب بن نصر كان فقيهًا نحريرًا وأديبًا فائقًا، وهو الذي يقول فيه أبو العلاء المعري:

والمالكي ابنُ نصرٍ زار في سفر ... بلادَنا فحمدنا النأيَ والسفرا
إذا تفقَّه أحيا مالكًا جدلًا ... ويُنشر المَلِكَ الضلّيل إن شعَرا

فعظم الهمة يدعو طلّاب علوم الشريعة الإسلامية أن يمدّوا أنظارهم إلى هذه العلوم الحديثة، ليكونوا منها على بصيرة، وليزدادوا بها بيّنة على بيّناتهم المفحمة لهذه الفئة التي تزعم أن بين الدّين والعلم خِلافًا، وأن من العلم ما لا يستقرّ مع حقائق الدين في نفسٍ واحدة.

ومن أعظم همة القائم على بعض هذه العلوم الحديثة أن يأخذ نفسه بالاطلاع على حقائق الإسلام وآدابه، ليُحرز منها الكمال والسعادة، وليتعالى عن أن يمشي وراء نفر يجتمعون على أن يحاربوا ما في هذا الدين القيم من حكمة وفضيلة.

تتفاوت الهمم في العلم الواحد من ناحية الاطلاع على مسائله، ثم من ناحية التصرف في هذه المسائل بتحقيق النظر وإجادة البحث، فطالب العلم الذي لا يدع بابًا من أبوابه إلا وَلجه، ولا يغادر بحثًا من مباحثه المهمة إلا ألمّ به، يكون أعظم همة ممن لم يطرق منه كل باب، أو لم يعرّج فيه على كل مسألة قيمة، وطالب العلم الذي يخوضه بنظر حرّ، ويتناول مباحثه بنقد وبصيرة يكون أعظم

همة ممن يجمع مسائله حفظًا ويتلقاها كما يتلقاها حاكي الصدى لا يكلفك غير إملائها عليه، وطالب العلم الذي يتحرّى لُبابه، ويجول في أصوله يكون أعظم همة ممن يقضي الزمن في قشوره ويحبس النظر في دائرة ضيّقة من فروعه.

كذلك نرى الأستاذ النحرير يبخل بأوقاته النفيسة عن أن يُنفقها في مناقشات واهية، وإنما يندفع إلى الخوض في حقائق العلم والغوص على أسراره، وإذا توجَّه إلى نقد عبارة مؤلف فإنما يمسّ الخلل الذي يشوّه صورة المسألة التي هي موضوع البحث.

هذا والأمل معقود على أن هذه المعاهد والمدارس تُنبت لنا رجالًا تعظم همَمُهم فيجمعون من العلوم ما يجعل الشرق بحرًا زاخرًا، ويسيرون في كل علم سيرة الباحث الذي يفتح فيه طرقًا قيّمة، ويجعل نتائجه في تجدّد ونماء.

❑ عظم الهمة في النصح والإرشاد:

في سبيل الدفاع عن الحق أو الدعوة إلى الإصلاح عقبةٌ لا يقتحمها إلا ذوو الهمم الكبيرة، فإن في طوائف المبطلين أو المفسدين نفوسًا طاغية وأحلامًا طائشة، وألسنة مقذعة، وربما كانت فيهم أيدٍ باطشة وأرجلٌ في غير الخير ساعية.

فأنصار الحقيقة ينصبون أنفسهم أمام هذه الشرور كلها، وإنما تعظم هممهم على قدر ما يتوقعونه من فقد محبوب أو لقاء مكروه، فالذي يُنكر على الحكام خرقًا في السياسة أو حيفًا في القضاء، يكون أعظم همة ممن لا يحمي الحقيقة إلا إذا عبثت بها أيدي الضعفاء، والذين لا يجدون ما ينفقون.

يتمثل لكم عظم الهمة في منذر بن سعيد، قاضي قرطبة ح، ين قام في خطبة الجمعة يُنكر على الخليفة عبد الرحمن الناصر إسرافه في الإنفاق على تشييد

المباني وزخرفتها، وأخذ يلقي الخطبة في كلام جَزْل افتتحه بقوله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾. وسلك ذلك الكلام الجزل، وهو على علم بأن الخليفة حاضر مستمع إليه؛ ولكن الخليفة انصرف بعد أن قضيت الصلاة، ولم يزد على أن صار يصلي في جامع لا يخطب فيه منذر بن سعيد!

يشهد العالمان الرجلَ من ذوي الشأن يعمل عملًا غير صالح، وأعظمهما همة هو الذي يسبق إلى إنكار عمله، وتذكيره بسوء عاقبته.

دخل أبو عثمان بن إدريس، ومنذر بن سعيد البلوطي على الخليفة الناصر، وهو في الزهراء، فأنشد أبو عثمان أبياتًا أطرى بها الخليفة على هذا البناء، فابتهج الناصر واهتزَّ لهذا الإطراء، أما منذر بن سعيد، فإنه أطرق ساعة، ثم رفع رأسه وقال:

يا بانيَ الزهراء مستغرقًا ... أوقاته فيها أما تمهلُ
لله ما أحسنها رَونقا ... لو لم تكن زهرتها تذبلُ

فقال الناصر: إذا هبَّ عليها نسيم التذكار، وسقتها مدامع الخشوع، لا تذبل إن شاء الله، فقال منذر: اللهم اشهد، فإني قد بثثت ما عندي، ولم آلُ نصحًا.

وأصاب منذر فيما قال، فقد ذبلت زهرة الزهراء وتهدمت قصورها يوم قام محمد بن هشام على بني عامر، وانتزع الملك من أيديهم، واستولى على قرطبة سنة تسع وتسعين وثلثمائة.

وإذا كانت الدعوة من معالي الأمور، فنهايتها التي يبلغها الداعي المصلح أن يرشد إلى ما يراه حقًّا، ويحذّر مما يراه منكرًا؛ غير حافل بما يحفل به ضعيف الإيمان، أو قليل الإخلاص من رضا الملأ الذين استكبروا.

رفع القرآن مكان الدعوة، ثم جعل الدعاةَ إلى حق أو إصلاح خير أمة أُخرجتْ للناس، وقد خرج بفضل القرآن رجال عظمت هممهم، فكانوا يؤثرون الحق والنظام على منافعهم الخاصة، ويحتملون في سبيل النصح والإرشاد ما تدعوهم الحكمة إلى احتماله من فقد السرّاء أو لقاء الضراء.

وسنرى بتوفيق اللَّه تعالى من هذه المعاهد والمدارس رجالًا كثيرًا يقدرون عظم الهمة في النصح للأمة؛ وينهضون بهذا الواجب ضاربين بمنافعهم الخاصة إلى وراء، وإذا فاتهم أن يروا ثمرة جهادهم بأعينهم، ففي شرف الجهاد وإنارة السبيل للأجيال القابلة كفاية.

لولا تجلد شارل مارتل

شبلي بك ملاط من أشعر مسيحيي لبنان إن لم يكن أشعرهم، وقد أنشد في مهرجان تكريم شوقي بك في القاهرة قصيدة قال فيها:

مَن للزمان بمثل فضل محمدٍ ... وعـدالـةٍ كـعـدالـة الـخَـطَّـابِ

رفعَ الرسولُ عِمادَ أمَّة يَعْرُبٍ ... وأعـزَّهـا بـالآل والأصـحـابِ

غَشَتِ الفتوحُ وصَفَّقَتْ راياتُها ... في الشرق فوق أباطِح وهِضابِ

وتَغلغلتْ في الغرب طائرةً على ... أكتافِ صَقرٍ جارح وعُقابِ

لولا تجلّد (شَرْلِ مَرْتِلَ) خَيمتْ ... فـي قـلـبه بـسُـرادقٍ وقـبـابِ[1]

(١) يشير إلى الملحمة الكبرى بين العرب والإفرنج في (بواتيه) بفرنسا، وقد أراد اللَّه أن يقطع شارل مارتل على العرب خط تبسطهم بالفتح الإسلامي في أوربا، بما أبداه من تجلد وصبر، ويعد بعض المنصفين من الإفرنج انكسار العرب يومئذ نكبة على الحضارة، ولو انتصروا؛ لجاءت الحضارة الحالية قبل مائتي سنة من أوانها، وكانت تكون بأسلوب أفضل وأسعد.

ولكانَ صار الغربُ أندَلُسًا به   شوقي يقول سَواحرًا وسَوابي

❊ ❊ ❊

حيّ الجزيرةَ في مَسارحها وما   في الريف من رِيّ ومن إخصابِ
واسمعْ فديتُك نَبرةً مصرية   عربيَّةً في مَنطقٍ خلّابِ
واستنشدِ القرآنَ قومًا جوّدوا   منه بآيٍ في النفوس عِذابِ
واقرأ به فُصحى اللغات مُدِلّةً   في المشرقين بجوهر الأحسابِ
أخذتْ قريشُ بجزْلها وبَكت بها   غِرناطة في رِقةٍ وعِتابِ
لولا يدُ الإسلام لم تَسلم بما   فيها من الأخلاق والآدابِ
ولو ارعوى من صَدَّ عنها زاهدًا   مُتغلّلا بعَناكِب الأسبابِ
لأريتُه عندَ العياء خطاءه   وأريته عند البيان صَوابي
من لم يصُنْ لغةَ الجدود فليس مِن   قوميّةٍ تنميه في الأنسابِ

اللغة والأمة

اللغة من الأمة كالقلب من الجسم: كلاهما ألطف شيء وأدقه، وكلاهما لا تكون بدونه الحياة.

وما من أمة خلعت دهرًا لبسته، فخرجت بذلك من ماضيها وطفقت تعمل لحاضرها وتمهد لمستقبلها، إلا كانت لغتها معقِدًا لهذه الأطراف الثلاثة من التاريخ.

ذلك أن اللغة من مشخصات الأمة الناطقة بها، فما فرطت أمة في جانب لغتها إلا كان ذلك إيذانًا بفدح مصابها، أو إيذانًا بوشك ذهابها.

بل ليس هذا التفريط إلا انقطاعًا عن سلك التاريخ، وما انقطعت أمة من سلكه إلا جهلته فكان مَثلها مَثل الرقيق الذي يألف من فقدان حريته أن يجهل حريته إذا ملك أمره، فهو إن لم يجد مالكًا يسخره كرهًا سخر نفسه طوعًا على أن يؤجر بمساك حياته إذ تكون حريته مادةً في معدته، بعد أن كانت معنى روحانيًّا في فطرته.

أجل؛ إن اللغة وصلة بين غابر وحاضر؛ فإذا ضاعت لغة أمة انقطعت أواصر النسب بين السلف والخلف، وفقدت الأمة بفقدان لغتها سجلها الحي، فالتوى لسانها الناطق وسكن قلبها الخافق؛ وفي بعض ذلك كل الموت.

وأنت ألست ترى إذا ذهبتَ توازن بين أخطار الأمم أن أهونها على الدهر خطرًا هي التي جهلت لغتها، وما لغتها إلا لسان تاريخها؛ فلم تعد تربط من الزمن بصلة، وكان من الهين على من يشاء أن يستلحقها، وهان عليها أيضًا أن تلتحق بكل تاريخ كما يلحق الخادم بكل من يستخدمه لا يميز بين سيد وسيد إلا بمقدار الأجر الذي يبيع به كرامته، ويشتري به مهانته.

وهل تُفرق بين أمة حاضرة بلى فيها لسانها، وأمة غابرة بليت عليها أكفانها، وكلتا الأمتين ميتة، إلا بأن الأولى لم يُشقّ لها قبر.

ألا إن اللغة تركة الماضي وغنى الحاضر، وميراث المستقبل وهذه الثلاثة الأزمنة هي كل أعمار الأمم في التاريخ.

فما أدري إذا أضاعت أمة لغتها بأي شيء يُشار إليها، وبأي دلالة يُدل عليها، ولا أعرف إذا لم تتميز جنسية أمة بلغتها أي حد يفصل بينها وبين غيرها من الأمم.

ولقد علمنا أن لكل أمة شاهدًا من لغتها على ما فُطرت عليه من دِين، ودوّن

لها من تاريخ، وعُرف عنها من نسب ومدنية وفنون، ففقدان أمة لهذه الثروة المعنوية اعترافٌ منها بسفاهتها، وبأنها في حاجة إلى القوّام.

ولقد أراق الكتّاب كثيرًا من المداد في بيان أن اللغة هي الأساس الذي يُقام عليه بنيان الوحدة في كل جنس، وأنها هي الصلة الحسية بين المتكلمين بها أفرادًا، وصورة الحياة الاجتماعية عندهم تركيبًا؛ وكفى في الدلالة على ما بين اللغة والأمة من علاقة وثيقة، أنك لا تجد أمة في مكان من العزة مكين إلا حيث تجد لغة أهلية قائمة السلطان على الألسنة، ولا تجد لغة عرضة لغائلة الحوادث إلا حيث تجد أمة عُرضة لعوادي المقادير.

ألا إن اللسان من حيث هو مُضغة مرآة للصحة، ومن حيث هو لغة مرآة للأمة، فأخلقْ بأمة تسلم لغتها للفناء، أن نقرأ عليها منذ الآن قصائد التأبين والرثاء.

محمد صادق

جوامع الكلام

* أفضل الصدَقة صدقة اللسان: تُدفع بها الكريهة، وتُحقن بها الدماء.
* أفضل الجهاد كلمة حق عند ذي سلطان جائر.
* مذاكرة الرجال تلقيح لعقولها.
* رحم اللّه عبدًا تكلم بخير فغنم، أو سكت فسلم.
* الصمت نوم، والنطق يقظة.
* الرأي الساكت بين النائم والأخرس.

* إن القلوب تملُّ كما تملُّ الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة.

* إن للقلوب شهوة وإقبالًا، وفترة وإدبارًا. فخذوها عند شهواتها وإقبالها، وذروها عند فترتها وإدبارها.

* القلوب تحتاج إلى قُوتها من الحكمة، كما تحتاج الأبدان إلى قوتها من الغذاء.

* على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يُحاسب فيها نفسه، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل؛ فإن هذه الساعة عون له على سائر الساعات.

المدنيات الثلاث

خطب المسيو توسين -في حفلة كبرى أقيمت في باريس احتفالًا بشاعرية شوقي- فقال:

«إن الحرب العامة أثبتت فسادَ نظريات الغرب، وأوضحت كونَ المدنية المبنية على المادة وحدها قاصرة عن الوفاء بحاجة الإنسانية».

ثم قال: «إن أمراض المدنية الغربية الحادثة قد بدأت تسري إلى الشرق». وأورد مثلًا على ذلك صنيعَ أنقرة التي نقضت التقاليد، ومرقت من الديانة، مع أن هاتين هما البنيان في عظمة تركيا السابقة».

فأجابه كاتبنا الأكبر الأمير شكيب أرسلان بقوله:

«لستُ متفقًا مع المسيو توسين في كل ما ذكره عن مدنية الغرب، فالشرق مديون للغرب بكثير من أسباب المدنية، لاسيما فيما يتعلق بالرفَهِ وتدبير المنزل

ونظام الاجتماع وفنون الصناعة وجرّ الأثقال، كما أن الغرب مديون للشرق بمبادئ الإنسانية العليا.

وبالإجمال المدنيات ثلاث:

إحداها: تكاد تكون روحية صرفة، وهي «مدنية الصين والهند».

والثانية: تغلب عليها المادية الصرفة، وهي «مدنية أوروبا وأمريكا».

والثالثة: وسط بين الاثنتين، وهي «المدنية الإسلامية». فالواجب أن يُستفاد من المدنيات الثلاث[1]؛ ليؤخذ من ذلك مجموع لاشكَّ أنه يكون في تحقيقه سعادةُ المجتمع البشري».

فكان لكلام الأمير تأثير عميق في نفوس علية الفرنسيين، ووافقوا جميعًا على أنه الحق.

فضل العلماء

- ذُكر لرسول اللَّه ﷺ رجلان عابد وعالم، فقال: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**». الترمذي (وصححه)[2].

- قال ﷺ: «**إن اللَّه تعالى، وملائكته، وأهل السموات وأهل الأرض حتى**

(١) يُستفاد من المدنيات الثلاث في أمور الدنيا، أما أمور الدين فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾، وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾. (س).

(٢) برقم (٢٦٨٥)، وصححه الألباني. (س).

النَّملة في جحرها والحيتان في البحر يُصلون على معلم الناس الخيرَ». الترمذي[(١)].

- قال ﷺ: «**فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد**». الترمذي[(٢)].

- سئل النبي ﷺ: «أي الناس أكرم عند اللَّه تعالى؟ قال: «**أكرمهم عند اللَّه أتقاهم**». قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: «**فيوسف نبي اللَّه ابن نبي اللَّه ابن خَليل الله**». قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: «**فعن معادِن العرب تسألوني؟**» قالوا: نعم. قال: «**فخِيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقِهُوا**» ». الشيخان[(٣)].

صدق المحامي

عانى سعد زغلول باشا مهنة المحاماة في صدر حياته المملوءة بالعمل، ثم كان قاضيًا، فعرف في موقفه من آداب المحاماة ما لم يعرفه الكثيرون، وقد وفد عليه في اليوم الأول من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٤٥ وفدٌ من طلبة الحقوق في القاهرة، فألقى فيهم خطبة قال فيها:

قد هيأتم لي فرصة أحدّثكم فيها عن الصدق وفضيلته، وحسن أثره، خصوصًا بالنسبة للمحاماة التي تُعدُّون أنفسكم لمزاولتها.

---

(١) برقم (٢٦٨٢)، وصححه الألباني. (س).
(٢) برقم (٢٦٨١)، وضعفه الألباني. (س).
(٣) أخرجه البخاري (٣٣٥٣) ومسلم (٢٣٧٨). (س).

توهم البعض أن البراعة في المحاماة تكون بالقدرة على قلب الوقائع، وتمويه الحقائق، ولبس الحق بالباطل، ولكنه توهم فاسد؛ لأن الصدق هو أساس المحاماة وحليتها، وكلما كان المحامي صادق اللهجة، شريف النزعة، كان أثره في المحاماة محمودًا، ونجاحه مضمونًا.

لا ينبغي للمحامي أن يؤجر ذمته لموكله، وأن يقف من القاضي موقف العامل على إخفاء الحق وإظهار الباطل؛ بل يجب أن يقف منه موقف الباحث عن الحقيقة، المنير لطريق العدالة؛ وأن يكون حريصًا على اكتساب ثقة القاضي؛ لأن هذه الثقة هي أساس نجاحه في عمله.

ولهذه المناسبة أسوق لكم شاهدًا وقع لبعض المحامين في زمن اشتغالي بالمحاماة، وقد كان معروفًا بوفاء الذمة وصدق القول، وقد دافع أمام محكمة الاستئناف عن متهم كان محكومًا عليه ابتدائيًّا بالإعدام، وفند جميع الأدلة التي بنى عليها الحكم الابتدائي تفنيدًا تامًّا، غير أن المقرر في القضية -أثناء المداولة مع إخوانه- خالف رأي المحامي، وقال: إن كل ما أتى به في دفاعه مغالطة، أما زملاؤه فكانوا يعهدون في المحامي غير ذلك، فاضطروا إلى أن يقرأ القضية كل واحد منهم، ثم أجمعوا رأيهم على مخالفة زميلهم المقرر، والحكم ببراءة المتهم.

فانظروا كيف أثر صدق المحامي في آراء القضاة، وكيف نجَّى بصدقه موكله من الإعدام. فكونوا مثالًا للصدق ووفاء الذمة تنفعوا فنكم.

التشجيع على الصدق

مرَّ عبد اللَّه بن عمر بن الخطاب براعٍ مملوك ومعه غنم سيده، فأراد أن يمتحن أمانته، فقال له:

«هل من جَزرة؟»(١).

قال الراعي: ليس هاهنا ربُّها.

قال ابن عمر: تقول له: «إن الذئب أكلها!».

فقال له الراعي: اتَّقِ الله!

فسُرَّ ابن عمر من هذه الأخلاق، وشعر في نفسه بضرورة تشجيع صاحبها عليها؛ فاشترى الراعيَ من سيده وأعتقه، واشترى الغنم أيضًا ووهبها له.

الدقائق

«يا هجراتي بلا عتابْ ... ولا رُجوعْ
يا طائراتٍ إلى السَّحابْ ... طَيْرَ الجَزُوعْ
أنتُنَّ بَعْضي فأيُّ ذَنْبٍ ... يُشْجي القريبْ
الهَجْرُ قاسٍ وأيُّ صَعْبٍ ... هَجْرُ الحبيبْ!»

(١) شاة تصلح لأن تُجزر.

قلْنَ الدقيقاتُ الحِسَانْ: «أنتَ المُسيءْ
ضَيَّعْتَنا ضَيْعَ الهَوَانْ لَسْنَا نَفِيءْ
ما مَرَّ لن يأتي وإنْ صَافِي الزَّمَنْ
سِيَّانِ تلهو أو تَئِنْ لن تُؤْتَمَنْ
لم تَدْرِ ما مَعْنَى الحَيَاةْ حتى المَشيبْ
أنفقتَها دونَ انتباهْ مثلَ الجنيبْ
والآن ما تبغي وقدْ ولّى الغِنى؟
هيهات يُرْجَى المُفتَقَدْ يا مَنْ جَنى!
لو كنتَ قدَّرْتَ الوُجودْ تقديرَنا ما لُمْتَنا لَوْمَ الجحُودْ أو خُنتنَا!»

❁ ❁ ❁

احرصْ على النفع الأتَمْ مِن الدقيقهْ
إنْ تَنْسَهَا تَنْسَ الأهمْ بل الحقيقهْ
ما العُمْرُ إلَّا جَمْعُها أو ضيْعُها
ما النُّجحُ إلا نَفْعُها لا دَفْعُها

أبو شادي

كان الأولى

لما زار الملك فؤاد متحف (روما) الكبير، وقف طويلًا عند (القسم الإسلامي) منه، فلما قُدّمت إليه (دائرة المعارف الإسلامية) أخذ يتأملها مليًا، ثم قال لثروت باشا على مسمع من الحاضرين:

لقد كان الأولى أن يقوم المسلمون بهذا العمل العظيم.

ولعل هذه الكلمة تحفز حكومة مصر الناهضة إلى أن تعمل لمعاونة المشتغلين بهذه الضرب من العلم على إيجاد (دائرة معارف إسلامية) من وجهة النظر الإسلامية. وإذا هي أرادت ذلك فإن في العالم الإسلامي كثيرين يساعدون على تحقيق هذه الأمنية، مثل (دار المصنفين) في الهند، و(المجمع العلمي العربي) بدمشق، وكل من يشرب من هذا الينبوع في سائر الأقطار الإسلامية[١].

طريقة الغرب في الاستيلاء على الأمم

بقلم كاتب الشرق الأكبر/ الأمير شكيب أرسلان

غوليلمو فريرو الفيلسوف الكاتب الإيطالي الشهير يُعد اليوم النقريس الأكبر في علم الاجتماع والتاريخ، لا في إيطالية فحسب؛ بل في أوربة بأجمعها، وإذا كتب كتابًا أو نشر مقالة تجاوبت لها أصداء الشرق والغرب، وتركت دويًّا كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر.

نشر الفيلسوف المؤرخ المشار إليه كتابًا أخيرًا باسم «وحدة العالم»، لا يزيد على مئات معدودات من الصفحات، طاف فيه جميع الحوادث الجارية على سطح الكرة الأرضية، ودقق في مصادرها وأسبابها، فذهب إلى أنها -مع تناقضها وتصادم بعضها ببعض- سائرة في الحقيقة على نظام ثابت مستقيم، ووصل إلى هذه النتيجة، وهي:

(١) ثم صدر عددٌ منها، من أبرزها «الموسوعة العربية العالمية»، بدعم من الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود. (س).

إن مشروع الفتح والامتداد الذي يتابعه العالم المتمدن (أي: الأوربي) منذ أربعة قرون، والذي بدأ بطيئًا وانقلب سريعًا في آخر الأيام، يظهر للمتأمل أنه آيل إلى «توحيد العالم الإنساني!» ولم يكن هذا «التوحيد» ليتم بدون جهد وبدون بلاء؛ لأن البشر خلقوا أطوارًا، وبينهم من التدابر والتقابل ما يؤذن بالأخذ والرد والعكس والطرد، وهناك أسباب عديدة للحب والبغض والقرب والبعد، مع هذا كله تجد العالم سائرًا على الوحدة، فإذا نظرنا في كيفية السوق السائد الآيل إلى هذه الوحدة وجدناها:

بالإنجيل،

بالسيف،

وبالإخفاء،

والإفناء،

وبتبادل المساعدات،

وتبادل طلقات المدافع...

هكذا قُدّر على البشرية، وهو أنه لا يمكن إخراج هذه «الوحدة» إلا من وسط المعامع والمعارك الفجيعة، إلا أنها ستكون أخيرًا.

ثم ذكر فريرو -تعزيزًا لرأيه- وجوه الوحدة البشرية كلها، وأبان أنها كلها مستحيلة ما عدا هذا الوجه الذي ذكره: الإنجيل والمدفع...

فقال: «إن الوحدة لا تكون بتغلب أمة على أمة، أو جنس على جنس بقوة الحكومة، ولا يمكن أن يكون فرد واحد سيدًا للعالم، كذلك الوحدة لن تكون بتوحيد اللغات، فهذا غير ممكن، ولن تكون بالعلاقات المالية كالتجارة والصرف والصناعة، فقد علمنا أن أصحابها لا يهتمون بالسياسة العامة إلا

بالمقدار الذي يلزم لإشغالهم، وطالما قال أناس إن المال هو الذي يدير شؤون العالم لكنهم لم يوضحوا لنا كيف يديرها.

على أنه برغم اختلاف العناصر واللغات، وتصادم المجاري والمصالح، وتعدّد الحكومات والهيئات المديرة للبشر، تجد روح العالم سائرًا من كل جانب إلى الوحدة، فهذه الوحدة إنما تكون بنوع من الديموقراطية يسود على العالم الآتي، ويقرّب بين أجزائه بصورة غير محسوسة!».

هذه خلاصة نظريات الفيلسوف الإيطالي فريرو. وظاهرٌ أنه يقصد بالإنجيل «الثقافة الغربية»، التي هي وحدها تمشي في آسية وإفريقية، وفي يدها الواحدة «السيف» وفي الأخرى «ضماد للجرح»، وهي وحدها التي تتفنن في طرق استئصال البشرية، وفي طرق توفير صحة البشر: تجمع في وقت واحد بين الضدين، وهي التي بين يديها الجندي من جهة، والقسيس من جهة أخرى!

وكأن فريرو يريد بقوله: «الإنجيل والمدافع» الترغيب والترهيب: فأوربة تريد سَوق الناس وراءها بكل الطرائق: سلمية كانت أم حربية، وإنسانية أم وحشية، فهي تستعمل الحلو والمر، والعُرف والنُكر، والإحياء والإفناء، كل ذلك عندها جائز، بشرط الحصول على مرادها، وهو أن تصبغ جميع البشر بالصبغة الأوربية، وتطبعهم بطبائعها...

أما الإنجيل الحقيقي فليس المراد هنا؛ لأن الإنجيل الحقيقي هو وحيٌ سامي شرقي، والثقافة الأوربية هي ثقافة يونانية لاتينية ليس فيها من الإنجيل سوى الاسم، كما يعترف بذلك فلاسفتهم المحققون، ولعمري إن تعاليم المسيح عليه السلام في واد، والثقافة الأوربية في واد، وإن الأمر هو كما قال (رينان) وكثير من حكماء أوربة: لو جاء المسيح اليوم لكان غريبًا عن هؤلاء المتكلمين باسمه.

وسواء كانت الدعاية هي لإنجيل حقيقي أو إنجيل أوربي آرى؛ فالمقصود هو واحد، والشاهد هو أن أوربة تسوق إليه الناس بالقهر واللطف، والشدة والعنف، وأنها تبطش بالأمم غير الأوربية وتتودّد إليهم، وتقتلهم وتبكي عليهم، وكل هذا لأجل نفوذ دعايتها ونشر ثقافتها بأي سبيل.

وفي ذلك بلاغ لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

وارث العالم

النـاسُ ذو فقـرٍ يـروم الـغِـنـى ... وآخـرٌ لـلـنـاسِ مـا يـقـتـنـي
ويـسـتـوي هـذا وهـذا غـدًا ... يـا وارثَ الـعـالَـم أنـتَ الـغـنـي

أحمد شوقي

بين صحابيين

كتب أبو الدرداء إلى سلمان الفارسي: هَلُمَّ إلى الأرض المقدسة.

فكتب إليه سلمان: إن الأرضَ لا تقدّس أحدًا؛ إنما يقدسُ الإنسانَ عملُه، وقد بلغني أنك جُعِلت طبيبًا تداوي، فإن كنت تبرئُ فنِعِمَّا لك، وإن كنت متطبِّبًا فاحذر أن تقتل أحدًا فتدخلَ النار(١).

---

(١) المتطبب: الذي يتعانى الطب ولا يجيد معرفته.

فكان أبو الدرداء ﷺ إذا قضى بين اثنين، ثم أدبرا عنه نظر إليهما، وقال: متطببٌ والله، ارجعا إليَّ فأعيدا عليّ قضيتكما.

كنى بالطب هنا عن القضاء؛ لأن منزلة القاضي من الخصوم وفصل الحكم بينهم بمنزلة الطبيب من إصلاح البدن.

يا أيها الناس!

شهد أهوال الزلزلة في مدينة عَمّان صديقنا، السيد محمد الشريقي، فقال يصفها:

صوتٌ أثار عذابًا ورَوَّع الآمنينا
هدَّ القَطِينَ نفوسًا دكَّ البلاد حُصونا
أذوى الحسان وُرُودًا وأثكل المطفلينا
لم يَرْعَ في الناس شيبًا ولا شَبابًا رَصينا
وفي خِلال ثَوانٍ أشقى العبادَ سنينا
ردّ البيوتَ رُكامًا وجَندلَ المبتَنِينا
ولم يُميّزْ مصلّى من حانةِ المدمِنينا

سألتُ نفسي ونفسي منارةُ الحائرينا:
ما ذنْبُ هذا المصلّي ورهطِه الصالحين؟
حتى الزّلازلُ تأتي عليهم أجمعينا؟
فقالت النفسُ قولًا أراه حقًّا مبينا:
ليس الكمالُ مثالًا بل غايةً ويقينا

يظلُّ حيًّا إذا ما لاح المثالُ طعينا
وقد يكون بقاءً ما قد حسبتَ مَنونًا
فعدتُ والحقُّ بادٍ لأُوقظَ الغافلينا
وصِحتُ في الناس هذا صخرٌ يفيضُ عيونا
قد ظلَّ يجري زُلالًا إذا به أتُّونا
ليس النقائصُ إلا مَناوِر الباحثينا
فهل قبستم ضياءً كما رشفتم معينا
وقمتمُ بين ظلٍّ ومارجٍ تفكرونا
كتمتم الخير حتى أقرَّه الجاحدونا
أم لم تزالوا حَيارَى في حِندِس الغابرينا!

❁ ❁ ❁

يا أيها الناسُ مَهلًا لقد سلكتم حُزونا
هجرتمُ الخيرَ حتى تأصَّلَ الشرُّ فينا
وقلتم الدهرُ باغٍ وأنتم المفترُونا
أين الكمالُ مقيمًا للعلم صرحًا مَكينا
للحسنِ رَوضًا أريضًا للحقّ حِصنًا حَصينا
للدِّين مَعبدَ حُبٍّ للشَّعب مُلكًا أمينا
حتى مَ نبقى عَبيدًا شهوةِ الطامعينا
لقد رأوكم قليلا وأنتم الأكثرونا
أضعتم الخير لما رَضِيتمُ العيشَ هُونا
هلّا استبقتم طريقًا لا يَحرِمُ السابقينا؟

❁ ❁ ❁

أهـابَ بـالأرض صـوتٌ فـزلـزلَ الـعـالـمـيـنـا
ومـا بـرحـتـم ذِئـابًـا بِـضـغـنـكـم مُـمـعـنـيـنـا
غُـلْـفَ الـقـلـوب صِـلابًـا بـنـابـكـم تـفـخـرونـا
يـعـيـش فـيـكـم غـريـبًـا ذو الـفـضـل لا بـل مَـهـيـنـا
وتـحـسـبـون كـمـالًا هـذا الـنُّـضـارَ الـلـعـيـنـا
عـبـدتـمُ الـظُّـلـمَ خـوفًـا ومـا عـلـوتـم فـنـونـا
مـا الـعـلـم مـا الـحـسنُ إلا عُـلالـة الـمـتـعـسـيـنـا
مـا الـحـقُّ إلا حُـسـامٌ عـن حـدِّهِ مـا غـنـيـنـا
والـمـالُ مـا زال ربًّـا والـفـيءُ مـا زال دِيـنـا

❀ ❀ ❀

يـا أيـهـا الـنـاسُ هـلّا سـلـكـتـمُ الـخـيـرَ حـيـنـا
فـمـسـلـك الـخـيـر أنـفـى لـلـشـر لـو تـعـلـمـونـا

القناعة وغِنى النفس

قال ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العَرَض[١]؛ ولكن الغنى غنى النفس». الشيخان[٢].

وقال ﷺ: «إذا نظر أحدكم إلى مَن فُضِّل عليه في المال والخَلْق فلينظر إلى من هو أسفل منه، فذلك أجدَرُ ألّا تَزدَروا نعمة اللّه عليكم». الشيخان[٣].

---

(١) أي: المال والقنية.
(٢) أخرجه البخاري (٦٤٤٦) ومسلم (١٠٥١). (س).
(٣) أخرجه البخاري (٦٤٩٠) ومسلم (٢٩٦٣). (س).

قال ﷺ: «ابنَ آدم، إنك إن تبذل الفضلَ خير لك، وإن تُمسكه شرٌّ لك، ولا تُلام على كَفاف، وابدأ بمن تَعول، واليدُ العليا خير من اليد السفلى». مسلم[١].

حملة الإسلام على رذيلة الاستجداء

- أتى رجلٌ من الأنصار يسأل رسول اللّه ﷺ، فقال رسول اللّه ﷺ: «أما في بيتك شيء؟» قال: بلى، حِلْس[٢] نلبَس بعضه ونبسُط بعضه، وقَعْب نشرب فيه الماء. فقال: «ائتني بهما». فأتاه بهما. فأخذهما ﷺ بيده، وقال: «مَن يشتري هذين؟» قال رجل: أنا آخذهما بدرهم. قال النبيُّ ﷺ: «من يزيد على درهم؟» (مرتين أو ثلاثًا)، قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين. فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين فأعطاهما للأنصاري، وقال: «اشتر بأحدهما طعامًا فانبِذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قَدومًا فأتني به». فأتاه به، فشَدّ فيه رسول اللّه ﷺ عُودًا بيده، ثم قال له: «اذهب فاحتَطِبْ، وبِعْ، ولا أرينَّك خمسة عشر يومًا». ففعل، ثم جاء، وقد أصاب عشرة دراهم. فاشترى ببعضها ثوبًا وببعضها طعامًا. فقال له ﷺ: «هذا خير لك من تجيء المسألةُ نُكتةً في وجهك يوم القامية[٣]، إن المسألة لا تصلُح إلا لذي فَقر مُدْقِع، أو لذي غُرْم مُفْظع، أو لذي دم موجِع[٤]». أبو داود[٥]، وهذا لفظه، والترمذي باختصار[٦].

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٣٦). (س).
(٢) الحلس: كساء غليظ يلي ظهر البعير تحت القتب.
(٣) النكتة: النقطة والعلامة والتشويه.
(٤) أي: الذي تحمّل دية، إن لم يؤدها كانت العاقبة موجعة له.
(٥) برقم (١٦٤١). (س).
(٦) برقم (٦٥٣). (س).

- قال ﷺ: «المسائل كُدُوح[١] يكْدَح بها الرجل وجهه، فمن شاء أبقى على وجهه، ومن شاء تركه، إلا أن يسأل الرجل ذا سلطان في أمر لا يجد منه بدًا»[٢].

- سأل رجل رسولَ اللَّه ﷺ فأعطاه، فلما وضع رجله على أُسْكُفَّة الباب[٣] قال ﷺ: «لو تعلمون ما في المسألة، ما مشى أحد إلى أحد يسأله شيئًا». النسائي[٤].

- قال ﷺ: «لأن يأخذ أحدكم أحْبُله ثم يأتي الجَبَل فيأتي بحُزمة من حَطَب على ظهره فيبيعها خيرٌ له من أن يسأل الناس، أعطوه أو منعوه». البخاري[٥].

- قال ﷺ: «من يتَكفلُ لي ألّا يسأل الناس شيئًا، وأتكفلُ له بالجنة؟» فقال ثوبان: أنا. (فكان لا يسأل أحدًا شيئًا). أخرجه أبو داود[٦].

- قال ﷺ: «لا تُلحِفوا في المسألة[٧]، فوالله لا يسألني أحد منكم شيئًا - فتُخرج له مسألته شيئًا، وأنا له كاره- فيبارك له فيما أعطيته». مسلم[٨].

- روى ابن الفِراسي[٩] أن أباه قال: يا رسول الله، أسأل؟ قال: «لا، وإنْ كنتَ لابد فاسأل الصالحين». أبو داود[١٠].

---

(١) خموش.
(٢) أخرجه أبوداود (١٦٢٦)، وصححه الألباني. (س).
(٣) عتبته.
(٤) برقم (٢٥٨٦)، وحسنه الألباني. (س).
(٥) برقم (٢٠٧٥). (س).
(٦) برقم (١٦٤٣). وصححه الألباني.(س).
(٧) الإلحاف: الإلحاح.
(٨) برقم (١٠٣٨).(س).
(٩) هو من بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة، ولا يُعرف اسمه.
(١٠) برقم (١٦٤٦). وضعفه الألباني.(س).

- قال ﷺ: «من سأل الناس، وله ما يغنيه، جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خُموش أو خدوش أو كدُوح». قيل: وما يغنيه؟ قال: «خمسون درهمًا أو قيمتها من الذهب»[(١)].

- قال ﷺ: «من سأل تكثُّرًا، فإنما يسأل جَمْرا؛ فليستَقلَّ أو ليستكثِرْ». مسلم[(٢)].

- قال قَبيصة بن مُخارق: تحمَّلت حَمَالة[(٣)] فلقيت، رسول اللَّه ﷺ أسأله فيها، فقال: «أقم حتى تأتينا الصدقة، فنأمر لك منها». ثم قال: «يا قبيصة، إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل حمَّل حَمَالة، فحلَّت له المسألة حتى يصيبها ثم يُمسك، ورجل أصابته جائحة[(٤)] فاجتاحت ماله، فحلَّت له المسألة حتى يصيب قِوامًا من عيش -أو قال: سدادًا من عيش[(٥)]-، ورجل أصابته فاقة، حتى يقول ثلاثة من ذوي الحِجَى من قومه: لقد أصابت فلانًا فاقة، فحلّت له المسألة حتى يصيب قِوامًا من عيش -أو قال: سِددًا من عيش-، فما سواهن من المسألة يا قبيصة سُحْتٌ، يأكله صاحبه سحتًّا». مسلم[(٦)].

- أتى أعرابي النبيَّ ﷺ، وهو واقف بعرفة، فأخذ بطرف رِدائه وسأله إيَّاه، فأعطاه إيَّاه، فذهب به معه فعند ذلك حُرِّمت المسألة، فقال ﷺ: «إن الصدقة لا تَحلُّ لغني، ولا لذي مِرَّة سَويٍّ[(٧)]، ولا تَحلُّ إلا لذي فقر مُدقِع، أو غُرم مُفظِع،

---

(١) أخرجه أبوداود (١٦٢٦). وصححه الألباني. (س).

(٢) برقم (١٠٤١). (س).

(٣) الحمالة: ديات القتلى، يلتزم الرجل أداءها؛ طلبًا للصلح واتقاء الفتنة.

(٤) آفة تستأصل ماله، وتدعه محتاجًا إلى الناس.

(٥) القوام والسداد: أقل ما يكفي.

(٦) برقم (١٠٤٤). (س).

(٧) المرة: القوة. والسوي: التام الجسم، السليم من الآفات.

أو دم موجِع، ومن سأل الناس ليُثرى به ماله كان خُموشًا في وجهه يوم القيامة ورَضفًا يأكله من جهنم[١]، فمن شاء فليُقلِل، ومن شاء فليُكثر». الترمذي[٢].

- قال ﷺ: «مَنْ نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تُسدَّ فاقتُه، ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيُوشِك اللَّه له برزق عاجل أو آجل». الترمذي وصححه[٣].

- سأل ناس من الأنصار رسول اللَّه ﷺ، فأعطاهم ما سألوه. ثم سألوه، فأعطاهم ما سألوه، ثم سألوه، فأعطاهم ما سألوه، حتى إذا نفد ما عنده، قال: «ما يكون عندي من خير فلن أدَّخره عنكم، ومن يستعفف يُعفَّه الله، ومن يستغن يغنِه الله، ومن يتصبَّر يُصبِّرْه الله، وما أُعطي أحد عطاءً هو خيرٌ له وأوسع من الصبر»[٤].

- قال ﷺ: «ليس المسكين الذي تَرُدُّه اللُّقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان؛ ولكن المسكين الذي لا يجد غِنًى يُغنيه، ولا يُفْطَن به فيُتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس»[٥].

- قال ﷺ: «لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى اللَّه وليس بوجهه مُزْعة لحم». الشيخان[٦].

---

(١) الرضف: الحجارة المحماة.
(٢) برقم (٦٥٣)، وضعفه الألباني. (س).
(٣) برقم (٢٣٢٦)، وصححه الألباني. (س).
(٤) أخرجه البخاري (٦٤٧٠) ومسلم (١٠٥٣). (س).
(٥) أخرجه البخاري (٤٥٣٩) ومسلم (١٠٣٩). (س).
(٦) أخرجه البخاري (١٤٧٤) ومسلم (١٠٤٠). (س).

المؤمن القوي، والمؤمن الضعيف

قال ﷺ: «المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللَّه من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرِصْ على ما ينفعك، واستَعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تَقُل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدَرُ اللَّه وما شاء فعل، فإنّ «لَوْ» تَفْتَح عمل الشيطان». مسلم[1].

الحكومة تُبنى على الحكمة

قال الحسن البصري:

استقبل الحسنَ بن عليٍّ معاويةُ رضي الله عنهما بكتائبَ أمثال الجبال. فقال عمرو بن العاص رضي الله عنه لمعاوية:

إني والله لأرى كتائِب لا تولّي حتى تَقْتل أقرانَها، فقال له معاوية - وكان والله خيرَ الرجلين -:

أي عمرو! أرأيت أن قتلَ هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، من لي بأمور المسلمين؟ من لي بنسائهم؟ من لي بضيعتهم؟

فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس -عبد الرحمن بن سَمُرة وعبد اللَّه بن عامر- فقال: اذهبا إلى هذا الرجل واعرضا عليه، وقولا له، واطلبا إليه، فأتياه فدخلا عليه فتكلّما، وقالا له، وطلبا إليه، فقال لهم الحسنُ رضي الله عنه:

---

(١) برقم (٢٦٦٤). (س).

إنَّا بني عبد المطلب قد أصبْنا من هذا المال، وإن هذه الأمةَ قد عاثَت في دمائها.

قالا: فإنه يَعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك.

قال: فمن لي بهذا؟

قالا: نحن لك به.

فما سألهما شيئًا إلا قالا: نحن لك به، فصالحه.

عمر بن الخطاب وعاملٌ من رجال حكومته

قال عبد اللَّه بن عمرو السعدي: قدِمتُ على عمر رضي الله عنه في خلافته، فقال لي: ألم أُحَدَّث أنك تلي من أعمال المسلمين أعمالًا، فإذا أُعطيت العُمالة كرهتها[1]؟ فقلت: بلى، فقال عمر: ما تريد إلى ذلك؟ قلت: إن لي أفراسًا وأعبُدًا، وأنا بخير، وأُريد أن تكون عُمالتي صدقة على المسلمين، فقال عمر: فلا تفعل. فإني كنت أردتُ الذي أردتَ وكان رسول اللَّه ﷺ يعطيني العطاء، فأقول: أعطه أفقر إليه مني. حتى أعطاني مرة مالًا، فقلت: أعطه أفقر إليه مني. فقال النبي ﷺ: «**خُذه فتَمَوَّله وتصدَّق به، فما جاءك من هذا المال من غير مسألة ولا إشْراف[2] فخذه، وما لا، فلا تُتْبِعه نفسك**»[3].

(١) العمالة: راتب الموظف.

(٢) أي: من غير طلب له أو طمع فيه.

(٣) أخرجه البخاري (٧١٦٣) ومسلم (١٠٤٥). (س).

الكناري السجين

يـا سِـحْـرَ فَـنِّـي غَـرِّدْ وغَـنِّ
لا تَـشْـكُ مـنّـي أنـتَ الأمـيـرْ!
أهـواكَ قُـرْبـي بِـرًّا بِـحُـبِّـي
نَـجْـواكَ قـلـبـي حَـظٌّ كـبـيـرْ!
مـا أنـتَ إلَّا وَحـيٌ تَـجَـلَّـى
طَـيْـرًا وخَـلَّـى شِـعْـري الأسـيـرْ!
لا تَشْكُ حَبْسًا لا تَشكُ بأسَا
فـالـشـمـسُ أقْـسَـى والـزَّمـهـريـرْ!
عِشْ عَيْشَ ناسِكْ مِثْلي وشارِكْ
حـالـي كـحـالِـكْ حَـالُ الـفـقـيـرْ!
صِـفْ يـا كَـنـاري نـورَ الـدراري
دُمْ صفوَ داري عِشْ بي القَريرْ!
صِفْ عَيْشَ غابِ عَذْبَ الشَّرَابِ
تَـحْـتَ الـسَّـحَـابِ فـوقَ الـغـديـرْ!
واسـمـعْ نَـظـيـمـي سَـمْـعَ الـعَـلـيـمْ
تَـشْـهَـدْ نَـديـمـي رُؤْيـا الـخـبـيـرْ!

إنِّـي أُضَـحِّـي فـاذكـرْ وأوْحِ
لا تُـلـقِ نُـصحـي مـثـلَ الـغَـريـزْ!

أبو شادي

رأى كيلينغ في البشر

كان الشاعر الإنكليزي كيلينغ سامرًا ذات ليلة في جماعة، فتذاكروا المخلوقات الأرضية، وأي نوع من الحيوان يصلح أن يخلف البشر فيما لو اجتاحت البشرَ كلهم مصيبة من المصائب، فوجه الحاضرون هذا السؤال إلى الشاعر، وقالوا له:

أي صنوف الحيوان ترى أنه يصلح ليخلف البشر، هل هو الفيل مثلًا؟

فأجابهم: أستبعد ذلك؛ لأن للفيل أخلاقًا شريفة لا تؤهله لهذه المكانة!

الفلسفة والعلم والدين

الفلسفة عبارة عن نظريات محدودة تُفسر بها ظواهر الكون، وهي مذاهب مختلفة تتجلى فيها شخصية أصحابها، وما كانت قطُّ علمًا خاصًا له موضوع وغاية؛ بل هي في الحقيقة مذاهب تقوم في كثير من نواحيها على الاستنتاج، كما تقوم على الظن الشخصي تارة، والرغبة والميل تارة أخرى، فنظرياتها ليست وليدة الاستنتاج دائمًا، ولا ناشئة عن التفكير المنطقي غالبًا؛ بل كثيرًا ما تكون ناتجة عن الميل الشخصي أو حب المتابعة والتقليد لفيلسوف سابق.

فالمذهب الجديد يضم بين جوانحه قضايا مسلّمة كثيرة، بعضها مأخوذ بالحرف من مذهب سابق، وبعضها قائم على الهوى والميل الشخصي، ومن أجل ذلك كثرت المذاهب الفلسفية وتعددت وناقض بعضها بعضًا، ذلك بأنها غير قائمة على قواعد متفق عليها، ولا على بدائه معترف بها؛ بل قائمة على التقليد تارة، وعلى الهوى والميل تارة أخرى، ومن هنا كانت المذاهب الفلسفية ضعيفة الأثر في هداية الناس إلى سعادتهم الدنيوية، فضلًا عن السعادة الدينية.

❁ ❁ ❁

أما العلم فهو ينقسم قسمين:

قسم عملي أنتج الماكينات والآلات والأجهزة، وهذا بالطبيعة قد أنتج تقدمًا دنيويًا، وساعد على رقي الحضارة.

والقسم الثاني: هو الفروض التي فرضها العلماء، وسموها نظريات العلم، وهذه قابلة للتغير والتبدل، وما وضع منها من مدة قرن لا يبقى منه في القرن التالي إلا نظرية أو نظريتان، والباقي له قيمة محدودة بالزمان، لا يمضي على الفروض العلمية جيل أو جيلان حتى تأخذ العقول في وزنها والبحث عن قيمتها والفحص عن نصيبها من الصحة ومطابقة الواقع، وينتج من هذا الوزن والبحث أساليب حديثة تكتسح طرق التفكير العتيقة فينتابها التغير وتخضع لمبادئ مستحدثة فكل قرن له أساليبه وفروضه، وكلُ قرن يأتي بتبديل وتغيير في أساليب البحث وفروض العلم، والجاهل الغبي يظن أن فروض العلم ثابتة لا تتغير، مع أن نظريات القرن السابع عشر قد أتت عليها نظريات القرن الثامن عشر، وفروض القرن الثامن عشر قد محتها فروض القرن التاسع عشر.

ذلك شأن العلم في سيره، وتلك سننه في حياته، لا يبقى منه سوى ما صلح للعمل، وأصبح ملك المعامل والمصانع، أما ما في الكتب فهو عرضة للتغير

والتبدل؛ لأن حركة العقل في تقدم، والفروض ما وجدت إلا لتفنى، وقد كتبت على أنها فروض لا على أنها حقائق. فمن الجهل والظلم للعلم أن يظن أن فروضه ونظرياته حقائق ثابتة لا تقبل النقض.

من هنا يتبين لك أن الحقائق العلمية شيء والنظريات العلمية شيء آخر.

وهنا يأتي سؤال: هل بين العلم والدين تناقض؟ وهل بين الدين والفلسفة تنازع؟ وهل يمكن أن يتآخى العلم مع الدين؟

قبل الإجابة على هذه الأسئلة ينبغي أن يحدد معنى العلم تحديدًا تامًّا.

فإن أرادوا من العلم المعنى الواقعي الحسي الذي أنتج الحضارة فليس بينه وبين الدين تناقض ألبتة؛ لأنه عبارة عن تطبيقات تعمل في المعامل، وهذه الأمور لها دخل في إصلاح البشرية، وتهذيب الحضارة، وهي بهذا الاعتبار غرض من أغراض الشارع يأمر به ويحث عليه، فهي من مطالبه وداخلة في فروض الكفايات، فلها نصيب وافر من أوامره وتعاليمه.

أما إن أُريد بالعلم تلك الفروض التي يفرضها العلماء -وهي قابلة للتغير والتبدل- فالأمر يحتاج إلى تفصيل:

فتارة تكون تلك الفروض قريبة من المعنى العلمي، أي بينها وبين المحسوسات درجة واحدة من الاستنتاج، وهذه لقربها من المحسوسات لا تصادم الدين؛ لأنها تبحث فيما يقرب من عمل المعامل، وغايتها ضبط الصور المتعددة ووضعها تحت نظام كلي بقدر الإمكان، وتارة تكون باحثة في أصل الكائنات أو أصل الأنواع كفروض دارون، وهي في الواقع ليست حقائق علمية؛ بل هي مذهب فلسفي لا يجوز أن يُطلق عليه اسم العلم، وإن ادعي فيه ذلك، لأن موادّ الدليل غير موجودة؛ بل هو قائم في الحقيقة على قياس

التمثيل، وهو لا يفيد إلا ظنًّا ضعيفًا، خصوصًا إن كان قياس الغائب على الشاهد.

وهذا النوع إن وُجد فيه ما يصادم الدين أو يناقضه فلا يضر الدين في شيء، لأنه ليس من العلم القائم على الحس والمشاهدة، أي: ليس من العلم الواقعي؛ بل هو محض فرض تتخيل له علاقات منتزعة.

أما الفلسفة فلا تضر مخالفتها للدين؛ لأن مذاهبها متباينة متخاذلة، فإذا لم يُتفق فيها على مذهب صحيح، كانت المذاهب كلها عرضة للخطأ، وإذا كانت عرضة للخطأ لم تكن حسية واقعية، فهي تحمل في كيانها عوامل انخذالها ودحضها.

هذا هو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال....

عبد الباقي سرور نعيم

من قوى الإسلام الكامنة

قال الدكتور (انسباتو) الإيطالي في كتاب «الإسلام وسياسة الحلفاء» الذي نشره سنة ١٩١٩:

«إن الكرم العلمي، والصدقة الفكرية، صفتان من صفات الإسلام، شأنهما أن تجعلا الأمة العاملة بهذا الدين، أهلًا؛ لأن تبلغ من الحضارة ذروتها العليا».

شقوة العلم ونعمة الخيال

نظر المشيبُ إليك قبلَ أوانِ فرزحتَ تحتَ غَوائل الأشجانِ
ودَّعتَ يومك فاستطار بك الأسى جَزَعًا تَعَضُّ عليه كلَّ بَنانِ
ونفضتَ ثوبَك منه أشعثَ مُحنَقًا نَفْضَ العُقاب الطلّ فوق رِعانِ
كم نظرةٍ لك إن عبست كأنها قَبَسٌ تهافتَ عن شَباةِ سِنانِ
فاهزأ بدهرك مُقبلًا أو مُدبرًا إن ضاق ذرعُ سواك بالحرمانِ

❁ ❁ ❁

ويحَ الطبيعةَ كيف تمزج بِرَّها باللُّؤم تَسخر منك كالمُجَّانِ[1]
تتلقَّف الفضلاتِ ثم تدسُّها لك في الطعام شهيَّة الألوانِ
من كل فاكهة وناعم نَبتة هي في الرَّغام وليدةُ الأدْرانِ
تتحوَّل الأوضارُ تحتَ صعيدها صُوَرًا من الثمرات في الأفنانِ
ومن الجنان قَشِيبةٌ أبرادُها ومن الربيع مضمَّخُ الاردانِ
ولو استَتبَّ لك اكتناهُ خفيِّها لعجبتَ كيف تُسام كلَّ هوانِ

❁ ❁ ❁

تركتك أعزلَ بين مستجر الأذى فتخطفتك طوارق الحدَثانِ
ورمتك بالخَلَق المشمّر خلسةً من كلّ مُطّلَع وكل مكانِ
متدفق وقد استسرَّ محجَّبًا يستلّ منك سلامة الأبدانِ

---

(١) هذا من سب الدهر، والطبيعة مخلوق من مخلوقات الله. وقد قال ﷺ: «لاتسبوا الدهر فإن اللّٰه هو الدهر» أخرجه البخاري (٧٤٩١) ومسلم (٢٢٤٦). قال ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/ ٤٢١): «أي أنكم إذا سببتم فاعل ذلك، وقع السب على اللّٰه ﷻ؛ لأنه هو الفاعل، والدهر لا فعل له، بل هو من جملة مخلوقات اللّٰه تعالى». (س).

ترد المياه، وكلُّ سائل قطرة — سيلٌ من الحشرات والحيوانِ
خفيتْ عليك ورفّهت عنك الجوى — فنأيتَ عن حتفٍ لحتف دانِ

❁ ❁ ❁

إن ضلّلتك وأوبقتك فإنها — طُبعت على التمويه والعدوانِ
ولشدَّ ما اختلفت عليك وأصبحت — لك قدوة في الختل والروَغانِ
فركبت رأسَك تستفزّك نزوةٌ — خبطتْ بك الظلمات غير مُعانِ
وحملتَ أعباء السنين تجشُّما — من أجل بعض اللهو بضع ثوانِ
أجرٌ -لعمر أبيك- أبخسُ ما رأت — عينان، أو سمعت به أذنانِ

❁ ❁ ❁

فسلِ الحياة إلى مَ يَصرع بعضها — بعضًا؟ فمجنيٌّ عليه وجانِ
هي بين مأكول وآخرَ آكلٍ — متطاحنين: فناشئ من فانِ

❁ ❁ ❁

لله كم للجهل عندك من يدٍ — أزْرت بكلّ يد من العرفانِ
عبرت بك الأوهام تأنس عندها — برْدَ اليقين ونعمة الرضوانِ
فالشُهب تسبح والنجوم مطلّة — سهرًا عليك وحولك القمرانِ
مخلوقة لك دون غيرك -كلها — صورٌ إليك- وأنت ذو السلطانِ
تلك السعادة في الحياة وإن تكن — عَبَثَ الوليد وضحكةَ الأزمانِ
وقد انتفضتَ من الخمول فلم تذق — في العلم غيرَ مرارة الخِذْلانِ
فرأيتَ عالَمَكَ المشيَّد ذرّة — خَلَلَ المجرَّة في سديم دُخانِ
ونكصتَ أخسأ ما نكصتَ مزلزلًا — من رَوعة الملكوت في الأكوانِ
سُدُم تهيم ولا فضاء يحدُّها — ترتجُّ بين تصدُّع وكيانِ
تلِدُ العوالمَ والشموسَ تضجُّرًا — عدد الرمال تضجُّرَ البركانِ

مَن أنت في الدنيا، ومن هي نفسُها فتقول «نحن» ومن هما الثقلانِ؟

أطرقتَ منخلعَ الفؤاد بمعزل واليأس حولكَ ضاربٌ بجِرانِ
وغبرتَ تهلع من مصيرك في غدٍ أن يستبدّ به الزوالُ الثاني
تنقضُّ منتشر الهباء ممزَّقًا بين العناصر طامِسَ العنوانِ
حملَ الغُواة عليك في نزعاتهم فضلات بين الحس والوجدانِ
إني كفرتُ بما يقول غويُّهم ورضيت بالتوحيد والإيمانِ
ومن الخلود على الخلود أدلَّةٌ للنفس تنسخ زُخرُفَ البهتانِ
والأرض دائرة فهل أبصرتها كرةً، وهل أحسست بالدورانِ
الحسُّ يكذب، والعقول كليلة والروح أطهر، والوجود معاني

فؤاد الخطيب

محمد ﷺ

رحمةٌ كله وحزم وعزم ووقارٌ وعِصمةٌ وضِياءُ
لا تحلُّ البأساء منه عُرى الصـ ـبر ولا تستخفّه السرّاءُ
كرُمتْ نفسه، فما يخطر السو ءُ على قلبه، ولا الفحشاءُ

البوصيري

عائشة على قبر أخيها ﵄

قال عبد اللّه بن أبي مليكة: لما توفي عبد الرحمن بن أبي بكر ﵄ بالحُبشيّ -وهو موضع قرب مكة- حُمل إلى مكة فدُفن بها، فلما قدمت عائشة ﵄ أتت قبره، وجعلت تقول:

وكنا كنَدْماني جَذيمة حِقْبةً ... من الدهر حتى قيل لن يتصدَّعا

وعشنا بخير في الحياة، وقبلنا ... أصاب المنايا رَهْط كسرى وتُبَّعا

فلما تفرَّقنا كأني ومالكا ... لطول افتراق لم نبتْ ليلة معا

ثم قالت: والله لو حضرتُكَ، ما دُفنتَ إلا حيث متَّ، ولو شهدتُكَ ما زُرتك. الترمذي(١).

الأنظمة الإسلامية يؤيد بعضها بعضًا

كان النظام الإسلامي -يوم كان قائمًا ومعمولًا به- يحمي بعضه بعضًا، فالتكاليف الخاصة بإقامة حكومة عادلة، وبالأخوَّة الإسلامية، وبالتواصي

(١) برقم (١٠٥٥)، وضعفه الألباني. قال ابن القيم ﵀ في «تهذيب السنن» (٣/ ١٥٥٣ - ١٥٥٤): «وأما حديث عائشة فالمحفوظ فيه حديث الترمذي، مع ما فيه، وعائشة إنما قدمت مكة للحج فمرت على قبر أخيها في طريقها، فوقفت عليه، وهذا لا بأس به، إنما الكلام في قصدهن الخروج لزيارة القبور، ولو قُدر أنها عدلت إليه وقصدت زيارته فهي قد قالت: لو شهدتك لما زرتك، وهذا يدل على أنه من المستقر المعلوم عندها أن النساء لا يُشرع لهن زيارة القبور». (س).

بالحق والصبر، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبحماية الدعوة الإسلامية، وصيانة الشريعة من العبث بها، ورد عادية المعتدين عليهما؛ كان من شأنها أن تحمي التكاليف الفردية، وهي العقائد والعبادات، فكل اعتداء يقع على العقائد أو يصيب العبادات كان يُدفع عنهما بما سنه الإسلام من أنظمة حماية الشريعة وصيانة الملة.

في الإسلام تكاليف موجهة إلى الأفراد، وتكاليف موجهة إلى الأمة، ومجموع التكاليف هو النظام الإسلامي، فالعقائد والصلاة والصيام تكاليف موجهة إلى الأفراد، وحماية الشريعة وصيانتها تكاليف موجهة إلى الأمة.

كانت الأمة الإسلامية عزيزة الجانب يوم كانت قائمة بالتكاليف التي وجهت إليها: من إعداد العدّة، وأخذ الحذر واليقظة، ومن فهم سياسة العدوّ، ومن إقامة الجهاد، ومن نشر الدعوة الإسلامية، ومن جعل أمرهم بينهم شورى، ومن إقامة حكومة عادلة تسوس أمرهم وتحمي شريعتهم، ومن جعل العلائق بين المؤمنين قائمة على الولاء والمودة ومبنية على المناصرة والمؤازرة، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة العدل وتقرير المساواة.

كانت هذه التكاليف مطلوبة من الأمة لتكون أمة قوية عزيزة ذات حكومة شورية عادلة، وكان مما طولبت به الحكومة -التي هي نائبة عن الأمة في القيام به- حماية الشريعة وصيانة الملة من هجوم الهاجمين واعتداء المعتدين، وكانت التكاليف الفردية -أي العقائد والعبادات- في حِرز منيع؛ لأن الأمة ساهرة، والحكومة حامية، والنظام الإسلامي يؤيد بعضه بعضًا ويدفع بعضه عن بعض.

مرّ على المسلمين زمن أهملوا فيه العناية بالتكاليف الموجهة إلى الأمة فضعف هذا الجانب وأخذت الأمة تنحدر كلما أهملت فرضًا من فروض الكفاية الموجهة للمجموع ووصل الانحدار غايته حينما قام بفكر المسلمين أن المسلم

متى قام بالتكاليف الفردية -فآمن بالعقائد، وأدّى العبادات- فقد فرغ من التكاليف، وأصبح من عباد اللّٰه الصالحين، وإن كان قد أغفل جميع التكاليف التي خوطب المجموع بها.

ساد هذا الاعتقاد في القرون الأخيرة، فضعف أمر الجهاد أو زال، وضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضعفت العناية بالشورى، وضعفت حماية الشريعة، وذهبت العناية بصيانة الملة، وفُقد الاهتمام بفروض الكفاية، فضعُف شأن المسلمين، وذهب من بينهم الولاء والتناصر، وذهبت بذهاب هذا كمال وحدتهم: فلم يعودوا أمة كما كانوا في الصدر الأول، بل صاروا أفرادًا متخاذلين وشيعًا متفرقين، فجاءهم العدوّ، فوجد قوّة فانية، وضعفًا قاتلًا، وأفرادًا لا تعرف معنى التناصر، فاحتل ديارهم، واستعمر بلادهم، وشرعت أنظمته تحتلّ الأنظمة الإسلامية.

فحينما ظهر الملحدون ونعق ناعقوهم وشرعوا يهاجمون التكاليف الفردية، وتناولوا العقائد بالجرح والتشهير، واستهزَؤوا بالعبادات؛ أخذ المسلمون يتلفتون وراءهم كيما يجدوا نظامًا يحمي عقائدهم وعباداتهم، فلم يجدوا شيئًا . . .

لم يجدوا النظام الذي يقرر حماية الملة وصيانة الشريعة؛ لأن النظام الأوروبي قد احتل مكانه، وهو لا يريد حماية العقيدة الإسلامية، وليس موضوعًا لذلك، وليس في طبيعته ما يدعوه إلى حماية نظام إسلامي، وليس بينه وبين العقائد الإسلامية رحم وقربى.

فرّط المسلمون يوم أهملوا العناية بالتكاليف الموجهة إلى الأمة، ويوم سمحوا بضياع التكاليف التي تجعل منهم أمة عزيزة غيورة على دينها وملتها.

لم تكتفِ الأنظمة الغربية باحتلال الأمكنة التي كانت تشغلها الأنظمة الإسلامية؛ بل فكّرت وسعت في مطاردة التعليم الديني من المدارس المدنية،

وعملت على أن يخرج التلميذ المسلم من المدرسة، وهو يجهل العقائد والعبادات الإسلامية، وبذلك تكون قد حاربت التكاليف الفردية أيضًا كما حاربت التكاليف الاجتماعية والسياسية والتشريعية، فيتم الغزو الأوروبي للإسلام في جميع مظاهره.

فإذا لم يتنبه المسلمون ويجتمع المفكرون منهم للنظر في تلك الحالة ووضع علاج لها، وإذا لم يعملوا على إحياء التكاليف الاجتماعية من النظام الإسلامي في الوطن الإسلامي الذي لا يزال محتفظًا باستقلاله، فإنه يخشى على البقية الباقية أن تزول!

إن الخطر شديد، وإن العدو قد طرق جميع الأبواب، إنه يعمل بيقظة وانتباه، والمسلمون نائمون متفرّقون، وأخشى أن يصدق عليهم قول اللَّه ﷻ: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾.

نسأل اللَّه أن يوفق رجالات العالم الإسلامي لإنقاذه من هذا الخطر، إنه على ما يشاء قدير.

عبد الباقي سرور نعيم

الكذب

- قال صفوان بن سليم: «قلنا يا رسول الله، أيكون المؤمن جبَانًا؟ قال: «نعم». قلنا: أفيكون بخيلًا؟ قال: «نعم». قلنا: أفيكون كذابًا؟ قال: «لا». مالِك[1].

(١) برقم (١٧٩٥). بلفظ: «قيل لرسول الله»، وهو مرسل.

- قال ﷺ: «ويل للذي يحدّث بالحديث ليَضْحَكَ منه القومُ فيكذب، ويلٌ له، ويل له». أبو داود[١].

- قال عبد اللَّه بن عامر: «دعتني أمي يومًا ورسول اللَّه ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: هَا تعالَ أعطيك. فقال لها ﷺ: «ما أردتِ أن تعطيه؟» قالت: أردتُ أن أعطيه تمرًا. فقال لها: «أما إنك لو لم تعطيه شيئًا كُتبت عليك كذبة». أبو داود[٢].

- قال ﷺ: «ليس بالكذّاب الذي يُصلحُ بين اثنين، فيقول خيرًا أو يَنْمي خيرًا»[٣].

حملة التجديد والإصلاح
وهل لها قادَةٌ حكماءُ؟ وهل رسموا لها الخطط الحكيمة؟

لقد بدأ هذا الشرقُ الإسلاميُّ يشعرُ بما هو فيه من من ذُلّ، فقام يَنشُدُ عِزًّا، وقد لمسَ بحواسة الخمس عَواقبَ السوء التي جَرَّه إليها الجمود والخمول، فهبّ يبحث عن مَخرَج إلى ساحة النشاط والعمل.

فشبابُ الشرق -في كل قطر من أقطاره- هم اليوم في حالة غَلَيان، وأضحى من المقطوع به عندهم -وعندي معهم- أنّ من الواجب أنْ نتسلَّح بأسلحة أخرى غير تلك التي أشعرتنا بالذلّ، وأن نتخذ في حياتنا المستقبلة أساليبَ في الحياة غير التي صارت بنا إلى هذا الخمول.

---

(١) برقم (٤٩٩٠)، وحسنه الألباني. (س).

(٢) برقم (٤٩٩١)، وحسنه الألباني. (س).

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٥)، وصححه الألباني. (س).

هذا الشعور دليلُ حياة، فيجب على العقلاء تشجيعه، وهذا التيار منحدِرٌ في طريقه بدافع من طلب الخير، وهو في حاجة إلى قِيادة حكيمة تدلّه على طريق الخير، وتقنعه بأنه هو طريق الخير، وتُبرهن له على أنه يؤدّي بهذا الشرق إلى ما ينشده من عزّ، ويبتعد به عن عواقب السوء التي جرَّه إليها الجمود.

هذه حقائق ملموسة يجب الاعتراف بها بكل شجاعة، ومن العبث وضياع الوقت سُدَى أن يُمارِي عاقل، أو أن يَتمارَى فيها الصاحي مع آخر يتكلم وهو نائم.

إن شُعوبَ الأرض تَتبارَى اليوم في حَلْبَة التاريخ ليفوز كلٌّ منها بخُطوة جديدة إلى الأمام؛ في سبيل العزَّة والسيادة.

وكل شَعب من شعوب الأرض يعمل -أفرادًا وجماعاتٍ- ليزيدَ في قوَّته وثروته، ويسعى لذلك في داخل حدوده وفي بلاد الناس.

ومما صار يستحي الناس من المجادلة فيه أن العزة والسيادة -سواء كانتا في بداياتهما، أو في السنَام الأعظم من رِفعتهما- لا يتحققان إلا باكتساب مَعارفَ واسعة النطاق، كثيرة الفروع، دقيقة الوضع: في كلّ معنًى من مَعاني الحياة، وفي كلّ ضَربٍ من ضُروب العمل، وفي كل وسيلة من وسائل القوّة، وفي كل غاية من غاياتها.

بل إن الشَّعبَ الذي يُلمُّ أفرادُه وجماعاته بهذه المعارف التي وصل إليها البشر في كل باب من أبوابها، لا يأمن من نفسه الوقوعَ في شَبكة التأخر، ولا يدفع عن نفسه خطر الرضوخ للذلّ، إذا لم يكن مُراقِبًا لكلّ ما تبتكره العقول من جديد في أدنى الأرض أو أقصاها.

كانت مَصادرُ القوّة فيما مضى حوانيتَ صغيرة يَصنع فيها أربابها من بقايا الحديد سيوفًا، وحَلْبَةٌ في ظاهر كل مدينة يلعب فيها عشرات من الناس

بالجريد، وأماكن يختلف إليها الشباب للمباراة في الرمي بالسهام، وأما اليوم فلابد -للشعب الذي يريد أن يتجرد من ثوب الذلّ- أن يكون له من أبنائه مَن يحسن صنع المدفع، والمدفع لا يُصنع إلا بعلوم واسعة ودقيقة ألفت فيها الكتب، وإذا عرف صانعو المدفع هذه العلوم فلابد لهم من مادة الفولاذ التي لا يمكن الحصول عليها إلا بعلوم واسعة ودقيقة، وإذا عرف صانعو الفولاذ هذه العلوم الواسعة الدقيقة فلا سبيل إلى استعمال علومهم إلّا في شعب واسع الثروة جيّد الأخلاق يحسن إدارة أعماله الشخصية والصناعية والتجارية والأدبية والحكومية، وكلُّ هذا لا يكون في هذا الشرق الإسلامي إلا بالتجديد القائم على تعليم الشعب وأبناء الشعب علوم الإدارة والتنظيم، وعلوم الاقتصاد وتثمير الأموال واستثمارها، وعلوم القوّة والعزّة التي تقي الأمة والوطن من أن يكونا تحت تصرّف إرادة أمة أخرى ووطن آخر.

إن العزَّة والسيادة لا سبيل لهما -في الظروف التي تحيط بنا- غير هذا السبيل، وإن ضرورة الحياة مُلجئةٌ- لكل شعب يريد ألّا يكون ذليلًا، وألّا يجعل حقَّ التصرف في إرادته وعقيدته وكيانه في يد غيره -إلى أن يباشر في الحال توزيع العمل بين أفراده وجماعاته: فينصرف كل فريق منهم إلى نوع من أنواع المعرفة، فيقف على أقصى ما وقف عليه البشر بمعناه، ثم يسهر بمراقبة كلّ ما يحدث فيه من جديد، ليسدَّ من جهته ثَغرة -صغيرةً أو كبيرة- في جدران قلعتنا التي أخذت تتهدَّم منذ سبعمائة سنة، وقد سقط كثير من أركانها ويوشك أن يسقط الباقي إن لم نبادر في الحال إلى سلوك هذا السبيل.

ليس التجديد والإصلاح شهوةً من الشهوات؛ بل هو ضرورةٌ في مقدمة كل الضرورات، للاحتفاظ بالذمَاء الأخير من الحياة، ووقاية ما في القلعة، من هيكل العظَمة عن أن يَنهار فلا يُرجى أن تقوم لنا بعده قائمة.

لقد استبدلنا بصناعة الطباعة صناعة النَّسْخ.

وكنا إذا أردنا ركوب البحر لتجارتنا أو لأداء فريضة الحج، نجتازُ لجَجَه بالمراكب الشراعية، فتحوّلنا عنها إلى البواخر.

وجرَّدتْ حكوماتنا الإسلامية جنودَها من القسيّ والمنجنيق، وجهَّزتهم بالبنادق السريعة الطلقات وبالقنابل اليدوية وبالمدافع الضخمة العجيبة.

وكان أجدادي يؤلّفون على نور السراج الذي تُنار ذُبالته الدقيقة بزيت الزيتون، وأنا استغنيتُ عنه برضى مني واختيار وبسرور وارتياح، لأتمتّع إذا قرأتُ أو كتبتُ بنور الكهرباء الذي يجعل الليل أسطع نورًا من النهار.

وأكتبُ هذا الفصل وأمامي رسالة من صديق في بغداد أُريد أن أكتب جوابها، وسأرسل الجواب بالطيارة ليكون بعد غدٍ في يد صديقي وكان لا يصله إلا بعد شهر.

هذا كله تجديد، وكله حسن؛ بل واجب، لكنه ينطوي على دخائلَ أشعر بالذل كلما تذكّرتها، ومن التجديد والإصلاح ألَّا أخادع نفسي وقومي بكتمانها.

لأجل أن يكون التجديد في الطباعة صادقًا، ولأجل أن أشعر فيه بالعزّة والسيادة، يجب أن تكون الطابعة، وأجزاؤها، ومادتها، والورق الذي يطبع فيها مصنوعًا ذلك كله في وطني وبأيدي بني قومي، فيبقى ثمن ذلك وأجور عامليه في داخل الوطن، فيقوى به على التوسع في وسائل القوة والعز.

ولأجل أن يكون التجديد في ركوبي البحر تجديدًا صادقًا، ولأجل أن أشعر فيه بالعزة والسيادة يجب أن تكون حاملة راية أمتي وأن تكون مصنوعة بكل أجزائها في وطني.

ولأجل أن يكون تجديد حكوماتنا الإسلامية لسلاح جندها تجديدًا صادقًا يجب ألَّا تفتقر إلى الأغيار في الحصول على البندقية وعلى القنبلة اليدوية وعلى

المدفع؛ بل تبدأ بسلوك الطريق الذي يوصلها بعد سنة أو عشر سنين أو بعد ثلاثين سنة إلى أن يكون سلاحها مصنوعًا في مصانعها الخاصة وبأيدي رجالها وتحت نظر مهندسيها.

إذن، فالتجديد لابد منه إذا كنا لا نريد أن نبقى مقصرين فيما أُمِرْنا به من إعداد ما نستطيعه من قوَّة، والإصلاح لابد منه إذا كنا عازمين على أن نخلع ثوب الذل عن أجسامنا.

ولكن، كما أن الأعمال التي هي أقلُّ من هذا العمل خَطَرًا لابدّ لنجاحها من رسمِ خطط ذات مبادئ، وذات نتائج وغايات، وكما أن الأعمال التي هي أقلُّ من هذا العمل خطرًا لابدّ للقيام بها من قادة يرسمون تلك الخطط بِدِقّة وأمانة وحكمة، ويجعلونها خطوطَ اتصال وثيقٍ بين تلك المبادئ وتلك الغايات، كذلك حملة التجديد والإصلاح لا يجوز لنا قطُّ أن نندفع في طريقها بلا خطط مرسومة، ولا يجوز لنا قطُّ أن نغفل عن معرفة ما إذا كانت الخطط من شأنها أن تَصِلَ ما بين مبادئنا المعلومة وغاياتنا المطلوبة، ولا يجوز لنا قطُّ أن نأمن الذين يسيرون بنا في تلك الخطط إلا إذا علمنا أنهم مؤمنون حقًّا بالمبدأ الذي نتفق عليه وينطبق على حاجتنا من التجديد والإصلاح، ومؤمنون بضرورة الوصول إلى الغايات المتّفق عليها والمنطبقة على حاجتنا من التجديد والإصلاح، وأن نتثبَّت من أمر هؤلاء القادة فلا يخامرنا شكٌّ في أن يدًا أخرى تقودهم على علم منهم أو بغير علمهم.

❀ ❀ ❀

إن في الشرق اليوم -وأعني هذا الشرق العربيّ الذي تملأ أقطارُه غربَ آسيّة وشمالَ إفريقيَّة- شيئًا يسمَّى حركة تجديد، ومن المسلَّم به عندي أن التجديد وسيلة الحياة للشرق العربي والشرق الإسلامي معًا، وقد أعربتُ عن ذلك بكل

إخلاص وبكلّ صراحة؛ لأني إذا اعتقدت شيئًا وتوصَّلت فيه إلى صميم الحقِّ لا يحول شيء بيني وبين الجهر به حتى أملأ به أسماع كل من يبلغهم صوتي بلا تردّد ولا جمجمة.

وأظنني تفاهمت آنفًا مع قرّائي على أن حملة التجديد لا تكون جهادًا في سبيل اللَّه والوطن إلا إذا كانت ذات مبادئ واضحة، وذات غايات معيَّنة، وذات خطط نسير فيها على نور، وأن يكون قوَّادها يعملون لذلك بقلوبهم عن رضى واختيار.

فلا يكون فيهم المدسوس علينا، ولا العامل لحساب العدو في صفوفنا، وان حقيقة قوَّاد حركة التجديد تبقى مجهولة حتى تتعين مبادئ حركة التجديد وغاياتها وخططها، فمن عمل فيما بين هذه الأمور بإيمان وإخلاص ملتزمًا ألَّا يخرج بالأمة إلى خطط أخرى لا تصل إلى تلك الغايات كان من قادة التجديد الذين يعملون لمبدإنا وغايتنا في سبيل اللَّه والوطن، ومن كانت له طرقٌ أخرى وأهدافٌ أخرى فهو مدسوس علينا وعامل لحساب غيرنا في صفوفنا؛ سواء كان من الفريق الذي يعمل للأغيار وهو عالم بمهنته أو كان من نوع الأدوات التي تقوم بوظيفتها بلا شعور.

إذن؛ فهناك تجديد حقيقي، وتجديد مدسوس، وإذن؛ فالمقياس الذي يتميز به التجديد الحقيقي عن التجديد المدسوس هو تعيين المبادئ والغايات ورسم الخطط فيما بينهما ولا تستطيع أن تعرف داعية الإصلاح الخائن إلا إذا امتحنتَ دعوته ورأيتها ترمي إلى إخراج الأمة عن الخطط القويمة التي تصل ما بين مبادئها وغاياتها.

تُرى ما هي مبادئ حركة التجديد الحقيقية التي يحتاج إليها هذا الشرق العربي، وما هي غاياتها، وما هي خططها؟

نريد أن نكون أقوياء في أنفسنا، ومحترَمين عند الأمم القوية، هذه غاية يجب أن نصل إليها.

ويجب أن نحتفظ بكِيانا القوميّ والوطنيّ والدينيّ، وهذا مبدأ يجب أن نَقطع اليدَ التي تحاول قطع ما بيننا وبينه.

فالخطة التي يجب أن نرسمها بين هذا المبدأ وتلك الغاية هي أن نأخذ من كل مكان ما نحن في حاجة إليه من أسباب العزة والقوة، وأن نحتفظ بكل ما في كياننا القوميّ والوطنيّ والدينيّ مما لا يعد من عوامل الذلّ وبواعث الوهن، وكلما كان ما لا نرى بأسًا في الاحتفاظ به من أركان كياننا أعظمَ وأضخمَ كان ذلك أدلّ علينا وأظهر لوجودنا، ويعدُّ ذلك من حُسن حظنا ونعم اللّٰه علينا.

وكلما كان ما نضْطر إلى استعارته من الأمم الأخرى أقلّ وأصغر كان ذلك أحرى ألّا نذوب في غيرنا ونخرج عن أنفسنا، ومعنى هذا أن كلَّ ما لدينا من أجزاء كياننا يجب أن نحتفظ به إلا ما كان من ذلك مضرًّا، وكل ما عند غيرنا لا يجوز ان نأخذه إلا إذا كان ضروريًّا.

إن كياننا القومي والوطني والديني أشبه بجسم الرجل من رجالنا، فهل يرضى الرجل منا بصلم أذنيه حتى لو لم تكونا لطيفتين؟ وهل يرضى بكشط جلده حتى لو كان مُجدَّرًا؟ وهل يرضى ببتر أصابعه حتى لو كانت غليظة؟ إن من يرضى بذلك لا يكون في حالةٍ عقلية محمودة. وهل إذا أصيبت يد أحدنا بمرض وكان في الإمكان أن نخلص من ذلك المرض بالعلاجات نعمد إلى اليد فنقطعها؟ إن من يرضى بهذا لمجنون! إن كياننا يجب أن نحتفظ به جهد طاقتنا وأن ندافع عنه حتى الموت، وألّا نتجاوز منه إلا عن مثل زوائد الشعر والأظافر، وألّا نزيل منه إلا ما يُزال بالحمام من الأوساخ الطارئة، وكل من يدعوني إلى أن أبتر من جسمي لحمًا أو عظمًا أو عصبًا فهو عدوّ أو رسول العدوّ.

أما الذي ينبغي لي أن أقتبسه من الغير فكل ما هو من قبيل تنظيم أوقات العمل والراحة، وتوفير أسباب الدَّأب والنشاط، وإعداد دواعي الصحة والعافية، وسائر ما يعود على الجسم بالقوة والسعادة.

نطلب تجديدًا نتعلم به تنظيم حياتنا، وإدارة متاجرنا ومكاتبِ أعمالنا.

نطلب تجديدًا نستغني به عن مصنوعات الأمم الأخرى بمصنوعات تنتجها أوطاننا بأيدي أبنائنا.

نطلب تجديدًا يعرّفنا بأننا كنا فيما مضي أعزّ الأمم، فيجب أن نصل ذلك الماضي البعيد بآتٍ قريب نكون فيه من أعز الأمم.

نطلب تجديدًا يعرفنا بأننا كنا في زمن من الأزمان أعلم الأمم، فيجب أن نصل ذلك الماضي البعيد بآتٍ قريب، نكون فيه من أعلم الأمم.

نطلب تجديدًا يعرّفنا بأن أجدادنا استطاعوا بعد أن أزالوا الدولتين الرومانية والفارسية من الوجود أن تكون بأيديهم أرقى صناعات العالم، فيجب علينا أن نصل ذلك الماضي البعيد بآتٍ قريب نكون فيه من أرقى الأمم في الصناعات.

أما الجديد القائم على انتهاز فرصة ما نحن فيه من ذلّ لإقناعنا بأننا لم نكن في يوم من الأيام شيئًا مذكورًا، فنستنتج من ذلك أننا ليست فينا جرثومة الاستعداد لتبوُّء مقاعد العزّ.

وأما التجديد القائم على انتهاز فرصة ما نحن فيه من جهل لإقناعنا بأننا لم نكن في يوم من الأيام على شيء من العلم، فنستنتج من ذلك أننا ليست فينا جرثومة الاستعداد لتبوُّء كراسي العلم.

وأما التجديد القائم على انتهاز فرصة ما نحن فيه من انحلال وفوضى لإقناعنا بأن جميع أدوار حياتنا التاريخية «كخْ»، فنستنتج من ذلك أنه لا سبيل للخروج

مما نحن فيه إلا بالاندماج في هؤلاء الإفرنج قلبًا وقالبًا، والدخول في غمارهم ظاهرًا وباطنًا.

إن تجديدًا هذه مظاهره لا ريب أن خططه مرسومة بيد أعداء، ويعمل على تحقيقه في هذا الشرق أعداء بلباس أصدقاء، ولا أبالي أن أقول بملء فمي: إن الجهل خير من مثل هذا التجديد الذي يُراد به أن يستعمر الأجانبُ قلوبنا، فيستغنوا بها عن العناء في محاولة استعمار بلادنا، لأننا بعد أن نكون لهم يصبح العبد وما ملكت يداه لملولاه.

فهل يرضى شباب الشرق العربي المجيد، بهذا الضرب من التجديد؟

يقول السيد المسيح -صلوات اللّه عليه-:

من ثمارهم تعرفونهم.

فالعلامة بيننا وبين كل داعٍ إلى التجديد والإصلاح أن ننظر فيما يدعونا إليه: فإن كان يدعو إلى أسباب القوة من معارف وفضائل، وتتجلّى في دعوته قرائن النصح لقوميته، والحرمة لمفاخرها، والإحياء لمآثرها؛ فهو داعية إصلاح حقيقي، وأما إن كان من هؤلاء الذين يسوّدون الصحائف بهذَيان لا علاقة له بالنهوض، ولا غاية لهم غير مخادعة الشباب الطاهر؛ ليعزلوه عن تاريخه ويُخرجوه عن نفسه بما يحاولون من إقناعه بأنه سليل أمة ليس لها سابقة من فضل أو مأثرة في الحضارة، فمثل هذا لا ريب أنه مدسوس فينا، ولعل العدوّ المجاهر بالعداوة أقل ضررًا من حامل مثل هذه الثمار الخبيثة، إلى أمة مسكينة تنشد عزًّا وصلاحًا.

محبّ الدّين الخطيب

صدق اللهجة

محاضرة الأستاذ الجليل الشيخ/ محمد الخضر حسين

في دار جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية، بالقاهرة

أيها السادة:

في كل خصلة فاضلة شرف وخير، ولكل خصلة فاضلة أثر في سعادة الجماعة، وقد تتفاوت هذه الخصال بكثرة الحاجة إليها، ومن الخصال التي تكثر مواضع الاحتياج إليها صدق اللهجة، فلا غنى للجماعة عن أن يكون فيها صدق وحلم، والأحوال التي يُحتاج فيها إلى الصدق أكثر من الأحوال التي يُحتاج فيها إلى الحلم.

ونحن لا نشعر بالحاجة إلى شجاعة السيدات والأطفال، وكلٌ منا يشعر بالحاجة إلى صدق الطفل الآخذ في التردد على المدرسة، وصدق السيدة المصونة في خدرها، كما يشعر بحاجتنا إلى صدق الصانع في مصنعه والأمير على كرسيه.

فالكلمة التي نلقيها في هذه الليلة إنما نصف بها فضيلة شأنها رفيع، وأثرها في الاجتماع كبير، وهو صدق اللهجة.

ولا تثريب علينا ذا تناولنا في أثناء بحث هذه الفضيلة نبذة من الحديث عن ضدها وهو الكذب، فإن حقائق الفضائل تتجلى بمعرفة أضدادها؟

❏ ما هو الصدق؟

الصدق في لغة العرب: إلقاء الكلام على وجه يطابق الواقع والاعتقاد،

ومقتضى هذا الشرح أن الكلام الذي يخالف الواقع والاعتقاد معًا، أو يخالف أحدهما لا يدخل في حقيقة الصدق، بل يندرج تحت اسم الكذب؛ والكذب ذو ضروب وألوان.

للصدق صورة واحدة، وهي أن تصوغ القول على نحو ما تعتقد؛ ويكونَ اعتقادك مطابقًا للواقع، كأن تقول وأنت الناصح الغيور: سلطة العدو أمرّ من الصَّبر، وأشد مضاضة من وقع الحسام.

❑ وللكذب ثلاث صور:

إحداها: ما يخالف الواقع، والاعتقاد؛ كمن يتملق فاسقًا أو باغيًا فيصفه بالاستقامة، وهو على بينة من سيرته المغضوب عليها.

ثانيتها: ما يخالف الاعتقاد، ويطابق الواقع؛ كالزائغ المنافق ينطق على نحو ما ينطق به أولو الحكمة والهداية.

ثالثتها: ما يخالف الواقع، ويطابق الاعتقاد؛ كالغبي يعتقد صلاح بعض الفجار فيصفه بالولاية أو التقوى.

هذه صور الكذب في مجاري كلام العرب، وقد رأيتموها متمثلة في المتملق والمنافق والغبي، والذي يرجع عيبه إلى الأخلاق العملية من هذه الصور ما جاء الحديث فيه مخالفًا للاعتقاد، وسواء بعد هذا أخالف الواقع أيضًا، وهي الصورة الأولى أم كان مطابقًا للواقع وهي الصورة الثانية.

وبيان هذا: أن الباحث في الأخلاق العملية يوجه عنايته إلى نفس المتكلم حين إلقائه الحديث، وينظر إلى اعتقاده وما بينه وبين الحديث من مطابقة أو مخالفة، فإن وجد الرجل يسوق الحديث على غير ما يعتقد وضع عليه اسم الكذب وعده في حَمَلة هذه الرذيلة الساقطة، ولو اتفق لحديثه أن كان مطابقًا للواقع.

وإن وجده يلقي الحديث على نحو ما يعتقد، لا يعده في أصحاب رذيلة الكذب، وإن لم يجئ حديثه موافقًا للواقع.

وهذا الذي تحدَّث عن اعتقاد وجاء حديثه مخالفًا للواقع لا يرميه الباحثون في الأخلاق بسبة الكذب، وقد يؤاخذ من جهة أخرى، وهو انقيادُه إلى الظنون الواهية وحديثه عن الأمر قبل التثبت من أنه حقيقة واقعة.

فالكذب في إطلاق علماء الأخلاق ينصرف إلى من يحدثك بالأمر، وهو يعتقد أنه غير واقع، ومعظم ما ورد في الشريعة من ذمّ الكذب، محمول على أولئك الذين تنطق عليك ألسنتهم بأشياء يزعمون أنها واقعة وقلوبهم تنكرها.

❑ الاحتراس في صدق اللهجة:

يحدّثك الرجل عن أشياء يحسّ بها في نفسه، كالحب والبغض والعطش والريّ. ويحدّثك عن أمور يدركها بمحساته الخمس: البصر، والسمع وغيرهما، وهو فيما يُدركه بإحساسه الباطن أو إحساسه الظاهر يستطيع ألّا يحدثك إلا بما يطابق الواقع والاعتقاد، فالرجل الصادق لا يقول «أحببت» وهو يُبغض، ولا يقول «سمعت» أو «رأيت» إلا إذا سمع أو رأى.

وقد يحدّثك عن حادثة تلقّى خبرها عن طريق الرواية، أو يحدّثك عن أمر أدركه على وجه النظر والاستدلال، وهذان الصنفان هما اللذان يعثران به في مخالفة الواقع أحيانًا، وينزلان به إلى أن تحوم حوله الظنون، فعلى صادق اللهجة أن يحترس فيما يتحدث به عن رواية أو يتحدث به عن ظن واستنباط.

والاحتراس في الأخبار التي تجيء عن طريق الرواية ألّا يحدث بها قبل أن ينقدها نقدًا بالغًا، وإن بدا له أن يخبر بها على نحو ما سمعها فليذكر أسماء رواتها حتى يبرأ من عهدتها.

والاحتراس في الحديث الذي يستند فيه إلى ظن وأمارة ألَّا يطرحه إلى الناس في صورة المقطوع به، بل يُنبه على أنه تحدث به على وجه الظن، كما يصنع كثير من الملأ الذين يعافون الكذب ويريدون أن يجعلوا بينه وبين ألسنتهم حجابًا مستورًا.

فسياج صدق اللهجة الاحتراس في الحديث المستند إلى رواية أو ظن، ومن حدَّثك بما علم واحترس فيما روى أو ظن، فقد قضى حق فضيلة الصدق ووفى.

❑ صدق اللهجة والمجاز:

لا يخرج عن حدود الصدق ما يجري على ألسنة البلغاء من ضروب الكناية وفنون المجاز، كأن تقول لشخص: جئتك ألف مرة، تكني بالألف عن كثرة التردد، ولا تريد بها عدد المرار.

وكأن تقول: رأيت أسدًا مخلبه الحسام، وأنت تريد بطلًا لا يلوي جبينه عن منازلة الأقران، وقد جاء في كتب الأصول: أن قومًا منعوا أن يكون في القرآن مجاز، وهم الظاهرية[1]، ولا شبهة لهؤلاء إلا زعمهم أن المجاز من قبيل

---

(١) وغيرهم من علماء المسلمين، على رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم - رحمهما الله -.
انظر: رسالة «نفي جواز المجاز في المُنزل للتعبد والإعجاز»؛ للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، صاحب تفسير «أضواء البيان» رحمه الله.
قال الشيخ ابن باز رحمه الله: «الصحيح الذي عليه المحققون أنه ليس في القرآن مجاز على الحد الذي يعرفه أصحاب فن البلاغة، وكل ما فيه فهو حقيقة في محله، ومعنى قول بعض المفسرين: إن هذا الحرف زائد، يعني من جهة قواعد الإعراب، وليس زائدًا من جهة المعنى، بل له معناه المعروف عند المتخاطبين باللغة العربية؛ لأن القرآن الكريم نزل بلغتهم، كقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ يفيد المبالغة في نفي المثل، وهو أبلغ من قولك: (ليس مثله شيء)، وهكذا قوله سبحانه: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾، فإن المراد بذلك سكان القرية وأصحاب العير، وعادة العرب تُطلق القرية =

الكذب، والقرآن قول فصل وما هو بالهزل، وهذه الشبهة مدفوعة بقيام القرينة الدالة على أن المتكلم لا يقصد سوى معنى المجاز، وإذا كان قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾. يحتوي قرينة تنفي أن يكون المراد من الظلمات سواد الليل، ومن النور بياض الشمس والقمر والسراج، لم يكن هناك إخبار بما يخالف الواقع أو الاعتقاد، حتى يتناوله اسم الكذب الذي لا يحوم على كتاب اللَّه في حال، وإنما الكذب ذلك الإغراق أو الغلو الذي يضعه الشاعر خيالًا بحتًا، كقول بعضهم:

ليس ذا الدمعُ دمعَ عيني ولكن ... هي نفس تذيبها أنفاسي

وقول الآخر:

وأخفتَ أهل الشرك حتى أنه ... لتخافك النُّطف التي لم تخلقِ

❑ صدق اللهجة والقصص الخيالية:

القصص الخيالية ضروب:

أحدها: ما يحكى على ألسنة الجماد، أو الحيوان؛ كقصة كليلة ودمنة.

ثانيها: ما يُحكى على ألسنة ذوي نفوس ناطقة، ويدل المتكلم بالقرينة أو بالصريح من القول على أنه اخترعها لتكون مأخذ عبرة أو أدب لغة، كما صنع أبو القاسم الحريري في مقاماته.

= على أهلها والعير على أصحابها، وذلك من سعة اللغة العربية وكثرة تصرفها في الكلام، وليس من باب المجاز المعروف في اصطلاح أهل البلاغة، ولكن ذلك من مجاز اللغة، أي مما يجوز فيها، ولا يمتنع، فهو مصدر ميمي كالمقام والمقال، وهكذا قوله سبحانه: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ يعني حُبه، وأطلق ذلك لأن هذا اللفظ يفيد المعنى عند أهل اللغة المتخاطبين بها، وهو من باب الإيجاز والاختصار لظهور المعنى. واللَّه ولي التوفيق». «مجلة الدعوة» (العدد: ١٠١٦). (س).

وهذان الضربان من قبيل الإخبار بما يخالف الواقع والاعتقاد؛ والذي يستر عيب الكذب هنا أن المتكلم لم يوقع المخاطب في غلط وسوء تصوُّر، وإنما يعرض عليه حكمة أو أدبَ لغة في أسلوب طريف.

ثالثها: ما يحكيه الرجل على ألسنة ذوي نفوس ناطقة، ولا يُنبه إلى أن القصة غير واقعة، وهذه أيضًا خارجة عن حد الصدق إلى مكان بعيد، ولو كان الداعي إلى وضعها ما تحتويه من عبرة أو أدب لغة.

فالذين يزعمون أن في القرآن قصصًا غير واقعة، وأنها سيقت لما تحتويه من موعظة، لا يريدون إلا أن يطعنوا في القرآن، ويخادعوا المؤمنين، ولا يُخدعون.

❑ صدق اللهجة وإخلاف الوعد:

الوعد إخبار عما ستفعله في المستقبل من إحسان، والصدق والكذب يجريان في الأخبار المستقبلة، كما يجريان في الأخبار الماضية، وقد وصف اللَّه تعالى إسماعيل عليه السلام بصدق الوعد لوفائه بما يعد، فقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾. وإذا كان الوفاء بالوعد يجعله صادقًا، فإخلافه يجعله كاذبًا لا محالة.

وقد اختلف أهل العلم بعد هذا في لزوم الوفاء بالوعد؛ فذهبت طائفة إلى أن من وعد شخصًا بإحسان، وجب عليه إنجاز ما وعد، وقضى عليه بأدائه، وهذا مذهب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، ورجحه أبو بكر بن العربي في عارضة الأحوذي فقال: «والصحيح لزوم الوعد، وخُلفه كذب ونفاق».

وذهبت طائفة أخرى إلى أن الوفاء بالوعد من مكارم الأخلاق، وأن صاحبه يملك الرجوعه عنه، وإذا بدا له أن يرجع فليس للقاضي عليه من سبيل.

وذهب جماعة من فقهاء المالكية إلى تفصيل، وهو أن الوعد المطلق غير لازم، وأما الوعد المنوط بسبب، فإنه يصير منزلة الدَّين الذي لا مناص له من قضائه، ومثال هذا أن تقول لشخص تزوج وأنا أدفع المهر، فإذا تزوج كان للحاكم أن يقضي عليك بدفع المهر قضاء نافذًا.

❑ صدق اللهجة وإخلاف الوعيد:

الوعيد: إخبارٌ عما ستفعله من شر، فإخلافه يجعله كالوعد المخلف قولًا كاذبًا، والرجل الذي يوعد آخر، ثم يضرب عنه عفوًا إنما يُمدح من جهة أن مصلحة إخلاف الوعيد أرجح من مصلحة إنفاذه، ففضيلة العفو تغمر عيب الكذب، وتجعله في نظر الأخلاقي شيئًا منسيًّا، ولتضاؤل نقص الكذب تحت عظم فضيلة العفو ساغ للإنساني أن يتمدح بإخلاف الوعيد، الذي يقول:

وإني وإن أوعدته أو وعدته ... لَأُخلف إيعادي وأنجز موعدي

ولاشك أن من يقرن الوعيد بنحو المشيئة، يحميه أن يجعله الإخلافُ كذبًا، ولكن الوعيد شأنه أن يصدر في حال غضب، لا يملك صاحبه النظر إلى العواقب، فهو لا يكاد يلفظ به إلا بعد عزم وتصميم.

❑ صدق اللهجة والمعاريض:

في هذه الحياة بلاء، وأشد بلائها ما يمنعك من أن تقضي حق فضيلة، قد يلاقي الإنسان حالا ترغمه على أن ينطق بما يكره، ويسلك في القول ما لم يألف، ولو وقف علم الأخلاق أمام هذه الأحوال المرغمة صلبًا جامدًا، لضاقت سبيله ووجد بعضُ النفوس للخروج على أمره عذرًا بينًا، وقد وجدنا علم مكارم الأخلاق -الذي رفع الإسلام قواعده- فسيح الصدر بمقدار ما يسع مقتضيات الحياة الفاضلة.

فصدق اللهجة يُعدّ في الفضائل نظرًا إلى ما هو شأنه من حفظ المصالح ودرء المفاسد، ولو عَرضتْ على وجه الندرة حالٌ يكون حديثُ الرجل فيها على نحو ما يعلم، جالبًا عليه أو على غيره ضررًا فاحشًا، لوجد في قانون الأخلاق مرونة تسمح له بأن يصوغ حديثه في أسلوب لا يجلب ضررًا.

فإذا وقع الإنسان في حال لا يليق معه التصريح بأمر واقع، ولم يكن بدّ من أن يقول في شأنه شيئًا، فهاهنا يُفسَح له بمقتضى قانون الأخلاق الذي أتقن الإسلام صنعه أن يأخذ بالمعاريض، وهي ألفاظ محتملة لمعنيين، يفهم السامع منها معنى، ويريد المتكلم منها معنى آخر، وإن شئت فقل: هي ألفاظ ذات وجهين: أحدهما غير حقيقة، وهو ما يسبق إلى فهم المخاطب، وثانيهما حقيقة، وهو ما يقصده المتكلم، ويحق لك أن تسمي اللفظ من أجله حديثًا صادقًا، وهذا ما يفعله الذين أشربوا صدق اللهجة متى عرفوا أن في القول الصريح حرجًا أو خطرًا.

ومما يُساق مثلًا لهذا أن أبا بكر الصديق كان يُسأل عن النبي ﷺ في طريق هجرتهما من مكة إلى المدينة، وهو يريد كتم أمره، فيقول: «**هذا يهديني السبيل**»[1]. يريد أبو بكر من السبيل، سبيل الخير والسعادة، ويحملها السائل على الطريق التي يسلكها المسافرون.

وما كانوا يرضون عن الحديث ذي الوجهين إذا عمد إليه الرجل لغرض غير صالح، قال عبد اللّه بن عقبة: دخلت مع أبي على عمر بن عبد العزيز، فخرجت وعليَّ ثوب، فجعل الناس يقولون: هذا كساكه أمير المؤمنين؟ فكنت أقول: جزى اللّه أمير المؤمنين خيرًا، فقال لي أبي: يا بني اتق الكذب، وما أشبهه،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩١١).(س).

نهاه عقبة عن إجابة السائلين بقوله جزى اللَّه أمير المؤمنين خيرًا؛ لأنه يُلقي في أذهانهم أن الخليفة هو الذي خلع عليه هذا الثوب، ولا داعي له إلى أن يجيبهم بهذا الجملة التي يتبادر منها غير الواقع سوى قصد الفخر، والفخر بإصابة حظوة عند الأمراء -ولو كانوا مثل عمر بن عبد العزيز- لا يُحسب في الأغراض المحمودة حتى يحل للرجل أن يرتكب له حديثًا ذا وجهين.

عنى الإسلام بصدق اللهجة جهد العناية، ويريد مع هذا للأمة إخاءً، وائتلافًا يجعلها كالبنيان يشد بعضه بعضًا؛ ويريد لجيشها الفوز على أعداء يهاجمون أو يتحفزون، ويرغب في أن يكون الزوجان على وفاق وحياتهما في نظام، لهذا خفف المصطفى -صلوات اللَّه عليه- في الكلمة يقولها الرجل ليطفئ عداوة استعرت بين طائفتين، أو يقولها في حرب ليكفي قومه قارعة تسلط الأعداء، أو ليُسكت غضب زوجته الصالحة.

وقد ذهب القاضي أبو بكر بن العربي في تأويل الحديث إلى أنه أذن في المعاريض، فذكر هذا الحديث الذي يروي في استثناء الحرب والإصلاح وإسكات غضب الزوجة، ثم قال: «ولكن ذلك بالمعاريض، وهي الألفاظ التي يفهم منها السامع خلاف ما يريد القائل، فهذا هو المأذون فيه».

❑ أثر صدق اللهجة في سعادة الفرد:

يتحلى الإنسان بأدب الصدق؛ فيشرف قدره، وتطيب حياته، ويصفو باله، أما الشرف فلأن الصدق يدل على نقاء السريرة وسموّ الهمة ورجحان العقل، كما أن الكذب عنوان سفه العقل، وسقوط الهمة، وخبث الطوية.

وقد جاء في حديث أكمل الخليقة ما يُرشد إلى أن الصدق حسنة تنساق بصاحبها إلى حسنات، وأن الكذب سيئة تنجرّ به إلى سيئات، قال المصطفى -

صلوات اللَّه عليه- فيما رواه الإمام البخاري[1]: «**إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صدّيقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند اللَّه كذابًا**».

ولا يستقيم لأحد سؤدد أو يحرز في قلوب الناس مكانة إلا حيث يهبه اللَّه لسانًا صادقًا، وإذا ابتغى الكذوب منزلة فإنما يتبوَّؤها بين طائفة ضربت على أدمغتهم الغباوة، أو طائفةٍ تؤثر اللهو على الجدة ويشغلها الخداع عن النصيحة.

وأما طيب العيش فإن الناس لا يطمئنون إلا إلى معاملة الصادق الأمين، وشأنهم الانصراف عمن ألِفوه يضع الكلمة في غير واقع، وقد يحرص التاجر أو الصانع على درهم أو دينار يقتنصه بكلمة غير صادقة، هو يضيع سمعة طيبة وربحًا وافرًا.

ومن المشاهد أن الصدق يُكسب الرجل وقارًا، ويُلقي له المودة في عشيرته والناس أجمعين، واحترام الناس للرجل مما يدعوهم إلى النصح في صحبته، وإذا وَضع بين أيديهم شأنًا من شئونه الحيوية قاموا عليه بإخلاص.

وأما صفاء البال فمن ناحيتين:

أولاهما: أن مرتكب الرذيلة لابد أن يُحس بوخز في ضميره، ويسمى توبيخ الضمير، والكذب من أفظع الرذائل، فوخزه في الضمير غير يسير، ومتى سار الإنسان في طريق الصدق، وأقام بينه وبين الكذب حصنًا مانعًا عاش في صفاء خاطر وراحة ضمير، ولم يكن لهذا الوخز النفسي عليه من سبيل.

أخراهما: أن يلطخ لسانه برجس الكذب لابد من أن تبدو سريرته، ويجر عليه

---

(١) برقم (٦٠٩٤). (س).

شؤم هذه الرذيلة شقوة، فلا يلاقي من الناس إلا ازدراء، وربما رموه بالتوبيخ في وجهه، أما صادق القول، فإنه يظل ضافي الكرامة آمنًا من مثل هذا الخطاب المهين.

❑ أثر صدق اللهجة في سعادة الجماعة:

تسعد الجماعة وتنتظم شئونها على قدر احتفاظها بفضيلة الصدق، فالمعاملات كالبيع والإجارة والقرض والشركة لا يتسع مجالها ويستقيم سيرها إلا أن تديرها لهجة صادقة، والأمة التي تسود فيها فضيلة الصدق، حتى يكون القائمُ بأي عمل موضعَ ثقة الجمهور، تتقدم حالتها الاقتصادية ولا يجد عدوّها الوسيلة إلى مزاحمتها في نحو التجارة والصناعة.

والصداقات التي تجعل أفراد الأمة كالجسد الواحد، إنما يشتد رباطها على قدر ما يكون لهؤلاء الأفراد من الاحتفاظ بصدق اللهجة.

وقد يكون للكذب صديق من صنف أصدقاء المنفعة؛ ولكنه لا يستطيع أن يتخذ من إخوان الفضيلة صديقًا حميمًا.

فالذي يستهين بالكلمة الكاذبة يُطلق بها لسانه، يؤذي نفسه، ويُرهق المجتمع خللًا وفسادًا، فالكاذب لا يعد عضوًا أشل فقط، وإنما هو عضو يحملُ دمًا مسمومًا لا يلبث أن يسري إلى الأعضاء المتصلة فه فيؤذيها.

❑ أثر صدق اللهجة في العلم:

يمرق الرجل من فضيلة الصدق على طرق شتى، وأبعد هذه الطرق ضلالًا أن يتحدث في العلم بما ليس من العلم، أو يضيف إلى أحد قولًا لم يصدر عنه، يفعل هذا من يرغب في التفوق على قرين ينافسه، أو يرغب في أن تطير له سمعة أعلى من منزلته، ومن يحاول التفوق على قرينة بزخرف من الباطل، فهو أخو

الساحر، ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾، ومن رضي بأن تكون سمعته فوق منزلته، فإن وراءَ السمعة قولًا تزن الرجال بالآثار، فلا يدعون السمعة تغلو في طيرانها، بل يأخذون بناصيتها ويهبطون بها إلى أن تكون مع منزلة صاحبها على سواء.

ولو أيقن أولئك الذين يدسون في العلم ما ليس من العلم، أن مِن حولهم بصائر نافذة، وأقلامًا ناقده، لما انسلخوا من لباس الصدق، ولكنهم قوم لا يوقنون.

يتحدث العالم في غير صدق، فتذهب الثقة به من القلوب، ويذهب معها شطرُ علمه، وهو ما يرجع إلى النقل والرواية، وكم من منتمٍ إلى العلم اطلعوا له على اصطناع خبر، فطرحوه من حساب الموثوق بنقلهم، وكذلك الرجل يخرج عن أدب الصدق مرة، فيتعدى شؤم الكذب إلى سائر أقواله، فتوشك أن تذهب كما يذهب هذيان المبرسمين هزُؤا.

كذبتَ ومن يكذب فإن جزاءه إذا ما أتى بالصدق أن لا يُصَدَّقَا

❑ علل التهاون بصدق اللهجة:

ينحرف الرجل في حديثه عن قصد السبيل لدواع مقبوحة ومآربَ دنيئة، وليس في وسعنا ذكر هذه الدواعي والمآرب، وإنما نسوق منها أمثلة تريكم أن من لا يقدر قيمة الصدق قد يبيعه بثمن بخس، وكل ما يرضى به ثمنًا للصدق فهو بخس ولو حثوًا له من هذه الصفراء والبيضاء ما لا يأتي عليه حساب.

ينحرف الرجل عن الصدق ليتملق ذا مقام وجيه، ولا يتزلف إلى ذوي المقامات الوجيهة بقول الزور إلا من صغرت نفسه، وضاق عليه مجال القول الصائب الحكيم.

نحن نعلم أن بعض ذوي المناصب قد مُسخت فطرهم، فلا يرضون عمن يجلس إليهم إلا أن يدخل عليهم من باب التملق والنفاق، ونعلم مع هذا أن كرم

الأخلاق يدعوك إلى أن ترعى حرية ضميرك وتحافظ على صدق لهجتك، فأجبْ داعيه، وذر الذين يحبون أن تشيع فاحشة الملق في الأمة فإنهم قوم لا يفقهون.

ينحرف الرجل عن الصدق ليُغرب على الناس ويريَهم أنه صاحب سمَر، حتى يخفَّ عليهم ظله ويرغبوا في منادمته، وإنما يفعل هذا من يحرص على أن يغشى كل منزل وتتم به حلقة كل مجتمع.

أما من يبتغي الحياة الزاهرة الشريفة، فيتقلد فضيلة الصدق في كل حال، ثم لا يوالي إلا أولى الجد، ولا يبذل خطواته إلا حيث تحترم الحقيقة والفضيلة.

وقد ينطوي بعض الناس على عداوة الشخص، فيرميه بمساوئ ليصرف عنه القلوب، ويُسقط مهابته من العيون، ولا أشأم على الرجل من أن يناضل عدوه بالبهتان.

ومَنْ كانت له حاجة في أن يؤلم أعداءه، فإنه لا يؤلمهم بأشد من احتفاظه بمكارم الأخلاق، ومن أعز هذه المكارم أن يكون حرّ الضمير عفيف اللسان.

وفي الناس من إذا أخذ يحدثك في شأنه أو شأن سلفه أذنَ لقريحته فتخترع، وأطلق لسانه فيرتع في غير واقع، والألمعية تشهد بأن الرجل لا يستطيع أن ينال بمثل هذا الحديث، ذرة من فخر أو حمد، وربما قام حديثه هذا شاهدًا على أنه لم ينشأ في أدب متين، فيطّرح نفسه في زراية من حيث يريد أن يرفعها إلى فخار.

ومن لا يؤمن بأن خالق الكون يجازي هذه الألسنة على ما تصنع من تحريف أو تزوير، لا يبالي أن يُلبس الحقيقة بالباطل، ويُصور بلسانه أشياء ليس لها في الواقع من مثال.

ولا يكاد الملحد يحتفظ بصدق القول إلا حين يريد أن يتشبه بذوي المروءة، وحيث يخشى افتضاح زوره ويخشى من افتضاحه ضررًا؛ وانظر في قصة أبي

سفيان حين استدعاه هرقل في ركب من قريش، وأخذ يسأله في شأن النبي ﷺ، فإنكم تجدون أبا سفيان، وهو زعيم قريش يومئذ يقول: «فوالله لولا الحياء من أن يؤثروا عني كذبًا لكذبت عليه». قال أبو سفيان هذا أيام جاهليته، وهو سيد قومه.

أما صدق اللهجة القائم على الإيمان الساطع، فلا يختلّ نظمه، ولا يختلف غيب صاحبه عن حال علانيته، فمن تصدَّى لإصلاح جماعة، وعنى بأن يجعلهم المثل الأعلى لفضيلة الصدق؛ فليسعَ لأن يكون إيمانهم بالله راسخًا، والإيمان الراسخ مطلع كل فضيلة.

المعاريض وجواز استعمالها في ثلاث خصال

- قال ﷺ: **«يا أيها الناس، ما يحملكم على أن تَتابَعوا على الكذب[1]، كتتابعُ الفَراش في النار؟ الكذب كله على ابن آدم حرام إلا في ثلاث خصال[2]: رجل كذب على امرأته ليرضيها، ورجل كذب في الحرب، فإن الحرب خَدْعة، ورجل كذب بين مسلمين ليصلح بينهما»**. الترمذي[3].

- قال رجل: يا رسول الله، أكذِبُ امرأتي؟ فقال ﷺ: **«لا خير في الكذب»**. قال: فأعدُها وأقول لها؟ قال ﷺ: **«لا جُناح عليك»**. مَالِك[4].

(١) تتهافتوا عليه.
(٢) وبشرط السلوك إلى ذلك من طريق المعاريض كما تقدم.
(٣) برقم (١٩٣٩)، وصححه الألباني. (س).
(٤) في الموطأ، برقم (١٧٩١). (س).

الحكمة في الغزل

في مَرْتَعِ الظَّبيَاتِ حُورٌ عينُ ... للسحرِ في نظراتهنَّ فنونُ
بِيضٌ يكاد يذوبُ في أصدافهِ ... حَسَدًا لَهنَّ اللؤلؤُ المكنونُ
يبدو على وَجَناتهنَّ رُواؤُها ... فترى العقيقَ جَرَى عليهِ مَعينُ
متألّقاتٌ كالكواكب في الدُّجى ... مُتناجياتٌ والكلام حنينُ
مُتثنّيات مثلَ باناتِ اللوى ... متحركاتٌ ما لهنَّ سُكونُ
أبدًا تميلُ معَ النسيم قدودُها ... لا بِدْعَ أن تهوي النسيمَ غصونُ
متهادياتٌ في شفوفٍ تحتها ... تخفى الغَضاضةُ تارةً وتبينُ
يُعطي الدلالُ قلوبَهنَّ صَلابةً ... وَيَمسُّها حَرُّ الجوى فتلينُ
لا غروَ أن هزَّ القلوبَ جمالها ... فالكهرباءُ تكون حيثُ يكونُ
أو حاولَ الولهانُ غمزَ نهودها ... فهناك سرٌّ للغرام مَصونُ
يصرعنَ بالأجفانِ من يلحظنهُ ... فكأنما لحظاتهنَّ منونُ
وإذا نَبتْ يوم الجلادِ صوارمٌ ... فالغيدُ لا تنبو لهنَّ جفونُ
وإذا الظباءُ غدا لها أهل الهوى ... قَنصًا فإنَّ كناسهنَّ عَرينُ
جاذبْنَني هُدْبَ الحديثِ عشيَّةً ... وحديثهنَّ -كما علمتَ- شجونُ
ورأينني كهلًا، فقلنَ: إذا صبا ... بَذَلَ النضارَ ولبُّهُ مفتون
فلننصبنَّ من الدلال لقلبهِ ... شَرَكًا لناصبهِ القلوبُ تدينُ
ولنظهرنَّ تدلُّهًا في حبهِ ... حتى يُزيلَ الشكَّ منهُ يقينُ
فنُصيبَ خيرًا لا يؤمّلُ من فتى ... غض الصبي ترنو إليه العِينُ
إنَّ الذي يشري الوصالَ بمالهِ ... لفَتًى وإن مرتْ عليهِ قرونُ

وتَلَوْنَ آياتِ الغرام وفسّرَتْ ... ألفاظَهنَّ حواجبٌ وعيونُ
وبسمنَ عن مثلِ الجمانِ وقلن لي ... الروضُ أحسنُ زهره النسْرينُ
ليس المشيبُ بمخمدٍ وجدًا فكم ... نارٍ لها تحتَ الرمادِ كُمُونُ
فظننتُ أنيَ قد رجعت إلى الصبى ... وهل الصبى إلّا جوًى وجُنونُ؟
لا يكبحُ الأهواءَ فيهِ حِجًى ولا ... ينهى الفتى عما يحاولُ دِينُ
وحسبتُني بعدَ الرَّزانةِ مُوشِكًا ... أن أُستهامَ، وذو الهيام حزينُ
فذكرتُ راعيةَ المشيب بلمتي ... وكففتُ نفسيَ، والأبيُّ رصينُ
ولويتُ عنهنَّ العذارَ ومن يهِمْ ... بعد المشيب فإنهُ لأفينُ
لن تعشقَ الفتياتُ ذا شيبٍ إذا ... لم يُصْبِهِنَّ من النّضارِ رَنينُ؟
ويَهِمْنَ بالمختالِ في بُرْدِ الصبى ... حتى يقولَ الشيبُ بِنْ فيبينُ

❁ ❁ ❁

ورأيتني أهوى الوفاءَ وليس لي ... إلّا إلى الملاءِ الوفيِّ رُكونُ
وأظلُّ أرعى للوليّ وَلاءَهُ ... حتى أراه وقد وفيتُ يخونُ
فزعمنَ أنَّ قلوبهنّ على الوفا ... طُبعَتْ، وأنَّ ودادهنّ متينُ
لما ذكرنَ ليَ الودادَ وحفظهُ ... أضحكنني، ومن الكلامِ مجونُ
هان الوفاءُ لدى الرجالِ كما نرى ... أفليسَ عند الغاياتِ يهونُ؟
ولقد سألتُ عن الوفاءِ فقيل لي ... هذا الزمانُ بما ترومُ ضنينُ
ونَشدْتُهُ في الدُّور باذخةَ الذرى ... فإذا الوفاءُ أمامهنّ طعينُ
وظننتُ أهل الجاهِ قبلَ تأمُّلٍ ... ممن يفي، فإذا الضلالُ ظنونُ
وطلبتهُ عند الأُلى ساسوا الورى ... فإذا الوفاءُ بدِرْهم مقرونُ
وسألت عنهُ الموسرين فأقبلوا ... يتخازرون وفي الجباهِ غضونُ

❁ ❁ ❁

ومُصانعٍ قد كنتُ أوقن أنهُ ... حصنٌ لمن صدقوا الولاءَ حصينُ
متكشفٍ عن كاذبٍ من وُدّهِ ... متظاهرٍ بالصدقِ وهو يمينُ
سلسِ القيادِ إذا تصلَّبَ دهرُهُ ... وإذا استلانَ الدهرَ فهو حَرونُ
مازلتُ أمحضه ولائيَ مخلصًا ... حتى ثَنَتْهُ عنِ الوفاءِ شؤونُ
لا تعجبنْ للمرءِ يصبح غادرًا ... فقد اغتذى بالغدر وهو جَنينُ
قلْ للذي قتل الوفاءَ بنكثهِ: ... كلٌّ بما كسبَتْ يداه رَهينُ

❀ ❀ ❀

أمُعاهِداتِ ذوي الغرام على الوفا ... هل عندكنَّ بما يُرام ضمينُ
حلفَ الرجالُ على الوفاء ولم يفوا ... أتبرُّ يومًا للنساءِ يمينُ

لبنان/ أمين ناصر الدين

صفحة من التاريخ العربي المجهول

❑ مدينة الدار ❑

على الضفة الغربيّة من الفرات، في الجهة الواقعة منه في غرب ديار رَبيعة، وفي جنوب ديار مُضَر، وبين صِفّين شمالًا وعانة جنوبًا؛ بلدةٌ تُسمى الآن (الصالحية)، وكان في موقعها قبل خمسة آلاف سنة مدينةٌ عربية عظيمة تتصل بمملكة الآثوريين، وكانت تُسمى (الدار) بمعنى «المنزل» أو بمعنى «الحصن»، وبنو عمّنا الآثوريون كانوا يُشِمُّون ألِفَ «الدار» بضمَّةٍ، فيلفظونها (الدُّار) أي بمدّ يتراوح بين فتحة الألف وضمة الواو، كما تصدر هذه اللفظة الآن من أفواه الفلاحين في البلاد التي كان للهجة السريانية فيها سابقة.

وهذا الإشمام في لفظ (الدُّار) عند الآثوريين لا تأثير له إلا في اللهجة وكيفية النطق، وإلّا فمعناه في لغتهم «المنزل» أيضًا، ولا غَرْوَ فاللغتان -العربية والآثورية- كانتا لغة واحدة في عهد الوحدة السامية الأولى.

في تلك البقعة من الوطن العربيّ كانت توجد مدينة عظيمة قبل خمسة آلاف سنة، كما علمتَ، وقد دلَّت آثارُها وكتاباتها المكتشفة أخيرًا على أنه كان فيها يومئذ دولةٌ قوية ذات حضارةٍ وعلوم وبَسْطةٍ ونفوذ.

وكان فيها لبني عمِّنا الآثوريين مركزٌ حربي يُشرِفون منه على الديار الشامية.

لم تكن الدُّار قائمة بمهمتها الحربية فقط، بل كانت أيضًا بمنزلة القلب من حركة الإيراد والإصدار التجاريين بين القطرين الشقيقين، العراق والشام؛ لأن (الفرات) الذي كان متصلًا من الدُّار إلى الخليج الفارسي، كان يُكمل اتصاله هذا إلى ساحل طرابلس الشام بقناة تتفرَّع من الفرات وشقّ البادية شقًّا إلى الغرب، حتى تنصبَّ في البحر الأبيض المتوسط، وكانت على طول مجراها مزدانة بالمراكب الشراعية البيضاء اللامعة بأشعة الشمس، والمنحدرة في نور القمر.

بقيت هذه المدينة عروسَ الصحراء العربية، وواسطة الارتباط بين الشام والعراق، وعلامة التنافس الحربي والسياسي بين الدول المتجاورة هنالك يومئذ، فاستمرت الحال على ذلك نحو ثلاثة آلاف عام أو قريبًا من ذلك؛ إلا أن بدأت (المسألة الشرقية) بيننا وبين الغربيين بمجيء الإسكندر المقدوني إلى أوطاننا غازيًا الشام ومصر والعراق وفارس والهند، فكان مركز (الدُّار) المتوسط بين الشام والعراق وجزيرة العرب مما لفت نظر المقدونيين إليها، ودعاهم إلى العناية بأمرها، فأنشأ سِلفْكَس نيكاتورو (أي الظافر) بين سنتي ٣١٢ و٢٨٠ قبل الميلاد مباني جديدة إلى جانب مباني (الدُّار) القديمة، وسماها (دُار أُرُوبوس)،

فظلَّ هذا الجانب من الوطن العربيّ تحت سلطانهم في حُكم المستعمرة المقدونية.

ضَخُمت الدُّار وعظمت شواهقها بما خلَّفه الآثوريون، وبما أضافه إليه المقدونيون، من قلاع وقصور يتوسَّطها هيكل تتابعت على تعظيمه أيدي البنائين والمهندسين من ساميين ومقدونيين يتسارعون جميعًا إلى تخليد ذكرى أمجادهم -الصادقة والكاذبة معًا-، بالكتابات والنقوش الأثرية التي أخنى الدهر على كثير منها، وبقي إلى اليوم بين أنقاضها ما يدل قليله على كثيره، وباقيه على بائده.

ويقول الأثري المعروف (فرنز كومون) في كتابٍ ألفه في وصف ما اكتُشف حتى الآن من آثار الدُّار: إن الكتابات الأثرية التي وجدت في أنقاضها تدلُّ على أن نزاعًا عظيمًا كان قائمًا في تلك المدينة، وفيما حولها بين مدنيّة الساميين ومدنيّة المقدونيين.

(والمعروف في التاريخ أن الشرق والغرب في زمن الإسكندر وخلفائه كانا في مثل موقفنا اليوم من أوربا)، فكان المقدونيون يُلحّون في غزو حضارتنا، وكانت حضارتنا ثابتة تُجاهها كالفولاذ، محتفظة بكيانها، ومدافعة عن ثمرة مساعيها في الأجيال الطوال، وكانت النتيجة اعتراف الحضارة المقدونية بالعجز عن إزالة الحضارة الساميّة، والتصرُّف في النفس العربية، فنشأت في مدينة الدُّار حضارة أخرى ذات صبغة مستقلة لا هي كالآثورية القديمة تمامًا، ولا هي بمقدونية محضة. ذلك ما دلّت عليه النقوش والكتابات المكتشفة هناك، وبقايا الفنون والآثار التي ظهرت من تحت الأنقاض.

وزال الحكم المقدوني باستيلاء الرومانيين على مصر والشام، فكانت الدُّار ثابتة على عهدها في مقاومة الحكم الأجنبي، مستندة إلى ركن قويّ، وهو روح جزيرة العرب التي من عادتها أن ترمي بنفسها في أحضان من يبرهن على

استعداده لقيادتها من أبنائها، بينما هي لا تطيق تحكم الأجنبي فيها ولو جاءها بالنعيم القيم.

فلما طال أمر العداء الذي يتوارثه أهل الدُّار بطنًا بعد بطن للمقدونيين ثم الرومانيين، يئس الرومانيون من البقاء بين فكّي الأسَد، فاكتفوا بأن تكون قناة الفرات الواصلة إلى ساحل البحر الأبيض، حاملة صادرات التجارة ووارداتها بين الشام والعراق إلى فارس والهند. لكن زوال سلطان الأجانب السياسي عن الدُّار جعل الراية الرومانية التي تخفق على المراكب الشراعية في قناتها إلى الفرات غير مرغوب فيها من سكان البلاد العربية، لاسيما عندما تقع اختلافات عادية يبدي فيها أتباع الحكومة الرومانية غطرسة، تأبى النفسُ العربية أن تطيقها، زد على ذلك أن الرومانيين والفرس كانوا في موقف غير محمود بسبب إصرار الرومانيين على البقاء هنالك وفي العراق.

ولما طال الأمدُ على هذه الحال؛ فكّر الرومانيون بإنشاء طريق برية بين الشام والعراق وما وراءها من بلاد الشرق، وكانت (تدمر) بعيدة عن قلب بلاد العرب وأهلُها مضطرون -بسبب مركزهم الجغرافي- إلى محاسنة الرومانيين، فزاد الرومانيون في محاسنتهم، واتفقوا معهم على أن تكون بلدتهم على الطريق بين دمشق والعراق. ومن ذلك الحين صار لتدمر مكانة تجارية، جاءتها بالثروة، وساعدتها على التبسط في الحضارة.

وكان الفُرس في القرن الثاني بعد الميلاد يرون أنهم في العراق والبلاد القريبة من العراق في حكم الخلفاء للآثوريين، فحاولوا استلحاق الدُّار، وأبى عليهم أهلها العرب، فاستمر النزاع نحو مائتي سنة بين هذه الطائفة العربية القليلة، وبين الدولة الفارسية، وكانت الدولة الفارسية في هذه المدة الطويلة قد تبين لها استحالة حكم العراق العربي كما تحكم البلاد الفارسية المحضة، فكفت عن

أساليب القسوة التي كانت تستعملها، ورضيت لنفسها بالسيادة فقط، وأباحت للبلاد أن تحكم نفسها بالأساليب التي ترتاح إليها، فلما رأت الدُّار منهج الفرس الجديد في البلاد العراقية لم تجد على نفسها من غضاضة بالتخلي عن مقاومة الفرس الذين كانت الدُّار أبعد من مركز سلطانهم من العراق، فدخلت في القرن الرابع الميلادي تحت سلطانهم اسمًا وظلت مستقلةً في الحقيقة؛ بل كان استقلالها أجلي وأظهر مع توالي الزمن، إلى أن أتمَّ اللَّه على العرب وحدتهم الشاملة واستقلالهم الأعظم تحت راية «التوحيد» في جميع الأوطان السامية.

ترجع العظمة التاريخية التي اكتسبتها مدينة (الدُّار) إلى سببين لا ثالث لهما:

١- القناة التي كانت تمرُّ بها.

٢- وجودها في نقطة متوسطة بين دول متعدّدة.

أما القناة التي لا تزال آثارها باقية إلى اليوم، فكانت انقطعت عن مجراها بين الفرات والبحر الأبيض من قَبْل الإسلام بعهد طويل، ولا ريب أن تحوّل الطريق التجارية عن (الدُّار) إلى (تدمر) كان من أسباب انقطاع تلك القناة، وانسداد فوهتها على ضفة الفرات، هذا إذا لم يكن سدّها لسبب حربي دعا العرب إليه منع زحف الرومانيين عليهم بالمراكب، فذهب ذلك بشطر عظيم من أسباب عظمة الدُّار.

ثم إن زوال الدولتين الفارسية والرومانية من الوجود بالفتح العربي الأعظم على أثر (التوحيد)، قد انعدم به التنافس الدولي الذي كان يجعل لهذا المركز الحربي أهمية استثنائية، وهذا سبب آخر من أسباب تناسي البشر لهذه المدينة.

وبعد؛ فإن الآثار التي انجلى عنها البحثُ والتنقيب الآن في (الصالحية) على ضفة الفرات بين طرابلس الشام والبصرة تدل على أن مدينة الدُّار التي كانت

قائمة هناك، كانت المسرح الأول من مسارح الصراع بين الشرق والغرب لا من الوجهتين الحربية والسياسية فقط؛ بل من وجهة الصراع بين الحضارتين أيضًا، وتعدُّ الدَّار حلقة من الحلقات الأولى في سلسلة أدوار المسألة الشرقية، وأن الآثار الفنية التي ظهرت في صالحية الفرات ذات بال في تاريخ علاقات الشرق بالغرب، ومع ذلك فإن ما ظهر حتى الآن من آثارها، ليس كل ما ينتظر إخراجه من تحت الأنقاض، ولعل التنقيب المستمرّ سينير هذه الصفحة من تاريخ تلك البقعة العربية، ويكشف لنا عن حقائق أخرى من تاريخنا القديم الذي خبأه الدهر في ثنايا مختلفة الأنحاء[١].

محبّ الدّين الخطيب

كتبي يُفحم شاعرًا

من عادة الشاعر الإنكليزي كيلينغ أن يدخل حوانيت الكتب المستعملة، ويقف ساعة أو ساعتين يقلب صفحاتها، ويختار شيئًا منها، ويُقال عنه أنه انتخب مرة كتابًا مستعملًا، وقبل أن يشتريه سأل البائع:

- هل تظن هذا الكتاب مفيدًا؟

فأجابه الكتبي: لا أعلم، لأني لم أقرأه.

الشاعر: إني أعجب كيف تبيع كتابًا لم تقرأه قط.

---

(١) المسلمون في غنية عن مثل هذا التنقيب عن الآثار، الذي يصرفهم عن دينهم إلى قومية جية ما أنزل اللَّه بها من سلطان. (س).

الكتبي: وأنا أعجب لعجبك، وهل لو كنتُ صيدليًّا ينبغي لي أن أذوق كل ما عندي من عقاقيرَ وعلاجاتٍ وسُموم؟

دمعة في فجر...

دمعي كدمعكَ يا صدّاحُ هتّانُ أشاقكَ الإلفُ أم شاقتكَ إخوانُ

فما لجنحيكَ خفّاقين من حَزَنٍ وقد عهدتكَ لا تشجيكَ أحزانُ

فهل أصابك سهم العِين أم نزلت بساحة الروضِ أتراح وأشجانُ

فرُحتَ تُذري دموع العين من شَجنٍ شبَّت له في حنايا النفس نيرانُ

هي الحوادثُ ما ترعى أخا ذممٍ ولا يدومُ على وُدٍّ لها شانُ

فكم رمى الدَّهرُ من قلبٍ بأسهمه حتى جرت بدماءِ القلب أجفانُ

يا بلبلَ الروض هل تأسُو الجراح بنا في الروض منك أناشيدٌ وألحانُ

إن عزَّ في العالم الإخلاصُ نَنْشُدُه فأنت للصِّدق والإخلاصِ عنوانُ

فصفْ لقومي دواءً تستردُّ به مجدَ العروبةِ والإسلامِ أوطانُ

أناخَ صَرفُ الرَّدَى فيها بكلكلِه حتَّى فَشَا منهُ في الآفاقِ طغيانُ

فلا الحياة حياةٌ في جنائنها وقد ذَوَى بالأسى آسٌ وريحانُ

ولا الهناءُ هناءٌ في مراتعها وقد نَأتْ عنهُ آسادٌ وغزلانُ

ولا العيونُ، عيونُ الغيدِ، بارقةً وقد أغاضَ رُواءَ العَيْن تهتانُ

أين الربوعُ وقد كانت خمائلُها تضوعُ مسكًا، وأين المسك والبانُ؟

و صوّحَ اليومَ فيها النَّبتُ واندرستْ فيها دَعائم قد عزَّتْ وأركانُ

وأصبحَ الرَّبع نهبًا بعدَ منعتهِ تلقى صنوفَ الرزايا فيهِ سُكانُ

إذْ ينعقُ البومُ فيه غيرَ ذي جَزَعٍ وفي الغياضِ شواهينٌ وغربانُ
تجاوبَ الريحُ، والإصدارُ تُرجِعُها رَجْعَ الأنين، فتبكي فيه مَنْ كانوا

❊ ❊ ❊

في جبهةِ الدَّهرِ كنَّا أنجُمًا سَطَعتْ ونحنُ للكونِ أقمارٌ وتيجانُ
على الليالي كرامًا، لا تُذلّلنا صُروفُها، ولها للعُربِ إذعانُ
كانتْ لدولتنا تعنُو جبابرة دانت لها في الوغى بيضٌ ومُرَّانُ
فما لنا بعدَ ذاكَ العزِّ يجرُفُنا سيْلُ الهوانِ، فلا عزٌّ ولا شانُ؟

❊ ❊ ❊

يا هبَّةَ العربِ للثارات تطلُبُها دِينوا العُداةَ، كما أوطانكم دانوا
هي البلادُ جُموعُ المخلصينَ لها في نصرةِ الحَقِّ أجنادٌ وأعوانُ
في حَوْمةِ المجدِ صُولوا، فالحياة لِمَنْ يلقى صروفَ الليالي وهو يقظانُ

«س. الزركلي»

العرب والكرة الأرضية

كانت الكرات الأرضية والسماوية كثيرة التداول بين أيدي أجدادنا(١)، بحيث كانوا يتهادونها كما نتهادى نحن الكتب وأمثالها، وفي ديوان ابن مطروح أن ذلك الشاعر أهدى إلى صديق له كرة أرضية وأسطرلابًا لمحيط السماء، وكتب إليه:

كرَةَ الأرض مع محيط السماءْ لكَ أهديتُ يا كريم الإخاءْ
وإذا ما قبلتَها فلكَ المنَّـ ـة عندي يا أكرمَ الكرماءْ

---

(١) انظر مجلة الزهراء (٢/ ٣٨٥ و٤٤٩ و٥٥١).

وابن مطروح ولد في أسيوط سنة ٥٩٢ هجرية، ونشأ بقوص من بلاد الصعيد، وتوفي بالقاهرة سنة ٦٤٩هـ، ودُفن بسفح المقطم.

الشاعر

إلى شاعر تونس السيد سعيد أبي بكر

أبا بكر نظمتَ وما مدَحْتا   فها أنا ذا أقرّظ ما نظمتا
وما التقريظ إلا الشكر يُهدى   على ما صُغتَ من أدب وصنتا
ولستُ أقول: ذا درٌّ نضيد   لأنك ما التقطتَ ولا نضدْتا
ولستُ أقول: ذا زهرٌ شذيٌّ   لأنك ما غرستَ ولا قطفتا
ولستُ أقول: راحٌ في زجاج   لأنك ما عصرت ولا سبكتا
وقد لهجوا بقولهم «بديع»   «بليغ» «فائق» حتى سئمتا

أبا بكر أرى شعرًا عبوسًا   فأذكرُ سيف بِشر والسّبَنْتى
وأقرأ تارة شعرًا وضيئًا   أتنحتُه من الجوزاء نحتا
تجاهد في سبيل يبتغيها   غريبٌ غاشم عِوَجًا وأمْتا
تكافحه، وقد طفحت يداه   بعسف يملأ الأفواهَ صمتا
وليس الشعر بالصّمْصام يلوي   ذراعي من يصبُّ الهونَ بحتا
بل الشعر الحيكم ثقاف سُمر   تسميها القلوب إذا نطقتا
شعورٌ فائتلاف فاتحاد   فعزمٌ يسحتُ الإرهاق سَحتا

أبا بكر أُعيذك من خيال يروغ عن الهدى ويحوك بيتا
وفي الشعراء من ضاقت خُطاه وفاتته الحقائقُ وهي شتّى
فراح يخال لَهْوَ القول جدًا وينفث في مكان الرُّشد بُهتا
وشعر العربِ ذو نُظُم، فرفقًا بها إن شئت رِفقًا واستطعتا
لعل الذوق لا يسلو نظاما تزحزح عنه بعض القول بغتا
وكان قريض تونس في صفاء وإبداع يضاهي الشهبَ نعتا
ولاقَى من صروف الدهر عَسفًا فَنضّب ماؤه واغبرَّ نبتا
أيُزهى بلبلٌ في كفّ فظٍّ يُمِضُّ البلبلَ الغرّيد مَقتا
وما هو كالطليق يَميسُ تيهًا ويشدو فوق أملودٍ تَمتّى

❁ ❁ ❁

أبا بكر أخذتَ تُعيد ذكرا هَوى، فابغ الأناة إليه سَمتا
وخلّ البختَ يسعى للكسالى وسمّ الحزمَ والإقدامَ بَختا

محمد الخضر حسين

مكتبة الجمعية الجغرافية بلندن

للجمعية الجغرافية في لندن خزانة كتب عظيمة تحتوي على ستين ألف مجلد، وفيها خريطة من القرون الوسطى رسمت سنة ١٢٧٥م (٦٧٤هـ)، وخرائط أخرى من القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلادي، وخرائط قديمة للبحر الأحمر وشواطئ جزيرة العرب، ومن مقتنياتها أسلحة وأشياء لأمين باشا، والرحالتين صموئيل بيكر وستالني، اللذين جابا أصقاع إفريقية.

* كانت الكتابة عند قدماء المصريين من أسمى الصناعات، وكانوا يعفون صاحبها من الضرائب.

صفة أهل الأندلس في القرن الثامن الهجري

قال الوزير الأندلسي لسان الدين بن الخطيب في كتابه «اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية»:

أحوال أهل هذا القطر في الدين وصلاح العقائد أحوالٌ سنّية، والأهواء والنِحَل فيهم معدومة، ومذاهبهم على مذهب مالك بن أنس إمام دار الهجرة جارية، وطاعتهم للأمراء مُحكمة، وأخلاقهم في احتمال المعاون الجبائية جميلة، وصوَرهم حسنة: معتدلة أنفوهم، بيضٌ ألوانهم مسودّة غالبًا شعورهم، متوسّطة قدودهم، فصيحة ألسنتهم، عَرَبية لغاتهم يتخلّلها عُرف كثير وتغلب عليها الإمالة، وأخلاقهم أبيّة في معاني المنازعات، وأنسابهم عربية، وفيهم من البربر والمهاجرة كثير.

ولباسُهم الغالب على طبقاتهم الفاشي بينهم المَلْفُ المصبغ شتاءً[1]، تتفاضلُ أجناس البِزَز منه بتفاضل الجِدات والمقادير. والكَتّانُ والحريرُ والقطن والمرْعِزّي، والأرديةُ الإفريقيَّة، والمقاطع التونسية، والمآزر المشفوعة صيفًا، فتُبصرهم في المساجد أيّام الجُمَع كأنهم الأزهارُ المفتَّحة في البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة.

---

(١) الملف: الجوخ المنسوج من الصوف.

وجُندهم صنفان: أندلسيٌّ وبربريّ.

الأندلسي منه يقوده رئيس من القرابة أو أحظِياء الدولة، وزيُّهم في القديم شبيه بزي جيرانهم وأمثالهم من الروم، في إسباغ الدروع وتعليق الترسة وجفاء البيضات، واتخاذ عراض الأسنّة، وبشاعة قرابيس السروج، واستركاب حَمَلة الرايات خلفهم: كلٌّ منهم بسِمَة تخصّ سلاحه، وشهرة يُعرف بها، ثم عدلوا الآن عن هذا الزيّ إلى الجواشن المختصرة، والبيضات المذهبة والسروج العربية، واليَلب اللَمْطيَّة، والأسل اللطيفة.

والبربري منه ترجع قبائله المرينية والزّيانية والتجانية والعجيسية والعرب المغربية إلى أقطاب ورؤوس، يرجع أمرهم إلى رئيس على رؤسائهم، وقطب لعُرَفائهم من كبار القبائل المرينية، يمتُّ إلى ملك المغرب بنسب.

والعمائم تقلّ في زي أهل هذه الحضرة، إلا ما شذَّ في شيوخهم وقضاتهم وعلمائهم والجندِ الغربيّ منهم.

وسلاح جمهورهم العصيُّ الطويلة المثنّاة بعصي صِغار ذات عرَى في أوساطها، تُدفع بالأنامل عند قذفها، تسمَّى بالأمداس. وقسيّ الفرنجة يُحملون على التدرّب بها على الأيام.

ومبانيهم متوسّطة، وأعيادهم حسنة مائلة إلى الاقتصاد، والغناء بمدينتهم فاشٍ حتى بالدكاكين التي تجمع كثيرًا من الأحداث.

وقوتهم الغالب: البُرُّ الطيّب عامة، وربما اقتات في فصل الشتاء الضعفةُ والفعلة الذرةَ العذبة، أمثلَ أصناف القطاني[1] الطيّبة، وفواكههم رَغْدة، والعنب

---

(١) القطاني: جمع قطنية، وهي ما يُدخر في البيت من الحبوب.

بحر لإنافة كرومه التي ينالها الخرجُ على أربعة عشر ألفًا لهذا العهد، وفواكههم اليابسة عامَّة العام متعددة: يدّخرون العنب سليمًا من الفساد إلى ثلثي العام، إلى غيره من التين، والزبيب والتفّاح والرمّان والقسطل والبلّوط والجوز واللوز، إلى غير ذلك مما لا ينقطع مَدَدُه إلا بفصل يزهد في استعماله.

وصَرْفهم فضة خالصة، وذهب إبريز، طيب محفوظ، لا تفضل سكتَهم سكة.

وعادة أهل هذه المدينة الانتقال إلى حِلال العصير أوان إدراكه بما تشتمل عليه دورهم، والبروز إلى الفُحوص[1] بأولادهم وعيالهم، معوّلين على شهامتهم وأسلحتهم على كثب عدوّهم، واتصال أبصارهم بحدود أرضه.

وحليهم في القلائد والدمالج والخلاخيل والشنوفِ الذهبُ الخالص إلى هذا العهد في ألي الجِدة، واللُجَينُ في كثير من آلات الرجلين فيمن عداهم.

والأحجار النفيسة من الياقوت والزبرجد والزمرّد ونفيس الجوهر كثيرٌ فيمن ترفّع من طبقاتهم، المستندة إلى ظلّ دولة أو أعرق أصالة موفورة.

وحريمهم حريمٌ جميل: موصوف باعتدال السِمَن، وتنعّم الجسوم، واسترسال الشعور، ونقاء الثغور، وطيب الشذا، وخفّة الحركات، ونُبل الكلام، وحُسن المحاورة، إلا أن الطولَ ينذُر فيهنّ. وقد بلغن من التفنّن في الزينة لهذا العهد، والمظاهرة بين المصبغات، والتنافس في الذهبيات والديباجيات، والتماجن في أشكال الحلي إلى غاية بعيدة.

---

(١) المزارع التي على الحدود.

نسمة أزهار الأندلس

بعث أحمد شوقي بهذين البيتين مع داود بك بركات إلى إسماعيل صبري باشا يسأله رأيه فيهما وهما:

يا ساريَ البرق يرمي عن جوانحنا   بعد الهدوء، ويرمي عن مآقينا
ترقرق الماءُ في دمع السماء دمًا   غاضَ الأسى فخضبنا الأرض باكينا

❀ ❀ ❀

فأجاب إسماعيل صبري باشا:

بأفق أندَلُسٍ برقٌ يُحَيِّينا   يبيت يضحك منّا وهو يُبكينا
يا وامضَ البرق كم نبَّهتَ من شَجَنٍ   في أضلُعٍ ذهلتْ عن دائها حِينا
فالماءُ من مُقَل، والنار من مُهجٍ   قد حار بينهما أمرُ المحبّينا
لولا تذكُّر أيام لنا سَلَفت   ما بات يبكي دمًا في الحيّ باكينا
فَهل تبيَّنتَ في أطلالِ قُرطُبةٍ   في دار ولّادة معَ ابن زيدونا
ألقوا خَطِيئاتهم في حجر هيكلهم   واستعبروا، ثم عادوا غير خاطينا

❀ ❀ ❀

يا آل وُدّيَ عودوا، لا عَدِمتكمُ   وشاهدوا ويحكم فعلَ النوَى فينا
يا نسمةً ضَمَّخَتْ أذيالَها سَحَرًا   أزهارُ أندَلُسٍ هُبّي بِوادينا

❀ ❀ ❀

الغزالي في دور انتقاله من العلم إلى الزهد

قال القاضي أبو بكر بن العربيّ:

لقيت أبا حامد وهو يطوف وعليه مرقّعة، فقلت:

يا شيخ، العلم والتدريس أولى لك من هذا، إذ بك يُقتدَى، وبحُكمك إلى معالم المعارف يُهتدى.

فقال: هيهات؛ لما طلع قمرُ السعادة، في فلك الإرادة؛ أشرقت شموس الوصول، على مصابيح الأصول؛ فتبيّن الخالق لأرباب الألباب وذوي البصائر، إذ كلٌّ لما طُبع عليه راجعٌ وصائر.

وأنشد:

تركتُ هوى ليلى ولبْنى بمعزِلِ ... وصرتُ إلى مصحوب أوّل مَنزِلِ
ونادتنيَ الأكوان: مهلاً فهذه ... منازلُ من تهوى رُويدَك فانزِلِ
فعرّستُ في دار الندى بعزيمة ... قلوبُ ذوي التعريف عنها بمعزلِ
غزلتُ لهم غزلًا دقيقًا، فلم أجد ... لغزليَ نساجًا، فكسّرت مِغزَلي

القائمون لله بالحجة
نفثةٌ من نفثات عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه

قال كُمَيل بن زياد النَّخَعي صاحبُ سرّ عليّ:

أخذ عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه بيدي، وأخرجني إلى ناحية الجبّان. فلما أصْحر، جعل يتنفس الصُّعَداء، ثم قال:

يا كُمَيل، القلوب أوعية، فخيرها أوعاها، احفظ عني ما أقول:

الناس ثلاثة: فعالِمٌ ربّانيّ. ومتعلّم على سبيل النجاة، وهَمَجٌ رَعاعٌ، أتباعُ كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجَأوا إلى ركن وَثيق.

العلم خيرٌ من المال.

العلم يحرسك وأنت تحرسُ المال.

العلم يزكو على الإنفاق، والمال تنقصه النفقة.

العلم حاكمٌ والمال محكومٌ عليه، ومحبة العلم دِينٌ يُدان به.

العلم يكسبُ العالمَ الطاعةَ في حياته، وجميلَ الأُحدوثة بعد وفاته، وصنيعةُ المال تزول بزواله.

مات خُزّان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر: أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة.

آه إنّ هاهنا علمًا جمًّا (وأشار بيده إلى صدره)، لو أصبتُ له حَمَلَة. بلى، أصبتُ لَقِنًا غير مأمونٍ عليه: يستعمل آلةَ الدين للدنيا، يستظهر بحُجَج اللّه على كتابه، وبنِعَمه على عباده، أو منقادًا لأهل الحقّ لا بَصيرة له في أحنائه، ينقدح الشكُّ في قلبه بأوّل عارض من شبهة، لا ذا ولا ذاك أو منهومًا باللذات، سَلِسَ القياد للشهوات؛ أو مغرَىً بجمع الأموال والادّخار، ليسا من دُعاة الدين، أقربُ شبَهًا بهما الأنعام السائمة، كذلك يموت العلم بموت حامليه.

اللهم بلى، لن تخلوَ الأرض من قائم لله بحجّة، لكيلا تتعطّل حُجج اللّه وبيّناته، أولئك الأقلون عددًا، الأعظمون عند اللّه قدرًا، بهم يدفع اللّه عن حُججه حتى يؤدوها إلى نُظرائهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم

العلم على حقيقة الأمر، فاستلانوا ما استوعر منه المترَفون، وأنِسوا بما استوحش منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحها معلقة بالملأ الأعلى، أولئك خلفاء اللَّه في أرضه ودُعاته إلى دينه.

هاه هاه، شوقًا إلى رؤيتهم، وأستغفر اللَّه لي ولك. إذا شئت فقم.

ذكره أبو نعيم في «الحلية» وغيره، قال أبو بكر الخطيب: هذا حديث حسن من أحسن الأحاديث معنى وأشرفها لفظًا، وانظر تفسير هذه المقالة الشريفة بقلم العلامة شمس الدين بن القيم في كتابه «مفتاح دار السعادة»[(١)].

---

(١) (١/ ١٢٣ - ١٢٤). (س).

الحديقة

مجموعة أدب بارع، وحكمة بليغة

الجزء السادس

انتقاها

الكاتب الإسلامي الكبير

محب الدين الخطيب رحمه الله

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك الحق، والصلاة والسلام على محمدٍ خير الخلق.

وبعد؛ فقد كتب إليّ صديق في العراق يسألني:

لماذا لم تعنَ حكومات البلاد العربية بوضع أجزاء (الحديقة) بين ايدى طلبة المدارس الابتدائية والثانوية، وهي من أنزه الكتب عن منكر القول في لفظها ومعناها ومرامها؟

فأجبت: لأني لم أسع لذالك قط؛ وقد يكون لرجالها رأى آخر في الحديقة غير رأيي ورأيك.

وفضلاً عن ذالك فإن الحديقة لقيت من رضي الشعوب العربية عنها ما فيه الكفاية والغناء، ولعل طلبة المدارس الابتدائية والثانوية يترقبون أجزاء الحديقة وتتداولها أيديهم بلذة وإقبال، لا أطمع بمثلهما لو كان هذا الكتاب مما يُحمَلون على اقتنائه حملاً.

وهذا هو السر في اعتزامي الاستمرار على إصدارها إلى ما شاء اللّه وهو المعين.

محب الدين الخطيب

القاهرة: سلخ شوال، ١٣٤٦

كلمات الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه

* اعمل كأنك تُرى، واعدد نفسك في الموتى.
* العجز عن درك الإدراك إدراك.
* الصدق أمانة، والكذب خيانة.
* الإمام قدوة: يعمل الناس بعمله في نفسه.
* انظر ما تقول، ومتى تقول.
* إن اللَّه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة.
* بادروا في مهل آجالكم، قبل أن تنقطع أمالكم.
* أولى الناس بالله أشدهم توليًا له.
* لكل نفس شهوة: إذا أعطيتها تمادت فيها ورغبت إليها.
* اللَّه يرى من باطنك ومن ظاهرك.
* إن عليك من اللَّه عيونًا تراك.
* إن اللَّه قرن وعده بوعيده ليكون العبد راغبًا راهبًا.
* اهدم الكفر بعضه ببعض.
* إياكم واتباع الهوى، فقد أفلح من عُصم منه، ومن الطمع والغضب.
* ثلاث من كن فيه كن عليه: البغي والنكث والمكر.
* رحم اللَّه امرءًا أعان أخاه بنفسه، وأشركه في دعائه.
* حُق لميزان يوضع فيه الحق أن يكون ثقيلا، وحُق لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفًا.

* سارعوا فيما وعدكم اللّه من رحمته.

* كنا ندع سبعين بابًا من الحلال مخافة أن نقع في الحرام.

* كثير القول ينسي بعضه بعضًا.

* لا توعدن بعقوبة أكثر من معصية: فإنك أن فعلت أثمت، وإن تركت كذبت.

* الكيس التقى، وأحمق الحمق الفجور.

* أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق، وأقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه.

* إنما أنا متبع، ولست بمبتدع، فان أحسنت فأعيوني، وان زغت فسدُوني.

* إني وليت أمركم ولست بخيركم، ولكنه نزل القرآن وسن النبي ﷺ، وعلمنا فعلمنا.

* صنائع المعروف تقي مصارع السوء.

* احرص على الموت توهب لك الحياة.

* الموت أهون ما قبله، وأشد ما بعده.

* لما بلغه أن الفرس ملكت عليها بنت أبرويز قال: ذل قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة.

* أتدرون أي ذنب أسرع عقوبة: البغي وقطيعة الرحم.

* اتقوا دعوة المظلوم.

* أحسِن صحبة من صحبك، وليكونوا عندك في الحق سواء.

* إذا كان المال عند من لا ينفقه، والسلاح عند من لا يستعمله، والرأي عند من لا يُقبل منه، فقد ضاعت الأمور.

* فاتك خيرٌ فأدركه، وإذا أدركك شرٌ فاسبقه.

* إذا استشرتَ فاصدق الخبر تصدق المشاورة.

* إذا بلغك من عدوك عورة فاكتمها حتى توافيها.

* أربعٌ من كن فيه كان من خيار عباد الله: من فرح للتائب، واستغر للمذنب، ودعا للمدبِر، وأعان المحسن.

* اسمر في عسكرك تأتك الأخبار.

* استدم الأمن.

* أصلح نفسك يصلح لك الناس.

* اصبروا، فان العمل كله بالصبر.

* أصدِق اللقاء إذا لقيت، ولا تجبن فيجبن الناس.

* لا يكونن قولك لغوًا في عفو ولا عقوبة، فلا تُرجى إذا آمنت، ولا تخاف إذا خُوفت.

* لا تلجن في عقوبة، فإن أدناها وجيع، ولا تسرع إليها وأنت تكتفي بدونها.

* لا تجعل وعيدك ضجاجًا في كل شي.

* لا تجعل سرك مع علانيتك، فيمرح أمرك.

* لأتكتم المستشار خبرًا فتؤتى من قبل نفسك.

* لا تمارِ جارك، فإنه يبقى ويذهب الناس.

* ليس خيرٌ بعده النار بخير، ولا شرٌ بعده الجنة بشر.

* ليس مع العزاء مصيبة، ولا مع الجزع فائدة.

* ما من طامة إلا وفوقها طامة.

* من يُطع اللّه ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى وضل ضلالاً بعيدًا.

* يا طائر، تقع على الشجر، تأكل من الثمر، ولا تدرى ما الخبر.

* ليس فيما دون الصدق من الحديث خبر.

* من يكذب يفجر، ومن يفجر يهلك.

* إياكم والفخر، وما فخر من خُلق من التراب، والى التراب يعود!.

* ليكن الإبرام بعد التشاور، والصفقة بعد طول التناظر.

* لكل أمرٍ جوامع، فمن بلغها فهي حسبه.

* عليكم بالجدّ والقصد، فإن القصد أبلغ.

* إنما لك ما وعى منك.

* من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد اللّه فإن اللّه حي لا يموت.

* هذا كتاب اللّه فيكم لا يُطفأ نوره، ولا تنقضي عجائبه، فاستضيئوا بنوره، وانتصحوا كتابه، واستبصروا فيه ليوم الظلمة.

* النجاء النجاء، فان وراءكم طالبًا، حثيثًا أمره، سريعًا سيره (يعنى الموت).

* ادفنوني في ثوبيّ هذين، فإنما هما للمُهل والتراب.

عبد الرحمن الداخل

خَل نفسَ الحر تصلَى النُوَبا لا تُبالي
ليست الأخطارُ إلا سببًا للمعالي

❀ ❀ ❀

يا مُكبًا بين ظبيٍ أدعجا ومَهاةِ
إنما الهمَّةُ في حِجرِ الحجى كالنباتِ
أفلا تذبُل إذ تقضي الدُجى في سُباتِ
فإذا بتَّ تُجارِي الكوكبا في مَجالِ
كنتَ كالضرغام يمشى الهيدَبا للنزالِ

❀ ❀ ❀

ما لهذي السَّمهريَاتِ فَخارٌ في الحِرابْ
غيرُ عزمٍ هزَّه حامى الذِّمار بالتهابْ
أتُرى الرامحَ ذا قلب يغار فيُهابْ
جرَّ في الآفاق رمحًا سَهليا باختيالِ
وهو كالأعْزَل لا يلقى الظبا والعوالى(١)

❀ ❀ ❀

رُبَّ كِنٍ لا نُسميه عَرينًا في البيانْ

---

(١) الرامح والأعزل: نجمان، يسمى أحدهما: السماك الرامح، والآخر: السماك الأعزل.

والذي يحميه لا يلوي جَبينًا عن طعانْ

يحطم الطاغي لا يبقى مَهينا في هوانْ

وهِزَبْرُ الغاب يغدو خببًا في الدِغَالِ

عضهُ الجوعُ فمدّ المِخْلَبَا لاغتيالِ

❁ ❁ ❁

عاشِقَ العلياء خُض في لججٍ من رماحْ

وترشف من عصير المُهجِ لا جُناحْ

يضحك الملكُ بثغر بهجٍ كالصباحْ

إن نكى الخصمَ فماجوا هَربًا كالثعالى[1]

وابتغاء السلم من باني الزبى كالمحالِ

❁ ❁ ❁

خاطرُ اليأس لدى باغي العُلى غير سائغْ

إن توخّى عبقريٌ أمَلاً فهو بالغْ

وحياة الصقر أرقى مثلاً للنوابغْ[2]

إذ بدا في (دير حقا) وشبا كالهلالِ

---

(١) جمع ثعالة: وهي أنثى الثعلب.

(٢) **الصقر**: عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، ولد في دير حقا بالشام سنة ١١٣، وشهد سنة ١٣٢ المعركة التي فقد فيها الأمويون ملكهم على أيدي بني عمومتهم العباسيين، فبلغ به علو الهمة إلى إنشاء مُلك جديد لبني أمية في الأندلس، فلقبه خصمه أبو جعفر المنصور بلقب: «صقر قريش».

وليالي الشام في عهد الصِبا كاللآلي

❁ ❁ ❁

ذاق في الخامس من عقد سنيهِ مَضَضا

والردَى سيفٌ -كرأي ابن أبيه- منتضى[(١)]

أرهفَ الحدّ وأودى بأبيه حرَضا

هل ذوتْ زهرتُه حتى هبا في كلالِ

إن في نفسٍ تسامتْ حَسَبا خَيرَ والِ

❁ ❁ ❁

أبصر الجَدُّ به روحَ الهمامِ باديا[(٢)]

كالشذا ينبئ عن زهر الكمام هاديا

وتريك الشمسُ في قوس الغمام ماهيا

حفّه عطفا كما تسرى الصَّبا باعتدالِ

ويدٌ ظلت تحابي الأنجَبا لم تُغالِ

❁ ❁ ❁

ضربَ الخطبُ على المُلْك الأثيلِ مُحْدِقا[(٣)]

كم دها السفاحُ من حُرّ نبيلٍ مُرهقا

وجرى المنصورُ في هذا السبيل موبقا

---

(١) ابن أبيه: زياد، أحد دهاة العرب.

(٢) الجد هشام بن عبد الملك عاشر خلفاء بني أمية، وقد ترعرع عبد الرحمن في صولته، وتربى في ظل حزمه ونعمته.

(٣) الملك الأثيل: الدولة الأموية.

ذهبت عصبته أيدي سبا في نَكالِ
وتَداعى عرشهُ مُنتحبًا للزوالِ

❁ ❁ ❁

حدَّق الصقر برأيٍ لا عجلْ لاحَسيرْ
وانبرى يطوي الفلا يطوي الأملْ في الضميرْ
ككَميّ فرّ من وقع الأسَلْ ليُغيرْ
عميتْ عنه عيونُ الرقبا والموالي
راح كالشمس تؤمّ المغربا بارتحالِ

❁ ❁ ❁

جمرةُ الأضغان في ذالك الوطن لافحهْ[1]
كم قلوب بتباريح الإحَنْ طافحهْ
فُرْصةٌ ظلّتْ على وجه الزمنْ سانحهْ
إنما الفرصة تدني الإربا بارتجالِ
والفتى يرقبها محتسبًا لليالى

❁ ❁ ❁

نفضَ البردَين من نَقع السفرْ في (مَليلهْ)
مالهُ جند سوى الرأي الأغرّ والفضيلهْ
بث لسنًا نفثتْ نفثَ السحر في الخميلهْ

---

(١) تلك كانت حال الأندلس لما هبط عبد الرحمن الداخل بلاد المغرب وهو لا يحمل غير حجاه وعزيمته.

دعوةٌ حل لها الشعبُ الحُبا باحتفالِ

يرتجي عزًا وعدلًا ذهبًا في ضلالِ

❊ ❊ ❊

آب (بدرٌ) بفؤادٍ يتألّقْ كالجُمانْ[(١)]

إذ رمى عن قوس داهٍ وتفوّقْ في الرهانْ

ورأى غصنَ الأماني كيف أورق في تدانْ

آن للصَّمْصام أن ينتصبا للصقالِ

ولغالي الدم أن ينسكبا بابتذالِ

❊ ❊ ❊

نهض الصقر ولا صيدَ سوى تاج ملكِ

يتهادى بعد شجوٍ ونوى بين أيكِ

يسبك السيرة في نهج سُوى خيرَ سبك

عبَر البحر اتوى المنكبًا في جلالِ

أقبل الأبعدُ يتلو الأقربا ويُوالي

❊ ❊ ❊

زجَّ بالجند حوالَي قُرطبة في اتّساقِ

وغدا يوسف مما كرَ بهْ في خناقٍ[(٢)]

---

(١) بدر: مولى عبد الرحمن الداخل، وهو نصيره في رحلته من الشام إلى المغرب.

(٢) يوسف: هو ابن عبد الرحمن بن حبيب الفهري، وكان ولي الأمر بالأندلس عند دخول عبد الرحمن.

هو صَبٌّ كيف يلوي الرقبةْ للفراقِ

هاله الخَطبُ غداة اقتَربا للقتالِ

لاذ بالرأي فأكدى وكبا في خيالِ

❁ ❁ ❁

خال ما نمق كيدًا يرشقهْ كسهامِ

لايبيع المجدَ شهمٌ يعشقه بالحُطامِ

لا تسليه فتاةٌ ترمقه بابتسامِ

فأراه الصقرُ برقًا خُلّبا في المقالِ

وأراه الأحوذي القُلَّبا بالفَعالِ

❁ ❁ ❁

هجم الداخلُ في وجه الزعيمْ كائدا

فطوَى ما خَلفَه طيّ الظليمْ شاردا

واقتفى آثارَه الجيش النظيم صائدا

رام غرْناطةَ يبغى مَركبا للنضالِ

أملٌ أبرق حينًا وخَبا كالذُبالِ

❁ ❁ ❁

أغمد السيفَ ومدَّ العنُقا للسلامْ[1]

---

(١) لما حاصر عبد الرحمن مدينة غرناطة، وهي آخر ما التجأ إليه يوسف الفهري، اضطر يوسف إلى طلب الصلح، فصالحه على شروط منها: وضع ابنيه عند عبد الرحمن رهن إخلاصه الدائم.

فأراه الصقرُ عزمًا ذلقا لا ينامْ
أحرَزَ ابنيه ليأبى الرَهقا في الذمامْ
كان في الناس زعيمًا فاحتبا باعتزالِ
لم يُطقْ كالطل صبرًا إذ نبا عن فصالِ

❀ ❀ ❀

تَبَّ ليلٌ شد فيه المئزَرا لانتقامِ[١]
وامتطى رأيًا عقيمًا أغبرا كالجهامِ
ليته ما سَلَّ ذيلا وانبرى في احتدامِ
في مغاني آل هُودٍ وثبا للصيالِ
هز جذع الأمن ألقى الطُنُبا في اختلالِ

❀ ❀ ❀

أرهق ابنيه جَفاة وهفا للرئاسهْ
ما تَحامى أن يكونا هدفًا للسياسهْ
ركبت من قتل هذا سَرفا في الشراهْ
وطوت هذا ليبقى حقبًا في اعتقالِ
سلَّ به إذ فرَّ ماذا ارتكبا من محالِ

❀ ❀ ❀

قذفتْ نارُ الوغى في (مارده) بالشرارِ

---

(١) لم تطل ليوسف حياة الراحة، فنقض العهد عام ١٤١هـ بعشرين ألفا من البربر، فالتحق بطليطلة، إلا أن عبد الرحمن قام له إلى أن جِيئَ إليه برأسه.

أشرع الصقرُ قناة سائدة بانتصارِ
أطلق الفهري رِجلًا جاهدة في الفرارِ
لحق الموتُ به واعَجَبا للنصالِ
تُنهض الحتف إذا ما نشبا في عقالِ

❋ ❋ ❋

بلغ الصقرُ من العزّ أشُدَّه واستوى
لبس الحزمَ لمن صاعر خدَّه والْتوى
هو لولا بأسُه يحرسُ بندَه لانطوَى
سار بالأمّة شوطًا عَجبا في اعتدالِ
لا يُرَى أسرى بها أو أوًّبا في مَلالِ

❋ ❋ ❋

بعث العرفانَ مِن مَرْقَدِهِ في رُواءِ
وَعلت عنقُ الهَدى في عهده كاللواءِ
ردَّت الشركَ مَواضي جِدّه في انزواءِ
نفثتْ في (شرلمانَ) الرَّهَبا كالسعالي
هابها (المنصورُ) يخشى الغلبَا في السجالِ

❋ ❋ ❋

لقي العمرانَ مقصوص الجناحِ خاملا
راشَه فانساب في تلك البطاح جائلا
يضبط الشكوىَ كخصر في وشاح عادلا

يمتطي المنبرَ يلقي خطبًا ذاتَ بالِ
يقدُم الناسَ إمامًا مجتبى بابتهالِ

❊ ❊ ❊

رحم اللَّه الفتى أنضى العتاقْ في العُلى(١)
وغدا إن عُد فرسانُ السباقْ أوّلا
شرب الحكمةَ بالكأس الدِهاقْ عَللا
عزمه كالفجر يفرى الغيهبا في تعالي
فهو جنديٌّ سياسيٌّ ربا في كمالِ

محمد الخضر حسين

❊ ❊ ❊

صناعة الزجاج في الحضارة العربية

١ - في الأندلس (فردوس العرب المفقود)

جاء في كتاب (نفح الطيب. من غصن الأندلس الرطيب):

شادَ مَلكُ طليطلة المأمونُ بن ذي النون حوالَي سنة ٤٦٠ قصرًا عجيبًا وضع في وسطه بحيرة، وصنع في وسط البحيرة قبَّة من زُجاج ملوّن منقوش بالذهب، وجلب الماء على رأس القبة بتدبير أحكمه المهندسون، فكان الماء ينزل من

(١) توفي الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بقرطبة سنة ١٧٢هـ، بعد أن مهد ملك الأندلس لأبنائه، فتوارثه من أعقابه تسعة عشر أميرًا، إلى أن أسقطتهم الثورة العسكرية سنة ٤٢٢هـ.

أعلى القبة على جوانبها محيطًا بها، ويتصل بعضه ببعض، فكانت قبة الزجاج في غلالة مما سكب خلف الزجاج لا يفتر من الجري، والمأمون قاعد فيها لا يمسه من الماء شيء ولا يصله، وتوقَّد فيها الشموع فيُرَى لذلك منظر بديع عجيب.

وبينما هو فيها مع جواريه مرة سمع قائلا يقول:

أتبني بناء الخالدين، وإنما مُقامكَ فيها لو علمت قليلُ
لقد كان في ظل الأراك كفايةٌ لمن كل يوم يقتضيه رحيلُ

فغُمّ وقال:

إنا للّٰه وإنا إليه راجعون، أظن الأجل وافى. فمات بعد شهر

٢ - في بغداد (عاصمة العباسيين)

قال الأستاذ إسماعيل حسين من مقال له:

وصل العرب الى ترصيع الزجاج بالجواهر في عصر الرشيد، وذلك مالم يوفق أحد في هذا العصر إلى تكشف طريقته.

وكانوا يستعملون الزجاج المرن، وقد بقيّ سره مجهولا حتى وقف عليه في العام الماضي أحد العلماء النمساويين، وتوجهتُ إلى دار الآثار العربية، فأراني المرحوم على بك بهجت مديرها مصباحًا من الزجاج صُنع أيام العباسيين، فأخذه مدير أحد المصانع الإيطالية سنة كاملة ليصنع مثاله، فانقضى العام وأتم المصنع صنع المصباح، بَيْدَ أنك إذا شاهدتهما في دار الآثار تدرك الفرق بين دقة الأول في النقش وصنعة الثاني.

إفشاء سر عظيم

إن أحدَّ سلاح يُستأصَل به الشرقيون، وأمضى سيف يُقتل به المسلمون، هو الخمر.

ولقد جرَّدنا هذا السلاح على أهل الجزائر، فأبت شريعتهم الإسلامية أن يتجرعوه، فتضاعف نسلهم، ولو أنهم استقبلونا -كما استقبانا قوم من منافقيهم- بالتهليل والترحيب، وشربوها؛ لأصبحوا أذلاء لنا كتلك القبيلة التي شربت خمرنا وتحملت إذلالنا.

هنري ديكاسترى

بلاغة النبي الكريم شعر منثور

هذه هي البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآيتها، وحسرت العقول دون غايتها.

لم تُصنع، وهي من الإحكام كأنها مصنوعة، ولم يُتكلف لها، وهي على السهولة بعيدة ممنوعة.

ألفاظ النبوة يعمرها قلبٌ متصلٌ بجلال خالقه، ويصقلها لسانٌ نزل عليه القرآن بحقائقه.

محكمة الفصول حتى ليس فيها عروة مفصولة، محذوفة الفضول حتى ليس فيها كلمة مفضولة، وكأنما هي في اختصارها وإفادتها نبضُ قلب يتكلم، وإنما

هي في سموها وإجادتها مظهرٌ من خواطره ﷺ، إن خرجتْ في الموعظة قلتَ أنين من فؤاد مجروح، وان راعت بالحكمة قلتَ صورة إنسانية من الروح؛ في منزع يلين فينفر بالدموع، ويشتدُّ فينزو بالدماء.

وإذا أراك القرآنُ أنه خطاب السماء للأرض، أراك كلامُه ﷺ أنه خطاب الأرض للسماء.

على أنه سواء في سهولة إطماعه، وصعوبة امتناعه.

إن أخذ أبلغ الناس في ناحيته، لم يأخذ بناحيته وإن نظر فيه بلا بصر عاد مبصرا، وإن جرى في معارضته انتهى مُقصرا

مصطفى صادق الرافعي

الآخرة

روت الآنسة ميّ في مقالة نشرتها في «المقتطف» (نوفمبر-١٩٢٧) أن الدكتور يعقوب صروف صاحب «مجلة المقتطف» -الذي يظنه أكثر الناس ماديًا - كان يعتقد بالآخرة (مع أن معظم الذين يتظاهرون بالكفر -ومنهم جميل صدقي الزهاوي- لم يسكروا بهذه الخمرة إلا من قراءة «المقتطف»)، ومما أوردته الآنسة ميّ من كلمات صاحب المقتطف عن الآخرة قوله بعد نقاهته من مرض أشفى منه على الموت: لو عاش الناس كلهم في هذه الدنيا منتظرين الأخرى لانتفى أكثر ما فيها من الشرور والآلام، وانكسرت شوكة الموت.

برامجنا

أرى شَعبًا تحيَّر ناشؤوهُ   فما يجدون من عملٍ قِواما
فلا أسسُ التجارة فيه قرَّت   ولا رُكنُ الصناعة فيه قاما
مَدارس لم تُهيئْهم لكسبٍ   ولم تَبنِ الحياة ولا النظاما

شوقي

من أساطيرنا

تزعمُ العرب أن الهديل فرخٌ كان على عهد نوح، فصاده جارحٌ من جوارح الطير، فليس من حَمامة إلا وهي تبكي عليه، قال أبو وَجْزَة:

فقلت:

تبكي ذاتُ طوقٍ تذكَّرت   هدِيلًا وقد أودَى، وما كان تُبَّعُ

آن لي أن أصحو من غفلتي

كان الكاتب الأمريكي المشهور (دُونْ مركيز) يتردَّد -حين كان يساعد في تحرير جريدة «الصن»- على خانة قريبة من إدارة الجريدة، فدخل الحانة يومًا ورهطًا من أصحابه، وجلسوا إلى المائدة، وطلبوا كؤوسًا من الوسكي، فأتاهم صاحب الحانة بزجاجة من الوسكي الاسكتلندية الفاخرة، وفتحها على المائدة،

فبدرت من (دُونْ مركيز) حركة سقطت لها الزجاجة على الأرض فانكسرت، فقال لصاحب الخانة:

كم ثمنها لأدفعه لك؟

فقال صاحب الخانة:

لا أتقاضى منك ثمنها!

ففكر (دُونْ مركيز) مليًا، ثم قال لصاحب الحانة:

إذا كان ما أحتسيه من الويسكي في حانتك كل يوم كثيرًا إلى حدٍّ أن خسارة زجاجة ملأى بالوسكى الفاخرة لا تهمك ولا تعني لديك شيئًا، فقد آن لعمري أن أفيق من غفلتي وأترك الشراب.

وكذلك كان، فقد ظل (دون مركيز) بعد هذا الحادث لا يقرب الشراب قط.

الآيتان

شيئان يملآن عقلي بما لا يفنى من عَجَب ورهبة، كلما أمعنتُ التفكيرَ فيهما: هذه القبةَ الزرقاء التي تحمل النجومَ فوقى، وهذه القاموس الأدبيُّ في قرارة نفسي.

توسيع الثلمة

نقل الريحاني في «ملوك العرب» (١: ٣٤١) عن الكرنل جاكوب في «ملوك العرب» (ص: ٤٥)أن إدارة شركة الهند كانت كتبت إلى الكابتن هينس (CapI haiNes) أول والٍ للانكليز على عدن:

(حرّض القبيلة الموالية على القبيلة العادية؛ فلا تضطر إلى جنود بريطانية)

وقالت له: (إنه وإن كان هدرُ الدماء مما يؤسف له، فمثل هذه السياسة تفيد الانكليز في عدن؛ لأنها توسع الثلمة بين القبائل).

الزّبّاء

زنوبيا أو الزّبّاء ملكة تدمر، المشهورة بجمالها وإقدامها وذكائها، كانت جديرة بأن تكون قرينة أُذينة الذي كان يحمل لقب «رئيس المشرق dux orientis»، وقد اشتركت معه بالفعل في سياسة ملكه أثناء حياته، ولم تخلفه (بعد وفاته سنه ٢٦٦ - ٢٦٧ ميلادية) في منصبه فقط، بل إنها عقدت العزم على بسط سلطانها على الدولة الرومانية الشرقية، وكان ابنها هبة اللّه بن أُذينه لا يزال حينذاك طفلاً، فتسلمت مقاليد الحكم في يدها.

وقد غزت (مصر) سنة ٢٧٥ م وفتحتها بقيادة (زَبْدة zabda) بدعوى إعادتها لحكم الإمبراطورية الرومانية، وحكم ابنها (هبة الله) مصر في عهد (قلوديوس) على أنه شريك في حكمها وله لقب ملك، وجعلت (الزّبّاء) لنفسها لقب ملكة، وقد بسطت نفوذها في آسيا الصغرى إلى مقربة من (بيزنطة)، وظلت تدعي أنها

تصنع ذلك في سبيل (رومة)، وقد سُكَّ اسم (هبة الله) على العملة التي ضُربت في الإسكندرية سنة ٢٧٠ م مع اسم (أورليان) الإمبراطور الروماني، ولو أن أورليان قد تفرَّد بلقب «العظيم» أو «أوغسطس».

وقد وجدت في بابل نقوش عليها اسم (الزّبّاء) و (أورليان) أو سلفه (قلوديوس) مع ألقاب augustaو augnstus. ولما آلت الإمبراطورية إلى (أورليان) في سنة ٢٧٠ م. أدرك ما في سياسة (الزّبّاء) من الخطر على وحدة الإمبراطورية، إذ أن مظاهر المداراة كانت قد اطرحت من قبل، وانكشفت نيات (الزّبّاء)، فإن ابنها ضرب العملة باسمه فقط، وخرج على (رومة).

فأرسل (أورليان) حملة إلى (مصر) على رأسها القائد (بروبس - probus) في سنة ٢٧٠ م، واستولى عليها، وأعد الإمبراطور في سنة ٢٧١ م حملة أخرى على آسيا الصغرى والشام، فدخلت آسيا الصغرى في أواخر سنة ٢٧١ م، ودحرت حامياتها التدمرية، ووصلت إلى (أنطاكية) حيث وقفت أمامها (الزّبّاء) بجيشها، فانهزمت بعد أن لحقتها خسائر فادحة، وتقهقرت إلى ناحية (حمص) التي يبدأ عندها الطريق إلى مقر ملكها؛ وقد أبت أن تستسلم إلى (أورليان)، وجمعت جيشها في (حمص) لتخوض المعركة التي تحدد لها مصيرها.

ولكنها انهزمت في النهاية، ولم يبق أمامها إلا الفرار في الصحراء نحو (تدمر)، فتابعها (أورليان) بالرغم من وعورة الطريق وحاصر مدينتها، وفي هذه الساعة العصيبة خذلتها شجاعتها ففرت هي وابنها من المدينة لاجئة إلى ملك (الفرس)[1] مستنجدة به، إلا أنه قبض عليها على شاطىء الفرات.

---

(١) لا يُعرف بالضبط إن كان هذا الملك سابور أو هرمز.

ولما فقد التدمريون أملهم بهذه النكبة ألقوا سلاحهم، فأخذ (أورليان) كل ما في البلد من الغنائم وأبقى على أهلها؛ وأمَّن (الزَّبًا) على حياتها، إلَّا أنه قتل كل قوادها ومستشاريها، ومن بينهم العالم المعروف (لونجينوس longinus)، وقد دخلت (الزَّبا) مدينة (رومة) في موكب الإمبراطور الظافر، وارتضت خذلانها في عزة نفس وشمم، وقضت أيامها الأخيرة في (تيبور - tibur) ح، يث عاشت هي وابنها عيشة سيدة رومانية.

ولم تمض أشهر قلائل حتى ثارت (تدمر) ثانية، فعاد إليها (أورليان) على غير انتظار ودمَّرها، ولم يُبق على أهلها هذه المرة.

ومما يُرْوَى عن (الزَّبّاء) مناقشتها مع البطريرك الأنطاكى الشهير بولس السميساطى في المسائل الدينية[١] ويرجح أنها كانت تحسن معاملة اليهود في (تدمر) فقد أشار إلى ذلك (التلمود).

ومدينة (تدمر) مقر ملك (الزَّبّاء) تقع على مسافة ١٥٠ ميلًا إلى الشمال الشرقى من (دمشق)، وكانت الحروب الفارسية سببًا فِي ظهورها بين ممتلكات

(رومة) واعتلائها ذلك المركز الممتاز فيها، وكانت الأسرة الساسانية في ذلك الوقت في ذروة بأسها وعظمَتها، فاتَجهت مطامعها إلى الممتلكات الرومانية، فلم يكن للتدمريين بدٌّ من أن ينحازوا إلى (الفرس) أو (رومة)، فانحازوا إلى الإمبراطورية الرومانية التي كانت قد حبت أشرافَ (تدمر) ألقابها، وعينت بعضًا منْهم في مجلس الشيوخ، وجعلت واحدًا منهم قنصلًا وهو زوج (الزَّبّاء) المسمى أذينة (odainath).

(١) وكان البطريرك يتولى جباية الأموال الأميرية للزباء ملكة تدمر في إنطاكية التي كانت تابعة لها.

وكان ذلك في عهد الإمبراطور (فاليريان - valerian) سنة ٢٥٨ م.

وانتهى الصراع بين (رومة) وبلاد (الفرس) باندحار الرومانيين سنة ٢٦٠ م واكتساح الفارسيين آسيا الصغرىٍ وشمال سوريا، وأسر إمبراطورهم فاليريان الذي مات في أسره، فرأى أذينة (زوج الزّبّاء) ملك الفرس، وأخذ يرسل اليه الهدايا والكتب الكثيرة فكان يرفضها بازدراء، وكان ذلك سببًا في أن يلقي (أذينة) بنفسه في أحضان (رومة) مدافعًا عن قضيتها.

وِقد كافأه (جالِيْنُس - galienus) بتعيينه في منصب (رئيس المشرق - dox orientis) كوكيل لإمبراطورية في الشرق في سنة ٢٦٢ م.

ومن ذلك الوقت أخذ يعمل لاسترداد ماخسرته (رومة)، بعد أن ضم إليه فلول الجيش الروماني، فحارب (سابور) وتغلب عليه وأعاد المملكة الشرقية إلى (رومة)- وفي أوج انتصاراته قتل هو وابنه الأكبر (هيرودس herodes) في حمص سنة ٢٦٧ م.

فآل ملك (تدمر) إلى (الزّبّاء) -التي كانت تناصر زوجها في سياسته- وحكمت باسم ابنها الصغير (هبة الله)، وكان لها جيشٌ يبلغ السبعين ألفًا، عزمت على فتح مصر به، فتم لها ذلك في سنة ٢٧٠ - ٢٧١ م كما قدمنا، فانتهت مطامحها بأسرها في سنة ٢٧٣ م.

أما لغة تدمر فهي اللغة الآرامية، وكان أهلها يعبدون الشمس، ومعبد الشمس لا يزال إلى الآن أكبر الآثار التدمرية.

محمد سعيد ابراهيم

من إلهامات جزيرة العرب

مسكين المتمدّن الذي لا يستطيع أن يستغني عن المدنية ولو يومًا واحدًا.

«ملوك العرب- ٢٠: ٦٧»/ الريحاني

جهاد مصر الوطني
ذكرى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٢٨

في مهرجانِ الحق أو يوم الدَمِ   هَجٌ من الشهداء لم تتكلمِ
بدو على هاتورَ نورُ دمائها   كدم الحسينِ على هلالِ محرَّمِ
يومُ الجهاد بها كصدر نهاره   تمايلُ الأعطاف، مبتسمُ الفمِ
طلعت تحجُّ البيتَ فيه كأنها   زُّ الملائك في سماء الموسمِ
لِمَ لا تُطلُّ من السماءِ، وإنما   ين السحاب قبورُها والأنجمِ
ولقد شجاها الغائبون، وراعها   ا حلَّ بالبيت المضيءِ المظلمِ
وإذا نظرتَ إلى الحياة وجدتَها   رسًا أُقيم على جوانب مأتمِ
لا بد للحرية الحمراءِ من   لوى تُرَقِّدُ جرحها كالبلْسَمِ
وتبسُّمٍ يعلو أسرَّتَها كما   علو فَمَ الثكلى وثغرَ الأيِّمِ
يومُ البُطولة لو شهدتُ نهارَه   لنظمتُ للأجيال مالم يُنظمِ
غَبنَتْ حقيقتُه وفاتَ جمالَها   باعُ الخيال العَبقري الملهمِ
لولا عَوادي النفي أو عقَباته   والنفيُ حالٌ من عذاب جهنمِ
لجمعتُ ألوانَ الحوادِثِ صورة   مثَّلتُ فيها ثورة المستسلمِ

وحكيتُ فيها النيلَ كاظمَ غيظه وحكيتُه متغبّطًا لم يَكظِمِ
دَعَتِ البلادُ إلى الغمارِ فغامرتْ وطنيةٌ بمثقَّفٍ ومعلَّمِ
ثارتْ على الحامى العتيدِ وأقسمتْ سواه (جلَّ جلالُه) لا تحتمي
نثر الكنانةَ ربُّها وتخيَّرتْ يده لنصرتها ثلاثةَ أسهمِ
من كل أعزلَ حقُّه بيمينه كالسيفِ في يُمنى الكميّ المعلمِ
لم يُحجموا في ساعةٍ قد أظفرت ملكَ البحار بكل قيصرَ مُحجمِ
وقفوا مطيَّهُم بسلّم قصرِه والبأسُ والسلطانَ دون السلّمِ
وتقدَّموا، حتى إذا ما بلَغوا أوحوا إلى مصر الفتاة: تقدّمي!
سالتْ من الغاب الشبولُ غلابها لين اللباة وهاج عرقُ الضَّيغمِ

❁ ❁ ❁

يومَ النضالِ كستكَ لونَ جمالها حريةٌ صبغتْ أديمَكَ بالدمِ
أصبحتَ من غرر الزمان، وأصبحت ضحكت أسرّة وجهكَ المتجهّمِ
ولقد يتمتَ فكنتَ أعظم روعةً يا ليتَ من سعدِ الحِمى لم يَيْتمِ
لينمْ أبو الأشبال مِلْءَ جفونِهِ ليس الشبول عن العريز بنوَّمِ

أحمد شوقي

في الحضارة العربية

روى وزير دولة بني نصر الأديبُ الكبير لسان الدين بن الخطيب أن ثالث ملوك تلك الدولة -وهي مؤسّسة قصر الحمراء المشهور بالأندلس- كان يسهر على أنوارِ ضخام الشمع، وكانت تُتخذ له من جذوع في أجسادها مواقيت تُخبر بانقضاء ساعات الليل ومُضيّ الهزيع.

وإنما فعلوا ذلك لأنه كان يطيل السهر، وقد أصيبت عيناه من ذلك بأذى، فرأوا أن يُلفتوا نظره إلى مواقيت الليل بهاذه الطريقة.

من القاضي أبي يوسف إلى هارون الرشيد أمير المؤمنين

كان هارون الرشيد أعظم ملوك الأرض في زمنه. ولما اقترح على القاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الانصارى صاحب الإمام أبي حنيفة أن يؤلف للدولة كتابًا عن أحكام الشرع الإسلامي في الخراج، فألف في ذلك كتابه المشهور، افتتحه بهذه النصيحة الصريحة التي لا عهد للبشر بمثلها، فيما تخاطب به العلماء ملوكها. قال الإمام أبو يوسف:

يا أمير المؤمنين، إن اللّه وله الحمد قد قلّدَك أمرًا عظيمًا، ثوابه أعظم الثواب، وعقابه أشد العقاب، قلدك أمر هذه الأمة فأصبحتَ وأمسيت وأنت تبني لخلق كثير قد استرعاكهم الله، وائتمنك عليهم، وابتلاك بهم، وولّاك أمرهم، وليس يلبث البنيان إذا أُسس على غير التقوى أن يأتية اللّه من القواعد فيهدمه على من بناه وأعان عليه. فلا تضيعنَّ ما قلدك اللّه من أمر هذه الأمة والرعيَّة، فان القوّة في العمل بإذن الله.

لا تؤخّر عمَل اليوم إلى غدٍ، فإنك إذا فعلت ذلك أضعت. إن الأجل دون الأمل، فبادر الأجل بالعمل، فإنه لا عمل بعد الأجل. إن الرعاة مؤدّون إلى ربهم ما يؤدّي الراعي إلى ربه. فأقم الحق فيما ولّاك اللّه وقلّدَك ولو ساعة من النهار، فإن أسعد الرعاة عند اللّه يوم القيامة راعٍ سعدت به رعيته. ولا تزغ فيزيغ

رعيتك. وإياك والأمر بالهوىِ والأخذ بالغضب، وإذا نظرت إلى أمرين أحدهما للآخرة والآخر للدنيا، فاختر أمر الآخرة على أمر الدنيا، فإن الآخرة تبقى والدنيا تفنى. وكن من خشية اللَّه على حذر، واجعل الناس عندك في أمر اللَّه سواء القريب والبعيد، ولا تخفْ في اللَّه لومة لائم. واحذر فإن الحذر بالقلب وليس باللسان، واتق اللَّه فإنما التقوى بالتوقّي، ومن يثق بالله يقه. واعمل لأجَل مفضوض، وسبيل مسلوك، وطريق مأخوذ، وعمل محفوظ، ومنهل مورود. فإن ذلك المورد الحق والموقف الأعظم الذي تطير فيه القلوب، وتنقطع فيه الحجج، لعزة ملك قهرهم جبروته، والخلق له داخرون بين يديه ينتظرون قضاءه، ويخافون عقوبته، وكأنَّ ذلك قد كان فكفى بالحسرة والندامة يومئذ في ذلك الموقف العظيم لمن علم ولم يعمل، يومٌ تزل فيه الأقدام، وتتغير فيه الألوان، ويطول فيه القيام، ويشتدّ فيه الحساب. يقول اللَّه تبارك وتعالى في كتابه: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾، وقال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾. فيالها من عثرة لا تُقال، ويالها من ندامةٍ لا تنفع. إنما هو اختلاف الليل والنهار: يبليان كلِ جديد، ويقربان كل بعيد، ويأتيان بكل موعود، ويجزي اللَّه كل نفس بما كسبت، إن اللَّه سريع الحساب. فالله الله، فإن البقاء قليل، والخطب خطير، والدنيا هالكة وهالكٌ من فيها، والآخرة هي دار القرار. فلا تلقَ اللَّه غدًا وأنت سالكٌ سبيل المعتدين؛ فإن ديّان يوم الدين إنما يدين العباد بأعمالهم ولا يدينهم بمنازلهم. وقد حذَّرك اللَّه فاحذر، فإنك لم تُخلق عبثًا، ولن تُترك سدى. وإن اللَّه سائلك عما أنت فيه وعما عملت به، فانظر ما الجواب، واعلم أنه لن تزول غدًا قدما عبد بين يدي اللَّه تبارك وتعالى إلا من بعد المسألة، فقد قال ﷺ: «**لا تزول قدما**

عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن علمه ماعمل فيه، وعن عمره فيم أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسده فيم أبلاه»[١].

فأعدد يا أمير المؤمنين للمسألة جوابها، فإن ما عملتَ فأثبت فهو عليك غدًا يُقرأ، فاذكر كشف قناعك فيما بينك وبين اللَّه في مجمع الأشهاد. وإني أوصيك ياأمير المؤمنين بحفظ ما استحفظك اللَّه ورعاية ما استرعاك الله، وأن لا تنظر في ذلك إلا إليه وله، فانك إن لا تفعل تتوعر عليك سهولة الهدى، وتعمى في عينك وتتعفى رسومه، ويضيق عليك رحبه، وتُنكر منه ما تعرف، وتعرف منه ما تُنكر. فخاصم نفسك خصومة من يريد الفلج لها لا عليها، فان الراعي المضيّع يضمن ما هلك على يديه مما لو شاء رده عن أماكن الهلكة بإذن الله، وأورده أماكن الحياة والنجاة، فإذا ترك ذلك أضاعه، وإن تشاغل بغيره كانت الهلكة عليه أسرعَ، وبه أضرَّ، وإذا أصلح كان أسعد من هنالك بذلك، ووفاه اللَّه أضعاف ما وفى له، فاحذر أن تضيع رعيتك، فيستوفي ربُّها حقها منك و، يضيعك -بما أضعت- أجرك، وإنما يُدعم البنيان قبل أن ينهدم، وإنما لك من عملك ما عملت فيمن ولاك اللَّه أمره وعليك ما ضيعت منه، فلا تنس القيام بأمر من ولاك اللَّه أمره، فلست تُنسى، ولا تغفل عنهم وعما يُصلحهم، فليس يُغفل عنك، ولا يُضيع حظك من هذه الدنيا في هذه الأيام والليالي كثرة تحريك لسانك في نفسك بذكر اللَّه تسبيحًا وتهليلًا وتحميدًا، والصلاةِ على رسولهِ ﷺ نبي الرحمة وإمام الهدى ﷺ. وإن اللَّه بمنه ورحمته وعفوه جعل ولاة الأمر خلفاء في أرضه، وجعل لهم نورًا يضيء للرعية ما أظلم عليهم من الأمور فيما بينهم، وبين ما اشتبه من الحقوق عليهم، وإضاءةُ نور ولاة الأمر إقامةَ الحدود،

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٧)، وصححه الألباني.

وردُّ الحقوق إلى أهلها، بالتثبت والأمر البين، وإحياء السنن التي سنها القوم الصالحون أعظم موقعًا، فإن إحياء السنن من الخير الذي يحيا ولا يموت، وجور الراعي هلاك للرعية، واستعانته بغير أهل الثقة والخير هلاك للعامة، فاستتمّ ما آتاك اللَّه يا أمير المؤمنين من النعم بحسن مجاورتها، والتمس الزيادة فيها بالشكر عليها؛ فإن اللَّه تبارك وتعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾، وليس شيء أحبَّ إلى اللَّه من الإصلاح، ولا أبغض إليه من الفساد، والعمل بالمعاصي كفر النعم، وقلَّ مَن كفر من قوم قطُّ النعمةَ ثم لم يفزعوا إلى التوبة إلا سُلبو عزهم وسُلّط اللَّه عليهم عدوّهم، وإني أسأل اللَّه يا أمير المؤمنين الذي مَنّ عليك بمعونته فيما أولاك، أن لا يكلك في شيء من أمرك إلى نفسك، وأن يتولَى منك ما تولى من أوليائه وأحبّائه، فإنه ولي ذلك والمرغوب إليه فيه.

الشاعر

خَلّياهُ يَنُحْ على عَذَباتِهْ ... وَيَصُغْ من دُموعه آياتهْ
وَيُرَتّلْ ألحانه بخشوع ... مُسْتَمَدًّا من العُلى نَغَماتِهْ
لا تُثيرا بِهِ كمائنَ صدر ... رَدَّدَتْها الأحزانُ في أبْيَاتِهْ
ورواها فمُ الزَّمانِ بشَجْوٍ ... فحسبنا بنَاتِهِ من رُواتِهْ
ثُمَّ جارَتْ بَغْيًا وَعَقَّتْ أباها ... غيرَ هَيَّابَةٍ أذى سَخَطاتِهْ
فاستَطالَتْ من غير ذنب عليهِ ... واستباحَتْ بصَرْفِها عَزَماتِهْ
وَرَمَتْهُ في مَهْدِهِ بالرزايا ... وَجَزَتْهُ الأسى على حَسَنَاتِهْ

فجَرَى والأسى وَلِيدَيْنِ حتى أَدْرَكَ الكُنْهَ من مَطاوي عظاتهْ
والأسى مَنْهَلُ النفوسِ اللواتي لم يَرُضْها الزمانُ في نَكَباتِهْ

❁ ❁ ❁

وَتَوارَى عن العِيان وأمسى في مُصَلَّاهُ يَشْتَكي عَثَراتِهْ
وعِتابُ الأيام شِبْهُ صلاةٍ فاتركاهُ مُستغرقًا في صَلاتهْ
واجْثُوَا قَيْدَ ظِلهِ بسكون واصيخا لبثّةٍ وشَكاتِهْ
هَيْكلٌ يبعثُ القنوطَ إلى القَلْبِ بما لاحَ من جَليّ صِفاتِهْ
مَنْ يحَدّقْ إليه يُبْصِرْ مَلاكًا خاشع الطرف بكل جهاتهْ
باسطًا كفه يناجي مليكًا خاشِعَ الطرف من جلالةِ ذاتهْ
كَتَبَ البؤسُ فوقَ خَدَّيْهِ سطرًا تتراءى الآلامُ في كلماتِهْ
للهوى قَلْبُهُ، وللشجو عَيْناه وللعالمينَ كلُّ هِباتِهْ
وهو نَهْبٌ لحادثاتِ الليالي وحلالٌ للدهر قَرْعُ صَفاتهْ
ينْطَوِي في سبيل أبناءِ دنيا هُ ويلقى من دهرهِ نائباتِهْ
بفؤادٍ واهٍ وصدرٍ رحيبٍ وادعٍ، غَيْرِ صاخبٍ من إذاتِهْ
يَتَلَقَّى بصبرهِ نَزْوَةَ الدَّهْرِ ويشكو لربِّهِ نَزَواتِهْ

❁ ❁ ❁

شاعرٌ صَاغَه الإلهُ من البُؤْسِ وأَبْدى الأسى على نَظَراتِهْ
وَحَباهُ السِّحْرَ الحلالَ فَغَنَّى شاكرًا رَبَّهُ على نَفَحاتِهْ
وَسَرِيُّ النظيم ما كانَ وحيًا فالهَوى والشعورُ في طَيَّاتهْ
وَسَرِيُّ النظيم ما كانتِ الحِكمَةُ فَيَّاضَةٌ على جَنَباتِهْ

❁ ❁ ❁

شَاعِرٌ يمزج المدادَ من الحزنِ بذوبِ اللُّجَيْنِ من عَبَراتِهْ

ثم يستنزفُ النجيعَ من القلـ ... ـبِ فيجري رطبًا على صفحاتِهْ
يستمدُّ اليراعُ منهُ مِدادًا ... فهو يُغْني عن طِرْسِهِ وَدَواتهْ
عَلَّلَ النفسَ دَهْرَهُ بالأماني ... غيرَ ما ناظرٍ إلى عقَباتِهْ
كلُّ مَنْ في الوجودِ يَجْني مُناه ... وهو يُقْصي عَنْ نَيْلِهِ ثَمراتِهْ

❁ ❁ ❁

يا سماءَ الخيال جُودي عليهِ ... وامْنَحيهِ الإلهامَ في نفثاتِهْ
واطْبَعيه على الشعور يُخَلِّدْ ... لكِ أسْمَى النظيم في ذِكرَيَاتِهْ
مَعْبد الحُبِّ شِيدَ في قَفَص القَلْـ ... ـب مُحَاطًا بالظِّلِّ من قَصَباتِهْ
والفؤادُ الناقوسُ يَقْرَعُهُ الوَجْـ ... ـدُ بأوتارِ حِسِّهِ مِنْ لَهَاتِهْ
فيفيضُ الهَوَى على جَانِبَيْهِ ... كلما رَنَّ من صَدَى دقَّاتِهْ
يُسْمِعُ الصخرَ شِعْرَهُ وَشَجَاهُ ... فَتَلِينُ الصخورُ مِنْ أَنَاتِهْ
ثُمَّ تَجْرِي على رَوِيِّ القوافي ... وتحاكي الموزونَ مِنْ نَبَراتِهْ
وطيورُ السماءِ تأْخُذُ عنهُ ... حينَ يشدو المُثِيرَ من سَجَعاتِهْ

❁ ❁ ❁

يَخْلُدُ الشّاعِرُ الحزين إذا قَطَّـ ... ـرَ أنفاسَهُ على صَفَحاتِهْ
يوْمُهُ مثلُ أمْسِهِ في شقاءٍ ... وَلَعَلَّ الرَّجاءَ طيَّ غَداتِهْ
إنْ دَجا الليلُ يَرْقُبُ النجم أسْيَانَ ... وَيُزْجي إلى العُلى زَفراتِهْ
لا الدجَى نازحٌ ولا الفجر يَرْثي ... لشَجِيٍّ أدنى الردى خطواتِهْ
لو تراهُ - والليلُ ساجٍ صموتٌ - ... لتفطرتَ من شَجا صَعقاتِهْ
سادرًا في مجاهل الفكرِ حَيْرا ... نَ يُرَجِّي نَجاتَهُ من عُداتِهْ
مُنشِدًا في دَياجر الليل آيا ... تٍ طواها الهواء في نَسماتِهْ
يا فؤادي إذا أَجَنَّكَ ليلٌ ... وَسَئِمْتَ الحياةَ في ظُلماتِهْ

وَتَطَلَّعْتَ للصباحِ وقد ضَلَّ ... ونورُ العليل في بَسْماتِهْ
لا تَقُلْ: يا ظَلامُ سَعَّرْتَ نيرًا ... نًا بقلبٍ يذوبُ من آهاتِهْ
عَلّ في الليل رحمةً لوجيعٍ ... أغْرَقَتْهُ الآلام في سَكراتِهْ
مُمْعنٌ في الكرى يزيدُ التياعًا ... كلما لجَّ في عميقِ سُباتِهْ
فإذا ما استفاق أبْصَرَ فجرًا ... حَيَّرَ الفكر مِنْ سنا لَمعاتِهْ
إنَّ في الفجر روعةً قَسَمَتْهَا ... يَدُ خَلَّاقِنَا على كائِناتِهْ
عمّتِ العالمينَ لم تُبْقِ حتَّى ... مُعْدِمًا طاحَ في هوى حَسَراتِهْ
بَهْجَةُ الكَوْن فِي الصباح تجَلّى ... ولذيذُ الحياة في أولَياتِهْ

❀ ❀ ❀

بينما الشاعرُ الحزينُ يُناجي ... رَبَّهُ والصباحُ في بُشْرَيَاتِهْ
غابَ عَن عالم الشقاءِ وفاضت ... رُوحُه وانطوى بِبُرْد نَجَاتِهْ
فاتركاهُ ينعَمْ بنومٍ طويل ... عَلّ في الموت راحةٌ من حياتِهْ

أنور العطار

خطبة نبوية

قام رسول اللَّه ﷺ بالخَيف من مِنى، فقال: «**نضّر اللَّه امرءًا سمع مقالتي فأداها كما سمعها: فربّ حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث يغلُّ عليهن قلب مؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة المسلمين، ولزوم جماعتهم فإن دعوتهم تحيط من ورائه**»(١).

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٥٨)، وصححه الألباني.

وصية أبي بكر إلى عمر رضي الله عنهما

لما حضرَت الوفاةُ أبا بكر رضي الله عنه أرسل إلى عمر يستخلفه، فقال الناس: أتَخلف علينا فظًا غليظًا لو قد ملكَنا كان أفظَّ وأغلظ؟ فماذا تقول لربك إذا لقيته وقد استخلفتَ علينا عمر رضي الله عنه؟

قال: أتخوفوني بربي؟ أقول: اللهم أمّرت عليهم خير أهلك.

ثم أرسل إلى عمر فقال:

«إني أوصيك بوصية، إن حفظتها لم يكن شيء أحبَّ إليك من الموت، وهو مدركك. وإن ضيعتها لم يكن شيء أبغض إليك من الموت، ولن تُعجزه. إن لله عليك حقًا في الليل لا يقبله في النهار، وحقًا في النهار لا يقبله في الليل، وأنها لا تُقبل نافلة حتى تؤدّى الفريضة، وإنما خفَّت موازين من خفَّت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم، وحُقَّ لميزان لا يوضع فيه إلّا الباطل أن يكون خفيفًا. وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم، وحُق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا.

فإن أنت حفظت وصيتى هذه فلا يكوننّ غائبٌ أحبَّ إليك من الموت، ولا بدَّ لك منه. وإن أنت ضيعت وصيتي هذه فلا يكونن غائب أبغض إليك من الموت، ولن تُعجزَه».

وقال له: يا ابن الخطاب إني إنما استخلفتك ناظرًا لما خلفتُ ورائي، وقد صحبتُ رسول اللّه ﷺ فرأيت من أَثْرَته أنفسَنا على نفسه وأهلنا على أهله، حتى إن كنا لنظل نُهدي إلى أهله من فضول ما يأتينا عنه، وقد صحبتني فرأيتنى إنما

اتبعت سبيل من كان قبلي: والله ما نمت فحلمت، ولا توهمت فسهوت، وإني لعلى السبيل ما زغت، وإن أول ما أحذرك يا عمر نفسك، إن لكل نفس شهوة فإذا أُعطِيَتها تمادت في غيرها.

من كلمات عمر رضي الله عنه

لا يقيم أمر اللَّه إلا رجلٌ لا يُضارع، ولا يُصانع، ولا يتبع المطامع. ولا يقيم أمر اللَّه إلا رجلٌ لا يُنتقص غربه، ولا يَكظم في الحق على حزبه.

❑ أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بين الدنيا والآخرة ❑

قال عبد اللَّه بن عباس: دخلت على عمر حين طُعن، فقلت: أبشر بالجنة يا أمير المؤمنين، أسلمتَ حين كفر الناس، وجاهدتَ مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس، وقُبض رسول اللَّه ﷺ وهو عنك راضٍ، ولم يختلف في خلافتك اثنان، وقُتلت شهيدًا.

فقال: أعد عليَّ.

فأعدت عليه.

فقال عمر: والله الذي لا إله غيره، لو أن ما في الأرض من صفراء وبيضاء لي لافتديتُ به من هول المطلع!

❑ وصية أمير المؤمنين عمر إلى الخليفة بعده ❑

لما أوصى عمرُ رضي الله عنه، قال: (أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله، وأوصيه بالمهاجرين الأولين: أن يعرف لهم حقهم وكرامتهم، وأوصيه بالأنصار الذين

تبوؤا الدار والإيمان: أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم. وأوصيه بأهل الأمصار، فإنهم ردء الإسلام وغيظ العدو وجباة المال: أن لا يأخذ منهم إلا فضلهم عن رضىً منهم. وأوصيه بالأعراب، فأنهم أصل العرب ومادة الإسلام: أن يأخذ من حواشي أموالهم فيرد على فقرائهم، وأوصيه بذمة اللَّه وذمة رسوله ﷺ أن يُوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفون فوق طاقتهم).

واجب الحكومة وواجب الأمة

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له:

يا أمير المؤمنين لا أبالي في اللَّه لومة لائم خيرٌ لي، أم أميرٌ أُقبل على نفسي؟

فقال: أَما من ولي من أمر المؤمنين شيئًا فلايخف في اللَّه لومة لائم، ومن كان خلوًا من ذلك فليُقبل على نفسه، ولينصح لولي أمره.

سياسة أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه بين شعبه وأمرائه

قال عبد الملك بن عمير: حدثني رجل من ثقيف، قال: استعملنى عليّ بن أبي طالب رضي اللَّه تعالى عنه على عُكبراء فقال لي -وأهل الأرض معي يسمعون-:

انظر أن تستوفيَ ما عليهم من الخراج. وإياك أن تُرخص لهم في شيء، وإياك أن يروا منك ضعفًا، ثم قال: رح إليَّ عند الظهر، فرحت إليه عند الظهر، فقال لي:

إنما أوصيتك بالذي أوصيتك به قدام أهل عملك لأنهم قوم خدع، انظر إذا قدمت عليهم، فلا تبيعنّ لهم كسوةَ شتاء ولا صيفًا، ولا رزقًا يأكلونه، ولا دابة يعملون عليها، ولا تضربن أحدًا منهم سوطًا واحدًا في درهم، ولا تُقمه على رجله في طلب درهم، ولا تبع لأحد منهم عَرَضًا في شيء من الخراج، فإنا إنما أُمرنا أن نأخذ منهم العفو، فإن أنت خالفت ما أمرتك به يأخذك اللّه به دوني؛ وإن بلغني عنك خلاف ذلك عزلتك.

قال: قلت: إذن أرجع إليك كما خرجت من عندك.

قال: وإن رجعتَ كما خرجت!

قال: فانطلقت، فعملت بالذي أمرني به، فرجعت ولم أنتقص من الخراج شيئًا.

الطبيعة

زُرْتُها أشكو اليها لوْعتي ... مِن جُحودٍ نالَنِي مِن زَمني
فاكفهرَتْ في اكتئابٍ سُحبُها ... ثم صاحتْ صَيْحَةَ المُمْتَهِنِ(١)
وتجلّتْ(٢) بَعْدَها في بَسْمة ... تبعث السّحرَ لِلُبّ الفَطِنِ
هزأتْ بالجهل حتى أخجلَتْ ... نظرتي للعالَمِ الممتحَنِ
وكأني مُذْنِبٌ في عُرْفِها ... فهي أُمِّي وهي مَن تُلْهِمُنِي
مَوْئِلي في ظِلّها، أو نُورها ... وهي مَنْ في عَطْفِها تُنْعِشُني

(١) إشارة إلى صوت الرعد.
(٢) أي: الطبيعة. إشارة إلى انفتاح الغيوم.

كيف أُشْجى وهي حَوْلي دائمًا ... مَلْجَإِي بل مَعْبَدِي بل وَطَني[١]
ثمّ لم تَلْبَثْ على سُخْطٍ فقد ... صَفحَتْ عن زلّتي وحَزَني
حِينَ غَنّتْ بعصافيرٍ لها ... لِعَبُ الأطفالِ قَبْلَ الوَسَنِ
بينَ وَثْبٍ واختباءٍ في علىً ... حَيَرَتْنِي بل غَدَتْ تَقْهَرُنِي
وفُرادَى النَّحْل جاءتْ تَحْتَسِي ... خمرةَ الزَهْرِ بغيرِ ثمنِ
أنشَدَتْ حَوْلي أناشيدَ الهَوى ... وأغاني رُفْقَةٍ تَعْرِفُني
والنَّسيمُ الحُرُّ يَحكي ما رأى ... مِنْ غَرامٍ وَمعاني الفِتنِ
والفَراشُ اللّاعبُ اللّاهي يَلي[٢] ... تحتَ أصباغ الغرور الحَسَنِ
والأصيلُ السَّمْحُ يَرْوِي شِعْرَه ... مِلْءَ ألوانٍ لِوَحْيِ الفطَنِ
ورآني ناهلًا من نُورِهِ ... فحياني كلّ ما يُسْكِرُنِي
وإذا الجَدْوَلُ يَرْوِي حَقْلَهُ ... مثلما يُطفي بأُنْسٍ شجني
وعذارى الرّيفِ في لَهْوِ الصِّبا ... واهباتٌ مُستطابَ المِننِ
لَسْنَ يَعْرِفْنَ هُمُومًا غير ما ... تَعْرِفُ الوَرْقاءُ فوقَ الفَنَنِ
أخْجَلَتْني هكذا من حَسْرَتي ... بينما في الكونِ ما يُسْعِدُني
وأرَتْني حينما أفهمُها ... أنَني أنعمُ إذْ تَفْهَمُنِي
فأناجيها بحُبٍّ مُعْلِنٍ ... وتناجيني بِبِرٍّ مُعْلِنِ
مُنْشِدًا شِعْرِي، وحَسْبي سَمْعُها ... فهو مِنْها وَلديها يَغْتَني
جَلَسَتْ في عَرْشها مُصْغِيَةً ... لوفاء الشاعرِ المُفْتَتِنِ
وكأنّي وارثٌ مُلكًا لها ... وكأنّي حاكمٌ في زَمَني

أبو شادي

---

(١) هذا من الغلو. (س).

(٢) يلي: يدنو.

شاب يملك غضبه

غضب عمر بن عبد العزيز يومًا، فاشتدّ غضبه -وكان فيه حدّة -، وعبد الملك ابنه حاضر، فلما سكن غضبه قال له:

يا أمير المؤمنين في قدْر نعمة اللّه عندك وموضعك الذي وضعك اللّه به وما ولاك من أمر عباده أن يبلغ بك الغضب ما أرى؟

قال: كيف قلت؟

فأعاد عليه كلامه.

فقال له عمر: أما تغضب أنت يا عبد الملك؟

قال: ما يغني عني جوفي إن لم أردّ الغضب فيه، حتى لا يظهر منه شيء.

زينة الشباب
ملكٌ عربي حديث السن
يضرب بسجاياه المثل الخالد لشباب العرب والإسلام

قال لسان الدين بن الخطيب: كان أمير المسلمين محمد بن إسماعيل فرج - سادس ملوك بني نصرآخر دول العرب بالأندلس - معدودًا في نبلاء الملوك وأبناء الملوك صرامةً وعزة وشهامة وجمالًا وفَضْلًا، عذبَ الشمائل حلوًا لَبِقًا لوذعيًا هَشا سَخيًا، المثلَ المضروب في الشجاعة المقتحمة حد التهوُّر، حلسَ ظهور الخيل، أفرسَ من جال على صهوه، لا تقع العين - وإن غصّت الميادين

- على أدربَ بركض الجياد منه، مغرمًا بالصيد، عارفًا بسِمات الشفار وشيات الخيل، يحبّ الأدب، ويرتاح إلى الشعر، وينبه على العيون، ويلمّ بالنادرة الحارَة.

حدثني ابن وزير جدّه القائم أبو القاسم بن محمد بن عيسى قال: تُذوكر يومًا بحضرته تباينُ معنى قول المتنبئ:

أيـا خـدَّدَ الـلَّـه وردَ الـخـدو ... د وقدَّ قدودَ الحسان القدودِ

وقول امرئ القيس:

وإن كنتِ قد ساءتك مني خليقةٌ ... فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

وقول إبراهيم بن سهل:

إنّي له من دمي المسفوكِ معتذرٌ ... أقولُ حملته من سفكه تعبا

فقال رحمه الله بديهًا - على حداثته -: بينهم ما بين نفَس ملك عربيّ، وشاعر عربيّ، ونفَس يهوديّ تحت الذمّة، وإنما تتنفس النفوس بقدر هممها. أو ما معناه هذا.

ولما نازل مدينة قبرة[1] ودخلها عنوة، وهي ما هي عند المسلمين والنصارى من الشهرة والجلالة، بادرنا تهنئته بما تسنى له، فزوَى عنا وجهه قائلًا: وماذا تُهَنُّوني به، كأنكم رأيتم تلك الخرقة الكذا - يعني العَلَم الكبير - في مَنار إشبيلية[2]؟ فعجبنا من بُعْد همته ومَرْمَى أمله.

❀ ❀ ❀

---

(١) كورة تتصل بأعمال قرطبة من قبليها.

(٢) وكانت إشبيلية في حكم الأعداء، لا تصل إليها الجيوش الإسلامية إلا إذا اكتسحت عشرات أمثالها من القوات، فكأنه يقول: إنه لا ينظر إلى العلم الكبير نظرة الرضى يستحق معها التهنئة، إلا إذا خفق فوق منار إشبيلية.

وأقسمَ أن يُغير على باب مدينة بيانة في عدة يسيرة من الفرسان عَيّنَتْها اليمينُ، فوقع البهتُ وتوقّعت الفاقرة، لقرب الصريخ ومنعةَ الحوزة وكثرة الحامية ووفور الفرسان. وتنخل أهل الحفاظ وهجم عليها، فانتهى إلى بابها، وحمل على أضعافه من الحامية فألجأهم إلى المدينة، ورمى يومئذٍ أحد النصارى بمزروق محلّى السِنان، رفيع القيمة، فأثبته، وتحامل الطِعان يريد الباب، فمنعَ من الإجهاز عليه وانتزاع الرمح الذي كان يجره خلفه، وقال: اتركوه يعالج جُرحهُ أن أخطّأتْه المنية. فكان كما قال الشاعر في مِثله - أنشدَناه أبو عبد اللّه بن الكاتب-:

ومن جُوده يرمي العداةَ بأسهم ... من الذهب الأبريز صيغت نَصولها
يداوي بها المجروحُ منها جراحةً ... ويتخذ الأكفانَ منها قتيلها

كلمنصو وجان دارك

حدَّث كلمنصو عن نفسه قال:

كنتُ أتنزّه في حديقة التويلري في صباح يوم من الأيام، فلفتت امرأةٌ نظرَ ابنتها الصغيرة إليّ.

فقالت الصغيرة لأمها:

ماذا فعل هذا الرجل؟

فأجابتها أمها: لقد أنقذ الوطن

البنت: كما فعلتْ جان دارك إذن؟

الأم: نعم، كما فعلت جان دارك يا عزيزتي.

البنت: فلماذا إذاً لم يحرقوه؟

قال كلمنصو لمحدّثه: أترى أني أنتظر..

القطرات الثلاث

قَطَراتٌ قد انتّشرنَ ثلاثا فوق زهراءَ من نِتاج الربيعِ
قلن: «مَن أصلها أعزُّ وأعلى؟»
فانبرت قطرة دعتهن: «مهلا:
أنا أصلي ماء السماء المعلّى
وهو حسبي يوم المفاخر أصلا والدٌ باسمه حياة الربوعِ
قد تولّدتُ بين نارٍ وماءِ
بين ماء السحابِ والكهرباءِ
أو ما تنظرون عدلَ قضائي!
أنا ساويت في ارتياد كلائي بين راعي الملا وراعي القطيعِ
كم تركتُ الحقولَ جنةَ عَدْنِ
ضاحكًا لونها السماوي عني
أين ربُّ الشقائق الحُمر مني
أنا بنتُ السماءِ حقًا، لأني قد تكوَّنتُ في الفضاء الرفيعِ
وغديرٍ مجعَّدِ المتنِ صافي

عاد في عنصري موشى الضعافِ

أنا من عنصر كريم النطافِ

أنا تلك التي أزِينُ الفيافي بجمالٍ هو الجمال الطبيعي»

❀ ❀ ❀

فادَّعت قطرةٌ كقطرة راحِ

«أن قمريةً خَفوقَ الجناحِ

غمرتْ نفسها بماءٍ قَراحِ

نفضتني على خدود الأقاحي باسقاتِ الأصول خُضلِ الفروعِ

لأبي، وهو جدولٌ ذو غروبِ

مَنظرٌ يستبي عيونَ القلوبِ

في شروق لشمس أو في غروبِ

ذَوْبُ تِبرٍ إذا انثنتْ لمغيبِ ولُجينٌ إذا دَنتْ من طلوعِ»

❀ ❀ ❀

فنزَتْ قطرةٌ لها الطيرُ هَينمْ

ولها عابسُ الوجود تبسَّمْ

«أنا» قالت، وقولها غيرُ مبهمْ

«أنا من ذلك البخار الذي لمْ يتصعَّدْ إلا بنار الضلوعِ

فإذا جلبب الخفاءُ مرامي

أوإذا متُّ قبل شقّ لثامي

فإليكم هذا صريح كلامي

أنا لغز الولوع، سرُّ الغرام | أنا آيُ الدُموع، رمزُ الدموعِ
أنا أنسُ المحبّ في الخلواتِ
أنا من رُسل أمة العاطفاتِ
فسلامي لهن، بل صلواتي
فاخَرَتْني بزعمها أخواتي | فقضى اللّه لي برغم الجميعِ

محمد رضا الشبيبي

من كلمات عمر بن الخطاب رضي الله عنه

* لا تعترض فيما لا يعنيك.

* اعتزل عدوك، واحتفظ من خليلك إلا الأمين، فإن الأمين من القوم الذي لا يعادله شيء.

* لا تصحب الفاجر فيُعلمك فجوره. ولا تفش إليه سرك. واستشر في أمرك الذين يخشون الله.

* كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى رضي الله عنه: أما بعد، فإن أسعد الرعاة عند اللّه من سعدت به رعيته، وإن أشقى الرعاة من شقيت به رعيته. وإياك أن تزيغ فتزيغ عمالك، فيكون مثلك عند اللّه مثل البهيمة، نظرت إلى خضرة من الأرض فرتعت فيها تبتغي بذلك السِمن، وإنما حتفها في سمنها. والسلام.

شعر الشيخوخة

كان الرُّبيع بن ضبُع بن وهب بن بغيض بن مالك بن سعد بن عدي بن فَزارة بن ذبيان معمَّرًا، عُمّرَ مائتي عام، وكان أحكم العرب في زمانه، وأَشعرهم وأخطبهم. وشهد يوم الهباءة وهو ابن مائة عام، فكان أنجد فارس في حرب داحس، ولما كبر وخَرِف وأدرك الإسلام؛ جمع بين بنيه فقال:

ألا أبلغ بَنِيّ بَني رُبيع ... فأشرارُ البنين لهم فداءُ
بأني قد كَبِرتُ ودَقّ عظمي ... فلا يَشْغَلكم عنى الحياءُ
وأن كِنانتي لنساءِ صِدقٍ ... وأني لا أُسَرّ ولا أُساءُ
إذا جاء الشتاء فدثّروني ... فإن الشيخ يَهْدِمُه الشتاءُ
وإن دَفع الهواجرُ كُلَّ قَرّ ... فسِرْبالٌ خفيفٌ أو رداءُ
إذا عاش الفتى مائتين عامًا ... فقد أودَى المَسَرة والفتاءُ

ثم قال: يا بَنِيّ، اجمعوا إليّ بني ذبيان. فلما اجتمعوا قال: يا بني ذبيان آمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع: آمركم بالحلم، فإنه يُحْسن المعاشرة، والجود فإنه يزرع المودّةَ، وآمر بالحفظ لبعضكم بعضًا يهابكم الناس الأباعدُ؛ وآمركم بالعلم، فإنه زَين ومحبة في قلوب العالَم، وأنهاكم عن السفه، فإنه باب النَدَم ومنزل الذُل، وأنهاكم عن البُخل، فإنه سُلَّم السباب، وأنهاكم عن التخاذل، فانه آفة العزّ، وأنهاكم عن الجهل، فإنه رزيّة ومَهلكة، واسألوا عما جهلتم، فإن السؤال هُدَى، وفي الصمت عن الجهل عَمَى، ولا تستصغروا مَن لا تعرفونه، ولا تحسُدوا من لا تدركونه، ولا تحمدوا غيرَ كريم، ولا تُبَجّلوا غير شريف، ولا تُفْضلوا على غير محتاج، فيذهب فضلكم هَباءً، ولا تمنعوا السائل فإن منعه مقْت، ولا غيبة فإنها قرض مردود، ولا سيما أنها تعقب.

يا بني ذبيان، اجعلوا قبري عَلمًا، فإنْ قدّمت في الناس خيرًا فإنه شأن وذِكر حسن، وتركت فخرًا للبنين، ولو قدَّمت سيئًا أمرتُكم أن تُخفوه، فإنه عَلَمُ السَّب.

احفظوا قولي، فإنه مقامي فيكم ورأيي. وأنشأ يقول:

لقد عزَفتْ نفسي عن اللهو جملة ... وإن نهلت من لهوهائم علّتِ
رأيتُ قرونًا من قرون تقدَّمت ... فلم يبق إلاَّ ذكرها حين ولَّتِ
ألا أين ذو القرنين أين جُموعه ... لقد كَثُرت أسبابه ثم قلَّتِ
خَرِفتُ وأفنتْني السنون التي خلت ... فقد سئِمتْ نفسي الحياةَ وملّتِ
فكم مشهد أوردت نفسي وكلةٍ ... أُجشّمها مكروهه حين كَلَّتِ
وكم غَمرة ماجتْ بأمواج غمرة ... تجرَّعتُها بالصبر حتَّى تجلَّتِ
وكانت على الأيام نفسي عزيزة ... فلما رأت عزمي على الأمر ذلَّتِ
هي النفس ما منَينها تَاقَ شوقُها ... وإلَّا فنفس إن يئستَ تسلَّتِ

وقال أيضًا:

ألا يا لقَومي قد تبدّد إخواني ... نداماي في شرب (النمير) وأخداني
وأمشي قليلا ثم آتي سبيلَهم ... فتبلَى عظامي يا لسعدٍ وذبيانِ
وأبلى ويبقَى منطقي بعد ميتتي ... وكلُّ امرىءٍ - إلا أحاديثَه - فانِ
سيدركني ما أدرك المرء تُبّعًا ... ويغتالني ما اغتالَ أنسُر لقمانِ
كلا الرجلين كان جَلدًا مشبّعًا ... كثيرَ الأداة من بنين وأعوانِ
أجارَ مجيرَ الرَّجل من غير مُلكه[1] ... وأنزل سيف البأس من رأس غمدانِ
وألوى بذي القرنين بعد بلوغه ... مطالع قرن الشمس بالإنس والجانِ

---

(١) الرَّجل: الجراد، والمجير هو مدلج بن سويد الطائي، وانظر المثل: «احمي من مجير الجراد» في: «مجمع الأمثال» للميداني.

أنا بين يومينا فأمسِ الذي مضى وصَرْفُ غدٍ لا بُدّ بالحتْم يلقاني

وقال أيضًا:

قل للذي راح عن أخيه وقد أودعه - حين وَدّع - الحجَرَا
هل أبصرت عينه له أثرًا أو سمعتْ أذنُه له خبرا
أين همام الجَديل إذ أمرا[1] وأين ربّ السَّدير إذ قَدرا
أين بنو هُودٍ النبيّ ومَن شَمّر عن راحتيه وابتكرا
والصعبُ لمّا عنت أرومتهُ وحان ريب الزمان فاذّكرا
لم يدفع الموت بالجنود ولا رَدّ بأسباب علمه القدرا
لا تعجبي يا أُميم من صفتي فقبل ما كنت أخسف القمرا
صبوا بهند وزينبٍ أممًا ونسوةٍ كنَّ قبلها دِرَرا
لمّا رماني الزمان من غُرُض وقامرتني خطوبُه قمرا
أصبح عني الشباب قد حسرا إن ينأ عني فقد ثوَى عُصُرا
ودّعَنا قبل أن نودّعه لمّا قَضى من جِماعنا الوطرا
أصبحتُ لا أحملُ السِلاحَ ولا أُمسك رأس البعير إن نفرا
والذئب أخشاه إن مررتُ به وحدي وأخشى الرياح والمطرا
من بعد ما قوّة أُسَرُّ بها أصبحت شيخًا أُعالج الكِبَرا
ها أنا ذا آمُلُ الخلودَ وقد أدركَ عقلي ومولدي حُجُرا
أبا امرىء القيس هل سمعتَ به هيهات هيهات طال ذا عُمرا

وقال أيضًا:

طال الثواءُ على السنين أميما ألقى عذابًا للزمان أليما

---

(١) همام: هو النعمان بن المنذر، والجديل فحل له.

أنسيتَ أم لم تنسَ أم عاهدتَه ... فوجدتّه بعد السَفاه حليما
لابُد أَن ألقى المنُون- وإن نأت ... عنّي الخطوبُ-وصَرْفَه المحتوما
هلّا ذكرت له العَرَنْجَجَ حِمْيَرًا ... ملَكَ الملوك على القليب مُقيما
والصعبُ ذو القرنين عُمّر مُلْكه ... ألفين-أمسى بعد ذاك رميما
أمِنَ الأمورَ أخو الدهور فهل أرى ... ذا مِرّةٍ من قبله معصوما
طال الزمان وطال فيّ عَيْشه ... ما زال من قبلي الزمانُ قديما
ألوَى بشَمّر والمقعقع بعده[1] ... وأباد سعدًا بعده وتميما

ولما جعل بنو عبس وذبيان أمرهم إلى حكم الرُبيع بن ضبع، قام الرُبيع بعكاظ بين عبس وذبيان خطيبًا فقال:

أيها الناس، أصاب الإِياس، وأخطأنا القياس، وبين الحقّ والباطل التباس.

أيها الناس، من عَبَرَ غَبَرَ، وكل عِثار جبار، وكل فائت مظلوم. يا بني ذبيان، الخير والشر على اللسان، والنجاة في البيان، يا بني ذبيان، داروا الحروب فإنها تذلّ، يا بني ذبيان، طلب الثأر ضالة الأشرار، ومن إلف الأغمار، وهلاك الأخيار، أخوكم عبس، وعدوّكم أمس، فطلاب أمس الذاهب هلاك عند المقبل، هلا سألتم عن الأحقاد طَسمًا وجَديسًا؟ اعلموا أن كل ذاكر لَنَاسٍ، وكل مقيم لظَاعنٌ، وكل ثابت زائل، وبين الأموات موت الأحياء، والسرعة إلى الآجل ذهاب العاجل، والذلُّ غنيمة الظالم.

وقال:

على حَرَج يا عبس أضحى أخوكُم ... وبَتَّ على أمر بغير جَناح

---

(١) **المقعقع**: هو السكسك بن وائل بن حمير، وإن أراد الشاعر بشمر: شمر يرعش، فالصواب أن يكون البيت «المقعقع قبله»؛ لأن شمر يرعش بعد المقعقع بزمن كثير.

عقاب حروب الأقربين وإنه ليأتي افتلاقًا وجه كل صباح
أخاك أخاك! إن من لا أخا له كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح(١)
وإن ابن عمّ المرء -فاعلم- جنَاحُه وهل ينهض البازي بغير جنَاح
لنا عِظةٌ في الذاهبين وعِبرة تفيدُ ذوي الألباب أمرَ صلاح
ألم تعلموا ما حاول الصعب مُدّة وما صبّح الساعي وآل رِزاح
فهل بعد ذي القرنين مَلكٌ مخلد وهل بعد ذي المُلكين يومُ فلاح
تَريش له الأطيارُ عند غدُوّه وتَجنح إن أومَى لها برواح

فاصطلحوا على حكمه.

لغة العرب وعلومها

قال العلامة فريتاغ الألماني في مقدمة معجمه الكبير في اللاتينية والعربية: (ليست لغة العرَب أغنى لغات العالم فحسْبُ، بل إن الذين نبغوا في التأليف بها لا يكاد يأتي عليهم العدّ: وإن اختلافنا عنهم في الزمان والسجايا والأخلاق أقام بيننا -نحن الغرباء عن العربية- وبين ما ألفوه فيها حجابًا لا نتبين ما وراءه إلا بصعوبة).

---

(١) هذا البيت والذي يتلوه عزاهما البحتري في حماسته إلى قيس بن عاصم المنقري، ويرويان لمسكين الدارمي أيضًا.

حضارة العرب في كتب الأقدمين

* قال سترابون strabon الرحالة اليوناني القديم الذي كان موجودًا في زمن الميلاد المسيحي: إن الذهب لا يُعدّن في بلاد العجم لكن في بلاد العرب.

* انجلت الأبحاث الأثرية التي قام بها القومندر كروفورد على مسافة ٤٠٠ ميل شرقي (عدن) عن إثبات أن هناك مدينةَ أوفير، التي جاء في سِفر الملوك الثالث في «التوراة»، أن سليمان ﷺ جلب منها في سنة واحدة ستمائة وستة وستين قنطارًا من الذهب، ويقول كروفورد: إذا أمكن دراسة تلك المنطقة دراسة وافية فالمظنون أن تكون فيها معادن ذهب تفوق ما في بلاد الترنسفال.

الأهرام

ما أنتِ يا أهرام، أشواهق أجرام، أم شواهد إجرام؟

وأوضاح مَعالم، أم أشباح مظالم؟

وجلائل أبنية وآثار، أم دلائل أنانية واستئثار؟

وتمثال منصّب من الجَبَرية، أم مثالٌ ضاحٍ من العبقرية[1]؟

ياكليل البصر، عن مواضع العبر. وقليل البصر، بمواقع الآيات الكُبَر!

(١) الجَبَرية: الجبروت. الضاحي هنا بمعنى: البارز.

قف ناج الحجارة الدوارس، وتعلم فإن الآثار مدارس، هذه الحجارة جحورٌ لعب عليها الأُوَل، وهذه الصُفّاح صفائح ممالك ودول[١] وذلك الرُّكام من الرمال، غُبار أحداج وأحمال[٢]، من كل ركب ألمَّ ثم مال.

في هذا الحرم درج عيسى صبيا ومن هذا الهرم خرج موسى نبيا

وفي هذه الهالة طلع يوسف كالقمر وضيا، ووقعت بين يديه الكواكب جِثِيّا وهنا جلال الخلق وثبوته، ونفاد العقل وجبروته، ومطالع الفن وبيوته.

وهنا تعلم أن حسن الثناء، مرهون بإحسان البناء.

أحمد شوقي

الهَرمان وحقائق الحياة

قال أبو الطيب:

تصفو الحياةُ لجاهل أو غافلٍ عمّا مضى منها وما يُتوَقعُ

ولمن يُغالط في الحقائق نفسه ويسومُها طلبَ المحال فتطمعُ

أين الذي الهَرمانِ من بُنيانه، ما قومهُ، ما يومه، ما المصرعُ؟

تتخلفُ الآثارُ عن أصحابها حينًا ويُدركها الفناء فتتبعُ

(١) الصُفّاح: الحجارة العريضة، والصفائح: حجارة رقاق تُسقف بها القبور.

(٢) الأحداج: جمع حدج، وهو الجمل، أو مركب من مراكب النساء.

من أوهام عصرنا

قال العلامة غوستاف لوبون في مقال له بعنوان «تطور العالم بعد الحرب»:

(من أوهام عصرنا السياسة حسبان أن في وسع الشعب أن يَسْلم من التأثيرات الموروثة عن الأجداد التي ترجع إليها طبيعته. وقد كان من ضحايا هذا الوهم رجال الثورة الفرنسية، حتى أرادوا اقامة عهد جديد يدل على انقطاعهم التام عن الماضي، ويعدّ من ضحاياه اليوم رجالات الأحزاب السياسية المتطرفة، الذين تصوَروا أن في الإمكان تبديل الجمعيات بقوة القرارات، وقد نسوا أن الإنسان لن يخرج أبدًا عن ذاته. وأنه باعتباره ابن ماضيه يضيف شيئًا قليلًا إلى الميراث الذي يحمله عند ميلاده، وربما عرضت عليه في وقت ما تدبيرات سياسية مختلفة، ألا إنها لا تدوم إلا بشرط أن تكون ذات علاقة بما يرثه عن أجداده من مادة عقلية تحرك إرادته، وترجع النظم الجديدة في الظاهر إلى النظم الماضية غالبًا كما يرجع النبات إلى الحبة.

ولذلك يُعد تاريخ الشعوب الثابت بطبيعة حياتهم السابقة عبارة عن استمرار طويل المدى، برغم التقلبات الظاهرة التي يمتلىء بها ذلك التاريخ أحيانا.

قيادة الأمة

قال المستر فورد: (أشدُّ فقرٍ يمكن أن يلحق بالأمة هو الفقر بالرجال، فالأمم تستطيع أن تعالج الفقر في جميع الأمور الأخرى، أما إذا أصيبت بقحط في الرجال الذين يقودون الأمة فذلك من أدهى المصائب.

إن نقصان الرويّة والحكمة والجرأة الأدبية يؤدي إلى الموت، وهذا ما يفسر مخاوف كثيرين في هذه البلاد (أمريكا)، من عدم توافر مزايا القيادة في الرجال.

وأصحاب هذه المخاوف يشعرون بالخطر العظيم الذي يتولد عن إفلاس البلاد من الرجال؛ غير أن مخاوفهم في غير محلها: فالقادة موجودون، ولكن جهودهم منصرفة إلى وجهاتٍ أخرى، فقد كانت الشئون المالية والسياسية تشغلهم من قبل، أما اليوم فأيديهم وعقولهم منهمكة في الصناعة والتجارة والزراعة. فالذين يقولون إن الأمة الأمريكية بلا قيادة، يبحثون عن القيادة في غير مظانِّها).

تصريح مستشرق فرنسي

قالت مجلة الاستقلال الأرجنتينية:

صرح المستشرق الفرنسي المشهور مسيو (لويس مسينيون) لأحد علماء الفرنسيين في باريس خلال مقابلة سمح بها لأحد الصحفيين بما يلي:

(لقد جرَدْنا الشرقيين باسم مدنيتنا وصاروا يعرفون الآن ما نقصده بكلمة (تمدن) التي سئموها. إن الغربيين فعلوا معهم كما يفعل النواب مع ناخبيهم؛ وصار نغم قيثارتنا (الحرية) غير موزون.

منذ خمس وعشرين سنة وأنا محتك بالشرقيين، فلم أر منهم نفورًا من الغربيين نظير اليوم، إذ قد سئموا مخادعتنا ورياءنا، وصاروا يرغبون أن نقول لهم بكل صراحة إننا بأشد حاجة إلى موادكم الأولية لمعاملنا، وهذا اعتراف لم نصرح لهم به قط، وصار الآن من العبث الجهر به، إذ قد تصرم الوقت عليه.

لم نبحث في الشرق إلا عن منفعتنا، فنشتري منهم بضائعهم بأرخص الأثمان، ونبيعها لهم مرة ثانية بأغلاها.

إن هذه المعاملة التي نعاملهم بها غير جائزة، وقد لاحظت أن الشرقيين هم أكثر تحفظًا معنا من قبل.

لقد دمرنا كل ما هو خاص بهم: فدمرنا فلسفاتهم، ولغاتهم، وأديانهم. والشرقيون ليسوا من السذج حتى يعتقدوا بكرم أخلاقنا، وقد تحققوا بالشواهد أننا نرغب أن نبقيهم ضعفاء).

تزوير بديع الزمان الهمذاني بيتين على أبي فراس

حكى أبو الفضل بديع الزمان الهمذاني قال:

قال الصاحب أبو القاسم بن عبّاد يومًا لجلسائه وأنا فيهم -وقد جرى ذكر أبي فِراس الحارث بن سعيد بن حمدان-:

لا يقدر أحد أن يزوّر على أبي فراس شعرًا.

فقلت: من يقدر على ذلك وهو الذي يقول:

رويدك لا تصل يدها بباعك ... ولا تعز السباع إلى رباعك

ولا تغر العدوّ عليّ إني ... يمينٌ إن قطعت فمن ذراعك

فقال الصاحب: صدقت.

فقلت: أيد اللّه مولانا، فقد فعلت، ولعمري إنه قد أحسن، ولكن لم يشق غبار أبي فراس. وكتب على ظهر الجزء المشتمل على مزدوجته التي أولها:

ما العمر ما طالت به الدهور ... العمر ما تم به السرور

هذه الأبيات [من الرجز]:

أُروِّحُ القلب ببعض الهزلِ … تجاهلاً مني بغير جهلِ
أمزح فيه مزح أهل الفضل … والمزح أحياناً جلاء العقلِ

في سبيل اللغة
لبناني يحيي المجمع العلمي العربي بدمشق

لعينيك يا ذات العلاء فما ليا … سواك حبيبًا أفتديه بماليا
لعينيكِ يا روح المعاني ومصدر … البيان ونور المنطقِ المتلاليا
لعينيك يا أم اللغات حُشاشتي … وقوةُ إدراكي وقومي وما ليا
لئن كانت الأيام مزّقَتِ الحمى … وأصبح أهلوكِ الكرامُ أقاصيا
وقطعت اللسنُ الغريبة نطقَهم … وأوصالهم واندكَّ ما كان عاليا
فليس ليثني ذلك الخطبُ همنا … وليس ليوهي عزمنا والأمانيا
نحنُّ إليك اليوم كالأمس حرقة … ونرجو غدًا ذاك اللقاء المفاجيا
وما كان هذا الشرق لو أن من سطا … علينا تولى الأمر واكتنّ راضيا
ولكنَّ أم الضاد زعزع ركنها … وقد فقدت باللحن تلك المعانيا
ولولا رجالٌ في دمشق عرفتهم … أكارم لا يأتون إلا المعاليا
حموا لغة الأعراب من كل لكنة … وشادوا بها دُور الهدى والمغانيا
لما كان لي في منبر الشام موقف … قطعت إليه هضبها والفيافيا
ولا عجب في ذاك، فالشام كعبة … يحج إليها الصادق الحر هانيا
إذا نهضت صانت لسانَ جدودها … وجلت عن الأوطان تلك الدواهيا

وإن فشلت تهوي وتجتاح عجمُها حماها وتخبي نورها والدراريا
رعى اللَّه أهل العزم في كل أمةٍ فما تركو في الناس إلَّا الأياديا

❀ ❀ ❀

سلام عليكم كالأزاهر نشره يطيّب منكم منطقي والقوافيا
(وقد يجمع اللَّه الشتيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا)

إبراهيم منذر/ عضو المجمع العلمي العربي

خطبة عمرية

قال طلحة بن معدان: خطَبنَا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: (أيها الناس، إنه لم يبلغ ذو حق في حقه أن يُطاع في معصية الله، وإني لا أجد هذا المال يُصلحه إلا خلال ثلاث:

أن يؤخذ بالحق، ويعطى في الحق، ويمنع من الباطل.

وإنما أنا ومالكم كوليّ اليتيم: إن استغنيتُ استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف، ولست أدَع أحدًا يظلم أحدًا، ولا يعتدي عليه حتى أضع خده على الأرض، وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يذعن للحق، ولكم عليّ أيها الناس خصال أذكرها لكم، فخذوني بها: لكم عليّ أن لا أجتبي شيئًا من خراجكم، ولا مما أفاء اللَّه عليكم إلا من وجهه، ولكم عليّ إذا وقع في يدي أن لا يخرج مني إلا في حقه، ولكم عليّ أن أزيد أعطياتكم وأرزاقكم إن شاء اللَّه وأسد ثغوركم، ولكم عليَّ أن لا ألقيكم في المهالك ولا أجمركم في ثغوركم، وقد اقترب منكم زمان قليل الأمناء كثير القراء، قليل الفقهاء كثير

الأمل، يعمل فيه أقوام للآخرة، يطلبون به دنيا عريضة تأكل دَين صاحبها كما تأكل النار الحطب،ألا كل من أدرك ذلك منكم فليتق اللّه ربه وليصبر، يا أيها النَّاس: إن اللّه عظّم حقه فوق حق خلقه، فقال فيما عظم من حقه: «ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا، أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون» ألا وإني لم أبعثكم أمراء ولا جبارين، ولكن بعثتكم أئمة الهدى يُهتدى بكم، فأدرّوا على المسلمين حقوقهم، ولا تضربوهم فتذلوهم، ولا تحمدوهم فتفتنوهم، ولا تغلقوا الأبواب دونهم، فيأكل قويهم ضعيفهم، ولا تستأثروا عليهم فتظلموهم، ولا تجهلوا عليهم، وقاتلوا بهم الكفار طاقتهم، فإذا رأيتم بها كلالة فكفوا عن ذلك، فإن ذلك أبلغ في جهاد عدوكم، أيها النَّاس: إني أُشهدكم على أمراء الأمصار أني لم أبعثهم إلا ليُفقهوا الناس في دينهم، ويقسموا عليهم فيئهم، ويحكموا بينهم، فان أشكل عليهم شيء رفعوه إليّ).

الخمر

قيل لعدي بن حاتم الطائي:

مالك لا تشرب الخمر؟

قال: لا أشرب ما يشرب عقلي

وسئل مثل هذا السؤال مرة أخرى، فقال:

معاذ اللّه أُصبحْ حكيم قومي وأُمسيْ سفيههم!

قال المستر منشلي الذي كان مستشارًا للداخلية في مصر:

من أعظم عيوب نظام الامتيازات الأجنبية أننا نسعى

جهدنا في منع بيع المسكر بالتجزئة، ولكننا لا نستطيع منع عمله وبيعه براميل، وعدم وجود قانون لمراقبة حوانيت البقالين يُمَكن أصحابها من بيع الخمر زجاجات.

بيت النور
ترحيبٌ (بنادي جمعية الشبان المسلمين) بالقاهرة

روضُوا النّفوس فَمِنْ أهوائِها الدَّاءُ ... ورُبَّ داءٍ تـوالـت مـنـه أدواءُ
رُوضُوا شبابًا على لَهْوٍ وفي كَسَلٍ ... يقسو عليه الهَوَى والجَهْلُ والدَّاءُ
ونَوّروا مِنْ هُدَى (النّادي) مَشَاعِرَهُمْ ... فَخلفَ أضوائِهِ للنَّشْءِ أضواءُ
بيْتٌ يلَاذُ به عِلْمًا، وترضيةً ... للصفوِ، وهو بصافي الحُبِّ وَضَّاءُ
حيثُ الإِخاءُ عزيزٌ في جوانبهِ ... حَيٌّ، وحيثُ حَيَاةُ النُّبْلِ غَرَّاءُ
يُبَثُّ فيه من الآدابِ أرْفَعُها ... ومِنْ معارفِ هذا العَصْرِ أصْدَاءُ
فما يفوت الصَّدَى نَفْسًا بلا هِبَةٍ ... ويَـزْدَهي بـعُـلَـى الآداب أبـنـاءُ
وتَمَّحي فيه أحقادٌ، ويخلفُها ... بِرٌّ وصِدْقٌ وإخلاصٌ وإغضاءُ
ويَبْتَني مِنْ حضاراتٍ مُنَوَّعَةٍ ... ذُخْرَ البنينَ وذُخْرَ الدِّينِ آباءُ

❁ ❁ ❁

قد طال عَهْدُ التَّراخي، يالَهُ زَمَنًا ... ضـاعـتْ بـه هِـمَـمٌ شتَّى وآراءُ
حيـثُ التفـرُّقُ أنـواعٌ مُـجَـدَّدةٌ ... ولـلـظُّـهُـور حـزازات وإغـراءُ

والمسلمون حَيَارَى في وساوِسهم ... وكلَّ يومٍ ضلالاتٌ وشحناءُ
والقائدُ الفَذُّ مغمورٌ، وغايتُهُ ... مِنْ جُهْدِهِ السَّمْحِ حرمانٌ وإشقاءُ
وليس للدِّينِ مَعْنَى غيرُ سفسطةٍ ... كأنما الدِّينُ إضحاكٌ وإبكاءُ
عادَوا به الفَنَّ والعرفانَ في زَمَنٍ ... الفَنُّ كالدِّين في الاصلاح بَناءُ(١)
فهانَ دِينٌ وعِلْمٌ بيننا، وَمضَتْ ... بالدين والعلمِ غاياتٌ وأهواءُ
وكاد يُقْضى على أخلاقِنَا، وَغدا ... للعابثين مجَالُ الهَدَمِ ما شاءُوا
فحيّرَتْنا مقاييسٌ لحِكْمَتِهِمْ ... وَجهْلِهِم كُلُّها نَكْراءُ خَرْقاءُ
وكاد يُيئِسُنا مِنْ حالِنا عَجَبٌ ... لا يستتبُّ، وزلزالٌ وأنواءُ
حتى تَجَلّى شُعاعُ الصُّبْحِ مؤتلقًا ... وسار يتبعُ داعيه الأجلَّاءُ

❀ ❀ ❀

إذا شكرتُ فشُكْرى سابقٌ لفتى ... المَدْحُ فيه-وإنْ حققتُ-إيذاءُ!
أبى ظُهورًا وخَلّى جُهْدَه عَلَمًا ... فليس تُرْضيهِ ألقابٌ وأسماءُ
ولو تدبَّرَ لم يَحْجُبْ محامِدَهُ ... فإنَّها هِبةٌ للْخَلْقِ زَهْراءُ
مَنْ قادَ لم يغْنَ عَنْ صِيت يُخَصُّ به ... فالصِّيتُ للجُهْدِ إسعافٌ وإحياءُ
شَتّانَ بين الذي يحيا لشهْرَتِهِ ... وحَظُهُ العُمْرَ تَغْرِيرٌ وإغواءُ
وبين تاخِذِها جسرًا لغايتِهِ ... في النفعِ للنّاسِ حيثُ الذِّكرُ مَشَّاءُ
أعْلَنْتَ دينكَ إصلاحًا ومَحْمَدَةً ... فكان مِنْ حَقهِ طَوْعٌ وإصغاءُ
وكان بُرْءًا جميلًا مِنْ تَسامُحِه ... وما كإيحائه للشَّعْبِ إيحاءُ
وصنْتَ أخلاقَ شُبّانٍ نَصُونُ لَهَمْ ... حُبًّا، فهم لرجاءِ المَجْدِ أكفاءُ
لم يُنْكِرُوا فَضْلَ ماضهم ولا جَحدُوا ... تُرَاثَه، فهو للتاريخِ أنباءُ

---

(١) الإسلام إنما يُعادي الفن القائم على المحرمات.(س).

ولا اكتفو بالسَّنَا الماضي ولا قبَعُوا فكُلُّهم هِمَّةٌ للفتحِ شَمَّاءُ
مَنْ نَامَ ماتَ، ومَنْ أيَّامُهُ عَمَلٌ حَيٌّ، وهل يَسْتَوِي مَوْتَى وأحياءُ

أبو شادي

كيف أسلما؟

حدّثنا الأستاذ محمود بك سالم في حلقة صغيرة من حلقات جمعية الشبان المسلمين قال:

كنت أسمع وأنا نزيل فرنسا بطبيب عظيم له شهرة واسعة بين بني قومه في حبّ الخير ونشر الفضيلة، هذا الطبيب هو الدكتور غرينيه الذي كان في بعض أيام حياته عضوًا في مجلس النواب الفرنسي، فرأى الأمور التي تجري في ذلك المجلس غير ملائمة لكثير من مبادئه الإنسانية، فانسحب من ذلك الكرسي، على كثرة المتزاحمين لنيله، وآثر الإقامة في بلدة صغيرة هادئة من بلاد فرنسا، يداوي فيها أمراض الناس الجسمية والروحية.

والدكتور غرينيه هذا هو أخ لنا في الإسلام، وقد اعتنق الهداية المحمدية عن اقتناع، ودخل فيها على بيّنة.

أردت أن أعرف هذا الرجل الفاضل، وأن أسمع من لسانه سبب خروجه من النصرانية ودخوله في الإسلام، فتوجهت إلى البلدة التي انزوى فيها مبتعدًا عن ضجيج الحضارة وموبقات باريس، فلما دخلتها جعلتُ أسأل عن الدكتور غرينيه، فكان كل من سألته عنه يجيبني بلهفة وابتهاج، فعلمت من ذلك أن جميع أهل ذلك البلد مغمورين بفضل الرجل، وليس منهم أحد إلا وقد سبق له منه

شيء من الخير، فهو يطبب الفقراء وأشباه الفقراء بلا مقابل، ويعطيهم العلاج من عنده، وإذا جاء معهم أطفال يُفرح قلوبهم بما يمنحهم من الملبَّس والحلويات وغيرها. وهو لجميعهم بمقام الوالد بمشورته ونصائحه وإرشاداته.

ولما اجتمعتُ بالدكتور غرينيه في مَنزله عرّفته بنفسي، وذكرت له سبب زيارتي، فرحّب بي كثيرًا، ولقيت منه فوقَ ما كنتُ أتوقّع، وسألتهُ عن سبب إسلامه فقال:

لقد كنت في أيام شبابي طبيبًا بحريًا ألازم السفن، وأعيش فيها بين السماء والماء، واطلعت مرة على نسخة من القرآن مترجمة إلى الفرنسية بقلم المسيو سافاري، فقرأت فيها ترجمة آية من سورة النور تتضمن صفة الجاحد وتخبطه في جحوده كما يتخبط الغريق بين ظلمات الأمواج في يوم شاتٍ كثير السحاب، وهي قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾.

وكنت لما قرأتُ هذه الآية لم أتشرّف بعدُ بهداية الإسلام، ولا أعلم شيئًا عن المرشد الأعظم ﷺ، فخُيّل إليَّ أن محمدًا ﷺ رجل عاش في البحار طول أيام حياته، ومع ذلك كنت أعجب كيف يتسنى لرجل أن يصف تَخبط الضالين بمثل هذا الوصف الموجز الذي جمع بكلمات قلائل أهوال البحار وحالتها الطبيعية، حتَّى يكاد الإنسان يشهد الحقيقة بحواسّه كلها بأسلوب لا يستطيعه أبلغ ممارس لأهوال البحار، فلما علمت بعد ذلك أن محمدًا ﷺ لم يركب البحر قط، وأنه فوق ذلك كان أميًا، رجعت إلى القرآن فأطلت النظر في سورة النور، وفي سائر آيات هذا الكتاب الحكيم، فأيقنت أنه ليس من كلام البشر، وإنما هو من وحي الله، فأسلمت، ولا أزال مغتبطا بإسلامي الذي أراه دين الفطرة المعقول البعيد عن كل ما في الديانات الأخرى من بقايا الوثنية.

هذه قصة لم يسبق نشرها قط، وأمَّا القصة الثانية فهي قصة أخينا عبد اللَّه براون الانكليزى.

هذا الرجل زار الهند، ولم يكن له بها سابق علم، وبيْنما كان يطوف بين قراها يشاهد ويلاحظ أدركه العطش، فمال إلى مجلس فلاح هندي معه إناء ماء، فسأله أن يسقيه: فلما رأى الفلاح الهندي أن رجلًا من الانكليز-أصحاب السلطة والقوة- يريد أن يشرب قدَّم له الإناء فشرب، وبعد أن ابتعد المستر براون غير قليل سمع الرجل الهندي يلقي بالإناء على الأرض يحطمه.

ثم أدركه العطش في يوم آخر فسأل أحد القرويين الهنود أن يسقيه فسقاه، ولكن هذا القروي لم يكسر الإناء هذه المرة، فسأل مستر براون دليله: لماذا كسر الرجل الأول إناءه ولم يفعل الرجل الثاني مثل ذلك؟ فقال له الدليل: إن الرجل الأول من الوثنيين، وأمَّا الثاني فإنه مسلم، قال: فانتبهت من تلك الساعة إلى ضرورة أن أعرف ما هو الإسلام، فقرأت ترجمة القرآن التي نقلها إلى الانكليزية مستر (سِلْ)، ثم درست حياة محمد ﷺ من كتب رجال تحريتُ أن يكونوا من غير ذوي الأغراض الخسيسة؛ كالمبشرين الذين يحسبون لحماقتهم أنهم يخدمون المسيح بما يكذبون على محمد ﷺ، مع أن محمدًا ﷺ وجميع المسلمين أحسن اعتقادًا منهم بالمسيح وأمه، وتكريمًا لهما.

إن الذي أدخل عبد اللَّه براون في الهداية الإسلامية حسنة واحدة في سيرة فلاح مسلم من أهل الهند، ولو كان المسلمون يسيرون سيرة منطبقة على مكارم الأخلاق المحمدية؛ لكان ذلك أقوى دعاية إلى الإسلام، ولا يلبث الأوروبيون أن يدخلوا حينئذ في دين اللَّه أفواجًا، فالمسلمون بالسيرة التي يختارونها لأنفسهم يكونون حجة للإسلام إذا أحسنوا، وحجة على الإسلام إذا أساءوا،

وإن غير المسلمين يقرأون الإسلام في أعمال المسلمين الظاهرة أكثر مما يقرأونه في أقوال علمائهم المخبوءة في الكتب.

محبّ الدّين الخطِيب

حيرة[1]

لاهُمَّ لا أستَطيعُ حَمْلَ الأسى ... فَخَفِّفِ الآلام عن مُهْجَتي
ضاقَتْ بيَ الدنيا على رَحْبها ... وزاد هذا البُؤسُ في شِقْوَتي
أيَّانَ أسْلُكْ في الدُّنى وِجْهةً ... تَنْسَدُّ سُبُلُ العَيْش في وجْهَتي
يارَبِّ قَسَمْتَ حُظُوظَ الوَرى ... فكان كلُّ الشَّجْوِ من حِصَّتي
قَدَّرْتَ هذا الشعْرَ لي حِرْفَةً ... فَسَبَّبَتْ طولَ الأسى حِرْفَتي
لوْ لمْ أكنْ بيْنَ الورى شاعرًا ... لما عَرَفْتُ البُؤسَ في عيشتي

يا رَبِّ هَبْ لي عَبْرَةً ثَرَّةً ... عَلِّي بها أُطفِئُ من لَوْعتي
ويا سكونَ القبْرِ قُلْ لي أما ... أَسلَمُ في طَيِّكَ مِنْ حيْرتي؟

دمشق/ أنور العطار

(١) هذه القصيدة جميلة السبك، إلا أنها مليئة بالتذمر والتسخط من قدر الله، وهذا لا يجوز شرعًا، ولا يُفيد واقعًا. والمسلم مُطالب بأن يرضى قدر الله، ويفعل الأسباب المباحة في تغيير واقعه الدنيوي إلى الأفضل. (س).

كفروا تقليدًا

قال أبو محمد عبد الحق الأشبيلي:

لا يخدعنّكَ عن دين الهدى نَفَرٌ ... لم يُرزقوا في التماس الحقّ تأييدا
عميُ القلوب عروا عن كل فائدة ... لأنهم كفروا بالله تقليدا

الملك الأسباني
أردون بن أذفونش بين يدي الخليفة المستنصر

أهدى إلينا هذه الصورة البديعة صديقُ الزهراء في تَطْوان (المغرب): الفاضل الغيور السيد محمد بن العربي بنُّونه، وهي تمثل الملك الأسباني أردون بن أذفونش ماثلا بين يدي أمير المؤمنين الخليفة المستنصر الأمويّ في أوائل سنة٣٥١ هـ، وهي السنة الثانية لخلافته، وكان مثوله بين يدي الخليفة في المجلس الشرقي من قصر الزهراء باحتفال عظيم أتينا على وصفه في سنة الزهراء الأولى (ص٢٩٩-٣٠٢).

ومن لطيف عادات ملوك الإسلام في الأندلس أنهم كانوا في مثل هذه الظروف يتخذون جميع الوسائل لمؤانسة ضيوفهم الأسبانيين، ومن ذلك أن الخليفة الحكيم المستنصر أمر جماعة من أعيان نصارى مملكته بأن يصحبوا الملك الأسباني مدة وجوده في ديار الإسلام؛ ليُؤْنِسوه ويبصِّروه بعادات البلاد وتقاليد دولتها، وكان في جملة من كان في ركاب الملك الأسباني من نصارى

الأندلس: الوليد بن حيزون قاضي النصارى بقرطبة، وعبيد اللّه بن قاسم مطران طليطلة وغيرهما.

وقد حفظ لنا التاريخ -في خلال وصف زيارة هذا الملك للأندلس- صورة مصغرة من أوضاع الجيش العربي الأندلسي في القرن الرابع الهجري، كما حفظ لنا صفة قصر الزهراء وبعض أقسامه، مما أتينا على ذكره في سنة الزهراء الأولى.

أما الخطبتان اللتان تبادلهما ملك الأسبان وأمير المؤمنين المستنصر، فهذا نصهما على ما رواهما المَقّرِي في «نفح الطيب»:

❑ خطبة ملك أسبانيا ❑

(أنا عبدُ أمير المؤمنين مولاي، المتوركُ على فضله، القاصد إلى مجده، المحكّم في نفسه ورجاله؛ فحيث وضعني من فضله، وعوضني من خدمته، رجوت أن أتقدّم فيه بنيّة صادقة، ونصيحة خالصة).

❑ جواب الخليفة المستنصر ❑

(أنت عندنا بمحل من يستحقُّ حُسنَ رأينا، وسينالك من تقديمنا لك، وتفضيلنا إيّاك على أهل ملّتك، ما يغبطك وتتعرَّف به فضلَ جنوحك إلينا، واستظلالك بظلّ سلطاننا).

ومن أراد أن يستقصي خبر زيارة هذا الملك الأسباني ديارَ الدولة الأموية الأندلسية، وصفة الموكب الذي أقيم له يوم مثوله بين يدي الخليفة، فليرجع إلى رسالة «قصر الزهراء».

حقوق الطفل

نشرت «الجمعية الأممية لإسعاف الطفل» المنشور الآتي مترجمًا بثمان وثلاثين لغة، منها اللغة العربية:

١- ينبغى أن يُجعل الطفل في حالة تؤهله لأن ينمو نموًا طبيعيًا ماديًا ومعنويًا.

٢- ينبغي أن يُغذَّى الطفل الجائع، وأن يُعالج الطفل المريض، وأن يُشجَّع الطفل الخامل، وأن يُرَدَّ إلى الصواب كل طفل يحيد عنه، وأن يؤخذَ بيد الطفل اليتيم والطفل المهمل.

٣- يجب أن يكون الطفل أول من يُعاوَن في الشدائد.

٤- يجب أن يُربى الطفل تربية تؤهله لكسب حياته، ويجب أن يُصان الطفل عن أن يكون أداة استغلال لغيره.

٥- يجب أن يُربى الطفل على أن يقف أحمدَ خصاله لمعاونة إخوته.

إلى الله

يا ربّ مَن غيرُك عونُ الحزين … في شدّة الشكوى ومُرّ الأنين
القلبُ قد أضناه عبء الأسى … فخفقُه يحتثه للسكون
والعين قد قرّحها دمعها … والفم تدنو منه كأس المنون
ما أفدحَ اللوعة في يافعٍ … مستعبر ليس له من يعين
لا ينتهي الإنسان من بؤسه … إن صرعته مؤلمات الشجون

ياليت كل الخطب في دهمة ... تمضي به والليل خابي العيون
يا عندليبَ الروض هل صدحة ... يشفى بها وقع الجوى أو يهون
يا ليتنى مثلك في فرحة ... تترى لى الألحان بين الغصون

زكي المحاسني

السحابة الباكية

يادارُ قد غيرها بِلاها ... كأنّما بقلمٍ محاها
أخْرَبها عُمْرانُ من بَناها ... وكرُّ مُمساها على مَغناها
وطفِقَتْ سحابةٌ تغشاها ... تبكي على عِراصها عيناها

شاعر قديم

نقد كتاب مزور

لما رجع أحمد بن علي الخطيب البغدادي إلى بغداد، تقرَّب من رئيس الرؤساء أبي القاسم بن مَسلمة وزير الخليفة القائم بأمر الله.

واتفق أن بعض اليهود أظهر كتابًا وادَّعى أنه كتاب رسول اللَّه ﷺ بإسقاط الجزية عن أهل خيبر، وفيه شهادات الصحابة، وأنه بخطّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فعرضه رئيس الرؤساء علي أبي بكر أحمد بن علي الخطيب فقال:

هذا مزوَّر!

فقيل له: من أين لك ذلك؟

قال: في الكتاب شهادة معاوية بن أبي سفيان، ومعاوية أسلم يوم الفتح، وخيبر كانت في سنة سبع، وفيه شهادة سعد بن معاذ، وكان قد مات يوم الخندق في سنة خمس، فاستُحسن ذلك منه.

الحكومة الإسلامية

كتب القاضي أبو يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة يخاطب أمير المؤمنين هارون الرشيد:

ينبغي يا أمير المؤمنين -أيدك الله- أن تتقدم في الرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمد ﷺ والتفقد لهم، حتى لا يُظلموا ولا يؤذوا ولا يُكلفوا فوق طاقتهم، ولا يؤخذ شيء من أموالهم إلا بحق يجب عليهم، فقد روي عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**من ظلم معاهَدًا أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه**»(١)، وكان فيما تكلم به عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند وفاته: «أوصي الخليفة من بعدي بذمة رسول اللَّه ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يُكلفوا فوق طاقتهم».

مرّ سعيد بن زيد على قوم قد أقيموا في الشمس في بعض أرض الشام، فقال: ما شأن هؤلاء؟ فقيل له: أقيموا في الشمس في الجزية، قال: فكره ذلك،

(١) أخرجه أبوداود (٣٠٥٢)، وصححه الألباني.

ودخل على أميرهم وقال: إنِّي سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**من عذب الناس عذبه الله**»(١).

❁ ❁ ❁

ولىّ النبى عليه الصلاة والسلام عبد اللَّه بن أرقم على جزية أهل الذمة، فلمَّا ولىَّ من عنده ناداه فقال: «**ألا من ظلم معاهدًا أو كلفه فوق طاقته أو انتقصه أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفسه، فأنا حجيجه يوم القيامة**»(٢).

❁ ❁ ❁

مرّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بباب قوم وعليه سائل يسأل: شيخٌ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه وقال:

من أي أهل الكتاب أنت؟

قال: يهودي،

قال: فما ألْجأك إلى ما أرى؟

قال: أسأل الجزية والحاجة والسن.

قال: فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله، فرضخ له بشيء من المنزل(٣)، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه، إن أكلنا شبيبته، ثم نخذله عند الهرم، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٥٣٦٨) بلفظ: «من عذّب الناس في الدنيا عذبه الله..»، وصحح إسناده الأرنؤوط.

(٢) السلسلة الصحيحة؛ للألباني (٤٤٥).

(٣) رضخ له رضخًا: أعطاه شيئًا من المال.

حياة الأديب(١)

يا بُؤس مَنْ يَحْيا عَلى طِرْسِهِ ... ويَسْتَمِدُّ القُوتَ مِنْ نِقْسِهِ
هَلْ جاءهُ أنَّ الذي فاضَ منْ ... يَراعِهِ قد غاض مِنْ نَفْسِهِ

❋ ❋ ❋

يبيتُ حَرَّانَ أخا لَوْعَةٍ ... تَزيدُه يأسًا على يَأسهِ
أيّامُه سودٌ تحاكي الدجى ... لا فَرْقَ بَيْنَ الغد أو أمْسِهِ
يُعَلّلُ النَّفسَ بِحُلْوِ المُنى ... ويُحْرَمُ اليانعَ من غَرْسِهِ
لله كم يَحْمِلُ عِبءَ الأسَى ... وكم يُزَجّى العيشَ في بُؤْسِهِ
فكلَّما امْتَدَّ بِهِ عُمْرُهُ ... ضاقَتْ به دنياهُ من نَحْسِهِ
هَيْهَاتَ أنْ يَهْنَأَ بينَ الوَرى ... ما دامَ مَفْطُورًا على حِسِّهِ

❋ ❋ ❋

لا يَبلُغُ المأمولَ في الكوْن مَن ... أحاطَ بالأسْرَار من دَرْسِهِ
في صَفْحَةِ الدهْرِ له كاشِرٌ ... يُخالُ بَسَّامًا لَدَى عَبْسِهِ
يَبْخَسُهُ آمالَهُ نَاقِمًا ... والشُؤْمُ كل الشُؤْم في بخسِهِ
ودهرنا قاسٍ على حُرِّهِ ... وهو أخو عَطْفٍ على جِبْسِهِ

❋ ❋ ❋

ياجاثِيًا يَبْكي على قبْره ... لا تَبْكِ مَنْ عادَ إلى أُنسِهِ
واحْذَرْ إذا أقْلَقْتَ مَثْوَاهُ أنْ ... يسْقيَكَ المِقْدارُ من كأسِهِ

---

(١) هذه القصيدة جميلة السبك، إلا أنها مليئة بالتشاؤم، والتسخط من قدر الله، وهذا لا يجوز شرعًا، ولا يُفيد واقعًا. والمسلم مُطالب بأن يرضى قدر الله، ويفعل الأسباب المباحة في تغيير واقعه الدنيوي إلى الأفضل. (س).

أحلامُهُ مُترَعَةٌ لذَّةً تُعيدُ ما كُوِّر من شمْسِهِ
فدَعْهُ في ضَجْعَتِهِ هادئًا يَنْعمْ بطيب النَوْم في رَمسِهِ

أنور العطار

❊ ❊ ❊

□ قال القس إسحاق تيلر الانكليزي:

إني آسف من أن السكر والقمار انتشرا مع دعوة المبشرين في البلاد الشرقية، وأنا أختار إسلامًا لا سُكر فيه على مسيحية فيها سُكر.

❊ ❊ ❊

الشعر

الشعر معنى لما تشعر به النفس، فهو من خواطر القلب، إذا أفاض عليه الحس من نوره انعكس على الخيال، فانطبعت فيه معاني الأشياء كما تنطبع الصور في المرآة، وهو من بعد كالحلم يخلق في المخيلة-مما يصل إلى الأعين ويتأدى إلى الآذان -مالا يكون قد وصل ولا تأدّى.

وكما يأخذ النظر في مطرحه ما بين الأرض والسماء، يتناول القلب في مسرحه مافوق سجف الغيب وتحت أطباق الثرى، وإنما الخيال الساحر بين هذين إنسان بين ملكيه، وجسد بين يديه، ومن سحره أن يضع أذنه على العين فتسمع، وعينه على الأذن فترى، ولن تجد من شيء إلا وعليه سيمته، وفيه صفته؛ فأنت تُبصر الناس أحياء يضطربون في حاجاتهم، وهو يحشرهم إليك في يوم الحساب، ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾، وبحسبك أن هذه

الأكوان إنما هي الحقائق، ولكل حقيقة خيال، وهو مملكة الشعراء، فما من ذي خيال منهم إلا وقد خالطت قلبه لذة الملك في ساعة ربما كانت له في اليوم أو الشهر أو العام أو العمر، هي عنده الدنيا وهو ملكها، فإذا رن فيها صوته تحرك الفلك فأسمعه من كل أرض فوجًا، وأرقص به في كل بحر موجًا، وما تزال الأيام تحفظ من تلك الأنفاس في صدرها حتى تبتني له ديوانًا يعرف به الناس، ولولا أنه كانَ مَلِكًا في تلك الساعات التي نظم فيها ما سمى شعره ديوانًا.

وللشعر أسبابٌ يكون عنها: فإذا هي اجتمعت في واحد فذلك، ولكنك قلَّ أن تجد من يسمى شاعرًا بحق، كما قلَّ أن ترى من لا يريد أن يكون شاعرًا بالباطل، فمتى كان المرءُ على رقة في الحسن، وطبع في النفس، وصفاء في الذهن، وانتباه في الخاطر، وبُعد في النظر، وشدة في العارضة وقوة في البديهة، ومثراة في الرواية وحنكة في التجارب، وحكمة تحيط بذلك كله؛ فقد اجتمع له من أداة الشعر ما يكون به شاعرًا، ولا تحسبن هذا النوع من الكلام مضغة يلوكها الشيخ الهرم والصبي الأدرد، وليس في ماضغي أحدهما ضرس يقطع، بل لابد لها من شكس الأنياب، حديد المخالب، يطحنها طحنًا.

ولقد كان عمرو بن العلاء -والزمان زمان- لا يعد الشعر إلا للمتقدمين. فحدث الأصمعي قال: جلست إليه عشر حجج ما سمعته يحتج ببيت إسلامي، وسئل عن المولّدين فقال: (ما كان من حسن فقد سبقوا إليه، وما كان من قبيح فمن عندهم، ليس النمط واحدً: ترى قطعة ديباج، وقطعة مسح، وقطعة نعل)، فقد أصبح الزمن وما تطلع شمسه إلا على جديد، والقوم لا يزالون على ما كانوا يتمرغون في تراب الأولين، فإذا لم يصادف شيئًا من ذلك، فأية ما شئت أن تنفضها من كلمة لا تنتفض من يديك إلا ترابا، وإنما مثْل شعر اليوم والشاعر،

مثل السفينة يطوف بها المحيط من لا يُحسن السباحة في لجة، فإذا انقلب عنها لا يرجع إليها حتى تكون لجسمه تابوتًا، ولذلك تراهم يحصرون القول في وجوه، ويجمعونه في نوع منه، إلا ما كان لبعضهم من الندرة الواحدة، والفلتة المفردة، ولم تكن هذه السماء التي فوقنا اليوم تحت غيرنا من قبل، ولا كانت البلاغة شيئًا يُباع ويُشترى، ولكنه الضلال في النشأة، والقصور في أسباب الصنعة، والجهل بالمقاصد وضعف اللغة إلى حد النزع، بحيث لم يبقَ إلا نفسها الذي يتعلق بروحها، غير ما كان في الصدر المتقدم، ممن جعل الشعر وكده، وقصر عليه كده، وليس ذلك وحده، وإنما نفاق السوق-كما عرفت- جلّاب، ولهذا أصبح القوم في أيدي جهابذة الكلام ونقاد الشعر، أحق بقول ابن برد:

ارفق بعمرو إذا حرّكتَ نسبته ... فإنه عربيٌّ من قوارير

مع أنه فُتح عليهم اليوم بابٌ جديد من الأخذ، فتراهم إذا ضعفو ترجموا، وإذا ضاقت بهم مذاهب العربية استعجمو، وما أنكر أن منهم من يتطبع على ما يأخذ به نفسه، ولكنهم يخرجون بالشعر عن معناه، وآية ذلك أن لا تعرف في منظومهم روح التأثير التي هي حياة الشعر، بل تجد عليه من فساد التكلف ومغالبة الطبع، وأثر الاستكراه، وفيه من المعاني المدخولة ما لا تشك معه أنه من مصاغة قائله الأول.

وإنما تنفخ النفس تلك الروح في الكلام إذا استوت فيه الصنعة، فيتمثل بها سويًا، وعندي أن شرط الشاعر الذي ترتفع عنه مظنة السرق، هو أن تكون له قوة الشعر، ودليلها الإبداع والمضي في كل معنى، والانتباه إلى أدق المناسبات، فإن الكلام كالشجرة، منها الجذع ومنها الغصون والأوراق وما فيها من دقيق الخيوط بعضها فوق بعض في الظهور، وإنما براعة الشاعر في الالتفات إلى تلك

الدقائق، فإن من الكلام ما يتفطر للمعاني كما يتفطر الشجر للتوريق، ومن أجل ذلك يسمون أجمل البيان وحيًا. والشعراء كالمصابيح، ما على أحدها أن يتألق بنور غيره، ما دام في كل مصباح زيته، غير أن أكثر المصابيح اليوم كهربائية، يستوي الجمع منها في الاستمداد من مصدر واحد، وقد كثرت آلات البخار، وكثرت بها المعجزات، حتى إن من خواطر هؤلاء الشعراء ما لا يتحرك إلا (بنفس).

ومرجع التفاوت بين أصناف القائلين إنما يكون من مثل المساء، يطبع في الأنفس شيمًا مختلفات تغلب على بعضها دون بعض، ومن مثل ما يكون من عصر دون عصر، وما يقع لشاعر دون سواه، وما يتفق للواحد ولا يتفق للآخر، إلى غير ذلك مما شرطُ جميعه وفور القوة في الشاعر.

مصطفى صادق الرافعي

الحقيقة

من الكلمات المأثورة عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، إذ قال له كُمَيْل ابن زياد رحمه الله:

ما الحقيقة؟

فقال: مالك والحقيقة!

قال: أولستُ صاحبَ سرّك؟

فقال: ولكن يترشح عليك ما يطفح منّي.

فقال: أو مثلك يخيّب سائلا؟

فقال: الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة.

فقال: زدني فيه بيانًا.

فقال: نورٌ يشرق من الصبح، فتلوح على هياكل التوحيد آثاره.

فقال: زدني فيه بيانًا

فقال: اطفِ المصباح، فقد طلع الصباح.

سيف الحق
أمين بك الرافعي

مال أحبابهُ خليلاً خليلا ... وتولى اللذاتُ إلا قليلا
نَصَلوا أمسِ من غُبار الليالي ... مضى وحده يحثُّ الرحيلا
سكنتْ منهمُ الركابُ كأنْ لم ... تضطربْ ساعةً ولم تمضِ ميلا
جرّدوا من منازل الأرض إلا ... حجرًا دارسًا ورملًا مَهيلا
وتعرّوا إلى البلى فكساهم ... خُشنة اللحد والدُّجى المسدولا
في يبابٍ من الثرى ردّه الموتُ ... نقيًا من الحقود غسيلا
طرحوا عنده الهمومَ، وقالوا ... إن عبءَ الحياة كان ثقيلا
إنما العالَمُ الذي منه جئنا ... ملعبٌ لا ينوِّع التمثيلا
بطلُ الموت في الرواية ركنٌ ... بُنيتْ منه هيكلًا وفصولا
كلما راح أوغدا الموتُ فيها ... سقط السترُ بالدموع بليلا

ذكرياتٌ من الأحبة تُمحى بيدِ للزمانِ تمحو الطلولا
كلُّ رسم من منزلٍ أو حبيبٍ سوف يمشي البلى عليه مُحيلا
رُبَّ ثكل أسّاك من قرْحة الثكل ورزء نسّاكَ رزءًا جليلا

❁ ❁ ❁

يا بناتِ القريض قُمن مَناحا تِ وأرسلن لَوعةً وعويلا
من بنات الهديل أنتنَّ أحنى نَغْمةً في الأسى وأشجى هديلا
إن دمعًا تذرِفن إثرَ رفاقي سوف يبكي به الخليلُ الخليلا
ربّ يومٍ يُناحُ فيه علينا لو نحُسُّ النواحَ والترتيلا
بمراثٍ كُتبنَ بالدمع عنا أسطرًا من جوًى وأخرى غليلا
يجدُ القائلون فيها المعاني يوم لا يأذنُ البِلى أن نقولا

❁ ❁ ❁

أخذ الموت من يد الحق سيفًا خالديّ الغرارِ عضبًا صقيلا
من سيوف الجهاد فولاذَه الحـ قُ فهل كان قينه جبريلا؟
لمسته يدُ السماء فكان البرقَ والرعدَ خفقةً وصليلا
وإباءُ الرجال أمضى من السيف على كفّ فارسٍ مسلولا
رُبّ قلبٍ أصاره الخُلُقُ ضِرغا مًا وصدرٍ أصاره الحقُّ غيلا
قيلَ حَلله قلت عِرقٌ من التِبـ ر أراحَ البيانَ والتحليلا
لم يزدْ في الحديد والنار إلا لمحةً حُرّةً وصبرًا جميلا
لم يخفْ في حماته شبَح الفقـ رِ إذا طاف بالرجال مَهولا
جاع حينًا فكان كالليث آبى ما تُلاقيه يومَ جوعٍ هزيلا
تأكلُ الهرةُ الصغارَ إذا جا عت ولا تأكل اللّباةُ الشبولا
قيل غالٍ في الرأي قلت هبوهُ قد يكونُ الغلوُّ رأيًا أصيلا

وقديمًا بنى الغلوُّ نفوسًا ... وقديمًا بنى الغلوُّ عقولا
وكم استنْهضَ الشيوخَ وأذْكى ... في الشباب الطماحَ والتأميلا
ومن الرأي ما يكونُ نفاقًا ... أو يكونُ اتجاههُ التضليلا
ومن النقد والجدال كلامٌ ... يُشبه البغيَ والخنا والفضولا
وأرى الصدقَ دَيدنًا لسليل الـ ... رافعيينَ والعفافَ سبيلا
عاش لم يَغْتبِ الرجال ولم يجـ ... علْ شؤونَ النفوسِ قالاً وقيلا
قد فقدنا به بقية رهط ... أيقظوا النيلَ واديًا ونزيلا
حَرّكوهُ، وكان بالأمس كالكهْـ ... ف حُزونًا وكالرقيم سهولا
يا أمينَ الحق أديتَ حتى ... لم تخنْ مصرَ في الحقوق فتيلا
ولو اسطعتَ زدتَ مصر من الحـ ... ق على نيلها المبارك نيلا
لست أنساك قابعًا بين دَرْجيْـ ... ـك مُكبًّا عليهما مشغولا
قد تواريتَ في الخشوع فخالو ... ك ضئيلا وما خُلقتَ ضئيلا
سائل الشعب عنك والعَلم الخفـ ... ـاقَ أوسائلِ اللواء الظليلا
كم إمامٍ قرُبتَ في الصف منه ... ومُغنٍّ قعدتَ منه رسيلا
تُنشدُ الناس في القضية لحنًا ... كالحواريّ رتَّلَ الإنجيلا
ماضيًا في الجهاد لم تتأخرْ ... تزن الصف أو تُقيم الرعيلا
ما تبالي مضيتَ وحدك تحمي ... حوْزَةَ الحق أم مضيت قبيلا
إن يَفُتْ فيك مِنبرَ الأمس شعري ... إن لي المنبرَ الذي لن يزولا
جَلّ عن مُنشدٍ سوى الدهر يُلقيـ ... ـه على الغابرين جيلاً فجيلا

أحمد شوقي

ملاحظة مستشرق على ثقافتنا

قال الأستاذ نيلنو المستشرق الإيطالي الشهير لمحرر الهلال:

والذي ألاحظه مع الأسف أن بعضكم ممن يؤلفون في الرياضة أو الفلسفة، لا يستعملون الألفاظ التي استعملها العرب قديمًا في هذين الموضوعين، وكان يحسن بالمترجمين أن يعملوا لاتصال الثقافة بأن يراعو الحدود العلمية والفلسفية التي وضعها العرب أيام العباسيين.

المجد الكاذب

مشى معجَبًا والجهل ملء ردائه ... وراح يـؤمّ الـغـيَّ لا يتريث
ونام قرير العين لا المجد همه ... وأصبح كالأطفال يلهو ويعبث
يفاخرنا جهلاً بمن ضِمن الثرى ... رويدك بعض الفخر للعار أبعث
ولولا فضول المال ما كان سيدًا ... ولكنها العلياء والمال تورث
ويُقسم أن المجد طوع يمينه ... كذا الغر إن آلى فلا شك يحنث

محمد البزم

المجنون الأديب

قال وهب بن إبراهيم (خال عبيد اللّه بن سليمان بن وهب):

كنا يومًا بنيسابور في مجلس أبي سعيد المكفوف (وهو أحمد بن خالد الضرير)، وكان أبو سعيد عالمًا باللغة جدًا، إذ هجم علينا مجنون من أهل قم؛ فسقط على جماعة من أهل المجلس، فاضطرب الناس لسقطته، ووثب أبو سعيد لايشك أن آفة قد لحقتنا: من سقوط جدار، أوشرود بهيمة، فلما رآه المجنون على تلك الحال قال:

الحمد لله رب العالمين، على رْسلكَ يا شيخ لا تَرَعْ، آذاني هؤلاء الصبيان وأخرجوني عن طبعي إلى مالا أستحسنه من غيري.

فقال أبو سعيد: امتنعوا منه عافاكم الله.

فوثبنا وشردنا من مكانه ورجعنا، فسكت ساعة لا يتكلم، إلى أن عدنا إلى ما كنا فيه من المذاكرة، وابتدأ بعضنا بقراءة قصيدة من شعر نهشل بن حري التميمي حتى بلغ قوله:

غلامان خاضا الموتَ من كل جانب ... فآبا ولم تُعقد وراءهما يدُ

متى يلقيا قِرنًا فلا بدّ أنه ... سيلقاه مكروه من الموت أسودُ

فما استتمّ هذا البيت حتى قال:

قف أيها القارئ تتجاوزُ المعنى ولا تسأل عنه!

ما معنى قوله: «ولم تُعقد وراءهما يدُ؟».

قل يا شيخ، فإنك المنظور إليه والمقتدى به.

فقال أبو سعيد: يقول إنهما رميا بأنفسهما في الحرب أقصى مراميهما، ورجعا موفورَين لم يؤسرا، فتعقد أيديهما كتفًا.

فقال: يا شيخ، أترضى لنفسك بهذا الجواب؟

فأنكرنا ذلك على المجنون، فنظر بعضنا إلى بعض.

فقال أبو سعيد: هذا الذي عندنا، فما عندك؟

فقال: المعنى يا شيخ: آبا، ولم تُعقَد يدٌ بمثل فعلهما بعدهما، لأنهما فعلا ما لم يفعله أحد.

كما قال الشاعر:

قوم إذا عدّت تميم معًا ... سادتها عدوّه بالخنصر
ألبسه اللّه ثياب الندَى ... فلم تطل عنه ولم تقصر

أي خُلقت له، وقريب من الأول قوله:

قومي بنو مذحج من خير الأممْ ... لا يصعدون قدما على قدمْ

يعنى أنهم يتقدّمون الناس، ولا يطأون على عقب أحد، وهذان فعلا مالم يفعله أحد.

فلقد رأيت أبا سعيد وقد احمَّر وجهه، واستحيا من أصحابه. ثم غطى المجنون رأسه وخرج وهو يقول:

يتصدّرون ويغرون الناس من أنفسهم!

القصيدة اليتيمة لدوقلة المنبَجِيّ

الطلل

هل بالطلول لسائل رَدُّ ... أم هل لها بتكلّم عهدُ
درَس الجديد جديد مَعْهَدِها ... فكأنَّما هي رَيْطة جَرْدُ
من طول ما تبكي الغُيومُ على ... عَرَصاتها ويُقهْقِهُ الرعدُ
وتُلِثُّ سارِيةٌ وغاديةٌ ... ويَكُرُّ نحس خلفه سعدُ
تِلْقاءَ شاميةٍ يمانيةٌ ... لهما بِمَوْرِ تُرابها سَرْدُ
فكست بواطنُها ظواهرَها ... نَوْرًا كأنَّ زَهاءَه بُردُ[(1)]
فوقفتُ أسألها وليسَ بها ... إلاَّ المها ونقانقٌ رُبْدُ
فتبادرت دِرَرُ الشؤون على[(2)] ... خدِّي كما يتناثرُ العقدُ
أو نَضْحُ عَزْلاءِ الشَّيب وقد ... راح الصيفُ بِمِلْئِها يَعْدُو
لهفي على دعدٍ وما خُلقت ... إلا لجرِّ تلهفي دَعدُ
بيضاءَ قد لبس الأديمُ بهَا ... ءَ الحُسن فهو لجلدها جلدُ
ويزين فَوْدَيْها إذا حَسرت ... ضافي الغدائر فاحمٌ جَعْدُ
فالوجه مثلَ الصبح مبيضٌّ ... والشعر مثلَ الليل مسودُّ
ضدَّان لما استَجْمَعَا حَسُنا ... والضدّ يُظهر حُسْنَهُ الضِدُّ
وجبينها صَلْتٌ وحاجبها ... شَخْتُ المخَطّ أَزَجُّ ممتدُّ
وكأنّها وَسْنى إذا نظرتْ ... أو مُدْنَفٌ لمّا يُفِقْ بَعْدُ

---

(١) الزَهاء بالفتح: النضرة.

(٢) دِرر: جمع درة، ما يدر من المطر واللبن.

بفُتور عينٍ ما بها رَمَدُ وبها تُداوي الأعيُنُ الرُمْدُ
وتُريك عِرنينًا يزيّنه شَمَمٌ وخَدًّا لونُهُ الوردُ
وتجيل مسواكَ الأراك على رَتِلٍ[1] كأن رُضابه الشَهْدُ
والجيد منها جيدُ جازئة تعطو إذا ما طالها المرْدُ
وامتدّ من أعضادها قَصَبٌ فَعْمٌ تلته مرافق دُرْدُ[2]
والمِعْصَمان فما يُرَى لهما من نَعْمة وبضاضةٍ زندُ
ولها بنان لو أردتَ له عَقْدًا بكفّكَ أمكن العَقدُ
وكأنما سُقيت ترائبُها والنحر ماءَ الورد إذ تبدو
وبصدرها حُقّان خِلْتهما كافورتين علاهما نَدُّ
والبطن مطويٌّ كما طُويتْ بِيْضُ الرِياط يصونها المَلْدُ
وبخصْرها هيَفٌ يزيّنه فإذا تنوء يكاد ينقدُّ
والتفّ فَخْذاها وفوقهما كَفَل يجاذِب خِصْرَها نَهْدُ
فقيامُها مَثْنّى إذا نَهضت من ثقله وقعودها فَرْدُ
والساق خَرْعبة منعّمةٌ عَبِلتْ فطَوْق الحَجْل منسدُّ
والكَعْب أدرمُ لا يَبين له حَجْم وليس لرأسه حَدُّ
ومشت على قدمين خُصّرَتا وأُلينتا، فتكامل القدُّ
ما عابَها طول ولا قِصَرٌ في خَلْقها فقِوامُها قَصْدُ
إن لم يكن وصلٌ لديكِ لنا يشفي الصبابةَ فليكنْ وعدُ
قد كان أورق وصلُكم زمنًا فذَوى الوصال وأورق الصَدُّ
لله أشواقي إذا نَزحتْ دارٌ بنا ونأى بكم بُعْدُ

---

(١) الرَّتل: بياض الأسنان وكثرة مائها.

(٢) ليس بها نتوء عظم، كالذين لا أسنان لهم.

إنْ تُتْهِمي فتهامةٌ وطني ... أو تُنْجِدي يكنِ الهوى نجدُ
وزعمتِ أنّكِ تضمرين لنا ... ودًّا فهلّا ينفع الوُدُّ!
وإذا المحبّ شكا الصدودَ ولم ... يُعْطَفْ عليه فقتلُه عَمْدُ
تختصّها بالوُدّ وهيَ على ... ما لا تُحِبُّ، فهكذا الوجدُ
أو ما تَرَى طِمْرَيَّ بينهما ... رجُلٌ ألحَ بهَزْله الجِدُّ
فالسيف يقطَع وهو ذو صَدَءٍ ... والنصل يعلو الهام لا الغِمْدُ
هل تنفعنَّ السيفَ حِليتُه ... يوم الجلاد إذا نبا الحَدُّ
ولقد عَلِمْتِ بأنني رجلٌ ... في الصالحاتِ أروح أو أغدو
سَلْمٌ على الأدنى ومَرْحَمَةٌ ... وعلى الحوادث هادِنٌ جَلْدُ
مُتَجَلْببٌ ثوبَ العَفاف وقد ... غفل الرقيبُ وأمكن الوِردُ
ومُجانبٌ فعلَ القبيح وقد ... وصل الحبيبُ وساعد السعدُ
منع المطامع أن تُثَلّمني ... أنّي لمعْوَلها صفًا صلْدُ
فأروح حُرًّا من مذلتها ... والحرُّ حين يطيعها عبْدُ
آليتُ أمدح مُقْرِفًا أبدًا ... يبقَى المديح ويَنْفَدُ الرِفدُ
هيهات يأبى ذلك لي سلَفٌ ... خَمدُوا ولم يخمدْ لهم مجدُ
والمجد كندةُ والبنون همُ ... فزكا البنون وأنجَبَ الجدُّ
فلئن قفوتُ جميلَ فعلهم ... بذميم فعلي إنّني وَغْدُ
أجمِلْ إذا حاولتَ في طلب ... فالجِدّ يغني عنك لا الجَدّ
ليكُنْ لديك لسائلٍ فَرَجٌ ... إن لم يكن فليَحْسُنِ الردُّ
وطريد ليل ساقه سَغَبٌ ... وَهْنًا إليَّ وقادَه بَرْدُ
أوسعتُ جُهْدَ بشاشة وقِرَى ... وعلى الكريم لضيفه الجُهْدُ
فتصرَّمَ المشتى ومنزله ... رَحْبٌ لديَّ وعيشه رَغْدُ

ثــم اغــتــدَى ورداؤه نــعَــمٌ   أســأرتــهــا[1] وردائـي الـحـمـدُ
يـا لـيـت شـعـري بـعـد ذلـكُـم   ومـصـيـرُ كـلّ مـؤمـلٍ لـحـدُ
أصريعُ كَلمٍ أم صريع ضَنًا   أودَى فـلـيـس مـن الـرَّدى بُـدُّ

حب الأعرابي للبادية

قيل لأعرابى: كيف تضنع في البادية إذا اشتد القيظ وانتعل كلُّ شيء ظله؟

قال: وهل العيشُ إلا ذاك؟ يمشي أحدنا مِيلا فيرْفضُّ عَرَقًا، ثم ينصبُ عصاه، ويُلقي عليها كساءه، ويجلس في فيئه يكتال الريح، فكأنه في إيوان كسرى!

شفقة خليفة على رعيته

كتب عدي بن أرطاة-عامل عمر بن عبد العزيز -إليه:

(أما بعد فإن أناسًا قِبَلنا لا يؤدون ما عليهم من الخراج حتى يمسهم شيء من العذاب).

فكتب إليه عمر: (أما بعد: فالعجب كل العجب من استئذانك إياي في عذاب البشر، كأنيّ جُنة لك من عذاب الله، وكأن رضاي ينجيك من سخط الله، إذا أتاك كتابي هذا، فمن أعطاك ما قِبَله عفوًا وإلا فأحلفه، فوالله لأن يلقوا اللَّه بجناياتهم، أحب إلي من أن ألقاه بعذابهم. والسلام).

---

(١) أبقيتها ذِكرًا جميلاً وسمعة حميدة.

صحة التفكير

لو كانت شكوى المصلحين مقصورةً على قلة ما لدينا من وسائط التعليم والتهذيب، ووسائل تنوير القلوب والعقول بهما، لهان الأمر كثيرًا، لأن ما تراه من قلة هذه الوسائل والوسائط سيتبدل يومًا بعد يوم بحال أرقى من التي نحن فيها، إلا أن هنالك مصيبة أدعى إلى الشكوى، وأجدر بالعناية والاهتمام، وهي تباين أثر هذه الوسائط في العقول: فإذا ألقى أحد الأفاضل محاضرة أخلاقية في بعض الأندية، أو إذا كتب أديبٌ مقالة إصلاحية في إحدى الصحف، تجد سامعي المحاضرة وقارئي المقالة متفاوتين في الانتباه إلى مراميهما، وفهم المعاني الواردة فيهما، وربما تلقّاها بعضهم بوجه وتلقّاها آخرون بضدّه، وليس هذا المرض منحصرًا في الأمور العلمية، كالمحاضرات والمقالات، بل إن الرجل يسمع بأذنه الخبر البسيط، أو يرى بعينه الحادث التافه، ثم يذهب في تأويلهما وروايتهما مذاهب بعيدة عن الحقيقة؛ حتى أصبح هذا الأمر من مشوهات الرأي العام الذي بدأ يتكون عندنا بشكل صريح.

قد يظن بعض القراء أن صحة التفكير والحكم، وجودة التصوّر والتصديق، منوطان بموهبة الذكاء، وليس الأمر كذلك، بل هما منوطان بتربية النفس من الصغر على حب الخير والحق، والتجرد عن الشرور والأهواء، والاهتمام بإدراك الأمور من كل وجوهها، وافتداء الصلاح بكل منفعة ذاتية وربح غير مشروع.

وليس خطأ النّاس في التصوّر والتصديق ناشئًا في كل الأحوال عن أسباب طبيعية؛ كالنقص في المدارك، بل إنهم إذا صوّبو أنظارهم إلى حادثة من

الحوادث يحاذرون تمثيلها في أذهانهم بشكلها الحقيقي، ويريدون أن يروها بالصورة التي توافق هوى في نفوسهم دعت إلى وجوده المنافع الزائلة، أو العقائد الباطلة، أو اللوامع الآفلة.

يا لهذه التربية ما أشدَّ تأثيرها على كل شيء فينا: بها نكون رجال صالحين في المجتمع، أو لصوصًا وقَتَلَة ومتشرَدين، وبها نكون كرام النفوس محبين للإحسان، أو لئامًا وبخلاء ومفسدين، وبها نكون صحيحي الأجسام نشيطين مرنين، أوضعافًا وكسولين ومتقاعسين، حتى أفكارنا وأحكامنا أيضًا قد رفعا للتربية راية الخضوع والتسليم، فإذا تربَّى الفكر من الصغر على صحة التفكير نشأ صاحبه جيد التصور، سديد الحكم، محبًا للحق، سواء كان له أو عليه، وإذا كانت الثانية بات الرجل وليس فيه من الرجولية غير اسمها، ولا غرو، فإن التصور والتصديق شطرا المنطق، ولا يزال الإنسان حيوانًا حتى يتمكن من إزالة سلطان الهوى عن نفسه الناطقة الممتازة بحسن التصور وصحة التصديق.

إن أقدس عملٍ يصنعه الإنسان في حياته الدنيا هو أن يُدرك الحق إدراكًا صحيحًا، وأن يصرّح به بلا مواربة ولا خوف، وإن الرجل الذي يستطيع أن يتغلب على كل ما يعترض صحة التفكير من أهواء وخرافات ومنافع ومؤثرات، وأن يكون بعد ذلك مدركًا للحق لا تأخذه في التصريح به لومة لائم، ولا مقاومة مقاوم، ثم يضيف إلى هذه المنزلة العالية منزلة تربية هذا الخُلق في نفوس الناشئة، فلا شك أن مثل هذا الرجل الشجاع مكتوبٌ في عداد أولياء الحقّ، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

قلت: إن الهوى الناشئ عن المنافع الزائلة والعقائد الباطلة يمنع صحة التفكير، ، ومن مصائبنا أن بعض الذين سمعوا بأن التعصُّب لبعض العقائد ينافي

الحرية الفكرية، تحولوا من التعصُّب لها إلى التعصُّب عليها، فبرهنوا على عجز الذين ربّوهم عن أن يجعلوهم صحيحي التفكير أولا وآخرًا، وكان يجب أن يعتادوا من الصغر على دقة النظر، وأن يمارسوا محاكمة الأمور بالموازنة بين براهينها والتنقيب عن دواعيها وأسبابها، متجردين عن التعصب لها أو عليها؛ وبذلك تنمو فيهم قوة الاجتهاد والاكتشاف، وترسخ في عقولهم ملكة العدل والإنصاف.

من لي بمن يذكّر أساتذة المدارس بما أخذوا على أنفسهم من الواجبات العظمى؟

إننا لا نطلب منهم أن يعلموا أولادنا أشياء كثيرة:

يكفي أولادنا من مسائل العلم ما يحتاجون إليه في هذه الحياة. أما نحن فقد كان أساتذتنا يعلموننا أشياء لم تلزم لنا حتى الآن، وفاتهم أن يعلمونا أمورًا تلزم لكل إنسان.

صحة التفكير لازمة للموظف والطبيب والصانع والسياسي والتاجر وحارث الأرض، وإن طريقة تفكير الإنسان دليل على أخلاق الإنسان، وأخلاقُ الإنسان هي الإنسان نفسه.

فهل لأساتذة مدارسنا أن يسهروا لياليهم في التنقيب عن الوسائل التي تزيد رجال مستقبلنا تقدّمًا في مواطن الرجولية، وارتفاعًا في مراقي الإنسانية؟

محب الدين الخطيب

ولاة المسلمين معلمون

خطب عمر بن الخطاب الناس في موسم الحج فقال: إني والله ما أبعث إليكم عمالي ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا من أموالكم، ولكني أبعثهم إليكم ليعملوكم دينكم وسنة نبيكم، فمن فُعل به سوى ذلك فليرفعه إليَّ، فوالذي نفسي بيده لأقصنَّه منه.

فوثب عمرو بن العاص فقال:

يا أمير المؤمنين، أرأيت إن كان رجل من المسلمين واليًا على رعية فأدَّب بعضهم إنك لتقصه منه؟

فقال: إي والذي نفسي بيده لأقصنه منه، وقد رأيت رسول اللَّه ﷺ يقص من نفسه، ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم، ولا تنْزلوا بهم الغياض فتضيعوهم.

الشام

حدَّثتُ نفسي، فاستثرتُ هُيامَها هل تستعيدُ بلادُنا أيامَها
يا نفسُ-والدنيا مُنىً ورَغائبُ- ماذا عليك لو استبحتِ جِسامها؟
إن الشباب-وماجهلتِ غرورَه- يطوي الحياة مُذهَبًا أحلامها
أدعو المنى، فإذا سعدتُ فغايةٌ أو لا فنفسٌ قد شفيتُ أوامَها
ما لذّةُ العيش الحقيقةُ وحدها حسبُ النفوس توهَّمتْ أوهامها

تلك البلاد الشاهقاتُ جبالُها قد وَطَّدَت تحت الثرى أقدامها
الراسياتُ أعزَّة، الناهضات إلى السماء، اللابسات غمامها
تتحدَّثُ العظماتُ عن قماتها متلمّسات صخرها ورغامها
فإذا مشى الوادي بهن حيالها وإذا انبسطن مع السهول أمامها
وقف الزمان لديك يروي مجدَها ومشى إليك حلالُها قُدّامها

❀ ❀ ❀

تلك البلادُ الشافيات مياهها المطفئات، وما بخلن، ضِرامَها
فوَّارة فوق الصخور شرودة بين الرُّبى كالطير رُعتَ نظامها
ماشَيتُها غضبى كما هيَّجتَ في بيداءَ شاسعة المدى ضِرغامها
وصحبتها بين الرياض نقيةً تمشي تضاحك وَردها وخُزامها

❀ ❀ ❀

تلك البلادُ الزاهرات نجومُها الكاشفات، وقد طلعن، ظلامها
الناظماتُ من السناء قلائدًا غُرًّا تسبّحُ بالثناء نظامها
ياحُسنها بجلالها ووئامها لو كان قومي يفهمون وئامها

❀ ❀ ❀

تلك البلادُ وقد حوى تاريخها صفحاتِ مجد خلَّدَتْ أقوامها
الصانعين من التراب عجائبًا كفل الزمان لدى الجمال دوامها
جابوا البحار قريبها وبعيدَها وبغوا السماء فسخروا أجرامها
لبناتُها ملك الجبال وأرزه مرَّتْ به الأعصار تحني هامها
يا خالدًا تُطوَى الدهورُ حِياله ويظل يملأ ذكره أعوامَها
عوّدتَ مجدكَ أن يلم به أذى ولك الحياة فلا رأيتَ ختامها

❀ ❀ ❀

تلك البلاد وما ذكرتُ جمالها إلا لأذكر رغم حبي ذامَها
علَّ الذي خلق السقام لها إذا أصغى لشكواها شفى أسقامها
الله شرفها فأهبط وحيَه فيها، وعظّم بالمسيح مُقامها
عهدي به دين المحبة دينه ما بالها غلب الخصام سلامها!

❀ ❀ ❀

تلك البلادُ وحبذا أبناؤها بين البنين إذا ذكرتَ كرامها
عبثًا تفرّقنا المنى فنفوسنا لبلادنا لا تستبيح ذمامها

❀ ❀ ❀

تلك البلاد وما نسيت نساءها تشقى الرياض إذا نسيت حِمامها
الحاضنات برحمةٍ أطفالها والكافلات من الشقا أيتامها
المطعمات جياعها، والكاسيا ت عراتها، والشافيات سقامها
والله لم تقم البلاد بنهضة حتى تريد السيدات قيامها

❀ ❀ ❀

نادِ المنى تقبلْ عليك سعودُها ودع الزمان محققًا أحلامها
تلك البلاد يعيد مجدَ شبابها من قاد للمجد القديم زمامها
الشعبُ أعظم قوة غلابة يطأ النجوم بها إذا هوَ رامها
بلغت من العلياء أرفع ذروة أممٌ رأيت ملوكها خدّامها
وهوت إلى دَرَكِ الشقاء تَحَدّرًا أمم أطالت في السكون منامها
تلك البلاد ولن تكون عزيزة حتى يهذّب شعبها حُكامها

أمين تقي الدين

توحش التمدن

جاء في آخر كتاب المسيو هنس رزتر عن مصر في عهد الاحتلال الإنكليزي كلمة قالها (هكسلي) الرحالة الانكليزي الشهير وهي:

(رأيتُ التوحش في جميع أشكاله الأكثر دناءة والأشدّ بهيمية في جميع أجزاء العالم، وإذا قُضي عليَّ بالإنحياز إما إلى المتوحشين أو إلى العيشة فقيرًا في لندن، ما ترددتُ لحظة في تفضيل مجاورة المتوحشين على معيشة فيها الأخلاق تسمح بمناظر كالتي تُرى في يومنا هذا في لندن).

مصباح الكهرباء

رسالة قديمة بعث بها السيد مصطفى صادق الرافعي إلى صديق له من أعيان البيان كان قد استبدل نور الكهرباء بنور الغاز وهي:

ما هذا؟ صرف اللَّه عنك شدة البياض، في غير الأعراض، أسئمت الليل فأذريته صبحًا، وأوريته قدحًا؟ أم زهدت في السواد، لغير الحداد! وللعيوب والأهداب، لا للفنون والآداب، فأطلعت من سقفك الكواكب تتألق، كالعيون السواكب تتدفق، وعِفت تلك المصابيح، وهي كالحظ تميل مع الريح، فإن كنت أشفقت أن تطول ألسنتها فتسود عرض الحائط، فإن قطع اللسان، يكون بالإحسان لا بالهجران، وما الذي جنته - عفا اللَّه عنك - حتى تجفف من الهجر لهواتها، وتأخذها بغير هفواتها، وتطرحها جانبًا، وتنأى عنها مغاضبًا، فلا كلمة مؤاساة تطفئ من لوعتها، ولا نفخة من صدرك لصدرها، تخفف من

حرها، ولا عناية من أمرك بأمرها، تجير من كسرها، وهل عمى الليل وسألك العلاج، فصنعت له أعينًا من زجاج؟ أم سألك الناسُ آية تخرق العادة، فمثلت لهم بعد الغروب الشروق، أم انتجع غيثك بعض المجدبين فخيلت له البروق؟ وما أشك أنك أمسيت تحاول تجزئة القمر، فتكون منك لكل أمة فلقة إلى آخر العمر!

لا أعجب والله من فرعون حين قال: هذه الأنهار تجرى من تحتي، ولكني أعجب منك حين تقول: هذه النار أجري من تحتها، وليتني أعلم أهي استعارة أم مجاز؟ ومن مناهل الغاز أم من مسائل الألغاز؟ وكأني بأصابعك وقد عرفت أن لها خواتم في الهواء، فهي تلعب كما تشاء، مرة تحبب لجليسك العمى، وتتركه لا إلى الأرض ولا إلى السما، بأسفه ليل كلما شئت أظلما، ومرة تذكره بيوم النشور، فتبعث فيه النور، بعد أن يكون في ظلمة القبور.

هذا على أن كواكبك من الزجاج، لا من الأبراج، فكيف لو كن، كما لا تظن، أكنت تبتلع الشمس! لتقول أنا اليومُ والأمس؟ أم كنت تلف الأرض بالأرض، لتنزل علينا آية ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾؟

وإني لأنتظر لك ليلة يخفق فيها زفير الكهرباء، فينقطع بعض الأسلاك، ويقع وحش الظلمة في تلك الشباك. هنالك إذا استوحشت فرفعت رأسك، غنتك القناني لا القيان، وترامت على قدميك تفديك بدمئها المختلفة الألوان، وإذا مددت رجلك إلى الباب، ليُكشف لك النقاب، ويميط هذا الجلباب، حسبك تحييه فحياك، وأبى-أدام اللَّه عليه العافية-إلا أن يُقبل جبينك ويلثم فاك. وربما مد ذراعه إلى الطوق، والظلمة تدعو إلى شدة الشوق، فيظنه عناقًا، وتظنه خناقًا، ثم تلتمس المخرج فتحسب الحيطان، أنك تسألها الحنان، فتضمك إشفاقًا إلى صدرها، وتأخذ رقبتك لنحرها، وهكذا من حبيب إلى حبيب، ومن

نصيب في هذا الهوى إلى نصيب، حتى يوفى الكيل، ويُكشف عنك الغطاء، فتُبصر آية الليل. والسلام

مصطفى صادق الرافعي

مواساة الصديق

قال ابن المقفع:

إذا نابت أخاك إحدى النوائب، من زوال نعمة أو نزول بلية، فاعلم أنك قد ابتليت معه: إما بالمواساة فتشاركه في البلية، وإما بالخذلان فتحتمل العار، فالتمس المخرج عند أشباه ذلك، وآثر مروءتك على ماسواها.

فإن نزلت الجائحة التي تأبى نفسك مشاركة أخيك فيها، فأجمل لعل الإجمال أمثل بك لقلة الإجمال في الناس.

الذكرى

شجنٌ ليس يُرتجى إبلالُهْ   وعذابٌ إدْبارُه إقباله
لاشباب أحلامه خابياتٌ   وحنين ما إن يطاق احتماله
إن أطافت برَبعه نائبات   ضاعف الرزء والمصابَ خياله
أو ألَّمتْ بنفسه ذكريات   أعْظَم الداء واستمرت حباله

أتُراهُ في ميعة العمر يشكو وهو جَلْدٌ ما أورقت آماله
داهمته عُونُ الخطوب فأمسى ليس إلا من كأسها جرياله
موكب الحزن هزَّه فتولى كاسفَ البال كيف ينعم باله
ويح قلب الشجي لو يألف الصـ بر لكانت رضيةَ أفعاله
كلما ظن أنه فاز بالسلـ وان عادت جديدة أمياله
الليالي تنكرت لمناه فتناءى بعد التداني وصاله
وكأن الحياة فاضت شجونًا ضمها الرَبع سهله وجباله
والأماني كثيرة وخطوب الدَّ هر تَتْرى والقلب تؤلم حاله
ليس بعد الرجاء عيش هنيٌ -أيها القلب-وارفات ظلاله
رُبَّ ليل سهدته نابغي صامتات أرواحه وظلاله
تتراءى أشباحه فيذوب الـ قلب رعبًا وتغتلي أهواله
لا تلمني إن الظلام تهادى في علاه إن قلت: سادَ جلاله

❀ ❀ ❀

يا فؤادي إن راع خطبٌ جليل وتعالى من جانبيكَ اشتعاله
(قم تأمل فما المحاسن إلا فرصُ المجد أعرضت واهتباله)[(١)]
ولكم قام في الورى من طموح ثم أعيا ذلك الطموح مناله
ضن بالروح حاسبًا أنما يكـ فيه من نيله الفخارَ مقالَه
إنما الخلد همة تتجلى كلما أحوج الكريم نضاله
يعجز الدهر أن يؤثر فيها تتبدي ما أحوجت أفعاله
وجدير بمن تذرع بالإقـ دام ألّا ينال منه كلاله

❀ ❀ ❀

(١) البيت للبحتري.

قل لنضو الملام حسبك إن الـ ... داءَ يَشكوه ما تفاقم آله
ما تراءت لعينك الدار تشكو ... إن هذا لمرهق تحماله
أتغني أيكية فوق غصن ... يبعث الشجو لحنها وجماله
نغماتٌ يهيم منها خلي ... وترى ذا الجوى يطيب اعتداله
إن أرنّت هزت فؤاد مشوق ... وهفا الغصن باديًا إجلاله

❁ ❁ ❁

قينةَ الروض ردّدي منك لحنًا ... يالكِ اللّه مؤلمًا إقلاله
ذكرينا فالذكر (لوعة) عانٍ ... زاد من طول ليله بلباله
واهتفي بالأنين في ساحة الليـ ... ـل لعل الظلام يدنو ارتحاله
إن تهيجي حزنًا فيا رُب حزنٍ ... يؤلم الصَب بعده وذياله
أوتذيبي نفسًا فيا رُب وجدٍ ... يبعث الرَّوْحَ ضافيًا سرباله
أو تنوحي فمن لنا بنواحٍ ... من حزين لم تَعْدُهُ عُذّاله

عمر يحي

حِكم

* صدور الأحرار قبور الأسرار.
* أعز الناس الفقير الصابر.
* أسرع الناس غضبًا الصبيان والنساء.

حسن الاستماع

قال ابن المقفع:

تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام، ومن حسن الاستماع إمهال المتكلم حتى ينقضي حديثه، وقلة التلفت إلى الجواب، والإقبال بالوجه، والنظر إلى المتكلم، والوعي لما يقول.

واعلم -فيما تكلم به صاحبك- أنه مما يهجن صواب ما يأتي به، ويذهب بطعمه وبهجته ويزرى به في قبوله، عجلتك بذلك، وقطعك حديث الرجل قبل أن يفضي إليك بذات نفسه.

كلمات

❑ **العزيمة:**

لو أن القلب فلذة من الحديد، أو قطعة من الصخر؛ لاستطاعت العزيمة التي تحيل الحديد ماء والصخر ترابًا أن تنال منه، فتحيل قسوته رحمة، وصلابته لينًا، متى أراد صاحبه أن تكون كذلك.

❑ **الغفران:**

ليس الحقد واحتمال الضغينة غريزة من الغرائز اللازمة للإنسان، فإن الرجل قد يصفح عن سيئات الأطفال؛ لأنهم لا يملكون الخيار لأنفسهم، ويذكر لأصحاب السيئات من الموتى حسناتهم؛ لأن الزمن الذي ذهب بهم ذهب

بخيرهم وشرّهم، فلمَ لا تغتفر ذنوب أولئك الذين ما أذنبوا إلا بعد حرب مستعرة قامت بين عقولهم وقلوبهم، ثم سقطوا على أثرها صرعى لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا.

❑ الحزم:

إن الدرهم الذي تمنحه لمن لا يستحقه يخرج من يدك، فلا تجده في اليوم الذي ترى فيه أمامك من يستحقه، وإن الدينار الذي تعطيه للشارب ليشتري به كأسًا يقتل بها نفسه، لا يتيسر لك أن تعطيه للفقير العائل ليشترى به رغيفًا يحيى به ولده.

❑ الأقسام:

لا أعرف فرقًا بين حنث الحانث في يمينه وكذب الكاذب في حديثه، كلاهما ساقط الهمة، وكلاهما ضعيف المُنة، وكما لا يستطيع الكاذب أن يكون صادقًا، كذلك لا يستطيع الحانث أن يكون بارًا، وناقضُ العهد أن يكون وفيًا، فخداعٌ من المتكلم أن يزعم أن لأحاديثه من الشأن في مواقف الأقسام ما ليس لها في غير تلك المواقف، وأنه يتحرج في الحنث ما لا يتحرج في الكذب، فإن من يستصغر جُرم الكذب لا يستكبر من بعده جُرمًا.

❑ الألم:

إن في كثير من الآلام التي نعالجها لذائذَ ومسرات يُدركها من عرف أن الإنسان بطبيعته غافل عما يهدّده من مصائب هذه الحياة وأرزائها، وإن الآلام الضعيفة التي تناله من العثرات الصغيرة نُذُرٌ تأتيه من عالم الغيب؛ لتحذرّه من الآلام الشديدة التي تناله من السقطات الكبيرة.

❑ **الأدب:**

لا تكافئ السفيه على سفهه بمثله، فإنك إن فعلت قضيت له على نفسك، وأصبحتَ شريكه في الخلة التي تزعم أنك تنقمها عليه، فإن كنت لابد منتقمًا، فليكن مثلك مثل الأحنف بن قيس، إذ جاء رجل قد جعل له بعض الناس جعلًا على أن يُغضبه، فما زال يسبه ويلح في ذلك إلحاحًا محرجًا، والأحنف ساكت لا يقول شيئًا، حتى ضاق بالرجل أمره، فانقلب إلى قومه باكيًا نادبا يأكل أصبعه أكلًا ويقول: والله ما سكت عني إلا لهواني عليه.

❑ **الدعوى:**

إن أردت أن تكون في الأمة الجاهلة كلَّ شيء، فادّع لنفسك كل شيء، تنل بقولك في الزمن القصير ما لا ينال غيرك بفعله في الزمن الطويل، فإن الكاذب لا يزال يكذب حتى يصدقه الناس، ثم لا يزال يكذب حتى يصدق نفْسه.

❑ **الدين والوطن:**

من لا خير له في دينه لا خير له في وطنه؛ لأنه إن كان بنقضه عهد الوطنية غادرًا فاجرًا، فهو بنقضه عهد اللّه وميثاقه أغدر وأفجر، وإن الفضيلة للإنسان أفضل الأوطان، فمن لم يحرص عليها فأحرى به ألَّا يحرص على وطن السقوف والجدران.

❑ **الأخلاق:**

مثل المتعلم غير المتأدب كمثل شجرة عارية لا تورق ولا تثمر، قد انتصبت للناس في ملتقى الطرق تعترض الرائح وتصد سبيل الغادي، فلا الناس بظلها يستظلون، ولا هم من شرها ناجون.

❑ **الحلم:**

إذا تورَّد متوردٌ بكلمة سوء فلا تبتئس بها، فإنك في موقفك هذا بين اثنتين: إما أن يكون الرجل صادقًا فيما يقول أو كاذبًا، فإن كانت الأولى فاحمد اللَّه تعالى على أن قيض لك من أرشدك إلى عيبك، وكشف لك عن خبيئة نفسك من حيث لا يكلفك في هذا العمل مؤونة ولا يسألك عليه أجرًا.

❑ **تيار الجماعات:**

لا سبيل للإنسان إلى الخلاص من الاندفاع في تيار الجماعات وضلالها مهما كان ذكيًا أو مفكرًا، إلا إذا حبس نفسه عن الانضمام إليها، أو كان له من عزيمة الرأي وصلابة النفس ما يمكنه من تربية نفسه على التجرد، حتى يصير طبيعة له، فيحضرها شاهدًا كغائب ومجتمعًا كمنفرد.

❑ **فناء الأفراد في الجماعات:**

ليس انضمام أفراد من أذكياء الناس وعقلائهم إلى جماعة من الجماعات دليلًا على فضل تلك الجماعة أو شرف مقاصدها أو صحة مبادئها، لأنهم لا يجتازون عتبة مجتمعها إلا بعد أن يخلعوا عقولهم ومواهبهم مع أرديتهم وعصيهم خارج بابه.

❑ **السعادة سعادة اليوم:**

السبب في شقاء الإنسان أنه دائمًا يزهد في سعادة يومه، ويلهو عنها بما يتطلع إليه من سعادة غده، فإذا جاء غده اعتقد أن أمسه كان خيرًا من يومه، فهو لا ينفك شقيًا في حاضره وماضيه.

❑ **قيادة الجمهور:**

لا يشترط في قيادة الجموع أن يكون القائد مفرطًا في الذكاء أو العقل أو

الدهاء، بل يكفيه من ذلك كله شيء من العلم بأذواق أتباعه وميولهم، وسبل الوصول إلى قلوبهم، لا يزيد عن علم التاجر بأذواق زبائنه ورغباتهم.

❑ البرّ:

ربما كان لك من أبويك أو من ذوي رحمك ممن تولوا شأنك في مفتتح عمرك من لم تساعده شؤون دهره أو عصور نشأته على أن ينال حظًا من العلم والمعرفة مثل ما نلت، فإياك أن يدعوك ذلك إلى تسفيهه أو تجبيهه أو السخرية به أو الإدلال بنفسك عليه، فإنك إن فعلت خسرت من الأدب أضعاف ما كسبت من العلم، على أنه ربما كان لكبيرك هذا الذي عققته وظلمته وكفرت بفضل نعمته عليك من العلم بتجارب الحياة ومقاتلها وموارد الأمور ومصادرها ما يبهر علمك الذي تعتد به وتدل بمكانه عليه، وهناك تكون قد خسرت فوق خسران أدبك ما كان خليقًا بك أن تتلقاه بين يديه من علوم التجارب التي ليست علوم الدراسة بالإضافة إليها إلا كالنقطة من البحر، والمدرة من القفر.

مصطفى لطفي المنفلوطي

ذكرى الغوطة

سقى الغوطةَ الغرّاء هاطل مُزنة ... ولا زال دفاق الزلال غديرها
معاهد: فيها للشاب معاهدٌ ... يجدد ذكراها لديّ دثورُها
مسارح آرام، وفردوس أنفس ... تساوت به آصالها وبكورها
قضينا بها عهد الشبيبة والصِّبا ... يجود علينا باللجين نميرها

إذا ما حللنا روضة من رياضها تأرَّج رياها، وفاح عبيرها
نذرنا لها ألا نخون عهودها وما كل نفس لا توفي نذورها
ولكنها الأيام إن طاب للفتى زمانٌ أتى بالمعجزات سفيرها!
إذا كان ماسرَّ الفتى غير دائم فما خير نُعمى لا يدوم سرورها
يشط الفتى عن داره قاليًا لها إذا راعه بالموبقات نذيرها
وتغدو القصور الجارحات نوازحًا إذا لم تلائمها الغداة وكورها

محمد البزم

الاعتدال

بين الجبن والتهور منْزلة هي الشجاعة والإقدام، وبين البخل والإسراف منْزلة هي الكرم، وبين العفو والانتقام منْزلة هي العقوبة، وبين العجز والجهل منْزلة هي الحكمة، فليكن من أفضل ما تأخذ به نفسك التريث والتثبت عند النظر في الفروق بين مشتبه الفضائل والرذائل، واعلم أنك لا تّزال كريمًا حتى تنفق مالك في غير موضعه، فإذا أنت مسرف، وأنك لا تزال حليمًا حتى تغضب للباطل،فإذا أنت جهول، وأن كل الناس يعرفون الفضائل والرذائل ويفهمون معانيها، أما إدراك الفروق بين مشتبهاتها عند ملابستها، فتلك رتبة العقلاء الأذكياء.

مصطفى لطفي المنفلوطي

من صلح الحديبية إلى فتح مكة

قال أبو يوسف: حدثني هشام بن عروة عن أبيه، وحدثني محمد بن إسحاق والكلبي - زاد بعضهم على بعض في الحديث - أن رسول اللَّه ﷺ خرج إلى الحديبية في رمضان، وكانت الحديبية في شوال، حتى إذا كان بعُسْفَان[١] لقيه رجال من بني كعب، فقالوا:

يا رسول اللَّه إنا تركنا قريشًا قد جمعتْ أحابيشها تُطعمهم الخزير[٢]، يريدن أن يصدُّوك عن البيت.

فخرج رسول اللَّه ﷺ حتى إذا برز من عسفان لقيهم خالد بن الوليد طليعةً لقريش، فاستقبلهم على الطريق، فأخذ بهم رسول اللَّه ﷺ بين سروعتين[٣]، ومال عن سَنَن الطريق.

حتى نزل الغَمِيم[٤]، فلما نزل الغميم تشهد فحمد اللَّه وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال:

«أما بعد: فإن قريشًا قد جمعت أحابيشها[٥]، تُطعمهم الخزير يريدون أن يصدُّونا عن البيت، فأشيروا عليّ ما ترون. أترون أن نعمد إلى الرأس - يعنى

---

(١) قرية بين الجحفة ومكة على مرحلتين من مكة.

(٢) الخزير لحم يقطع صغارًا ويصب عليه ماء كثير، فإذا نضج ذُر عليه الدقيق، فإن لم يكن فيه لحم فهو عصيدة.

(٣) السروعة: رابية من الرمل.

(٤) مكان بين رابغ والجحفة.

(٥) هم أحياء من القارة -من قبائل هذيل- انضموا إلى بني ليث في محاربتهم قريشًا، والتحبش: التجمع، وقيل: حالفوا قريشًا تحت جبل اسمه حُبْشى (بضم فسكون)، فسُموا بذلك.

أهل مكة -، أو نعمد إلى الذين أعانوهم فنخالفهم إلى نسائهم وصبيانهم، فإن جلسوا جلسوا مهزومين موتورين، وأن طلبونا طلبوا طلبًا مدانيًا ضعيفًا، فأخزاهم الله».

فقال أبو بكر: نرى يا رسول اللَّه أن نعمد إلى الرأس -يعنى أهل مكة -، فإن اللَّه جل ثناؤه ناصرك، وإن اللَّه مُعينك، وإن اللَّه مظهرك.

وقال المقداد: إنا والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لنبيها: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون.

فخرج رسول اللَّه ﷺ، حتى إذا غشي الحرم ودخل أنصابه[١] بركت ناقته الجدعاء، فقال الناس: خلأت[٢].

فقال رسول اللَّه ﷺ: **«ما خلأت، وما الخِلاء بعادتها، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة، لا تدعوني قريش إلى تعظيم المحارم فيسبقوني إليه، هلموا هاهنا»**.

وأخذ ذات اليمين، فسلك ثنية تدعى ذات الحنظل، حتى هبط على الحديبية، فلما نزل استقى الناس من بئر، فنزفت[٣] ولم تقم بهم، فشكوا ذلك إليه ﷺ؛ فأعطاهم سهمًا من كنانته فقال: **«اغرزوه فيها»**، فغرزوه، فجشت وطمي ماؤها، حتى ضرب الناس عنه بالعطن[٤].

---

(١) جمع نُصب: وهو ما جُعل علامة على حدود الحرم من الحل.

(٢) الخِلاء (بكسر الخاء) للنوق كالإلحاح للجمال، والحران للدواب.

(٣) أي فني ماؤها من كثرة الاستقاء.

(٤) العطن: مبرك الإبل حول الماء، يقال: عطنت الإبل إذا سقيت وبركت عند الحياض لتعاد إلى الشراب مرة أخرى.

فلما سمعت به قريش أرسلوا إليه أخا بني الحلس[(١)]، وكان من قوم يعظمون الهَدْي، فلما رآه ﷺ قال: «**هذا ابن الحلس، وهو من قوم يعظمون الهَدْي، فابعثوا له الهَدْي حتى يراه**»، فلما نظر إلى الهَدْي في قلائده لم يكلمهم كلمة واحدة، ورجع من مكانه إلى قريش فقال: أتى القوم بالهدى والقلائد (فعظَّم عليهم وحذرهم)، فشتموه وجبهوه وقالوا: إنما أنت أعرابي جلف لا علم لك، ولسنا نعجب منك، وإنما نعجب من أنفسنا حيث أرسلناك.

ثم قالوا لعروة بن مسعود الثقفي: انطلق إلى محمد ولا تؤتى من قِبل رأيك.

فسار إليه عروة، فلما لقيَه قال: يا محمد، جمعتَ أوباش الناس، ثم سرت بهم إلى عترتك وبيضتك التي تفلَّقَتْ عنك لتبيد خضراءهم، تعلم أني قد جئتك من عند كعب بن لؤي وعامر بن لؤي قد لبسوا جلود النمور عند العوذ المطافيل[(٢)]، يُقسمون بالله لا تعرض لهم خطّة إلا عرضوا لك أمرّ منها.

فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إنا لم نأت لقتال، ولكن أردنا أن نقضي عمرتنا وننحر هدينا، فهل لك أن تأتي قومك فإنهم أهلي، وإن الحرب قد أخافتهم، وإنه لا خير لهم أن تأكل الحرب منهم إلا ما قد أكلت، فيجعلون بيني وبينهم مدة يزيد فيها نسلهم، ويؤمن فيها شرهم، ويخلو بيني وبين البيت، فنقضي عمرتنا وننحر هدينا، ويخلو بيني وبين الناس، فإن أصابوني فذلك الذي يريدون، وإن أظهرني اللَّه عليهم اختاروا لأنفسهم، إما قاتلوا معدين، وإما دخلوا في السلم واقرين، فإني والله لأقاتلن على هذا الأمر الأحَمر والأسود حتى يمضي أمر اللَّه أو تنفرد سالفتي**»[(٣)].

---

(١) رجل من كنانة.

(٢) يريد النساء والصبيان، والعوذ في الأصل جمع عائذ، وهي الناقة إذا وضعت، وبعدما تضع أيامًا حتى يقوى ولدها.

(٣) السالفة: صفحة العنق، وكنى بانفرادها عن الموت.

فلما سمع عروة مقالته رجع إلي قريش فقال: تعلمُنَّ أنكم أخوالي وعشيرتي وأحبُّ الناس إليّ، ولقد استنفرت لكم الناس في المجامع، فلما لم ينصروكم أتيتكم بأهلي حتى سكنتُ بين أظهركم إرادة أن أواسيكم، تعلمُن ما أحبُّ الحياة بعدكم، وتعلمُن أني قد رأيت العظماء وقدمت علي الملوك، فأقسم بالله أني ما رأيت ملكًا ولا عظيمًا أعظم في أصحابه من محمد، إنْ منهم رجلٌ يتكلم حتى يستأذنه في الكلام، فإن أذن له تكلم، وإن لم يأذن له سكت، ثم إنه ليتوضأ فيبتدرون وَضوءَه يصبونه على رؤوسهم يتخذونه حنانًا.

فلما سمعوا مقالة عروة أرسلوا إليه سهيل بن عمرو ومكرز بن حفص، فقالوا:

انطلقا إلي محمد، فإن أعطاكما ما ذكره لعروة فقاضياه على أن يرجع عنا عامه هذا، ولا يخلص إلى البيت حتى يسمع من سمع من العرب بسيره أنا قد صددناه.

فأتياه فذكرا له ذلك، فأعطاهما وقال: اكتبوا «بسم اللَّه الرحمن الرحيم».

فقالا: لا والله لا نكتب هذا أبدًا.

فقال النبي ﷺ: **«فكيف نكتب؟»**.

فقالا: اكتب باسمك اللهم.

فقال رسول اللَّه ﷺ: **«وهذه حسنة اكتبوها»**، فكتبوها.

ثم قال: **«اكتبوا: هذا ما تقاضى عليه رسول الله»**.

فقالوا: والله ما نختلف إلا في هذا.

قال: **«فكيف؟»**.

قالوا: اكتب اسمك واسم أبيك: محمد بن عبد الله.

قال ﷺ: «**وهذه حسنة، اكتبوها**».

فكتبوها، فكان في شرطهم (أن بيننا العيبة المكفوفة[١]، وأنه لا أغلال ولا أسلال[٢]: وأنه من أتاكم منا رددتموه علينا، ومن أتانا منكم لم نرده عليكم).

فقال رسول اللّه ﷺ: «**من دخل معي فله مثل شرطي**».

وقالت قريش: من دخل معنا فله مثل شرطنا.

فقالت بنو كعب: نحن معك يا رسول الله.

وقالت بنو بكر: ونحن مع قريش.

فبينما هم في الكتاب إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي وهو موثق بالحديد، مسْلمًا، قد انفلت منهم إلى رسول اللّه ﷺ، فلما رآه المسلمون قالوا:

اللهم أبو جندل!

فقال رسول اللّه ﷺ: «**هو لي**».

وقال أبوه سهيل - وهو الذي كان يقاول رسول اللّه ﷺ:

قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا، فهو لي، فانظروا في الكتاب.

---

(١) أي: بينهم صدر نقي من الغل والخداع مطوي على الوفاء بالصلح، والمكفوفة: المشرجة المشدودة، وقيل: أراد أن بينهم موادعة ومكافة عن الحرب تجريان مجرى المودة التي تكون بين المتصافين، الذين يثق بعضهم إلى بعض.

(٢) الأغلال: الخيانة أو السرقة الخفية، والأسلال: سل السيوف.

فنظروا فوجدوه لسهيل فردوه إليه، فنادى أبو جندل:

يا رسول الله، يا معاشر المسلمين، أتردونني إلى المشركين يفتنوني في ديني؟

فقال له رسول الله: **«يا أبا جندل، قد لجت القضية بيننا وبينهم، ولا يصح لنا الغدر، والله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا»**.

فقال عمر: يا أبا جندل، هذا السيف، وإنما هو رجل وأنت رجل.

فقال سهيل: أعنتَ عليّ يا عمر.

فقال النبي ﷺ لسهيل: **«هبه لي»**.

قال: لا.

قال: **«فأجرْه لي»**.

قال: لا.

قال مكرز: قد أجرته لك يا محمد، ولن يهيج(١).

فقال رسول اللّه ﷺ: **«يا أيها الناس انحروا واحلقوا وأحلوا»**.

فما قام رجل من الناس، ثم أعادها، فما قام أحد، ودخلهم من ذلك أمر عظيم، فدخل رسول اللّه ﷺ على أم سلمة فقال: **«ما رأيتِ ما دخل على الناس؟»**.

فقالت: يا رسول اللّه اذهب فانحر هديك واحلق وأحلَّ، فإن الناس سيحلون.

---

(١) في «صحيح البخاري» ما يفيد أن قريشًا لم تُمض جوار مكرز لأبي جندل، بل أُخذ وبقي في إساره حتى انفلت ولحق بذي الحليفة مع أبي بصير، كغيرهما ممن كان شأنه كذلك.

ففعل، فنحر الناس وحلقوا وأحلوا، ثم انصرف رسول اللَّه ﷺ، فلما قدم المدينة أتاه أبو بصير رجل من قريش مسْلمًا، فبعثت قريش في طلبه رجلين، فدفعه رسول اللَّه ﷺ إليهما وقال له نحوًا مما قال لأبي جندل، فخرجا به حتى انتهيا به إلى ذي الحليفة، فقال لأحدهما:

أصارمٌ سيفك هذا يا أخا بني عامر؟.

قال: نعم.

قال: فأنظر إليه؟

قال: نعم.

فاخترطه ثم علاه به حتى قتله، وخرج صاحبه هاربًا.

وأقبل أبو بصير حتى وقف على رسول اللَّه ﷺ ثم قال:

قد وفيت ذمتك وأدى اللَّه عنك، وقد امتنعتُ بديني أن يفتنوني.

فقال له رسول اللَّه ﷺ: «**ويل أمه مِحَشُّ حرب، لو كان له رجال**[1]».

فخرج أبو بصير حتى نزل بذي الحليفة، فجعل كل من أسلم من أهل مكة يأتيه فينضم إليه، حتى صار معه سبعون رجلًا، وكان يقطع الطريق علي تجار قريش وعلى غيرهم، حتى كتبت قريش إلى رسول اللَّه ﷺ يسألونه بأرحامهم أن يقبلهم فلا حاجة لهم فيهم، فقبلهم رسول اللَّه ﷺ، وأنزل الله: ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ﴾ الآية، فأُمروا أن يردوا الأصدقة علي أزواجهن.

فلم تزل الهدنة حتى وقع بين بني كعب وبين بني بكر قتال، فكانت بنو بكر ممن دخل مع قريش في صلحها وموادعتها، فأمدت قريشٌ بني بكر بسلاح

---

(١) محش بكسر الميم وفتح الحاء، يقال: حش الحرب إذا أسعرها وهيجها.

وطعام، وظللت عليهم، حتى ظهرت بنو بكر على بني كعب وقتلوا فيهم؛ فخافت قريش أن يكونوا قد نقضو؛ فقالوا لأبي سفيان:

اذهب إلي محمد فأجدّ الحلْف وأصلح بين الناس، فانطلق أبو سفيان حتى قدم المدينة، فقال رسول اللَّه ﷺ: **«قد جاءكم أبو سفيان، وسيرجع راضيًا بغير حاجة»**، فأتى أبا بكر رضي الله عنه فقال:

يا أبكر، أجد الحلْف وأصلح بين الناس، فقال أبو بكر: ليس الأمر إليّ، الأمر إلى اللَّه وإلى رسوله.

ثم أتى عمر رضي الله عنه فقال له نحوا مما قال لأبي بكر، فقال له عمر:

أنقضكم، فما كان منه جديدًا فأبلاه الله، وما كان منه شديدًا فقطعه الله.

فقال أبو سفيان: ما رأيت كاليوم، شاهدت عشيرة ليس من قوم ظللوا على قوم وأمدوهم بسلاح وطعام أن يكونوا نقضوا.

ثم أتى فاطمة رضي الله عنها فقال:

هل لك يا فاطمة في أمر تسودين فيه نساء قومك؟

ثم ذكر لها لها نحوًا مما ذكره لأبي بكر، فقالت:

ليس الأمر إليّ، الأمر إلى اللَّه وإلى رسوله.

ثم أتى عليًا رضي الله عنه فقال له نحوًا مما قاله لأبي بكر، فقال له عليٌّ رضي الله عنه:

ما رأيت كاليوم رجلًا أضل، أنت سيد الناس، فأجد الحلف وأصلح بين الناس.

فضرب إحدى يديه على الأخرى وقال:

قد أجرْتُ الناس بعضهم من بعض.

ثم مضى حتى قدم على أهل مكة فأخبرهم بما صنع فقالوا:

والله ما رأينا كاليوم وافدًا قدم، والله ما أتيتنا بحرب فنحذر، ولا بصلح فنأمن، ارجع.

وقدم وافد بني كعب على رسول اللَّه ﷺ، فأخبره بما صنعت قريش وبمعونتها لبني بكر، ودعاه إلى النصرة وأنشد:

لا هَمَّ إني ناشدٌ محمدا   حِلْف أبينا وأبيه الأتلدا
ووالدا كنا كنتَ ولدا   ثُمة أسلمنا فلم ننزع يدا
إن قريشا أخلفوك الموعدا   ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لست تدعو أحدًا   فهم أذلُّ وأقلُّ عددا
هم بيّتونا بالوتير[1] هُجّدا   وقتلونا رُكّعًا وسجدا
وجعلوا لي في كداء رصدا[2]   فانصر رسول اللَّه نصرًا عندا
وابعث جنود اللَّه تأتي مددا   في فيلق كالبحر يأتي مُزبدا
فيهم رسول اللَّه قد تجرّدا   إن سيم خسفًا وجهه تربدا[3]

ومرت سحابة فأرعدت، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إن هذه لترعد بنصر بني كعب**».

ثم قال لعائشة: «**جهزيني ولا تُعلمين بذلك أحدًا**».

فدخل عليها أبو بكر فأنكر بعض شأنها، فقال: ما هذا؟

فقالت: أمرني رسول اللَّه ﷺ أن أجهزه.

قال: إلى أين؟

---

(١) اسم ماء بأسفل مكة لخزاعة.
(٢) كداء بأعلى مكة عند المحصب.
(٣) أربد الوجه وتربد، أي تغير إلى الكُدرة.

قالت: إلى مكة.

قال: والله ما انقضت الهدنة بيننا وبينهم بعد. فجاء أبو بكر إلى رسول اللَّه ﷺ فذكر ذلك له، فقال له النبي ﷺ: «**إنهم أول من غدر**».

ثم أمر رسول اللَّه ﷺ بالطرق فحُسبت، ثم خرج ﷺ يريد مكة والمسلمون معه، ففتحها اللَّه عليه.

❁ ❁ ❁

وقد كان العباس بن عبد المطلب ﷺ قال:

يا رسول اللَّه لو أذنتَ لي فأتيتُ أهل مكة فدعوتهم وأمنتهم.

وهذا بعد أن شارف النبي ﷺ مكة، ووجه الزبير من قِبل إعلاها وخالدًا من قِبل أسفلها، فأذن له، فركب العباس بغلة النبي ﷺ الشهباء وانطلق، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ردّوا عليَّ أبي، ردّوا عليَّ أبي، وإن عمّ الرجل صِنوُ أبيه، إني أخاف أن تفعل به قريش ما فعلت بابن مسعود، دعاهم إلى اللَّه فقتلوه، أما والله لئن ركبوها منا لأضرمنَّها عليهم نارًا**».

فانطلق العباس حتى قدم مكة، فقال:

يا أهل مكة أسلموا تسلموا، فقد استبطنتم بأشهب بازل(١)، هذا الزبير من قبل أعلى مكة، وهذا خالد من قبل أسفل مكة، من ألقى سلاحه فهو آمن(٢).

❁ ❁ ❁

(١) أي رُميتم بأمر صلب شديد لا طاقة لكم به، يقال: يوم أشهب وسنة شهباء وجيش أشهب، أي: قوي شديد، وأكثر ما يُستعمل في الشدة والكراهة، وجعله بازلاً؛ لأن بزول البعير نهاية في القوة.

(٢) انظر قصة فتح مكة في «زاد المعاد»؛ لابن القيم (٣/ ٣٩٤ وما بعدها).

نقلة (الزهراء)

انتقلت (الزهراء) إلى دارها الجديدة بشارع الاستئناف بالقاهرة، وهذه الدار كما يعلم جمهور الأدباء تاريخية في نشأتها الأدبية، حيث كانت مقرًا لصحف ومجلات شتى، تعَهدها بالرعاية الأدبية والمادية أو أنشأها: فقيد الصحافة العربية والمحاماة والوطنية، المغفور له الأستاذ محمد أبو شادي بك. وكانت منتدىً لصفوة أهل البيان في ذلك الوقت، فدفعت هذه الذكريات الشاعر إلى نظم هذه الأبيات الوجدانية، وبعث بها إلى صديقه محرر الزهراء.

جدّدتَ (للزهراء) فجرَ شبابي ... وأعدتَ لي صُوَرًا مِنَ الأحبابِ
قَسَمًا (مُحبَّ الدين) مِثْلُكَ أُنْسُهُ ... يُنسِي عدِيمَ الحظّ كُلَّ طِلابِ
بالأمسِ كنت مذَكّري بطفولتي ... في مجمعِ العرفانِ والآدابِ!
واليوْمَ تنشُرُها حياةً غضّةَ ... في مَعْهَدٍ جدرانُه أوْلَى بي!
لي فيهِ أعوامُ البيانِ حفيلةً ... بمُنىً وأحلامٍ صدَقْنَ عِذابِ
ومآثرِ للكاتبينَ عَرفتُهُمْ ... كلٌّ بقُدْرَتِهِ العزيزُ الآبي
قد كانَ مدْرَسةَ الصِّحافة وقتَه ... وأبَ البيانَ الباذخَ الأحسابِ
وحظيرةَ الأدَباءِ تجمعُ شملَهمْ ... ومَباءةَ الأعلام مِن كُتاَّبِ
عنهمْ عرفتُ الفن يُعشَقُ فاتنًا ... وعرفتُ كيفَ تَساندُ الأصحابِ
ولوِ استطعتُ اليومَ نَقْشَ فخارِهم ... ما كانَ يكفيني فخارُ كتابي!
لم يُسعفوا الأدبَ المَهيضَ فحسْبُ بلْ ... رفعوا لمصر منارةَ الطُّلَّابِ
ومَضوْا ضحايا لم ينلهمْ مَغنمٌ ... إلَّا حياةُ الذكر في الأحقابِ

والآنَ أنتَ على غِرارِ نُبوغهمْ[١] تأتي فتفتحُ مُغْلَقَ الأبوابِ
خُلُق الكريمِ المستعزِّ بفضلِه وبنهضَةِ الأخلاَقِ والألبابِ
جِيلٌ مضى بأبي ونُخْبةِ عصرهِ وتعودُ أنتَ أخًا يَزينُ شَبابي

أحمد أبوشادي

العربية وعناية عظماء المسلمين بها

* قال عمر رضي الله عنه: تعلَّموا العربية، فإنها تثبت: العقل وتزيد في المروءة.

* كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يضرب أولاده على اللحن، ولا يضربهم على الخطأ.

* مرّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه على قوم يُسيئون الرمي، فقرّعهم. قالوا: إنا قوم متعلمين! فأعرض مغضبًا وقال:

والله لخطؤكم في لسانكم أشدُّ عليَّ من خطئكم في رميكم، سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «رحم اللَّه امرءًا أصلح من لسانه»[٢].

* كان الحسن بن أبي الحسن يعثر لسانه بشيء من اللحن فيقول: (أستغفر الله)، فقيل له فيه، فقال: من أخطأ في العربية فقد كذب على العرب، ومن كذب فقد عمل سوءًا، وقال اللَّه تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

(١) غرار: مثال، يقال: هم على غرار واحد، أي متماثلون.
(٢) السلسلة الضعيفة؛ للألباني (٢٤١٤).

* قال عبد الملك بن مروان: ما الناس إلى شيء من العلوم أحوجُ منهم إلى إقامة ألسنتهم التي بها يتحاورون الكلام، ويتهادون الحِكَم، ويستخرجون غوامض العلم من مخابئها، ويجمعون ما تفرّق منها، إن الكلام قاضٍ يجمع بين الخصوم، وضياء يجلو الظلام، وحاجةُ الناس إلى موادِّه كحاجتهم إلى موادِّ الأغذية.

* قال الخليل بن أحمد: سمعت أيوب السختياني يُحدث بحديث، فلحن فيه فقال: أستغفر الله. يعني أنه عدَّ اللحن ذنبًا.

ويلات الأمم

* ويلٌ لأمة تنصرف عن الدين إلى المذهب، وعن الحقل إلى الزقاق، وعن الحكمة إلى المنطق.

* ويلٌ لأمة تلبس مما لا تنسج، وتأكل مما لا تزرع، وتشرب مما لا تعصر.

* ويلٌ لأمة مغلوبة تحسب الزركشة في غالبها كمالاً، والقبيح فيهم جمالاً.

* ويل لأمة تكره الضيم في منامها؛ وتخنع له في يقظتها.

* ويلٌ لأمة لا ترفع صوتها إلا إذا سارت وراء النعش، ولا تفاخر إلا إذا وقفت في المقبرة، ولا تتمرد إلا وعنقها بين السيف والنطع.

* ويلٌ لأمة سياستها ثعلبة، وفلسفتها شعوذة، أما صناعتها ففي الترقيع.

* ويلٌ لأمة تقابل كل فاتح بالتطبيل والتزمير، ثم تشيعه بالفحيح والصفير، لتقابل فاتحًا آخر بالتطبيل والتزمير.

* ويلٌ لأمة عاقلها أبكم، وقويها أعمى، ومحتالها ثرثار.

* ويلٌ لأمة كل قبيلة فيها أمة.

جبران خليل جبران

تجاريب حكيم

قال بزر جمهر حكيم الفرس:

نصحني النصحاء، ووعظني الوعاظ - شفقة ونصيحة وتأديبًا -، فلم يعظني مثل شيبتي، ولا نصحني مثل فكري.

ولقد استضأت بنور الشمس وضوء القمر، فلم أستضيء بضياء أضوأ من نور قلبي. وملكت الأحرار والعبيد، فلم يملكني أحد ولا قهرني غير هواي، وعاداني الأعداء، فلم أر أعدى إليّ من نفسي إذا جهلت، ووقعت في أبعد البعد وأطول الطول، فلم أقع على شيء أضر عليَّ من لساني، ومشيت على الجمر ووطئت على الرمضاء، فلم أر نارًا أعلى حرًا من غضبي، وتوحشت في البرية والجبال، فلم أر أوحش من قرين السوء وأكلت الطيّب وشربت الطيّب، فلم أجد شيئًا ألذ من العافية والأمن، وأكلت الصبر وشربت المُر، فلم أجد أمرَّ من الفقر، وقدت الجيوش وصارعت الأقران، فلم أر قرينًا أغلب من امرأة السوء، وعالجت الحديد ونقلت الصخر، فلم أَرَ حملا أثقل من الدَّين، ولبست الكسى الفاخرة، فلم ألبس شيئًا مثل الصلاح، وطلبت أحسن الأشياء عند الناس، فلم أجد شيئًا أحسن من حُسن الخُلق.

الحبُّ الضرير

تَشَجَّعْ فؤادِي، تَشَجَّعْ! فكمْ تذوَّقْتَ عُمْرًا صُنُوفَ الشَّقا
وقدْ سامَكَ الدَّهْرُ كلَ العَذَابِ فكنتَ بِهِ السَّاخِرَ المُشْفِقَا(١)
تَناسَ المُنى والوِصالَ القصيرَ وعَهْدًا يظلُّ لكَ المُقْلِقا
وخَلِّ الهوى وبناتِ الهوى ولذْ بالطبيعة مُسْتَوْثِقَا
حياتُكَ للكَوْن وهو الأمينُ فناج السَّنا الشَّائقَ الشيِّقا
خُفُوقكَ نَبْضٌ بشِعْرِ الجَمالِ وكم رفَّ مبتَسِمًا رائقا
تسمّعْ خَريرَ المياهِ الشّجيِّ يغنّي أغاني الهوى والبَقاَ
وحصباءَها وهي تصْغي إليهِ ببشْرٍ وتُوشِكُ أنْ تَنْطقَا!
وراقِبْ تودُّدَ زَهْرٍ نضيرٍ إليكَ وطَيرًا لهُ زَقزَقَا
وراقصةَ النَّخلِ بَين الأشِعّـ ـةوالرّوضُ مِنْ أُنسها صَفّقا
وحاليةً مِنْ جُمُوعِ النَّخيل تعاف الهمومَ فلنْ تطْرِقا!
ولا تَنْسَ مَوْجًا لبحْر دَؤوب يحاكي المفكر والأحمقا!
فيمضي بعسكرِه في هجومٍ ويرجعُ في خيبةٍ مُحْنَقا!
ويلبثُ طورًا يُناغِي الرمالَ فيغنم منْها الذي نَسّقَا!
وكمْ مِنْ جَمالٍ عزيزٍ طَرُوبٍ يراه البصيرُ الذي حَقَّقَا
ومُلك السَّماءِ بآياتِهِ حياةٌ حَوَتْ سرَّنا الأعْمَقَا

---

(١) هذا من سب الدهر، وقد قال ﷺ: «لاتسبوا الدهر فإن اللّه هو الدهر» أخرجه البخاري (٧٤٩١) ومسلم (٢٢٤٦). قال ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/ ٤٢١): «أي أنكم إذا سببتم فاعل ذلك، وقع السب على اللّه ﷻ؛ لأنه هو الفاعل، والدهر لا فعل له، بل هو من جملة مخلوقات اللّه تعالى». (س).

إذا شئتَ مَزَّقْتَ هذا الستارَ فشِمْتَ بعقْلِكَ ما مَزَّقا!
وإنْ عِشْتَ طَوْعَ الهوى والشُّجُونِ فأنتَ الضَّريرُ الذي ما ارتقى
جَمالُ الحياةِ حَياةُ الجمالِ وفي السكوْنِ ما يُشْبعُ المَنْطِقا
فودّع هُمُومَ الغرامِ الضرير وناجِ السنَّا الباسمَ المونقا
حياتُكَ أوْلى بحسنِ الخُلودِ أضاءَ الوجودَ ولن يَخْلُقَا(1)
وخَفْقُك أجدى لبثِّ الصّلاحِ فلا كُنتَ إنْ لم تُمِتْ مُوبِقَا!
ولا تبتئِسْ لخِداعِ الحياةِ ونلْ أنتَ ناموسَها الأصْدَقَا
وكنْ للضحيةِ قَبْلَ الغنيمةِ كالنجمِ ضَحَّى متى أشرَقَاَ!
وحسبُكَ غُنْمًا بأنَّ المماتَ يساوي المتوَّجَ والمُمْلِقاَ!
وأنك بعضٌ لهذا الوجودِ وفي مجدِهِ مَجْدُكَ المُنْتقَى!

أبو شادي

الطب العربي القديم

* كان أطباء العرب يصنعون خيط الجراح من أمعاء القط، حتى إذا خيط به الجرح التأم، وهضم الجسم الخيط دون حاجة إلى نزعه،

* قال أبو بكر الرازي: ينبغي للطبيب أن يوهم المريض أبدًا الصحة، ويرجيّه فيها.

* من أقوال أبي بكر الرازي: إن استطاع الطبيب أن يعالج بالأغذية دون الأدوية؛ فقد وافق السعادة.

---

(١) ولن يبلى.

لما أ* راد عضد الدولة أن يبني مستشفى، استشار طبيبه في اختيار موضع لإقامة البناء عليه، فأخذ الطبيب قطعة لحم وشقها أربع شرائح، ووضع كل شريحة في مكان مكشوف حول المدينة، ثم رتب رجالا يُثبت كلٌ منهم في دفتره الدقيقة التي يحدث فيها التعفن في كل من هذه الشرائح، ثم بنى المستشفى في المكان الذي تأخر فيه تعفن اللحم.

* كان ابن رشد أولَ من وصف علاج اليرَقان والهواء الأصفر.

* استعمل الطيفوري الأفيون بمقادير كبيرة لمعالجة الجنون.

الحديقة

مجموعة أدب بارع، وحكمة بليغة

الجزء السابع

انتقاها

الكاتب الإسلامي الكبير

محب الدين الخطيب رَحِمَهُ اللَّهُ

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله بارِئ الملَكوت، ومُبدع نظامه العجيب، وصلَّى اللَّه على نبينا (محمد) صاحبِ الهُدى الباقي، والذِّكر الخالد، إلى يوم الدين.

وبعدُ؛ فما زالتْ حديقتي الصغيرة تتَّسع وتنمو حتى صارت كتابًا في سبعة أجزاء، وما زالتْ تجدُ من إقبال أصدقائها عليها، حتى تبَوَّأتْ في خزائن كتبهم مكانًا تُغتبط به، وما برح الشابُّ من قرّائها يُعرِّف بها إخوانه، والفتاة تمتدحها لزميلاتها، حتى صار الجزء من أجزائها يُطلب من المطبعة قبل أن يتمَّ طبعه!

إن هذا التشجيع من القرّاء لَدليلُ خير، وجزاؤه عندي إعلانُ الشكر عليه في هذا الموضع تخليدًا له.

محبّ الدين الخطيب

عيد الأمس، عيد اليوم، عيد الغد

ما انفكَّ هذا الشرق العربيّ يستقبل الأعياد بقلوب أبنائه دون عقولهم، إلى أن فاجأتنا أعيادٌ أفقنا فيها من رُقادنا، فشعرنا بحاجتنا إلى استقبالها بعقولنا دون قلوبنا.

وتلك عادة من عاداتنا السيئة، أن تكون نظرتنا الأولى إلى كل أمرٍ من أمورنا منتزعةً من هوى قلوبنا، وضلال مَشاعرنا، وميول أنفسنا؛ مهملين كل الإهمال عقولنا التي بنورها يتبدَّد دَيْجور الليالي، وبمقياسها تقدَّر المنافع الحقيقية، وبقسطاسها يرجح جانب الصواب في كل حادث.

الأعياد السنوية عند الأمم هي الحد الفاصل بين عام مضى وعام أقبل، لذلك كان من شأن كل أمة حية أن تتفرغ في أيام عيدها لاستعراض حوادث العام المنصرم؛ فتصفي حسابه، وتنظر في مبلغ ما نالته فيه من ربح فتعده عيدًا سعيدًا.

يجدر بأفرادها أن يتبادلوا فيه عبارات التهاني، أو مقدار ما أصابها فيه من خسران، فتفكر في أسباب تلافيه، ويتمنى بعضهم لبعض أن يعود عليهم أمثاله بخير مما عاد به عليهم في عامهم الذي هم فيه. ولو كان أفراد جيلنا والجيل الذي تقدَّمنا قاموا بعملية هذا «الجرد الاجتماعي» في فرصة كل عيدٍ سنوي؛ لما كنا دون الأمم التي نهضت في تلك البرهة من الزمن، وأعني بها الأمة اليابانية والأمة البلغارية والأمة الفنلندية، وسائر الأمم التي سَرتْ مسراهنّ ونجحت نجاحهن.

ظللنا - كما كانت تفعل طبقة آبائنا - نستقبل الأعيادَ بسرور وغرور، غيرَ شاعرين بمساعي اليابانيين والبلغاريين والفنلنديين في سبيل نهضتهم الوطنية

والصناعية والتهذيبية، وما انقضى نحو خمسين عيدًا حتى انجلت عنهم وعنا غيوم الأزمان، فظهروا للعالم بمظهر المغالب للطبيعة في الحصول على مقوّمات الحياة، وظهرنا بمظهر الذي عاند الطبيعة؛ ليمنع مقوّمات الحياة من أن تتسرب إليه، فحصلوا هم منها على القسم الوافر رغم الطبيعة، ونحن أخذنا منها القسم اليسير الذي أرغمتنا طبيعة الزمان على الأخذ به. وها نحن نرى الآن بأعيننا ما بيننا وبين اليابانيين من المسافات الشاسعة في ميدان الارتقاء ومعترك الحياة: هم يلبّون داعيَ الوطنية بالألوف ونحن نلبيه بالمئات، وهم يشعرون بحاجة الوطن إليهم في ساعة حاجته إليهم ونحن نشعر بذلك متأخّرين، هم يقدّمون للوطن من رءوس أموالهم علمًا منهم بأن حياة أفراد الوطن متصلة بحياة الوطن نفسه، ونحن نمنُّ على الوطن إذا جدنا عليه بحثالة الكأس وفضلات المائدة.

لقد كانت الحرب المنصرمة امتحانًا للأمم يُبتلى فيه مَضاء سلاحها التهذيبي، وكنا في جملة من دخل هذا الامتحان، فَعلمنا من نتيجة ذلك أننا بدأنا نشعر بالحياة، وأن فينا مِن قواها نسيسًا لم يكن فينا قبل عشرين عامًا. لذلك يمكننا أن نعلم من (الجرد الاجتماعي) الذي نجربه في عيدنا هذا أن ثروتنا الوطنية والتهذيبية في نماء وتقدّم، ولكنهما - ويا للأسف - قد تسربا إلينا بضغط طبيعة الزمان علينا، وإرغامها إيانا على مجاراتها للتسلح بمقوّمات الحياة. ولو أننا جاريناها بلا ضغط منها علينا، بل لو اندفعنا في طريق الترقي مقاومين ما قد يعترضنا من العقبات كما فعلت اليابان، لكنا اليومَ بمنزلة اليابانيين صناعةً ووطنيةً وتهذيبًا.

إن هذا اليومَ له ما بعدَه، ونحن واقفون في هذه الساعات على برزخ بين الحياة والموت: فإما أن يندفع كل فرد منا في سبيل الحياة بلا تردّد، ويسارع إلى

أن يكون قدوة لغيره قبل أن يكون غيره قدوة له، وإما أن يلبث كل واحد منا واقفًا يراقب ما يبدر من الآخرين ليفعل كما يفعلون، فتكون النتيجة بقاءَ الجميع وقوفًا أو شبه وقوف، وذلك هو الموت بعينه.

الواجبات الوطنية كثيرة، والسبيل التي سارت فيها الأمم الراقية واضحة أمامنا، فليكن حديثنا في هذا العيد دائرًا حول هذا البحث جاعلين شعارنا «إلى الأمام.... دائمًا إلى الأمام...»، وبهذا يكون عيدنا سعيدًا، ونكون واثقين من أننا وأولادنا سنستقبل بعقولنا وقلوبنا بمنافعنا ومسراتنا أعيادًا سعيدة إلى الأبد.

محبّ الدّين الخطيب

مرض حبّ الشهرة

إن الذي يَكِلُ إلى الناس تقدير قيمته، يجعلونه سلعة يتراوح سعرها بتراوحهم بين الحاجة إليها والاستغناء عنها.

والطريقة المُثْلى أن يقوّم لنفسه قيمتها، فإن المرء . كما يقول بعضهم . يساوي القيمة التي يضعها لنفسه. ذلك خيرٌ من أن يطرحها في المزاد على ألسنة الناس.

عباس العقاد

الحياة والواجب

❑ ذكرى شهداء استقلال سوريا ❑

حياةٌ ما نريد لها زيالا ... ودُنيا لا نودُّ لها انتقالا
وعيشٌ في أصول الموت سمٌّ ... عُصارته، وإن بسط الظِّلالا
وأيامٌ تطير بنا سَحابًا ... وإن خِيلَتْ تدبُّ بنا نمالا
نُريها في الضمير هوىً وحُبًّا ... ونُسمعها التبرُّمَ والَملالا
قِصارٌ حين نُجري اللهوَ فيها ... طِوالٌ حين نَقطعها فِعالا
ولم تَضقِ الحياةُ بنا، ولكن ... زِحامُ السوءِ ضَيَّقَها مجالا
ولم تقبلْ براحتها بَنيها ... ولكن سابَقوا الموتَ اقتتالا
ولو زاد الحياةَ الناسُ سعيًا ... وإخلاصًا لزادَتْهم جمالا

❁ ❁ ❁

كأنَّ اللهَ إذ قسم المعالي ... لأهل الواجب ادَّخر الكمالا
نرى جدًا ولستَ ترى عليهم ... وَلوعًا بالصغائر واشتغالا
وليسوا أرغدَ الأحياء عيشًا ... ولكن أنعمُ الأحياءِ بالا
إذا فعلوا فخيرُ الناس فِعلًا ... وإن قالوا فأكرمهمْ مَقالا
وإن سألتهمُ الأوطانُ أعطوا ... دمًّا حرًّا، وأبناءً، ومالا

❁ ❁ ❁

بني البلد الشقيق عزاءَ جارٍ ... أهاب بدمعه شَجَنٌ فسالا
قضى بالأمس للأبطال حقًّا ... وأضحى اليوم بالشهداء غالى
يُعظّم كل جهدٍ عبقريٍّ ... أكان السلمَ أم كان القتالا

وما زلنا إذا دَهَتِ الرَّزايا ... كأرحم ما يكون البيتُ آلا
وقد أنسى الإساءَةَ من حَسودٍ ... ولا أنسى الصنيعة والفِعالا
ذكرتُ المهرجانَ وقد تجلّى ... ووفدَ المشرقين وقد تَوالى
وداري بين أعراس القوافي ... وقد جُليت سماءٌ لا تُعالى
تَسلَّلَ في الزحام إليَّ نِضوٌ ... من الأحرار تحسبه خَيالا
رسولُ الصابرين ألمَّ وهنًا ... ويبلغني التحيةَ والسؤالا
دنا مني فناولني كتابًا ... أحسَّتْ راحتايَ له جَلالا
وجدتُ دمَ الأُسودِ عليهِ مسكًا ... وكان الأصلُ في المسكِ الغزالا
كأنّ أساميَ الأبطال فيه ... حَواميمٌ على رقٍّ تتالى
رُواة قصائدي، قد رتّلوها ... وغنّوها الأسنّة والنِّصالا
إذا رَكزوا القنا انتقلوا إليها ... فكانتْ في الخيام لهم نقالا

❀ ❀ ❀

بني سوريةَ التئموا كيوم ... خَرجتم تطلبون به النزالا
سلوا الحرّية الزَّهْراءَ عنّا ... وعنكم هل أذاقتْنا الوصالا
وهل نلنا كلانا اليوم إلا ... عراقيبَ المواعدِ والمطالا!
عرفتم مَهرَها فمهرْتموها ... دمًا صَبَغَ السَّباسِبَ والدِّغالا
وقمتم دونَها حتى خضبتم ... هَوادِجها الشريفةَ والحِجالا
دعوا في الناس مفتونًا جبانًا ... يقول: الحرب قد كانت وبالا
أيطلب حقهم بالرُّوح قومٌ ... فتسمع قائلا: ركبوا الضلالا!
وكونوا حائطًا لا صَدْعَ فيه ... وصَفًّا لا يُرَقَّع بالكسالى
وعيشوا في ظِلال السِّلْمِ كدًّا ... فليس السِّلْم عَجْزًا واتكالا
ولكنْ أبعدُ اليومين مَرمىً ... وخيرُهما لكم نُصحًا وآلا

وليس الحربُ مَركبَ كل يومٍ ... ولا الدمُ كلَّ آونةٍ حَلالا

❀ ❀ ❀

سأذكُر ما حَيِيتُ جدارَ قبرٍ ... بظاهرِ جِلَّقٍ ركبَ الرمالا
مقيمٍ ما أقامتْ «مَيْسلونٌ» ... يُذكِّرُ مَصرَعُ الأُسد الشِبالا[1]
لَقد أوحى إليَّ بما شَجاني ... كما تُوحي القبورُ إلى الثكالى
تغَيَّب عَظْمةُ العظَماتِ فيه ... وأولُ سيّدٍ لقيَ النبالا
كأن بُناتَه رفعوا مَنارًا ... من الإخلاص أو نَصبوا مثالا
سِراجُ الحق في ثَبَج الصحارى ... تهابُ العاصفات له ذُبالا
ترى نُورَ العقيدة في ثَراهُ ... وتَنشقُ من جَوانبه الخِلالا
مَشى ومَشتْ فيالقُ من فرَنسا ... تجرُّ مَطارِفَ الظفرِ اختيالا
ملأنَ الجوَّ أسلحةَ خِفافًا ... ووجهَ الأرضِ أسلحة ثِقالا
وأرسلنَ الرِّياح عليه نارًا ... فما حَفل الجنوبَ ولا الشمالا
سلوه: هل ترحَّل في هُبوب ... من النيران أرجلتِ الجبالا
أقام نهارَه يُلقي ويَلقى ... فلما زال قرصُ الشمس زالا
وطاح ترى به قيدَ المنايا ... ولستَ ترى الشكيم ولا الشكالا
فكُفِّن بالصوارم والعوالي ... وغُيِّب حيث جال وحيث صالا
إذا مرّت به الأجيالُ تَترى ... سمعتَ لها أزيرًا وابتهالا
تعلَّق في ضمائرهم صليبًا ... وحلَّق في سرائرهم هِلالا[2]

أحمد شوقي

(١) هو قبر (يوسف العظمة)، وزير الحربية في حكومة سوريا المستقلة. وقد مات في حرب ميسلون بين المجاهدين والجيش الفرنسي سنة ١٣٣٨هـ.

(٢) يرمز بالصليب إلى النصارى من بني وطنه. ومن المعلوم أن الصليب من شعار أهل =

(لا) و (نعم)

قال أديب: مِن عِزّ (لا) أن يقولها صاحبها وهو رافعٌ رأسه، ومن ذل (نعم) أن يقولها وهو خافضه.

المدرسة البادرائية - بدمشق

في يوم من أيام عام ٦٥٥ هـ نزل على دمشق ضيف بغدادي جليل القدر واسع العلم، وهو الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد البادرائي، مدرّس المدرسة النظامية في بغداد.

وكان مع علمه وأدبه حكيمًا سياسيًا متواضعًا وقورًا، واسع الصدر، يملأ قلب من يجتمع به، وكان - لتوافر هذه الصفات فيه - رسولَ الخلافة إلى ملوك الآفاق في الأمور المهمة، وإصلاح الأحوال المدلهمة.

وكان مدة وجوده في دمشق موضع حفاوة علمائها وأعيانها، بما عُهد في أهل هذه المدينة - منذ القِدَم - من دماثة الأخلاق، والرقة واللطف، متمثلةً فيهم

= الكفر، يدل على عقيدتهم المخالفة لما أخبر الله به من أن عيسى عليه السلام لم يُقتل ولم يُصلب، في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾. ولذا؛ فلا ينبغي للمسلم الترميز به، وإنما يُسمي الأشياء بأسمائها الشرعية. وأما الترميز بالهلال على المسلمين فقد اشتهر في زمن الدولة العثمانية، مقابلة لصليب الدول النصرانية. ولعل سبب اختيارهم الهلال: أن أحكام الإسلام وتاريخهم يرتبط بالأشهر القمرية، وهذا خاص بهم دون غيرهم من الأمم. (س).

حضارة أقدم مدينة باقية على وجه الأرض. ولم يكن يومئذ في أقطار الشرق الأدنى ما يوجد فيها الآن من نزعات التفرّق باسم الأوطان، فكان المسلمون جميعًا إخوة، وكان الاشتراك في اللغة والأدب والثقافة لا يُخطر بالبال شيئًا من الفروق التافهة التي ترجع إلى مناطق الأوطان الصغيرة.

وكان من آثار ما لقيه النجم البادرائي من حفاوة الدمشقيين به أنه عزم على أن يترك في مدينتهم أثرًا له يُذكر به في الدنيا، وتُخلّد له به المثوبة في الآخرة، فكان أول ما خطر بباله أن يكون هذا الأثر بشكل مدرسة يقيمها في نقطة متوسطة بين ثلاثة أحياء كبرى من أحياء مدينة دمشق؛ فأنشأ (المدرسة البادرائية) بين حيّ العمارة وحي باب السلام وحي القيمرية، وكانت لهذه الأحياء يومئذ مكانة وسيادة بما لسكانها من شأن وفخامة.

واختار مدرّس المدرسة النظامية أن تكون مدرسته في دمشق في مكان دار الأمير أسامة التي كانت قبل ذلك في موضع هذه المدرسة، وسرعان ما قام بنيانها، وبَدَت محاسنها، فأقيم لافتتاحها احتفالٌ اشترك فيه السلطان الناصر وفحول العلماء وكبار الأمراء الأعيان وأهل الثروات الطائلة. وتلي في يوم الاحتفال كتاب الوقف الذي وقفه الضيف البغدادي على المدرسة الدمشقية، وفيه أسماء قرى وبساتين وعقار رُصدت كلها على نفقة هذه المدرسة والمنقطعين فيها لطلب العلم.

ومما اشترطه أن يكون طلبة هذه المدرسة غير متزوجين، وأن لا يدخلها امرأة، ليضمن انقطاع القوم للعلم ما داموا فيها، فلا يصرفون أوقاتهم إلا في تحصيله.

وقد تولى التدريس في هذه المدرسة العلّامة شيخ الشافعية في وقته بالشام برهان الدين أبو إسحاق، ثم ولده كمال الدين من بعده. وجعل نظرها إلى وجيه الدين بن سويد، ثم صار النظر إلى ذريته، فاستمرَّ فيهم عدَّة قرون.

ومن محاسن المدرسة البادرائية أنه كان فيها خزانة كتب في زمن الواقف، ولا بد أنها ازدادت واتسعت بعد ذلك، إلى أن جاءت عصور الجهل الأخيرة، فامتدَّت إليها الأيدي وزالت من الوجود.

وقد كافأ اللَّه ضيف الشام البغداديّ في الدنيا والآخرة على ما خدم به العلم من إقامة هذه المدرسة، فإنه لما عاد إلى بغداد ليستمرّ على التدريس في النظامية عُرض عليه أن يكون قاضي القضاة، وكان ذلك أعلى منصب إسلامي يومئذ بعد الخلافة، مكافأة له على ما بلغه من منزلة. وكان النجم البادرائي يكره أن يتقلد هذا المنصب في شيخوخته، ويودّ أن يستمرّ في حياة الهدوء مقتصرًا على التدريس، فحمله الخليفة على قبول هذا المنصب كرها، ثم قبضه اللَّه إليه في مستهل شهر ذي القعدة من تلك السنة. رحمه الله ..

أما المدرسة البادرائية الآن فمثل سائر مدارس دمشق ليس فيها شيء من سِمَة العلم ولا مظهر من مظاهره. ولعل التهاون بأمر مثل هذه المدارس في القرون الأخيرة من الأسباب التي جعلت الجوّ خاليًا لانتشار الدعايات الضارة في الأوطان الإسلامية.

أذان الفجر

لما كان الأستاذ أمين الريحاني في السفينة الشراعية على ساحل جزيرة البحرين قاصدًا ساحل الإحساء، أثقل الهواء جفنه فنام قليلًا، ثم أيقظه صوت الملّاحين، وهم إذ ذاك يشتغلون في قلب الشراع طوعًا للريح ويردّدون:

صلِّ على النبي.

قال الريحاني (ملوك العرب ٢: ٣٢) يصف أثر ذلك في نفسه:

«وربك أيها القارئ ما سمعتُ في أنغام الليل على المياه أطرب منها، إلا أن يكون صوت المؤذّن في الخليج وهو يؤذن الفجر، ليس في صلوات الأمم كلها أدعى منه إلى الورع والخشوع، وقلّ فيها ما هو أجمل وقعًا في النفس من صلاة الملّاح في ظل الشراع».

عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأم البنين(١)

لدَى عمرٍ أمير المؤمنينا قِفوا بي وقفةَ المتهيّبينا
مليكٌ ذو مآثرَ باسقاتٍ يقصّرُ عن مداها السابقونا
خوالدَ ما عفتْ قِدْمًا ولكن يُعطّر نشرُ ذكراها القرونا
ولم يكُ صَولجانُ الملك يومًا ليمنعهَ العُفاةَ البائسينا
فكانوا يقبلون على حِماهُ كأسراب الظباء رأتْ مَعينا
وكان بنفسه بعضَ الليالي يدور على المنازل مستبينا
فمن يُمدَح لمكرُمةٍ فإني نظمت بمدحه عقدًا ثمينا
وها كم ما روى العبّاسُ عنه أراه بانتباهِكمُ قَمينا
يُمثل صورةً للبؤس فينا ويُملي عِبرةً للحاكمينا

يقول: لقد دعاني المَلْكُ وَهْنًا فكنتُ له بجونته خَدينا

---

(١) قصيدة ألقتها الكندرا يني غنطوس في حفلة (جامعة السيدات) بمدينة بيروت، وهي من نظم الأستاذ جرجي نخلة سعد.

أفـزَّتـه مـحـبَّـتُـه لـشـعـب يـعـز عـلـيـه يـومًـا أن يـهـونـا
سـرى مـتـنـكـرًا والـلـيـلُ قـرٌّ إلى الأثلاثِ يفتقدُ الشئونا
يطوّف في الخيام عساه يلقى بـمـنـزويـاتـهـا رهـطًـا حـزيـنـا
فـمـرَّ هـنـاك بـامـرأةٍ عـجـوز حـوالـيـهـا صـغـارٌ يُـعْـوِلـونـا
وِقـدْرٍ أركـزتـه عـلـى أثـافٍ غـلـى عـبـثًـا لـتـعـلـيـل الـبـنـيـنـا
تقول - ودأبُها التنفيخ - صبرًا بَـنـيَّ، سـتـأكـلـون وتـشـبـعـونـا
فظلَّ الـمَـلْـكُ يُـمعن ناظرَيه بـهـا حـيـنًـا وبـالأولاد حـيـنـا
وطال وقوفه في الحيّ حتى توجس أن يُريب به الظنونا
يمينًا ليس يبغي البينَ حتى يرى الأولاد قد ملأوا البطونا
وما زالوا كذلك بضع ساعٍ تُنفّخ في الوقود ويصرخونا
فَـعِـيـلَ تَـصـبـرًا، ودنـا إلـيـهـا وحيًّا قائلًا: ما تصنعينا؟
وما لبنيكِ ينتحبون؟ قالت: جياع! قال: لمْ لا يأكلونا؟
أجابتْ - والمحاجرُ دامعاتٌ - أأُطعمُ صبيتي الماء السخينا؟
فما في القِدْر غيرُ حصًى وماءٍ أحـاول أنـهـم يـتـعـلّـلـونـا
لعلهُمُ متى ملّوا انتظاري وسـاورَهـم نـعـاسٌ يـهـجـعـون
فقال لها: لقد أخطأتِ رأيًا وأورثتِ الصغارَ ضنًى وهُونا
فلِمْ لَمْ تعرضي شكواك يومًا على عمرَ أمير المؤمنينا؟
إذن لكفاكِ مُرَّ العيش مما يجود، ولم يكنْ عمرُ ضنينا
فقالت: لا سقتْ عمرَ الغوادي ونُكّسَ بندُه في العالمينا
لقد سمحتْ بظلمي مُقلتاه وتحميلي الخصاصةَ والأنينا!
فـراعَ فـؤادَه مـا تـدّعـيـه وقال لها: بربك أخبرينا!
فقالت: قد أمال الطَرْفَ عنا ولم يعبأ بما قد حلَّ فينا

أيغفُل عن سوائمه مليكٌ ... يسمّي نفسَه الراعي الأمينا؟
عليه أن يفتّش في الرعايا ... ويرتاد المزارعَ والحزونا
عساه أن يرى مثلي عجوزًا ... تبيتُ الليل تنتظر المنونا
فيُنعمَ من خزينته بشيءٍ ... تعيل به بنيها المذْنَفينا
ولا يغنيه عند اللّه أجرًا ... تصدُّقه على المسترفِدينا
فكم عافٍ يمنّعه حياءٌ ... فلا يجري مع المتسوّلينا
يكاد يموت من ظمأ وجوع ... ولا يبغي أكفَّ المحسنينا
إذا مَلِكٌ تغاضى عن ذويه ... فيُحسبُ في عداد الظالمينا
فقال لها: صدقتِ، فعن قليل ... نعود بما تيسَّر، فانظرينا

❊ ❊ ❊

وسار وسرتُ محتذيًا خطاه ... كأنّ بنا إلى وَطَر حنينا
أكرُّ وراءه تحت الدياجي ... وتنبحنا الكلابُ وتقتفينا
إلى بيت المؤونة حيث أمسى ... هنالك ينبش الذُّخرَ الدفينا
وما هو غير لمح الطرف حتى ... حملتُ السمنَ واحتمل الطحينا
وعدنا والدقيقُ عليه يُذرَى ... فعفّر عارضيه والجبينا
يكاد ينوء تحت الحمل لكن ... مشى طولَ المسافة مستكينا
كأني إذ عرضتُ يدي عليه ... ضربتُ على صَفاةٍ لن تلينا
فقال: اصمتْ، فما حُمِّلتَ عني ... ذنوبي يوم يُجزَى المذنبونا
إلى الأولاد يا عبّاسُ سِرْ بي ... أمدُّ لكشف كُربتهم يمينا
أنأكلُ كلَّ يوم كل لونٍ ... وهم من جوعهم يتضوَّرونا
ونسرح في ربوع الأنس دومًا ... وهم في كوخهم يتململونا
ونرقد لا نبالي بالبلايا ... وهم لنبالها مستهدفونا

جَفاني عند رؤيتهم رُقادي ... وواصلني صُداعٌ لن يبينا
وكدتُ أحسُّ أن الأرض مادت ... وجوفُ الغمر أوشك يحتوينا
إلى الأولاد يا عبّاسُ أمحو ... خَطايَ وأغسل العار المُبينا
فوَيْمَ اللَّه ما القُلَل الرواسي ... كحمل ظَلامةِ المستضعفينا
وأزجَينا الخُطى في السهل حتى ... طوينا منه قاحلةً شطونا
فأدركنا العجوز على قَتادْ ... وقد أغضتْ من التعب الجفونا
وجَفّتْ قِدرُها فوقَ الأثافي ... فكان ثمالها كَدَرًا وطينا
فأفرغها، وأفعمها دقيقًا ... بيمناه، ودسَّ به السمونا
وكاد الوقدُ تحت القدر يخبو ... فأولج في بقاياه غصونا
مكبًا لا يثبّطه دُخانٌ ... تناولَ مَنْخَريه والعيونا
يجيدُ الطبخَ تحريكًا وغليًا ... كأنك تشهد الطاهي الفطينا
فأنضجه ونحن بجانبيه ... أبى إصرارُه أن يستعينا
وأسرعَ - والبشاشة ملء فيه - ... بتلقيم الصغار الجائعينا
يَتامَى ما حَنا أحدٌ عليهم ... ولا عرفوا سواه أبًا حنونا
ومال إلى العجوز فقال: مهلًا ... أقلّي اللومَ، والتزمي السكوتا
سنذكر للأمير بلاك إنّا ... إلى عرش الإمارة منتمونا
كفاكِ كآبة وطوًى ومُهدٌ ... فنامي ملءَ جَفنك واصبحينا

❁ ❁ ❁

وكان غدٌ لدى عمرٍ رهيبًا ... عليها حيث أدرَكت اليقينا
لدَى عمرٍ، وقد رشقت سهامًا ... من التنديد بات بها طعينا
فيالك موقفًا حرجًا تمنّتْ ... - لشدَّة روعها - ألّا تكونا
ولكن نالها منه التفات ... نفى عنها التأثُّرَ والشجونا

فأجزل رفدَها بعد اعتذارٍ وبدّل شدّة الأيام لينا
فراحت وهي تروي عنه عدلًا وإحسانًا وفَرْطَ تُقًى ودينا

كذا كان الخليفة من قديم مثالًا للملوك الصالحينا

جورجي نخلة سعد

كلمة معاوية رضي الله عنه في وحدة العرب

قال عمرو بن عتبة:

ما استدر لعمي كلامٌ قطُّ فقطعه حتى يذكر العرب بفضل، أو يوصي فيهم بخير. ولقد أنشده مروانُ ذات يوم بيتًا للنابغة حيث يقول:

هم درعي التي استلأمتُ فيها إلى يوم النسار، وهم مَجِنّي

فقال معاوية: ألا إن دروع هذا الحي من قريش إخوانهم من العرب المتشابكة أرحامهم تشابُكَ حَلَق الدرع، التي إن ذهبت حلقة منه فرّقت بين أربع. ولا تزال السيوف تكره مذاقة لحوم قريش ما بقيت دروعها معها، وشدّت نطفها عليها، ولم تُفَكّ حَلقها منها، فإذا خَلعَتْها من رقابها كانت للسيوف جزرًا.

جزيرة البحرين في الماضي والحاضر(١)

محاضرة ألقيت في نادي جمعية الشبان المسلمين مساء الخميس آخر شوال، ١٣٤٦ بمناسبة زيارة أعيان البحرين لنادي الجمعية.

أيها السادة:

أنتهز فرصة وجود السيد عبد الرحمن القصيبي وأصدقائه الكرام بين جدران هذا النادي، فأحيي معكم في أشخاصهم عنصرًا نشيطًا مقدامًا من عناصر الأمة العربية، وشعبًا صالحًا مخلصًا من شعوب الملة الإسلامية، أقامته ظروف الزمان والمكان على سِيفِ البحر من الخليج العربي؛ ليلتقي بنشاطه وإقدامه صدمات الأدهار وأمواج البحار، فترتدّ عنه تلك الصدمات وهذه الأمواج وهو أمضى ما كان عزيمة، وأقوى ما عرفه الناسُ جَلَدًا واقتحاما.

أولئك هم إخواننا عرب البحرين، والجزيرة الرابضة أمامهم على منكب الخليج كما يربض الأسد إلى جانب عرينه.

أولئك هم إخواننا الذين استيقظوا كما استيقظنا، والذين شعروا بواجبهم القوميّ كما شعرنا، والذين لهم في معترك الحياة الاقتصادية جولاتٌ وصولات، هي من خير ما جال به شرقيّ وصال في ذلك المعترك.

أولئك هم إخواننا الذين عزموا على أن يكون لهم في ساحة العمل الأدبي للعربية والعرب وللمسلمين والإسلام ما يناسب بيئتهم من العمل والجهاد، إن

(١) مع مراعاة أن هذه المقالة فيها شيء من الاهتمام بالآثار الجاهلية، والافتخار بها. وتُنظر - للفائدة في هذا الموضوع - رسالة: «الآثار والمشاهد وأثر تعظيمها على الأمة الإسلامية»؛ للدكتور عبدالعزيز الجفير. (س).

لم يوفِ عليها ويزيد. وحسبي أن أذكر لكم في هذا المعنى أن لهم ناديًا اسمه (النادي الأدبي)، يأوي إليه المستنيرون منهم في الجزيرة التي قامت بها قصور الإمارة، وأعني بها جزيرة المحرّق الواقعة في شرقي مدينتهم التجارية الكبرى التي تسمَّى المنامة، وإن على رأس الحركة الأدبية هناك فاضلين كريمين من علية القوم وأركان الأسرة الحاكمة، وهما الشيخ إبراهيم ابن الحاكم السابق، والشيخ محمد ابن الشيخ عبد اللّه كبير أنجال أمير البحرين الحالي. وكأني بهم في هذه الساعة قد انضووا إلى ذلك النادي يقرؤون ما يحمله إليهم بريد مصر من صحف ومجلات ومطبوعات، فيقفون من ذلك على ما بلغه سير الحركة الفكرية في ديار الإسلام، ولا يبعد أن يكون حديثهم في هذه الليلة دائرًا حول جمعيتكم وناديكم وما يعلق عليهما العالم الإسلاميُّ من آمال.

لأن العالم الإسلامي ينشد الآن خطة معتدلة شريفة تترفَّع عن إسفاف أهل الجمود، وتتنزّه عن تهوّر أهل التطرُّف، فحينما يرى المسلمون دعوة ترمي إلى هذا الإصلاح المعتدل يحوطونها بعنايتهم ورعايتهم ويشكرونها بألسنتهم وأفئدتهم.

وجزيرة المحرّق هذه - أيها السادة - هي البقعة اللطيفة الهواء المتصلة بزرقة الماء، وفيها قصور الأمراء الكرام من آل خليفة، تتخلّل مبانيها مدارسُ العلم والتهذيب، وتموج مجالسها بالشباب المستنير. وهي إن لم تضارع مدينة (المنامة) بسعتها وكثرة سكانها ونشاط حركتها فإنها تتفوَّق عليها من الوجهتين الأدبية والقومية. وجزيرة البحرين بمجموعها من أكثر بلاد العرب سكانًا؛ لأن نسبة مساحتها إلى سكناها تجعل الميل الواحد المربّع لنحو خمسمائة نسمة، بينما الميل الواحد في داخل جزيرة العرب لا يكاد يصيبه عشرة من السكان، إن لم يكونوا أقلّ.

وكانت هذه الجزيرة تسمَّى في تاريخنا الإسلامي وقبله باسم (جزيرة أوال) على اسم صنم لبني بكر بن وائل وإخوتهم من بني تغلب بن وائل، قبل أن تشيع النصرانية في بني تغلب. وأول ما يتبادر إلى الذهن أن يكون لاسم الجزيرة القديم علاقة بدينها القديم، ودلالة على قبيلة سكناها، وفي الواقع إن قبائل بني وائل كانت منتشرة على ساحل الخليج العربي، فمن المعقول أن ينزل فريق منها في جزيرة البحرين - أو جزيرة أوال كما كانت تسمَّى - فيغلبَ اسم الصنم الوائلي على ما كان لها من اسم قبل ذلك.

والذين عرفوا جزيرة البحرين باسم جزيرة أوال عرفوها بما فيها من غابات الشجر وحدائق النخيل، وبما يزدحم في سِيفها من سفائن التجارة، وما تؤديه هذه الجزيرة من الوساطة الاقتصادية بين أمها جزيرة العرب وبين سائر أنحاء المعمورة، ولا سيما العراق وفارس والهند وجاوة والصين.

قال السمهريُّ العكليُّ يصف ناقته - وضرب المثل بنخيل هذه الجزيرة وباسق أشجارها - فقال:

طَرُوحٌ مَرُوحٌ فوق دَوح، كأنما ... يُناط بجذع من أوالَ زِمامُها

- وتمثل الأخطل بجذوع غاباتها يوم قال:

خوصٌ كأنّ شكيمهن مُعلّق ... بقنا رُدَينه أو جُذوع أوال

ووصف ابنُ مقبل إبلًا مال بها رُعاتها عن مفاوز البادية إلى رخاء المعمور، وضرب المثل بالسفن التي تأوي إلى مرفأ هذه الجزيرة العربية الصغيرة فقال:

عَمِدَ الحُداةُ بها لعارض قرية ... فكأنها سُفُنٌ بسِيفِ أوالِ

وأشار جريرٌ إلى الدَّور الاقتصادي الذي تمثله هذه الجزيرة بين بلاد العرب وبين المصادر التجارية والصناعية في الأقطار الأخرى فقال:

وشبَّهت الخروج غداة قوّ ... سفينَ الهند رُوّحَ من أوالا

أيها السادة:

إذا كتب اللّه لأحدكم أن يزور هذه الجزيرة كما زار أعيانها الآن وادَيكم المبارك، فإن رحلة قصيرة يقوم المرء بها في تلك البقعة الصغيرة تزيح له الستار عن حقائق عظمى في التاريخ: في تاريخ الجزيرة نفسها، وفي تاريخ فريق عظيم من الأمم التي تتكلم العربية الآن. فإن الرجل إذا انحدر من عاصمة البحرين نحو الجنوب ينتهي به السير إلى سهل (المراقيب) الواقع بين (المنامة) و(الرفاع)، فيجد نفسه هناك أمام نحو ستة ألاف مدفن من المدافن العريقة في القِدَم. وقد زار هذه المدافن عام ١٨٧٩ الكابتن دوران Capt. Durand الإنكليزي فذاع على يده خبرها في أوربا. ثم بعد عشر سنين من ذلك التاريخ زارها رحالة إنكليزي آخر اسمه ثيودور بنت the odor bent، فنقل منها آثارًا قديمة عرضها على المتحف البريطاني، فألف المتحفُ البريطاني لجنة أثرية لدرسها وفحصها، وقد تبين لهذه اللجنة أن الآثار المستخرجة من مدافن سهل المراقيب في جزيرة البحرين إنما هي آثار فينيقية.

وهذه النتيجة لفتت الأنظار إلى مأثورات قديمة وحديثة تدلُّ على ما بين هذه الجهات وبين الأمة الفينيقية من علاقات تاريخية وأواصر قومية. ففي الخليج العربي الآن بلدتان اسمهما (جبيل) و(صور)، كما أن في ساحل الشام من أوطان الفينيقيين الباقية إلى الآن بلدتين اسمهما (جبيل) و(صور).

فهل هذا الأمر من أثر الصدفة والاتفاق يا ترى، أم هو يدل على علاقة بين البلدين؟ قد يخطر على البال أن (جبيل) و(صور) اللتين في الخليج العربي ربما سميتا بهذا الاسم في العصور الإسلامية، أي بعد زوال عهد الفينيقيين، فلا علاقة إذن بين القطرين من هذه الجهة. ولكنَّ سترابون الرحالة اليوناني المعاصر للسيد المسيح جاء إلى الخليج العربي وعرف بنفسه مدينة صور مقرونًا إليها بلدة

أخرى اسمها (أرواد) على اسم جزيرة أرواد التي في ساحل الشام، ولما تكلم سترابون عن ذلك في الفصل السادس عشر من كتابه زاد الأمر إفصاحًا فقال: «إذا سرتَ في الخليج الفارسي رأيت بلدتي صور وأرواد، وفيهما هياكل تشبه كل الفينيقيين».

إذن؛ فالمدافن الموجودة الآن في سهل (المراقيب) من جزيرة البحرين، وحكم لجنة المتحف البريطاني عليها بأنها من نوع الآثار الفينيقية، ومشاهدة سترابون هياكل في الخليج العربي في عصر المسيح هي من نوع الهياكل الفينيقية، ووجود مدن تتفق بأسمائها مع مدن الفينيقيين في الساحل الشامي قديمًا وحديثًا، كل ذلك مما يستوقف النظر ويدعو إلى إطالة التأمل لنعلم ما هي العلاقة التاريخية بين البلدين.

وهنا نتذكر كلمة قديمة قالها يستين مختصر (تروغ بمبي) في الفقرة الثالثة من الفصل الثامن عشر حيث قال: «إن الفينيقيين لما آذتهم الزلازل في أوطانهم وأضرَّت بهم؛ هجروها، وأقاموا أولًا بالقرب من البحيرة الأشورية. أي الخليج العربي. ثم رحلوا من هناك ونزلوا عند البحر. أي الأبيض.. وفي ذلك المحل بنوا مدينة سموها صيداء؛ لكثرة الأسماك في ساحلها».

إذن؛ فالفينيقيون قبل أن يأتوا ساحل الشام كانوا في البحيرة الأشورية، أي عند الخليج العربي، وقبل ذلك كانوا في أوطانهم الأولي، فخرجوا منها لحدوث زلازل في بلادهم، فأين هي بلادهم الأولي التي حدثت فيها الزلازل؟ قد يكون هذا خارجًا عن موضوعنا الآن، ولكن يكفي أن ألفت أنظاركم إلى أحجار أثرية استُخرجت من اليمن وألقى عنها الأستاذ نللينو الإيطالي محاضرات في الجامعة المصرية في العام الماضي، وفيها نقوش بالكتابة الحميرية القديمة تشير إلى معبودة اسمها (عشتروت)، كانت من معبودات اليمن

على ما في هذه الأحجار الأثرية، بينما نحن نعلم أن عشتروت من آلهة الفينيقيين. فمن الأمور التي لا يستهان بها أن نتذكر ذلك إذا أردنا أن نبحث عن وطن الفينيقيين الأول، قبل مجيئهم إلى البحرين والخليج العربي.

ولكن هل كان الفينيقيون يعلمون شيئًا من هذه الوقائع عن تاريخهم السابق لوجودهم في ساحل الشام؟ إن هيرودوتس الذي يسمى أبا التاريخ تكفّل بالإجابة على هذا السؤال، وهيرودوتس زار الفينيقيين في مدائنهم الشامية قبل المسيح بأربعمائة وخمسين عامًا، ونقل لنا عن لسان سدَنة هيكل (بعل ملك قرت) وكهنته وغيرهم من أهل العلم بالشؤون الفينيقية: «إن الفينيقيين - كما يخبرون هم بأنفسهم - أقاموا أولًا عند البحر الإرِثري (ساحل بلاد العرب) ولكنهم رحلوا من هناك وجاؤوا فسكنوا سواحل بحر سوريا».

إذن؛ فالجهات التي اجتمعنا الآن للتحدث عن ماضيها وحاضرها هي الوطن الأصلي للأمة الفينيقية التي حملت معها من الخليج الفارسي مزيتين امتازت بهما على جميع الأمم المعاصرة لها، وهما: الشجاعة في ركب البحار، والتفوق في فنون التجارة. وإن العلامة فرنسيس لنورمان f. Lenornrand مقتنع بما تقدم، ويرى أن الفينيقيين كانوا في الدهر الأول نازلين في المكان الذي يسمى الآن (القطيف). ولما انتقلوا منه إلى الشام سلكوا طريق القوافل المسلوك الآن، وهو يتصل ببلاد الإحساء إلى حد جبل طويق، ثم يميل إلى جهة الشمال الغربي في ناحية الوشم، إلى أن يتصل بمدينة (عنيزة)، ومن هناك يأخذ نحو الغرب مارًا بجميع جهة القصيم ليتصل بطريق الحاج على مساواة الحناكية. ومنها سلك الفينيقيون طريق الحج الشامي، حتى نزلوا على سواحل البحر الأبيض.

سادتي الأفاضل، من المؤكد الذي لا ريب فيه أن العراق والشام كوَّنتا قوميتها من هجرات كبرى هاجر بها سكان بلاد العرب من الجنوب إلى الشمال

في ستة آلاف سنة مضت، بل إن وادي النيل من الحبشة إلى الإسكندرية تغذى بمثل هذه الهجرات عن طريق باب المندب وبرزخ السويس، وهذه الهجرات عمّت شمال أفريقية في أزمنة مختلفة جدًا قبل الإسلام. ومن معجزات محمد بن عبد اللّه ﷺ التي لم تذكرها الكتب أنه أعاد للأمم ذات الصلة الجنسية الوثيقة بالأمة العربية وحدتها اللغوية بعد أن فقدتها، فالعربية التي انتشرت في فارس وأسبانيا وغيرهما عادت فتقلصت عن تلك الجهات، ولكنها ثبتت ورسخت في البلاد التي تجرى في عروق أهلها دماء عربية قديمة وحديثة، كما رأيتم في أمر الفينيقيين الذين كانوا من أهل جزيرة العرب قبل أن يرتحلوا إلى الشام، فعودة اللغة إلى أنسالهم معجزة من معجزات الإسلام الذي هو دين التوحيد، وكان من مظاهر التوحيد فيه إعادته الوحدة القومية من طريق اللغة إلى الشعوب التي تحمل في عروقها دماء سكان جزيرة العرب الأقدمين. ولعلي أطلت عليكم القول في هذا الموضوع، ولكن الآثار الباقية إلى الآن في سهل (المراقيب) من جزيرة البحرين لا تفتأ تذكّر البشر بهذه الحقائق، ومَن أولى منا بمعرفتها، لا سيما في مثل مقامنا هذا؟

من قرأ منكم تاريخ الفينيقيين، وعجب من تحكمهم بشراع السفينة، والاندفاع به حول القارة الأفريقية، والانتقال به حتى إلى جزائر البريطانيين، من كان منكم يقرأ هذا ويعجب منه، فإن زيارة واحدة يقوم بها إلى الخليج العربي، وأيامًا قليلة يقيمها ضيفًا على ضيوفنا الكرام في جزيرة البحرين كافية لمشاهدة ملوك البحر وملائكته يتقلّبون بين قاعه غائصين على اللؤلؤ، وبين رأس الشراع يعدُّونه للقيام برحلات طويلة ربما قلل البخار الآن من شأنها، لكنه لم يستطيع أن يسلب ذلك العنصر العربيّ النشيط شيئًا من نشاطه وعبقريته في مصاحبة البحار ومعاناة أهوالها.

وإذا كان قويُّ البنية منهم يستعمل عضلاته في مقاومة الأمواج وغوص اللجج، فإن قوى الفكر والتدبير منهم يجاهد في سبيل رفع مستوى أمته الاقتصادي، وكبير القلب والعقل منهم يجاهد في سبيل رفع مستوى أمته الأدبي.

نحن هنا أيها الإخوان مضطرون إلى الاعتراف بأننا غُلبنا على أمرنا في المعترك الاقتصادي؛ لأن لأوربا قلاعًا كبيرة في عاصمتنا هذه، وفي سائر المدن المصرية الكبرى يسمونها شيكوريل وبون مارشيه وتيرينج وأوروزدي باك، ونحن جميعًا نساءً ورجالًا نحمل من فلاحنا عرق جبينه لنضعه في خزائن هذه القلاع، فيُرسل إلى أوروبا وأمريكا مكافأة لعمال مصانعها على نشاطهم وعملهم. ولكن إخواننا في البحرين يثأرون لنا أيها السادة، فإنهم يستخرجون من قاع خليجهم حبّات اللؤلؤ ويرسلونها إلى أسواق أوروبا وأمريكا؛ لتُعرض على أنظار نسائهما، ويعود ثمنها وافرًا إلى أهله، ذوي النشاط والإقدام من إخواننا أهل تلك الجهات، عمالهم وتجارتهم، فيُدخل من ثمن هذه البضاعة الخفيفة اللطيفة على أهل هذه الجزيرة الصغيرة نحو مليونين من الجنيهات في كل عام، ومثلها من سائر مصايد اللؤلؤ في سائر الخليج. ومما يسر ويبهج: أن بيوت التجارة العربية في جزيرة البحرين بالغة حدّ الغاية من النظام، والإتقان، واليقظة، والتحلي بما يلزم أهلها من خبرة.

فإدارة هذا العمل الاقتصادي العظيم هي في أيدي إخوانكم في القومية والدين أيها السادة، وإن هذا المورد برغم عذوبته قد حال نشاط أولئك الإخوان بين الغربيين وبين ما كانوا يشتهونه من وضع أيديهم عليه، واتخاذ الوطنيين آلات فيه. وإن السيد عبد الرحمن القصيبي الجالس بيننا الآن لما كان في زيارة القاهرة في العام الماضي اقتضى نظام عمله أن يُسرع العودة إلى تلك الديار،

فطار إليها على طيارة بلغت به مكان عمله في يوم أو يومين، بينما كان لا يستطيع أن يعود إلى هناك إلا بنحو شهر، فهذا النشاط والإقدام مما يضمن لبني قومنا المسؤولين عن حركة العمل في الخليج العربي أن يبقي ذلك في أيديهم أبد الدهر إن شاء الله.

وهناك فضيلة أخرى لإخواننا أبناء تلك الجهات، وهي اقتداؤهم بجلالة الملك ابن السعود في إتمام برنامج له عظيم الأهمية يرمي إلى تهذيب سكان البادية بالفضائل الإسلامية. ومن المعلوم لكم أيها السادة أن البادية العربية كان عليها معوَّل دولة الخلفاء الراشدين ودولة بني أمية في نشر الإسلام، وتوسيع دائرة ملكه وإذاعة ثقافته وهدايته. فكان من لوازم ذلك أن يكون للدولة معلمون بين القبائل يعدونها لهذه المهمة. فلما استعجمت الدولة الإسلامية وصارت تستمدُّ المعونة من خراسان وما وراء النهر؛ صار أمر سكان جزيرة العرب إلى إهمال، وانقضت على ذلك عصور عادت القبائل فيها إلى شر من جاهليتها الأولى؛ لأن الجاهلية الأولى اكتسبت هذا العنوان من جهة بعدها عن هداية النبيين، ولكن كان لها مع ذلك لغة عذبة بليغة، وكان يجري على ألسنة فصحائها سلسبيل الحكمة، وكانوا محتفظين بتقاليد أخلاقية لا يكاد يوجد لها مثيل عند غيرهم. فلما اتصل العجم بالعرب وفسدت لغة الجزيرة وأضاعت القبائل مزاياها القديمة، ثم أهمل أمرها من جهة الدين، فدخلت في جاهليتها الحديثة، أصبحت فقيرة في دينها وبلاغتها وحكمتها وقديم مزاياها.

والخطة المرسومة الآن في جزيرة العرب هي تقليص ظل هذه الجاهلية، وتهذيب سكان البادية بفضائل الإسلام، وإشعارهم تقوى الله والخوف منه، والتعفف عن كل ما ليس لهم به حق مما رأيتم آثاره سلبًا وإيجابًا في جبال الحجار قبل العهد الأخير وبعده، والسر في هذا الانقلاب أن جلالة الملك ابن

السعود يُنفذ أحكام الشرع الإسلامي بدقة، وينشر المعلمين في كل بقعة من البقاع التي يسود عليها سلطانه، ويطبع مئات الألوف من الكتب ويضعها في أيدي سكان تلك القفار، ويسرّني أن أقول لكم إن السيد عبد الرحمن القصيبي اقتدى بجلالة الملك العربي في هذه المنقبة، فهو منذ بضعة أعوام يطبع ألوف المصاحف وكتب الشرع على نفقته في مدينة القاهرة، وتسير بها السفن حتى ترسو بها على ساحل الخليج العربي؛ لتوزع في بادية الإحساء وغيرها من تلك البلاد. وهذه المزية مما لا يجوز لنا أن نمرّ به دون أن نذكره بالثناء والحمد.

وبالجملة؛ فإن العنصر النشيط القليل العدد المرابط في جزيرة البحرين على باب جزيرة العرب مما يلي الخليج العربي قد آلى على نفسه أن يكون مجاهدًا في سبيل الخير ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، وهو اليوم في دور يقظة وعمل يبشران بمستقبل مجيد إن شاء الله. وإذا كان البحرانيون قد اتصلوا بنا قبل أن نتصل بهم؛ بما يراقبون من سير نهضتنا، وما يقرأونه من صحفنا ومجلاتنا ومطبوعاتنا، وما يعلمونه عن رجالنا واحدًا واحدًا، حتى كأنهم يعاشروننا تحت سماء وادي النيل، لكثرة ما يعرفونه من أحوالنا، فنحن نرجو اللّٰه أن تكون زيارة ضيوفنا الأفاضل فاتحة عهد جديد، نكون فيه على صلة بإخوانهم أدباء تلك الجزيرة المجيدة، فنتعاون معهم على تحقيق المطمح الأكبر وهو الارتفاع بمستوانا الإسلامي العربي إلى الأوج اللائق به بين أمم الأرض، وما ذلك على اللّٰه بعزيز.

محبّ الدّين الخطيب

عروس المشرقين

أهذي مَغاني جِلّقٍ والمعالِمُ ... لكَ الخيرُ، أم هل أنتَ وسنانُ حالمُ؟
بلى هذه أم العواصم جلّقٌ ... وهذي ليوث الغوطتين الضراغمُ
هنا عرشُ أقمار العُلى من أميةٍ ... هنا ارتكزت سُمرُ العوالي اللهاذِمُ
هنا النفر البيض الميامينُ للعُلى ... مَلامحُ في غُـرّاتهم وعلائمُ
هنا العَرب الأحرارُ إن قام ظالمٌ ... مشوا بالقنا، أو يُرجعَ الحقَّ ظالمُ
إذا انتسبوا في ندوة المجد حلّقت ... بهم للعلى قيسٌ وذُهل ودارِمُ
سلامًا عروسَ المشرقين، ولا مشت ... بظلّ مَغانيكِ الخطوب الغواشمُ
خُذي قلدي ما شئتِ جِيدًا ومِعصمًا ... من اللؤلؤ الرَّطْب الذي أنا ناظمُ
سليني دمى يا أمُّ أسفِكْهُ راضيًا ... وما أنا هيّابٌ، ولا أنا نادمُ
تبيَّنتُ في أبنائك الصَّيدِ نهضةً ... سيسعد فيها عبدُ شمسٍ وهاشمُ
وبشّرني بالفوز يا أمُّ أنها ... على العلم تُبنى في حِماكِ الدعائمُ
فما للذي يُبنى على الجهل رافعٌ ... ولا للذي يُبنى على العلم هادمُ
وللبُطْل صَولاتٌ على الحقّ جمةٌ ... وتُسفِر عن فوز المحقّ الخواتمُ
طلاسم هذا الذلّ دقت، وإنما ... تُفك بسر العلم هذي الطلاسمُ

❋ ❋ ❋

يقولون: جَدُّ اليعربيين نائمٌ ... لقد وهموا، فالسعي لا الجَدُّ نائمُ
وما الناس إلا اثنان مهما تخالفوا ... ميولًا: فمهزومٌ ضعيف، وهازمُ
وما الحقُّ إلا للقويّ، ولا العلى ... لغير الذي يغشى الوغى ويصادمُ
فقل لضعيفٍ راح يسأل رحمةً: ... رُويدَك، ما للضعف في الناس راحمُ

بدوي الجبل

يقظة الشبان المسلمين في الوطن الإسلاميّ

لما وَضعَت الحرب العظمى ما حَمَلتهُ إلى الإنسانية من أوزار وجرائم؛ هبَّ شبان مصر وغيرهم من أبناء الأقطار العربية لأداء ما عليهم لأوطانهم من واجب، وكانوا مقتنعين يومئذ بأن رأس هذا الواجب السعي لاستقلال الوطن من الطريق المباشر، أي بالجهود السياسية؛ فاندفعوا في هذا السبيل الذي أدَّى بهم بعد ذلك إلى أن يكونوا أحزابًا، وإلى أن تُفرِّق بينهم هذه الأحزاب، وإلى أن يستفيد الأجنبيُّ من تفرُّقهم هذا؛ فانشقت عصا الوحدة في مصر وغير مصر كثيرًا أو قليلًا. ونشأ عن هذا المكروه خيرٌ لا يقلّ عنه، وهو انتباه شبابنا النجيب إلى حقيقة أخرى، فأيقن أن الواجب القوميّ لا ينحصر بهذه الحزبيات ما دام جانب ذلك ضروب من الواجب لا بدَّ لعنصر الأمة النشيط من أن يقوم بها؛ ليتوصّل إلى الغاية المنشودة من الاستقلال.

العمل السياسي المباشر واجب من الواجبات، ولكنه وحده لا يوصلنا إلى الاستقلال؛ لأن بناء القومية يتألف من طبقات، أشرفها وأسماها هذا العمل الاستقلالي المباشر، لكن الطبقة السامية من كل بناء ليس معقولًا أن تقوم في الهواء، فلا بد لها من طبقات أخرى تحتها، ولا بد لهذا لهذه الطبقات من أساس يتوارى تحت الثرى. فالجهود القومية طبقات أساسها تربية الأفراد. من بنين وبنات .، التربية الملائمة لطبيعة الأمة، والمنتزعة من سجاياها وتاريخها واستعدادها، وفوق الأساس طبقة تليه، وهي إصلاحُ المنزل وتنظيم الأسرة وتكوين الجماعة تكوينًا حَسن التنسيق مستقيم الاتجاه. وتلي ذلك طبقة أخرى هي الاستقلال الاقتصادي، وفوق هام هذه القُوى القومية يوضع تاج الاستقلال متلألئًا بجواهر العز والمنعة والكرامة. أما الاستقلال السياسي الذي تَلتمس

الاستقلالَ الاقتصادي تحته فلا تجده، وأما الاستقلال السياسي والاقتصادي اللذَين تلتمسُ تحتها منزلًا صالحًا وأسرة منظمة وجماعة حسنة التكوين فلا تجدها، وأما الاستقلال (السياسي والاقتصادي) والتكوين (المنزلي والاجتماعي) اللذين تلتمس تحتها تربية قومية فلا تجدها؛ فإن من شأن هذا البنيان الاستقلالي والاجتماعي أن ينهار إذا لمسته أول عاصفة، وإذا صدمته ألطف قارعة. وهذا حقٌّ لا يرتاب فيه إلا قصير النظر ضعيف التفكير.

إذن؛ يجب على شباب الأمة أن يكون منهم لكل شُعبة من شُعَب الواجب القوميّ فريقٌ يستعدّون للعمل في تلك الشعبة، ويتجهّزون بالوسائل الكافية لتشييد الطبقة الخاصة بها، ويتفرّغون للسهر عليها. ويجب بعد ذلك أن يكون على رأس مجموع هذه الفئات العاملة قيادة تنظّم الارتباط فيما بين أجزاء هذا التكوين، وتمنع حدوث أي تعارض بين اتجاهات تلك الإجراء. ومن أفن الرأي أن نغفل عن الأساس وطبقات البناء التي فوقها، ثم نفكر في أن نبني في الهواء استقلالًا ليس تحته بناء، وليس تحت بنائه أساس.

هذه حقائق صار في شبابنا من يفكّر فيها ومَن يتحدَّث عنها، بل إنَّ هذه الحقائق هي التي حفزت الشبان المسلمين إلى تأسيس جمعيتهم، وهي نفسُها التي حملت أندية فلسطين الإسلامية إلى عقد مؤتمراتها الأخير في يافا، وقررت فيه تأسيس جمعيات للشبان المسلمين، وهي التي أيقظت الشبان المسلمين في بيروت.

لقد كنتُ على اتصال بشبّان مصر مباشرة، وبشبّان فلسطين بالمراسلة، وعلمت من أمر هؤلاء وأولئك أنهم لما شعروا بأن عليهم لقوميتهم واجبًا غير واجب السعي المباشر للاستقلال، وأخذوا يفكرون في الطرق التي توصلهم إلى أداء هذا الواجب، انتبهوا حينئذ إلى حقيقة أخرى كانت مرّة المذاق جدًا يوم

تذوّقوها للمرة الأولى، ذلك أنهم علموا بأن العنصر الإسلامي في الشرق الأدنى أضعف عناصر الشرق الأدنى تكوينًا، وأوهاها بنيانًا، وأوهنها أساسًا: فللطوائف غير الإسلامية في أوطاننا مدارس أنشأوها موافقة لحاجتهم المادية والروحية، ووراء هذه المدارس جمعيات وجماعات تعْضُدها وتساعدها، بينما المسلمون يعتمدون في تثقيف أبنائهم إما على مدارس الحكومات في أقطارهم، وهذه الحكومات تحت تأثيرات مختلفة معلومة الاتّجاه، وإما على مدارس غير المسلمين من وطنيين وأجانب وهذه لم يلاحظ فيها حاجة المسلمين المادية والروحية، وإما على مدارس أنشأها أفراد مسلمون لا غرض لأكثرهم من إنشائها غير الارتزاق، ولا قدرة لأكثرهم على تسييرها في الطريق الذي يوصل أبناءنا إلى الغاية التي ننشدها. ثم إن للطوائف غير الإسلامية في أوطاننا أوضاعًا ومجالسَ طائفية تجمع شملهم ويرجعون إليها في ملماتهم وعليها المعوّل في تنظيم رأيهم العام، بينما المسلمون فوضى من هذه الجهة، وكل شخص منهم أمَّة مستقلة بالمبدأ والغاية. وقبل سنتين عقدت طائفة الكاثوليك مؤتمرًا للعائلة في العاصمة المصرية تناولوا فيه هذا الموضوع الإصلاحي من كل نواحيه، واشترك أدباؤهم وأديباتهم في تحليل عناصر الضعف الناشئ عن تكوين الأسرة الحاضر عندهم، فدلّ على يقظتهم بمقدار ما ذكرنا نحن المسلمين بغفلتنا وهجوعنا.

وبعدُ؛ فإننا في حاجة إلى أن تنصرف جماهير كثيرة من أهل الرأي والنشاط فينا إلى خدمة قوميتنا من الجانب الاجتماعي والتهذيبي، وفي الهداية الإسلامية وسائل عظيمة لإصلاح أحوالنا من هذا الجانب، وسيظلّ الشرق الأدنى في حالة سوء ما دام المسلمون. وهم الأكثرية العظمى من هذه السكان. غارقين في سُباتهم مسترسلين في عمايتهم، لا ينهضون إلى أداء ما عليهم من واجب نحو

الوطن، بإصلاح دخائلهم وتنظيم اتجاهاتهم وإعداد جماعاتهم للخير، حتى يُوفّقوا إلى إقامة بنياتهم القومي وافيًا كاملًا على النحو الذي أشرتُ إليه في صدر هذا المقال. ولأجل هذا تأسست جمعية الشبان المسلمين في القاهرة، ولأجل هذا عُقد مؤتمر الأندية الإسلامية في يافا، ولأجل هذا قرر شباب فلسطين الناهض تأسيس جمعيات للشبان المسلمين في كل جانب من جوانب وطنهم. ولا ريب عندنا في أن غير المسلمين سيسرّهم نهوض الشبان المسلمين لأداء هذا الواجب القومي؛ لأن الشرق الأدنى لا يسير في طريق الصلاح إلا إذا كان المسلمون في أول القافلة، ولا يكون المسلمون كذلك إلا إذا نجحت أندية الشبان المسلمين في تحقيق المهمة التي اضطلعت بأعبائها، وأخذتها على عاتقها.

محبّ الدّين الخطيب

الطفلان الشريدان

خرجتُ في حاجة والليلُ طفل بعدُ، والرذاذ يترسل كما يترسل دمع الثاكل، وقد أقفر الشارع إلا من أعقاب السابلة، وطوارق الليل المقبل، وبقايا من ضجة النهار المدبر.

وفيما أنا أرسل رائد الطرف إلى ما حولي، لاحَ لي على ضوء مصباح مريض الشعاع، طفلان يتحدران في لجة الليل إلى حيث أدري أنهما لا يدريان.

منقطعان في وحشة الليل، يحسبان كل ظل ممتد على كثب منهما خيالًا أو أشباحًا مما يلد خيال الخوف، وكان قلباهما من فرط الذعر كأنهما عُلقا بجناحَي نَسر.

صغيران حارا حيرة ماء الحُسن في الخد الأسيل، فلا يدريان أيمضيان قدمًا أم يرجعان أدراجهما، أم يتيامنان أم يتياسران، فإنهما كانا ينشدان بيتهما ولم يبق منه في مخيلتهما إلا صورة عجزا عن إخراجها في صورة من البيان.

أكبرُهما طفلة تغازل السادسة من عمرها، والآخر طفل أحسبه يعد سنه على أصابع إحدى يديه، فدنوت منهما لما دخل عليّ من أمرهما، فلما رأياني نفرا مني بادئًا كما ينفر الطائر اقتُحم عليه مطاره، ونظر إليّ كلاهما، وقد تكافأ ما في نفسيهما من الخوف مني، وما في نفسي من الخوف عليهما، وما كانت نظرتاهما إلا رسالتين صامتتين ناطقتين، فيهما كل معاني الضراعة، فلو لم أكن أبًا لمثلهما لعرفت لأول نظرة من نظراتهما كيف تسحر البنوة الأبوة، وعلمت كيف تكون الطفولة بضعفها أقوى ما في الوجود الإنساني كله.

نظرتُ الطفلة حانية على أخيها فخُيل إليّ أن نفسها قد سبقت سنها بمراحل، فكانت في تلك اللحظة نفس أم، ونظرتُ الطفل حانيًا على أخته، فخُيل إليّ أن رجولته قد تقدمت أوانها فعرف في تلك الساعة معنى الأبوة.

أجل؛ لقد نظرتُ منهما إلى أجمل صورتين إنسانيتين للملَك، وأكمل صورتين ملكيتين للإنسان، وذكرت ابنتي وابني، فأحسست هم قلب الصغيرين ينتقل إلى قلبي، وما يطيق إنسان من الآباء أن يرى الإنسانية معذبة في طفلين أيًّا كان لون عذابهما.

ولقد بعث مني الموقف، فاستعبرت لقلوب أربعة، مهمومة مفجعة، هي قلبا الأبوين يقتلهما الإشفاق على صغيريهما الشاردين في كل لحظة قتلة، وقلبا هذين الصغيرين يمرُّ فيهما الوهم والرعب وحذر الضياع بين الناس.

ثم أقبلت عليهما فضممتهما وسكّنت روعهما، وعبثًا حاولت أن أتعرف منهما مقرّ بيتهما، فحملت الصغير، وأخذت بيد الصغيرة، واستدعيت بمركبة،

فأقلت ثلاثتنا إلى أقرب مخفر، وكانت أمهما قد سبقتنا إليه تتسقط خبرهما، وخرج أبوهما يقص أثرهما، فلم تكد عينا الأم تقعان عليهما حتى درجت إليهما في لهفة، وأكبت عليهما بقلبها ودموعها وقبلاتها، وكأنها وقد استرجعت فلذتين من كبدها استرجعت حياتها كلها، فبُعثت طفلةً يستخفها الفرح بطفليها، وما يمسكها شيء إلا فضل حيائها، وقد شعرتُ كأني سموت بروحي فوق هذا العالم؛ لأني شعرت أن قلبي قد اختلط بهذه القلوب، فمسته يد اللّه كما مستها في تلك الساعة التي بقيت هذه الأسرة تؤرّخ بها حتى الآن.

صادق عنبر

❊ ❊ ❊

قرطبة

قال الحجازي في (المسهب):

كانت قُرْطُبة في الدولة المروانية قبلة الإسلام، ومجتَمَع أعلام الأنام. بها استقرَّ سريرُ الخلافة المروانية، وفيها تمخَّضت خلاصة القبائل المعَدّية واليمانية. وإليها كانت الرحلة في الرواية إذ كانت مركز الكرماء، ومَعدِنَ العلماء. وهي من الأندلس بمنزلة الرأس من الجسد، والزور من الأسد. ونهرُها من أحسن الأنهار، مكتنفٌ بديباج المروج، ومطرَّز بالأزهار. تصدح في جنباته الأطيار، وتنعر النواعير ويبسم النوّار. وقُرطاها- الزاهرة والزهراء- حاضرتا الملك، وأُفُقا النعماء والسرّاء. وإن كان قد أخنى عليها الزمان، وغيّر بهجة أوجهها الحسان؛ فتلك عادته، وسلِ الخَوَرْنَقَ والسَّديرَ وغمدان.

❊ ❊ ❊

الحياة(١)

صَحِبَ الناسُ قبلنا ذا الزمانا ... وعناهم من شَأنه ما عَنانا
وتولوا بغُصَّة كلهمْ مِنه ... وإن سرّ بعضَهم أحيانا
ربّما تُحسن الصنيعَ لياليـ ... ـهِ ولكنْ تُكدّر الإحسانا
وكأنا لم يرضَ فينا بريبِ الـ ... ـدَّهر حتى أعانَه من أعانا
كُلّما أنبتَ الزمان قناةً ... ركّبَ المرءُ في القناةِ سِنانا
ومُرادُ النفوس أصغر من أن ... تَتعادَى فيه وأن تتفانى
غير أن الفتى يُلاقي المنايا ... كالحاتٍ، ولا يُلاقي الهَوانا
ولو أنَّ الحياةَ تبقى لحيٍّ ... لعدَدْنا أضلنا الشُجْعانا
وإذا لم يكن من الموت بدٌّ ... فمن العجز أن تكون جبانا
كلُّ ما لم يكن من الصعب في الأنـ ... ـفس سهلٌ فيها إذا هو كانا

المتنبي

---

(١) قصيدة جميلة، إلا أنها لم تخلُ من سب الدهر، وقد قال ﷺ: **«لاتسبوا الدهر فإن اللَّه هو الدهر»** أخرجه البخاري (٧٤٩١) ومسلم (٢٢٤٦).
قال ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/ ٤٢١): «أي أنكم إذا سببتم فاعل ذلك، وقع السب على اللَّه ﷻ؛ لأنه هو الفاعل، والدهر لا فعل له، بل هو من جملة مخلوقات اللَّه تعالى». (س).

مكروهات سقراط

قال سقراط: «ثلاثة من أكره الأشياء إليّ: كتاب النحو والفقر والمرأة. ولقد تغلبتُ على الأوّل بكثرة الدرس، وعلى الثاني بالسعي والصبر، ولكني لم أجد حيلة في المرأة!».

الخفافيش

من كتاب نهج البلاغة

من لطائف صنعة اللَّه وعجائب حكمته ما أرانا من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش التي يقبضها الضياءُ الباسط لكل شيء، ويبسطها الظلامُ القابض لكل حيّ، وكيفَ عشيَتْ أعينُها عن أن تستمدّ من الشمس المضيئةِ نورًا تهتدي في مذاهبها، وتَصلَ بعَلانية بُرهان الشمس إلى معارفها. ورَدَعَها تلألؤ ضيائها عن المُضي في سُبُحات إشراقها، وأكنّها في مكامِنها عن الذهاب في بَلَج ائتِلافها. فهي مُسدِلة الجفون بالنهار على أحداقها، وجاعلة الليل سِراجًا تستدلُّ به في التماس أرزاقها، فلا يَردُّ أبصارَها إسداف ظُلمته، ولا تمتنع من المضي فيه لِغَسق دُجْنَته. فإذا ألقت الشمس قناعها، وبَدَتْ أوضاح نهارها، ودخل من إشراق نورها على الضِّباب في وجارها، أطبقَت الأجفان على مآقيها، وتبلغت بما اكتسبتْ من فيء ظُلم لياليها. فسبحان من جعل الليل لها نهارًا ومعاشًا، والنهار سكَنًا وقرارًا، وجعل لها أجنحة من لحمها تعرج بها عند الحاجة إلى

الطيران، كأنها شظايا الآذان، غيرُ ذوات ريشٍ ولا قصب، إلا أنك ترى مواضع العروق بيّنة أعلامًا: لها جناحان لما يَرِقا فينشقا، ولم يغلُظا فيثقلا. تطير وولدها لاصق بها لاجئ إليها، يقع إذا وقعتْ ويرتفع إذا ارتفعت، لا يفارقها حتى تشتد أركانه، ويحمله للنهوض جناحه، ويعرفَ مذاهبَ عيشه ومصالح نفسه، فسبحان البارئ لكل شيء على غير مثال خلا من غيره.

الزوجة

قال أميلو: إن القلب يدفع طالب الزواج إلى الحسناء، والمصلحة تدفعه إلى الدميمة، والعقل وحده يسوقه إلى المرأة الفاضلة.

كلمة سانت هيلير في صدق الرسالة المحمدية

اجتمع الأستاذ محمد لطفي جمعة بالسيد توفيق البكري بعد عودته من مستشفى بيروت إلى القاهرة، ودار بينهما حديث نشره المقطم، ومما قاله فيه:

وجاء على لساني عرضًا ذكر برتلميه سانت هيلير، فقال السيد: بعد أن تنتهي من حديثك سأذكر لك عبارة تاريخية تُنسب إلى سانت هيلير.

فتكلمت وأسهبت ولكن السيد لم ينس وعده. فلما انتهيت قال لي:

قال سانت هيلير في تاريخ النبي محمد ﷺ- الذي ألفه باللغة الفرنسوية-: إنه كان يشك في صدق النبي في رسالته، حتى قرأ في جميع السير أنه لما نزلت آية

الحفظ، ووعد اللّه نبيه بأنه سيتولى حراسته (ولم يتلُ السيد الآية) بادر محمد ﷺ إلى صرف حراسه. والمرء لا يكذب على نفسه ولا يخدعها، فلو كان لهذا الوحي مصدر غير الله؛ لأبقى محمد على حرسه.

هذا هو دليل سانت هيلير وطريقة استنتاجه. ثم ابتسم السيد وقال: هذا عجيب من رجل غريب عن الإسلام، وعلى كل حال، فهذا الكلام يدل على تفكير وبُعد في النظر.

الشاعرة الهندية والإسلام

قالت مسز سررجني نائدو- الشاعرة الهندوسية الطائرة الصيت والخطيبة البليغة- في إحدى خطبها عن الإسلام ما يأتي:

«لقد دعا الإسلام قبل اليوم بثلاثة عشر قرنًا إلى المساواة والإخوة. وقد أسس الإسلام أول جمهورية كان القانون الإلهي رائدها، والفقير والغني سواء فيها. ولا شك مطلقًا أنه يأتي يوم يبتلع الإسلام فيه جميع الأديان!».

السفور بعد الحجاب

قل لمن بعد حجابٍ سَفَرتْ: أبهذا يأمر الغيدَ الشرفْ؟

أسفورًا والحيا يحظره وتُقى اللّه وآدابُ السلفْ!

ليست المرأة إلا درّة أيكون الدرُّ إلّا في الصُدفْ؟

أمين ناصر الدين

المبشرون

يا أمة عبثت بالدين داعيةً ... باسم السلام إلى التمزيق في البشر
تطايرت في بلاد اللَّه واقعةً ... وقعَ الجراد على مخضرّة الشجر
دعي مغالطة التبشير ناحية ... واستنكفي فلقد بشرتِ بالكدر
أُعيذ قوميَ أن تصطاد حوتهمُ ... فقد أُديفَ نميرُ الماء بالعكر

صالح الجعفري

الطموح

خلوتُ بنفسي ليلة، وحاولتُ الالتجاء إلى سكينة الماضي لأستريحَ من ضوضاء الحاضر؛ فتمثلتُ أجيالَ البشر الغابرة، وجماعات الأمم الخالية، كأنها المواكب تجتاز الوهادَ والآكام، أو المراكب تمخر في بحار الأيام. وما من موكب سائرٍ في قفر، أو مركب ماخر في بحر، إلا وله عند الأفق مَشْعلٌ تلوح أنواره من بعيد. وهذا المشعل هو «المطمح السياسيُّ العام»، الذي تتخذه القوميّاتُ هَدفًا لها في كل أعمالها، فتتجه نحوه الأنظارُ والألباب، وتتوحّد به الجماعاتُ والأحزاب.

إن الارتفاع والانحطاط من شأن هذه المواكب وهي في قفارها، ومن دأب هذه المراكب وهي في بحارها. ففي حالتيْ الاعتدال والارتفاع يكون المشعل باديًا لطالبيه، ومن ثَمَّ يكون السير مستمرًا على هُدى نحو الهدفَ المعين. وأما إذا جاء دور الانحطاط، فهنالك تغيب أشعة المشعل عن الناظرين إليها،

فتختلف الأفكار في تعيين الغاية المنشودة. وبالتالي تتعدَّد المسالك وتشتت شمل سالكيها. ولذلك قال الدكتور غوستاف لوبون:

«ليس التاريخ إلّا رواية الأحداث والأفعال التي قام بها الناس سعيًا وراء المطمح. ولولا هذا لظلّ الإنسان على بربريته، ولما كان له من المدينة نصيب. وإن انحطاط الأمة يبتدئ يوم لا يكون للأمة مطمح تحترمه بجملتها، فيجاهد كل فرد منها بنفسه في سبيل حمايته والذّود عنه».

وفي اعتقادي أنه ليس هناك كبيرُ خوف على المطمح إذا كانت الأمة تعرفه وتتعلق به، وتلمح أشعّته أثناء سيرها في موكب الأيام، مع طبقات الأيام، وإنما الخوف من انحطاط يخفى فيه على الأمة مطمحها، فتجهل غايتها العامة ومقصدها الأسنى. وحينئذ يظهر في الأمة أفرادٌ ممتازون من أهل «الطموح» فيفنون في أمتهم، ويتنازلون عن شخصياتهم، ويصرفون كل قوتهم في سبيل إنهاض موكبهم إن كانوا في برّ، أو موكبهم إن كانوا في بحر، حتى يجعلوه في مستوى معتدل أو مرتفع، فيلوح للأمة حينئذ شعاع مشعلها، فتهتدي إلى طريقها على نور المطمح السياسي العام.

المطمح السياسي لهذه الأمة - في كل أعصارها وأقطارها - هو «الحرية والاستقلال». وأهل الطموح هم الذين يأخذون بيد الأمة، وهي سائرة في موكب الأيام، فيرتفعون بها من وهدة إلى أكمة، أو ينتشلون مركبها من هوّة إلى رأس لجّة، حتى تكون مبصرة مشعلها المنير في الأفق، فتسير نحوه بأقدام ثابتة كأقدام الأسُود، وبخطوات واسعة كخطوات المرَدة.

مَثل ذوي الطموح في الأمم كمثل العَزْم النوراني الشفاف المنبثّ في مواكب الأيام يدفعها نحو مشاعلها المتألقة في الأفاق في مواكب الأيام، يدفعها نحو مشاعلها المتألقة في الآفاق، أو كالقوة البخارية التي تُحرك مراجل مراكب

الأنام لتبلغ بها غاياتها المنشودة. وكما أن قيمة المواكب تقاس بمبلغ ما فيها من نور العزائم، وقيمة المراكب تقاس بقوة البخار المحرك لمراجلها، فكذلك الأمم ما زالت ولن تزال تقدَّر بأقدار أفرادها الممتازين، ورجالها البعيدة مرامي أنظارهم، الذين ندعوهم بذوي الطموح.

إن كلمة الشهيد السعيد محمد المحمصاني لأخيه محمود وهما صاعدان إلى المشنقة، تعدُّ من الكلمات المأثورة التي يحفظها كل مجاهد من شباب أمتهما. ولا ريب أن مثل هذه الكلمة من الآيات الملهمة إلى قلوب ذوي الطموح، فلا يشعر بها في ذلك الموقف إلا الرجل الذي فنيَ في أمته، فصار لا يتألم إلا بآلامها، ولا يسرُّ إلا بمسرّاتها، ولا تطلب نفسه إلا ما تحتاج إليه أمته في حياتها العامة، ولا يرى خطرًا على نفسه غير الخطر الذي يُداهم أمته في حرّيتها واستقلالها، وفي عزّتها وهنائها.

شابٌّ وصل عنقه إلى حبل المشنقة ثم لا يزال ناسيًا نفسه، مستغرقًا في التفكير بقضية أمته، راضيًا - عن طيب خاطر- أن تكتسب الأمة حياة من طريق موته، ووجودًا من طريق عدمه، واستقلالًا من طريق التحكم في أثمن شيء يملكه وهو نفسه. هذا هو الطموح الذي جعلتُه موضوع مقالي وبه تهبّ الأمة فترتفع من وهدتها حتى يُشْرِف موكبها على منطقة الأفق، فيرى مشعل «المطمح العام»، فيأنس به ويوجّه نحوه الأبصار والبصائر.

إن حكمة اللَّه في فوز أهل الطموح دائمًا ظاهرةٌ من هبوط آيات الطموح الملهمة على قلوب أصحاب الحقّ، والحقُّ اسم من أسماء اللَّه تعالى. وإن من سنة اللَّه في خلقه أن يقيّض للحق أنصارًا من وراء سُجف الغيب يؤيد بهم الثابتين على تأييد حقهم، المضحين بأرواحهم في سبيل الوصول إلى مطمح بني قومهم، الفانين في مصالح أوطانهم.

في استطاعة كل رجل من أفراد الأمة أن يكون من أهل الطموح إذا أذاب نفسه في الأمة والوطن، فصار يرى كلّ شيء فيه منهما ولهما، فإذا شعر بأن الأمة مهددة بخطر ينتاب مطمحها السياسيّ العام، أدرك أنه لا قيمة بعد ذلك لمالِهِ وولده ونفسه، فينسى كل هذه المقدَّسات الشخصية إلى أن يأمَنَ على سلامة المقدّسات القومية.

بمثل هؤلاء نهضت الأمم وسَلِمَت الأوطان؛ وعلى قلوب هؤلاء هبطت ملهمات الفضائل، وعلى أيدي هؤلاء تتم جلائل الأعمال، وكل فرد يستطيع أن يكون منهم، وإن من عادة الأبطال من أهل الطموح أن يولدوا رجالًا كاملين عندما تتمخّض بهم المصائب.

والليالي من الزمان حُبالى ... مُثقَلاتٌ يلدنَ كل عجيبة

محبّ الدّين الخطيب

حكمة عاد وجُرهم

قال أبو بكر بن دُرَيد:

ألم ترَ ما أدت إلينا وسَيّرتْ ... على قِدَم الأيام عادٌ وجُرْهُمُ
هم اقتضبوا الأمثال صعبًا قِيادُها ... فذَل لهم منها الشَّريسُ الغَشَمْشَمُ
وقالوا: «الهوَى يقظانُ والعقلُ راقد» ... وذو العقل مذكور وذو الصمتِ أسلمُ
ومما جرى كالوَسم في الدهر قولُهم ... «على نفسه يجني الجهول ويُجرِمُ»
وكالنار في يَبْسِ الهَشيم مقالهم ... «ألا إن أصلَ العود من حيث يُقضَمُ»
فقد سَيّروا ما لا يُسَيِّر مثلَه ... فصيحٌ على وجه الزمان وأعجمُ

الموت

لكل شيء سكونٌ بعد فورته   وكل عين إلى غمض وإغفاءِ
ألا ترى اليمَّ تطغى فيه موجته   تقطّع القلب من همٍّ وبأساءِ
حتى إذا بلغتْ مجهودَها فنيت   من بعد جلجلة منها وضوضاءِ
كذاك للنفس في بحر الردَى سكنٌ   تلقى به راحةً من بعد إعياءِ

إبراهيم عبد القادر المازني

أسرار الحياة

* عندما فهمتُ أسرار الحياة تشوَقتُ إلى الموت؛ لأنه أعمق أسرار الحياة.

* كان الأقدمون يقولون: اختر لنفسك الدنيا أو الآخرة.

وأنا أقول: لقد اخترت الاثنتين- الدنيا والآخرة - لأنهما من صنع الله، والله يحب كل ما صنعتْ يداه.

* من حسنات الناس أنهم لا يستطيعون إخفاء سيئاتهم طويلًا.

جبران خليل جبران

عبادة المعجَب

قال مُطرّف: لأن أبيتَ نائمًا، وأصبح نادمًا؛ أحبُّ إليَّ من أن أبيتَ قائمًا، وأُصبح مُعْجَبا.

حكاية بشير وواصل
أسير دمشقي مسلم يفحم
كبير بطاركة الأرثوذكس زمن الدولة الأموية

قال محيي الدين بن العربي في محاضرة الأبرار (١: ١٣٧ طبعة سنة ١٣٢٤):

أُسر غلامٌ من بطارقة الروم وكان غلامًا جميلًا، فلما صار إلى دار الإسلام وقع إلى الخليفة - وذلك في خلافة بني أمية -، فسماه (بشيرًا)، وأمر به إلى الكُتاب، فكتب وقرأ القرآن وطلب الأحاديث وروى الشعر. فلما بلغ أتاه الشيطان فوسوس إليه وذكّره النصرانية دين آبائه، فهرب مرتدًا من دار الإسلام إلى أرض الروم، فأتي به الطاغية، فسأله عن حاله وما الذي دعاه إلى الدخول في دين النصرانية، فأخبره برغبته فيه. فعظم في عين الملك ورأسه وصيره بطريقًا من بطارقته، وأقطعه قرى كثيرة، فهي اليوم تعرف به يقال لها: «قرى بشير». وكان من قضاء اللَّه وقدره أنه أُسر ثلاثون أسيرًا من المسلمين، فأُدخلوا على بشير، فسألهم رجلًا رجلًا عن دينهم، وكان فيهم شيخ من أهل دمشق يقال له (واصل)، فسأله بشير، فأبى الشيخ أن يرد عليه شيئًا.

فقال له بشير: ما لك لا تجيبني؟

قال: لستُ أجيبك اليوم بشيء

فقال بشير للشيخ: إني سائلك غدًا فأعدَّ لي جوابًا (وأمره بالانصراف).

فلما كان الغد بعث إليه بشير، فأدخل عليه الشيخ.

فقال بشير: الحمد لله الذي كان قبل أن يكون شيء من خلقه، وخلق سبع سماوات طباقًا بلا عون كان معه من خلقه، ودحا سبع أرضين بلا عون كان معه من خلقه، فعجبٌ لكم معاشر العرب حين تقولون: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

فسكت الشيخ فقال: ما لك لا تجيبني؟

قال: كيف أجيبك وأنا أسير في يديك، فإن أجبتك بما تهوى أسخطتُ ربي وأهلكتَ عليّ ديني، وإن أجبتك بما لا تهوى أهلكتُ نفسي. فأعطني عهد اللَّه وميثاقه وما أخذ اللَّه ﷻ على النبيين، وما أخذ النبيون على الأمم، أن لا تغدر بي ولا تمحلني ولا تبغي عليّ باغية سوء، وأنك إذا سمعت الحق تنقاد له.

قال بشير: فلك عليّ عهد اللَّه وميثاقه وما أخذ اللَّه على النبيين وما أخذ النبيون على الأمم أن لا أغدر بك ولا أمحل بك ولا أبغي بك باغية سوء، وأني إذا سمعت الحق أنقاد له.

فقال الشيخ: أما ما وصفت من صفة اللَّه ﷻ، فقد أحسنتَ الصفة، ولم يبلغ علمك ولم يستحكم رأيك أكثر من هذا، والله ﷻ أعظم وأكبر مما وصفت، ولا يصف الواصفون صفته. وأما ما ذكرت من صفة هذين الرجلين (أي عيسى وآدم)، فقد أسأت الصفة، ألم يكونا يأكلان الطعام، ويشربان الشراب، ويبولان، ويغوطان، وينامان، ويستيقظان، ويفرحان، ويحزنان؟

قال بشير: بلى.

قال: فلمَ فرَّقت بينهما!

قال بشير: لأن عيسى كان له روحان اثنان، فروحٌ يبرئ بها الأكمة والأبرص، وروحٌ يعلم بها الغيب ويعلم ما في قعر البحار، وما يتحاتُّ من ورق الشجر.

قال واصل: روحان اثنان في جسد واحد!.

قال بشير: نعم.

قال الشيخ: فهل كانت القوية منهما تعرف موضع الضعيفة أم لا؟

قال بشير: قاتلك الله؛ ماذا تريد أن تقول، إن قلتُ إنها تعلم؟ وماذا تريد أن تقول إن قلتُ إنها لا تعلم؟

قال الشيخ: إن قلتَ إنها تعلم فما لهذه القوية لا تطرد عنها هذه الآفات؟

وإن قلتَ: إنها لا تعلم، قلتُ: كيف تعلم الغيوب، ولا تعلم روحًا معها في محل واحد في جسد واحد؟

فسكت بشير.

فقال الشيخ:

بالله هل عبدتم الصليب مثالًا لعيسى ابن مريم أنه صُلب؟

قال بشير: نعم

قال الشيخ: فبرضىً منه أم بسخط؟

قال بشير: هذه أخت تلك، وماذا تريد أن تقول إن قلتُ برضى منه أو بسخط؟

قال الشيخ: إن قلتَ برضي منه قلتُ: فما أنتم بقوم أُعطوا ما سألوا وأرادوا، وإن قلتَ بسخط، قلتُ: فلمَ تعبدون ما لا يمنع عن نفسه؟

قال بشير: والضار والنافع ما ينبغي لمثلك أن يعيش إلا في النصرانية. أراك رجلًا قد تعلمت الكلام، وأنا رجل صاحب سيف، ولكني آتيك غدًا بمن يخزيك اللَّه على يديه.

ثم أمره بالانصراف.

فلما كان الغد بعث بشير إلى الشيخ. فلما دخل عليه إذا عنده قس عظيم اللحية. فقال له بشير:

إن هذا رجل من العرب، فكلمه حتى تنصّره، له حكم وعقل، وأصلٌ في العرب، وقد أحب أن يدخل في ديننا، فسجد القس لبشير وقال:

قديمًا ما أتيتَ إلا بالخير، وهذا أفضل ما أتيت به إليّ. ثم أقبل على الشيخ وقال له:

أيها الشيخ، ما أنت بالكبير الذي ذهب عنه عقله وتفرق عنه حلمه، ولا بالصغير الذي لم يستكمل عقله ولم يبلغ حلمه. غدًا أغطسك في المعمودية غطسة تخرج منها كيوم ولدتك أمك.

فقال الشيخ: فما هذه المعمودية؟

قال القس: ماء مقدس.

قال الشيخ: مَن قدسه؟

قال القس: أنا قدسته، والأساقفة من قبلي

قال الشيخ: فهلا كانت لك ذنوب وخطايا وللأساقفة من قبلك، أم أنتم مبرّؤون من النقص؟

قال القس: نعم، إنها لأكثر من ذلك، ولا يسلم من الذنب والعيب إلا اللّه تعالى.

قال الشيخ: هل يُقدس الماء من لم يُقدس نفسه؟

فسكت القس. ثم قال: إني لم أقدسه أنا.

قال الشيخ: فكيف كانت القصة إذن؟

قال القس: إنها سنّة عيسى ابن مريم.

فقال الشيخ: فكيف كان الأمر إذن؟

قال القس: إن يحيى بن زكريا أغطس عيسى ابن مريم بالأُرْدُن غطسةً، ومسح له رأسه ودعا له بالبركة.

قال الشيخ: واحتاج عيسى إلى يحيى بن زكريا أن يمسح له رأسه ويدعو له بالبركة؟ فاعبدوا يحيى، فيحيى خير لكم من عيسى!

فسكت القس. واستلقى بشير على فراشه، وأدخل فاه في كمه، وجعل يضحك، وقال للقس:

قم أخزاك الله، دعوتك لتنصّره، فإذا أنت أسلمت!

ثم إن الشيخ بلغ أمره إلى الملك، فبعث إليه الملك فقال:

ما هذا الذي بلغني عنك من تنقيصك لديني ووقيعتك فيه؟

قال الشيخ: إن لي دينًا كنتُ ساكتًا عنه، فلما سُئلت لم أجد بدًّا من الذبّ عنه.

قال الملك: وهل في يدك حجة؟

فقال: ادعُ لي من شئتَ حتى يحاورني، فإن كان الحق في يدي فلا تلومني على الذبّ عن الحق، وإن كان الحق في يده رجعتُ إلى الحق.

فدعا الملكُ بعظيم النصرانية، فلما دخل عليه سجد له الملك ومن عنده أجمعون. فقال الشيخ:

أيها الملك من هذا؟

قال: رأس النصرانية الذي تأخذ النصرانية عنه دينها.

قال الشيخ: فهل له من امرأة، أم هل له من ولد، أم هل له من عقب؟

فقال له الملك: هذا أزكى وأطهر من أن يُدنس بالنساء، هذا أزكى وأطهر من أن يُنسب إليه الولد ويُدنس بالحيض، هذا أزكى وأطهر من هذا كله.

قال الشيخ: فأنتم تكرهون الآدمي يكون منه ما يكون من بني آدم من الغائط والبول والنوم والسهر، وتأخذكم غيرة من ذكر نسبة النساء إليه، وتزعمون أن رب العالمين سكن ظلمة البطن وضيق الرحم ودُنس بالحيض!

قال القس: هذا شيطان من شياطين البحر رمى به البحر إليكم، فأخرجوه من حيث جاء.

فأقبل الشيخ على القس وقال: عبدتم عيسى ابن مريم لأنه لا أب له، فضموا آدم مع عيسى، حتى يكون لكم إلهان اثنان. وإن كنتم عبدتموه لأنه أحيا الموتى، فهذا حزقيل مرَّ بميت تجدونه بالإنجيل لا تنكرونه، فدعا اللّه ﷻ فأحياه له حتى كلمه، فضموا حزقيل مع عيسى وآدم، حتى يكون لكم ثلاثة آلهة. وإن كنتم إنما عبدتموه لأنه أراكم المعجزات، فهذا يوشع بن نون قاتل قومه حتى غربت الشمس فقال لها: ارجعي بإذن الله، فرجعت اثني عشر برجًا، فضموا يوشع أيضًا إلى عيسى ليكون لكم رابع أربعة. وإن كنتم عبدتموه لأنه عُرج به إلى السماء، فمن ملائكته اللّه ﷻ مع كل نفس اثنان بالليل واثنان بالنهار يعرجون إلى السماء ما لو ذهبنا نعدّهم لالتبس علينا في عقولنا واختلط علينا

ديننا وما زدنا في ديننا إلا تحيرًا. ثم قال: أيها القس، أخبرني عن رجل يحل به الموت، الموت أهون عليه أم القتل؟

قال القس: بل القتل.

قال: فلمَ لم يقتل عيسى أمه، بل عذّبها بنزع الروح؟ إن قلتَ: إنه قتلها، فما برّ أمه في قتلها، وإن قلتَ: إنه لم يقتلها، فما ضرّ أمه في تعذيبها بنزع النفس.

فقال القس: اذهبوا به إلى الكنيسة العظمى فإنه لا يدخلها أحد إلا تنصّر.

فقال الملك: اذهبوا به إلى الكنيسة.

قال الشيخ: لماذا يُذهب بي إلى الكنيسة ولا حجة عليّ دَحضت حجتي؟

قال الملك: لا يضرك شيء، إنما هو بيت من بيوت اللَّه تذكر فيه ربك.

قال الشيخ: أما إذا كان هكذا فلا بأس.

فذهبوا به إلى الكنيسة، فلما دخل إلى الكنيسة وضع إصبعيه في أذنيه ورفع صوته بالأذان. فجزعوا لذلك جزعًا شديدًا، وصرخوا لذلك، وكتفوه وجاؤوا به إلى الملك فقالوا:

أيها الملك، إنه أحلّ بنفسه القتل.

فقال الشيخ: أيها الملك أين ذهبوا بي؟

قال: ذهبوا بك موضعًا تذكر ربك فيه.

قال: فقد دخلته وذكرت ربي فيه بلساني وعظمته بقلبي، فإن كان كلما ذكر اللَّه في كنائسكم صغر إليكم دينكم، فزادكم اللَّه صغارًا.

فقال الملك: صدق، وما لكم عليه سبيل.

قالوا: أيها الملك لا نرضى حتى نقتله.

قال الشيخ: إنكم متى قتلتموني فبلغ ذلك ملكنا وضع يده في قتل القسيسين والأساقفة، وخرب الكنائس وكسر الصلبان ومنع النواقيس.

قالوا: وإنه ليفعل؟

قال: فلا تشكوا في ذلك.

فتركوه.

قال الشيخ: أيها الملك، بمَ علا أهل الكتاب على أهل الأوثان؟

قال: لأنهم عبدوا ما عملوا بأيديهم.

قال: فهذا أنتم عبدتم ما عملتم بأيديكم، هذه الأصنام التي في كنائسكم. فإن كانت في الإنجيل فلا كلام لنا فيه، وإن لم تكن في الإنجيل فما أشبه دينكم بدين أهل الأوثان.

قال: صدق، هل تجدونه في الإنجيل؟

قال القس: لا.

قال: فلم تشبهون ديني بدين أهل الأوثان؟

وقال: فأمُرهم بتبييض الكنائس. فجعلوا يبيضونها ويبكون.

وقال القس:

هذا شيطان من شياطين العرب، قذفه البحر إليكم، فأخرجوه من حيث جاء، ولا يقطر من دمه قطرة في بلادكم؛ فيُفسد عليكم دينكم.

فوكلوا به رجالًا، فأخرجوه من حيث جاء من بلاد دمشق.

ووضع الملك يده في قتل القسيسين والبطارقة والأساقفة، حتى هربوا إلى الشام لما لم يجدوا أحدًا يحاجُّه.

دمشق

غَلَب الذكرُ على سُلوانها   وخَطا الصحوُ إلى نَشوانها
ومشى السؤلُ إلى شَهوانها

❊ ❊ ❊

جنةٌ أهوى إلى رضوانها   وأراها السخطَ في رِضوانها
قَدَرٌ أغرقَ في عُدوانها

❊ ❊ ❊

نصَّ سفر البؤس في جَهْوانها[1]   فبدا المنصوصُ في عنوانها
وتراءى الشجو في أسوانها

❊ ❊ ❊

عمدَ الدهرُ إلى إهوانها   فتهاوى الصِيد عن إيوانها
وجثتْ تدفع عن صيوانها

❊ ❊ ❊

قرعَ الحزن حَشا مِغوانها   مُذ دحا النيرَبُ من كِيوانها
فشكا البثَّ إلى كيوانها[2]

❊ ❊ ❊

سَلّط الصقرَ على كِروانها[3]   فمضى يفتكُ في صِيوانها

(١) الجهوان: البيت المكشوف الذي لا ستر له.

(٢) النيرب: من منتزهات دمشق، قال فيه ياقوت الذي جاب أنحاء الأرض: أنزه موضع رأيته. وكيوان الأول منتزه قرب ربوة دمشق، وكيوان الثاني في السماء.

(٣) الكروان: طير الحبارى.

ويُشيح الوجهَ عن خوّانها

❁ ❁ ❁

أنشبَ المقدارُ في أعوانها   مِخْلبًا أدمى ثَرَى مَرْوانها

وأثار الوقدَ في صَوّانها

❁ ❁ ❁

خَلها توقظ من سَهْوانها   وتَرَى الأقدارَ في ألوانها

وتُلينُ الصَّلْدَ من صَفْوانها

وتخطُّ المجدَ في ديوانها

محمد البزم

عبد الملك بن مروان والرجل المنافق

قال رجل لأمير المؤمنين عبد الملك بن مروان: إني أريد أن أسرَّ إليك شيئًا.

فقال عبد الملك لأصحابه: إذا شئتم.

وكان الخلفاء يقولون ذلك لجلسائهم إذا طلبوا إليهم الانصراف، فنهضوا. فأراد الرجل الكلام،

فقال له عبد الملك: قف. لا تمدحْني، فأنا أعلم بنفسي منك. ولا تكذِبني، فإنه لا رأيَ لمكذوب. ولا تغتبْ عندي أحدًا.

فقال الرجل: - يا أمير المؤمنين، أفتأذن لي في الانصراف؟

قال له: إذا شئت....!

لبيك اللهم، لبيك!

صوتٌ قدسيٌّ يصدر اليوم من أفئدة مائة وخمسين ألف مؤمن جمعتهم ساحة عرفات، فدَوَتْ به أرجاؤها، وردّدَت صداه جبالُها، وحملته الآفاق إلى ثلاثمائة مليون مسلم انتشروا في أنحاء العلم الإسلامي، فاشتركوا مع إخوانهم في إرسال هذا الصوت من الأرض إلى السماء إشعارًا بالعروة الوثقى التي عقدها بينهم دين التوحيد، وشكرًا لله على ما أنعم به عليهم من نعمة الهدى والرشاد.

إن قلوب المسلمين تتجه اليوم بما فيها من نور وإيمان إلى موقف تجرّد فيه الناس لربهم، وتساووا فيه جميعًا، فلا يتميزون بثيابهم، ولا تفرّق بينهم مظاهر الدنيا، وإذا علا بعضهم على بعض بشيء فبمبلغ الإخلاص الذي تصدر به كلمة «لبيك اللهم لبيك» من صميم الفؤاد.

لقد دعانا اللّه لأن نكون «أمة صدق»، وأن أعلانا منزلةً عند اللّه والناس من كان أكثَرنا إخلاصًا حين يجيب نداء ربه قائلًا: «لبيك اللهم لبيك».

ولقد دعانا اللّه لأن نكون «أمة سعي وعمل»، وأن أعلانا منزلة عند اللّه والناس من كان أقوانا عزيمة حين يجيب نداء ربه قائلًا: «لبيك اللهم لبيك».

ولقد دعانا اللّه لأن نكون «أمة عزيزة بين الأمم»، وأن أعلانا منزلة عند اللّه والناس من كان أكثرنا عملًا لإعزاز هذه الأمة حين يجيب نداء ربه قائلًا: «لبيك اللّه لبيك».

ولقد دعانا اللّه لأن نكون «من أهل الفلاح»، وأن أعلانا منزلة عند اللّه والناس من يذكر أن من واجبه العملَ لفلاح أمته كلما سمع المؤذّنَ يقول: «حيّ على الفلاح» وكلما تصوّر هذه المعاني فقال: «لبيك اللهم لبيك».

ولقد دعانا اللَّه لأن «نُعدّ ما استطعنا من قوة»، وأنّ أصدَقنا إسلامًا من يحاسب نفسه على ما عمل من هذه الناحية، فيذكر ذلك مغتبطًا إذا أجاب نداء ربه فقال: «لبيك اللهم لبيك».

أيها المسلمون، إن الأمر قد حَزَبَكم في أضيق وقت.

وإن الأخطار قد حفت بكم من كل جانب. وإن دينكم بريء من كلّ ما حاق بكم من ذلّ، وبكل ما نزل بكم من خطب، وبكل ما ابتُليتم به من فقر وفاقة وعجز؛ لأن اللَّه ﷻ قد أرشدكم بهذا الدين إلى أن تكونوا أعزّ الأمم، وهداكم به إلى ابتغاء الجلادة والسعادة من أقرب الطرق وأشرفها. فإن كنتم قد فاتكم قبل اليوم أن تعملوا بهدايته فأدّبكم بالمصائب، فقولوا مع شاعركم: «جزى اللَّه المصائب كل خير»، وارجعوا إلى ربكم ربّ الهدى والرشاد، ارجعوا إلى دينكم دين العزّ والقوة والسداد، انسوا السفاسف التي ألفتموها، وترفعوا عن المنافع الخسيسة الزائلة التي صرتم لا تقيسونَ الأمور إلا بمقياسها، وذوبوا في الحق، واكتبوا اليوم سجلّ الوقفية التي تجعلون بها أشخاصكم وقفًا على عزّ الإسلام والنهوض بالمسلمين، فإنكم إن تفعلوا يكتب اللَّه لكم ذلك عنده وعند خلقه في الدرجات العلى. وتكونوا عنده وعندهم أسمى وأكبر مما لو عملتم للمنافع الخسيسة والسفاسف الصغيرة، وإذن فلن يحول الحول فيأتي مثل هذا اليوم المبارك من العام القادم حتى تكونوا سائرين في طريق السعادة والسيادة، وتكونوا من أهل الصدق والإخلاص، تنادون ربكم: «لبيك اللهم، لبيك!».

هيا تعالوا نتعاهد على هذا، ونجعل اللَّه عليه خير الشاهدين.

محب الدين الخطيب

المرأة

* إن شئتَ أن ترى المرأة حقيقة فتأملها وعيناك مغمضتان.

* يحب الرجل امرأتين: امرأة يراها بعين خياله، وامرأة لم تولد بعد.

* الرجل الذي لا يغتفر عيوب المرأة، لا يعرف ولن يعرف حسناتها.

جبران خليل جبران

الحقيقة الواحدة

يا مُتابعَ الملاحدة، مُشايعَ العُصْبَةِ الجاحدة، منكرَ الحقيقة الواحدة؛ ما للأعمى والمِرآة، ولِلمُقْعَدِ والمِرْقاة[١]، ومالك والبحثَ عن الله؟

قُمْ إلى السماء تَقَصّ النظر[٢]، وقصّ الأثر[٣]، واجمع الخُبْرَ والخَبَر. كيف ترى ائتلافَ الفَلك، واختلافَ النور والحلَك، وهذا الهواء المشترك. وكيف ترى الطيرَ تحسبَهُ تُرِك، وهو في شَرَك[٤]، استهدفَ فما نجا حتى هلَك[٥]؛ تعالى اللّه دَلَّ الملْكُ على المَلِك!

---

(١) المقعد: المصاب بما يقعده عن المشي. والمرقاة: السلم.
(٢) أرسله إلى أقصاه.
(٣) قص الأثر: اقتفاه.
(٤) تظنه حرًّا طليقًا، وهو أينما حل في متناول قبضة الصياد.
(٥) لا يكاد ينجو من سهم مصوب إليه حتى يُدركه الموت من سهم آخر.

وقِفْ بالأرض وسَلْها: من زَمّ السحابَ وأجراها[١]، ورحل الرياحَ وعَرَّاها[٢]، ومن أقعدَ الجبالَ وأنهضَ ذُراها[٣]، ومن الذي يحلُّ حُباها[٤]، فتخِرُّ له في غدٍ جِباها؟ أليس الذي بدأها غبرات[٥]، ثم جمعها صخرات، ثم فرَّقها مُشمَخِرَّات[٦]؟

ثم سَلِ النملَ: مَنْ أدَقّها خَلْقا، وملأَها خُلقًا، وسَلَكها طُرُقا، تبتغي رزقًا؟

وسلِ النحلَ مَنْ ألْبَسَها الحِبَرَ[٧]، وقَلَدها الإبَر[٨]، وأطْعَمَها صَفْوَ الزهر، وسخّرها طاهيةً للبشر[٩]؟

لقد نبذتَ الذّلولَ المُسعِفَة[١٠]، وأخذتَ في معامِي الفَلْسَفَةِ[١١]، على عَشواءَ من الضلال مُعْسِفَة[١٢]. أوْ لا؛ فخبرني: الطبيعةُ مَنْ طَبَعَها، والنُظُمُ المتقادمَةُ مَن وضعَها، والحياة الصانِعة مَنْ صَنَعها، والحركةُ المدافعة مَن الذي دفَعها[١٣].

---

(١) زم الناقة: خطمها.
(٢) رحل البعير: شد على ظهره الرحل تمهيدًا للسير. عراها: جردها مما فيها من أمطار.
(٣) ثبت قواعدها في الأرض، ورفع عاليها شامخة في السماء.
(٤) يفكها من حبوتها، ويُنهضها من ربضتها.
(٥) جمع غبْرة (بتسكين الباء)، وهي ذرة الغبار.
(٦) باذخات.
(٧) الحبر: برود يمنية ملونة، شبه بها تلك الألوان الزاهية التي يتخايل بها النحل تحت أشعة اس.
(٨) سلّحها بها.
(٩) تطبخ لهم في بطونها عسلًا.
(١٠) الذلول: شريعة الإسلام؛ لأنها سمحة، تُسعف أبناءها باليقين والإيمان.
(١١) المعامي: المجاهل.
(١٢) العشواء: العمياء. وأعسف: خبط في السير.
(١٣) النظم المتقادمة، والحياة الصانعة، والقوة الدافعة: كل هذه قوى يظن الملحدون كفرًا أنها الأصل في الكائنات.

عرَفنا كما عرفت المادَّة، ولكن هُدِينا وَضلَلْتَ الجادّة. وقلنا مِثْلك بالهَيولى(١)، ولكن لم نَجحدَ اليدَ الطولَى(٢)، ولا أنكرنا الحقيقة الأولى(٣).

أتينا العناصرَ مِنْ عُنْصُرِها، وَرَدَدْنا الجواهرَ إلى جوهرها(٤)، اطَّرَحنا فاستَرَحنا(٥). وسلَّمنا فَسَلِمنا، وآمنَّا فأمِنَّا، وما الفرقُ بينَنا وبينَك إلا أنَّكَ قد عَجَزْتَ فقلتَ: سرٌّ من الأسرار. وعَجَزْنا فقلنا: اللَّه وراءَ كلِّ ستار!

أحمد شوقي

سَفره مع أعرابيّ

كان العُتبي الشاعر يحدّث عن أعرابي ظريف أن قومًا أضلوا الطريق فاستأجروه ليدلَّهم على الطريق، فقال:

إني والله لا أخرجُ معكم حتى أشرط لكم؛ وأشرط عليكم.

قالوا له: فهات ما لَكَ.

قال: يدي مع أيديكم في الحارّ والقار، ولي موضعي من النار موسَّعٌ عليَّ فيه، وذِكرُ والدي عليكم محرّم.

---

(١) الهيولى: من المادة. شبّه الأوائل طينة العالم بها.

(٢) يد اللَّه التي أبدعت هذه الطينة، ونفخت فيها الروح.

(٣) وجود الله.

(٤) إلى أصلها وجبلّتها.

(٥) آمنا بالله، وتركنا ما دون هذا من التفكير العقيم الذي لا نهاية له، والبحث الضال الذي لا يؤمن فيه العِثار.

قالوا: -فهذا لك، فما لنا عليك إن أذنبتَ؟

قال: إعراضةٌ لا تؤدي إلى تعب وعتب، وهَجرة لا تمنع من مجاملة السفرة.

قالوا: فإن لم تُعتب؟

قال: - فحذفة بالعصا أخطأتْ أم أصابتْ.

وهذا الحديث لا يعرف قدره ولطافة ما اشترطه الأعرابيُّ فيه إلا الذين سافروا في البادية، واجتازوا مفاوزها، وذاقوا لذة الجلوس حول النار في ليالي شتائها.

مدح محمد ﷺ

موشحة ألقيت في نادي جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة

مساء غرّة المحرم سنة ١٣٤٧

حينما أشرق وجهُ المصطفى ... ملأ التوحيدُ بالنور الوجود
وهوى الشركُ صريعًا واختفى ... يَزهق الباطلُ والحقُّ يسود

وبدا يختال في الكون الهلال ... مثل قوس النصر يزهو في السماء
في محيّاه جَلالٌ وجمال ... مستمدٌّ من خِتام الأنبياء
كانت الدنيا عماءً وضلال ... فمحتْ آياتُه ذاك العماء
ودم أُهريقَ في الحقّ وسال ... لم يكن إلا لمحو الأشقياء
واحتفى الكون بطه وصفا ... وبدا مؤتلقًا نجمُ السعود

ورآه الـنـاسُ ظـلًا وارفـا فاستظل الناسُ من حر الجحود

❁ ❁ ❁

كانت الأصنام أربابًا عظام تسجدُ الناسُ على أعتابها
يـا لأربـاب تـسـوّيـهـا الأنـام بـيـدَيْـهـا، ثـم تـعـتـزُّ بـهـا
دنّسَ القومُ بها البيتَ الحرام فـأذلّ الـلـهُ مـن أربـابـهـا
أرسل المختار بالحقّ فقام يزجُرُ الأعراب عن أنصابها
ودعاهـم أنْ يَكـونـوا حُـنَـفـا مخلصين الدينَ للربّ المجيد
فـأبـى الـقـوم وأبـدوا الأنَـفـا وأرادوا الفتكَ بالدّاعي الرّشيد

❁ ❁ ❁

هـاجـر الـمـخـتـارُ مـن مكّـتِـه وأبـو بـكـر لـه كـان الـرفـيـق
مـا أذلّ الـكـفـرُ مـن عـزتـه وهو بالنصر من الحق خليق
وحـبـاهُ الـلـهُ مـن رحـمـتـه فوقَ ما يرجو له ذاك الصديق
كـلّـمـا أقـدم فـي مـشـيـتـه فاحتِ الأرجاء بالمسك الفَتيق
وعـلـى يَـثْـرِبَ طـه عَـطـفـا وغدا الأنصارُ في عيدٍ سعيد
وبـه خـالـقـهُ قـد لـطـفـا صادق الوعد هو المبدي المعيد

❁ ❁ ❁

إنَّ ذاك الـيـوم عـيـد الـهـجـرةِ وبـه تـاريـخُـنـا قـد فُـتِـحـا
كـان مـفـتـاحَ انـتـصـار الـدعـوةِ وبـه نـال الـوجـودُ الـمِـنـحـا
أيَّـد الـتـوحـيـدَ بـيـن الأمـة ورمـى الـشـركَ بـعـيـدًا ومـحـا
كـان لـلأنـصـار عـيـنَ الـرحـمـة وبـهـم صـدر الـنـبـيّ انـشـرحـا
أظهروا الإخلاص منهم والوفا وأقاموا الدينَ بالعزم الشديد
وبـهـذا الـنـصـر نـالـوا الـشـرفـا وأصابوا هدَفَ الرأي السديد

❁ ❁ ❁

دينُنا دين من اللَّه تعالى — أبلجٌ حقٌّ قويُّ النشأة
يملأ النفس حنانًا وجمالا — وهو دين العزم دين الهمة
قل لمن يزعم بالدين ضلالا — قل تعالوا جادلونا بالتي
إننا في ديننا لا نتغالى — وهو دينُ العفو دينُ الهمة
سائلوا عنه الكرامَ السَّلَفا — وسلوا التاريخ والماضي السعيد
ودعوا بالله هذا الخَلَفا — فهو في سيرته غير حميد

❊ ❊ ❊

خَلَفٌ أصبح طوعا لهواه — يلعبُ الميسر جهرًا معلنا
وكأنّ الدِّين يَوْما ما نهاه — عن كؤوس الخمر أو فُحش الزنا
تاركًا فرض زكاة وصلاه — مشركًا لكن تزيًّا مؤمنا
صائمًا عن كل ما يُرضى الإله — كل هذا لم يكن في ديننا
فعلى الأخلاق والحب العفا — لم تزل تنقص والشر يزيد
واستبدّ اليوم بالودّ الجفا — رَبِّ هيئ للدُّنا خلقًا جديد

❊ ❊ ❊

يا شبابَ النيل! أنتم منتهى — ما يرجِّيهِ لمصرَ العاقل
جيلُنا هذا عن المجد لها — إنما يلهو الجهولُ الغافل
فأنيلوا مصركم ما يُشْتهى — إنما منكم يكونُ النائل
وضَعُوا أقدامكم فوق السُّها — هكذا بالعلم يسمو العامل
جيلَنا الماضي انطوى وانتسفا — ولقد بادَ ومَن نامَ يبيد
فأقيلوا عثرةً ممن هَفا — أشهدونا همة الجيل الجديد

❊ ❊ ❊

إيه يا زهرَ المنى في شَعبكم عطّروا الأرجاء بالسرّ الحَسن
مصر إن لم تدركِ المجدَ بكم خبِّروني تدركُ المجدَ بمن؟
في الأمانيّ وفي أحلامكم أملُ الشعب وإسعاد الوطن
إنما مستقبل الدنيا لكم فانهبوا بالعلم والجدّ الزمن
داؤنا الجهل وفي العلم الشفا وبه مصرٌ على الدنيا تسود
لا تظنّوا المجد يأتي صُدَفا إنما بالحزم والجهدِ الجهيد

أبو الوفا: محمود رمزي نظيم

القضاء

* قال رسول اللَّه ﷺ: «القضاة ثلاثة: اثنان في النار وواحد في الجنة. رجل عرف الحق فقضى به فهو في الجنة، ورجل عرف الحق فلم يقض به وجار في الحكم فهو في النار، ورجل لم يعرف الحق فقضى للناس على جهل فهو في النار»(١).

* قال رسول اللَّه ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»(٢).

(١) أخرجه الترمذي (١٣٢٢)، وصححه الألباني.
(٢) أخرجه البخاري (٦٩١٩) ومسلم (١٧١٦).

الجهاد في الحياة

إن المستر توماس الذي بلغ بجده ونشاطه مقاعد النيابة والوزارة في الدولة البريطانية، لما استعرض ماضي حياته،وكيف ارتقى من وظيفة وقّاد في مِرجل السكة الحديد إلى سائقٍ لقطاراتها، ثم إلى طبقة أهل الرأي، فمناصب السلطة والتدبير، وقف حينئذ تجاه حقيقة من حقائق الحياة فقال:

«نحن لا نفتأ نسمع الناس يذمُّون الأطماع، ويستهجنون أهل الطمع، ولكني قد تعلمت بطول الخبرة وأدركت أن الشابّ الخليّ من هذه الحاسة - حاسة الطمع التي تدفع به إلى العلاء- لن يُصبح يومًا ما عاملًا ماهرًا، ولن يرتفع في مراتب صناعته.

لكني أناشدكم أن لا تخطئوا فهم غرضي. لقد قيل لي إنني كنت من صباي أتطلع إلى مكان النائب في المجلس، ولكني مع ذلك عندما كنت وقّادًا كان كل مطمحي أن أرتقي إلى وظيفة السواق. فلما أصبتها عدت أطمح إلى ما فوقها، فكانت كل خطوة تُطمعني بالخطوة التي بعدها.

ولقد أكببت على درس القاطرات وعملها قبل أن أُعيّن سائقًا لها بزمن طويل؛ لأنني وضعت نُصب عيني أن أنمي محصولي العلمي في صناعتي، وانتويت أن أتعلم كل ما يختص بالقاطرات، حتى تحين الفرصة لإظهار كفائتي وعلمي.

وغرضي من هذه النقطة أن أقول لكم: إن التغييرات والتطورات لم تكن تهاجمني على غرة، فقد أبَيتُ أن أخلد إلى عملي كما هو، بل كنت أبدًا متقدمًا عنه خطوات، لأنني لم أكن أريد البقاء حيث كنت، بل كنت أتطلع دائمًا إلى ما فوقه، ولكي أصيب ما كنتُ أتطلع إليه؛ جعلت أحمل على نفسي في العمل وأدأب مستميتًا.

إن العمل لا يقتل، والجهاد لا يميت. بل ليس في وسع المشاق والشدائد، ولا في مقدرة الخطوب وأيام العسر أن تُحطم الشابَّ، إلا إذا كان هو يريد أن يتحطم، ويومئذ لن تستطيع قوة في الأرض أن تنتشله من وهدته».

بعض الأصدقاء

قال سويد بن الصامت:

ألا ربّ من تدعو صديقًا، ولو ترى ... مقالته بالغيب ساءَك ما يفري
مقالته كالشحم ما كان شاهدًا ... وبالغيب مأثورٌ على ثغرة النحر(١)
يسرك باديه، وتحت أديمه ... نميمة غش تبتري عَقَب الظّهر
تبين لك العينان ما هو كاتم ... ولا جِنَّ بالبغضاء والنظر الشزر

ليل الحزين

خَيَّم الهمُّ على مُهْجَتِهِ ... وَسُكُونُ الليل فَيّاضُ الهُمومْ
فجثا يَسْكُبُ من مُقْلَتِهِ ... أدْمعًا رَوْعَها الدهرُ الغَشُومْ(٢)

(١) المأثور: السيف.
(٢) هذا من سب الدهر، وقد قال ﷺ: «لاتسبوا الدهر فإن اللّه هو الدهر» أخرجه البخاري (٧٤٩١) ومسلم (٢٢٤٦).
قال ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/ ٤٢١): «أي أنكم إذا سببتم فاعل ذلك، وقع السب على اللّه ﷻ؛ لأنه هو الفاعل، والدهر لا فعل له، بل هو من جملة مخلوقات اللّه تعالى». (س).

كلّما سالَتْ على وَجْنَتِهِ تَرَكَتْ في جانِبِ الخَد كُلومْ
خاطَبَ الجَبّارَ في ظُلْمَتِهِ عَلهُ يَسْلَمُ من بَحْرِ الغَمومْ

❁ ❁ ❁

رَبِّ! كُنْ عَوَنًا لِنَدْمانِ الأسى
واحْمِهِ من قارِعات المحَنِ
وتَوَلّ ابْنَ سَقامٍ قد وَهى
فَغَدَا يَحكي هَشيمَ الفتَنِ
عادَهُ الدَّهْرُ بأنواعِ الشَّجى
فانْثَنى يَرْهَبُ سَطْوَ الزمَنِ

❁ ❁ ❁

غَلَبَ اليَأسُ على قوّتِهِ وَعَراهُ في دُجى الليل ثبورْ
إنّ من يَبْرَمُ من لَيْلَتِهِ أفَلا يَسْأمُ من نوْمِ القُبورْ
رَحمَةُ اللهِ على طَلْعَتِهِ مَلّ من طيب الكَرَى وهو غرُورْ
قلْ له إنْ ضجّ من غَفْوَتِهِ
الرَّدى غَمْضٌ على كرِّ الدُّهورْ

أنور العطار

عقيدة ملحد في القرآن

شبلي شميل يعدُّ إلى حين وفاته شيخ ملاحدة المسيحيين في الشرق؛ لأن الشرق لم ير في زمنه ملحدًا مجاهرًا بإلحاده، ومخلصًا له بالدرجة التي كان عليها شبلي شميل. ومن أقواله المأثورة في القران:

«إن في القرآن أحوالًا اجتماعية عامة، وفيها من المرونة ما يجعلها صالحة للأخذ بها في كل زمان ومكان، حتى في أمر النساء، فإنه كلفهن بأن يكنَّ محجوبات عن الرِّيَب والفواحش، وأوجب على الرجل أن يتزوّج واحدة عند عدم إمكان العدل. وأن القرآن فتح أمام البشر أبواب العمل للدنيا والآخرة، ولترقية الروح والجسد، بعد أن أوصد غيره من الأديان تلك الأبواب، فقصر وظيفة البشرية على الزهد والتخلي عن هذا العالم الفاني».

أدب الأعراب

* سأل المفضّلُ الضبيّ أعرابيًا: «ما البلاغة؟» فقال: «الإيجاز في غير عجز، والإطنابُ في خَطَل».

* خطب ربيعةُ الرأي يومًا فأكثر، وأُعجب بالذي كان منه، فالتفتَ إلى أعرابي كان عنده، فقال: «يا أعرابي، ما تعدون العيَّ فيكم؟» قال: «ما كنتَ فيه منذ اليوم!».

* وصف أعرابيٌّ أعرابيًا بالإيجاز والإصابة فقال: «كان والله يضع الهِناء مَواضعَ النّقب».

* سأل محمد بن بشير الشاعر أعرابيًا عن جَمال الرجل، فقال: «طول القامة، وضِخمِ الهامة، ورحب الشِّدْق، وبُعد الصوت».

* سأل جعفرُ بن سليمان أعربيًا: «ما الجمال؟» فقال: «غئور العينين، وإشراف الحاجبين، ورحب الشدقين».

* أراد رجل من البلَديين أن يسأل أعرابيًا عن أهله فلحَن إذ قال: «كيف أهْلِك» فأجابه الأعرابي «صَلبًا!».

* مدح أعرابيٌّ رجلًا برقة اللسان فقال: «كان والله لسانه أرق من ورقة، وألينَ من سَرقة[1]».

* كان أعرابيٌّ يجالس الشَّعبي يطيل الصمت، فسُئل عن طول صمته، فقال: «أسمعُ فأعلم، وأسكتُ فأسلم».

* نظر أعرابيٌّ إلى الحسن البصري، فقال له رجل: «كيف تراه؟» قال: «أرى خيشوم حُرّ».

* قيل لأعرابية مات ابنها: ما أحسنَ عزاءكِ عن ابنك! فقالت: «إن مصيبته آمنتني من المصائب بَعده».

* قال أعرابي للحسن البصري: «علّمْني دينًا وسطًا، لا ذاهبًا شطوطًا، ولا هابطًا هبوطًا»، فقال الحسن: «لئن قلت ذاك: إنّ خير الأمور أوساطها».

* نظر أعرابي إلى مالٍ له كثير - من الماشية وغيرها - فقال: «يُنْعة، ولكل يُنعة استحشاف[2]» فباع ما هنالك من ماله، ثم لزم ثغرًا من ثغور المسلمين يجاهد في الدفاع عنه، حتى مات فيه.

---

(١) السرقة: القطعة من جيد الحرير.

(٢) الاستحشاف: الجفاف، يقال: استحشف ضرع الأنثى إذا قلص وتقبض.

* وصف أعرابي رجلًا فقال: «صغير القدر، قصير الشبر[١]، ضيّق الصدر، لئيم النجر[٢]، عظيم الكبر، كثير الفخر».

الجنازة الحمراء
مشهد من مشاهد المدينة الضالة

مواكب اللهو بين الناي والعودِ تسعى إلى الموتِ في ظلّ الزغاريدِ
عطشى تنادي فتُسقى من مُعتَّقة تهزُّ أعطافَها هز الأماليدِ
مَدّوا الدمقسَ لها طول الطريق على أواسن من خبيث الماء والدودِ
وعرَّشوا حولها بالورد فانحدرت منه الأضاميم أشباه العناقيدِ
تلهو بها الشمس ما شاءتْ وترقص في مطارفِ الخَز أو في أوجهُ الغيدِ
والخمرُ تسربُ من كوب ومن شفةٍ إلى التراقي كعقد غير منضودِ
وتوّجوا مُومسًا تعلو مناكبهم كأنها فوقهم تمثال معبودِ
حمراء صاخبة شكّت إذا فتروا مِهمازَها في بضيض النحر والجيدِ
تظلُّ تُرهقهم جورًا وتجهدهم بالسير ما بين ترغيب وتهديدِ
وهُم سُكارى يزجيّهم إلى سقرٍ إبليس في عُصبة من رهطه السودِ
يسوقهم بسياط الفسق تنهشهم نهش الأسنة إقفاء الرعاديدِ
ويضحكون وقد داست نعالهم على فتى منهم في الدرب ممدودِ
زلتْ به قدمٌ في لهوه فهوى فنيَّبوه فعال السِّيد بالسِّيدِ

(١) القامة.
(٢) الطباع.

يقهقهون مجونًا كلما ارتفعت أنَّاتهُ بين ضوضاء الأناشيدِ
ماتت ضمائرهم في الفُحش واتخذوا إلى المنايا طريقًا غير محمودِ
كراقصين على البركان تقذفهم نيرانه بشظايا من جلاميدِ

يوسف غصوب

من جوامع الكلم المحمدية

* «مَن حلف على يمين يقتطع بها مالَ أمرئ مسلم، هو فيها فاجر، لقيَ اللَّه وهو عليه غضبان»(١).

* «ثلاثة لا يكلمهم اللَّه يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل، ورجل بايع رجلًا بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لأخَذَها بكذا وكذا فصدَّقه وهو على غير ذلك، ورجل بايع إمامًا لا يبايعه إلا للدنيا فإن أعطاه منها وفى وإن لم يعطه منها لم يَفِ»(٢).

* «أيما امرئ مسلم أعتق امرءًا مسلمًا، استنقذ اللهُ بكل عضو منه عضوًا منه من النار»(٣).

* «ليس الشديد بالصُّرَعة، إنما الشديدُ الذي يملك نفسه عند الغضب»(٤).

(١) أخرجه البخاري (٢٢٢٩) ومسلم (١٣٨).
(٢) أخرجه البخاري (٢٥٢٧) ومسلم (١٠٨).
(٣) أخرجه البخاري (٢٣٨١) ومسلم (١٥٠٩).
(٤) أخرجه البخاري (٥٧٦٣) ومسلم (٢٦٠٩).

* «الظلم ظلمات يوم القيامة»[١].

* «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشحَّ فإنه أهلكَ من كان قبلكم»[٢].

* «إن أخْوف ما أخاف عليكم الشركُ الأصغر: الرياء»[٣].

* «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اتُّمن خان»[٤].

تركة سيد الخلق ﷺ

قال عمرو بن الحارث - أخو جويرية أم المؤمنين -:

ما ترك رسول اللَّه ﷺ عند موته درهمًا ولا دينارًا ولا عبدًا ولا أمَة ولا شيئًا، إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضًا جعلها صدقه[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣١٥) ومسلم (٢٥٧٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٨).

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٩٥١).

(٤) أخرجه البخاري (٢٥٣٦) ومسلم (٥٨).

(٥) أخرجه البخاري (٢٥٨٨).

لغة الضاد

أغنى اللغات الساميَّة مادَّة، وأعذبها سحر بيان، وأرقها حاشية تبيان.

نزلت على ألسنة العرب، فجرت على أسلاتها سحرًا كلُّ سحر غيره باطل، ولا بِدع فكلّ بلد هي حلٌّ به بابل.

أجل، لقد انقطعت ألسنة من منابتها، واجتُثَّت لغات من أصولها، فلم يبق منها إلا آثارٌ تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد، وتلك اللغة تدور مع الفلك: لا يخلق ديباجتها هرَم، ولا يُلمّ بها قِدم.

وآية لها أنك ترى كيف عجز السيف على سعة الزمن أن يحوّل أمة عن لغتها، وقد استطاعت ولم تجرد سيفًا أن تشق لها طريقًا إلى ألسنة أعيا على غيرها علاجها، وتقتحم العقبات إلى قلوبٍ كان محكمًا عليها رتاجها. فكأنها كانت دِينًا لفطرة الألسنة؛ لتكون بعد ذلك لسانًا لدين الفطرة، ولا عجب إذا قدرت أن تصبغ كل بلد حلت به صبغة عربية، إذ قالت لكل شيء: كن منذ الآن، فكان عربيًا.

دخلت لغةُ القرآن الكريم كثيرًا من بقاع الأرض، فما هي إلا فترة يبلغ الصبي في دونها الحلم حتى استتب لها الأمر فيها، وكانت كأنها محور دار عليه التاريخ دورة أخرى.

تُرى أين كانت العربية، ثم أين بلغت؟

لقد كانت بدأةً تطوف بأركان تلك الجزيرة الجرداء، على صفة ما كانت تأخذه أعين الناطقين بها من الفدفد الوعر، والمهمة القفر. ومن الفحل إذا هدر، والليث إذا زأر.

والحمامة إذا سجعت، والناقة إذا ضبغت، والريح إذا لفحت، والسماء إذا ضنَّت، والأرض إذا حرَّت، والمكارم إذا هزَّت، والخيل إذا استنت، والأسنة إذا اشتجرت. ونحو هذا مما هو بتلك البادية أشبه وأمثل.

نعم، كان هنالك مطافُ اللغة في بادئ أمرها.

ولكنها من سماء تلك البادية الناطقة الخرساء، قد استمدت ذلك الخيال الذي يريك من الورد الذابل خدًّا نديًّا، ومن الغصن المائل قدًّا عادلًا سمهريًا.

ثم سما ذلك الخيال الذي كان كأنه يواثب النجوم، فلم يدع تشبيهًا بليغًا إلا وقع من ورائه، ولا فنًّا من فنون القول إلا بلغ الغاية من الافتتان فيه. ولم يذر معنى دقيقًا إلا أحكم تصويره، حتى بذّت العربية اللغات على بكرة أبيها.

لقد وسعت اللغة العربية ما تضيق ببيانه هذه الأوراق.

فكانت وما فتئت تساير كل آخذ بحُجزتها إلى كل غرض يمشي إليه. فلم تضق ذرعًا باصطلاح، ولا برمت بالكشف عن معنى، ولا نشزت على قلم غذته بلبانها، ولا وقع بها العي دون حاجة فلم تنهض ببيانها.

أما أين بلغت، فكلَّ مبلغ: فقد تسرَّبت بين العصا ولِحائها، وتغلغلت بين الذرة وأجزائها، ومادَّت العلم حبلها، وقد ظل ما بينه وبينها مبلولاً، فلم ييبس إلا حقبًا معدودات، فقد وسعت معارف الدهر كلها، ولا تزال آثار العرب حجة لهم ولعربيتهم ناهضة لم تقعد بها الأيام.

وماذا عسى أن يقول القائل في لغة رقت حتى كأنها نفس الزهر، ولطفت حتى كأن ألفاظها بسماتُ الحسان يعِدن الوصل بعد الهجر.

ألا إن العربية التي نبتت في تلك البيداء، قد مدَّت ظلها على العلم كله.

وذلك العربي الذي حيَّ حياته الأولى في منقطع من الأرض، إذا سافرت فيه عيناه ففي صميم القفر، وإذا وقفن به فعلى أديم الصخر، قد مشى بلغته مدى بعيدًا في أمد قريب.

فسلامٌ على ذلك العهد النضير، وسلامٌ على تلك البادية التي نبتت فيها أمة المجد والبيان، وسلامٌ على هذه اللغة الخالدة على فناء الزمان.

محمد صادق عنبر

الشهيد المجهول

يا جِيرةَ البانِ هل من يسأل البانا ... إن كان فيه صدًى من رَجْع شكوانا
فكم تبدَّلَت الأفنانُ مُصغيةً ... إليه، وانتفضَ النوّار يقظانا
والتفَّتِ الوُرقُ أسرابًا مُصفقةً ... على الكثيب تبثُّ الوجدَ ألحانا
والريحُ تهمسُ في الآذان مُلهمةً ... والزهرُ ينصبُ للإلهام آذانا

تلك الملاعب أقوتْ وانطوتْ حججٌ ... أمستْ جَوَى وضنى برحًا وأشجانا
تسرَّبتْ في حنايا الصدر فانعقدت ... همًا تعجُّ به الأنفاسُ نيرانا
هي (الهمومُ) فسلْ عنها الخبيرَ بها ... إن (الهمومَ) تصبُّ الويل ألوانا
بالله لو فعلتْ في الجسم ما فعلت ... في النفس لم يَعرفِ الإنسانُ إنسانا
وأصبحَ الناسُ غيرَ الناس من صُوَرٍ ... شَنعاء تمنحهم شِيبًا وولدانا
حتى (الطبيعةُ) تلقاهم فتُنكرهم ... وإن رأتْ قبلهم جِنًّا وغِيلانا
فليتَّقِ اللهَ قومٌ بين أضلعهم ... غيظٌ تفجَّر أحقادًا وإضغانا

أهوتْ بهم لعنة الأجيال تقذفُهم في وجه إبليس صخَّابًا ولعانًا
لم تنتقل قدمٌ منهم إلى عمل حقٍّ يكون على الإخلاص برهانا
وحولَهم ضجةٌ من كل ذي مَلَق سمجٍ وكل وَقاح لجَّ تبيانا
مستهترين فما يخشون من شطَطٍ مُسْتَوفِزينَ لجمع السُّحْتِ وُحدانا
يمشون في الغَيّ والأهواء ترفعهم كالشِّرْكِ يرفع أنصابًا وأوثانا
وكم هنالك دجّالٌ له زبدٌ من فوق شدقيه يخفي الدجْل إيقانا
يبدي الحماسة إرغاءً، فإن بلغت حدَّ التَّشَنُّج ضجَّ القومُ إيمانا
وكم شهدتَ جموعَ الخلق مطبقةً على الطريق مشاةً فيه رُكبانا
ترى المواكب والأبصارُ خاشعةٌ إلى العواقب حتى كان ما كانا
والعفو أقرب ما استدنيتَ من أمل من منعمٍ وَسِع الأكوان غفرانا

❀ ❀ ❀

صبرًا على العصبة المزورّ جانبها من فرط ما احتملتْ بغيًا وعدوانا
وكيف تنقم منها عند محنتها عنفًا تجيش به الألفاظُ أحيانًا
ولمحةً شَزْرَةً أو لفتةً ثقُلتْ عليك أو خُلقًا وَعِرًا وخذلانا
فانظرْ إلى النسيم العلويّ منطلقًا فوق الجبال يجرُّ الذيلَ نشوانا
فإن هو انحطَّ منها اعتلَّ من كمد وارتدَّ ملتهبَ الأنفاس غَضبانا
فاندسَّ تحت ذيول الأيك مختبئًا وانسلَّ بين زوايا الصخر حيرانا
فكيف بالنفس من عَليائها انحدرتْ والنفسُ أصدقُ إحساسًا ووجدانا
فإن يكنْ حظ حلفِ الدسّ طنطنةً وكان حظُّ سَريّ النفس حرمانا
فالشمسُ تظهر للعينين قد نقصتْ لدى الكسوف وتأبى الشمسُ نقصانا

❀ ❀ ❀

يا بنتَ يَعْرُبَ كم من مُوَجع دَنِفٍ لم تذكريه فلم يجحدْك نسيانا

يذود عنكِ خفيَّ الختل منغمسًا ... في الهول يحمل ما يرضيك جذلانا
كم خاض معركةً خرساء دامية ... شبَّتْ وأمعن فيه السيفُ إثخانا
فلم يُجشِّمْكِ عبءَ المنّ منتفخًا ... بالعُجْبِ واحتملَ الآلام كتمانا
وأنتِ يلهيكِ عنه الصائحون معًا ... خبًا فتنبينَ إعراضًا وهجرانا
يا ويحَ جنديَّكِ المجهولَ مُنجدلاً ... على الصَّعيد سليبَ الثوب عُريانا
قد مات دونكِ لم يمننْ عليك يدًا ... ولم ينل منكِ عند الموت أكفانا

مهلاً فصحبكِ والتاريخُ يوم غد ... سيرفعان غِشاءً يُسدَل الآنا

فؤاد الخطيب

دموع صياد العصافير

قال الفضل بن موسى الشيباني:

كان صياد يصطاد العصافير في يوم ريح، فجعلت الرياح تُدخل في عينيه الغبار فتذرفان، فكلما صاد عصفورًا كسر جناحه وألقاه في ناموسه.

فقال عصفور لصاحبه:

ما أرأفه علينا، ألا ترى إلى دموع عينيه.

فقال له الآخر:

لا تنظر إلى دموع عينيه، ولكن انظر إلى عمل يديه!

بين النبي ﷺ وأصحابه

قال ابن عمر: أخذ رسول اللَّه ﷺ بمنكبي فقال: «**كن في الدنيا كأنكَ غريبٌ أو عابرُ سبيل**»[(١)].

❀ ❀ ❀

قال ابن عباس: كنتُ خلفَ النبي ﷺ يومًا فقال: «**يا غلام احفظ اللَّه يحفظك، احفظ اللَّه تجدهُ تجاهَك، وإذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعن بالله**»[(٢)].

❀ ❀ ❀

قال سهل بن سعد: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه دلني على عمل إذا عملتُه أحبني اللَّه وأحبني الناس.

فقال: «**ازهدْ في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس**»[(٣)].

❀ ❀ ❀

قال سعد بن أبي وقاص: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن اللَّه يحبُّ العبدَ التقي الغني الخفي**[(٤)]»[(٥)].

❀ ❀ ❀

(١) أخرجه البخاري (٦٠٥٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٢)، وصححه الألباني.

(٤) الغنى هنا غنى النفس: قال ﷺ: «**ليس الغني بكثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس**». أخرجه البخاري (٦٠٨١) ومسلم (١٠٥١). والخفي: المشتغل بأمور نفسه. المعرض عن مزاحمة الناس فيما لا بقاء له.

(٥) أخرجه مسلم (٢٩٦٥).

قال رجل: يا رسول اللَّه أوصني قال: «**لا تغضب!**».

فردَّد مرارًا. فقال: «**لا تغضب!**»[(١)].

❁ ❁ ❁

قال ﷺ: «**من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب اللَّه له النار وحرم عليه الجنة**».

فقال له رجل: وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله؟ قال: «**وإن كان قضيبًا من أراك**»[(٢)].

❁ ❁ ❁

قال أبو ذر: سألت النبي ﷺ: أي العمل أفضل؟

قال: «**إيمان بالله وجهاد في سبيله**».

قلت: فأيّ الرقاب أفضل؟

قال: «**أغلاها ثمنًا وأنفسها عند أهلها**»[(٣)].

❁ ❁ ❁

قال النواس بن سمعان: سألت رسول اللَّه ﷺ عن البرّ والإثم، فقال: «**البر حُسنُ الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطَّلع عليه الناس**»[(٤)].

❁ ❁ ❁

قال ﷺ: «**من الكبائر شتم الرجل والديه**».

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٦٥).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٧).

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٨٢).

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٥٣).

قيل: وهل يسب الرجل والديه؟

قال: **«نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه»**[1].

الاتجاهات في الأدب العربي اليوم

لقد استيقظوا، لكنهم لا يزالون وقوفًا على مفترق الطرق لا يدرون أين يتّجهون.

ففي مصر يلوكون كلمتي «القديم» و«الجديد»، ويتحدَّثون بأدب مصريّ يُحلّونه محلّ ما يسمّونه الأدب العربيّ؛ ولكنهم أشتاتٌ فيما يذهبون إليه من معنى القديم والجديد، حائرون في تكييف الأدب المبهم الذي يريدون أن يسمّوه مصريًّا. وما يذكرونه عن الأدب العربي يدل على أن نظراتهم فيه مستعجلة، وغيرُ شاملة، وواقعةٌ على صورة له زَوَّروها في أذهانهم، لا على جوهره كما كان في أحقابه الكثيرة، ولا على مَثَله الأعلى كما يجب أن توحيه إليهم جامعة هذا اللسان في الحقبة التي تحن فيها.

وفي الشام يَرْنون بأبصارهم إلى القومية العربية، وإلى ما يقع على الأدب من واجب في تكوينها، ويحاولون أن يستمدّوا أساليب هذا الواجب من الآداب الغربية بعد أن كانوا يستمدُّونها من الآداب التركية. ولكن هذا الاستمداد لا يزال على غير هدى، والقوميةُ العربية التي يفزعون إلى الأدب في أداء ما لها عليهم من واجب تحتاج إلى عدد أكبر من عددهم، والى تخصُّص في العمل أكثر مما يسمح لهم به الوقت أو تمكّنهم منه الظروفُ العامَّة والعوامل المختلفة.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٢٨) ومسلم (٩٠).

وفي العراق كانوا متعلّقين بإحدى اليدين في غصن سئموه، وهم الآن على عزم أن يتركوه قبل أن يُمسكوا غيره باليد الأخرى. فأوشَكوا أن يفقدوا الديباجة الأنيقة التي كانت تُزين شِعرَ العراقيين في العصر الماضي، يوم كانت مصر والشام تغبطانهم على صفاء تلك الديباجة، ونشأت فيهم ناشئة علقت بألسنتها لوثةُ التجديد المصري الهجين، فكانت فيه مقلّدةً لمقلِّدين.

والمغرب من أدناه إلى أقصاه يراقبُ أهل اليَقَظة من أبنائه حركةَ الأدب في الشرق، ويشعرون ببعض ما تنطوي عليه من خير وشرّ، فيجدُّون في انتقاء آثارها، متجنبين ما تجنح إليه من نزعات الشرّ بقدر الإمكان.

حتى الحجاز، فقد أرسل بعضُ نفر من بنيه كلمة «الأدب الحجازي» تموج في جوّ الكعبة بين قعيقعان وأبي قُبيس، لكنهم أبعدوا في اقتباس مدلولها، فلم يجدوه إلا في شارع واشنطون من مدينة نيويورك عند ميخائيل نعيمة وجماعة جبران خليل جبران!

أما اليمن فلم تصل إليه الموجةُ حتى الساعة...

لقد استيقظوا ووقفوا على مفترق الطرق حائرين. فمن الاقتصاد. في القوى المبعثرة، والأوقات الضائعة، والجهود المصروفة سدى. أن يتعاونوا جميعًا على تعيين الاتجاه الرشيد للأدب العربي في جميع بيئاته.

يريدون أن يكون لمصر أدبٌ مصري. وقيل أو سيقال في كل قطر عربيّ إن أهله في حاجة إلى أدبٍ وطنيّ. كل هذا حسنٌ، بل واجب. لكنَّ المسألة محتاجة إلى شيء من التفصيل.

أدبُ كل أمّة مرآةٌ صادقة لقوميّة تلك الأمة، وكلّما كانت القومية سائرة في النُّور ومغمورة بأشعته؛ كانت مرآتها أجلى وأنصع، وكان انطباعُ قوى تلك القومية في صفحات أدبها أبيَن وأصدق.

للأدب سياسة كما أن للقومية سياسة، وإن سياسة الأدب لعَلى جانب من الأهمية والخطر لا يقلُّ أبدًا عن أهمية السياسة القومية وخَطرها. فإذا رأيتَ واحدًا من هؤلاء المنتسبين إلى الأدب يتخذ مثل هذه البحوث مَلهاةً، ولا يشعر بما يحفُّ سياسة الأدب من خطر، فلا تكتبه عندك في دفتر الأدباء؛ حتى يستيقظ من السُّبات الذي غلب عليه، وحتى يزداد في الحياة القومية تجربة وبها ائتناسًا، فيستشعر قلبه ثقل المسئولية وعواقبها.

إن مسئولية الأمة في أدبها قد تكون في كثير من الظروف أعظم من مسئوليتها في سياستها العامة؛ لأن الظروف التي تكون الأمة فيها أكثر حرية في تكييف أدبها أوسع نطاقًا من الظروف التي تكون فيها صاحبةَ التصرُّف الحقيقي في اتجاهها السياسي، حتى لو كانت حاصلة على الاستقلال.

وفي التاريخ أمثلةٌ كثيرة لأمم كانت مقيّدة في اتجاهها السياسي، فكان لها من حرية التصرُّف في اتجاهها الأدبي ما ساعدها على تكوين قوميتها تكوينًا صحيحًا، وإعداد نفسها لإعلان الرُّشد السياسيّ في أول فرصة سانحة. وآخر هذه الأمثلة جهادُ الأمتين الألمانية والإيطالية في تكوين وحدتيهما اللتين أدَّت بهما إلى العظمة والسؤدد.

أقول ـ ولا نُكرانَ ـ: إن حَمَلة الأقلام من أبناء هذه اللغة قد استيقظوا، وقد فزع كلٌّ منهم إلى قلمه فاتخذ منه سلاحًا للجهاد. كلهم جنود، ولكن ليس لجهودهم قيادة تنظمها.

وتنظيم الجهود عملٌ آخر غير الجهاد؛ لأن الجهاد يتحوَّل إلى فوضى وتقويضٍ لدعائم الأمن والحقّ إذا لم تكن على رأسه قيادة حكيمة ذاتُ يدٍ من فولاذ، توجّه السلاح كلّه إلى جهة الخطر فتدفعه، وإلى معاقل العدوان فتدمّرها.

هذا موطنٌ من مواطن الضعف فانتبه له. إن الأدب في الوطن العربي الأكبر ليس له اتجاهُ معيّن؛ لأنه لا يتّصل بقيادة حكيمة تأخذ بيده إلى المطمح.

إن الزمن الذي نعيش فيه زمنٌ يعنى أهله بضم القوى بعضها إلى بعض، وفي اصطلاح عصرنا هذا إن الجماعات كلما كانت أعرقَ في الحضارة كانت أكثر طلبًا للعظمة والسؤدد من طريق الجمع بين القوَى المتشاكلة، وكانت أكثر استئناسًا بتكوين الشركات الضخمة، والنقابات الواسعة النطاق، والجمعيات التي يحقق أهلها مجتمعين ما عجزوا عن تحقيقه مفترقين. ومن ثمَّ يجب أن تقوم سياسة الأدب العربي على أساس التعاون بين الأقطار العربية كلها، وأن توَجّه إلى العمل لزيادة الاتصال الفكري فيما بينها، وأن يكون لها مطمح عامٌّ تعمل جميعًا للوصول إليه.

والأدب العربيُّ أمانة أدوار وأطوار مرت عليه في أحقابٍ لا يأتي عليها العدّ، وكانت هذه الأمانة في كثير من الظروف معرَّضة للأخطار بين أيدي جهلنا في القرنين الماضيين، وتقاطُعِ حكوماتنا في قرنين قبلهما، وعدوان المشرق والمغرب علينا قبل ذلك(١). فتخطت هذه الأمانةُ كلَّ ما اعترض سبيلها من أخطار، حتى وصلت إلينا نحن أبناء العصر الذي نسميه عصر اليقظة، وعصر التنظيم والتشمير، وعصر توحيد القوى. فليرجع حملة الأقلام في مصر إلى ضمائرهم وليحاسبوا أنفسهم عما فعلوه حتى الآن في سبيل تنظيم رابطة الأدب العربي وتعيين بسياسته المشتركة فيما بين الأقطار التي صارت إليها هذه الأمانة، لتوجيه قوَّتها العظمى نحو المطمح المشترك.

في مصر دعاية إلى شيء يسمّونه أدبًا مصريًا، وتحت هذه الدعاية مقاومةٌ

(١) كارثة التتار، والحروب الصليبية، وخروج المسلمين من أسبانيا.

لشيء يسمّونه أدبًا عربيًا. ونحن إذا تجاوزنا عن المآرب المستترة تحت الدعاية الظاهرة لا نكاد نتصوَّر تنافيًا، بل ولا تعارضًا، بين أن يكون لمصر أدب مصري وبين أن يكون لمصر مع سائر العربية أدبٌ عربي.

الأدبُ مرآةٌ للبيئة التي ينشأ فيها، وعلى صفحاته تنعكس ألوان السماء التي ينمو تحتها، وبين سطوره يجب أن تتجلَّى آلامُ الأمة وآمالها، وبأقلام رجاله ينبغي أن تُحلل عناصرُ أمراض الأمة الاجتماعية والخلقية، ومن إيمانهم يُرجى أن يكون للأدب بلسم لكلومها ودواءً لأدوائها، فالأدب في وادي بَرَدَى وبين جبال الشام يجب أن يُسمعَنا خريرَ مياه العيون منحدرةً كالرحيق السَّلْسَل بين الصخور البلّورية.

وعلى ضفاف النيل وبين حقوله الزمردية يجب أن يُشعرنا بهيبة السكنية التي تحملها لججُ هذا النهر المبارك من المنطقة الاستوائية، حتى تنتهي بها الرحلة إلى شعَب الدلتا الداخلة في غمار البحر الأبيض.

فإذا كان المراد من الأدب المصري أن تكون طبيعة وادي النيل متجلية بجلالها وجمالها على أقلام بنيه، وإذا كان المراد من الأدب المصري أن يكون مرآةً للبيئة المصرية تنعكس عليها حقائق الحياة في حواضر هذا الوادي وقراه؛ فأنا أقول بأن البلاد التي لا يقوم أدبها بهذه المهمة إنما هو أدبٌ مزوَّر على وطنه وعلى زمنه معًا، ويجب على الأدب العربي في كل قطر من أقطاره أن يؤدي هذه المهمة ليكون للشعوب العربية من مجموعة ثروة أدبيةٌ واسعةٌ، وليتمكن أبناء هذا الأدب من أن يتعارفوا فيكون تعارفهم طريقًا إلى تآلفهم، فيزدادوا اتصالًا في الحركة الفكرية، وتلك وسيلة إلى ازدياد اتصالهم في الأواصر القومية، فيكون أشدَّ تمسكًا بمطمحهم المشترك.

إذن؛ فالأدب المصري المحمود هو الذي تنطبع فيه ألوان الطبيعة في أرض مصر وسمائها ومائها، وهو الذي تنعكس على صفحاته أطوار الحَياة المصرية بآلامها وآمالها. وكلما كان هذا وهذا طبيعيًا كان ذلك كمالًا في حلقات سلسلة الأدب العربي، بل كانت ألوان الأدب المتنوعة في الأقطار العربية بمثابة الطرق المتعدّدة التي تسهّل الوصول إلى المطمح العامّ المشترك. بشرط أن تكون وجهتها هذا المطمح العامّ المشترك وقد يكون تعيين هذا المطمح والعمل له في الكتاب والصحيفة والمدرسة وعلى المنبر والمسرح أنجع في بلوغ مصر والأقطار العربية أمانيَّها، وأقربَ إلى ذلك سبيلًا من جميع السبل الأخرى التي حاولت شعوبُنا سلوكها، حتى الآن أنا مؤمن بهذا إيمانًا صحيحًا، وحبذا لو كثر عدد المؤمنين به وطرقوا هذا الباب بالفعل، إذن لكان ذلك انتقالًا منهم بالوطن العربي الأكبر خطوة أخرى إلى الأمام، ولعلّها أوسع الخُطا....

محبّ الدين الخطيب

كما حَنّا.. كما حنين..

الدكتور كرنيليوس فنديك أمريكي كان مشهورًا في بيروت على الكلية الأمريكية وعمله على أنجاحها في عهدها الأول. وقد سأله بعض المعجبين به:

هل التبغ أقلُّ ضررًا أم التنباك؟

فأجابه باللهجة اللبنانية التي كان الدكتور فنديك ينطق بها:

كما حنّا.. كما حنين.. لعنة اللّه على الاثنين!

إذا استشفيتَ لمن داء بداء فأقتلُ ما أعَلك ما شفاكا

أبو محجن الثقفي رضي الله عنه[1]

رجل من فرسان المسلمين وكبارهم، أُولع بالخمر في جاهليته حتى كان يقول:

إذا متُ فادفنّي إلى جنب كرمة   تروّي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنوني في الفلاة فإنني   أخاف إذا ما متُ ألا أذوقَها

وجاء الإسلام بتحريم أم الخبائث، فانصاع لأمره ونزل على حكمه، ولكن عادة الشرب المتأصلة في نفسه أرغمته على أن يحتسي جرعة يرد بها ظمأته، فجاء إلى أمير المؤمنين الفاروق مقرًّا بجريرته، فحده، وتكرر الأمر فنفاه إلى القادسية، وسجنه أميرها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

وفي يوم القتال سمع صليل السيوف وصهيل الجياد فهاجت نفسه إلى ميدان الجهاد، هو الفارس لا يهدأ أو تقوم قيامة فيها الدماء على الدماء تصبب، فعاهد زوجة الأمير إن أعطته فرسًا وعدَّةً ليعودن إن سلم، وإن استُشهد فهي الأمنية. فأعطته ما طلب.

«كان جزائي أولًا تلك العقوبة الدنيوية، وهي شيء لا أهتم به، فلما أن وكلتَ عقوبتي إلى اللّه فأنا أستحي أن أبارزه بالعصيان، ولا طاقة لي بغضبه وعذابه».

ذلك الفارس المعلم هو سيدنا أبو محجن الثقفي رضي الله عنه، وحيا ذلك الإيمان المكين، والدين المتين.

---

(١) من محاضرة للأستاذ حسن البنا في جمعية الشبان المسلمين.

الخمر

من أقوال (غلادستون) المأثورة عنه:

«المسكرات في أيامنا تفتك فتكًا ذريعًا تضاهيه ضربات التاريخ الثلاث مجموعة، وهي الجوع والطاعون والحرب».

ربنا إياك ندعو!
(نشيد جمعية الشبّان المسلمين)

رَبَّنا إيّاكَ نَدْعُو، ربَّنا   آتِنا النصر الذي وَعَدْتَنا
إنّنا نبغي رضاكَ؛ إنّنا   ما ارتَضَيْنا غيرَ ما ترْضى لنا
أنْفُسًا طاهرَةً طُهْرَ الحَرمْ   مَلأ التاريخَ مجدًا وكرمْ
وافياتٍ بالعُهودِ والذِّمَمْ   راقياتٍ للمعالي والهِمَمْ

***

العلا، إنَّ العُلا   واجبات المسْلم
خيرُ عالَمٍ خلا   كانَ فينا ينتمي

***

للعُلا، فإننا   أُمة التَّقدُّمِ
للعُلَا، وها أنا   بحياتي ودمي

***

يا شبابَ العالم المحمَّدِي   ينْقُصُ الكون شبابٌ مهتدِي

فـأرُوه دِيـنَـكـمْ لـيـقـتـدِي دِيـنَ عَـقـلٍ، وضـمـيـرٍ، ويـدِ
يا شبابَ العَزماتِ المَبْرَمَهْ عرّفوا الكوْنَ العُلَا والمكرُمَهْ
عرّفوا الكوْنَ الهُدَى والمرْحَمهْ عرّفوا الكوْنَ النفوسَ المسلمهْ

❁ ❁ ❁

الـعُـلا، إنَّ الـعُـلَا واجـبـاتُ الـمُـسـلـمِ
خـيـر عـالـمٍ خَـلا كـان فـيـنـا يـنـتـمـي

❁ ❁ ❁

لـلـعُـلا، فـإنـنـا أُمَّـةُ الـتَّـقـدُّمِ
لـلـعُـلا، وهـا أنـا بـحـيـاتـي وَدَمـي

❁ ❁ ❁

إننا الطُّهر الأماجيدُ الأُلى نزَلتْ لنا السَّما مُذْ أُنْزِلا
ذلكَ القرآن أخلاقًا على كوكب الأرْضِ «مُحمَّدٍ» العلا

لَيْسَ كالمسلم في الخُلْق أحَدْ
ليسَ خُلقَ اليوْمِ بلْ خُلقُ الأبدْ
إنما الإسلامُ في الصحْرا امْتَهَدْ
لـيـجـيءَ كـلُّ مـسـلـمٍ أسـدْ

الـعُـلا، إن الـعُـلا واجـبـاتُ الـمـسـلـمِ
خـيـرُ عـالَـمٍ خـلا كـان فـيـنـا يـنـتـمـي

❁ ❁ ❁

لـلـعُـلا، فـإنـنـا أُمَّـةُ الـتَّـقـدُّم
لـلـعُـلا، وهـا أنـا بـحـيـاتـي وَدَمـي

❁ ❁ ❁

في ضميري دائمًا صوت النبي آمِرًا: جاهد، وكابد، واتْعَبِ
صائحًا: غالِبْ، وطالبْ، وأذأبِ صارخًا: كنْ أبدًا حرًّا أبي

كُنْ سواءً ما اخْتفى وما عَلنْ
كنْ قويًّا بالضَّمير والبدنْ
كن عزيزًا بالعشير والوَطنْ
كن عظيمًا في الشُّعوب والزَّمنْ

العُلا، إنَّ العُلا واجباتُ المسلمِ
خيرُ عالمٍ خَلا كانَ فينا ينتمي

❁ ❁ ❁

للعُلا، فإننا أُمَّةُ التَّقدُّمِ
للعُلا، وها أنا بحياتي وَدَمي

❁ ❁ ❁

رَبِّ بالإسلامِ قد هدَيتَني رَبِّ مِنْ نوركَ قدْ آتيتني
فعليَّ العَهْدَ - ما أحْيَيْتَني - أحْرُس الكنْزَ الذي وهبْتَني

أو أموت دونه موت البطلْ
ثابتًا أحْيا بقلْبٍ من جَبَلْ
نيّرًا أحيا برُوحٍ مِنْ شُعَلْ
جاهدًا أحيا بجسْمْ من عَمَلْ

❁ ❁ ❁

العُلا؛ إنَّ العلا واجباتُ المسلمِ
خيرُ عالَمٍ خلَا كان فينا ينتمي

❁ ❁ ❁

لـلـعُـلا، فـإنـنـا أُمَّـة الـتَّـقـدُّمِ
لـلـعُـلا، وهـا أنـا بـحـيـاتـي وَدَمـي

مصطفى صادق الرافعي

الإقدام والطموح...

إذا غامرتَ في شرفٍ مروم فلا تقنع بما تحت النجومِ
فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيمِ
يرى الجبناء أن العجز عِتق وتلك خديعة الطبع اللئيمِ

أبو الطيب المتنبي

يا شرق؟

يا شرق فانزع عنكَ ثوبَ البلى واستبدل المبهجَ بالموجِع
فقد كفى أهليك ما نابهم حتى أضاعوا واضح المهْيع
كان لهم ما كان من عزةٍ أرفعَ من أوج السُّهى الأرفع
قد ملأ الكونَ شذا ذكرهم من موضع يسري إلى موضع
فما ترى إلا قلوبًا له ترنو كأَسراب القطا الشُرَّع
قد رفرفتْ من حولها وُلّهًا رفرفة الطير على المشْرَع

فيا بني الشرقِ وأهل الحجى | حسبُكُم ما حلَّ في الأربُع
هل فيكم من حازمٍ أرْوَع | جُعبة عقل عالمٍ ألمعي
يكسر قيد الجهل عن عقلنا | وينزع الرمح من الأضلُع
وليس بدعًا إن نكن نرتقي | لمجدنا من هُوَّة المصرعِ
فالشمس بعد الكسف تبدو لنا | وتنجلي في رائع المطلعِ
والجدُّ يُدني شائعاتِ المنى | واليأس يُقصي دانيَ المنجع

مصطفى الغلاييني

اعترافات جاسوس

ندبت الحكومة الفرنسية في القرن الماضي المسيو ليون روثر ليكون جاسوسًا على الأمير عبد القادر الجزائري، وأوعزت إليه أن يتظاهر عنده بالإسلام، وأن يتوصل إلى أن يكون موضع ثقته ومحل أمانته. ففعل ذلك ونجح، وأقام في ديار المسلمين ثلاثين عامًا، تعلم في أثنائها اللغة العربية وفنونها والإسلام وعلومه، واختبر الأوطان الإسلامية المهمة: الجزائر، وتونس، ومصر، والحجاز، والقسطنطينية. ثم ألف كتابًا اسمه (ثلاثون عامًا في الإسلام) قال فيه:

اعتنقتُ دِينَ الإسلام زمنًا طويلًا لأدخُل عند الأمير عبد القادر دسيسةً من قِبَل فرنسا، وقد نجحتُ في الحيلة، فوثق بي الأمير وثوقًا تامًا، واتخذني سكرتيرًا له. فوجدت هذا الدين - الذي يعيبه الكثيرون منا - أفضلَ دين عَرفتُه، فهو دين إنساني طبيعي اقتصادي أدبي. ولم أذكر شيئًا من قوانيننا الوضعية إلا وجدته مشروعًا فيه. بل إنني عدتُ إلى الشريعة التي يسميها (جول سيمون) الشريعة الطبيعية، فوجدتها كأُنها أخذت عن الشريعة الإسلامية أخذًا. ثم بحثت عن

تأثير هذا الدين في نفوس المسلمين فوجدته قد ملأها شجاعة وشهامة ووداعة وجمالًا وكرمًا. بل وجدتُ هذه النفوس على مثال ما يحلم به الفلاسفة من نفوس الخير والرحمة والمعروف، في عالم لا يعرف الشرَّ واللغو والكذب. فالمسلم بسيط لا يظنُّ بأحد سوءًا، ثم هو لا يستحلُّ محرَّمًا في طلب الرزق، ولذلك كان أقلَّ مالًا من الإسرائيليين ومن بعض المسيحيين.

ولقد وجدتُ في الإسلام حل المسألتين الاجتماعيتين اللتين تشغلان العالم طرًّا: الأولى: في قول القران: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، فهذا أجمل مبادئ الاشتراكية، والثانية: في فرض الزكاة على كل ذي مال، وتخويل الفقراء[(١)] حقّ أخذها غصبًا إن امتنع الأغنياء عن دفعها طوعًا. وهذا دواء الفوضوية.

إن الإسلام دين المحامد والفضائل. ولو أنه وجد رجالًا يعلّمونه الناس حقّ التعليم، ويفسّرونه تمام التفسير، لكان المسلمون اليوم أرقى العالمين، وأسبقهم في كل الميادين. ولكن وُجد بينهم شيوخ يُحرّفون كلمه، ويمسخون جماله، ويُدخلون عليه ما ليس منه. وإني تمكنت من استغواء بعض هؤلاء الشيوخ في القيروان والإسكندرية ومكة، فكتبوا إلى المسلمين في الجزائر يفتونهم بوجوب الطاعة للفرنسيين، وبأن لا ينزعوا إلى الثورة، وبأن فرنسا خير دولة أُخرجت للناس[(٢)]. وكل ذلك لم يكلفني غير بعض الآنية الذهبية![(٣)]

---

(١) بواسطة ولي الأمر المسلم.

(٢) أمثال هؤلاء المشايخ كثيرون في كل الدنيا، ومنهم من يقع نظره على هذا المقال ولا يشعر بشيء من الحياء في نفسه، مع أن هذه الكلمات الخارجة من فم جاسوس فرنساوي في وصف المشايخ الخونة، أهون منها البصقة يبصقها في وجوههم. وهؤلاء غير محسوبين على الإسلام؛ لأن دينهم ومعبودهم تلك المنفعة الخسيسة التي يضحك بها عليهم عدو أمتهم وبلادهم. ومن أقوال نامق كمال بك الشاعر التركي الشهير: الكلب هو الذي يتلذذ بخدمة الصياد الجائر.

(٣) الشيوخ الذين يتحدث عنهم هذا الجاسوس هم شيوخ التصوف المبتدَع. انظر للتوسع عن =

حنين

يا أيُّها الصَّدَّاحُ ما هَذَا النُّزُوع إلى الغُصونْ
حَتام تُمْعِن في النحيـ ـبِ وتَذْرِفُ الدمعَ الهَتونْ
تبْكي بُكاءَ أخي الهُمو م وقد تَوَرَّدَتِ العُيونْ
رِفْقًا بدمْعِك وادّخِرْ هُ لِدهرِكَ العاتي الخَؤُونْ
نَضَب المعين من البُكا ءِ وَغارَ سَلسالُ الشّؤُونْ
والدَّمْعُ لا يشفي الفُؤا دَ وإنْ تَقرَّحَت الجُفونْ

❀ ❀ ❀

أجْهدْتَ نَفْسَكَ بالنُّوا حِ وَرُحْتَ تُغْرِقُ في الأنين
ما في بُكائِكَ راحةٌ فَدَعِ التَّوجُّعَ والرَّنين
كَفْكِفْ دمُوعَكَ واتَّئِدْ «فالنفسُ يَقْتُلها الحَنينْ»[1]
يا شِعْر مَنْ لي بالمُعيـ ـنِ إذا تَضافَرَتِ الشُّجونْ
الدَّهْرُ أخْلَقَ مُهْجَتي وَخُطوبُه لَيْسَتْ تَهونْ[2]
قَرعُ النَّوائِبِ مَضَّها فمتى تفيءُ إلى السُّكونْ

= خياناتهم للأمة، وتعاونهم مع المستعمر الكافر: رسالة «الانحرافات العلمية والعقدية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين». (س).

(١) شطر البيت للشاعر: شفيق بك جبري.

(٢) هذا من سب الدهر، وقد قال ﷺ: «لاتسبوا الدهر فإن اللّه هو الدهر» أخرجه البخاري (٧٤٩١) ومسلم (٢٢٤٦).
قال ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/ ٤٢١): «أي أنكم إذا سببتم فاعل ذلك، وقع السب على اللّه ﷻ؛ لأنه هو الفاعل، والدهر لا فعل له، بل هو من جملة مخلوقات اللّه تعالى». (س).

يا شِعْر هَلْ بَعْدَ الشّقا ءِ يَطيبُ لي كاسُ المَنُونْ
فَأَنامَ كالأملاكِ مُغْـ تَبطًا مَعَ الرُّوحُ الأمينْ؟

أنور العطار

الرجولة في نظر المتنبي

وما العشقُ إلا غِرَّة وطماعةٌ يُعرّض قلبٌ نفسَه فيُصابُ
وللخَوْد منّي ساعةٌ ثم بيننا فَلاة إلى غير اللقاء تُجابُ
وللسِّر مني موضعٌ لا يناله صديقٌ ولا يُفضي إليه شرابُ
وغيرُ فؤادي للغواني رَميةٌ وغير بَناني للرخاخ ركابُ
أعزُّ مكان في الدُّنَى سرجُ سابح وخيرُ جليسٍ في الزمان كتابُ

مظالم محكمة التفتيش عند خروج المسلمين من الأندلس

أنشئت هذه المحكمة بطلب الراهب تور كماندا، وقامت بأعمالها بجد ونشاط. ففي مدة ثمانية عشر سنة. من سنة ١٤٨١ إلى سنة ١٤٩٩. حكمت على عشرة آلاف ومائتين وعشرين شخصًا بأن يُحرقوا وهم أحياء، فأُحرقوا. وعلى ستة آلاف وثمانية وستين بالشنق بعد التشهير، فشُهروا وشُنقوا. وعلى سبعة وتسعين ألفًا وثلاثة وعشرين شخصًا بعقوبات مختلفة، فنُفذت.

نصف قرن على الإسلام في إنكلترا
أقدم مسلم إنكليزي يتكلم

محاضرة الشيخ عبد الله كَوليام

في نادي جمعية الشبان المسلمين

السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته،

أيها الإخوان، إنني أسف لأني لا أحسن الخطابة بالعربية، فيكون كلامي معكم الليلة بها. وهذا الموقف يذكرني بخطبة ألقيتها في بلدة ليغوس legos، وكان قد ندبني جلالة السلطان عبد الحميد لإهداء وسام منه إلى محمد بك شيتى، مكافأة على إنشائه مسجدًا هناك كلفه خمسة آلاف جنيه، فكان الحاضرون من ستة أجناس مختلفة، فاحتجنا إلى ستة مترجمين ليترجموا تلك الخطبة للحاضرين. وكان بينهم ستة عشر مسيحيًا هداهم اللَّه إلى الإسلام عقب تلك الخطبة. وبالطبع لا يوجد الآن بيننا مسيحيون، وكنت أتمنى لو كانوا موجودين؛ ليسمعوا محامد الإسلام ويعرفوا حقيقته فيكونوا أصدقاء له.

أنا مبتهج أيها الإخوان بوقوفي الليلة بينكم لأحدّثكم، وقد اخترت أن أتحدّث إليكم عن نفسي وعن الدور الذي كان من نصيبي أن أمثله بعد دخولي في الإسلام، وأعتذر إليكم إذا كان في اختياري الكلام عن نفسي شيء من الأنانية وحب الذات.

منذ ستين عامًا أشار عليّ الأطباء براحة أمضيها في جبل طارق. فلما صرت إلى هناك ركبت سفينة إلى طنجة لمشاهدة بعض البلاد المغربية. واتفق أنني. لما صعدت السفينة. رأيت فيها بعض الحجاج من أهل المغرب يغترفون الماء بالدلو

من البحر ويتطهرون مبالغين في النظافة. ثم أقلعت السفينة، وما كادت تغادر الميناء حتى رأيت هؤلاء الجماعة قد اصطفوا للصلاة صفوفًا جميلة، وجعلوا يصلون معًا بخشوع وطمأنينة غير مكترثين بتمايل السفينة واضطراب الريح. ولقد أثر في نفسي ما قرأته على وجوههم من صدق الإيمان، فأثارت حالتهم هذه الاهتمام الزائد عندي في أن أستزيد من المعلومات عن الدين الذي يدينون به. وما عتمت أن تعرفت بمسلم يتكلم الإنكليزية، فكان يلازمني دائمًا مدة إقامتي في طنجة، لا سيما بعد ما شعر مني بالرغبة في معرفة المبادئ التي يدعو الإسلام إليها، والروابط التي تربط المسلمين بعضهم ببعض.

وفي ذات مساء جلست معه في مقهى من مقاهي طنجة، وكان ثمة رجل إسرائيلي اسمه موسى يعرفه صاحبي المسلم. فقال لي صاحبي: أريد أن أضرب لك مثلًا يوضح حقيقة الديانات الثلاث السماوية السائدة في الأرض، وهي الديانات التي تمثلها أنا وأنت وهذا الإسرائيلي.

إن الأنبياء سفراء اللَّه إلى الناس، يحملون إليهم قواعد الإصلاح ويدلونهم على طريق السعادة. لهذا جاء آدم ونوح وإبراهيم وكل الأنبياء بعد إبراهيم. وقبل أن يفترق الناس إلى يهود ونصارى ومسلمين كانوا جميعًا على واحدة، فجاء المسيح عليه السلام بهداية جديدة أدرك صدقها ونفعها الذين اتبعوا المسيح، فانفصلوا عن اليهود، وكانوا على حق في انفصالهم هذا؛ لأن المسيحية جاءت مصدقة لما تقدمها ومرشدة إلى الطريق الأقوم. ثم جاء محمد ﷺ مصدقًا لجميع الأنبياء قبله، ومرشدًا إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم اللَّه عليهم بالهداية والإرشاد. فانفصل المسلمون أيضًا، وكانوا على حق في انفصالهم هذا كما كان المسيحيون على حق يوم انفصلوا عن اليهود. فكما أن المسيحية أفضل من اليهودية لأنها وحي أقرب عهدًا من الوحي الأول، كذلك الإسلام أفضل من

المسيحية واليهودية معًا لأنه أحدثُ الوحي وآخر الديانات وأبقاها.

كنت أسمع حديث صديقي وأطيل التفكر فيه، ولا أشعر في نفسي بمعارضة له؛ لأنه كان معقولًا ومنطقيًا. فعوَّلت من ذلك الحين على أن أقرأ الإسلام في كتبه، وأن أقرأ ما كتبه عنه العلماء المنصفون. فقرأت ترجمة سل للقرآن الشريف، وقرأت كتاب الأبطال لكارليل، وقرأت غيرهما، وما خرجت من طنجة إلّا وانأ مستسلم للإسلام، مذعن لقوته، مقرّ بأنه حق وأنه خير الأديان.

ولما رجعت إلى إنكلترا كان شغلي الشاغل التفكير في الأسلوب الذي يجب أن أتبعه لأدعوَ الناس إلى الإسلام وأقنعهم به، وأحملهم على الإيمان به. وكنت أعلم أن ما شحنه أعداء هذه الهداية في رؤوس الأوربيين عن الإسلام سيحول بيني وبين التفاهم مع الجمهور بطريق المحاضرات أو النشر؛ لأن جمهور الإنكليز إذا حدثتهم عن الإسلام يظنون أنك تحدثهم عن دين وثني، والنشر نفسه تحول بيننا وبينه عقبات؛ لأن الصحف لا تفتح صدرها لمثل هذه الدعوة، والناس هناك بالإجمال غير مستعدين للإصغاء إلى هذه الدعوة. ثم بدا لي أن أطرق بابًا غير مباشر، وهو أن التحق بجمعية النهي عن المسكرات التي كانت تلقي محاضرات دورية. وبالفعل ألقيت في هذه الجمعية محاضرة موضوعها «المتعصبون والتعصب»، استهللتها بذكر بعض الشخصيات البارزة في عالم الاختراع والإصلاح الاجتماعي، مثل ستِفنسون stevenson مكتشف القوة البخارية، وويلبر فورس wilberforee المجاهد في سبيل تحرير الرقيق، وأتيت على مجمل ما لاقاه كل من هؤلاء من المقاومة والاضطهاد والسخرية بما صرفوا مواهبهم، قلتُ: وبالرغم من ذلك نرى أثار هؤلاء العظماء وإصلاحاتهم في انتشار ونماء، وقد استفادت منها الإنسانية فوائد عظيمة، فاعترفت لهم الأمم كلها بالفضل والعظمة. ثم أردفتُ بذكر سيدنا محمد ﷺ فقلت: إن هذا المصلح

الكبير جاء البشر بالرسالة ودعا الناس إلى الخير، ومع ذلك فقد ناله من الأذى والاضطهاد ما يجده كل مصلح عظيم يعمل على خير الإنسانية.

فلما تبين البشر فضله بعد قليل دخلوا في دينه أفواجًا، وما زالوا كذلك حتى بلغوا الآن مئات الملايين في جميع أطراف المعمور، ثم ذكرت شيئًا من آداب الإسلام والمبادئ والتعاليم التي دعا إليها النبي ﷺ. فكان هذا الموضوع طريقًا جدًا في نظر الصحفيين الدين كانوا موجودين يسمعون هذه المحاضرة، واستأذنوني في أن يأخذوا خلاصتها في صحفهم فقلت: لا، بل أشترط أن تؤخذ كاملة، فإن لم تنشر كاملة فلا آذن بأخذ شيء منها. فوافقوا وأخذوا نصها، لكن القسس لما علموا بالأمر أسرعوا إلى مديري الصحف وقالوا لهم: إن المحاضرة فيها دسائس، وإنها تتضمن الدعوة إلى دين وثني وفيها تحريض للمسيحيين على أن يصبأوا عن دينهم. فوافق مديرو الصحف على حذف ما في المحاضرة خاصًا بمحمد ﷺ ونشروا الباقي! أما أنا فاعتمادًا على ما اتفقت عليه مع مندوبي الصحف أنذرت القوم بأني سأحاكمهم أمام القضاء على تشويه محاضرتي، وطالبتهم بأن يعملوا بما كان الاتفاق عليه فينشروا المحاضرة كاملة وإلا فالقضاء بيني وبينهم. فأذعنوا لما طلبته بعد أن أعادوا النظر في المحاضرة، ورأوا أن ما قاله القسس مبالغ فيه، فنشروها كاملة، وكان لذلك تأثير عظيم لكثرة الأيدي التي تناولت تلك الصحف.

ولما بلغتُ هذا النجاح، فكرتُ في أن يكون لنا في بلدي ليفربول مكان نقيم فيه الشعائر الإسلامية، ونلقي فيه المحاضرات.

وبالفعل اخترنا مكانًا جعلنا نصفه للعبادة ونصفه للدرس والوعظ وإلقاء الخطب. وما كدنا نفتح أبواب هذا البيت الإسلامي، حتى صار القسس يدسون لنا الأشرار والمتحمسين من صغار العقول، وأفادنا هؤلاء القسس بما كانوا

يكذبون علينا ويَصِمونا به من الأمور الباطلة، فإذا جاء المخدوعون بأكاذيبهم ولم يجدوا شيئًا مما حُشيت به رؤوسهم، يكون لذلك رد فعل حسن جدًّا.

ومما أوذينا به أن أولئك الأشرار كانوا يلقون الأقذار على المصلين أثناء الصلاة أو وقت خروجهم من بيت الله، وكانوا يرجمون المؤذن بالحجارة، وينثرون الزجاج المكسور على سجادات الصلاة ليجرحوا جباهنا وأيدينا وأرجلنا. وفي ذات مساء انتهزوا فرصة وجودنا في مسجدنا، فجاءوا إلى درجات السلم ووضعوا أمامها أسلاكًا لنعثر بها عند خروجنا في الليل. ومن محاسن الصدف أن أحد الإخوان أهدى إليَّ يومئذ عصا، وإن لم يكن من عادتي أن أحمل العصا، فحملتها، وبينما أنا خارج من مسجدنا أمام إخواني أحرك العصا بيدي صدمت عصاي السلك، فانتبهتُ له وللأسلاك الأخرى، ووقانا اللّٰه شرَّها وشر أصحابها.

ودخلت المسجد مرة أنا وإخواني لألقي عليهم محاضرة في تفسير آية من القرآن الشريف، فرأيت قد سبقنا إلى المسجد جماعة قرأتُ في وجوههم أنها وجوه غريبة مريبة، فلم أبال بهم وتلوت آية القرآن الشريف، وشرعت أفسرها، واستنتج منها العظات والعبر. فلما انتهيت من المحاضرة قام أحد أولئك المريبين وأخرج من جيبه حجارة وألقاها في الأرض ثم توجه إلى أصحابه وقال لهم: من كان منكم يريد أن يرجم المسلمين بالحجارة التي معه فأنا صرت الآن مسلمًا فارجموني بها. فألقوها هم أيضًا في الأرض وأعلنوا إسلامهم. وهذا الرجل الذي كان رئيسًا لهم ما لبث أن أصبح عضدي الأيمن، وقد اختار لنفسه اسم جمال الدين عليّ، ولازمني في كل رحلاتي التي قمت بها للدعوة إلى الإسلام. حتى أننا ذهبنا مرة إلى بلدة (بير كنهيد Birkenhaed)، وكان مقررًا أن ألقي في جمعية منع المسكرات محاضرة، فأتيت في هذه المحاضرة بشيء

عن الإسلام والنبي ﷺ. فاهتمت سكرتيرة الجمعية بمحاضرتي، وطلبت مني أن أشفي غليلها بإعطائها معلومات أخرى عن الإسلام. ثم قالت: ولكن أليس نبي المسلمين هو القائل: إن النساء ليست لهن أرواح فلا يدخلن الجنة. فأخبرتها بأن هذا من اختلاقات أعداء الإسلام؛ وأعطيتها المعلومات الصحيحة عن الدين الإسلامي ومبادئه وقواعده. فأسلمتْ هذه السيدة وسُميت فاطمة، وأسلم على يدها شقيقتاها وزوجها.

وفي إحدى المرات كنت ألقي محاضرة في (ليفربول)، وعند الانتهاء تقدَّم إليَّ رجل وطلب أن يرافقني في طريقي إلى البيت ليحادثني أثناء الطريق. وسرنا نتحدث عن الإسلام، وكانت أسئلته لي وأجوبتي عليها داعية لسرورنا، فلما بلغتُ باب المنزل دعوته لشرب الشاي عندي، وبقينا إلى نصف الليل في حديث الإسلام وشرف منزلته ومبادئه العملية الصالحة لكل زمان ومكان، وأخيرًا قال لي:

وإذا كان ما تقوله عن الإسلام حقًّا فماذا يمنعك من أن تكون مسلمًا؟

فأجبته: إني أفتخر بأني مسلم!.

فأسلم هو أيضًا وتسمى جمال الدين بخاري.

والآن فإن البعض يعتقدون بأن اللورد هدلي هو أول لورد إنكليزي دخل في الإسلام. وليس هذا صحيحًا فقد دخل في الإسلام قبله اللورد (ستنلي أولْدِرلي Stanley ALderly) الذي كان يحب أن يدعى بين إخوانه المسلمين باسم عبد الرحمن أفندي، وكان يأتي مسجدنا فيصلى مع إخواننا، رغم ما بينهم وبينه من التفاوت العظيم في المنزلة الاجتماعية. وبلغ عدد الذين أسلموا من الإنكليز بضع مئات.

وعلى ذكر المسجد والمصلين أقول: إننا كنا متبعين السنة الإسلامية في أن يصلي النساء صفًّا وراء الرجال، أما مسجد ووكنج فترتيبهم في الصلاة أن يصلي الرجل بين المرأتين والمرأة بين الرجلين؛ لأن أعداء الإسلام يضعون في إذن المرأة أن الإسلام يريد إهانتها بجعلها تتخلف في الصلاة وراء الرجال[١].

والحقيقة التي لا يمكن إنكارها هي أن السنة الإسلامية في الترتيب هي التي تضمن خلو بال المصلين، وأنا لا ريب عندي قط في هذه الحقيقة. والإسلام يحترم المرأة ويكرمها ويحفظ لها الحقوق المعقولة، وفيما عدا ذلك فكل ما جاء فيه خاصًا بها فمعقول وطبيعي؛ لأنه من مقتضيات الفروق الطبيعية بين الجنسين.

ثم أعلن الشيخ عبد اللّٰه كوليام استياءه من ذيوع المسكرات في البلاد الإسلامية، وانتشار الإعلانات عنها في المحطات والشوارع الكبرى وفي كل مكان. ونصح الشبان المسلمين في أن يقاوموا هذا الشر وينهوا عنه ويعملوا على إزالته، وأن يتمسك المسلم بكل ما جاء في دينه غير مكترث بما يقوله أعداء هذه الهداية.

الحرية الدينية في تاريخ أوروبا

قال الأستاذ محمد عبده:

قال البابا أنوسان الثالث عند الكلام في مصادرة الذين يخالفون العقيدة الكاثوليكية: «لا يجوز أن يترك لأولاد الجاحدين سوى الحياة، وترك الحياة لهم منٌّ وإحسان».

---

(١) لا يجوز تحريف أحكام الدين لأجل إرضاء الكفار. (س).

فلم يقصر الجزاء على الجاحدين ولكن عدَّاه إلى أولادهم!

وعدّ ترك الحياة لأولادهم يتمتعون بها ضربًا من الإحسان عليهم؛ لأنهم لا حق لهم في أن يعيشوا وقد جحد آباؤهم!

❑ داؤنا ودواؤنا

نصيحة الشرق الأوسط الإسلامي إلى الشرق الأدنى الإسلامي

أقامت الجالية الهندية في القاهرة حفلة تكريم للعالم الفاضل (مولوي ظفر علي خان) صاحب جريدة زمندار الهندية (ليلة الأربعاء ٢٢صفر ١٣٤٧) في فندق (ناسيونال)، فألقى حضرته هذا الخطاب النفيس:

سادتي، إخواني:

إن في البلاد الهندية الآن سبعين مليونًا من المسلمين يدينون بدين سيدنا محمد ﷺ، ولا يوجد أمة في العالم تجمع هذا العدد من المسلمين. وقد رسخت في قلوب مسلمي الهند محبة جميع إخوانهم المسلمين الذين تربطهم بهم كلمة التوحيد التي هي الصلة الخالدة بين المسلمين وإن بعدت الديار وشط المزار.

وللغة الهندية نجمع في ألفاظها خمسين في المائة من اللغة العربية، وإن كان نحوها وصرفها من الوثنية القديمة.

وكأنما قبسَ الهنود من قديم الزمن حلاوة لغة القرآن ليجمّلوا بها منطقهم ولتستقيم بها ألسنتهم، لغة ذلك الكتاب المجيد والقانون السماوي الذي لا يتبدل ولا يتغير، وإن تغيرت جميع القوانين والشرائع الوضعية.

وقد يجفُّ النيل يومًا من الأيام، ولكن القرآن العظيم باق لأنه كلام الله، وما كان من اللَّه فلا يتغير.

وستمحق أوربا المتعصبة لا أوربا العالمة من الوجود بآلاتها الجهنمية ولا يبقى لها أثر، ولكن القرآن باق إلى قيام الساعة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾.

تلك هي العقيدة التي رُكزت في قلوبنا ورَسخت في نفوسنا نحن معاشر الهنود، ولن تتزعزع أبدًا مهما حلت الكوارث والنكبات بالمسلمين وبالبلاد الإسلامية.

واليوم إذا كان أبناء جِلدتي وأهل بلادي قد أكرموني فهم من أرضي وأنا من أرضيهم. ولكن المصريين الكرماء الذين كرَّموني اليوم، وأظهروا لي العطف والمحبة، إنما عبروا بهذا عن الرابطة الإسلامية، وهي آية من آيات دين محمد ﷺ في ربط قلوب المسلمين في جميع أنحاء العالم.

وإني لأضرع إلى الحق جلت قدرته أن يوفقنا جميعًا للعمل على إعادة مجدنا الإسلامي السابق، وأن يُخرجنا من محنتنا الحاضرة مرفوعي الرؤوس ببركة رجوعنا إلى أحكام ديننا وسنة نبينا الكريم.

سادتي:

لقد محيتْ من الوجود حكومات إسلامية كثيرة: في الأندلس، وفي بغداد، وغيرها. وكانت فتنة التتار أكبر ضربة أصابت الإسلام، ولكن الإسلام أصيب في عصرنا هذا بضربة أشد من كل ما سبق، ومصيبة أعم وأفدح.

أتعرفون ما هي؟ إنها مصيبة التقليد الأعمى للإفرنج، والتبرج الممقوت...

إننا لا نخاف البوارج، ولا نخشى الغواصات، ولا نأبه للمحلقات، ولا تروعنا المدافع، ولا ترهبنا القوة مهما عظمت.

ولكن أخوَف ما نخافه على الإسلام هو طوفان المدنية غير الصالحة، المدنية الزائفة التي يبثونها بين الأمم الشرقية وينفثونها في روع الشباب الشرقيين بمؤلفات يكتبونها ومدارس ينشئونها وجمعيات يوجدونها. وفوق ذلك بجيوش النساء الساقطات التي تغزو الشرقيين بخداعها وفسادها، ناهيك بما وراء ذلك من مخدّرات ومسكرات.

لقد كنا معاشر المسلمين مصابيح العالم وأئمته: تُقلدنا الشعوب، وتستهدي بهدينا. أما الآن وا أسفاه، فقد أصبحنا إذا أرسل إلينا الغاصبون فضلاتهم ملفوفة ومكتوبًا عليها أنها «فضلات غربية» قبلناها بأبصار عمي وقلوب مطموسة، ونسينا ماضينا وأخلاقنا وشريعتنا السمحة واتبعنا الهوى.

إننا الآن لم نعد مسلمين إلا بحدودنا الجغرافية، وألفاظ تلوكها ألسنتنا، أما بأعمالنا فلا!.

لقد أخذ الغربيون كل ما في ديننا من الفضائل والشمائل العالية، ولو لم يكن الإسلام لما كانت لهم مدنية اليوم. وها نحن أولاء نترك مدنيتهم الصالحة وعلومهم النافعة ونقتبس الرذائل والمفاسد مما يضعف قوتنا ويذهب ببقية أخلاقنا وآدابنا.

إن القرآن لا يزال بيننا بجوهره ولفظه كما أنزله الله، وهناك ألوف يعونه في صدورهم، ولكنهم وا أسفاه لا يعملون به...

سادتي:

إننا لا نقول ما يقوله البلاشفة أو الدهريون والملاحدة في حق العلماء، ولكننا نحب أن يكون علماؤنا عاملين بهداية هذا الدين حتى يستحقوا أن يُلقبوا بحق ورثة النبيين.

إن الأزهر الشريف قوة هائلة ووِرد مشروع للإسلام، فينبغي أن يقوم المسلمون بإصلاحه ليمشي مع العصر، وليغترف المسلمون من موارده الدينية والاجتماعية الصافية؛ لأن مثلنا الآن - وهو قائم بيننا على حالته الحاضرة. ينطبق عليه قول القائل:

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول

يجب على المسلم المصري الذي يفتخر بأبي الهول والأهرام أن يفتخر قبل ذلك بدينه وإسلامه، وأن تجري من بين شفتيه كلمة إيمانه: «لا إله إلا اللّٰه محمد، رسول الله».

إني أوجه القول إلى الشباب الشرقيين من مصريين وغيرهم بأنهم رجال المستقبل الذي نجاهد له الآن، وإنهم سيحملون على عاتقهم أثقاله، إننا نحن الشيوخ ضيوف الأرض الراحلون، أما أنتم فالوارثون لها بعدنا.

إذن؛ فأعدّوا أنفسكم للقيام بأعباء الواجب حتى يكون قلبُ كل واحد منكم قلعة وحصنًا يدفع به عن دينه ووطنه، فما ولدتكم لتجلسوا في البارات ومحالّ اللهو، وأن يكون همُّ الواحد منكم الزينة والتطرية وشرب الخمر والانهماك في اللذات المضنية التي يتلقاها من طوفان الغرب المنهمر بمفاسده وجحوده وانحطاطه وضعفه.

كونوا جند الله، واجعلوا لباسكم التقوى والتوحيد، وأدوا حقوق اللّٰه عليكم: وإن التوحيد قوة في القلب لا يغلبها الشيطان.

لا يعجبكم المسرفون في مالهم، الذين يبذرون نعمة اللّٰه في الملذات؛ فسيعاقبهم اللّٰه عليها؛ لأنهم أهانوها ولم ينفقوها في وجوهها المشروعة.

أيها الإخوان:

إن التاريخ شاهدُ عدلٍ بيننا وبين منكري نعمة الإسلام، فيوم اتبع المسلمون أحكام دينهم في عهد النبي ﷺ. وهم نفر قليل مستضعفون في الأرض. ارتفعوا إلى سماء المجد والغلبة، وفازوا بالنصر تلو النصر؛ لأن أخلاصهم كان صحيحًا، وإيمانهم كان صادقًا، وصاحب هذين لن يغلب وإن كان أعزل من القوة المادية.

كان المسلم قويَّ القلب يوم اتصل قلبه بالله، فأصبح مرهوب الجانب له عزة من عزة إيمانه وثقته بالله. أما الآن فإننا موحدون بألسنتنا، أما قلوبنا فمعابد للأصنام نخافها ونخشاها ولا نخاف الله، ومن هنا كان استعبادنا وذلنا.

أيها السادة:

إن القرآن موجود، ولكنه للتلاوة بالأصوات الجميلة في مصر، وبالكتابة والنقش المذهَّب في القسطنطينية. أما العمل به فلا وجود له!

إننا نريد العزة للإسلام والمسلمين، ولا تتأتى هذه العزة إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنّة. ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾. والله يؤيدكم بنصر من عنده.

والسلام عليكم ورحمة الله.

الرحمة في قلب سيد الخلق

انتقل سيد الخلق محمد ﷺ من مكة إلى المدينة، فكان إذا وقع نظره على الفلاح وهو يبرد في خدمة الزرع والنخيل شتاء، أو يعرق في طلب رزقه صيفًا، يشعر في قلبه برحمة لا يفهم معناها كثيرون من هؤلاء المتشدقين باسم

الإنسانية. وقد أتي في يوم من الأيام بتمر بعل وبتمر سقي، فجعل يأكل من البعل، فقالوا له:

- يا رسول الله، إن هذا أصفى وأطيب.

فأجابهم: «إنه لم تَجُع فيه كَبِد، ولم يَعْرَ فيه جسد»(١).

نشيد آخر لجمعية الشبان المسلمين

للشيخ محمد عبد المطلب من أساتذة دار العلوم

داعٍ من العليا دعا ... يدعو بنيها مُسمِعا
يدعو الشبابَ الأرْوَعا ... يدعو شبابَ المسلمينْ
داعٍ أهاب من العلا ... غيرانَ يهتف مُعْولا
ذكر الزمان الأولا ... فبكاه بالدمع الهتونْ
صوت من المجد التليد ... عالٍ يدوّي في الوجود
أين القساورة الأسود ... هان الحمى وخلا العرينْ
أين المعاقل والثغور ... والجيش في لجبٍ يسير
أين الأئمة والصدور ... بل أين نور العالمينْ
لبيكَ داعية الفخار ... لبيك من نَشْء صغار
إن الزمان بنا استدار ... لنعيد مجد الأوّلينْ
لبيكَ داعِي مجدهم ... يدعو الوفاء بعدهم

(١) أخرجه يحيى بن آدم في «الخراج» (٣٨٦).

أشبالهم من بعدهم ... للمجد خير الوارثينْ
عهد كتبناه على ... صحف القلوب مسجلا
عهد الكرام وإن خلا ... لا يستباح ولا يهونْ
عهد الأمين وربه ... عهد النبي وصحبه
جند الإله وحزبه ... حزب الإله المفلحونْ
فهو الصراط المستقيم ... الدين والذكر الحكيم
والمجد والخلق العظيم ... والحق والنور المبينْ
وهو الهدى للمهتدي ... وهو الجدى للمجتدي
وهو الردى للمفتدي ... بالحق يردي الملحدينْ
وصفوه جهلًا بالجمود ... ولكم نعاه على الجدود
فهو القديم هو الجديد ... هو عصمة المستعصمينْ
الكون في عمرانه ... من نوره وبيانه
والملك في سلطانه ... من حكمه الحق المتينْ
فالمجد سر سنائه ... والعلم لمع ضيائه
والعدل أصل بنائه ... فسل الممالك والقرونْ
مدنية الدنيا له ... معنىً عرفنا نبله
ما إن رأينا مثله ... في الأرض من شرع ودينْ
لم لا تسود بلاده ... وعلى العقول عماده
وطريفه وتلاده ... وحيٌّ من الروح الأمينْ
حاشى تلين قناته ... هونًا ونحن كماته
أنجاده وحُماته ... مما يهين وما يشينْ
لسنا بني خير الأمم ... وشبيبة الدين القِيَم

إن لم نؤيده ولم ... ننهض به في الناهضينْ
حتى نراه بمنزل ... فخم الجلال مؤثل
فوق السماك الأعزل ... في العز منقطع القرينْ
فإلى العلا في نصره ... هَيّا ورفعة قدره
إن العلا من أجره ... ولنعم أجر العاملينْ

نفس المسلم
أمير المؤمنين المعتصم، والهاشمية أسيرة الروم

إنما الإسلام في الصحرا امتهدْ ... ليجيء كلُّ مسلم أسدْ

الرافعي

اجتمعتْ على الإسلام في النصف الأول من عصره الثالث قوّتان رهيبتان: المجوسية مجسّمة في كراديس المحمّرة، أتباع بابك الخرّمي الذي قَتَل من المسلمين والمسلمات في عشرين سنة مائتي ألف وخمسة وخمسين ألفًا وخمسمائة إنسان، والنصرانية متّكئة على جيوش تِيوفِلس بن ميخائيل ملك القسطنطينية والأنضول، الذي رَصَدَ لحرب المسلمين مائة ألف جندي أو يزيدون.

ولما ضيّقَت الجيوش الإسلامية الخناق على بابك لعنه الله، وقامت بحركات عسكرية في الشرق بين أذربيجان وأران لم يسبق لها نظير في تاريخ الحروب، كانت الرسائل دائرة حينئذ بين عدوّي الإسلام تيوفِلُس عميد النصرانية وبابك نصير المجوسية، فبادر تيوفِلس إلى حرب المسلمين في الشمال ليخفف الضغط

عن بابك الخرّمي في الشرق. فبينما الفيالق المحمدية تخوض الموتَ خوضًا بين أذربيجان وأرمينية للبطش بزعم المجوسية، كان تيوفِلس عظيم النصرانية يغدر بالبلاد الإسلامية التي على حدود الأنضول - مثل ملاطية وزِبَطْرة وغيرهما . فيسبي المسلمات ويسمل عيونَ الشيوخ المسلمين ويقطع أطفالهم وآذانهم، منتهزًا فرصة خلوّ هذه الديار من الجيوش الكافية المشغولة بحرب بابك.

وإذا ما خلا الجبانُ بأرضٍ طلب الطعن وحده والنزالا

وكان من بين النساء المسلمات اللاتي ساقهنَّ تيوفِلُس من (زبَطرَة) إلى (عمُّورية) بالقرب من (أنقرة)، سيدةٌ شريفة من نساء بني هاشم، ممتلئة الصدر بالعزَّة والأنفة والشجاعة والشرف، وكانت ترى أن كل ما في الدنيا من عزّة وشجاعة وشرف متمثّلٌ في نفس أمير المؤمنين المعتصم بن هارون الرشيد؛ لأنه إمام المسلمين وقائد جيوشهم، فهو - بمن تحت إمرته من ملايين الأُسود، وبما هو قائم به من نصره دين اللّه . قادرٌ على أن يزيل عن رعيته كل بؤس مهما كان شديدًا.

وفي ضَحْوة يوم من أواخر أيام الشتاء سنة ٢٢٣ هـ (مارس سنة ٨٣٨ م) كان أمير المؤمنين جالسًا في قصره العظيم بمدينة سُرَّ من رأى، ومن حوله حشمه وأهل قصره، فقال له الحاجب:

يا أمير المؤمنين، شيخ عربي بالباب هاربٌ من أسر الروم، يريد المثول بين يديكم!

فلما أذِنَ له دخل فقال:

يا أمير المؤمنين جئتكَ من عمورية المجاورة لأنقرة، وكنت أسيرًا فيها، فسمعت سيدةً هاشمية من أسرى زِبَطْرَة تنادي - رغم ما بينك وبينها من جبال ومفاوز -:

وامعتصماه!

فجئتك هاربًا من أسرهم، مقتحمًا صنوف الأخطار، لأبلغك صوتها...

فلما سمع ابنُ هارون الرشيد مقالةَ ذلك الشيخ العربيّ، تجسَّم في ذهنه المعنى الذي صاغه الرافعي في نشيد جمعية الشبان المسلمين:

إنما الإسلامُ في الصحرا امْتَهَدْ   ليجيءَ كلُّ مسلمٍ أسَدْ

فنهض في الحال مجيبًا نداء الهاشمية:

لبَّيكِ، لبَّيكِ!

ودعا إليه عبد الرحمن بن إسحاق قاضي بغداد وشعبةَ بن سهل أحدَ كبار العلماء وثلاثمائة وثمانية وعشرين رجلًا من أهل العدالة فقال لهم:

- إني ذاهب في سبيل اللَّه لأنقذ الهاشمية التي دعتْني من أعماق بلاد الروم، وقد لا أعود إليكم، فاشهدوا أني وقفت جميع ما أملكه من الضياع، فجعلتُ ثلثها لولدي، وثلثًا لله تعالى، وثلثًا لمواليَّ.

ثم أمر مَن صاح في قصره:

النفيرَ، النفير!

ثم امتطى صَهوةَ جواده وأخذ معه حقيبة فيها زادُه، وأصدر أوامره بأن تكون الجيوش التي تلحق به أعظم جيوش سالت بها الأباطحُ قبل ذلك اليوم. فما زالت الجيوش تتبعه يومًا بعد يوم يسلك بعضها إلى أنقرة وعمورية طريقَ الساحل إلى جانب طرسوس ومرسين، ومنها إلى قونية فمدينة أنقرة، والجيوش الأخرى اتبعت الطرق الداخلية بقدر ما تحتمله تلك الطرق من الجيوش. وما زالوا كذلك حتى اخترقوا الأنضول ومعاقله وحصونه، فوصلوا إلى (أنقرة) في ربيع سنة ٢٢٣

هج (٨٣٨ م)، فدمّرها المعتصمُ على رؤوس أهلها، فقال فيهم أبو تمام حبيب بن أوس الطائي:

أتتهمُ الكربةُ السوداء سادرةً　　　منها وكان اسمها فرّاجةَ الكُرَبِ
جرى لها الفألُ نحسًا يوم أنقرةٍ　　　إذ غودرتْ وحشةَ الساحاتِ والرحَبِ
كم بين حيطانها من فارسٍ بطل　　　قاني الذوائب من آني دمٍ سربِ

ولما انتهى المعتصم من هذه المدينة الشرّيرة؛ صار إلي عمورية، فنزل على حصونها وأبراجها وأسوارها، وكانت أمنعَ أسوارٍ عُرفت إلى ذلك العهد، فما زال يلحُّ عليها بمجانيقه ودبّاباته ورهيب آلاته حتى دخلها في شهر رمضان (يولية) من تلك السنة، وكان أول ما طلبه الوصول إلى السيدة الهاشمية في سجنها فقال لها كلمته الأولي:

لبَّيكِ، لبَّيكِ!

وفي ذلك يقول أبو تمام:

لبَّيت صوتًا زِبَطْرِيا هرقتَ له　　　كأسَ الكرَى ورُضاب الخرَّدِ العُرُب
أجبتهُ معلنًا بالسيف مُنصلتًا　　　ولو أجبتَ بغير السيف لم تُجبِ

ويقول في وصف النصر الذي ناله هذا الرجل المسلم العظيم، جزاء ما أبدَى من تضحية وصحة إيمان:

يا يومَ وقعةِ عَمُّورِيَّةَ انصرفتْ　　　عنكَ المنى حُفَّلًا مَعْسولةَ الحَلَبِ
فتحٌ تفتَّحُ أبوابُ السماء له　　　وتبرزُ الأرض في أثوابها القُشُبِ
لما رأى الحربَ رأيَ العين تُوفِلسُ　　　والحربُ مشتقة المعنى من الحَرَبِ
غدا يُصرّف بالأموال خزْيَتَها　　　فعَزَّه البحر ذو التيار والعببِ
هيهات زعزعَتِ الأرض الوقورَ بها　　　عن غزو محتسب لا غزو مكتسبِ

تدبير معتصمٍ، بالله منتقمٍ لله مرتقبٍ، في اللّه مرتهبِ

وقد ثبت في التاريخ أن أمير المؤمنين المعتصم كان يدير الحركات العسكرية بنفسه في هذه الوقائع، ويُصدر الأوامر اليومية إلى جيوش كانت منه على مسافة أيام. وهو الذي رسم خطط هذه الحرب وعيَّن للقواد مراكزهم ومناطق هجومهم؛ فكانوا في تصرّفه كما تكون حجارة الشطرنج بين يديه ساعة لهوه. وعمُّورية يومئذ عين النصرانية، وأمنع مدائن البيزنطيين. وأعزّ على الروم من القسطنطينية نفسها. فما لبث أن قلم أظفارها، وجرّدها من حصونها، وسلب أهلها عزَّهم بها، جزاء غدرهم بالمسلمين وعقابًا لهم على ما ارتكبوه في نساء زبطرة وشيوخ ملاطية وأطفالها من فظائع تقشعرّ لذكرها الأبدان. وكان هذا النصر العظيم للدولة العباسية على الروم في الأنضول بعد نصرها العظيم على المجوسية في فتنة بابك التي دامت عشرين سنة، أصدقَ برهان على أن اللّه يصدق وعده بنصر المسلمين كلما أخلصوا دينهم لله واشتروا الحياة الأبدية بثمن رخيص، وهو هذه الحياة القصيرة ومُتعتها الحقيرة.

فرحم اللّه أيامًا كان المسلمون مسلمين حقًا:

خليفةَ اللّه جازَى اللهُ سعيَك عن جُرثومة الدين والإسلام والحَسَبِ
بصرت بالراحة الكبرى فلم تَرَها تُنال إلّا على جسر من التعبِ
إن كان بين صروف الدهر من رحِمٍ موصولةٍ أو ذِمام غير منقضبِ
فبين أيّامك اللائي نصرت بها وبين أيّامِ بدرٍ أقربُ النسبِ
أبقت بني الأصفر المصفرّ كاسمهم صفوَ الوجوه وجَلّت أوجُهَ العَرَبِ

محبّ الدين الخطيب

نشيد حافظ بك إبراهيم لجمعية الشبان المسلمين

أعيدوا مجدَنا دُنيا ودِينا ... وذودوا عن تُراث المسلمينا
فمن يعنو لغير اللَّه فينا ... ونحن بنو الغُزاة الفاتحينا
ملكنا الأمر فوق الأرض دهرًا ... وخلّدنا على الأيام ذكرا
أتى عمرُ فأنسى عدل كسرى ... كذلك كان عهد الراشدينا

❊ ❊ ❊

جبَينا السحب في عهد الرشيدِ ... وبات الناس في عيش رغيدِ
وطَوْقَتِ العوارفُ كل جِيدِ ... وكان شعارُنا رِفقًا ولينا

❊ ❊ ❊

سلوا بغدادَ والإسلامُ دينُ ... أكان لها على الدنيا قرينُ
رجالٌ للحوادث لا تلينُ ... وعلم أيّدَ الفتحَ المبينا
فلسنا منهمُ والشرقُ عانٍ ... إذا لم نكفه عَنَتَ الزمانِ
ونرفعْه إلى أعلى مكانٍ ... كما رفعوه، أو نلقى المنونا

❊ ❊ ❊

نشيد أحمد أفندي محرَّم

بني الإسلام إقداما ... كفى دعةً وإحجاما
هلموا نرفع الهاما ... أنقضي الدهرَ نُوَّاما
على البيضاء فانطلقوا ... إلى العلياء فاستبقوا

لكم من دينكم طرُقٌ تبثُّ النور أعلاما
سلوا القومَ الألى ذهبوا بأيةِ قوةٍ غَلبوا
أقاموا الحقَّ فانتدبوا لأهل الأرض حكاما
أولو السلطان والخطرِ على التيجان والسّرُرِ
أبوا في غير ما أشرِ سوى الأملاكُ خدَّاما
رموا باليأس محتدمًا قضوا بالسيف محتكما
إذا ما خاصم الأمما مضى نقضًا وإبراما
نهضنا نتبع السننا ونحمي الدينَ والوطنا
بذلنا الروح والبدنا فدَىً لهما وإكراما
هما رمز الحياة معا فإن ذهبا مضتْ تبعا
ومَن لم يَرْعَ ما شرعا فما صلى ولا صاما

الحسان

وسُئلتُ مَنْ هُنَّ الحِسَانْ هُنَّ العفيفاتُ اللّسانْ
الناهضاتُ بكلِّ ما يَجْلُو لنا نِعَمَ الزَّمانْ؟
صُنَّ الوجُودَ مُجَملًا يَخْتالُ في الحُسْن المُصانْ
في زينَةِ اللُّطفِ الأصيـ ـل وخِفَّةٍ تتنَاظَرانْ

نظرية التطوّر عند العرب[1]

قال العلامة درابر الأمريكي: «تأخذنا الدهشة أحيانًا عند ما ننظر في كتب العرب، فنجد آراء كنا نعتقد أنها لم تولد إلا في زماننا، كالرأي الجديد في ترقي الكائنات العضوية وتدرّجها في كمال أنواعها، فإن هذا الرأي كان مما يعلّمه العرب في مدارسهم، وكانوا يذهبون به إلى أبعد مما ذهبنا، فكان عندهم عامًّا يشمل الكائنات العضوية والمعادن. والأصل الذي بنيت عليه الكيمياء عندهم هو ترقي المعادن في أشكالها».

معنى الحياة

كلمة فاضل عراقي كبير

الأستاذ محمد رضا الشبي - وزير المعارف العمومية في العراق سابقًا - شاعر كبير، وهو من كبار المفكرين في الأمة العربية. وقد كتب في مجلة المجمع العلمي العربي كلمة يقول فيها:

(١) ماذكره الكاتب عن العرب لا علاقة له بنظرية التطور المعاصرة «الداروينية» المُلحدة، التي تزعم أن جميع المخلوقات نشأت بالتدريج من خلية واحدة، وبفعل «المصادفة»، وتوافر الشروط الفيزيائية من درجة حرارة ورطوبة وهواء.. إلخ، تكاثرت هذه الخلايا وتولّد عنها سلسلة من المخلوقات، ابتداءًا من النباتات وانتهاء بالإنسان! مُنكرة لوجود الخالق ﷻ.
وانظر للرد على مزاعمها: رسالة «العلم يتبرأ من نظرية داروين: أكبر جريمة تزوير علمي في التاريخ: دراسات وثائقية»؛ لزياد أبو غنيمة. (س).

«أنا أعتقد الآن بأن لهذه الحياة معنًى لم يتذوّقه أهل هذه الأجيال الجاحدة الإفرنجية، ولها سرٌّ حِيلَ بينهم وبين أن يكتشفوه، فضلوا وأضلّوا كثيرًا. نعم إن الساميين وعمَّار الصحراء من الآدميين - لا سيما العرب - هم الذين اكتشفوا ذلك السرَّ المحجوب، وهم الذين نظروا إلى الحياة من الوجهة التي يجب أن ينظر إليها الناس في كل زمان ومكان. وأما فيما يعود إلى إسعاف الشرقيين والعرب والمسلمين، وإنقاذهم مما هم فيه من الجهد والبلاء، فأرى أن ذلك يتوقف على الرجوع إلى سيرة السلف الصالح في عامة الشؤون الدينية والدنيوية، بدلًا من تقليد الإفرنج، والتهالك على ما ابتكروه من طرق الهلاك. وإن لهذه الأمة أولًا ولها آخر، ولا يصلح آخرها إلا بما صلح به أولها، ولا تنجو إلا إذا استعذبت الموت الزؤام، كما يستعذب الحياةَ الفانية شبّانُ هذا العصر المتفرنجون».

الغني والفقير

ربما رأيتَ الرجلَ من الناس وبه من جمال الدنيا مَسحة الدينار، وعليه من نضرة هذه الحياة ألوان الجنة والنار... وما تشكُّ في أنه واسعُ البَسْطة عريضُ النعمة طيّبِ المَكْسبة، وهو على ذلك رُقْعة خَلِقة في أذيال الفقر يُجرِّرها على أقذار الحياة وأدناسها. ولو نَطقَ له الغني لقال: دعني فما كل ذي مَترَبةٍ فقيرٌ، ولا كل ذي مَثراة غنيّ.

مصطفى صادق الرافعي

الانتصار الهمجي على العرب وتعطيل سير الحضارة ثمانية قرون

قال هنري دي شامبون مدير (ريفو بار لمنتير) الفرنسوية:

«لولا انتصار جيش (شارل مارتل) الهمجي على تقدم العرب في فرنسا لما وقعت فرنسا في ظلمات القرون الوسطى، ولما أصيبت بفظائعها، ولا كابدت المذابح الأهلية الناشئة عن التعصب الديني والمذهبي. ولولا ذلك الانتصار البربري على العرب لنجت أسبانيا من وصمة محاكم التفتيش، ولولا ذلك لما تأخر سير المدينة ثمانية قرون. ونحن مدينون للشعوب العربية بكل محامد حضارتنا: في العلم والفن والصناعة. مع أننا نزعم اليوم أن لنا حق السيطرة على تلك الشعوب العريقة في الفضائل. وحسبها أنها كانت مثال الكمال البشري مدة ثمانية قرون بينما كنا يومئذ مثال الكمال البشري مدة ثمانية قرون بينما كنا يومئذ مثال الهمجية. وإنه لكذب وافتراء ما ندعيه من أن الزمان قد اختلف، وأنهم صاروا يمثلون اليوم ما كنا تمثله نحن فيما مضى».

ويقول الكاتب الفرنسوي الأشهر مسيو (كلود فارير):

«أصيبت الإنسانية والعالم الغربي عام ٩٣٢ م بكارثة عظمى لم تُصب بمثلها في القرون الوسطى، وبقي أثرها ظاهرًا في العالم مدة سبعة قرون أو ثمانية، إن لم يكن أكثر من ذلك؛ لأن روح التجدد كانت يومئذ قد بدت للعيان حتى وقعت تلك الكارثة، فكان من نتائجها تأخر سير الحضارة، ورجوع العالم إلى الوراء. . .

هذه الكارثة هي الانتصار المؤلم الذي أحرزه وحوش (الهاركا) من جيوش الإفرنج التي كان يقودها (شارل مارتل) سليل الكالنجيين محاربًا بها كتائب

العرب والبربر التي لم يُحسن الخليفة عبد الرحمن جمعها وحشدها بالمقدار الكافي، فكان ذلك سبب خذلانها وتقهقرها.

في ذلك اليوم المظلم تقهقرت الحضارة إلى الوراء ثمانية قرون، وحسبُ الذين يبتغون يومئذ أن يشهدوا مثالًا من مدينة العرب أن يتنقلوا بين حدائق الأندلس الغنّاء ثم أن يأتوا الآن فيترددوا بين خرائب ذلك العصر الماثلة للأنظار في إشبيلية وغرناطة وقرطبة وطليطلة».

بعض حقائق الحياة

* ما جعل اللّٰه سبيلَ المصلحة والمَفسدة إلا من أفهامنا، حتى إن الأدمغةَ لتُعدُّ من أكبر العِلَل في أمراض التاريخ الإنساني، وربما كانت العلةُ الكبرى في طائفة من الطوائف صورةً أثرية لأكبر رأس فيها.

* ما دام للناس رغبة يتنافسون فيها أو يرفعون من شأنها بالمنافسة فثم الحسد، وما دام في الغيب أيامٌ وآمالٌ، وفي الدنيا فقر وحسد فهناك الطمع.

* إن البخل وحده لفي حاجة إلى نبي يُصلحه.

* الناس مخطؤون فيما اعتبروا به معنى الفقر، إذ حصروه من جهاته الأرضية وقد ترامتْ، وضيقوا من حدوده السماوية وقد تراحبتْ.

* من عجيب حكمة اللّٰه أنه لا صلاحَ للعالم إلا بالفساد الذي فيه.

مصطفى صادق الرافعي

إسماعيل صبري باشا

ثاني ملوك دولة الشعر في هذا العصر، وأجملهم في هذا الملك سيرة، وأفخمهم فيه أثرًا.

قال: الشعر للشعر لا للناس. وكان أبدع ما يكون شعره وأشجى إذا أخذته هزّة لذكرى صباه، أو حن إلى معهد كان فيه هواه.

ولقد بكى الربوع حتى خُيّل لك أن شعره دمع يترقرق على طلل بالٍ، وكاد يُسمعك وجيب قلبه لذكرى حبيب أو تذكّر دار.

وضحك للطبيعة فأدرك ابتسام ثغرها، وتضاحك زهرها، وصوّر لك حمرة شفقها، ووضح فجرها.

وشجاه هواه فأطلعك من قبله على موضع ناره، وأسمعك رنين أوتاره، ولعلك بكيت له رحمة ورفقًا. وشكا تغير الصديق له، فكان يزهدك في الصداقة والأصدقاء، وإن علّمك على ذلك كيف يكون الصفح والغفران.

كان رَحِمَهُ اللَّهُ يخطر على باله خاطر، أو يتفق له أمر، أو يسمع خبرًا، أو يشهد مشهدًا، فيطيل تأمله فيه، ثم يُرسل من صدره أنه يتدفق على أثرها خاطره بما شاء.

فإذا قال شيئًا طفق ينظر فيه، ولم يألُهُ تهذيبًا، ثم لا يدفعه بعد ذلك إلا إلى من يلح عليه من الأصدقاء، وقد يقول ثم يمسك قوله عن الناس.

ولولا أنه كان مُقِلًا كثير الانصراف عن القول، كثير الضن بشعره عن طالبيه؛ لكان واحد وقته بلا نزاع.

ولا أعلم عليه من عيب إلا أنه ربما وقعتْ له الكلمة من مكان غير مأمون، فدرجت في شعره، فمن أمثلة ذلك قوله:

لك ألفاظ إذا احتجت إلى خيِّر كانت (شِراك) الخيِّرين

فإن الشراك للنعل، والمراد «أشراك» جمع شرَك، وهو حبالة الصياد. على أن مثل هذه الفرطة في شعر إسماعيل نادرة، وربما لا تتجاوز نظيراتها تسعًا أو عشرًا.

انظر إلى قوله:

يا آسي الحي هل فتشت في كبدي وهل تبنيَّتَ داءً في زواياها
أواه من حُرَق أودت بأكثرها ولم تزل تتمشى في بقاياها
يا شوق رفقًا بأضلاع عصفتَ بها فالقلب يخفق ذعرًا في حناياها

ألا تتمثل فيه حرقًا أودت بأكثر كبده، ولا تزال تسري فيما بقى من هذه الكبد؟ ثم استمع قوله:

أقصرْ فؤادي فما الذكرى بنافعة ولا بشافعة في ردّ ما كانا
سلا الفؤاد الذي شاطرته زمنا حملَ الصبابة فاخفق وحدك الآنا

تعرف كيف يصبر الحكيم على مس النار...!

ثم تأمل قوله:

لم يدر طعمَ العيش شُبا ن ولم يدركه شيب
جهلٌ يضلى قوى الفتى فتطيش والمرمى قريب
وقوىً تخور إذا تشبّـ ـث بالقوى الشيخ الأريب
بينا يقال كبا المغفَّـ ـل إذ يقال خبا اللبيب
أواه لو عقل الشبا ب وآه لو قدر المشيب

أفلست ترى إلى الحكمة الكهلة تطلّ من نافذة الشعر الفتيّ؟

ثم اسمع قوله:

أنتِ روحانية لا تدَّعي　　أن هذا الحسن من طين وماء
فانزعي عن جسمك الثوب يبن　　للملا تكوينُ سكان السماء
واخطري بين الندامى يحلفوا　　أن روضًا راح في النادي وجاء
لا تخافي شططًا من أنفس　　تعثر الصبوة فيها بالحياء
أرضتِ النخوةُ من أخلاقنا　　وارتضى أخلاقنا صدقُ الوفاء

تعرف كيف يكون الغزل البديع، وتلمح في هذا الشعر خيال ملك ينساب في حلة من وشي البيان.

ثم استمع له إذ يقول:

يا موتُ ها أنا ذا فخذ　　ما أبقت الأيام مني
بيني وبينك خطوة　　إن تَخطُها فرّجت عني

تؤمن بعبقرية شاعرنا هذا، وتُكبر قدرته حتى لا مزيد من الإكبار.

أما خلُق إسماعيل فخلُق كرام الناس، فقد كان سمح النفس كبيرها، طلق المحيا بسَّامة، وفيًا أمينًا على شيوع الغدر في الناس، جم التواضع على رفعة، وقد بلغ من تواضعه أن يُنكر على نفسه شاعريتها ويصغر من شعره ما يكبره الشعراء، وكان راوية واسع الحفظ حاضر الخاطر سريَّ الملكة، وإن بديهته لتفضل روية كثير من الشعراء. رحم اللّٰه إسماعيل.

محمد صادق عنبر

طلب الدراهم من الحجارة

قال أبو معاوية - رجل من ولد كعب مالك -:

لقد رأيتني أنضح أول النهار، وأضرب آخر النهار على بطني بالمعْوَل.

فقيل له: لقد لقيت مؤونة!.

قال: أجل، إنا طلبنا الدراهم من أيدي الرجال ومن الحجارة، فوجدناها من الحجارة أسهل علينا!

مقياس الذكاء والإجرام

لا يستطيع أي فرد أن يؤدّي عملًا من الأعمال أداء تامًا محكمًا إلا إذا توافر فيه شرطان أساسيان:

(١) مقدرته على التفكير والنظر في عواقب الأمور؛ لكي يستطيع تقدير النتائج التي تنتج من عمله، فتعود عليه وعلى غيره بالخير إذا هو سار في طريق سيئ.

(٢) الرغبة الصادقة في كبح جماح النفس، والمقدرة على إلزامها جانب الحق والصواب، وهذان الشرطان لا يوجدان إلا عند كل شخص كمل عقله وتجملت أخلاقه. وليس من عمل مجيد تقوم به أفراد أمة إلا ذلك الذي ينبعث عن أناس مخلصين قد تربوا تربية صالحة جعلتهم يؤثرون الصالح العام على صالح أنفسهم، ويقدمون نفع الجمهور، فلا يسيرون مع نفوسهم حيث شاءت،

ولا مع أهوائهم حيث مالت، بل مدفوعين بعامل الإخلاص الذي قادتهم إليه عقولهم الذكية وأذهانهم الناضجة.

ولسنا نرى هذه الأعمال المجيدة تبعث من هؤلاء مما رزئوا بضعف العقل؛ لأنهم لا يقدرون على التفكير، ولا على النظر في عواقب الأمور، ولا على القدرة في وقف تيار هوى نفوسهم؛ لأنهم مجردون عن الفضيلة والأخلاق الكريمة والتهذيب الصحيح والتربية القويمة، التي هي أساس النجاح ودعامة الفلاح. والفضيلة كما تعلم لا تزهو وتنمو ما دام الذكاء في درجة الانحطاط.

على أن هناك بعض المجرمين لوحظ عليهم علامات الذكاء، مما يجعلنا في ريب من الجزم بضمهم إلى طائفة ضعيفي العقول، وما ذلك إلا لأنهم قد توفر فيهم شرط من الشرطين السابقين هو (القدرة على التفكير والنظر في عواقب الأمور)، أما الشرط الثاني فقد انعدم فيهم، فتركوا لأنفسهم الحبل على الغارب، فما استطاعوا كبح جماحها، ولا الوقوف في سبيل هواها، ومن هذا يتبين أن ليس من الضروري أن يكون كل مجرم ضعيف العقل، وإنما الثابت أن ضعاف العقول أكثرهم مجرمون كما أن ضعيفات العقول أكثرهن عاهرات أو صائرات إلى الفجور. ولقد عودَنا مقياس الذكاء أن نفكر في المجرمين كلما ذكرنا ضعف العقل؛ لأن الرابطة بين الإجرام وضعف العقل ثابتة، وقد برهن على وجود هذا الاتصال اختصاصيون مهرة في علم الجراحة.

«فلمبروزو» وأتباعه مثلًا كانوا يلاحظون العاهات الخلقية عند فحصهم المجرمين، ويعولون عليها كثيرًا، ويجزمون بأنها أهم العلامات التي تدل على الإجرام. ومن العاهات الخلقية كبر حجم الرأس أو صغره، وعدم تساوي نصفيه، والأشكال غير العادية، وعدم التماثل بين الأذنين والعينين وسقف

الحلق، حيث يكون على شكل «٨»، والأسنان والأصابع والأظافر والشعر وطول الأذرع والنسبة بين النصف الأعلى والأسفل من الجسم.

وفي الحق كان عمل «لمبروزو» عملًا مجيدًا في ذاته ومفيدًا؛ إذ قد نبه المشتغلين بعلم الجرائم، وشوقهم إلى البحث والعمل في هذا الفن، وأوقد فيهم حب الاستزادة منه بالبحث العلمي العملي على أن عملهم قد وقف نوعًا ما عند ظهور مقياس الذكاء الذي دل على أن نحو ٢٥٪ من المجرمين ضعاف العقول.

أما العاهات الخَلقية التي بنى عليها «لمبروزو» وأنصاره علم الإجرام وشوهدت بكثرة في المجرمين، فقد تجلى أنها لم تكن علامات خاصة بالإجرام، لكنها أشبه بخواص جسمانية كثيرًا ما تلازم ضعيفي العقول، ومن ثم صارت هذه العاهات الخَلقية مميزًا ضعيفًا للمجرمين، لكنها دليل قوي على ضعف العقول، ومع هذا دلت الاختبارات على أن هناك صلة متينة بين الإجرام وضعة النفوس من جهة، وضعف العقول من جهة أخرى، يضاف إلى هذا أن ما قد ينغمس فيه هؤلاء المجرمون من الرذائل كالفحشاء وغيرها نتيجة ضعف عقولهم.

حسن عمر

* قيل إن الصدق غير موجود، وهو اسم على غير مسمى.
* لا تغتر بمن يميل إليك حتى تعرف سبب تودده.
* الدهر يومان: يوم لك ويوم عليك.
* ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلبًا لما عند الله.

الدموع

ربّ إن غاضتْ دُموعِي ألمّا فَمَن الشافي مِنَ الوَجْدِ سواها
نضَبتْ واسْتَوْدَعَتْني حَسْرَةً لو يكونُ الدَّمعُ جَمًّا لَمحاها
مَفْزَعِي في الخَطْبِ ما حلَّ به وَقَرابِينُ عزائي ما عراها
أتَرَى أدْرَكَها صَرْفُ الرَّدى فَأُرِيقَتْ وهيَ في زَهْو صباها

❋ ❋ ❋

أيُّها الفَجْرُ أعِر قَطْرَ النَّدَى لِعُيونٍ قطرَ الحُزْنُ نَدَاها
ذَبلتْ ثمَّ تعَدَّاها السَّنا قبْلَ أن يَسْلبَها المَوْتُ سَناها

❋ ❋ ❋

إيهِ يا صَدَّاحُ زِدْني نغمًا وَأزحْ عن كبدي الْحَرَّى جَواها
لك لَحْنٌ مُسْتَكِنٌّ سِرُّهُ وَجَدَتْ فيه بنو الشَّجْوِ مُناها

❋ ❋ ❋

عجبي من لغةٍ غامضةٍ تطْربُ الناسَ على شتى لغاها

أنور العطار

الإسلام هو المدنية هكذا يقول المؤرخ (ولز)

قالت جريدة (الجامعة العربية):

المستر (ولز) هو أكبر كتّاب إنكلترا على الإطلاق، وله مؤلفات عدة تدل دلالة واضحة على عبقريته وسعة اطلاعه.

وقد كتب مؤخرًا مقالًا عن الإسلام، وأبدى رأيه في هذا الدين الحنيف، فأنكر عليه الإنكليز هذا الأمر، وانتقدوه انتقادًا مرًّا، ولكنه لم يبال بانتقادهم، بل ظل جاهرًا بالحقيقة الواضحة ويدافع عنها. وها نحن الآن ننقل إلى القراء نبذة من مقال نقلته جل الصحف الإنكليزية التبشيرية، وعلقت عليه تعليقًا انتقاديًا. قال:

«كل دين لا يسير مع المدنية في كل طور من أطوارها فاضرب به عرض الحائط ولا تبال به؛ لأن الدين الذي لا يسير مع المدنية جنبًا إلى جنب لهو شر مستطير على أصحابه، يجرهم إلى الهلاك. وإن الديانة الحقة التي وجدتها تسير مع المدنية أنّى سارت، هي الديانة الإسلامية. وإذا أراد الإنسان أن يعرف شيئًا من هذا فليقرأ القرآن وما فيه من نظرات علمية، وقوانين وأنظمة لربط المجتمع. فهو كتاب ديني علمي، اجتماعي، تهذيبي، خلقي، تاريخي. وكثير من أنظمته وقوانينه تستعمل حتى في وقتنا الحالي، وستبقى مستعملة حتى قيام الساعة.

وإذا طلب مني أحد القراء أن أحدد له الإسلام فإنني أحدده بالعبارة التالية:

«الإسلام هو المدنية».

وهل في استطاعة إنسان أن يأتيني بدور من الأدوار كان فيه الدين الإسلامي مغايرًا للمدنية والتقدم؟

كان النبي محمد زراعيًا وطبيبًا وقانونيًا، وقائدًا. واقرأ ما جار في أحاديثه تتحقق صدق ما أقول. ويكفي أن قوله المأثور: «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع»(١)، هو الأساس الذي بني عليه علم الصحة، ولم يستطع

(١) حديث لا أصل له. قاله الألباني في «السلسة الصحيحة» (م/٧ القسم الثالث، ص ١٦٥١و١٦٥٢). وقال الشيخ ابن باز في مجموع فتاواه (٤/ ١٢٢- ١٢٣): «هذا المعنى =

الأطباء - على كثرتهم ومهارتهم - أن يأتوا حتى اليوم بنصيحة أثمن من هذه.

والخلاصة؛ فإن محمدًا كان مجموعة من «الخيال والنبوغ والبحث» وهذا هو التحديد الصحيح الذي يجب على كل مسلم أن يعرفه».

وقال في محل آخر:

«إن محمدًا هو الذي استطاع في مدة وجيزة لا تقل عن ربع قرن، أن يكتسح دولتين من أعظم دول العلم، وأن يقلب التاريخ رأسًا على عقب، وأن يكبح جماح أمة اتخذت الصحراء المحرقة سكنًا لها واشتهرت بالشجاعة، ورباطة الجأش، والأخذ بالثار، واتباع آثار آبائها، ولم تستطع الدولة الرومانية أن تغلب الأمة العربية على أمرها.

فمن الذي يشك أن القوة الخارقة للعادة التي استطاع بها محمد أن يقهر خصومه هي من عند الله؟...».

= صحيح لكن السند فيه ضعيف. وهذا ينفع الإنسان إذا كان يأكل على جوع أو حاجة، وإذا أكل لا يُسرف في الأكل، ويشبع الشبع الزائد، أما الشبع الذي لا يضر؛ فلا بأس به. فالناس كانوا يأكلون ويشبعون في عهد النبي ﷺ وفي غيره، ولكن يُخشى من الشبع الظاهر الزائد، وكان النبي ﷺ في بعض الأحيان يدعى إلى ولائم، ويضيف الناس، ويأمرهم بالأكل، فيأكلون ويشبعون، ثم يأكل بعد ذلك عليه الصلاة والسلام ومن بقي من الصحابة. وفي عهده يروى أن جابر بن عبد الله الأنصاري دعا النبي ﷺ يوم الأحزاب يوم غزوة الخندق إلى طعام على ذبيحة صغيرة - سخلة -، وعلى شيء من شعير، فأمر النبي ﷺ أن يقطع الخبز واللحم، وجعل يدعو عشرة عشرة، فيأكلون ويشبعون، ثم يخرجون ويأتي عشرة آخرون، وهكذا، فبارك الله في الشعير وفي السخلة، وأكل منها جمع غفير، وبقي منها بقية عظيمة حتى صرفوها للجيران. والنبي ﷺ ذات يوم أيضًا سقى أهل الصفة لبنًا، قال أبو هريرة: فسقيتهم حتى رووا، ثم قال النبي ﷺ: «اشرب يا أبا هريرة»، فشربت، ثم قال «اشرب»، فشربت، ثم قال «اشرب» فشربت، ثم قلت: والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلكًا. ثم أخذ النبي ﷺ ما بقي، وشرب عليه الصلاة والسلام. وهذا يدل على جواز الشبع وجواز الري، لكن من غير مضرة».

محمد ﷺ

موشحة ألقيت في نادي جمعية الشبان المسلمين

من نظم الشاعر المبدع الأستاذ/ محمود أفندي رمزي نظيم

عـملـتْ مـكـة أرضًـا وسـمـا   أنـهـا خـيـرُ بـلاد الـمـشـرقِ
وُلـد الـمـخـتـارُ فـيـهـا ونـمـا   فـسَـمـتْ بـالـعـرَبـيّ الـمُـعْـرِقِ

❊ ❊ ❊

خيرُ خلق اللَّه عُربًا وعجمْ   مُشرقُ النورِ وماحي الظُّلماتْ
مصدرُ الخيرات وهّابُ النِّعمْ   مَهبط الوحي محَطُّ الرَّحَماتْ
قدّس اللَّه به ساح الحَرَمْ   وبه التوحيدُ ساد الكائناتْ
النبي المرسلُ الحقُّ العَلَمْ   مَنْ عليه اللَّه والى الصلواتْ

❊ ❊ ❊

كـان لا يـخْـفـرُ طـه الـذِّمَـمـا
طـاهـرَ الأذيـال حُـلـوَ الـمـنـطـقِ
وإذا هَـمَّ رأيـتَ الـهـمـمـا
وسَـنـا بـدرٍ تـمـام مُـشـرقِ

❊ ❊ ❊

أمُّـه آمـنـة ذاتُ الـعـفـافْ   وابنُ عبد اللَّه مولانا الرسولْ
نـسـبٌ يـجـمـعُـه عـبـدُ مَـنـافْ   طيّب الأعراق مشهورُ الأصولْ
سنّ للناس طريقَ الائتلافْ   وبـه كـسّـرتِ الـقـيـدَ الـعـقـولْ

كان إن قال فَرَقْراق السُّلافْ وإذا صالَ تَرَى الليثَ يصولْ

❀ ❀ ❀

علّم الناسَ التقى والكرما

فاتَّقى اللهَ الذي لم يتقِ

ما طَغى في حكمه، ما ظلما

حافظُ العهد، متينُ الموثقِ

❀ ❀ ❀

زلزلَ الإيوانَ ميلادُ الرسولْ فهوتْ منه جميعُ الشُّرفاتْ

نجمُ نار الفُرْس أمسى في أُفولْ بعدما كانتْ إلهَ الكائناتْ

كلُّ شيء ما خلا الحقّ يزول ما لشيء صنعة الناس ثباتْ

شِرْعةُ التوحيد أودت بالحلولْ ورستْ مثل الجبال الراسياتْ

❀ ❀ ❀

وأزال العُرْبُ أشباهَ الدُّمى

من تماثيلَ غدتْ لم تنطقِ

جعلوا بيتًا لهنَّ الحَرَما

وهو للشرك به لم يُخلَقِ

❀ ❀ ❀

لم يهُنْ يومًا لأعداءِ الهدى حينَ هَمُّوا بأذى الداعي العظيمْ

غضبةٌ أججَها جَهْلُ العِدَا واعتزازُ القوم بالشرك القديمْ

لم يكن جاء من اللّه سُدَى إنما أقبلَ بالدين القويمْ

جاء للناس رسولًا مُرشِدًا وهو مَفْطور على الخير كريمْ

هـازئـا بـالـمـلأ الـمـحـتـنـقِ

فـمـضـى عـن حـبـهـم مـعـتـزمـا

وعـلـيـه الـوحـيُّ كـالـغـيـثِ هـمـى

وبـدا الـلـيـلُ لـه كـالـفَـلَـقِ

❁ ❁ ❁

أيها المبعوثُ من بين الشعوبْ أيها الأميّ يا محيي المواتْ[1]

أنتَ قد أيقظتَ بالدين القلوبْ وتـوجـهـتَ بـهـا لـلـصـالـحـاتْ

أنت شمسٌ طلعتْ بعد الغروبْ فـأضـاءت داجياتِ الـكـائـنـاتْ

ونشرتَ السلْم من بعد الحروبْ وجمعتَ العُرْبَ من بعد الشتاتْ

❁ ❁ ❁

لـم تـكـن تـحـمـلُ يـومًـا قـلَـمـا

إنـمـا كـنـت خـطـيـب الـمـشـرقِ

وإلـى رحـمـتـكَ الـكـونُ انـتـمـى

فـائـزًا مـنـكَ بـحُـسـن الـخُـلـقِ

❁ ❁ ❁

قد تركتَ الكونَ نورًا بعدما كانت الأرض ظلامًا في ظلامْ

ساد فيها الحبُّ والخيرُ كما سادَ روحُ العلم فيها والنظامْ

بالهدى أسعدتَ فيها الأمما ولأعـدائـكَ أعـدتَ الـحُـسـامْ

جئتَ للعالم من ربّ السما رحمةٌ خَصَّ بها اللهُ الأنامْ

❁ ❁ ❁

(١) كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾. (س).

أنـزلَ الـلـهُ كـتـابًـا مـحـكـمـا
مـن قـديـمٍ مُـنـزلٍ لـم يُـخـلـقِ
أنـت أرشـدتَ بـه مـن أسـلـمـا
بـبـيـان واضـح لـم يـغـلـقِ

❀ ❀ ❀

يَمْكُثُ الموتى نيامًا في الدُّجى   فإذا الموت غَشاهم يُصبحونْ
إن يوم الحشر للناس شجا   وبه تَشْرَق بالدمع العيونْ
ليس يَلقى الخلقُ فيه فَرَجا   حينما عن كل شيء يُسألونْ
يا شفيعَ الناس (خِلُ) المُرتجى   يومَ لا ينفع مال وبنونْ
يـوم لا يُـرحـم أربـابُ الـعَـمـى
مِن لظى نار الجحيم المحرقِ

❀ ❀ ❀

نشر التوحيدَ طه في الوجودْ   مُخلصًا لله فيما قد فعلْ
لم يكن يطلب إلا أن تسودْ   دعوةُ الحق ويعلو من عَدَلْ
ولذا ساد وذو الحق يسودْ   بجهاد واعتزام للأملْ

❀ ❀ ❀

وانـشـروا يـا آل مـصـرَ الـهِـمـمـا
واكـشـفـوا سـرّ الـظـلام الـمـطـبـقِ
نـحـن إن لـم نـسـهـر الـلـيـلَ فـمـا
كـتَـبَ الـلـهُ لـنـا أن نـرتـقـي

❀ ❀ ❀

التمدن العصري

يقولونَ أحيى المغرِبانِ حضارةً ... وهل حَيِيَتْ إلّا لمصلحةِ الذّاتِ
يعيشُ سعيدٌ مُفرَدٌ بينَ معشَرٍ ... شقيّ، وحيٌّ واحدٌ بين أمواتِ
وكم جائعٍ يرْنو إلى مُتفكّهٍ ... وعادِمِ قوتٍ حول واجد أقواتِ
وكم جسدٍ فوقَ الأخادع شاخصٍ ... إلى جُثَّةٍ تحتَ الأخامص ملقاةِ
وما الزمنُ الماضي بأعظمَ مِحْنةً ... من الحاضرِ الموصولِ بالزمن الآتي
ولم أرَ كالإنسانِ ربَّ شرائعٍ ... حديثات وضعٍ أو شرائعَ مُوحاةِ
ولكنّه لم يَطْوِ ليلَ ضلاله ... هُدَى شارعٍ في الأرض أو في السماوات
يظنُّون هذا العصرَ عصرَ هداية ... وأجدرُ أن ندعوه عصر ضلالاتِ
فإن خُرافاتٍ مضتْ قد تبدَّلتْ ... حقائقَ إلا أنها كالخرافاتِ
وأكذبُ عصرٍ ما تشدَّقَ أهلهُ ... على ظلمهم بالعدلِ أوْ بالمساواة
ذِئابٌ وشاءٌ، لا الذئابُ رواجعٌ ... عن الغيِّ أو تعدو على زُمَر الشاةِ
ألا هلْ يعودُ الحقُّ . وهو مشتّتٌ ... جماعاتِ هذا العصر. جامعَ أشتاتِ
ولكن أبوا إلا التنازع فالتقتْ ... أدلّةُ نفيٍّ في أدلّة إثباتِ

محمد رضا الشبيبي

لغة المعاني السامية

الطبيعة جميلة، بل هي فوق أن تكون جميلة؛ لأن هذه اللفظة (الجمال) واحدةٌ من الاصطلاحات المبهمة التي تمثل قصور الإنسان اللغويّ؛ فقد تعاون

أفراد هذا الإنسان الضعيف على أن يخلقوا الطبيعة خلقة معنوية، فصوروها باللغة، وضبطوها - على عظمها - كما يضبط تاجر اللؤلؤ حساب ما في حقيبته الصغيرة، لا حساب ما في البحار. وجَرَوا في أكثر المعاني السامية هذا المجرى، فرُب معنًى تجده مِلءَ السماوات والأرض وما تجد له من صفة تحدّ إلّا وهى حدٌّ لصفة أخرى، ومع ذلك تراهم يدمجونه في لفظة واحدة مقتضبة، لا ليُعرَف بها معرفةً صحيحة تصفه كما هو، ولكن ليؤثّر التأثير الذي يقوم في الإنسان مقام المعرفة الصحيحة، فإن الناس يعيشون بهذا التأثير في معظم أمورهم، ويعتدونه علمًا وإحاطة.

وهذه اللغة الناقصة التي تصوّر الطبيعة وتحدُّها هي في ذلك كالعَين التي ترى الطبيعة لتصفها باللغة؛ وما اللغة في الحقيقة إلّا نظرٌ عقليٌّ بل هي ألفاظ النظر، وما العين من الطبيعة إلا كالمرآة التي تقابلك بالشيء كما هو لتفهمه أنتَ كما تريد.

مصطفى صادق الرافعي

نشيد أحمد شوقي لجمعية الشبان المسلمين

العزُّ للإسلام منارة الوجود

هداية الإمام ومطلع السعود

عصابة الصدّيق وراية الفاروق

والحـق والـوسيلـة والسمحةُ الظليلة
ومـعـقـل الـفـضيلـة وغـابـة الأسـود

❀ ❀ ❀

الـفُـرسُ فـي لـوائـهِ والـهـنـد فـي ضـيـائـه
فـي الأرض صـار كـالـعـلـم بـغـرَّةٍ تـمـحـو الـظُّـلَـم
بـيـن الـكـتـاب والـقـلـم مـظـفـر الـجـنـود

❀ ❀ ❀

الـشـام مـن أسـرَّتـه ومـصـر نـور غـرّتـه
مـن هـالـة لـهـالـه يـمـزق الـجـهـالـه
ويـهـزم الـضـلالـه ويـحـطـم الـقـيـود

❀ ❀ ❀

عـلاقـة الـقـلـوب وعـروة الـشـعـوب
مـشى هـدى ورحمـهْ بـيـنـهـمُ وذمـهْ
فـليس بـين أمـهْ وأخـتـهـا حـدود

❀ ❀ ❀

شعرنا القصصي - الكرم العربي

لم يعدَم الأدبُ العربيُّ في عصرٍ من عصوره رجالًا طرقوا أكثر الفنون التي يزعم أعداؤه إنه خلوٌ منها؛ ومنها الشعر القصصي.

نعم إن العرب لم يُعنوا به عنايتهم بغيره من أبواب الشعر، ولكن تلك العناية كانت تقتضيها البيئة، وتهيئها الظروف. وإنهم مع هذا كله أبقوا لنا تراثًا جليلًا وآثارًا قيمة فيه. منها هذه القصيدة البديعة من مشهور شعر الحطيئة قال:

وطاوي ثلاثٍ عاصبِ البطنِ مُرملٍ ببيداءَ لم يعرفْ بها ساكنٌ رسما(١)
أخي جفوةٍ فيه من الأنس وحشة يرى البؤسَ فيها من شراستهِ نَعما(٢)
تَفرّد في شِعب عجوزًا إزاءها ثلاثةُ أشخاصٍ تخالُهم بَهما(٣)
حُفاةٌ عراةٌ ما اغْتَذَوا خُبزَ مَلّةٍ ولا عرفوا للبُرِّ، مذُ خُلِقوا، طعما(٤)
رأى شبَحًا وسط الظلام فراعهُ فلما رأى ضيفًا تصوّر واهتما
تروّى قليلًا ثم أحجم بُرهةً وإن هو لم يذبَحْ فتاهُ فقد همّا
فخرَّت نحوصٌ ذات جحش فتيةٌ قد اكتنزت لحمًا وقد طبقت شحما(٥)
فيا بِشرَه أن جرَّها نحو أهله ويا بشرهم لما رأوا كِلمها يَدمى
وبات أبوهم من بشاشته أبًا لضيفِهم، والأم من بشرها أُما
وباتوا كرامًا قد قضوا حق ضيفهم وما غرموا غُرمًا وقد غنموا غُنمًا

خطرات أفكار للحكيم تولستوي

* خيرُ الشراب ما يتناوله المرء عندما تكون في فمه كلمة سوء، فيمنعه من النطق بها، ويساعده على ابتلاعها.

---

(١) الطاوي: الجائع. ثلاث: ثلاث ليال. عاصب البطن: يشده بحزام ليضمر فيخفف من ألم الجوع. المرمل: المحتاج.
(٢) أخي جفوة: بدوي جافي الطبع.
(٣) تفرد: اعتزل الناس. الشِعب: المنفرج بين الجبلين. عجوزًا: يعجوز (نُصب بإسقاط الياء الخافضة على غير قياس). البَهم: أولاد الضأن والمعز، واحدها بهمة، شبه بها أولاده.
(٤) خبز المَلة: هو الذي يُخبز في الرماد الحار.
(٥) النحوص: الأتان الوحشية. الجحش: ولدها.

* الفاضل من كان حُرًّا في نفسه. وليس حُرًّا في نفسه مَن يغلبه الغضب، أو يستسلم للأوهام والمخاوفَ.

ومن لم يكن حرًّا في نفسه فإن له سمعًا ولكنه غير سميع، وله بصر ولكنه غير بصير، وله ذوقٌ غير أنه لا ينتفع به.

* إذا زهّدَكَ رجلٌ في طلب الحقيقة بحجة أن الحقيقة لا تُدرك كاملة، فاتَّهِمْ هذا الرجل واحذرْه، فإنه عدوٌّ لك وللحقيقة. وإنما حمله على تزهيدك فيها أنه قد أضلّها، وكلما شعر بضلاله كان حريصًا على استمالة غيره إلى هذه الحياة الضالة.

* يخيَّلُ إليك أن عدوَّك مَن تغضبُ عليه، والحقُّ أن عدوَّك هو الغضب نفسه. فأسرع إلى مصافاة من خاصمتَ، تخلصْ من عاطفة الغضب القاتلة التي ملأت نفسك.

* الصدقُ مطلوبٌ في الأمور التافهة بقدر ما هو واجب في جلائلها. وليس المهم ما يترتب على الكذب من شرّ، بل المهم أن لا تلطّخ نفسك بالكذب.

* إذا اجتمعتْ قطراتُ الماء ملأتْ بئرًا، كذلك الشرُّ تمتلئ به النفس البشرية بالتدريج. وكما ترتد إليك الورقة إذا رميتها في تيار الهواء الذي يجري نحوك، كذلك الشرّ يعود إلى صاحبه كلّما صدر منه. وإن الشر أو الغضب إذا دخل قلب المرء فلا سبيل إلى الخلاص منه سواء كان صاحبه في الجو أو في البحر أو بين الجبال أو في أي مكان من العالم. فاذكر هذا.

* النساء أسرع اكتسابًا من الرجال، ولذا كنّ في أعصر الفضيلة خيرًا من الرجال. أما في هذا العصر الفاسد - عصر العيوب والخلاعة - فهن أسوأ منهم.

الحديقة

مجموعة أدب بارع، وحكمة بليغة

الجزء الثامن

انتقاها

الكاتب الإسلامي الكبير

محب الدين الخطيب رحمه الله

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إضبارة أخرى من الصحف التي أجمع فيها لـ«الحديقة» ما يقع عليه الاختيار من منظوم القدماء والمحدثين ومنثورهم، أضعها بين أيدي قرائي، حامدًا ربى - جل جلاله- على ما أنعم عليّ من ارتياح أفاضلهم إلى هذا العمل، وتنويههم به، و صلى اللّه على نبينا محمد، وعلى مجددي دعوته، وسلم تسليمًا كثيرًا.

محب الدين الخطيب

ظلُّ البردة

الأستاذ الشيخ/ محمد عبد المطلب

أغرى بك الشوق بعد الشيب والهرم … سارٍ طوي البيد من نجدٍ إلى الهرم
يا ساري الطيف يجتاب الظلام إلى … جفنٍ مع النجم لم يهدأ ولم ينم
يغريه بالدمع حادٍ بات مرتجزًا … يحدو المطيّ لأجراع بذي سلم
إذا خفا البرق أذكى في جوانحه … نارًا تؤرثها الذكرى بلا ضرم
يا برقُ مالك لا تحكي في جوانحه … إذا تألقت ليلًا في نديّهم
ويا صبا رَوّحِي رُوحِي فقد ذهبت … بها النوى بعد عهد البان والعلَم
يا ساكني البان طال البين في غِيرٍ … أربت على الصبر فاستعصى على الهمم
واستأسدت نُوب الأيام فاجترأت … بنات آوى على الأشبال في الأجم
لله أيامنا والدهر معتمل … يسعى إلى ما أردنا سعي محتدم
لله أيامَ كنا والوجود لنا … يجرى القضاء بما شئنا على الأمم
إذ يرفع اللّه بالدين الحنيف لنا … على الذرى دولةً خفاقة العلم
في سَورة العز والمجد الذي سلفت … بُشرًا به غرر الأجيال في القدم
مجدٌ بناه الذي فاض الوجود به … نورًا له قامت الدنيا من العدم
طه أبو القاسم المبعوث من مُضر … والمجتبى رحمةً للناس كلهم
ولو تري قبله الدنيا وما لقيت … من البلاء وما ذاقت من النِقم
والناس ضُلال قفرٍ في مسارحها … هيمٌ من السرح أو غُفل من الغنم
ضلوا سواء النهى فاستمسكوا عَمَهًا … بكل حبل من الأهواء منجذم
هاموا بكل سبيل في غياهبها … من يخطئ القصد في ليل الهوى يهم

فأوردتهم ظلماء كل مُهتلك ... يشوبه الكفر بالأقذاء والوخم
تفرقوا شيعًا في الكفر وانقسموا ... شتى فباءوا بما يخزي من القسم
هذا عن الحق بالأفلاك في عمه ... وذاك بالدار عن نور الجلال عمي
وذا يؤله من لا يستجيب له ... من ناطق بشر أو صامت صنم
قبائل وشعوب لا يعطّفها ... إخاء صدق ولا قربى من الرحم
وسوقة وملوك حال بينهما ... ما حال بين سباع الجو والنَعم
هذا على العرش مخمور بعزته ... يزجي أولئك في الأجناد والخدم
إن عبَّد الروم في بُصرى قياصرها ... ففي مدائن كسرى مَهلك العجم
من قال بالعقل غال السيف هامته ... ومن يسم يوم عدلٍ بالردى يُسم
والجاهليون بالأحقاد في لهب ... من العداوة والبغضاء محتدم
في يعرب ومعدٍّ كل بائقة ... نسقيهم الموت في الغارات والأزم
إن أتهموا فركاب الموت مُتْهَمة ... أو أنجدوا فالردى موفٍ على القمم
جهل مبيد وفوضى عبّ زاخرها ... والعيش بين الضنى والفتنة العمم
لولا قريش سقى اللَّه الوجود بها ... غوثًا من الأمن في غيثٍ من الديم
قوم إذا ابتدر الناس العلا نهضوا ... في زاخر من تليد المجد ملتطم
هم خيرة اللَّه مذ كانوا وصفوته ... وجيرة اللَّه فازوا منه بالذمم
أبناء فهر بنيتم في البطاح لنا ... مجدًا تأثل بين الحل والحرم
كنتم نظامًا لأقوام قضوا حقبًا ... من الزمان بلا شمل ولا نظم
يا موئل الناس والأيام راجفة ... بأهلها وسعير البأس في حدم
وعصمة الناس إن ضاق الفضاء بهم ... فاءوا إلى ملجأ منكم ومعتصم
يا مطعمي الناس إن أكدى الغمام ويا ... ريَّ الحجيج إذا يوم الهجير حمي
تصوّب المجد من أعلى ذوائبكم ... نورًا أطل على الآفاق من شمم

مسراه فى شرف الأصلاب منتقلًا ... بين القبيلين من طود إلى علم

حتى أقلته في عُليا مشارقه ... زهراء زُهرةَ ذاتُ الطهر والعصم

من ذا الذي حملت تلك البتول ومن ... قامت لمقدمه الدنيا على قدم

نور من اللَّه سواه وصوره ... خلقًا وزكاه بالآداب والحِكم

في الشرق والغرب آيات تطوف بها ... رسل البشائر من شادٍ ومرتسم

في ليلة لم تر الدنيا لها مثلًا ... فيما تقضى من الأجيال والأمم

تنفست عن سنا شمس الوجود بدا ... في موكب من جلال اللَّه منتظم

روح الحياتين نور القريتين إما ... م القبلتين صفيُ اللَّه في القدم

لاحت مخايله تنبيك أن له ... قدرًا تفرد في السادات بالعظم

المجد محتده والمين مولده ... والحمد مورده معنى اسمه العلم

يرمي النجوم بعين في تقلبها ... معنىً يفوت مدى الأفلاك والنجم

يا أحمد الرسل ما هذا الجلال به ... جمال هذا المحيا باهر السيم

ما هان باليُتم لكن زاده خطرًا ... وقد يهون بنو السادات باليتم

لما دعوا أحمد اهتز الحمى وبدا ... لآل عبد مناف صدق جَدهم

واستقبل الدهر بالنُعمى مراضعه ... إلى هوازن يحدو الغيث بالنعم

يا سعدُ حيّ بني سعدٍ بما صنعت ... فتاتهم، وانشرِ البشرى بحيهم

خير المراضع من أم القرى رجعت ... أمًا لأكرم مكفول وملتزم

فما استقرت به حتى أناخ بهم ... من جوده كل جود بالندى رزِم

ما زال ينمو ويسمو في مناقبه ... نماء نجدٍ بما شاء الجلال سمي

فيه شمائل عبد اللَّه تعرفها ... عن شيبة الحمد عن عمرو عن الحكم

سمح وقور أمين صادق فطِن ... عف قدير وَصول مانع الحرام

شمائل قصّرت عن درك أيسرها ... أهل النُهى من قريش أو بني جُشم

وهمة أصغرت ما أكبرت سفهًا تلك النفوس وكانت موطن الهمم
لما أظلّ الورى إبان دعوته وثار نور الهدى يسطو على الغمم
أوفى على قلبه داع أهاب به من جانب القدس هذا نورنا فشم
نور أضاء بقلب صاغ جوهره من المكارم قدمًا بارئ النسم
قلبٌ جرى فيه أن اللَّه حمّله عبء البرية من عُرب ومن عجم
وحوله من قريش كل معتقم في حمأة الكفر يهوى خلف معتقم
فاستوحشت بينهم نفس له أنست بوحشة البيد وارتاحت إلى الوجم
مستأنسًا بجلال اللَّه يشهده في الغار بين خشوع البيد والألم
حتى تبين أعلام النبوة في ما قد رأى ثم لم يرتَب ولم يهم
أوحى إليه كما أوحى إلى رسل من قبله بالهدى والملة القيم
بالنور بالحق بالفرقان أرسله الله الذي علم الإنسان بالقلم
هناك زُلزل قوم حين قال له قم منذرًا وبحبل اللَّه فاعتصم
فالكفر يرجف والأصنام واجمة والحق جذلان والطاغوت في سدَم
فاعجب لأحلامهم طاشت وكم رجحت على شماريخ رضوى أو على إضم
واعجب له كيف يدعو وحده أممًا عن دعوة الحق بالأهواء في صمم
من كل أصيد يطوي في جوانحه على الضلال حنايا الوالد الرخم
أن قام باللين يسترعي ضمائرهم رأيت كل حمي بالخنا عرم
أو جاء بالآي مدوا في الخصام له حبال ألوى على حكم الهوى خصم
يحنو عليهم وإن صدوا يُعلمهم رفق الولي وبر السيد الخذم
وكم طغوا لم يقابلهم بما صنعوا قلبٌ تخلى عن العدوان والأضم
ومن يقد مثله قومًا أحلهم منه بمنزلة الأبناء والحشم
يدعوهم وكتاب اللَّه آيته يهدي إلى الرشد بالبرهان والحِكم

يتلوه في أحرف جاء الأمين بها وحيًا من اللَّه في نظم من الكلم
لم يبق حين تحداهم به لسن إلا تردى شعار العي واللسم
وإذ قضى العجز فيهم حكمه فزعوا واستنجدوا بالقنا والصارم القضم
إلا فريقًا جلا نور اليقين لهم عن ظلمة الشك بالعرفان والفهم
لم يكذب الرأي أم المؤمنين بما تخيلت فيه من نُبل ومن عظم
ولم يفت نظر الصديق ما جمعت فيه النبوة من آي ومن علم
ولا أضل عليٌّ والصبا غَدَر في صدق أحمد رأى الحاذق الفهم
ثلاثة في ميدان الهدى سبقوا فأحرزوا قصب الحسنى بسبقهم
جلّوا وصلى على آثارهم نفر سنوا الهدى لبني الدنيا بهديهم
من كل أبلج سامٍ في أرومته من آل فهر كبير القلب ذي شمم
وكل أروع نجد في حفيظته من أهل يثرب لا نكس ولا برم
صيد صناديد في يوم الردى صُبر غرٌّ أماجيد كشافون للغمم
لما تمادت قريش في عداوته وبيتوا قتله تدبير معتزم
قامت يد اللَّه تخزيهم وتنصره من ينصر اللَّه يعصمه فيعتصم
رد القضاء عليهم سوء ما مكروا فلم يبوءوا بغير الخزي والندم
يا طيب للغار آواه وصاحبه وللحمام بما أسدت من الخدم
والعنكبوت لها في نصره عمل عن درك آياته جفن الضلال عمي[1]
من يحمه اللَّه سوّى في الوفاء له بين الجماد وبين الناس والبهم
لما نحا يثرب اهتز الحمى وبكت وِرق الرُّبى لبكاء البيت والحرم
ما حل طيبة حتى حل حبوته للسيف يدعو بأمر اللَّه والقلم

---

(١) قصة الحمام والعنكبوت لم تثبت. انظر: السلسلة الضعيفة؛ للألباني (١١٢٨).

تأذن اللَّه أن تغشى كتائبه … منازل الشرك في نجدٍ وفي تهم
وقام أهل المصلى والعقيق على … نصر النبي بعهد غير منفصم
وشيمت البيضُ واهتز الحجاز لها … واستنت الخيل من شوق إلى اللجم
والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا … فالحرب أجدى على الدنيا من السلم
ومعشرًا سلموا لله أنفسهم … تبينوا الربح في بيع وفي سلم
لله ما أرخصوا من أنفس ذهبت … في اللَّه غالية الأقدار والقيم
ألقوا على الدهر من أيامهم عبرًا … وساوروا الموت فاستخذى لبأسهم
سل نسج داود إذ هم يخطرون به … في كل مصطرخ عال ومصطدم
وسل شبا البيض كم شبوا بها لهبًا … على الطواغيت في أيامها الدهم
في اللَّه ما جردوا منها وما غمدوا … في اللَّه ما سفكوا من أنفس محتكم
والخيل تعلم كم دكت سنابكها … مما بنى الكفر من دار ومن أجم
لله يوم ببدر جر أيومَه … على العدا كل ماضٍ بالردى خذم
يومٌ قضى الحق لا يومٌ جرى سفهًا … بالأنعمين ولا يومٌ بذي حسم
يوم بني اللَّه أركان الحنيف به … على دعائم عز غير منهدم
صفت سماء الليالي منذ ليلته … على الأنام فلم تظلم ولم تغم
يا قائد الجيش يسعى تحت رايته … من عسكر اللَّه جند غير منهزم
إن كان جبريل من أركان حربك في … بدر فحمزة والكرار في الحشم
في آلك العز مذ كانوا وهم بشرٌ … ما في الملائك من أيد ومن كرم

حقائق

* خيار خصال النساء شرار خصال الرجال: الزهو، والجبن، والبخل.

علي بن أبي طالب ﷺ

* إنما ينشىء الصحيفة قراؤها لا كتابها.

جرار دين

* كثرة الكلام تذهب بجوهر الأفكار، وما تبرح تحول ذهبها إلى دراهم زائفة حتى يظهر صاحبها فقيرًا.

كارمن سيلفا (ملكة رومانيا)

الاعتدال والبساطة

قال شارل وانير:

«من شاء أن يربى أبناءه على مبادئ الحرية فلينفث فيهم من روح الاعتدال والبساطة، ولا يخش تأثير ذلك في السعادة، فإن الاعتدال من أسباب الحصول عليها، لا من الوسائل المؤدية إلى الشقاء والنكد».

الإمام

أيبدأ الأدب في عصرنا أم ينتهي؟ وهل تراه يعلو أم ينزل، ويستجمع أم ينفضّ؟ وهل هو من قديمه الصريح بعيد من بعيد، أم قريب من قريب، أم في مكان سواء بينهما، أم ذهب يستحدث ويخترع على ما يصرفه أهله حتى يؤرخ بهم، فيقال أدب فلان وطريقة فلان ومذهب فلان، إذ لا يجرى الأمر فيما علا وتوسط ونزل إلا على إبداع غير تقليد، وتقليد غير اتباع، واتباع غير تسليم، فتصيب الرأي في طبقة طبقة إلى ما يعلو، كما تراه في طبقة طبقة إلى ما ينزل، حتى ليس في كل كلام إلا المتكلم، وحتى يكون الإنسان الجالس في الكتاب هو كاتبه، كما أن الحي الجالس في كل حي هو مجموعه العصبي، فيخرج ضرب من الآداب كأنه نوع من التحول في الوجود الإنساني يرجع بالحياء إلى ذرات معانيها، ثم يرسم هذه المعاني مثل ما أبدعت ذرات الخليقة في تركيب من تركيب، حتى لا يكون للأديب تعريف إلا أنه المقلد الإلهى!

هذه معانٍ لو ذهبتُ أفصلها لاقتحمتُ تاريخًا طويلًا أمر فيه بعظام مبعثرة في ثيابها لا في قبورها ولكنى موجزٌ فمقتصر على معنى هو جمهور هذه الأطراف كلها وإليه وحده يرجع ما نحن فيه من التعادي بين الأذواق والإسفاف بمنازع الرأي والخلط والاضطراب في كل ذلك، حتى أصبح أمر الأدب على أقبحه في قوم يرونه على أحسنه؛ وقيل في الأسلوب أسلوبٌ تلغرافى. وفى الفصاحة فصاحة مطبعية. وفى اللغة لغة الجرائد. وفى الشعر شعر المقالة، ونجمت الناجمة من كل علة ويزين لهم أنها القوة قد استحصنت واشتدت، ثم نازع الأدب العربي إلى سخرة التقليد، والى أن يكون لصيقًا دعيًّا في آداب الأمم، واستهلكه التضييع وسوء النظر له، على حين يؤتى لهم أن كل ذلك من حفظه وصيانته وحس الصنيع فيه ومن توفير المادة عليه.

أين تصيب العلة إذا التمستها من حيث تعتري؟! أفي الأدب من لغته وأساليب لغته ومعانيه وأغراض معانيه؟ أم في القائمين عليه في مذاهبهم ومناحيهم وما يتفق من أسبابهم وجواذبهم؟ إن تقل في اللغة والأساليب والمعاني والأغراض، فهذه كلها تصير إلى حيث يراد بها، وتتقلد البلية من كل من يعمل فيها، ولا يتخلع معها شيء عن طاعة، ولا يمتنع ولا يتدافع، وقد استوعبت واتسعت ومادّت العصور الكثيرة إلى عهدنا فلم تؤت من ضيق ولا جمود ولا ضعف، ثم هي مادة ولا عليها ممن لا يحسن أن يضع يده منها حيث يملأ كفه أو حيث تقع على حاجته. وإن قلت إن العلة في الأدباء ومذاهبهم ومناحيهم ودواعيهم وأسبابهم، سألناك: ولم قصروا عن الغاية؟ ولم وقعوا بالخلاف؟ وكيف ذهبوا عن المصلحة؟ وكيف اعتقمت الخواطر وفسدت الأذواق مع قيام الأدب الصحيح في كتبه مقام أمة من أهله أعرابًا وفصحاء وكتابًا وشعراء وقبائل أخرى؟ ومع انفساح الأفق العقلي في هذا الدهر واجتماعه من أطرافه لمن شاء، حتى لتجد عقول القارات الخمس تحتقب في حقيبة من الكتب أو تصندق[1] في صندوق من الأسفار، وأصبح الهواء الفكري في هذه الإنسانية يأخذ منه كل من كانت له «رئة مترجمة»، كما يأخذ من الهواء ونور الشمس.

كيف ذهب الأدباء في هذه العربية نشرًا متبددين تعلو بهم الدائرة وتهبط، فكلٌ أعلى وكلٌ أسفل، هذا فلان مثلًا قد أحاط بالشعر عربيه وغربيه، وهو ينظمه وَيَفْتَنُّ في أغراضه ويولد ويسرق ويسلخ وينسخ ويمسخ. . . . . . . وقد ملأه أنه شاعر وأنه ملء جريدة يومية، بل هو عند نفسه الشاعر الذي فقدته كل أمة من تاريخها. . . . . . . ووقع في تاريخ العربية وحدها ابتلاءً ومحنة إذ كانت تظهره الإنكليزية أو الفرنسية أو الألمانية في زعمه، فأظهرت العربية هذا

(١) وضعناها على قياس «تحتقب».

النجم. . . . . . .مظهر حصاة ملقاة بين الحصى، ويطبع الرجل ديوانه ويقع إليّ هذا الديوان فأنظر فإذا هو قد فتّر وقصّر ومرّض، وأكاد أقول وموّت. . . . . . . وإذا شعرٌ كأنما تتوهم من قراءته تقطيع ثيابك. . . . . . .إذ تجاذب نفسك لتفر منه فرارًا، وإذا أكثر الكلام كأنه لم تنشق به الشفتان، بل خرج غمغمة مصورة، وإذا جملة الأمر في دعوى الشاعر وعمله أنه يرتفع إلى أقصى السماوات على جناحي ذبابة. . . . . . .

أين يكون الزمام على مثل هذا ليعرف ما هو فيه كما هو فيه؟ وليضبط رأيه وهواجسه، وليعلم أن حسابه عند الناس لا عند نفسه: فواحدته عندهم واحدة وإن توهمها مائة، وليستيقن أن مهندسًا يخطط المدن فوق السحائب التي تمر بالأفق لا يجد لها سكانًا إلا من الأبخرة. . . . . . .فمتى قال الناس غلط فقد غلط، ومتى قالوا سخيف فهو سخيف، ولكنك تجده بابًا واحدًا لفساد ذوقه وضعف مذهبه، ومتى كانت هذه طبيعته وطبيعة أمثاله، فليس بينهم وبين الناس إلا العناد والمكابرة، وخطؤهم خطأ أبدًا بلا صواب، وغلطهم غلط بلا تحقيق، وكأنهم مسخرون بالجبرية على قانون من التدمير والتخريب فليس إلا طبيعة، عمياء لا بصر لها، باغية لا إنصاف معها، نافرة لا مساغ إليها، متهمة لا ثقة بها، ويتحول كل شيء فيها إلى أثر منها كما يتحول من ماء الشجر في العود الرطب المشتعل إلى دخان أسود، من ذلك فشت هذه الفاشية، ومن ذلك ما بيننا اليوم من هذا الصنف من الأدباء والشعراء والكتاب الذين انتقلت طبائعهم أو زاغت بصائرهم، فما دخلت المحنة على عقولهم من أنه لا زمام عليها، وفى العمى تتساوى الجهات كلها، فيكذب الأعمى وإن كان يحمل على كذبه شهادتين من يمينه وشماله.

يرجع هذا الخلط كله في رأيي إلى سبب واحد: هو خلو العصر من «إمام» يكون ملء الدهر في حكمته وعقله ورأيه ولسانه ومناقبه وشمائله، فإن هذا الإمام يخص دائمًا بالإرادة التي ليس لها إلا النصر والغلبة، والتي تعطى القوة على فتل الصغائر والسفاسف، وهو إذا أُلقي في الميزان عند اختلاف الرأي وضع فيه بالجمهور الكبير من أنصاره والمعجبين بآدابه والسواد الغالب من كل الفاعليات المحبطة به والمنجذبة إليه، ومن ثم تتهيأ قوة الترجيح ويتعين اليقين والشك، والميزان اليوم فارغ من هذه القوة، كأنه خارج على قانون الجاذبية فلا يُرجح ولا يعين.

ومكانة الإمام تحد الأمكنة، ومقداره يزن المقادير، فيكون هو المنطق الإنساني في أكثر الخلاف الإنساني. تقوم به الحجة فتلزم وإن أنكرها المنكر، وتمضى وإن عاند فيها، ويؤخذ بها وإن أصر، لأن بالإجماع على القياس يبين التطرف في الزيادة أو التقصير، والإجماع إذا ضرب ضرب المعصية بالطاعة، والزيغ بالاستقامة، والعناد بالتسليم، فيخرج من يخرج وعليه وسمُه، ويزيغ من يزيغ وفيه صفته، ويصر المكابر واسمه المكابر ليس غير، وإن هو تكذَّب وتأول.

ولكل القواعد شواذ، ولكن القاعدة هي إمام بابها، فما من شاذ يحسب نفسه منطلقًا مخلىً إلا هو محدود بها مردود إليها، متصل من أوسع جهاته بأضيق جهاتها، حتى ما يعرف أنه شاذ إلا بما تعرف به أنها قاعدة، فيكون شأنه في نفسه بما تعين هي له على مكرهته ومحبته.

والإمام ينبث في آداب عصره فكرًا ورأيًا، ويزيد فيها قوة وإبداعًا، ويزين ماضيها بأنه في نهايته، ومستقبلها بأنه في بدايته، فيكون كالتعديل بين الأزمنة من جهة، والانتقال فيها من جهة أخرى، لأن هذا الإمام إنما يختار لإظهار قوة

الوجود الإنساني من بعض وجوهها وإثبات شمولها وإحاطتها، كأنه آية من آيات الجنس يأنس الجنس فيها إلى كماله البعيد، ويتلقى منه حكم التمام على النقص وحكم القوة على الضعف وحكم المأمول على الواقع، ويجد فيه قومه الاستطالة التي لا يُعار عندها مبطل بعناد، والحقيقة التي لا يكابر فيها متنطع بتأويل، والصاخّة التي لا يروغ منها متعسف بحيلة، ولن يضل الناس في حق عرفوا حده، فإن ما وراء الحد هو التعدي، ولن يخطئوا في حكم أصابوا وجهه، فإن ما عدا الوجه هو الخلاف والمراء.

وقد طُبع الناس في باب القدوة على غريزة لا تتحول، فما انفرد كان هو القدوة، وما غلب كان هو السَّمْت، ولابد لهم ممن يقتاسون به ويتوازنون فيه حتى يستقيموا على مراشدهم ومصالحهم، فالإمام كأنه ميزان من عقل، فهو يتسلط في الحكم على الناقص، والوافي من كل ما هو لسبيله، ثم لا خلاف عليه إذ كانت فيه أوزان القوى وزنًا بعد وزن، وكانت به منازل أحوالها منزلة منزلة.

هو إنسان تتخيره بعض المعاني السامية لتظهر فيه بأسلوب عملي، فيكون في قومه ضربًا من التربية والتعليم بقاعدة منتزعة من مثالها مشروحة بهذا المثال نفسه، فإليه يرد الأمر في ذلك وبتلوه يُتلى وعلى سبيله يُنهج، فما من شيء يتصل بالفن الذي هو إمام فيه إلا كان فيه شيء منه، وهو من ثم متصل بقوى النفوس كأنه هداية فيها، لأنه بفنه حكم عليها، فيكون قوة وتنبيهًا وتسهيلًا وإيضاحًا وإبلاغًا وهداية وحدًّا، ويكون رجلًا وإنه لمعانٍ كثيرة،، ويكون في نفسه وإنه لفي الأنفس كلها، ويعطى من الإجلال ما يكون به اسمه، كأنه خَلْقٌ من الحب طريقه على العقل لا على القلب.

ولعل ذلك هو حكمة إقامة الخليفة في الإسلام ووجوبها على المسلمين، فلابد على هذه الأرض من ضوء في لحم ودم، وبعض معاني (الخليفة)

كبعض معاني (الشهيد المجهول) في الأمم المحاربة المنتصرة المتمدنة: رمز التقديس، ومعنى المفاداة، وصمت يتكلم، ومكان يوحي، وقوة تستمد، وانفراد يجمع، وحكم الوطنية على أهلها بأحكام كثيرة آخرها الموت، بل الحرب مخبوءة في حفرة، والنصر مغطى بقبر، بل المجهول الذي فيه كل ما ينبغي أن يُعلم.

ألا ترى العدل الإلهي يقضي أحيانًا بنكبة بعض الملوك وإفقار بعض كبار الأغنياء؛ ليندسوا بين السوقة، فيكونوا خلفاء الشرف العالي والأخلاق الكريمة، وينزلوا بهما إلى العامة في مثال تعليمي يصدع ما لا تصدع الكتب، ويبلغ ما لا تبلغ المواعظ، ويضيء ما لا يضيء ملَك الوحي نفسه؟(١)

إن هذا العصر ينقصه الإمام، ولعمري ما نشأ قولهم (الجديد والقديم) إلا لأن هاهنا موضعًا خاليًا، يظهر خلاؤه مكان الفصل بين الناحيتين ويجعل جهة تنحاز من جهة...

فليت شعري متى ينبغ الإمام الجديد فتفصل الكلمة الفاصلة، وتترادف لها أدلة الحقيقة، وتتظاهر عليها برهانات الحكمة، ونشهد بأعيننا هذا الإنسان الأرضي السماوي المكتنف من عقله ونفسه وآثاره بمخلوقات الأحلام الغريبة، التي لا يقوى على إنزالها إلى أهل الأرض إلا من تكون فيهم قوة الملائكة؟

مصطفى صادق الرافعي

---

(١) هذا من الغلو. (س).

الصابر العظيم

الأشقياء في الدنيا كثير، وأعظمهم شقاء ذلك الحزين الصابر الذي قضت عليه ضرورة من ضرورات الحياة أن يهبط بآلامه وأحزانه إلى قرارة نفسه فيودعها هناك، ثم يُغلق دونها بابًا من الصمت والكتمان، ثم يصعد إلى الناس باش الوجه، باسم الثغر، منطلقًا متهللًا، كأنه لا يحمل بين جنبيه همًّا ولا كمدًا.

مصطفى لطفي المنفلوطي

من كلمات سهل بن هارون

* القلم لسان الضمير: إذا رعف أغلق أسراره، وأبان آثاره.

* الصديق لا يُحاسب، والعدو لا يُحتسب له.

* تعلموا العلم، فلأن يُذم الزمان لكم، خيرٌ من أن يُذم بكم!

* العقل رائد الروح، والعلم رائد العقل، والبيان ترجمان العلم.

* التهنئة بآجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة.

* من طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى توفيه رزقه فيها، ومن طلب الدنيا طلبه الموت حتى يخرجه منها.

* العفو الذي يقوم مقام العتق ما سلم من تعداد السقطات، وخلص من تذكار الزلات.

العلم والعقل

إن الإسلام دين علم وعقل قبل كل شيء: فهو قبل أن يُكلف أتباعه تحصيل أي غرض من أغراض الدنيا يُكلفهم بأن يكونوا عقلاء صحيحي الفهم ثاقبي الفكر جيدي البصيرة، يتدبرون الأمور قبل الشروع فيها، ويقلّبون وجوه الرأي في مواردها ومصادرها، ومباديها ومصايرها. فلا تقع إلا على مقتضي الحق والعدل والمصلحة والواجب، كما يُكلفهم أن يكونوا علماء عارفين بأسباب المصالح، وطرق المنافع، واقفين على الحقائق الكونية، ملمين بتفاصيل التجارب العلمية التي اهتدى إليها البشر في سابق أدوارهم، ومختلف أطوارهم مما يتعلق بتصحيح العقائد والعبادات والمعاملات، وترقية شأن الصناعات والتجارات، وتحسين سائر مقومات الحياة.

فالقرآن لما دعا الناس إلى الإسلام، وكلفهم قبول تعليمه وهدايته كان يقيم (العقل) حكمًا بينه وبينهم، ويعجب من انصرافهم عنه، وإهمالهم له، وترك الاستضاءة بنوره، فكان يقول وهو يحاجهم: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾، ﴿عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

و(الأبصار والألباب) العقول، وقد تكرر ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ في القرآن بضع عشرة مرة في صدد التوبيخ والتعجيب، وكفى بهذا مزية ومنقبة للعقل مذ جعل للدين أصلًا، ولمصالح الدنيا عمادًا، وورد في الحديث الشريف: «**ما تم دين إنسان قط حتى يتم عقله**»[1]، «**دين المرء عقله ومن لا عقل له لا دين له**»[2].

---

(١) ضعيف الجامع (٣٠٧٢).

(٢) ضعيف الجامع (٢٩٩٤).

وإنما حرم الخمر في الإسلام خشية أن يسطو على العقل فيفسده أو يضعفه، والعقل ملاك سعادة الإنسان، وقوام حياته.

أما العلم فالقرآن رفع من شأنه ونوه بمنزلته بما لم يسبقه إليه سابق من الكتب السماوية، فقد قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾؟

بل إذا تدبرنا أول آيات القرآن نزولًا وجدناها تحض على العلم، وترفع من مكانة العلم. وهي قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ فقد نوه في الآيتين بشأن القلم والكتابة، والعلم والتعلم هذا الشأن من شؤون الحياة ومصالح الدنيا هو أول ما فاجأ به القرآن البشر المخاطبين، وأوقعه في أذهانهم.

أفلا يكون معنى ذلك أن الإسلام دين علم، وأنه لا يرضى للمنتسبين إليه إلا العلم، ولا نظن أن كلمة من كلمات القرآن -عدا كلمة (الله)- تكررت فيه بقدر ما تكررت فيه كلمة (العلم)، فالإسلام إذًا هو (دين العلم) كما أنه (دين التوحيد).

ولما أراد اللَّه أن يُلقن نبيه ﷺ دعاء يدعو به لقنه أن يطلب في دعائه المزيد من العلم مذ قال له: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾، وورد في الحديث الشريف: **«العلم حياة الإسلام وعماد الدين»**[1].

والعلم إذا أُطلق في لسان الشرع كان المراد به العلم النافع الموصل إلى سعادتي الدنيا والآخرة: ذلك العلم الذي يتعلق بمصالح البشر مباشرة، وله الأثر البين والنفع الظاهر في إتقان تلك المصالح، وإحكام أمرها، وتوثيق عراها، أما العلوم المبنية على الوهم والتدجيل فإن الشارع لا يقيم لها وزنًا.

---

(١) ضعيف الجامع (٣٨٧٢).

وكذلك حض الشارع على فهم مسائل العلم فهمًا صحيحًا، فقال ابن مسعود رضي الله عنه: «كونوا للعلم وعاة، ولا تكونوا له رواة»، أي: لا تعتمدوا في العلم على مجرد الرواية والنقل من دون أن تعوه وتحفظوه وتتدبروه، لتعرفوا طريق المصلحة والمنفعة منه.

والعلم لا ينمو في نفس صاحبه إلا بالعمل والممارسة والتطبيق: فإن العمل بالعلم على هذه الصورة يزيده ثباتًا ورسوخًا، ويؤدي إلى انكشاف أمور من ذلك العلم كانت مجهولة، وانفتاح أبواب إلى غوامضه وأسراره كانت مسدودة، وهذا الأصل في العلم مما قرره الإسلام أيضًا في جملة ما قرر من الأحكام، فقال ﷺ: **«من عمل بما علم أورثه اللَّه علم ما لم يعلم»**[1].

فالعمل بالعلم يتسبب عنه - بتيسير اللَّه - علم جديد، ومعرفة غضة لم تكن حاصلة من قبل، وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلا وعاء العلم فإنه يتسع)، ووعاء العلم هو العقل: ولا جرم أن العقل يتسع وينمو كلما مد بالعلم وغذي بمسائله، ومن كلام جعفر الصادق عليه السلام: (يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل)، والمسلمون في زمن سلفهم الصالح كانوا على غير ما هم عليه اليوم من أمر العلم والتعلم وحب الاستطلاع، والحرص على تعرف الحقائق من غير لبس، والجهر بها من دون ما خشية: فلم يكن أحد من الصحابة ولا التابعين يقبل من آخر علمًا إلا إذا عقله وتدبره وفهم السر فيه، ووجه المصلحة المتأنية عنه، ويقول لراويه: انظر يا هذا ماذا تقول؟! وخف اللَّه واحذره فيما تروي من النقول، أمّا في هذه العصور المتأخرة فقد اختلط الحابل بالنابل، واجترأ الراوي والناقل، وتراكمت على العقول الأبحاث والمسائل،

---

(١) قال الشوكاني: «رواه أبو نعيم وهو ضعيف»، (الفوائد المجموعة، ص ٢٥٨).

وصار من مقتضى الورع أن يُذعن المسلم لكل ما تنقله الرواة، وتتداوله الأفواه، وإن صادم أحيانا أصلًا من أصول الإسلام، ولم يقم عليه دليل ولا برهان، وهذه الفوضى العلمية التي خالفنا فيها سلفنا الصالح هي من أكبر أسباب انحطاطنا عنهم، وانخزالنا عن مثل مواقفهم، وفقدنا ما كان لهم من عز وصولة وملك ودولة، حتى صدق علينا مضمون الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾.

ذكر السيد (أمير علي) الهندي في كتابه «تاريخ الإسلام» أنه كان يُكتب على مدخل كل مدرسة في الأندلس هذه العبارة: (الدنيا تستند على أربعة أركان: علم الأفاضل، وعدل الأكابر، ودعاء الصالحين، وجلال الشجعان)، وكما حذر الشارع من العلم الوهمي الذي لا ينفع حذر من دعاته وحملته، ونبه الناس إلى غوائلهم، ومغبة الانخداع بهم، فقال ﷺ: **«ويل لأمتي من علماء السوء»**(١).

وعلماء السوء أنواع: الذين يحللون الحرام ويحرمون الحلال، أو يتخذون العلم حباله لحظوظهم ومنافعهم الخسيسة أو وسيلة للإضرار بالناس، أو يتعلمون من العلوم أوهامًا ينافحون دونها ليستفيدوا من ورائها جاهًا أو حطامًا: وغير هؤلاء ممن اتخذ العلم آلة شر وضر وإفساد، هؤلاء علماء السوء نعوذ بالله من شؤمهم، أما علماء الحق الذين قال فيهم ﷺ: **«أكرموا العلماء: فإنهم ورثة الأنبياء»**(٢)، **«العلماء مصابيح الأرض، وخلفاء الأنبياء»**(٣)، **«إن مثل العلماء في**

---

(١) السلسلة الضعيفة؛ للألباني (٥٢٣٥).

(٢) ضعيف الجامع (١١٢٩).

(٣) ضعيف الجامع (٣٨٨٨).

الأرض كمثل النجوم في السماء: يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة»[١]، «خُيِّر سليمان بين المال والملك والعلم، فاختار العلم، فأعطي الملك والمال لاختياره العلم»[٢]، «أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد»[٣]، «يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء»[٤]..

الشيخ عبد القادر المغربي

بطل الغار الأمير عز الدين الجزائري

عصبة الغار سلامًا وعلى الغار التحيه
ثمن المجد دماه أُهرقت منكم زكيه

ربض الليث انتظارًا لهجوم وقتال
حوله أُسدٌ شباب لا يخافون النزال
ذاك عز الدين فانظر حيثما صال وجال
ودنا الموت إليه وهو لا يخشي النِّبال

---

(١) ضعيف الجامع (١٩٧٣).
(٢) ضعيف الجامع (٢٩٣٣).
(٣) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (١/ ٢٨٦).
(٤) ضعيف الجامع (٦٤٤٧).

ومضى يفتك بالـ أعداء فتكًا بحميه
عصبة الغار سلامًا وعلى الغار التحيه

❁ ❁ ❁

صرع الأعداء لما أقبلوا مثل الذئاب
ارجعوا فالموت باب ما وراء الموت باب
ورمى القائد بالسهم فأصمى وأصاب
وهوَ الشركسُ لكن مثلما تقضي الكلاب

❁ ❁ ❁

أين موت الحر من ميتة نفس شركسيه
عصبة الغار سلامًا وعلى الغار التحية

❁ ❁ ❁

ضحك الخالد لما بات مهوى للأسنه
لقي الموت بنفسٍ للمنايا مطمئنه
ووراء الموت للأبـ ـطال ريحان وجنه
يا حفيد الليث نم أحييت للآباء سُنه

❁ ❁ ❁

أنت في كل فؤاد أنت في الخلد العليه
عصبة الغار سلامًا وعلى الغار التحيه

❁ ❁ ❁

إيه يا زين شباب الشام فدّيتَ الوطن
أنت إن لم تنصر الشام ومن فيها فمن؟
أنت باق خالد الذكرى على طول الزمن
حن للمجد فباع الروح للمجد ثمن

أيها الثائر نم تحت الظلال السندسيه

❀ ❀ ❀

عصبة الغار سلامًا وعلى الغار التحيه
ثمن المجد دماه أهرقت منكم زكيه

محمود رمزي نظيم

التبشير

أفي كل مصر لكم مستشار يراقبنا وعيونٌ نجس
وما بشّر القس والجاثليق إلا بكم، لا بروح القدُس
فريزٌ وجامعة، كل ذا معاهد شيدت لتبشيرنا
إذا مُحصت بان أن لم تقم لإحيائنا، بل لتدميرنا
وكنا نمر بها قبل أن تحل الدمار بجيرانها
فنبكى الحياة لدى بابها ونندبها بين جدرانها

محمد على الحومانى

أثر النفوذ الإسلامي في أوربا

مدام ديفونشير من أكثر المستشرقين المقيمين في مصر اطلاعًا على تاريخ الإسلام، وأوسعهم علمًا بما خلّف العرب من الآثار.

فقد شاهدت الآثار العربية في القاهرة، فلم تترك مسجدًا أو قصرًا أثريًا إلا

وقفت على تاريخه، حتى أصبحت فيما تكتب عن الشؤون المصرية من الثقات الذين يُعتد بآرائهم ويقام لأقوالهم وزن.

وقد ألقت مدام ديفونشير في دار الجمعية الجغرافية الملكية محاضرة نفيسة تكلمت فيها على (أثر النفوذ الإسلامي في الفن الأوربي)، وذكرت مشاهداتها التي قامت بها في أنحاء أوربا، وساقت كثيرًا من الأدلة والبراهين العلمية التي تؤيد صحة آرائها.

ومما ذكرته المُحاضِرَة الفاضلة: أنه لا يكاد يخلو بلد في أسبانيا أو صقلية أو إيطاليا الجنوبية أو أوربا الوسطى، حتى اسكندنافيا من أثر للفن العربي.

ثم قالت إنها طالما رأت -في رحلاتها العديدة في أوربا- ما أثار في نفسها ذكريات الشرق، وعادت مدام ديفونشير بذكرياتها إلى الماضي، فذكرت أن جاليات شرقية قد سكنت مدنًا مختلفة في إيطاليا، وأنه كان من أثر ذلك، ومن أثر التبادل التجاري بين أوربا والشرق أن دخلت الأنسجة الشرقية في أسواق أوربا.

وانتقلت مدام ديفونشير من ذلك إلى أن قالت: ولا نزال حتى اليوم نشاهد آثار الصناع المسلمين الذين نزحوا في عهد العباسيين إلى جنوب فرنسا ومنها إلى بلاد الشمال، فإن البيئات الصناعية الأوربية في ذلك العهد قد أخذت عن أولئك الصناع طريقتهم في نسج الأقمشة الجميلة، وقد بلغ من انطباع الصناعة الأوربية بالفن الإسلامي أنه لم يعد أحد في ذلك الحين بفرق بينهما.

فالنسيج المعروف حتى اليوم بالموسلين لم يأت إلا من (الموصل)، وهذا القماش الإيطالي المسمى (بالداكو) يدل معناه على كلمة الخدر أو المظلة، أما القماش الذي يسميه الإنجليز (دينيتي) فأصله من مدينة (دمياط).

لا ، بل إن الهدايا والمنسوجات الحريرية الثمينة التي كانت تُهدى إلى ملوك الغرب قد اتخذها الصُناع الأوربيون نماذج لهم في صنع الأنسجة.

ولا ننسى أن ملوك صقلية قد أنشأوا معهدًا خاصًا لتقليد الحروف الكوفية، دون أن يفقهوا لها معنى، وهنا تكلمت مدام ديفونشير على نماذج كثيرة شاهدتها في أسبانيا وإيطاليا، ثم قالت: وثمة أمر آخر لا يصح إغفاله هو أن صورة النسر ذي الرأسين - وهو الذي لا يزال شعار (تيتونيا)، إنما هي رمز آسيوي اتخذه السلاطين والأمراء الذين حكموا ديار بكر شعارًا لهم فيما مضى من الزمن، وكان أيضًا شعارًا للمماليك المصريين.

الواجب في مدح محمد ﷺ

بزغتْ؛ ولكن من جبين محمد شمسٌ تدل على سناه الأنورِ
فتهللت بشرًا ملائكة السما في يوم مولده العظيم الأكبرِ
أمحمدٌ، ولأنت أرفع رتبة من كل سامٍ في الورى وموقرِ
إني لأعجز عن مديحك عالمًا أني أعود بصفقة المتحيرِ
أطلعت شمسك فاختفت وتضاءلت كلُ النجوم وسال ذوب المرمرِ
وملأت أفئدة الخصوم بحكمة فياضة، وبهرت كل مفكرِ
وشققت جلباب الظلام بصارم تجلو مضاربة ضباب العثيرِ
وبذلتَ نفسك للصوارم والقنا بين الجحافل في العجاج الأكبرِ
نفس بشامخة النجوم وهمة أزرت بسابقة العتاق الضُمّرِ

أنت النبي الفذ ذو التبيان من قد حاط شرعته بحد الأبترِ
فرقانه كالشمس تسطع في الضُحى وحديثه كضياء بدر مُقمرِ
أقواله تهدي (الرشيد) إلى التقى وبنانه يزري براحة (جعفرِ)
ذو طلعة ردت ظلام زمانه صبحًا يزين ظلام ماضي الأعصرِ
لو شئتُ نظم فرائد من نثره أعيت وضاق بها مداد الأنجرِ
صلى عليه اللّه ما شق الدجى بدر وعاد قلامة من خنصرِ

❁ ❁ ❁

وإليكم أرسلت نفثة شاعر قعد السقام به وهذي أسطري
أقضي بها حق الوفاء لأمة سمت السماكَ بفضلها والمُشتري

بلودان (الشام)/ إلياس فاعور

أماني المقامر

لو كان المقامر يحزن على مقدار ما أضاعه دون المقادير الوافرة التي قامر عليها، وكان يرجو أن يفوز بها، لما عاد امرؤ قط إلى المقامرة بعد الخسارة الأولى.

مصطفى صادق الرافعي

محرر العالم - رأي عالم غربي

نظم الدكتور «تيسن» أستاذ الديانة المسيحية في جامعة (برمنكهام) شعرًا يمدح فيه سيدنا محمدًا ﷺ وقد ترجمته صحيفة (الجامعة العربية) الغراء فيما يلي:

يا ابن مكة، ويا نسل الأكرمين! ... يا معيد مجد الآباء والأجداد
يا مخلص العالم من ذلة العبودية! ... إن العالم ليفتخر بك
ويشكر اللَّه على تلك المنحة العزيزة ... بل ويقدر لك مجهوداتك كلها
يا نسل الخليل إبراهيم ... يا من منحت السلام للعالم
ووفقت بين قلوب البشر ... وجعلت الإخلاص شعارك
يا من قلت في شريعتك:
(إنما الأعمال بالنيات) ... لك منا الشكر الجزيل؟

مفخرة الشبان المسلمين

ألقى الشاعر المطبوع أبو الوفاء الأستاذ محمود رمزي نظيم قصيدة في نادي (جمعية الشبان المسلمين) بالإسكندرية ختمها بالأبيات الآتية:

وما حرر الأفكار إلا محمد ... فعودوا إلى تعليمه وتعلموا
محمدٌ يدعوكم لنصرة دينه ... فإن تقعدوا عن نصرة الدين تندموا
وان تنصروا الدين الحنيف نُصرتم ... وان تخذلوا الدين الحنيف خُذلتم
لعلي أرى منكم شبابًا مجاهدًا ... يناضل عن أخلاقنا ويقاوم

وإياكم أن تسمعوا قول ملحد يوسوس، أو شيطانه يتكلم
أولئك إبليس تولى أمورهم دعوه على ألبابهم يتحكم
نعم! إن روح الدين فيكم أصيلة ولكنها مطموسة تتألم
وجمعية الشبان أنتم، وحسبكم من الفخر أن الدين فيكم يُكرم
لنا أمل فيكم وأنتم رجاؤنا وهذا صراط مستقيم - تقدموا
وإن فاح ذكر للنبي محمد فصلوا على ذات النبي وسلموا

المبشرون في الشرق

زار البلاد المصرية ثم البلاد السورية في سنة ١٨٩٤م شاب إنكليزي مهذب اسمه مارماديوك بيكثول، فلبث في سوريا وفلسطين إلى سنة ١٨٩٦م، ولم ينزل في فنادقهما ويتلقف أخبارهما من جاهليها، بل دخل في صميمها ووقف على حقائقهما، بخلاف ما يفعله العدد الأكبر من بني جلدته، وكان من نتيجة هذه الرحلة أنه كتب فيها كتابًا عنوانه «الوقائع الشرقية»، فلسطين وسوريا سنة (١٨٩٤ _ ١٨٩٦م)، وطبعه في نيويورك في ٢٧٧ صفحة، وقد قارن فيه بين حياة الشرقيين وحياة الغربيين، وأصدر حكمه عن اقتناع بأن السعادة موجودة في تلك الديار الشرقية التي شغف بها حبًّا.

اطلع الأديب المشهور الأستاذ (ميخائيل نعيمة) على هذا الكتاب الإنكليزي فشعر في نفسه بدافع يدفعه إلى أن يقول كلمة حق يُرسلها بين الناطقين بالضاد، فكتب مقالة في جريدة (السائح) التي تُطبع في نيويورك، رأينا أن لا يفوتنا إطلاع قرائنا عليها، قال:

(لقد عرفت سوريا غزاة كثيرين، فلم يكن من شنار عليها -وهى الضعيفة- أن

ترضخ لقوة فوق قوتها، إلا أنها منذ أواسط القرن الماضي أخذت تشهد غزاة ما ألفت مثلهم من قبل: غزاة جاءوها لا يملكوا جسمها، بل ليقتنصوا روحها! فقد شنوا عليها الغارة بالتوراة والإنجيل والريالات والعقاقير، لا بآلات التخريب والتدمير، فكانوا أشد ضربة عليها من كل من سبقهم......

افتتح هؤلاء الغزاة سوريا باسم الدين، وحلو فيها كمساعدين ومعلمين، ولكي نقبلهم كمعلمين كان عليهم قبل كل شيء -من الجهة الواحدة- أن يثبتوا لها أنهم أوفر منها معرفة وأرقى مدنية، وأغنى أدبًا، وأجمل روحًا، ومن الجهة الأخرى أن يبينوا للذين أرسلوهم أن سوريا في أمس الحاجة إليهم، وأن الأموال التي يتبرعون بها إنما تنفق في سبيل أقدس الغايات، وهل أقدس من أن ينهضوا بأمة كاملة من الهلاك إلى الخلاص؟!...

فكان من ذلك أن المبشرين زينوا مدينتهم للسوريين كما لو أنها صفوة الكمال، فحملوهم على احتقار مدنيتهم واحتقار أنفسهم، ومن ثم فقد صوروهم -للغرباء الذين أرسلوهم- في حالة تقارب الهمجية: فمسلمهم جاهل متعصب سفاك غدار، ونصرانيهم وثني يعبد صور القديسين ولا يعرف المسيح، وكلهم كذبة خداعون لا يؤمن جانبهم ولا يقترب من مساكنهم لكثرة قذارتهم...

لنذكر أن المبشرين أصناف، وأنك -حتى بين المبشرين- قد تسمع بواحد أو أكثر ممن لا تنطبق عليهم هذه الصفات، فقد قرأت كتابًا لمبشر أمريكي يقول في سوريا وأهلها ما لا يكاد يقوله حبيب في حبيبه، غير أن هذا من النوادر التي لا يقاس عليها، كما أن الكتاب الذي نحن في صدده من الفلتات التي تفاجئك، فتكاد لا تسحب ناظريك حين تراها!

وهل تصدق أن سليل أسرة إنكليزية يقابل بين سوري وإنكليزي، فيرى السوري أرقى روحًا، وأصدق قلبًا، وأجمل حياة من الإنكليزي؟ ويزن المدنية

الشرقية والمدنية الغربية فترجح الشرقية في ميزانه؟

ذاك ما نقرأه في كتاب مارمديوك بكثول الذي دعاه «الوقائع الشرقية».

مارمديوك بكثول لم يقصد سوريا -وهي موطن المسيح- ليبشرها بالمسيح، أو يقودها من مجاهل مدنيتها الشرقية إلى رياض المدنية الغربية! بل إنه -وهو في الثامنة عشرة من سنيه- كان يشعر بجاذب قوى إلى الشرق، وإذ أخفق في امتحانه للحصول على رتبة قنصل في الشرق الأدنى أشفقت عليه أمه، وزودته برضاها وبمالها ليزور الشرق الذي أحبه، فقصد أولًا مصر، ومنها انتقل إلى فلسطين، وهناك اصطحب خادمًا سوريا اسمه رشيد، وترجمانًا اسمه سليمان، وبرفقتهما أخذ ينتقل من بلد إلى بلد في فلسطين وسوريا: فارتدى ثيابًا سورية، وكان يأكل الأطعمة السورية، وينام في بيوت سورية، ويحاول أن يسلك في كل شيء كما لو كان أمن أبناء البلاد، وهكذا تسنى له ما ليس يتسنى لكثير سواه من السياح والمبشرين، وذاك أن يدرس حياة البلاد من كل وجوهها، فيعرف أزياءها وعاداتها وأخلاقها، ويرافقها في أفراحها وأتراحها، ويصل إلى ينابيع قواها الروحية، وإلى الجذور التي يرجع إليها كل مظاهر حياتها، قضى بكثول في تلك الحالة سنتين (١٨٩٤ _ ١٨٩٦م)، وهذا الكتاب هو نتيجة اختبار أنه في تينك السنتين، وهي الاختيارات التي جعلها في قوالب قصصية هي دروس خلقية وصور كلامية أكثر منها قصصًا للتسلية، وإليك بعض ما يقوله المؤلف في مقدمة الكتاب بعد أن يخبرك كيف خلع مدنيته الإنكليزية وأزياءها، وارتدى الأزياء السورية لينغمس في حياة البلاد.

فدهشت لما لقيته في تلك الحياة من الراحة والحرية، وقبل ذلك لم أر قط في حياتي شعبًا سعيدًا، وأما هؤلاء القوم فكانوا سعداء، أجل قد يكونون فقراء، غير أنهم لا يحلمون بالغنى، ولا علم لهم بالمضاربات للكسب، ولا يعرفون من المباريات إلا مباراة الفروسية، فأجور العمال وأجور المساكن وغير

ذلك من المتاعب التي نحن نعانيها لم يسمعوا بها على الإطلاق، وليس بينهم طبقات مثلما بيننا، فأوضعهم يخاطب أرفعهم كما لو كانا من طبقة واحدة.

إن بينهم إخاءً صادقًا، بقطع النظر عما يكون بينهم من تفاوت في الرتب.

إنك لتعجب بعد هذا عندما تسمع بكثول يقول: وقد رأى الغرب ماسكًا بخناق الشرق (ليعلمه) كيف يحكم نفسه بنفسه: (لقد خيل إليّ أن الشعوب المعذبة في حياتها زاحفة على الشعوب المطمئنة لتسلبها طمأنينتها، ولا دافع يدفعها إلا سوء حالها، وشدة تعسها، والأعوام التي تعاقبت منذ ذاك الحين حتى اليوم لم تزد ذلك الخيال إلا جلاء، غير أن في حياة الشرق المتباطئة قوة لا تذعن للغارات والتقلبات؛ ولا يعرف ذلك إلا من حاول أن يجدد في هذه الحياة أو يبدل منها، تلك القوة قد تتغلب على الجيوش المتألبة عليها: أعني جيوش السآمة الميكانيكية).

وتنتقل مع بكثول من مشهد إلى مشهد فتراه متفننًا ماهرًا يصور لك بقليل من الكلام حالة من حالات الحياة السورية، ليهديك إلى صفة أو أكثر من صفات روح الشعب، ولا يمكنك -وأنت تتبع هذه المشاهد- إلا أن تشعر بأن الذي يصورها لك رجل يحب ما يصوره، فلا تراه أبدًا هازئًا أو ساخرًا، وإن يكن من هُزْء في بعض مشاهده فليس بالشعب الذي حل بينه، بل ببعض أبناء جنسه من الإنكليز الذين اجتمع بهم هناك، فكانوا أبدًا يحذرونه من (الوطنيين) وغشهم ومراوغتهم وقذارتهم!

هؤلاء هم الذين يسخر بهم بكثول كل السخرية، ويريكهم مراوغين مرائين حقيرين في ضيق أنفاسهم وصدورهم وعقولهم، فأرواحهم (مبرغثة) وإن نظفت أجسادهم، أما روح السوري فنظيفة وإن يكن جسمه مبرغثًا، ويفهم أنهم ما داموا يخدعون السوري سيخدعهم دفاعًا عن نفسه، وما داموا يرتابون في صدق

نيته فسيشك في صدق نياتهم، ويقول إنه لا وصول لهم إلى الحق الكامن في عمق وجدانه إلا إذا اقتربوا منه اقتراب المثيل من المثيل والجار من الجار.

كذلك يهزأ بكثول ببعض السوريين المسيحيين الذين (اعتنقوا) دين المسيح (القويم) عن يد المبشرين، فنالوا احتقار ذويهم، ولم يكسبوا (ملكوت) المساواة والمحبة الأخوية من المبشرين.

ميخائيل نعيمة

الحاكم وشخصيته

خطب زياد بن أبي سفيان الناس حين قدم العراق فقال: (أيها الناس: إنه قد كان بيني وبينكم إحن فجعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي، فمن كان محسنًا فليزد في إحسانه، ومن كان مسيئًا فلينزع عن إساءته، إني لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعًا ولم أهتك له سترًا، حتى يبدي صفحته لي).

من اعترافاتهم

* يقول القس إسحاق تيلر رئيس الكنيسة الإنجليزية: (الإسلام ينشر المدنية التي تعلم الإنسان ما لم يعلم، والتي تقول بالاحتشام في الملبس وتأمر بالنظافة والاستقامة وعزة النفس، فمنافع الإسلام لا ريب فيها، وفوائده من أعظم أركان المدنية ومبانيها).

* قال واشنطون لوفنج: (القرآن قوانين زكية سنية).

* قال جيبون: (القرآن مسلّم به من حدود الأفيانوس الأطلانطيكي إلى نهر الكانج بأنه الدستور الأساسي، ليس لأصول الدين فقط، بل للأحكام الجنائية والمدنية وللشرائع التي عليها مدار حياة نظام النوع الإنساني وترتيب شئونه).

* قال غوستاف لوبون: (إن العرب هم سبب انتشار المدنية ببلاد أوروبا).

إلى من يسمع ويعي

حذارِ فليس للنعمى دوام ... وليس لهذه الدنيا ذمام
وللأقدار إذ تجري سهام ... إذا انطلقت تكسرت السهام
وكم في الحادثات لنا عظات ... يُقصّر عن بلاغتها الكلام
وكم طلع النهار فعز قومٌ ... وذلوا عندما هبط الظلام
وكم من معشر كانوا عظامًا ... أزالت مجدهم نُوب عظام
نبت بهم القصور مشيدات ... فأمسوا والعراء لهم مقام
وكم باغٍ شديد الحول أضحى ... كما سام الورى خسفًا يسام
وكم فشَلٍ تقدمه غرور ... كما يتقدم الموت السقام
حذارِ فإن للزمن انقلابًا ... على العاني نوازله جسام
لعمرك ما زمانك غير راع ... وما هذا الورى إلا سوام
فإن واتته كان بها رفيقًا ... وإن ندت فمنه لها خطام

سلوا الأيام كيف مصير قوم ... مـزيـتـهـم عـتـو وانـتـقـام
يـقـولـون الـوئـام جـلـيـل نـفـع ... ولـولاهـم لـمـا انـقـطـع الـوئـام
سلوا النعماء هل تبقي لرهط ... إذا بـطـروا وطـال لـهـم عـرام
وليست تُبْطِرُ النُعمى كرامًا ... ولـكـن يَـبـطـر الـقـومُ الـلـئـام
ولو شمخت من البطر الروابي ... لَعُدْنَ كـمـا تـقـوضـت الـخـيـام
ولو بطرت برفعتها الدراري ... رأيـنـاهـا ولـيـس لـهـا نـظـام
ومن يـجـمـح بـه بـطـرٌ وغـي ... فمن صَرْفِ الزمان له لجام
ومن يُـرعـف حسامًا لانتقام ... يُـعـمـم رأسـه ذاك الـحـسـام
ومن يـك يـبـتـغـي إذلال قـوم ... فـإن جـزاءه ذالٌ ولام
ومن يحمِ الجناة فذاك منهم ... وإن صـلـى وطـال لـه صـيـام
ومن يـشـفـع لـمـجـترم غـشـوم ... فـمـا تـذريـعـه إلا اجـتـرام
ومن يـهـضـم لـمـن والاه حقًّا ... تـهـضّـم حـقـه مـن لا يـرام
ومن يـئـن الـغـرور لـه قَـوامًـا ... فـمـا لأمـوره أبـدًا قِـوام
ومن يطو الضلوع على فساد ... فما في الصالحات له مرام
ومن ينس الجميل يكن لئيمًا ... فـإن الـفـضـل يـعـرفـه الـكـرام
ومن بين الصروح على خيالٍ ... فـمـا يـبـيـنـه غـايـتـه انـهـدام
ومن لا خير فيه يكن بغيضًا ... لـذلـك يُـشـنـأ الـغـيـم الـجَـهـام
ومن يخَل الزمان له غلامًا ... فما هو في الحجى إلا غلام
يُـريـه الـدهـر بِـشرًا وابتسامًا ... ولا بِـشـرٌ هـنـاك ولا بـتـسـام

❃ ❃ ❃

هب المتغطرسين غدوا ملوكًا ... فهل يُرجى لذي مُلك دوام
ألم يك في الورى غليوم فذًا ... لـه تُـحـنـى مـن الأقـيـال هـام

على عرش أناف على الثريا وعج أمامه الجيش اللهام
وحفته الصوارم مصلتات وفي شفراتها الموت الزؤام
فما غليوم حلله حلال وما غليوم حرمه حرام
وأوشك أن تقول له الليالي أمانًا أيها الملك الهمام
إذا حشد الجيوش رأيت منها غمامًا راح يزجيه غمام
يغص بها الفضاء فلو توالى عليها القَطر ما ابتل الرغام
ولما لج في الخيلاء زهوًا تزعزع ذلك الملك الجسام
وهل بعد الصعود سوى هبوط إذا لم يسلكِ الجدَد الأنام

❀ ❀ ❀

أرى الإرهاق للضعفاء خيرًا فلولا القدح ما استعر الضرام
ولولا الشحذ لم يقطع حسام ولولا العصر لم تكن المُدام[1]
ولولا البَرْي لم يرقم يراع سطورًا كالعقود لها انتظام
ولولا النار لم يسبك نُضار ولولا السهد لم يطب المنام
إذا قمر تحيفه محاق فإن النقص يعقبه التمام

❀ ❀ ❀

يدل على جمال النفس فعل له ذكر كما نفح الخزام
وتنبيء عن دمامتها مخاز كما يُنْبي عن الليل السحام
وإن تكن الغرائز فاسدات فإن فسادها داء عقام
فلا تصحب أخا ملقٍ خبيثًا فصاحبُ كل ذي ملق يُلام
ولا مُتلبسًا بالود يمسي أخا لدد إذا وجب الخصام
ولا تحفل بفحاش زنيم فلولا الفُحش ما عرف الطغام

---

(١) المُدام: الخمر. وهي محرمة. (س).

ولا تصنع إلى وغد جميلًا إذا ما شئت أن يعدوك ذام
ولا يستنزلنك عن وقار مزاح أو شراب أو غرام

❀ ❀ ❀

أرى الأموات خيرًا من أناس لهم خَلف وليس لهم أمام
يرونك كلما أمنوا اعتزامًا وما لهم إذا خافوا اعتزام
وما إن زاحموا في المجد قومًا وفي اللذات شأنهم الزحام
تراهم يُقدمون وهم قعود ولكن يُحجمون وهم قيام
وكم بزوا الأنام وهم سكارى وكم فلُّوا الخطوب وهم نيام
إذا لَايَنتهم فهمُ أسود وإن خاشنتهم فهمُ نعام
فلا تزرِ القصور ولا تُسلم وزُر تلك القبور وقلْ سلام

لبنان/ أمين ناصر الدين

شيخ المعمَّرين

انتهت مشيخة المعمرين في العالم بلا منازع إلى شيخ من العرب الخلص يقطن الآن في غرفة صغيرة من عزبة البطران التابعة لناحية السيليين من أعمال مركز سنورس في مديرية الفيوم بالمملكة المصرية، وهذا العربي الذي يحق له أن يدعى (شيخ المعمّرين) اسمه (إبراهيم البطران)، وإليه أو إلى أسرته تنسب تلك العزبة في ناحية السيليين، التي تسنى لي زيارتها قبيل عيد الأضحى عام ١٣٤٦هـ عندما دعانا الصديق الكريم الأستاذ الشيخ محمد الزين قاضي سنورس للاحتفال بتأسيس فرع لجمعية الشبان المسلمين هناك، ولكن لم يكن من نصيبنا

يومئذ زيارة هذا الشيخ المعمّر المقيم في عزبته على مسافة ثمانية كيلو مترات فقط من ناحية السيليين.

والشيخ إبراهيم البطران يؤكد أن ولادته كانت في سنة ١١٩٠هـ (١٧٧٦م)، فهو الآن في السابعة والخمسين بعد المائة من السنين القمرية، وفي الثالثة والخمسين بعد المائة من السنين الشمسية، وكانت مصر عند ولادته تابعة للإدارة العثمانية مباشرة، وكان الوالي العثماني عليها يومئذ محمد عزت باشا، وفي سنة ولادة الشيخ المعمّر توفي الأمير عبد الرحمن الذي ذكرنا في الزهراء (٢٦٨ : ٢) شيئًا عن عمارته في الأزهر الشريف، ومن حوادث سنة ولادة الشيخ إبراهيم البطران أن واشنطون كان يومئذ قائمًا بحرب الاستقلال الأمريكية، وقد استولى في تلك السنة على مدينة بوسطن، وكان عمر إبراهيم البطران بضعًا وعشرين سنة عندما تولى محمد على باشا ولاية مصر، ثم كان من جنود الحملة المصرية التي افتتحت فلسطين في مثل هذا العام من القرن الماضي (١٢٤٧هـ)، فكان إبراهيم البطران مع الجنود التي افتتحت مدينة غزة.

ومما يذكره شيخ المعمّرين عن نفسه أنه كان معتدلًا في معيشته، قويًّا في بنيته يقتصر في طعامه على الخضرة والقليل من اللحم، ويُكثر من تناول الأرز، ويلذ له العمل في الأرض، وهو يحب السهرات العائلية التي يجلس فيها بين أولاده يتحدثون بما يعلمونه من الأخبار العامة والخاصة، وقد تطول سهرته معهم إلى ما قبل نصف الليل بساعة، ولم يصب إبراهيم البطران بداء قط في حياته.

وتزوج صاحبنا ثلاث مرات في حياته الطويلة، ورزق بنين وبنات، توفي بعضهم وبقي له تسعة: ستة رجال وثلاث نسوة، وأكبر الباقين في قيد الحياة من أولاده الرجال يسمى (بطران)، وعمره الآن ستون سنة، وأصغرهم في الخامسة والعشرين من عمره واسمه (علي) وهو من ثالث زوجاته وقد تزوجها قبل ست

وعشرين سنة فقط، وكان يوم تزوج بها في السابعة والعشرين بعد المائة من عمره المبارك!

والرجل الآن مقعد، ولكن منذ سنة فقط، وقد ضعف سمعه وبصره، لكن قوته العقلية على أتمها، ويتحدث أحاديث متسلسلة حسنة الارتباط لا غبار عليها، أما جسمه فكالمومياء: جلد على عظم، ومنذ فقد أسنانه اقتصر من الغذاء على تناول الأرز واللبن والسكر.

وفي رحلتنا إلى سنورس أيضًا بتنا في الفيوم في منزل الصديق الفاضل الدكتور علي مظهر، وهذا المنزل مبني في أوائل أيام محمد على باشا، وكانت تخدم فيه عشرات السنين امرأة قروية اسمها الحاجة (مبروكة) توفيت قبل بضع سنوات فقط، ومن ذكرياتها أنها كانت وهي فتاة تساعد في بناء هذا المنزل، ومن الغريب أنها بقيت طول أيام حياتها إلى حين وفاتها صحيحة الأسنان، بحيث يحسدها على ذلك الذين لا يزالون في سن الشباب.

محب الدين الخطيب

أولادنا

أنزلني الدهر على حكمه ... من شامخ عالٍ إلى خفضِ
وغالني الدهر بوفر الغنى ... فليس لي مال سوى عرضي
أبكاني الدهر، ويا ربما ... أضحكني الدهر بما يرضي
لولا بنيات كزُغب القَطا ... رددن من بعض إلى بعضِ
لكان لي مضطرب واسع ... في الأرض ذات الطول والعرضِ

وإنـمـا أولادنـا بـيـنـنـا أكبادنا تمشى على الأرضِ
لو هبت الريح على بعضهم لامتنعت عيني من الغمضِ

حطان بن المعلى

مشيُ الهُوينا لا يفيد...

إلى الأستاذ...محب الدين

وبعدُ، فقد كان (لسجنكم) الميمون فضل إخراج هذه الكلمة الشعر إلى عالم الظهور كما تراها. بعد أن جاشت معانيها كثيرًا في لفائف ذهني.

وكان يمنعني عن نظمها يأس من تدارك الحالة مطبق، وعزم مهما اشتد فهو مخفق، ولكن حادثة سجنكم المضحكة المبكية ذكرتني بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، فبعثت إليكم بهذه الكلمة، لا أوثق بها الضيق، ولا أهنئ على فرج، وإنما هو بخار نار الهموم التي استحرت في القلوب لما مني به الدين في هذه الأيام من أعدائه والمنتسبين إليه على السواء، ومادامت في الفم كمامة، وعلى قارورة الحق صمامه، فإلى اللَّه وحده تُرفع الشكوى، هذا ولا يحملنك ما تجد في القصيدة من التنويه بفضلك أن تعف عن نشرها في (الفتح المبين)، إذ ليس لك يا أستاذ منها إلا (خطبة الافتتاح)، وما بقى حق مشاع لأبناء الإسلام (المحافظين) كافة، والسلام عليك يوم دخلت السجن دخول يوسف طاهرًا بريًا، وخرجت منه خروجه، وقد رُفع مكانا عليًا.

مـاذا فـعـلـتَ مـن الـذنـوب (كـفـارة) يـا بـن الـخـطـيـب
ويـحـي ألأجـهـل مـا اجـترحـت وأنـت فـي الـسـجـن الـرهـيـب

أخطأتَ في الرأي الصريح فأدلِ بالرأي المريب
وارِبْ واخْفِ الحقَ جهدك تُصبح الفطِن اللبيب
أو فاستعدّ لما ينا لك من شدائدَ لا تطيب
والسجن باقٍ تحت أمرك دائمًا حتى تؤوب!
هو قيد شبر منك فاجنح للدخول أو الهروب
لم يرسلوا للسجن مأخوذ الفؤاد ولا هيوب
بل أودعوا فيه (محب الدين) خرّيج الكروب
تثب الشدائد حوله وتفيض في صدرٍ رحيب

❀ ❀ ❀

جرثومة الإلحاد قد علقتْ بإيمان القلوب
ظلت مناعته تقاوم ولكن ابتدأت تذوب
إذ ليس يعلم منتهاها غير علام الغيوب
من ذا يعين كراتها البيضاء في تلك الحروب؟
أين العقاقير التي تقوى بها، أين الطبيب؟
يا للرجال، وما عنيت بهم طواغيت الشعوب
من كل راكب رأسه بشقائها لاهٍ طروب
لكن أردت المخلصين فهل لريحهم هبوب؟
من كل ندب في حشاشته لبلواها ندوب
مشيُ الهوينا لا يفيد بل المفيد هو الوثوب
أتظل شمس محمد ميالة نحو الغروب
في كل يوم قطعة من قرصها عنا تغيب
وتظل نار الملحدين ذوي الضلالة في شبوب

طفت القواقع بينكم ... يا قوم ما هذا الرسوب
يطوي صحيفة دينكم ... إهمالُكم، شيء عجيب!
حكم المجاهدة الوجوب ... اليوم بل فوق الوجوب
من كان في غيبوبة ... خيرٌ وأبقى أن يثوب
من كان أعمى فليوازِ ... بيومه الأمس القريب
أو لم تر الحشرات في الإسلام ... قد أخذت تجوب
فامتصت العود الرطيب ... وهزت العود الصليب
ويلاه هل من كاشفٍ ... وجه العدو من الحبيب
الكل من تجريحه ... والله خصهمُ نصيب
في ذلك الجسم المتين ... تعمدوا فتح الثقوب
خلبتهم مدنية ... بضياء بهرجها خلوب
فإلى متى لا يعلمون ... بأنه ضوء كذوب

❊ ❊ ❊

هل من فتىً كابن السعود ... مجدد الدين الأريب
يدع التواكل جانبًا ... ويصد عادية الخطوب
أو يَفجر النبع الذي ... أضحى على وشك النضوب
إنا نريد مثاله ... في كل ناحية رقيب
هيهات بل هو نسخة ... لم يأت بعدُ لها ضريب

❊ ❊ ❊

يا أيها الناس اتقوا ... ربًّا يعاقب أو يثيب
حتى المضاجع بعد ... هذا أن تُجافيها الجُنوب
إني أخاف عليكم ... يا قوم من يوم عصيب

يـأتـي فـلا لـطـمُ الـخـدود يـفـيـد أو شـقُّ الـجـيـوب
هـذا نـداء أخٍ أهـاب بـإخـوة، هـل مـن مـجـيـب؟

محمد صادق عرنوس

متحف لندن العلمي

تزدان مدينة لندن بمتاحف لكل ما يخطر بالبال من مظاهر الحضارة، وأظهر مظاهر الحضارة العلم، فالمتحف العلمي في لندن عنوانٌ لحضارتها، وهذا المتحف مؤلف من نحو مائة وخمسين قاعة، كل قاعة يتمثل فيها ضرب من ضروب الاختراعات العلمية والآلات الميكانيكية، فإذا دخلت قاعة الساعات مثلًا، تجد نماذج لتاريخ الساعة من أقدم أطوارها إلى أحدث أشكالها، وكلٌّ منها في داخل محفظة من الزجاج يتصل به زر إذا ضغط عليه الزائر تحركت آلات الساعة بما فيها من أتراس ودواليب وآلات، حتى يلم بتركيبها جزءًا جزءًا، وهنالك قاعة للغواصات مثلًا وهي على هذه الشاكلة، غير أن حجم الغواصات لا يساعد على وجودها بحجمها الأصلي، فاكتفوا بنماذج صغيرة لها تحتوي جميع آلاتها وأجزائها مصغرة، لكنها تعمل مثيلتها الكبرى تمامًا، ويستطيع الزائر أن يقف على جميع أحوالها.... دون أن يفوته شيء، وكذلك قاعة الطيارات وسكك الحديد وماكينات الطباعة وآلات النسيج والمطافي وأحواض الماء والتلفون السلكي واللاسلكي والتصوير والمراصد الفلكية وسائر صفوف العلم والصناعة وفي مقدمتها سائر معجزات الكهرباء العجيبة، فكما أن معلمة (دائرة المعارف) جُمعت في ٣٠ أو ٣٥ مجلدًا زبدة المعارف التي وصل

إليها البشر حتى الآن، فإن متحف لندن العلمي حوي في الـ١٥٠ قاعة نموذج الحضارة من جانبها العلمي والصناعي، وإن أي زيارة يقوم بها الطلبة مع أساتذتهم لكل قاعة من هذه القاعات مقرونة بالفحص والدرس تجلو ذهن الطالب، وتقف به أمام الحقائق وجهًا لوجه، بما يغني عن الدراسة في الكتب زمنًا طويلًا.

داءٌ ولا طبيب

أليس في مصرَ من رقيب؟ ... ولا على الناس من حسيب؟
لقد فشت بينهم أمورٌ ... ستفسد النشء عن قريب
انظر إلى الناس كيف تمشي ... نساؤهم مشية المريب
بَدَوْن ساقًا وَبِنَّ شعرًا ... وسرن يكشفن عن جيوب
محاسنُ كن في حجاب ... فصِرن مرعىً لكل ذيب
قد غرّ رباتها كلام ... منمّق ليس بالمصيب
تلقي به عصبة أثامٌ ... تريد بالناس كل حوب
والناس في غفلة رقودًا ... أما لذا الداء من طبيب؟

ابن رواحة

إلى مهندس منزلي

بقلم نابغة كتاب العرب الأستاذ السيد/ مصطفى صادق الرافعي

تأملتُ رسمك الجميل الذي وضعته لمنزلي، وتتبعت الاتصال فيه بين قريحتك المبدعة وبين شكل الطبيعة وروحها، فأشهد لكأن الرسم بما فيه من القوة يحاول أن يحيا في نظر من يتأمله.

إنك بهذا الذوق السليم الحي لتعطينا السرور في شكلٍ من الفن، حتى لو ملك المالك رقعة من الأرض كالبقعة من الظلمة لوضعت لها من هندستك غرة فجر يضيء عليها.

وأراك بهذه الدقة وهذا العلم كأنما تُرغم الطبيعة أن تقدم لك حسابًا عن كل مكان تتناوله منها، وأحسبها لو هي صنعت بناءً كما تصنع ثمارها وأزهارها لجاءت به في موضعه على الرسم الذي تتخيله أنت لموضعه[1]، كأنك أُعطيت بالعلم سر إظهار الجمال في أشكاله، كما أُعطيتْ هي بالقدرة سر تكوين الأشكال في جمالها.

ما أبدع ما تمزج أيها الساحر بين القريحة والمادة، وما أدق ما تصل بين الجمال والمنفعة، وما أكمل ما تحقق بين المخيلة والواقع، إن هذه الخطوط التي رسمتها لتكون ميلاد بيت جميل هي نفسها ميلاد فن بليغ، يقيم لك بناءً فخمًا من إعجاب محبك.

مصطفى صادق الرافعي

---

(١) الخالق هو الله وحده، وليس الطبيعة المتوهمة، التي مظاهرها من خلق الله وإبداعه. قال ﷺ: «إن الله تعالى صانع كل صانع و صنعته». «صحيح الجامع» (١٧٧٧).
وانظر: «معجم المناهي اللفظية»؛ للشيخ بكر أبو زيد رحمه الله (ص ٣٥٧ - ٣٥٩). (س).

الوفاء بالعهد

وقع المعتمد بن عباد ملك أشبيلية في قبضة الأمير يوسف بن تاشفين، ونقله إلى أغمات قرب مراكش سنة ٤٨٤ هـ، واعتقله هناك إلى أن توفي سنة٤٨٨هـ، ومن الشعراء الذين كانوا يفدون عليه فيُكرم وفادتهم: أبو بحر بن عبد الصمد، زار أبو بحر قبر ابن عباد بعد دفنه، وأنشد قصيدة ممتعة يقول في أولها:

ملك الملوك أسامعٌ فأنادي   أم قد عدَتك عن السماع عوادي
لما خلت منك القصور فلم تكن   فيها كما قد كنت في الأعيادِ

ولما بصر به الناس انحشروا إليه، فبكوا ببكائه، ثم انصرفوا وقد نزفوا ماء عيونهم.

ذو لُبد مقيد

من الحوماني إلى مؤلف الحديقة وقد بلغه خبر اعتقاله في قضية صحفية

بمضي المهند وهو مغمدْ   أضعاف ما يمضي مجردْ
والليث لو لم يَضر محدود   البراثن لم يُصفّدْ(١)
لا تأس أن أغمدت فالـ   إغماد للعضب المهندْ
إن قيدوك فكم بكت   (خفّان) ذا لُبدٍ مقيدْ(٢)

(١) يضري: يفتك، ومنه: الأسد الضاري.
(٢) خفان: مأسدة.

لم يُدخلوك السجن لو | لم تستحل كرمًا وسؤددْ

❀ ❀ ❀

ماذا على الآساد أن | تمضي وما تركت مخلدْ
ويمضها نهش القيود | وذكرها نغمٌ مرددْ
وتُرثها ظُلم السجون | ومجدها أبدًا مجددْ
فتبيد في أعماقها | ظلمًا وتأنف أن تعبّدْ(١)
وارتاح للقيد المرنّ | كأنما هو لحنُ (مَعبدْ)

❀ ❀ ❀

السجن يعلم أنه | مذ شِيدَ للأحرار مِربدْ(٢)
زعموا سفاهًا أنه | لولا الجرائر لم يُشيدْ

❀ ❀ ❀

قالوا -فلم أعجب- محبُ | الدين في مصرٍ معضّدْ
حكموه أن أرغى -وقد | هتف الحفاظ به- وأزبدْ
ستين يومًا عن جهادٍ | يوجب الحكم المؤبدْ
إن العجيب جهاده | للأعداء وهو بهمْ مهددْ
عشرين عامًا لا يبالي | أنه فيها مشرّدْ

❀ ❀ ❀

أمحبُ، لا تحزن فعيش | الحر في الدنيا منكّدْ
نعم المبيت -وأنت حر- | في فراش لم يوطدْ
سيان أنت محرر (الفتح | المبين) أو (المؤيدْ)

---

(١) تُستعبد.

(٢) المربد: المحبس، ومنه مربد البصرة.

فكلاهما عبد الفخا ر به و(بالزهرا) مقلذ
صحفٌ لعمرك أنها (التثليث) لا كيسوع يُعبذ
إني رأيت المرء- لم يظفر بإحداها- محسّذ
من شاء فليصعد إلى أفق تخذتَ عليه مقعذ

الحوماني

أمن عصر العقل إلى عصر القلب؟ أم من عصر العقل إلى عصر المعدة...؟ مشكلة الفقر والغنى بين العلم والقانون والإيمان

يزعمون أننا في عصر العلم وفي دهر القانون، ويريدون أن يسلبوا الناس إيمانهم، كأن الإيمان هو مشكلة الإنسانية! مع أنه لا حل لمشكلاتها إلا به، إن مسألة الغنى والفقر وما كان من بابهما لا يحلها العلم ولا القانون، إذ هي من مواد القضاء والقدر في إنشاء الآلام والأحزان وأضدادها التي تقابلها.

وما دام فوق الإنسانية من السماء قوة لا تُحد، وتحت الإنسانية من القبر هوة لا تسد، فلا نظام إلا على تصريف النفس أمرًا ونهيًا، وتأويل الحياة معنى وغاية، فإن لم يكن الشأن في ذلك مقررًا في الغريزة على جهة الإيمان، فلن يكن العلم والقانون على ظاهر النفس إلا ثورة بما في باطنهما، ولن يبرح الناس على ذلك بعضهم من بعض كالهارب منه وهو مضطر إليه، أو كالمضطرب إليه وهو هارب منه، وكل من كل في معنى من معاني النفس لا إنسانية فيه.

ما زاد العلماء على أن خلقوا في ساعدي الحياة هذه العضلة البخارية، وذلك العصب الكهربائي، فمن لم يستطع أن يتوقى ضربة الحياة المدنية بعدة من قوة، وعتاد من المال، طاحت به فدكته دك الخسف، ووضعته من الناس موضع الحبة من الرحى الدائرة، فما بينه وبين أن ينهار موضع ليستمسك عليه، وإنما هذا الموضع هو إيمان المؤمن، إذ يعطف على الضعفاء، أو يسعد أو يبر بما كُتب عليه أن يرق لهم من ذات نفسه، ويتحني ويتوجع.

ومتى كان العلم والدين يقومان جميعًا على تنظيم الطبيعة في مادتها وإنسانيتها، لم تجر الإنسانية إلا على ناموس بقاء الأصلح في الجهتين، فإذا تخلى بها العلم وحده فلن تجري أبدًا إلا على ناموس بقاء الأصلح في ظاهرها لإيجاد الأفسد في باطنها.

لن يُفلح الإنسان للحياة الطيبة، ما دام بهذا التركيب الذي لن يتغير، إلا إذا وازن بين بيئته التي هو يوجهها وبين طباعه التي هي توجهه، فقيّد أشياء في قيدها، وأطلق أشياء من قيودها، وجمع في متبوأ نفسه حدًّا بحرية ودينًا بعلم، بيد أن طغيان العلم في هذه المدنية قد مرد على طباع الإنسان وشمائله[1] في كل موضع من الحياة لا تكافئه فيه الدين، فإذا هو يزين الشهوات، وإذا الشهوات تطوع المغامرة، وإذا المغامرة تجلب المنازعة، وإذا المنازعة تدفع إلى الحرص، وإذا الحرص يتصرف بالحيلة، وإذا الحيلة تُهلك التقوى، وكان في تقوى الإنسان إيمانه، وكان في إيمانه رحمته، وكان في رحمته الأثير الإنساني الذي تعيش فيه الروح، وعلى ذلك يقع في الإنسان من النقص بمقدار ما يزيد له العلم، فإذا هو منحدر إلى السقوط، مقبل على المحق، راجع إلى الحيوانية بأكثر مما يحتمل تركيبه منها.

---

(١) أي: مرن عليها واستمر، وبلغ بها الغاية التي تُخرجها من جملة ما عليه الطبع الإنساني الكريم.

أو لا يرى الناس أن تفوق أمة على أمة لم يعد في هذه المدنية إلا معنى من معاني القدرة على أكلها..؟

ومضى العلم على شأنه ذاك حتى جعل الإنسان آلة من آلاته التي غمر بها الدنيا، فأصبح من لا إيمان له يتعسف حسائه[١]، لا يدرى أين يقف؟! فلا يتسفل بقوة إنسان، ولا بضراوة وحش، ولكن بقوة آلة من الآلات الكبرى ودقتها وسرعتها وإتقانها..، حتى لا رذيلة من رذائل هذه المدنية إلا هي مفننة في تركيب على نسق الأمور المخترعة، وكأن الآلات العمياء ما زادت إنسانها شيئًا إلا أن قالت له: كن أعمى..، وكأن المدنية الملحدة ما عَدَت أن جعلت الوحشية تعمل أعمالها الفظيعة بتأنق وتمدن.

نسي الناس الإيمان، أو انسلخوا منه، فإذا أيديهم تموج بأسباب الفضائل تحكمها ولا تضبطها[٢]، وما كان الإيمان الصحيح إلا التقوى[٣]، ولا كانت هذه التقوى إلا عملًا من أعمال الإدارة، غايته إيجاد الغرائز العليا في الإنسان بالأسلوب الذي لا تخلق الغريزة العملية في النفس وعلى النحو الذي لا تصلح في الحياة إلا عليه.

أظهر آثار الإيمان تحديد الغايات الإنسانية وتنسيقها والملاءمة بينها، فإن إطلاق الغاية لكل إنسان على شأنه وسبيله كيف درت معيشته، وكيف دارت أهواؤه[٤] يجعل طرق الناس متداخلة متعادية، فيقطع بعضها على بعض، ويقوم

---

(١) يتخبط فيها على غير هدى.

(٢) ماجت اليد بالشيء إذا اضطربت به، كأن أيديهم لا تضبط أسباب الفضائل من ضعفها عنها.

(٣) الإسلام كله في كلمة التقوى كما بيناه مفصلاً في كتابنا (إعجاز القرآن) فانظره. وكلمة التقوى من معجزات هذا الدين.

(٤) كناية عما تتفق به أسباب العيش وتجتمع وتزكو.

سبيل في وجه سبيل، فلا تحل عقدة إلا من حيث تقرض أختها، ولا يتخلص خيط من خيوط اللذات الملتبسة المتشابكة إلا قاطعًا متقطعًا معًا، وأنت إذا بحثتَ عن الوحدة التي تحاول ضم الإنسانية المتنافرة وردها إلى مرجع واحد لم تجدها في غير إيمان المؤمنين، فهو أبدًا يقابل في كل نفس ما تطغى به الحياة على أهلها، ولا عملَ له إلا أن يخسف الزيادات الضارة بالإنسان من بيئته، وبالبيئة من إنسانها، وهو بهذا حائلٌ في كل مجتمع بين أن تنقلب أسباب السمو العقلي فتعود من أسباب الدناءة والخسة.

وإنما محل الإيمان من أهله فوق محل الحكومة ممن تحكمهم، فهو الأمر والنهى بلغة الدم والعصب، وهذه الغايات التي تتألف من أجلها الحكومات - كأمن الناس وتغلبهم وسعادتهم -، هي أنفسها محكومة بمسائل تأتي من ورائها في طبائع الناس وعادتهم ومعايشهم ومصالحهم، فإن لم تكن في النفوس من الدين أصول تأمر وتحكم، وفي الطباع من اليقين أصول تستجيب وتخضع، رجعت الحكومة في الناس أفكار مسلطة لا تغني كبير غناء في الخير والشر، إذ يحتاج الخير أبدًا إلى قوتها تحميه، ويحتال الشر أبدًا على قوتها تستنقذه، ومتى لم يكن الخير إلا بالقوة فاحتياجه إليها شر، ومتى لم يكف الشر عن القوة فاحتياله عليها شر مثله، فإذا تضعضعت من الأديان هذه الدعائم الراسية، وفرط من الإنسانية هذا الفارط الذي ليس في الأرض كفاء منه، لم تجد حسنة في حكومة من الحكومات إلا معها من طبيعتها سيئة، ولم تجد سيئة إلا هي سيئتان، فلن تكون الحياة حينئذ إلا تعقيدًا أشد التعقيد من طغيان القادرين عليها بالمال والغنى، ومن حقد العاجزين عنها بالفقر والحاجة.

والغنى القادر على متع الحياة ولذتها هو دائمًا في فلسفة العاجز قادر بلا قدرة، كما أن الفقير الضعيف هو دائمًا عند نفسه عاجز بلا عجز، ولا أدل على ذلك من تعبيرهم عن معناه بالكلمة التي تشبه أن تكون هي أيضًا معنى بلا

معنى. . ، وهي الحظ، فلابد للناس من الحدود التي تبني بين كل ضدين من أحوال الإنسانية جدارًا يُعطف نفسًا على نفس بالرحمة، ويرد قوة عن قوة بالصبر، ويكف عادية عن عادية بالتقوى، ويحقق عوامل التوازن بين أسباب الاضطراب في الجماعات المتصادمة، ليقر كل مضطرب في حيز إن لم يمسكه فيثبت فيه، لم يفلته فيعدو على سواه.

فإذا عملت المدنية على هدم هذه الحدود، وتركت قوة الإيجاب في طبيعة الحياة بغير قوة قلبية سلبية من الإيمان في طبيعة النفس، كشفت للإنسان عيوبه ببلاغة من تعبير شهواته، فزادتها رسوخًا فيه، كما تقول للص: إنك لتسرق وستصبح غنيًّا تمر يدك في الذهب تنفق وتستمتع على ما تشتهي. . فما يراك قلت له: لا تكن لصًّا وتعفف، بل قلت له: كن غنيًّا واستمتع، ويومئذ يغبرُ البؤس ويقشعر الفقر كما نرى لعهدنا في الأمم التي فشا الإلحاد فيها، فليس من بعد إلا أن يتحول الفقر عن صورته البيضاء في سكب الدمع إلى صورته الحمراء في سفك الجسم، وكان سؤالًا فيعود اغتصابًا، وكان الأسفل فيرجع الأعلى، وكان يفرضه الحق فإذا هو الحق نفسه، والله لكأن المسكين في هذه المدنية هو الجزء اللئيم الذي طرده الغني من نفسه، وتبرأ منه، وأمات ما بينه وبينه، فإذا هما اعترضا في مذهب من مذاهب الحياة نفر الغنى، كأنما يرى قبره يدنو منه وأطبق عليه البائس بمعاني النقمة واللعنة يقول له: ما أنا إلا لؤمك أنت.

إن من الشجر شجرة تنبت في القفر، تعتصر ماءها من بين رمل وحجر، وتمتص غذاءها من لؤم الجدب، فإذا حان أن يزهر عودها شوَّك، فلا يكون في عقده ونبره إلا شوك[1]، فإذا ازدرعوها في الخصب وخضلها الماء[2]، وساغت

---

(١) النبر: النتوء الذي هو العود.

(٢) بلها الماء.

لها الطبيعة، ثم حان أن يزهر عودها، ملّسه كرم الأرض[1]، فإذا في موضع كل شوكة زهرة كأنها كلمة الحمد، وكذلك مثل الفقير بين الملحد والمؤمن.

تُرى أيخرج الإنسان في هذه المدنية من عصر العقل إلى عصر القلب؟ أم هو منحدر من عصر عقله إلى عصر معدته...؟

وكان على هذه الأرض أغنياء مؤمنون، فيهم من كرم الحس شبه الفقر، ومساكين مؤمنون لهم من كرم الصبر شبه الغنى، فهل تنقلب المدنية من الغنى المحض والفقر المحض إلى مادة تخلق اللحم الحي، وأخرى لا تخلق له إلا الظفر الحي..؟

وكان اختراع الإنسان في المادة الجامدة، أفتراه يجيء يومٌ على الناس يكون أعظم اختراع فيه للإنسان الأخير أن يعيد إلى الأرض إنسانها الأول الكريم.

مصطفى صادق الرافعي

الخطابة في العصور الإسلامية

قال أبو بكر بن العربي في سراج المريدين: حضرت يومًا مجلس الإمام أبي منصور الشيرازي - وعادتهم أنه لا يرقي المنبر حتى يجيب عن كل سؤال - يصعد المنبر ويأخذ القارئ بالقراءة، وتُرمى الرقاع بالأسئلة من كل جانب، وتتناولها الأيدي حتى تصل إليه، ويجعلها تحت ركبته، فإذا فرغ القارئ أخذها واحدة واحدة، ويقول: هذا يسأل عن كذا، وجوابه كذا. فيأتي بأحسن الجواب!

(١) ملّسه: نعّمه وأدمجه وأزال نتوءه.

مناجاة الطير

غن يا طير لي ولك سلم القلب أم هلك

ضعت بين الشدائدِ
ما فؤادي براشدِ
من دموعي قصائدي
وشجوني قلائدي
نظرتي في الفراقدِ
ضجعتي في الفدافدِ

هل يعود الذي سلك غن يا طير لي ولك

هاك يا طير أدمعي
فابك في خلوة معي
واذكر اليوم أربعي
أقلق الذكر أضلعي
أين نومي ومضجعي
أين لهوي ومرتعي

أخذ الدهر ما ترك غن يا طير أي ولك

نزل اليوم ما نزلْ
غن يا طير لا تسلْ

إن يكن خطبنا جللْ
فالفتى يحمل الجللْ
إن لي في غدٍ أملْ
أتُرى أدرك الأملْ
خذ فؤادي وما ملك غن يا طير لي ولك

شفيق جبري

ملك القلوب

قدم هارون الرشيد الرقة فانجفل الناس خلف عبد اللَّه بن المبارك، فقالت أم ولد لهارون كانت مشرفة على ذلك: من هذا؟ فقالوا لها: عالم أهل خراسان قدم الرقة، يقال له: عبد اللَّه بن المبارك، فقالت: هذا والله الملك! لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشُرط وأعوان!

حلمُ أعظم ملك في الدنيا

قال رجل لهارون الرشيد -أمير المؤمنين- وهو في الطواف:

أريد أن أكلمك بكلام فيه خشونة، فاحْتَمِله، فأجابه أمير المؤمنين:

لا، ولا كرامة، فقد بعث اللَّه من هو خير منك إلى من هو شر مني، فقال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾.

المستبد الذي لا عقل له

قال مستر: «لويد جورج» في مقالة كتبها بعد عقد «معاهدة لوزان» بعنوان: (فشل الحضارة)، وكانت جريدة «السياسية اليومية» قد لخصتها في عهد ٢٧ ذي الحجة سنة ١٣٤١هـ: (إن أعظم شر تنكب به أمة أن تختار لحكمها رجلا عتيدًا خاليًا من العقل السليم).

مأساة مصرية

عرفت فلانة عليلة لم تكد تدع منها العلة بعد أن أبدلت لونها، وأحالت كونها، وقد خرجت إلى الناس في ثوب كأنه -لكثرة ما تمزق منه- عرض ظنين، لا بل كأنه كفن ألح عليه البِلى، وقد لف منها على شبه دين.

وكان الجوع قد شد عليها حتى دارت في رأسها عيناها، فبسطت يدها، فانقبضت عنها الأيدي، خلا يدًا تحسن أن تنهب لا أن تهب؛ وهي يد الموت.

فمشت تتحامل لا تدري أين تذهب، وكاد الجوع ينسخ ما بقي منها فتساقطت من الضعف والإعياء، ثم جعلت تنهض نهوض الحجة على لسان الألكن، وقد نفضتها العلة كما ينفض الثوب.

وقد نظرت فإذا شاب آنق غرة من الدينار، وعليه مما يَلبس لونا الجنة والنار، فرنت إليه بعينين يموج فيهما الدمع شعرًا، ويستحيل فيهما الشعر دمعًا، لعله يرفدها، فزوى وجهه عنها، وذهب بنفسه ما يملك عِطفيه من الكبر والخيلاء، فمشت من ورائه صامتة، وقد عقد الضعف لسانها وحل عقد صبرها، فجعل

ذلك الضعيف بقوته يحتث رجليه، وطفقت تلك القوية بضعفها تلاحقه، حتى ملأت عليه الطريق، وكانت وجهه كيفما نظر.

فضاق بها فدفعها فارتمت، ونبعت من عينيها قطرتان هما كل ما يملكه الضعيف، وحدر الذهول برقعها عنها، فإذا تحته وجه كالدينار الزائف في صُفرته، على قوام لو حُط عليه طائر لهدمه بجملته.

ولم تكد المسكينة تنهض من عثرتها حتى دعا الفتى شرطيًّا، فلباه مفتول الساعدين، حاسرًا عن الزندين، وأقبل يشق الزحام إلى الفتاة، وحمل عليها كما يحمل الدهر على الحر ومشى يسوقها، ويده عليها أثقل من المن على الكريم، وذهب الفتى ثملًا بنشوة الظفر، وذهبت الفتاة إلى دار الشرطة، وكأنما كان يُذهب بها إلى قبرها، على أنها لم تجزع إذ كانت حياتها مرانًا على الموت.

ثم دار الفلك دورته، فرأيت تلك التي كانت معذبة بحياتها وقد صقلتها النعمة، وبدا عليها عذر الغنى من ذلة الفقر، وكانت تزاول التمريض في مستشفى.

فبينا هي فيه يومًا، إذ دخله عليل يشكو البطنة، وقد ضربت فيه العلة فأثقلت، وتمكنت منه فأعضلت.

فتبينته فإذا هو صاحبها منذ عام، وكان هذا الفتى نهمًا لا يرفع يديه عن الخوان، أو يرفع الخوان من بين يديه.

أما الفتاة فنسيت موقفه حيالها، وقامت بواجبها حياله، وفيما هو يلفظ آخر أنفاسه، نظر فإذا صاحبته تتوجع له في صمت، وتتفجع عليه في سكون، ولعله أراد أن يستغفرها، ولكن الموت أعجله، فكانت بطنته هذه عقوبة مسغبتها تلك.

محمد صادق عنبر

الرجال

الرجال ثلاثة:

رجل كالغذاء لا يُستغنى عنه، ورجل كالدواء لا يُحتاج إليه إلا حينًا بعد حين، ورجل كالداء لا يُحتاج إليه أبدًا.

الحسن البصري

موطني

نازح أقعده وجدٌ مقيم   في الحشا بين جمودٍ واتقاد
كلما افترّ له البدر الوسيم   عضه الحزن بأنيابٍ حداد
يذكر الرَبع القديم فينادي
أين جنات النعيم يا بلادي
خصها المبدع بالحسن البديع   زاهيًا بين الروابي والبطاح
ملقيًا من نسيج أبكار الربيع   فوق أكتاف الرُبي أبهى وشاح
حبذا راعي القطيع في المراح
منشدًا لحن الهزيع للصباح

إلياس فرحات

الحالة الحاضرة

كنت في الأمس أقلب في مجموعة (المؤيد) أيام كنت أشتغل في تحريره، فاطلعت لي فيه على مقالة افتتاحية نُشرت يوم ٢٨ربيع الثاني سنة ١٣٣٠هـ، رأيت أن أنشرها هنا للذكرى، وهي:

ألهى بني جُشم عن كل مكرمة ... قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يفاخرون بها مذ كان أولهم ... يا للرجال لفخر غير مسئوم
إن القديم إذا ما ضاع آخره ... كساعد فلّه الأيام محطوم

شاعر عربي

دار الزمان دورته، فبلغ بنا إلى حيث لا حول لنا غير العزائم المكنونات، ولا قوة إلا ما نعده بعد الآن للعاديات.

غفلنا عن تهذيب نفوسنا أو تقويم قناتنا أحقابًا طوالًا، سبق فيها الذين كانوا قصروا، وقصّر الذين كانوا سبقوا، وقعد القائم وقام القاعد، ثم انتهينا على نداء الأوصاب والعاديات، والله يعلم إذا كان في الوقت متسع لمقاومتها، أو إذا كان انتباهنا سوف يكون أثره التألم والتوجع لا قدر الله.

انتبهنا من غفلتنا فإذا النظام مفقود من منازلنا ومجتمعاتنا ومدننا وأقطارنا، والتعليم يدور على محور مشوش، لا ينفع صاحبه بشيء في معترك الحياة العلمية، والأيدي صِفر من وسائل الثروة والقوة، والدين مظاهر لا تؤدي إلى غاياته الحقيقة.

على أن كل ما في حالتنا الحاضرة من تشوش واضطراب ليس مما يدعونا إلى اليأس، ما دامت آثار الحياة ثابتة فينا بفضل اللَّه وحوله، والمفكرون من أبناء

هذه الأمة على اختلاف أقطارها قد تماثلت آراؤهم وتشابهت كلماتهم في الدلالة على المخرج من هذه الأزمة القومية والضائقة الملية، وأحداث الزمان قد كشفت لهم عن مظان الثقة ومواضع الارتياب، فتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود، ووضحت المحجة، فلم يبق إلا سلوكها.

أجل، إنه لا داعي لليأس؛ (الضربة مهما بلغت شدتها فإنها - إذا لم تكن ميتة - لابد أن تكون بعد حين أدعى إلى استئناف العمل بمهمة ماضية وعزم متين)، كما قال أحد الشعراء الانكليز: وإن من المستبعد على رجال أيام الشدائد أن يستبدلوا اليقين بالشك، والعزيمة بالوهن، والجذل بالوجل، وهم إنما خُلقوا لتظهر مواهبهم في مثل هذه الظروف.

يُؤثر عن المأمون أنه كان يقول: (الليل والنهار يعملان فيك، فاعمل فيهما)، وتلك كلمة ذهبية يخلق بالذين يُجِلُّون اسم حكيم العرب وأميرها وابن عم نبيها أن يتخذوها سنة متبعة في كل زمان، خصوصًا في زماننا الذي تُحتم فيه علينا حاجة البقاء أن نختدم كل دقائقه في إكمال نواقصنا، وإذا كانت الرخص لا تمنح لأبناء الزمان الآمن إلا بمقدار، فأولى بالذين نزلت بهم الأوصاب أن لا يثقوا من طبائعهم إلا بالعزائم.

للأمم اللاتينية طريقة في الإصلاح طالما أوردتهن موارد الهلكة، وأذاقتهن وبالًا، وألحقت بهن خسارًا، وهي أنهم يرسمون لعملهم خطة يدعونها بعاطفة من عواطف الرأي العام، ثم يسيرون عليهم لا يلوون على شيء، فيعاندون مهب الأقدار، ويقفون في طريق القوى المجتمعة، ويباهون بجرأتهم وشجاعتهم إذا أدمى رؤوسهم نطح الجبال، وتلك حالةٌ ضارة بطالب الإصلاح والمطلوب منه، وتُشغل الأمة بالصعب عن السهل، وبالمتعذر عن الممكن، وتجعل البلاد

مسرحًا للتشويش والشغب، ويرتفع فيها صوت الجاهل بينا يكون العالم مُلجمًا، وظاهر أن هذه الطريقة ليست من السياسة في شيء، لأن السياسة -التي جرت عليها العرب في أيام سعدها ويجرى عليها الإنكليز منذ استفحل استعمارهم في أرجاء الأرض- هي أن تعالج المصالح من بين الحوادث بالرفق واللين، فنعجل بالسهل منها، ونؤجل العسير إلى أن تحين فرصته.

لذلك لا أرى عذرًا للقانط من إمكان النهوض، ولا للذي يستصعب الصعب فيهمل من أجله الأمر اليسير، مع أن مجال العمل واسع جدًّا للعاملين، بل كل شأن من شؤوننا يحتاج إلى العمل فيه، ورحم اللَّه امرءًا ترك ما يريبه إلى مالا يريبه، وما يعجزه إلى ما يسهل عليه.

المدارك بحمد اللَّه نامية، والقوى كامنة متوفرة، وليس إلا أن تنار الأولى بنور العلم النافع في الحياة العملية، وتدرج الأخرى في مدارج النظام، حتى تكون محصلات سيرها متوازية لا متعاكسة، ومتوالية غير متعارضة.

وإن دلائل الحالة الحاضرة تدلنا على أن القوم هبوا للأمر الأول مقبلين عليه بعقولهم وقلوبهم وأموالهم، حتى في حواشي الجزيرة العربية، بل هم انتهوا في التوصل إليه إلى أقصر الطرق شقة، وأثبتها مواقع أقدام، وأكثرها دواعي اطمئنان، ووسائل فلاح ونجاح لانطباقها على حاجاتنا القومية، وملاءمتها لحاجة هذا العصر.

أما عن الأمر الثاني: فإن رجال النهضة ونوابغ الأمة بالرغم من توارد خواطرهم في المعنى الصائب من معاني الإصلاح، مع ما هنالك من تباعد بين البلاد، فإنهم أحوج ما يكونون إلى دسارٍ ينظمهم، وصلة من التعارف والتواد تجمع بين آرائهم؛ ليكون لهم من الاجتماع قوة، ومن الشورى هداية، ولا ريب أن بارق الحقيقة ينبعث عن احتكاك الآراء، فضلًا عن اختصار الوقت في

استفادة البعض من تجارب الآخرين، وهذا معنى الحديث النبوي: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**»(١).

على هذا الطريق سبق للأمم بلوغها سن الرشد، وما كان للزمان أثر في نمو الكائنات واندثارها إلا بالأعمال الاجتماعية والميكانيكية والكيماوية التي تعمل في ثنايا الزمان.

كل أمة ترغب في البقاء، بل هي ترمي بنفسها إلى الموت من أجل البقاء، وليس في هذا ما يعيبه أحد عليها، وان حالتنا الحاضرة حرجة جدًّا، وعواقب الإهمال والغفلة فيها يقصها التاريخ على كل طالب، أما وسائل الإصلاح الذي به الحياة والبقاء فأهمها الاهتداء لطريقة الارتقاء القومي الذي يجمع بين القوى المادية والمقومات الملية والأنظمة الخلقية، ثم توحيد اتجاهات السير لئلا يذهب منعكسها بمستقيمها، وبذل الجهد لملء الزمان عملًا فيما هو أقرب منا وأسهل علينا، حتى يكون الحصول على هذا وسيلة فيما بعد للحصول على ما هو أبعد منه.

وحسبنا ما تقرّبنا حتى الآن من منبعث الأخطار بإضاعتنا الوقت في اللهو والشغب، ومحاولة الوصول إلى الأمر البعيد الذي على مقربة منا ما هو أكثر منه أهمية، ونحن أشد حاجة إليه، وحبذا لو ننتهج منهج أمير المؤمنين -على بن أبي طالب رضي الله عنه- في قوله: (إنهم أرعدوا وأبرقوا، ومع هذين الأمرين الفشل، ولسنا نرعد حتى نوقع، ولا نسيل حتى نُمطر)، وفقنا اللَّه إلى ما فيه السعادة في الدارين.

القاهرة: ٢٧ ربيع الثاني ١٣٣٠هـ/

محب الدين الخطيب

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٧) ومسلم (٢٥٨٥).

كلمات في الحكمة

* الأرض مسرح تمثل عليه مأساة متعددة الأسماء.

(فولتير)

* التخمة كالجوع، ولذلك فالاعتدال سعادة لا يستهان بها.

(شكسبير)

* الرجل الفائق يحب البطء في أقواله والنشاط في أعماله.

(كنفوشيوس)

* الأدب يُذهب عن العاقل السُكر، ويزيد الأحمق سُكرًا، كالنهار يزيد البصير بصرًا، ويزيد الخفاش سوء بصر.

(ابن المقفع)

* إذا كانت الشهوة فوق القدرة كان هلاك الجسم دون بلوغ.

(أرسطو)

* الزمان ينشى ويلاشى، ففناء كل قوم سبب لكون آخرين.

(أرسطو)

أؤمن بالدين

عرفت فيمن عرفت من أصناف الناس أربعة تجرى أمورهم في نفسي على غير مجاريها في أنفسهم، وأرى من طبيعتهم موضع الغفلة فيما يرونه أو يحسبونه موضع السداد:

(فالأول): رجل ملحد أديب، معني بجميع الكتب، يتعلق بكل نفيس منها، وهو يزعم أنه تأمل الأديان فلم يجد طائلًا في شيء منها، وأن له في كل دين ظنَّة على ريبة، ونقدًا على مسألة، وثانية على أولةٍ[١]، وأنه تبدل الدين بالخلق فما خسر شيئًا وربح الحقيقة، ثم يحذو بعدُ على هذا الحذو كما يفعل الملحدون في صفة أنفسهم، وهم دائمًا لا يأخذون من الكلام إلا بملء اليدين، إذ من العجيب أن لا تقع لهم الكلمة الصحيحة المفردة.

هذا الذي خرج من الأديان ومن نهيها وأمرها إلى الأخلاق وعهدتها وأدبها، قال لي ذات يوم -وقد خضنا في أمر الكتب-: إني لأمقت السرقة والغضب والخديعة، ولا أبيح منها شيئًا ولا أُمِرُّها لأحد، غير أني إذا وجدت كتابًا نفيسًا وعجزت عنه ثم أمكنتني فرصة من الغفلات لم أتورع أن أسرقه. . . .ولو غصبت، ولو خَدعت.

قال هذا، فلم أفهم من كلمته شيئًا إلا أن لقب (اللص) يكون من الشرف أحيانًا بحيث يسمو كثيرًا على الرجل الملحد!

(والثاني): رجل متفلسف انقلبت عقيدته إلى زيغ، فله رأيان في أمور الحياة: واحد ينزع فيه إلى طبيعته فيستمتع ما وجد متاعًا في حرام أو حلال، وفي

(١) كناية عن التعدد وأنه لا يكتفي بواحدة.

معروف أو منكر، والآخر يرجع به إلى ضميره الإنساني وما هو الأشبه بعلمه وعقله وفلسفته، فيألم ويتململ إذ يرى أنه لا يزن من لذاته لا بمقادير الخير ولا بمقادير الشر، وأنه يبيح لنفسه ويحرم على غيره، فإنما الرأي والحق والعدل أن لا ينطلق في كل إنسان تاريخه الوحشي كما يفعل هو، ليقوم النظام على أصوله وتتحقق الإنسانية في أهلها، ولو فعل الناس ذلك فوسعتهم الفلسفة لما وسعتهم الطبيعة، بل هي تسرع حينئذ فتطلق لكل حيوان مع أكيلته التي يغتذي بها آكله الذي يغتذي به.

لم أفهم من فلسفة الرجل أنه فيلسوف، بل عرفت من عمله أن الرجل من الناس قد يكون سافلًا حتى من الجهة العالية فيه، وقد يكون فاسدًا حتى من بعض جهاته الصالحة.

(والثالث): رجل يزعم عند نفسه أنه مُصلح، ويتولى أمور الناس فيداورها ويلتمس لكل شيء مأتيّ يتسبب منه إلى إصلاح فيهم، حتى إذا وثق الناس به واستكانوا إليه وصاروا في حل الغِرة وفي قياد الأمن، صدعهم في أديانهم وأخلاقهم، ورَكبهم بمزاعمه وخرافاته، وبث أوهامه في مذاهب أقدارهم وتصاريف أمورهم، وظن الدين كلمة يضع في موضعها كلمة غيرها، وحسب اليوم من أيامه في عمل الدهر كاليوم من أيام اللّه في خلق السماوات...

فهو يطرد الأزمنة ويمحو العادات ويغيّر الطباع، ويسن لفروع الشجرة سنة جذورها، فلا يذهب الفرع طالعًا بل يغور نازلًا، ثم يزيد أن يقيم على طريق التاريخ مجازة أو قنطرة، ليمشي بالناس فوق التاريخ، فيقطع بهم ألف سنة في ألف يوم، وكأنه زاد في الطبيعة ناموس نهيه وأمره..، أنا لا أقول في هذا إنه مصلح، بل أقول: يا عجبًا.. ألا يرتفع النسر في الجو إلا ليبحث أين تكون الجيفة......؟

(والرابع): ذاك الذي جعلته الكتب عالمًا وقسمت له ما شاء، ولكن اللَّه تعالى لم يقسم له شيئًا من كرم الضريبة وشرف العرق، ولا ألقى معاني الذهب في سلسلة آبائه فهو رثة[١] لا يجيء في معاني الناس بطباعه وأخلاقه إلا كالثوب الخلِق من فتوق ورقع، ويغطي عليه العلم كما تغطي القشرة النضرة على الثمرة المرة، فإذا كتب للناس ارتطم في طباعه ونزع إلى مأخذه، وتجاذب داخل نفسه وخارجها، فيذهب يُنكر ويعترض ويُسَفه ما عليه الناس من دين وخلق، وينزو بهم في نوازيه ودواهيه، ويرد كل ما في الطبيعة من الجمال وكل ما في النفس من الحق إلى تأويل مادي بحت، كأن الزهرة الخارجة من الطين هي طين مثله، ويسقط عنده كل ما عمل الشعاع والماء في الذرة الأزلية التي انبثقت منها النبتة، فخرجت توحي عن السماء وحي النور واللون.

أنا لا أفهم أن مثل هذا عالم، ولكنه في الناس كبعض النبات في النبات، يُرزق من النمو قوة يُفسد بها ما حوله، فإذا هي ظهرت فيه لم تنبه على قيمته بأكثر مما تنبه الناس إلى وجوب اقتلاعه واستئصاله. . .

❁ ❁ ❁

لا ثقة لي بمتخلق لا دين له، فإن الخُلق يصله بحظ نفسه أكثر مما يصله بواجبات الناس، ولا بفيلسوف ملحد، لأن الفلسفة تمزجه بالمادة أكثر مما تمزجه بالإنسانية، ولا بمصلح ينسلخ من الدين؛ لأن إصلاحه صور من غروره، ولا بعالم جاحد؛ لأن علمه كهندسة الشوكة كلها من أجل آخرها. . . ، أولئك لا يدرون أنهم من هذا العالم في حدود أغراضهم الصغيرة الفانية، إذ كان كل منهم يتناول الكون من حيث يحب هو لا من حيث يجب عليه، ثم يفسر الأشياء في جزء منها لا في مجموعها، ويعتبر الزمن عمرًا كعمر الفرد وهو تاريخ لا

---

(١) أي من البقايا التي لا خير فيها.

يموت، وينظر إلى الغاية من الوجود كأنها داخلة في الحد، مع أنها لو حُدَّت لبطلت أن تكون غاية.

كلٌ منهم صحيح في ذاته فاسد بموضعه من أغراضه أو من أغراضنا، وما أشبههم بالأشجار في المقابر لا تجد لها في المقبرة ما تجد لها في الحديقة، كأنها لما قامت في موضع الموت قامت حية، ولكن ماتت روح الحديقة فيها.

لا تسمو حياة الفرد إلا إذا كان جزءًا من كل، ولا يجتمع الكل إلا إذا كان تامًّا فيما هو كل به، فالسبيل أن يُدفع الفرد أبدًا إلى خارج حدود الذاتية الصغيرة، وفكرة الكل هذه لا يصورها ولا يستوفي معانيها إلا الدين الصحيح، إذ هو خروج بالفرد من شهواته التي تفصله من غيره إلى واجباته التي تصله بغيره، وانتزاع له من ذاتيته إلى إنسانيته، ودفع بالإنسانية نفسها إلى الكل الذي هو أسمى، فكأن الإيمان في حقيقته إن هو إلا دُرْبة لهذا الإنسان على الدخول في اللانهاية، فهو من أجل ذلك يقضي على الفرد أن يتسع ويمتد في إنسانيته لا في شخصيته فيختلق بالأخلاق التي تعم دون التي تخص، وهذه صورة صغيرة من جعل المحدود في ذاته أعظم من ذاته ودفع ما ينتهي في سبيل ما لا ينتهي.

فإذا عمل الفرد على أن يُقفل حدوده عليه ويستغلق بها ويمتنع من ورائها، وصار كالقلعة المحصنة لا تصلح إلا حربًا لما حولها ودفاعًا عما فيها، فلن يضع هو أمره إلا على هذا المعنى، ومن ثمّ فلن يكون له ممن يصادمونه إلا حكم واحد، وهو تخريبه وهدمه وإقحامه، فإذا كانت الحياة غير باقية على فرد من الناس، فمن الحُمق أن تكون هذه هي صورة الإنسانية فيها، وإذا كان ذلك حُمقًا فالحق ولا جرم بعض المعاني التي يقوم الإلحاد عليها.

❁ ❁ ❁

ليس في الأرض إنسان لا أجداد له، فمن ثمّ ليس على الأرض إنسان في نفسه، بل إنسانية فقط، إنسانية متصلة مفرغة إفراغًا ليس للفرد بينها موضع لذاته، بل موضعه لاتصاله بسائرها كمنزلة الخلية الواحدة بين الملايين من الخلايا المتلازّة في جسم واحد قائم من جميعها، صالح للوجود بصلاحها وفسادها معًا.

أما إنها لعجيبة أن تُلقي بسؤالين متناقضين ثم لا تجد عليهما إلا جوابًا واحدًا لا يختلف، سل الحكمة: لم صلح هذا؟ فالجواب: ليكون شيئًا ضروريًّا في الوجود، هي الحلقة المفرغة لما غاب طرفاها صار كل موضع فيها طرفًا وعلت كلها ونزلت كلها.

فليس إلا النوع لا الفرد، والكل لا الجزء، والإنسانية لا الإنسان، وإنما يقع كل شيء في الحياة -بل في الوجود كله- تدريجًا لتحقيق هذه الوحدة كيلا ينفصم أحدٌ منها، فهي أبدًا ذاهبة بالجسم والعقل والمعرفة والعمر من جزء إلى جزء: من الأصغر إلى الصغير، من الكبير إلى الأكبر، إلى الأوسع إلى الاسمى، لأن تلك هي علامتها في حركتها وتَسَحُّبها، وهي طريقة برهانها بالنهاية على أنها لا نهاية.

بيد أن خطأ الغريزة في الإنسان يظهر في اعتبار الفرد نفسه كلًّا تامًّا وشيئًا متميزًا، فلا يريد لنفسه إلا أمرًا تامًّا وجوده، فيقع النزاع والعدوان، ويضيق بمقدار ما لا يستطيع أن يتسع، لأن دفعه لكل ما حوله مردود عليه بدفع مثله مما حوله، فتتبدل صورة الإنسانية في شكل دَخله الغلط من كل جهاته، وهاهنا موضع الدين الصحيح، فما هو إلا الناموس القائم من كل إنسان على الواقع في ذاته والواقع في غيره؛ ليتصل بين الواقعين المختلفين بنظام مختلف متحد يكون له في النفس ما يكون لنظام المد والجزر.

وبهذا كان واجبًا حتمًا أن تكون العقوبة جزءًا من نعيم الدين، وأن يكون القيد شقًّا من حرية العقيدة، وإلا بطلت في الإيمان قوتا الجذب والدفع معًا ببطلان إحداهما، لأن مدًّا بلا جزر هو أفحش الجذب الغرق من ناحية، وجزرًا بلا مد هو أفحش الغرق من الناحية الأخرى.

❀ ❀ ❀

تعجبي كلمة في الإنجيل لا أعرف أحدًا أحسن تأويلها وبلغ حقيقتها: قال: «يجب أن تولدوا ثانية»، ووضعها في هذا المقال هو تفسيرها، فإن الفرد يولد من الفرد، ولكنه لا يصلح على ذلك بل يجب أن يولد في صفاته وأخلاقه من المجموع الإنساني؛ لتقع الملاءمة، ثم إنه من أبويه يخرج من الحيوانية بغرائزها ولن يفلح بها إنسانًا، فيجب أن يولد مرة أخرى من جنسه الاجتماعي بغرائز مكتسبة، ثم إنه يولد مهيأ للإقرار بنفسه وحدها، فيجب أن يولد الثانية مهيأ لإنكارها وحدها.

على هذه الأرض، إما الإقرار بالنفس وإيثارها والاعتداد بها، ومع كل ذلك الحيوانية والشيطان، وإما إنكارها والإيثار عليها والمهاونة بها، ومع كل هذه الإنسانية والله.

لن تطاق الحياة إلا إذا تبدلت فاتخذت لها أسلوبًا غير أسلوبها الآتي من تركيب المادة، وإنما صراع الأرض كله حول إقامة هذا الأسلوب الجديد أو هدمه أو ترميمه، أسلوب الأخلاق والطباع الشديدة التي لا تطيقها الحيوانية فتسميها الإيمان، بالأسلوب الأول: تكونون بالحياة في موضعها، وبالثاني: تسعون بالحياة عن موضعها، (فيجب أن تولدوا ثانية).

كل ما يراد به أن يسد في الإنسانية مسد الدين ويغني عنه، فإنما هو في رأيي كطعام أهل الجحيم، لا يُطعمون فيها كما يطعمون في (نزل) لشبع وسمن بل

طعامًا، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾، أي: لإحداث الجوع وكَلَبِه واستمراره(١).

والطبيعة نفسها تهيئ الإنسان للدين بأسلوب غريب، هو هذا الحب الذي يخلق فطرة على أنواع مختلفة متعددة، حتى لا يخلو منه أحد. فلا معدل عنه ولا محيص، وإنما هو في مظاهره -أيها كان- دُربة للنفس الإنسانية تصعد به درجات من الفضائل: كالإخلاص والإيثار والاتصال الفكري والانبعاث الروحي والشوق الخيالي، ونحوها مما هو في الحقيقة إيجاد للحياة النفسية في أعمالنا، وفيض بالقوة الروحية على مظاهر المادة لإحداث الملامسة بين الأرواح والأشياء، والترابط بين الجاذب والمنجذب، وكل ذلك تهيئة للدين وعمله في النفس ليكون قائمًا على أساسه في الطبيعة؛ فالحب دين على أسلوب خاص ضيق، ولذلك يشتد فيه التعصب كما يقع في الدين من المؤمن به على وتيرة واحدة، إذ لا يرضى القلب في هذا ولا هذا غير رأي واحد.

فكيفما قلّبنا الحياة رأينا في كل جهة منها وجهًا من وجوه الإيمان، وباعثًا من بواعثه، وحكمة من فلسفته، فالمصلحون الذين يحاولون تجديد الأمم بصور ملونة من الغرائز تطمس على الدين، هم الذين يرجعون بهذه الأمم في عاقبة

(١) انظر إعجاز هذا التركيب، وكيف بدأ حين أراد وصف طعام أهل الجحيم، وما هي بدار طعام، بل دار عذاب؟! فقال: ﴿لَّا يُسْمِنُ﴾ فينخدع الحس فيظن أن هذا الطعام إن لم يسمن فربما ذهب بالجوع، وإن لم يذهب به فربما أغنى منه ولو شيئًا، ﴿وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ فيصدم الحس هذه الصدمة وينعكس عليه التأثير الذي توهمه، ثم يشتد هذا التأثير ويبلغ مبلغه حين يتأمل الحس البليغ هذا التركيب الدقيق، فلا يخرج له إلا أن طعام هؤلاء إذا كان لا يُحدث نتيجة البتة مما هو من خصائص الأطعمة لا في سمن ولا شبع، ولا الغناء من جوع، فما هو إلا طعام منعكس لإيجاد الجوع واستمراره، وتسميته على ذلك (طعامًا) مع أن لهذه الكلمة في النفس عكس ذلك العمل يكون أشد على النفس في العذاب وفي التهكم، فتأمل كيف يكون الإعجاز؟!

الأمر إلى الحيوانية؛ لأنه ليس في طبيعة النفس إلا شيئان: هوىً هي دائمًا أعظم منه، وإيمان هو دائمًا أعظم منها.

مصطفى صادق الرافعي

نظرة اجتماعية في الإحسان

الجود من ذوي الجدهْ معيار تقوى الأفئدهْ
لكن طلاء القول في الغـ ـالب للشح لِدهْ
إن جادت الأقوال فالأفعـ ـال غير جيدهْ
صلى الشريد التائه النـ ـظرة عمن شردهْ
والبائس المسكين ذا الـ ـعيلة عمن لددهْ
ضحية الشح هما وشهوات المعدهْ
الأرض ملأى معدنًا فضته وعسجدهْ
وربما كانت أدرر من بخيل رصدهْ

البلشفية التي كادت تكون السيدهْ
وهي التي صارت لـ ـل مالك مهددهْ
وهي التي يعدها أهل العقول مفسدهْ
وهي التي دُخانها أصبح نارًا موقدهْ
نتيجة لازمة للأمم المستعبدهْ
أبواب أغنيائها دون الفقير مؤصدهْ

إن مد يومًا يده ... إليهم حبوا يدهْ
ماذا جنى حتى حموه ... ماءهم أن يردهْ
ونصبوا أتعابه ... لكل ريح مصيدهْ
واحتكروا مجهوده ... حتى أبوا أن يحصدهْ
فكيف لا تنبت في ... صدر الفقير الموجدهْ
لو أخرجوا زكاتهم ... أبقوا السيوف مغمدهْ
ولطّفوا ببردها ... آلامه المتقدهْ
في هذه الفضلة حل ... الأزمة المعقدهْ
لكنها غطرسة ... جرت عليهم حسدهْ
فليحملوا أوزارها ... دائمة مؤبدهْ
ولينعموا بيومهم ... شيئًا فما أقسى غدهْ
هذا الضعيف المستكين ... الظلم شد عضدهْ
قد ملأتهم رهبة ... جنوده المجندهْ
لا عذر بعد اليوم إن ... أبرد منهم كبدهْ
حجتهم داحضة ... أقوالهم مفندهْ

❀ ❀ ❀

الويل كل الويل للضمـ ... ـائر (المؤكسدهْ)
مهما قدحت زندها ... بالنصح فهي مصلدهْ
هناك صنف من ذو ... يها لست أدري عددهْ
أقواله مؤمنة ... أما الفِعال ملحدهْ
ثوب التقى يلبسه ... على إهاب المردهْ
إن وجد البرَّ مضيئـ ... ـًا بين قوم أخمدهْ

قد يحرم السائل ملـ يمًا يقيم أودهْ
وخرقة من زمهر ير البرد تكسو جسدهْ
وفي المواخير ترى آلافه مبددهْ
ما ضره لو أسخط المسـ ـكين أن أرضى ددهْ !
مشاعرٌ عن كل إنسـ ـانية مجردهْ
أليست الحياة مهمـ ـا أُجلت محددهْ؟
ما ذا هو الإنسان من غير اكتساب محمدهْ
ومن هم الناس سوى المكارم المجددهْ؟
أولئك السادة أهـ ـل الهمم المسودهْ

❀ ❀ ❀

كم جاء في القرآن من أوامر مشددهْ
بالبذل وهو وارد بصيغة مؤكدهْ
لاسيما في (رمضا ن) الشهر ميمون الجِدهْ
الواعد المحسن في أيامه خير عدهْ
يضاعف الخير به طوبى لمن تزودهْ
إن لم يكن مال فثم الدعوة المرددهْ
الحض مثل البذل الاثـ ـنان خطى مسددهْ
إما رأيت معوزًا أو بائسًا كن سندهْ
أصهر بنار نصحك الـ ـعواطف المنجمدهْ
إن الشحيح داخل في عُمَد ممددهْ
أما الكريم فله دار السلام مُعتدهْ

محمد صادق عرنوس

كلمات في السياسة والعدل

* استعمل ابن عامر عمرَو بن أصبغ على الأهواز، فلما عزله قال: ما معي إلا مائة درهم وأثواب، قال: كيف ذلك؟ قال: أرسلتني إلى بلد أهله رجلان: رجل مسلم له ما لي وعليه ما علي، ورجل له ذمة اللَّه ورسوله، فو اللَّه ما دريت أين أضع يدي؟ فأعطاه عشرين ألفًا.

* قال أبو حازم الأعرج: الملك سوق فما نفق عنده جُلب إليه.

ماذا أرى في التجديد والمجددين؟

لقد كتبت كثيرًا في هذا الباب، وأمضيت في كل قضية حكمها، ووضعت لكل صورة ألوانها، وضربت وجهَي القياس عند أهل هذا الجديد فيما يستقيم لهم ويلتوي عليهم، ولكن فنون الكتابة في هذا المعاني كفنون الحرب، وفيما أرى لابد فيها من إبداع لتغيير ما لا يتغير في ذات نفسه، وعلى ما بلغت وسائل الموت في العلم والجهل فإنها لم تستطع أن تميت أحدًا مرتين، ولن نجعل الموت من بعد إلا ما هو من قبل، ومع ذلك فهي لا تزال تجدد وتبدع. . . فهل عند أصحابنا المجددين وسيلة لإحيائنا مرتين!

إن هذه الحياة الواحدة على هذه الأرض يجب أن تكون على سنتها في مثل ما كانت تصلح به من الضبط والإحكام، والجلب لها والدفع عنها والمحافظة عليها بوسائلها الدقيقة الموزونة المقدرة، والسهلة في عملها الصعبة في تدبيرها، فعلى نحوٍ مما كانت الحياة في بطن الأم يجب أن تعيش في بطن الكون

بحدود مرسومة وقواعد مهيأة وحيّز معروف، وإلا بقيت حركات هذا الإنسان في معناها كحركات الجنين يرتكض ليخرج عن قانونه، فإما ألقى به عمله مسخًا مشوهًا، وإما ألقى به ميتًا من جسد كان كل ما فيه قبل ذلك يعمل لحياته.

الجسم كله يشرع للجنين ما دام فيه، والاجتماع كله يشرع للفرد ما دام منه، فكيف يكون أمر من أمر إذا كان الجنين مجددًا. . .لا يعجبه وضع القلب ولا يرضيه عمل الدم، ويرى المعدة أكبر مما يحسن أن تكون أو على غير قواعد الفن والجمال. . .وهو لا يريد أن يكون مقيدًا لأنه مجدد، فهو طبيعة بذاتها يجب أن تتسلط على ما حولها وتصلح فيه وتجدد منه، ثم يجد في جغرافية الجسم الذي يجنه قارتين جميلتين كأوربا وأمريكا يقال لهما الرئتان: فيأبى إلا أن يكون في واحدة منهما لا فيهما الهواء.

❀ ❀ ❀

أنْظُر الآن إلى الطريق فأرى شرطيًا يضرب في هذا الشارع مقبلًا ليدبر أو مدبرًا ليقبل، وقد ألبسته الحكومة ثيابًا يتميز بها، وهي تتكلم لغة غير لغة الثياب، فلا تنطق من زينة أو ترف أو تصد أو فقر أو حر أو برد، بل تقول: أيها الناس، إن هاهنا الإنسان الذي هو قانون دائمًا، والذي هو قوة أبدًا، والذي هو سجن حينًا، والذي هو مشنقة إذا اقتضى الحال.

يا أصحابنا الملحدين والمجددين: أتحسبون هذا الشرطي قائمًا في هذا الشارع كجدران هذه المنازل؟ كلا - إنه واقف أيضًا في الإرادة الإنسانية وفي الحس البشرى وفي العاطفة الحية، فكيف لا تمحونه مع أنه في ذاته إرغام بمعنى، وإكراه بمعنى غيره، وقيد في حالة، وبلاء في حالة أخرى.

لكنه إرغام ليقع به التيسير، وإكراه لتنطلق به الرغبة، وقيد لتتمجد به الحرية، وكان هو نفسه بلاء من ناحية ليكون هو نفسه عصمة من الناحية المقابلة.

كل دين صالح وكل فضيلة كريمة وكل خلق طيب إنما هو على طريق المصالح الإنسانية هذا الشرطي بعينه، فإما تخريب العالم أيها المجددون وإما تخريب مذهبكم...

أنتم ويحكم تقولون: العلم والفن والشهوة والغريزة والعاطفة والمرأة وحرية الفكر واستقلال الرأي ونبذ التقليد وكسر القيود إلى آخره وإلى آخرها... فهذا كله حسن مقبول سائغ في الورق إن كان مقالة أو قصة، وحين ينحصر في حدوده التي تصلح له من ثياب الممثلين، أو من بعض النفوس التى يمثل بها القدر فصوله الساخرة أو فصوله المجنونة أو فصوله المبكية، ولكنكم حين تُخرجون هذا كله للحياة على أنه من قوتها الموجبة ترده الحياة عليكم بالقوة السالبة، إذ لا تزال تخلق خلقها وتعمل أعمالها بكم وبغيركم، وإذا كان في الإنسانية هذا القانون الذي يجعل كل فكر مريض أو سافل يهدم من صاحبه يهدم في الكون بصاحبه، ففيها أيضًا القانون الآخر الذي يجعل كل فكر صحيح أو سام يبني من أهله - يبني في الكون بأهله.

قال دمنه...[(١)] ونظرت إلى سلكي الكهرباء وكان واحد منهما فيلسوفًا مجددًا كفلاسفة مصر... فإذا هو يقول لصاحبه: ما أراك إلا رجعيًا إذ كنت لا تتبعني أبدًا ولا تتصل بي ولا تجري في طريقتي، ولن تفلح إلا أن تأخذ مأخذي وتترك مذهبك، فقال له صاحبه: أيها الفيلسوف العظيم لو أنى اتبعتك لبطلنا معًا، فما أذهب فيك ولا تذهب في، وما علمتك تشتمني في رأيك إلا بما تمدحني به في رأيي.

---

(١) من نسختنا الخاصة لكتاب (كليلة ودمنة)، وقد نشرنا أمثالًا منها في كتابنا (المعركة بين القديم والحديث).

وهذا هو جوابنا إذا كنا رجعيين بدين أو فضيلة أو قومية أو بلاغة أو حياء أو عفة إلى آخرها وإلى آخره... ونحن لا نرى هؤلاء القوم من فلان وفلان عند التحقيق إلا ضرورات من مذاهب الحياة وشهواتها وحماقاتها، تلبست بعض العقول من تربية أو تقليد أو مرض أو غاية أو ضعف كما يتلبس أمثالها بعض الطباع فتزيغ بها، وللغة في الحياة العملية مترادفات أيضًا تكون الكلمتان والكلمات بمعنى واحد، فالمخرب والمخرف والمجدد بمعنى..، وكيت وكيت كذا والتجديد بمعنى.

كلٌ منهم يريد أن يضع في كل شيء قاعدة نفسه هو، فهذا موضع العلم والإصلاح عندهم، أما موضع الجهل والغفلة منهم فأنت تتبينه إذا حققت واستنتجت القياس الذي وضعوه، فإنه إذا اختلفت القواعد لشيء واحد ذهبت به الفوضى ولم تبق له قاعدة.

وهذا هو السر في أن التجديد لا يكون شيئًا واقعًا إلا بالمحكمة والمشنقة كما وقع في تركيا، لأن المشنقة لا تضع إلا قاعدة واحدة، فهي في الحقيقة المجددة لا مصطفى كمال ولا غير مصطفى كمال، أنبحث عما نتسلط به أم ما يتسلط علينا؟ وهل نريد أن تكون غرائزنا أقوى منا أو نكون نحن أقوى منها؟ هذه هي المسألة لا مسألة الجديد والقديم، ولعمري لقد قرأت كثيرًا مما كتب المجددون، فأشهد ما رأيتهم يحاولون إلا خلق الصور المكروهة أو المغلوطة في أشكال محبوبة أو صحيحة، وما في ذلك إلا إفساد الحقيقة أو إفساد الضمير أو إفساد التعبير، وهم يكادون يقررون في أدب مذهبهم أن للعبقري منهم وقاحة مقدسة... فيهينون الوقاحة بجعلها مع التقديس، ويهينون التقديس بوصف الوقاحة به، وبهذا نجزم نحن أن لا أدب ولا كرامة في هذا المذهب.

إن الواقع في الطبيعة الإنسانية لا يُعجزنا لأنه واقع، فإن لم يكن هناك المثل الأعلى الذي يعظم بنا ونعظم به فسد الحس وفسدت الحياة، وكل الأديان الصحيحة والأخلاق إن هي إلا وسائل هذا المثل الأعلى للسمو بالحياة في آمالها وغاياتها عن الحياة نفسها في وقائعها ومعانيها.

يقول بعضهم: (الأدب المكشوف)، وهي كلمة من جهله المكشوف لا غير: إذ لو علم هذا لعلم أن شرط الجمال في كل كائن لا يقوم بإظهار أشياء منه إلا مع اختفاء أشياء غيرها، فهو مجتمع تحته من كليهما لا من أحدهما، وهو جمال بما يظهره لأنه يخفي تحته ما لا يظهره، ولو جئت بأجمل النساء وكشفت مزعة من جلدة وجهها لعادت هي بعينها من أقبحهن، وكذلك القياس في كل جمال لا بد من ترك أشياء كثيرة مستورة كما لا بد من أخذ أشياء كثيرة على ظاهرها دون باطنها.

لم أر إلى الآن من آثار المجددين شيئًا ذا قيمة لا في علم ولا في أدب، ما كان من هراء وتقليد زائف فهو من عندهم، وما كان جيدًا فهو عندهم كالنفائس في ملك اللص لها اعتباران: إن كان أحدهما عند مقتنيها.. فالآخر عند القاضي، كلا يا هذا لن تسمى مالكًا بهذا الأسلوب، إنما هي كلمة تسخر بها من الناس من نفسك ومن الحق، كلمة جعلتك غلطًا في اسم من الذهب، ولو صرحت عن حقيقتها جعلتك ولا ريب في اسم من الحديد.

وليس عندنا مجدد بمعنى التجديد على حقه وعلى مذهبه وعلى مقداره، وإنما هي فوضى، أولئك بعض أشخاصها وتلك بعض أعمالها، ألا وإن كلمة (جبار) لا تقوم في الواقع إلا بأوزان عالية من مقادير القوة في العضلات والعظام والأعصاب والروح، فكلما نزلت هذه المقادير شيئًا تواضع الاسم شيئًا، وتبدل شيئًا، وصار شيئًا، فإذا تواضع التجديد وسمى نفسه تجربة... لطريقة أو لطرق

من الإصلاح لم يعد الجدال بينه وبيننا، بل يكون بينه وبين سنن الحياة في المصالح العامة، هي تقره فثبته أو هي ترده فتنفيه، ولكن .لكن إيه . . .

مصطفى صادق الرافعي

عادات شعراء العرب

كان شعراء العرب يتمايزون عن سائر الناس بعادات، وقد مر بي في أثناء مطالبة كتب الأدب شيء منها فأفردته في هذا المقال:

من عادات الشعراء أن يلبسوا الوشي والمقطعات والأردية السود وكل ثوب مشهر، ذكر هذا الجاحظ في كتاب «البيان والتبيين»، وقال: (كان عندنا منذ نحو من خمسين سنة شاعر يتزيى بزي الماضين، وكان له بُرد أسود يلبسه في الصيف والشتاء، فهجاه بعض الطناز[1] من الشعراء، فقال في قصيدة له:

بع بُردك الأسود قبل البَرد   في قرة[2] تأتيك صما صردِ

ومن عاداتهم أن يخاطبوا نساءهم في ابتداءات قصائدهم إذا حضروا، ويخاطبون أخلاءهم إذا سافروا، لأنه كان لا يسافر منهم أقل من ثلاثة[3].

ومن عادتهم في الجاهلية أن الواحد منهم إذا أراد الهجاء دهن أحد شقي رأسه، وأرخى إزاره وانتعل نعلًا واحدة[4].

---

(١) من الطنز وهو السخرية.

(٢) القرة ما يصيب الإنسان وغيره من البرد، وصما صرد: شديدة البرد

(٣) «شرح ديوان أبي محجن الثقفي» للحسن بن سهل، (ص ٤).

(٤) «أمالي المرتضي» (١/ ١٣٥)، و«خزانة الأدب للبغدادي» (٤/ ١٧٢).

وكانوا لا يتكسبون بالشعر، وإنما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاهة أو مكافأة عن يد لا يستطيع أداء حقها إلا بالشكر، حتى نشأ النابغة الذبياني، فمدح الملوك وقبل الصِلة على الشعر[(١)].

ومن عادتهم عرض أشعارهم على قريش والاعتماد على حكمهم فيه بالرد والقبول، قال حماد الراوية: كانت العرب تعرض أشعارها على قريش فما منه كان مقبولًا، وما ردوا منه كان مردودًا، فقدم عليهم علقمة بن عبدة فأنشدهم قصيدته التي أولها:

هل ما علمت وما استودعت مكتوم ... أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

فقالوا: هذا سمط الدهر، ثم عاد إليهم في العام القابل فأنشدهم قوله:

طحا بك قلبٌ في الحسان طروب ... بُعيد الشباب عصر حان مشيب

فقالوا هذا سمطا الدهر[(٢)].

ومن عادتهم المساجلة[(٣)]، وهي أن يتساجل الشاعران فيصنع هذا قسيمًا، وهذا قسيمًا، أيهما ينقطع قبل صاحبه؟ وأكثر ما تكون بأنصاف الأبيات.

وكان كثير منهم يعملون القصيدة ولا يظهرونها للناس حتى ينظروا فيها ويهذبوها، ومن هؤلاء زهير الذي كان يعمل القصيدة ولا يُظهرها إلا بعد حول، وتسمى قصائده «الحوليات».

---

(١) «العمدة» لابن رشيق (١/ ٤٩).

(٢) «خزانة الأدب للبغدادي» (٤/ ٥١٧).

(٣) في «نظام الغريب» لعيسى بن إبراهيم الربعي. والسجل: الدلو، وجمعه سجال، قال: فخلياها والسجال نبترد، ومنه أخذت المساجلة، وأصلها أن يقف الرجلان على البئر، كل واحد ينزع سجله يتباريان ويبتدران النزع، ثم قالوا لكل من يباري صاحبه في قول شعر أو خطبة: هو يساجله.

وكان الحطيئة يعمل القصيدة في شهر وينظر فيها ثلاثة أشهر ثم يُبرزها[١].

وكان أبو نواس يعمل القصيدة ثم يتركها أيامًا، ثم يعرضها على نفسه فيُسقط كثيرًا منها؛ ويترك صافيها، ولا يسره كل ما يقذف به خاطره[٢].

وكانوا إذا اجتمعوا يستنشد بعضهم بعضًا ما قاله من الشعر، وهذا معروف عنهم، حدث دعبل أنه اجتمع هو ومسلم بن الوليد وأبو الشيص، فقال لهم أبو نواس: إن مجلسنا هذا قد اشتهر باجتماعنا فيه، ولهذا اليوم ما بعده، فليأتِ كل امرئ منكم بأحسن ما قال فلينشده.

وكان بعضهم يرى أخذ الصلة ممن دون الملوك عارًا فضلًا عن العامة وأطراف الناس؛ قال ذو الرمة يفتخر بأنه لا يكتسب إلا من صلات الأمير الأعلى:

عطايا أمير المؤمنين ولم تكن ... مقسمة من هؤلاء وأولئك

قال الأحوص:

وما كان مالي طارفًا من تجارة ... وما كان ميراثًا من المال متلدا

ولكن عطاء من إمام مبارك ... ملا الأرض معروفًا وجودًا وسؤددًا

وكانوا يتعرضون بالشعر لحاجتهم، ويستشفعون بتقديم الأبيات بين طلباتهم، وفي «الكوكب الثاقب» لعبد القادر بن عبد الرحمن السلوى: كان شعبة بن الحجاج أو سماك بن حرب إذا كانت له إلى أمير حاجة استنزله بأبيات يقولها فيه.

وكانوا يستشفعون عند الملوك لذوي قرابتهم، فيشفعون بشفاعتهم وينالون الرتب بهم، وقد افتخر بهذا البحتري، فقال:

إن أبقَ أو أهلك فقد نلت التي ... ملأت صدور أقاربي وعداتي

---

(١) «كتب الصناعتين» لأبي هلال العسكري (ص ١٣٠).

(٢) «أخبار أبي نواس» لابن منظور (ص ٥٥).

وشفعت في الأمر الجليل إليهم بعد الجليل فأنجحوا طلباتي
وصنعت في العرب الصنائع عندهم من رِفد طلابٍ وفك عناة

وكان بعضهم يقول الشعر وهو يجود بنفسه، وقد عقد ابن عبد ربه في «العقد الفريد» لهؤلاء فصلًا مستقلًا، وأورد هبة اللَّه ابن الشجري بنفسه في «مختاراته» قصيدة لبشر بن أبي خازم قالها وهو يجود بنفسه، وهي التي يقول في أولها:

أسائلة عميرة عن أبيها خلال الجيش تعترف الركابا

تونس/ محمد المكي حسين

وعظ العلماء للأمراء

دخل أبو بكر الطرطوشى على الأفضل أمير الجيوش فوعظه، وقال في وعظه: إن الأمر الذي أصبحت فيه من الملك إنما صار إليك بموت من كان قبلك، وهو خارج من يدك بمثل ما صار إليك، فاتق اللَّه فيما خوَّلك في هذه الأمة، فإن اللَّه تعالى سائلك عن النقير والقطمير إلى أن قال: فافتح الباب وسهّل الحجاب وأنظر المظلوم.

اللبانات

يأسف المرء على ما فاته من لبانات إذا لم يقضها
وتراه ضاحكا مستبشرًا بالتي أمضى كأن لم يمضها

إنها عندي كأحلام الكرى ... لقريب بعضها من بعضها

ابن حطان

الجامد والمقلد

زمان كله لجبٌ وضوضا ... وأهلوه بحب الذات مرضى
أسارى لذة أحلاس جهل ... يرون إجابة الشهوات فرضا
تمدَّن جاهلٌ فأتى فريًا ... وأعرض جامدٌ فانحط أرضا
فلا هذا بعهد اللَّه أوفى ... ولا ذا شرعة الإسلام أرضى
تراوح أمرنا ما بين غالٍ ... ورجعي يرى في البسط قبضا
فلا الإفراط أجدانا فتيلًا ... ولا التفريط للخيرات أنضى
سل التمدين هل هو رشف كأس ... وأوطار مع الغادات تُقضى
وطرح للفضائل وانبعاث ... إلى حيث الهدى كالثوب ينضى
وتقليد بلا فهمٍ وقول ... بلا علمٍ وإلحاد وفوضى
وقل لدعاته: أسفِهْ برأي ... به جئتم، فكان الشر محضا
هوى ببناء عزتنا، وألوى ... بوحدتنا، وزاد الغزل نقضا
وقل لأخي الجمود: بأي حق ... رفضت فوائد التمدين رفضا؟
ولم تعمل بحكم الدين فيه ... فتأخذ ما يقي دينًا وعِرضا
أسرَّك أن ترى الغربي أضحى ... يسوم جياده في الجو ركضا
فتمرق فى جوانبه شهابًا ... وتملأ جسمه كالروح نبضا
وتعزب لا تراها العين إلا ... كما لمعت ثغور البرق ومضا
وتأوي حيث لا النينان تأوي ... ولا الجنّان إن حاولن أيضا

ونحن من الطريق بحيث كنا وقوف لا نرى في ذاك غضّا
إذا نشبت بنا أظفار عادٍ لقيناها بتسليمٍ وإغضا
وإن ديست كرامتنا بكينا وأضمرنا لعادي الدهر بغضا
عجبت وحالنا بالذم أحرى وقول الحق عند اللّه أرضى
أناسٌ ما أشاهد أم ذباب يشابه بعضه في الوصف بعضا؟
يطن وليس يحذر سامعوه له قرصًا ولا يخشون عضّا

❊ ❊ ❊

أجدَّك هل ترى إلا خليعًا إذا ناشدته الأخلاق أغضى
وذا مال يضنُ بما لديه ولا يخشى لعهد اللّه نقضا
تحجر قلبه فارتد صخرًا يرضُّ من الحياة العظم رضّا
وذا جاه إذا ما قمت تدعو إلى الحسنى على الآثام حضّا
وذا علم يرى في الجهل رفعًا لأمته وفي العرفان خفضا
غبار خليقة فكرت فيه فلم أطعم على التهويم غمضا
يطير إذا رياح المجد هبت هباءً في الفضاء طولًا وعرضا

❊ ❊ ❊

فهل من قائم بالخلق يدعو فننفض حالنا للحق نفضا
فما غير الهدى للداء طب ولا من دونه الأوطار تُقضى

❊ ❊ ❊

لساني لا عدمتك من صديق ألوذ به إذا صبري تقضّى
فإن علق الأسى يومًا بقلبي رحضت بمائه الأقدار رحضا
ويا قلبي رُويدَ، فكل كرب سيفضي للزوال وان أمضّا
إذا كان الذي لم ترض فاصبر على آلام ما قد كان وارضَ

محمد حسن النجمي

الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير

□ ١ □

كنت بعاصمة الجزائر سنة ١٣٤٤هـ، وَصُمْت بها رمضان ذلك العام، وكنا رفقة تجتمع كل ليلة من ليالي رمضان، وكان في رفقتنا محام مسلم جزائري اسمه الإسلامي: (عبد القادر. . .) واسمه الفرنسي: (ألبرت. . .)، وهذا الاسم الأخير هو ما تدعوه به أمه الفرنسية وأصدقاؤه الفرنسيون والمتفرنسون، وكان هو الآخر متفرنسًا، ومتفرنسًا في كل شيء: في عقليته وأدبه، وفي أخلاقه وعادته، وحتى في اللغة العامية التي يتكلمها، فهو لا يقيم الصلاة، ولا يصوم رمضان، ولا يحرم ما حرم الله، ولا يؤمن بأن القرآن تنزيل من الله، بل كان يحسبه من كلام الرسول ﷺ، وهكذا، وهو عند نفسه مسلم كان من الذين لا يدينون دين الحق، وذلك لأنه نشأ نشأة فرنسية محصنة، ما كان يعرف فيها ما للإسلام، ولا يعرف عن المسلمين شيئًا، فقد ربته أم فرنسية، وفي وسط فرنسي. . .

ومع ذلك فقد كانت خصلة حميدة هي التي تربطنا به وتربطه بنا ارتباطًا متينًا، وهي وطنيته الحديثة، وغيرته الصادقة على الجزائر وإخلاصه لأبنائها، وجهاده في سبيلها جهادًا شريفًا، فكنا نتعاون على البر بالجزائر، وعلى خدمة القضية الجزائرية: هو يستعين بي على فهم نفسية الجزائر المسلمة، وأنا أستعين به على ما صدر في القضية من قرارات وقوانين.

وكان متزوجًا بزوج فرنسية لا تعرف العربية الدارجة إلا قليلًا، وكانت تحضر معه مجالسنا تلك، فكنا (أنا وإياه) نتكلم في الصلاة والصوم والقرآن، وما إلى ذلك من الدين.

وكان رجلًا لا يُذعن إلا للحجة والدليل، فكان لذلك من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، فتحاورنا ما شاء اللَّه محاورة مخلصة لا نريد منها إلا بيان الحق، ثم أذعن وصام وهجر الخمرة وآمن بالله وباليوم الآخر، وأيقن بأن القرآن من عند اللَّه لا ريب فيه، ثم كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وما وجدت أية صعوبة في إقناعه، مع أني لم أكن أطمع فيه، لما أعرفه في هؤلاء من المكابرة والعناد.

وليس مرادي أن أقص حكاية مسلم كان ضالا فاهتدي من ضلاله، وإنما مرادي شيء آخر غير ذلك، فقد انقضى رمضان ذلك، وتفرقنا: فسافرت أنا في النصف الأخير من شوال ١٣٤٤هـ إلى مدينة الأغواط بجنوب الجزائر مندوبًا من بعض سراتها، فأنشأت بها (مدرسة الشبيبة القرآنية) بإعانة فضلائها، واحتملت من العناء في هذا المشروع ما لا طاقة لي به[1]، لولا حب هذا الوطن البائس، وحدث لي ما اضطرني إلى السفر إلى بسكرة (مسقط رأسي)، فخلفني -لحسن الحظ- على المدرسة أخ مصلح كريم دعوته لهذه المهمة، وهو الأستاذ مبارك الميلي.

وسافر صديقي المحامي الأستاذ عبد القادر. . .إلى فرنسا هو وقرينته، ومضت فترة لا أكتب إليه فيها، ولا يكتب إلي.

ولبثنا كذلك، حتى جاءتني منه ذات يوم رسالة يُخبرني فيها بما عمله هناك للجزائر، وبما ينوي أن يعمله لها، ويعاتبني على ما كان من قطيعة وجفاء، ويخبرني بإسلام قرينته، ويشكر لي أن كنت سببًا في هدايتها.

وكتبتْ إلي هي بخطها حاشية ضافية تقول لي فيها: إنها مدينة لي بهدايتها إلى

(١) لأن السلطة لا تريد هذا النوع من المدارس.

الإسلام؛ لأنها وإن لم تُعلن إسلامها ولم تُذعه إلا في هذا اليوم، فإنها كانت اعتنقت الإسلام منذ رمضان ١٣٤٤هـ، وكانت قالت يومئذ فيما بينها وبين نفسها: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله) منذ سمعتني أتحدث إلى زوجها عن حكمة الصلاة والصيام وتحريم الخمر، وعن القرآن الكريم؛ وكونه كتاب الإنسانية الذي لا يُصلحها إلا هو، وكونه تنزيلًا من الله، ما فيه شك، وقالت:

(..ومما زادني إيمانًا ما رأيته في زوجي، وهو يحاورك في القرآن، فقد رأيتُ كل ما أعرفه فيه من قوة حجة، وإحكام منطق، كل ذلك رأيته يضؤل أمام ما كنتَ تبديه من إيمان تندفع فيه اندفاعًا: فيه لهجة صادقة، وفيه فصاحة وبيان، وإن أنس لا أنسى وجومه وقد زعم أن الوطنية الصادقة تغنى عن الدين، فقلت له: إذا كنت لا تدين بدين أبناء وطنك ولا تلبس لباسهم، ولا تتكلم بلغتهم، وعوائدك غير عوائدهم، فبماذا تكون وطنيًّا؟ ثم إذا كنت تعيش في غير مجتمعهم بعيدًا عنهم، وتتأدب بأدب غير أدبهم، وتتخلق بأخلاق غير أخلاقهم فبماذا تميز مصلحتهم من مضرتهم؟

(لقد أسلمت منذ ذلك الحين يا سيدي وكنت أخشى إن أنا أذعت إسلامي في النساء الفضوليات أن يسلقنني بألسنة حداد، وذهب عنى اليوم هذا الخوف لما قوي إيماني، وأعلنت إسلامي، وأصبحت أفتخر به بين الفرنسيات في باريس، وفي غير باريس

وكثيرًا ما دعوتهن إلى الإسلام، ومنهن من يسمعنَ لقولي، وكان من السهل أن يدخلن في دين الله، لو أنهن وجدن معلمًا يعلمهن هذه الهداية، وداعيًا يدعوهن إليها، دعاية فيها إقناع، وفيها بلا مبين.

(أنا مؤمنة مقتنعة بأن الإسلام هو دين اللَّه ما أرتاب فيه، ولكنى كما تعرفني لا أملك من البيان ما أستطيع أن أُقنع به صاحباتي وصديقاتي المتعلمات المهذبات! على أني قد بلغت، وما زلت أبلغ..)

ثم سألتني عن مسائل في الصلاة والصيام والطلاق ونحو ذلك، وطلبتْ مني أن أختار لها اسمًا إسلاميًا تسمي به نفسها، فاخترت لها اسم (عائشة)، وقلت لها: لأنه اسم عائشة أم المؤمنين إحدى أزواج رسول اللَّه ﷺ، وذكرت لها لمحة من ترجمتها، فكتبت إليّ تخبرني بأنها مغتبطة مسرورة بهذا الاسم الكريم، وتذكر لي أنها عرضته على كثير من معارفها وصاحباتها ففرحن لها فرحًا شديدًا، وعدن يدعونها (عائشة)، وتجد هي هذا الدعاء لذيذًا، وتذكر لي أن قد أعجبتهن تلك اللمحة من ترجمة عائشة أم المؤمنين ﵂، واستزادتني من الكتابة إليها بسِير فضليات النساء المسلمات وتقول: إنها ترجو أن توفق إلى هداية كثيرات إلى الإسلام بمثل سير هؤلاء المؤمنات الصالحات، وأردت أن أوافيها برغبتها، ولكنى وجدت في ذلك مشقة وعسرًا، فقد كنت أكتب إليها الرسالة بالعربية، ثم أدفعها إلى أحد أصدقائي لينقلها إلى الفرنسية نقلاً دقيقًا عسيرًا غير يسير، لما في ذلك من آيات كريمة، وأحاديث شريفة تصعب ترجمة معانيها، وترجمة ما فيها من إعجاز.

أنا لم أقصد أول مرة إلى هداية هذه المرأة المسيحية إلى الإسلام، ولكن اللَّه هداها إليه بما كنت أتحدث به إلى زوجها المسلم، وبما كان يجري بيني وبينه في الإسلام من مناقشة وحوار، فأسلمتْ وجعلت تدعو إلى الإسلام، وتُبشر به: لا تلهيها عن ذكر اللَّه زينة باريس وزخرفها، ولا ما هنالك من لعب ولهو، ولا ما في تلك الحياة من غرور وأخاديع.

❑ ٢ ❑

واجتمعت يومًا عند عالم من علماء المشرقيات في الجزائر بامرأة فرنسية كاتبة مستشرقة هي الأخرى، وتكلمنا في مسألة التبشير الإسلامي والدعاية إلى سبيل المؤمنين، فقلت: لو أن لهذا الإسلام هداة يهدون بالحسنى، ودعاة ينشرون الإسلام في أوربا وأمريكا وغيرهما، لما لبثت الكرة الأرضية إلا يسيرًا حتى يغمرها الإسلام بنوره، فوافقت على رأي هذا العاجز، وأخبرتنا بأنها تعرف أسرة من الأسر النبيلة في الجزائر تزورها الفينة بعد الفينة، وتختلف إليهما من حين إلى حين، تبحث عن المجتمع النسائي الإسلامي وما يتصل به، وذكرت لنا أنها كانت ألفت كتابًا في هذا الموضوع، وكانت تظنه كتابًا قيمًا، نصحت فيه المرأة المسلمة بأن تعتمد على نفسها في تحرير رقبتها، وأن تتمرد على الحجاب فلا تبقى سجينة به، وهكذا جعلت تصف للمسلمة طريق الحرية والخلاص! وقرأت من كتابها على ربة المنزل في تلك الأسرة، وعلى نساء كنّ معها يستمعن الكتاب وصاحبته تتلوه عليهن، فلما سمعنه أكبرنه وقلن حاش لله ما هذا حقًّا، إن هذا إلا خطأ مبين، وابتدرتها ربة المنزل تقول لها: إنك ألفت هذا الكتاب لنا معشر المسلمات بنية حسنة، وتريدين أن تخدمينا به خدمة صادقة، وتعملين لنا به عملًا صالحًا، ولكن اسمحي لي أن أقول لك: إن كتابك هذا هو آلة لهدم شرف المسلمة والقضاء على سعادتها، ولتمزيق ما هي فيه من صيانة وعفاف، وكل ما فيه أن الوهم يصور لك المرأة المسلمة أسيرة في يد الرجل، وتتصورين حجابها سجنًا لها، مع أن الأمر ليس كذلك، فإن حجاب المسلمة صيانة لها، والمرأة في خدرها كالوردة في كمها، والمرأة في خدرها كالملكة في قصرها لا تبرحه ولا تود أن تريم عنه، وليس الرجل إلا قيمًا (قوَّامًا) عليها، تظل هي في منزلها وكل غرامها في إصلاح شئونه وفي تربية أولادها، ويظل هو يكد ويكدح،

ليؤدي ما لها عليه من واجب، وليقوم لها على ضرورياتها، وهو مسؤول لها أكثر مما هي مسئولة له، أترينها -وهي ملكة منزلها- تسمي نفسها أسيرة بيد الرجل، تسمي حجابها سجنا لها؟ كلا، فحجابها هو صوانها، وأولى بالمرأة أن تصان وتحتجب، وكما يجب على الرجل أن يكون رجلًا كاملًا في رجولته، يجب على المرأة أن تكون امرأة أنثى كاملة في أنوثتها، وفي الحجاب من لين الأنوثة ودلالها مالا يكون في السفور، والسفور عندنا من عادة النساء البدويات والقرويات، حيث الخشونة وشظف العيش، لا من شأن الحضريات، حيث الطراوة والنعومة، وحيث الرفاهية والعيش الرخيم، والمرأة البدوية أو القروية بسفورها مترجلة تشبه الرجل، ثم هي ليست بامرأة كالنساء ولا برجل كالرجال.

قالت الراوية: واندفعت ربة المنزل تصف المرأة السافرة بأنها لاهية لاعبة مسرفة في لهوها وفي لعبها، وقد تقسو عليها فتصفها بقلة الحياء، حتى خجلتُ ووجمتُ، فأردتُ أن أتكلم فلم أقدر على الكلام.

قالت: ثم جعلتْ تُدل بالحجاب، وتزعم أن فيه الحشمة والعفاف، وفيه الأنوثة وكل ما فيها من سحر ودلال، وتطري المحتجبات، وتسرف في الثناء عليهن.

قالت: وهنا حنقتُ واستكبرت وأنا المتعلمة الكاتبة أن أقف بين يدي امرأة جاهلة موقف الحيرة والوجوم، وأنا ما جئتها إلا لأعلمها كيف تكون امرأة حرة، فجمعت (قوتي في يدي) وقلت لها:

لو أنك ذقتِ لذة الحرية لما صبرت عنها لحظة واحدة، ولمزقتِ حجابك تمزيقًا.

قالت: وهل أنت في الحرية تتلذذين بها وتتنعمين في بحبوحتها؟

قلت: نعم، أنا كذلك.

قالت: وأنتِ مع ذلك امرأة أنثى؟

قلت: وهو كذلك.

قالت: تلك أنت عند نفسك، وأما عندنا فما أنت كذلك.

قلت: وكيف؟

قالت: فلنجعلك أنت مثلًا أعلى للحرية التي تريدينها لنا، فأنت امرأة مهذبة كاتبة، ونحن إن خلصنا من الحجاب (كما تقولين) وترقينا وتمدنا، فما نحن ببالغات مهما أمعنا في الترقي والتمدن إلى الذروة التي أنت فيها من الثقافة والتهذيب، ومع هذا كله فما نراك تكلمت في أنوثتك، وما نراك إلا فقدت أكثر ما تكون به المرأة امرأة أنثى كاملة في أنوثتها.

قالت الراوية - وهنا قاطعتها بلهجة غضب - قائلة: ولمه؟

فقالت: أنت عازبة غير متزوجة؟

قالت: فقلت (نعم)

قالت: وماذا يمنعك من الزواج؟

فقلت: لم أجد رجلًا كما أحب.

قالت: ويحك! فهل خلت رقعة الأرض من رجل يكون كما تريدين؟

وواصلت حديثها، وقالت: ولا تعمرين منزلك إلا قليلاً؟

فقلت: وماذا عسى يضيرني إذا لم أعمره؟

فقالت: لا تتزوجين ولا تلدين، ولا تعمرين منزلك، فما أنت بزوجة، ولا بأم بربة منزل، فإذن بماذا تكونين امرأة أنثى كاملة في أنوثتها؟ أبركوب الخيل،

والخطب الحماسية، والتصفيق والهتاف؟ كلا يا سيدتي، ليس شيء من لين الأنوثة ولا نعومتها في هذا ولا في مثله...

قالت الراوية: فما زدت على أن ودّعتهن، وخرجت خزيانة منكسرة مهزومة ليس وراء ما أنا فيه من الخزي والانكسار والهزيمة غاية أخرى، وكنت أراني كل شيء عند نفسي، فصرت أراني أهون ما يكون، وكان كتابي الذي بذلت في تأليفه أقصى ما يمكن إنسانًا أن يبذله في مثله أحب ما يكون إلي، فصار أرخص الأشياء وأمجها في عيني، ولم ينطفئ ندمي عليه إلا بعد ما محوته محوًا من لوح الوجود، وكان الحجاب في نظري عادة جامدة قاسية يجب أن تتمرد عليها كل مسلمة تريد أن تخرج إلى هذه الحياة، فصرت أنظر إليه كأقدس الشعائر التي يجب أن يحتفظ بها احتفاظًا شديدًا، وهكذا أصبحت أنظر إلى كل شيء إسلامي بغير العين التي كنت أنظر بها من قبل إليه، وإني مكبة اليوم على تأليف كتاب في نصرة الحجاب، قد انتبهتُ إليه منذ ذلك اليوم، ولا أكتمكم إني أصبحت أميل إلى الإسلام ميلًا شديدًا، وغير بعيد أن تسمعوا عنى أن (فلانة) (تعنى نفسها) قد اعتنقت الإسلام.

❁ ❁ ❁

وهذه امرأة مسلمة قد استطاعت على جهلها وأميتها أن تهزم بدفاعها عن دينها امرأة مثقفة راقية كاتبة مستشرقة هي كل شيء عند نفسها، وشيء عند الذين عرفوها وعرفوا فضلها وإنصافها، فلو أن جميع المسلمين المسلمات يعتزون بالإسلام وينفحون عنه، ويبشرون به، ويدعون إلى سبيله، إذن يكون الدين كله لله، وإذن لآمن من في الأرض جميعًا.

محمد السيد الزاهري

الحرب
كلمات مأثورة للمارشال فوش

* منذ عهد نابليون يتوسل المحاربون في الحروب الحديثة بكل ما تصل إليه أيديهم من الوسائل، فليس للحرب إلا حجة واحدة هي (القوة).

* في الحرب يقدم الواقع على الرأي، والفعل على القول، والعمليات على النظريات.

* تثار الحرب لأية علة، متى أراد الخصم ذلك.

* الطاعة هي أول قوة تملكها الجيوش.

التاريخ الهجري ومكيدة الداعين إلى هجره

كتب الأستاذ «محمد بك كرد علي» (وزير المعارف السورية الآن) رسالة إلى شيخنا العلامة العظيم الشيخ «طاهر الجزائري رحمه الله» عن التاريخ الهجري، واعتراض بعض صغار الهمم وقصار النظر على استعمالنا له، فأجابه الشيخ - أعلى اللَّه مقامه في جنانه-:

(عجبتُ لمن يسعون في أن نهجر التاريخ الهجريّ ويفاتحوننا في ذلك كأنهم لا يعلمون أنا نعلم ما يرمون إليه عن بعد)

(لكل أمة شعار إذا تركته طمع فيها واستضعف جانبها، وربما صارت بعد مذبحته في غيرها، وقد سعى أناس منذ عهد بعيد في أن يضعفوا ما يقوى أمر

الإسلام عمومًا والعرب خصوصًا، فنجحوا بعض النجاح، فطمعوا في أن يقضوا عليه، فلم يجدوا أقرب إلى ذلك من إضعاف أمر اللغة العربية والسعي في تبديل خطها[١]؛ حتى أثروا في كثير من أبناء جلدتنا الذين يظنون أنهم على غاية من الذكاء والوقوف على أسرار الأمم، فكان ما كان مما هو معروف، ثم زاد الأمر فعلموا في تبديل التاريخ الهجري وساعدهم على ذلك جبت مصر، ففرحوا فرحًا لا مزيد عليه، وقال بعضهم: (الآن شفينا الغليل من هذه الأمة) غير أن كثيرًا ممن انتدب لهذا الأمر سعى في إعادته على قدر الإمكان، فامتعض أولئك القوم وصاروا يلزمون كل من يسعى في ذلك.

(وهذه المسألة نظرًا لتعلقها بتاريخ تأخر الشرق لا يتيسر أن يكتب فيها أقل من نحو ثلاثين صفحة في نحو ثلاثين يومًا.

(وليت شعري كيف يُلام المسلم على أن يؤرخ كتابه بالتاريخ الهجري؟ فهل انقرض التاريخ الهجري؟ وهل يريدون أن ينقرض وأصحابه أحياء؟

(فإن قالوا إن المقصود توحيد التاريخ في الأمم[٢] وأوربا هي القوية الآن، قيل: إن أوربا لها تاريخان أحدهما شرقي والآخر غربي، وكل يؤرخ به قوم منهم، فهل أوقف ذلك التجارة، أو أثر في المدنية شيئًا؟ ولم لا يكلفون تغيير مكاييلهم وموازينهم وأذرعهم لتتحدد المقاييس في الأمم؟ وتغيير ذلك ليس فيه غضاضة، بخلاف التاريخ، وقد رأيتهم يعتذرون عنهم ويعدون ذلك في الأخلاق، فانظر ما وصلنا إليه).

---

(١) هذه الرسالة كتبها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ إلى الأستاذ (كرد علي) قبل نحو عشرين سنة، وقد كان ينظر فيها بنور الله، بينما كان جماهير المسلمين يغطون في غفلاتهم قليلًا.

(٢) وهذا ما قاله الأستاذ (نلينو) المستشرق الإيطالي لمؤلف (الحديقة)، على أثر صدور رسالتنا (تقويمنا الشمسي)، مع أن الأستاذ (نلينو) من أكثر المستشرقين إنصافًا.

كلمة شجاع

تأخرتُ أستبقي الحياة فلم أجد ... لنفسي حياةً مثل أن أتقدّما
ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ... ولكنْ على أقدامنا تقطر الدِّما

الحصين بن الحمام

السفور

إنا عهدنا الشَّعْر أجـ ... ـمل حلي ربات الخدور
فجزرنه مترجلا ... ت وهي مفتاح الشرور
ثم ارتدين من الملا ... بس لبس ولدانٍ وحور
لا شيء فوق الثوب من ... سيقانهن إلى النحور
والسوق في هذى الجوا ... رب ليتهن بلا ستور!
وعلى الوجوه براقعٌ ... وُضعت لتزييد الغرور
فخرجنَ في هذا التبر ... ج بعد تضميخ العطور
وذهبن للشكوى لمن ... لهم مقاليد الأمور
يبغين إذنًا بالسفور! ... أعن بطونٍ أم صدور؟
إن لم يكن هذا السفو ... ر فكيف تعريف السفور؟
قد كان في الحسبان هذا ... مذ غدون بلا شعور

شاعر دمشقي

سقوط اللغة بسقوط دولة أهلها

❑ يقول ابن حزم في كتاب (الأحكام):

(إن اللغة يسقط أكثرها وتبطل بسقوط دولة أهلها، ودخول غيرهم عليهم في أماكنهم، أو بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم، فإنما يفيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها قوة دولتها ونشاط أهلها، وأما من تلفت دولتهم وغلب عليهم عدوهم، واستلقوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم، فمضمون منهم موت الخاطر؛ وربما كان ذلك لشتات لغتهم ونسيان أنسابهم وأخبارهم وبيود علومهم؛ هذا موجود بالمشاهدة ومعلوم بالعقل ضرورة).

النجديات

قطع شعرية بليغة اختارها (السيد محمود شكري الألوسي) من نجديات الأموي.

❑ بين نجد وأرض العراق ❑

أقول لسعدٍ وهو خلّي بطانة ... وأيّ عظيم لم أنبه له سعدا

إذا نكبت نجدًا مطاياك لم أبل ... بعيش وان صادفته خضلًا رغدا

تلبث قليلًا يرم طرفي بنظرة ... إلى ربوات تُنبت النفَل الجعدا[١]

فإنك إن أعرقت والقلب منجد ... ندمتَ ولم تشمم عرارًا ولا رَنْدا[٢]

---

(١) النفل: نبت من أحرار البقول، نوره أصفر طيب الرائحة.

(٢) العرار: النرجس البري، والرند: شجر طيب الرائحة والعود والآس.

ولم تردِ الماء الذي زادك النوى وقد ذقتَ ماء الرافدين به وجدا
وترمي بنا أرض الأعاجم ضلة فتزداد عمن نشتهي قربه بُعدا
وها أنا أخشى والحوادث جمة إذا زرتها أن لا نرى بعدها نجدا

في ربى نجد

وسرحة بربى نجد مهدلة أغصانها في غديرٍ ظل يرويها
إذا الصّبا نسمت والمزن يهضبها(١) مشي النسيم على أينٍ يناجيها
تقيل في ظلها بيضاء آنسة تكاد ينشرها لينًا ويطويها
سودٌ ذوائبها، بيضٌ ترائبها حمرٌ مجاسدها، صفرٌ تراقيها
عارضتها فاتقت طرفي بجارتها كالشمس عارضها غيمٌ يواريها

بمنشط الشيح

بمنشط الشيح من نجد لنا وطنٌ لم تجر ذكراه إلا حنّ مغترب
إذا رأى الأفق بالظلماء مختمرًا أمسى وناظره بالدمع منتقب
ونشقةٌ من عرار هزَّ لمته رويحة في سراها مسها لغب
تشفي غليلًا بصدري لا يزحزحه دمع تهيبُ به الأشواق منسكب
والنار بالماء نُطْفًا والهموم لها في القلب نارٌ بماء الدمع تلتهب

تلك الليالي

أعائدة تلك الليالي بذي الغضى(٢) ألا لا وهل يثني من الدهر ما مضى
إذا ذكرتها النفس باتت كأنها على حدّ سيف بين جنبيّ يُنتضى
فحنّ رويدًا أيها القلب واصطبر فلا يدفع الأقدار سخطٌ ولا رضى

---

(١) يمطرها
(٢) الغضى: شجر

المروءة

* مما يُنسب للأحنف:

فلو أنا مُثرٍ بمال كثير ... لجدت وكنت به واصلا
فإن المروءة لا تُستطاع ... إذا لم يكن ما لها فاضلا

* قال ابن عبد الصمد: ما رأيتُ أجمع لمعاني السيادة ولا أجدر بالكرامة والسعادة، ممن جعل المروءة عماده، والتقى زاده.

* رُفع رجل إلى أمير المؤمنين عمر في جرم اقترفه، فأراد معاقبته، فاخبر أن له مروءة، فقال (استوهبوه من صاحبه).

* قال الحُصين الرقاشي:

إن المروءة ليس يُدركها امرؤ ... ورث المكارم عن أب فأضاعها
أمرته نفسٌ بالدناءة والخنا ... ونهته عن سبُل العُلى فأطاعها

* قال سلام بن عبد اللَّه الباهلي الأشبيلي: «أسباب المروءة مرتبطة بشرف النفس وعلو الهمة -إذا اجتمعا ولم يفترقا- فإن من علت وتواضعت نفسه طلب ما لا يستوجبه، وتعدَّى إلى ما لا يستحقه، فلم تتم له المروءة، ومن صغرت همته وكبرت نفسه قصّر عما يستحقه، وترك ما يستوجبه، فنقصت مروءته، فإن لكل وجه من هاتين الحالتين حظًّا من القسم، ونصيبًا من اللوم، ومن تعلق به لوم، أو نيط به ذم، فليس بداخل في حال من أحوال المروءة».

* قال أحيحة بن الجلاح اليثربي:

رُزقت لُبًّا، ولم أُرزق مروءته ... وما المروءة إلا كثرة المال
إذا أردتُ مساماة تؤخرني ... عما ينوّه باسمي رقة الحال

* ومسك ختام هذا الباب قول النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «إنك إن تذر ورثتك أغنياء خيرٌ من أن تذرهم عالة يتكففون الناس»[(١)].

ذكرى الأندلس أو الفردوس الإسلامي المفقود

نظمت لمناسبة احتفال جامعة (قرطبة) الأسبانية بمرور ألف عام

عودي لنا يا أغاني أمسنا عودي ... وجددي حظ محروم وموعودِ
عودي لنا راوياتٍ مجد (أندلس) ... وقدمي الشعر قربانًا لمعبودِ
خلي (طليطلة) يبكي لنكبتها ... من أمة (القوط) من كانوا كجلمودِ
أضحى لهم مأتمًا ما كان مأتمنًا ... وصار عرسًا لنا حزن لنا مُودِي
إن العدو الذي يُشجي بما اقترفت ... يداه شبه صديق غير مردودِ
يدعو لحفلة تقديس يهيم بها ... من بعد حرب ببغض غير مغمودِ
فتزدهي اليوم أعلامٌ (لقرطبة) ... يا طالما بللت من دمع مفؤودِ
كما يرن الصدى من صوت جامعة ... تزجي الوفاء لمجدٍ غير محدودِ
ويشمل (البهو)[(٢)] و(الحمراء) في شغفٍ ... نور التطلع بعد الأعصر السودِ
وملء (غرناطة) الفن الذي حجبت ... تلك القرون وآذته كمحسودِ
حتى الكنائس تستذري منائرها ... و(جنة الريف)[(٣)] في تعبيد محدودِ[(٤)]

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٣٣) ومسلم (١٦٢٨).

(٢) هو بهو السفراء المشهور الذي لا يزال باقيًا حتى اليوم في غرناطة.

(٣) هو قصر جنة الريف أو جنة العريف الجميل الواقع في مشرق مدينة غرناطة، وكان يصطاف فيه ملوكها، ويسميه الإسبانيون Generalif تحريفًا عن العربية، وله بستان بديع مدرج يُزار ويُعجب به.

(٤) المجدود: ذو الحظ.

حين (الثقافة) في شتى مظاهرها   تحن للأمس في تحنان مولودِ
حين (الجمال) الذي نعْنو لدولته   يبايع العرب في حي ومفقودِ
وحين (صقر قريش) في مآثره   يفوق كل عظيم الملك معدودِ

أبو شادي

لغتنا العلمية

لما ضاقت أوسع عواصم الترك (القسطنطينية) بأكبر علمائها، وهو الدكتور «رضا توفيق بك»، زار هذا العالم مدينة القاهرة في طريقة إلى (عمان) -أصغر عواصم العرب- فاجتمعت به هنا، وبلغ بنا الحديث إلى موضوع الاصطلاحات العلمية في لغات الشرق، فقال:

إن تلاميذي في جامعة القسطنطينية حاولوا التعريض بي وتوجيه عبارات اللوم إليّ عند ما انتشر كتابي (قاموس الفلسفة) فقالوا:

لماذا ملأت هذا المعجم بالألفاظ العربية، وهل في علمائنا من هو أقدر منك على وضع مصطلحات العلوم للغة التركية، مشتقة من أصول لسانها؟

فأجبتهم: ليس إفراغ الاصطلاحات العلمية من لغة إلى لغة بالعمل السهل، كنقل قصة خيالية من لغة إلى أخرى، واللغات كالمراكب: منها الذلول ومنها الحرون، وفيها القوي بطبعه، وفيها الضعيف، وبينها الفاره والهزيل. والعربية في نفسها من أغنى اللغات وأوسعها اشتقاقًا وأدقها تعبيرًا، ويوم كان أجدادكم لا عمل لهم غير شحذ السلاح للقتال حلالًا أو حرامًا، كان أصحاب اللغة

العربية أوزاعًا في وجوه حاجاتهم القومية: ففيهم المقاتل، وفيهم المنقطع للعلم، وفيهم الذي يشد الرحال متنقلًا بين الأودية، وفيهم الساهر ليله على ذبالة السراج يفكر في أجود تعبير عربي يُفرغ فيه المعنى الواحد من معاني علم اليونان وحكمة الهند وأدب الفرس، ولما أصبحنا في عشرات السنين الأخيرة على ضوضاء المدنية الحديثة وشعرنا بالحاجة إلى تدوين علوم هذا العصر، وجدنا لغاته الشرقية -ولاسيما العربية والفارسية والتركية- كالمراكب: فيها الذلول والصعب، وفيها القوي والضعيف، وفيها الفاره والهزيل، ولا شك أن العربية كانت في عهد فطرتها الأولى أغنى لغات الشرق على الإطلاق، ثم عملت فيها القرائح والعقول والدروس بضعة عشر قرنًا، حتى جعلتها لغة علم حقًّا، ولهذا اضطر علماؤنا قبل نصف قرن إلى اصطناع العربية في مفردات الطب واصطلاحات علومه، فما علموا بوجوده في العربية قديمًا نقلوه كما هو، وما لم يعلموا بوجوده فيها اضطروا إلى وضعه بألفاظها؛ لأنهم وجدوها أطوع لهم من غيرها في التعبير عما يريدون، وكذلك فعلت أنا في (قاموس الفلسفة)، ولم يكن لي غير ذلك إلا سبيل واحد وهو استعمال الاصطلاحات الإفرنجية كما هي، وهذا شأن العاجز المستخذي المغلوب على أمره.

تلك كلمة عالم تركي يعرف أكثر من عشر لغات، منها الفرنسية والانجليزية والأسبانية والعبرية والفارسية والعربية والتركية الخ. . . وقد نظم الشعر وألف في الفلسفة وتبحر في علوم الطب، وجلس على كرسي التدريس، وحمل السيف والقلم، وآمن وكفر، ولم يترك بابًا من الأبواب الداخلة، ولم يكن له باعث يحمله على التعصب للعربية.

نعم إن أجدادنا كانوا أوزاعًا في وجوه حاجاتهم القومية، فلم يتركوا ثغرة إلا

كان منهم رجال ساهرون عليها ويجاهدون في سبيل رفعة أمتهم من ناحيتها، ثم صار الأمر إلينا نحن أنصاف المتعلمين الذين نقتل أوقاتنا في المقاهي، فإذا أمسك الواحد منا قلمه مرة في الشهر أو في السنة ليُذكر الناس باسمه الشريف لم يجد ما يدير به القلم غير سب أجدادنا الذين كانوا ساهرين ليلهم على ضوء ذبالة السراج؛ ليرفعوا شأن الأمة والملة التي هم منها، فيتهكم بما يسميه علم القدماء وآثار القدماء، ويقول ما شاء له الهوى أن يقول، ولو أن هذه الفئة التي ختمت العلم يوم انتقلت من المدرسة إلى القهوة تتواضع لله قليلًا، وتسلك سبيل قدمائنا فيما وصفهم به علامة الأتراك الدكتور «رضا توفيق بك» -من انقاطعهم للعلم وخدمتهم للعربية وبلوغهم بها أوج المعالي- إذن لما صرنا إلى ما نحن فيه من الفقر الأدبي، ولتمشت لغتنا مع التقدم العلمي الحديث، ولكانت نهضتنا نهضة صادقة غير كاذبة.

وبعدُ: فإن لغة العلم يجب أن تسير مع العلم جنبًا إلى جنب، فكلما استحدثنا في حياتنا المادية أو الأدبية مسمى جديدًا، كان حقًّا علينا أن نُحدث له في لغتنا اسمًا جديدًا، وإن لسانًا لا يُسعف أهله بأسماء ما يتصل بحواسهم ومشاعرهم من المدلولات جدير بأن يسمى لسانًا أبكم، والعربية أشرف من هذا وأغنى وأقدر، فإن لم يُبادر أهلها إلى إمداد العلم بما يحتاج إليه من هذا القبيل غلبتنا الأعجمية على لغتنا، واكتسح تيارها فُصْحَانَا كما نرى الآن في كثير من شئون الأخلاق والأفكار.

محب الدين الخطيب

الدهر(١)

تبسم إذا عبسَ الدهر لك ... وراوغه في العيش أنّى سلك
وإما تضاحك فاعبس له ... فمَن سالم الدهر يومًا هلك
هو الغاشم المر لا يأتلي ... يُقلب ما يحتويه الفلك
فينقل ما في الدجى للضياء ... وما في الضياء لجوف الحلك
يجور ويشتط في حكمه ... ومن لا يجور إذا ما ملك؟
أرحنيَ يا موت من ظُلمه ... وواسِ أخا محنةٍ أمّلك
لأنت ضماد جروح الزمان ... فيا غامض السكنة ما أعدلك

أنور العطار

عمر رضي الله عنه وأم البنين

روى أسلم -مولى عمر رضي الله عنه- قال:

خرجت مع عمر بن الخطاب إلى حرة واقم، حتى إذا كنا بصرار إذا نار تؤرّث، فقال:

يا أسلم أرى هؤلاء ركبًا قصر بهم الليل والبرد؛ انطلق بنا.

(١) قصيدة جميلة السبك، لكنها قائمة على سب الدهر! وقد قال ﷺ: **«لاتسبوا الدهر فإن الله هو الدهر»** أخرجه البخاري (٧٤٩١) ومسلم (٢٢٤٦). قال ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/ ٤٢١): «أي أنكم إذا سببتم فاعل ذلك، وقع السب على الله ﷻ؛ لأنه هو الفاعل، والدهر لا فعل له، بل هو من جملة مخلوقات الله تعالى». (س).

فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم، فإذا امرأة معها صبيانها وقدر منصوبة على النار، وصبيانها يتضاغون فقال عمر:

السلام عليكم يا أصحاب الضوء (وكره أن يقول النار).

قالت المرأة: وعليك السلام.

فقال: أأدنو؟

قالت: ادن بخير أو دع.

فقال: ما بالكم؟

قالت: قصر بنا الليل والبرد.

قال: فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟

قالت: الجوع!

قال: وأي شيء في القدر؟

قالت: ماء أُسكتهم به حتى يناموا؛ اللَّه بيننا وبين عمر.

فقال: أي رحمك الله، ما يدري عمر بكم؟

قالت: يتولي أمورنا ويغفل عنا!

فأقبل عليَّ فقال: انطلق بنا.

فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق، فأخرج عدلًا وزاد فيه كبة شحم، ثم قال: احمله عليّ.

قلت: أنا أحمله عنك.

قال: احمله عليّ (مرتين أو ثلاثًا كل ذلك أقول أنا أحمله عنك) فقال آخر ذلك:

أنت تحمل عني وزري يوم القيامة؟ لا أم لك! فحملته عليه، فانطلق وانطلقت معه نهرول، حتى أتينا إليها، فألقى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيئًا، وجعل يقول:

ذرّي عليّ وأنا أحرّك لك.

وجعل ينفخ تحت القدر (وكان ذا لحية عظيمة)، فجعلت أنظر إلى الدخان من خلال لحيته حتى أنضج أُدْم القدر، وقال:

ابغيني شيئًا.

فاتته بصحفة فأغرقها فيها، وجعل يقول:

أطعميهم وأنا أسطح لك.

فلم يزل حتى شعبوا، ثم خلى عندها فضل ذلك، وقام وقمت معه، فجعلت تقول:

جزاك اللّه خيرًا، أنت أولي بالأمر من أمير المؤمنين.

فيقول: قولي خيرًا، إنك إذا جئتِ أمير المؤمنين وجدتينى هناك إن شاء الله.

ثم تنحى ناحية، ثم استقبلها وربض مربض السبع، فجعلت أقول:

إن لك لشأنًا غير هذا.

وهو لا يكلمني، حتى رأيت الصبية يصطرعون ويضحكون ثم ناموا وهدأوا، فقام وهو يحمد الله، ثم أقبل علي فقال:

يا أسلم، ان الجوع أسهرهم وأبكاهم، فأحببت ألا أنصرف حتى أرى ما رأيت فيهم.

قال الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار في «تاريخ الإسلام»:

ومعلوم أن الحوادث الصغيرة كهذه الحادثة تدل على روح الرجل وأحواله النفسية، وتنبي عن شفقته وخوفه أن يكون مقصرًا في حق من وليهم من الرعية، ونحن نخجل في عصرنا هذا لأننا لا نجد أميرًا أو كبيرًا من الناس يهتم بمرؤوسيه عشر معشار هذا الاهتمام، ولو أن امرأة كهذه رآها مدير أو مأمور لكان أقرب شيء يعمله لها أن يكتب لها محضر تشرد، ويقدمها للقضاء ليحكم عليها!

شاعر الطبيعة

لا تَرُع ذلك الهزار ودعهُ يتغنى في الروض بين الغصون
لم يرقه في المَدنِ عيشٌ رخيٌّ يتراءى بين الضّنا والهدون
إن تغالي بالوزن رب القوافي فهزار الشّجْراء غير الوزون
تخِذَ الكتب شاعر الناس ملهى وهو عنها في غفلة وسكون
إن من يقرأ الطبيعة طرسًا يقرأ العلم في كتاب مبين

ليت شعري أأنت يا طيرُ عانٍ تتغنى بنبرة المستكين
أم تُبكي أليفك المتردي بعد ثوب الهناء ثوب المنون

أأصاب الأخدانَ أظفارُ باز فأثارت ذكراهم للشجون
أم تولت دُكونَ قومك ريح تركتها تنهار بين الحزون
قام يبكي على الوكور هزار صيدحيٌّ بروعة وأنين

والمصاب الإنسان يمشي الهوينى لا يبالي بعزّة ويهون

عمر يحيى

عذاب الشآم

الشرق يبكي من عذاب الشآم مواطن أبطالها لا تنام
كان (لسرايلَ) فيها احتكام ألجأها إلى أمشتاق الحسام

❀ ❀ ❀

والشرف القومي في كل جيل وديعة تسليمها مستحيل
يشربه بالأرواح حماته في الكفاح
ويبذلون الحياة رخيصة لافتداء بلا ثمن
عاش الوطن فلا يُضام

❀ ❀ ❀

سورية فردوس هذا الوجود وجنة الموعد يوم الخلود
بعد ابتسام الشباب ما بالها في اكتئاب
مجدّة للأمل ساعية لا تَمل
فهل يعودمجد الجدود؟ وهل يرام؟

❀ ❀ ❀

حدائق خيم فيها السكون أوراقها ذابلة في الغصون
قد هجرتها الطيور أعشاشها والوكور
صارت خراب فيها الغراب

فـي نـعـيـب كـالـنـحـيـب يـبـكـي الـكـرام

❀ ❀ ❀

(دُمَّرٌ والـهـامـة) كـانـت لـنـا مـسـارح الـلـهـو فـمـاذا جنـى
شـعـب الـبـلاد الـحـزيـن عـلـى الـعـدو الـلـعـيـن
فـدمـر الـبـلـدان وشـتـت الـسـكـان
وأبـاد مـن أراد فـي الـشـآم

❀ ❀ ❀

قضى على الأحرار وا حسرتاه من وحش أوربا وما قد جناه
رأيـتـه قـد ثـار ومـا لـه مـن ثـار
مـحـدد الأنـيـاب يـفـوق وحـش الـغـاب
فـي فـتـكـه وسـفـكـه دم الأنـام

❀ ❀ ❀

الغرب للشرق عدو مبين والغرب صخرٌ قلبه لا يلين
صـب بـالاسـتـعـمـار مـا زال لـلـشـر جـار
حـريـة الأقـوام أصـحـابـهـا لا تـنـام
والـتـضـحـيـات فـيـهـا الـحـيـاة عـلـى الـدوام

❀ ❀ ❀

يا أمم الشرق الشقي الضعيف حذارِ إن الغرب وحش مخيف
يـسـطـو عـلـى الـحِـمـلان مـن عـالـم الإنـسـان
فـيُـنـشـب الأظـفـار ويـقـتـل الأحـرار
يـرمـي الـبـلاء مـن الـسـمـاء ولا يـلام

❀ ❀ ❀

كل شعوب الغرب ذات اتفاق تشرب كأسًا من دمانا دهاق

وكلنا في اختلاف وإن رأيت ائتلاف
ربَّ حبيب مريب تعسًا لسوء القلوب
ساد الخداع والشرق ضاع والحق نام

❀ ❀ ❀

في كل يوم صرخة داويه يسمعها الظالم والطاغيه
آذانهم صماء قلوبهم عمياء
والدس يجري كالسم يسري
موتٌ أكيد عيش العبيد هذا الحِمام

❀ ❀ ❀

هذا الذي رام بنا الغرب وليس في مقدورنا الحرب
لكننا نأباه إنا عبيد الله
بالذل لا نرضى أو نسكن الأرضا
الموت أحلى لنا وأولى سكنى الرغام

❀ ❀ ❀

إن الذي يرضى بذُل الحياه الله لا يقبله في سماه
إن الشجاع الأبي بالخلد فيها حرى
أما الجبان له الهوان
هو الذليل هو العليل خسفًا يُسام

❀ ❀ ❀

أبطال سوريا ويا للرجال أُسد تثير الهول يوم القتال
شجاعة في الجهاد وجرأة في الجلاد
فيا له من فخار بين سيوف ونار

شعب مجيد بأس شديد حر يضام

❀ ❀ ❀

إنا بنو الشرق به ناهضون لمجده من نومنا قائمون
تفتحت للحياه عيوننا والشفاه ومدت الأيدي
للعمل المجدي إلى الأمام إلى الأمام إلى الأمام

محمود رمزي نظيم

الحياء

* قال المرشد الأعظم ﷺ:

«إن مما أدرك الناس من كلام النبوة: إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت»(١).

* قال علقمة بن علاثة للنبي ﷺ: يا رسول الله، عظني، فقال له ﷺ: «استحي من اللّه استحياءك من ذوي الهيبة من قومك»(٢).

* وقال صالح بن عبد القدوس:

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه ولا خير في وجهٍ إذا قل ماؤه
حياؤك فاحفظه عليك، فإنما يدل على فعل الكريم حياؤه

(١) أخرجه البخاري (٣٢٩٦).

(٢) ذكره الماوردي في «أدب الدنيا والدين» (ص ٢٤٠) بقوله: «وقد روي..».

كتاب عمر في القضاء إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عمر -أمير المؤمنين- إلى عبد الله بن قيس: سلامٌ عليك. أما بعد: فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة[(١)]، فافهم إذا أدلي إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له[(٢)]، آس بين الناس[(٣)] في وجهك وعدلك ومجلسك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك، البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحًا أحل حرامًا أو حرم حلالًا[(٤)]، لا يمنعك قضاءٌ قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهُديت فيه لرُشدك أن ترجع إلى الحق، فإن الحق قديم، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل[(٥)]، الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتب

---

(١) يريد أن يبين له المادة التي يقضي بها، وهي لا تعدو ما حده الله، وهذا ما أشار إليه بالفريضة المحكمة، وما بينه رسوله ﷺ، وهي ما أشار إليه بقوله: وسنة متبعة.

(٢) يريد أن من يدلي بحجة مهما كان مصيبًا وقوله حقا واضحًا فإن كلامه لا ينفعه، إذا لم يكن لكلامه نفاذ إلى قلب القاضي، وذلك لا يكون إلا بالتنبه لما يقوله الخصوم.

(٣) هذا أساس المساواة التي جاء بها الإسلام، ولا احترام للقضاء بدونها، فإن القاضي إذا كان له ضلع مع أحد الخصمين فشت قالة السوء فيه، وإن نجا من عواقبها اليوم فليس بناج غدًا.

(٤) هذا أمر يوافقه ما اتفقت عليه جميع القوانين من أن كل صلح يخالف فيه القانون العام فهو باطل لا قيمة له؛ لأن الخصم إذا ملك حق نفسه وساغ له التصرف بما شاء، فإنه لا يملك حق الشارع الذي راعى بتشريعه العام حق الجمهور.

(٥) يريد بذلك أن القاضي لا يتقيد بما فهمه من النصوص في قضية فحكم به، بل إذا ظهر له وجه الخطأ في حكمه الأول كان عليه أن يحكم بما ظهر له من الصواب فيما يكون لديه =

ولا سنة[(١)]، ثم اعرف الأشباه والأمثال، فقس الأمور عند ذلك بأمثالها، واعمد إلى أقربها إلى اللَّه وأشبهها، واجعل لمن ادعى حقًا غائبًا أمدًا ينتهي إليه، فإن أحضر بينته وإلا استحللت عليه القضية، فإنه أنفى للشك وأجلى للعمى[(٢)].

المسلمون عدول بعضهم على بعض، إلا مجلودًا في حد أو مجربًا عليه شهادة زور، أو ظنينًا في ولاء أو نسب، فإن اللَّه تولى منكم السرائر ودرأ بالبينات والإيمان، إياك والقلق والضجر والتأذي بالخصوم، والتنكر عند الخصومات، فإن الحق في مواطن الحق يُعظم به اللَّه الأجر ويُحسن به الذكر، فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه اللَّه ما بينه وبين الناس، ومن تخلق للناس بما يعلم اللَّه أنه ليس من نفسه، شانه الله، فما ظنك بثواب غير اللَّه في عاجل رزقه وخزائن رحمته، والسلام.

= بما يشبه القضية التي حكم فيها خطأ أولًا؛ لأن الخطأ لا يكون قاعدة، ولأن عمر حكم في قضية بحكم، ثم بدا له الصواب في قضية تشبهها فلم يُغير الحكم السابق، وحكم على مقتضى الصواب في اللاحق، وقال: ذلك على ما قضينا وهذا على ما نقضي.

(١) يريد بذلك بيان أصل ثالث للأحكام، وهو القياس، وهو أن يلحق ما لم يَعلم حكمه بما علم حكمه، لمشابهة بينهما في السبب الذي من أجله شُرع الحكم، ولهذا يكون من أوجب الواجبات على القاضي أن يكون عارفًا بأسرار التشريع، حتى يتسنى له هذا الإلحاق، ومن ذلك ينتج اشتراط أن يكون مجتهدًا لا مقلدًا غيره في تفسير أو تأويل.

(٢) يشير بذلك إلى جواز التأجيل إذا طلبه الخصم، وكان لطلبه سبب معقول، والذي ذكره من الأسباب هو غيبة الشهود الذين يظهر بهم حقه ثم تقييده بأمد ينتهي إليه، إنما كان دفعًا للمشقة التي تحصل لأحد الخصمين بطلب التأجيل من خصمه الآخر في كل جلسة، فيظل أبد الدهر تحت رحمته، لهذا قيده بأمد يستحل عليه القضية إذا لم يثبت حقه فيه.

قصيدة أمير الشعراء في حفلة تكريم الرافعي

أقيمت في طرابلس الشام حفلة تكريم عظيمة للشاعر الكبير الأستاذ «عبد الحميد بك الرافعي»، وهذه قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي بك التي ألقيت في تلك الحفلة.

❀ ❀ ❀

أعرني النجم أو هب لي يراعا ... يزيد (الرافعيين) ارتفاعا
مكان الشمس أضوا أن يُحلى ... وأنبه في البرية أن يُذاعا
بنو الشرق الكرام الوارثوه ... خلالَ البر والشرف اليفاعا
تأمل شمسَهم ومدى ضُحاها ... تجد في كل ناحية شعاعا
قد اقتسموا ممالكه فكانت ... لهم وطنًا من الفصحى مشاعا
همُ زادوا القضاء جمال وجه ... وزادوا غُرة الفتيا التماعا
أبوا في محنة الأخلاق إلا ... لياذًا في العقيدة وامتناعا
أوَوا شيبًا وشبانًا إليها ... تخالهم الصحابة والتِباعا
إذا أُسد الشرى شبعت فعفت ... رأيت شبابهم عفوا جياعا
فلم تر مصر أصدق من (أمين) ... ولا أوفى إذا ريعت دفاعا
فتى لم يعط مقوده زمانًا ... شرى الأحرار بالدنيا وباعا
عظيمٌ في الخصومة ما تجنى ... ولا ركب السباب ولا القذاعا
تمرس بالنضال فلستَ تدري ... أأقلامًا تناول أم نِباعا(١)
وباين السابق المزري ارتجالًا ... برُواض القصائد وابتداعا

---

(١) النباع: السهام.

أما يكفي أباك السبقُ حتى … أتى بك أطول الشعراء باعا
شدا الحادي بشعرك في الفيافي … وحركت الرُعاة به اليراعا[١]
وفاتَ الطير ألفاظًا فحامتْ … على المعنى فصاغته صناعا
إذا حضر البلابل فيه لحن … تبادرت الحمام له استماعا

❊ ❊ ❊

مشى لبنان في عرس القوافي … وأقبل ربوة واختال قاعا
وهز المنكبين لمهرجان … زها كالباقة الحُسنى وضاعا[٢]
وأقبلت الوفود عليه تترى … كسرب النحل في الثمرات صاعا[٣]
غدا يزجي الركاب وراح حتى … أظل دمشق وانتظم البقاعا
ترى ثمَّ القرائح والروابي … تبارين افتتانًا واختراعا
ربيعُ طبيعةٍ، وربيعُ شعر … تخلل نفح طيبهما الرّباعا
كأنك بالقبائل في عكاظ … تجاذبتَ المنابر والتلاعا
بنت مُلكًا من الفصحى وشادَت … بوحدتها الحياة والاجتماعا
فعادت أمة عجبًا وكانت … رعاة الشاء والبدو الشعاعا

❊ ❊ ❊

أمير المهرجان وددت أني … أُرى في مهرجانك أو أُراعى[٤]
عدتْ دون الخفوف له عوادٍ … تحدين المشيئة والزماعا
وما أنا حين سار الركب إلا … كباغي الحج همّ فما استطاعا

---

(١) اليراع: المزمار.

(٢) ضاع: فاح.

(٣) صاع: تتابع.

(٤) أراعى: أسمع.

أقام بغبنه لم يقض حقًّا ... ولا بل الصبابة والنزاعا[1]
طرابلسُ انثنى عِطفي أديم ... وموجي ساحلًا، وثبي شراعا
كسا جنباتك الماضي جلالًا ... وراق عليه ميسمه وراعا
وما من أمس للأقوام بد ... وإن ظنوا عن الماضي انقطاعا
ألم تسقي الجهاد وتطعميه ... وتحمي ظهره حقبًا تباعا؟
شراعك في الفينيقيين جلى ... وذكرك في الصليبيين شاعا
كأني بالسفين غدت وراحت ... حيالك تحمل العلَم المطاعا
صلاح الدين يُرسلها رياحًا ... وآونة يصففها قلاعا
أليس البحر كان لنا غديرًا ... وكانت فُلكنا البجع الرتاعا؟
غمرنا بالحضارة ساحليه ... فما عيًّا بحائطها اضطلاعا
توارثناه أبلج عبقريًّا ... ذلول المتن منبسطًا وساعا
ترى حافاته انفجرت عيونًا ... ورفت من جوانبه ضياعا
فما زدنا الكتاب الفخم حرفًا ... ولا زدنا العصور الزُهر ساعا
قعدنا مقعد الآباء منه ... فكنا البَهم قد خلف السِباعا[2]
كأن الشمس مُسلمة أصابت ... عفيفًا في طيالسه شجاعا
تحَجب عن بحار اللّه حتى ... إذا خطرت به نضتِ القناعا
وما رأت العيون أجلّ منها ... على أجزاء هيكله اطلاعا
فما كشروقها منه نعيمًا ... ولا كغروبها فيه متاعا

أحمد شوقي

---

(1) النزاع: الشوق.
(2) البهم: الضأن.

أول قِراض في الإسلام

روى مالك في «الموطأ»[1]: أن عبد اللَّه وعبيد اللَّه -ابني عمر أمير المؤمنين- خرجا في جيش إلى العراق، فلما قفلا مرًّا على أبي موسى الأشعري وهو أمير البصرة، فرحب بهما وسهل، ثم قال:

لو أقدر لكما على أمر أنفعكما به.

ثم قال: بلى، هاهنا مال من مال اللَّه أريد أن أبعث به إلى أمير المؤمنين، فأسلفكما، فتبتاعان به متاعًا من متاع العراق، ثم تبيعانه بالمدينة، فتؤديان رأس المال إلى أمير المؤمنين ويكون لكما الربح.

فقالا: وددنا ذلك.

ففعل، وكتب إلى عمر بن الخطاب أن يأخذ منهما المال، فلما قدما باعا فأربحا، فلما ذلك إلى عمر قال:

أكُل الجيش أسلفه؟

قالا: ما ينبغي لك يا أمير المؤمنين هذا، لو نقص هذا المال أو هلك لضمناه.

فقال عمر: أديا!

فسكت عبد اللَّه وراجعه عبيد الله.

فقال أحد جلساء عمر: يا أمير المؤمنين لو جعلته قِراضًا، فأخذ عمر رأس المال ونصف ربحه وجعلهما في بيت المال، وأخذ عبد اللَّه وعبيد اللَّه نصف ربح المال، قالوا: وهو أول قِراض في الإسلام.

---

(١) (١٣٧٢).

يا مشرق الشمس!

لم يبق لي إلا الشباب وإنه ... ديباجة ضَمن الأسى إخلاقَها
نزلت بثهلان الهموم فلم يُطق ... حتى نزلن بكاهلي فأطاقها
أشتاق أطّرح الهموم ويقتضي ... ظمأى إلى الآلام أن أشتاقها
مرت بنا الأمم الطليقة وانثنت ... أخرى تعالج أسرها ووثاقها
هذي الجياد فمن تعاطى شأوها ... يا شرقُ فيك ومن أراد سباقها
يا مشرق الشمس المنيرة إنها ... والله شمسٌ فارقت إشراقها
أما لياليك التي قد أقمرت ... فلقد طوت لك محوها ومحاقها
يشكو الصبابة كلّ يوم مدعٍ ... وأحقنا دعوى بها من ذاقها
أين الذين إذا اكفهرَّت أوجهٌ ... هبوا لها طُلق الوجوه عتاقها
لله أطماعٌ أصابت خلقها ... منهم، وآمال رأت إخفاقها
نظرت إلى الحلم الجميل فهاجها ... ورنت إلى الطيف الملم فشاقها
أو ما تشوقك يا خيال بقية ... في أنفسٍ لك كابدت أشواقها

الشبيبي

لمن النصر؟

النصر معقود بألـ ... ـوية الجحاجحة السماح
الباذلين عن اختيا ... رِ ما يضن به السماح
الناشئين على الشريـ ... ـعة في مدارجها الفساح

الآخذين من الحيا ... ة بكل مشروع مباح
الحافظين شبابهم ... مما يُلوث أو يشاح
الباذلين النفس في ... سُبل الفضيلة والفلاح
المانعين ديارهم ... أن تُستبى أو تستباح
بالدين والعلم الصحيح ... وحدّ مختلف السلاح
فهمُ إذا خاشنتهم ... خشنٌ مغاورة وقاح
لا يصبرون على الهوا ... ن ولا يهابون الكفاح
فهمُ إذا لاينتهم ... أهل المودة والسماح
وهمُ إذا خاطبتهم ... نُهُضٌ بحجتهم فصاح
لا يبتغون سوى الصواب ... ولا سوى الحق الصراح
أهلي همُ! لهفي إليهم ... في المساء وفي الصباح
من لي بهم للشرق فالـ ... شرقي ضاق به البراح

❀ ❀ ❀

إيهٍ شباب المسلمين ... أولي الجسارة والطماح
النصر معقود بألوية ... الجحاجحة السماح
أنتم رجاء الشرق ... فانتشلوه بالعزم الضماح
كالمسلمين الأولين ... الغالين بكل ساح
الدارعين الضاربين ... لدى المكاره بالصفاح
الناشرين هداهم ... نشرًا يسير مع الرياح
كونوا على آثارهم ... رسُل الهداية والصلاح
إلا تصونوا إرثهم ... خنتم عهودهم الصحاح
إلا تكونوا العاملين ... على النهوض فلا نجاح

ابن رواحة

ابدأ بالواجب الذي بين يديك!

قال «توماس كارلايل» في كتابه «الخياط يرقع»:

(إن العقيدة مهما صحت وقويت، فهي شيء عديم القيمة إن لم تُصبح جزءًا من السلوك والخلق، بل هي في الواقع لا وجود لها قبل ذلك؛ لأن الآراء والنظريات لا تزال بطبيعتها شيئًا عديم الصورة، حتى يتهيأ لها من اليقين المؤسس على الخبرة الحسية محور تدور حوله، عندئذ تصير إلى نظام معين، ولقد صدق من قال: (لا يزول الشك مهما كان إلا بالعمل)، لذلك أنصح لمن يقاسي التخبط في الظلام البهيم، أو يعاني التعيث في الضياء الكليل، ولا يزال يتضرع إلى ربه، ويرجو من صميم قلبه أن يُسفر الفجر الملتبس عن صبح مبين، أن يضع في سويداء فؤاده هذه الحكمة الغالية:

(ابدأ قبل كل شيء بالواجب الذي بين يديك، بالعمل الذي تعرف أنه واجب، فإنك إن فعلت اتضح لك الواجب التالي).

هدية ملكة الروم إلى ملكة العرب

ذكر الأستاذ «الخضري» في محاضرته في «تاريخ الإسلام» (٧١ :٢) أنه لما ترك ملك الروم الغزو، وكاتب أمير المؤمنين -عمر رضي الله عنه- وقاربه، وسيّر إليه عمر الرسل مع البريد، بعثت أم كلثوم بنت على بن أبي طالب إلى ملكة الروم بطيب ومشارب وأحفاش من أحفاش النساء ودسته إلى البريد، فأبلغه لها.

وجاءت امرأة قيصر وجمعت نساءها وقالت:

هذه هدية امرأة ملك العرب وبنت نبيهم.

وكاتبتها وأهدت لها، وفيما أهدت لها عقد فاخر، فلما انتهي به البريد إلى عمر أمر بإمساكه ودعا:

الصلاة جامعة!

فاجتمعوا، فصلى بهم ركعتين وقال:

إنه لا خير في أمر أُبرم عن غير شورى من أموري.

قولوا في هدية أهدتها أم كلثوم لامرأة ملك الروم، فأهدت لها امرأة ملك الروم.

فقال قائلون: هو لها بالذي لها، وليست امرأة الملك بذمة فتصانع به، ولا تحت يدك فتتقيك.

وقال آخرون: قد كنا نهدي الثياب لنستثيب، ونبعث بها لتُباع ولنُصيب شيئًا.

فقال: ولكن الرسول رسول المسلمين والبريد بريدهم والمسلمون عظموها في صدرها.

فأمر بردها إلى بيت المال، ورد عليها بقدر نفقتها.

❀ ❀ ❀

وقال الأستاذ الشيخ «عبد الوهاب النجار»:

ولو أن عمر أرخى العنان لنفسه أو لأهل بيته لرتعوا ولرتع من بعدهم، وكان مال اللّه تعالى حبسًا على أولياء الأمور، ومن القواعد الطبيعية المؤيدة بالمشاهدة أن الحاكم إذا مُدت يده إلى مال الدولة اتسع الفتق على الراتق، واختل بيت المال أو مالية الحكومة، وسرى الخلل في جميع فروع المصالح، وجهر المستسر بالخيانة وانحل النظام.

ومن المعلوم أن الإنسان إذا كان ذا قناعة وعفة عن مال الناس، زاهدٌ في حقوقهم دعاهم ذلك إلى محبته والرغبة فيه، وإذا كان حاكمًا حدبوا عليه وأخلصوا في طاعته نياتهم، وكان أكرم عليهم من أنفسهم.

وقد كان عمر إذا نهى الناس عن أمر من الأمور جمع أهله فقال:

إني نهيت الناس عن كذا وكذا، وان الناس ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم، وأقسم بالله لا أجد أحدًا منكم فعله إلا أضعفت عليه العقوبة.

الزواج بالأجنبيات

قصيدة الشاعر الكبير الحاج محمد الهراوي

في حفلة جمعية الشبان المسلمين في الأوبرا الملكية

ألا أبلغوا شبانَ مصر رسالة ... وأهواؤهم غربيّة النزعات
بأن زواج المرء من غير جنسه ... قطيعة أرحام وفك صلات
وإنّ هوىً يدنيه من أجنبية ... خروج على الأوطان بالنزعات
وان لهم -لو أنصفوا مصر- غنية ... بما أنجبت مصر من الفتيات
فكم من فتى بانٍ على غير أهله ... تقلب فوق الشوك والجمرات
ترى نفسها أعلى وأشرف بيئة ... ولو أنها من بيئة الطرقات
وأن لها فضلًا عليه وأنه ... -على فضله- خالٍ من الحسنات
فيا ضيعة الآمال من فتية الحمى ... إذا استسلموا للغي والنزعات!
ويا ذل أوطانٍ رمى البين شملها ... وقاطع فيها الإخوة الأخوات

نساؤكم يا قوم أولى بقربكم … فهن المعين الحق في النكبات
وهن أدني من سواهن رتبة … وأسوأ في تقديركم درجات
فمن ذا الذي يرقى بهن إلى العُلى … سواكم، ومن يتبعن في الخطوات
لعمري لقد نبهتُ في مصر فتية … لها أنفسٌ تنبو عن الغفلات
أخاف عليهم من ضلال وفتنة … تجرانهم للويل والحسرات
ولى وطن آليت أنى أجله … عن العار والزلات والعثرات
وقفت له أدعو دعاء موفقًا … كما كنت أدعو اللَّه في عرفات

منكم تعلمنا
خطبة أمريكي سكسوني

نشر الأستاذ السيد «محي الدين رضا» في «المقطم» كلمة للقاضي «أوثر لايسي» -العالم المؤرخ الأمريكي- ألقاها في حفلة للسوريين في مدينة ديترويت بأمريكا، ومما قاله:

(إنني كفرد ينتمي إلى العنصر السكسوني أعترف بأننا مدينون لكم معشر العرب وأنتم الدائنون، وعلى هذا أقف بينكم الليلة لأوفيكم ولو شيئًا من حقكم).

يرجع الناس بأصول مدنيتنا إلى المدنيتين اليونانية والرومانية، مع أن آثارهما كانت في زوايا النسيان زمن العصور المظلمة، ولو لم يُقدّر لهما أن تتناولهما أيدي العرب؛ لأصابهما الوهن والاضمحلال.

إن أسبانيا العربية هي مدرسة أوروبا التي علمتها الأدب والفلسفة والعلوم، ومنكم تعلمنا الكسور العشرية وحساب التفاضل والمقابلة، ومنكم تعلمنا القول

بكروية الأرض، وأن الكرة الفضية التي أهداها الشريف الإدريسي -الجغرافي العربي- إلى روجر الثاني -أمير نابولي- في منتصف القرن الثاني عشر (القرن السادس الهجري) خير شاهد على ما أقول، وذلك قبل رحلات كولومبس بخمسمائة سنة، وقد حسب محيط الأرض بأربعة وعشرين ألفًا وخمسمائة ميل، وشعركم وآدابكم كانت منهلًا استقى عنه أدباء الفرنسيين والطليان والإنكليز، ومنه جاء دور البعث والتجديد إلى أروبا. وأنا بالنيابة عن أبناء جنسي الأنكلوسكسون أعترف بفضلكم، وأشكركم بلساني ولسان مسز «لايسي» شكرًا وافرًا).

الجرائد اليومية

جرائدُ ما خُط حرف بها ... لغير تفريق وتضليلِ
يحلو بها الكذب لأربابها ... كأنها أول إبريلِ

حافظ إبراهيم

لم نزل...حتى غدونا....

لم يبق شيء من الدنيا بأيدينا ... إلا بقيةَ دمعٍ في مآقينا
كنا قلادة جيد الدهر وانفرطت ... وفي يمين العلا كنا رياحينا
كانت منازلنا في العز شامخة ... لا تُشرق الشمس إلا في مغانينا
وكان أقصى منى نهرِ المجرة لو ... من مائه مُزجت أقداح ساقينا

والشُّهب لو أنها كانت مسخّرة لرجم من كان يبدو من أعادينا
فلم نزل وصروف الدهر ترمقنا شزرًا، وتخدعنا الدنيا وتلهينا
حتى غدونا ولا جاهٌ ولا نشب ولا صديق ولا خل يواسينا

حافظ إبراهيم

لماذا أُحب الوحدة؟

* لكي لا أرى وجوه الرجال الذين يبيعون نفوسهم ليشتروا بأثمانها ما هو دونها قدرًا وشرفًا.

* لكي لا ألتقي بالنساء الممدودات الأعناق، اللوائي يسرن غامزات العيون وعلى ثغورهن ألف ابتسامة، وفي أعماق قلوبهن غرض واحد.

* لكي لا أجالس (أنصاف العلماء) الذين يُبصرون في المنام خيال العلم، فيُخيّل إليهم أنهم أصبحوا من العلم بمقام النقطة من الدائرة، ويرون في اليقظة أحد أشباح الحقيقة، فيتوهمون أنهم قد امتلكوا جوهرها.

* لأني مللت مجاملة الخشن الذي يظن اللُّطف ضربًا من الضعف، والتساهل نوعًا من الجُبن، والترفع شكلًا من أشكال الكهرباء.

* لأن نفسي تعبت من معاشرة المتمولين، الذين يظنون أن الشموس والأقمار والكواكب لا تطلع إلا من خزائنهم، ولا تغيب إلا في جيوبهم، ومن الساسة الذين يتلاعبون بأميال الأمم، وهم يذرون في عيونهم الغبار الذهبي، ويملأون آذانهم برنين الألفاظ، ومن الكُهان الذين يعظون الناس بما لا يتعظون به، ويطلبون منهم ما لا يطلبونه من نفوسهم.

* لأنني سئمت ذاك البناء العظيم الهائل الذي يسمونه (حضارة)، ذاك البناء الدقيق الصنع والهندسة القائم على رابية من الجماجم البشرية.

* لأن في الوحدة حياة الروح والقلب والجسد.

* لأنني فيها أتمتع بغبطة البرّية الخالية، ونور الشمس، ورائحة الأزهار، وأنغام السواقي.

* لأنني أريد معرفة أسرار الأرض، والدنو من الله(١).

جبران خليل جبران

الإسلام

قال المسيو «جان مليا» Jean Melia في كراسة نشرها بعنوان «قرآن فرنسا Le Coran Pour France»: (يجب أن يُطرح بعد الآن ما ادعاه بعض المتفلسفين من الفرنسيين عن القرآن، فالقرآن يجب أن يُتلى بتؤدة، فليس فيه ما يتهمه به الأعداء من أنه مُلقن التعصب) وقال: (إن الإسلام دين سماوي ، وهو دين حب وعاطفة وشرف، وليس في الأديان دين أكثر تساهلًا منه).

(١) الكاتب نصراني، يُنظر عنه: رسالتي «نظرات شرعية في فكر منحرف» (١/ ٢١ - ٣٢). والحكمة تؤخذ من كل الناس. (س).

الحديقة

مجموعة أدب بارع، وحكمة بليغة

الجزء التاسع

انتقاها

الكاتب الإسلامي الكبير

محب الدين الخطيب رحمه الله

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين. وصلاته وسلامه على محمد وآله..

وبعد؛ فكلما أردتُ أن أختم (الحديقة) بجزء جديد أجد من لذّة القرّاء به وإقبالهم عليه وعلى الأجزاء التي قبله ما يشجّعني على إصدار جزء آخر بعده.

وقد ازداد انتشار هذا الكتاب إلى حدّ أنني أعدتُ طبع بضعة أجزاء منه للمرة الثانية، بينما بقية أجزائه لم تُنشر بعد، بل هي لم تؤلف. وأن كتابًا ينال من قرائه هذه الحظوة، لجديرٌ بأن يتقدّم صاحبُه بالشكر إلى الذين شجعوه بإقبالهم عليه. ولا شكّ أن رضا الخلق من رضا الحق. فالحمد لله على ذلك.

القاهرة: ١٥ المحرم سنة ١٣٤٩

محب الدين الخطيب

أخلاقنا قبل مدنيتهم

أمن الحتم إذا تبدلت أحوال الحياة فصعدت أو نزلت، أن تتبدل الأخلاق الإنسانية في الحي فيخلع منها ويلبس، ويكون في كل حالة إنسانَ حالته التي صار هو إليها، لا إنسان الدرجة التي انتهى إليها الكون في كماله وتقلبه على منازله، بعد أن صُفي في شريعة بعد شريعة، وتجربة بعد تجربة وعلم بعد علم؟.

أفمن كان تقيًا على فقر وإملاق واتسع في مذاهب التقوى مقدار ما حرمه الإعسار من فنون اللذات، ثم أيسر من بعد، وجب أن يكون فاجرًا على الغنى، وأن يتسمح لفجوره على مدّ ما يتطوح به المال في كل ما يشتري المال وما يستأجر به؟.

أفمن وُلد في بطن كوخ أو على ظهر طريق، وجب أن يبقى أرضًا من جلد، ويكون اللّه سبحانه لم يبن من عظامه أو لحمه إلا كوخًا إنسانيًا من غير هندسة ولا نظام ولا فن؟ ثم يقابله من وُلد في القصر فلا يكون إلا سماء، ولا ينبغي أن يقال فيه إلا أن اللّه سبحانه قد ركب من عظمه ودمه وتكوينه آية هندسة وأعجوبة فن وطرفة تدبير وشيئًا مع شيء وطبقة على طبقة؟.

أواجبٌ من الواجب أن يكون ذلك، وأن يبيضَّ الزنجي في أوربا ويحمرّ في أمريكا ويصفرّ في اليابان... أم هناك حدود في الإنسانية تتميز بحدود في الحياة، ولا بد من الضبط في هذه وهذه حتى لا يكون وضع إلا وراء تقدير، ولا تقدير إلا معه حكمة، ولا حكمة إلا فيها مصلحة، وحتى لا تعلو الحياة ولا تنزل إلا بمثل ما ترى من كفتي ميزان شُدتا في علاقة تجمعهما وتحركهما معًا، فهي بذاتها هي التي تنزل بالنازل لتدل عليه، وتخف بالعالي لتبيّن عنه.

إنها لن تتغير مادة العظم واللحم والدم في الإنسان، فهي ثابتة مقدرة عليه، ولن تتبدل السنن الإلهية التي توجدها وتفنيها، فهي مصرِّفة لها، قاضية عليها، وبين عمل هذه المادة وعمل قانونها فيها تكون أسرار التكوين. وفي هذه الأسرار تجد تاريخ الإنسانية كله سابحًا في الدم. هي الغرائز تعمل في الإنسانية عملها الإلهي، وهي محددة محكمة على ما يكون من تعاديها واختلاف بينها، وكأنها خُلقت بمجموعها لمجموعها. ومن ثمّ يكون الخلق قانونًا إلهيًا على قوة كقوة الكون وضبط كضبطه، وبهما يستطيع أن يُحول المادة التي تعارضه إذا هو اشتد وصلب، وأن يتحول معها إذا هو لان أو ضعف، فهو قدَرٌ إلا أنه في طاعتك؛ لأنه قوة الفصل بين إنسانيتك وحيوانيتك، كما أنه هو قوة المزج بينهما كما أنه قوة التعديل فيهما جميعًا. وقد سُوّغ القدرةَ على هذه كلها، ولولا أنه بهذه المثابة لعاش الإنسان طول التاريخ قبل التاريخ، إذ لن يكون حينئذ كون تؤرِّخ فضائله ورذائله بمدح أو ذم.

فلا عبرة لمظهر الحياة في الفرد؛ لأن الفرد مقيد في ذات نفسه بمجموع هو للمجموع، وليس له وحده، فإنك ترى الغرائز دائبة في إيجاد هذا الفرد لنوعه بسنن من أعمالها ودائبة كذلك في إهلاكه في النوع نفسه بسنن أخرى. فليس قانون الفرد إلا أمرًا عارضًا كما ترى، وبهذا يمكن أن يتحول على أسباب مختلفة، ثم تبقى الأخلاق التي بينه وبين المجموع ثابتة على صورتها.

فالأخلاق على أنها هي الأفراد، هي في حقيقتها حكم المجتمع على أفراده، فقوامها بالاعتبار الاجتماعي لا غير.

فإذا وقع الفساد في المجمع عليه من آداب الناس، والتوى ما كان مستقيمًا، واشتبهت العالية والسافلة، وقام وزن الحكم في اجتماعهم على القبيح والمنكر، وجرت العبرة فيما يعتبرونه بالرذائل والمحرمات، ولم يعد يعجبهم إلا

ما يفسدهم، ووقع ذلك منهم بموقع القانون، وحل في محل العادة - فهناك لا مساك للخلق السليم على فرد، ولا بد من تحوله في حقيقته إذا كان لا يجيء أبدًا إلا متصدعًا في كل مظاهره الاجتماعية، فأينما وقع من أعمال الناس جاء مكسورًا أو مثلومًا، وكأنه منتقل من عالم إلى ثان بغير نواميس الأول. وما شذ من هذه القاعدة إلا الأنبياء وأفراد من الحكماء، فأما أولئك فهم قوة التحويل في تاريخ الإنسانية، لا يبعث أحدهم إلا ليهيج به الهيج في التاريخ، ويتطرق به الناس إلى سبل جديدة كأنما تطردهم إليها العواصف أو الزلازل لا شريعته ومبادئه.

وأما الحكماء الناضجون فهم دائمًا في هذه الإنسانية أمكنة بشرية محصنة لحفظ كنوزها وإحرازها فيهم، فلهم في ذات تركيبهم عصمة ومنعة.

❁ ❁ ❁

الأخلاق في رأيي هي الطريقة لتنظيم الشخصية الفردية على مقتضى الواجبات العامة، فالإصلاح فيها إنما يكون من هذه الواجبات أي من ناحية المجتمع والقائمين على حكمه. وعندي أن للشعب ظاهرًا وباطنًا، فباطنه الدين الذي يحكم الفرد، وظاهره القانون الذي يحكم الجميع، ولن يصلح للباطن المتصل بالغيب إلا ذلك الحكم الديني المتصل بالغيب مثله. ومن هنا تتبين مواضع الاختلال في المدنية الأوربية الجديدة، فهي في ظاهر الشعب دون باطنه، والفرد فاسد بها في ذات نفسه إذا هو تحلل من الدين، ولكنه مع ذلك منتظم في ظاهره الاجتماعي بالقوانين وبالآداب العامة التي تفرضها القوانين، فلا يبرح هازئًا ساخرًا من الأخلاق؛ لأنها غير ثابتة فيه، بل هي ضارة مع المضرة نافعة مع المنفعة، ولا ينفك يتحول لأنه مطلق في باطنه غير مقيد إلا بأهوائه ونزعاته. وبهذا وذاك لن تقوم القوانين في أوربا إذا فني المؤمنون فيها أو

كاثرهم الملحدون. وهم اليوم يبصرون بأعينهم ما فعلت عقلية الحرب العظمى في طوائف منهم قد خربت أنفسهم من إيمانها، فتحولوا بها، فإذا أعصابهم بعد الحرب ما تزال محاربة مقاتلة، ترمي في كل شيء بروح الدم والأشلاء والقبور والتعفن والبِلى.

وقديمًا حارب المسلمون وفتحوا العالم ودوخوا الأمم، فأثبتوا في كل مكان هدي دينهم وقوة أخلاقهم، وكان من وراء أنفسهم في الحرب ما هو من ورائها في السلم، لثبات باطنهم الذي لا يتحول، فلا تجيء حروبهم إلا في حدود، ولو كانوا هم أهل هذه الحرب الأخيرة بكل ما قذفت به لبقيت لهم العقلية المؤمنة القوية؛ لأن كل مسلم فإنما هو وعقليته في سلطان باطنه الثابت القار على حدود بينة محصلة مقسومة، تحوطها وتمسكها أعمال الإيمان التي أحكمها الإسلام أشد إحكام، بفرضها مكررة مرات في كل يوم، ليمنع بها تغيرًا، ويُحدث بها تغيرًا آخر، ويجعلها كالحارسة للإرادة، ما تزال تمر بها وتتعهدها بين ساعة وساعة[1].

إنما الظاهر والباطن كالموج والساحل، فإذا جُن الموج فلن يضيره ما بقي الساحل ركينًا هادئًا مشدودًا بأعضاده في طبقات الأرض. أما إذا ماج الساحل. . . فذلك أسلوب آخر غير أسلوب البحار والأعاصير. ولا جرم أن لا يكون إلا خسفًا بالأرض والماء وما يتصل بهما.

❋ ❋ ❋

في الكون أصلٌ لا يتغير ولا يتبدل، هو قانون ضبط القوة وتصريفها وتوجيهها

---

(١) الصلاة التي يفرضها الإسلام خمس مرات كل يوم فرضًا عمليًا بصرف الجسم والفكر إليها معًا، هي وحدها أبلغ وسيلة في حراسة الإرادة الإنسانية وتطهيرها، وكأنها تجعل الدنيا تفنى وتوجد كل يوم خمس مرات، وهذه هي حكمتها.

على مقتضى الحكمة، ويقابله في الإنسان قانونٌ مثله لا بد منه لضبط معانيه وتصريفها وتوجيهها على مقتضى الكمال. وكل فروض الدين الصحيح وواجباته إن هي إلا حركة القانون في عمله، فما تلك إلا طرق ثابتة لخلق الحس الأدبي وتثبيته بالتكرار وإدخاله في ناموس طبيعي بإجرائه في الأنفس مجرى العادة وجعله بكل ذلك قوة في باطنها فتسمى فروضًا دينية، وما هي في الحقيقة والواقع إلا عناصر تكوين النفس العالية.

من ذلك أرانا نحن الشرقيين نمتاز على الأوربيين بأننا أقرب منهم إلى قوانين الكون، ففي أنفسنا ضوابط قوية متينة، إذا نحن أقررنا مدنيتهم فيها - وهي لا تقبل بطبيعتها إلا محاسن هذه المدنية - سبقناهم وتركنا غبار أقدامنا في وجوههم، وكنا الطبقة المصفاة التي ينشدونها في إنسانيتهم ولا يجدونها، ونمتاز عنهم من جهة أخرى بأننا لم ننشئ هذه المدنية فيكون حقًّا علينا أن نأخذ سيئاتها في حسناتها، وحماقتها في حقيقتها، ونكون لها غصنَ الحلوة والمرة، والناضجة والفجة، وإنما نحن نحصلها ونقتبسها، فنتخير منها وندع على الأصول الضابطة المحكمة في أدياننا وعاداتنا، ولسنا مثلهم متصلين من حاضر مدنيتهم بمثل ماضيهم. بيد أن العجيب الذي ما يفرغ عجبي منه أن الموسوسين منا بالتجديد لا يحاولون أول وهلة وآخرها إلا هدم تلك الضوابط التي هي كل ما نمتاز به، والتي هي كذلك كل ما تحتاج إليه أوربا، ويسمون ذلك تجديدًا، ولهو بأن يسمى حماقة أحق وأولى.

أقول - ولا أبالي- إننا أبتُلينا في نهضتنا هذه بقوم من المترجمين، قد احترفوا الترجمة والنقل من لغات أوربا، فصنعتهم الترجمة من حيث يدرون أو لا يدرون صنعةَ تقليد محض، ومتابعة مستعبدة. وأصبح العقل فيهم بحكم العادة والطبيعة إذا فكر انجذب إلى ذلك الأصل لا يخرج عليه ولا يتحول عنه.

وإذا صح أن أعمالنا هي التي تعلمنا كما يقول بعض الحكماء، فهم بذلك خطر أي خطر على الشعب وقوميته وذاتيته وخصائصه، ويوشك إذا أطاعهم إلى ما يدعون إليه أن. . . أن يترجموه. . . إلى شعب آخر!

إن أوربا ومدنيتها لا تساوي عندنا شيئًا إلا بمقدار ما تحقق فينا من اتساع الذاتية بعلومها وفنونها، فإنما الذاتية وحدها هي أساس قوتنا في النزاع العالمي بكل مظاهره أيها كان. ولها وحدها وباعتبارٍ منها دون سواها نأخذ ما نأخذ ونهمل ما نهمل، فإن تركنا التثبت في هذا وأغفلنا دقة المحاسبة عليه، كنا كذلك القائد الذي طرد بسيفه جيشًا واحدًا أجنبيًا من بلاده الشرقية، وبسيفه هذا حمل أهل بلاده على أن يهيئوا أنفسهم ليأكلهم كل جيش أجنبي في يوم ما. . .

المحافظة على الضوابط الإنسانية القوية التي هي مظاهر الأديان فينا، ثم إدخال الواجبات الاجتماعية الحديثة في هذه الضوابط، ثم تنسيق مظهر الأمة على مقتضى هذه الواجبات، ثم العمل على اتحاد المشاعر وتمازجها لتقويم هذا المظهر الشعبي في جملته بتقويم أجزائه. هذه هي الأركان الأربعة التي لا يقوم على غيرها بناء الشرق.

فالإلحاد و النزغات السافلة و تخانيث المدنية الأوربية التي لا عمل لها إلا أن تُظهر الخطر في أجمل أشكاله، والجهل بعلوم القوة الحديثة وبأصول التدبير وحياطة الاجتماع وما جرى هذا المجرى، والتدليس على الأمة بآراء المقلدين والزائغين والمستعمرين لمحق الأخلاق الشعبية القوية، وما اتصل بذلك، هي المعاول الأربعة التي لا يهدم غيرها بناء الشرق.

ولكن من لا يعرف كيف يُضرم لك النار يضرمها فيك. . . أو يعميك بدخانها.

مصطفى صادق الرافعي

شوقية الشبان المسلمين

نظمت لحفلة جمعية الشبان المسلمين التي أقامتها

ليلة ١٤ شوال سنة ١٣٤٧ في دار الأوبرا الملكية

حبَّذا الساحةُ والظلُّ الظليل ... وثناءٌ في فم الدار جميلْ[1]
لم تزلْ تجزي به تحتَ الثرى ... لُجَّة المعروفِ والنيل الجزيلْ
صنُعُ إسماعيل جلَّتْ يدهُ ... كلُّ بنيان على الباني دليلْ
أتُراها سُدَّة من بابه ... فُتِحتْ للخير جِيلا بعدَ جيلْ

❁ ❁ ❁

مَلعبُ الأيام، إلا أنهُ ... ليسَ حظُّ الجدّ منه بالقليلْ
شهد الناسُ بها (عائدةٌ) ... وشجى الأجيال من (فردي) الهديلْ
وائتنفنا في ذُراها دولةً ... ركنها السؤددُ والمجدُ الأثيلْ
أينعتْ عصرًا طويلًا، وأتتْ ... دون أن تستأنفَ العصرَ الطويلْ
كم ضفرنا الغار في محرابها ... وعقدناهُ لسبّاق أصيلْ
كم بدور ودّعت يوم النوى ... وشموس شيّعتْ يوم الرحيلْ
رُبَّ عُرسٍ مرَّ للبرّ بها ... ماج بالخيّر والسمح المنيلْ
ضحك الأيتامُ في ليلته ... ومشى يستروحُ البرءَ العليلْ
والتقى البائسُ والنعمى به ... وسعى المأوى لأبناءِ السبيلْ
ومِنَ الأرض جديبٌ ونَدِ ... ومن الدُّور جوادٌ وبخيلْ

❁ ❁ ❁

(١) الدار: دار الأوبرا الملكية بالقاهرة، وهي من بناء إسماعيل باشا.

يا شبابًا حُنفاءَ ضمَّهمْ ... منزلٌ ليس بمذموم النزيلْ
يصرفُ الشبانَ عن وِرْدِ القَذى ... ويُنحّيهم عن المرعى الوبيلْ
اذهبوا فيه وجيئوا إخوة ... بعضهم خِدْنٌ لبعضٍ وخليلْ
لا يضرنَّكُم قِلَّتُهُ ... كل مولود وإن جلَّ ضئيلْ
أرجفتْ في أمركم طائفةٌ ... تبعُ الظنّ عن الإنصاف ميلْ
اجعلوا الصبر لهم حيلَتَكم ... قَلَّتِ الحيلةُ في قالَ وقيلْ
أيريدون بكم أن تجمعوا ... رِقَّةَ الدين إلى الخُلقِ الهزيلْ
خَلت الأرضُ من الهدْي ومن ... مرشد للنَشْءِ بالهدْي كفيلْ
فترى الأسرة فوضى، وترى ... نَشَا عن سُنَّة البرّ يميلْ
لا تكونوا السيلَ جَهْمًا خَشِنًا ... كلَّما عبَّ، وكونوا السَّلْسَبيلْ
رُبَّ عين سمحةٍ خاشعةٍ ... رَوتِ العُشبَ ولم تنسَ النخيلْ
لا تُماروا الناسَ فيما اعتقدوا ... كلُّ نفسٍ بكتابٍ وسبيلْ
وإذا جئتمْ إلى ناديكُم ... فاطرحوا خلفكُم العبْءَ الثقيلْ

❊ ❊ ❊

هذه ليلتكُم في الأوبرا ... ليلةُ القدْرِ من الشهر النبيل(١)
مِهرجانٌ طوَّف الهادي به ... ومشي بين يديه جِبرَئيلْ
وتجلَّتْ أوجهٌ زيَّنها ... غُرَرٌ منَ لمحةِ الخيرِ تسيلْ
فكأنَّ الليلَ بالفجر انجلى ... أو كأنَّ الدار في ظلِّ الأصيلْ
أيُّها الأجوادُ لا تجزيكمُ ... لذةُ الخير من الخير بديلْ
رجلُ الأمة يُرجى عنده ... لجليلِ العمل العونُ الجليلْ
إنَّ دارًا خُطتموها بالندى ... أخذَتْ عهدَ الندى ألّا تميلْ

أحمد شوقي

---

(١) هذا من الغلو. (س).

الآثار النبوية: القضيب والبُردة

لم أقصد ببحثي هذا سردَ ما دُوّن عن الآثار الشريفة التي اختصّ بها ﷺ في حياته، وخلّفها بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى: من سلاح ومراكب وثياب وآلات وغيرها[١]، فإن في كتب السيرة من بيان ذلك ما يغني عن التحدث به إلى قراء الهداية الغراء. وإنما قصدت أن أحدثهم عن آثار اشتهرت نسبتها إليه ﷺ، وتداولها الناس بلا تمييز من غالبهم بين صحيحها و زائفها، لأبين ما حققه العلماء عنها. وسأبدأ بالقضيب والبردة؛ لاشتهارهما في الخلافة العباسية. ولله در العلامة الأديب صلاح الدين الصفدي حيث قال فيما صح من هذه الآثار:

أَكرِم بآثار النبي محمدٍ   من زاره استوفى السرورَ مزارُهُ

يا عين دونك فانظري وتمتّعي   إن لم ترَيْهِ فهذه آثارُهُ

واقتدى به جلال الدين ابن خطيب داريَّا الدمشقي فقال:

يا عين إنْ بعُد الحبيب و دارهُ   ونأت مرابعه وشط مزارهُ

فلقد ظفرتِ من الزمان بطائل   إن لم تريه فهذه آثارهُ

❑ القضيب والبُردة:

أثران نبويان كانا من شارات الخلافة في الدولة العباسية، كما كان الخاتم من الشارات السلطانية في دول المغرب، والمظلة في الدولة العبيدية على ما يقول ابن خلدون[٢]. غير أن الخاتم والمظلة وغيرهما من الشارات لم تكن لها قيمة

(١) ويُنظر لمعرفة الحكم الشرعي في التبرك بآثار النبي ﷺ: رسالة «التبرك أنواعه وأحكامه»؛ للشيخ ناصر الجديع. (س).

(٢) المراد هنا بالخاتم حلية الأصبع المعروفة، وكانوا يستجيدون صوغه من الذهب، =

أثرية كالشارة العباسية، ولا سيما في شرف النسبة إلى المقام النبوي الكريم، وإنما كانت آلاتٍ محدثةً في تلك الدول، قيمتها فيما كان بها من التحلية والترصيع.

أما القضيب فالمرويّ في كتب السيرة أن النبي ﷺ كان له قضيب من شَوْحَط، يسمى الممشوق، قيل: وهو الذي كان الخلفاء يتداولونه.

قال الإمام الماوردي في الأحكام السلطانية: «وأما القضيب فهو من تركة رسول اللَّه ﷺ التي هي صدقة، وقد صار مع البردة من شعار الخلافة». وكان الرسم أن يكون بيد الخليفة في المواكب(١)، وكانوا يطرحون البردة على أكتافهم في المواكب جلوسًا وركوبًا.

قال ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية: «كان الخليفة يلبسها يوم العيد على كتفيه، ويأخذ القضيب المنسوب إليه ﷺ في إحدى يديه، فيخرج وعليه السكينة والوقار ما يصدع القلوب ويبهر الأبصار». انتهى.

وبلغ من عنايتهم بهذين الأثرين الشريفين أنهم كانوا كلما قام منهم خليفة اهتم بهما اهتمامه بالبيعة، فإذا كان غائبًا بعثوا بهما إليه مع بشير الخلافة الذي يُبردونه. وما زالت الشعراء تذكرهما في مدائح الخلفاء العباسيين إلى انقراض

= ويرصعونه بفصوص الجواهر واليواقيت، ويلبسه السلطان شارة في عرفهم، أما المظلة فلم ينفرد بها العبيديون، بل كان يشاركهم فيها ملوك الدول الأعجمية بالمشرق؛ كبني سلجوق وغيرهم تقليدًا لملوك الصين، وإنما اشتهر العبيديون بمظلتهم لأنها كانت أبدع المظلات وأكثرها زخرفًا وترصيعًا.

(١) كانت من آلات المواكب في الدولة العبيدية بمصر قضيب سماه صاحب صبح الأعشى بقضيب الملك، وقال: «إنه عود طوله شبر ونصف ملبس بالذهب المرصع بالدر والجوهر يكون بيد الخليفة في المواكب العظام» انتهى. وكأنهم أرادوا به محاكاة شارة العباسيين، وشتان ما بين التكحل والكَحَل.

دولتهم من العراق تنويهًا بانفرادهم عن سائر الدول بهذه المنقبة؛ كقول البحتري من قصيدة يصف فيها خروج المتوكل للصلاة والخطبة يوم عيد الفطر:

أَيَّدتَ من فصل الخطاب بحكمة ... تُنْبي عن الحق المبين و تخبرُ
ووقفت في بُرد النبي مذكرًا ... بالله تُنذر تارةً وتُبشّرُ
حتى لقد علم الجهول وأخلصت ... نفس المُرَوِّي واهتدى المتحيّرُ(١)

وقوله من أُخرى فيه:

وعليك من سيما النبي مخايل شهدت برشدكْ
تبدو عليك إذا اشتملت ببُرده من ذوق بردكْ

(١) هذه القصيدة من أجود شعر البحتري، ولكن قضى عليها سوء الحظ أن يختارها اليسوعيون لكتابهم مجاني الأدب (ج٥ ص ١٦١ طبع سنة ١٨٨٤ م) فيغيروا فيها ما شاء الهوى أن يغيروه. فإنهم لما ذكروا قوله في وصف احتشاد الناس والجند، وخروج الخليفة عليهم في ذهابه إلى المصلى:

فالخيل تصهل والفوارس تدعي ... والبيض تلمع والأسنة تزهر
والأرض خاشعة تميد بثقلها ... والجو معتكر الجوانب أغبر
والشمس ماتعة توقّد بالضحى ... طورًا ويطفئها العجاج الأكدر
حتى طلعت بضوء وجهك فانجلت ... تلك الدجى وانجاب ذاك العِثير
وافتن فيك الناظرون فأصبع ... يومي إليك بها وعين تنظر
يجدون رؤيتك التي فازوا بها ... من أنعم اللّه التي لا تُكفر
ذكروا بطلعتك النبي فهللوا ... لَما طلعت من الصفوف، وكبروا

عز عليهم أن يُذكر سيد الخلق عليه الصلاة والسلام، ويُذكر معه خليفته وابن عمه، فجعلوا صدر البيت (ذكروا بطلعتك الرشيد فهللوا)، ولما وصلوا إلى بيت البردة جعلوه (ووقفت في بُرد الخطيب مذكرًا)!! فليتنبه لذلك، فإن كثيرين من النشء يثقون بكتبهم فيقعون فيما حرفوه وبدلوه.

وقوله من أخرى فيه أيضًا:

غدوت في بُرد النبي وهديه تُخشى لحكم قاصد وتؤملُ

وقوله فيه أيضًا - وقد ذكر آثارًا أخرى كانت عند الخلفاء سنفرد الكلام عليها:

يتولّى النبي ما تتولّا ةُ ويرضى من سيرة ما تسيرُ
حُزت ميراثه بحق مبين كل حق سواه إفْك وزورُ
فلك السيف والعمامة والخا تم والبُرد والعصا والسريرُ

يريد بالعصا القضيب.

وقوله فيه أيضًا:

عليك ثياب المصطفى ووقاره وأنت به أولى إذا حصحص الأمر
عمامته وسيفه ورداؤه وسيماه والهدي المشاكل والنجر

وقال من قصيدة يمدح بها المعتز بن المتوكل، ويهجو المستعين بعد خلعه:

ولم يكن المغترّ بالله إذ سَرَى ليُعْجِزَ والمعتز بالله طالبُهْ
رمى بالقضيب عنوة وهو صاغر وعُرّي من بُرد النبي مناكبهْ

وذكر ابن خلّكان في وفياته عن ميمون بن هارون أنه قال: رأيت أبا جعفر أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري المؤرخ وحاله متماسكة، فسألته، فقال: كنت من جلساء المستعين، فقصده الشعراء فقال: لست أقبل إلا ممن قال مثل قول البحتري في المتوكل:

فلو أن مشتاقًا تكلف فوق ما في وُسعْه لسعى إليك المنبر

فرجعتُ إلى داري وأتيته وقلت: قد قلت فيك أحسن مما قاله البحتري في المتوكل. فقال: هاته! فأنشدته:

ولو أن بُرد المصطفى إذ لبسته يظن لظن البُرد أنك صاحبه

وقال وقد أُعطيته ولبسته نعم هذه أعطافه ومناكبه

فقال: ارجع إلى منزلك وأفعل ما آمرك به.

فرجعت فبعث إلي بسبعة آلاف دينار، وقال: ادخر هذه للحوادث من بعدي، ولك عليّ الجراية الكفاية مادمتُ حيًّا. انتهى[١].

ومن ذلك قول الأبيوردي من قصيدة في المقتدي بالله:

إلى المقتدي بالله والمقتدى به طوين بنا طي الرداء الفيافيا
ولذنا بأطراف القوافي وحسبنا من الفخر أن نهدي إليه القوافيا
ولم نتكلف نظمهن لأننا وجدنا المعالي فاخترعنا المعانيا
أيا وارث البُرد المعظم ربه بلغنا المنى حتى اقتسمنا التهانيا

وقوله من قصيدة في المستظهر بن المقتدي:

وعليه من سيماء آل محمد نور يجير على الدجى مرموق
والبُرد يعلم أن في أثنائه كرمًا يفوق المزن وهو دفوق
أفضت إليه خلافة نبوية من دونها للمشرقي بريق

وقول الأرّجاني من قصيدة في المسترشد بن المستظهر:

ورثتَ الذي قد ضمه البُرد من تقى ومن كرم من قبل أن ترث البُردا
ووليت من أمر القضيب شبيه ما تولاه من كان المشير به مجدا
وما هو إلا أمر أمته الذي إليك انتهى إذ كنت من بينها فردا

وقوله من أُخرى فيه:

يا وارث البُرد المجرر ذيله في ليلة المعراج فوق الفرقد

---

(١) أورد عبد الرحيم العباسي البيتين والقصة ببعض اختصار في نوع الغلو من معاهد التنصيص. ومثله في فوات الوفيات لابن شاكر.

ومعودًا يده التخصر بالذي ... أمسى به ظهر البراق وقد حدي
سلبا هُدى عبقُ النبوة فيهما ... من كف خير الأنبياء محمد

وقول سبط ابن التعاويذي من قصيدة في المستضيء بن المستنجد:

إن يد المستضيء أسمح بالإعـ ... ـطاء يوم الندي من الدِيم
خليفة اللّٰه وارث البُرد والخا ... تم والسيف مالك الأمم
معيد شمل الإسلام ملتئما ... وكان لولاه غير ملتئم(١)

وقوله من أُخرى فيه:

آل النبوة بُردها وقضيبها ... لكم ومنبرها معًا وحُسامها
أبناء عم المصطفى الهادي وخير ... عصابة وطىء الثرى أقدامها

وقوله من أخرى في الناصر بن المستضيء لما بويع بالخلافة:

ورأينا بُرد النبي على منكب ... طود من الأئمة رأس.
مالئًا هديه المواقف من نو ... ر جلال يضيء كالنبراس

وقوله من أخرى:

ورث النبوة منبرًا وخلافة ... وتقية فعليه منها ميسم
فلمنكب ولعاتق ولخنصر ... منه ثلاث قدرهن معظّم
بُرد وسيف لا يفل وخاتم ... فمجلبب ومقلّد ومختّم

وقوله من أخرى فيه:

له خاتم المبعوث أحمد خاتم النـ ... ـبوة موروثًا مع السيف والبُرد(٢)

---

(١) يشير بذلك إلى زوال الدولة العبيدية في زمن المستضيء، وإعادة الخطبة لبني العباس بمصر والشام والحجاز واليمن وبرقة.

(٢) أي: له الخاتم موروثًا مع السيف والبُرد من النبي المبعوث خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام.

وما برحت طير الخلافة حُوَّمًا عليه كما حام الظماء على الوِرد

□ صفة البُردة:

في الكلام على شعار الخلافة من صبح الأعشى نقلًا عن ابن الأثير أن بردة النبي ﷺ التي كان الخلفاء يلبسونها في المواكب كانت شملة مخططة، وقيل: كانت كساء أسود مربعًا فيها صِغَر انتهى.

وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي: «أخرج الإمام أحمد في الزهد عن عروة بن الزبير رضي الله عنه أن ثوب رسول اللّه ﷺ الذي كان يخرج فيه للوفد رداء حضرمي طوله أربع أذرع وعرضه ذراعان وشبر، فهو عند الخلفاء قد خلق وطووه بثياب تُلبس يوم الأضحى والفطر». انتهى.

□ اختلافهم فيها:

لا خلاف بين المؤرخين في كون البردة العباسية أثرًا نبويًّا صحيحًا، ولكن لما كان المخلف عن النبي ﷺ بُردتين، اختلفوا في التي صارت منهما لبني العباس.

وقال الإمام الماوردي في الأحكام السلطانية: «وأما البُردة فقد اختلف الناس فيها، فحكى أبان بن ثعلب أن رسول اللّه ﷺ كان وهبها لكعب بن زهير واشتراها منه معاوية رضي الله عنه، وهي التي يلبسها الخلفاء.

وحكى ضمرة بن ربيعة أن هذه البُردة كان رسول اللّه ﷺ أعطاها أهل أيلة أمانًا لهم، فأخذها منهم سعيد بن خالد بن أبي أوفى، وكان عاملًا عليهم من قبل مروان بن محمد، فبعث بها إليه وكانت في خزائنه، حتى أُخذت بعد قتله أو قيل اشتراها أبو العباس السفاح بثلاثمائة دينار» انتهى.

وقد حكي هذا الخلاف في صبح الأعشى وتاريخ الخلفاء للسيوطي وأخبار الدول للقرماني وحاشية البغدادي على شرح ابن هشام على بانت سعاد.

وتفصيل هذا الإجمال في الرأي الأول أن كعب بن زهير بن أبي سُلمى رضي الله عنه لما بلغه إسلام أخيه بجير غضب وبعث إليه بأبيات يلومه فيها على إسلامه، فأهدر النبي ﷺ دمه. ثم هداه اللَّه إلى الإسلام، فقدم المدينة وقصد المسجد فجلس بين يدي النبي ﷺ تائبًا مسلمًا، وأنشده قصيدته بانت سعاد المشهورة[1]، فلما وصل إلى قوله:

إن الرسول لسيفٌ يُستضاء به مهندٌ من سيوف اللَّه مسلولُ

رمى ﷺ إليه بردة كانت عليه[2]، فلما كان زمن معاوية رضي الله عنه أراد شراءها من كعب بعشرة آلاف درهم، فأرسل إليه يقول: ما كنت أوثر بثوب رسول اللَّه ﷺ أحدًا. فلما مات كعب اشتراها معاوية من أولاده بعشرين ألف درهم. قالوا: وهي التي عند الخلفاء العباسيين، وهو قول عز الدين بن الأثير في كتابيه الكامل وأسد الغابة، والخوارزمي في مفاتيح العلوم، وابن هشام في شرح بانت سعاد، وأبي الفداء سلطان حماة في تاريخه، وابن حجر في الإصابة. ومؤرخين غيرهم كثيرين.

ولم يذكر ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية غير الرأي الثاني فقال: «قال الحافظ البيهقي: وأما البُردة التي عند الخلفاء فقد روينا عن محمد بن إسحاق بن يسار قي قصة تبوك: أن رسول اللَّه ﷺ بعث إلى أهل أيلة بردة مع كتابه الذي كتب لهم أمانًا لهم فاشتراها أبو العباس عبد اللَّه بن محمد بثلاثمائة دينار. يعني

---

(١) انظر للفائدة: رسالة «توثيق قصيدة بانت سعاد في المتن والإسناد»؛ للدكتور سعود الفنيسان. (س).

(٢) قال البغدادي في حاشيته على شرح ابن هشام على بانت سعاد: «ولهذا تسمت هذه القصيدة بقصيدة البُردة. وقد سمى الناس قصيدة البوصيري بقصيدة البُردة تشبيهًا بها للتبرك، والصواب تسميتها بالبرأة، بالهمزة؛ لبرء ناظمها من الفالج».

بذلك أول خلفاء بني العباس وهو السفاح رحمه اللّٰه تعالى. وقد توارثت بنو العباس هذه البُردة خلفًا عن سلف». وهو قول الذهبي أيضًا على ما في تاريخ الخلفاء للسيوطي، ونص عبارته: «وأما الذهبي فقال في تاريخه: أما البُردة التي عند الخلفاء آل عباس، فقد قال يونس بن بكير عن ابن إسحاق في قصة غزوة تبوك أن النبي ﷺ أعطى أهل أيلة بردة مع كتابه الذي كتب لهم أمانًا لهم، فاشتراها أبو العباس السفاح بثلاثمائة دينار».

قال السيوطي: فكأن التي اشتراها معاوية فُقدت عند زوال دولة بني أمية. وقال القرماني: وقيل: كُفّن فيها معاوية. وذكر ياقوت هذه البُردة في معجم البلدان، ولم يتعرض لخبر انتقالها إلى الخلفاء، فقال في كلامه على أيلة: «ويقال: إن بها بُرد النبي ﷺ وكان وهبه ليُحَنّة بن رؤبة(١) لما سار إليه إلى تبوك»، وكذلك فعل المقريزي في خططه والجزيري في درر الفرائد المنظمة في ذكرهما أيلة، فإنهما لم يتعرضا لخبر انتقال هذه البُردة إلى الخلفاء. وخلاصة ما ذكراه أن من بها من اليهود يزعمون أن عندهم بُرد النبي ﷺ الذي وجه به إليهم أمانًا لهم، وأنهم يُظهرونه رداء عدنيًا ملفوفًا في الثياب، وقد أبرز منه مقدار شبر لئلا تدنسه الأيدي.

والخلاصة: أن البُردة العباسية، إما أن تكون بُردة أيلة بقيت عند أهلها إلى أن اشتراها السفاح بثلاثمائة دينار، أو إلى أن انتزعها منهم عامل مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين وحملها إليه، ثم صارت من بعده للعباسيين. وإما أن تكون البُردة الكعبية التي اشتراها معاوية رضي الله عنه ثم حُفظت عند بني أمية حتى ورثها منهم العباسيون. وأكثر المؤرخين على هذا الرأي. وقد فصل المسعودي في

---

(١) يُحَنّة: بضم الياء وفتح الحاء المهملة ثم نون مشددة مفتوحة ثم تاء، وهو صاحب أيلة. ورؤبة بالباء الموحدة.

مروج الذهب خبر مصير البُردة والقضيب إلى بني العباس بما لم نره لغيره من المؤرخين، فذكر ما كان من فرار مروان بن محمد من العباسيين إلى مصر، وأنهم لحقوه بها وقد نزل بوصير، فهجموا عليه وقتلوه، ثم رأوا خادمًا له شاهرًا سيفه يحاول الدخول إلى بناته فأخذوه وسألوه عن أمره فقال: أمرني مروان إذا هو قُتل أن أضرب رقاب بناته ونسائه، فلا تقتلوني، فإنكم والله إن قتلتموني ليفقدن ميراث رسول اللَّه ﷺ. فقالوا له: انظر ما تقول. قال: إن كذبتُ فاقتلوني هلموا فاتبعوني، ففعلوا، فأخرجهم من القرية إلى موضع رمل فقال: اكشفوا هنا، فكشفوا، فإذا البُرد والقضيب ومخصرة قد دفنها مروان لئلا تصل إلى بني هاشم، فوجه بها عامر بن إسماعيل إلى عبد اللَّه بن علي، فوجه بها عبد اللَّه إلى أبي العباس السفاح، فتداولت ذلك خلفاء بني العباس.

❑ مصير البُردة والقضيب:

ذكر ابن الزيات في الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة بالقرافتين الكبرى والصغرى قبرًا اشتُهر بأنه قبر صاحب البُردة، واستطرد في الكلام عليه لذكر البُردة النبوية، فقال: «قال ابن عثمان هو صاحب البُردة يعني بُردة النبي ﷺ، وذلك غير صحيح، قال المؤلف: وبُردة النبي ﷺ لم يبلغنا في آثار النبي ﷺ التي دخلوا بها إلى مصر أن فيها بُردة غير البُردة التي في أيدي بني العباس وهي موجودة عندهم إلى الآن، ولم يذكر علماء التاريخ أنه دخل إلى مصر من الصحابة ممن له بُردة من اسمه صاحب البُردة، وآثار النبي ﷺ مثبتة عند العلماء، ويحتمل أن تكون هذه البُردة بُردة رجل من الصالحين» انتهى. وإنما نقلنا هذه العبارة لبيان ما فيها من الوهم، فإن وفاة ابن الزيات كانت سنة ٨١٤، وقوله عن البُردة - وهي موجودة عندهم إلى الآن - يفيد بقاءها بأيديهم إلى عصره، والصحيح إنها فُقدت قبل ذلك بقرن ونيف، ولعله نقل هذا القول عن مؤرخ قديم كانت البردة في زمنه عند الخلفاء وسها عن التنبيه عليه.

وقال المسعودي - بعد عبارته المتقدمة في مصير البردة والقضيب إلى العباسيين - ما نصه: فتداولت ذلك خلفاء بني العباس إلى أيام المقتدر فيقال: «إن البُرد كان عليه يوم مقتله، ولست أدري أكل ذلك باق مع المتقي لله إلى هذا الوقت، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة في نزوله الرَّقة أم قد ضيع ذلك».

وفي صبح الأعشى: «وكان القضيب والبُردة المتقدما الذكر عند خلفاء بن العباس ببغداد إلى أن انتزعهما السلطان سِنْجر السلجوقي[(١)] من المسترشد بالله، ثم أعادها إلى المقتفي عند ولايته سنة خمس وثلاثين وخمسمائة. والذي يظهر أنهما بقيا عندهم إلى انقضاء الخلافة من بغداد سنة ست وخمسين وستمائة، فإن مقدار ما بينهما مائة وإحدى وعشرون سنة، وهي مدة قريبة بالنسبة إلى ما تقدم من مدتهما».

وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي عن البُردة: «وكانت على المقتدر حين قتل، وتلوثت بالدم، وأظن أنها فقدت في فتنة التتار فإنا لله وإنا إليه راجعون».

وفي خزانة الأدب للبغدادي عن كعب بن زهير: «فأمنه النبي ﷺ وأجازه بردته الشريفة التي بيعت بالثمن الجزيل، حتى بيعت في أيام المنصور الخليفة بمبلغ أربعين ألف درهم[(٢)]، وبقيت في خزائن بني العباس إلى أن وصل المغول[(٣)]

---

(١) سنجر بن ملك شاه السلجوقي سلطان خراسان وغزنة وما وراء النهر. ولد سنة ٤٧٩ وتوفي سنة٥٥٢ بمرو، ودفن بها. وهو بكسر السين وسكون النون فتح الجيم. وسبب تسميته بذلك أنه ولد بمدينة سنجار، فسماه والده بذلك أخذًا من اسم المدينة. والسلجوقي بفتح السين وسكون اللام وضم الجيم وسكون الواو وبعدها قاف، نسبة لجده الأعلى سلجوق بن دُقاق.

(٢) من المعروف أن الذي اشترى البُردة الكعبية معاوية ﷺ، والذي اشترى البُردة الأيلية أبو العباس السفاح في قول كما تقدم، فذكر البغدادي المنصور سهو منه. والله أعلم.

(٣) المُغول بضمتين: قوم هولاكو، وقد يقال: المغل بلا واو. وهم من القبائل التورانية، ويعدهم بعض المؤرخين من التتار، والأكثرون على أنهما من جنسان متقاربان، وإنما =

وجرى ما جرى والله أعلم بحقيقة الحال». قلت: والذي يؤيد بقاء البُردة والقضيب عند الخلفاء إلى آخر مدتهم ببغداد ورود ذكرهما فيما تقدم من مدائح الشعراء إلى زمن الناصر بن المستضيء، وذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء عن ابن الساعي أنه حضر مبايعة الخليفة الظاهر وهو ابن الناصر المذكور فرآه بثياب بيض والبُردة النبوية على كتفه، وكانت خلافته سنة ٦٢٢ في أواخر أيام دولتهم ببغداد، ولم يكن بعده غير خليفتين المستنصر والمستعصم، ثم كانت كائنة التتار وانتقلت الخلافة العباسية الصورية إلى مصر.

وقد صرح القرماني في موضعين من تاريخه أخبار الدول بمصير البُردة والقضيب فذكر أن هلاكو[1] لما طرق بجيوشه بغداد سنة ٦٥٦ أشار وزير الخلافة مؤيد الدين العلقمي على الخليفة المستعصم بالخروج إليه ومصالحته، فخرج إليه في جمع من العلماء والأعيان والبُردة النبوية على كتفيه والقضيب بيده، فأخذهما منه هلاكو وجعلهما في طبق من نحاس وأحرقهما، وذر رمادهما في دجلة، وقال: ما أحرقتهما استهانة بهما وإنما أحرقتهما تطهيرًا لهما. انتهى.

ثم أمر بقتل جميع من خرج إليه، فقُتلوا، ووُضع الخليفة وولده في جُوالقين وضُربا بالأرازبّ ومداقّ الجص حتى ماتا. وفي هذه الكائنة التي لم ينكب

= غلب التعبير عنهم بالتتار في التواريخ العربية؛ لأنهم استخدموا في غزوهم بلاد الإسلام كثيرًا من التتار في جيوشهم.

(١) هُلَاكُو بضم الهاء وتخفيف اللام وضم الكاف، وقد يقال: هولاكو بواو بعد الهاء: أول الملوك الإيلخانية بفارس، وهو ابن تولي خان ابن طاغية المغول الأكبر جنكيز خان أرسله أخوه منكوقان ملك المغول إلى فارس، ففتحها وتولى أمرها، ثم استولى على العراق وكان منه ما كان، إلى أن هلك بالمراغة سنة ٦٦٣ كما جاء في التواريخ التركية وتاريخ ابن الفرات. والذي في المنهل الصافي سنة ٦٦٤ . وقال ابن خلدون سنة ٦٦٢ .

الإسلام بمثلها يقول ابن خلدون: «ونزل هلاكو بغداد وخرج إليه الوزير مؤيد الدين بن العلقمي فاستأمن لنفسه ورجع بالأمان إلى المستعصم وأنه يبقيه على خلافته كما فعل بملك بلاد الروم، فخرج المستعصم ومعه الفقهاء والأعيان فقبض عليه لوقته وقتل جميع من كان معه، ثم قتل المستعصم شدخًا بالعُمُد ووطئ بالأقدام، لتجافيه بزعمه عن دماء أهل البيت وذلك سنة ست وخمسين، وركب إلى بغداد فاستباحها، واتصل العيث بها أيامًا، وخرج النساء والصبيان وعلى رؤوسهم المصاحف والألواح، فداستهم العساكر وماتوا أجمعين. ويقال: إن الذي أحصي ذلك اليوم من القتلى ألف ألف وستمائة ألف[1]، واستولوا من قصور الخلافة وذخائرها على ما لا يبلغه الوصف ولا يحصره الضبط والعدّ، وألقيت كتب العلم التي كانت بخزائنهم جميعًا في دجلة، وكانت شيئًا لا يعبّر عنه مقابلة في زعمهم بما فعله المسلمون لأول الفتح في كتب الفرس وعلومهم». انتهى كلام ابن خلدون.

❑ **تنبيه:**

روى القرماني في أخبار الدول خبر البُردة الكعبية وبقائها عند بني العباس إلى أن أحرقها هُلاكو مع القضيب كما مر، ثم حكى قول من خالف وزعم أن التي

---

(١) أعاد ابن خلدون خبر هذه الكائنة في كلامه على دولة بني هُلاكو، فقال: إن عدد القتلى كان «ألف ألف وثلاثمائة ألف»، والذي يذكره مؤرخو الترك مع تشيعهم لهلاكو وإحسانهم الظن به أن عدد الذين قتلهم في هذه الواقعة من أهل بغداد البالغين خاصة بلغ ٨٠٠ ألف نسمة، فإذا ضممنا إليهم قتلى الجيش المجموع من المملكة العراقية الذي أباده قبل أن يصل إلى أهل بغداد ثم قتلى الصبيان غير البالغين الذين داستهم سنابك الخيل وعلى رؤوسهم المصاحف والألواح، ظهر لنا أن عبارة ابن خلدون التي صدرها بكلمة (ويقال) ليست بعيدة عن الصواب.

كانت عندهم بُردة أيلة لا بُردة كعب، وأعقب هذا القول بقوله: «وأظن أنها البُردة التي وصلت لسلاطين آل عثمان وهي اليوم عندهم يتباركون بها ويسقون ماءها لمن به ألم فيبرأ بإذن الله، واتخذ لها المرحوم السلطان مراد خان تغمده اللَّه بالرحمة والغفران صندوقًا من ذهب زنته[1] مثقال، فوضعها فيه تعظيمًا لها» انتهى. ولا يخفى أن بني العباس لم يكن عندهم غير بُردة واحدة أحرقها هُلاكو، سواء كانت بُردة كعب أو بُردة أيلة، والذي ظنه المؤلف لا يتجه إلا بتقدير جمعهم بين البُردتين وانتقال الأيلية إلى بني عثمان بعد حراق هلاكو للكعبية، وهو شيء لم يقل به ولم ينقله فيما نقله من الأقوال حتى يصح له بناء ظنه عليه. وسيأتي الكلام على ما كان عند بني عثمان من الآثار في فصل خاص.

أحمد تيمور

أول العجز

قال عُبَيد بن أيّوب العنبري من اللصوص:

إذا ما أراد اللَّه ذَلّ قبيلة — رماها بتشتيت الهوى والتخاذُلِ

وأوَّل عجز القوم عما ينوبهم — تقاعدهم عنه، وطولُ التواكُلِ

وأوَّل خُبث الماء خُبْثُ ترابه — وأول لؤم القوم لؤمُ الحلائلِ

(١) بياض بمقدار كلمة في النسخ الثلاث التي عندنا من هذا التاريخ.

خيرٌ من....

رغيفُ خبزٍ يابسٍ ... تأكله في زاويهْ
وكوز ماءٍ باردٍ ... تشربه من ساقيهْ
وغرفة ضيقةٍ ... نفسك فيها خاليهْ
أو مسجد بمعزلٍ ... عن الورى في ناحيهْ
تدرس فيه دفترًا ... مستندا لساريهْ
معتبرًا بما مضى ... من القرون الخاليهْ
خيرٌ من الساحات في ... فيء القصور العاليهْ
تعقبها عقوبة ... تصلى بنار حاميهْ

أبو العتاهية

عتاب صديق

صديقي الحميم....

أما السلام فعلى ود أضعته، وعهد نقضته، بل على أيام شربنا فيها الصفو على غرة من الليالي، وليال تساقينا فيها الحب على غفلات الأيام.

فقد أمتعتني أيها الصديق بنعمة ودادك حينًا من الدهر، فما كفرتُ بتلك النعمة بل حمدتها، وبالحمد تستدام النعم.

وبذلت لي من ذات نفسك ما جمعت عليه يدي، وشددت به عضدي،،

وجعلت أتيه به على الزمان كأنما كشف لي من صداقتك عن مادة من الغنى لا ينضب معينها.

ولقد بلوتني فبلوتَ مني نقيبة حرة، ونفسًا مرة، على أنه ما عرضت حال يؤثر فيها الصديق صديقه على نفسه ويفديه إلا آثرتك، وفديتك، غير مستقل منك، ولا مستكثر عليك، وبلغ من وثاقة صلتي بك، واتصال سببي بسببك، أنه ما نالتك نعمة إلا حسبتها من دونك خصتني، ولا نزل بك ما تكره إلا حسبت أنه نزل بي من دونك. وكان كلٌ منا لصاحبه خيرًا منه لنفسه. أخوة مزجت نفسي بنفسك حتى لم يكن يرانا أحد إلا قال أخوان حدرهما ظهر، وضمهما صدر، فيا ليت شعري ما الذي عرض لودك فحال، ولعهدك فاستحال؟.

فإن كنتُ قد هفوت هفوة، فإنها زلة من غير عمد، وما أولى الصديق أن يقيل عثار الصديق.

وإن كان قد نفذ إليك من خلال الشك في مودتي وشاية، فقد علمتَ أن الوشايات آفة المودات.

وإن كنتَ قد زهدت في مودتي فإني أعيذ قلبك أن يتقلب، ووجه ودادك السافر أن يتنقب.

وبعدُ: فهذا كتابي إليك تلمح طيف الإخلاص يجول في نواحيه، وتحس في كل سطر منه خفقة من خفقات هذا القلب، الذي أحسب أنه لو زايل موضعه منى لم يزايل حبك موضعه منه، فلا تُعن الدهر على بجنائك، ولا ترد من مودتي مبذولًا، ولا تقطع منها موصولًا. وكن عند يقيني فيك لا عندك ظنك بي، والسلام.

محمد صادق عنبر

كلمة شجاع

تأخرتُ استبقي الحياةَ فلم أجدْ لنفسي حياةً مثل أن أتقدّما
ولسنا على الأعقاب تدمى كلومُنا ولكن على أقدامنا تقطر الدِما

الحصين بن الحمام

شامية حافظ إبراهيم

زار شاعر النيل حافظ بك إبراهيم الديار الشامية ليقضي بها صيف هذا العام مستشفيًا، فأقيمت له في بيروت حفلة أنشد فيها قصيدة كبرى، اخترنا منها ما يأتي:

حيى بكورُ الحيا أرباعَ لبنانِ وطالعُ اليُمن مَنْ الشام حيّاني
أهلَ الشآم لقد طوَّقتمُ عُنقي بمنّة خرَجتْ مِنْ طوقِ تِبياني
سكنتمُ جنَّةُ فيحاءَ ليسَ بها عيب سوى أنها في العالم الفاني
إذا تأمّلتَ في صنع الإله بها لم تلقَ في وَشْيِهِ صنُعًا لإنسان
في سهلها، وأعاليها، وسَلْسَلها بُرْءُ العليل وسَلْوى العاشق العاني
وفي تضوُّع أنفاس الرياض بها روحٌ لكل حزين القلْبِ أسوان
إني تخيَّرْتُ من لبنان منزلة في كل منزلة روضٌ وعينان
يا ليتني كنت منْ دُنْيايَ في دَعة قلبي جميعٌ وأمْري طوع وجداني
أقضي المصيفَ بلبنان على شرَف ولا أحولُ عن المشتى بحُلوان

يا وَقفةً في جبالِ الأرْز أنشدها | بين الصَّنَوبر والشربين والبان
تستهبط الوحْيَّ نفسي مِنْ سماوتها | وينثني مَلكًا في الشعر شيطاني
علّي أجاودكم في القولِ مقتدِيًا | بشاعر الأرز في صنعٍ وإتقانِ
لا بِدْعَ إنْ أخصبت فيها قرائحكم | فأعجزتْ وأعادَتْ عهدَ حسّان
طيبُ الهواءِ وطيبُ الروض قد صقَلا | لوحَ الخيالِ فأغراكمْ وأغراني
من رامَ أنْ يَشْهَدَ الفردَوْسَ ماثلةً | فليغشَ أحياءكم في شهر نِيسان

❀ ❀ ❀

أبتْ أُميةُ أنْ تفنى محامدُها | على المدى وأبى أبناءُ غسَّان
فمن غَطارفةٍ في جِلّقٍ نجُب | ومن غَطارفة في أرض حَوْران
عافوا المذلةَ في الدُّنيا، فعندهمُ | عزُّ الحياةِ وعزُّ الموتِ سيان
لا يصبرون على ضيمٍ يُحاولهُ | باغٍ منَ الإنْس أو طاغٍ من الجان
شققتُ أسواقَ بيروتٍ فما أخذت | عينايَ في ساحها حانوتَ يوناني
فقلْتُ في غبطةٍ: لله دَرُّهُم | ليسَ الفلاحُ لوان غير يقظان
تيمَّموا أرضَ (كولمب) فما شعرت | منهم بوطءٍ غريبِ الدار حيران
سادوا وشادوا وأبلوا في مناكبها | بلاء مُضطلع بالأمر مِعوان
إنْ ضاقَ ميدانُ سبقٍ عن عزائمهم | صاحَتْ بهمْ فأروها ألفَ ميدان
لا يستشيرونَ إنْ همّوا سوى هِمم | تأبى المقام على ذُلّ وإذْعان
ولا يبالونَ أن كانتْ قبورهُم | ذرى الشوامخ أو أجوافَ حيتان
في الكون مورقهم، في الشأم مغرسهم | والغَرْسُ يزكو نقالًا بين بلدان
إن لم يفوزوا بسلطان يقرُّهُم | ففي المهاجر قد عزّوا بسلطان
أو ضاقتِ الشامُ عنْ برهان قدرتهم | ففي المهاجر قد جهلوا ببرهان

❀ ❀ ❀

متى أرى الشَّرْقَ أدناه وأبعدَه عن مَطمع الغرب فيه غيرَ وَسنان
تجري المودَّة في أعراقه طلقًا كجريةِ الماءِ في أفناء أفنان
ما بالُ دنياه لما فاء وارفها عليهِ قدْ أدبرَتْ من غير إيذان
عهد الرَّشيدِ ببغدادٍ عفا ومضى وفي دمشقَ انطوى عهدُ ابنُ مروان
ولا تسلْ بعدَهُ عن عهدِ قُرطبة كيفَ انمحى بين أسيافٍ ونيران
فعلّموا كل حي عندَ مولده: عليك للهِ والأوطان دينان
حتمٌ قضاؤهما، حتمٌ جزاؤهما فاربأ بنفسكَ أنْ تُمنى بخُسْران
النيل وهو إلى الأُردُن في شغف يُهدي إلى برَدى أشواق ولهان
وفي العراق به وجدٌ بدِجلتِه وبالفُرات وتحنان لسيحان
إن دامَ ما نحنُ فيهِ من مُدابرة وفتنةٍ بين أجناس وأديان
رأيتُ رأيَ المعرّي حينَ أرهقه ما حلَّ بالناس منْ بغيٍّ وعُدْوان
لا تطهر الأرض من رجس ومن دَرَن حتى يُعاوِدها نُوحٌ بطوفانِ

❊ ❊ ❊

ولي الشَّبابُ وجارتني فتوَّتُه وهدّمَ السقمُ بعدَ السقم أركاني
وقدْ وَقَفتُ على الستينَ أسألها أسوَّفت أمْ أعدَّت حرّ أكفاني
شاهدْتُ مصرعَ أترابي، فبشَّرني بضجعةٍ عندها روحي وريحاني
كم من قريبٍ نأى عنّي فأوْجعني وكم عزيز مضى قبلي فأبكاني
من كان يسألُ عن قومي فإنهمُ ولّوا سراعًا وخلّوا ذلكَ الواني
إني مللتُ وقوفي كلَّ آونةٍ أبكي وأنظم أحزانًا بأحزانِ
إذا تصفّحتَ ديواني لتقرَأني وجدتَ شعرَ المراثي نصفَ ديواني
أتيتُ مستشفيًا والشوقُ يدفع بي إلى رُباكم وعُودِي غير فينان
فأنزلوني مكانًا أستجمُّ به وينجلي عنْ فؤادي برحُ أشجاني

وجنّبوني . على شكرٍ . موائدكم ... بما حَوتْ من أفاويهٍ وألوان
حسبي وحسْبُ النّدى ما نلْتُ من كرم ... قد كدتُ أنْسى به أَهلي وأوطاني

حافظ إبراهيم

مصر والشام

لما ركب حافظ بك إبراهيم قطار القاهرة إلى فلسطين ليزور الديار الشاميّة، ودّعه أحمد أفندي نسيم بالأبيات الآتية:

قطارَ النوى أمهلْ دقائقَ واتَّئِدْ ... ففيكَ أديبُ النيل والشرقِ أجمعا
أحافظُ إن جئتَ الشآمَ فحيّها ... منازل تزهى بالبيان وأربُعا
وصفْ لهُم شوقَ البلاد وأهلها ... يروا مُفصِحًا جَمَّ البلاغة مُبدِعا
نُودّع فيك اليومَ أكبرَ شاعر ... وهيهات أن ننسى الأديبَ المودّعا

جرير وبنو نمير

قصة واقعية تمثل الحياة العربية الأدبية في النصف الثاني من القرن الأول للهجرة، جرت حوادثها في البصرة - حلبة الشعراء في تلك الأيام - فكانوا يتبارون في المربد منها، وهو كسوق عكاظ في الجاهلية:

(يا أبا جندل إنك شيخ مُضرَ وشاعرها، وقد أتى بي إليك أني وابن عمي نَسْتَبُّ صباحًا مساء، وما عليك غلبةُ المغلوب، ولا لك غلبةُ الغالب. فأمّا أن تدَعني وصاحبي، ويكفيك إذا ذُكرنا أن تقول: كلاهما شاعر كريم. ولا تحتمل

مني ولا منه لائمة. وإما أن يكون وجهٌ منك إلى أن تُغَلِبَني عليه: لمدحي قومك، وذبّي عنهم، وحَطْبي في حبلهم).

قال جَرير ذلك للراعي عبيد بن حصين - أحد بني نُمَيْر-، وقد بلغه خبرٌ أقامة وأقعده، وهو أن عَرادة النُّميري نديم الفرزدق اتخذ طعامًا وشرابًا ودعا إليه الراعي حين قدومه إلى البصرة، وجلس يؤاكله ويشاربه. وفي خلال ذلك قال عرادة النميري:

يا أبا جندل، إنك من شعراء الناس، أمرُك ضخم بينهم؛ فقل شعرًا تفضّل به الفرزدق على جرير!.

فامتنع الراعي بادئ الأمر، غير أن صاحبه ما زال يزيّن له ذلك حتى قال (عبيد):

يا صاحبيَّ دنا الأصيلُ فسيرا   غلبَ الفرزدقُ في الهجاءِ جريرا

فطار عَرادة لذلك فرحًا، وعدا بهذا الشعر إلي الفرزدق، وأنشده إياه فترامى الخبر بعد أيام إلى جرير، فتحسّب أنه مُغَلَّبٌ للفرزدق وقد شهد بذلك عبيد شاعر مضر وذو سنّها.

لهذا الخبر خاطب جرير أبا جندل بكلمته التي في صدر هذه القصة، فقال له هذا:

صدقتَ أنا لا أبعدك من خيرٍ؟ ميعادُك وميعاد قومك غدًا، فسأعتذر عما قلتُ...

بَكَرَ جرير ثاني الأيام إلى حلقة قومه بني يربوع في المسجد، وقد قصّ عليهم القصص، فما انتظمت حلقتهم بعد صلاة العصر من يوم الجمعة حتى وقف عليهم رجل من بني أُسَيْد له علم بالأمر، فقال له بنو يربوع:

اذهب إلى حلقة بني نمير فتَعرَّضْ لراعي الإبل واذكر مجلسنا، لعله نسي الذي قال لنا بالأمس، فأتاه فقال:

يا أبا جندل: هذه بنو يربوع تنضح جباههم العرق ينظرون ميعادك اليوم.

فذكر الراعي ذلك، فقام ليعتذر، ولكن قومه أدركوه وتمسكوا بأطراف ثوبه وقالوا له:

اجلس فو اللّه لأن يُنضح قبرك غدوة في الجبّانة، أحب إلينا من أن يراك الناس تعتذر إلى هذه الكلاب.

فسمع الرجل ذلك فنقله إلي بني يربوع.

ثار ثائر جرير وجُنَّ جنونهُ، وجعل القومُ يكلمونه فلا يجيب، حتى ترك المجلس غضبان، وانتظر أبا جندل في الطريق ليراه ويزجره. وإنه لهنالك إذ ألفى عُبَيْدًا راكبًا بغلته، فتعرَّض له قائلا:

يا أبا جندل، إني قد أقمت بهذا المصر سبع سنين لا أكسب أهلي دنيًا ولا آخره، إلا أن أسبّ من سبهم، فلا يقعْ منك بيني وبين هذا الرجل - يعني الفرزدق - ما أكره.

قال هذا بلهجة مترعَةٍ إرادةً حديدية، وأردف ذلك بقوله:

أنت شيخ مضرَ وشاعرهم وقولك مسموع فيهم، فمهلًا أبا جندل مهلًا!.

فقال هذا وكان عاقلًا: معاذ اللّه أن أفعل ما تكره!.

قال جرير، وقد ألفى مجالًا للإفصاح عما يكنه صدره بعد أن قويت حجته:

ومع ذلك فأنت ترفع الفرزدق وقومه حتى لو تقدر أن تجعلهم في السماء لفعلتَ، وتقع في بني يربوع حتى تصير إليّ في رحلي.

وإنهما لفي ذلك الحديث، وقد وضع جرير شماله على بغلة أبي جندل، إذ أقبل جندل راكبًا بغلته، فسأل عن محدّث أبيه، فلما علمه رفع عصًا كرْمانية كانت في يده وضرب عجز بغلة أبيه قائلًا:

لا أراك يا أبتاه واقفًا على كلب من بني كليب كأنك تخشى منه شرًّا أو ترجو منه خيرًا!.

فاندفعت البغلة مسرعة وقد رمحت جريرًا، فسقطت قلنسوته سقطة مشؤومة، وتبعها هو إلى الأرض. فقال في نفسه وهو واقف ينظفها وينظر إلى الفتى و أبيه وقد أوشكا أن يتواريا في السواد:

ليعلمن شأنه وشأن أبيه وقومه بعد حين...

نعم يا جرير، لقد حان الوقت الذي تطفأ فيه آخر جمرات العرب الثلاث. وليقُلْ بَعْدُ أن جريرًا وحده هو أخمدها.

❊ ❊ ❊

لجرير راوية هو مولى لبني كليب كان يبيع الرُّطب بالبصرة، وكان يحب شعر جرير ويجمع قصائده ليحفظها ويرويها في الناس، وقد تمكن حب جرير من قلب (حسين) راويته هذا. ذهب جرير إلى راويته وأعلمه بما جرى وقال:

إني آتيك الليلة فأعِدَّ لي شواءً وفراشًا ونبيذًا محشفًا[1].

ثم تركه وقصد الشوارع يطوفها ونفسه وثابة، لا يستطيع أن يكبح جماحها. ولما أقبل الليل بجيوشه ولّى وجهه شطر البيت، وفي خواطره من الثورة ما لوكان بأمة جامدة لحركها.

---

(١) النبيذ: تمر يُنبذ في وعاء فيه ماء. وهو ما لم يُسكر حلال، فإذا أسكر حرُم. وسواء كان مسكرًا أو غيره فإنه يقال له نبيذ.

ودخل جرير في المساء على راويته فقال:

هل هيأت كل شيء؟

قال: أجل،... فعلامَ عولت؟

قال: أما والله لاوقرنّ رواحله بما يُثْقِلها خِزيًا ينقلب به إلى أهله، ولتكونن قصيدتي فيهم دمّاغة فاضحة تسير مع الدهر وتطويه، ولألحقنّ به بني نمير بجمرتي العرب الخامدتين[1]. وبعد صمت قليل قال: هلمّ عَشاءك!.

فأحضر له العَشاء، وحانت صلاة العِشاء، فقام وصلّاها ثم قال:

ارفعوا لي باطيّةً من نبيذ، وأسرجوا لي!

ففعلوا فشرب، ثم قال:

هاتِ دواة وكتِفًا!.

فأتاه بما أراد، فجعل جرير يهمهم و يحبو ويقول:

اكتب! وابتدأ بقصيدته فكان مطلعها:

أقِلّي اللومَ عاذلَ والعتابا وقولي إن أصبتُ لقد أصابا

وبينما هو في تمتمته إذ سمعتْ صوته عجوز في الدار فاطلعت من الدرجة حتى نظرت إليه، فإذا هو على تلك الحال يحبو على الفراش. فانحدرت وقد خشيت مغبة ما رأت وقالت:

ضيفكم مجنون... رأيتُ منه كذا وكذا. فقالوا:

اذهبي لطيتك، نحن أعلم به وبما يمارس.

---

(١) جمرات العرب ثلاث: (بنو الحارث بن كعب) وقد خمدت بمخالفتها مذحج، و(بنو ضبة بن أد) وقد خمدت بمخالفتها الرِّباب، و(بنو نمير) وقد خمدت بقصيدة جرير.

أدرك السَّحَرُ الشاعرَ وهو على تلك الحال، حتى وصل إلى شطرهِ الذي يقول فيه:

فغُضَّ الطرف إنك من نُميْرٍ

فازدادت تمتمته ونشوته، واستعصى عليه الشطر الثاني، فقال لراويته:

ويحك، أطفئ السراج. فأطفأ السراج. ثم تناول منديلًا كبيرًا غطى به رأسه زيادة في طلب الخلوة، وفتر برهة طويلة، والراوية ينظره حتى عيل صبره، وكان للنوم حُكم عليه فانقاد إليه، وما زال كذلك حتى أماله الكرى على صدر جرير، فوثب جرير وثبة انتبه منها الراوية مذعورًا، فإذا بالشاعر يكبر ويصيح:

لقد أخزيتُه ورب الكعبة... اكتب اكتب:

«فلا كعبًا بلغتَ ولا كِلابا»

غضضته وقدمت إخوته عليه، والله لا يفلح ولن يفلح نميريّ بعدها أبدًا

❁ ❁ ❁

انقضى الليلُ وابنُ الخطفى يهذّب قصيدته ويزيد فيها، حتى خرجت آية في فن الشعر، ومصيبة في الهجاء. ثم نام وهو يقول: لقد والله أخزيتهم آخر الدهر، فلن يرفعوا رأسًا بعدها إلا نكس بهذا البيت. وجعل يردّده:

فغُضّ الطرف إنك مِن نُمَيْرٍ فلا كعبًا بلغتَ ولا كلابا

أصبح جرير وهو على مثل جمر الغضا، و ما علم أن الناس أخذوا مجالسهم في المربد - وبينهم أبو جندل وابنه والفرزدق - حتى دعا بدهن فادّهن، وكف رأسه، وكان حسن الشَّعْر، ثم قال: يا غلام، أسرج لي حصانًا!.

فأسرج له. ثم قصد مجلسهم يستحثُّ جواده، فبلغ المكان. فقال بصوت عالٍ سمعه كل من كان هناك:

يا غلام، قل لعُبَيْد: أبَعَثَكَ نسوتك تكسبهن المال بالعراق؟ أما والذي نفسُ جرير بيده لترجعنَّ إليهنّ بمَيرٍ يسوؤهن ولا يسرُّهنّ. ورب البيتِ الحرام إن لكم لَمعادَ سوء وذِلة، ولأوقرنّ رواحلكم بما يُثقلها خِزيًا وعارًا.

قال قوله هذا والأعناق مشرئبة إليه. ثم قصد صاحبًا له، قريبًا في مجلسه من أبي جندل، فأخذ بتلابيب الراعي وقال:

إنكم لن تعودوا شمَّ الأنوف جحاجحَ بين العرب بعد الساعة...

وفي تلك اللحظة لم يكن الجالس يسمع إلا وجيبًا وهمسًا، ثم تركه ووقف منشدًا قصيدته:

أقِلّي اللوم عاذلَ والعتابا وقولي إن أصبتُ: لقد أصابا

أما الفرزدق فقد كان يصغي إلى جرير بكلّ جوارحه، لعلمه بإقذاعه إن هجا، وانطلق جرير يقول، والناس آذان تصغي إليه، حتى بلغ قوله:

أجندل ما تقول بنو نُمير...

فقال: يقولون شرًّا أتيتنا، فبئس والله ما كسبنا قومنا. ولما انتهى إلى قوله:

فغُضَّ الطرفَ إنك من نُمير فلا كعبًا بلغتَ ولا كِلابا

أقبل الفرزدق على راويته يقول: غضَّه والله، فلا يجيبه ولا يفلح بعدها أبدًا.

وقال عبيد: أخزيتَهم، أخزاك اللّه آخر الدهر. ولما وصل إلى قوله:

بها بَرَص....

وضع الفرزدق يده على عنفقته يسترها عن عيني جرير الذي كان يرعاه ويرعى حركاته، فأتمَّ الشاعرُ قوله:

كعنفقة الفرزدق حين شابا

ولعله استعاض عن شطر لا ندري ما هو بشطر قصد به إلى الفرزدق ارتجالًا عندما رآه يستر عنفقته.

عند ذلك نكس الفرزدق رأسَه والتفت إلى راويته يقول:

اللهم اخزه، والله لقد علمتُ حين بدأ صدر البيت أنه لا يقول غير هذا. ولكني طمعتُ في غفلته، فغطيت وجهي، فما أغناني ذلك شيئًا، فأنا الجاني على نفسي الساعة إذ نبّهته إلى ما لعله كان غافلًا عنه. ألم أقل لك أن شيطاننا واحد؟.

ثم صمت وظل صامتًا، حتى إذا انتهى جرير من إنشاد القصيدة، ذهب لا يلوي على شيء. أما راعي الإبل فقد غضّ طرفه - كما شاء جرير -، وصبر وابنُه على ما يسمعان، حتى إذا فرغ جرير ذهب الراعي إلى قومه يقول:

ركابَكم ركابَكم، فليس لكم ها هنا مقام. فضَحكم والله جرير.

فلم يرَ الناظر ساعتئذ إلا وجوهًا ممتقة الألوان، ولم يسمع إلا ضوضاء الرحيل.

وقالوا له: هذا شؤمك وشؤم ابنك علينا.

فقال: كلا يا قوم لستُ شؤمًا عليكم، وليس ابني كذلك، وإنما جرير شؤمٌ على الناس أجمعين.

وقال بعضهم لأبي جندل: ما الذي دعاك إلى التعرُّض له وللفرزدق؟ ألا تعلم أن هؤلاء الشعراء الثلاثة - جريرًا والفرزدق والأخطل - في حرب عوان، وأنه لم يبق أحد من شعراء عصرهم إلا تعرّض لهم فافتضح كما افتضحنا، وسقط بين أرجلهم وبقوا يتطاولون؟.

قال: خلوا سبيلي يا قوم، إنه القضاء، ولا يغني حَذَر من قَدَر.

وما زال شعراء نُمير يحجمون عن الرد على جرير خشية الفضيحة مرة ثانية،

حتى تجشم بعضهم الردَّ عليه كي لا يقال فيهم أكثر مما قيل، ولكن تلك الأشعار لم تنفع نُميرًا، ولا أضرت بجرير.

❁ ❁ ❁

أدالت هذه القصيدة من عزّ بني نُمير بن عامر بن صعصعة، وغدا كلٌّ منهم ينتسب عامريًا بعد أن كان إذا سئل: ممن الرجل؟ قال: «من نُمير. . . . . . كما ترى» وفخم لفظه ومدَّ به صوته.

أما أبو جندل فكان عندهم رمز الشؤم هو و ابنه، وأما جرير فكان ملتقى السباب والشتائم إلى يوم الدين. وكابد بنو نُمير أشد ما يكابد ذليل بعد عز، فقد قيل: إن مولى لباهلة كان يَرِد سوق البصرة ممتارًا. وكان بعض بنو نُمير يصيح به: (يا جواذب باهلة!)[1]، فيكابد من ذلك ألمًا جسيمًا، فلما ضجر منهم قصَّ الخبر على مواليه فقالوا له: إذا نبزوك فقل لهم: فغض الطرف. . . (البيت)

ومرّ بهم ذات يوم، فنبزوه، فأراد البيت، فاستعصى عليه وخانته الذاكرة فقال لنابزه: (غمّض و إلا جاءك ما تكره)! فغضوا أصابعهم ندمًا وكفّوا عنه، ولم يتعرضوا له بعدها.

وحكي أن امرأة مرَّت ببعض مجالس بني نُمير فأداموا النظر إليها وقال قائل: إنها رشحاء. فقالت: قبحكم اللَّه يا بني نمير، ما قبلتم قول اللَّه ﷻ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾، ولا قول الشاعر:

فغض الطرف. . . (البيت)

فتشاغلوا بأنفسهم عنها ولم يعودوا لمثلها.

❁ ❁ ❁

(١) يُنظر عن قبيلة باهلة، الكريمة: رسالة «باهلة المفترى عليها»؛ للشيخ حمد الجاسر ؒ. (س).

و ما زال الدهر من منشدي تلك القصيدة (الدّماغة).

ونفس جرير الجبارة لا يساورها الندم على ما في القصيدة من تحامل وقسوة، إلى أن وقع لجرير ما غيّر رأيه فيها.

قال جرير:

ما ندمت على هجائي بني نُمير قطُّ إلا مرة واحدة. فإني خرجت إلى الشام، فنزلت بقوم نزول في قصر لهم في ضَيعة من ضياعهم. ونظرت إليه من بعيد بين القصور مشيّدًا حسنًا، وسألت عن صاحبه فقيل لي: هو رجل من بني نُمير. فقلت: هذا شامي وأنا بدوي، ولعله لا يعرفني. فجئتُ فاستضفتُ، فلما أذن لي ودخلت عرفني، فقراني أحسن القِرى ليلتين. فلما أصبحتُ جلستُ، فدعا بِبُنَيَّة له فضمها له وترشفها، فإذا هي أحسن الناس وجهًا، ولها نشرٌ لم أشم أطيب منه. فنظرت إلى عينيها فقلت: تالله ما رأيتُ أحسن من عيني هذه الطفلة ولا من حَوَرِها قط، وعوّذتها. فقال لي: يا أبا حزرة أسوداء المحاجر هي؟ فذهبتُ أصف طيب رائحتها. فقال: أمن وبر هي؟ فقلت: يرحمك الله، إن الشاعر ليقول. والله لقد ساءني ما قلته ولكن صاحبكم - يريد الراعي - بدأني فانتصرتُ عليه (وذهبتُ أعتذر).

فقال: دع ذا عنك، أبا حَزْرَة، فوالله ما لك عندي إلا ما تحب

قال جرير: وأحسنَ والله إليَّ وزوَّدني وكساني، فانصرفتُ وأنا أندمُ الناس على ما سلف مني لقومه.

دمشق/ جميل سلطان

إلى امرئ القيس

سائلِ التاريخَ عامًا ثم عاما أيّ يومٍ خفرَ العربُ الذماما
أيُّ عهدٍ نكثوا آياتِه أيُّ جارٍ لم يعزُّوه مقاما
المروءاتُ هدى أعمالهم والوفا الدينُ الذي فيهم تَسامى
عبدوا الأصنامَ، لكن عبدوا قبلَها العِرْضَ فصانوه كراما

❁ ❁ ❁

القصورُ الغرُّ تفدي خِيما لبني كندة تبتزُّ الخيامَا
لابن حُجر في ذراها خيمةٌ ظللتْ منه الفتى الحرَّ الهماما
ملكٌ في الحيّ يروي ملكه شاعرٌ أبدعَ حتى لن يُراما
أمراءُ الشّعْر تحني رأسها لأمير الشِّعر حبًّا واحْتِشامَا
يا أميري، إن للعرب إذا ذُكر المجد لآياتٍ جساما
إن تكن قد قمتَ فيهم ملكًا كم مليك بعدك الدهر أقاما
لم يخلّد ذكرَكَ الملكُ كما خلَّدَ الشعرُ لكَ الذكرَ دواما
وبكيتَ التاجَ يومًا ذِلَّةً وبكيتَ الطلَلَ البالي هياما
ما أذَلَّ الدَّمعَ للملكِ وما أشرَف الدَّمعَ إذا سالَ غراما
حبذا العُرْبُ، ومن أندى يدًا حبذا العربُ ومن أمضى حُساما
أكبرَ التاريخُ ذكراهمْ لَدُنْ ملأوا الأيامَ أعمالًا عظاما
حيثما كانوا فهم أهلُ العلى لو هُم لا يتحدُّونَ الخصاما
أنا لو كنْتُ امرأَ القيس لهم لأَجدتُ القولَ فيهم والكلاما
فقفا نبكِ حبيبًا لم أقل بل قفا نبكِ اتحادًا ووئاما

أمين تقيّ الدين

المجاهد المحتضر
لص أديب بليغ، يحوّله الإسلام إلى مجاهد عظيم

كان (مالكُ بن الرَّيب) من مازن تميم، وكان لصًا يقطع الطريق مع شِظاظ الضبِّيّ الذي يُضرب به المثلُ، فيقال: ألصُّ مِن شِظاظ.

ولما ولّى معاويةُ رضي الله عنه سعيدَ بن عثمان بن عفّان خراسانَ، سار فيمن معه فأخذ طريقَ فارس؛ فلقيه بها مالك بن الرَّيْب، وكان مالك، فيما ذُكر، من أجمل العَرب جمالًا وأبينهم بيانا. فلما رآه سعيد أعجبه، ومالكٌ في نَفر من أصحابه، فقال له:

ويحك يا مالكُ! ما الذي يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العَدَاء وقطْع الطريق؟.

قال: أصلح اللّه الأمير! العجزُ عن مكافأة الإخوان.

قال: فإن أغنيتُك واستصحبتُك، أتكفّ عما تفعلُ وتتّبعني؟

قال: نعم، أصلح اللّه الأمير! أكفّ كفًّا ما كفّ أحدٌ أحسنَ منه.

فاستصحبه وأجرى عليه خَمسَمائة دينار في كلّ شهر، وكان معه حتى قُتل بخراسان.... طُعن فسقط وهو بآخر رَمَق، فقال هذه القصيدة يرثي بها نفسه، ويذكر غربته:

ألا ليت شِعري هل أبيتَنَّ ليلة ... بجنب الغضا أُزجي القلاصَ النواجيا
فليتَ الغضا لم يقطع الركبُ عَرضَه ... وليتَ الغضا ماشي الرِّكابَ لياليا
لقد كان في أهل الغضا لو دنا الغضا ... مزارٌ، ولكنّ الغضا ليس دانيا

ألم ترني بعتُ الضلالةَ بالهدى وأصبحتُ في جيش ابنِ عفّان غازيا
وأصبحت في أرض الأعادي بُعيدما أرانيَ عن أرض الأعادي قاصيا
دعاني الهوى من أهل أُودٍ وصحبتي بذي الطَّبَسيْنِ، فالتفتّ ورائيا[1]
أجبت الهوى لمّا دعاني بزَفرةٍ تقنّعتُ منها، أن أُلام، ردائيا
أقول وقد حالت قرى الكرْدِ دوننا: جزي اللّه عَمرًا خيرَ ما كان جازيا
إنِ اللّه يَرجعْني من الغزو لا أُرى وإن قلّ مالي طالبًا ما ورائيا
تقول ابنتي، لما رأتْ طولَ رحلتي: سِفارُكَ هذا تاركي لا أبالِيا
لعمري، لئن غالتْ خُراسانُ هامتي لقد كنتُ عن بابَي خراسانَ نائيا
فلله درِّي، يوم أترُك طائعا بنيَّ بأعلى الرَّقمتين، وماليا
ودرُّ الظّباء السانحاتِ عشيّة يخبِّرنَ، أني هالكٌ، مَنْ ورائيا
ودَرُّ كبيرَيّ اللذينِ كلاهما عليَّ شفيقٌ ناصح لو نهانيا
ودَرُّ الرجال الشاهدين تفتُّكي بأمريَ ألّا يقصُروا مِن وَثاقيا
ودرّ الهوى من حيث يدعو صِحابه ودرّ لحَاجاتي ودرّ انتهائيا
تذكرتُ من يبكي عليّ فلم أجدْ سِوى السيفِ والرمح الردينيّ باكيا
وأشقرَ محبوكٍ يجُرّ لجامَه إلى الماءِ لم يترك له الموتُ ساقيا
ولكن بأكناف السُّمينة نِسْوة عزيزٌ عليهنّ العشيّةَ ما بيا[2]
صريعٌ على أيدي الرجال بقفرة يُسَوُّون لحدي حيثُ حُمَّ قضائيا
ولما تراءتْ عند مَروَ منيّتي وخَلّ بها جسمي وحانتْ وفاتيا[3]
أقول لأصحابي: ارفعوني فإنه يقَرُّ بعيني أنْ سهيلٌ بدا لِيا

---

(١) أود: في أرض قومه بني مازن. والطبسان: كورتان في خراسان.
(٢) السمينة: منزل قومه في أرض بني مازن.
(٣) أشهر مدن خراسان. خل بها جسمي: اختل.

فيا صاحبَيْ رحلي، دنا الموتُ فانزلا برابيةٍ، إني مقيمٌ لياليا
أقيما عليَّ اليومَ أو بَعْضَ ليلةٍ ولا تُعْجلاني، قد تَبيّنَ شانيا
وقوما، إذا استُلّ رُوحي، فهيّئا ليَ السِّدْرَ و الأكفانَ عِند فَنائيا
وخُطّا بأطراف الأسِنَّةِ مَضجَعي ورُدّا على عَينيَّ فضلَ رادئيا
ولا تحسُداني، باركَ اللّه فيكما، من الأرض ذات العَرْض أن تُوسعا ليا
خُذاني فجُرّاني ببُرْدي إليكما فقد كان قبلَ اليوم صعبًا قياديا
وقد كنتُ عطّافًا إذا الخيلُ أدبرتْ سريعًا لدى الهيْجا إلى مَنْ دعانيا
وقد كنتُ صَبّارًا على القِرْنِ في الوغى وعن شتميَ ابنَ العَمّ والجارَ وانيا
فطورًا تراني في ظِلالٍ ونَعْمَةٍ ويومًا تراني والعِتاقُ رِكابيا
ويومًا تراني في رَحىً مستديرة تُخرِّقُ أطرافُ الرِّماح ثِيابيا
وقوما على بئر السُّمينة أسمِعا بها الغُرَّ والبيضَ الحسانَ الروانيا:
بأنكما خلّفتُماني بقَفرةٍ تَهيلُ عليَّ الريح فيها السوافيا
ولا تَنسيا عهدي خليليَّ بعد ما تَقطّعُ أوصالي وتَبلى عِظاميا
ولنْ يَعْدَمَ الوالُون بَثًّا يصيبهم ولن يَعدَمَ الميراثَ منّي المواليا
يقولون: لا تَبْعَد، وهم يدفِنُوني، وأينَ مكانُ البعد إلّا مكانيا!
غداة غدٍ، يا لهفَ نفسي على غدٍ إذا أدْلَجوا عنّي وأصبحتُ ثاوِيا
وأصبَح مالي مِنْ طَريفٍ وتالد لغيري، وكان المالُ بالأمس ماليا
فيا ليتَ شِعْري، هل تغيّرَت الرَّحى رحى المُثْلِ أو أمْستْ بفَلج كما هيا[1]
إذ الحيّ حَلّوها جميعًا، وأنزلوا بها بقرًا حُم العُيون سَواجيا
وعِين وقد كان الظلام يُجِنها يسُفْنَ الخُزامى مَرَّة والأقاحِيا[2]

---

(١) رحى المثل، وفلج: من بقاع وطنه في الحجاز.
(٢) السوف: الشم.

وهل أترك العِيسَ العَباليَ بالضحى بِرُكبانِها تعلو المِتانَ الديافيا
إذا عُصَبُ الرُكبْانِ بين عُنيزة وبَولانَ عاجُوا المبقِياتِ النواجيا
فيا ليتَ شِعْري، هل بكتْ أمُّ مالكٍ كما كنتُ لو عالَوْا بنَعيكِ باكيا!
إذا مُتُّ فاعتادِي القبورَ فسلِّمي على الرمْس، أُسقيتِ السّحاب الغواديا
على جدَث قد جرَّتِ الريحُ فوقَه ترابًا كسَحْقِ المَرْنَبانيِّ هابِيا
رهينة أحجارٍ وتُرْب تضمنتْ قرارتُها منّي العظامَ البواليا
فيا صاحبي، إمّا عرَضتَ فبلِّغنْ بني مازن والرَّيبِ أن لا تلاقيا
وعَطِّلْ قلوصي في الرِّكابِ فإنّها ستَفلِقُ أكبادًا وتُبكي بواكيا
وأبصرت نارَ المازنيّاتِ مَوهِنًا بعَلياء يُثنى دونَها الطرفُ وانيا
بِعودَي أَلَنْجُوجٍ أضاءَ وقودُها مهًا في ظلال السِّدْرِ حُورًا جَوازِيا
بَعيدٌ غريبُ الدار ثاوٍ بقفرة يدَ الدهرِ، معروفًا بأن لا تدانيا
أقلبُ طرفي حولَ رحلي فلا أرى بِهِ من عيون المؤنسات مُراعيا
وبالرمل منّا نسوةٌ لو شهِدْنَني بكينَ وفدَّين الطبيبَ المداوِيا
وما كان عهدُ الرمل عندي وأهلِه ذميمًا، ولا ودّعتُ بالرمل قاليا
فمنهنّ أمّي وابنتاها وخالتي وباكيةٌ أخرى تَهيج البواكيا

التجاريب

الحِلْمُ بَعْدَ الجهلِ قد يثوبُ
وفي الزمانِ عجبٌ عجيبُ
وعبرة، لو ينفع التجريبُ!

والـلـبُّ لا يَشـقـى بـه الـلـبـيـبُ
والـمـرءُ مُـحصًى سَعيُه مرقـوبُ
يَـهـرَمُ أو تـعـتـاقـه شَـعُـوبُ

الأغلب العجلي

الحديقة

إلى الأستاذ محب الدين

أهـديـتـنـي ثـمـرَ الـحـديـقـهْ ... ولـقـد حـرصـتُ بـأن أذوقـهْ
فـإذا هـو الـسـحـرُ الـحـلا ... لُ يشيعُ في نفسي المشوقهْ
أغـصـانـهُ مـتـهـدّلا ... تٌ أوشـكـتْ أن لا تُـطـيـقـهْ
فـاعـجـبْ لـه قـد صـارَ قـبـ ... لَ قـطـافـه خـمـرًا عـتـيـقـهْ
لا غَـوْلَ فـيـهـا بـل رشـا ... دٌ تـسـتـقـيـم بـه الـطـريـقـهْ
مـتـخـيـرًا أسـلـوبـهـا ... بـيـنَ الأسـالـيـب الـرشـيـقـهْ
إن أسـهـبـتْ غـاصـت ورا ... ءَ الدرّ في اللجج العميقهْ
أو أوْجـزتْ أذنـت مـسـا ... فـاتِ الـتـعـابـيـر الـسـحـيـقـهْ
هتكتْ عن المعنى الجميـ ... ـل بـقـوّةٍ حُـجُـبًـا صـفـيـقـهْ
فـيـهـا مـفـاجـأةٌ تـلـ ... ذُ من الخيال إلى الحقيقهْ
عـلـمٌ و آدابٌ قِـوا ... مُ فـصـولـهـا نـكـتٌ دقـيـقـهْ
حِـكـمٌ بـأبـدع صـورة ... وأدقّـهـا وَضـعًـا مـسـوقـهْ

فعلى الشجاعة والعلا يتعوَّد الرجل الفَرُوقَهْ
والفاسقُ الخرِّيبُ من تأثيرها يسلو فسوقَهْ
يا طالما هشَّ البخيلُ إلى الندَى وأقام سوقَهْ
ولطالما كانت لنضو الهمّ مسلاة رقيقَهْ
مسحتْ مثار همومه فتقلَّصت . بيدٍ رفيقَهْ
تثبُ النفوس إلى مجانيها بلا قيدٍ طليقَهْ
هي قدرة في الأختيار بكلّ تمجيد خليقَهْ
آسٌ بجانب نخلة وبجانب العنب الشقيقَهْ
ما بين فاكهة المذاق وزهرة الشمّ الأنيقَهْ
لا قيدَ في تبويبها وكذاك أشجارُ الحديقَهْ
الجاهليُّ بجانب ابن العصر معدود شقيقَهْ
طوبى لمن تخذ الحديقة وقت خلوته صديقَهْ

محمّد صادق عرنوس

التمحيص

جزي اللهُ خيرًا هذه الحال بعدما تجلَّتْ لنا فيها وُجُوهُ الحقائقِ
وأظهر ما يخفي الورى من غرائز قد اختلفتْ لنا أنواعها والخلائقِ
فلم يستطعْ ذو اللؤمِ إخفاءَ لؤمِهِ ولا حاذرَ الغرُّ اجتيازَ المزالقِ
ومن كان قبلَ اليوم ينتحلُ التُقى بدا وعلى عطفيهِ بُرْدُ منافقِ
ومن كان معروفًا بعفةِ نفسهِ غدا اليوم يجري في الخنا جريَ فاسقِ

وكم مُدَّعٍ حريّة و أمانةً ... وجدنا له طبعَ الخؤون المماذِقِ
وكم من صديق ظُنَّ من قبلُ صادقًا ... علمنا يقينًا أنهُ غيرُ صادقِ
فإن تأتِ زيدًا من سعيدٍ صنيعة ... فتلك لعمر الحقّ إحدى الخوارقِ
غدا الناسُ إلا النزر من سرواتهم ... ضواريَ فاحذر كلَّ غادٍ وطارقِ

أمين ناصر الدين

نذر لبيد بن ربيعة

كان لبيد بن ربيعة شريفًا في الجاهلية والإسلام؛ وكان نذر أن لا تهُبّ الصَّبا إلا نحَرَ وأطعم. وهبتْ الصَّبا يومًا، وهو بالكوفة معترٌ مُملِق، فعلم بذلك الوليدُ بن عقبة بن أبي مُعَيْط - وكان أميرًا عليها لعثمان بن عفان رضي الله عنه- فخطب الناسَ فقال: إنكم قد عرفتم نذر أبي عَقيل، وما وكد على نفسه؛ فأعينوا أخاكم.

ثم نزل، فبعث إليه بمائة ناقة وبعث الناسُ إليه، فاجتمعت عنده ألفُ راحلة - فقضى نذره وكتب إليه الوليد:

أرى الجزّارَ يَشحَذ شَفرتَيه ... إذا هبَتْ رياح أبي عَقيلِ
أغرُّ الوجه أبيضُ عامريٌّ ... طويلُ الباع كالسيف الصقيلِ
وَفى ابنُ الجعفريِّ بحلْفَتَيهِ ... على العِلاتِ والمالِ القليلِ
بِنَحْر الكومِ إذ سحبت عليه ... ذيول صبًّا تجاوَبُ بالأصيلِ

فقال لَبيد لابنته:

أجيبيه، فقد رأيتني وما أعيا بجواب شاعر!

فأنشأتْ تقول:

إذا هبّت رياحُ أبي عقِيلٍ ... دعَونا عند هبَّتِّها الوَليدا
أشمَّ الأنف أصْيدَ عَبشَمِيا ... أعان على مروءته لَبيدا
بأمثال الهِضاب، كأنّ رَكبا ... عليها من بَني حامٍ قُعودا
أبا وهب، جزاك اللّه خيرًا ... نَحرْناها وأطعَمْنا الثريدا
فعُدْ، إنّ الكريم له مَعاد ... وظَنّي بابن أروى أن يَعُودا

فقال لبيد: قد أحسنتِ لولا أنك استزدتِه!

فقالت: والله ما استزدته إلا لأنه مَلك، ولو كان سُوقة لم أفعل.

الحصائل

من بدائع حكيم الجاهلية والإسلام: لبيد بن ربيعة العامري ﷺ، قوله:

ألا تَسألانِ المرءَ ماذا يُحاول ... أنحبٌ فيُقضى أمْ ضلال وباطلُ!
حبائلهُ مبثوثةٌ في سبيلهِ ... ويفنى إذا ما أخطأته الحبائلُ
إذا المرء أسرى ليلةً خال أنَّه ... قضى عملًا، والمرءُ ما عاش عاملُ
فقولا له، إن كان يُقسِم أمرَه: ... ألَمّا يعِظك الدهرُ، أمك هابلُ!
فتَعلَمَ أن لا أنتَ مُدرك ما مضى ... ولا أنت مما تَحذر النفسُ وائلُ
فإن أنتَ لم تصدُقْك نفسك فانتسِب ... لعلك تَهديك القرونُ الأوائلُ
فإن لم تجِدْ من دون عَدنانَ باقيًا ... ودونَ مَعدّ فلْتَزَعْكَ العواذلُ
أرى الناسَ لا يدرُون ما قدرُ أمرِهِمْ ... بلى كلّ ذي رأيٍ إلى اللهِ واسلُ
ألا كلُّ شيء ما خلا اللهَ باطلُ ... وكلُّ نعيم لا محالةَ زائلُ!

وكلُّ أناسٍ سوفَ تدخلُ بينهم دُوَيْهِيَة تَصفَرُّ منها الأناملُ!
وكلُّ امرئٍ يومًا سيَعلمُ سعيَه إذا كُشِفَتْ عند الإله الحَصائلُ

عبد الملك بن مروان ليلة احتضاره

روى أبو حاتم السجسْتانيّ في كتاب المعمَّرين، بسنَده إلى الشَّعبيّ قال: أرسل إليَّ عبدُ الملك بنُ مروان، وهو شاكٍ، فدخلتُ عليه فقلت:

كيف أصبحتَ يا أمير المؤمنين؟

فقال: أصبحت كما قال ابن قَمِيئة الشاعر:

كأنّي وقد جاوزت تِسعينَ حِجَّة خلعتُ بها عنّي عِذار لجامِ
رمتْني بناتُ الدهر منْ حيثُ لا أرى فكيفَ بمن يُرمى وليس برامِ
فلو أنّها نَبْلٌ، إذًا لاتقيْتُها ولكنّني أُرمى بغير سِهامِ
إذا ما رآني الناسُ قالوا: ألم تكنْ جليدًا شديدَ البطْش غير كَهامِ!
فَنيتُ ولم يفنَ من الدهر ليلة ولم يغن ما أفنيت سلك نظامِ
على الراحتين مَرَّةً، وعلى العصا أنوءُ ثلاثًا بعدهنّ قيامي

فقلت: لا يا أمير المؤمنين، ولكنّك كما قال لبيد بن ربيعة:

نفْسي تَشكّى إليّ الموتَ مُجهِشة وقد حملتُك سَبعًا بعد سَبعينا
فإن تزادي ثلاثًا تحدثي أملا وفي الثلاثِ وفاءٌ للثمانينا

فعاش والله حتى بلغ تسعينَ حِجّةً، فقال:

كأني وقد جاوزتُ تسعينَ حِجّةً خلعتُ بها عن مَنْكِبيَّ ردائيا

فعاش حتى بلغ عَشرًا ومائة سنة، فقال في ذلك:

أليسَ في مائةٍ قد عاشها رجلٌ وفي تكاملِ عَشر بَعدَها عمرُ

فعاش حتى بلغ عشرين سنةً ومائة، فقال في ذلك:

وغَنِيتُ سبتًا بعد مجرى داحسٍ لو كان للنفس اللّجُوج خُلودُ

فعاش والله حتى بلغ أربعين ومائة، فقال في ذلك:

ولقد سئمتُ من الحياةِ وطولِها وسؤالِ هذا الناس كيف لبيدُ؟

فقال عبدُ الملك: والله ما بيَ بأس، اقعدْ حدِّثني ما بينك وبينَ الليل. فقعدْتُ فحدَّثْته حتّى أمسيتُ؛ ثم فارقتُه، فمات في ليلته.

ابن الليل

أشرفَ البدرُ على الغابة في بعض الليالي

فرأى الثعلبَ يمشي خِلسة بين الدوالي

كلما لاحَ خيالٌ خاف من ذاك الخيالِ

واقشعرّا

ورأى ليثًا هصورًا واقفًا عند الغديرْ

كلما استشعر حِسًّا ملأ الوادي زئيرْ

فإذا بالماءِ يجري خائفًا عند الصخورْ

مكفهرّا

ورأى البدرُ ابنَ آوى يتهادَى في الفضاءْ
كمليكٍ حوله الشهبُ جنودٌ وإماءْ
قال: لو كنتُ رفيقَ البدر، أو بدرَ السماءْ

أو خيالَه

عِشتُ حرًّا جيرتي الشهبُ ولي الظلماءُ مركبْ
آمنًا. ألعبُ بالبرقِ وطورًا بيَ يلعبْ
لا أُبالي سطوةَ الراعي ولا الكلبَ المجرَّبْ

وصيالَه

غير أنَّ الليثَ لما أَبْصَرَ البدرَ الضحوكا
قال: يا ابنَ الليل مهما أشتهي لا أشتهيكا
أنتَ وضّاح ولكن قاحل لا صيد فيكا

أو حِيالكْ

لك هذا الأفقُ، لكنْ هو أيضًا للكواكبْ
إنما لو كنت ليثًا ذا نيوبٍ ومخالبْ
لم تعثْ في وجهكَ الوضّاحِ ألحاظ الثعالبْ!

صُنْ جمالك

أبو ماضي

الورقاء

وَنائِحَةٍ من بَناتِ الهديلِ ... تَبُثُّ إلى الرَّوْضِ أحْزَانها
عَرَاها من الدَّهرِ غُلْبُ الخُطوب ... فَهَبَّتْ تُوَدِّعُ بُسْتانَها
وفي الصَّدْرِ من وَجْدَها حَسْرَةٌ ... تكادُ تُفَتِّتُ جُثْمانَها
وعَزَّ عليها فِراقُ الغُصُونِ ... فَأَذْرَتْ من العَيْنِ عِقْيانَها
وأهْوَتْ على النَّهْرِ تُخْفي الدُّموعَ ... فأظْهرَتِ الرِّيحُ ألْوانَها
أطَافَتْ بها زُمَرُ القانِصينَ ... وَأَفْقَدَها الدَّهْرُ أعْوانَها
فَضَمَّتْ إلى صَدْرِها أَفْرُخًا ... أثَارَ التَّفَرُّقُ إرْنانَها
وَرَاحَتْ تَؤُمُّ فَسيحَ الغِياضِ ... وتَبْكي مَدَى العُمْرِ أوْطانَها

دمشق/ أنور العطار

ثُمالة النجوى

أسىً أغاضَ الدَّمْعَ حتى مَحَاهْ ... وَطائِفُ النَّحْس بعيدٌ مَدَاهْ
وَأَنَّةُ المَفْؤُودِ لَذَّاعَةٌ ... تُذِيبُهُ وَجْدًا وَتَفْرِي حَشاهْ
جَبَّارَة أيَّامُهُ وَهْوَ لَا ... يَريمُ يَبْكيها وَيَبْكي شَجَاهْ
يحِنُّ للماضي حَنينَ الذي ... يُبْصِرُ في ماضِيهِ أقصى مُنَاهْ
وما دَرَى أنَّ تباريحَهُ ... مَبْعثُها طَيْفٌ تَناءَتْ خُطَاهْ!
أُمْنِيَّةٌ طافَ عليها الرَّدى ... وفي الأمَاني تَسْتَقِرُّ الحَيَاهْ

ماذا على المحْرُوبِ في لَيْلِهِ ... لـو أَدْمَـعَ الأفْـلاكَ واهًـا وآهْ
تَـهـزُّ قَـلْـبَ الـلـيْـلِ آهَـاتُـهُ ... وَلَيْسَـتِ الآهاتُ بِنْتَ الشِّفَاهْ

❁ ❁ ❁

أَبْـصَـرْتُـهُ -والبَـدْرُ فـي أُفْقِهِ- ... يَـبْـكـي فَـتـذْرِي دَمَـهُ مُـقْـلَـتـاهْ
إنْ قالَ: أَوَّاهُ! حَسِبْتَ الدُّنى ... ضَاقَتْ على الرُّحْبِ فَيا لَوْعَتاهْ
أنْحَى عليهِ شَجْوُهُ جاهِدًا ... فباتَ يشكو للسَّما ما عَراهْ
وَعَبْرَةٍ جادَتْ بها مُقْلَتي ... غَداةَ غَالَ الدَّهْرُ مِنْهُ هَواهْ
هاكَ دَمِي فاذْرِفْهُ إنْ كانَ في ... تَذْرَافِهِ سَلْوى تُزَجّي أَسَاهْ
عَلَي أنْ أَبْذُلَ مِنْ مُهْجَتي ... ثُمالَةَ النَّجْوى وَغَيْضَ الشكاهْ
يا زهَراتِ العُمْر أَوْدعْتِنا ... ضَنّى يُنَسّي كُل نِضْوٍ ضَنَاهْ
ما بَيْنَ فَجْرٍ وَأَصِيلٍ ذَوى ... فَيْنَانُكِ الزَّاهي نَضِيرًا صبَاهْ
وَيا غَدِي المَرْجُوَّ كَمْ حَسْرَةٍ ... يَبْعثُها قَلْبٌ شَدِيدٌ جَوَاهْ
شَيَّعْتُ أَمْسِيَ مُتْرَعًا بالمُنَى ... وَأَمْسِيَ الآفِلُ مَا لي سِوَاهْ
عَل غَدِي يَبْسِمُ لي ثَغْرُهُ ... فَيَيْنَعَ المَاضي وَيَنْدَى جنَاهْ

❁ ❁ ❁

هَلْ يَرْجِعُ الدَّهْرُ لنا زَهْرَنا ... أمْ زَهْرُنا جف وَوَلى شَذَاهْ
يا أَيُّها الباكي على زَهْرِه ... تَعال نَحْلُمْ بِبَقَايا رُؤَاهْ
تَعَال نَبْكِ الْيَوْمَ ذاوِي المُنَى ... فإِن رَكبَ العَيْشِ صَعْبٌ نَوَاهْ
تعَالَ نَسْدُرْ في غُضُونِ الصِّبا ... وَلْنَتْرُكِ القَلْبَ يُنَهْنِه بُكاهْ
تَعَالَ نُمْعِن في دَياجي الكَرَى ... لَعَلَّ هذا المَوْتَ يَدْنُو كَرَاهْ
فَإِنَّ في غَفْلَتِنا راحَةً ... من شَبَحِ المَاضي وذِكْرَى أَذَاهْ
أَيْقَظَتِ الذِّكْرى نَؤُومَ الأَسَى ... في القَلْبِ حتى عَجَّ فيهِ لظاهْ

وَحَنّتِ النَّفْسُ إلى هذْأةٍ   من نارِها المشبُوبِ أوْ مِنْ جُذَاهْ

❀ ❀ ❀

يا باكيَ الآمالِ مَغْسُولة   ابْكِ مع الآمال طِفْلَ الغدَاهْ
وابْكِ مع الآمالِ فَجْرَ الدُّنى   وَهلْ يُزيحُ النورَ إلا دُجاهْ
كأنّ هذا العُمْر أُنْشُودَةٌ   وَلَحْنُها مُخْتَلِفاتٌ لُغاهْ
كأنَّما مُنْشِدُها تائِهٌ   في رَائِعاتِ اللَّهْوِ تَجْري رَحاهْ
ما أصعَبَ العَيْشَ إذا لم يَكُنْ   يَمْحُو الدجى بعد التَّنائي سَنَاهْ

❀ ❀ ❀

حياتُنَا فاجِعَةٌ طيّهَا   مَهْزَلَةٌ أعْيَتْ عُقُول الدُّهاهْ
والعُمرُ يَحْكي مُسْتَغِيثًا عَلا   أنينُه ثُمَّ تَوَلَّى صَدَاهْ!

دمشق/ أنور العطار

❀ ❀ ❀

الكلام والصمت

* قال ابن السمّاك: العرب تقول: «العييُّ الناطق، أعيا من العييّ الصامت».

* قال أبو الدرداء: «وأنصفْ أذنيك من فيك، فإنما جُعل لك أذنان اثنتان وفمٌ واحد؛ لتسمعَ ضعفَ ما تتكلم».

* قال ربيعة الرأي: «الساكت بين النائم والأخرس».

❀ ❀ ❀

الغنى والفقر

* الغِنى أن تملك من الدنيا، ولكن أحسن الغِنى أن تهنأ في الدنيا.

* ينبغي أن تُقدَّر ثروةُ الإنسان لا بأمواله ومستَغَلَّاته، بل بعدد الأشياء التي يستطيع أن يعيش غير محتاج إليها.

* الفقرُ خلوٌّ من المال، ولكن أقبح الفقر الخلوّ من العافية.

الرافعي

وقفة على الغار...

عـصـبـة الـغـار سـلامًـا وعـلـى الـغـار الـتـحـيـه

أول ما رأيته وأنا قادم على (بسيمة)[1] ذلك الباب الإلهي، وركناه جبلان شامخان قائمان عند مدخل القرية يحوطانها ويحدبان عليها، وقد تقاربا وضاق ما بينهما حتى ما يتسع لأكثر من مجرى الماء وسكة الحديد.

وكأن الطبيعة ضَنَّت بهذه الجنة الفينانة أن تنالها كل يد، فأقامت عليها حارسًا من صخور وجلاميد!.

ألقيتُ رحلي في هذه البقعة الخاشعة، والشمس تلقي عليها نظرة الوداع فينسج هَوْله على وجهها صفرة الموت.. وفي الصفرة والسكون، معنى من

(١) منتزه لطيف في قرية صغيرة تبعد عن دمشق ٢٠ كيلو مترا، نال الشهادة فيه الأمير عز الدين الجزائري وآخرون معه.

معاني اللانهاية لا تفهمه إلا القلوب، ولا يعبر عنه إلا بالقلوب.. وصلتُها تعِبًا، فاستلقيت على مرجة خضراء في سفح الجبل مستندًا إليه وهو قائم من خلفي، يودّع شعاع الشمس ولم يبق منه إلا خيوط قليلة، لا تلبث أن تتبدّد، ومن أمامي برَدى يتدفق ويسير في منحدر عظيم فيعلوه الزبد، ولخريره في هذا السكون المطلق عملُ الراح في النفوس.

ولقد جمدتُ في مكاني لا أبدي حراكًا شاخصًا بعينيّ، حتى كأنني تمثال نحتته القدرة الإلهية قائم في أصل الجبل، تتبيّن من ملامحه الحزنَ العميق، والكآبة والغمّ.

حتى إذا غاضت الشمس في لجّها، ونشر الكون ثوبه الأسود ليلقيه عليه حدادًا عليها؛ قذف اللَّه الروح في هذا التمثال.. فصحوتُ ونظرت إلى القرية وكأني أنظر إليها من نافذة قصر، لا من مدخل واد، فرأيت رؤوس الأشجار، وذرى البُنى، وهي متوّجة - لا تزال - بإكليل من العسجد، مصنوع من أسلاك النور، فنهضتُ لأدخلها قبل أن يسدل الظلام حجابه عليها، فيسدَّ طريقي إليها؛ وهممتُ بوداع هذه البقعة التي استحال ما فيها من سكون، وما لأمواهها من خرير، من جميل هادئ إلى مفزع رهيب منذ استحالت حلته الزاهية حلة من الظلام...

وإذا أنا بشيخ هرم يتقدم إليّ بخطى متقاربة، يتوكأ على غصن من أغصان الزيتون، وعلى رأسه جرة يريد ملأها، فلما رآني ارتاع وارتعت لأن واحدًا منا لم يتوقع رؤية صاحبه، ثم حياني وحييته، فأنس بي وأنست به، وصعد قمة صخرة مجاورة فجلس عليها وجلست إلى جانبه، وقد عمّت الظلمة المكان إلا قليلًا منه ينيره نور قليل لاح من وراء الجبل، ومازال يزداد وينتشر، حتى أوشك

أن يعيد الليل نهارًا، وظهر في قمة الجبل ما حسبته جمرة تتَّقد لولا أنه أجمل ولولا أنه البدر، وفي لحظة واحدة عمّ النور الوادي...

تأملت القرية، فإذا هي قائمة في واد من أجمل ما أبدع الله، تحتاطه من جهاته الأربع أربعة أجبال شمّاء قد تعانقت وتعاقدت على حفظه تنفرج قليلًا من جهتين مقابلتين، وتختلف في ألوانها وقطع صخورها، وشكل تربتها، وطبيعة نبتها اختلافًا يملأ النفس روعة، والنهر يتدفّق في وسطها يتلوّى كأنه راقص يخاصر بساتين وجنائن ما علمتها منسقة الوضع ولا محكمة الهندسة، ولكنها أجمل من كل ذاك، لأنها الغادة الهيفاء العُطُل وكأنها فلقة البدر، ولأن تلك العجوز الشمطاء تتجمل بالحلي والأصباغ.

وأما القرية فإن هي إلا بيوت صغيرة، أو أكواخ كبيرة، بنيت من الحجر والطين ذات طبقة أو طبقتين، قد انتثرت على السفوح الأربعة وسكن أهلها إليها في هذه الساعة، وسكن الوادي كله حتى ما يسمع فيه إلا خرير الأمواه. وكأن هذا السكون والخشوع أطلقا لفكري العنان، فاستغرقت في تأملاتي حتى كدت أحسبني فيما بعد الساعة في جنة الخلد لولا أني لم أعمل لها ما أستحقها به إلا إن رحم ربي، ولولا أن الشيخ سعل وليس في الجنة سعال، فعادت إليّ نفسي وأخذت أدور ببصري هنا وهناك، حتى علق بنقطة سوداء في قمة عالية، ورأيت في الجبل طريقًا إليها ممهدًا وقلت في نفسي: ما عساها تكون؟ وماذا فيها؟ والتفتُ إلى صاحبي وقد طالما غفلتُ عنه أسأله ما هي؟ وكأن سؤالي هاج في نفسه ألمًا دفينًا، فاضطرب وانفجر يبكي بكاء الثكالى حتى أشفقت عليه وندمت على سؤالي إياه. ولكنه تماسك وبدأ يقول:

آه يا بنيّ.. لقد ذكرتني ساعة الهول، إن في هذه النقطة سرًّا من أسرار شقائي، إن فيها مصرع سيدي شهيد الغار...

أسفاه على شبابه الغض، على إخلاصه العجيب، ليتني ما ربيته ولا حملته على كتفي صغيرًا، وليتني متُّ قبل أن أشهد مصرعه. . .

أسفاه على تلك الفتاة التي انهارت كل آمالها أمام عيْنَيْها، وفقدت رشدها، حتى أصبحت هائمة على وجهها في بطون الأدوية ورؤوس الجبال تقضي نهارها في ذلك الغار تقبل جدرانه، وتسكب فيه من دموعها ما شاء اللّٰه أن تسكب، ثم تأوي إلى هذا الكوخ الذي تراه. وأشار إلى كوخ في الجبل فيه نور ضئيل يدل عليه. فتقضي فيه عامة ليلها، لا تذوق النوم إلا غرارًا، ولا تغمض عينيها حتى تراه ساقطًا أمام الغار مضرّجًا بدمه فتفيق مذعورة، وتمضي نهارها باكية منتحبة، لا تنال من الطعام إلا ما يقيم أودها.

إنه كان مشغوفًا بها شغفها به، وكان لا يستطيع فراقها طرفة عين، ولكنه كان رجلًا كأولئك الرجال البواسل الذين أراقوا مهجهم فداءً لسورية لأنهم:

أنفوا حياةَ الشاء كلَّ عشية وضُحى تعيث بها يدُ الجزار

رأى حبيبته سورية تستنجد به فهبّ لنصرتها. . . آه. إنها ساعة أذكرها. وكأنها ماثلة أمامي.، فأحس أن جوانب قلبي تصدعت علمتْ بعزمه، وصاحت به قائلة: أتاركي أنت؟ أمفارقي؟ وبكت. فاستعبر وهمّ بالرجوع. ولكنَّ الدم العربي الذي يجري في عروقه، شدّ من عزمه. فأطرق طويلًا لا خشية من الموت، بل كان يتصور هذه العاقبة التي تؤل إليها حالها بعده. فتهْمل عبرته ويودّ لو أجابها!. . . ثم يتصور وطنه المعذب، فيعتمد على بندقيته وتنقلب عيناه في أم رأسه، ويزمجر كالأسد قائلًا:

نعم نعم!. . إنني أتركك وأنا أعلم أنه آخر العهد بك!. . . لأذهب إلى ساحة الشرف. أتركك وأنا أحبك، ولا أستطيع فراقك لأني أحب سورية أكثر من ذلك!. . .

قال هذا وأدار عنان فرسه وألقى عليها النظرة الأخيرة، وعلم اللَّه كم كان يختلج في قلبه من عواطف، ثم لكز فرسه فانطلقت تُطوى لها الأرض طيًّا.

أما هي فوقفت صامتة مذهولة، والصمت في مثل هذه المواقف أشد على النفس وأدلّ على الحزن من العويل والصراخ. وقفت تنظر إليه شاخصة بعينيها مادة يديها كأنها لا تصدق ما ترى..

حتى رأته وقد كاد يغيب عن بصرها، فعلمت أنه فراق الأبد، وأنه الشقاء ستتجرعه ما عاشت، فلطمت بيديها وجهها وصعقت صعقة خلتُ أن أحشاءها قد تقطعت منها، وسقطت على وجهها.

ثم أفاقت فغدت على آثاره تقبلها، وتبللها بدموعها غير مقبلة على طعام أو شراب، وغير مستأنسة بخل أو صديق؛ حتى مرض جسمها وحالت محاسنها، وخفتُ عليها الهلاك فحملتها إليه.

آه.. هنالك.. هنالك أمام الغار وجدته، وليتني مت قبل أن أشهد هذا المشهد. وجدته... قائمًا وحده على بابه يدافع عنه دفاع الأسد عن عرينه لا يطيش ولا يهلع.

أما هي فقد... أغمى عليها والتفت لأرى ما بها، فسمعت الصيحة وإذا هو... قد خرّ... مضرجًا بدمه!...

ثم خنق الشيخَ البكاء وأسلم نفسه إليه ساعة من زمان، قام من بعدها فسار صامتًا آخذًا طريق الغار، وتبعته حتى بلغناه، ووقفنا خاشعين، كأن أرواحنا تناجي روح صريع الغار وأرواح إخوانه الشهداء، وكأني أسمعها تقول: أيتها الأرواح الطاهرة!

أطلّي من جنَاتك العالية، وانظري إلينا... فإن الحزن قاضٍ علينا، إنك

تتمتعين بلذة النعيم الخالد ملقية على عاتقنا - نحن الأشقياء، نحن الأحياء - تَبِعةَ حفظ أطفالٍ يتامى لا تجفّ عبراتهم منذ فقدوا آباءهم، وأمهاتٍ ثكالى لا يعرفن في العالم ملجأ إلّا ملجأ الموت، بعد أن فقدن فلذات أكبادهنّ.. وأرامل قد طوّحت بهنّ الحاجة إلى الفقر المميت أو السقوط الفاضح.. وأمة عزيزة حرّة امتهنت حريتها وسُلبت عزّتها... تطلبين منها مسح دموع الضعفاء، وإنقاذ الوطن.

إنّه طلب جليل. ولكنا لا تجزع من هذه التّبِعة ولا يفر منها، ولا نكون شرَّ خلف، وإن باب الشرف الذي فُتح لكِ لم يغلق في وجوهنا...

إن هذا الغار قائم يشهد علينا وفاءنا، ويحصي أعمالنا، وسيبقى رمزًا خالدًا للتضحية. تمر عليه سوريةُ الحرة، فتذكر فيه سوريةَ المظلومة.

❀ ❀ ❀

إنك لتذهب اليوم إلى هذا الغار الموحش فلا تجد فيه إلّا خَطًّا على جداره الصخريّ، قد نُقش بذلك الدم العزيز:

وللحرّية الحمراءِ بابٌ بكلّ يدٍ مضرَّجةٍ يُدقُّ

القاهرة/ محمد علي الطنطاوي

❀ ❀ ❀

السؤال

مما أُثر عن حكماء العرب في طلب العلم والسؤال عنه، الكلمات الآتية:

* خير خصال المرء السؤال.

* إذا جلستَ إلى عالم فسلْ تفقهًا ولا تسلْ تعنتًا.

* قال الحسن البصري: من استتر عن الطلب بالحياء لبس للجهل سرباله.

* قطّعوا سرابيل الحياء، فإنّه من رقّ وجهه رقّ علمه.

* وقال: إني وجدت العلم ضائعًا بين الحياء والستر.

* قال الخليل: منزلة الجهل بين الحياء والأنفة.

* قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قرنت الهيبة بالخيبة، والحياء بالحرمان. والحكمة ضالة المؤمن فليطلبها، ولو في يدى أهل الشرك.

إلى العلم البريطاني

تلك الضحايا والدماءُ تسيلُ ... هلا رَوِيتَ وبُلَّ منكَ غليلُ
يا خافقًا لو كان يشعُر خلتهُ ... قلبًا بميل به الهوى فيميلُ
تتلاعب الأهواءُ فيكَ مرنَّحًا ... نشوانَ، والظفرُ المديدُ شَمولُ
هذي فلسطينٌ وأنت نزيلها ... لم يَرْعَ فيها ما رعته نزيلُ
لا شيبُها شِيبٌ إذا أحرجتَها ... يوم النضالِ ولا الكهولُ كهولُ
لحْ حولَ صمويل وسله ما الذي ... قد كان يضمره لها صمويلُ
انظرْ إلى الآثار كيفَ تقوَّضَتْ ... وإلى سَنا الأقمارِ كيفَ يزولُ
انظر إلى الأوطان وهي دوارسٌ ... وإلى مَغاني المجدِ وهي طُلولُ
الفتنةُ العمياءُ حولَك أُجِّجَتْ ... وذَكَتْ وأنت بغيرها مشغولُ
تلهو بناسمةٍ تهبُّ ندية ... ولعلَّ مُنديها دمٌ مطلولُ
إن كان أوحشك الفضاءُ فهذه ... أرواحُ قتلانا لَدَيْكَ تجولُ
أو كان أتعبكَ الصعود فلا يكنْ ... لك فوقَ أشلاء الضعافِ نزولُ

أو كان رَوَّعَكَ اغترابُكَ فليكنْ   لك بعدَ تضميد الجراح قفُولُ
خلّ البلادَ لأهلها إن لم يَطِبْ   لك في البلاد على القَتادِ مَقِيلُ

❀ ❀ ❀

ماذا أقولُ، وأنت تعلمُ أنها   ذَلّ الأعزُّ بها وعزَّ ذليلُ
قل (للوليدِ) وقَدْ تعالى قبرُه   عن أن تُلمّ بهِ فلستَ تقولُ
المسجدُ الأقصى وأنت أقمتَه   حَرَمًا، خلا محرابُه المأهولُ
أمستْ فلسطينٌ مناخًا للردى   وترابُها بدمائها مجبولُ
في كل رابية جسومٌ مُزِّقَت   وبكلّ نادٍ رنَّةٌ وعَويلُ
(بلفورُ) موقدُ نارِها، وعلى اللظى   (عدنانُ) محمولٌ و(إسرائيلُ)
ما كانَ أشأمَهُ وأسوأ يومَهُ   (وعْدًا) فتعذَّر التعليلُ
أيبيدُ قومٌ كي يحلَّ محلَّهُ   قومٌ، ويرعى القاتلَ المقتولُ!
أما العقولُ فقد أضعتَ رشادَها   يا ساخرًا من أن يقالَ عقولُ
توراةُ موسى يشتكيكَ ويحتمي   بالله، والقرآنُ والإنجيلُ

❀ ❀ ❀

ماذا هناك؟ أأُمَّةٌ روَّعتَها   في أمنها وأسنَّةٌ ونصولُ
النارُ والدمُ والحديدُ طلائعٌ   ومبارياتُ الطيرِ والأسطولُ
إن الذين رميتها بسهامِهِمْ   ضربوا بسيفك يوم ثار الفيلُ
ما استبسلوا إلا وأنت دليلهم   لولاك ضل بهم وطاحَ دليلُ
سائِل ذويك: أوعد أخرقَ عابث   يمضونَهُ والداءُ فيه وبيلُ
وعهود من صلتِ الوغى سرواتهم   يُرمى بما اشتملتْ عليه النيلُ؟
شبهُ (الجزيرة) كلها موتورة   وحسابُها أن حاسَبَتْكَ طويلُ
شيخٌ (بقبرص) لو نَبَشْتَ قِمَطْرهُ   لعلمتَ أن عهودَكم تضليلُ

❀ ❀ ❀

ماذا ادَّخرتَ إلى غدٍ من عدَّةٍ والقومُ بينهمُ قلى وذحولُ
يوم (البراق) ويوم (يافا) قبلَه لا ينسيان وفي العربن شُبولُ
تُتوارث الأحقادُ غيرَ مضاعةٍ ما دمت أنت ووعدُك المبذولُ
لا يستنيمُ على الضغينةِ معشرٌ حبلُ الخصومةِ بينَهم موصولُ
إن عولج الجسم العليل، وداؤه فيه فسوف، يعودُ وهو عليلُ
لا تسلم الأجسام وهي صحيحةٌ ما لَمْ تُوَقّ الداء وهو دخيلُ

❊ ❊ ❊

علَم الجبابرةِ اتئِدْ في أمةٍ ناءت بعبءِ الضيم وهو ثقيلُ
سلكت سبيلًا للحياة وعُقنها، ولكل قوم في الحياة سبيلُ
ما كان أمسِ لواؤها بمنكّس بل إنّ ظل لوائها لظليلُ
سل (شرلمان) و(روذريق) ينبِّئا واسأل (ركاردس) والشهود عدولُ
حَمَتِ الثغورَ وأوغلت ركبانها في الخافقين وللظباتِ صليلُ
العلمُ والعمرانُ مِنْ آلائها والعدلُ والإحسانُ والتنويلُ
والدهرُ دولابٌ فإن دالتْ لها دُوَلٌ فكم من دولةٍ ستدولُ

❊ ❊ ❊

رسلُ السلام قريرة، فاعصف بها واخفق، فإنَّك للخصام رسولُ
رفرف على الوطن المَهيض جناحُه واذكر بأنَّك عن دمٍ مسؤولُ

خير الدين الزركلي

في هوى الإسلام

حَـطّـمـوا الأقـداحْ أسـكِـتـوا الـرنـيـنْ

إنه أنينْ

لا تَـخـالـوا الـراحْ تُـسـعـد الـحـزيـنْ

ليس للأنس إلى القلب سبيلْ فدعوا الأحزانَ منا تشتفي

صدفتْ عن حظها نفس العليلْ فدعوها في أساها تختفي

❁ ❁ ❁

أيـهـا الـنـوَّامْ شـرقُـكـم قـد راحْ

ملككم مباحْ

فـي هـوى الإسـلامْ قـدِّمـوا الأرواحْ

نـزلَ الـويـلُ ببيـتِ الـمَـقْـدِسِ وتمشَّى الشرُّ في تلك الربوعْ

وابـتُـلـيـنـا كـلُّـنـا بـالـخَـرَسِ واكـتـفـيـنـا بـنـواح ودمـوعْ

وتـركـنـا ذا الـرداءِ الـدنـسِ من بني صهيون بالفتك وَلوعْ

يـقـتـل الـنـفـوسْ يـهـرق الـدمـاءْ

يهتك النساءْ

يـشـرب الـكـؤوسْ مـن دم الأبـنـاءْ

أين من ضَحى ليحمي الحرما بعضَ ما ضحى بنوه الأوفياءْ

قدَّموا الأرواح يحمون الحمى وسيجزي اللَّه أصحابَ الفداءْ

غرق الأبطال منهم في الدِّما جعلوا الأجساد للبيت وقاءْ

❁ ❁ ❁

مسلمو الكنانة سالموا الأخصامْ

هجروا الإسلامْ

فأبى المَهانةْ وهو لا يُضامْ

ربُّه يحميه من كيدا الخصومْ بجنود ليس يحصيهم سواهْ

يبذلون الروح للدين القويمْ ويموتون لكي يَرضى الإلهْ

رحمَ اللَّه وفودًا للنعيمْ صعدتْ لله تحيا في سماهْ

أيها الأغرابْ احذروا الأسودْ

نحن في الوجودْ

طاشتِ الألبابْ حظكم منكودْ

قد وقفنا حول أسوار الحرمْ كأسود الغاب تحمي غابها

لا نبالي بعذاب وألمْ كلُّ نفس سَرَّها ما صابها

فلنمتْ أهلَ وفاء بالذممْ تَفتح الخلدُ لنا أبوابها

❁ ❁ ❁

اسمعوا النداءْ يا حُماة الدينْ

قد طغى (صهيونْ)

فَقِدَ الحياءْ ذلك اللعينْ

أيها السابحُ في غفلتهِ بالغًا من كل حظ ما يرومْ

في فلسطين بنو ملتهِ هجم الدهر عليهم بالهمومْ

أين من يبكي على جيرتهِ أين ذو الإيمان والقلب الرحيمْ

❁ ❁ ❁

ابذلوا الأموالْ في سبيل اللهْ

واطلبوا رضاهْ

واتَّـقـوا الأهـوالْ واحـرسـوا حـمـاهْ

يا بني مصر كفاني خجلي بين أهل الشرق من وقفتنا

ما لكم عن دينكم في شُغلِ إن أهـل القـدس مـن أمتَّـنـا

ابذلوا المالَ لخير العملِ قبل أن نقضي على سمعتنا

❀ ❀ ❀

عـالـمٌ جـلـيـلْ سـيـدٌ وقـورْ

ناله المقدوز

سـامـه الـدخـيـلْ ذِلـةَ الـمـأسـورْ

أيها الشيخ الذي ساروا بهِ بين جند وقيود من حديدْ

عجزوا أن ينزعوا من قلبهِ قوة الإيمان والبأس الشديدْ

كانت الحسنى له من ربهِ ولهم يوم قصاص ووعيدْ

❀ ❀ ❀

أيـهـا الإخـوانْ إنـنـا فـي نـارْ

فاقبلوا الأعذاز

لـلـعـدا الـهـوانْ إنـهـم أشـرارْ

واصبروا بالله فالعقبى لكمْ اصبروا وانتظروا والنصر المبينْ

إننا نلقى همومًا مثلكمْ كل هذا الشرق موصولُ الأنينْ

مصرُ ذاقت ودمشق هولكمْ ولنا في ربنا حسنُ اليقينْ

محمود رمزي نظيم

حِكم

* قال المعتمر بن سليمان: عليك بدينك ففيه معادك، وعليك بمالك ففيه معاشك، وعليك بالعلم ففيه زَيْنك.

❁ ❁ ❁

* قال رجل يوصي آخر أراد سفرًا: آثر بعلمك معادك، ولا تَدَعْ لشهواتِك رشادَكَ. وليكن عقلك وزيرَكَ الذي يَدْعُوك إلى الهدى، ويعصمك من الرَّدَى. ألجم هواك عن الفواحش، وأطلقه في المكارم؛ فإنك تكبر بذلك سلَفك، وتَشيد شرفك.

❁ ❁ ❁

* أَوْلى الناس بالفضل أَعْوَدُهم بفضله. وأعون الأشياء على تَذْكية العَقْل التَّعَلُّم. وأدلُّ الأشياء على عقل العاقِل حسنُ التدبير.

❁ ❁ ❁

من لم يَرْضَ عن صديقه إلا بإيثارة على نفسه دام سخَطَهُ. ومن عاتَبَ على كل ذنب كَثُرَ عَدُوُّه. ومن لم يؤاخ من الإخوان إلا من لا عيب فيه قل صديقه.

عبقرية شوقي

ليس الفلكيُّ الذي يريد ليقيس جهة من الأفق في ساعة بأيسر همًّا من الأديب الذي يريد ليصور عبقرية في سطور، وإن كان كلاهما يجهد ما يجهد، ولا تزال تلك الجهة من الأفق فوق قياس الفلكي وتقديره، وعبقرية شوقي فوق وصف الأديب وتصويره.

والحق أنه لا يحسن أن يصور عبقرية شوقي نفسه إلا عبقرية شوقي نفسها.

فإن الكوكب ليصف من نفسه بما يتألق من لألائه، ويندفق من بهائه، وما لا تصف براعة كوكبتين من فرسان البيان.

وإن البحر الخضمّ ليصور من نفسه بمد تياره، واطراد زخاره، وما لا يصور مائة ربان.

وإن الجبل الأشم ليريك من نفسه وقد ذهبت قمته في السماء ذهاب أصله في الأرض، ما لا يريك مؤتمر قائم برأسه من علماء تقويم البلدان.

وقد وصف شوقي ما دق كما وصف ما جل، وصور ما خفي كما صور ما بدا، ومثّل ما بعد كما ما دنا، وما لم ير، كما قدر أن يرى، فكثيرًا ما سبق القدر والزمان جميعًا، وهو في ذلك وغير ذلك لا يقع طائر خياله حيث يقع إلا على مقطع الحق، وكذلك يكون شعر الإلهام.

أما وصفه لما دق وما خفي، فإنك لتصيب من ذلك في وصفه لهمس السر في ساحة السريرة، وأما تصويره لما جل وما بدا، فإنك واجد من ذلك في تصويره الأفخم ما يملك بصرك من مجالي الطبيعة، حتى لتحسبك بين ما تبصره وما تقرؤه بين طبيعتين كلتاهما خيال للأخرى، وكلتاهما إذا شئت حقيقة منها.

أفلم يصور الفلك حتى أطلع في كتابه من تصويره فلكًا آخر؟

ولست أعرف غرضًا بيانيًا، ولا معنى بكرًا، نشز على خيال شوقي. فإنه ليصيب بأدنى لغته من ذهنه أبعد هذه الأغراض منالًا، وربما نظم المعنيين المتضادين في سلك بيت، فكأنما جاء بهما من واد واحد.

ولست أعرف بعد أول المتنبيين أكثر من ثانيهما نفادًا، إذ كان ظهور ديوان أبي الطيب لعهده، كما كان ظهور ديوان أحمد لهذا العهد، انتقالًا بالشعر من

طور إلى طور، وكان كلا الحادثين مثارًا لعاصفة من النقد ما تزال تلف وتدور، وما زال الأدباء يختصمون في كلٍ منها ليصطلحوا، ويدخلون على شعره ليخرجوا منه بفن من النقد. وما بهذا من عجب، فإن المتنبيين مجددا عهدين؛ وعلى شعريهما طابعا أقوى شاعريتين.

وليس يعيب أيًا منهما أن العارفين له، والمنكرين عليه، كثروا ثم أكثروا فيما عرفوا وما أنكروا، وأنمى لهم النقد فذهبوا فيه كل مذهب، واتسعوا فيما ذهبوا إليه حتى أوفت لنا الملكات التي تحفت بشعريهما بثروة من النقد يجدر بالعاقبين أن يتقارضوها، ولكن بربًا من نقد آخر...

ذلك بأن من النقاد من كتبوا في كل شيء إلا شيئًا واحدًا هو النقد الذي تصدوا له، إذ كانت تنقصهم الحاسة الفنية، وقديمًا كانت هذه الحاسة هي القوة التي تتميز دقائق هذا الفن، وتتبين أسرار هذه الدقائق، وتتعرف مكامن هذه الأسرار. والنقد، وأنت به جد بصير، أعلى مراتب الأدب وقد درج عهد أول المتنبيين، ودرج معه العارفون له والمنكرون عليه جميعًا. وأضلنا عهد ثانيهما.

ولست أرى أولئك الذين ينكرون على شوقي، وينكرون من عبقريته أوضح من غرة النهار، وأقل احتفالًا بهذه العبقرية، من الذين يكبرونها ويكبرون منها، فليس الإنكار على لسان المنكر إلا ضربًا من الاعتراف ولكنه اعتراف مقلوب، وإن الحقيقة لتتبرج في منطق المكابر ولكن في معرض من التمحل والمكابرة. وكلٌ ميسر لما خلق له.

محمد صادق عنبر

لوازم الخير

لا خير في القول إلا مع العمل. ولا في الفقه إلا مع الورع. ولا في الصدقة إلا مع النية. ولا في المال إلا مع الجود. ولا في الصدق إلا مع الوفاء. ولا في الحياة إلا مع الصحة. ولا في الأمن إلا مع السرور.

حِكم

* قال الأحنف بن قيس:

الكذوب لا حيلة له. والحسود لا راحة له. والبخيل لا مروءة له.

والملول لا وفاء له. ولا يسود سَيّئ الأخلاق.

ومن المروءة إذا كان رجل بخيلًا أن يكتم.

* قال بعض الحكماء: إن مما سخَا بنفس العاقل عن الدنيا عِلمه بأن الأرزاق فيها لم تُقْسَم على قدر الأخْطَار.

* قال عروة لبنيه: يا بَنيَّ لا يُهْدين أحدكم إلى ربه ما يستحي أن يهديه إلى حريمه، فإن اللّه أكرم الكرماء وأحق من اختير له.

* قال شبيب بن شَبَّة: إخوان الصدق خير مكاسب الدنيا، هم زينة في الرخاء، ومعونة على حسن المعاش والمعاد.

الكتاب

يا سميري إذا أردتُ سميرا ... ومشيري إذا افتقدتُ المشيرا
ورفيقي في غدوتي ورواحي ... لست عنه بمستعيض نظيرا
ونصيحي الذي تعوَّدت ألا ... أتلقى عليه قولًا فطيرا
وملاذي الوحيد إن حَزَبَتْني ... شدَّةٌ آبَ سعيُه مشكورا[1]
والذي هوَّن الشدائد عندي ... حين أوصى بأن أكون صبورا
والذي يحفظ الجوار ويأبى ... ولئن خيس عهده - أن يجورا
ناطقًا - إن أردتُه - بحديث ... يملأ القلب بهجة وحبورا
ساكتًا - إن سكتُّ - غير ملول ... ولئن جاز في السكوت دهورا
لم أجد مثله صديقًا وفيًا ... حيث يرضى مُعاشرًا مهجورا
لا تراه على اختلاف المناحي ... واترًا غيره، ولا موتورًا
إن من صيَّر الكتاب إمامًا ... بات يرجو تجارة لن تبورا
إنه منه في نعيم مقيم ... إذ يرى فيه جنّة وحريرا
وعقودًا من جوهر منظوم ... وجمانًا ولؤلؤًا منثورا
من علوم وحكمة وفنون ... يقف المرء بينها مسحورا
فاتَّبعني ولا يفتك سناه ... ليس غير الكتاب للمرء نورا

محمّد صادق عرنوس

---

(١) فيه مبالغة ظاهرة، والملاذ الوحيد هو الله ﷻ (س).

الكتاب
كلمات شهيرة للجاحظ

* الكتابُ هو الجليس الذي لا يُطريك، والصديق الذي لا يَقليك، والرفيق الذي لا يملّك، والمستمع الذي لا يستزيدك، والجار الذي لا يستبطئك، والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق، ولا يعاملك بالمكر، ولا يخدعك بالنفاق.

* ما رأيتُ بُستانًا يُحمل في رِدْن، وروضة تُنقل في حجْر: ينطق عن الموتى، ويُترجم عن الأحياء، ومَن لك بمؤنس لا ينام إلّا بنومك، ولا ينطق إلا بما تهوى، آمنُ من الأرض، وأكتمُ للسرّ من صاحب السرّ، وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة، ولا أعلمُ جارًا آمَنَ ولا خليطًا أنْصَفَ ولا رفيقًا أطوعَ ولا معلمًا أخضع ولا صاحبًا أظهر كفاية وعناية، ولا أقلّ إملالًا ولا إبرامًا ولا أبعد مراءً، ولا أتركَ لشغب ولا أزهد في جدال ولا أكفَّ عن قتال من كتاب.

* لولا الحِكم المحفوظة، والكتب المدوَّنة؛ لَبَطلَ أكثرُ العلم، ولغلب سلطانُ النسيان سلطانَ الذكر، ولما كانَ للناس مَفْزَعٌ إلى موضع استذكار. ولو لم يتمَّ ذلك لَحُرِمْنا أكثرَ النفع.

* لولا ما رَسمَتْ لنا الأوائل في كتبها، وخَلَّدَت من عجيب حكمتها، ودَوَّنَتْ من أنواع سِيَرها؛ حتى شاهدْنا بها ما غاب عنا، وفتحنا بها كلَّ مُستغلَق؛ فجمعنا إلى قليلنا كثيرَهم، وأدركنا ما لم نكن ندركه إلّا بهم؛ لقد بخس حَظّنا منه.

* سمعتُ محمد بن الجهم يقول: إذا غَشِيَني النعاس في غير وقت النوم، تناولتُ كتابًا، فأجد اهتزازي لفوائد الأرْيَحِيَّة التي تعتريني من سرور الاستنباه، وعز التبيّن، أشدَّ إيقاظًا من نهيق الحمار وهدَّة الهَدْم؛ فإني إذا استحسنتُ كتابًا واستجدْته ورَجَوْتُ فائدته، لم أوثرْ عليه عِوَضًا، ولم أبْغِ به بَدَلًا؛ فلا أزال أنظر فيه ساعة بعد ساعة كم بقي من ورقة، مخافة استنفاده وانقطاع المادَّة من قِبَله.

مصر وذكرى استقلال سوريا

ربع الشآم أعامرٌ أم خالِ … اليوم عيدك عيدُ الاستقلالِ
إني لأرجع بالسؤال أطيله … لو يملك الشهداء رجع سؤالي
سكتوا وأقفرت المنازل منهم … إلا منازل من صوىً ورمالِ
بوركت من وطن يجل شهيده … في حيثما ألقى عصا الترحالِ
وطن تضيق الأرض عن أبنائه … وإليه موئلهم مع الآمالِ
يستبدلون الخافقين ببضعة … منه وما قنعوا بالاستبدالِ
ذهبوا بأفئدة تفرق شملها … شِيَعًا وما فيهم فؤاد سالِ

***

يرتاد راحلهم وخلف ركابه … حلم يبيت به مع الحلالِ
يصحو على الشاغور من لبنانه … وينام من بردى على السلسالِ
وتهزه من عشتروت خميلة … تلتف بين جداول ودوالي
وتليه من وادي العرائش نسمة … سكرى الضحى رفافة الآصالِ
أنى استقر وحيث سار هفا به … همس من الجبل الأشم العالي

أين السلو؟ ولا سلو لعابر ... فيه فكيف بمولدٍ وفصالِ

❀ ❀ ❀

هذي مواطنكم وتلك قلوبكم ... وشجت على الأهواء والأهوالِ
أنتم بنو ماض على أشجانه ... نِعم البشير لكم بالاستقبالِ
ماض بأمثال التجارب حافل ... ومن التجارب حكمة الأمثالِ
لا تلهينكم الهموم بحاضر ... مر الحوادث فيه مر خيالِ
إن الحقائق في الحياة تجمعت ... ما بين سابق سيرة أو تالِ
بيتوا على أمل وطيب تذكر ... تجدوا الحوادث منكم بمثالِ
لا يستقل القوم في آمالهم ... إلا استقلوا بعد في الأفعالِ

❀ ❀ ❀

يا جيرة الوادي تحية أمة ... وقفت تحيتها على الأبطالِ
لو بين الوادي القديم لقالها ... كلمات صدق من لسان الحالِ
إنا بنو وطن تقرب بينه ... سيناء في قدسية وجلالِ
الشمس تجمع في المطالع بيننا ... والأرض في حرم الجوار الغالي
ولسان صدق في اللغات تألفت ... فيه القلوب تآلف الأقوالِ
ومعالم التاريخ في كتب وفي ... عقب وفي نصب وفي إطلالِ
شكواكم شكواي أو سلواكم ... سلواي أو أشغالكم أشغالي
ومطالب الغازين في بيدائكم ... كمطالبي ومآلكم كمآلي
فخذوا التأسي من مؤسي نفسه ... فيما يطيف بكم من الأوجالِ
وخذوا التهاني من مهنئ نفسه ... بغدٍ يطالعكم بالاستقلالِ

عباس العقاد

التهوُّر

التهوُّر هو أحد مصادر الخطأ عند ديكارت، وهو ينحصر في الجزم بحكم قبل تبيُّن اليقين فيه، أي في التهافت على المطالب قبل تحقق المقدّمات.

هامش (مقال في المنهج) - ص٢٢

المروءة

بعض ما جاء عنها في هداية الإسلام وحكمة العرب

* من جوامع الكلم المحمدية قوله ﷺ: «**إن اللّه يحب معالي الأمور وأشرافها، ويكره سَفسافها**»(١).

* وقال ﷺ: «**مَن عامل الناس فلم يظلمهم، وحدّثهم فلم يكذِبْهم، ووعدهم فلم يُخلفهم؛ فهو ممن كملت مروءته**»(٢).

* قيل لأعرابي: ما المروءة عندكم؟ فقال: «نائلٌ مبذول، وبِشرٌ مقبول، وطعام مأكول».

* سأل معاويةُ بنُ أبي سفيان عبدَ اللّه بن عمر رضي الله عنهما: ما المروءة؟ فقال: «تقوى الله، وصلة الرحم».

(١) السلسلة الصحيحة؛ للألباني (١٦٢٧).
(٢) السلسلة الضعيفة؛ للألباني (٣٢٢٨).

* ثم سأل المغيرة بن شعبة ﷺ: ما المروءة؟ فقال: «العفَّة عما حرَّم الله، والحرفة فيما أحلَّ الله».

* ثم سأل ابنه يزيد ما المروءة؟ فقال: «الصبر على البلوى، والشكر على النعمى والعفو عند المقدرة»، فقال له معاوية: أنت مني حقًّا، وما نكبَ المغيرةُ عن القصد.

* سُئل الأحنف بن قيس مرَّة: ما المروءة؟ فقال: «العفَّة، والحرفة» وسُئل عنها مرَّة أخرى فقال: «مواساةُ الإخوان، وصدقُ اللسان، وذِكر اللَّه في كل مكان».

حِكم مقتطفة من مقال لمؤلف الحديقة

(وذلك المقال فاتحة العدد ال١٧٥ من الفتح)

اقتطفها العالم الفاضل الأستاذ الشيخ محمود ياسين الدمشقي

* المصائب تهبط بالضعيف إلى قرارة الضعف، من حيث تسمو بالقوي إلى أوج القوة.

* أعظم مظاهر القوة والضعف الإرادة.

* قويُّ الإرادة هو صاحب السلطان على نفسه وشهواته وأهوائه.

* جدير بمن ملك نفسه أن يملك بها قياد المصالح.

* ضعيف الإرادة مغلوب لنفسه وشهواته.

* من كان مغلوبًا لشهوته كان لما سواها أذلّ وأضعف.

* المقاطعة أمضى سلاح بأيدي عرب فلسطين.

* ما دام الفلسطينيون حريصين على المقاطعة، لا يمضي عام واحد حتى يجدوا أنفسهم قد قطعوا إلى الخلاص شوطًا يساوي جهاد عشرين سنة.

* المقاطعة عنوان الرجولة والحزم.

* الأمة التي تثبت على مقاطعة من يسيئ إليها تشعر الأمم كلها بالحرمة لها، وفي مقدمة من يحترمها أعداؤها.

* بالمقاطعة تعرف الأمة مواطن ضعفها وتنتبه إلى ما ينقصها في صناعاتها وتجاراتها.

* متى تقدمت الأمة خطوات في سبيل الاستقلال الاقتصادي، كان لها من ذلك شهود عدول على كفاءتها للاستقلال القومي والسياسي.

* قبل أن تكون المقاطعة طريقًا إلى الاستقلال الاقتصادي والسياسي فهي طريق إلى النضوج الأخلاقي.

* الأمة التي تشعر بحاجتها في صناعاتها وتجارتها إلى الاستعانة بأعدائها يتأصل في نفوس أبنائها الاعتقاد بضعفها وفاقتها، وهذا الشعور مَدْرجة انحطاط في الأخلاق، ونقص في عزَّة النفس، ويأس من بلوغ الأمل.

* الغرب إنما غزا الشرق ثم فتحه منذ تمكن من تعويد الشرقيين والشرقيات استعمال الكماليات.

* على أموال الشرق قام بناء ثروة الغرب العظيمة.

* الإنكليز دخلوا مصر لحماية مصالح الأجانب ولو تعففت مصر عن كثير من الكماليات لما كان للأجانب مصالح فيها.

* اليهود تجار بقدر ما هم يهود، وقد بنوا حسابهم يوم جاءوا إلى فلسطين على أن يأخذوها من أصحابها، ويعطوهم بدلًا منها كماليات.

السعادة قريبة التناول

قال السر تمارلس ويفيلد، الذي كان محافظ لندن:

* أنشُدْ راحةَ البال، وتذكّرْ أن أثمنَ الأشياء في العالم لا ثمن له.

* ادرسْ صحتك واعْنَ بها: بالرياضة، والهواء الطلق، والنور، والطعام البسيط. وكلُّ هذه أشياء في متناول يدك.

* لا تتأخر في الزواج.

* الإفراط في الحذر يزيل من الحياة مهجتها.

* احتفظ بصداقة أحبائك وأعزّائك، وتذكر قيمتها على الدوام.

* لا تستصغرْ دخلك، وتذكرْ أن آلافًا من الناس يعدّون دخلك ثروة.

* ادفع ثمنَ كل ما تشتريه، ولا تستدنْ فإن الدَّين شقاء.

* تذكر في عملك أن للدرس والاجتهاد قيمة.

* أتقنْ عملك واعرفْ تفاصيله.

* إذا كانت لك هموم خاصة بعملك فاقصرها على ساعات العمل؛ واجعل عقلك طليقًا من قيودها وقت الفراغ.

* لا تسأل نفسك (هل أنت سعيد) بل اعمل، وروّح عن نفسك وأحبَّ أصدقائك، واعمل عملك جهد طاقتك في نزاهة.

سبيل النجاح - في نظر فورد

* النظافة.
* التثبّت والتدقيق.
* استخدام المرء كل ما لديه من القوى.
* ثقة المرء بمقدرته على إنجاز ما تصدَّى له.
* أن لا ينفق المال إلا في الوجوه المجدية والصالحة.

البورصة والشاعر

فـرشـوهـا لآلـئًـا ونـضـارا ... ثم قالوا: هذي الطريق، فسارا
لا تلوموه، غرَّة الوصف حتى ... فاته أن قضى سواه اغترارا
رُبَّ سعدٍ يجيء للمرء عَفوًا ... وشقاءٍ لكن يجيء اضطرارا
طمعٌ في النفوس أن يحسب المرء ... طريق الغِنى تكون اختصارا
وفسادٌ في الرأي أن لا يرينا ... الـوهـمُ إلا سـعـادةً ويـسـارا
شهدوها في الغرب تبني قصورًا ... ما رأوها في الغرب تمحوا ديارا
غرَّهم ظاهر إليها، فتعاموا ... عن قبيح تحت البهاء توارى
وأتـونـا بـهـا وقـد عَـرَّبـوهـا ... فقرأنا فيها الشقا والبوارا
إن في بعض ما اقتبسنا من الغر ... ب كمالًا وإنّ في البعض عارا
فـخـلـعـنـا الـتـمـدن الحق عـنـا ... ولـبـسـنـا الـتـمـدن الـمـسـتـعـارا

يا ابنة الغرب احجبي وجهك الكا ... لح عني وأوسعيني نفارا
واستري ذلك الجمال المداجي ... وامنعي ذلك البها الغرارا
قبَّح اللَّه كل حسن يحلّيك ... وإن كان يُخجل الأقمارا
يا ابنة الغرب ملّقي الناس مهما ... شئت واستلفتي لك الأنظارا
فصعودًا طورًا وطورًا هبوطًا ... لعن اللَّه هذه الأسعارا

❁ ❁ ❁

ربّ هل كان مثل حظي حظ ... لبس الليل في الحياة شعارا
أفأسعي وراء رزقي دهرًا ... وألاقي في لحظتين الدمارا
زادُ شيخوختي جناه شبابي ... ضاع لكن في القلب أبقى شرارا
طائرٌ كان في يميني فلما ... ملّقوه غنّى قليلًا وطارا

أمين تقي الدين

حِكم وأمثال

* قال عبد العزيز بن أبي دواد: كان يقال: ثلاثة من كنوز الجنة: كتمان المرض، وكتمان الصدقة، وكتمان المصائب.

* قال لقمان لابنه: يا بني إن الدنيا بحر عميق، وقد غرق فيه ناس كثير. فلتكن سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها الإيمان بالله، وشراعها التوكل على الله، لعلك تنجو، وما أراك ناجيًا!

* قال الفضيل: طالت فكرتي في هذه الآية: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ و﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾.

* قال عمر ﷺ: من اتقى اللَّه لم يشف غيظه. ومن خاف اللَّه لم يفعل ما يشاء. ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون.

* قال لقمان لابنه: يا بني لا تُذهب ماء وجهك بالمسألة. ولا تشف غيظك بفضيحتك. واعرف قدرتك تنفعك معيشتك.

سيوف نضاها الله

إلى السيد محمد صادق عرنوس، والسيد محمد حسن النجمي

يقرّظني قومي بأني مدحتهُم ... كما يُمدَح الروض الذكيّ على النفح
ولو أنهم قد أنصفوني لما رأوا ... بمعرفتي للحق عارفةَ المنْح
إذًا لرأوا آثارهم شاهدًا لهم ... يكاد لديها الطير يهتف بالصَّدح
شهدت بما شاهدت ما من علاقة ... ولا صلة توهي الشهادة بالجَرح
ولكنّ من شأن الفصاحة أنها ... إذا بهرتْ تعطو إلى خُلُق سمْح
سيوفٌ نضاها اللَّه إذ حمسَ الوغى ... ونادى منادي الدين للرمي والنضح
تواصل في جيش الضلال قراعها ... فما برحت تشفي الصدور من البَرْح
تلألأ في قِطَعٍ من الليل مظلمٍ ... سناها فكان الليل أضوى من الصبح
فلا تأخذنكم في الغواة هوادة ... وفلّوا جموع الشر بالضرب والطرح
لقد خوَّضوا في الدين والعِرض جهرة ... ولجّوا فعاد القرح ينكأ بالقَرْح
فليس بغير الكسر حسم لدائهم ... وغير العصا، والجوزُ يؤكل بالشقْح
وكلُّ ذنوب العالمين مصيرها ... إلى العفو إلا الشرك ممتنع الصفح

سينصركم من تنصرون كتابه ويؤتيكم الفتح القريب من (الفتح)

لوزان ٣ شوال ١٣٤٨ - شكيب أرسلان

حِكم

* أول العلم الصمت. ثم الاستماع. ثم الحفظ. ثم العمل. ثم نشره.

* علم علمك من يجهل. وتعلم ممن يعلم ما تجهل. فإنك إذا فعلت علمت ما جهلت وحفظت ما علمت.

* قال معاذ بن جبل:

«تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، وهو الأنيس في الوحدة، والصاحب في الخلوة، والدليل على الدين، والمصبر على السراء والضراء، والوزير عند الأخلاء، والقريب عند الغرباء».

* قال ابن المبارك:

عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة.

* قال أبو الدرداء:

العالم والمتعلم شريكان في الخير، وسائر الناس همج لا خير فيهم.

المسلمون في لبنان النصراني
إذا لم يعجبهم هذا.. فليرحلوا إلى الحجاز!

الأستاذ: أده/ رئيس حكومة لبنان!

قل للوزير، وزير لبنانٍ ... يا عاليَ الأنظار والشانِ
لمسلمونَ، وقد أسأتهمُ ... ما ضرَّ لو مُنُّوا بإحسانِ
لبنان من أقطارنا عينٌ ... وهم لعينيها كإنسانِ
ألِلى الحجاز تريد أن يمضوا ... لتقول ذا لبنان نصراني
الأرز من أوطانهم ولهم ... بربوع مكةَ موطنٌ ثاني
وبنوه إخوان لهم فإذا ... ما اسطعت فرِّق بين إخوانِ
ليسوا بطرّاء عليه ولا ... شذاذ آفاق وعبدانِ
الكل إن تنسبهُم عربٌ ... من نسل قحطانٍ وعدنانِ
سل شمسه عنهم فقد خضبت ... منهم قديمًا بالدم القاني
أيام راعوا قيصرًا ومضى ... كسرى ولم يعصم بإيوانِ
أتراهم وهم الألى سادُوا ... لبنانَ في عصر وأزمانِ
من عهد ذي النورين أو عمر ... أو عهد هارون ومروانِ
هل أخرجوكم من دياركم ... أو ناهضوا ديرًا لديراني؟

❁ ❁ ❁

يا مصلحًا لبنان عن دعوى ... ما كان أحوجها لبرهانِ
ما قام إصلاح بتفريق ... أو نقض عرفان وعُمرانِ
قوَّضتَ مدرسة ومستشفى ... أكذا اقتصادك أيها الباني
أيضيق لبنان بمسلمه ... ويكون للقاصي والداني

ويُـذاد عـن وطـن تـعـاهـده والـنـاس أبـنـاء لأوطـانِ
لبنان سوف يظلُّ ما شئنا حَـرَمًـا لـشـيـبـان وغـسـانِ
فـإذا أبـيـت عُـروبـةً فـاتـبـع ما شـئـتَ من قـوم وبـلـدانِ
أولـى بـأن يَـدَعَ الـبـلادَ فـتـىً أمـسـى الـمـفـرّقَ بـيـنَ أديـانِ

دمشق/ أخو مضر

الناس صنفان

الناس صنفان. هذا خلقه الكرمُ وذاكَ ألأمُ من تمشي به قدَمُ
هما نقيضانِ لا هذا يعابُ ولا يقالُ في ذاك إلّا كلُّ ما يَصِمُ
تماثلًا نسبةً لكنْ نفوسهُمُ تناقضتْ فتنافتْ مثلها الشيمُ
من السيوفِ كهامٌ لا مضاءَ له يومَ الجلادِ ومنها المرهفُ الخذِمُ
والطيرُ منها البزاة الشهبُ حائمةً والصادِحاتُ ومنها البومُ والرخمُ
والماءُ منه أُجاجٌ لا يُساغ ولا يشفي الأُوام ومنه السلسلُ الشبِمُ
وفي السماءِ سحابٌ بعضه غدِق وبعضه لم تجدْ منه الثرى ديَمُ
ورُبَّ غصنين هذا منتجٌ ثمرًا وذاك تلقيه في نارٍ فتضطرمُ

إنَّ اللئامَ وإن قلّوا فلؤمهمُ جمٌّ وربّ قليل شرُّهُ عَمَمُ
فهم كجرثومةِ الداءِ التي خفيتْ على العيونِ ومنها الموتُ والسَّقَمُ
يكافئون بإنكار الجميل ومَن لم يستملهمْ جميلٌ فالذئابُ همُ

أمين بك ناصر الدين

كلمات حكيمة

* قال الشافعي: طلب العلم أفضل من النافلة.

* قال عمر ﷺ: موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار، أهون من موت عالم بصير بحلال اللَّه وحرامه.

* قال علي بن أبي طالب ﷺ: من كفارات الذنوب العظام: إغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب.

* الحاضر مجموع الماضي - كرلايل

* أقم من يومك ناقدًا دقيقًا لأمسك - بوب

* الخمول نوع من الانتحار - شسترفيلد

* كل إنسان ابن أعماله - سرفنتس

* الصبر من مستلزمات النبوغ - دزرائيلي

* قال أيوب: حلم ساعة يدفع شرًا كثيرًا.

ينبوع التفريق

في سوريا . مثلًا . كان التعليم يأتينا من الغرب بشكل الصدقة، وقد كنا - ولم نزل - نلتهم خبز الصدقة؛ لأننا جياع متضوّرون. ولقد أحيانا ذلك الخبز، ولما أحيانا أماتنا.

أحيانا لأنه أيقظ (بعض) مداركنا، ونبَّه عقولنا (قليلًا). وأماتنا لأنه فرَّق كلمتنا، وأضعف وحدتنا، وقطع روابطنا، وأبعد ما بين طوائفنا؛ حتى أصبحت بلادنا مجموعة مستعمرات صغيرة: مختلفة الأذواق، متضاربة المشارب، كل مستعمرة منها تشد في حبل إحدى الأمم الغربية، وترفع لواءها، وتترنّم بمحاسنها وأمجادها. فالشاب الذي تناول لقمة من العلم في مدرسة أمريكية قد تحوَّل بالطبع إلى معتمد أمريكيّ، والشاب الذي تجرَّع رشفة من العلم في مدرسة يسوعية صار سفيرًا فرنسيًا، والشاب الذي لبس قميصًا من نسيج مدرسة روسية أصبح ممثلًا روسيًا. إلى آخر ما هنا لك من المدارس، وما تخرّجه في كلّ عام من الممثلين والمعتمدين والسفراء.

وأعظم دليل على ما تقدَّم: اختلاف الآراء وتباين المَنَازع في الوقت الحاضر في مستقبل سوريا السياسي: فالذين درسوا بعض العلوم باللغة الإنكليزية يريدون أمريكا أو إنكلترا وصيةً على بلادهم، والذين درسوها باللغة الفرنسية يطلبون فرنسا تتولَّى أمرهم، والذين لم يدرسوا بهذه اللغة أو بتلك، لا يريدون هذه الدولة ولا تلك، بل يتبعون سياسةً أدنى إلى معارفهم، وأقرب إلى مداركهم.

قد يكون ميلنا السياسي إلى الأمة التي نتعلم على نفقتها دليلًا على عاطفة عرفان الجميل في نفوس الشرقيين، ولكن ما هذه العاطفة التي تبني حجرًا من جهة واحدة، وتهدم جدارًا من الجهة الأخرى؟

ما هذه العاطفة التي تستنبت زهرة وتقتلع غابة؟

ما هذه العاطفة التي تحيينا يومًا وتميتنا دهرًا؟

جبران خليل جبران

وصية روتشيلد لبنيه

لما حَضَرتْ أشِيل روتشيلد - جد أسرة روتشيلد اليهودية - الوفاةُ، جمع أولاده الخمسة وأوصاهم هذه الوصايا:

* احتفظوا بشريعة موسى وحافظوا عليها.
* اتحدوا جميعًا إلى النهاية.
* شاوروا والدتكم.
* انظروا إلى ثروتكم نظركم إلى ثروة عامَّة خالدة.
* تزاوجوا فيما بينكم.
* لا تشقُّوا عصا الطاعة.

صدقي الطيار

أعُقابٌ في عَنانِ الجَوِّ لاحْ أم سحابٌ فرَّ من هُوجِ الرياحْ
أم بساطُ الريح ردَّتْه النوى بعدما طوّف في الدهر وساحْ
أم كأنّ البرج أبقى حوته فترامى في السماواتِ الفساحْ

أقبلت من بُعُدٍ تحسبها نحلةٌ غنَّتْ وطَنَّت في البراحْ
يا سلاحَ العصر بشرنا به كل عصر بكمي وسلاحْ
إن عزًّا لم يُظلل في غدٍ بجناحيك ذَليلٌ مستباحْ

فـتـكـاثـرْ وتـألّـفْ فـلـيـقًـا تعصم السلم وتعلو للكفاحْ
مصر للطير جميعًا مَسْرَحٌ ما لنا فيه ذُنابى أو جَناحْ
رُبَّ سِـرب قـاطـعٍ مـرَّ بـه هبط الأرضَ مليًا واستراحْ
لـم لا يـفـتنُ فـتـيانَ الـحمى ذلك الإقدامُ أو ذاك الطماحْ
مَن فتى حلَّ من الجوِّ بهم فـتـلـقـوه عـلـى هـام وراحْ
إنـه أولُ عـصـفـور لـهـم هزَّ في الجوِّ جناحيه وصاحْ
دبّـتِ الـهـمـةُ فـيـه ومـشـت عزماتٌ منك يا (حربُ) صحاحْ
نـاطحَ الـنـجمَ فـتـى عـلـمتَه في حياةٍ حرة كيف النطاحْ
لك في الأجيال تمثالُ مَشى وجدوا الرشدَ عليه والصلاحْ
جـاوز الـنـيـلَ وعـبـرَيْـه إلـى أكمِ الشامِ وهاتيك البطاحْ
فارسَ الجوّ سلامٌ في الذرى وعلى الماء ومن كل النواحْ
ثِبْ إلى النجم وزاحمْ ركنه وامـتـلـئ مـن خُـيَـلاء ومـراحْ
إن هذا (الفتح) لا عهد به لضفاف النيل من عهد (فتاحْ)
تلك أبوابُ السماء انفتحت ما وراء الباب يا طيرُ النجاحْ
أسـمـاءُ الـنـيـل أيـضًـا حَـرَم من طريق الهند أم جوٌّ مباحْ

❋ ❋ ❋

عين شمس مُلئتْ من مَوكب كـان لـلأبـطـال أحـيـانًـا يـتـاحْ
رُبـمـا جـلـل وجـهَ الأرض أو ربما سدَّ على الشمس السراحْ
إن يـفـتـه الـجـيـشُ أو روْعـتـه لم يفته النَّشَأ الزهر الصباحْ
وفـدى (فـائـزة) سُـمْـر الـقـنـا وفدى حارسها بيض الصفاحْ
ولـقـد أبـطـأتَ حـتـى لـم يـنـمْ للحمى ليلٌ ولم ينعم صباحْ
فـابـتـغـى الـعـذرَ كـرامٌ وانـبرتْ ألسنٌ في الثلم والهدم فصاحْ

تلتوي الخيل على راكبها — كيف بالعاصف في يوم الجماحْ
ليس من يركبُ سَرْجًا ليّنًا — مثلَ من يركب أعراف الرياحْ
سر رُويدًا في فضاء سافر — ضاحك الصفحة كالفردوس ضاحْ
طرفت عينًا به الشمسُ فلو — خُيّرت لم تتحفًّن للرواحْ
وتكاد الطير من خلته — تتعالى فيه من غير جناحْ
قفْ تأمل من علوّ قبةً — رُفعت للفصل والرأي الصراحْ
نزل النوابُ فيها فتيةً — في جَناح، وشيوخًا في جناحْ
حملوا الحق وقاموا دونه — كرعيل الخيل أو صفّ الرّماحْ

❀ ❀ ❀

يا أبا الفاروق من ترعى ففي — كَنَفِ الفضل وفي ظلّ السماحْ
أنت من آبائك السحب وما — في بناء السحُب الأيدي الشحاحْ
يدك السمحة في الخير، وفي — همة الغرس، وفي أسو الجراحْ
نحن أفلحنا على الأرض بكم — ورجونا في السماوات الفلاحْ

أحمد شوقي

نثرة اجتماعية

* كان حكماء العصور الماضية يعدُّون أغنى الناس أقلَّهم مَطالبَ، ويعدُّون أفقرهم من كان عبدَ مُشتهياته.

وهذا الرأي لا يزال منطبقًا على الظروف الراهنة، كما كان منطبقًا على الظروف السالفة وسيظل منطبقًا على ما يكون في المستقبل.

* بعد أن تُسدَّ حاجة المطالب الأساسية للإنسان تصبح كل رغبة متسلطة عليه شيطانًا شديد القسوة، حتى تكون المئات في يومه لا تساوي عنده ما كانت تساويه الآحاد في أمسه.

* سرُّ السعادة في أن تكون الرغائب أقل ما يستطاع.

* لا يمكن أن تنمو الثروة الأهلية في أمة إلا بزيادة عدد العقلاء فيها، الذين يستطيعون التحرر من ربقة الرغائب والمشتهيات لتوفير الثروات.

كيف ينظم الشعراء؟

❑ **أحمد شوقي:**

سئل كلٌ من الشعراء الثلاثة، شوقي وحافظ ومطران:

كيف تنظم الشعر، وكيف تشرع في تأليف القصيدة؟

فكان هذا جواب شوقي:

«أول ما يخطر لي حينما أفكّر في قرض الشعر، أن أجمع النقط المهمة التي أرمي إليها من القصيدة. فإذا انتظم لي هيكلها من هذه الناحية، اخترت لكل قصيدة رويَّها وبحرها اللذين توحي إليّ أذني ونفسي أنهما ينهضان بالموضوع. وأعظم ما أكون ارتياحًا إلى قول الشعر بعد منتصف الليل، إذ يجد الخيال مسرحًا متسعًا في هدوء الليل وسكونه، لكن ذلك لا يمنعني أن أقول الشعر إذا جاش به صدري في كل وقت وكل مكان، لا يشغلني عنه شاغل حتى في المجالس والمحافل».

❏ **حافظ بك إبراهيم:**

وكان هذا جواب حافظ:

قال بعد أن أخرج ورقة من جيبه بها نحو خمسة أبيات أو ستة: «نظمت هذه الأبيات أمس، ثم وقفتْ قريحتي ولا أدري متى أتمُّ القصيدة. ولكني أؤكد لك وأنا أكلمك الآن أنّ عقلي يشتغل وحده بإتمام القصيدة، ولابد أني بعد ساعة أو يوم أو يومين ستهجم عليَّ المعاني فأتمها. وهناك عوامل تجعلني أجيد: منها أن أكون في حالة من الشجن تجاور الحزن، أو أكون مضطرًا متعجلًا، أو أكون في أرق. أما الصفاء والأنس والفرح والسير في الرياض وعند الماء والشجر فتحْدث في نفسي حالات لا تواتيني على النظم، فأنا لا أجيد القصائد في التهاني نفسها إلا وأنا حزين. وأنا أمؤمن بأن لكل شاعر شيطانًا؛ لأني أكاد أسمعه يهمس في أذني المعنى؛ وأحيانًا يضرب فيغلق علي. وأنا أقيد همساته ببيت أكتبه في القهوة، وآخر أكتبه وأنا بالقطار، وآخر وأنا أحادث الأصحاب. . . . ومن عوامل الإحسان والإجادة عندي أن تكون هناك مجاراة، كأن ينشد معي شاعر آخر».

❏ **خليل بك مطران:**

وكان هذا جواب مطران: عندي نوعان من الشعر:

الأول يجيء عفوًا وبداهة، وهو شعر الطلب في المدح والرثاء ونحوهما. وهذا لا يكلفني مجهودًا؛ لأني لا أتعنى في إتقانه، فأكتبه كما يتفق.

أما الثاني، وهو ما يجيء بعد استعداد وتحضير، فهو الشعر الفني، وهو يحدث لي وكأني حسب الظاهر أختاره، وإنما هو في الواقع بإيحاء قاهر من حادثة، أو قصة، أو غاية اجتماعية أو سياسية يخطر لي تأييدها والدعوة إليها.

وعندئذ تجتمع في ذهني على جملة أيام فكرة القصيد بمجموعها. وأحيانًا أدوّن ما يخطر ببالي من الأفكار بشأنها في قالب النثر. ثم أعود فأنظمها. وأحيانًا لا أدوّن هذه الأفكار. ولكن المهم أن خاتمة القصيدة أو الغاية المنشودة تكون حاضرة في ذهني قبل الشروع في النظم.

ومعظم نظمي في الصباح، وأحيانًا أنشد الخلوة الذهنية في قهوة، ولا يعوقني عندئذ عن النظم كلام أشخاص أو لعبهم النرد أو الموسيقى، وأنا أعيد النظر كثيرًا فيما أنظم ولا أتعجل. ولكن هناك ظروفًا تجعلني أحسن النظم وأوفيه حقه، ولو كنت مع ذلك مستعجلًا. فلما مات صديقي شبلي شميّل مثلًا حزنت عليه جدًّا، ونظمت رثائي فيه في يوم واحد، ولكن هذا اليوم كان يعدل لدي ثلاثين يومًا. فقد خرجت منه مجهودًا مقتولًا. وكذلك حدث لي في وفاة كل من صديقيَّ إبراهيم البازجي، ونجيب الحداد».

اجتناب الغضب

* قال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو أمير المؤمنين: والله ما تقضي بالعدل، ولا تعطي الجزل. فغضب عمر حتى عُرف ذلك في وجهه. فقال له رجل: يا أمير المؤمنين ألا تسمع أن اللَّه تعالى يقول: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾، فهذا من الجاهلين. فقال عمر: صدقت. فكأنما كانت نارًا فأطفئت.

* قال محمد بن كعب: ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان بالله: إذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل، وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له.

* جاء رجل إلى سلمان فقال: يا عبد اللّٰه أوصني. قال: لا تغضب. قال: لا أقدر: فإن غضبت فأمسك لسانك ويدك.

العمل رياضة العقل

نكتب هذه المقالة لفائدة كل عامل في كل عمل: الكاتب في الشركة، والعامل في المخزن، والبائع في الدكان، والمحرر في الجريدة، والنساج في الإدارة، والمخبر في الصحيفة، والكومبساري في القطار، والخادم في المنزل.

إن أعظم خطر ترتكبه هو إهمالك العمل المفروض عليك، لمجرد تصورك (أنك تعمل لمصلحة سواك فلا يجب أن تعمل كثيرًا). ولكن اذكر أن كل أمانة تبديها في عملك هي خدمة لذاتك. أنت تعمل لنفسك. إنك إذا كنت أمينًا في عملك المأجور فإنما تخدم نفسك قبل أن تخدم رئيسك. يوجد شيء واحد فقط يفيدك ويحسن حالك ويعليك ويرفع مقامك، وذلك الشيء الوحيد هو سعيك واجتهادك.

أنت تبدأ حياتك ولك قوى عقلية معلومة، وقوى جسدية معينة. تلك القوى العقلية والجسدية لا بد لها من المصير إلى إحدى الحالتين.

إما أن ترتقي وتزداد، وإما أن تنحط وتضعف. ومصير قواك هذه متوقف عليك، فإما إلى الارتقاء وإما إلى الانحطاط.

كل عمل تعمله يفيد مهما كان تافهًا، ولا يفيدك أن تُهمل أي عمل توليته، فإنك إما أن لا تتولاه، وإما أن تتولاه فتحسن عمله.

قد تعمد إلى التكاسل ظنًّا منك أنك تتمتع براحة الكسل على حساب الرجل الذي يستخدمك، وهذا الظن يدل على قلة أمانتك، وهو في الوقت نفسه دليل

الحماقة. قد تسرق من صاحب العمل الوقت الذي يدفع لك أجرته، ولكنك إذ ذاك تسرق من نفسك وتسيء إليها.

تقول: إن صاحب العمل لا يدفع لك ما تستحقه من الجزاء. قد يكون الأمر كذلك، ولكن هذا لا يستدعي أن تسيء إلى أدبك وأخلاقك بواسطة الخيانة، ولا هو عذر مقبول يحملك على عدم ترقية قواك. فالمكان الذي تعمل سواء كان شركة أو جريدة أو مخزنًا لبضاعة إنما هو مفيد لعقلك فائدة الرياضة لأعصابك. أنت تدخل إلى محل مفيد لعقلك فائدة الألعاب الرياضية لتمرين جسمك، وتدفع أجرة مقابل إجازتهم لك أن تمرن جسدك هناك، فلا تقول في نفسك: (إن محل الرياضة هذا خاص برجل آخر، وهو الذي يستفيد من دخله، فلذلك لا يجب علي أن أعمل فيه باجتهاد ومشقة).

أنت لا تقول هذا، بل تعلم أن الرجل سمح لك أن تمرن جسدك، وأنه أخذ أجرة، ومع ذلك فأنت تشكر له وتمارس الرياضة البدنية في محله بمزيد الاجتهاد والعناية. فلا تترك رياضة فيه حتى تستفيد منها. كذلك افعل في عملك كما تفعل في ساعات الرياضة. إن كل عمل يفيدك ويزيدك نجاحًا إذا مارسته بأمانة ونشاط. إذا كنت تكنس إدارة فاكنسها جيدًا وابدأ بكنسها كل صباح في الموعد المعين بمزيد الحرص والتدقيق، واذكر أن الأمانة في كنس المكتب قد تستعمل يومًا لتولى أحكام مدينة.

مرن عقلك بواسطة العمل مهما كان نوع ذلك العمل، راجع تواريخ الرجال الذين نجحوا من قبل، تجد أنهم أحسنوا كل عمل وسد إليهم.

كان أديسون عامل تلغراف بسيط، فلم يكفه أن يعمل كما يعمل سائر رفقائه العمال، وإنما اجتهد، وكان يعمل بنشاط وسعي وراء جعل أدوات سيدة مفيدة، ثم صار صاحب عمل خاص ولديه عمال، ثم صار مخترعًا يفيد الأمة باختراعه.

الأذكياء من قراء هذه المقالة يعلمون أننا لا نحض العمال على العمل بما فوق طاقتهم، وبقطع النظر عن مصلحتهم وراحتهم، وإنما نريد الخطة المثلى وهي هذه:

اعمل بقدر ما تستطيع الآن، ولا تحمل نفسك ما لا تطيق.

لا تعمل ليلك كله ثم نهارك أيضًا. مثل هذا الاجتهاد مضر بقواك الحيوية، ورأس مالك الأصلي الثمين، ولكن لا تمرن نفسك على إهمال عملك. لا تتكاسل على حساب سواك. كن أمينًا في معاملة رئيسك. قد يتيسر لك خداع عشرة من رؤسائك، ولكنك لا تقدر أن تخدع الله، ولا تقدر أن تغش نفسك، فأنت لا تقدر أن تربي في ذاتك العادات الحسنة إلا بالعمل النظامي المرتب، ولا تقدر أن ترقي قواك العقلية إلا بالأمانة العامة في التمرين والعمل.

العمل وحده لا يكفى بل لا بد معه من الاجتهاد والأمانة.

قد لا تدرك منزلة سامية، ولكن ما دمت أمينًا في عملك فأنت ضامن لنفسك النجاة من الفشل والبعد عن السقوط في الخمول.

إذا شئت أن تُصلح العالم فابدأ بإصلاح نفسك؛ لأن العالم مؤلف من أفراد أنت واحد منهم.

الحلم

* قال عمر رضي الله عنه: تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم.

* وقال الحسن: اطلبوا العلم، وزينوه بالوقار والحلم.

* وقال أكثم بن صيفي: دعامة العقل الحلم، وجماع الأمر الصبر.

حِكم

* قال عيسى عليه السلام: مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت في السر فحملت فظهر حملها فافتضحت. فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه اللَّه يوم القيامة على رؤوس الأشهاد.

* قال مالك رضي الله عنه: إن طلب العلم لحسن، وان نشره لحسن، إذا صحت فيه النية. ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي، فلا تؤثرن عليه شيئًا.

* ورد في الآثار: قال تعالى لعيسى عليه السلام: «يا ابن مريم عظ نفسك، فإن اتعظت فعظ الناس، وإلا فاستحي مني».

* قال الشعبي: يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون لهم: ما أدخلكم النار، وإنما أدخلنا اللَّه الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم؟

فيقولون: إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله، وننهى عن الشر ونفعله.

كلمات ديوجانس

* حاول واحد من السوفسطائيين أن يُظهر قوة إدراكه وسلامة رأيه لديوجانس الفيلسوف فقال له:

يا ديوجانس إنك لست أنا، وأنا رجل، فلست أنت برجل.

فأجاب ديوجانس:

لو قلت: أنت لست أنا، وسكت؛ لأنتجت بنفسها أنك لست برجل!

❁ ❁ ❁

* اتهم رجل ديوجانس بتزييف النقود وغشها والتلاعب فيها.

وقال له:

إنك يا ديوجانس تخون بعملك هذا وطنك وتخون الأمانة.

فأجاب ديوجانس:

نعم إني كنت في الأيام الخالية كما أنت الآن، ولكن ما أنا عليه الآن لا تصل إليه أنت طول عمرك.

❁ ❁ ❁

* رمى بعضهم ديوجانس في حسبه ونسبه ونعته بالخسة والضعة والهوان وقال له:

والله يا ديوجانس ليس بمثل هذه الخلال وهذه النعوت تشرف الفلسفة وتكرم الحكمة وتعظم الحجة.

فأجاب ديوجانس قائلًا:

اعلم يا هذا أن حسبي عيب علي عندك، أما أنت فعيب على حسبك عندي!

❁ ❁ ❁

* قال رجل لديوجانس وكان يشتغل في صناعة التصوير وزهد فيها وزاول صناعة الطب:

إنك يا ديوجانس لم تتقن في حياتك غير الفلسفة، أما أنا فأفضلك لأني اشتغلت في فن التصوير وتركته إلى غيره، فاشتغلت في صناعة الطب.

فأجاب ديوجانس قائلًا:

قد أحسنت يا هذا، فإنك مذ رأيت خطأ التصوير ظاهرًا للعيان وخطأ الطب يواريه التراب، تركت ذاك ودخلت في هذا!

❁ ❁ ❁

* سأل أحدهم ديوجانس:

أتعرف يا ديوجانس ما هي الحكمة في إحسان الناس وتصدقهم على العمي والعرج، وعدم إحسانهم وتصدقهم عليكم أنتم معشر الفلاسفة؟

فأجاب ديوجانس قائلًا:

إن الحكمة في ذلك لأن الناس متأهلون ومستعدون للعمي والعرج، وليس كل واحد أهلًا للفلسفة.

❁ ❁ ❁

* اختلف ديوجانس وامرأته وتلاحيا، فقالت له: أما نظرت يا هذا إلى وجهك الدميم ولو مرة واحدة في المرآة، فتعذر زوجك في تبرمها وقلقها؟

فأجابها ديوجانس:

اعلمي يا هذه أني أعرف الناس بخَلقي، وأعرفهم بخلقك. إن منظر الرجال بعد المخبر، ولكن مخبر النساء بعد المنظر.

❁ ❁ ❁

* سأل ديوجانس أحد المسرفين دينارًا، فقال المسرف: إنك يا ديوجانس تطلب مني دينارًا في الوقت الذي تطلب فيه من غيري درهمًا.

فأجاب ديوجانس قائلًا:

ذلك لأن صاحب الدرهم يعطيني كلما سألته، وأما أنت فإني أشك أن أجدك

بعد اليوم على حال يسمح لك أن تعطيني مرة ثانية؛ لأنك مبذر وذاك مُدَبر.

❃ ❃ ❃

* حاول واحد من أصحاب ديوجانس أن ينقذه وقت محنته من سجنه، فقال له ديوجانس:

لماذا جئت إلى هنا أيها الصاحب؟

فقال الصاحب لديوجانس:

إنما جئت لأنقذك وأخلصك من ذل العبودية لتتمتع بالحرية.

فأجاب ديوجانس:

أبك جنون، أم أنت تهزأ بصاحبك؟

فقال صاحبه وهو يحاوره:

وكيف ذلك وما أردت إلى الإصلاح لك لأنك أسير.

فأجاب ديوجانس:

اذهب أيها الصاحب بسلام، واعلم أن السبع ليس أسيرًا عند من يطعمه، وإنما المطعم للسبع والخادم له هو أسيره.

❃ ❃ ❃

* قال لوسياس العقاقيري لديوجانس:

هل يعتقد ديوجانس بوجود اللّه تعالى؟

فأجاب ديوجانس قائلًا:

وكيف لا يعتقد ديوجانس بالله ﷻ، مع علمه أنه عدوك الأكبر؟

❃ ❃ ❃

* جلس ديوجانس في الطريق وكان جائعًا، فأكل وهو جالس في مكانه في الطريق، فالتف الناس حوله وأكبروا منه هذا العمل وقالوا له:

إن ديوجانس يأكل الآن في الطريق ككل كلب يأكل.

فقال ديوجانس:

ليس ديوجانس هو الذي يشبه الكلب، ولكنكم أنتم الذين تشبهونه لأنكم اجتمعتم حول من يأكل.

❁ ❁ ❁

* ذهب الإسكندر إلى مدينة قورنته لرؤية ديوجانس، فرآه جالسًا في قرص الشمس، فقال له الإسكندر:

أنا الملك الأكبر الإسكندر.

فأجاب ديوجانس: وأنا الكلب ديوجانس

فقال الإسكندر: أما تهابني وتخشاني يا ديوجانس؟

فأجاب ديوجانس: وهل أنت طيب أم رديء؟

فقال الإسكندر: بل إني طيب ومحبوب.

فأجاب ديوجانس: ومن الذي يهاب الطيب ويخشاه!.

فقال الإسكندر: إني يا ديوجانس أعلم بحاجتك إلى أشياء كثيرة، وأكون مسرورًا ومغتبطًا إذا أنا وفقت لقضائها.

فأجاب ديوجانس: إذا عاهدني الملك الأكبر على الوفاء بما أرجو مرضت عليه ما شئت.

فقال الإسكندر: لك عليّ ذلك العهد.

فأجاب ديوجانس: إن كل ما أطلبه منك هو أن تتحول من هذه الجهة، فقد منعت عني ضوء الشمس وقطعت لذتي بها!

❁ ❁ ❁

* قال رجل لديوجانس:

والله يا ديوجانس إنه من أكبر العيب أن فيلسوفًا مثلك يعيش كما يجيء لا كما يجب، وليس لك بيت تسكنه وترتاح فيه.

فأجاب ديوجانس:

وأنت والله لو فقهت معنى الحكمة وأسرار الحياة لعلمت أن الإنسان إنما يحتاج إلى البيت ليستريح فيه، وحيث استراح فهو بيت له.

العالم النصوح

ورد في القول المأثور: لا تجلسوا عند كل عالم، إلا إلى عالم يدعوكم من خمس إلى خمس: من الشك إلى اليقين. ومن الرياء إلى الإخلاص. ومن الرغبة إلى الزهد. ومن الكِبر إلى التواضع. ومن العداوة إلى النصيحة.

غرناطة العرب

نظم الشاعر الأسباني (فيلا سباسا) - وهو من سلالة عرب الأندلس - قصيدة باللغة الأسبانية يرثي بها العصر الذهبي الذي كان لغرناطة أيام حكم أجداده العرب المسلمين.

وقد ترجمها الشاعر المجيد فوزي أفندي المعلوف بما يأتي:

غرناطة، أواه غرناطةٌ! لم يبق شيء لك من صولتكْ!
هل نهركِ الجاري سوى أدمعٍ تجري على ما دال من دولتكْ

والنسمة الغادية الرائحه
هل هي إلا زفرة نائحه

ما عدت في النهر كسلطانةٍ جبهتها في مائه ساطعه
للقبة الحمراء في تاجها وهج، وللمئذنة اللامعه

آهٍ على أمجادك الضائعه
شيعتها بالنظرة الدامعه

مَرَّت مرور النهر من جسره وأورثتك الدمع في عزلتكْ
غرناطةٌ؛ أواه غرناطةٌ لم يبق شيء لك من صولتكْ

❋ ❋ ❋

لله حمراؤك تحسو الأسى وحيدةً في الروضة الخاليه
لم يبق لا زهوة ندمانها ولا صدى أعيادها الماضيه

ولم يعد للحب فيها أنينْ
ينقله العود عن العاشقينْ

بينا يجيل البدر ألحاظه باهتة في المرمر اللامع
بين أريج الزهر المنتشي وبين شدو البلبل الساجع

وقصرها الخاوي بأرجائه
كم غمر الليل بضوضائه

إذ الجواري خاطراتٌ على سجاده جاريةٌ جاريه
أرْوَع ما في الشرق من رقصة تنسجها أقدامها العاريه

❁ ❁ ❁

غرناطة أواه غرناطةٌ ما أنت إلا خِربٌ قابعه
تحمل أسرابُ السُّنُونو إلى أفريقيا أنباءَكِ الفاجعه
هناك أبناؤكِ من بأسهم
باكونَ، لا باكون من يأسهم
عَرّوا من الأغماد بيضَ الظبا ووشّحوا الخيلَ ببيض السروج
ويمموا البحرَ فلما بدتْ منكِ على الأفق جبالُ الثلوج
خروا على أوجُههم راكعين
وزفروا من قهرهم صارخين
غرناطة، أوّاه غرناطةٌ! ضِعت، فيا للعظم الضائعه!
فتِرفر الموج ويبكي لهم حين يرى أعينهم دامعه

❁ ❁ ❁

فيلا سباسا العربي

هو أكبر شعراء أسبانيا اليوم، ورئيس ندوة الشعر فيها، وصاحب مؤلفات تزيد على مائة وخمسين ما بين شعر ونثر.

هو من سلالة العرب الذين تخلفوا في أسبانيا، وتجنسوا - بطبيعة الحال - بجنسية أهلها، لكنه وفيّ لأصله، ويبكي العرب في شعره وخطبه وأحاديثه، ويفتخر بأنه من سلالتهم. وقصيدة (غرناطة العرب) إحدى دمعاته اللؤلؤية على ذلك العصر الذهبي.

أحمد تيمور باشا

أنعي إلى إخواني المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها مَثَلًا ملائكيًا من أمثلة الوفاء للإسلام.

أنعي إلى الأمة الإسلامية المسكينة الفقيرة في رجالها رجلًا استكمل صفات الكمال، وأخذ على نفسه عهدًا أن يسير على قَدَم الأنبياء والصالحين، فوفت له نفسه بما عاهدتْ عليه، إلى أن اختاره اللَّه لدارٍ خيرٍ من هذه الدار، وجِوار أرضى وأكرم من هذا الجوار.

أنعي إلى المجاهدين في سبيل هدى محمد ﷺ إمامًا من أئمة هذا الجهاد، إمامًا جاهد نفسه أولًا فكانت أطوع نفس لصاحبها في الأنس بطاعة الله، والعمل لما يُرضي الله، وتأييد الدعوة إلى دين الله.

أنعي أحمد تيمور باشا؛ الدرَّة اليتيمة التي كانت أغلى وأعلى من عصرها، فكان هذا العصر بفقره في الفضائل، وانحلاله في الأخلاق، أقصر يدًا من أن يكون على اتصال بها. وأن درة خلقها اللَّه لتكون زينة الفراديس تظلُّ غريبة في آفاق الدنيا، حتى تحلّ من جوار بارئ الملكوت بالمحل اللائق بها.

فقدنا العلامة العظيم المغفور له أحمد تيمور باشا، ونحن أحوج ما كنا إلى محصول علم قضى في تحصيله وتحقيقه خمسين عامًا، فاجتمع عنده من تأليفه عشرات الكتب القيمة النفيسة التي لم يجر قلمه بكلمة منها على قرطاس إلا بعد تثبت واستقصاء واطمئنان؛ فكان ما يكتبه تيمور باشا مضرب المثل في الصحة والتحرير والتنقيح عند كل مشتغل بالعلوم العربية والمعارف الإسلامية من إسلاميين ومستشرقين. وكم كان حظ العلم عظيمًا لو أنه تولى تبييض هذه المؤلفات بنفسه، ووقف على نشرها بنفسه.

فقدنا العلامة العظيم المغفور له أحمد تيمور باشا، ونحن أحوج ما كنا إلى نضوج عقله النامي، إلى دلالة نظره الثاقب، وإلى هداية ضميره الطاهر المشرق بنور الإيمان.

فقدنا رجلًا لا يكاد يعرف الناس له شبيها في دقة الشعور، ورقة الإحساس، وطهارة الذيل، وعفة النفس؛ فهو منذ طفولته إلى أن ودعناه الوداع الأخير لا يذكر له الساخطون على نور الهدى المحمدي سيئة قط، غير تمسكه بأهداب الإسلام وتأييده له ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

❁ ❁ ❁

بنفسي هذا الكريم، وقد ساقتني الأقدار لزيارته عند آخر عهده بالدنيا، فسهرتُ معه من غروب الشمس إلى ساعة النوم، وكان أقوى وأنشط ما رأيته منذ عام كامل: يضيء البِشرُ جميع وجهه، وتملأ البهجة صدره ونفسه، وكنت كلما أردت مفارقته لينام، أصر على استبقائي كأنه كان يرى بنور اللَّه أنه لم يبق بينه وبين أن ينتقل إلى جوار ربه غير أن ينام بضع ساعات، ثم يتركنا في هذه الدنيا نكابد شرورها ونقاوم آثامها. ففارقته في الليل، ثم كان آخر عهد بالدنيا فجر ليلة الوداع التي لا أنساها.

ثلاثة وعشرون عامًا مضت على شرف معرفتي صاحب تلك النفس الكريمة التي عرجت بها ملائكة الرحمة إلى سدرة المنتهى، إلى جنة المأوى، فكانت كلمحة المختطف انقضت وتركت في القلب حُرْقة؛ وفي الصدر غُصَّة، وفي آماق العيون جفافًا، لئلا تجد النفس بالدمع راحة تخفف من آلام الكارثة العظمى.

إنا لله وإنا إليه راجعون، في ذمة اللَّه تلك النفس الملائكية التي كانت تشعر بالغربة بين أهل عصر كله فتنة، وكله امتحان. لذلك عجَّل اللَّه باختيارها، فما

أسعدها من رحلة لصاحبها، وما أشقى أثرها في عدد قليل من الناس يعرفون أَيَّةَ درّة يتيمة فقدوا، وأَيَّةَ نفس كريمة ودَّعوا.

إذا كان من العفة أن لا يجد المرء مطيّة يرحل بها عن آفاق العفاف، فإن العفَّة كل العفَّة أن يتيسر المرء كلُّ ما يذهب به مذاهب الهوى، ثم لا يكون له من فضائله شكائمُ قوية تقف به عند حدود الله، وتصرّف عنان ميوله في الطرائق التي ترضي الله، وترسم له خطط الاستقامة بين مبادئ الحق والفضيلة، والغايات التي يصير بها العبد إلى الله. كذلك كان فقيد الإسلام أحمد تيمور باشا كما رأيته في ثلاثة وعشرين عامًا، وإن ما قد نشعر به في بعض الأحيان من غيرة على الحق واليقين كأنه عدوى تنتقل إلينا، من غيرة إسلامية كانت سليقة فيه، وفطرة محمدية كان يقيس أنسه ونفرته بمقياسها: فيوالي من والى اللّه ويبرأ ممن عادى الله، إلى أن صار إلى رحمة الرحمن الرحيم.

❊ ❊ ❊

وداعًا أيها العالم العظيم الذي طلب العلم للعلم وحده، فبلغ فيه أعلى ذروة يطمع في الوصول إليها عشاق التثبت والتحقيق.

وداعًا أيها المسلم العظيم الذي حلَّ الإسلامُ من فؤاده في المحل الأكرم، فيئست زينة الدنيا أن تدنو من قدس الأقداس في ذلك الفؤاد.

وداعًا أيها الإنسان الذي كان ينظر إلى جاه الدنيا ومعاليها نظرة الاحتقار والامتهان، بعد استكمال أسباب القدرة على حيازتها.

وداعًا يا من كان يرى العظمة لله وحده، فتخلق بخلق التواضع الكريم، وكان ينظر بعين الشفقة إلى هذه الحشرات الشامخة بأنوفها، المستعيضة مما نشعر به من حقيقة الذل بما تتظاهر به من بهرج الكبرياء.

وداعًا أيتها الفضيلة التي كانت بصورة البشر، ثم رفعها اللَّه إلى فراديسه تتبوأ مقعد الصدق عند مليك مقتدر(١).

رحمة اللَّه عليك..، وحسبك برحمة اللَّه بديلًا من كل ما تركتَ وراءك.

محب الدين الخطيب

رثاء أحمد تيمور

الناس دونك فالتمس من بينهم — من شئت مجتهدًا بلا استثناء
وطُف البلاد وصف هوية أهلها — واحذر بأن تغتر بالأسماء
فإذا يئست بأن تصادف مثله — بعد اختبار طال واستقراء
فاعلم بأن مصابنا في (أحمد) — هيهات نفثؤهُ بأي عزاء
جلَّت عن الصبر المصيبة إنها — في مفرد ليس اسمه بثُنائي
من ذا يردُّ لذي احتياج نفسه — من ذا يصون كرامة الفقراء
من ذا يحل المشكلات فتنجلي — حتى تلابس فكرة البسطاء
سل أي مسألة تعذَّر فهمها — من شق عنها كَلة الظلماء
هو في الذؤابة من بيوتات العلا — والكوكبُ الدري في العلماء
وتراه يخفض الفقير جناحه — ويخصه برعاية النظراء
خُلُق غريب في الوجود وجوده — ولذاك عُدَّ به من الغرباء

❀ ❀ ❀

يانوبة لما أصابت قلبه — أودت بقلب الهمة الشماء

---

(١) هذا من التفاؤل، ورجاء رحمة اللَّه له. (س).

ماذا فعلتِ وأيَّ آمال أما حطَّمت هيكلَها وأي رجاء
في ذمة المولى وواسع فضله نفسٌ سيجعلها مع الشهداء

محمّد صادق عرنوس

أحمد تيمور باشا

تجري عليك الأدمع الجاريه من أعين فياضة باكيه
من لغة كنت إمامًا لها وكنت فيها الحجة الراويه
(لسانها) من حزنها صامت! وعينها من الآسي داميه

❁ ❁ ❁

يا دار (تيمور) وهل تسمع الـ ـدارات تلك النغمة الشاجيه؟!
أين الذي حسنك من حسنه وأين منه الأمن والعافيه؟
أين الذي كان على ضعفه يقوى على أبحاثه الضافيه؟
لا يقنع الناس بدنياهمو ونفسه القانعة الراضيه
يزينه في كل أطواره تواضع في همة عاليه؟
لم تلهه الدنيا. ولم تغوه عن خدمة الفصحى المنى الغاويه!
ولا زهاه العلم في أمة جهالها في فتنة زاهيه
ولا ثناه الضعف عن غاية تضن فيها النفس (بالثانيه)!
ولا غلا بالنفس عن مأرب ترخص فيه الأنفس الغاليه!؟

❁ ❁ ❁

شيخ طواه الموت في حفرة يا عجبا للحفرة الطاويه!
قد أطفأ المقدارُ أنواره وعطل الموت هنا ناديه

وداهم الموت هنا حجة ... في لغة الأمصار والباديه
كنا ادخرناها لآمالنا ... فأصبحت آمالنا خاويه!

❀ ❀ ❀

يا نائمًا في القبر تحت الثرى ... وأعين الناس هنا صاحيه!
ذكراك لا تبلى وإن غيرت ... أيدي البلى عظامك الباليه
لو أنصف الناس - وما أنصفوا - ... وعوك في الأفئدة الواعيه
فمثلك: الأنفس أولى به ... من الثوى في تربة نائيه!

محمد عبد الغني حسن

غروب الشمس

نزلتْ تجر إلى الغروب ذيولا ... صفراء تشبه عاشقا مَتْبولا
تهتز بين يد المغيب كأنها ... صَب تمايل في الفراش عليلا
مذ حان في نصف النهار دلوكها ... هبطت تزيد على النزول نزولا
قد غادرت كبد السماء منيرةً ... تدنو قليلًا للأفول قليلا
وغدت بأقصى الأفق مثل عرارة ... عطشت فأبدت صفرة وذبولا
غربت فأبقت كالشواظ عقيبها ... شفقًا بحاشية السماء طويلا
شفقًا بروع القلب شاحب لونه ... كالسيف ضُمِّخ بالدما مسلولا
يحكي دم المظلوم مازج أدمعًا ... هملت بها عين اليتيم همولا
حتى توارت بالحجاب وغادرت ... وجه البسيطة كاسفًا مخذولا

معروف الرصافي

روائع مسكين الدارمي

❑ جناحا البازي ❑

أخاك أخاكَ إنّ مَنْ لا أخاله كَساعٍ إلى الهَيجا بغَير سِلاحِ
وإنّ ابنَ عمِّ المرء فاعلمْ جَناحهُ وهل يَنهض البازي بغير جَناحِ
وما طالبُ الحاجات إلا معذَّبًا وما نال شيئًا طالبٌ لنجاحِ!
لحا اللهَ مَنْ باع الصديقَ بغيره، وما كلُّ بيع بعته برَباحِ!
كمفْسِدٍ أدناهُ ومُصلِح غيرِه ولم يَأتمر في ذاك غيرُ صلاحِ؟

❑ الفاحش الأحمق ❑

وهذه القصيدة من أحسن شعره:

اتّق الأحمقَ أنْ تصحَبَه إنّما الأحمقُ كالثوب الخَلِقْ
كلّما رقّعتَ منه جانبًا حرّكته الريحُ وَهنًا فانخرقْ
أو كصَدعٍ في زجاج فاحش! هل ترى صَدْعَ زُجاج يتّفق!
وإذا جالستَه في مجلس أفسد المجلس منه بالخَرَقْ
وإذا نهنَهْتَهُ كي يرعوي زادَ جهلًا وتمادى في الحُمُقْ
وإذا الفاحشُ لاقى فاحشًا فهنا كمْ وافَق الشنُّ الطَّبَقْ
إنما الفُحْشُ ومن يَعتادُه كغُرابِ السَّوء ما شاءَ نفَقْ
أو حِمارِ السَّوءِ إن أشبعته رمَح الناسَ وإن جاع نهَقْ
أو غُلام السَّوءِ إن جوَّعتَه سرق الجارَ وإن يَشبَع فسَقْ

❁ ❁ ❁

أيُّها السائلُ عمَّا قد مضى هل جديدٌ مثلُ ملبوسٍ خَلَقْ!
لا أبيع الناسَ عِرضي، إنّني لو أبيعُ الناسَ عرضي لنفَقْ

❑ الجار ❑

ناري ونارُ الجارِ واحدةٌ ... وإليه قَبْلي تُنزَلُ القِدرُ
ما ضرَّ جاريَ أنْ أجاورَه ... أن لا يكونَ لبيته سترُ
أعشى إذا ما جارَتي خرجتْ ... حتّى يواريَ جارتي الخِدرُ
ويصمُّ عما كان بينهما ... سَمعي، وما بي غيرَه وقرُ
لا آخذ الصِّبيانَ ألثمُهُمْ ... والأمرُ قد يُغزَى به الأمرُ
ولربَّ أمرٍ قد تركتُ، وما ... بيني وبين لقائه سِترُ
في المجد غرتُنا مبيَّنة ... للناظرين كأنّها البدرُ
لا يرهبُ الجِيرانُ غدرَتنا ... حتّى يواري ذكرَنا القبرُ

❑ العشراء ❑

إصحب الأخيارَ وارغبْ فيهُمُ ... ربَّ مَن صَحِبتَه مثل الجربْ
واصدُقِ الناسَ إذا حدّثهمْ ... ودعِ الكِذْبَ لمن شاء كذَبْ
ربَّ مهزولٍ سمينٌ عِرضُه ... وسمينِ الجسم مهزولُ الحسَبْ

عيشة البداوة

نصبوا القبابَ على السفوح وخيَّموا ... والنوقُ ترتع، والجيادُ تحمحمُ
رُطَب المُشان مع اللبان غذاؤهم ... والماءُ صافٍ والهواء يرخمُ[1]
والبرُّ بحرٌ والخيامُ سفائنٌ ... والأفق مرجٌ بالنجوم منمنمُ

(١) المشان بلدة فوق البصرة كثيرة النخل، رُطبها من أطيب الرُطب، ومنه المثل: «بعلة الورشان تأكل المشان».

والثوب أوسعُ من بطون عصابة ... تدعو إلى العدل الأنامَ وتظلمُ
والقهوةُ السوداء يُنضجها لظًى ... تُذكى احتفاءً بالضيوف وتضرَمُ
ومناهلٌ وجداولٌ وعقائلٌ ... حولَ المنازل كالحمائم حُوَّمُ
ورماحُهم من حولهم مركوزةٌ ... تحمي الحمى من طارق يتكتمُ
وبناتهم يمرحن أترابًا على ... وِرد المياه كأنهن الأنجمُ
بيضٌ كواعبُ كالظباء قوامصٌ ... أحداقهنَّ جوارحٌ تتكلمُ
من كل فاتنة النواظر دلّها ... دلُّ الفواجر والشمائلُ مَعصمُ
وجهٌ كما شاء الخيالُ يُقله ... بدَنٌ كتمثال الصناع مجسمُ
بِتَرَارَة ممزوجة برشاقةٍ ... في قامةٍ كالرُمح بل هي أقوَمُ[1]
يُسبلن من خَفر الأنوثة برقعًا ... هو للملاحة والجمال متممُ
ولهنَّ في سرد الكلام مناهجٌ ... بعقول أرباب الهوى تتحكمُ
وللفظهنَّ طلاوة وحلاوةٌ ... من دونها شهدُ الخلية علقمُ
يغرين لبَّك بالصبابة خفةً ... ولهن عِرْضٌ بالصيانة مُحكمُ
هو جنة المأوى لأرباب التقى ... لكنه لذوي الفجور جهنَّمُ

❁ ❁ ❁

إن شئت أن تحيى سعيدًا خاليًا ... من كل ما يُؤذي الشعورَ ويؤلمُ
متمتعًا بحضارةٍ بدوية ... فيها التعاشرُ لا يُملُّ ويسأمُ
حرًّا عزيزًا وادعًا متمرّدًا ... متفكهًا بحديث من لا تتهمُ
حسناء يرتاحُ النبيلُ للطفها ... وعَفافها ترعى الجميلَ فتكرمُ
بلثامها، وسلامها، وكلامها، ... روضٌ زها، وبلابلٌ تترنمُ
ورجال صدق يُحسنون جِوارَهم ... ووفاءهم ما أنجدوا أو أتهموا

---

(١) الترارة: البضاضة وامتلاء الجسم.

إذ لا تصنُّعَ في الوجوه، ولا تكلُّـ — فَ في الطباع، ولا عَواذلَ تنقمُ
فاحثثْ مطيَّكَ نحو رَملة عالجٍ[(١)] — واجعلْ مقامك حيث ركبُكَ يمَّموا
للبدو عيش طافح بملذة — هي للسلامة والسعادة سُلَّمُ
من ذاقَ طعمَ نعيمه وصفائه — هجرَ الحضارةَ ما استهلَّ محرَّمُ

سليم عنحوري

كرسي القيادة

لا يزال كرسي القيادة في الشرق الإسلامي خاليًا منذ زمن أطول مما يعتقد الكثيرون منا. وقد انتبه لذلك نابليون بونابرت فقال: (الشرقُ كله في انتظار رجل يتولّاه، ولو استتبَّ لي أن أحالف المماليك لكنت الآن سلطان المشرق).

إحدى المؤامرات على حياة سيد الخلق ﷺ[(٢)]

لمّا قدِمتْ وفودُ العرب على رسول اللَّه ﷺ في سنة تسعٍ من الهجرة، قدم وفدُ بني عامر فيهم عامر بن الطفيل وأَرْبد بن قيس أخو لبيد الصحابيّ لأمّة. وكانا رئيسي القوم ومن شياطينهم. فقدم عامر بن الطفيل عدوُّ اللَّه على رسول اللَّه ﷺ وهو يريد الغدرَ به؛ وقد قال له قومه:

(١) رمل عالج: جبال متواصلة متسعة تجاور الدهناء، قيل: إنها تحيط بأكثر أرض العرب.
(٢) سيرة ابن هشام (٥/ ٢٦٠ - ٢٦٢). (س).

يا عامر، إنّ الناس قد أسلموا فأسلِمْ!

قال: واللهِ لقد كنتُ آليت أنْ لا أنتهي حتى تتبع العرب عَقبي، فأنا أتَّبع عَقِب هذا الفتى من قريش!.

ثم قال لأرْبَد: إذا قدِمنا على الرجل، فإنِّي شاغل عنك وَجهَه، فإذا فعلتُ ذلك فاعْلُه بالسيف!.

فلمّا قدِما على رسول اللّه ﷺ جعل يكلّمه وينتظر مِنْ أربَدَ ما كان أمره به، فجعل أربدُ لا يُحِير شيئًا؛ فلمّا رأى عامرٌ ما يصنُع أربدُ قال عامر للنبي ﷺ:

أتجعلُ لي نصفَ ثِمار المدينة، وتجعلني وليَّ الأمر من بعدكَ وأُسْلِم؟

فأبى عليه ﷺ. فانصرف عامرٌ وقال:

أما والله لأملأنَّها عليك خَيلًا ورجالًا...

فلمّا ولّى قال رسول اللّه ﷺ: «**اللهمّ اكفِني عامر بن الطفيل**».

فلمّا خرجا من عند رسول اللّه ﷺ قال عامر لأربد:

ويلكَ يا أربدُ، أينَ ما كنتُ أمرتُك به؟ والله ما كان على ظَهر الأرض رجلٌ أخوفُ عندي عليَّ منك! وايمُ اللهِ لا أخافك بعدَ اليوم أبدًا...

قال: لا أبا لَك! لا تعجل عليّ! واللهِ ما هممت بالذي أمرتَني به من أمره إلّا دَخلتَ بيني وبين الرجل حتّى ما أرى غيرَك، أفأضربك بالسيف؟!

وخرجوا راجعين إلى بلادهم، حتّى إذا كانوا ببعض الطريق، بَعث اللهُ على ابن الطفيل الطاعونَ في عنقه، فقتله اللّه في بيت امرأةٍ من بني سَلُولَ، فجعل يقول:

(يا بني عامر! أغُدّةً كغُدّة البَكر في بيت امرأةٍ من بني سَلول!).

ثم خرج أصحابُه حين واروه التراب؛ حتّى قدِموا أرض بني عامر، فقالوا: ما وراءك يا أربد؟

قال: لا شيء، واللهِ لقد دعانا إلى عبادة شيءٍ لَوددْتُ أنّه عندي الآنَ فأرمِيهَ بالنّبل حتى أقتله.

فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين، معه جملٌ له يبيعه فأرسلَ اللهُ عليه وعلى جَمَله صاعقةً فأحرقتهما.

الجلساء المأمونون

قال ابن عمران: كنت عند أبي أيوب أحمد محمد بن شجاع فبعث غلامه إلى أبي عبد اللّه بن الأعرابي يسأله المجيء إليه، فعاد إليه الغلام، فقال: قد سألته ذلك، فقال: عندي قوم من الأعراب فإذا قضيت أربي معهم أتيت. قال الغلام: وما رأيت عنده أحدًا، إلا أني رأيت بين يديه كتبًا ينظر فيها، فينظر في هذا مرة وفي هذا مرة، ثم ما شعرنا حتى جاء، فقال له أبو أيوب: إنه ما رأى عندك أحدًا، وقد قلتَ له: أنا مع قوم من الأعراب فإذا قضيت أربي معهم أتيت، فأنشد:

لنا جلساء ما نملُّ حديثهم ... ألباء مأمونون غيبًا ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى ... وعقلًا وتأديبًا ورأيًا مسددا
فلا فتنة نخشى ولا سوء عشرة ... ولا نتقي منهم لسانًا ولا يدا
فإن قلتَ أموات فما أنت كاذب ... وإن قلتَ أحياء فلستَ مفنَّدا

الأهرام

أهرامهم تلك حي الفن متخذًا ... من القبور قصورًا فوق كيوان
قد مر دهرٌ عليها وهي ساخرة ... بما يضعضع من صَرْح وإيوان
لا يأخذ الليل منها والنهار سوى ... ما يأخذ النمل من أركان ثهلان
تستقبل العينَ في أثنائها صورٌ ... فصيحة الرمز دارت حول جدران
لو أنها أعطيت صوتا لكان له ... صدى يروّع صم الأنس والجان

إسماعيل صبري

سادات العرب

قال الجاحظ في كتاب (شرائع المروءة):

كانت العربُ تُسوِّد على أشياء: أمّا مُضَر فتسوِّد ذا رأيها، وأما ربيعة فمن أطعمَ الطعامَ، وأما اليمَن فعَليَّ النسَب.

وكان أهلُ الجاهليّة لا يسوِّدون إلّا مَن تكامَلتْ فيه ستُّ خصال: السخاء، والنجدةُ، والصبر، والحلم، والتواضع، والبيان؛ وصار في الإِسلام سبعًا.

وقيل لقيس بن عاصم: بِمَ سُدْتَ قومَك؟

قال: ببَذل الندى، وكفِّ الأذى، ونُصْرة المولى، وتعجيل القِرى.

وقد يُسوَّد الرجلُ بالعقل والعِفَّة والأدب والعلم.

وقال بعضهم: السُّودد اصطناع العشيرة، واحتمال الجَريرة.

وقال الأصمعيّ: ذكر أبو عمرو بنُ العلاء عيوبَ جَميعِ السادة، وما كان فيهم من الخِلال المذمومة؛ إلى أن قال: ما رأيتُ شيئًا يمنعُ من السُّودد إلّا قدْ رأيناه في سيِّد: وجدنا الحَداثةَ تمنع السُّودد، وسادَ أبو جهل بن هشام وما طَرَّ شاربُه، ودخل دارَ النَّدْوة وما استوت لحيته؛ ووجدنا البُخل يمنع السُّوددَ، وكان عامر بن الطُّفيل بخيلًا وكان سيِّدًا؛ والظُّلم يمنع من السُّودد، وكان كُليبُ بن وائل ظالمًا، وكان سيِّدَ رَبيعة، وكان حُذيفة بن بدر ظالمًا، وكان سيِّدَ غطفان. . وقِلّة العدد تمنع السُّودد، وكان السيل بن معبد سيِّدًا و، لم يكن بالبَصرة مِن عشيرته رَجلان، والفقر يمنع السُّودد، وكان عُتبة بن ربيعة مملِقًا وكان سيِّدًا.

اليتيم

أيها المثري ألا تكفُلُ من ... بات محرومًا يتيمًا معسرا؟
أنت من يدريك لو أنبتَّهُ ... ربما أطلعتَ بدرًا نيّرا؟
ربما أطلعت (سعدًا) آخرًا ... يُحكِم القول ويرقى المنبرا
ربما أطلعت منه (عَبْدَهُ) ... مَنْ حَمَى الدين وزان الأزهرا
ربما أطلعْت منه شاعرًا ... مثل (شوقي) نابهًا بين الورى
كم طوى البؤس نفوسًا لو رعَتْ ... منبتًا خصبًا لكانت جوهرا
كم قضى العدم على موهبةٍ ... فتوارت تحت أطباق الثرى
كل من أحيا يتيما ضائعًا ... حسبُه من ربه أن يؤجرا
إنما يحمد عقبى أمره ... من لأخراه بدنياه اشترى

محمد حافظ إبراهيم

مدنيتهم

أنصتْ لصرير الأقدامِ يحفى كصريف الأقلام!
والأرض كرق منشور ملئت طبعًا بالأختام!
كم أنثى خاصرها ذكر كالغمد بجانب صمصام!
بنفوس حرك ساكنها للمتعة لمس الأجسام!
المرقص أمسى محشودًا بعمالقة... أو أقزام
وعلى نغمات الموسيقى سبحوا في عالم أحلام!
فتحركهن كساحرة حذقت تحريك الأصنام!
وعصا الأركستر ساقتهم سوقًا كقطيع الأغنام!
المرأة علبة كبريت ثارت بالحك لإضرام
والنسوة فحن برائحة فتخدر أعظم شمام!
خففن ملابسهن، فهل يسعين بها للإجرام؟
وتحييهن بأحضان قد نمت عن شوق نام!
يتلقين الذكران وكم قد تهن بهم في أوهام!
بصدور مثل بحور لم يسبحها غير العوام!
الرأس على كتف مالت من شرب الخمرة في الجام!
والهمس يدور بهمهمة في إفصاح لا إبهام!
وأحاديث الجنسين إذن تمهيدات الاستسلام!
بدتِ العورات إلى رُكب من بعد زوال الأكمام!
أشياء إلى فسق تدعو لا بل تغري بالإجرام!

❊ ❊ ❊

تلك المدنية يزعمها ... عن جهل بعض الأقوام!

هي في عرفي فوضى ينبو ... عنها المثل الأعلى السامي؟

تردى فيها أخلاقٌ ... نُسفت بفتيل الألغام

العرض يُباح بها، أو لم ... يتمكن من هدفٍ رام؟

هي مفسدة عنها أبدًا ... لا يرضى دين الإسلام

ع. ب

حِكم وأمثال

* قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يصف الإنسان: اعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم، ويتكلم بلحم، ويسمع بعظم.

* الصدقة دواء منجح. وأعمال العبادة في عاجلهم نصب أعينهم في آجلهم.

* صدر العاقل صندوق سره، والبشاشة حبالة المودة، والاحتمال قبر العيوب.

* أول عوض الحليم من حلمه أن الناس أنصاره على الجاهل.

أخلاق حاتم الطائي

قال حاتم الطائي من قصيدة:

وعاذلَتين هَبَّتا بعد هَجْعةٍ ... تلُومان مِتلافًا مُفيدًا مُلوَّما

تلومانِ، لمّا غَوَّرَ النجمُ، ضَلّة، ... فتًى لا يرى الإنفاقَ في الحمدَ مَغْرَما

فقلتُ، وقد طال العتابُ عليهما ... وأوعدتماني أن تَبينا وتَصْرما:
ألا لَا تلُوماني على ما تقَدَّما ... كفى بصُروف الدهر للمرء مُحْكِما
فإنّكما لا ما مضى تدرِكانه، ... ولستُ على ما فاتني متندِّما
فنفسك أكرمْها، فإنّك إن تَهُن ... عليكَ فلن تلقى لها الدهر مُكرِما
أَهِنْ للذي تَهوى التلادَ، فإنّه ... إذا مُتَّ كان المال نهبًا مقسَّما
ولا تشقينْ فيه فيَسعَدَ وارثٌ ... به، حين تغشى أغبَرَ الجوفِ مُظلِما
يقسِّمُه غنْمًا ويَشري كِرامَه ... وقد صرتَ في خطّ من الأرضِ أعْظُما
قليلًا به ما يحمَدنَّك وارثٌ ... إذا نالَ ممّا كنتَ تجمَعُ مغنَما
تحلَّم عن الأدْنينَ واستبقِ وُدَّهم ... ولن تستطيعَ الحِلمَ حتّى تَحلَما
وعوراء قد أعرضتُ عنها فلم تَضِرْ ... وذي أوَدٍ قوَّمتُه فتقوَّما
وأغفر عوراء الكريم ادّخارَه ... وأُعرِضُ عن شَتمِ اللَّئيمِ تكرُّما
ولا أخذُلُ المولى وإن كان خاذلا ... ولا أشتُم ابنَ العمِّ إن كان مُفحَما
ولا زادَني عنه غنايَ تباعُدًا ... وإن كان ذا نقصٍ من المال مُصْرِما
وليل بهيمٍ قد تسربلتُ هَولَه ... إذا الليلُ بالنِّكس الدنيءِ تجهَّما
ولن يَكسِب الصعلوك حمدًا ولا غنىً ... إذا هو لم يركبْ من الأمر مُعظَما
لحا اللهُ صُعلوكًا مناهُ وهمُّه ... مِن العيش أن يَلقى لَبوسًا ومَغنَما
يَنام الضحى، حتّى إذا نومُه استوى ... تنبَّه مَثلوجَ الفؤاد مُوَرَّما
مقيمًا مع المثرِينَ ليس ببارحٍ ... إذا نال جَدوَى من طعامٍ ومَجْثِما
ولله صعلوك يساوِرُ همَّه ... ويمضي على الأحداث والدهر مُقدِما!
فَتى طَلِباتٍ لا يرى الخمْصَ تَرحة ... ولا شبْعةً إن نالَها عدّ مَغْنَما
يرى الخَمْصَ تعذيبًا، وإنْ يلقَ شبْعة ... يَبتْ قلبُه، من قلّةِ الهمِّ مُبهَما
إذا ما رأى يومًا مكارمَ أعرضتْ ... تيمَّمَ كُبراهُنَّ ثُمَّتَ صَمَّما

ويَغشَى إذا ما كان يومُ كريهةٍ صدورَ العوالي، فهوَ مختضبٌ دَما
يرى رُمحَه، ونَبلَه، ومِجنَّهُ وذَا شُطَبٍ عَضْبَ الضريبة مِخْذَما
وأحناءَ سَرجٍ قاترٍ، ولجامَه، عَتادَ فتًى هيَجا؛ وطِرفًا مسوَّما
فذلك إن يَهلِكْ فحُسنَى ثناؤه وإن عاشَ لم يقعُد ضعيفًا مُذمَّما

شيء عن حاتم الطائي[١]

جيء إلى رسول اللَّه ﷺ بِسَفّانة بنت حاتم الطائي، فقالت: يا محمد، هلَك الوالدُ، وغابَ الوافدُ؛ فإنْ رأيتَ أنْ تُخلِّيَ عنِّي، ولا تشمِتَ بي أحياءَ العرَب! فإنّ أبي سيِّدُ قومِه: كان يَفكُّ العانيَ، ويَحمي الذمارَ، ويفرِّج عن المكروب، ويُطعِم الطعامَ، ويُفشي السَّلام، ولم يطلبْ إليه طالبٌ قطُّ حاجةً فردّه. أنا ابنة حاتم طيّ!

فقال النبي ﷺ: «**يا جاريةُ، هذه صفةُ المؤمن! لو كان أبوكِ إسلاميًّا لَترحّمنا عليه! خلُّوا عنها، فإنّ أباها كان يحبُّ مكارمَ الأخلاق!**».

قال ابنُ الأعرابيّ: كان حاتمٌ من شعراءِ الجاهليّة، وكان جوادًا يُشبه جودَه شِعرُه، ويصدِّق قولَه فِعله وكان حيثُما نزلَ عُرِف مَنزِله؛ وكان مظفَّرًا: إذا قاتَل غلَب، وإذا غَنِم أنهبَ، وإذا ضرب بالقِداح فازَ، وإذا سابق سَبَقَ، وإذا أسَر أطلق؛ وكان أقسمَ بالله: لا يُقتَلُ واحدٌ أمَّه. وكان إذا أهلَّ رجبٌ نَحر في كلِّ يوم عشرةً من الإبل وأطعَم الناسَ واجتمعوا عليه.

(١) سيرة ابن هشام (٥/ ٢٧٦). (س).

كان أوَّل ما ظهرَ من جُود حاتم، أنّ أباه خَلّفه في إبله . وهو غلام . فمرَّ به جماعةٌ من الشعراء، فيهم عبيدُ بنُ الأبرَص وبِشْر بن أبي خازم والنابغة الذُّبياني، يريدون النُّعمانَ بن المنذر؛ فقالوا له:

هل مِنْ قِرى؟ (ولم يَعرِفْهم) فقال:

أتسألوني القِرى وقدْ رَأيتم الإِبلَ والغنمَ؟ انزِلوا!.

فنزلوا، فنحر لكل واحدٍ منهم، وسألهم عن أسمائهم؛ فأخبروه؛ ففرّق فيهم الإِبلَ والغنْمَ.

وجاء أبوه، فقال: ما فعلتَ؟

قال: طوّقتُك مجدَ الدهر، تطويق الحمامة. وعرَّفَه القضيّة.

فقال أبوه: إذن لا أساكِنك بعدَها أبدا، ولا أوْوِيك!

فقال حاتم: إذن لا أبالي!

الفتح في عامه الخامس

يا فتحُ واجهْ عامَكَ الخامسا ... لا مشفقًا منه ولا بائسا
وكن كما كنت سديد الخُطا ... تعقَّب الباطل أنى رسا
تُتبعه الحق فلا ينثني ... إلا إذا أبصره خانسا
كم باطل تظهر مخضرة ... أعواده غادرتَه يابسا
بينما يرى ضخمًا منيع الذرى ... إذا به صار لقيً دارسا
أنت شجا حلق أساطينه ... أقامك الدين له حارسا

قد أوضعوا قبلك في هجرهم راجلهم فيه غدا فارسا
ظنوا حماة الحق في غفلة وطرفهم عن أمره ناعسا
أو أنما اليأس مبيد القوى لابسهم منه الذي لابسا
أو حسبوا الميدان ملكًا لهم فحرضوا الناهش والناهسا
مارس تضليل النهى حزبهم يا ويله ما ذا الذي مارسا
حزب الهوى نافس حزب الهدى أظنه خولط إذ نافسا
قد بسم الدهر له مدة حتى تصديت له عابسا
فاستشعر الخوف وأفضى به إلى بني جلدته هامسا
ما ذلك الصوت الذي راعني وما به صار نهاري مسا؟
أذلك (الفتح) نصير الهدى جاء لما جئتُ به طامسا؟
أهو الذي يكشف عن حيلتي وإن تراءت عذبة المحتسى؟
أهو الذي يُخرجني للملا بصورتي رغم طلاء الكسى؟
أهو الذي بذل مجهوده في نصرة الحق سروري أسا؟
أرسب في الماء لتعكيره فلا يبالى إن هوى قامسا

❁ ❁ ❁

يا فتح أهل الدين قد قصروا أقسُ عليهم لم يجزْ من قسا
ما انتفعوا النفع الذي ينبغي من أيكة كنتَ لها غارسا
لم يفعلوا الواجب تلقاءها أنشطهم يأتي به جالسا
ما بال من تنصحه منهم يفر من واجبه شامسا
يا فتحُ بالغ في مداواتهم عسى تدب الروح فيهم عسى

محمد صادق عرنوس

الحديقة

مجموعة أدب بارع، وحكمة بليغة

الجزء العاشر

انتقاها

الكاتب الإسلامي الكبير

محب الدين الخطيب رحمه الله

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله القادر على أن يبعث في هذه الأمة روح حياة جديدة تكون بها أمة جد وعمل، وصلى اللّٰه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وبعد: فإن ربي العلي الأعلى الذي يسر لي الوصول من هذه المجموعة إلى جزئها العاشر، بعد أن لم أكن أتوقع ذلك عند الشروع في جزئها الأول، هو القادر على أن يُرشدنا إلى طريق الهدى والفلاح؛ فنبلغ من درجات العز والقوة والسعادة ما نظنه الآن بعيد المنال، وهو ولي التوفيق.

غرة المحرم، ١٣٥٠

محب الدين الخطيب

خُلق التضحية

تحتاج القوميات- في كثير من مواقفها - إلى أن تغذي حياتها بحياة أفراد منها، فإذا كان خلق التضحية قويا في أبناء الأمة استمدت القومية حياتها من حياتهم، وتقدمت مسرعة نحو مطمحها حتى تبلغه. وحينئذ تنبعث حياة أهل التضحية من جديد فيكتب اللَّه لهم خلود الأبد.

لما نشبت الحرب العظمى كان الانكليز أمة ليس لها جندية إجبارية، ولم يكن لها من أبنائها المتعلمين ضباط كثيرو العدد كما للألمان من شبابهم. وما أن نودي في بلاد الانكليز بأن الوطن في خطر، وأنه يحتاج إلى أن تتحول الأمة كلها إلى أمة حربية حتى رأينا الموظف في الحكومة، والعامل في المتجر الكبير، والناعم في قصر الرخاء والثروة، والمنصرف إلى زراعته وضياعه، والمؤلف، والمدرس، والشاعر، والمحامي، يتحولون كلهم في بضعة أشهر إلى ضباط وطيارين ومحاربين ومديري مكاتب تموين، فيتألف منهم لأمتهم جيش، وطن رجاله نفوسهم على اقتحام الموت في سبيل الوطن، وما هي إلا بضع سنوات حتى وضعوا بأيديهم أزمّة الممالك في مشارق الأرض ومغاربها، واستعملوا قوى الدنيا لفائدة قوميتهم وحياتها. ولو أن أبناء الأمة الانكليزية لم يكن عندهم خُلُق التضحية، ولم يلبوا نداء الوطن في ساعة الخطر من صميم أفئدتهم، لكان من المستحيل أن يكون لهم في الجبهة الفرنسوية جيش مؤلف من خمسة ملايين رجل، كلما أبادت منهم نيران الألمان ألفًا نزل من سفائن بحر المانش إلى الساحل الفرنسوي ألفٌ غيرهم؛ ليملأوا مواقفهم في الخنادق. واستمرت الحال على ذلك إلى أن تغلبت بلادة الانكليز الوطنية على مهارة الألمان الحربية، وقيل يومئذ: ويل للمغلوب!

خُلُق التضحية في جمهور الأمة، وانتظام وظيفة القيادة أو الإمامة - في خاصتها، هما مناط نماء القوميات وبقاء الممالك وأن الأمة تفقد خلق التضحية ويختل فيها نظام القيادة محكوم عليها بالفناء لا محالة.

أرأيتَ - لما أراد اللَّه للإسلام أن تنتشر دعوته من الحرمين الشريفين إلى الصين شرقًا وإلى المغرب وإسبانيا وفرنسا غربًا - كيف كان خُلُق التضحية في سكان جزيرة العرب يغذي جيوش خالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، ثم جيوش قتيبة بن مسلم ومسلمة بن عبد الملك وطارق بن زياد وعبد الرحمن الغافقي، وغيرهم من أبطال الإسلام، بمئات الألوف من العرب الذين باعوا نفوسهم لله بالجنة، فكان الخليفة يضرب بالألوف منهم قطرا فيقتحمون الموت ويحظى الإسلام من موتهم بالحياة في ذلك القطر، إلى أن أضحوا سادة الأرض بلا منازع.

وهل كانت تكون للإسلام تلك السيادة لو أن أجدادنا لم يكونوا متشبعين بروح التضحية إلى أقصى مدى؟

وكنتُ حزينًا منكسر الخاطر مقصوم الظهر بما كنت اعتقده من ضياع هذا الخُلُق في أمتنا العربية، إلى أن زال بعض حزني، وانتعشت روحي، واشتد عضدي بما قرأته عن الشهداء الثلاثة[1] (أنزل اللَّه على جدتهم شآبيب الرحمة والرضوان)، فعلمتُ أننا لا نزال أبناء الرجال الذين حاربوا في صفوف خالد ويزيد وعمرو وقتيبة ومسلمة وطارق والغافقي. ولكن الجوهر أصيب بشيء من الصدأ، ولليهود والانكليز الفضل علينا بما جلوا منه في فلسطين، فانكشف عن فولاذ أصيل حسن السبك متين.

---

(١) فؤاد حجازي، ومحمد جمجوم، وعطا الزير، الذين شُنقوا يوم الثلاثاء ٢٠ المحرم سنة ١٣٤٩ لجهادهم الشريف في دفع عدوان اليهود على حق العرب والإسلام في فلسطين.

ودعك من كلام فؤاد حجازي، فإن فؤادًا شاب متعلم متشبع بروح القومية. بل دعك من أقوال محمد جمجوم وعطا الزير، فإنهما رجلان مؤمنان رأيا أمة كانت ذليلة تتطاول على حق صريح لأمة كانت عزيزة، فتحرك فيهما دم النخوة وجاهدا في اللّٰه حق جهاده وأعربا عن معاني هذا الجهاد عندما صعد بهما إلى شجرته ليقتطفا ثمرتها.

دعنا من شهدائنا الثلاثة. فإنهم جاهدوا، والجهاد طريق الشهادة، وهم منذ ساروا في الطريق كانوا يعلمون المصير، ويغتبطون بالوصول إليه. ولكن ما قول قارئي في أقوال أم محمد جمجوم ساعة وقفت مع عماد بيتها وفلذة كبدها، تنتظر صعوده أمام عينها إلى المشنقة، ماذا تنتظر من هذه العربية المؤمنة أن تقول في هذا الموقف؟

إن خُلُق التضحية الذي كان في أيام خالد وقتيبة والغافقي تجسم في هذه السيدة العربية الكريمة، فقالت لوحيدها وفلذة كبدها:

أتريد يا ابني أن تعزيني؟!.. وأي شيء أشرف من هذه الميتة! لقد مات أبوك ولم يذكره أحد. أما أنت فيكفيني فخرًا أن اسمك ملء الأفواه كلها، وأن ذكرك يبقى حيًا مدى الدوران.

إن أمة في نسائها من تقول هذا القول لابنها عند صعوده إلى أعواد الشرف، جديرة بأن تطمئن بأن خُلُق التضحية موجودة فيها، فهي لا تحتاج إلا إلى القيادة

ألا إن الصفوف موجودة فأين الامام؟

إن المحراب لا يزال خاليًا ويا للأسف..!

أجدادنا خيرٌ منا

يا حبذا عهد المطا يا والأزمّة والخيامِ
يا حبذا لك من زما نٍ فاض بالمنن الجسامِ
العرب أمرهم جميـ ع فيه من غير انقسامِ
يتدفقون إلى العُلى كتدفق السحب الهوامى
ويدافعون عن الحريـ م ويأنفون من الحرامِ
لله أيامٌ لهم كانت كأزهار الكمامِ
أرجت برياها الربى وهمت لها عين الغمامِ

دمشق/ أحمد عبيد

الغفلتان والمنزلة بين المنزلتين

النوم والقدر والموت كالشيء الواحد، أو ثلاثتها أجزاء لشيء واحد؛ فالنوم غفلة تُخرج الحي هنيهة من الحياة، وهو فيها على حالة أخرى، والموت غفلة تُخرجه من الحياة كلها إلى حالة أخرى.

والقدر منزلة بين المنزلتين:

يقع هينًا على أهل السعادة بأسلوب النوم، ويجيء لأهل الشقاء عنيفًا في أسلوب الموت. ولن يجلب شيئًا أو يدفع عن نفسه شيئًا من هذه الثلاثة إلا الذي لم يُخلق على الأرض: ذلك الذي يستطيع أن يفتح عينيه على الليل والنهار فلا

ينام، أو يحفظ نفسه على الصغر والكبر فلا يموت، أو يضرب بيديه على مدار الفلك فيُمسكه ما شاء أو يرسله.

مصطفى صادق الرافعي

الصاحب المداجي

قصيدة بدوية أجاد ناظمها يزيد بن عبد الحكم ابن أبي العاص الثقفي، وصف جانبًا من أخلاق بعض الأصحاب، والخطاب فيها لابن عمه عبد الرحمن بن عثمان بن أبي العاص:

تكاشرني كرهًا كأنك ناصح ... وعينك تبدي أن صدرك لي دوي(١)
لسانك لي أريٌّ وغيبك علقم ... وشرك مبسوط وخيرك ملتوي(٢)
تفاوض من أطوي طوى الكشح دونه ... ومن دون مَن صافيته أنت منطوي(٣)
تصافح من لاقيتَ لي ذا عداوة ... صفاحًا وعني بين عينك منزوي
أراك إذا استغنيت عنا هجرتنا ... وأنت إلينا عند فقرك منضوي
إليك انعوى نصحي ومالي كلاهما ... ولستَ إلى نصحي ومالي بمنعوي(٤)
أراك إذا لم أهوَ أمرًا هويتَه ... ولست ما أهوى من الأمر بالهوي
أراك اجتويت الخير مني وأجتوي ... أذاك فكل مجتوٍ قرب مجتوي(٥)

---

(١) المكاشرة: أن يبدي كلٌّ من الرجلين للآخر أسنانه عند التبسم. دوي: ذو ضغن.
(٢) الأري: العسل. والعلقم: الحنظل.
(٣) أي: تنبسط في الكلام عند عدوي، وتنقبض عن أصدقائي.
(٤) انعوى: انعطف.
(٥) الاجتواء: الكره.

فليت كفافًا كان خيرك كله ... وشرك عني، ما ارتوى الماء مرتوي
لعلك أن تنأى بأرضك نية! ... وإلا فإني غير أرضك منتوي
تبدلْ خليلا بي، كشكلك شكله ... فإني خليلاً صالحًا بك مقتوي[(١)]
فلم يغوني ربي فكيف اصطحابنا ... ورأسك في الأغوى من الغي منغوي!
عدوك يخشى صولتي إن لقيته ... وأنت عدوي ليس ذاك بمستوي
وكم موطن لولاي طحت كما هوى ... بأجرامه من قلة النِيق منهوي[(٢)]
نداك عن المولى ونصرك عاتمٌ ... وأنت له بالظلم والغمر مختوي[(٣)]
تود له، لو ناله نابُ حية ... ربيب صفاة بين لِهبين منحوي[(٤)]
إذا ما بنى المجد ابن عمك، لم تُعن ... وقلت: ألا بل ليت بنيانه خوي[(٥)]
كأنك إن قيل ابن عمك غانم ... شجٍ أو عميد أو أخو مغلة لوي[(٦)]
تملأت من غيظ عليّ، فلم يزل ... بك الغيظ حتى كدت في الغيظ تنشوي
فما برحت نفسٌ حسودٌ حشيتها ... تذيبك حتى قيل: هل أنت مكتوي
وقال النطاسيون: إنك مشعر ... سلالاً! ألا بل أنت من حسدٍ جوي[(٧)]
فديت امرءا لم يدوَ للنأي عهده ... وعهدك من قبل التنائي هو الدوي

---

(١) القتو: الخدمة. مَقتوي (بفتح الميم): خادم.
(٢) طاح: هلك. قلة النِيق: ذروة الجبل.
(٣) عاتم: بطيء. الغمر: الحقد والغل. المختوي: الجائر.
(٤) اللهب: الشق في الجبل. المنحوي: المجتمع.
(٥) خوي البناء: سقط.
(٦) شجٍ: حزين. عميد: عمده المرض، أي هده حتى احتاج إلى أن يُعمد. المغلة: علة في الجوف. اللوي: الذي في جوفه وجع.
(٧) النطاسيون: الأطباء. مشعر سلالاً: لابس مرض السل على البدن كما يُلبس القميص (ويسمى شعارًا وهو ما ولي الجسد). الجوي: المصاب بالجوى، وهو داء قلبي.

جمعت وفحشًا غيبة ونميمة: خلالاً ثلاثًا لستَ عنها بمرعوي
أفحشًا وخِبًّا واختناء على الندى كأنك أفعى كِدية فرّ، محجَوي(١)
فيدحو بك الداحي إلى كل سوءة فيا شر من يدحو بأطيش مدحوي(٢)
أتجمع تسآل الأخلاء ما لهم ومالك من دون الأخلاء تحتوي!
بدا منك غشٌ طالما قد كتمته كما كتمتْ داء ابنها أمُ مُدوي(٣)

قدرة الطائر وقدرة الإنسان

القدرة على جو السماء في جناح الطائر، وفي ريش هذا الجناح، وفي قوة هذا الريش. والقدرة على السماء نفسها في عمل الإنسان، وقيمة هذا العمل، وصحة هذه القيمة.

مصطفى صادق الرافعي

أمُ مدوي

كان في العرب عجوز عاقلة فصيحة، لها ابن أحمق، وقد أردأت يوما أن تزوجه، فخطبت له فتاة من العرب، فجاءت أم الفتاة إلى أم الغلام تنظر إليه.

---

(١) الخِب: الخداع والمكر. الاختناء: التقبض. الكدية: الأرض الصلبة. المحجوى: المنطوي.
(٢) يدحو الداحي: يرمي الرامي. والمدحوي: المرمي.
(٣) أم مُدوي: امرأة لها قصة. انظرها بعد هذه القصيدة.

وفيما هي عند أمه دخل عليهما الفتى وسأل أمه: هل أدّوي؟

أي هل آكل الدُّواية، وهي قشطة اللبن. ولما كان ذلك يدل على الشراهة، أرادت أمه أن تستر حماقته، فقلبت سؤاله إلى معنى آخر، وقالت له:

اللجام معلق بعمود الخيمة، والسرج في جانبه..

وبهذا الجواب أوهمت أم الخطيبة أن ابنها أراد أداة الفرس للركوب، فكتمت زلة ابنها عن ضيفتها.

ومن ذلك اليوم ضربت العرب المثل بأم مُدوي لمن يوري بالشيء عن غيره. وقد أوردنا هذه القصة تفسيرًا للبيت الأخير من القصيدة التي تقدمت.

فؤاد حجازي يتكلم

حلا لي مرُ هذا الموت صلبا ... ومتُ من الحديد أشد قلبا

يبرّد مهجتي دمع العذارى ... وتنشر عبرتي شرقا وغربا

أنا القلب الفؤاد لكل صدر ... يفيض ويلتظي شرفًا وحبا

ولم تسفك دماء الناس كفي ... وكانت ثورة وأردتُ حربا

دعوتُ الموت - حب حياة قومي- ... إلى أعدائهم، والنفس غضبى

غضبت لأمتي، ومضت حياتي ... فداها، وهي عند اللَّه قُربى

سلامًا زائري حيتك روحي ... وحي العرب حيا اللَّه عُربا

وديع البستاني

أشجع وأشرف جنود في العالم شهادة قائد ألماني لجنود العرب

تحدث الأديب السيد فؤاد الميداني (الذي يترجم مذكرات جمال باشا ترجمة جديدة صحيحة) إلى القائد الألماني الجنرال فون كربس، وقد جاء في حديثه ما يلي:

جاء في مذكرات جمال باشا أنكم لم تثقوا بالفرقة ٢٧ لأنها مؤلفة من جنود العرب؟

- هذا خطأ فاحش، إنني لم أثق حقًا بهذه الفرقة؛ لأنها فرقة غير صالحة، وكان من الضروري إلغاؤها. أما القول إنها فرقة عربية، فهذا خطأ؛ لأنني أحني رأسي احترامًا للفرقة ٢٥ المؤلفة من العرب، والتي خاضت غمرات القتال ببسالة لم أشهدها من جند على وجه الأرض.

- ما رأيكم في الجنود العرب؟

- إن الجنود العرب كانوا في الحرب العالمية في حالة مؤثرة من الجوع والتضييق؛ ولو أُعطوا المعدات الواجب إعطاؤها للجندي؛ لكانوا أبسل وأقوى وأشجع وأشرف جنود في العالم. وهذه حقيقة لا أقولها لكم لأنكم من العرب ولأنني في بلاد عربية، بل أقولها للحقيقة والتاريخ؛ وسأذكرها في مذكراتي التي سأنشرها.

أمة الحرية والفروسية
شهادة رسمية للعرب

لما مثل الدكتور ادوار ماشنسكي (مندوب الجمهورية البولونيه لدى حكومة الحجاز) بين يدي الملك ابن السعود في جدة ليقدم له أوراق اعتماده. ألقى على مسامع جلالته خطبة قال فيها:

إن مملكة بولونيا تعرف جيدًا الأمة العربية الجسورة وفروسيتها، وتقدرها حق قدرها، وقد اشتهرت في العالم بحبها للحرية، حتى بلغت شهرتها إلى بولونيا، فتغنى شعراؤها منذ العصور السالفة بفروسية هذه الأمة الكريمة.

إن الأمة البولونية تُقدر هذه الفروسية وهذا الحب للحرية، لأنها هي أيضًا قاتلت متفانية لنيل استقلالها، وتحملت آلامًا ومتاعب كثيرة لبلوغ غايتها من الحرية المنشودة. وقد كانت حياتها في خطر، ولكنها استطاعت أن تحافظ على كيانها حتى أصبحت مملكة قوية يتمنى العالم كله هدوءها وسكونها للمحافظة على السلام العام.

أُقدم هذا التقدير وهذه الممنونية التي تحفظها الأمة البولونية نحو الأمة العربية الكريمة، ونحو جلالتكم الذي جمعتم هذه الأمة العربية وكونتم مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها العظيمة على يدكم، المنصورة بسعيكم النادر، وحكمتكم النافذة، وشجاعتكم الشخصية، التي هي أكبر ما تقدره الأمة البولونية.

الفتح في عامها الخامس

صحيفة الحق قد أديتِ ما وجبا علا الرشادُ، وبهتان الهوى وَجبا
لا غرو أن تظفري، فالله جل ثنًا للمؤمنين عليه النصر قد كتبا
فأبشري بثواب من لدنه فقد أوجبتِ، وارتقبي من فيضه سُحبا
أعلنتِ حربًا على الإلحاد طاحنة أتبعتِ فيها برأس الحية الذنَبا
وصُلتِ صولة جبار أضعتِ بها على المبشر من دنياه ما اكتسبا
أفسدتِ بالحملة الشعواء خطته فارتد بعدوٍ على أعقابه هربا
يرمي بخفي حنين طغمة ذهبت أحلامها حينما كالت له الذهبا
بكى أبالسة التبشير خيبتهم في الشرق لما رأوا طرف الرجاء كبا
وبللوا التُرب جهد الدمع إذ شهدوا جهودهم فيه طارت في الهواء هبا
وبات أشياعهم من ملحديه بما سيموا من الخزي تمثالاً لمن نُكبا
ظنوا أسود الشرى ألوى بهم خور عن الصيال، وأن الغيل قد خربا
وأن ركن الهدى أنحت بمعولها عليه هدمًا فنون الغرب فاضطربا
أقام من صرحها العالي ومد لها من كل شيء يؤدي للعلى سببا
وأيد الدين تأييدًا بها، فإذا تنمّر الخطبُ كانت جيشه اللُجبا
أما تراها - ووجه العصر منصرف عنها - توالى السرَى لا تشتكي تعبا
وتُعلن الصدق لا تخشى المغبة في وقتٍ تنطع في تكريم مَن كذبا
وتقذف الزيغ بالبرهان يدمغه وعن مراميه فينا تهتك الحجبا
وتُبرز الدين في الروح التي رفعت من العراء لأوج الرفعة العربا
تلك الحياة التي فاض الكتاب بها فنال من وأدها التخريف ما طلبا

فيا لسان الهدى في أمة نزلت عن غارب المجد بينا خصمها ركبا
أباحها اللّه معراج الرقي فلم تُقبل عليه وساء الجهل منقلبا
وضيعت حقه وهو الحقيق على أن يسترد لها أضعاف ما ذهبا
ويا مجالاً لأرباب النُهى نشروا به الحياة وبثوا العلم والأدبا
فأوفضوا يذرعون الأرض تحسبهم قطعان أكلُبَ تشكو الجوع والكلَبا
يبغون نزع الهدى من خير أفئدة لم تدخر للعلى غير الهدى سببا
تألفت حوله أشتاتها، فإذا باهت بأنسابها تاهت به نسبا
ضلوا، فريح الهدى في الشرق ما ذهبت وحوضه العذب - لا والله - ما نضبا
ولن ينال العدا مهما أُتيح لهم من رَبعه الخصب في سودائه أربا
فليخسأ الكفر والإلحاد، وليلجا بابًا إلى الرزق لا يستنزل الغضبا
ولا يسوما الهدى في دار عزته حربًا إذا لقحت كانا لها سَلبا
فإن من خلفه أُسدًا إذا زأرت طارت قلوب العدا من بأسها رهبا
توارثت عن غرار السيف حدتها فليس تعرف غير المشرفي أبا
وقادة للنهى ما قال قائلهم إلا رأيت السنا من فيه منسكبا
تثري بهم أرضًا، حتى تظل ترى صحراءها تُنبت الزيتون والعنبا
والله من بعدُ، بل من قبلُ، يكلؤه بعينه ويقيه السوء والعطَبا
فإنه رحمة منه أزاح بها عن خَلقه الظلم والآصار والكُربا
ومنحة من لدنه وهو أكرم من أن يسترد من النعماء ما وهبا
وكيف نخشى على الإسلام نازلة والله في حفظه قد أنزل الكُتبا
فكم له- جل - أي في حمايته ألا ترى (الفتح) من آياته عجبا
أظلك الخامس الميمون من حُقب قطّعتها في ميادين العلى دأبا
سلختِ أيامها لا تبتغين بما لاقيتِ أثناءها مالاً ولا نشبا

لكن لترمي خصوم الحق عن كثب ... حتى يفوز الهدى؛ أو تسلخي حقُبا
وها هو النصر قد لاحت بوادره ... ألم ترى زند هذا الشر كيف خبا
فاستقبلي الخير في وضاح طلعته ... فإن فيها عن النُجح الأكيد نبا
وابقي لواءً لهذا الدين ترفعه ... يد العناية حتى ينطح الشُهبا
لا يقعدنك عن بذلٍ وتضحية ... في اللَّه شحٌ على أخلاقنا غلبا
فإنها غفوة رانت سيعقبها ... فينا هبوبٌ أرى إبانه اقتربا
أثاب ربك رب العرش جنته ... وخص بالفتح مَن في فتحه كتبا

محمد حسن النجمي

الحطيئة الشاعر بين الزبرقان وبني أنف الناقة

قدم الزبرقان على عمر رضي الله عنه، في سنة مُجدبة ليؤدي صدقات قومه؛ فلقيه الحطيئة بقرقرى، ومعه ابناه - أوس وسوادة - وبناته وامرأته، فقال له الزبرقان - وقد عرفه، ولم يعرفه الحطيئة-:

أين تريد؟

فقال: العراق، فقد حطمتنا هذه السنة!

قال: وتصنع ماذا؟

قال: وددت أن أصادف بها رجلاً يكفيني مؤنة عيالي وأُصفيه مدائحي!

فقال له الزبرقان: قد أصبته، فهل لك فيه يوسعك تمرًا ولبنًا، ويجاورك أحسن جوار؟

قال: هذا والله العيش، وما كنت أرجو هذا كله! عند من؟

قال: عندي

قال: ومن أنت؟

قال: الزبرقان.

فسيره إلى زوجته هنيدة بنت صعصعة المجاشعية، وكتب إليها: أن أحسني إليه وأكثري له من التمر واللبن، فأكرمته زوجة الزبرقان حينًا وأحسنت إليه.

وكان الحطيئة دميمًا سيء الخلق، فهان أمره عليها فيما بعدُ وقصرت به؛ فبلغ ذلك بغيض بن عامر، من بني أنف الناقة، وكان ينازع الزبرقان الشرف، فأرسل بغيض وإخوته إلى الحطيئة: أن ائتنا. فأبى وقال:

شأن النساء التقصير والغفلة، ولست بالذي أحمل على صاحبها ذنبها!

وألحوا عليه فقال: إن تركت وجفيت تحولت إليكم، وأطمعوه ووعدوه وعدًا عظيمًا. ودسوا إلى زوجة الزبرقان: أن الزبرقان يريد أن يتزوج ابنته مليكة - وكانت جميلة -، فظهر منها جفوة. وألحوا عليه في الطلب. فارتحل إليهم، فضربوا له قبة، وربطوا بكل طنب من أطنابها حلة هجرية، وأراحوا عليه إبلهم، وأكثروا عليه التمر واللبن.

فلما قدم الزبرقان سأله عنه، فأخبر بقصته؛ فنادى في بني بهدلة بن عوف، وركب فرسه وأخذ رمحه، وسار حتى وقف على القريعيّين، وقال:

ردوا علي جاري!

قالوا ما هو لك بجار، وقد اطرحته وضيعته!

وكاد أن يقع بين الحيين حرب. فاجتمع أهل الحجة وخيروا الحطيئة، فاختار بغيضًا؛ وجعل يمدح القريعيّين من غير أن يهجو الزبرقان- وهم يحرضونه على

ذلك وهو يأبى -، حتى أرسل الزبرقان إلى رجل من النمِر بن قاسط، يقال له دثار بن شيبان، فهجا بغيضًا وفضل الزبرقان، فقال من جملة أبيات:

وجدنا بيت بهدلة بن عوف ... تعالى سمكه ودحا الفناء
وما أضحى لشمّاس بن لاي ... قديم في الفعال ولا رِباء
سوى أن الحطيئة قال قولاً ... فهذا من مقالته جزاء

ولما سمع الحطيئة هذا، ناضل عن بغيض، وهجا الزبرقان، في عدة قصائد؛ منها قوله:

والله ما معشر لاموا امرءًا جُنُبا(١) ... من آل لأي بن شمّاس بأكياسِ
ما كان ذنب بغيض، لا أبا لكم! ... في بائس جاء يحدو آخر الناسِ(٢)
لقد مريتكم لو أن درتكم ... يوما يجيء بها مسحى وإبساسي(٣)
فما ملكتُ بأن كانت نفوسكم ... كفاركٍ كرهت ثوبي وإلباسي(٤)
حتى إذا ما بدا لي غيت أنفسكم ... ولم يكن لجراحي فيكمُ آسي
أزمعت يأسًا مبينًا من نوالكم ... ولن ترى طاردًا للحُر كالياسِ
ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلاً ... ذا فاقة عاش في مستوعرٍ شاسِ(٥)
جارًا لقوم أطالوا هون منزله ... وغادروه مقيمًا بين أرماسِ(٦)

(١) غريبًا.
(٢) أراد بالبائس نفسه.
(٣) يقال: مريت الناقة: أي مسحت ضرعها لتدر اللبن. والدرة: اللبن. والإبساس: أن تقول للناقة عند الحلب: بس، بس. لتسكن.
(٤) الفارك: المرأة المبغضة لزوجها. كرهتْ ثوبي: أي كرهت أن تدخل معي في ثوبي، وأن تدخلني في ثوبها.
(٥) المستوعر: المكان الوعر. الشاس: المكان المرتفع الغليظ.
(٦) أي كالميت بين الأموات.

ملوا قراه، وهرته كلابهم — وجرّحوه بأنياب وأضراسِ
دع المكارم لا ترحل لبغيتها — واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي
من يفعل الخير لا يُعدم جوازيه — لا يذهب العرف بين اللّه والناسِ
ما كان ذنبي أن فلت معاولكم — من آل لأي صفاة أصلها راسي
قد ناضلوك فسلوا من كنانتهم — مجدًا تليدًا ونبلاً غير أنكاسِ[١]

ولما بلغ الزبرقان هذا الشعر استعدى عليه عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فقال عمر:

ما أراه هجاك، ولكنه مدحك.

فقال: سل حسان بن ثابت.

فسأله، فقال حسان: هجاه وسلح عليه!

فحبسه عمر. وتكلم فيه عمرو بن العاص بعد حين؛ فأخرجه عمر بن الحبس وقال له:

إياك وهجاء الناس!

قال: إذا يموت عيالي جوعا! هذا مكسبي، ومنه معاشي!

قال أسلم: أرسل عمر إلى الحطيئة- وأنا عنده؛ وقد كلمه عمرو بن العاص وغيره فأخرجه من السجن - فأنشده:

ماذا تقول لأفراخٍ بذي مرخٍ — زُغب الحواصل لا ماء ولا شجر![٢]
ألقيت كاسبهم في قعرِ مظلمة — فاغفر، عليك سلام اللّه يا عمر!

---

(١) الأنكاس: جمع نكس: وهو السهم يقلب فيُجعل أسفله أعلاه، إذا انكسر طرفه.

(٢) الأفراخ: أراد بهم أطفاله الصغار. وذو مرخ: واد بالحجاز. زُغب الحواصل: لا ريش لها.

فبكى عمر ثم قال: عليّ بالكرسي؛ فجلس عليه وقال: أشيروا علي في الشاعر، فإنه يقول الهجو ويشبب بالنساء، وينسب إليهم ما ليس فيهم ويذمهم، ما أراني إلا قاطعا لسانه!

ثم قال: علي بطست؛ ثم قال: علي بالمخصف، علي بالسكين، بل علي بالموسى!

فقالوا: لا يعود يا أمير المؤمنين؛ وأشاروا عليه أن قل: لا أعود. فقال: لا أعود يا أمير المؤمنين.

ولما أطلق عمر رضي الله عنه الحطيئة، أراد أن يؤكد عليه الحجة؛ فاشترى منه أعراض المسلمين جميعًا بثلاثة آلاف درهم. فقال الحطيئة في ذلك:

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع شتمًا يضر ولا مديحًا ينفع

وحميتني عرض اللئيم فلم يخف مني، وأصبح آمنا لا يفزع

وبغيض هو ابن عامر بن شماس بن لاي بن أنف الناقة؛ وأنف الناقة اسمه جعفر بن قريع بن عوف بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم.

والزبرقان اسمه حصين بن بدر بن امريء القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب.

وإنما لُقب جعفر أنف الناقة، لأن أباه نحر جزورًا، فقسمها بين نسائه؛ فقالت له أمه - وهي الشموس من بني وائل بن سعد هذيم-:

انطلق إلى أبيك فانظر هل بقي عنده شيء؟

فأتاه فلم يجد إلا رأسها؛ فأخذ بأنفها يجره.

فقالوا: ما هذا؟

قال: أنف الناقة.

فسمي أنف الناقة.

وكان آل شمّاس في الجاهلية يعترون به ويغضبون منه. ولما مدحهم الحطيئة فقال:

قومٌ هم الأنف، والأذناب غيرهم ... ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا
قوم إذا عقدوا عقدًا لجارهم ... شدوا العِناج وشدوا فوقه الكُربا

صار فخرًا لهم. وإنما مدح منهم بغيض بن عامر.

وأراد بأنف الناقة بغيضا وأهل بيته، وأراد بالذنَب الزبرقان وأهل بيته.

قال ابن رشيق - في باب من رفعه الشعر ومن وضعه؛ من العمدة -: كان بنو أنف الناقة يفرقون من هذا الاسم، حتى إن الرجل منهم كان يسأل: ممن هو؟ فيقول: من بني قريع. فيتجاوز جعفرًا أنف الناقة ويلغي ذكره، فرارًا من هذا اللقب، إلى أن قال الحطيئة هذا الشعر، فصاروا يتطاولون بهذا النسب ويمدون به أصواتهم في جهارة!

كلام الملوك

* كان يزيد بن الوليد يقول: «أخاف على نفسي الكمال، وعوذ الشرف، وآفة السؤدد»، فملك خمسة أشهر.

* كان مروان بن محمد يقول: كنزنا الكنوز، فما وجدنا كنزًا أنفع من معروف في قلب حر.

محمد ﷺ يبكي

أخرج ابن إسحاق، والبيهقي في الدلائل، عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس: أن قريشًا أتت أبا طالب فكلمته في النبي ﷺ؛ فبعث إليه فقال له:

يا ابن أخي، إن قومك قد جاءوني فقالوا كذا وكذا، فأبقِ علي وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت، فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك.

فظن رسول اللَّه ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه، وأنه خاذله، فقال: **«يا عم، لو وضعت الشمس في يميني والقمر في يساري، ما تركت هذا الأمر حتى يُظهره اللَّه أو أهلك في طلبه»**[(١)].

ثم استعبر، فبكى رسول اللَّه ﷺ، فبكى.

فلما ولى قال له عمه - حين رأى ما بلغ من الأمر برسول اللَّه ﷺ -.

يا ابن أخي، امض على أمرك وافعل ما أحببت، فو اللَّه لا أسلمك لشيء أبدًا.

وقال أبو طالب في ذلك هذه الأبيات:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا!
فاصدع بأمرك، ما عليك غضاضة وأبشر بذاك وقر منه عيونا!
ودعوتني وزعمت أنك ناصح ولقد صدقتَ وكنت ثَمّ أمينا!

---

(١) ضعفه - بهذا اللفظ -: الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٩٠٩). وحسّنه بلفظ: «ما أنا بأقدر على أن أدع لكم ذلك على أن تُشعلوا لي منها شعلة - يعني الشمس -». «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٩٢).

وعرضت دينًا لا محالة أنه ... من خير أديان البرية دينا!
لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحًا بذاك مبينا!

الأخلاق المحمدية

يا من له الأخلاق ما تهوى العلا ... منها، وما يتعشق الكبراء
لو لم تُقم دينًا لقامت وحدها ... دينًا تضيء بنوره الآناء
زانتك في الخلق العظيم شمائل ... يغري بهن ويولع الكرماء
فإذا رحمتَ فأنت أمٌ أو أب ... هذان في الدنيا هما الرحماء
وإذا غضبتَ فإنما هي غضبة ... في الحق لا ضغنٌ ولا بغضاء
وإذا قضيت فلا ارتياب كأنما ... جاء الخصوم من السماء قضاء
وإذا أخذت العهد أو أعطيته ... فجميع عهدك ذمةٌ ووفاء

أحمد شوقي

الناس
من مقصورة ابن دريد المشهورة

والناس كالنبت: فمنه رائق ... غض نضيرٌ عوده مُر الجَنى
ومنه ما تقتحم العين فإن ... ذقت جناه انساغ عذبًا في اللها
يُقوِّم الشارخ من زيغانه ... فيستوي ما انعاج منه وانحنى

والشيخ إن قوّمته من زيغه ... لم يُقم التثقيف منه ما التوى
كذلك الغصن: يسير عطفه ... لدنًا، شديدٌ غمزه إذا عسا
من ظلمَ الناس تحاموا ظلمه ... وعز فيهم جانباه واحتمى
وهم لمن لان لهم جانبه ... أظلم من حيات أنباث السفى
عبيدُ ذي المال، وإن لم يطعموا ... من غمره في جُرعة تشفي الصدى
وهم لمن أملق أعداءٌ وإن ... شاركهم فيما أفاد وحوى

الناس

ومن شعر لعبد المسيح بن عمرو بن نفيلة الغساني:

والناس أولاد علات فمن علموا ... أن قد أقل فمهجورٌ ومحقور
وهم بنو الأم لما أن رأوا نشَبًا ... فذاك بالغيب محفوظٌ ومنصور
والخير والشر مقرونان في قَرَنٍ ... فالخير متّبع والشر محذور

بلاغة العرب

قال أبو حيان التوحيدي: قلت لأبي سليمان المنطقي:

-هل بلاغةٌ أحسن من بلاغة العرب؟

فقال: هذا لا يبين لنا إلا بأن نتكلم بجميع اللغات على مهارة وحذق، ثم نضع القسطاس على واحدة واحدة منها، حتى نأتي على آخرها وأقصاها؛ ثم نحكم حكمًا بريئًا من الهوى والتقليد والعصبية والمين، وهذا ما لا يطمع فيه إلا

ذو عاهة. ولكن قد سمعنا لغات كثيرة من أهلها، أعني من أفاضلهم وبلغائهم، فعلى ما ظهر لما وخُيل إلينا لم نجد لغة كالعربية. وذلك لأنها أوسع مناهج، وألطف مخارج، وأغلى مدارج. وحروفها أتم، وأسماؤها أعظم، ومعانيها أوغل، ومعاريضها أشمل. ولها هذا النحو الذي حصته منها حصة المنطق من العقل. وهذه خاصة ما حازتها لغة على ما قرع آذاننا، وصحب أذهاننا من كلام أجناس الناس، وعلى ما تُرجم لنا أيضًا من ذلك.

حِكم
لأبي سليمان المنطقي المتوفى في حدود سنة ٣٨٠ هـ

* بالاعتبار تظهر الأسرار.

* بتقديم الاختبار يصح الاختيار.

* لو لم يكن في النوم من الحكمة إلا أنه شاهدٌ على المعاد لكفى.

* من ساء نظره لنفسه قل نصحه لغيره.

* فضيحة حسيب لا أدب له، أفظع وأشنع من فضيحة أديب لا حسب له.

* نحن نقضي ما علينا، ونجتهد فيما لدينا، ويجري الدهر بما شئنا أو أبينا.

* النظم أدل على الطبيعة؛ لأن النظم في حيز التركيب، والنثر أدل على العقل؛ لأن النثر في حيز البساطة.

* إنما يخرج الزبد من اللبن بالمخض، وإنما تظهر النار من الحَجر بالقدح، وإنما تُستبان النجابة من الإنسان بالتعليم.

* من نشأ بالراحة الحسية فاتته الراحة العقلية.

* العاجلة تنصرم، والآجلة تدوم.

* كل خير حسن، وليس كل حسن خير.

* الغضب يتحرك من داخل إلى خارج، والحزن يتحرك من خارج إلى داخل.

* الخير على الحقيقة هو المراد لذاته، والخير بالاستعارة هو المراد لغيره.

* الدنيا نار ذات دخان، فلو سلوت عن صلائها لدخانها لكان أجدى وأسلم.

* الحواس مهالك، والأوهام مسالك، والعقول ممالك.

فمن خلص نفسه من المهالك قوي على المسالك، ومن قوي على المسالك أشرف على الممالك، شرفًا أوصله إلى المالك.

* نحن نساق بالطبيعة إلى الموت، ونساق بالعقل إلى الحياة، لأن الذي هو بالطبيعة قد أحاطت به الضرورة، والذي بالعقل قد أحاط به الاختيار.

* لا يصح الاستسلام إلا بطيب النفس فيما لا حيلة في دفعه.

* من التمس الرخصة من الإخوان عند المشورة، ومن الفقهاء عند الشبهة، ومن الأطباء عند المرض، أخطأ الرأي، وتحمل الوزر، وازداد سقمًا.

* من أراد أن يجود على الناس كلهم فلينو لكلهم خيرًا.

* النفس تدبر أولي الألباب، والطبيعة أولي الغفلات، والفكرة في مرآة النفس يريها خيرها وشرها.

* ظن العاقل كهانة.

* خدم الملوك خزان أراوحهم.

* من أحب أن لا تجري عليه أحكام الفلَك، فليجد سقفًا غير هذا السقف.

أصل كريستوف كولومبس

يؤكد المؤرخ الأسباني كاراراس فالي في بحوثه الدقيقة عن كرستوف كولومبس مكتشف أمريكا أنه ولد في جزيرة أرواد في السواحل الشامية. وأنه من أسرة نزحت من جنوى عام ١١٨٤م (٥٨٠هـ)، وأقامت في جزيرة أرواد تجاه ثغر طرطوس، وبعد مضي ثلاثمائة سنة على توطنها قرب ساحل سوريا وُلد لها كرستوف كولومبس في سنة ١٤٥٢م (٨٥٦ هـ)، وبقي إلى الثامنة عشرة من عمره، وكان الحكم يومئذ في تلك الجهة للصليبيين، فازداد ظلم الملك يوحنا الثاني الصليبي على سكان طرطوس وما يتبعها، فهاجرت أسرة كرستوف كولومبس إلى أسبانيا هربًا من ظلم ذلك الملك الجائر. ومنها خرج قاصدًا الهند فاكتشف القارة الأمريكية.

يا طير!
في القدس لنا إخوة

لا يألف القلب الشجي المتاب ... ولا تجيد الشكو إلا المصاب
وذلك النشوان أن تلقه ... ندمان فاعلم أنه ما أناب
آلامه تكاد تودي به ... ووجده في ثورة والتهاب
ودمعه يجري على خده ... مخددًا مجراه منه الإهاب
نِضو أمانٍ كلما رُددت ... سرى نشاطًا أو مضى كالشهاب
ما كان للذكرى سوى جازع ... يراح للذكرى قليل العذاب

يا طير! ما غردت رأدَ الضحى ... إلا لـداءٍ مـوجـع قـد أذاب
تبكي على إلفك ضيّعته ... أم أنت تبكي ذلك المجد غاب
لو كنتَ ذا عقل لما شكّلت ... نفسي بندب الطير عصر الشباب
شتان بين النفس تحيا بلا ... هم وبين النفس فيها اضطراب
وهـذه الأيـام فـي سيـرهـا ... شتى فقد تجوى وقد تستطاب
يا طير! في القدس لنا إخوة ... أضحى حِماهم نهبة للذئاب
والمسجد الأقصى له رنة الـ ... ثكلى تنادي للعذاب المذاب
كم طفلة في ظله غضة ... أشلاؤها أنحت عليها الكلاب
ووالد يبكي على ولده ... وذي أسى لا يستطيع الجواب
وكم بناء شامخ هَدمت ... معاول الظلم ذراه الرحاب
معاهدٌ كانت مراد الصِّبا ... ومنزل للمجد رحب الجناب
أُسود خفان حموا حوضها ... بهمة وثابة واحتساب
باعوا دماهم في سبيل العلى ... فأصبحت في عينهم كالخضاب
فقل لمن يطمع في ظُلمهم: ... أخطأتَ يا هذا فعُد للصواب
بني يهود أقصروا خطوكم ... لقد مضى عهد الصِّبا يا رَباب
يا طير! إن الناس قد أقسموا ... أن أمانينا علينا صعاب
أحبابنا يمشون ما بيننا ... كمانحي الود ذوات الخضاب
حبٌ قديم لا أرى مثله ... إلا الذي بين الشوى والذئاب
يا ليتنا ندري بما أضمروا ... لنا فنجزيهم جزيل الثواب
كل امريءٍ رهنٌ بما قدّمت ... يداه فاستحضر غدا للحساب
هنا بلاد بالدما جُللت ... تلقى بنيها طُعمةً للحراب
وذي بلاد جللت مُطرفًا ... ذكّرنا مرآه وقت الغياب

يا طير! هل تمنحني برهة ... منك الجناحين فأرقى العقاب
أطير من قدس إلى دجلة ... إلى الصفا فالمنحنى فالمَصاب
واجتلي الآي وحيدًا على ... أجارع القفر وأعلى الهضاب
فنفحة الروض تجدُ القوى ... ولفحة القفر تثير اللهاب
ومنظر الأنهار منسابة ... يحيي موات الحي فعل الشراب
لعلها لابسةٌ لم تزل ... من بعد أهليها قشيب الثياب
لعلها محفوفة لم تزل ... تحمي بها الآساد ظل السحاب
أيام أن تصرخ فتاة بوا ... معتصماه! جاءها والجواب
أيام نجلوها بلا رِقبة ... ونحتسي أكؤسها لا تهاب
مطالب تشأو نجوم السما ... تلك المغاني من رُواها يباب
وأنفسٌ للمجد تواقة ... والمجد يُغري نضوه كالحباب
يا طير! لو تدري بأمنيتي ... بلغتنيها هازئًا بالطلاب
وأنت لا تدرك وجدًا على ... نجم تردى واستحل التراب
ولا مُذيل للمنى عبرة ... ولستَ بالعاني لمرأى السلاب
وإنما أنت أخو نبأة ... تبعث في كل فتى ما استطاب
أحبها منك ولو مزقت ... قلبي وهاجت داعي الانتحاب

عمر يحيى

الجزع

كان سقراط يقول:

الجزع سقام القلب، كما أن المرض سقام البدن. ومن ميّز الدنيا لم يجزع لبلاء.

بكاء المنابر
رثاء العلامة أحمد تيمور باشا

قصيدة الأمير شكيب أرسلان أديب الشرق الأكبر في رثاء أحمد تيمور باشا في القاهرة

يساورني طول الدجى وأساوره ... مُلال وطرفي ساهد الليل ساهره
ولولا التقى ناديت يا حبذا الردى! ... وقلتُ متى تُلقى إليَّ بشائره؟
لعمرك ما بالعيش إربٌ لعاقل ... توغل في علم الحقيقة خاطره
تسلسل آلام، وتَرداد محنة ... تراوحه في كربها وتباكره
وخيبة آمال وفقد أعزة ... وبَعد طوال السجن فالموت آخره
ليهنك يا تيمور أنك جزتها ... إلى ملإ لا يعرف الموت زائره
وفارقت دارًا لا يزال قطينها ... يفكر في الهول الذي هو غامره
فإن تكُ عقبى الدار قسمة فاضل ... فأقصى أمانيك الذي أنت صائره
تخطتك في ذا الخطب داعية الرثا ... ولكنها صارت إلى من تغادره
جدير بأن يُرثى الذين تركتهم ... يصابر كلٌ منهم ويُصابره
يسائل بعضًا بعضهم: أين أحمد ... وأحمدُ قد ضمّت عليه حفائر
فأنّى لهم تلك الخلائق بعدهُ ... وأنى لهم من ذلك الوجهِ ناضرُه
وأنى لهم تلك السكينة والنُهى ... إذا عصفت من أي خطب أعاصره
يريدون في ذا العصر ندًا لأحمد ... وأحمد فذٌ مفرد الخلق نادره
ينوحون نوح الثاكلات فكلهم ... تدفق عن مثل السيول محاجره
على سيدٍ في جنبه كل سيد ... يظل ضئيلاً باديات مفاقره
على ملَك في صورة بشرية ... تعدته من هذا الوجود صغائره

إذا ما جرى في أي ناد حديثه ... تقول فتيت المسك شبّت مجامره
حري بأن الشرق يُظلم أفقه ... لمنعاه والإسلام تبكي منابره
وتنكس رايات الفضائل كلها ... عليه، وترخي للكمال ستائره
فمن بعده للعلم تنشق حجبه ... ويسلس عاصيه ويسهل واعره
وللغة الفصحى يصون ذمارها ... وتملأ فيها الخافقين مآثره
صباباته في حُسنها وسهاده ... ومن كتبها أعلاقه وذخائره
وذوق جناها غبقُه وصَبوحه ... وجوب فلاها روضُه وأزاهره
أوابدها طرًا لديه أنيسة ... وشُردها من كل فنٍ معاشره
أقام لسان العرب فيما هوى به ... ولولاه حتمًا ما أقيلت عواثره
ولو كان في عصر المؤلف لم يكن ... لديه ابن منظور بكفء يُناظره
ولو كان قد وافى الصحاح مصححًا ... غلت فوق عهد الجوهري جواهره
وكان كتاب العين قد غاب جملة ... عن العين لو أن الخليل معاصره
ولو كان في القاموس لجّجَ ما طما ... وما كان إلا كالرُقارق زاخره
ولو أن رب التاج عاش بعصره ... لحل من التاج الذي هو ضافره
ولو شمل المصباح يومًا بنقده ... لخلاه ملقىً ليس يزهر زاهره
مَدى ليس فيه من يشق غباره ... وطائلةٌ ما إن بها من يجاوره
فقد غُيبت تلك الفضائل كلها ... ودارت على ذاك النبوغ دوائره
وبات يُبكي كلّ صابٍ إلى العُلى ... وكان حرىً أن لا تجف بوادره
أأحمد لا تبعد ففي كل مهجة ... ولاؤك عقدٌ محكمات أواصره
لئن بنت عنا لم تزل متمثلاً ... عليك احتوت من كل شخصٍ ضمائره
رحلتَ إلى الدار التي أنت أهلها ... مكانك فيها مشرق الوجه سافره
ولا بأس من هول الحساب على امرىءٍ ... له زرد من نسج أيديه ناصره

عليك سلام اللَّه ما لاح بارق وجاد ثراك الغيث ما سحّ ماطره
على الناس دَين من ثنائك لازم يؤدونه ما يذكر الحق ذاكره

كما يُرى مفرغًا في جسمه السبع

قصيدة الشاعر الكبير مصطفى صادق الرافعي في رثاء العلامة أحمد تيمور باشا

لا الصبر عنه يعزينا، ولا الجزع ولا التجلد مغنينا؛ ولا الفزع
مصائب الموت كالتقليد في نسَق أما مصيبتنا هذي فتُخترع
يا ضربة الموت ما باليت أن تقعي على امرىء فيه بنيانٌ لنا يقع
على الذي كان حصن (الضاد) يمنعها إن لم تجد صدر حرٍ فيه تمتنع
حصن بأسواره أنصارها احتشدوا وحول أسواره أعداؤها انصرعوا
رأسٌ على الصخر من دين ومن خلق فليس يُعرف صخر منه يُقتلع
وما الهوينا لذاك الدين غامزة ولا التراخي بذاك الخلق ينصدع
ومن يكن لدفاع (الضاد) منجردا فلينتصب كالرواسي فيمن اتضعوا
وليجفُ مثل جفاء القفر ممتنعًا على المذلة في أخلاق مَن خضعوا
وليدّرع صدره الصحراء كاشرة لمن بسفساف أوربا قد ادّرعوا
قالوا أتى الليث حلاق يُعلمه قص الأظافر تجميلاً كما ابتدعوا
يا ليث قلها لذا الحلاّق زمجرة إن المخالب في كفي هي الشبع
يا ليث قلها لذا الحلاق همهمة زدني مِقصك ظفرًا منه أنتفع
يا ليث قلها لذا الحلاق دمدمة الظفر لليث بالدنيا وما تسع
لو كل مزمار فن عندنا خنِث لنا به مدفع فنانه يشع

إذن لكانت لنا بين الورى لغة ... متى تقل قولها في العالم اقتنعوا
قل للعصافير في منقارها نغم ... منقار نسرك ما غنى ويبتلع
ويح الفضائل من باغين لونهم ... هوى أوربا فهم ناس وهم بقع
يجددون لنا أخلاقنا زعموا ... ضروا لنفع؛ فقد ضروا وما نفعوا
يا من يحطم بلورًا ليسمع من ... أنغامه؛ ويلك اسمع إنه قِطع
(تيمور) لو قلت في إنسانه ملَك ... لكان حسبك منه الطُهر والورع
من الرجال المصابيح الذين همو ... كأنهم من نجومٍ حية صنعوا
أخلاقهم نورهم؛ من أي ناحية ... أقبلتَ تنظر في أخلاقهم سطعوا
يحقق العلم في إنسانه مثلاً ... من قوة الدين: لا زيغ، ولا بدع
دين تفرغ في جسم فوقّره ... كما يُرى مفرغًا في جسمه السبع
يا جهل من ظن أن العلم غايته ... شكٌ وزيغ وإنكار لما شرعوا
ما العلم إلا حدود العقل تحبسه ... والدين من خلفها بالعقل يتسع
أي العجائب في ضدين قد جُمعا ... في العقل والسلب بالإيجاب مجتمع
للناس أخضعتِ الفاني عقولهمو ... والناس للخالد الباقي بها خضعوا
يا راية اللغة الفصحى تقدسها ... على منابرها (الآحاد) و (الجُمع)
ففي قلوبٍ يقوم الدين يحرسها ... وفي قلوبٍ يقوم الحب والولع
فدتك نفسي قرآنية رفعت ... بكف جبريل ما في مسها طمع
وللنبي عليها لم يزل نفَس ... حي ومن وجهه في نورها لمُع
لكاد والله في التنزيل قارئه ... يحس صوت رسول اللَّه يرتفع
إن النبي لحي في ضمائرنا ... على الزمان يرى منها ويستمع
فكيف تفتننا الأيام عن لغة ... كتابُها فيه صوت الوحي منطبع
صحائف (كفُنغراف) الملائك إن ... أنطقتها أقبلوا في الصوت واطّلعوا

تالله ما ناصب الفصحى سوى رجل ... بالمكر يخدع أو بالجهل ينخدع
وقاحة المكر تأبى من طبيعتها ... ردعًا وللجهل طبع ليس يرتدع
كم أجنبي غريب بات يحفظها ... كحفظ عينيه أن يغشاهما الوجع
وكم ترى من بنيها ذا مكاشرة ... لسانه كلسان النار يندلع
يا قوم لن يستحي مستنقع وخم ... إذا جرت حوله الأنهار والترع

نحن جند الرباط

حادي الموت ينظم الأرض وخْدا ... قد بلغت المدى، فأيان تُرسي
نحن جند الرباط: تغدو ولا يعـ ... ـلم منا مُصبح أين يمسي
يا شهيدًا في حومة العلم أودى ... بين جند من الصحائف خُمسِ
لطمت خدها عليك القوافي ... وأصيب البيان فيك بمسِ

عبد الله عفيفي

دمعة مسلم

مرثية الأستاذ النجمي - في أحمد تيمور باشا

خطب العروبة فيك ليس يطاق ... عنه يضيق من العزاء نطاق
وحريقة التاريخ فيك لعمره ... لم تغن في إطفائها الآماق
والرزء رزء الدين فيك وأهله ... ناءت بفادح حمله الأعناق
سارت جنازتك المهيبة، والأسى ... يطفو، وحبات القلوب تراق
سهر الجوى ذراتها فإذا بها ... دمعٌ على خد الثرى مهراق
تمشي بها من حول نعشك أمة ... حربت ومزّق بندها الخفاق
مُنيت بعاثرة المنى، فهلالها ... يعروه من قبل التمام مُحاق
وتعودت ثكل البنين فوجدها ... عدمٌ ومرتقب اللقاء فراق
في كل يوم للحوادث جولة ... فيها وللموت الملح سباق
لا يخطئان العاملين فهديهم ... أبدًا لفاغرة المنون يُساق
فكأنما بين المنون وريبه ... وأولي النهى من أهلها ميثاق
هي حكمة خفيت ومقدور به ... ركضَ اليراع وجفت الأوراق
وإذا استحر الموت في الأخيار من ... قوم فمُنجح سعيهم إخفاق
جاد الإمام بنفسه فلتتسع ... بالادعاء وراءه الأشداق
وقضى المهذّب نحبه فلتنتحر ... باسم التجدد بعده الأخلاق
ومضى المحقق فالحقائق لم يعد ... يحظى بطيب وصالها المشتاق
ريعت أوابدها فأُنس أليفها ... فزعٌ وقيد نفارها إطلاق
تيمور، موتك للعلاء هزيمة ... ألوت به، ولروحه إزهاق

بل محنة للفضل أعوز عوده ... من بعدها الإثمار والإيراق
للعلم بعدك والنُهى إطراق ... وعلى العروبة للهدى إشفاق
وعليك للشرق المفجّع حسرة ... تغلى بها من قلبه الأعماق
ولمصر مأتمها الذي قطرت به ... مُهج القلوب وسالت الأحداق
ألقى عصاه به الأسى وتسعرت ... فيه لجاحمة الشجون طِباق
وعلا جوانبه السكون وإنما ... صمت الكليم لما به مصداق
وقفت به الدنيا تعزي الشرق في ... شمسٍ زهت دهرًا بها الآفاق
واستعبر الإسلام يبكي عالمًا ... كانت إليه تَطاول الأعناق
نسجت شمائله على نول الهدى ... فتنافست في حبه العشاق
عمّ المُصاب به وكائنُ من فتى ... أودى فأودى معشر ورفاق
يا مسلم الأخلاق في زمن عرى ... خلق الهدى في ظله الإخلاق
وبقية الأبرار بين حثالة ... ما إن لها في الباقيات خِلاق
ومُبرز الكرماء بين أشحة ... في اللَّه عز عليهم الإنفاق
بخلوا اتقاء الفقر فانقلبوا وهم ... جِيف يُحاذر مسها الإملاق
إن حان حينك فانتقلت إلى ذرا ... للخير في ساحاته إغداق
ورحلت عن دنيا الهوى وتقطعت ... بين الحياة وبينك الأعلاق
فلقد وقيت شرور عصرٍ أهلُه ... إيمانهم بالمكرمات نفاق
وكُفيت صحبة بيئة أبناؤها ... لم يبق فيها للهدى أرماق
ضلوا الطريق فليس يجمع بينهم ... أبدًا وبين المهتدين وفاق
وعُنوا بتحسين القبيح: فصدقهم ... كذبٌ يروع، وصدحهم تنعاق
نهشتهمُ أفعى التمدن نهشة ... جوفاء ليس لسمها ترياق
العلم عندهم التنطع في المرا ... والدين ليس تُسيغه الأذواق

سلعُ الرشاد تبور فيما بينهم وبهم تروج من الخنا أسواق
لا يعرفون الخير إلا في الأذى كالنار كلُ صنيعها إحراق
وعلى إلهك قد قدمت وللسنا في عارضيك على التُقى إشراق
فسبقت للعيش المقيم، وليس من بدع، فأنت إلى العلا سبّاق
فاهنأ بدار الخلد إن عروسها أبدًا لباذل مهرها تشتاق
وانعم هناك بخندريس كأسه للمتقين كما علمتَ دهاق
حيا مثابتك الغمام بعارضٍ يحيي الموات هزيمه الدفاق
للرعد جلجلة به فكأنه جيشٌ تصيح أمامه الأبواق
ولمبسم البرق الضحوك خلاله وعلى مثقّل متنه إبراق
وحباك ما أنت الخليق بمثله مما يزيد نعيمك الخلاق

انحلال الأنفس وعلاجه

قال أبو الحسن محمد بن يوسف العامري المتوفى سنة ٣٨١:

انحلال الأنفس يكون على أربعة أوجه:

أولها الكسل، ثم الغباوة، ثم القحة، ثم الانتهاك.

وعلاجه:

استشعار التقوى، والمحافظة على العبادات، والإنفاق في سبيل الأنفس.

قدوتنا الأعظم

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾

في ضميري دائمًا صوت النبي آمرًا: جاهد، وكابد، واتعبِ!
صائحًا: غالب، وطالب، وادأبِ صارخًا: كن أبدًا حرًا أبي
كن سواء ما اختفى وما علنْ كن قويًا بالضمير والبدنْ
كن عزيزًا بالعشير والوطنْ كن عظيمًا في الشعوب والزمنْ

نشيد الشبان المسلمين

كلما خارت قواي وظننت أن الاستسلام للتيار أجدى، رجعت بروحي وعقلي إلى سيرة القدوة الأعظم- صلاة اللَّه عليه وسلامه-، فوقفت وقفة الخشوع والإجلال تجاه سنين من حياته الشريفة قضاها في معالجة أخلاق قومه العرب، وإعدادهم لحمل مشعل الفضيلة والهدى، والسير به في أقطار الدنيا، وما هي إلا سنوات قلائل حتى كانت دعوة الإسلام أعز دعوة تتحرك بها الألسنة، وحتى كانت الشعوب تتجرد من عقائدها وعباداتها، بل من ألسنتها وعاداتها، لتدخل تحت لواء الإسلام وتنادي بكلمة «حي على الفلاح!»، في آفاق جديدة من آفاق الأرض.

كان من أول ما اشتهيت أن أعرفه- يوم دخلت مكة- جبل حراء الذي خوطب عليه سيد الخلق ﷺ بوحي الحق جل سلطانه، ودار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي التي كانت مختبأ النبي ﷺ وأصحابه، إلى أن بلغوا أربعين، فكان منهم صف الجهاد الأول في سبيل إعلاء كلمة اللَّه ﷻ.

وقفت من جبل النور على قلة شامخة زلوج، وأرسلت بصري في الآفاق، فإذا جبال خالية من الناس، بعيدة عن ضوضائهم، مستريحة من دسائسهم وشرورهم: أمرها اللَّه أن تكون فكانت، ولا تزال على ما أمرها اللَّه به من غير تبديل أو تعديل؛ إلى أن يأمرها اللَّه بالزوال فتزول. وتشرفت بدخول الغار المبارك، ثم خلوت بنفسي بعيدًا عن أصحابي أتأمل كيف أن روح خاتم الأنبياء وسيد أولي العزم كانت من السعة بحيث ترجو اللَّه أن تعم كلمة «لا إله إلا الله» جميع أقطار الدنيا، وأن تعلو أرواح سكان تلك الأقطار من حضيض العبودية للبشر أو الجمادات إلى مستوى التوحيد الخالص الذي لا يليق بعقول البشر ونفوسهم غيره، وأن تتحول أمم الأرض عن خرافاتها وأكاذيبها وخساساتها وحِيلها، فتكون بالإسلام أمة صدق ورحمة وإيثار وعمل وجهاد وإصلاح. في هذا الغار هبط الوحي الإلهي على قلب عبد اللَّه ورسوله محمد ﷺ، ومن هذا الغار انتشر نور الهدي، فاستنارت به قلوب أمم لا عداد لها، وسيدخل هذا النور قلب كل ابن أنثي إذا استطاعت أمة محمد ﷺ أن تتأسى به، وتصغي إلى صوته فيما أمر به من معروف، وما نهى عنه من فساد

ودخلت دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي الواقعة على يسار الصاعد إلى الصفا، فقلت في نفسي:

لو شاء اللَّه أن يلين لدعوة عبده محمد قلوب أهل الأرض جميعًا لأجابوا نداءه في بضع سنين بل في ليال قلائل، ولكنه درسٌ من سيرة سيد الخلق ﷺ يجب على كل مسلم أن يتعلمه فيعلم منه أن الحصاد لا يستحقه إلا الذي زرع، وأن النتائج لا يحصل عليها إلا من قام بمقدماتها. وويلٌ لمن يتقاعس عن الدعوة إلى الخير بحجة أن أهل هذا الزمان يصدون عن الاستجابة لها، وهو

يتجاهل أن ما لقيه قدوتنا الأعظم ﷺ من العقبات في سبيل دعوته لا يعد ما يلقاه دعاة هذا الزمان في جانبه شيئًا مذكورًا.

ألا فليحاسب ورثة الأنبياء في عصرنا أنفسهم وليقولوا لنا ما هو الأذى الذي لقوه في سبيل الله، وما هو البذل الذي بذلوه لإعلاء كلمة الله، وأي خُلق من أخلاق محمد ﷺ وأصحابه تخلقوا به، ليكونوا مثالاً حسنًا للإسلام يغري الأغيار بالإقبال عليه، والإذعان له؟

لم تسيء أمة إلى تاريخها، ولم تعشُ أبصار شعب عن سيرة عظمائه، كما أسأنا نحن إلى تاريخنا، وكما عميت أبصارنا وبصائرنا عن مواقف العظمة في سيرة نبينا ﷺ، وحياة أكابر المهتدين بهديه من الصحابة والأئمة والمجاهدين. ولعل هذه الثغرة في سور قلعتنا أوسع مكان تسرب إلينا منه الضعف، وأصابنا منه الوهن والانحلال.

نشكو إدبار النصر عنا، ولا نحب أن يمر ببالنا شبح المسئولية التي تتوجه علينا من هذا الجانب

نذكر بالفخر والإعجاب انتشار الإسلام في الصدر الأول انتشارًا يكاد يكون (معجزة)، وإذا قال لنا إنكليزي مسلم كالمستر مرمديوك بكتول أن انتشار الإسلام الآن بمثل تلك السرعة ممكن إذا دعوتم إليه بسيرتكم وأخلاقكم؛ رجونا أن ينتهي كلامه بسرعة؛ ونهضنا معاهدين الشيطان على أن نبقى عند حسن ظنه فينا.

كلنا نقول إن محمدًا ﷺ هو قدوتنا الأعظم؛ وكلنا نقرأ في كتاب اللَّه ﷻ: ﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، وكلنا نعلم أن الموانع الواقفة اليوم في سبيل القرآن لا تعد شيئًا مذكورًا في جانب الموانع التي كانت واقفة في سبيله يوم كان محمد ﷺ وأصحابه يجتمعون في دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي عند

الصفا، يعاهدون اللّٰه على الثبات حتى النهاية. وأقرب ما نقارن به بين حال اليوم وحال الأمس أننا الآن ثلاثمائة مليون يتلون القرآن، وأنهم كانوا يومئذ أقل من أربعين.. ولكن أين الأخلاق!

محب الدين الخطيب

مُغالب الدهر

عربيٌ يعشق العربا ... لا تلوموه إذا انتحبا
قبلما الأوصاب تقتله ... أمهلوه يقتل الوَصبا
أسدٌ كلت مخالبه ... وجوادٌ في السباق كبا
نادرًا تلقاه مبتسمًا ... ولقد تلقاه مكتئبا
فإذا أحشاؤه اتقدت ... ورمت آماقه اللَهبا
فبكى حتى مدامعه ... نضبت واستمطر السُحبا
أو أراقت مقلتاه دمًا ... لا تخالوا أنه كذبا
هو إن يبكي فسؤدده ... صيرته الحادثات هَبا
كم تفدى بالنفيس وبالنفس ... كيما يبلغ الأربا
غير أن الدهر غالبه ... فقضى يأسًا وما غلبا
بات والذكرى تساوره ... صاخبًا لا يعرف الطربا
كلما يُدعى لمكرمة ... أو لغشيان الوغى وثبا
لا يضيع الحق تعهده ... قُضُبٌ، فلتصلتوا القُضُبا

نعمان ثابت

في مدح محمد ﷺ

سلوا قلبي غداة سلا وتابا ... لعل على الجمال له عتابا
ويسأل في الحوادث ذو صواب ... فهل ترك الجمال له صوابا
أخا الدنيا أرى دنياك أفعى ... تُبدل كل آونة إهابا
وإن الرُقط أيقظ هاجعات ... وأترع في ظلال السلم نابا
ومن عجبٍ تُشيب عاشقيها ... وتفنيهم، وما برحت كِعابا
فمن يغتر بالدنيا فإني ... لبستُ بها فأبليت الثيابا
لها ضحِكُ القيان إلى غبي ... ولي ضحكُ اللبيب إذا تغابى
جنيت بروضها وردًا وشوكًا ... وذقت بكأسها شَهدًا وصابا
فلم أر غير حكم اللَّه حكمًا ... ولم أر دون باب اللَّه بابا
ولا عظّمتُ في الأشياء إلا ... صحيح العلم، والأدب اللبابا
ولا كرّمت إلا وجه حر ... يُقلد قومه المنن الرِغابا
ولم أرَ مثل جمع المال داء ... ولا مثل البخيل به مُصابا
فلا تقتلك شهوته، وزنها ... كما تزن الطعام أو الشرابا
وخذ لبنيك والأيام ذُخرًا ... وأعط اللَّه حصته احتسابا
فلو طالعتَ أحداث الليالي ... وجدتَ الفقر أقربها انتيابا
وإن البر خير في حياة ... وأبقى بعد صاحبه ثوابا
وإن الشر يصدع فاعليه ... ولم أر خيرًا بالشر آبا
فرفقًا بالبنين إذا الليالي ... على الأعقاب أوقعت العقابا
ولم يتقلدوا شكر اليتامى ... ولا ادّرعوا الدعاء المستجابا
عجبتُ لمعشر صلوا وصاموا ... ظواهر خشية وتقىً كِذابا

وتلفيهم حيال المال صُمًا إذا داعي الزكاة بهم أهابا
لقد كتموا نصيب اللّه منه كأن اللّه لم يُحص النصابا
ومن يعدل بحب اللّه شيئًا كحب المال، ضل هوىً وخابا
أراد اللّه بالفقراء برًا وبالأيتام حبًا وارتيابا
فرُب صغير قوم علموه سما وحمى المسوّمة العرابا
وكان لقومه نفعًا وفخرًا ولو تركوه كان أذى وعابا
فعلّم ما استطعت، لعل جيلاً سيأتي يُحدث العجب العجابا
ولا تُرهق شباب الحي يأسًا فإن اليأس يخترم الشبابا
ولولا البُخل لم يهلك فريقٌ على الأقدار تلقاهم غضابا
تعبت بأهله لومًا، وقبلي دعاة البر قد سئموا الخطابا
ولو أني خطبت على جماد فجَرتُ به الينابيع العذابا
ألم تر للهواء جرى فأفضى إلى الأكواخ واخترق القبابا
وأن الشمس في الآفاق تغشى حِمى كسرى كما تغشى اليبابا
وأن الماء تروى الأُسد منه ويشفي من تلعلعها الكِلابا
وسوّى اللّه بينكم المنايا ووسدكم مع الرُسل الترابا
وأرسل عائلاً منكم يتيمًا دنا من ذي الجلال فكان قابا
نبيُ البر، بيّنه سبيلاً وسنّ خلاله وهدى الشعابا
تفرق بعد عيسى الناس فيه(١) فلما جاء كان لهم متابا
وشافي النفس من نزعات شر كشافٍ من طبائعها الذئابا
وكان بيانه للهدي سُبلاً وكانت خيله للحق غابا
وعلّمنا بناء المجد حتى أخذنا إمرة الأرض اغتصابا

---

(١) أي في البر.

وما نيل المطالب بالتمني ... ولكن تؤخذ الدنيا غِلابا
وما استعصى على قوم منال ... إذا الإقدام كان لهم رِكابا
تجلى مولد الهادي وعمت ... بشائره البوادي والقصابا[1]
وأسدت للبرية بنتُ وهب ... يدًا بيضاء طوّقت الرقابا
لقد وضعته وهاجًا منيرًا ... كما تلد السماوات الشهابا
فقام على سماء البيت نورًا ... يضيء جبال مكة والنقابا
وضاعَت يثرب الفيحاء مسكًا ... وفاح القاع أرجاءً وطابا
أبا الزهراء، قد جاوزت قدري ... بمدحك، بيد أن ليَ انتسابا
فما عرف البلاغة ذو بيان ... إذا لم يتخذك له كتابا
مدحتُ المالكين فزدتُ قدرًا ... فحين مدحتك اقتدتُ السحابا
سألتُ اللَّه في أبناء ديني ... فإن تكن الوسيلةَ لي أجابا[2]
وما للمسلمين سواك حصن ... إذا ما الضُر مسهمُ ونابا[3]
كأن النحس حين جرى عليهم ... أطار بكل مملكة غرابا
ولو حفظوا سبيلك كان نورًا ... وكان من النحوس لهم حجابا
بنيتَ لهم من الأخلاق ركنًا ... فخانوا الركن، فانهدم اضطرابا
وكان جنابهم فيها مَهيبا ... وللأخلاق أجدر أن تُهابا
فلولاها لساوى الليث ذئبًا ... وساوى الصارم الماضي قِرابا
فإن قُرنت مكارمها بعلم ... تذللت العُلى بهما صعابا

أحمد شوقي

---

(١) جمع قصبة وهي المدنية.
(٢) التوسل الشرعي بالنبي ﷺ يكون باتباعه، ومحبته وطاعة أوامره وترك نواهيه. أما التوسل بجاهه أو ذاته فهو بدعة. (س).
(٣) هذا من الغلو. (س).

لا دواء لجُرح الشرف

في أي جو من أجواء هذا البلد تريدون أن تبرز نساؤكم كرجالكم أيها القوم؟ أفي جو المتعلمين وفيهم من إذا سُئل لم لم تتزوج؟ أجاب: نساء الأمة جميعا نسائي.. أم في جو الطلبة وفيهم من إذا عاد من أوربا يحمل في محفظته أقل من عشر صور لصديقاته، ومائة كتاب غرام منهن يتوارى بها عن أعين أصدقائه حياءً وخجلاً، أم في جو الرعاع والغوغاء وكثير منهم يدخل البيت خادمًا ذليلاً، ويخرج منه صهرًا كريمًا...؟

وبعدُ؛ فما هذا الولع بقصة المرأة والتمنطق بحديثها. والقيام والقعود بأمرها، وأمر حجابها وسفورها، وحريتها وأسرها.

كأنما قد قمتم بكل حق واجب للأمة عليكم في أنفسكم. فلم يبق إلا أن تفيضوا من تلك النعم على غيركم، هذبوا رجالكم قبل أن تهذبوا نساءكم، عجزتم عن الرجال فأنتم عن النساء أعجز.

أبواب الفخر أمامكم كثيرة فاطرقوا أيها شئتم، ودعوا هذا الباب موصدًا، فإنكم إن فتحتموه فتحتم على أنفسكم ويلاً عظيمًا وشقاء طويلا. أروني رجلاً واحدًا منكم يستطيع أن يزعم في نفسه أنه يمتلك هواه بين يدي امرأة يرضاها. فأصدق أن امرأة تستطيع أن تمتلك هواها بين يدي رجل ترضاه.

ما تمضُغكم في ليلكم ونهاركم بقصصها وأحاديثها (المرأة) في حين أنها لا تشكو إلا فضولكم وإسفافكم ولصوقكم بها، ووقوفكم في وجهها حيثما سارت.

إنكم لا ترثون لها بل ترثون لأنفسكم، ولا تبكون عليها، بل على أيام قضيتموها في ديار يندفع سيل جوها تبرجًا وسفورًا. ويتدفق حرية واستهتارًا.

لقد كنا وكانت العفة في سقاء من الحجاب موكوء، فما زلتم تثقبون في جوانبه كل يوم ثقبًا، والعفة تتسلل منه قطرة قطرة، حتى تقبض وتضاءل، ثم لم يكفكم ذلك منه، حتى جئتم اليوم تريدون أن تحلوا وكاءه حتى لا تبقى فيه قطرة واحدة.

عاشت المرأة حقبة من دهرها هادئة مطمئنة في بيتها، راضية عن نفسها وعن عيشها. ترى السعادة كل السعادة في واجب تؤديه لنفسها، أو وقفة تقفها بين يدي ربها، أو عطفة تعطفها على ولدها، أو جلسة تجلسها إلى جارتها. وترى الشرف كل الشرف في خضوعها لأبيها، وائتمارها بأمر زوجها، ونزولها عند رضاهما. وكانت تفهم معنى الحب وتجهل معنى الغرام. فتحب زوجها لأنه زوجها، كما تحب ولدها لأنه ولدها. فإن رأى النساء أن الحب أساس الزواج، رأت أن الزواج أساس الحب. فقلتم لها: إن هؤلاء الذين يستبدون بأمرك من أهلك، ليسوا بأكبر منك عقلاً، ولا أفضل رأيًا، فلا حق لهم في السلطان الذي يزعمونه لأنفسهم عليك. فازدرت أباها، وتمردت على زوجها، وأصبح البيت الذي كان بالأمس عرسًا من الأعراس الضاحكة، مناحة لا تهدأ نارها.

وقلتم: لا بد لك من أن تختاري زوجك بنفسك، حتى لا يخدعك أهلك عن سعادة مستقبلك. فاختارت لنفسها أسوأ مما اختار لها أهلها، فلم يزد عمر سعادتها على يوم وليلة، ثم الشقاء الطويل بعد ذلك العذاب الأليم.

وقلتم لها: إن الحب أساس الزواج، فما زالت تقلب عينيها في وجوه الرجال صاعدة متحدرة، حتى شغلها الحب عن الزواج...

وقلتم لها: إن سعادة المرأة في حياتها أن يكون زوجها عشيقها، وما كانت تعرف إلا أن الزوج غير العشيق، فأصبحت تطلب في كل يوم زوجًا جديدًا يحيي من لوعة الحب ما أمات القديم، فلا قديمًا استبقت، ولا جديدًا أفادت...

يا قوم؛ إنا نضرع إليكم.. أن تتركوا تلك البقية الباقية من نساء الأمة آمنات مطمئنات في بيوتهن، ولا تزعجوهن بأحلامكم وآمالكم، كما أزعجتم من قبلهن، فكُل جرح من جروح الأمة له دواء، إلا جرح الشرف فلا دواء له.

المنفلوطي

مرشح نفسه للقضاء

استودع تاجر بالكوفة رجلا من أهلها مالاً جزيلاً، وتوجه إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج، فلما عاد طالب الرجل بماله، فأنكره وجعل يحلف له. فانطلق التاجر إلى الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، وأخبره بذلك، فقال له الإمام: لا تكلم أحدًا بجحوده. وكان عرف الرجل من جلسائه، فقال له وقد خلا لهما المكان: إن القوم بعثوا يستشيرونني فيمن يصلح للقضاء، وقد اخترتك لهذا المنصب الرفيع.

فلما انصرف الرجل جاء صاحب الوديعة. فقال له الإمام: ارجع إلى صاحبك وذكّره لاحتمال أن يكون ناسيًا، فرجع إليه فما احتاج معه إلى إشارة، بل دفع إليه ماله، ثم ذهب الرجل إلى أبي حنيفة يُذكره بوعده، فقال له الإمام: إني نظرت في أمرك، فأردت أن أرفع قدرك ولا أسميك، حتى يحضر ما هو أنفس من هذا.

أبو قيس بن الأسلت قائد حرب بُعاث

أبو قيس بن الأسلت (والأسلت لقب أبيه واسمه عامر) ابن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عمارة بن مرة بن مالك بن الأوس. . . وهو شاعر من شعراء الجاهلية، ووجيه من كبار وجهاء يثرب. وكانت الأوس قد أسندت إليه قيادة حربها مع الخزرج يوم بعاث؛ وجعلته رئيسًا عليها - وكان ذلك قبل الهجرة بخمس سنين - فكفى وساد.

وكان لأبي قيس ولدان: عقبة، وقيس. وقد أسلم عقبة، واستُشهد يوم القادسية. وكان يزيد بن مرداس السلمي قتل قيسًا في بعض حروبهم، فطلبه بثأره هارون ابن النعمان بن الأسلت، حتى تمكن من يزيد بن مرداس فقتله بقيس- وهو ابن عمه - ولقيس يقول أبوه، أبو قيس ابن الأسلت:

أقيس إن هلكت وأنت حي فلا يعدم فواضلك الفقيرُ

قال هشام بن الكلبي: كانت الأوس قد أسندوا أمرهم في يوم بعاث إلى أبي قيس بن الأسلت، فقام في حربهم وآثرها على كل أمر، حتى شحب وتغير، ولبث أشهرًا لا يقرب امرأته؛ ثم إنه جاء ليلة فدق على امرأته ففتحت له، فأهوى إليها بيده، فدفعته وأنكرته، فقال:

أنا أبو قيس!

فقالت:- والله ما عرفتك حتى تكلمت!

فقال في ذلك أبو قيس القصيدة التي أولها:

قالت ولم تقصد لقيل الخنى: مهلاً، فقد أبلغت إسماعي

استنكرت لونًا له شاحبًا والحرب غول ذات أوجاع

من يذق الحرب يجد طعمها مُرًّا، وتتركه بجعجاع
قد حصّت البيضة رأسي، فما أطعم نومًا، غير تَهجاع
أسعى على جل بني مالك كل امرئ في شأنه ساعي
لا نألم القتل، ونجزي به الأعداء كيل الصاع بالصاع

وكان أبو قيس يحض قومه على الإسلام، وذلك بعد أن اجتمع بالنبي ﷺ وسمع كلامه. وكان يتأله في الجاهلية ويدعي الحنيفية، وكان يقول: ليس أحد على دين إبراهيم إلا أنا وزيد بن عمرو بن نفيل. وكان يذكر صفة النبي ﷺ، وأنه يهاجر إلى يثرب. وزعموا أنه لما حضره الموت أرسل إليه النبي ﷺ يقول له: «**قل لا إله إلا اللَّه أشفع لك بها**»[1]، فسُمع يقول ذلك؛ وقيل: قال: والله لا أسلم إلى سنة. فمات قبل الحول.

❁ ❁ ❁

قال المبرِّد: قال لي صالح بن حسان: أنشدني بيتًا خفرًا في امرأة خفرة شريفة؛ فقلنا: قول حاتم:

يضيء لها البيت الظليل خصاصه إذا هي يومًا حاولت أن تَبسما

فقال: هذه هي الأصنام، أريد أحسن من هذا

قلنا: قول الأعشى:

كأن مشيتها من بيت جارتها مر السحابة: لا ريثٌ ولا عجل

فقال: هذه خراجة ولاجة!

قلنا: بيت ذي الرمة:

تنوء بأُخراها فلأيًا قيامُها وتمشي الهوينى من قريب فتُبهر

---

(١) انظر: «الإصابة في تمييز الصحابة»؛ لابن حجر (٧/ ٣٣٤). بسند منقطع.

فقال: ليس هذا مما أردت؛ إنما وصف هذه بالسمن وثقل البدن!

فقلنا: ما عندنا شيء.

فقال: قول أبي قيس بن الأسلت:

ويكرمها جاراتها فيزرنها وتعتل عن إتيانهن فتعذر

وليس لها أن تستهين بجارة ولكنها منهن تحيا وتخفر

ثم قال: أنشدوني أحسن بيت وُصفت به الثريا!

قلنا: بيت ابن الزبير الأسدي:

وقد لاح في الغور الثريا كأنما به راية بيضاء تخفق للطعنِ

قال: أريد أحسن من هذا

قلنا: بيت امريء القيس:

إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح المفصَّل

قال: أريد أحسن من هذا

قلنا: بيت ابن الطثرية:

إذا ما الثريا في السماء كأنها جمان وهي من سلكه فتسرعا

قال: أريد أحسن من هذا

قلنا: ما عندنا شيء

قال: قول أبي قيس بن الأسلت:

وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى كعنقود مُلاحيّة حين نورًا

قال: فحكم له عليهم في هذين المعنيين بالتقدم.

الدَّين

* الدَّين همٌّ بالليل وذلٌّ بالنهار.

* قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في حِكمه:

قد حملت الأحجار والصخور، فما وجدت أثقل من الدَّين.

* قال أحد الحكماء: الدَّين رق فلا تبذل رقك لمن لا يعرف حقك.

الكاتب

* قال الجاحظ: من أبين فضل الكتابة أن جُعلت في علية الناس.

* قال الزبير بن بكار: الكُتاب ملوك، وسائر الناس سُوقة.

* قال ابن المقفع: الملوك أحوج إلى الكُتاب من الكُتاب إلى الملوك.

* قال المؤيد: كُتاب الملوك: عيونهم المبصرة، وآذانهم الواعية، وألسنتهم الناطقة.

* قال أبو جعفر الفضل بن أحمد: للكُتاب أقرت الملوك بالفاقة والحاجة، وإليهم ألقيت الأزمّة والأعنّة، وبهم اعتصموا في النازلة والنكبة، وعليهم اتكلوا في الأهل والولد والذخائر والعقد وولاية العهد وغِيَر الدهر وقراع الأعداء وتوفير الفيء وحياطة الحريم وحفظ الأسرار وترتيب المراتب ونظم الحروب.

* قال علي بن خلف: ما من أحد يتوسل إلى السلاطين بالأدب، ويمت إليهم من العلم بسبب، إلا وهو نافلة لا ينوّل ما ينوله إلا على وجه الإرفاق،

خلا الكاتب فإنه ينول الرغائب العظيمة من طريق الاستحقاق؛ لموضع الافتقار إليه والحاجة.

* من أحسن ما مُدح به كاتب قول ابن المعتز:

إذا أخذ القرطاس خلتَ يمينه ... تفتح نَورًا أو تنظم جوهرا

* وقول الآخر:

يؤلف اللؤلؤ المنثور منطقه ... وينظم الدر بالأقلام في الكتب

* وقول الآخر:

وكاتبٌ يرقم في طِرسه ... روضًا به ترتع ألحاظه

فالدر ما تنظم أقلامه ... والسِحر ما تنشر ألفاظه

* وقول الآخر:

إن هز أقلامه يومًا ليعملها ... أنساك كلَ كمي هزّ عامله

وإن أقر على رِق أنامله ... أقر بالرِق كتّاب الأنام له

* وقول الآخر:

وشادن من بني الكُتاب مقتدر ... على البلاغة أحلى الناس إنشاء

فلا يجاريه في ميدانه أحد ... يريك سحبان في الإنشاء إن شاء

أغبياء الكُتاب

* قال بعض المتقدمين يهجو كاتبًا غبيًا:

حمارٌ في الكتابة يدعيها ... كدعوى آل حرب في زياد

فدع عنك الكتابة لستَ منها ... ولو سوّدت وجهك بالمداد

* وقال الآخر يهجو أسد بن جهور:

أو ما ترى أسد بن جهور قد غدا | متشبها بأجلّة الكُتاب
لكن يخرّق ألف طومار إذا | ما احتيج منه مرة لجواب!

* وقال الآخر:

كاتب أقلامه | معودات بالغلط
يكشط ما يكتبه | ثم يعيد ما كشط

* وقال الآخر:

يعي غير ما قلنا، ويكتب غير ما | يعيه، ويقرأ غير ما هو كاتبُ!

حكى أبو جعفر النحاس في (صناعة الكتاب) عن بعضهم أنه قال: حضرت مجلس رجل، فأحجمت عن مسألة حاجتي عنده لكثرة جمعه، فرأيته وقد أملى على كاتبه: «ولم أكتب بخطي إليك خوفًا من أن تقف على رداوته»، فكتب كاتبه «رداءته» - على ما يجب - فقال له:

أما تحسن الهجاء، أين الواو؟

فأثبتها الكاتب، فخسّ حينئذ في عيني، واجترأت عليه، فدنوت منه وسألته حاجتي.

حكى صاحب ذخيرة الكُتاب عن بعض الوزراء أنه تقدم إلى كاتبه بأن يكتب ألقاب أمير المؤمنين على برج أنشأه، فكتب: «أمر بعمارة هذا البرج أبو فلان فلان»، واستوفى ألقابه إلى آخرها. ودفع المثال إلى الوزير ليقف عليه، فلما قرأه غضب وأنكر على الكاتب كونه كتب «أبو فلان» بالواو، ولم يكتب «أبي» بالياء محتجا عليه بأن «أبو» من ألفاظ العامة، فلا تعظيم بها، و«أبي» من ألفاظ الخاصة فيقع بها التعظيم! فقال الكاتب: إنما كتبته بالواو لأنه هنا «فاعل». فزاد

إنكاره عليه وقال: متى رأيت الأمير فاعلاً في هذا الموضع يحمل الطين، وينقل الحجارة على رأسه، حتى تنسبه إلى ذلك؟! والله لولا سالف خدمتك لفعلت بك كذا وكذا!

سبب انحطاط الكتابة في الدولة الإسلامية

قال القلقشندي: إنما تقاصرت الهمم عن التوغل في صناعة الكتابة والأخذ منها بالحظ الأوفى؛ لاستيلاء الأعاجم على الأمر، وتوسيد الأمر لمن لا يُفرق بين البليغ والأنوك، لعدم إلمامه بالعربية والمعرفة بمقاصدها، حتى صار الفصيح لديهم أعجم، والبليغ في مخاطبتهم أبكم، ولم يسع الآخذ من هذه الصناعة بحظ وافر إلا أن يُنشد:

وصناعتي عربية وكأنني ... ألقى بأكثر ما أقول الروما
فلمن أقول وما أقول وأين لي ... فأسير بل من أين لي فأُقيما

قال ابن حاجب النعمان: لما كان أرباب الأمور وولاتها من الخلفاء فمن دونهم ينقدون ما يكتب به الكاتب، وما يرد عليهم من الكتب، ويناقشون على ما يقع فيها من خطأ، أو يدخله من خلل، ويقدمون الفاضل ويرفعون درجته، ويؤخرون الجاهل ويحطون رتبته، كان الكُتاب حينئذ يتبارون على اقتناء الفضيلة، ويترفعون عن أن يعلق بهم من الجهل أدنى رذيلة، ويجتهدون في معرفة ما يُحسن ألفاظهم ويُزين مكاتباتهم، لينالوا بذلك أرفع رتبة، ويفوزوا بأعظم منزلة. ولما انعكست القضية في تقديم من غلط بهم الزمان، وغفل عنهم الحدثان، واستولت عليهم شرة الجهل، ونفرت عنهم أوانس الرياسة والفضل،

وصار العالم لديهم حشفًا، والأديب محارفًا، والمعرفة منكرة، والفضيلة منقصة، والبلاغة لُكنة، والفصاحة هُجنة، اجتنبت الآداب اجتناب المحارم، وهجرت العلوم هجر كبائر المآثم.

أين هو؟

كتب الحسن بن سهل إلى محمد بن سماعة القاضي:

أما بعد، فإني احتجت لبعض أموري إلى رجل جامع لخصال الخير، ذي عفة ونزاهة طعمة، قد هذبته الآداب، وأحكمته التجارب، ليس بضنين في رأيه، ولا بمطعون في حسبه، إن أؤتمن على الأسرار قام بها، وإن قلد مهمًا من الأمور أجزأ فيه، له سن من أدب ولسان، تُقعده الرزانة، ويُسكنه الحلم، قد فُر عن ذكاء وفطنه، وعض على قارحة من الكمال، تكفيه اللحظة، وترشده السكتة، قد أبصر خدمة الملوك وأحكمها، وقام في أمورهم فحمد فيها، له أناة الوزراء، وصولة الأمراء، وتواضع العلماء، وفهم الفقهاء، وجواب الحكماء، لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده، يكاد يسترق قلوب الرجال بحلاوة لسانه وحسن بيانه، دلائل الفضل عليه لائحة، وإمارات العلم له شاهدة، مضطلعًا بما استنهض، مستقلاً بما حمل. قد آثرتك بطلبه، وحبوتك بارتياده، ثقة بفضل اختيارك ومعرفة بحسن تأتيك.

فكتب إليه: إني عازم أن أرغب إلى اللّه جل وعز حولاً كاملاً في ارتياد مثل هذه الصفة، وأُفرق الرسل الثقات في الآفاق لالتماسه، وأرجو أن يمن اللّه بالإجابة، فأفوز لديك بقضاء حاجتك. والسلام.

الأخ الثاوي

قال أبو علي القالي في أماليه:

أنشدني أبو محمد عبد اللَّه ابن جعفر بن درستويه النحوي قال: أنشدنا عبد اللَّه بن جوان صاحب الزيادي - ولم يسم قائلها - وأملاها علينا أبو سعيد السكري، لأبي العتاهية في بعض إخوانه:

وقد كنت أغدو إلى قصره ... فقد صرت أغدو إلى قبره
أخٌ طالما سرني ذكره ... فقد صرت أشجى لدى ذكره
وكنت أراني غنيًّا به ... عن الناس لو مُد في عمره
وكنت إذا جئت في حاجة ... فأمري يجوز على أمره
فتىً لم يمل الندى ساعة ... على عُسره كان أو يُسره
تظل نهارك في خيره ... وتأمن ليلك من شره
فصار علي إلى ربه ... وكان عليٌّ فتى دهره
أتم وأكمل ما لم يزل ... وأعظم ما كان في قدره
أتته المنية مغتالة ... رويدًا تخلل من ستره
فلم تُغن أجناده حوله ... ولا المزمعون على نصره
وخلى القصور التي شادها ... وحل من القبر في قعره
وبُدل بالفرش بسط الثرى ... وطيب ندى الأرض من عطره
وأصبح يُهدى إلى منزل ... عميق تؤنق في حفره
تغلق بالترب أبوابه ... إلى يوم يؤذن في حشره
أسد الجماعة وجدًا به ... أشد الجماعة في طمره

فلست مشيعه غازيًا أميرًا يسير إلى ثغره
ولا متلقيه قافلاً بقتل عدو ولا أسره
وتطريه أيامنا الباقيات لدينا إذا نحن لم نُطره
فلا يبعدن أخي ثاويًا فكلٌ سيمضي على إثره

حِكم ومواعظ

* حسبك من الشر سماعه.

* السؤدد كرم الأخلاق وحسن الفعل.

* من اتكل على زاد غيره طال جوعه.

من حِكم أبي مدين

* إذا ظهر الحق لم يبق معه غيره.

* من خرج إلى الخلق قبل وجود حقيقة تدعوه إلى ذلك فهو مفتون.

* للفقر نور ما دمت تستره، فإذا أُظهر ذهب نوره.

* الإخلاص أن يغيب عنك الخلق في مشاهدة الحق.

* أضر الأشياء صحبة عالم غافل أو صوفي جاهل.

* من ضيع حكمة وقته فهو جاهل، ومن قصر عنها فهو عاجز.

* اجعل الصبر زادك، والرضا مطيتك، والحق مقصدك ووجهتك.

* من تعلق بوعد الأماني، لم يفارق التواني.

* لا تعمَ عن نقصان نفسك فتطغى.

* من تزين بزائل فهو مغرور.

الأندلسية
التي أُلهمها أديب الشرق الأكبر الأمير شكيب أرسلان

في وقفة له يوم ١٧ صفر سنة ١٣٤٩ أمام معجزات الفن العربي في قرطبة

لكَ اللَّه إن شئت الصَبوح فبكّرِ ... بكأس دهاقٍ من حُميا التذكر
وغن على ذكرى الليالي التي خلت ... قصائدَ إن تُنشد على الميْت يُنشر
فقد تَعذب الذكرى ولو لفجيعة ... ويشفي أوار الصدر فرط التحسر
ولولا المراثي والمآقي وراءها ... لأفنى الورى حر الأسى المتسعر
تقضت لبانات الرجال من الجوى ... بتذكار ماضٍ أو إثارة مضمر
لعمرك لا يُرجى لنشأة مقبل ... ومستقبل من لم يفكر بمدْبر
وما هذه الدنيا سوى متقدم ... يُكوّر تجديدًا على متأخر
أدرها تردُ الرشد في عقل ذاهب ... وتُذهب عقل الراشد المتبصر
وتحيي لنا عهدًا يصُوب عهاده ... منازل قلبٍ من هوى الذكر مقفر
وكائنة لم يعرف الدهر أختها ... ولا حدّثت عن مثلها كُتب مخبر
يكاد الذي يقرا غريب حديثها ... يظن خيالاً أو أحاديث مفتر
يقولون: كانت أمة عربية ... بأندلسٍ سادت بها جمّ أعصر
وقد عمرت أقطار أندلسٍ بهم ... فكم بلد فخم ومِصر ممصّر

وكم أربُع خضر وحرث مطبّق ... وفاكهة رغد وزهر منوّر
وكم قائد قرْم وجند مدرب ... وكم سائسٍ فحل وأمرٍ مدبر
وكم بطل إن ثار نقعٌ رأيته ... يبيع بأسواق المنايا ويشتري
وما شئتَ من علم ورأي وحكمة ... ودرس وتحقيق وقولٍ محرر
إلى شمَمٍ جمٍ ومجد مؤثّل ... وفي عزة قعسا ووفر مُوفر
نعم، كان فيها من نزار ويعرب ... جموعٌ تحيل الأرض في يوم محشر
فراحت كأن لم تغنَ بالأمس، وانقضى ... لهم كل ركزٍ غير ذكر معطر
كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيسٌ ولم يسمر هناك ويسهر
كأن لم تكن في أرض أندلسٍ لنا ... جحافل إن تحمل على الدهر يذعر
فما ذا الذي أخنى عليها، وما الذي ... رماها بهذا الخسف بعد التصدر
إذا أعمل المرء البصيرة لم يجد ... لها علة غير الخلاف المتبّر
خلافان: هذا بين قيس ويعرب ... مقيم، وهذا بين عُرب وبربر
و لا شر يحكي شر حرب إذا التقت ... صناديد قيس مع غطاريف حِمير
لعمرك لولا الخُلف لم يكُ مشرق ... ولا مغرب يعصي عليهم ويجتري
لقد عصفت في شقة الغرب ريحهم ... فسادت، ولكن لم تكن ريحَ صرصر
فقد أثّلوا في أرضها مدنية ... ترى الخصم في عليائها ليس يمتري
وسووا جميع العالمين بعدلهم ... ومن يتمسك بالسوية يعمر
ولا عارضوا في دينه غير مسلم ... ولا عاملوا أهل الكتاب بمنكر
ولا نصبوا ديوان تفتيشهم على ... عقائد أقوام يجوسُ ويفتري
ولا أحرقوا بالنار من قيل إنه ... على صلة مع دينه بالتستر
بذلك هاتيك الممالك أصبحت ... مثالاً قويمًا للعُلى والتحضر
وقد صار نهر الرون ثغر بلادهم ... وكم صبغوه في الجهاد بأحمر

وشكّوا لواهم في ذرى قرقشنة وسلوا على تربولة كلَّ أبتر
ودانت لهم صيد الجلالقة الألى بلا منهم الرومان كلَّ غضنفر
ولم يقف البشكنس في وجه زحفهم ولا أوطأوا الجرمان ثغرة معور
وإن يك لاقى الغافقي حِمامه ومحّص في يوم البلاط المقدّر
فقد لبثت من بعد ذاك جيوشهم تَعرض دهرًا للفرنج وتنبري
يقول الألى قد شاهدوا غزواتهم: هم العُرب فوق الخيل، أم جِنُّ عبقر
وصقر قريش حين جاء مشردًا فأنشب فيهم أيّ ظفر مُظفر
وشاد بهاتيك القواصي إمارة لها أجفل المنصور والدُ جعفر
وخلّف أملاكًا سموًا وخلائفًا أسود عرين منهمُ كل مُخدر
كفى بالإمام الناصر الفذ عاهلاً كسى أمة الإسلام حُلة مفخر
تُقبل أملاك الفرنجة كفه ويقصد عالي بابه وفدُ قيصر
غداة تجلى للخلافة رونق به ظهر الإسلام أروعَ مظهر
وأضحت بها (الزهرا) تميد جموعها فيا لك من يومٍ أغرٍ مشهر
تلعثم فيه كلُ رب فصاحة فعيّوا سوى قاضي الجماعة منذر
ولا تهمل المستنصر الحكم الذي تلاه، ومن يستنصر اللّه يُنصر
غدت قبة الإسلام قرطبة العلى وسارقتِ الزوراء لحظة أزور
وبارى بني العباس فيها أميةٌ وجروا على بغداد ذيل التبختر
وكان بها العمران يزخر مثلما تلاطم أمواج الخضمّ المهدّر
ولما رأيت المسجد الجامع الذي بقرطبة من فوق فوق التصور
عضضت على كفي بكل نواجذي وقلت لعيني: اليوم دورك فاهمري
هو الجامع الطامي العُباب بوقته يحاكي به عُمّاره لجّ أبحر
ظللت به بين الأساطين سائحًا بفكري حتى غاب عني محضري

تخيلته- والذكر يُتلى خلاله- ... نظير دويّ النحل من كل مصدر
تأمل خليلي كم هنا من مهللٍ ... إلى ربه صلى، وكم من مُكبر
وكم أزهرت فيه ألوفٌ مصابح ... وكم أوقدت أرطال عود وعنبر
وكم قاريء بالسبع في وسط حلقة ... وكم خاطبٍ بالسجع من فوق منبر
وكم عالمٍ يُلقي على الجمع درسَه ... وكم واعظٍ يمري مدامع محْجر
وكم ملكٍ ضخم وكم من خليفة ... هنا كان يجثو عن جبين معفّر
تسد فجاج المغربين جيوشه ... ويبدو هنا في ثوبٍ أشعث أغبر
خليلي تأمل - كالعرائس تنجلي- ... أساطين قد تُحصى بألف وأكثر
أساطين من صم الجماد موائل ... يذوب لها قلب الحنيف المفكر
تراها صفوفًا قائمات كأنها ... حدائق نصّت من جماد مشجّر
من العمُد الأسنى فكل يتيمة ... لها نسبٌ من مقطع متخير
أجادت تحريها قرومُ أمية ... معادنَ شتى من فِلزٍ ومرمر
نبت دونها زرق الفؤوس وأصبحت ... لدى الفري تهزا بالحديد المعصفر
ولكن لفضل الفن ألقت قيادها ... فصالت بها الصُناع صولة عنتر
فبينا هي الصم الصلاد إذا انثنت ... مقاطع جبن أو قوالب سُكر
عرائسُ للتخريم فوق رؤوسها ... أكاليل دُرٍ في قلائد جوهر
ووجّه إلى المحراب طرفك ينسرح ... من الصخر في مثل الطراز المحبَّر
وحدّق بهاتيك النقوش وزهوها ... كأن فاتها صُناعها منذ أشهر
وبالقبة العلياء يبدو شعاعها ... بأبلغ من زهر النجوم وأزهر
لو أن الثريا في سماها تعرضت ... لظلت تحدى للثريا وتزدري
أقول لخصمٍ يبخس العرب حقهم ... أجاحد نور الشمس دونك فانظر
ويا سائحًا يبغي مآثر قومه ... وينشدها في كل سهل وموعر

تطوف فلا تلقاك غير بدائع ... يميل إليها كل عِطف مُخصر
تطلّع فلا تلقاك غير روائع ... لها الليث يرنو عن لواحظ جوذر
خليلي فما فحصُ السُرادق نائيًا ... وهذا برأس الطود حِصن المدوّر
وهذي رسوم للمنيف ومؤنس ... وقصر السرور الدارس المتبعثر
وكان هنا قصر الدمشقِ وإنه ... يطاول عليا بعلبكّ وتدمر
وزاهرة المنصور لا شكّ جنة ... تمد من الوادي الكبير بكوثر
وسائل عن المنصور نجلَ ابن عامر ... يجاوبك عنه كلُ قوس موتّر
غزا في العدى ستًا وخمسين غزوة ... وآض بها طُرا بنصرٍ مؤزر
خليلي وعرج بالبهور فإنه ... تقطّع عن أمثاله كل أبهر
وهذي التي كانت تسمى شقندة ... وتدخل في التخطيط ضمن المسوّر
وفيها جرى ذاك العراك الذي جرى ... وروّى ثراها بالدم المتفجر
وقائع قيس واليماني، وكلها ... مصائب إن تذكر لنا نتفطر
وزر ضفة الوادي الكبير وسُح بها ... وعرج على الجسر الطويل المقنطر
وهذي الطواحين الشهيرة لم تزل ... كأن تركوها أمسِ لم تتغير
قصور نبا عنها قصورُ مشيّد ... وعلياء لم تَعلم مشيدَ مقصِّر
وأقنية تحكي الجنان نضارة ... وأقنية تجري على كل أخضر
وشمٌ حصون لا تُعد، ودونها ... مقاصف إن تُذكر نهز ونسكر
على همم دلت لهم وقرائح ... ويُعرف بالآثار قدر المؤثر
فأخنى على تلك المحاسن كلها ... غرامهم بالانقسام المشطّر
محا الخُلف من أوضاعهم كلَ نافع ... وصوّح من أعمالهم كل مثمر
ولم يستفيدوا من تقاطع بينهم ... سوى عيش ذلٍ تحت نقمه موتر
فكل الذي قد شيدوه بحزمهم ... أضاعوه حقًا بالشقاق المدمّر

ولم يبقَ في هذي الديار لنا سوى
ممالك فِكر من حروف وأسطر
ممالك لا تقوى عليها كتائب
ولا سالبٌ تاريخها زحفُ عسكر
إذا حضرتْ آثار قومي، وإن خلوا
فإنيَ منها في قبيل ومعشر
وأشعر أني في بلادي كأنما
تخاطبني الأرواح من كل مُقبر
وإني أرى بالعين ما لم أكن أرى
حقيقته في وصف طِرسٍ ومزبر
لعل الذي قد كان منه بوارُنا
يعود علينا خيرَ وعظٍ ومزجر

قرطبة - شكيب أرسلان

حِكم أخرى لأبي مدين

* الحمية في الأبدان ترك المخالفة بالجوارح، والحمية في القلوب ترك الركون إلى الأغيار، والحمية في النفوس ترك الدعوى.
* الخوف سوط يسرق، ويعوق: يسوق إلى الطاعة، ويعوق عن المعصية.
* من أخلص لله في معاملته، تخلص من الدعوى الكاذبة.
* أهل الصدق قليلٌ في أهل الصلاح.
* من لم يستعن بالله على نفسه صرعته.
* نافخُ الكير إن لم يحرقك بناره، آذاك بشراره.
* من عرف نفسه لم يغتر بثناء الناس عليه.
* الدعوى من رعونة النفس.

غدر المرأة
نظرة من نظرات مصطفى لطفي المنفلوطي

يقصون في القصص الخرافية أن حكيمًا من حكماء اليونان كان يُحب زوجته حبًا ملك عليه عقله وقلبه، وأحاط به إحاطة الشعاع بالمصباح المتقد، وكان يمازج هناءه الحاضر شقاء مستقبل يسوقه إلى نفسه، الخوف من أن تدور الأيام دورتها فيموت ويفلت من أشراكه ذلك القلب الذي كان مغتبطًا باعتلاقه، إلى صائد آخر يعتلقه من بعده. وكان كلما بث زوجته سره وشكا إليها ما يساور قلبه من ذلك الهم، حنت عليه وعللته بمعسول الأماني، وأقسمت له بكل محرجة من الأيمان أنها لا تسترد هبة قلبها منه حيًا وميتًا. فكان يسكن إلى ذلك سكون الجرح الذرب، تحت الماء البارد، ثم يعود إلى هواجسه ووساوسه. حتى مر في بعض روحاته إلى منزله في ليلة من الليالي المقمرة، بمقبرة المدينة، فبدا له أن يدخلها ليُروح عن نفسه هموم الموت بوقفة بين قبور الموتى، وكثيرًا ما يتداوى شارب الخمر بالخمر، ويدفع الخوف الخائف إلى موطن خوفه، ويلذ للجبان وهو يرتعد فرقًا الإصغاء إلى حديث الأفاعي وقصص الجان، فرأى في بعض مسالكه بين تلك القبور امرأة متسلبة، جالسة أمام قبر جديد لم يجفّ ترابه، وبيدها مروحة من الحرير الأبيض، مطرزة بأسلاك الذهب، تهزها يمنة ويسرة، لتجفف بها بلل ذلك التراب. فعجب لشأنها وتقدم إليها، فارتاعت لمرآه ثم أنست به حينما عرفته، فسألها: ما شأنها وما مقامها هنا، ومن هذا الدفين، وما الذي تفعل؟ فأبت أن تجيبه عما سأل، حتى تفرغ من شأنها. فجلس إليها وتناول منها المروحة وصنع صنيعها حتى جف التراب، فحدثته أن هذا الدفين زوجها، وأنه دُفن منذ ثلاثة أيام وأنها منذ الصباح جالسة مجلسها

هذا لتجفف تراب قبره وفاء بيمين كانت أقسمتها له في مرض موته، أنها لا تتزوج من غيره حتى يجف تراب قبره، وأن هذه الليلة هي موعد زواجها من زوجها الثاني، فأبى لها وفاؤها لهذا الدفين الذي كان يُحبها ويحسن إليها أن تحنث في يمين أقسمتها له أو تخيس بما عاهدته عليه. ثم قالت: هل لك يا سيدي أن تقبل هذه المروحة هدية مني إليك وجزاءً لك على حسن صنيعك معي؟ فتقبلها منها شاكرًا بعد أن هنأها بزواجها الجديد، ثم انصرف وليس وراء ما به من الهم غاية. ومشى في طريقه مشية الرائح النشوان يُحدث نفسه ويقول: إنه أحبها وأحسن إليها، فلما مات جلست فوق قبره لا لتبكيه، ولا لتذكر عهده، بل لتتحلل من يمين الوفاء التي أقسمتها له. فكأنها وهي جالسة أمام زوجها الأول تعد عدد الزواج من زوجها الثاني. وكأنها اتخذت من صفائح قبره مرآة تصقل أمامها جبينها، وتصفف طرتها، وتلبس حليتها بين سمعه وبصره للزفاف إلى غيره، وما زال يُحدث نفسه بمثل ذلك حتى رأى نفسه في منزله من حيث لا يشعر، ورأى زوجته ماثلة أمامه مرتاعة لمنظره المحزن، فقال لها: إن امرأة خائنة أهدت إليّ هذه المروحة فقبلتها منها لأهديها إليك؛ لأنها أداة من أدوات الغدر والخيانة، وأنتِ أولى بها مني. ثم أنشأ يقص عليها قصة المرأة، حتى أتى عليها، فغضبت وانتزعت المروحة من يده ومزقتها، وأنشأت تسب تلك المرأة وتنعى عليها غدرها وخيانتها، وتلقبها بأفحش الألقاب وأقبحها، ثم قالت: ألا يزال هذا الوسواس عالقًا بنفسك ما دمت حيًا؟ وهل تحسب أن امرأة ترضى لنفسها بما رضيت به لنفسها تلك المرأة الغادرة؟

فقال لها: إنك أقسمتِ ألا تتزوجي من بعدي، فهل تفين بعهدك؟

قالت: نعم، ورماني اللّه بكل ما يرمي به الغادر إن أنا غدرت. فاطمأن لقسمها وعاد إلى راحته وسكوته.

مضى على ذلك عام، ثم مرض الرجل مرضًا شديدًا، فعالج نفسه، فلم يجد العلاج، حتى أشرف، فدعا زوجته وذكّرها بما عاهدته عليه، فادكرت، فما غربت شمس ذلك اليوم حتى غربت شمسه. فأمرت أن يُسجى في قاعته حتى يُحتفل بدفنه في اليوم الثاني، ثم خلت بنفسها في غرفتها تبكي عليه وتندبه، وإنها لكذلك إذ دخلت عليها الخادم، وأخبرتها أن رجلاً من تلاميذ مولاي حضر الساعة من بلدته لما سمع بأمر مرضه، فأخبرته خبر موته فصعق في مكانه حزنًا ووجدًا، ولا يزال عند باب المنزل مطروحًا لا تدري ما تصنع في أمره. فأمرتها أن تذهب به إلى غرفة الأضياف، وأن تتولى شأنه حتى يستفيق، ثم عادت إلى بكائها ونحيبها، فلما مر الهزيع الثاني من الليل، دخلت عليها الخادم مرتاعة مولهة، وهي تقول: رحمتك وإحسانك يا سيدتي، فإن ضيفنا يعالج من آلامه وأوجاعه عذابًا أليمًا، وقد حرت في أمره، وما أحسبنا إن أغفلنا أمره ساعة واحدة إلا هالكًا. فراعها الخبر، فقامت تتحامل على نفسها حتى وصلت إلى غرفة المريض، فرأته مسجىً على سريره والمصباح عند رأسه، فاقتربت منه ونظرت في وجهه، فرأت أبدع سطر خطته يد القدرة الإلهية في لوح المقادير، فتخيلت أن المصباح الذي أمامها قبس من ذلك النور المتلألىء في ذلك الوجه المنير، وتمثلت كأن أنينه نغمة موسيقية محزنة ترن في جوف الليل البهيم. فأنساها الحزن على المريض المشرف الحزن على الفقيد الهالك، وعناها أمره، فلم تترك وسيلة من وسائل العلاج إلا توسلت بها إليه، حتى استفاق ونظر إلى طبيبه الراكع بجانب سريره نظرة الشكر والثناء. ثم أنشأ يحدثها عن نفسه كل شيء، فعرفت من أمره كل ما كان يهمها أن تعلمه، فعرفت مسقط رأسه وصلته بزوجها، وأنه فتى غريب في قومه لا أب له ولا أم ولا زوجة. وهنا أطرقت برأسها برهة طويلة عالجت فيها من هواجس النفس ونوازعها ما عالجت. ثم

رفعت رأسها وأمسكت بيده وقالت: إنك قد ثكلت أستاذك، وأنا ثكلت زوجي، فأصبح همنا واحدًا، فهل لك أن تكون عونًا لي وأكون عونًا لك على هذا الدهر الذي لم يترك لي ولا لك مساعدًا ولا معينًا؟ فألم بما في نفسها، فابتسم لها ابتسامة الحزن والمضض، وقال لها: من لي يا سيدتي أن أكون عند ظنك بي، وهذا المرض الذي يساورني ويتعهدني من حين إلى حين قد نغص علي عيشي، وقد أفسد علي حياتي، وقد أنذرني الطبيب باقتراب ساعة أجلي إلا أن تدركني رحمة الله. ففتشي عن سعادتك عند غيري، فأنت من بنات الوجود وأنا من أبناء الخلود. فقالت له: إنك ستعيش وسأعالجك، ولو كان دواؤك بين سَحري ونحري.

قال: لا تصدقي يا سيدتي فأنا عالم بدوائي، وعالم أنني لا أستطيع السبيل إليه.

قالت: وما داواؤك؟

فامتنع عليها بُرهة لا يجيبها، فلما أعياه إلحاحها قال: حدثني طبيبي أن شفائي في أكل دماغ ميت ليومه، فلما علمتُ أن ذلك يعجزني أسجلت أن لا دواء لي ولا شفاء. فارتعدت وشحب لونها وأطرقت طويلاً، ثم رفعت رأسها هادئة ساكتة وقالت: إني لا أزال أقول لك إني سأعالجك، وإن كان دواؤك في ذهاب نفسي. ثم أمرته أن يأخذ قسطه من الراحة، وخرجت متسللة حتى وصلت إلى غرفة الميت، ففتحت الباب، فدار على عقبه وصر صريرًا مزعجًا، فجمدت في مكانها وقد امتلأ قلبها رعبًا وخوفًا، وذهبت بها الظنون كل مذهب. ثم عادت إلى سكونها، فتقدمت لشأنها، حتى دنت من السرير، ورفعت الفأس، وما كادت تهوي بها حتى رأت الميت فاتحًا عينيه ينظر إليها، فسقطت الفأس من يدها، والتفتت وراءها فرأت الضيف والخادم واقفين وراءها يتضاحكان، ففهمت كل شيء.

وهناك تقدم إليها زوجها وقال لها: أليست المروحة يا سيدتي في يد تلك المرأة الغادرة أجمل من الفأس في يدك؟! أليست التي تُجفف تراب قبر زوجها بعد دفنه أفضل من التي تكسر دماغه قبل نعيه؟! فصارت تنظر إليه نظرًا غريبًا، ثم شهقت شهقة كانت فيها نفسها!

العربية والإسلام وموقف أوروبا منهما

قال الحاج ناصر الدين دبته في كتابه (الحج إلى بيت اللَّه الحرام):

لقد استرعت أنظارنا بصفة خاصة أثناء رحلتنا أمور ثلاثة على جانب من الأهمية بالنسبة للمستقبل، وهي:

(أولا): قوة الحياة الكامنة في اللغة العربية.

(ثانيا): قوة العقيدة الإسلامية.

(وثالثا): إصرار أوروبا في عداوتها للإسلام إصرارًا ظاهرًا أو مستترًا.

❑ أولا: قوة الحياة الكامنة في اللغة العربية:

اتخذ بعض اللاتينيين ديدنًا لهم إظهار اللغة العربية الفصحى بمظهر لغة ميتة وغير مفهومة عند ثلاثة أرباع المتكلمين بها من العرب. أما لغة الكلام فهي في نظر هؤلاء اللاتينيين عبارة عن لهجات عامية لا ارتباط بينها، ومصيرها الفناء بعد زمن قليل.

ولكن حسب الإنسان أن يذهب إلى الشرق: إلى مصر أو سوريا ليتجلى له البرهان القاطع على أن اللغة العربية التي وئدت قبل أن يحين أجلها، هي على

عكس ما يذهبون إليه، لغة حية بكل ما في الحياة من قوة، لدرجة أن جميع الأجانب المقيمين في هذه الأصقاع لا يجدون مفرًا من تعلمها، وإلا حيل بينهم وبين القيام بتصريف أمورهم.

وفي مكة على وجه التخصيص يشاهد الإنسان أكبر مظهر من مظاهر حياة اللغة العربية، فإن لغة الكلام هناك تكاد تكون الفصحى بعينها. ومن السهل أن يفهمها جميع الناطقين بالضاد في جميع الأقطار.

أما الاختلاف الواقع بين اللهجات المتعددة فعديم الأهمية، لأنه لا يحول دون تفاهم المغاربة والسوريين واليمنيين وغيرهم فيما بينهم، إذا جمعتهم الظروف في مكان واحد، والعناء الوحيد الذي يلاقيه المتكلم ينحصر في اللهجة المصرية بسبب اختلاف النطق بحرفي الجيم والقاف.

وهناك الألوف من الحجاج الأعاجم (غير العرب) الذين يُقبلون على تعلم اللغة العربية بشغف زائد؛ ليتسنى لهم قراءة القرآن، واستيعاب معانيه، والكثيرون منهم يقدرون على التعبير بها من غير ما خطأ، بالرغم من سقم نطقهم.

ولقد تسنى لنا محادثة بعض الجاويين والهنود والفارسيين والخراسانيين وأهالي البوسنة والأتراك والألبانيين وأهل القوقاز والسنغال والسودان من غير أن تصادفنا صعوبة تذكر.

أما العرب والبدو من سكان الحجاز ونجد، فقد تولتنا الدهشة من الشبه الكبير بينهم وبين بدو صحراء افريقية الشمالية في تعبيراتهم ونغماتهم وأفكارهم.

واللغة العربية الفصحى تشابه في الواقع اللغة الفرنسية، وهي مثلها لغة حية، وتتفق وإياها في طريق التعبير والادلاء.

أما اللغة العامية فلا تختلف لهجاتها بأكثر من اختلاف لغة فلاحي شمال فرنسا عن لغة فلاحي جنوبها.

ويجد الإنسان في دراسة تلك اللغة العجيبة ميزة خاصة بها، فإنها - من بين جميع اللغات القديمة - اللغة الوحيدة التي لا تزال حية للآن، ولو عاد اليوم أحد معاصري النبي ﷺ لما وجد أية صعوبة في التفاهم مع جميع الناطقين بالضاد، على حين أنه لو عاد أحد معاصري قيصر لما تأتى له إلا أن يتكلم مع بعض الأساتذة المدرسين، ومع ذلك فمن المشكوك فيه أن يتسنى له أن يفهمهم كل الفهم، كما أن أحد معاصري فرنسوا الأول لو عاد؛ لوجد صعوبة تامة في التخاطب مع فرنسيي اليوم.

وآداب اللغة العربية - دون آداب اللغات الحية - أقلها انتشارًا؛ لأنها أدق على الفهم، ولأن الموجود منها بين أيدينا مترجمًا إلى اللغات الأوروبية معظمه محشو بالأخطاء، وعلى جانب من السخافة المزرية.

وفي الواقع لأجل الإلمام بآداب اللغة العربية وتفهيمها يجب ألا يكون المترجم لها ممن درسوا اللغة العربية حق دراستها فحسب، بل يجب أن يكون شاعرًا، وأن يكون ممن عاشوا بين ظهراني العرب المسلمين وعاشروهم مدة طويلة.

فأمثال هؤلاء يجدون في آداب العربية كنوزًا مدّخرة، قل أن يوجد لها نظير في جمالها ونوعها.

وللغة العربية ميزة أخرى، وهي أنها منتشرة في أقطار واسعة تمتد من شواطىء الاطلانطيك إلى بلاد فارس وخليج العجم، ومن شواطىء البحر المتوسط إلى بلاد السودان، وكثيرًا ما يقابل الإنسان جماعات كبيرة من المسلمين يتكلمون العربية في الأقطار الواسعة الواقعة بين بلاد فارس والهند وشواطىء المحيط الهادي.

وإن في دراسة اللغة العربية فوائد لا تُنكر، لاسيما للفرنسيين، بل هي أكبر أهمية من دراسة اللغة اليونانية القديمة واللاتينية، وتعادل دراسة اللغتين الانكليزية والألمانية، ويجب أن تُدرس في جميع المدارس الثانوية في فرنسا والجزائر وتونس والمغرب الأقصى.

❑ ثانيا: قوة العقيدة الإسلامية:

وقف القراء فيما أوردناه في هذا الكتاب على مقدرة قوة العقيدة الإسلامية الهائلة، فلا حاجة بنا إلى تكرار ما رأيناه من المعجزات التي تجلت لنا من جراء فعلها في النفوس. ولكن من باب التدليل على عظمة هذه القوة نقتطف فيما يلي بعض الفقرات الواردة في كتاب للقس زويمر، أتى فيه على شرح انتشار الإسلام الذي أيقظته المحن النازلة به منذ الحرب الكبرى قال:

«منذ سنة ١٩٠٥ عاد خمسون ألفا من الروسيين الذين كانوا يتسمون بأسماء مسيحية إلى حظيرة الإسلام (صفحة ٢١٠)

وإن السودان الواسع الأرجاء بسكانه البالغين ٥٠ مليونا من النفوس، وقبيلة الهاوسة الكبيرة، وقبائل بلاد النيجر والشاطىء الذهبي، أسلم الكثيرون منهم، بل هم على وشك أن يصيروا جميعًا مسلمين. ولا ريب أن الموج يرتفع قبرًا دون أن يلقى مقاومة (صفحة ٢٣٥)، وفي البنغال (مقاطعة من مقاطعات الهند) أسلم أكثر من ١٠ ملايين نفس، وكذلك في برمانيا (بجوار الهند) زاد عدد المسلمين بنسبة الثلث في بحر عشر سنوات[١]».

أخيرًا نثبت هنا ما فات زويمر أن يذكره، وهو أنه يوجد في جميع أنحاء أوروبا وأمريكا من اعتنقوا الإسلام، وإذا كان هذا الأمر لا يزال قليل الأهمية

---

(١) انظر: كتاب «الإسلام» تأليف س. و. زويمر.

بالنظر لقلة عدد المعتنقين- وإن كان عددهم لا بأس به-، فإنه ذو أهمية كبرى، نظرًا لمركز هؤلاء المعتنقين الذين ينتمون إلى الطبقات الراقية المتعلمة، ونذكر منهم على سبيل المثال اللورد هيدلي الانكليزي، وصديقنا المأسوف عليه كريستيان شرفيس أحد تلاميذ أوغست كونت، وأديب من أدباء فرنسا المعدودين، وفيلسوف من فلاسفتها المشهورين.

ولو كان الإسلام الحقيقي معروفًا في أوروبا؛ لكان من المحتمل أن ينال - أكثر من أي دين آخر - العطف والتأييد من جراء روح التدين التي نجمت عن الحرب الكبرى، فإنه والحق يقال يلائم جميع ميول معتنقيه على اختلاف مشاربهم، فهو يهدي علماء أوروبا وآسيا إلى الطريق المستقيم، كما أنه هدىً وتعزية لزنوج السودان الذين ينتزعهم من أحضان أوهامهم الوثنية، ويرقى بروح ذلك التاجر الانكليزي، رجل العمل، الذي يعتبر الوقت من ذهب، كما يرقى بروح الفيلسوف المتدين ويسمو بنفس الشرقي المفكر ذي التأملات والخيال، كما يسمو بنفس الغربي الشغوف بالفن والشعر، بل هو يسحر لب الطبيب العصري بما قرره من الوضوء المتكرر كل يوم، وبما في الصلاة من حركات منتظمة تفيد الجسم والروح معًا.

❑ ثالثا: عداوة أوروبا للإسلام:

إن الكثيرين من القراء يعترضون على ملاحظاتنا الخاصة بعداوة أوروبا للإسلام، فإن هذا الشعور السيء لا وجود له في الحقيقة عند عامة الأوروبيين، بل هناك الكثيرون من هواة الفن وعشاق السياحة يشعرون بعطف خالص على الإسلام، وإعجاب كبير بذلك الدين الجذاب الذي أتى بآيات الإعجاز.

ولكن مما يؤسف له أن أوروبا متمسكة بتقاليد سياسية يرجع تاريخها إلى عهد الحروب الصليبية، ولم تحد عنها للآن، وكلما همت بنسيانها، قام في الحال

أعداء الإسلام أمثال غلادستون وكرومر وبلفور ومطران كنتربوري والمبشرون من جميع المذاهب في وجهها؛ لصدها والعودة بها إلى تلك التقاليد العدائية.

م. توفيق أحمد/ بالمساحة التفصيلية والتسجيل

الجندي المجهول

يُحكى أن سائحًا انجليزيًا رأى صينيًا يضع صحنًا من الأرز المطبوخ فوق قبر، فقال له متهكمًا: «متى تظن أن فقيدك يقوم فيأكل هذا الأرز؟» فأجابه الصيني بقوله: «يكون ذلك متى جاء فقيدكم يستنشق روائح الأزهار التي تضعونها على قبره»!

حِكم

* من وضع الحكمة في غير أهلها فقد ظلمها، ومن منعها أهلها فقد ظلمهم.
* فر من الشرف يتبعك الشرف

(أبو بكر الصديق رضي الله عنه)

* الخمر مَذهبة للعقل، مَسلبة للمال.

(عمر بن الخطاب رضي الله عنه)

* على العاقل أن يكون عالمًا بأهل زمانه، مقبلاً على شأنه.

(عمر بن الخطاب رضي الله عنه)

* من لانت كلمته وجبت محبته.

(علي بن أبي طالب ﵁)

* صدر العاقل صندوق سره. والبشاشة حبال المودة.

(علي بن أبي طالب ﵁)

خطبة الفتح الأعظم

❑ خطب بها القاضي محيى الدين بن الزكي على منبر المسجد الأقصى عقب إنقاذ صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس وبلاد فلسطين من أيدي الأوروبيين سنة ٥٨٣هـ ❑

الحمد لله مُعز الإسلام بنصره، ومُذل الشرك بقهره، ومُصرف الأمور بأمره، ومُديم النعم بشكره، ومُستدرج الكافرين بمكره. الذي قدّر الأيام دولاً بعدله، وجعل العاقبة للمتقين بفضله، وأفاء على عباده من ظله، وأظهر دينه على الدين كله، القاهر فوق عباده فلا يُمانع، والظاهر على خليقته فلا يُنازع، والآمر بما يشاء فلا يُراجع، والحاكم بما يريد فلا يُدافع. أحمده على إظفاره وإظهاره، وإعزازه لأوليائه ونصره لأنصاره، وتطهير بيته المقدس من أدناس الشرك وأوضاره، حمدَ من استشعر الحمدَ باطنُ سره وظاهرُ جهاره. وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، شهادة من طهّر بالتوحيد قلبه، وأرضى به ربه. وأشهد أن محمدًا ﷺ عبده ورسوله، رافع الشك، ومُدحض الشرك، وراحض الإفك، الذي أسرى به من المسجد الحرام إلى هذا المسجد الأقصى، وعرج به منه إلى السماوات

العلى، إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى، ما زاغ البصر وما طغى، صلى اللَّه عليه وعلى خليفته أبي بكر الصديق السابق إلى الإيمان، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصلبان، وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذي النورين جامع القرآن، وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مزلزل الشرك ومكسر الأوثان. وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.

أيها الناس، أبشروا برضوان اللَّه الذي هو الغاية القصوى والدرجة العليا؛ لما يسره اللَّه على أيديكم من استرداد هذه الضالة من الأمة الضالة، وردها إلى مقرها من الإسلام، بعد ابتذالها في أيدي المشركين قريبًا من مائة عام، وتطهير هذا البيت الذي أذن اللَّه أن يُرفع ويُذكر فيه اسمه، وإماطة الشرك عن طرقه بعد أن امتد عليها رواقه، واستقر فيها رسمه، ورفع قواعده بالتوحيد، فإنه بني عليه، وشيد بنيانه بالتمجيد، فإنه أسس على التقوى من خلفه ومن بين يديه، فهو موطن أبيكم إبراهيم، ومعراج نبيكم محمد ﷺ، وقبلتكم التي كنتم تصلون إليها في ابتداء الإسلام، وهو مقر الأنبياء ومقصد الأولياء، ومقر الرسل ومهبط الوحي، ومنزل به تنزّل الأمر والنهي، وهو في أرض المحشر وصعيد المنشر، وهو في الأرض المقدسة التي ذكرها اللَّه في كتابه المبين، وهو المسجد الذي صلى فيه رسول اللَّه ﷺ بالملائكة المقربين. وهو البلد الذي بعث اللَّه إليه عبده ورسوله، وكلمته التي ألقاها إلى مريم وروحه عيسى، الذي شرفه اللَّه برسالته وكرّمه بنبوته، ولم يزحزحه عن رتبة عبوديته.

فقال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَۚ﴾، كذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيدًا ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا

يَصِفُونَ﴾، ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ﴾ إلى آخر الآيات من المائدة. وهو أولى القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين، لا تُشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه، ولا تُعقد الخناصر بعد الموطنين إلا عليه، ولولا أنكم ممن اختاره اللَّه من عباده، واصطفاه من سكان بلاده؛ لما خصكم بهذه الفضيلة التي لا يجاريكم فيها مجار، ولا يباريكم في شرفها مبار، فطوبى لكم من جيش ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية، والوقعات البدرية، والعزمات الصديقية، والفتوحات العمرية، والجيوش العثمانية، والفتكات العلوية.

جددتم للإسلام أيام القادسية، والملاحم اليرموكية، والمنازلات الخيبرية، والهجمات الخليدية. فجزاكم اللَّه عن نبيه محمد ﷺ أفضل الجزاء، وشكر لكم ما بذلتموه من مهجكم في مقارعة الأعداء، وتقبل منكم ما تقربتم به إليه من مهراق الدماء، وأثابكم الجنة فهي دار السعداء. فاقدروا رحمكم اللَّه هذه النعمة حق قدرها، وقوموا لله تعالى بواجب شكرها فله المنة عليكم بتخصيصكم بهذه النعمة وترشيحكم لهذه الخدمة، فهذا هو الفتح الذي فُتحت له أبواب السماء وتبلجت بأنواره وجوه الظلماء، وابتهج به الملائكة المقربون، وقر به عينًا الأنبياء والمرسلون، فمنّ عليكم من النعمة بأن جعلكم الجيش الذي يفتح عليه بيت المقدس في آخر الزمان، والجند الذي تقوم بسيوفهم بعد فترة من النبوة أعلام الإيمان، فيوشك أن يفتح اللَّه على أيديكم أمثاله، وأن تكون التهاني بين أهل الخضراء أكثر من التهاني به بين أهل الغبراء. أليس هو البيت الذي ذكره اللَّه في كتابه، ونص عليه في محكم خطابه، فقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾؟

أليس هو البيت الذي عظمته الملل. وأثنت عليه الرسل، وتليت فيه الكتب الأربعة المنزلة من إلهكم ﷻ؟ أليس هو البيت الذي أمسك اللَّه تعالى الشمس

على يوشع لأجله أن تغرب، وباعد بين خطواتها ليتيسر فتحه ويقرب؟ أليس هو البيت الذي أمر اللَّه ﷺ موسى أن يأمر قومه باستنقاذه، فلم يجبه إلا رجلان، وغضب اللَّه عليهم لأجله، فألقاهم في التيه عقوبة للعصيان؟ فاحمدوا اللَّه الذي أمضى عزائمكم لما قعد عنه بنو إسرائيل، وقد فضلهم على العالمين، ووفقكم لما خذل فيه أمم كانت قبلكم من الأمم الماضين. وجمع لأجله كلمتكم وكانت شتى، وأغناكم بما أمضته كان وقد عن سوف وحتى. فليهنكم أن اللَّه قد ذكركم به في من عنده، وجعلكم بعد أن كنتم جنودًا لأهويتكم جنده. وشكر لكم الملائكة المنزلون على ما أهديتم إلى هذا البيت من طيب التوحيد، ونشر التقديس والتحميد. وما أمطتم عن طرقهم فيه من أذى الشرك والتثليث، والاعتقاد الفاجر الخبيث. فالآن يستغفر لكم أملاك السموات، وتصلي عليكم الصلوات المباركات. فاحفظوا رحمكم اللَّه هذه الموهبة فيكم. واحرسوا هذه النعمة عندكم بتقوى اللَّه التي من تمسك بها سلم، ومن اعتصم بعروتها نجا وعصم. واحذروا من اتباع الهوى وموافقة الردى، ورجوع القهقري، والنكول عن العدا. وخذوا في انتهاز الفرصة، وإزالة ما بقي من الغصة، وجاهدوا في اللَّه حق جهاده، وبيعوا عباد اللَّه أنفسكم في رضاه إذ جعلكم من خير عباده، وإياكم أن يستزلكم الشيطان، أو يتداخلكم الطغيان، فيخيل لكم أن هذا النصر بسيوفكم الحداد، وبخيولكم الجياد، وبجلادكم في مواطن الجلاد، لا والله ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾، فاحذروا عباد اللَّه بعد أن شرفكم بهذا الفتح الجليل، والمنح الجزيل، وخصكم بهذا الفتح المبين، وأعلق أيديكم بحبله المتين. أن تقترفوا كبيرًا من مناهيه، وأن تأتوا عظيمًا من معاصيه. فتكونوا ﴿كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا﴾، وكالذي ﴿ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾، والجهاد الجهاد، فهو من

أفضل عباداتكم، وأشرف عاداتكم، انصروا اللَّه ينصركم، احفظوا اللَّه يحفظكم، اذكروا أيام اللَّه يذكركم، اشكروا اللَّه يزدكم ويشكركم. جدوا في حسم الداء، وقطع شأفة الأعداء، وتطهير بقية الأرض من هذه الأنجاس التي أغضبت اللَّه ورسوله، واقطعوا فروع الكفر، واجتثوا أصوله. فقد نادت الأيام بالثارات الإسلامية، والملة المحمدية: اللَّه أكبر، فتح اللَّه ونصر، غلب اللَّه وقهر، أذل اللَّه من كفر. واعلموا رحمكم اللَّه أن هذه فرصة فانتهزوها، وفريسة فناجزوها، وغنيمة فحوزوها، ومهمة فأخرجوا لها هممكم وأبرزوها، وسيروا إليها سرايا عزماتكم وجهزوها. فالأمور بأواخرها، والمكاسب بذخائرها، فقد أظفركم اللَّه بهذا العدو المخذول، وهم مثلكم أو يزيدون. فكيف وقد أضحى قبالة الواحد منهم منكم عشرون، وقد قال اللَّه تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾.

أعاننا اللَّه وإياكم على اتباع أوامره، والازدجار بزواجره، وأيّدنا معاشر المسلمين بنصر من عنده ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ﴾. إن أشرف مقال يقال في مقام، وأنفذ سهام تمرق عن قسي الكلام، وأمضى قول تحل به الأفهام، كلام الواحد الفرد العزيز العلاَّم، قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم اللَّه الرحمن الرحيم، وقرأ أول الحشر، ثم قال: آمركم وإياي بما أمر اللَّه به مِن حُسن الطاعة فأطيعوه، وأنهاكم وإياي عما نهاكم عنه من قُبح المعصية فلا تعصوه، وأستغفر اللَّه العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه.

ثم خطب الخطبة الثانية على عادة الخطباء مختصرة، ثم دعا للإمام الناصر خليفة العصر. ثم قال: اللهم وأدم سلطان عبدِك، الخاضعِ لهيبتك، الشاكرِ لنعتمك، المعترفِ بموهبتك، سيفِك القاطع، وشهابِك اللامع، والمحامي عن دينك المدافع، والذابِّ عن حرمك الممانع، السيدِ الأجل، الملكِ الناصر، جامعِ كلمة الإيمان، وقامعِ عبدة الصلبان، صلاحِ الدنيا والدين، سلطانِ الإسلام والمسلمين، مطهرِ البيتِ المقدس أبي المظفر يوسف بن أيوب، محيي دولة أمير المؤمنين. اللهم عُمَّ بدولته البسيطة، واجعل ملائكتك براياته محيطة، وأحسن عن الدين الحنيفي جزاءه، واشكر عن الملة المحمدية عزمه ومضاءه، اللهم أبق للإسلام مهجته، ووق للإيمان حوزته، وانشر في المشارق والمغارب دعوته، اللهم كما فتحت على يديه البيت المقدس بعد أن ظُنَّت الظنون، وابتُلي المؤمنون، فافتح على يديه داني الأرض وقاصيها، ومَلِّكه صياصي الكفر ونواصيها، فلا تلقاه منهم كتيبة إلا مزقها، ولا جماعة إلا فرقها، ولا طائفة بعد طائفة إلا ألحقها بمن سبقها، اللهم اشكر عن محمد ﷺ سعيه، وأنفذ في المشارق والمغارب أمره ونهيه، اللهم وأصلح به أوساط البلاد وأطرافها، وأرجاء الممالك وأكنافها، اللهم ذلل به معاطس الكفار، وأرغم به أنوف الفجّار، وانشر ذوائب ملكه على الأمصار، وابثث سرايا جنوده في سبل الأقطار. اللهم ثبت الملك فيه وفي عقبه إلى يوم الدين، واحفظه في بنيه وبني أبيه الملوك الميامين، واشدد عضده ببقائهم، واقض بإعزاز أوليائه وأوليائهم. اللهم كما أجريت على يده في الإسلام هذه الحسنة التي تبقى على الأيام، وتتخلد على مرِّ الشهور والأعوام، فارزقه الملك الأبدي الذي لا ينفد في دار اليقين، وأجب دعاءه في قوله ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾. ثم دعا بما جرت به العادة.

أعزوا العلم والدين فأعزهم الله

في ترجمة أبي بكر عتيق السوسي - أحد أعلام المذهب المالكي في المغرب في القرن الخامس - أن الأمير المعز بن باديس علم بمكانته من الدين والعلم، وبأنه فقير لا مسكن له، فبعث إليه بمال ليشتري به دارًا، فرده وقال للرسول:

قل له يدفعه لأربابه، فإن لم يعلم أربابه تصدق به على الفقراء. فأعلم الرسول المعز بذلك، فبعث إليه كتبًا جليلة كثيرة؛ مثل المدونة والنوادر والموازية وغيرها، مما له قيمة كثيرة، على رؤوس الحمالين. فلما وصل الرسول إليه أغلق بابه في وجهه.

فلاطفه الرسول وقال له:

المعز يقول: هذه الكتب في خزانتنا ضائعة، وبقاؤها عندنا يزيدها ضياعًا، فأنت أولى بها.

فقال له: اكتب على كل جزء منها أنها حبس (وقف) على طلبة العلم.

فكتب ذلك.

الجامعة القومية والجامعة الإسلامية

الإسلام جامعة الجامعات القومية، والجامعات القومية جيوش للإسلام مرابطة في ثغوره، يقوم على جيش منها بالدفاع عن الحوزة من الثغرة التي تليه. فإذا نظر المسلمون إلى جامعاتهم القومية من هذه الوجهة، واعتبروها ردءًا

للإسلام تجاهد في سبيل مصلحته العامة وعروته الوثقى؛ كان لهم من ذلك قوة كفيلة بالخلاص، وكانت لهم في نظر الطامعين فيهم هيبة تدفع عنهم كثيرًا من الشرور المبيتة لهم، وتُفسد على أعدائهم الخطط المرسومة لإهلاكهم.

قضى الإسلام على العصبيات التي كانت سبب الفرقة، ونهى عن القوميات التي توقظ في النفوس دواعي العداوة بين أهل الملة الواحدة، وتحمل أهل كل عصبية على أن ينتصروا لمن شاركهم فيها بالحق والباطل؛ فمثل هذه العصبيات مرضٌ في جسم أهل الملة العظمى، ومن وظيفة الطب الاجتماعي أن يستأصل أسباب المرض الاجتماعي، وأن يسن للأمة قواعد صحية تضمن لكيانها القوة والعافية بين طرفي الأزل والأبد. وأنت لو أرجعت النظر إلى تاريخ الملة الإسلامية، لوجدت الطامعين فيها مع استفحال قوتهم منذ عهد طويل لم ينجحوا - في سلبنا نعمة الاستقلال - إلا بعد أن نسخوا جامعتنا الإسلامية الكبرى بالجامعات الوطنية الصغرى. وهل يستطيع الوحش أن يزدرد فريسته إلا إذا مزقها قطعًا وجعلها لقمًا يسيغها جوفه؟

قلت لصديقين لي في الأمس - أثناء حديث عن زعماء الوطنية الأندنوسية -: إن الإسلام لا يمنع الوطني الأندنوسي من أن يكون رجلاً محبًا لوطنه، حريصًا على خير بلاده، عاملاً على تحريرها، بل إن الإسلام يأمر المسلم الأندنوسي بأن يجاهد في سبيل استقلال أندنوسيا، لأن أندنوسيا ثغر من ثغور المسلمين، والأندنوسيون المسلمون جيش للإسلام مرابط في ذلك الثغر المعدود من الوطن الإسلامي، فهم مطالبون - مباشرة وقبل غيرهم - بأن يحصروا جهادهم في الثغر الذي هم جند اللّه فيه.

وما دام الجنود الذين يتألف منهم جيش الجهاد الأندنوسي مغتبطين برابطة الإسلام، ومتمسكين بعروته الوثقى التي لا انفصام لها، فإن من ورائهم جميع

مجاهدي الممالك الإسلامية يعطفون عليهم، ويؤيدون قضيتهم وينصرونها بأقلامهم وألسنتهم ومساعيهم وبأكثر من ذلك في الظروف الكبرى. فرابطة الإسلام فضلاً عن أنها لا تمنع الوطنيين الأندنوسيين من أن يكونوا وطنيين مخلصين لبلادهم، فإنها تحضهم على هذا الإخلاص، وتعتبرهم جنودها على طول الثغور الأندنوسية، وفي جميع خطوط الدفاع، وتأمر كل أخ من إخوانهم في الإسلام بأن يكون ردءًا لهم وعونًا لتحقيق حقهم بقدر ما تطول يده.

لما زرت بلاد فلسطين قبل سنتين أنا والأستاذ عبد الحميد بك سعيد الرئيس العام لجمعية الشبان المسلمين، وجدنا شباب فلسطين يعرفون القضية المصرية أكثر - نعم أكثر - من الشبان المصريين، ورأيناهم مراقبين لجميع حركات زعماء مصر وسكناتهم، ويحفظون أقوالهم وتصريحاتهم في مجلسي النواب والشيوخ ومناقشات الصحف، ويزنون أقدار قادة الحركة الفكرية ويعرفون مرامي كل منهم، ولا تخفى عليهم دائرة السعي التي يجول فيها كل كاتب معروف، وأين تنتهي حدودها.

من الأمثال المعروفة «الإنسان عدو ما جهل»، وهذا يقضي بأن الصداقة قرينة المعرفة، فالشبان الفلسطينيون الذين يعرفون مصر لا شك أنهم أصدقاء لمصر، ولا شك أن هذه الصداقة تسر مصر لأنها تنفعها. وهل كانت فلسطين تحب مصر هذه المحبة وتحرص على تتبع أخبارها كل هذا الحرص، لو أن مصر لم تكن بينها وبين فلسطين روابط جامعة وأواصر وثيقة؟

كما أن جامعة الوطن لا تمنع من وجود حقوق وواجبات للفرد في داخل أسرته، كذلك جامعة الإسلام لا تمنع من أن يكون للأمة الواحدة حقوق وواجبات في داخل وطنها. إن رب الأسرة في أندونيسيا هو المتصرف- دون جميع سكان أندنوسيا - في شؤون منزله، فله بوجه خاص الحقوق التي تكون

لصاحب البيت، وعليه - دون غيره - الواجبات الملقاة على عاتق صاحب البيت، ولكن ذلك لا يمنع من أن يكون هو وجميع أهل منزله أعضاء في جامعة الوطن الأندنوسي، وأن يكون لهم في الجامعة الوطنية الواجبات والحقوق التي تكون للرجل الوطني. وأنه هو وأبناء وطنه أندنوسيا باعتبارهم عضوًا من أعضاء الجسم الإسلامي، لهم على جميع المسلمين حق (الأخوة) وما يترتب عليها من نصرة وتأييد، وعليهم لجميع المسلمين واجب (الأخوة) وما يترتب عليه من نصرة وتأييد، وهذه الأخوة قوة لأندنوسيا بلا شك، والذي يُفرط في هذه القوة يكون ضعيف الفهم في الشؤون الاجتماعية.

الإنسان مدني بالطبع، ومن دأب الإنسان أن ينظر إلى كل معنى يشترك فيه مع آخرين، فينظم معنى هذا الاشتراك إلى أقصى حد ممكن، بحيث لا تتعارض هذه الروابط والمشاركات، ولا يُفسد بعضها بعضًا. وكما أن من الواجب على أهل جاوة أن يقوموا بما عليهم نحو جاوة، وأن لا يكلفوا أهالي صومطرة أو أهالي بورنيو أو أهالي سيلبس أن يقوموا بذلك عنهم، فإن هذا لا يمنعهم من أن يتعاونوا هم وأهل صومطرة وبورنيو وسيلبس على القيام بالواجبات المشتركة فيما بين هذه المناطق، وهذا وذاك لا يمنعان أهالي جميع جزائر أندنوسيا من أن يعتبروا أنفسهم عضوًا في الأسرة الإسلامية، ويتعاونوا معها على القيام بواجبات «الإخاء الإسلامي».

أي مجنون يستطيع أن يقول: إن فلسطين في غنى عن صيحات الحق التي ينادي بها مولانا محمد علي، ومولانا شوكت علي في انكلترا الآن، وأي مجنون يستطيع أن يقول: إن فلسطين في غنى عن المؤتمر الإسلامي الذي سيعقده في لندن عظماء المسلمين من أبناء بلاد مختلفة، وأي مجنون يستطيع أن يُنكر أن اليهود المقيمين في أمريكا أو في ألمانيا أو تونس لا يساعدون اليهود الذين حصلوا على الجنسية الفلسطينية.

أيها الشاب المسلم الذي وُلد من أبوين مصريين، جاهد لأجل مصر، وكل وطنيًا مصريا، فإن الإسلام يعتبرك جنديًا من جنوده المدافعين عن هذه الثغرة من ثغور الإسلام.

أيها الشاب المسلم الذي وُلد من أبوين يتكلمان العربية، شد عضدك بأبناء الأقطار العربية، واعتبرها جميعا وطن لغتك وأدبك وثقافتك وقوميتك، وليخفق قلبك مع قلوب هذه الملايين الكثيرة من الناطقين بالضاد: من ديار بكر وديار ربيعة في الشمال إلى الأحقاف وسواحل حضرموت في الجنوب، ومن حدود فارس في الشرق إلى الأمواج التي تتلاطم على سواحل الرباط وسلافي الغرب.

أيها المسلم مهما كان جنسك، وأين كان وطنك، اعمل لخير جنسك وخير وطنك، وأنت تعلم أن لجنسك ولوطنك أنصارًا من ورائهما يعدون بمئات الملايين، وكلما كنت وفيًا للإسلام الذي يربطك بهم؛ كانوا هم أوفياء للحق الذي تجاهد في سبيله. ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

محب الدين الخطيب

الزهاوي يُلحد للشهرة

جاء العلومَ بيوتها من ظهرها ... وأخو الزكانة من أتى من بابها
فترفعت أن تستكين لفهمه ... فارتد لم يظفر بشق ترابها
نبح الحقيقة والحقيقة لم تكن ... لتريم هذه الأرض خوف كلابها
وحقائق الأشياء نابتة، وأن ... أعيا على العميان خرق حجابها
خدعته عاهرة التمدن، إنه ... لم يدر ما تخفيه تحت نقابها

فمضى يشيد بمدحها متغزلاً ... في قُبح طلعتها ومُلح رضابها
ولو أنه رُزق التعقل لاكتفى ... بالبون بين مشيبه وشبابها
لا غرو أن خار الضلالة مثله ... رغم المشيب وسار تحت ركابها
فأخو الشقاء موفق لشقائه ... أعمى عن النعمى وعن أسبابها
يا أيها الشيخ المشيح بوجهه ... عن شِرعة ما مس جلد كتابها
خل القريض فقد عداك بليغه ... ودع العلوم فلست من أربابها
حمّلت شعرك في غثاثة لفظه ... ما تُنكر الأشعار من أصحابها
ونبذت بالكفر البواح مودة ... للدين كنتَ أحق باستصحابها
أأبوك قردٌ ناسل من ضفدع؟ ... أكرم بأسرتك التي تزهى بها
إقن الحياء، فحسب أوطان الهدى ... ما يهدم الأعداء من آدابها
وتوخ ما يجدي، ولا تهزل، فما ... في الهزل للأوطان غير خرابها
لم ترتق الأمم المهيبة بالذي ... تهذي به، لكن رقت بحرابها
وبما حباها اللّه من علم ومن ... عقل فقدناه بفضل شرابها[1]
قل لي: أفلسفة تقوم بنشرها، ... أم شهرة خولطت[2] في استجلابها؟
هي شهرة خلعت عليك كرامة ... لأبيك في الأحراش شرَّ ثيابها
أو لم تكن أمسِ الحفيَّ بشِرعة ... أصبحت تُعرض عن لذيذ خطابها
أحسبت أن الفجر داهمه الدجى ... كلا فحسبك منه حسبك جابِها
أثقلت ظهرك بالذنوب: صغيرها ... وكبيرها، فإلى لظى وعذابها
الله يُنقذ منك قومك مثلما ... نجى حنيفة قبلُ من كذّابها[3]

محمد حسن النجمي

---

(١) خمورها.
(٢) جُننت.
(٣) بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب.

وصايا روتشلد

في مصرف البارون روتشيلد - المثري اليهودي المشهور - الوصايا التالية منقوشة على جدرانه:

* اهجر الخمرة.
* كن مقدامًا جريئًا.
* لا تستسلم للخيبة.
* كن لطيفًا مع كل شخص.
* استخدم وقتك جيدًا.
* كن مبادرًا في كل شيء.
* ادفع ديونك في حين استحقاقها حالاً.
* استقبل مصائبك ومشاكلك بصبر.
* لا تعتمد على التوفيق.
* لا تتعرف بأشخاص ليسوا بالعير ولا بالنفير.
* كن شجاعًا في جهاد الحياة.
* حافظ على ذاتك كشيء مقدس.
* لا تتظاهر بأكثر مما أنت أو بما ليس فيك.

هل نحن أحرار؟

يجب أن نمتحن نفوسنا، وأن نمرنها على الحرية.

الحر هو من لم يكن عبدًا.

الحر من هو لم يكن أسيرًا.

الحر هو من يستطيع أن يسعى لحقه ومصلحته المشروعة دون أن تحول بينه وبينها حوائل، بشرط أن لا يكون في سعيه عدوان على حق الغير ومصلحته المشروعة.

هذه حقائق يعرفها كل قارىء.

ويحسن بنا الآن أن نقف قليلا نفكر: هل نحن أحرار؟

تبادر لي هذا السؤال وأنا أقرأ مقالة افتتاحية في جريدة المقطم، فرأيت أحد قرائه يشكو استخفاف دور السينما بالجمهور المصري، وابتزازها لأمواله، وتعيينها أجورًا لمشاهدة مناظرها تعد فاحشة جدًا بالنسبة إلى سائر المرافق التي يقوم بها الناس في مصر من تجارة وصناعة وزراعة، لا سيما وأن دور السينما عندنا لا تؤدي لحكومة البلاد شيئًا من الرسوم والضرائب، كما تفعل مثيلاتها في أوربا وأمريكا.

ولما عالج المقطم هذا الموضوع كان جوابه عن تذمر الناس من غلاء أجور السينما: إن مسألة الأجور لا نتعرض لها، لأنها بين عاقدي صفقة يتعاقدان عليها بتمام رضاهما واختيارهما، فإذا كان الجمهور يرى أن ثمن التذاكر باهظ، فله من إعراضه عن دور السينما خير علاج لهذا الأمر.

إذن؛ فالذي يتذمر منه الجمهور المتردد على دور السينما بيده الخلاص منه لو شاء، وذلك بإعراضه عن دخولها إلى أن تحقق رغباته: فتجعل ثمن تذاكر الدخول متناسبًا ربحه مع أرباح المرافق الأخرى في البلد، وتحترم لغة البلاد، فيكون شرح المناظر المعروضة بالعربية الصحيحة القويمة، وتحترم عواطف المسلمين وكرامتهم، فلا تعرض منظرًا عن بلاد إسلامية أخرى فيه إساءة لها وتشويه لكرامتها، كما فعلت دار سينما أولمبيا في القاهرة مرة، إذ عرضت رواية عن المغرب والمغاربة هي أولاً خلاف الحق، وثانيًا فيها حط من كرامة ذلك الشعب العربي الإسلامي الكريم.

يتكون جمهور الأمة من فريقين: الفريق الأول - وهو الأقل عددًا - هو الذي يشعر بكرامة نفسه، وينشد الحرية في تصرفاته، فهذا الفريق هو موضع الأمل في تحرير الأمة من عبوديتها. وأما الآخر - وهو الأكثر عددًا - فإنه في الغالب أسير شهوته، ولكن على الذين بيدهم تكوين الرأي العام: من صحفيين، ومدرسين، وخطباء، ومربين، أن يُشعر كل واحد منهم من يليه من أفراد الأمة بأنهم أسرى، وبأنهم في حاجة إلى تمرين نفوسهم على الحرية، وإلى أن يمتحنوها المرة بعد المرة حتى ينهضوا بها من حضيض العبودية، فتتبوأ مرتبة الحرية التي لا تنال الأمة المعالي إلا بها.

دور السينما مَثل من الأمثال، خطر ببالنا عند قراءة مقالة المقطم، فضربنا المثل بها تقريبًا لمعنى الحرية والعبودية إلى أذهان من لم يسبق لهم التفكير في هذه المعاني السامية، وإلا فوسائل امتحان الحرية والعبودية في النفوس كثيرة جدًا، وأهم مظهر من مظاهرها «حرب القرش»، التي يستطيع المسلمون أن يخوضوا غمارها وأن يهزموا بها جميع أعدائهم لو أمكنهم أن يطبّعوا نفوسهم بطبع الحرية، ومن منا يرضى لنفسه بذُل الأسر والعبودية، ومن منا يسوؤه أن

يكون حرًا كامل الحرية. كلنا يشمئز من العبودية والأسر، ونحتقر من يرتضيهما لنفسه بطيب خاطر، ولكن أكثرنا - ويا للأسف - على جانب من هذه العبودية، وسنبقى متصفين بها إلى أن نقتنع بأننا خائضون «حرب القرش»، وأن التساهل في هذه «الحرب» يؤدي إلى «الخذلان في المعركة».

لقد كنا حتى اليوم نساء تبكي، فيجب علينا بعد اليوم أن نصير رجالا تعمل.

كنا نساء تبكي، فإذا جارت علينا دور السينما بابتزاز الأرباح غير المشروعة من جيوبنا لجأنا إلى الصحف نصخب فيها ونشكو، والخواجة صاحب دار السينما يهزأ بنا من بعيد، ويحتقرنا؛ لأنه يعلم أن صخبنا لا يُنقص شيئًا من مقدار «قروشنا» التي تتسرب إلى خزينته، ولا من أثر «دعايته» التي تتسرب من فلم السينما إلى عقولنا وقلوبنا، أو على الأقل إلى عقول أهل السذاجة منا وقلوبهم.

كنا نساء تبكي، فإذا جارت علينا دولة من الدول اكتفينا بالاحتجاج والصخب، والدولة الجائرة علينا لا تبالي بنا؛ لأنها لا ترى لصخبنا ضررًا ماديًا يلحق بها، ثم يبقى لاحقًا بها إلى الأبد.

أما بعد اليوم؛ فيجب أن نتحول إلى رجال يعملون، بل جنود يجاهدون. والسلاح الذي يحارب به هو «القرش»، نمنعه عن الوصول إلى جيب عدونا، ونحرص على أن لا ينتقل منا إلا إلى أقرب الناس إلينا «بقدر الإمكان».

حرية «التصرف في القرش» هي سبيل الحصول على الحرية، إذا أحسنا هذا التصرف. وإن أمامنا جيشين بدآ يخوضان هذه المعركة، واكتشفا - منذ الساعة الأولى - السلاح الماضي الذي يستطيعان أن يقفا به في وجه الأعداء الأقوياء، وأن ينالا منهم، وأن يكون أثره فيهم بليغ الألم.

الجيش الأول: جيش الهند الذي امتنع بالفعل عن استعمال المصنوعات

الأجنبية، وبدأ بشر المصنوعات، وهي الخمر، فتألفت كتائب النساء للوقوف أمام الخمارات ومنع الوطنيين من دخولها.

والجيش الثاني: جيش المغاربة، الذين لجأوا إلى سلاح المقاطعة فاستعملوه بمهارة عجيبة، ونزع خريجو جامعة السوربون الفرنسية، والمتعلمون في أرقى مدارس فرنسا ملابسهم الافرنجية عن أبدانهم، وعادوا إلى العمامة والبرنس، فكانوا مثال الهيبة والجمال، الذي يذكرهم بجمال شباب الأندلس أيام الزهراء والحمراء والعزة القعساء، فالشاب المغربي اليوم يبدو بملابسه المغربية المهيبة كأنه أمير من أمراء بني عبد شمس في قرطبة، أيام الناس ناس والزمان زمان.

أقسم بالله العلي الأعلى أن الهنود في الهند التي كانت مضرب المثل في الذل، وأن المغاربة الذين تصرفت فرنسا في بلادهم تصرف مالك الرقاب في الرقاب التي يملكها، إذا استطاعا أن يمنعا «القروش» بضع سنوات عن أن تصل إلى جيوب الجائرين عليهم، فإن الحرية تكون منهم قاب قوسين أو أدنى. وإن الذي ليس بيده سلاح ناري ليس له من سلاح آخر يسترد به حريته إلا هذا السلاح، مشحوذًا على الحجر الذي تسحق به الأمة شهواتها.

محب الدين الخطيب

شيء عن المسيو بريان

* بدأ حياته اشتراكيا ثوريًا متطرفًا، ثم ظل يتنقل في جميع المذاهب السياسية والاجتماعية، ولم يستقر في واحد منها، وها قد أشرف على النهاية، ولا يزال حائرًا بين الأحزاب.

* بريان لا يقرأ ولا يحب القراءة، بل هو عدو كل شيء مكتوب. ترفع إليه التقارير المسهبة فيطويها من غير أن يقرأها، يستدعي كاتبيها ليحدثوه بها، فيستوعب في بضع جمل ما يهمه معرفته في الموضوع.

* نشأ المسيو بريان في بيئة وضيعة النسب والمحتد، وتمكن من الصعود إلى مركز القيادة من طريق الصحافة والمحاماة.

رمضان

أهلا بشهر الإنابه ... والدعوة المستجابه
أهلا بخير طبيب ... يشفي النفوس المصابه
تظل مرسى الخطايا ... من شهوة غلّابه
ومن خداع وزور ... فاشٍ وباقي العصابه
حتى تراك فتلقي ... أوزارها في غيابه
تجري إلى الخير عدوًا ... والشر تُقفل بابه
بيت تَخرّب منها ... هبت تلافي خرابه
وأصبحتْ تتمنى ... لو تستعيد شبابه
تقوى بمظهر تقوى ... له عليها الرقابه
ألم تكن قبل هذا ... نمّامة مغتابه
إن حدثتني حديثًا ... ظننتها كذابه
أو رحت أبغي هداها ... رأيتها مرتابه
حتى إذا لحتَ أمسى ... لها الصلاح مثابه
تعطي الجزيل وكانت ... شحيحة بالصبابه

مناظر البؤس باتت ... تلين منها الصلابه
أهلاً بأكرم ضيف ... قد استطلنا غيابه
قد أنزل اللَّه فيه ... على العباد كتابه
هدى ونورًا أعادا ... لذي الجنون صوابه
لآدم أرجعاه ... ألم يكن وحش غابه؟
لله أيّة آي ... آياته الجذابه
حتى تُخرّج قومًا ... على طراز الصحابه!
أسرارها نفحتهم ... بالهمة الوثابه
ما بين يوم ويوم ... وذا مثار الغرابه
تعقبوا الكفر محوًا ... بمحوهم أربابه
بلابل الدين أجلت ... غربانه النعّابه
أقوى جنودٍ لديهم ... كانت جنود المهابه
لما تركنا هداهم ... والسيف قُدّ جرابه
صرنا الذنابى وكنا ... في العالمين الذؤابه
واحسرتاه شهدنا ... من الزمان انقلابه
أهلاً بأفضل شهر ... لسنا نحد ثوابه
ما فيك عيب ولكن ... في مفطريك المعابه
ما أنت جوعٌ ولكن ... عطفٌ وشبه قرابه
إن جاع فيك غني ... أعطى الفقير طلابه
فلتغنموه جميعًا ... ولا تمنوا ذهابه
وليُحسن العبد فيه ... إلى الكريم متابه

محمد صادق عرنوس

صفحة قديمة من تاريخ التبشير الكنسي

قال أبو علي الحسن بن علي بن رشيق في كتاب الرسائل والوسائل:

كنتُ بمدينة مرسية، جبرها الله، وكان قد ورد عليها من قبل طاغية الروم جماعة من قسّيسهم ورهبانهم، شأنهم الانقطاع في العبادة بزعمهم، والنظر في العلوم، مشرئبون للنظر في علوم المسلمين وترجمتها بلسانهم، ولهم حرص على مناظرة المسلمين لقصد ذميم في استمالة الضعفاء.

وكنت أجلس بين يدَي والدي وأنا كهل لكتب الوثائق وعقود الأحكام، فوجبت لمسلم على نصراني يمين عليه، وأمرتُ أنا وشاهد آخر بالحضور ليتقاضاها المسلم منه على ما يجب حيث يعظم النصراني دينه، فتوجهنا معه لكنيسة يعظمونها هي مجتمع أولئك الرهبان، فلما فرغنا من قصدنا استدعاني قسيس منهم فصيح اللسان و، أخذ معي في الكلام والمذاكرة، إلى أن آل الأمر إلى المناظرة في إعجاز القرآن، وفي بيتَي الحريري بأنهما من الإعجاز، حيث لم يعزنا بثالث وهما:

سِم سمة تحمد آثارُها ... واشكر لمن أعطى ولو سمسمةْ
والمكر مهما اسطعت لا تأته ... لتقتني السؤدد والمكرمةْ

وأطال الكلام بتأدب في إعجاز القرآن وفي إعجاز هذين البيتين. قال: وأخذت أبدي له الفرق بطريق البراهين الأصولية والأقاويل العلمية - وخاطري مشتغل بالتفرغ للزيادة عليهما - إلى أن يسر اللّه بزيادة بيت واحد، فقلت له:

ومع هذا فقد زاد الناس على البيتين، ولم يغفلوا عنهما.

فقال: أين هذا؟ فو اللّه ما رأيت أحدًا ادعى هذا ولا ذكره.

فقلت له: أنا أذكر بيتًا ثالثًا لهما لا أذكر الآن قائله (ولم أنسبه لنفسي في الوقت. لأني قدّرت إن فعلت ذلك لا يقع منه ذلك موقعًا مؤثرًا) ثم أنشدته:

والمهر مهر الحور وهو التقى بادر به البُكرة والمهرمهْ

فلما سمعه وأعدته عليه حتى فهمه، فكأنما ألقمته حجرًا، ورأيت فيه من الانكسار لذلك ما لم أره عند سماع الحجج العقلية والمآخذ الأصولية، ثم أخذ في الثناء علي هو وأصحابه. انتهى باختصار كثير.

بماذا صار مولانا محمد علي عظيمًا؟

من الساعة التي أكتب فيها هذه السطور إلى الساعة التي يصل بها الفتح إلى قرائه في القطر المصري، تشهد بورسعيد البرهان الباهر على حرمة شعوب الإسلام لفقيدها مولانا محمد علي. وسيشهد بيت المقدس ما هو أبهر من ذلك وأبهى.

وبومباي (التي هي أعظم من القاهرة) ما وصل إليها نبأ انتقال روح هذا البطل المجاهد إلى أعلى عليين، حتى اعتراها الوجوم، وسكنت فيها جلبة الترام والسيارات، وترجل الناس عن مراكبهم، من أكبر كبير إلى أحقر حقير، ومن لا يفهم هذا الأدب نحو العظيم الراحل أرغمه الشعب على التأدب به.

إنهم فعلوا ذلك، وفعلوا أكثر منه، لأن محمد علي كان مجاهدًا، ولأنه كان في جهاده عظيمًا.

وإن قلم تحرير الفتح الذي يرى أن داء المسلمين آتٍ من ضعف القيادة فيهم، يقف في هذه الساعة - بإجلال واحترام - أمام سيرة العظيم الراحل مستوحيًا

درس العبرة من حياته، ليتوصل إلى الوسيلة التي صار بها مولانا محمد علي مجاهدًا وعظيمًا.

وليدل شباب اليوم ورجال الغد على طريق الجهاد وطريق العظمة، عسى أن يمتلىء الفراغ الذي نشكوه في قيادة الشعوب الإسلامية.

أعدتُ النظر وكررته المرة بعد المرة في سيرة مولانا محمد علي، فرأيتُ عظمته ترجع إلى سببين اثنين:

الأول: أسلوب تعليمه ولون ثقافته.

والثاني: كيفية استعماله لمعارفه وتصرفه في ثقافته.

للتعليم في العالم الإسلامي أسلوبان، ولثقافة أبنائه لونان:

أحدهما: وُضع لأمتنا في زمان غير زماننا،

والثاني: وُضع لزماننا في أمة غير أمتنا. وفي كلٍ من الثقافتين موطن ضعف يحول بين أصحابه وبين أن يقودوا هذه الأمة إلى الخير؛ لأن أحدهما يتكلم بلسان زمان مضى، فلا يفقه أهل هذا الزمان ما يخاطبهم به. والثاني يرطن لأمته بلسان أمم غريبة عنهم، فلا تعبأ بما تسمعه منه.

وأيما مصلحٍ رأيت الأمة سائرة وراءه، مؤتمة به، فلا بد أن يكون من الذين (طعّموا) التعليم القومي باللبان العصري، أو (عرّبوا) التعليم العصري بالذوق القومي، قليلاً أو كثيرًا.

واستعرض إذا شئت ثقافة جمال الدين الأفغاني[1]، والشيخ محمد

(١) لم يكن من رجال الإصلاح، بل كان شيعيًا متسترًا، نشر شرًا عظيمًا. انظر عنه: رسالة «دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام»؛ لمصطفى غزال. (س).

عبده[١]، وسيد أحمد خان[٢]، بل وسعد زغلول باشا[٣]، وسائر رجال النهضة الإسلامية، تجدهم ممن تثقفوا بثقافة الإسلام، وفهموا روح العصر، فاستعانوا بما فيها من خير للوصول إلى الخير، ونالوا بعض النجاح على مقدار عنايتهم بالتوفيق بين الثقافتين.

اجتمعنا بمولانا محمد علي؛ فرأيناه في الذروة العليا من الثقافة الإسلامية، مع فهمه روح عصره أجود فهم وأصدقه، ولا غرو فقد تلقاها في جامعة عليكرة الإسلامية، التي نتمنى لو انتقضت الجامعة المصرية حجرًا حجرًا، وأعيد بناؤها على طراز جامعة عليكرة، لأن العالم الإسلامي لا يمكن أن يُذعن لقادة يتخرجون بأساليب الجامعة المصرية، ولكنه سرعان ما يُذعن للقادة الذين يتخرجون بأساليب جامعة عليكرة، وهذا بحث يحتاج إلى بسط وتفصيل في فرصة أخرى.

أسلوب جامعة عليكرة الإسلامية يوجِد في نفوس من أراد اللَّه له الخير من الطلبة مناعة تحول بينهم وبين نوعين من الخرافات: خرافات الشرق، وخرافات الغرب. خرافات الشرق التي تنافي حقائق العلم، وخرافات الغرب التي تنافي حقائق الدين. فلما أتم مولانا محمد علي دراسته في جامعة عليكرة الإسلامية، وذهب إلى جامعة أوكسفورد الانكليزية، ذهب متحصنًا بالمناعة التي أشرنا إليها، فلم تُصبه الأمراض النفسية التي أصابت علي عبد الرازق خريج الأزهر

(١) لم يكن من رجال الإصلاح، بل كان من رواد المدرسة العصرانية. انظر عنه: رسالة «محمد عبده و آراؤه في العقيدة الإسلامية - عرض ونقد»؛ لحافظ الجعبري. (س).

(٢) لم يكن من رجال الإصلاح، بل كان من رواد المدرسة العصرانية في بلاد الهند. انظر عنه: رسالة «مفهوم تجديد الدين»؛ لبسطامي محمد سعيد (ص ١٢٠ - ١٣٥). (س).

(٣) لم يكن من رجال الإصلاح، بل كان من رؤوس العلمانية في مصر. انظر عنه: رسالة «واقعنا المعاصر»؛ للشيخ محمد قطب (ص ٣١١ وما بعدها). (س).

لما ذهب إلى انكلترا، ولا التي أصابت طه حسين خريج الجامعة المصرية عندما ذهب إلى فرنسا.

وعنصر ثان من عناصر عظمة مولانا محمد علي، هو كيفية استعماله لمعارفه، وتصرفه في ثقافته. فإن الناس عندنا يتعلمون ليتوظفوا، فيتناولوا من خزانة الحكومة في آخر كل شهر ثمن علمهم، أو يتعلمون ثم ينصرفون إلى أعمالهم الخاصة، فيعيشون في عزلة عن أمتهم وحياتها العامة. فهؤلاء وأولئك بين رجل وضع نفسه آلة في أيدي رجال السلطة وقد يستعملونه لاستعباد الأمة، أو رجل دفن نفسه في زوايا النسيان يعيش ليأكل من نتاج الأرض إلى أن تأكله الأرض، ثم يكون كأنه لم يدخل الدنيا ولم يخرج منها.

أما فقيدنا محمد علي، فرجل كان في أول الأمر حريصًا على تقويم آرائه، ويعرضها على محك التجارب، حتى إذا اطمأن للخطة التي رأى أن يدعو أمته إليها، كتب نفسه عند ربه جنديًا لنصرة الإسلام، وإنعاش الخلافة، وتحرير الأوطان، وإعداد الأمة ليوم الخلاص.

في سبيل ذلك استعمل معارفه، وللوصول إلى هذه الغايات الشريفة استثمر ثقافته. وكان يعلم أنه سيصطدم بقوى صغيرة وكبيرة ليس من مصلحتها نجاح هذه المقاصد، وأن هذا الاصطدام قد يلحق به شيئًا من الأذى، فوطن النفس عليه وتوكل على ربه، وصار يعمل لا ليُقال إنه يعمل، بل ليصل إلى الغرض الذي يعمل له. وصار يعمل لا لأجل أن ينال ثمنًا لعمله، بل ليُمتع النفس بلذة النجاح، أو ليرضي ضميره بأنه لم يألُ في السعي جهدًا.

سلامٌ على روح الرجل العظيم محمد علي، وأرجو أن تسري عدوى جهاده المتواضع في سبيل الإسلام إلى كل نفس مسلمة، ترباً أن تتدنس بأوضار الأنانية الزائلة، والحرص المضمحل.

محب الدين الخطيب

رثاء أمير الشعراء للفقيد العظيم مولانا محمد علي

بيتٌ على أرض الهدى وسمائه ... الحق حائطه وأس بنائه
الفتح من أعلامه، والطُهر من ... أوصافه، والقدس من أسمائه
تحنو مناكبه على شعب الهدى ... وتطل سدته على سينائه
من ذا ينازعنا مقالد بابه ... وجلال سدته وطُهر فنائه
ومحمد صلى على جنباته ... واستقبل السبُحات في أرجائه
واليوم ضم الناس مأتم أرضه ... وحوى الملائك مهرجان سمائه
يا قدس هيء من رياضك ربوة ... لنزيل تُربك، واحتفل بلقائه
هو من سيوف اللّه جل جلاله ... أو من سيوف الهند عند مضائه
فتحَ النبي له مناخ براقه ... ومعارج التشريف من إسرائه
بطلٌ حقوق الشرق من أحماله ... وقضية الإسلام من أعبائه
لم تُنسه الهند العزيزة رقة ... للشرق أو سهرًا على أشيائه
وقباؤه نسج الهنود، فهل ترى ... دفنوا الزعيم مكفنًا بقبائه
النيل يذكر في الحوادث صوته ... والترك لا ينسون صدق بلائه
قل للزعيم محمد نزل الأسى ... بالنيل واستولى على بطحائه
فمشى إليك بجفنه وبدمعه ... وإلى أخيك بقلبه وعزائه
اجتزته فحواك في أطرافه ... ولو انتظرت حواك في أحشائه
ولقد تعوّد أن تمر بأرضه ... مرّ الغمام بظله وبمائه
نَم في جوار الله، ما بك غربة ... في ظل بيتٍ أنت من أبنائه
الفتح، وهو قضية قدسية ... يا طالما ناضلتَ دون لوائه

أفتى بدفنك عند سيدة القرى ... مُفتٍ أراد اللّه في افتائه
بلدٌ بنوه الأكرمون قصورهم ... وقبورهم وقفٌ على نزلائه
قد عشتَ تنصره وتمنح أهله ... عونًا فكيف تكون من غربائه؟

أحمد شوقي

الشاعر الفرنسوي لافونتين يأخذ قصصه المشهورة عن العرب

عقدت جمعية أصدقاء اللغات في باريس اجتماعًا عامًا ألقت فيه الممثلة المشهورة ماري لاكونت محاضرة عن كيفية الإلقاء واللفظ.

وألقى الشاعر كيوداسكس - صاحب المؤلفات والروايات الكثيرة - محاضرة عن الشعراء الفرنسويين القدماء، أبان فيها أن الشاعر الفرنسوي لافونتين المشهور بشعره القصصي، استوحى أشعاره الخلقية من رجال الحملة الصليبية، الذين عادوا إلى الغرب يروون قصص العرب، وينقلون شيئًا من آدابهم وقصصهم، وأثبت المحاضر (وهو صاحب ترجمة أشعار الشيخ سعدي) أن قصص لافونتين كانت معروفة عند العرب، وكان هؤلاء يروونها في أحاديثهم على سبيل الأمثال.

أوهام العاشقين

إن المرأة لتكون امرأة وحسب، إلى أن تجد عاشقها، فإذا هي وافقت منه الحب فقد تألهت في قلب إنسان، وصار لها جنتها ونارها. ومضى منها الأمرُ والنهي وكأنها عند محبها تأمر بقوة قادرة على أن تحيي، وتنهى بقوة قادرة على أن تميت، وليس ما يصفها به العاشق من فنون الجمال الخيالي، وما يفيض عليها من ألوان التعبير المصبوغ، إلا ما تتوهمه العين البشرية من جلالٍ فوق الحس، ويريد الحس أن يصل إليه.

حب الأشراف

إني لمن أولئك الذين يعرفون أن لهم عروقًا سماوية في أرواحهم، تنضرم بالشعاع القدسي الذي كان يومًا في بعض أجدادهم، إما نُبوة نبي، وأما خلافةَ خليفة، وإما مُلك مَلك. وفي مذهبي أنه إذا اجتمع الأذى والحبُ في قلب، وجب أن ينصرف الحبُ مطرودًا مدحورًا ما من ذلك بُد.

أوراق الورد/ مصطفى صادق الرافعي

الصحراء العربية

حقًا إنه لمن المضحكات أن تري معظم الغربيين لا يفقهون شيئًا عن بلاد العرب، بينما تراهم يعرفون الكثير عن أواسط إفريقية أو عن مجاهل القطبين.

ولا بد أن يزداد دهشك واستغرابك عندما تعلم أن عشرات الألوف منهم يأتون في كل موسم إلى البلاد العربية قصد السياحة، وبالرغم من كل ذلك، وبالرغم من المؤلفات الكثيرة التي أخرجتها الطباعة الغربية عن بلاد العرب، فهم لا يُدركون شيئًا مذكورًا عن هذه البلاد، وعن الملايين العشرة من البدو الذين يقطنون فيها.

وشبه جزيرة العرب قد تعادل بمساحتها نصف الولايات المتحدة الأمريكية، ومع ذلك فإن الأوربيين الذين تمكنوا من الدخول إلى قلب الجزيرة يُعدون على الأصابع. وهم (سادلر) و(بالغريف) و(دوطي) واللادي (آني بلانت) حفيدة اللورد بايرون الشاعر العظيم، والآنسة (جرترود بل) و (لورانس) و(فيلبي).

لقد تمكن هؤلاء من اجتياز الجزيرة غربًا وشرقًا، ولولا أن في مؤلفاتهم شيئًا من (البروباغندا)، لكان علينا أن نعتبرها وثائق قيمة.

ولا يزال السواد الأعظم في الغرب يتخيل البلاد العربية تخيلاً، فأما أن يستقي خياله هذا من خرافات ألف ليلة وليلة، أو من على اللوحة في دور السينما، أو من كتب السياحات الكثيرة العدد القليلة الفائدة.

والبلاد العربية هي البلاد الوحيدة التي استطاعت أن تقف في وجه المدنية الغربية بأنفة وثبات، محتفظة بشعائرها وتقاليدها فلم يدنسها الزهري ولم تشلّها الكحول. فالخير الذي بعثه الإسلام فيها لا يزال خيرًا، والشر الذي تركه بعده لا يزال شرًا.

وهي لا تزال كما تركها الإسلام، غير تامة الفتح، فإن الكثير من أنجادها الواسعة لا يزال بكرًا عصيًا منيعًا في وجه الغريب والأكاذيب والأضاليل والدعايات التي قبلت عن العرب ظلما وعدوانًا، لم تكتب عن أي شعب آخر. فنحن في الغرب نطبع العربي بطابع هو منه بريء، فالبدوي يختلف جدًا عن الفلاحين الذين نراهم في ضواحي دمشق أو القدس.

ولقد نقرأ في بعض جرائدنا هذه الكلمات (نجد، الرياض، حائل، الجوف)، وكل ما نعرفه عن هذه الأسماء أنها عربية، ولكننا لا ندري أأسماء أعلام هي أم أسماء مدن أو مقاطعات أم أشهر أم جمال!

وكثيرًا ما نتهم البدوي ببعض السيئات التي لا وجود لها في البلاد العربية، بل حاكتها مخيلتنا البذيئة المنحطة.

فالنفسية العربية البدوية هي أحق النفسيات بالدراسة، ليس لطرافتها فقط، بل للخير الذي يتدفق منها، وللجرأة والإقدام والصبر التي هي من مزايا البدوي دون سواه.

وجميعنا في الغرب نعتقد بأن البدوي يتسلح بالسيف، ويحمل الحراب في الغزوات، في حين أن الأمر على العكس تمامًا. فالبدوي مغرم بالسلاح الناري «البندقية»، ويحذق استعماله لدرجة تدهشك، وتجعلك تعتقد أنه خريج المدرسة الحربية في برلين، ولا مجال للدهش فيما أقول.

أنا جندي، وقد قاتلت أربع سنوات في أعظم حرب في التاريخ، ولكنني شعرت رغم كل هذا في أثناء سياحتي في الصحراء بأنني - وأنا ماجور أول - لا يزال ينقصني الكثير من الشجاعة والمرونة الحربية. وإنني بحاجة إلى (أحمد) خادمي الخاص ليعلمني أسرع وأنجع طريقة يمكنني بها أن أنظف بندقيتي.

وقد وُفقت بعد الجهد للنسج على منواله. وسأحمل طريقته لجنودنا إذا ما قُدر لي أن أقودها في المستقبل قائلا: هذه بضاعة الصحراء!

وإذا ما تكلمنا في الغرب عن الحكومات والدول وأنظمتها، كان كلامنا عن العرب أنهم جماعة من البدو الرحل يسكنون بيوت الشعر وينقسمون إلى قبائل متنافرة متخاصمة، وأن ليس لهم دستور ولا قانون ولا حكومة.

ما أسخفنا في زعمنا هذا! وأنى لنا العلم بما في الصحراء ونحن ندرس مشاريع اقتسامها بيننا في لندن وباريس. من أين لنا أن نعلم بأن هناك في اليمن دولة ليس لها وزارات ومجالس نيابية، وأن هذه الدولة على رغم كل هذا يسودها النظام، ولها إمام نابغة في شؤون الحكم والإدارة، ولو قُدر لفرنسا أن تملك مثل هذا الإمام لحلت أعظم معضلاتها.

إن شمس الصحراء محرقة، ولهذا فهي تُطهر الأدمغة من السفسطات، ولا يقوم فيها غير المنطق الحر المتجرد من التزلف والرياء.

ومن يصدقني إذا ما صارحت هؤلاء المغرورين من الأجانب الذين يحاولون السيطرة على بلاد العرب بأن البدو في الجزيرة العربية بعَددهم وعُددهم يقبضون على التوازن الدولي، وعلى مقدرات السلم في غربي آسيا، وإن هؤلاء البدو لهم من القوة في هذه الأيام ما كان لأجدادهم في صدر الإسلام، وإنهم بمجموعهم - غير المشتت كثيرًا- لا يزالون القوة القاهرة التي يكمن فيها آخر أمل للإسلام أو للعروبة بمدلولها السياسي.

هم يظنون أن ابن السعود كالشعلان. ها!...ها!...

لو أبصروا ما أبصرت لاعتقدوا بما أعتقد به، فإن باستطاعة ابن السعود اليوم أن يُجند أربع مئة ألف جندي يعبدون اللّٰه الواحد بقلوب لا تعرف الشك، ويستميتون في سبيل كلمته برئات لا تعرف «النيكوتين»، وبأعصاب لم تشلها الخمر؛ وبإيمان سبق للعرب أن اعتصموا بحبله من الهند إلى جبال «البيرنه»، ومن أسوار «فينا» على أقاصي الحبشة.

لقد كانت هذه الجزيرة سدًا منيعًا في وجه كل فاتح، ولم يتمكن الإسكندر الكبير من التقدم خطوة واحدة فيها بعد الأميال العشرة التي اجتازها في الرمال. فالغرباء لم يحتلوا غير الشواطيء، أما الصحراء فكانت سمًا زعافًا لكل دخيل.

ولو لم يكن الإسلام منها وإليها لما تمكن من نشر دعوته فيها، ثم هو مع نشر دعوته فيها لم يستطع السيطرة عليها، فكان الخلفاء يسيطرون على البدوي بألسنة المتفقهين بالقرآن، وحذا الترك حذو الخلفاء العرب، ولكنهم اكتفوا بالسيادة الاسمية على الصحراء.

واليوم يحاول الأوربيون اغتصاب هذه الأنجاد واستثمارها، فهل يكون نصيبهم غير نصيب دارا والاسكندر والسلطان سليم؟

يقولون إن ابن السعود يقبض ثمن سكوته ذهبًا وهاجًا يختلف في شكله، فيتفاوت بين الجنيه الانكليزي و«النابليون» الفرنسي، فهل هناك خيانة يا ترى؟ أم أن الذهب يقاتل الذهب، فيستفيد البدوي من هذا القتال؟ لننس الذهب الآن، ولنذكر أن هناك في الصحراء شمسًا تحيي البدوي وتزيده منعة وعزمًا، وتذهب بالدخلاء وتقضي عليهم، لا سيما وهناك العطش، ووراء العطش الموت!

قوة العربي .. حلفاء العربي لو أن في العربي روح التعاون

لا يحتاج العربي إلى القلاع والخنادق أو الأساطيل لكسر شوكة الدخلاء، فإن طبيعة البلاد بجوها الفريد في تقلبه أعظم مساعد على قهر الأعداء.

للعربي ثلاثة حلفاء:

الشواطىء العارية المنفرجة التي يستحيل إنشاء الموانىء والمرافىء على جوانبها.

والصحراء الأمينة التي تقضي على كل حي ليس من أهلها.

والشمس التي يسير البدوي في ظلها حاسرًا، بكوفية قطنية فقط تترأف الشمس به وتدعه يتنعم بنورها، ويسير الأوربي بضع ساعات في ظلها ساترًا رأسه بخوذته «الفلينية»، فلا تلبث الشمس أن تصرعه وترديه طعامًا لوقودها.

وما هو الخطر الذي تُلحقه الجيوش الأوروبية بعَددها وعُددها بهؤلاء البدو الذين ينعمون في إقليم قد ترتفع حرارته إلى ما فوق المئة والثلاثين، وتهبط على ما تحت الستين، في مدة لا تتجاوز نصف ساعة؛ وأي أذى تُلحقه هذه الجيوش الأوربية بمثل هؤلاء الذين بإمكانهم أن يعيشوا أسبوعًا كاملاً وطعامهم حفنة يابسة من التمر، وشرابهم طاسٌ من لبن النياق؟

إن في وسع البدو تشييد بيوتهم الشعرية وهدمها بمدة لا تتجاوز الساعة الواحدة، وإذا ما أرخوا لهجنهم العنان، راحت تطوي البيد، فلا القذائف تُدركها ولا القنابل الهابطة عليها من السماء.

ومن أين للجيوش الأوربية أن تبعث الخوف والوجل في قلب البدوي، وهو الذي يحلم بالجنة، الجنة التي تجري من تحتها الأنهار، الجنة التي تدر عسلاً ولبنًا وخمرًا، الجنة التي تسكنها الجواري والغلمان. ويزهو فيها الربيع الدائم. والنبات الدائم والقمر الدائم.

هذه هي الجنة التي يحلم بها البدوي، وهي أقرب جنات الأديان إلى المنطق، وأشدها استهواء للنفوس.

البدوي يحلم بمثل هذه الجنة ويؤمن بمنطقيتها، ويُحتم وجودها، ويعتقد بكل جارحة من جوارحه أن الطريق المضمون إلى هذا النعيم إنما هو الاستشهاد في سبيل الله، أو بكلمة أفصح: الاستشهاد في مقاتلة كل من لا يؤمن بوحدانية اللّٰه وبرسوله.

ولقد كان قضاء اللَّه شرًا أو رحمة (لا أدري) على البشر[١]، إذ قضى على العربي بأن يفقد روح التعاون بينه وبين أخوته، ولو أنه ملك هذه الروح إلى جانب مزاياه الأخرى؛ لحكم العالم بلا ريب.

ولما كانت البلاد العربية بمدلولها لا تتم عن وحدة سياسية جامعة، وجب علينا تقسيمها بحسب أوضاعها السياسية. أما إمارتا نجد وجبل شمر، فإنهما تتمتعان اليوم باستقلال تام، يخلو من كل تدخل أجنبي، وقد وُفقتا للوقوف في وجه النفوذ الأجنبي الذي يحاول تثبيت قدمه في الجزيرة.

اسكندر باول

العرب

قرآنا في عدد (٢٥ شعبان سنة ١٣٤٩) من جريدة (الضياء) ما يأتي:

«العرب جيل من الناس ندلت عليه الشمس منذ القدم في هذه الجزيرة التي كأنها قطعة انخزلت من السماء مع الإنسان الأول، فلا يزال أهلها أبعد الناس منزعًا في الحرية الطبيعية، الأولى؛ فهم منه ينبتون، وعليه يموتون.

سكان الفيافي وتربية العراء، ينبتون مع الشمس، ويفيئون مع الظل، ويطيرون

(١) قضاء اللَّه كله خير؛ كما قال ﷺ: «والشر ليس إليك» رواه مسلم (٧٧١). وإنما الشر في المقضي. انظر: «الباب الحادي والعشرون: في تنزيه القضاء الإلهي عن الشر، ودخوله في المقضي»، من كتاب «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل»؛ لابن القيم - رحمه اللَّه تعالى - (٢/ ٥٠٩ - ٥٣٦). (س).

في مهب الهواء. بل أولاد السماء: ما شئت من أنوف حمية، وقلوب أبية، وطباع سيالة، وأذهان حداد.

وقد صرح بعض علماء الأجناس البشرية أنه لا ند لهذا الجنس العربي في جميع السلائل، من الصفات التي تتباين فيها أجناس البشر خَلقًا وخُلقًا، وأنها تسمو على سائر الأجيال بالنظر إلى هيئة القحف وسعة الدماغ وكثرة تلافيفه، وبناء الأعصاب وشكل الألياف العضلية، والنسيج العظمي، وقوام القلب، ونظام نبضاته، فضلاً عما هو عليه من ملاحة السحنة، وتناسب الأعضاء، وحسن التقاطيع، ووضوح الملامح».

أنظمة الدستور وسيلة، لا غاية

من دلائل جودة فهم بريان الفرنسي أنه يرى أن المذاهب الدستورية ليست مبادىء؛ بل وسائل لخدمة المبادىء. من ذلك أنه لما اعتصم عمال السكك الحديد في شرق فرنسا، وخشي بريان أن تنتهز ألمانيا الفرصة فتهاجم فرنسا، ضرب للمعتصمين موعدًا إن لم يعودوا فيه إلى أعمالهم جنّدهم في الجيش. وكان تنفيذ ذلك مخالفًا للقواعد الدستورية، لكنه نفذ وعده وجنّدهم بعد الموعد المضروب. فلما هاج عليه مجلس النواب قال لهم: كان يمكن حل المشكلة بسفك دماء العمال حرصًا على حرمة القواعد الدستورية، لكن فضلت أن أحل المشكلة ويدي طاهرة من دماء العمال، ولو خالفت ظواهر القواعد. فتحول هياج المجلس عليه استحسانًا لعمله.

بين الحجّاج وبشر بن مالك

لما فرغ المهلب من قتل عبدربه الحروري دعا بشر بن مالك، فأنفذه بالبشارة إلى الحجاج، فلما دخل عليه قال له الحجاج:

ما اسمك؟

قال: بشر بن مالك.

فقال الحجاج: بشارة وملك إن شاء الله. وكيف خلفت المهلب؟

قال: خلفته وقد أمن ما خاف، وأدرك ما طلب

فقال له: وكيف كانت حالكم مع عدوكم؟

قال: كانت البداءة لهم، والعاقبة لنا

فقال الحجاج: العاقبة للمتقين. فما حال الجند؟

قال: وسعهم الحق، وأغناهم النفل، وإنهم لمع رجل يسوسهم بسياسة الملوك، ويقاتل بهم مقاتلة الصعلوك، فلهم منه بر الوالد، وله منهم طاعة الولد

فقال له: فما حال ولد المهلب؟

قال: رعاة البيات حتى يأمنوه، وحماة السرح حتى يردوه

فقال له: وأيهم أفضل يا بشر؟

قال: ذلك إلى أيهم يا أمير المؤمنين

فقال له: وأنت أيضًا تعرف ذلك؛ لأني أرى لك لسانًا وعبارة.

قال: هم كالحلقة المفرغة لا يعرف أين طرفها.

فقال الحجاج: ويحك! أكنت أعددت لهذا المقام هذا المقال؟

قال: لا يعلم الغيب إلا الله.

فقال الحجاج: لا فُض فوك.

من حِكم أبي بكر الوراق

* إذا غلب الهوى أظلم القلب، وإذا أظلم القلب ضاق الصدر، وإذا ضاق الصدر ساء الخُلق، وإذا ساء خُلق المرء أبغضه الخَلق وأبغضهم وجفاهم، وهناك يصير شيطانًا.

* الخلاف يهيج العداوة، والعداوة تستنزل البلاء.

* ما عشق أحدٌ نفسه إلا عشقه الكِبر والحقد والذل والمهانة.

* ازهد في حب الرئاسة، والعلو في الناس، إذا أردت أن تذوق شيئًا من طريقة الزاهدين.

* لو أن أحدًا يعلم علم العلماء، ويفهم فهم الفهماء، ويعرف سحر كل ساحر، لا يستطيع أن يستر عورة من عورات نفسه إلا بالصدق فيما بينه وبين اللَّه تعالى.

من كلمات السلف

* قال فخر المجاهدين عبد اللَّه بن المبارك (المتوفى سنة ١٨١):

إذا غلبت محاسن الرجل على مساويه لم تُذكر المساوي، وإذا غلبت المساوي على المحاسن لم تُذكر المحاسن.

* قال سيد الحفاظ أبو عبد اللَّه الثوري المتوفى (سنة ١٦١):

العالم طبيب الدين، والدرهم داء الدين. فإذا اجتر الطبيب الداء إليه، متى يداوي غيره؟

❁ ❁ ❁

❑ **قال أحد البلغاء:**

إن اشتغلتُ بعلم الناس احفظه ... دهري فذلك شيء لا يواتيني
وإن رجعتُ إلى علمي لأحرسه ... فطالب العلم يمضي ليس يأتيني

الآلام

تريدين أن أكتب أوصاف الآلام وفسلفتها؟ ألا فاعلمي أن آثارك في هي كتابي إليك.. لا لا بل سأتكلم عن أخرى مثلك هي... هي الحياة.

أكثر تكاليف الحياة في ألمها وتعبها كأكثر أمراض الحياة؛ فهل من هذا إلا أن كل إنسان مريض - ما دام حيا - بأنه حي..؟

ونعيش بين الأشياء والمخلوقات؛ ومنها ما يسرنا كأنه أجزاء في وجودنا قد زيدت علينا؛ ومنها ما يؤلمنا كأنه أجزاء قطعت منا. فهل يؤخذ من هذا إلا أن الإنسان ما دام مضطرًا فهو مريض بأنه مضطر..؟

فأين إذن يلقي الحي آلامه، وفي جسمه مرض يخلقها مندفعة منه، وحول جسمه مرض آخر يردها راجعة إليه؟..

وما أشبه آلام الإنسان بألم الطفل المذلل، تراه يحزن لكثرة ما يفرح؛ ويحول ابتسامة دموعًا في عينيه فيتغير في صورته دون أن يتغير في معناه، فيضحك باكيًا.

ويشكو، فتكون شكواه طريقة مرح في غير شكلها؛ ويكون في نفسه معنىً واحد، ولكن وجهه الغض الآن يضع لهذا المعنى أساليب مختلفة، هي أنواع من ألعاب الطفولة.

مصطفى صادق الرافعي

ألاعيب وحقائق

❑ **حضرة الأستاذ محرر المساء:**

لقد تعودت التدقيق والتنقيح في الرسائل التي أبعث بها إليكم. وكان سبيلي في ذلك أن أعفيكم من مراجعة ما أكتب، حرصا على وقتكم الثمين. وفي هذه المرة أحاول أن أصف ما جرى في مجلس سمر بين جماعة من المصريين، دعاهم الأستاذ محمود عزمي إلى تناول الشاي. وأريد أن أسرد بعض ما جرى في ذلك المجلس الجميل، وفيه كما سترى أزهار وأشواك، فهل لك أن تتفضل بنشر هذا الحديث برمته، مع ملاحظة أني هذيته بعض التهذيب، وخلصته من كل ما يجرح إحساس القراء؟

بشر فارس: شيء غريب!

زكي مبارك: ما هذا؟

محمود عزمي: لا شيء!

زكي مبارك: يا أستاذ عزمي! إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان! ومع ذلك فهي قصاصة من جريدة مصرية، وما أحسبها من الأسرار بعد أن نُشرت في مصر وجاءت إلى باريس.

عزمي: ولكن في هذه القصاصة ما لا يرضيك!

مبارك: وكيف كان ذلك؟

عزمي: وذلك هو ما تسره إلى فارس؟

وهنا يقرأ الأستاذ عزمي تلك القصاصة، وفيها ما معناه:

«وبعد أن انتهى الأستاذ الثعالبي من محاضرته صاح الحاضرون: نريد أن نسمع الدكتور منصور فهمي!

فرفض الدكتور منصور، فألح الجمهور في الطلب، وألح الدكتور في الرفض، ثم اضطر في النهاية إلى الكلام فقال:

أيها السادة! ماذا تريدون من رجل قالوا إنه ملحد، إن الذين هاجموني لم يعرفوا أن للشباب هفوات.

ومع ذلك فلي الشرف أن أعلن أني متمسك أشد التمسك بالإسلام، ومن أجل هذا أعانق هذا الرجل المسلم!».

مدام عزمي: هذا جبن، إن منصور جبان!

عزمي: نحن لا نقبل رأيكِ في منصور لأنك تكرهينه

مبارك: الدكتور منصور جبان! لو كان الدكتور منصور جبانًا لأعلن إسلامه يوم كانت مصالحه تتوقف على كلمة واحدة يرضي بها رؤساء الجامعة المصرية[١].

ولكن اليوم وقد اطمأن على مركزه ومستقبله، وأصبح غير محتاج إلى مصانعة أحد، أفتظنون أن عواطفه نحو الإسلام في هذه الظروف نوع من الجبن؟ إنكم لا

(١) يريد زكي مبارك أن يقول: إن رؤساء الجامعة المصرية قوم يتقرب الناس إليهم بالتزام الإسلام.

تعرفون الدكتور منصور، لقد مرت به أوقات كان لا يؤمن فيها ببعض التقاليد القديمة، فكان يجاهر بتركها، غير مبالٍ بما يلحقه من الأضرار الاجتماعية في بلد درج على تقديس التقاليد.

مدام عزمي: أنت لا تعرف منصور كما نعرفه، لقد ربيناه! نحن نعرفه منذ ثلاثين عاما أو تزيد.

مبارك: ومع ذلك لا تعرفونه يا مدام، إن الدكتور منصور.. حسبه أنه الرجل الوحيد الذي عرفناه يترفع عن الدسائس والصغائر في عصر كله نفاق وخداع.

عزمي: حقيقة الدكتور منصور رجل طيب!

مبارك: لا يخفى علي خبثك يا سيد عزمي!

عزمي: قلت لك إنه طيب. فهل تريدني على أن أقول أكثر من ذلك، فأزعم أنه فيلسوف؟

مدام عزمي: فيلسوف؟ لقد احتقرته يوم عرفته، فقد قال لي أنا تولستوي مصر! فيا للوقاحة!

توفيق صليب: إن رسائل خطرات النفس لا تدل على تفكير عميق.

مبارك: تنقصها الطنطنة فقط لتصير من التفكير العميق!

توفيق: إنه ضعيف في اللغة.

مبارك: وأنا لم أزعم أنه تخرج من الأزهر أو دار العلوم. ولكني أؤكد أنه كأستاذ فلسفة يعد من أكابر الأساتذة، ولا يعرفه إلا من أخذ عنه.

عزمي: يظهر أننا لن نتفق معك في تقدير منصور.

مبارك: الذي يهمني من هذا الجدل شيء واحد: هو أن الدكتور منصور تطور

في آرائه الدينية والاجتماعية. فهو الآن في طور الإيمان، وهو رجل لا يعرف ما الجبن ولا يدري النفاق.

بشر فارس: إسلام منصور فهمي عندي أفضل من إسلام طه حسين، يوم أعلن عن طريق قلم المطبوعات أنه يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر!

توني: ومع ذلك طه حسين شجاع؛ لأنه ترك بقية الصيغة فلم يقل: وإن عذاب القبر حق، وسؤال الملكين حق. والصراط حق، والميزان حق، إلى آخر الحديث!

مبارك: الدكتور طه شجاع، وهذا لم يكن إلا رأي مدير الجامعة المصرية، فهو الذي اقترح منشور الإيمان

مدام عزمي: مدير الجامعة؟ يا ساتر! إنه أيضًا يدعي أنه فيلسوف، يا حفيظ! يا حفيظ! اسمعوا فأحكي لكم حكاية عن لطفي السيد، في يوم قال لي (يا بنتي) فقلت له بنتك؟ أنا بنتك يا شيخ!

فقال في تخاذل: زوجك يبقى ابني

فقلت: إذا كان زوجي ابنك، فما ذنبي أنا حتى أكون بنتك؟

ولطفي السيد يحب أن يكون الناس كلهم أبناءه. وقد قال في يوم لعبد الحميد باشا بدوي: كلكم أبناؤنا. فقال له عبد الحميد باشا: حاسب يا لطفي، حاسب، كيف تعودت أن تخاطب الناس بلهجة واحدة بلا تمييز!

توفيق: المزعج حقا أن يكون لطفي السيد فيلسوفًا.

مبارك: وما الذي يمنع من ذلك؟

توفيق: انظر ترجمته لأرسطوطاليس.

مبارك: ما عيبها؟ إنها ترجمة في غاية الدقة والوضوح.

توفيق: إنه ترجم عن الفرنسية، والفيلسوف يجب أن يترجم أرسطو عن اليونانية.

مبارك: هذا جزاء من يصنع الجميل!

عزمي: أنت يا أستاذ مبارك لا تحتمل. صدقنا أن منصور فيلسوف، وأن طه شجاع، فتريدنا أيضًا على أن نصدق أن لطفي خليفة أرسطوطاليس!

توفيق: لطفي السيد يعجبني ككاتب بليغ.

عزمي: يعجبك! ولكنك لا تدري في كم ساعة كان يكتب مقالته، لقد كان يكتبها في أربع ساعات، وكان هو الصحفي الوحيد الذي له حاجب يلبس بدلة شبيهة بالرسمية.

وكان هناك دهليز طويل يُوصل إلى حجرته. فكنت إذا أردت زيارته يجري إليك ذلك الحاجب على أطراف قدميه ويقول: «البيه بيكتب الافتتاحية» فتعال بعد ساعتين! هيه؟. بعد ساعتين!

مبارك: بمناسبة حاجب لطفي بك، أذكر أن الشيخ عبد العزيز البشري وصفه فقال: «إن التكلف عنده هو الفطرة، والفطرة هي التكلف».

عزمي: أبدع من هذا كلمة حافظ إبراهيم بك إذ يقول: «أظن أن لطفي السيد حين يريد النوم يتمدد على فراشه ويقول: فلننم!»!

مدام عزمي: أحب أقدم لكم قهوة؟

مبارك: أهي تهديء الأعصاب!

مدام عزمي: أتريد أن تقول إني عصبية؟

مبارك: العفو يا مدام، أنا الذي تصدعت أعصابي؟

فارس: هو أخو الشيخ علي صاحب كتاب الخلافة؟

مدام عزمي: نعم الشيخ مصطفى هو أخو الشيخ علي.

مبارك: والشيخ علي هو أخو الشيخ مصطفى! ولكن ما هي المناسبة؟

مدام عزمي: الشيخ مصطفى هو ميسيه مصر، إنه لرقيق الإحساس!

مبارك: إنكِ بهذا تقضين عليه؛ لأنه مدرس فلسفة، فيجب أولاً أن يكون من الفلاسفة. ولا مانع بعد ذلك أن يُضاف إلى رجال الآداب.

مدام عزمي: فلسفة! فلسفة! الشيخ مصطفى لا يعرف شيئًا من الفلسفة، ولكنه بالذمة أديب!

عزمي: يا ستي! من فضلك، الرجل أستاذ فلسفة فهو إذن فيلسوف لا أديب.

مدام عزمي: أقول لكم الحق، اتركوا الرجل في حاله، إنه لا يحب الشكل ولا الضوضاء.

هذه خلاصة موجزة لحديث استمر ثلاث ساعات.

ثم انصرفنا، فدارت بيننا المحاورة الآتية:

توني: إنه لجميل حقًا أن يكون للإنسان زوجة مثقفة مثل مدام عزمي.

فارس: أنا بالعكس أرى أن الرجل المفكر يجب أن تكون له زوجة ساذجة على نمط حياة جان جاك روسو، فقد اكتفى بزوجة من طبقة الخادمات ليظل طليقًا في حياته الفكرية.

مبارك: أنا لا أدري كيف يكون للأستاذ عزمي رأي خاص، وهذه زوجته تبحث في كل شيء، وتتدخل في كل شيء! ولعل هذا هو السر في أنه كثير الاضطراب، فهو يومًا وفدي، ويوما دستوري، ويومًا مستقل عن سائر الأحزاب!

فلسفة المرض

خُلقت نفس هذا الإنسان وكأنها ثلاثة أنفس، إذا كان دأبًا لها أن تكون طامعة متلفتة وثابة، فهي لا تسكن على رزق تُرزقه، ولا تثبت على حال تحول إليها، ولا تقر في منزلة تسفل بها أو تعلو.

وهي كذلك لا تبرح تنزع مما وجدته إلى ما لم تجده؛ لأن الشوق أحد عناصرها، ولا تنفك متقلبة تجعل ما ترضاه يومًا هو ما تسأمه يومًا؛ لأن الرغبة إحدى طبائعها، ولا تزال تتخطى حدود الأشياء؛ لأنها من الأزل بنيت على الخلود الذي لا يقف على حد. فالشوق الثائر في حاجة إلى فترة تكسر من حدته، والرغبة المجنونة في حاجة إلى ضعفة تهدىء من ثورتها، وخطوة الخلد التي لا تزال دائبة تتقدم، في حاجة إلى عثرة بمعنى من معاني الفناء المعترضة في طريق الحياة. وبذلك يكون الإنسان دائمًا في حاجة إلى بعض الأمراض لا ليمرض ولكن ليصح؛ إلا أنواعًا من أساليب الموت تسمى أمراضًا لا حيلة فيها، ولا يكون المريض معها إلا كالوعاء يشقق ليُحطَم، وينتهي، لا كالوعاء الذي يُصب ما فيه ليُنظف ويُملأ ويبتدىء.

فالمرض الرحيم وضع النفس في وثاق يُمسكها حينًا، ليحبسها على تأمل حقائق الحياة المغطاة، ويُكرهها على أن ترى الدنيا أهون من أن تصغَى لها نفس، وأخس من أن يسقط بها قلب، وأحقر من أن تتهالك عليها الأحياء؛ ثم ليريها رأي العين أن العالم مصبوغ بأخيلتها الوهمية التي نفضت عليه ألوان الجنة فأفسدته بهذا التمويه، وتركت أهله يتكذبون في أوصافه، فيخطئون في حقائقه؛ وجعلته كالقمر هو في ذاته حجرٌ مظلم، ولكن ذهب الشمس يجعله كله فضة بيضاء.

إنه لا يُفسد الإنسان إلا الغرور، ولا يكون الغرور إلا من الطيش، ولا يطيش بالرأي إلا سوء التقدير، ولا يكون هذا السوء أكثر ما يكون إلا من بلاء العافية على الإنسان.

وإن من بلاء العافية ثلاثًا: عافية الجسم وعافية الهوى وعافية المال. فأما الجسم، فأقرب ما وجدته إلى الحيوان الضاري الخبيث، أشد ما وجدته قوة وعافية؛ وأما الهوى فلم يخلق اللَّه شيئًا كل هلاكه في قوته غيره، وأما المال فعافيته في رجل واحد مرض في ألف رجل إلى ألوف كثيرة، فهو حصر الدنيا كلها في بعض أجزائها، فكأنما تطوف الأمراض في هذا العالم لتُصلح نواحي الإنسانية فيه، فتضعف الحيوانية وتكسر شرة الهوى وتكف طغيان المال عن النفس، حتى لا شهوة فيه ولا قوة له، ولو جمعوا ما أصلحته الأديان والقوانين من أحوال النفوس وطبائعها، ثم ما أصلحته الأمراض منها، لرأيت أن لله أنبياء من هذه الأمراض يُرسلها إلى الدم الإنساني، وأن «المكروبات» السابحة في الهواء كالأملاح الذائبة في البحار؛ لولا هذه لتعفنت الأرض، ولولا تلك لتعفنت الإنسانية.

تأمل هذا المريض وهو خائر النفس، متخاذل الأعضاء، كاسف الوجه، ميت الهوى، لا يتماسك مما به من الضعف، ولا ينبعث لما به من الخمود، ولا يتشهى لما به من الفتور، ولا يتذوق بما في روحه من المرارة، ولا يجرؤ لما في حسه من الإشفاق، ولا ينظر إلى الدنيا إلا بملء عينيه زهدًا فيها، كأنما بث المرض في عينيه شعاعًا ينفذ الأمور إلى حقائقها، ثم يخترق الحقائق إلى صميمها. أفلا ترى هذا الإنسان قد عمل فيه مرض أيام قليلة ما لا تعمل العبادة مثله في أزهد الناس، إلا في السنين المتطاولة؟ إنما هي ثلاث وسائل للجمع بين الإنسان وحقيقته العليا. العبادة القوية، وقد عجزت إلا في أفراد قلائل؛

والحكمة الصحيحة العالية وهي أشد عجزًا إلا في الأقل؛ ثم لم تكن الوسيلة العامة التي تتناول الناس جميعًا، ولا يَستعصي عليها أحد ممن أطاع أو عَصَى إلا المرض.

يوجد الإنسان ليُمحى ويزول، ولم تتمكن الفضيلة الإنسانية من نفس إلا إذا تمكنت هذه الفكرة منها، فإن الزائل يرى ليومه ما بعد يومه، ويعلم أن حقه على الناس ليس شيئًا أكثر من حقوق الناس عليه، ويحتاج إلى العمل لروحه كما يعمل لجسمه؛ وما يكون زاد الروح إلا من آثارها في الأرواح الأخرى، ومن آثار هذه الأرواح فيها؛ فإذا كانت حقوق الأجسام تدفع الناس إلى التنازع على البقاء، فإن حقوق الأرواح تقابل هذا الناموس بما يُصلحه، فتزيد في الناس إلى القوة الرحمة، وإلى الغنى الإحسان، وإلى العزة المروءة، وإلى كل طغيان ما يمازجه، فيكف من جماحه، ويجعله إلى الخير أو من الخير.

وإن أعجب ما في الإنسان أنه يرى الموت بين الساعة والساعة ثم لا يستشعر من كل ذلك معنى زواله، كأن عادة الحياة أخمدت هذا الحس فيه، أو أُخملت منه، وما هو إلا أساس التعاطف الإنساني، ثم لا يكون إلا أن يمرض هذا الإنسان يومًا، فإذا هو قد تلقى الدرس على أحكم أساتذته، ورأى نفسه كان يمشي فقعد، ويستطيل فتقاصر، ويشمخ فانهد، ويسر فحزن؛ وإذا هو قد بُدل من الصوت خفض الصوت، ومن الإعجاب مقت الإعجاب، ومن الخلاف ترك الخلاف، ومن جفوة الناس حاجته إلى رحمة الناس. ثم إذا هو قد أمسك عن كل ما كان فيه من العمل، وأقبل على الصحراء المخيفة التي بين الدنيا والآخرة، وأحس من غمزة قدر اللّه في مواضع آلامه، أن الإنسان مهما يكن من قوة الأسر وشدة البأس فما هو بعدُ إلا حبة صغيرة واهنة بين شقي هذه الرحى العظمى الدوارة، التي حجراها الشمس والقمر.

سبحانك اللهم! إنما هذه الأمراض أخلاق أنت تنشىء بها الرحمة في قلوبنا المتحجرة، وتصرفنا فيها إلى نفوسنا بعد أن نكون قد جهلنا هذه النفوس في أعمال الحياة أو جهلتنا، وتعلمنا جميل صنعك في تواتر حلمك علينا، مع قبيح صنعنا في ترادف عصياننا لك، وتنقلنا بها في خطوة سريعة من خطى الأزلية، لترى الدنيا من آخرها، فلا نجد نعيمها إلا معاني من الهلاك، ولا ملذاتها إلا أسبابًا من الندم، ولا غناها إلا فنونًا من الحسرة؛ ثم لا ننظر في أجسامنا إلا أشكالاً قائمة من التراب، ولا نعرف من أعمارنا إلا أنفاسًا كانت تصعد من فم القبر، وإذا أذنت بعدُ في شفائنا، ومسحت بيد العافية علينا، كانت الأمراض وسيلة من وسائل تجديد العمر، وخرج المريض وكأنه مقبل على الدنيا من ناحية لم تكن فيها، فينسم من كل شيء رائحة الحياة، ويرى على كل جمال أثرًا كأثر الحُب ولذته وحنينه، ويستقبل نفسه الراجعة إليه في موكب الحواس القوية، فلا يكون له إلا ما قد يكون مثله في الملك المخلوع أعادوه إلى العرش، فجاءوا بالتاج وأقاموا له الزينة وحشدوا له الحفل، وقالوا: سمعنا وأطعنا!

سبحانك! إنما هذه الأمراض مواعظ منك تُعلمنا كيف نضع شهواتنا في مواضعها من الضرورة، ونحصرها في حدودها من الازدراء والمقت، فلا تعدو بطبائعنا علينا، ولا تعدو بنا على سوانا، وإنه ما يخطىء امرؤ في الحياة إلا من إقرار شهواته في غير أمكنتها، حتى تأخذ من عقله، وتنال من رأيه، وتجور على حواسه، فيقلبها ذلك من أن تكون حركة في الحياة، إلى أن تصير الحياة كلها حركة من حركاتها، وحينئذ لا تكون الشهوات إلا أكثر مما هي، فتقتضي أكثر مما تستحق من الجهد والعمل الإنساني، ولا تكون الحياة إلا أحقر مما هي، فلا تخرج إلا أقل ما يمكن أن تخرجه من القيمة الإنسانية.

سبحانك اللهم! إنما هذه الأمراض في الدنيا بعض مواد البحث الفلسفي العميق لدرس أساليب الطبيعة البشرية، فكم من «عملية جراحية» في طب الناس، هي في الحقيقة «عملية» حسابية في وزن هذه الطبيعة وتقديرها؛ وكم من أنة وجع في المرض، وهي نفسها كلمة عتاب بين الطبيعة والنفس؛ وكم من ضجعة للداء، هي في الواقع نهضة للأخلاق من ضجعتها.

سبحانك ولك الحمد! إن ساعة النجاح وتحقيق الآمال وانتعاش الحظ، وتبديل صورة من الحياة بحياة غيرها تكون أسمى وأكمل؛ وساعة الغنى وإقبال الدنيا ومسالمة الأيام، وتزيين الحياة بحياة أجمل منها وأبدع؛ وساعة الحب ولقاء الحبيب، وفيضان الجمال على النفس، ونسيان الحياة بالحياة التي هي أمتع منها وألذ. كل هذه الساعات لا تُعد إلا دقائق وثواني من السعادة، إذا اتفقت بعد المرض ساعة الحياة، ساعة رجوع الصحة

أوراق الورد/ مصطفي صادق الرافعي

اليُمن والشؤم في نظر الدين الإسلامي

من محاضرة لفضيلة الأستاذ الشيخ علي محفوظ

في دار جمعية الهداية الإسلامية بالقاهرة

لقد غلب على الناس اليوم عقائد وأوهام، حتى أصبح لها السلطان الأعلى في أعمالهم وتصرفاتهم، مع أنه لا يقرها شرعٌ ولا يقبلها عقل، بل هي من بقايا الجاهلية الأولى.

فمن تلك الأوهام: اليُمن والشؤم في مثل المنازل والأزواج والدواب والضيف، فإذا حدث شيءٌ من الخير أو الشر بمصادفة الأقدار عند شراء منزل أو السكنى فيه، أو عقد زواج، أو شراء دابة، أو قدوم ضيف، زعموا أنه منها وبسببها. وربما استأنسوا لذلك بما رواه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول اللّه ﷺ قال: «**الشؤم في الدار والمرأة والفرس**»[1]، وهو خطأ معيب، فقد ورد في بعض رواياته تفسير الشؤم واليُمن والشر والخير في هذه الأمور على غير ما زعموا.

روى الطبراني[2] من حديث أسماء بنت عميس قالت: يا رسول الله، ما شؤم الدار؟ قال: «**ضيق ساحتها وخبث جيرانها**». قيل: فما سوء الدابة؟ قال: «**عقم رحِمها وسوء خلقها**». وروى الأمام أحمد[3] والحاكم[4] والبيهقي[5] وغيرهم من حديث عائشة رضي الله عنها: «إن من يُمن المرأة تيسر خطبتها وتيسر صداقها وتيسر رحمها» يعني الولادة.

وفي الحديث الصحيح أنه ﷺ قال: «**اليُمن والشؤم في المرأة والمسكن والفرس، فيُمن المرأة خفة مهرها ويُسر نكاحها وحُسن خلقها، وشؤمها غلا مهرها وعُسر نكاحها وسوء خلقها. ويُمن المسكن سعته وحُسن جوار أهله، وشؤمه ضيقه وسوء جوار أهله. ويُمن الفرس ذله وحُسن خلقه، وشؤمه صعوبته**» رواه غير واحد[6].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٠٥) ومسلم (٢٢٢٥).

(٢) برقم (٣٩٥).

(٣) برقم (٢٤٥٢٢)، وحسنه الأرنؤوط.

(٤) برقم (٢٧٣٩).

(٥) برقم (١٤١٣٥).

(٦) لا أصل له بهذا اللفظ. ولذا قال العراقي في «تخريج إحياء علوم الدين» (٢/ ١٨٧): =

على أن البخاري روى[1] عن ابن عمر أيضًا أنه قال: ذكروا الشؤم عند النبي، فقال ﷺ: «**إن كان الشؤم في شيء ففي الدار والمرأة والفرس**»، ومعناه أن الشؤم لو كان له وجود في شيء لكان في هذه الأشياء، فإنها أقبل الأشياء له، لكن لا وجود له فيها أصلاً. ولذا قال القاضي عياض رحمه الله: إن هذا الحديث محمول على استثناء نقيض المقدم، أي: لكنه لا شؤم.

ومن هذا تعلم أن الشؤم في الحديث السابق وغيره محمول على الإرشاد منه صلوات اللّه وسلامه عليه، يعني أن من كانت له امرأة يكره صحبتها لسوء معاشرتها مثلا، أو دارٌ يكره سكناها لضيقها أو سوء جوارها، أو فرسٌ لا تعجبه لشراستها؛ فليُرح نفسه بمفارقة المرأة، والانتقال من الدار، وبيع الفرس، حتى يزول عنه ما يجده في نفسه من الكراهة والألم. أي أن الحديث ليس على ظاهره، بل محمول على الكراهة التي منشؤها ما في هذه الأشياء من مخالفة الشرع أو الطبع، لا كما يفهمه بعض الناس من التشاؤم بقدمها، ومن تحت

= «أخرجه مسلم من حديث ابن عمر «**الشؤم في الدار والمرأة والفرس**»، وفي رواية له «**إن يك من الشؤم شيء حقا**»، وله من حديث سهل بن سعد «**إن كان ففي الفرس والمرأة والمسكن**»، وللترمذي من حديث حكيم ابن معاوية «**لا شؤم وقد يكون اليمن في الدار والمرأة والفرس**»، ورواه ابن ماجه فسماه محمد بن معاوية، وللطبراني من حديث أسماء بنت عميس: قالت: يا رسول اللّه ما سوء الدار؟ قال «**ضيق ساحتها وخبث جيرانها**»، قيل: فما سوء الدابة؟ قال «**منعها ظهرها وسوء خلقها**»، قيل: فما سوء المرأة؟ قال «**عقم رحمها وسوء خلقها**». وكلاهما ضعيف، ورويناه في كتاب الخيل للدمياطي من رواية سالم بن عبد اللّه مرسلا «إذا كان الفرس ضروبا فهو مشؤوم، وإذا كانت المرأة قد عرفت زوجًا قبل زوجها فحنت إلى الزوج الأول فهي مشؤومة، وإذا كانت الدار بعيدة من المسجد لا يُسمع فيها الأذان والإقامة فهي مشؤومة» وإسناده ضعيف، ووصله صاحب مسند الفردوس بذكر ابن عمر فيه».

(١) برقم (٤٨٠٧).

رأسها، فإنه جهل بمقام الألوهية، مع أنه لا صلة ولا تناسب بين هذه الأشياء وبين ما يحدث لهم من الخير أو الشر عند هذه الأشياء. وإذا كان الشارع الحكيم قد أطلق على من ينسب المطر إلى النوء الفلاني (النجم) وصف الكفر، فكيف بمن ينسب ما يقع من الخير أو الشر إلى نحو الدار والزوجة، مما ليس له فيه مدخل أصلاً، وإنما يكون ذلك بمصادفة القضاء والقدر، فتنفر النفس من ذلك أو تُسر؛ فمن وقع له شيء يكرهه عند حصول واحد من هذه الأشياء، فلا ضير عليه أن يتركه من غير أن يعتقد نسبة الفعل إليه على أي وجه كان، فإلى اللّٰه وحده تُرجع الأمور، وهو وحده المؤثر في كل شيء، وهو تعالى دون سواه الفاعل المختار(١).

دمشق بعد يوم ميسلون

مصيبة ميسلون وإن أمضّت ... أخف وقيعة مما تلاها
فما من بقعة بدمشق إلا ... تمثّل ميسلون وما دهاها
فروع النار قد طالت ذراها ... وبالدم لم يزل رطبا ثراها
فسل عما تصبّب من دماء ... تخبّرك الحقيقة غوطتاها
ولم أرَ جنة أمسى بنوها ... وقود النار فائرةً سواها
وما زالت بقايا السيف منهم ... تعاني غربةً شطت نواها
همُ كتبوا صحائف خالدات ... أرى صدر الزمان لقد وعاها

---

(١) يُنظر للفائدة والزيادة عما قيل في أحاديث «الشؤم»: «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» (باب: ماجاء في التطير). (س).

عشقتُ دمشق إذ هي دار خلد ... مقيمٌ سعدها، دانٍ جناها
فلما شبت النيران فيها ... وطال لهيبها أعلى ذراها
أرتنيها المحبة بيت نار ... يلوح لعين دهقان سناها
عبدناها نعيمًا أو جحيمًا ... وأُلهمت النفوس بها هداها(١)
إذا ما ليلة حلكت وطالت ... فأجدر أن يكون دنا ضُحاها
وعاقبة الشدائد والرزايا ... إلى فرجٍ إذا بلغت مداها

خليل مردم بك

الإسلام ماضيه وحاضره

من نظم فقيد الشعر والأدب المرحوم عبد الحليم المصري

عليّ جرى دمًا دمعي حزينا ... وفيّ تعلم الطيرُ الأنينا
فيا بنت الهزار ابكي وأبكي ... لننظر أينا أوفى شؤونا(٢)
بكيتُ وما عسى تبكين إلا ... بذورا أو وكورًا أو غصونا
أعينيني، فخطبك دون خطبي ... وكان الحر في الدنيا معينا
سألت على مَ تستبكي السواري(٣) ... ولم تُطلع على سرٍ خدينا
تبيت مقلّبًا يُمنى بيُسرى ... لقد أتعبتَ باليُسرى اليمينا
وتغتاب الفراش وأنت فيه ... إلى السُهد الذي خدع العيونا

---

(١) العبودية لا تكون إلا لله. قال تعالى: ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾. (س).
(٢) الشؤون: مجاري الدمع.
(٣) السحائب.

كأنك سُمت مَدرجة الأفاعي ... فما نلت الحياة ولا المنونا
أإن خدعتْ مناك حجاك همّت ... قواك لتركب الأمل الحَرونا
فيغريك الذي ينهاك حينًا ... وينهاك الذي يغريك حينا
وتضحك في بطائك لستَ تدري ... كأنك قد ترقيت الجنونا
وما هذي بحال فتىً حزين ... أجدًا كان صُنعك أم مجونا
فيا بنت الهزار سُقيتِ مما ... أتاح اللَّه منهمرًا هتونا
ولا برحتْ سحائبُ مرضعات ... بناتك في المسارح والبنينا
ولا دهمتك في عشٍ عقاب ... ولا بلغتك أيدي الصائدينا
ولا زالت بك الجنات خضرًا ... يناجي الورد فيها الياسمينا
عذلتِ ولو علمتِ على مَ أبكي ... لما جاريتِ فيَّ العاذلينا
بكيتُ قواعد الإسلام - لما ... تزعزع ثبتها - والمسلمينا
قد انفطرت عقودهم بأرضٍ ... حمت عقباتها المستجمعينا
فذاك جرى مع اللاهين شوطا ... وذاك سها مع المتزهدينا
فما بلغوا بذاك اللهو دُنيًا ... ولا بلغوا بذاكَ السهو دينا
وشتّوا في البلاد فكلُ أرض ... حوت منهم غريبًا مستكينا
نموت بها ونحيا كل يوم ... فلا متنا الزمان ولا حيينا
تكاد تخاله مما يعاني ... بهذا الدين في الدنيا مَدينا[١]
تضيقُ النفسُ بي طولاً وعرضًا ... إذا مرحتْ بذكر الغابرينا
همُ فرحوا بعيشي يوم ماتوا ... فعشتُ عليهمُ عمري حزينا
ولو أن الديار صبرن يومًا ... عليهم، ما خربن وما خوينا
بنفسي (سُر من را) وهي برجٌ ... حوى كالبدر (معتصمًا) ركينا

---

(١) الضمير يعود على الغريب المستكين.

وشعر (البحتري) بها مطيف — يكاد يفيض سامعه حنينا
فللشعراء إن ركبوا مكَرٌّ — وبحرٌ إن هم راضوا السفينا
ولو أني لحقتهمُ بشعري — لكنتُ كما أحاول أن أكونا
قصورٌ تشبه الآمال طولاً — وأشكالٌ بها تحكي الظنونا
موازينٌ بساحتها أقيمت — موفّاة إلى المستنصفينا
وفيها (البركة) الفيحاء تجري — ينابيعًا على ذهبٍ لجينا
بكت من فرط ما فرحت ففاضت — محاجرها فأسبلت الجفونا
تُلح مساقط الأنداء فيها — فتنتظم فوقها الدُر الثمينا
كأن مياهها قطراتُ حُسنٍ — وقد مسح الشباب بها الجبينا
أناخ بها الغمام وشق فيها — جيوبَ السُحب أبكارًا وعُونا
فعاد الأفق رقعة سابريٍ — على مرآتها للناظرينا
وأين اليوم (أندلسٍ) فأبكي — رفات المجد والفخر الدفينا
وأطرقُ ساحة (الزهراء) علّي — أرى جدّاءها عادت لبونا[1]
وأنشق نفحة الأرحام فيها — وأسأل بعد (ناصرها) القطينا
أأنتم أنتمُ؟ أم غيرتكم — تصاريف الردى عزًا وهونا؟
فأين سلالة (ابن هشام) فيكم — وأين الضادُ بين الناطقينا
وأي الدولتين أجلُ قدرًا — وأمنع في معاقلها حصونا
(بني مروان) يا عبَق المعالي — عليكم رحمةٌ في العالمينا
دفنتم بعضُكم بعضًا، وبتنا — عليكم في المقابر عاكفينا
ولو أن الرفات يُرد رجعًا — لما دعي الدفين إذن دفينا
أعيذ الدين من قوم أناخوا — بكلكلهم عليه أذىً ومَينا

---

(١) الجدّاء: الناقة التي لا تُحلب.

وجاءوا التُرهات فبات منهم بنو موسى وعيسى ساخرينا
فئاتٌ تبتغي بالدين رزقًا ودمع الدين يغمرهم سخينا
فكم من راحة بيضاء تحكي أُقاح المنحنى حُسنًا ولينا
محاها اللثم تبريكًا فأما إذا احتجبت فقد محتِ اليقينا
فيا مجدَ الشريعة كيف تعفو وتُصبح لا ليوثَ ولا عرينا
أإن ولّى الأمين وصاحباه يضل عن الصراط المهتدونا
وهيهات الصلاح لدين قومٍ إذا كان الأئمة مُفسدينا
لعل اللّه يُلهمنا نفوسًا إذا غنبت بنا قضتِ الديونا

عبد الحليم المصري

الحديقة

مجموعة أدب بارع، وحكمة بليغة

الجزء الحادي عشر

انتقاها

الكاتب الإسلامي الكبير

محب الدين الخطيب رحمه الله

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على صفيه محمد وآله، وجميع رجاله.

وبعدُ؛ فقد كنتُ على عزم أن أختم هذا الكتاب بجزئه العاشر، وأبدأ بكتاب آخر في معناه، ولكن باسم غير اسمه، وحجم غير حجمه. ثم ثناني عن ذلك صديقي الأستاذ عبد المنعم خلاف، وأقنعني بأن (الحديقة) صار لها أصدقاء كثيرون، يترقبون صدور أجزائها الجديدة بفارغ الصبر، ولا يستغنون عنها بغيرها، فنزلت على حكمه، وعملت بما علمت أن فيه رضا القارئ، والحمد لله أولا وآخرًا.

١٥ شعبان ١٣٥٢

محب الدين الخطيب

كيف تزوج حاتم امرأته؟

كانت امرأة من العرب من بنات ملوك اليمن تدعى (ماوية)، ذات جمال وكمال؛ وحسب ومال، فآلت أن لا تزوّج نفسها إلا من كريم، ولئن خطبها لئيم لتَجدعنَّ أنفه، فتحاماها الناس. ثم انتَدَبَ لها زيدُ الخيل، وحاتمُ بنُ عبد الله، وأوسُ بنُ حارثةَ ابن لأم الطائيون، فارتحلوا إليها. فلمَّا دخلوا عليها قالت:

مرحبًا بكم، ما كنتم زُوَّارًا، فما الذي جاء بكم؟

قالوا: جئنا زُوَّارًا خُطَّابًا.

قالت: أكفاء كرام.

فأنزلهم، وفرَّقت بينهم، وأسبغت لهم القِرى وزادت فيه؛ فلما كان في اليوم الثاني بعثت بعضَ جواريها متنكرة في زيّ سائِلة تتعرَّض لهم، فدفع إليها زيد وأوسٌ شطرَ ما حُمل إلى كلّ واحد منهما، فلمّا صارت إلى رحلِ حاتمٍ دفع إليها جميع ما كانَ من نفقته، وحمل معها جميع ما حُمل إليه.

فلما كان في اليوم الثالث دخلوا عليها، فقالت:

ليصفْ كلُّ واحدٍ منكم نفسَه في شعره.

فابتدر زيد وأنشأ يقول:

هلَّا سألتِ بني ذُبيانَ ما حَسَبي ... عندَ الطِعان إذا ما احمرَّتِ الحَدَقُ
وجاءتِ الخيلُ محمرًّا بوادرُها ... بالماء يسفح من لباتِها العلقُ
والخيلُ تعلم أنّي كنتُ فارسَها ... يومَ الأكسّ به من نجدة رَوَقُ[1]

(١) الأكس: القصير الأسنان، وضده الأروق. يريد تقلص الشفتين في معمعة القتال. كما قال عنترة: إذ تقلص الشفتان عن وضح الفم. =

والجارُ يَعلم أنّي لستُ خاذله ... إن ناب دهرٌ لِعَظْم الجارِ معترقُ
هذا الثناء فإن ترضَي فراضيةٌ ... أو تسَخطي فإلى من تُعطف العُنقُ

وقال أوس بن حارثة: إنّك لتعلمين أنّا أكرم أحسابًا، وأشهر أفعالا، من أن نصف أنفسنا لك. أنا الذي يقول فيه الشاعر(١):

إلى أوْس بن حارثةَ بن لأم ... ليقضي حاجتي ولقَد قَضاها
فما وطيءَ الحصَى مثلُ ابنِ سُعدَى ... ولا لبسَ النعالَ ولا احتَذاها

وأنا الذي عُقت عقيقته، وأعتقت عن كلِّ شعرةٍ فيها عنْهُ نَسَمَة. ثم أنشأ يقول:

فإن تنكحي ماويَّةَ الخير حاتمًا ... فما مثلُه فينا ولا في الأعاجمِ
فتىً لا يزال الدهرَ أكبَرَ همّه ... فِكاكُ أسير أو مَعُونة غارمِ
وإن تنكحي زيدًا ففارسُ قومه ... إذا الحرب يومًا أقعَدت كلّ قائمِ
وصاحب نبهانَ الذي يُتقى به ... شَدا الأمر عند المُعظم المتفاقمِ
وإن تنكحيني تنكحي غيرَ فاجر ... ولا جارفٍ جرفَ العشيرة هادِمِ
ولا مُتَّقٍ يومًا إذا الحرب شمّرت ... بأنْفسها نفسي كفعل الأشائمِ
وإن طرق الأضياف لاذَ برحله ... وجدتِ ابنَ سُعدى للقِرى غير عائمِ
فأيّ فتىً أهدى لكِ اللَّه فاقبلي ... فإنّا كرامٌ من رءوسِ أكارمِ

وأنشأ حاتم يقول:

أماويَّ، قد طال التجنُّبُ والهَجْرُ ... وقد عذرتْني في طِلابكُم عُذْرُ
أماويَّ، إنَّ المال غادٍ ورائحٌ ... ويبقى من المال الأحاديث والذِّكرُ

= وكما قال آخر:

فداء خالتي لبني حيي ... وجعدة يوم كس القوم روق

(١) هو بشر بن أبي خازم.

أماويَّ، إني لا أقول لسائلي إذا جاء يومًا حلَّ في مالنا النزرُ
أماويَّ، إمّا مانع فمبيِّن وإما عطاءٌ لا يُنهنِهُه الزجرُ
أماويَّ، ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرَجتْ يومًا وضاق بها الصدرُ
أماويَّ إن يُصبح صدايَ بقفرةٍ من الأرض لا ماءٌ لديَّ ولا خمرُ
ترى أنَّ ما أنفقتُ لم يكُ ضائري وأن يدي مما بخِلتُ به صِفرُ
أماويَّ إني رُبَّ واحدِ أمه أخذتُ فلا قتلٌ عليه ولا أسرُ
وقد عَلِم الأقوامُ لو أنّ حاتمًا أراد ثراء المال كان له وَفرُ
أماويَّ، إنَّ المال مالٌ بذلتُه فأوله شكر وآخره ذكرُ
وإنّيَ لا آلُو بمالِي صَنيعة فأوله زادٌ وآخره ذُخرُ
يُفَك به العاني ويُؤكل طيبًا وما إن يُعريه القِداح ولا القَمْرُ
ولا أظلمُ ابنَ العمّ إن كان إخوتي شهودًا وقد أودى بإخوته الدهر
غِنِينا زمانًا بالتصعلك والغِنى وكلا سقاناه بكأسيهما الدهرُ
فما زادنا بَأْوًا على ذي قَرابة غِنانا، ولا أزرى بأحسابنا الفقرُ
وما ضرَّ جارًا يا ابنة القوم، فاعلمي يجاورني أن لا يكون له سترُ
بعينيّ عن جاراتِ قوميَ غفلة وفي السمع مني عن أحاديثها وَقرُ(١)

---

(١) ولحاتم أيضا في هذا المعنى:

وما تشتكيني جارتي غير أنني إذا غاب عنها بعلها لا أزورها
سيبلغها خيري ويرجع بعلها إليها ولم تُسبل على ستورها

وفي هذا المعنى قول مسكين (الصاحبي ص ٢١٧):

أعمى إذا ما جارتي خرجت حتى يواري جارتي السترُ

وقد قال كثير من شعراء العرب في هذا المعنى.

حِكم عربية

ما تكلمت في الغضب بكلمة ندمتُ عليها في الرِّضى.

مؤرق العجلي

رُبّ غيظٍ تجرعته مخافة ما هو أشدّ منه.

الأحنف بن قيس

الأعمى من يَرى بغير عينه، والأصمّ من يسمع بغير أذنه.

أحمد شوقي

وِرد الصباح والمساء للآباء والأبناء

وهو حِكم مقتطفة من مقال لكاتب الشرق الأكبر الأمير شكيب أرسلان، نُشر فاتحة للعدد الـ ٣٠٣ من الفتح:

* فسادُ الأخلاق هو في الحقيقة انحلال الأوضاع الدينية.

* الدين الصحيح كما أراده شارعه، هاتف بالعلم الصحيح كما أراده واضعه.

* الإسلام شريعة معاش ومعاد، وكل نقص في أسباب واحد منهما نقصٌ من الإسلام.

* لن يكون إسلام ولا إيمان في الأرض إن لم يعتمد على قوة مادية تصونه وتضمن بقاءه.

* الجمود الذي ابتلي به علماء الإسلام حتى صاروا به مثلا مضروبًا، واقتصارهم على طريقة واحدة من التعليم لا يتعدّونها، واستيحاشهم من العلوم الطبيعية والرياضية وكل العلوم التي بلغت بها أوربة هذه المراقي العالية؛ هذا كله مرض من أمراض الإسلام الاجتماعية، وهو خارج عن الإسلام الصحيح بالمرة.

* الظلم والجهل توأمان.

* بفساد أخلاق الأمراء، ومواطأة بعض العلماء لهم، أصاب الأمةَ الإسلامية ما أصابها.

* ما فتح المسلمون فتحًا، ولا قطعوا واديًا، ولا ركبوا بحرًا، ولا جابوا برًا، ولا بذلوا مالاً ولا دمًا، ولا أسسوا إمارة ولا حضارة، إلا إجراءً لأحكام القرآن الكريم الذي كان معناه ممتزجا بلحمهم ودمهم.

* لما فسد الأمراء، وتواطأ بعض العلماء، رجع القرآن من المعنى إلى اللفظ فقط، وصار يُتلى بدون عمل.

* ما دام القرآن غير معمول به كما كان يُعمل به في السابق، فلن يُرجى رقي المسلمين كمسلمين.

* يستحيل أن يطمع المسلمون في النجاح والنهوض وهم مسلمون ومصرّون على الإسلام، ثم هم غير عاملين بأوامر كتاب اللّٰه تعالى ونواهيه.

* العلوم العصرية لا تفيد المسلمين إلا إذا اقترنت بتربيتهم الدينية، وسارت جنبًا إلى جنب مع أوضاعهم وعقائدهم.

* أثبتت التجاريب من قديم الدهر أن التربية العلمية لا تنهض بالأمة نهوضًا حقيقيًا إلا إذا حصلت ضمن دائرة لغتها وتاريخها وعقيدتها ومشربها.

* إنْ نهض المسلمون - وهم ناهضون بمعونة اللَّه تعالى - لم تنهض بهم روحٌ أوربية، ولا روح شيء خارج عن الإسلام؛ وما ينهض بهم إلا روحُ القرآن الذي كان مَبعث نهضتهم الأولى والذي به حياتهم الأدبية، والذي فيه لهم النازع والوازع والمحرّك والمسكن، والذي بدونه ليس أمامهم إلا أحد أمرين: إما الفناء والاضمحلال، وأما التحوّل عن الإسلام.

* إن أول دليل على رقة شعور المسلمين - إن رق- سيكون روح التضحية بالمال والنفس، ومباراة الأوربيين والأمم الراقية في بذل القناطير المقنطرة، والإنفاق بدون حساب في سبيل قوميتهم.

* ما دامت التضحية في العالم الإسلامي مفقودة أو ضعيفة، فلا يُرجى له فلاح أصلاً.

* اليأس من جهة العقل انتحار، ولا ينتحر إلا الذي خالط عقله الجنون؛ ومن جهة الدين كفر محض، ولا ييأس من روح اللَّه إلا القوم الكافرون.

* داء المسلمين من أنفسهم، ومبدؤه فساد الأخلاق، ولاسيما أخلاق الأمراء، الذين فساد الواحد منهم يُفسد المجموع، ويتلوه تدليس بعض العلماء الذين واطأوا الأمراء على شهواتهم.

* استولى العدو على بلدان المسلمين برجال المسلمين، وأمن مصالحه بخيانة الكثيرين منهم لملتهم.

* المسلمون كانوا في غالب الأحيان أعداء لأنفسهم، وقد كانوا على الإسلام من الداخل أشد مما كان العدو من الخارج.

* الشعور بالاحتياج علم يسوق إلى الطلب بقدر همة المحتاج وشفوف بصيرته.

* التاريخ لا يكون بالتعسف ولا بالتحكم، ولكن بمحاسبة كل على عمله.

* لو كان المسلمون قائمين بواجباتهم من جهة حياتهم الدينية وحياتهم العلمية وحياتهم الاقتصادية، لما نال العدو منهم منالا.

* ليس من عادة اللَّه تعالى أن يقتل أمة امتلأت إرادتها بأن تحيى. فالمسلمون هم المسئولون بالدرجة الأولى عما آلوا إليه.

* عدوُّ المسلمين لا يشبه جنسًا آخر من أجناس البشر؛ وأن الاعتداء والتجاوز هما في أصل فطرته، لا يعيش بدونهما، ولا يصده عن التعدي إلا القوة القاهرة.

* الإسلام فاتحٌ رفيق يطيق وجود غيره، ويرضى ببقاء المسيحي مسيحيًا واليهودي يهوديًا، ويساكن أعداءه ويهادنُهم، وإن ملك أسجح، وإن ظهر ترك رعاياه من غير المسلمين أحرارًا، كما تشهد بذلك التواريخ. وأعداء الإسلام على العكس من ذلك، فهم لا يعرفون هذه السجاحة في المعاملات ولا يطيقون وجود غيرهم إذا ظهروا.

* من أسباب تأخر المسلمين كون عدوهم لا يعرف الهوادة، ولا يمل من المجاهدة، ولا يكل عن السعي؛ وقد اتصف فوق هذا برجولية تامة.

* إن الثبات والمثابرة وحب التسلسل وإيصال الآخر بالأول، خصال أوربية لا تساويهم فيها الأمم الأخرى.

دمشق/ محمود يس

السياسة والإيمان الديني

إذا فُصلت السياسة عن الدين فقدت معناها.

كل طفل في مدرستنا يدري الأنظمة السياسية في الهند، ويعرف كيف أن بلاده تتَّقد بإحساسات جديدة، بآمال جديدة، بحياة جديدة. ولكننا في حاجة أيضًا إلى الضوء الثابت المستقر، ضوء الإيمان الديني، وليس الإيمان الذي يتحدَّث إلى العقل، بل الإيمان المسطور في صفحة القلب. يجب أولاً أن يُكشف عن ضميرنا الديني، فإذا فعلنا ذلك تفتحت أمامنا في الحال الدنيا كلها، فإذا وصل الشبان إلى سنّ الرجولة، وصلوا إليه مزوَّدين بأطيب زاد، فيعرفون كيف يجاهدون في الحياة. أما ما يحدث اليوم، فهو في أغلب الحياة السياسية وقفٌ على الطلبة، ولكنهم حالما يفرغون من الدراسة يغرقونَ في نسيان مطبق ويفتشون عن وظائف تعسة، ناسين كل شيء عن الله.

غاندي

مات شوقي

مات السائحُ الذي وَجد عرشَ الشعرِ العربيّ بعد أن كان ضائعًا من عصر أبي الطيّب، فتبوأه غيرَ منازَع، فمن شاء أن يرى وَهَن أركان الجمهورية وتفكُّكَها وتخلُّعَها، فلينظرْ إلى مَن تركهم شوقي وراءه من شعرائنا الكثيرين: وهم بين شاعر قُصاراه أن يخاطب رُوحَ أمةٍ غير أمَّتة، مترجمًا عن غير آمالها وآلامها،

بأساليبَ لا تصل إلى قلبها، وآخر يعيش في أزمانٍ مضت، ويطير في أجواء لا يراها معاصروه.

مات شوقي بعد أن عاش في النفس العربية يأنس بها وتأنس به، فكان شعرُه صادرًا من قلبها، وكانت تصوُّراته مفصَّلةً على مقادير أذواقها، وكان ما تأثّر به من أدب الغرب مهضومًا في نفسه بحيث لا يعلم هو نفسُه إن كان ذلك من أثره أو مما تأثّر به؛ لذلك كان طريقُ بيانه إلى النفس العربية كطريق أهل الإحسان، إلى فراديس الجنان، لا ترى فيها عوَجًا ولا أَمْتًا.

كان للعربية مُلكٌ عظيم، وكان للمملكة العربية شِعر يخفق في سمائها مع رايتها، فيشترك الجمهور في التأثر به والانقياد لبيانه، فهو صوت القيادة تتموّج به طبقات النسيم حيثما تلمح الأبصار راية العز مُرَفرفةً في سماء القوة، فلما جرَّدَ الزمانُ الناطقين بالضاد من عِزّة الملك خلا عرشُ الشعر العربيّ من ملوك يتوارثونه، ونسيَ العرب أن لهم مُلكًا، ونسوا مع ذلك أن لشعرهم عرشًا يزينه عبقري ويستعدُّ للقيام عليه من بعده آخرون، وانحطّ الشعر بانحطاط السيادة، إلى أن كان لسوء حظّنا - أو لحسن حظنا - أنْ وُجدنا في زمان تذكّرنا فيه حاجة الناطقين بالضاد إلى السيادة والاستقلال، وشعرنا مع ذلك بحاجتنا إلى صوت الملائكة يهتف بآمالنا وآلامنا من فم شاعر يُحسن التعبير بلغة النفس العربية، وظهر البارودي، وظهر بعد البارودي إسماعيل صبري، وأجرى اللَّه على ألسنتهما لغةَ النفس العربية، لكنهما كان يقولان الشعر لأنفسهما، فلم يحاولا قيادة الرأي العام كما حاولها شوقي، يوم قال يخاطب الجالس على كرسي الإمامة الإسلامية وقد بطش بطشته الكبرى باليونان:

بسيفكَ يعلو الحقّ والحقّ أغلبُ ... ويُنصر دين اللَّه أيّان تضربُ
وما السيف إلا آيةُ الملك في الورى ... وما الأمر إلا للذي يتغلبُ

فأدِّب به القومَ الطغاةَ فإنه ... لَنِعمَ المربّي للطغاة المؤدِّبُ

ويوم شاهد بارجتين عظيمتين تنضمّان إلى قوَّة الجهاد الإسلامي، فقال:

هزّ اللواءَ بعزِّكَ الإسلامُ ... وعنَتْ لقائم سيفك الأيامُ
عرشُ النبيّ محمدٍ جنباته ... نورٌ ورَفرَفُه الطهورُ غمامُ
البحر محشودُ البوارج دونَه ... والبرُّ تحتَ ظِلالهِ آجامُ

ويوم بكى على ضياع أدرنه فقال:

يا أخت أندَلس عليكِ سلامُ ... هوَتِ الخلافةُ عنك والإسلامُ
بكما أصيب المسلمونَ وفيكما ... دُفن اليَراع وغُيّب الصمصامُ

ويوم حطَّم الكماليون بيد القسوة عرش الخلافة، فوقف جازعًا يقول:

عادتْ أغاني العُرْس رَجْعَ نُواحِ ... ونُعيتِ بين مَعالم الأفراحِ
ضجتْ عليكِ مآذنٌ ومنابرٌ ... وبكتْ عليكِ ممالكٌ ونَواحِ
يا لَلرِّجال لحُرَّة مَوءودةٍ ... قُتلت بغير جَريرة وجُناحِ
إن الذين أَسَتْ جِراحَك حربهم ... قتلتكِ سِلمهمُ بغير جِراحِ
هتكوا بأيديهم مُلاءةَ فخرهم ... موشيَّة بمواهب الفتّاحِ
إن الغرور سقى الرئيسَ براحه ... كيف احتيالُكَ في صريع الراحِ؟

تبوَّأ شوقي عرشَ الشعر العربي، والشعر العربيُّ لم يستقل ملكُه بعد، لأن مملكة الشعر تبعٌ لمملكة العزّ والسيادة، وما لم تكن للناطقين بالضاد العزَّة التامة والسيادة الكاملة فهم من شعرهم في ثورة لا في مُلك. وما أتعسها من ثورة في الشعر اختلط فيها حابل الرأي بنابله: فنحن من شعرائنا بين داعية إلحاد، وبين ساكن في خمَّارة، وبين ذاهل عما يحفُّ بأمَّته من كوارث؛ فهو لا يفتأ يقتل وقته في نظم شعر مخنّث يرضي به شهواته، وبين ظانّ أنه شاعرٌ عربي، وما هو بشاعر عربيّ، فيظلُّ يومه يسطو على منظومات الإفرنج يستل منها معانيها الغريبة عن

الأذواق العربية، فيصوغها بألفاظ وتراكيب يلعن بعضها بعضًا، فلا يفهم منها القارئ العربيّ إلا بقدر ما أفهم أنا من الشعر الصينيّ. وبينما نحن في هذه الفوضى الفكرية التي يعيش فيها شعراؤنا فقدنا شوقي، فكان رُزء العربية به عظيمًا، وكان الحزن على خلوّ مكانه ممن يخلفه عليه أعظم وأعظم.

كنتُ وأخي الأستاذ محمد أحمد الغمراوي نرجو أمير الشعر لمهمَّة عظمى لم نكن نحسب أن شاعرا يوفَّق لها كما يُوفق لها شوقي لو شرح اللهُ لها صدره، وهذه المهمة هي أن يصوغ لنا من مَلاحم الإسلام وأيامه ومفاخره ديوانًا كالياذة هوميروس لليونان، وشاهنامة الفردوسي للفرس، وهممنا بزيارته لذلك مرّتين على أن نستعين عليه بشيخ شباب المسلمين الدكتور عبد الحميد سعيد، وبالفعل كنا نضرب الموعد لزيارته، ويريد اللّه أن لا يتمّ ذلك، ولعلّ لله إرادة في أن يكون هذا العمل العظيم من نصيب قائد آخر من قادة الشعر العربي في أيامنا أو بعد أيامنا.

وإذا ذكرتُ شوقي فإني أذكره يوم لقينا منه التشجيع العظيم على تأسيس جمعية الشبان المسلمين. كنا في الأسبوع الثاني من جُمادى الآخرة عام ١٣٤٦ قد بلغ عددنا ٣٥٠ شابًا، ولم يبق إلا أن نعلن وجود الجمعية، وأن نجتمع لانتخاب مجلس إدارتها الأوّل، وكانت الصحف يومئذ والمتأثرون بها يصمون كل عمل إسلامي بوصمة الرجعية، ولم يكن في الميدان هذه الجمعيات الإسلامية المتعددة، ولا هذه المجلات الإسلامية التي نرجو لها من اللّه البقاء والنماء.

فبحثنا عن مكان نجتمع فيه لانتخاب مجلس الإدارة، ووقع الاختيار على دار التمثيل العربي، ولكن الأستاذ طلعت باشا حرب أبى أن يأذن لنا باستعمال ذلك المكان لهذا الغرض، وكان الواسطة بيننا وبينه شوقي بك رحمه الله، فقال لنا شوقي بك:

لا بأس، تكونون ضيوفي، فأنا أحب أن تكون جمعية الشبان المسلمين في ضيافتي عند أول اجتماع عظيم تعقده.

وذهب فاستأجر لنا من جيبه الخاص دار الكوزموغراف الأمريكاني، وهي أوسع قاعة عامة تصلح لمثل هذا الاجتماع في ذلك الحين.

كان شوقي بك- رغم هفوات قليلة وقعت في شعره- شاعرًا إسلاميًا صادق النزعة؛ وقد وصف نفسه وأخلاقه يوم دعاه عباس حلمي الثاني للحج معه، فقال:

لكَ الدينُ يا ربَّ الحجيج جمعتَهم ... لبيتٍ طَهورِ الساح والعَرَصاتِ
دعاني إليكَ الصالح ابنُ محمد ... فكان جوابي صالح الدعواتِ
وقدمتُ أعذاري وذلّي وخَشيتي ... وجئتُ بضعفي شافعًا وشكاتي
وفي راحتي ماضٍ إذا ما هززتهُ ... تركتُ عدوَّ اللّه في السكراتِ
أتيتُ به يا ربّ نُورا وحكمةً ... ونـزَّهـتـه عـن ريـبـةٍ وأذاةِ
وتشهدُ ما آذيتُ نفسًا ولم أضر ... ولم أبغِ في جهري ولا خطراتي
ولا غلبتني شقوةٌ أو سعادة ... علـى حِكـمـةٍ آتيـتَـني وأنـاةِ
ولا جال إلى الخيرُ بين سرائري ... لـدي سُـدَّة خيـريـة الـرغـبـاتِ
ولا بتُّ إلا كابن مريم مُشفقًا ... على حُسَّدي، مستغفرًا لعداتي
ولا حُمّلتْ نفسٌ هوَى لبلادها ... كنفسيَ في فعلي وفي نفثاتي
وإني ولا منٌّ عليك بطاعة ... أجِلُّ وأغلى في الفروض زكاتي
أبالغ فيها وهي عدلٌ ورحمة ... ويتركها النسّاك في الخلواتِ
وأنت وليُّ العفو فامحُ بناصع ... من الصفح ما سَوَّدتُ من صفحاتي
ومن تضحك الدنيا إليه فيغترْ ... يمتْ كقتيل الغِيد بالبسماتِ

رحمه الله، ومنّ على الناطقين بالضاد بالمؤمن القويّ بأخلاقه وعزائمه، يخلفه على هذا المقام الشاغر.

محب الدين الخطيب

الحلم عند العرب

سُئل الأحنف بن قيس:

ممن تعلمتَ الحلم؟

فقال: تعلمته من قيس بن عاصم المنقري. حضرتُه يومًا وهو مُحتَبٍ يحدثنا. إذ جاءوا بابنٍ له قتيل وابنِ عم له كتيف، فقالوا:

هذا قتل ابنك هذا!

فلم ينقطع عن حديثه، ولا حلَّ حبوته، حتى فرغ من الحديث، فالتفت إليهم وقال:

أرعبتمُ الفتى!

ثم أقبل عليه فقال:

يا بُنيَّ، نقصتَ عددكَ، وأوهنتَ رُكنكَ، وفتتْ في عضدك، وأشمتّ عدوَّك، وأسأتَ إلى قومك..

ثم التفت إلى قومه وقال:

أين ابني فلان؟

فوقف بين يديه. فقال له:

يا بُني، قم إلى ابن عمك فأطلقه، وإلى أخيك فادفنه، وإلى أمّ القتيل فأعطها مائة ناقة لأنها غريبة؛ لعلّها تسلو عنه...

الصحافة

لكلّ زمان مَضى آيةٌ ... وآيةُ هذا الزمان الصُّحُفْ
لسانُ البلاد، ونبض العباد ... وكهف الحقوق، وحرب الجنفْ
تسير مَسير الضحى في البلاد ... إذا العلمُ مزَّق فيها السَّدفْ
وتمشي تُعلّم في أمة ... كثيرةِ مَن لا يخطُّ الألفْ

أحمد شوقي

❑ التواضع من مصايد الشرف.

الأحنف بن قيس

من حكم سيدنا علي رضي الله عنه

* لا يصدق إيمان المرء حتى يكون بما في يد اللّه أوثق منه بما في يده.

* ما ظفِر من ظفر الآثمُ به.

* الغالب بالشرّ مغلوب.

* الحدَّة ضرب من الجنون، لأن صاحبها يندم، فإن لم يندم فجنونه مستحكم.

* الاستغناء عن العذر أعزُّ من الصدق به.

* ردُّوا الحجر من حيث جاء، فإن الشرّ لا يدفعه إلا الشرّ.

* اتّقوا ظنون المؤمنين، فإن اللَّه جعل الحق على ألسنتهم.

* أفضل الأعمال ما أكرَهتَ نفسك عليه.

* احذروا نفار النِّعم، فما كل شارد بمردود.

* من ظنّ بك خيرًا فصدّق ظنه.

كيف يَخلص الشرق من الغرب؟ كلمة صريحة لبرنارد شو

قال مستر بلانت في الجزء الثاني من مذكراته (بتاريخ ٢٤ سبتمبر ١٩٠٩) ما يأتي:

كتب إليّ برنارد شو يقول:

«أخشى أننا سنلاقي أوقاتًا عصيبة في الهند، ولكن على الهنود وعلى المصريين أيضًا أن يعملوا على تحقيق حرياتهم، فليس في وسعنا أن نُطلق سراحهم من تلقاء أنفسنا ما لم يتخلصوا هم من بين أيدينا عنوة، وما لم تجابهنا الهزيمة، ويتداعى صرح الإمبراطورية في جهات أخرى؛ فيضطرنا كل ذلك إلى الخروج من تلك البلاد كما خرج الرومان من بريطانيا».

من أسباب الضلال في الشرق

إن الجيل الذي يقود الشرق خليطٌ غيرُ متجانس، وعدمُ تجانسه أوضح ظهورًا في إدراكه وميوله منه في أجناسه وأصوله.

فهنا علم، ولكنه علم اصطبغ بنزعةِ مَن أخذنا عنه العلم. وهنالك جهل، ولكنه جهل مقرون بالادّعاء: يغشى البصرَ والبصيرة.

وهنالك نَعرة طائفية ينخرُ سُوسُها القلوبَ، ويفلّ العزائم.

فلا عجبَ - والحالة هذه - أن يضلّ الشرق الطريقَ السويّ الذي يوصله إلى مَثلَه الأعلى.

أنطون الجميّل

❀ ❀ ❀

حِكم

❑ لا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي.

معاوية رضي الله عنه

❑ القرابة تُقطَع، والمعروفُ يُكفَر؛ وما رأيتُ كتقارب القلوب.

عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

❑ ليس الناس بشيء من أقسامهم أقنعَ منهم بأوطانهم.

عبد الله بن الزُّبير رضي الله عنهما

مصطفى كامل باشا في المدرسة الثانوية

كتب الشيخ علي يوسف في معرض رثائه مصطفى كامل باشا يوم وفاته كلمة عن حاله وهو في المدرسة الثانوية، قال فيها:

دخلتُ ذات ليلة على المرحوم علي مبارك باشا في منزله في أوائل سنة ١٨٩٠ وهو يومئذ ناظر المعارف العمومية، ومجلسه حافل بالفضلاء والأدباء، وإذا بتلميذ من تلاميذ إحدى المدارس الثانوية يجادل الباشا في أمره ويقول:

إنني لا أطلب منك إلا ما وجدتَ أنت من مثلك يوم كنتَ تلميذًا مثلي، وما يدريك أن لا أكون عظيمًا أخدم وطني غدًا بأكثر مما تخدمه أنت اليوم؟ قال هذا ثم خرج غاضبًا؛ وكأنه ليس بتلميذ، وكأنما الباشا الذي يخاطبه ليس ناظر المعارف العمومية.

وبعدما خرج ضحك الباشا وقال: إنني أعجب كثيرًا بشجاعة هذا التلميذ، ويلذّ لي أن يتكلم أمامي كثيرًا بمثل هذه الشجاعة النفسية، ولذلك لم أخبره بما أمرت اليوم لأجله (وكان رَحِمَهُ اللهُ قد أصدر أمره بما طلب منه من قبل، وتركه يخاطبه بمثل هذه اللهجة تلذذًا بما كان يعجبه من كلامه وجداله).

تنمية الشعور الديني ضرورية للنجاح في جميع الأعمال العظيمة

لا يمكن أن ينجح حقا أي عمل لإنسان - مهما كان الإنسان عظيما - إلا إذا كان لعمله أساس من الدين.

ليس الدين شيئًا يورث لنا ، بل يجب أن ينبعث من نفوسنا ويبقى في الصدور- على شعور من البعض وبصورة لا شعورية مع البعض الآخر، ولكنه على الحالين موجود. وسواء علينا أكان إيقاظ هذا الشعور بمؤثرات خارجية، أو تركناه ينمو نموًا داخليًا، فإن ليس العبرة بكيفية نموّه، بل المهم أن ينمو إذا أردنا أن نقوم بعمل ما على وجه مُرْضٍ، أو ننفذ مشروعًا ما قد نلقي في سبيله عنتا.

غاندي

❏ قال عبد اللّٰه بن الحسن لابنه: استعنْ على الكلام بطول الفكر، في المواطن التي تدعوك فيها نفسُك إلى القول، فإنَّ للقول ساعاتٍ يضرُّ فيها الخطأ، ولا ينفع فيها الصواب.

جامعة القدس

للشاعر الكبير الأستاذ محمد حسن النجمي

نظمها إجابة لاقتراح صديقه مؤلف الحديقة

أيُسعدني وُجدي فأصبح أو أمسي ... ولي أجرُ كرسيّ بجامعةِ القدْسِ
ذريني وُقيتِ البخلَ يا بُثن أقترضْ ... فأُبلغ نفسي سؤلها أو أبغْ نفسي
ذريني أذُد عن جانبِ الدين فِتنةً ... تحاول نَيلا من قواعده الخمسِ
يوَرِّثها قوم عن الحقّ أعرضوا ... وباعوا رضاء اللّٰه بالثمن البخسِ
يحرّكهم من خلفهم طامعٌ يَرى ... دعايتهم أجدى من السيف والترسِ

وما ليَ لا أستقرض المال في التقى وفي الناس من يستقرض المال في الرجسِ
أيرفعُ شذّاذُ البلاد بجانبي ديار السّنا تعلو على الأفق كالشمسِ
وأقعدُ لا أُعنى بشيء وأدّعي كِذابًا وإفكا أني من ذوي الحسِ
وأرجع طردَ الجِدّ في المجد عكسَه وأزعم أن الجَدّ يمشي على العكسِ
لعمرُ نعيم العيش ما أخطأ الفتى مسالكه إلا تدهور في البؤسِ
لقد فاتنا حتى الضعافُ إلى العلا وقصّر منا القِرمُ عن غاية النُّكسِ
«ألا ليتَ شعري والحوادث جمّةٌ»[1] وكوكبها يجري على الشرق بالنحسِ
أقوميَ أحياءٌ فأعزف شاديًا بشعريَ، أم موتي فأبكي على الرّمسِ
وماذا أعدّوا للعلاء أعبّدوا له الطرْق أم باعوا السعادة بالفَلسِ
وهل علموا أن التواكل إن يدُم أضاع غدًا منا كما مال بالأمسِ
وأنَّ شعوب الأرض توسع للعلى خُطى الجن لما استبطأت خطوة الإنسِ
وأنا على مثل الشّباة فإن هوت بنا أخمصٌ غُصْنا إلى قمّة الرّأسِ
وأن المعالي لا تبالي بمَختِدٍ -وإن طاب- إلا محتِد العلم والبأسِ
فمن أبطأت أعماله عن مَنالها به لم يُنله وصلَها كرمُ الجنسِ
وأنا لِفنّ الغرب في حاجةٍ غدت لعمريَ مما يُدرَك الآن باللمسِ
ومن دون هَذي الدين لا يُرتجى لنا رجوعٌ إلى استذكار تاريخنا المنسي
فجمعهما فرضٌ علينا، فمن لنا بجامعة تبنَى على ذلك الأسِّ
لجامعةٌ تُعنى بذلك خيرُ ما سيغرسُه الآباء للنشء من غرسِ

❁ ❁ ❁

بني العُرْب هذا مَعهدُ الدين والدُّنا يهيب بكم من جانب الحرم القُدْسي
فلَبُّوا نداء المجدِ، إنَّ سبيلنا إلى المجد ليست في الطعام ولا اللبسِ

---

(١) هذه الشطرة ليست من كلام الناظم، بل أُخذت على طريقة التضمين.

ولكنها الإقدام في الخوف والرجا ... يخامرُ ملء الصدر في ساعة اليأسِ
وبذل النّدى، فالبذل ما زال آيةً ... على شرفِ المعطى وجوهره النّفْسِ
أإن حقَّ بذلٌ فاتنا الشحُّ كالذي ... تخبّطه الشيطانُ من شدّة المسِ
وإن وقف الأعداءُ من دون مطلب ... وقفنا وعاد الجهر أخفى من الهمسِ
أهذي سجايا أمة يذكر العلا ... بكل ثناء عهدَ آبائها الحُمسِ
أقيموا بني أمي قواعد مجدكم ... على العلم والإسلام لا الظنّ والحَدْسِ
وجودوا بما في الوسع لا عذر بعدما ... بدا الحق للرائي خليًّا من اللبسِ

❀ ❀ ❀

ألا إن بيتًا مثل هذا نشيده ... لأبلغُ ما نُملي على الغرب من دَرْسِ
فهيّا إلى العلياء واستنفروا لها ... عزائم لا تُلوي بها لرهبةُ الدسِّ
من طلبَ الحسناءَ عرسا أباحها ... من المهر ما يُزْهي به ليلةَ العُرْسِ

❀ ❀ ❀

تأليب الجماعات واتحاد العالم

كتب كاتب انكليزي من مَعارف غاندي مقالة في مجلة (إيسْتْ إند وِسْت) يعيره فيها بأنه يعمل لتأليب الجماعات بدلاً من أن يعمل لاتحاد العالم. فكتب غاندي يقول: لقد سبق أن قلتُ لهذا الكاتب ونحن تحت سقف واحد: إني أؤمن بمذهب العالمية أكثر منه؛ وما زلت على هذا المذهب، وأرى أنه لولا تأليب الجماعات لما أمكن اتحاد العالم.

❀ ❀ ❀

إتقان صناعة الموت يُنيل الحرية المقدَّسة

ألقى مدير المعارف العام في بغداد خطبة حماسية على طلاب المدارس الثانوية يوم ١١ جمادى الآخرة ١٣٥١ قال فيها:

إن المال والعلم ليسا الكل في الكل في استقلال الأمم، وليسا المعول الوحيد الذي تهدم به أسوار الاستعباد، وتحطم به قيود الذل.

بل هناك شيء آخر أهم من المال والعلم يصون شرف الأمم، ويحول دون دنو الذل والاستعباد منها، هو القوَّة!

فالقوة هي التربة التي تنبت عليها بذرة الحق، والأمة التي ليست لها قوَّة محكوم عليها بالذل والاستعباد.

فالثروة بلا قوة من أهم أسباب الذل والاستعباد.

والعلم بلا قوة لا ينتج سوى الصراخ والبكاء من الضعيف، وكثرة الضحك عليه من الطرف القوي.

وأحيانًا يستمر هذا البغي والضحك عشرات السنين، كما هي الحال في مصر والهند.

ومعنى القوَّة هنا: «إتقان صناعة الموت»

فالأمة التي لا تُتقن صناعة الموت بالحديد والنار، تُرغم على الموت تحت سنابك الخيل، وأحذية الجند الأجنبي.

وكما أن الحياة حق، فالقتل دفاعًا عن الحياة هو أيضًا حق، ولو لم يكن عند مصطفى كمال ٤٠٠٠ ضابط مدربون على صناعة الموت في ثورة الأناضول لما رأينا تركيا تعيد مجد ياووز.

ولو لم يكن عند البهلوي آلاف الضباط الذين يتقنون هذه الصناعة المقدسة، لما وجدناه يعيد مجد دارا.

ولو لم يكن لدى موسوليني عشرات الألوف من أصحاب القمصان السوداء الذين يرغبون في مهنة الموت، لما استطاع أن يضع على مفرق فيكتور عمانوئيل تاج قياصرة روما الأولين.

بروسية كانت تحلم بتوحيد الشعب الألماني قبل ستين سنة، وما المانع من أن يحلم العراق بتوحيد البلاد العربية منذ اليوم، بعد أن حقق حلمه بالاستقلال قبل عشر سنوات؟

على ضفاف هذا النهر العظيم الذي نراه صباح مساء قد أقام هارون الرشيد عرشه، ومن على هذا الساحل الرملي كان يحكم مئتي مليون نسمة.

ولا نستحق أن نفتخر به وندَّعي بأننا أحفاده إذا لم نُعِدْ ما بناه هو، وهدَّمه أعداء العرب.

روح هارون الرشيد والمأمون تريد أن يكون للعراق بعد زمن قريب مئتا ألف جندي ومئتا طيارة، فهل في العراق من لا يلبي هذا النداء؟

أما دروسكم العسكرية أيها الشبان هذه السنة، فهي دروس القوة التي تحتاج إليها البلاد، والتي يتطلبها تاريخنا المجيد.

فإذا كنا لا نريد الموت تحت سنابك الخيل، وأحذية الجند الأجنبي، علينا أن نتقن صناعة الموت، صناعة الجندية، المهنة المقدَّسة العسكرية.

فإلى القوة، وإلى إتقان صناعة الموت المقدسة - أيها الشباب -، رافعين راية فيصل خليفة هارون الرشيد عاليًا عاليًا.

أمة العرب بين الأمم

١- سموّهم النفسي:

امتازت أمة العرب - منذ القدم - عن سائر أمم الأرض بأنها أمة الحرية لا تكاد تعدل بها بديلا، وبأنها أمة المساواة لا تكاد تبغي عنها حِوَلا. وكان حبُّ الحرية والمساواة يملك على العرب مشاعرهم، حتى لتحسبه جزءًا من أجزاء حياتهم، وركنًا من أركان مشخصاتهم. أضف إلى ذلك عزتهم النفسية ومتانتهم الخلقية، وأنهم كانوا مضرب المثل ذكاء ووفاء وشجاعة ومروءة.

كل تلك المزايا كانت في العرب مجتمعة أيام أن كانت الشعوب الأخرى في أرجاء الأرض رقيقة مستعبدة، استبدت بها حكوماتها، فحرمتها حرية التصرفات المالية والمدنية، واستبدّ بها كهنتها ورجال أديانها، فحظروا عليها البحث أو النظر في المسائل الدينية بل وفي كثير من العلوم الكونية، فماتت المواهب النافعة، وضُربت الشعوب بعصا الذلة، وحيل بينها وبين نعمة البحث وحرية الرأي واستقلال الفكر، وتغلّبت الأثرة وحب الذات، ودبّت عقارب الجهل والفقر والتهبت نار العداوة والنزاع، تلتهم الأمم وتمتصّ حيويَّة البشر.

٢- سموّهم الجسمي:

وكان إلى جانب ذلك السمو النفسي في العرب سموٌّ آخر في بناء أجسامهم ومتانة عضلاتهم وسَحْنة وجوههم وهيئتهم جملة وتفصيلا. ولا ريب أن هذه الأجسام الرياضية (على حد التعبير الجديد) تُحَمَّلُ مالا يُستطاع فتحمل، كما أن الأعصاب القوية هي الخليقة بأن تواجه مشاكل العالم، فتعالج وتصبر وترحم وتعدل.

وكذلك سجّل التاريخ للعرب وحكْم العرب. وسترى شيئًا عن ذلك قريبًا.

صرح بعض علماء الأجناس البشرية أنه «لا بد لهذا الجنس العربي في جميع السلائل من الصفات التي تتباين فيها أجناس البشر خَلْقا وخُلُقا، وأنها تسمو على سائر الأجيال بالنظر إلى هيئة القحف وسعة الدماغ وكثرة تلافيفه وبناء الأعصاب وشكل الألياف العضلية والنسيج العظمي وقوام القلب ونظام نبضاته، فضلاً عما هم عليه من ملاحة السحنة وتناسب الأعضاء وحسن التقاطيع ووضوح الملامح»[١].

٣- طبيعة بلادهم:

وكانت طبيعة الأقاليم العربية تؤهل العرب أن يكونوا هم الشعب المختار لحمل رسالة السماء إلى الأرض، والدعاية لها والدفاع عنها.

وذلك لمناعة الوطن العربي وحصانته، ووقوف طبيعته نفسها في وجوه المستعمرين والغاصبين بما يحفّ بها من جبال وتلال وصحاري وقفار ووهاد ونجاد، وحرّ لافح يشوي الوجوه، وشظف في العيش، وقشف في الحياة، إلى غير ذلك مما لا يكاد يصبر عليه إلا عربي، ولا يستطيع أن يعيش فيه أجنبي...

قال ضابط أمريكي عظيم[٢] يصف شوكة العرب ومناعة بلادهم: «لا يحتاج العرب إلى القلاع والخنادق أو الأساطيل لكسر شوكة الدخلاء، فإن طبيعة البلاد بجوها الفريد في تقلبه أعظم مساعد على قهر الأعداء»، ثم قال: «ومن أين للجيوش الأوربية أن تبعث الخوف والوجل في قلب البدوي، وهو الذي علم بالجنة وهي أقرب جنان الأديان إلى العقل والمنطق وأشدها استهواء

---

(١) انظر جريدة الضياء عدد ٢٥ شعبان سنة ١٣٤٩هـ.

(٢) هو اسكندر باول. انظر صحيفة الفتح عدد ٨ شوال سنة ١٣٤٩هـ.

للنفوس، ويعتقد بكل جارحة أن الطريق إلى هذا النعيم إنما هو الاستشهاد في سبيل الله». ثم قال: «ولقد كان قضاء اللّٰه شرًا أو رحمة - لا أدري - إذ قضى على العربي بأن يفقد روح التعاون بينه وبين أخيه. ولو أنه ملك هذه الروح إلى جانب مزاياه لحكم العالم بلا ريب» أ هـ.

٤- شبه جزيرة العرب:

ولو أنك تصورت موقع شبه الجزيرة العربي من موقع دولتي الفرس والروم، وهما الدولتان الوحيدتان اللتان كانتا تسيطران على العالم أيام نشأة الإسلام، لو تصورت هذا الموقع بين هذين الموقعين لانبلج لك نور جديد تلمح من خلاله أن البلاد العربية كانت في نقطة الوسط بين هاتين الأمتين العظيمتين اللتين كانت كل أمة منهما صمّاء الأذن بضوضاء «مدنيتها»، ذاهلة العقل بخمر حضارتها، عمياء العين بسبب انهماكها في مطامعها وشهواتها.

ولا شك أن وضع العرب هذا هو الوضع الطبعي للأستاذ بين تلاميذه، لا بد أن يكون أوسطهم موقفًا، وأهدأهم نفسًا، وأصفاهم وقتًا، وأنبههم عقلاً، وأبعدهم عن المجون واللهو، وأقربهم إلى العمل والجد.

فلا جرم كانت أمة العرب - من هذه الناحية أيضا - هي المختارة لأستذة العالم، والمرجوّة لإعلاء رايته، والمندوبة لحمل مصباح هدايته.

محمد عبد العظيم الزرقاني

إمام السفن النيلية الملكية

❑ قال الإمام الأوزاعيّ:

إذا أراد اللَّه بقوم سوءًا أعطاهم الجدَل، ومنعهم العمل.

❑ قال الأصمعيُّ:

إذا تظرّف العربيُّ كثر كلامه، وإذا تظرَّف الفارسي كثر سكوته.

من حافظ إبراهيم إلى أحمد شوقي

أشَدْتَ بذكْري يومَ قلت رثائيا ... فيا ليَ مَرْثيًّا ويا لك راثيا[١]
وكنتَ عظيمًا إذْ ودِدْتَ لو انطوى ... عليكَ الثرى قبلي فأرثيك آسيا[٢]
ولكنْ أبى عدْل الرَّدى أن يفوتني ... منَ الحظِّ ما قد فاتني في حياتيا
نشدت المُنى حيًّا فعز مَنالها ... ومُتّ فأولاني رثاكَ الأمانيا[٣]
ورَفَّهَ عن جسمي فلم يعْيِهِ الثرى ... وأسعدني حتى نسيتُ شقائيا[٤]
ولو ردَّ تأبينٌ على الجسمِ روحَهُ ... إذًا لرأَوْني عند نعشك جاثيا[٥]
وأخلَدني ما قلتَ فيَّ فكلّما ... تولى زمانٌ بِتُّ أرقبُ آتيا[٦]

---

(١) أشاد بذكره: أي رفعه بالثناء عليه.

(٢) في هذا البيت إشارة إلى قولة شوقي في رثاء حافظ:

قد كنتُ أُوثر أن تقولَ رثائي ... يا مُنْصفَ الموتى من الأحياءِ
ووددتُ لو أني فداكَ من الردى ... والكاذبون المرجفون فِدائي

(٣) نشد: بمعنى طلب.

(٤) رفه عن نفسه: أزال ما يتعبها. لم يعيه: لم يتعبه.

(٥) الجاثي: الجالس على ركبتيه.

(٦) أخلدني: جعلني خالدا.

تخذْتَ يدًا عندي بما قد رثيتني ... وما أنا مما يجحدونَ الأياديا
فناجتْكَ روحي بالرثاء كئيبةً ... ولو ملكتْ دمعًا لأجْرَتْه قانيا(١)
لئِن فرَّقتنا نَبْوةٌ في حياتنا ... لقد أصبحت بعدَ المماتِ تآخيا(٢)
وأحسنُ ما في فاجع الموتِ كونُه ... لما خُطَّ في طِرسِ الضغينة ما حيا(٣)

❋ ❋ ❋

نَعَتْكَ لهذا الناسِ مصرُ وإنما ... نَعت عَلَمَ الفضل الذي كان راسيا
نعَتْك كما تنعي السماواتُ بدرها ... إذا ما رأتهُ ليلةَ التمّ هاويا
نَعَتْ شاعرَ الوحْي الذي عطّلت له ... وأصبحَ فيها مهبطُ الوحي خاليا
نَعت أدبًا في الأرض أسرَى من الضيا ... إذا صدَع الصبحُ المبين الدياجيا(٤)
نَعَتْ شعرَ جِيلٍ واضِح النهجِ رائقا ... تنضَّدَ في سِمْطِ البيان لآليا(٥)
رأيتك تزجيه أفانينَ غضّةً ... وترسله حينًا قَنًا ومواضيا
وطورًا كما لاحَ الوميضُ، وتارةً ... صواعقَ يصرَعْنَ الظلومَ عواتيا
يهزُّ الألى يتلونهُ فكأنَّ في ... تفاعيلهِ للكهرباءِ مجاريا(٦)
وروحكَ في أعجازِهِ وصدورِهِ ... تجدّدُ فيه كلَّ يوم معانيا(٧)

---

(١) القاني: الأحمر.
(٢) النبوة: الجفاء، وفي هذا البيت إشارة إلى ما كان يقع أحيانًا بين شوقي وحافظ من التجافي.
(٣) الطرس: الورق.
(٤) الدياجي: الظلمات.
(٥) السِمْط: بكسر فسكون، ما يُنظم فيه اللؤلؤ، وهو كالسلك للخرز.
(٦) التفاعيل عند العروضيين هي أمثلة الأجزاء التي يتألف منها الشعر، وأصولها أربعة: فعولن ومفاعيلن ومفاعلتن وفاعلاتن، وبقية الأجزاء مأخوذة منها.
(٧) الأعجاز: جمع عَجُز، بفتح فضم، وهو الشطر الثاني من بيت الشعر، والصدر: الشطر الأول.

تجلى نقيّ المستشفّ مسلسلا | كما سالَ فوقَ الفضةِ الماءُ صافيا(١)
متى يتْلُ خالوا الخمرَ والفجرَ والصبَا | وقطر الندى والورد صيغت قوافيا(٢)
شواردَ يهبطنَ المواطنَ من عَلٍ | روائحَ في آفاقها وغواديا(٣)
قوارعَ للأسماعِ ينثنن حكمةً | أوامر للألباب طرًّا نواهيا(٤)
نواطقَ بالفصحى، سوالبَ للنُّهى | ضواحكَ أحيانًا وحينًا بواكيا
دوانيَ من فهْمِ الأديبِ فإنْ يَرُمْ | محاكاةَ مبناها يجدها قواصيا
جوامعَ للّفظِ الذي راقَ سبكه | حوافلَ بالمعنى البليغِ حواليا
أمالتْ أفانينَ الأراكِ فنونُها | وأسكنت السحرَ العيونَ السواجيا(٥)
إذا ما الغواني استقبلتْ رونق الضحى | حسبنَ الضحى مما وصفتَ الغوانيا(٦)

***

أشوقيُّ هذا النيلُ بعدَك قد جرى | لينعاكَ بحرًا بالبلاغة طاميا
وهذي رياضُ النيلِ لا عطْفُ بانها | يميسُ، ولا الشادي يُساجل شاديا
وهذي ربوع القطر كدنَ من الأسى | عليكَ يحاكين الطلولَ البواليا(٧)
وتلكَ سماهُ تذرفُ الدمعَ أنجمًا | ألسْتَ ترى نهر المجرةِ طاغيا(٨)
وهذا شآميٌّ تفيضُ شؤونهُ | وذاكَ عراقيٌّ يعزّي يمانيا(٩)

---

(١) المستشف: من قولهم: استشف الثوب، إذا نظر فيه ليرى هل فيه عيب.
(٢) المراد بالقوافي هنا القصائد.
(٣) الروائح من الرواح، وهو الذهاب عشية، والغوادي من الغدو، وهو نقيض الرواح.
(٤) ينثنن بمعنى يُذعن.
(٥) الأفانين: جمع فنن، وهو الغصن، السواجي: السواكن.
(٦) الضحى حين شروق الشمس، الغواني: النساء الجميلات.
(٧) الطلول: ، جمع طلل وهو الشاخص من آثار الدار.
(٨) المجرة: نجوم صغيرة متراكمة تبدو للناظر كالنهر. الطاغي: من طغى الماء إذا جاوز الحد.
(٩) الشؤون: مجاري الدمع من الرأس.

كسوتَ عَذَارَى الشعرِ وشيًا شقَقتَهُ   لمنعاكَ حزنًا فانثنينَ عواريا[١]
إذا ما وردنَ النيل ينقعنَ غلَّةً   تذكَّرْنَ شوقيًا فعدنَ صواديا[٢]

❊ ❊ ❊

وفيتَ لإسماعيلَ ثمَّ لنسلهِ   فكنتَ مثالا للمروءةِ عاليا[٣]
وأحببتَ مصرَ مخلصًا لا مصانعًا   وغِرْتَ عليها صادقا لا مُداجيا
وعلَّمتَ ذا جهلٍ ونبّهتَ غافلا   وقوّمتَ منآدًا وأرشدت غاويا[٤]
ونوَّهتَ في العُصْمِ الروائع باسمها   فما لبثتْ أن سنّمتْك المعاليا[٥]
وعدَّتْكَ قُطب الشعر حيًّا وأعلنتْ   بفضلكَ وهي اليوم تبكيك ثاويا[٦]
ولم أرَ فيها بانيًا ما هدمتهُ   ولا هادمًا ما كنت في الشعرِ بانيا
وكانت برودُ (الضادِ) قد زال وشيُها   فطرّزتَ بالإبداعِ منها الحواشيا[٧]
تحدّاكَ بالتهجين قومٌ، وهل لهم   سبيل إلى أن يجعلوا الصبح داجيا[٨]
وأن يخفضوا الجوزاءَ عن مستقرّها   من الأفق أو أن يجعلوا العضب نابيا[٩]

❊ ❊ ❊

يكاد ضريحٌ وسّدوكَ ترابهُ   يضيءُ فيمسي للذي ضلَّ هاديا

---

(١) الوشي في الأصل نقش الثوب، والمقصود به هنا: الثوب المنقوش، من باب التسمية بالمصدر.
(٢) ينقعن غلة: أي يروين ظمأ، الصوادي: الظامئات.
(٣) إسماعيل: هو إسماعيل باشا خديوي مصر الشهير.
(٤) المنآد: المعوج.
(٥) العصم، الروائع: صفتان للقصائد.
(٦) الثاوى: الميت.
(٧) البرود: جمع بُرد وهو الثوب، والضاد كناية عن اللغة العربية.
(٨) تحداك بالتهجين: أي تعمدك بالتقبيح.
(٩) الجوزاء: برج في السماء. العضب: السيف القاطع.

وإنْ زارَهُ الغادي وقد طلَّهُ الندى   لدى الفجرِ خال الفجر بعدك باكيا[1]
أطافَ به صُيَّابَةُ القومِ خشَّعًا   يحيّون منهُ هيكلَ الشعرِ ساميا[2]

❊ ❊ ❊

ستجمعنا في الخلدِ أنضرُ روضةٍ   تدفقَ فيها الكوثر العذب جاريا[3]
«وقد يَجمعُ اللّه الشَّتيتينِ بعدما   يظنان كلَّ الظنِّ أن لا تلاقيا»

أمين ناصر الدين

ضغط العالم المسيحي
ستة قرون على روح الحرية الإسلامية

قال مستر كنورني الكاتب البريطاني الشهير في مقالة نشرتها له جريدة (هرالد تريبون) التي تُطبع في نيويورك:

«عندما حكم الخلفاء بغداد أداروا أمورهم بروح الحرية، فارتقت العلوم في أيامهم، وازدهرت الحكمة؛ حتى أخذت الغرب علومهم عنهم ودرسها في جامعاته. وقد بقيت هذه الروح بعد سقوط بغداد ستة عصور كاملة تئن من ضغط العالم المسيحي المستمر عليها».

(١) طله الندى: أي نزل عليه.
(٢) صيابة القوم: سادتهم وأعيانهم.
(٣) الكوثر: نهر في الجنة.

روح العصر

أُريد للشرق شبّانًا يشعُّ في قلوبهم نور الإيمان - الإيمان بالله - والعمل الصالح، ويثبت في قلوبهم اليقين بالظفر في العاقبة.

يملأ أحدهم قلبه إيمانًا ويقينا، رغبة في الخير، ثم ينطلق في الحياة إلى غاية كالنجم مضيئًا مُقْدِمًا لا يقف ولا يحيد.

إن الذي يحدوه الإيمان والعزم، لقمنٌ أن يجعل الزمان والمكان رهن مشيئته، فلا يعتلُّ بالزمان والمكان - على ما فيهما من شرّ وفساد -، بل يسيطر هو عليهما أو يخلقهما كما يشاء خلقا جديدا.

إن روح الإنسان العظيم جديرٌ أن يهزم ما يسمّونه (روح العصر)، وما روحُ العصر إلا طائفة من السنن تركها على الزمان أناس مصلحون أو مفسدون، فأنى يخنع لها الرجل العظيم الذي تأبى همته قيود الزمان والمكان. إنما الزمان والمكان قيد الضعيف، وتعلَّة العاجز، وعذر صاحب الهوى.

عبد الوهاب عزام

إلى جزيرة العرب

لبَّيكِ يا أرضَ الجزيرة، واسمعي ... ما شئتِ من شجوي ومن إنشادي

أنا لا أفرّق بين أهلكِ، إنهم ... أهلي، وأنتِ بلادُهم وبلادي

ولقد برئتُ إليكِ من وطنيةٍ ... شلاء تُؤثر موطن الميلاد

فلكلّ رَبع من ربوعك حُرمة ... وهوى تَغلغَلَ في صميم فؤادي
تعس العداةُ فما يفرّق شملَنا ... متفرّق الأسماء والآحادِ

فؤاد الخطيب

نجدية تحنُّ إلى نجد

حكى أبو عبد اللّه الجعفري عن عبد اللّه بن إسحاق الجعفري قال:

أَمرتُ بصهريج لي[1] في بستان عليه نخل مُطلّ أن يُملأ، فذهبت بأم حسانة المُرِّية وابنتها، وهي زوجتي، فلما نظرتْ أم حسانة إلى الصِّهريج، قعدتْ عليه وأرسلت رجليها في الماء.

فقلت لها: ألا تطوفين معنا على هذا النخل لنَجنِيَ ما طالب من ثمره؟

فقالت: ههنا أَعجب إليَّ، فدرنا ساعة وتركناها؛ ثم انصرفنا وهي تخضخض جليها في الماء وتحرّك شفتيها.

فقلت: يا أُم حسانة، لا أحسَبُكِ إلا وقد قلتِ شعرا؟

قالت: أجل. ثم أنشدَتْني:

أقول لأدْنَى صاحِبَيَّ أَسُرُّهُ ... وللعين دمعٌ يَحدُرُ الكُحلَ ساكبُهْ
لَعمرِي لنَهيٌ باللّوى نازحُ القَذَى ... نَقِيُّ النواحي غيرُ طَرْقٍ مشاربهْ[2]
أحبُّ إلينا من صهاريج مُلِّئَت ... لِلُعْبٍ فلم تملُح لدىّ ملاعبُهْ

---

(١) الصهريج: حوض يجتمع فيه الماء.

(٢) النهي: الغدير أو شبهه. وأرادت الغدير غير طرق- أي غير مطروق من الناس والسائمة؛ لئلا تكدره الأدناس.

فيا حبذا نجدٌ وطيبُ ترابه ... إذا هضَبتْه بالعشيّ هواضبهْ[١]
وريح صبا نجدٍ إذا ما تَنسَّمَت ... ضحىً أوسرت جنح الظلام جنائبهْ

جبل الوشل

أنشد المازني:

اقرأ على الوشلِ السلام وقل له ... كُلُّ الموارِدِ مذ هُجرتَ ذَميمُ
جبل يُنيف على الجبال إذا بدا ... بين الغدائِر والرِّمال مقيمُ
تَسرى الصبا فَتبيتُ في أَلوادِه ... ويبيت فيه من الجنوب نسيمُ
سَقيًا لِظِّلكَ بالعشيِّ وبالضُّحى ... وَلِبرد مائِكَ والمياهُ حميمُ

ظرف أعرابي

أراد الوليد بن عبد الملك أن يُرسل خيله، فجاء أعرابي له بفرس أنثى، فسأله أن يُدخلَها مع خيله؛ فقال الوليد لقهرمانه[٢] أُسَيْلَم بن الأحنف:

كيف تراها يا أُسَيْلَم؟

فقال: يا أمير المؤمنين حجازيَّة، لو ضَمها مضمارُك ذهبت.

قال الأعرابي:

---

(١) هضبت السماء القوم: مطرتهم مطرًا شديدًا.
(٢) القهرمان: أمين الدخل والخرج.

أنت والله منقوص الاسم[١]، أعوجُ اسْمِ الأبِ.

فأمر الوليد بإِدخال فرسه. فلما أُجرِيَت الخيلُ سبق الأعرابي على فرسه، فقال الوليد:

أواهبها لي أنت يا أعرابي؟

فقال: لا والله، إنها لقديمة الصُّحبة، ولها حق. ولكن أَحْمِلك على مُهرٍ لها سبق عامًا أوَّل وهو رابض، فضحك الوليد وقال:

أعرابي مجنون!

فقال الأعرابي:

وما يضحككم؟ سَبَقت أُمه عامًا أوَّل وهو في بطنها.

فاستظرفه واحتبسه عنده، فمرض، فبعث إليه الوليد بالأطباء.

فأنشأ يقول:

جاء الأطباء من حِمص تخالُهُمُ ... من جهلهم أَنْ أُدَاوى كالمجانينِ
قال الأطباء: ما يَشفيك؟ قلت لهم: ... دُخانُ رِمثٍ من التسرير يَشفيني[٢]
إِنِّي أَحن إلى أَدخان محتَطب ... من الجُنَينَةِ جزلٍ غَير موزونِ[٣]

فأمر الوليد أن يُحمل إليه سَلِيخَة من رِمثٍ[٤] فوافوْه وقد مات.

قال الجاحظ: فهو عند الخليفة وببلد ليس في الأقاليم أريفُ منه ولا أخصبُ جنابًا، فحنَّ إلي سليخة رمث حبًا للوطن.

---

(١) يريد أن اسمه مصغر، والتصغير في الغالب يدل على النقص.

(٢) الرمث: مرعى للإبل من الحِمض. والتسرير: موضع بالبادية.

(٣) الجنينة: موضع بالبادية.

(٤) السليخة من الرمث: ما ليس مرعى.

العرب وديارهم

معاشرُ بيضٌ لو وَرَدْتَ بلادَهم ... وَرَدْتَ بحورًا ماؤُها للندا عذبُ
إذا ما بدت للناظرين خيامُهُم ... فَثَمَّ العِتاقُ القُبُّ والأَسَلُ القُضْبُ

مجنون بني عامر

البادية كما يراها أبناؤها

حدّث التوَّزي عن رجل من بني هاشم قال:

قلتُ لأعرابي من بني أسد:

من أين أقبلتَ؟

قال: من هذه البادية...

قلت: وأين تسكن منها؟

قال: مَساقط الحمى، حمى ضرية[1] بأرض لعمرُ لله ما نريد بها بدلا، ولا نبغي عنها حِوَلا. قد نفحتها الغدوات وحفتها الفلوات؛ فلا يَمْلَوْلِح ماؤُها، ولا يحمَى ترابها، ولا يَمْعَرُ جنابها[2]. ليس فيها أَذَى، ولا قَذَى، لا أَنين، ولا حُمَّى؛ فنحن بأرفه عيش وأرفغ نعمة[3].

(١) ضرية: بئر بأرض نجد

(٢) معرت الأرض: قل نباتها.

(٣) أي أوسعها.

قلت: فما طعامكم فيها؟

قال: بخ بخ، عيشنا والله عيش يُعَللُ جاذبُه، وطعامُنا أطيبُ طَعام وأهنأُه: الهبيدُ[١] والضباب[٢] واليرابيعُ[٣] والقَنَافِذ والحيَّات، وربما والله أكلنا القد[٤] واشتوينا الجلْد، فلا نعلم أحدًا أخصب منَّا عَيشا، فالحمد لله على ما بسط من السَّعة ورزق من الدَّعة. أوَ ما سمعت قول قائلنا، وكان والله عالما بلذيذ العيش:

إذا ما أصبنا كل يوم مُذَيقَةً   وخمسَ تُميْرات صغارٍ كوانزِ[٥]
فنحن ملوك الأرض خِصبًا ونَعمةً   ونحن أسود الغاب عند الهزاهزِ[٦]
وكم مُتَمَنٍّ عيشَنا لا ينالُهُ   ولو نالَه أضحى به حقَّ فائزِ

ولهذا خَبَرٌ طويلٌ وصف فيه نُوقًا أضَلَّها

قال الهاشمي فلما فرغ من نعت نوقه قلت له: هل لك في الغداء؟

قال: إني والله لاصقُ القلب بالحجاب، ما لي عهد بمضاغ، إلا شِلْوَ يَرْبُوعٍ[٧] وَجدَ مَعْمَعَةً فانسَلَتَ مِنِّي، فأخَذْتُ بنافقائِه وقاصِعائه ودامَّائه وراهِطائِه[٨]، ثم تَنَفَّضتُهُ فأخرجتهُ؛ ولا والله ما فرحت بشيء فرحي به.

---

(١) الهبيد: الحنظل.

(٢) الضباب: جمع ضب، وهو حيوان معروف.

(٣) اليرابيع: جمع يربوع، وهو حيوان يسكن بطن الأرض ويتخذ فيه كوى، فإذا طُلب من أحدها خروج من غيره.

(٤) القد: جلد السلخة، وكانوا يأكلونه في الجدب.

(٥) المذيقة: تصغير مذقة، وهي الطائفة من المذيق، وهو اللبن الممزوج بالماء. والكوانز: المكتنزة وهي المجتمعة الصلبة.

(٦) الهزاهز: الشدائد (ولم يُسمع لها بواحدة).

(٧) الشلو: العضو من أعضاء الجسم.

(٨) هذه الأربعة أبواب اتخذها اليربوع لحفيرته، فمتى أحس بشيء خالف تلك الجهة إلى الباب.

فتلقاني رُوَيعٍ ببطن الخرجاء[١] يوقد نُويْرةً تَخبو طورًا وتَشُبُّ أخرى، فدسَسته في إرَته[٢]، فخمدت نويرته؛ ولا والله ما بلغ نضَجه حتى اختلس الرُّوِيْعِي منه، فغلبني على رأسه وحوشه وصدره وبدنه، وبقي بيدي رجلاه ووركاه وفقرتا صلبه فكان ذلك مما أنعم اللَّه به علي، فاغتبقتها؛ فذلك والله عهدي بالطّعام، وإني لذو حاجة إلى غذاء أنوّه به فؤادي، وأشُدُّ به آدي[٣]؛ فقد والله بلغ مني المجهود، وأدرك مني المجلود[٤].

كرامة العرب على الله

قال أبو عثمان الجاحظ: رأيتُ عبدًا أسود حبشيًا لِبني أسد. قدم من شِقِّ اليمامة، فصار ناطورًا، وكان وحشيًّا مجنونا لِطول الغربة مع الإبل، وكان لا يَلقى إلا أكرةً[٥]، فلا يُفهم عنهم ولا يستطيع إفهامَهم، فلما رآني سَكَنَ إليَّ وسمعته يقول:

لعن اللَّه أرضًا ليس بها عرب، قاتل اللَّه الشاعر حيث يقول:

حُرُّ الشرى مُسْتَعْرِبُ التّراب[٦]

---

(١) رويع: مصغر راع. الخرجاء: ماءة احتفرها جعفر بن سليمان قريبًا من الشجى، بين البصرة وحفر أبي موسى، في طريق الحاج من البصرة.

(٢) الإرة: موضع النار.

(٣) الآد: الصلب والقوة.

(٤) المجلود: القوة والصبر.

(٥) فلاحين.

(٦) الشطرة من شعر جندل الطهوي. وقوله «مستعرب التراب»: أي بعيد من أرض الأعاجم.

أبا عثمان، إن هذه العُرَيْبَ في جميع الناس كمقدار القرحة في جلد الفرس[(١)]، فلولا أن اللَّه رقَّ عليهم فجعلهم في حشىً لَطَمَسَتْ هذه العَجم آثارهم، أترى الأعيارَ إذا رأت العِتاق لا ترى لها فضلا[(٢)]، والله ما أَمَرَ اللهُ نبيه ﷺ بقتلهم إذ لا يدينون بدين إلا لضِنِّهِ بهم، ولا ترَكَ قَبُولَ الجزيةِ منهم إلا تنزيهًا لهم[(٣)]!

رسالة سرية من بدويّ إلى عشيرته

حدّث أبو خالد الكلبي عن الأحوص بن جعفر أن رجلاً قدم على قومه وهم لا يعرفونه، فلما دنا بحيث يرونه نزل عن راحلته وأتى شجرة، فعلق عليها سقاء لبن، ووضع في بعض أغصان الشجرة حنظلة، ووضع صرة من تراب وصرة من شوك في بعض الأغصان الأخرى، ثم أتى راحلته فاستوى عليها. فنظر

---

(١) القرحة: بياض يسير في الفرس دون الغرة.

(٢) الأعيار: جمع عَير بالفتح، وهو الحمار. والعتاق كرام الخيل.

(٣) مراد الأعرابي من كلامه: أن اللّه كرم العرب وأراد بهم خيرًا، إذ جعلهم بمكان يأمنون به على قتلهم من الأعاجم على كثرتهم، وألزمهم الإسلام -ولم يقبل منهم الجزية مع البقاء على الكفر- تكريمًا لهم وتشريفًا لقدرهم. انتهى تعليق الأستاذ محب الدين الخطيب! وفيه مافيه من الغلو في القومية.
قال ابن القيم رحمه الله: «وإنما لم يأخذها ﷺ من عبدة الأوثان من العرب؛ لأنهم أسلموا كلهم قبل نزول آية الجزية، فإنها نزلت بعد تبوك، وكان رسول اللّه ﷺ قد فرغ من قتال العرب، واستوثقت كلها له بالإسلام، ولهذا لم يأخذها من اليهود الذين حاربوه؛ لأنها لم تكن نزلت بعدُ، فلما نزلت أخذها من نصارى العرب ومن المجوس، ولو بقي حينئذ أحدٌ من عبدة الأوثان بذلها؛ لقبلها منه، كما قبلها من عبدة الصلبان والنيران..». «زاد المعاد» (٥/ ٩١). (س).

الأحوص وقومه في أمره، فأعياهم اكتناهه، فأرسلوا إلى قيس بن زهير، فجاءهم فقال له الأحوص:

ألم تكن تخبرني أنه لا يرِد عليك أمر إلا عرفت مأتاه؟

قال: وما الخبر؟

فأعلموه.

فقال: قد بيَّن الصبحُ لذى عينين (فذهبت مثلا في وضوح الشيء).

ثم قال: أما صرة التراب فإنه زعم أنه أتاكم عدد كثير، وأما الحنظلة فإنه يُخبركم أن قبيلة حنظلة قد هاجمتكم، وأما الشوك فإنه يخبركم أن لها شوكة، وأما اللبن فهو دليل لكم على قرب القوم وبُعدهم: فإن كان حلوًا حليبًا فقد أتتكم الخيل، وإن كان لا حلوًا ولا حامضًا فعلى قدر ذلك، وإن كان خاثرًا فلكم مهلة من الرأي. وإنما ترك الرجل كلامكم لأنه قد أُخذت عليه العهود، وقد أنذركم!

بلادُ العرب وأهلها

ألا يا حبذا وطني وأَهلي — وصَحبي حين يُذكر الصّحابُ
وما عَسلٌ ببارِدِ ماء مُزن — على ظَمَإٍ لشاربه يُسابُ
بأشهَى من لقائِكمُ إلينا — فكيف لنا به ومتى الإيابُ

أعرابي

يقظة الإسلام والدور الذي ستمثله البلاد العربية

بقلم الدكتور (جب) المستشرق الانكليزي

لا بد للباحث عن مصير الإسلام أن يتساءل عما إذا كان من الممكن أن يحتفظ المسلمون بوحدتهم الدينية أمام هجمات العلوم الأوروبية، وتجاه الفوارق السياسية؟

ولا بد له أن يفكر فيما إذا كان الإسلام عدوًا للمدنية الغربية ونصيرًا لها، وفيما إذا كان اقتباس المسلمين لهذه المدنية سيوجد بينهم فوارق فكرية تجعل منهم أممًا مختلفة الآراء والثقافة.

يظهر لأول وهلة أن الإجابة على هذا السؤال مستحيلة. إلا أنه يمكن الباحث أن يتنبأ من سير الحوادث بشيء عن مستقبل الإسلام.

لا شك في أن البلاد العربية المتجانسة - كمصر والجزيرة وفلسطين وسوريا والعراق - ستلعب دورًا يكون له الشأن الأول في مصير الإسلام.

لهذه البلاد المتجانسة ثقافة راقية تتقدم يومًا فيوما، بفضل اللغة العربية الفصحى وسهولة المواصلات، مما يساعد على توحيد الثقافة فيها توحيدًا تامًا.

إن يقظة الإسلام في مصر وفلسطين والجزيرة والعراق وسوريا حقيقةٌ لا تنكر، ولن تقف في سبيل هذه اليقظة عقبة، خصوصًا وان من المستحيل أن يجري في البلاد العربية ما جرى في بلاد الأتراك.

العرب يتمسكون بلغتهم وأدبهم، ويتغنون بمجد الإسلام، ولم تقم في بلادهم أية حركة وطنية إلا وكانت الروح الإسلامية أساسها، فهل يفكر العرب بعد هذا بإبدال حروف لغتهم بالحروف اللاتينية، أو أن يتنحوا عن لغة القرآن

التي تربطهم بالعالم الإسلامي كافة؟ هذا مستحيل، وستبقى الروح الإسلامية تسود بلادهم وتتقدم أبدًا بلا كلل ولا ملل، ولن يطرأ عليها أي ضعف أو وهن.

العرب بحاجة ماسة لهذه الروح لأنها أساس حياتهم القومية، ويجب على كل مسلم أن يتمسك بأهدابها إن كان للمسلمين أخلاق، ولا أظنهم إلا متمسكين بها.

ستصبح القاهرة والقدس - بمرور الزمان- في الدرجة الثانية عند المسلمين بعد مكة، وسيؤمهما طلاب العلم من كل قطر إسلامي، وستزوّدهم هاتان البلدتان بدعاية قوية للفكرة الشرقية يبثونها في بلادهم، وتساعدهم على بثها الصحافة العربية التي بلغت من الرقي والتهذيب درجة سامية. أما الفوارق السياسية التي يخشى جانبها فلا تؤثر أبدا في إسلامية الشرق العربي.

من حكم سيدنا علي رضي الله عنه

* اعتصموا بالذمَم في أوتادها.
* عليكم بطاعة من لا تُعذَرون بجهالته.
* لا يَعْدَم الصّبُورُ الظَّفَرَ وإن طال الزّمان.
* لكلّ مُقبل إدبار، وما أدبَرَ كأن لم يكن.
* لكلّ أمر عاقبة حلوة أو مُرة.
* المرءُ مخبوءٌ تحت لسانه.
* هلك امرؤٌ لم يعرِف قدرَه.

* الهمُّ نصف الهرَم.

* من أيقنَ بالخَلَف جاد بالعطية.

* من استشار الرجال شاركها في عقولها.

* الناس أعداءُ ما جهلوا.

* من كتم سرّه كانت الخِيرَةُ بيده.

* عاتبْ أخاك بالإحسان إليه.

* الطمع رِقٌّ مؤبَّد.

علماؤنا الأولون

قال الوليد بن عبد الملك لحاجبه يوما:

قف على هذا الباب فإذا مر بك رجل فأدخله عليّ ليحدثني.

فوقف الحاجب على الباب مدة، فمر به عطاء بن أبي رباح وهو لا يعرفه فقال: يا شيخ، أدخل إلى أمير المؤمنين فإنه أمر بذلك. فدخل عطاء على الوليد بن عبد الملك وعنده عمر بن عبد العزيز، فلما دنا عطاء منه قال:

السلام عليك يا وليد، قال: فغضب الوليد على حاجبه وقال له:

ويلك، أمرتك أن تُدخل إلى رجلا يحدثني ويسامرني، فأدخلت إليّ رجلا لم يرضَ أن يسميني بالاسم الذي اختاره اللّه لي (يعني أمير المؤمنين).

فقال له حاجبه:

ما مر بي أحد غيره.

ثم قال لعطاء:

اجلس، ثم أقبل عليه يحدثه، فكان فيما حدّثه به عطاء أن قال له:

بلغنا أن في جهنم واديًا يقال له هبهب أعده اللّه لكل إمام جائر في حكمه. فصعق الوليد من قوله، وكان جالسًا بين يدي عتبة المجلس، فوقع على قفاه إلى جوف المجلس مغشيًا عليه.

فقال عمر لعطاء:

قتلت أمير المؤمنين. فقبض عطاء على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة وقال له:

يا عمر إن الأمر جد فَجِد. ثم قام عطاء وانصرف. فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز أنه قالَ: مكثتُ سنة أجد ألم غمزته في ذراعي.

الغوغاء

قال علي رضي الله عنه في صفة الغوغاء: هم الذين إذا اجتمعوا ضرُّوا، وإذا تفرَّقوا نفعوا.

فقيل له: قد عرفنا مضرَّة اجتماعهم، فما منفعة افتراقهم؟

فقال: يرجع أصحابُ المهَنِ إلى مهنتهم، فينتفع الناس بهم: كرجوع البنّاء إلى بنائه، والنسّاج إلى مِنْسَجه، والخبّاز إلى مخبزه!

الباغي

قال علي لابنه الحسن رضي الله عنهما:

لا تدْعُوَنَّ إلى مبارزة، وإن دُعيتَ إليها فأجب، الداعي باغٍ، والباغي مصروع.

كلمات للصاحب بن عباد

* مَثَلُ الكاتب كمثَل الدولاب: إذا تعطَّل تكسَّر.
* الصبر على حقوق الثروة أشدُّ من الصبر على ألم الحاجة.
* أحسن ما يكون الحسَن بجنب القبيح.
* ما أحدٌ رأى في ولده ما يحب، إلا رأى في نفسه ما يكره.
* ثلاثة تدلُّ على عقول أربابها: الهدية، والكتاب، والرسول.
* السنين تغيّر السنن.
* الصدر يطفح بما جمعه.
* محرّضٌ خيرٌ من ألف مقاتل.
* لا تمنع عدوّك السبيلَ في هزيمته.
* السلاح ثم الكفاح.
* أحمق ما يكون السكران إذا تعاقل.

* الرأي أقوَمه أحكمه، وأشدُّه أسدُّه.

* الرجل الحوّلُ من ثنى أزمّة الأعداء عن الشحناء.

شوقي

قد أعجزَ الشعراءَ طول حياتِهِ ... واليومَ يُعجزهم بندب مَماته
هيهات يوجدُ في البرية منهمُ ... كفؤٌ ليرثيه بمثل لغاته
كان الأميرَ لجيشهم مُستنَّةً ... فرسانُهم في الظلّ من راياته
ما عاب أهلَ العبقرية أنهم ... قد قصَّروا في الخبِّ عن غاياته
هذا أميرُ الشعر غيرَ مُدافَع ... في الشرق أجمع منذ فَتْقِ لَهاته
لو كان وحيٌ بعد وحي محمد ... لانشق ذاك الوحيُ عن آياته
السحر في نَفَثَاته، والزهرُ في ... نَفَحاته، والدهرُ بعضُ رواته
رقَّتْ لنغمته القلوبُ، فكيفما ... غَنى بها رقصتْ على نَبَراته
تغدُو المعاني وهي شُمسُ مَقادةٍ ... فيقودُها قودَ الغلام لشاته
وإذا أراد الصخرةَ الصماء مِن ... أغراضه، رقَّتْ نظير سحاته
ما رام شاردَ حكمة في نظمه ... إلا أصاب صميمَها بحَصاته
جلَّى الإلهُ له الأمورَ، كأنما ... يُلقي عليها الشمسَ من نظراته
فكسا الطبيعةَ من نسيج بيانه ... حُللا خلت من غير طرز دواته
فترى الطبيعةَ قبل نظرته لها ... غير الطبيعة وهي في مِرآته
والحسنُ يُشرق في العيون بذاته ... وهُنا يضيء بذاته وصِفاته
من كل بيتٍ في رفيع عماده ... تَتقاصَرُ الأقدامُ عن عَتباته

كالدرّ في لمعاته، والبدر في قَسَماته، والصبح في نَسماته
ولقد رويتُ الشعرَ عن آحاده وضربتُ بالسبّاق في حَلباته
وقضيتُ فيه صَبوتي وصَبابتي وقطفتُ منه خَير نوّاراته
وأثرت في البَيداء بُزْل فُحوله وأطرتُ في الآفاق شُهبَ بزاته
فرأيتُ شوقي لم يَدَعْ في عصره قِرنًا يهزُّ قَناته لقناته
الفرد في إمداحه ونواحه والفَذُّ في أمثاله وعِظاته
وإذا تعرَّض للغرام فهل دَرَت لغةُ الغرام نظيرَ شَوقياته
ما في الهُيام كوَجْده وحَنينه أو في النسيب كظبيه ومَهاته
وإذا تحدَّث بالربيع ورَوضه أنساك بالتحبير وَشيَ نَباته
أو بات يعبثُ بالشراب أضاف من كاساته حَبَبًا على كاساته
أو خاض في ذِكر العذَيب تشابهت أعطاف مُستمعيه مع باناته
أو سلَّ في وصف الوقائع صارما خِلتَ العدى سالتْ على شفَراته
قد بذَّ آلهةَ القريض بأسرهم ومحا عِبادةَ لاتِه وَمناته
ولكم مررتُ بحاسدينَ لفضله رغم القلى يروون من أبياته
لا نِدَّ بعدُ له، وكم من مجلس أشعار شوقي النَّدُّ في سمراته
يتمثل العصرُ الحديثُ بشعره حقَّ التمثل من جميع جهاته
ولَرُبَّ بيت يستقلُّ بجملة تُغني عن التاريخ في صفَحاته
لم يَفتتن من عصره بمساويء كلا ولم يَغمطه من حسناته
قد لازم الإنصافَ في أحكامه لا فرقَ بين صِحابه وعداته
وإذا سألتَ عن الجهاد فإنه منذ الحداثة كان في سَرَواته
كالسيف في أوضائه ومَضائه والليث في وثَبَاته وثباته
ما حلَّ بالإسلام حيفُ مصيبة إلا وكان بها لسانَ شَكاته

يحمي حقائقَه ويوضح سُبْله ويقيل طول الوقت من عَثراته
يلقي علي غمرات كل ملمَّة قولا يُزيل أجاجَها بفُراته
ويظلُّ يرسلُها قصائدَ شُرَّدا غُرَرًا تشقُّ الفجرَ عن ليلاته
كانت قصائدُه هي الصوت الذي سَرَّى عن الإسلام ثقلَ سُباته
بعثتْ به روحَ الحياة كأنها هي صُور إسرافيلَ في زَعقاته
قد كان أدرى الناس بالداء الذي قد حطَّ هذا الشرقَ عن صَهواته
داءٌ هو الأخلاق في اضمحلالها فلذا ترى الأخلاق رأسَ وصاته
وفّى عن الشرق القديم نضاله من يوم نَشأته ليوم وفاته
قد ذاد عنه بقلبه وبلبّه شأنَ الأبيّ يذودُ عن تركاته
ماضٍ يحذّره استلابَ تُراثه منه، ويحفِزُه لأخذ تِراته
أعلى منارَ الشرق في أوصافه وأجاد وصف الغرب في آفاته
أوحى إلى الشرقيّ بالطرق التي يمشي النجاءَ بها لأجل نجاته
أملى مُكافحة الذئاب عواديا بالواد مغتصبين حقَّ رعاته
الجالسين ببرّه وببحره والجائشين بنجده ووطاته
والسالبين لزرعه ولضرعه والآكلين لتمره بنواته
أشعارُه تُحيي، وتَحيي أمة تجدُ الحياةَ الحقَّ في كلماته
يا راحلاً مَلأ الزمان بدائعًا من قبل أن نزل القضا بسكاته
أتركتَ بعدك شاعرًا ترضى بأن ترعى جيادُ الفكر في تلَعاته
يبكي بك الإسلامُ خيرَ جنوده أبدًا ويرثي الشرقُ ربَّ حماته
وكأنَّ وادي النيل من أحزانه يُلقي على الشطين من زفراته
ونوادبُ العربية الفصحى لها ندبٌ عليك يذيب في رنَّاته
انظرْ إلى الإخوان كيف تركتهم من كل مضطجع على جمراته

انظر لحال أخ فَداك برُوحه
لو كان يُحيي الميتَ عزم فداته
قد كنتَ طول العمر قرّةَ عينه
والآن تُجري السخنَ من عَبراته
مضتِ السنون الأربعين ونحن في
هذا الإخاء نمز من قهواته
أرعاك عن بُعد وترعاني على
عهدٍ نهز الرطب من عَذَباته
قد كنتُ أطمع أن تُرَى ليَ راثيا
يا من غدوتُ اليومَ بين رثاته
كنّا نخافُ رَداك قبلَ وقوعه
فلنا الأمان اليومَ من دَهشاته
تَبًّا لعيش قد يكون مَساؤه
نوحًا وكان سروره بغَداته
والمرء إن ينظرْ لما يبلى به
لا فرق بين بقائه وفواته
فالميت هو يذوب في حَشراته
كالحيّ وهو يذوب في حَسراته
نرجو لك الدارَ التي عُمَّارها
هم كلُّ من صنع الجميلَ لِذاته
يُضفي عليك اللّه من آلائه
واللهُ لا تُحصى ضروبُ هِباته
قد كنتَ في الدنيا هَزارًا صادحا
يُشجي ويُسلي الناس في نغماته
فاليومَ كنْ بجلال ربك ساجعًا
والطائرَ المحكيَّ في جنّاته

شكيب أرسلان

الصديق

* قال عبد اللّه بن مسعود: ما الدخان على النار بأدلّ من الصاحب على الصاحب.

* قال الخليل بن أحمد: الرجل بلا صديق كاليمين بلا شمال.

* قيل للخليل: استفساد الصديق أهون من استصلاح العدو. فقال: نعم، كما أن تخريق الثوب أهون من نسجه.

* قال ميمون بن مهران: صديق لا تنفعك حياته، لا يضرُّك موته.

* قيل لابن المقفّع: الصديق أحب إليك أم القريب؟ فقال: القريب أيضًا يحب أن يكون صديقًا.

نزوع المرء إلى أصله

قال نَهْشَل بن حَرِيّ:

أرى كل عُود نابتًا في أرومة ... أبى نسب العيدان أن يتغيرا
بنو الصالحين الصالحون ومن يكن ... لآباء سوء يَلقهم حيث سَيَّرا
أبوك هِنابٌ سارقُ الضيفِ بُردَه ... وجدّيَ يا حجاج فارسُ شمّرا

صفحة من الحياة الاجتماعية في مدينة يثرب قبيل بزوغ فجر الإسلام

كان لمالك بن العَجْلان مولى يقال له بُجَير، جلس مع نفَر من الأوس من بني عمرو بن عوف، فتفاخروا، فذكر بجيرٌ مالك ابنَ العَجلان ففضّله على قومه، وكان سيد الحيَّينِ في زمانه: الأوسِ والخزرج. فغضب جماعة من كلام بُجير، وعدا عليه رجلٌ من الأوس يقال له سُمير بن زيد بن مالك أحد بني عمرو بن عوف فقتله، فبعث مالكٌ إلى بني عمرو بن عوف يقول لهم:

ابعَثوا إليّ بسُمَير حتى أقتله بمولاي، وإلا جَرَّ ذلك الحربَ بيننا.

فبعثوا إليه: إنَّا نعطيك الرضا، فخذ منا عقْله.

فقال: لا آخذ إلا دية الصريح (وهي عشْرٌ من الإبل: ضعف دِيَة المولى، وهي خمس).

فقالوا: إنّ هذا منك استذلالٌ لنا وبغيٌ علينا!

فأبى مالكٌ إلا أخذَ دية الصريح، فوقعت الحرب بينهم، فاقتتلوا قتالا شديدًا، حتى نال بعضُ القوم من بعض.

ثم إنّ رجلا من الأوس نادى:

يَا مالك، نشَدْتك اللهَ والرَّحِم أن تجعل بيننا حَكمًا من قومك، فارعوى مالكٌ، وحكَّموا عمرو بن امريء القيس، فقضى لمالك بن العَجلان بدية المولى، فأبى مالك وآذَنَ بالحرب، فخذلته بنو الحارث لردّه قضاء عمرو، وأنشد يقول:

إنّ سُمَيرًا أرى عشيرتَه ... قد حَدَبوا دونه وقد أنِفُوا
إن يكنِ الظنُّ صادِقي بني النـ ... ـجّار لا يطعَموا الذي عُلِفوا
لن يُسلمونا لمعشر أبدًا ... ما دام منَّا ببطنها شرفُ
لكنْ مواليَّ قد بدا لهمُ ... رأيٌ سوى ما لديَّ أو ضعُفوا
بين بني جَحْجَبي وبين بني ... زيدٍ؛ فأني لجاريَ التَّلفُ
يمشون بالبِيض والدُّروع كما ... تمشي جمالٌ مصاعبٌ قُطُفُ
يمشون مشي الأسُود في رَهج الـ ... ـموت إليهِ وكلُّهُم لَهِفُ

وقال بعده عمرو بن امريء القيس:

يا مال، والسيِّدُ المعممُ قد ... يَطرأ في بعض رأيه السَّرَفُ
خالفت في الرأي كلَّ ذي فَجر ... والحق يا مالِ غير ما تَصِفُ

يا مال، والحقُّ إنْ قَنَعْت به فالحق فيه لأمرنا نَصَفُ
لا ترفَعِ العَبْدَ فوقَ سنَّتِه والحقُّ نوفي به ونَعترفُ
إنَّ بُجيرًا مولًى لقومكم يا مال، والحق عنده فقفوا
أوتيتَ فيه الوفاء معترفًا بالحق فيه فلا تكن تكفُ
نحن بما عندنا وأنتَ بما عندك راضٍ والرأيُ مختلفُ
نحن المَكِيثون حيث نُحْمَد بالـ مُكثِ، ونحن المصالتُ الأنفُ
والحافظو عورة العشيرةِ لا يأتيهمُ من ورائنا وَكَفُ
واللهِ، لا تزدهي كتيبتنَا أُسْدُ عرين مَقيلُها الغُرُفُ
إذا مشينا في الفارِسينَ كما تمشي جمالٌ مَصاعبٌ قُطُفُ
نَمشي إلى الموت، من حفائظنا مشيًا ذريعًا وحُكمنا نَصَفُ
إنَّ سُمَيرًا أبت عشيرتُه أن يعرفوا فوقَ ما به نَصَفُ
أو تُصدِر الخيلُ وهي جافلة تحت صواها جَماجمٌ خففُ
أو تجرَعوا الغيظَ ما بدا لكُم فهارِشُوا الحربَ حين تنصرفُ
إنّي لأُنْمِى إذا انتميتُ إلى عزّ منيعٍ وقومُنا شُرُفُ
بيضٌ جعاد كأنَّ أعينهم يَكحَلُها في الملاحم السَّدَفُ

وقال درهم بن زيد أخو سُمَير:

يا قومِ لا تقتُلُوا سُمَيرًا فإنّ القتل فيه البَوار والأسَفُ
لا تقتُلوه تُرِنّ نسوتُكم على كريمٍ ويُفزع السلفُ
يا مالِ، والحقُّ إنْ قَنَعتَ به فينا وفيٌّ لأمرنا نَصَفُ
إنّ بُجيرًا عبدٌ، فخُذ ثمنًا والحقُّ نُوفي به ونَعترفُ
ثم اعلمنْ إن أردتَ ظلم بني زيد فأنّا ومن له الحلفُ
لنُصْبِحَنْ داركم بذي لَجَب جون له من أمانه عزفُ

البَيض حصن لهم إذا فَزعوا   وسابغات كأنها النُّطَفُ
والبِيضُ قد فُلّلت مَضاربها   بها نُفوس الكُماة تُخْتَطَفُ
كأنَّها في الأكُفّ إذْ لمَعَت   وَميض برقٍ يبدو وينكشفُ

وقال قيس بن الخطيم من قصيدةٍ يجيبه (ولم يحضر الوقعة ولا كان في عصرها):

أبلغ بني جحجبى وقومَهم   خَطْمَةَ أنَّا وراءَهم أُنفُ
وإننا دون ما يسومهم الأعدا   ءُ مِن ضَيم خُطَّة نَكِفُ
نَفلي بحدِّ الصفيح هامَهُمُ   وفليُنا هامَهم بها عُنُفُ

فردّ عليه حسّان بن ثابت شاعر النبي ﷺ، وهذه أبيات من تلك القصيدة:

دع ذَا وعَد القَريض في نفرٍ   يَرْجُون مَدحي، ومدحيَ الشرفُ
إن تدعُ قومي في المجد تلقَهمُ   أهلَ فَعَال يبدو إذا وُصفوا
إنّ سُميرًا عبدٌ طغى سفهًا   ساعَدَهُ أعْبُدٌ لهم نُطَفُ

ثم إنهم تهيأوا للحرب وتقاتلوا قتالا شديدًا، ومَشَت الحرب بين الأوس والخزرج عشرين سنة في أمر سُمير. فلما طالت الحرب وكادت العرب يأكل بعضها بعضًا، أرسلوا إلى مالكٍ أن يُحكموا بينهم ثابتَ بنَ المنذر أبا حسّان، فأجابهم إلى ذلك، فأتوه وقالوا:

قد حكّمناك بيننا.

قال: لا حاجة لي في ذلك.

قالوا: ولم؟

قال: أخاف أن تردوا حكمي كما رددتم حكم عَمرو بن امريءِ القيس.

فأعطوه عهودهم أنهم لا يردّون ما حكم به، فحكم أن يُودى حليفُ مالك دِيَة الصريح، ثم تكونَ السُّنّة فيهم على ما كانت به الصريح على ديته، والحليف

على ديته؛ وأن يعدُّوا القتلى التي أصابت بعضهم من بعض، فيقابَلَ البعضُ بالبعض، ثم تعطَى الديةُ لمن كان له فضلٌ في القتلى من الفريقين. فرضُوا بذلك ففَضَلَت الأوس على الخزرج بثلاثة نفر، فوَدتْهم الأوس واصطلحوا.

من كلام أبي الحسن العامري في كتابه (النسك العقلي)

* نظر من جعلك مريدًا فاجعله مرادَك، وجرّد الانتساب إلى من هو أولك وآخرك.

* وزنُ النفس بالنفس هو العبادة بالنفس، ورَدْع النفس بالنفس هو العلاج للنفس، وعون النفس بالنفس هو التدبير للنفس وانتساب النفس بالنفس هو التعرف للنفس، وعشق النفس هو المرض.

* سل واهب العقل إضاءة العقل، ولاحظ الحقائق بنور الحق.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمير المؤمنين وخادمهم

كنتُ ليلا معْ أمير المؤمنينْ عمر الفاروق ذي القدر المكينْ
صاحب الدِّرة ثاني الراشدينْ من به اللَّه أعز المسلمينْ
فقووا حتى أذلوا المشركينْ
وإذا نار أضاءت سحَرا قال: يا أسلم قم ماذا أرى

علهم ركبٌ يريدون القِرى فخرجنا وهو كالسهم انبرى
ودنونا من خباء المصطلينْ

فإذا بامرأة قد نصبتْ قدرها بين عيال أعولتْ
ثم حَيينا فردت واستوت قال هل أدنو فقالت إن أردتْ
فبخير أودع القلب الحزينْ

قال ما بال العيال تصرخُ قالتِ الجوع وإني أنفخُ
أُوهم الصبية أني أطبخُ علهم من بعد ذا أن يفرخوا[1]
وينامو حول قدري جائعينْ

يا لنارٍ أضرمت في الأصلعِ أحرقت قلبي وأجرت مدمعي
بيننا اللّه وبين الأصلعِ ها أنا من فرط جوعي لا أعي
بين نوح وصياح وأنينْ

قال: يا أماه من أدرى عمرْ بكِ؟ قالت ذاك أدهى وأمرّ
من تولى أمرنا لا يستقرْ ينبري للناس في قر وحرْ
يسمع الشاكي ويؤوي البائسينْ

ويْ لعمري كيف يرعى وينامْ ليس هذا من قوانين الأنامْ
من سها عن نوقه جنح الظلامْ يتولى رعيها راعي الحِمامْ
إنما هذا جزاء الغافلينْ

ولقد أصغى لها من غير ضيقْ وهو بالإصغاء للشكوى خليقْ
فمضى بي ذلك الشيخ الشفيقْ يُسرع الخطو إلى دار الدقيقْ
وأتى منها بدهن وطحينْ

---

(١) فرخ الرجل: أي زال اضطرابه واطمأن.

ثم قال احمل عليّ قلتُ ويْ   بل أنا أحمل قال احمل عليْ
قلت عفوًا قال هل منكم فتيّ   يحمل الأوزار عني يا أُخيْ
يوم يؤتى بي لرب العالمينْ

وأرى الفاروق خوف النقمةِ   في الدجى يحمل قوت الصبيةِ
وهو ممن بُشروا بالجنةِ   لا يرى في حمله من حطةِ
بل قيامًا بحقوق المسلمينْ

فمضى بي مسرعًا نحو الصغارْ   فأتيناهم وهم في الانتظارْ
ولفرط الجوع بين الجنب نارْ   في استعار ما لهم منها قرارْ
ورأونا فاشرأبوا قائمينْ

قالت الأم اصبروا قد جاءنا   ذلك الشيخ بما فيه المنى
ولقد يسره اللَّه لنا   والأمير غافل عن حقنا
في كتاب اللَّه بالنصّ المبينْ

فدنا منها برفق وابتسامْ   ودموع العين منها في انسجامْ
قال قومي هيئي هذا الطعامْ   معنا أنَّ اليتامى لا تنامْ
بالطوى والله خير الرازقينْ

رحم اللَّه أبا حفصٍ عمرْ   وسقى بقعته صوب المطرْ
فلقد أبصرت أسلاك الشررْ   تلفح اللحية منه بالسَحرْ
وهو مهتم بإنضاج العجينْ

قالت الأم وقد رمنا القيامْ   وتركنا عندها فضل الطعامْ
يا رعاك اللَّه يا ساري الظلامْ   تحمل الأقوات للغرثى الصيامْ
أنت أولى من أمير المؤمنينْ

قال أي يرحمك اللّه اعدلي واذكري خيرًا ولا تستعجلي
فإذا جئتِ الأمير فادخلي تجديني قاعدًا في المنزلِ
وعليّ الجد في ما تطلبين
وتنحى عنهمُ مستترا رابضًا مربض آساد الشرى
وأنا أطلب تعجيل السرى فإذاهُ مقبل مستبشرا
شاكرًا لله رب العالمينْ
قال يا أسلم قد أسهرهمْ قارس الجوع بل استعبرهمْ
لذا أحببت أن أبصرهمْ في سرور وكذا غادرهمْ
فلقد ناموا جميعًا باسمينْ
هكذا كانوا رجال الأمةِ لا غرانيق العلى والعزةِ
مزجوا شدتهم بالرحمةِ ولذا شادوا صروح الرفعةِ
ومضوا شرقًا وغربًا فاتحينْ

عن مجلة (المنار) محمد نجيب الغرابلي

سنة ١٣٢٤ الطالب بمدرسة الحقوق

الأنوار الكشافة عند العرب

قالت مجلة رعمسيس في الجزء الثاني من سنتها الرابعة:

ألقى الأستاذ (دي لافورت) محاضرة في ندوة المهندسين ببرشلونة من أعمال إسبانية عن (اختراعات القدماء) أثبت فيها أن أكثر مخترعات القرن الحاضر هي

من استنباطات القدماء، ومما استدلَّ به على ذلك أن الأنوار الكشافة التي نسمع بها الآن، ونظن أنها من مستحدثات هذا العصر، كانت معروفة منذ القرن السابع، وكان العرب يستعملونها في حروبهم بالأندلس وشمال افريقية.

حياء القادر

دخل رجل على الأمير المجاهد قتيبة بن مسلم الباهلي، فكلمه في حاجة له؛ ووضع نصل سيفه على إصبع رِجل الأمير، وجعل يكلمه في حاجته وقد أدمى النصل إصبعه. فلما فرغ الرجل من حاجته وانصرف، دعا قتيبة بن مسلم بمنديل فمسح الدم من إصبعه وغسله.

فقيل له:

ألا نحيتَ رِجلكَ، أصلحك الله، أو أمرتَ الرجل برفع سيفه عنها؟

فقال: خشيتُ أن أقطع عنه حاجته.

وقتيبة بن مسلم كان سيفًا من سيوف اللَّه المسلولة، فتح اللَّه للإسلام بوجهه ممالك الشرق، وخرت لنواصي خيله الأبطال والجبابرة، وله في الملاحم الرهيبة صبرٌ عجيب، يتلقى فيه قضاء اللَّه بعزيمة من الفولاذ، لا يحسُّ العدوّ في جانب من جوانبها ضعفا.

وهو من أعظم القوّاد الفاتحين في أواخر المائة الأولى من تاريخ الإسلام، رحمه الله وخلَّد في النعيم روحه الطاهرة.

حياء المعتذر

سأل رجلٌ ابنَ العلاء حاجة، فوعده بها. ثم تعذَّرت عليه. فلقيه الرجل وقال له: وعدتني وعدًا فلم تنجزه!

فقال له ابن العلاء: فمن أولى بالغم، أنا أو أنت؟

فقال له الرجل: أنا!

فقال ابن العلاء: بل أنا، لأني وعدتكَ فأُبت أنتَ بفرح الوعد، وأُبتُ أنا بهمّ الإنجاز. ثم عاق القدرُ عن بلوغ الإرادة، فلقيتني مُدِلاً، ولقيتك محتشمًا، فصرتُ أولى منكَ بالغمّ!

الدعاء

* قيل لجعفر بن محمد الصادق: «ما بالنا ندعو فلا يُستجاب لنا؟» فقال: «لأنكم تدعون من لا تعرفونه».

* كان أبو عليّ الدقاق يقول: «إذا بكى المذنب فقد راسل الله».

* قيل: «خير الدعاء ما هيجه الأحزان والوجد».

* وقيل: «دعاء العامة بالأقوال، ودعاء العابد بالأفعال، ودعاء العارف بالأحوال».

نشيد المدرسة

مَجدًا مَجدًا مَدْرَستِي مَدرستِي مَجدًا مَجدا
عَن علْمي عن تَرْبيتي مَدرستي حَمْدًا حَمْدا

❀ ❀ ❀

منكِ سَيَعْرِفُني زَمَني في الأبْرَار فتى بَرًّا
منكِ سَيَأخذني وَطني في الأحرَار فتى حُرًّا

❀ ❀ ❀

عَهدُ اللهِ لمدْرَستي رَجلاً بطلاً أنْ أغدو
قسمًا قسمًا مَدْرَستِي عن ذا العهدِ فلا أعدو

❀ ❀ ❀

أنا تمثالٌ في أدَبي لكِ في الناس وفي عِلمي
فرضٌ حبكِ مثل أبي فرضٌ حُبُّكِ كالأمّ

مصطفى صادق الرافعي

الأخلاق

قال (روزفلت) أحد رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية: صحيح أن الذكي قد يعمل في بعض الشئون أكثر وأفضل مما يعمل رجل الخُلُق، كما أن صاحب القوة الفطرية الذي لم يدرَّب قد يتغلب على الضعيف المدرب - مهما كانت عزيمة هذا قوية وقلبه قلب أسد -، ولكنك لن تجد في أغلب معارك الحياة

الكبرى قيمة للذكاء الفطري أو الكمال الجسديّ، توازي قيمة تلك الفضائل الإيجابية أو السلبية التي تسمى (الأخلاق).

مهر المعالي

على طلاب العُلى أن يوطّنوا نفوسهم على اجتياز ألف عقبة، وأن يحسِبوا لأنفسهم ألف هزيمة، قبل الوصول إلى الظَّفر الأخير.

روزفلت

من أقوال أحمد شوقي

* جئني بالنَّمِر العاقل، أجئك بالمستبدّ العادل.
* الوقت آلة الرزق إذا استعمل، وآفة الرزق إذا أهمل.
* ثقة العاطفة شهر، وثقة العقل دهر.
* من أخلَّ بنفسه في السر، أخلَّتْ به في العلانية.
* الإنسان لولا العقل عجماء، ولولا القلب صخرة صمّاء.
* اثنان في النار دنيا وأخرى: الحاقد والحاسد.
* بين الحلم والخوَر جسر أدقُّ من الصراط.
* يستريح النائم من قيود الحياة، كما يتروح السجين ساعة في فِناء السجن.

* الفضائل حلائل؛ والرذائل خلائل.

* هلكت أمة تحيا بفرد وتموت بفرد.

* في الغَمر تستوي الأعماق.

* من عجز عف، ومن يئس كف، ومن جاع أسف.

* الأمم بنيان الهمم.

* الصالحون يبنون أنفسهم، والمصلحون يبنون الجماعات.

* العامة أذناب من يمسحُ رءوسهم.

* يهدم الصدرُ الضيق ما يبني العقلُ الواسع.

* العاقل من ذكر الموت ولم ينسَ الحياة.

* يستأذن الموت على العاقل، ويدفع البابَ على الغافل.

* الغلط إذا أُدرك تبدَّد، وإذا تُركَ تعدَّد.

* على كتُب السماء، تَهجّي الحكمةَ الحكماء.

* تحسُن المرأة نصف عليمة، ويقبُح الرجل نصف جاهل.

* قُبح الدَّين: نطق ففضح، وسكت ففدَح.

* رأي الجماعة بعضه من بعض، وكله من الفرد؛ كموج البحر بعضه من بعض وكله من الريح.

* القويُّ من قويَ على نفسه.

* جلائل الرغائب مخبوءة في كبار الهمم.

* من حمل نوائب الحق حمل الأمانة كلها.

كلمات للإمام أحمد بن حنبل

* ما شبهتُ سنَّ الشباب إلا بشيء كان في كمي فسقط.

* ما قلَّ من الدنيا كان أقلّ للحساب.

* التوكل قطع الاستشراف باليأس من الناس.

* الفتوّة ترك ما تهوى لما تخشى.

* كلُّ شيء من الخير تهتمُّ به، فبادر به قبل أن يُحال بينك وبينه.

* لا تزال بخير ما نويتَ الخير.

* يؤكل الطعام بثلاث: مع الإخوان بالسرور، ومع الفقراء بالإيثار، ومع أبناء الدنيا بالمروءة.

* إنَّ لكل شيء كرَمًا، وكرم القلب الرضا عن اللَّه ﷻ.

* لو أن الدنيا اجتمعت حتى تكون في مقدار لقمة، ثم أخذها امرؤ مسلم فوضعها في فم أخيه المسلم لما كان مسرفًا.

* ليس يبقى من لا يدري ما يبقى.

* الدنيا داء، والسلطان داء، والعالم طبيب. فإذا رأيتَ الطبيب يجرُّ الداء إلى نفسه فاحذره.

من أمثال العرب

* ويل لعالم أمر من جاهله.
* أطيش من فراشة.
* المكثار كحاطب ليل.
* من قنع بما هو فيه قرَّت عينه.
* من طلب شيئًا وجده.
* النفس مولعة بحب العاجل.
* المنية ولا الدنية.
* شر الأخلّاء خليل يصرفه واشٍ.
* ظن العاقل خير من يقين الجاهل.
* إن الحديد بالحديد يُفْلَح.
* المقدرة تُذهب الحفيظة.
* بعض الشر أهون من بعض.
* الجارَ ثم الدار.
* حبك الشيء يُعمي ويُصمّ.
* الحرب خدعة.

المعصية

قال إبراهيم بن العباس الصولي (من كتبة الدولة العباسية) يصف سوء عاقبة المعصية:

«... وقديمًا غَذتِ المعصيةُ أبناءَها، فحلبتْ عليهم من دَرِّها مُرضِعة، وبذلتْ لهم من أمانيّها مُطمِعة، ورَكبت فيهم مخاطرَها موضعة، حتى إذا رَتعوا فأمِنوا، وركبوا فاطمأنوا، وانقضى رضاع، وآن فطام؛ سقتهم سُمًّا، ففجَّرت مجاريَ ألبانها منها دمًا، وأعقبتهم من غذائها مُرًّا، وحطت بهم من مَعقل إلى عقال، ومن غرَّة إلى حسرة: قتلاً وأسرا، وإجاحة وقسرا.

وقلَّ من أوضع في الفتنة مرهجًا في لَهبها، ومقتحما عند ضلالها إلا استقحمتْه، آخذة بمخنقه، وموهنة بالحقّ كبده، حتى تجعله لعاجله جزرا، ولآجله حطبا، وللحق مَوعظة، وللباطل حجة. ذلك لهم جزاء في الدنيا ولَعذاب الآخرة أكبر، وما ربك بظلام للعبيد».

مصيبتا التواكل والتقليد الأعمى

لولا التّواكلُ وهو بئسَ الداءُ ... ما ذلّ رغم الكثرة الحُنَفاءُ
ألفوا التبلّدَ والجمود فأصبحوا ... يحصَوْن في الموتى وهم أحياءُ
لا يأبهون بما يلمّ بهم وَلا ... يتألّمون، وهكذا البُلداءُ
يهنُون حيث الصبر يحمد خُلْقهُ ... ويخاصمون إذ الخِصام مِراءُ
ويعجّلون لخصمهم ما يبتغي ... منهم، كذلك يفعل السفهاءُ

ألقَوْا بأعباء الحياة كأنما ... هَمْ والسَّوائم في الحياة سَواءُ
وتعوَّدوا التفريط حتى أصبحوا ... في عقر دارهم وهمْ غرباءُ
لم أدر، والأيام تنذرهمْ بما ... يجفو المحاجرَ دونه الاغفاءُ
والبحر تحتهمُ سلاح والهوا ... منْ فوقهم تَدأى به الهيجاءُ
أنّى اكتفوا بالقول وهو وسيلة ... ضعفت فهام بحبها الضّعفاءُ
وأحلّها العقلاء منهم منزلا ... حسنًا، أجُنَّ كذلك العقلاءُ؟

❁ ❁ ❁

عجبًا لأهل الشرق يخدل بعضهم ... بعضًا وهمْ في خطبهم شُركاءُ
فمُصانع الأعداء منهم صانِع ... ببنيه ما لا يصنع الأعداءُ
ومُلازِم الصمت البليغ بأسره ... راض لعمرُك والسكوتُ رضاءُ
والباخلون على البلاد بمالهم ... هم للبلاد كخصمها خُصَماءُ
والقابعون بدورهم خوفًا على ... حُرُماتهم حُرماتُهم أشلاءُ
بلغَ الصّغارُ بأهله ما قصّرت ... عنه المنون وفي المنون بقاءُ
والموتُ في شتّى المظاهر واحدٌ ... أبدًا وما مثل الهوانِ فناءُ
برزَتْ شعوب الأرض تستبق العلى ... فشأى الشجاع وأخفق الجبَناءُ
وتنازعت عز الحياة فأحجمت ... جُهّالها إذ أقدم العلماءُ
لا تعتلي عرشَ الكرامة أمةٌ ... ترمي بها الأهواءُ حيث تشاءُ
تلهو بلمع الآل عن صَوْب الحيا ... وعن الصَّواب تردها الأخْطاءُ
كلا ولم يظفر بتحقيق المنى ... وَكِلٌ تَكاءَدَ عزمه الإرجاءُ
يرمي الحياة بطرف أكمه يستوي ... وَضحُ النهار لديهِ والظلماءُ
إن الألى أخذوا بناصية الورى ... فدوى الهواء بهم وغص الماء
لم يستنيموا للخيال وإنما ... صعدت بهم همم لهم شمّاء

ومعارف فهقت بشاهق دورها | في كل مملكة لهم أرجاء
ومصانعٌ للموت دون قيامها | بالشرق قام الضعف والإعياءُ
وخزائن للمال يكنز مثلها | في الشرق لكن قومنا بخلاءُ
يكدون حيث البذل ضربة لازب | وإذا المجون دعا فهم كرماءُ
فتنوا بتقليد التمدّن في الذي | برمت به من أهله الحكماءُ
وترفع الفضلاء عن إتيانه | منهم فقادَته هم الغوغاءُ
طلبوا التمدن في الفسوق فأحسنوا | للمخزيات وللفلاح أساءوا
وتوهموهُ تَكسرًا وتخنثًا | فإذا بهم وهمُ الرجال نساءُ

❊ ❊ ❊

يا قوم ما المجد الرفيعُ طريقه | إلحاد أوربا ولا الفحشاءُ
كلا ولا حلق الشوارب لم يزل | يُزهَى به قوم ولا الأزياءُ
لكنه العلم الصحيح بنوره | عن سرها تتكشف الأشياءُ
وهداية الدين الصحيح فإنها | لجميع أدواءِ الحياة دواءُ
والخلْق فهو إذا سما خضعت فلم | تخرج على سلطانه الأهواءُ
هذا هو المجد الصراح وغيره | مما ترون سفاسف وبذاءُ

محمد النجمي

❊ ❊ ❊

حِكم عربية

* ما استب رجلان إلا غَلب ألأمهما.

الزبرقان بن بدر

* السلطان سوق فما نفق عنده أتي به.

أبو حازم الخناصري

* إن كان ما يقول بعض في بعض حقًا فما فيهم صحيح.

عبد الملك بن صالح الهاشمي

* لو تأملت أحوال الناس لوجدتَ أكثرهم عيوبًا أشدهم تعييبًا.

الجاحظ

الطب العربي والأوربيون

توفى أخيرا العلامة الأستاذ سايس أحد عظماء علم الآثار، ومن أكبر المحققين في تاريخ مصر القديم والأمم السامية: وقد كتبوا عنه بمناسبة وفاته أنه لما كان في مصر يبحث في آثارها لدغته حية، قال في أحد فصوله إنها من نوع الحية التي لدغت الملكة كليوبترا، فداواها بالكي على الطريقة العربية، فشفي من إصابته.

إلى أين نحن سائرون؟

كانت الحضارة والعمران فيما مضى ارتقاءً وتقدمًا، كان ذلك يوم كانت الحضارة وكان العمران يسيران بتُؤدة وعقل تحت سلطان التفكير الهاديء والبحث المطمئن؛ أما بعدَ أن استسلمت الحضارة لطيش البخار وجنون

الكهرباء، وانفتحت لنتاجها شهيَّةُ الجشع الإفرنجي والطمع الرأسماليّ؛ فقد خرج الأمر عن دائرة الارتقاء والتقدّم، وصار إلى طور الثورة وأساليبها وعواقبها.

يحسب الذين على رأس الثورة أنهم قادة الثورة، وإنما يحسبون هذا لأن من طبيعة الثورة أن لا تَدَع لأهلها وقتًا يفكرون فيه بأنفسهم تفكيرًا هادئًا، ويبحثون عما هم فيه بحثًا مطمئنا.

يحسبون أنهم قادة الثورة وهم منقادون بها، يحسبون أنهم حُداتها وهم مسوقون بمقامعها الجهنمية.

الحضارة الإفرنجية الحاضرة ثورة، وهي تسير بأساليب الثورة وتنحدر إلى عواقبها. ومن ظنّ هذه الحضارة (التي انغمس فيها الإفرنج آذانهم، والتي نتبع سننهم فيها حذْوَ القُذّة بالقذَّة) ارتقاءً وتقدُّما، فهو قصير النظر، سواء أكان إفرنجيًا أم متفرنجًا.

كنتُ أريد أن آخذ بيدكَ إلى معترك الحياة في أوربا أو في أمريكا لأدلّكَ على برهان ما أقوله في نسبة الأزمة الحاضرة إلى حضارة الغرب وعمرانه، ولكني رأيت الميدان كبيرًا يضيع فيه نظري ونظرك، فتعالى معي إلى مصر لأريك هذه النسبة مصغَّرة.

مصر بلد زراعيّ، وسعادته في أن تكون للأيدي العاملة فيه أعمالٌ تدرّ على أصحابها الرزق، وفي أن تكون لنتاج تربته وثمرات أعمال رجاله سوقٌ ينفق فيها النتاج والثمرات.

وقبل أن تُملأ رحاب مصر بآلات البخار الطائش وأدوات الكهرباء المجنون، كان العمل في مصر متناسبًا مع الأيدي العاملة فيه، والنتاج يأتي على قدر

الحاجة إليه. كانت مدائن مصر عامرة شوارعها ومسالكها بالعربات تجرُّها الخيول المطهَّمة، وكان الناس يلجؤون في نقل سلعتهم ومتاعهم إلى الحمير والجمال والمواشي، وهي التي كانت تُستعمل في رفع المياه من السواقي، وفي الحرث والزرع، وكانت هذه المخلوقات التي تملأ الرحب تعيش بما يزرع في أرض مصر من حبوب ونبات.

فلما حلت السيارة محلَّ مركبة الخيل، واعتمد عليها الناس في نقل متاعهم وسلعتهم، واستعملنا في زراعتنا المحاريث البخارية والمحركات السريعة، صارت مصر سوقًا للبنزين والبترول والفحم الإفرنجي، وقلّ الإقبال على حبوب مصر ونباتها، وأغنت الآلات السريعة عن استخدام مقدار غير قليل من الأيدي العاملة، فكثر العاطلون، ونزلت قيمة نتاجنا الزراعي بكثرة العرض وقلة الطلب، وكان ذلك من الأسباب المحلّية للأزمة، فضلا عن أسبابها الأخرى العالَمية.

كانت أزمات الأقدمين نتيجة القحط وقلة النتاج، وأزمتنا نحن ناشئة عن الرخص وكثرة النتاج.

أولئك كانوا يعطشون لأنهم فقدوا الماء، وأما نحن فنعطش وعيوننا تنظر إلى الماء؛ ذلك مَثَل الأزمات الشرقية القديمة والأزمة الجديدة التي سببها التفرنج.

هكذا حال الغرب: آلات حلت محلَّ الأيدي البشرية، فكوَّنت من العاطلين جيوشًا تزحف من البلاد إلى العواصم تشكو الجوع، وزادت كميات المصنوعات عن حاجة الأسواق فصار أصحابها يتنافسون في تخفيض أسعارها ليكسبوا (الزبون)، فيبيع الجميع بخسارة تذهب بهم إلى هاوية الخراب، ويريدون الرجوع من نصف الطريق فلا يستطيعون، لأن الطريق منحدر وانحدارهم فيه قويّ، والأمر خرج من أيديهم، وتلك هي أطوار الثورات، وذلك هو فرق ما بينها وبين الترقي.

تقول لي: وهل كان يجب أن لا نأخذ من أوربا آلاتها البخارية وأدواتها الكهربائية؛ وجوابي على ذلك أنه كان يجب علينا أن لا نلبس البنطلون في زمن السلطان محمود، وكان يجب أن نتعلم إدارة معامل يتحوّل معها صوف مواشي بلادنا إلى جوخ، ورمل بلادنا إلى زجاج وبلور، ثم ننشئ من المعامل على قدر حاجة بلادنا والأسواق التي تعاملنا، ونمنع نزول المصنوعات الأجنبية في ثغورنا.

كان يجب أن تكون لنا سياسة اقتصادية بسيطة تضمن لنا الاستمرار على ما كنا عليه من حفظ التوازن بين ما ننتجه وما نستهلكه، وتضمن لنا الاستمرار في تموين أنفسنا بما نحتاج إليه ولا نتحول من أمة عاملة إلى أمة مستهلكية، لأن الحالة الثانية رائد العبودية بكل معانيها.

استولى الغرب على الشرق بعد أن جاهد في تعويد الشرق استعمال مصنوعاته وكمالياته وخموره وموبقاته، فلما صار الشرق سوقًا للغرب، صار للغرب مصالح في الشرق، فجاءت الأساطيل الحربية إلى ثغورنا من وراء الأساطيل التجارية لتحمي (مصالح الأجانب)، وهل صارت للأجانب مصالح في أوطاننا إلا بأيدينا.

الآن لا مخرج لنا إلا باستعمال آلات الغرب البخارية والكهربائية، ولكن يجب أن يكون لذلك نظام يتوازن به الإنتاج والاستهلاك، ويضمن بقاء نقودنا في بلادنا، واستعمال أيدي أبنائنا في أعمالنا.

إذا لم نعكف على ذلك بحزم وعزم فنحن سائرون بالسيّارة إلى الانقراض...

محب الدين الخطيب

إرث الثقافة
العرب من أقدم أجداد الإنسانية

❑ الفن العربي مبتكر ❑

قال باسكال: «كل نسل يستفيد أولا من الكنز الذي تركه من سبقوه، ثم يزيده إن كان عنده استعداد لذلك، وما من أمة حادت عن هذا القانون، ولا يدخل في أيّ فكر أن إنسانًا مّا يمكنه أن يخالفه.

ففي العصر الحديث الذي كانت فيه عناصر الحضارة اليونانية غير معروفة بالمرَّة كان يظنُّ أنها غير مدينة لأمم أخرى، ولكن العلم المتقدّم أثبت أن الفنّ اليونانيّ أخذ عن الفن المصريّ، وأن الفن المصريّ أخذ عن بلاد العرب(١).

ولو كانت حلقات السلسلة التي توصلها إلى أصول البشر لم تكن مفقودة لأمكننا أن نعرف بلا شك العصور السابقة للحجر المنحوت».

❀ ❀ ❀

وقال الدكتور غوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب):

«يكفي إلقاء نظرة على أي أثر من آثار العرب في أي عصر متقدّم في مدنية العرب، كقصر أو جامع، أو أي شيء بسيط؛ كدواة أو خنجر أو تجليد مصحف، لمعرفة أن هذه الأعمال الفنية تدل على سلامتها من وجود خطأ في أصلها، فهي مهما كانت كبيرة أو صغيرة فإن المخترعات المختلفة للشغل

(١) ولا سيما في العراق، التي كانت حكوماتها وشعوبها الكلدانية والأشورية من بلاد العرب، بل إن العراق كان وما يزال من القسم المتحضر من بلاد العرب.

العربي ليس لها قرابة حقيقية عند مصنوعات أمة أخرى. فمنبع فنونهم- معمارية كانت أو غيرها- هو صريح وواضح».

عن مقالة (فن العمارة العربية)/ لمحمود فؤاد المهندس بالأوقاف

أهرام ٤ نوفمبر ١٩١٥

❑ التواضع الكاذب تكبر.

باسكال

الفارغون ورجل العمل

قال أبو الفرج بن الجوزي في كتابه (صيد الخاطر):

أعوذ بالله من صحبة البطالين، لقد رأيتُ خلقًا كثيرًا يجرون معي فيما قد اعتاده الناس من كثرة الزيارة، ويسمون ذلك التردد خدمة، ويطيلون الجلوس مرّةً ويجرون فيه أحاديث الناس وما لا يَعني ويتخلله غيبة. وهذا شيء يفعله في زماننا كثير من الناس وربما طلبه المزور وتشوّف إليه واستوحش من الوحدة وخصوصًا في الأعياد، فتراهم يمشون بعضهم إلى بعض ولا يقتصرون على التهنئة والسلام بل يمزجون ذلك بما ذكرته من تضييع الزمان.

فلما رأيت الزمان أشرف شيء والواجب انتهابه بفعل الخير كرهت ذلك؛ وبقيت معهم بين أمرين:

إن أنكرتُ عليهم وقعتْ وحشة لموضع قطع المألوف.

وإن جريت معهم ضاع الزمان.

فصرت أدافع اللقاء جهدي. فإذا غُلبت قصّرت في الكلام لأتعجل الفراق. ثم أعددتُ أعمالا لا تمنع من المحادثة في أوقات لقائهم لئلا يمضي الزمان فارغا، فجعلت من المعدّ للقائهم قطع الكاغد وبري الأقلام وخزم الدفاتر، فإن هذه الأشياء لا بدَّ منها ولا تحتاج إلى فكر وحضور قلب، فأرصدتها لأوقات زيارتهم لئلا يضيع شيء من وقتي.

تعصب الغربيين على الشرقيين

لما نشر ٩٣ عالمًا ألمانيًا نشره في أمريكا سنة ١٩١٥ بعنوان (استغاثة بالعالم المتمدن) يستميلون بها الأمريكيين للانضمام إلى صفوفهم في الحرب، أجابهم العلامة صموئيل هردن تشرتش رئيس جامعة كرينجي في بتسبرج بجواب عربته المقتطف في عدد يونيو ١٩١٥ (المجلد ٤٦ ص ٥٧٢)، وكان مما جاء فيه قوله بالحرف الواحد: «. . . . وكذلك نميل إلى سائر العناصر البشرية ونكرمها، عدا -يا للأسف- العناصر الأسيوية. ولكن لا بد أن تنمو فينا العاطفة الروحية يوما مّا، فنرحب بهم أيضًا كما نرحب بسواهم».

❑ الحياة الكاملة ❑

لا يحيى الإنسان حياة كاملة إلا إذا عاش لغيره.

غوابو

نموذج من أقوال كونفوشيوس

* لست أبالي مَن يسنّ للشعب أنظمته، إذا نظمتُ أنا أغانيه.
* أثبت الناس على رأي أكبرهم عقلا أو أكثرهم جهلا.
* آية العاقل الاعتدال، وأبعد الناس عنه سِفْلَتهم.
* إذا أحب الملك ما تحبه أمته وكره ما تكرهه فهو أبوها.
* إذا رأيت الرجل متأنيا في قوله ونشيطًا في فعله فهو من خيار الناس.

من أقوال الصاحب بن عباد

* رُبَّ اجتهاد أبلغ من جهاد.
* غشُّ الكافي أحمد من نصح الناقص.
* الناس بالذم أعلق.
* المكر حيلةُ من لا حيلةَ له.
* الفرار في وقته ظفَر.
* المكيدة أبلغ من النجدة.
* رداءة الخطّ زمانة الأدب.

الدهاء في السياسة

السياسة فنون شتى، والبراعة في كل فن تكون على حسب الأخذ بمبادئه والدربة في مسالكه، فهذا خبير بسياسة الحرب وبصيرته في السياسة المدنية عشواء. وآخر يدير القضايا ويجري النظامات بين الأمة في أحكم نسق، فإذا خرجت به ليخوض في صلة أمة بأخرى ضاقت عليه مسالك الرأي وتلجلج لسانه في لكنة، وربما جنح إلى السلم والحربُ أشرف عاقبة، أو أذن بحرب والصلح أقرب وسيلة إلى سعادة الأمة.

فلا بد للدهاء في فن سياسي من الوقوف على شيء من سننه، إما بتقلب الإنسان في الوقائع بنفسه، ومشاهدته لها عن رؤية عين، وهي التجارب الملوح إليها بقول أبي تمام:

من لم يُقَد ويطير في خيشومه رهج الخميس فلن يقود خميسا

أو بتلقيها على طريق النقل؛ كدراسة فن التاريخ أو الكتب المؤلفة في ذلك الفن من السياسة خاصة.

ولا يملك مزية الدهاء في السياسة إلا من كان في استطاعته كتم تأثراته النفسية من غضب وسرور ومودّة وبغضاء، ولهذا يقول الأدباء إنَّ أحكم بيت قالته العرب:

ولربما ابتسم الكريم من الأذى وفـؤاده مـن حـرّه يـتـأوه

فأناة الرئيس ورصانته هي المنبع الذي تسقى منه الأمة حرية الفكر، والسلَّم الذي تعرج منه إلى الأفق الأعلى من الأمن والسعادة.

تسمح الحكومات الحرة للكتّاب والخطباء أن يكشفوا عما في ضمائرهم، ويجهروا بآرائهم، وتسير معهم على مبدأ أن الناس أحرار في آرائهم وعواطفهم،

فلا يُسألون عنها أو يؤاخذون بها متى كانت مباينة لمقاصد الرئيس أو معارضة لمذهبه في السياسة، إلا إذا وضعوا أيديهم في إجرائها واندفعوا إلى العمل على نفاذها.

تُعد الحرية البالغة هذا الحد في حسنات بعض الحكومات الحاضرة، وقد أدار عليها أمراء الإسلام رحى سياستهم منذ ألف وثلاثمائة سنة، فهذا معاوية بن أبي سفيان يقول: والله لا أحمل السيف على من لا سيف له، وإن لم يكن منكم إلا ما يشتفي به القائل بلسانه، فقد جعلت له ذلك دبر أذني وتحت قدمي.

يتلقى الأمراء نقد سياستهم وآرائهم بصدر رحيب، وكثير منهم من إذا أنس في الأمة تهيبًا كره أن ينقلب ذلك التهيب رهبة تجرُّهم إلى إيثار الخَلق على الحق، ويدعوهم إلى ما دعا إليه عمر بن الخطاب في قوله: «إيما رجل عتب علينا في خلُق فليؤذنّي» أي فليعلمني. وكان المأمون يقول لأهل ناديه إذا جاروه في كلام: «هلا سألتموني لماذا؟ فإن العلم على المناظرة أثبت منه على المهابة».

يُطلق الأمراء العادلون للآراء أعنتها لتعرض عليهم في أي صبغة شاءت، ويثقون في هذا التسامح بأن أمامها أفكارًا مستقلة وعقولاً راجحة، فتقبل منها ما كان حقيقة ناصعة، وترد الزائف على عقبه خائبًا.

يدور على الألسنة قول ابن خلدون في مقدمة تاريخه: «إن العرب أبعد الأمم عن سياسة الملك»، يلهج بهذه المقالة بعض الأعجمين رامزين إلى أن العرب لا يليق بهم أن يعيشوا كما يعيش الرجل الرشيد، يتصرف في بيته ويدبر مصلحته بنفسه، وتبسط طائفة أخرى النكير على هذا الفيلسوف قائلة: كيف يصف الأمة التي شادت تلك الدولة الكبرى بالبعد عن مذاهب السياسة؟

والذي ينظر في الفصل المعقود لهذه المقالة من (المقدمة) يجد ابن خلدون يتكلم على الأمة العربية الطبيعية، حيث ذكر أن العلة في بعدهم عن إجادة

السياسة اعتيادهم على البداوة، ونفورهم من سلطة القوانين، واحتياج رئيسهم إلى الإحسان إليهم وعدم مراغمتهم، والسياسة تقتضي أن يكون السائس وازعًا بالقهر. ثم صرح ابن خلدون في هذا الفصل نفسه بأن هذه الأمة بعد ما طلع عليها الإسلام وفتح أبصارها في مناهج السياسة العادلة، سارت فيها باستقامة، فعظم ملكها وقوي سلطانها.

ويوافق ما قاله ابن خلدون من أن العربي بعد مطلع الإسلام غير العربي في عصر الجاهلية: أن سعد بن أبي وقاص أرسل نفرًا منهم المغيرة بن زرارة إلى «يزدجرد»، فدارت بينه وبينهم محاورة أفصح لهم في آخرها عن تعجبه من ظهورهم في هذا المظهر العظيم، بعد أن كانوا بمكانة من الجهل، فقال له المغيرة: إن ما وصفت به العرب من الجهل هو حق، إلا أنه قد كان ذلك قبل الإسلام.

وبعد أن انصرفوا قال لقائده رستم: «ما كنت أرى أن في العرب مثل هؤلاء، ما أنتم بأحسن جوابًا منهم».

ركبت مرة القطار من برلين إلى إحدى قراها القريبة منها، وكان في رفقتي أستاذان من المستشرقين، فأخذا يتحاوران باللسان الألماني، ولم أكن أفقه من هذا اللسان يومئذ شيئًا، ثم أقبل عليّ أحدهم وقال لي: أليس هكذا يقول ابن خلدون أن العرب لا يعرفون السياسة؟ فقلت له: إنما يصف ابن خلدون العرب في حال جاهليتهم، وقبل أن يهتدوا بهدي الإسلام ويستنيروا بحكمته. فانقطع، وعاد إلى محاورة صاحبه.

ومن نظر إلى العربي في حال جاهليته رآه مطبوعًا على خصلتين، يطوح به الغلو فيهما إلى ما ليس وراءه غاية:

إحداهما: اندفاعه للانتقام ممن هضم له حقًا أو مس جانبه بأذى. وحسن السياسة يقتضي التأني والاغضاء عن كثير من الهفوات.

ثانيتهما: إطلاقه لأيدي شيعته وعشيرته وغض الطرف عنهم إذا أخذهم الاعتزاز بجاهه، واضطهدوا حق ضعيف لا ينتمي إليه. والسياسة تنافي الإفراط في معاضدة الأشياع والأحلاف، ولا تستقيم مع الانتصار لهم وهم مبطلون.

وقد قاومت الشريعة الإسلامية هاتين الطبيعتين، وجاهدت فيهما حق جهادها، حتى أعدت لسياسة العالم أساتذة مثل عمر بن الخطاب الذي كان لا يراعي في إقامة الحق وكبح الباطل أشد الناس به صلة وأمسهم به رحما.

ومثل معاوية بن أبي سفيان، فإنه كان يُرمى بالمطاعن ويُرشق بسهام الإنكار، فيسرها في نفسه ولا تبدو عليه سورة الغيظ الذي يتخبط كثيرًا من المستبدين.

ومن دعا عمر بن عبد العزيز أنه كان يرى في كثير من الأمور مصالح للرعية، ولكن كان يسلك في إجرائها طريقة التمهل والتدريج، حذر أن يثقل عليهم عبؤها فيطرحوها عن ظهورهم، ويقعوا في عاقبة سيئة. قال له ابنه عبد الملك: «مالك لا تنفذ الأمور؟».

فقال: «لا تعجل يا بني، فإنني أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة، فيدفعوه وتكون فتنة».

فلا يخرج السياسي عن مجرى الاستقامة حيث يرى في سيرة الأمة عوجًا يتعذر عليه تقويمه بالقوة، فيحجم عن مكافحته، ولكن يبذل حكمته في علاج ذلك المبدأ السقيم، حتى يأخذ صحته ولو بعد أمد طويل.

وقد بدأت السياسة في عهد معاوية لا تبالي أن تمر إلى الحق ولو على جسر من الباطل كما قال زياد في بعض خطبه: قد علمنا أنا لا نصل إلى الحق إلا أن نخوض في الباطل خوضًا.

ويقول ابن خلدون: «إن العلماء من بين البشر أبعد الناس عن السياسة ومذاهبها».

وذكر في توجيه هذه المقالة أنهم معتادون في سائر أنظارهم الأمور الذهنية والأنظار الفكرية لا يعرفون سواها، والسياسة يحتاج صاحبها إلى مراعاة ما في الخارج وما يلحقها من الأحوال ويتبعها من الآثار.

وتحقيق هذا: أن العلم في نفسه لا يعوق صاحبه أن يدرك الغاية القصوى في السياسة، وإنما العلة التي تقعد بالعالم عن البراعة في تدبير الشئون العامة إنما هي انكبابه وعكوفه على القواعد، وما يتفرع عنها من الأحكام، دون أن يضيف إليها الاطلاع على أحوال أهل العصر، ويفحص عما تقتضيه مصالحهم وتستدعيه حاجتهم، ويغوص على الوقائع، فيتفقه في نشأتها وما تصير إليه عاقبتها.

فما قاله ابن خلدون إنما ينطبق على حال العلماء الذين أنفقوا أوقاتهم في القضايا النظرية، ولم يضربوا بسهم في معرفة أسباب العمران وطبائع الاجتماع، وهذه الحالة هي الغالبة على أمرهم في عصر ابن خلدون وما تقدمه بزمن طويل، ولاسيما بعد أن وقفوا دون مرتبة الاجتهاد، وتهاونوا بالشطر الأهم من وظيفتهم، وهو الدعوة إلى الإصلاح أينما كانوا.

وأما الذين يقدرون وظيفتهم حق قدرها، ويقومون بما قلدهم اللّٰه من مراقبة سير الأمة وإرشادها إلى وسائل الفلاح عن فكرة سليمة وألمعية مهذبة، فإنهم يسبقون بلا ريب إلى الغاية السامية في السياسة القيمة، ولا يكون العلم عثرة

تهوى بهم في البله والجهل بتدبير شئون الاجتماع، كما يدعي الذين يسمعون أو يسردون مقالة ابن خلدون على غير تدبر وروية.

وكان الوزير التونسي خير الدين باشا يعقد مجالس من علماء جامع الزيتونة، ويلقي على وجه الشورى ما يهمه من المسائل العامة، فيتناولونها بالبحث والنظر، حتى إذا نطق أحدهم برأي يصيب به المفصل من القضية اهتز ذلك الوزير ارتياحًا، وضرب يمناه على يسراه قائلا:

لا تتقدم أمة إلا بعلمائها.

محمد الخضر حسين

الخمرة

* فتك الخمرة بالناس أشد من فتك الطاعون والحرب والمجاعات.

غلادستون

* ليس صحيحًا أن الخمرة تُعين على الهضم؛ أو أنها منبهة للمعدة.

سارسي

* الخمر أسّ الشرور، وأصل البلايا، وسبب الدمار.

أعرابي

ما سقطنا إلا من تقليدنا إياهم على العمياء «نصيحة الإمبراطور غليوم لرجال تركيا الفتاة»

سبق للأستاذ صاحب الفتح كلمة قال فيها[١] أن مبدأ سقوط الشرق هو عهد السلطان محمود الذي لبسنا فيه البنطلون، قبل أن تكون عندنا معامل تحول صوف مواشينا إلى جوخ... إلخ.

إن لصاحب الفتح الآراء السديدة والنظرات النافذة في كل المواضيع، لاسيما في النواحي الاقتصادية. وإني لمعزّز رأيه هذا بكلام لغليوم الثاني إمبراطور ألمانيا الذي لا يزال حيًا.

سنة ١٩١٧ جاء القيصر ويلهلم إلى الآستانة يزور حَليفَهُ السلطان العثماني، فأرسل إليه الأتراك سربًا من الأوانس سافرات الوجوه، بالزي الأوربي، يقدّمن له باقة زهر.

فتقبلها القيصر منهنّ ولم يقل شيئا.

ثم أول ما شاهد بعد ذلك الصدر الأعظم قال له: يا طلعة، أرسلتم لي بعض صبيات تركيات بالزي الأوربي يقدّمن لي باقة أزهار. أتظن أني أفرح برؤيتهن بهذا الزي؟

ثم قال له: يا طلعة. اعلموا أنكم أمة ليس لكم مكانة بين الدول إلا بالإسلام. أنتم لستم ذوي ثروة، ولا عندكم صناعة ولا تجارة ولا وسائل مادية كما عند الأمم الأوربية. ولكنكم معدودون من الدول العظام بسبب واحد، هو

(١) مقالة: (إلى أين نحن سائرون؟)، في العدد ٣٣٠ من الفتح.

أنكم على رأس الإسلام، والإسلام مئات من الملايين. فإذا أبحتم السفور لنسائكم، وعبثتم بعادات قومكم آسفتم العالم الإسلامي الذي كل أهميتكم قائمة به، ونفر منكم المسلمون.

فلا تفعلوا هذا، فإنكم تصبحون على ما فعلتم نادمين، ثم إن الشرشف عندكم شيء جميل، فلماذا تعدلون عنه[١]؟ وهو لباس اقتصادي يستر المرأة ويغنيها عن اتخاذ فسطان كل ثلاثة أشهر مرة، وأنتم لا تقدرون أن تبذخوا بذخ الأوربيين.

هذا ما قاله ويلهلم لطلعة، وهذا رواه لنا.

ثم قال مثله للأمير سعيد حليم، وأوصاه بالمحافظة على التقاليد الإسلامية القديمة، وقال له: نجاتكم إنما هي بها.

وقال له: «أنا وبعض بيوتات في بلادي نحافظ على تقاليدنا القديمة، ولكن قد غَلبت علينا المآخذ الجديدة التي أخشى بها فساد المجتمع الأوربي كله».

فقصدتُ أن أنقل هذه الرواية لقراء الفتح.

ولقد أصاب الإمبراطور في كلامه. يريد أن يقول لنا: لا تجمعوا بين الفقر وفساد الأخلاق، فإنه باعتراف جميع الأتراك ودعاة التجدد منهم كان رقص النساء وتغيير الزي هما أكبر أسباب الأزمة الاقتصادية في تركيا. وذلك أنهم أرادوا أن يقلدوا أناسًا هم ليسوا ذوي ثروة كثروتهم، فظهر عوارهم حالاً. أما المفاسد المعنوية لذلك فقد ظهرت بتناقص النسل وكثرة الانتحار وقلة الزواج، وجميع المضارّ التي يعرفها كل من اطلع على حقيقة أحوالهم...

جنيف: ٢٩ شوال ١٣٥١

شكيب أرسلان

---

(١) الشرشف: الملاءة.

الثقافة الإسلامية

بقلم المستشرق الفرنسي/ المسيو هنري لاوس

أصدرت جريدة Banry Rayptienne La التي تطبع في القاهرة عددًا ممتازًا في يوم ١٥ فبراير ١٩٣٣ بمناسبة انعقاد المؤتمر الدولي للسياحة، بلغت صفحاته مائة وأربعين صفحة من حجم الصحف اليومية، وزيّنته بمئات من الصور المصرية والإسلامية والشرقية، وانطوى على عشرات المقالات النفيسة.

ونحن نلخص عنه هذه المقالة بقلم المستشرق الفرنسي المسيو هنري لاوس. قال:

❑ ما هي الثقافة؟

هي مجموع الأفكار والعادات والموروثات التي يتكون منها مبدأ خُلقي لأمة مّا، ويؤمن أصحابها بصحتها، وتنشأ عنها عقلية خاصة بتلك الأمة، فتمتاز بها عن سواها. وجميع الثقافات تتكوَّن وتتطوَّر بعوامل داخلية وتتأثر ببعض المؤثرات الأجنبية. ويأتي عليها زمان تكون فيه في القمَّة العليا من النشاط والظهور. ويعتريها الوهن في بعض الأحيان فتسير في طريق الانحطاط والاضمحلال، وقد يعقب انحطاطها نهوض تنتعش به.

بهذا المعنى أمكن لفريق من المستشرقين أن يقولوا بوجود ثقافة إسلامية عامّة، ابتدأت في التاريخ بالدعوة الإسلامية الأولى على عهد النبوَّة، ثم تكوَّنت في زمن الخلفاء الراشدين والدولة الأموية، ثم في عهد العباسيين ببغداد، وانتشرت في مختلف الأقطار الإسلامية من الشرق إلى الغرب.

❑ **العناصر التي تتكون فيها الثقافة الإسلامية:**

العنصر الأول من العناصر التي تتكوَّن منها الثقافة الإسلامية: الأدب الجاهلي:

إننا نعرف بعض المعرفة الحقَّه عن الحالة اللغوية والفكرية للعرب قبل الإسلام، والذي وصل إلينا عن هذا الأدب إنما وصل من طريق الرواة. وكانوا ينقلون الشعر، وقد دوّنوه في القرنين الثاني والثالث للهجرة. وكان للغويين في ذلك همة مذكورة، لأنهم كانوا يبحثون عن الشواهد لتفسير اللغة، ولاسيما لغة القرآن والحديث. وإن ما وقع في خلال روايات الرواة من ريبة أو خطأ أو انتحال أدى إلى أن يقول من قال: إن كل هذا الشعر منتحل!

وقد وضع أحد المؤلفين كتابًا في ذلك. لكن هذه النظرية لا يتفق عليها المستشرقون، وعلى كل حال؛ فإن للشعر الجاهلي والأدب الجاهلي نصيبًا كبيرًا في تكوين الثقافة الإسلامية.

والشعر الجاهلي يمتاز بالأفكار البدوية، ووصف الحياة في الصحراء، وتتجلّى فيه المروءة التي كان يمتاز بها عرب الجاهلية.

وكان هذا الشعر معتبرًا في العصر الأموي والعصر العباسيّ الأول أنه مدرسي لا بد من روايته والنهج على آثره. لكن كان هنالك صراع بين أصحاب الرأي القديم والرأي الحديث - كما ذكر ابن قتيبة في مقدمة الشعر والشعراء -، إلى أن تغلب الشعر الحديث على نحو ما نراه في شعر أبي الطيب. وعلى كل حال؛ فإن المسلمين درسوا الشعر الجاهلي من صدر الإسلام إلى الآن في المشرق والمغرب.

العنصر الثاني من العناصر التي تتكون منها الثقافة الإسلامية: هو العنصر الديني المحض، وفي مقدمته القرآن والحديث.

وإن ما نزل في مكة من السور والآيات كان تشريعًا دينيًا محضًا، وأما ما نزل في المدينة فيتناول التكوين السياسي والاجتماعي. ولا غنى للمستشرقين عن دراسة القرآن، أما الذين لا يفعلون ذلك، ولاسيما الذين يظنون أن الإسلام زال نشاطه، فإنهم يُعنون بدراسة المسلمين أنفسهم أكثر مما يعنون بدراسة القرآن. والقرآن لا يزال يفسَّر بالسنَّة التي جاءت مبينة لمشكله ومفصلة لمجمله، وهي تتناول التشريع في العبادات وغيرها وجميع ما يتصل بالحياة اليومية.

ولما انتشر الصحابة في البلاد بعد الفتوح، أخذ الناس عنهم الحديث، وتناوله القُصاص، ووضع بعضهم أحاديث وقصصًا.

فانبرى لهم من العلماء رجالٌ ميزوا بين الصحيح والموضوع، وردوا ما دسه الوضاعون، وكانت نتيجة ذلك تدوين الكتب الستة المعتمدة. وأقول إن التمسُّك بالسنَّة من أقوى ما يوجد في الإسلام، وإن الإمام أحمد بن حنبل وأتباع مذهبه من أشدّ المتمسّكين بالسنَّة، وقال بعض المستشرقين وهو الأستاذ ايغناس غولد زيهر: «إن تاريخ التطوُّر الفكري في الإسلام إنما يتمثل في الصراع بين السنّة والبدعة».

والعنصر الثالث في الثقافة الإسلامية: المؤثرات الأجنبية.

ومن أهمها ثقافة اليونان، لأن المسلمين ترجموا طائفة من كتب الفلسفة، وبعض الخلفاء كالمأمون بذلوا أموالا طائلة في هذا السبيل. لكن المسلمين لم يهتموا كثيرًا بأفلاطون وفضَّلوا عليه أرسطو. ومما ترجموه كتب الطب، حتى ليصح القول بأن معظم ما ألفه اليونانيون ترجم بالعربية في القرن الثالث للهجرة.

❑ وهنالك مؤثرات أخرى أجنبية على ثقافة الإسلام وأهمها:

تأثير العنصر الفارسي، وان تأسيس مدينة بغداد كان دليلا على تمييز العنصر

الفارسي أحيانا على العربي، والعباسيون اقتبسوا أنظمتهم السياسية من الفارسي، وكان لأدب الفرس تأثير عليهم غير يسير.

على أننا ونحن نذكر المؤثرات الأجنبية ينبغي لنا التزام جانب الاعتدال والروية. وللمؤلفين في ذلك آراء، فجرجي زيدان في تاريخ التمدن الإسلامي يقول: إن العرب اقتبسوا جميع اختراعات الأمم التي جاءت قبلهم وزادوا عليها. وإلى جانب ذلك نظرية أخرى مفرطة تقول: إن كل ما يوجد عند المسلمين مقتبس من غيرهم. والذي أراه أن الثقافة الإسلامية في القرون الوسطى لا تخوّلنا الحكم بشكل مطرد على كل مظهر من مظاهرها.

وأن العقل البشريّ واحد، ونحن نقرُّ بأن كيان الثقافة يتحلَّل إلى عناصر متعددة، وهي تحتوي على أفكار وعادات وهلم جرًّا مما تكون به الأمة أمّة.

❑ وحدة الثقافة الإسلامية:

نشأت الثقافة الإسلامية في المدن، وامتازت كل مدينة بطبائع وأخلاق، فهنالك البصرة والكوفة، وهنالك المدينة المنوَّرة، وبغداد، ومدن الأندلس، وبلاد المغرب التي لا تزال إلى الآن من أرقى المدن الإسلامية.

إن وحدة الثقافة الإسلامية تقوم بوحدة العقائد الإسلامية، وما كان الانقسام عند المسلمين إلا في الفروع. وأعظم افتراق هو بين أهل السنة والشيعة. وقد حدث في هذه الأيام تقارب بين الفريقين. ومهما يكن من تأثير العنصر الديني في الثقافة الإسلامية فإن الإسلام ليس فيه ما يمنع البحث العلمي، وقد قامت عند المسلمين مدارس مهمة للطب والعلوم.

وجميع المؤرخين في الإسلام لهم نمط واحد في إيراد الحوادث والوقائع لا كما نفعل نحن الآن بتحليل البيئات والمؤثرات والظروف، ما خلا وليّ الدين

عبد الرحمن بن خلدون، فإنه طبّق قواعد النقد على التاريخ بكل معاني الكلمة، وحاول أن يعلل الحوادث التاريخية على ضوء نظرياته الاجتماعية.

ومن مظاهر وحدة الثقافة الإسلامية من جهة الأدب: الشعر، فإن جميع المسلمين في المشرق والمغرب يتّحدون في دراسة الشعر العربي، ومن أوثق الروابط بين الأقطار الإسلامية ما رأيته بنفسي في المغرب من عناية المغاربة بشعر شوقي وحافظ، فهذا كله مما تترتّب عليه وحدة الثقافة.

وعندي أن «اللغة العربية» من أهم دواعي وحدة الثقافة بين المسلمين، وأهم أسباب تفرُّق هذه اللغة أنها اللغة الرسمية، ولغة الدين، ولا بد لأجل فهم القرآن والحديث النبوي من معرفة اللغة العربية معرفة دقيقة، وقد قام اللغويون والنحاة بمجهود عظيم في البصرة والكوفة لخدمة هذه اللغة مع ما بين علماء هاتين المدينتين من التباين:

فالبصريون أقرب إلى التنظيم والمنطق.

والكوفيون أبرعُ في حفظ المتون من لغة وشواهد.

وإن مجهودات النحويين واللغويين والعمل العظيم الذي قام به مترجمو المعارف اليونانية والفارسية، قد تكوَّنت به اللغة التي صارت لغة الفلسفة والعلم حتى القرن الثالث الهجري.

❑ تأثير ثقافة الإسلام على أوربا:

من مميزات المستشرقين في هذه الأيام إلحاحهم في البحث عما اقتبسته الأمم النصرانية في القرون الوسطى من ثقافة الإسلام ولقد كان ملتقى الأدبين في الأندلس وصقلية وبعض المدن الإيطالية كالبندقية وجنوة. وفي الحرب الصليبية أيضًا حدث احتكاك في الأفكار بين الشرق والغرب. وإن لتأثير

الإسلام في الأمم النصرانية في القرون الوسطى أشكالاً مختلفة، ويجب علينا الرجوع إلى تاريخ العلوم لنقدّر ما كان للمسلمين من التأثير على الحركة العلمية في مدارس الإفرنج في القرون الوسطى، وإن لغتنا الفرنسية لا تزال إلى اليوم محافظة على كلمات اقتبستها من لغة العرب، وفي ذلك لمحة دالة على ما وراءه من اقتباس وتأثير.

❑ انحطاط المسلمين في الثقافة:

من القرن الخامس عشر الميلادي بدأ الانحطاط في العالم الإسلامي، وللمسلمين اهتمام شديد في البحث عن أسباب هذا الانحطاط، فمنهم من يرى أن الانحطاط ناشئ عن عدول المسلمين عما كان عليه سلفهم في العصر الأول ومن ذلك سدّ باب الاجتهاد.

وبعض الأوربيين يرى أن سبب تأخر المسلمين عدولهم عن البحث في فلسفة أرسطو.

والذين يقدّرون تقدم الآلات الميكانيكية في الغرب يرون أن سبب تأخر المسلمين تقصيرهم في الأخذ بأسباب الصناعة ومجاراة الأمم فيها.

وفي الواقع أن المسلمين لم يقتبسوا الطباعة إلا في أزمان متأخرة، ولو بكّروا في ذلك لكان له الأثر الطيب. ويعد في جملة أسباب تأخر المسلمين ما كان من تعصب الترك على القومية العربية حتى قصّرت عن بلوغ ما تستطيعه.

❑ النهضة الإسلامية الحاضرة:

أول ما لاحت مبادئ النهضة الإسلامية في العصور الأخيرة إنما كان ذلك إبان الحملة الفرنسية على مصر.

وللثقافة الإسلامية الحاضرة عدّة اتجاهات: أهمها الحركة السلفية التي يراد منها الرجوع إلى بساطة الإسلام الأولى، وتحكيم الكتاب والسنّة. وتبتدئ هذه الحركة بابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وأظن أن في الشرق الأدنى طوائف من المسلمين تميل إلى هذه الطريقة، ولاحظت أنا بنفسي وجود اتجاه نحو ذلك في المغرب.

وهنالك تيار تفكيري آخر ينتسب إلى السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، وهو أقرب تناولا من الأول؛ وقد شاهدتُ ميلا عظيما إلى هذا التيار في مختلف بلاد الإسلام في الشرق والغرب.

وهنالك تيار تفكيري ثالث، يقوم به فريق يريدون أن يأخذوا من الغرب كل شيء بلا تمييز ولا نقد؛ ونجد لهذا التيار دعاة في العالم الإسلامي شرقًا وغربًا؛ وهم يريدون أن يتبعوا سنن الغرب في الآداب، يقولون بأن الثقافة الإسلامية لا تصلح لهذا الوقت، ويدعون إلى الفصل بين الدين والسياسة، ويقولون بالإفراط في الوطنيات.

ومهما يكن الأمر؛ فالأمل موجود في نجاح الثقافة الإسلامية الجديدة، لأن التعليم تقدم وترقى في الجامعتين الأزهرية والمصرية.

وللمسلمين والعرب صحف، وأول صحيفة أنشئت في عهد محمد علي، ولغة الثقافة الإسلامية هي العربية، وكان من الممكن فيما مضى أن يستعمل الشرق لغة أجنبية- الفرنسية أو الانكليزية -، ويتخذها لغة ثقافة له، وأما الآن فلم يعد ذلك ممكنًا، لأن العربية تقدمت تقدما محسوسًا، ووجد فيها ما يدل على المصطلحات العلمية، والمخترعات الحديثة، وتسهلت اللغة العربية عن ذي قبل، بعد أن كانت صعبة الفهم على الأوربيين. ولغة الصحف على الخصوص هي التي سهلت على الأجانب تعلم هذه اللغة.

وهنا أعود فأقول: إن وحدة اللغة العربية في الأقطار الإسلامية كانت من أسباب الوحدة الفكرية بين المسلمين.

وفي الختام أقول بغير دهان ولا خوف إفراط: إن مصر ستكون عاصمة التفكير للعالم الإسلامي والعربي الممتد من بلاد جاوة إلى أسواق الجاليات العربية والإسلامية في أمريكا، وسبب ذلك أن مصر سبقت غيرها من الأمم الإسلامية في طريق الرقي والتقدم الذي اشترك في تكوينه المصريون والسوريون واللبنانيون، وللأزهر مركز جغرافي يجعله المدرسة الأدبية الجديدة للأمم الإسلامية المختلفة.

الحكمة

قال الصاحب بن عباد:

* الإحجام في مواطنه، كالإقدام في مواضعه.

* اللبيب مَن الإيماء يكفيه، والايحاء يغنيه، واللفظة تجزيه، واللمحة تؤثر فيه.

الأخلاق بين الحجّاج وعِمران بن حطّان

لما ظفر الحجاج بعمران بن حطان قال:

اضربوا عنق ابن الفاجرة!

فقال عمران:

لبئسما أدّبك أهلك يا حجاج. كيف أن أمنتَ أجيبك بمثل ما لقيتني به؟ أبعْدَ الموت منزلة أصانعك عليها؟

فأطرق الحجاج استحياءً، ثم قال:

خلوا عنه؟

فخرج عمران بن حطان إلى أصحابه فقالوا:

والله ما أطقلك إلا الله، فارجع إلى حربه معنا.

فقال: هيهات، غل يدًا مطلقُها، وأسر رقبة معتقُها.

وأنشد:

أأقاتل الحجاج عن سلطانه ... بيد تقر بأنها مولاته
إني إذًا لأخو الدناءة والذي ... عفت على عرفانه جهلاته
ماذا أقول إذا وقفت موازيًا ... في الصف واحتجّت له فعلاته
وتحدث الأكفاء أن صنائعًا ... غرست لديّ فحنظلت نخلاته
أأقول جار عليّ؟ إني فيكم ... لأحق من جارت عليه ولاته
تالله ما كدت الأمير بآلة ... وجوارحي وسلاحها آلاته

الاستعمار العربي

اكتشفوا في مقاطعة (رودسيا) من جنوب إفريقية على مقربة من نهر زميز قبرًا لعربيّ كان هناك قبل نحو ثلاثة عشر قرنًا، ونقش قبره ما نصه:

بسم اللَّه الرحمن الرحيم، لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه ﷺ هذا قبر سلام

بن صالح، الذي انتقل من دار الدنيا إلى دار الآخرة في السنة الخامسة والتسعين من هجرة النبي العربي ﷺ.

واستدلّ الدكتور ستانلي تيمبور من ذلك على أن العرب المستعمرين وصلوا إلى هذه البقاع من جنوب إفريقية، وإنهم استثمروا مناجم الذهب التي استثمرها أسلافهم عرب اليمن قبل ذلك بعهد طويل. واستدل من آثار عربية أخرى وجدها في تلك الأصقاع على أن العرب استعمروا تلك البلاد زمنًا طويلا قبل أن يصل إليها البرتغاليون.

حديث خطير للكاتب الأشهر جورج برنارد شو ولكن أين المسلمون؟

بلغ الكاتب الانكليزي العظيم جورج برنارد شو -في سياحته بين أقطار الشرق- إلى سنغافورة، فاجتمع به صاحب جريدة الهدى على ظهر الباخرة (امبريس أوف برتين)، وانتزع منه حديثا عظيم الأهمية عن رأيه في الإسلام، وهذا أهم ما جاء فيه. قال الصحفي العربي يخاطب الفيلسوف الانكليزي:

رأيت لك مقالة في (كوزموبولتين) امتدحت فيها الإسلام، فهل لك أن تقول لي ما رأيك في الإسلام!

فأجاب: الإسلام دين الديمقراطية وحرية الفكر... ودين البيع والشراء، وفوق ذلك فهو دين الجنتلمان!

قلت: فما الذي يمنعك عن إعلان إسلامك إذن، وأنت الاشتراكي الجنتلمان؟

فقال: أزعم أنا ويزعم الناس أني اشتراكي، ولكني لا أدري هل ما أزعم ويزعمون حقيقة أم لا. أما من حيث الجنتلمانية فلست جنتلمانًا.

فضحكت وقلت: ولكنك في أغلب كتابتك تسلّم القارئ وتحضه على أن يكون جنتلمانًا.

فقال: وكم معلم في الدنيا يتبع تعليماته؟

قلت: هل تظن أن الإسلام يعم العالم؟

أجاب: كلا، فهناك نزعات أخرى ربما تعرقل سيره، ولكن عدد المسلمين لا بد أن يزيد على عدد أتباع أي ديانة أخرى، إلا أن هناك أمرًا مهمًا يجب أن لا أغفله.

فسألته: وما هو؟

أجاب: الإسلام شيء، والمسلمون شيء آخر! الإسلام حسن ولكن أين المسلمون!

قلت: إذن تعتقد أن المسلمين ليس لهم من الإسلام إلا الاسم؟ وهل تقارن المسيحية كنظام اجتماعي بالإسلام!

أجاب: كلا، ليس فيما أعرف من الأديان نظام اجتماعي صالح كالنظام الذي يقوم على القوانين والتعاليم الإسلامية، وقد سبقني بيرك في كلامه يوم اتهم وارن هيستنغ. (الإشارة إلى بيرك الخطيب المشهور الذي اتهم في البرلمان وارن هيستنغ حاكم الهند بالخيانة).

قلت: ولكن هناك حركات تدل على أن المسلمين بدأوا (يستيقظون).

قال: وأين هذا!

أجبت: في الشرق العربي.

قال: هؤلاء جلهم من أصل عربي، وحركتهم جنسية أكثر منها إسلامية.

قلت: لا أظن ذلك.. ولكن ما رأيك!

أجاب: الإسلام لا يستيقظ إلا إذا عمل المسلمون بصفتهم مسلمين فقط، وتجنبوا ما نسميه «الروح الوطنية»، والغلوّ في القومية.

قلت: في أوروبا وأمريكا مبشرون إسلاميون، فما رأيك في هؤلاء؟

أجاب: لا شك أنهم يستحقون العطف، إذ أنني لا أظن أن المسلمين يقدرون التبشير بالإسلام كما يقدر المسيحيون -على اختلاف مذاهبهم- التبشير بالمسيحية، فليس للمسلمين جمعية تبشير تضاهي أية جمعية تبشيرية لأي فرقة مسيحية.

من الحديث النبوي

* «شرُّ بيت في المسلمين بيتٌ فيه يتيم يُساء إليه»[١].
* «الصبر عند الصدمة الأولى»[٢].
* «بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[٣].
* «منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب دنيا»[٤].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٦٧٩)، وضعفه الألباني. (س).
(٢) أخرجه البخاري (٧١٥٤) ومسلم (٩٢٦). (س).
(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤٥). (س).
(٤) صحيح الجامع (٦٦٢٤). (س).

* «سلامة الرجل في الفتنة أن يلزم بيته»[١].

* «ستكون أحداث وفتنة وفرقة واختلاف، فإن استطعت أن تكون المقتول لا القاتل فافعل»[٢].

محمد منقذ البشرية
كلمة برنارد شو في الإسلام

لا حاجة إلى تعريف قراء «الفتح» بالكاتب الشهير الطائر الصيت في العالم المستر برنارد شو. هذا الرجل من أحرار الغرب الذين لم يكتموا ما انكشف لهم من أنوار الإسلام ونبي الإسلام، عليه من اللّه ألف سلام.

فأينما حل برنارد شو أشاد بذكر الإسلام، وأدى الأمانة العلمية، وكانت خطبه قرعًا على كبد القسيسين المتعصبين والمتفرنجين الخونة، وقد رأيت له كلمة نشرتها مجلة «ذي مسلم رفيو»[٣] وهي مجلة دينية تصدرها باللغة الانكليزية مدرسة الواعظين لأفاضل الطائفة الجمفرية بلكنو، مصحوبة بصورته، وهذه ترجمتها:

إنني دائما أحترم الدين الإسلامي غاية الاحترام لما فيه من القوة الحيوية. فهو وحده الدين الذي يظهر لي أنه يملك القوة المحولة التي تغير صورة الكون، ذلك لأنه يوافق كل جيل، ويتمشى مع مصلحة البشر في كل زمان. لا شك أن

(١) صحيح الجامع (٣٦٤٩). (س).
(٢) صحيح الجامع (٣٦١٦). (س).
(٣) في جزء مارس ١٩٣٣ .

العالم يقدر تكهنات رجل مثلي. أنا على يقين أن دين محمد سيكون دين أوربا في غد (المستقبل)، كما أنه قد أخذ الأوربيون يقبلونه من اليوم.

لقد طبع رجال الكنيسة في القرون الوسطى دين الإسلام بأبشع طابع ولونوه بلون أسود حالك، إما جهلا وإما تعصبًا.

إنهم كانوا في الحقيقة مسوقين بعامل بغض محمد ودينه.

فعندهم أن محمدًا كان عدوًا للمسيح، لقد درست سيرة محمد الرجل العجيب وفي رأيي هو بعيد جدًا من أن يكون عدوا للمسيح. إنما ينبغي أن يدعى «منقذ البشرية».

لا ريب أنه لو كان في أمريكا رجل مثله قد تولى ديكتاتوريتها لنجح أعظم نجاح في حل مشكلاتها بطريق يضمن لها السلام والسعادة التي هي في أشد الحاجة إليهما. وقد رأى عظماء المفكرين من أهل النزاهة مثل كارليل وغوتي وجيبون في القرن الـ ١٩ وجوب تقدير وإجلال دين محمد، وقد أحدث رأيهم شيئا من التغيير في سلوك الأوربيين مع الإسلام.

لكن أوربا هذا القرن (العشرين) قد تقدمت في ذلك تقدمًا بعيد الشأو. وقد أخذوا يقعون في الهيام بعقيدة محمد، وفي القرن التالي سيكون أهل أوربا أكثر معرفة بفائدة اعتقاد محمد في حل مشكلاتهم، وبهذا يمكنك أن تفهم ما تكهنت به. وقد انضم كثير من قومي والأوربيين إلى دين محمد، ويمكن أن يُقال إن إسلام أوربا سيكشف النقاب عن قضيتكم (الخطاب للشرقيين) الخاصة.

لكنو ٣ ذي الحجة سنة ١٣٥١

محمد تقي الدين الهلالي

(في صحيفة الفتح - العدد ٣٤١)

المترفون

«شرار أمتي الذين وُلدوا في النعيم وغُذوا به: يأكلون من الطعام ألوانًا، ويلبسون من الثياب ألوانًا، ويركبون من الدوابّ ألوانًا، يتشدَّقون في الكلام». (حديث شريف)[(١)].

الديمقراطية في الإسلام

لما تم الصلح بين أمير جيوش المسلمين في الشام أبي عبيدة وبين أحد قواد الروم، جاءه بطعام فاخر وقال له:

هذا طعام الأمير!

قال أبو عبيدة:

وأطعمتم الجند مثل هذا الطعام؟

قالوا: لم يتيسر.

فقال أبو عبيدة: فلا حاجة لنا فيما يقتصر علينا وحدنا من ألوان الطعام! وبئس المرء أبو عبيدة إن صحب جندًا من بلادهم أهرقوا دماءهم دونه أو لم يهرقوا، فاستأثر عليهم بشيء يصيبه، لا والله لا نأكل إلا مما يأكلون.

(١) ضعيف الجامع (٢٨٦٦). (س).

الناس

قال عمر بن عبد العزيز:

ما طاوعني الناسُ على شيء أردته من الحقّ حتى بسطت لهم طرفًا من الدنيا.

عفة مجاهد

روى الحافظ ابن عساكر أن حبيب بن مَسلمه قدم على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في حجة، وكان حبيب تام القامة، فسلم على عمر، فقال له عمر:

إنك لفي قناة رجل!

فقال: أي والله، وفي سنانها.

فقال عمر: افتحوا له الخزائن، فليأخذ ما شاء!

ففتحوها له، فعدا عن الأموال وأخذ السلاح!

بُناة السوء

ورِثنا المجدَ عن آباء صِدق   أَسأنا في دِيارِهم الصنيعا
إذا المجدُ الرفيعُ تواكلتْه   بُناة السوء أوشكَ أن يَضيعا

معن بن أوس

آداب الإسلام

وقع بين الحسن بن علي وأخيه محمد بن الحنفية لحاء، ومشى الأشرار بالنمائم بينهما، فأراد محمد بن الحنفية أن يقطع على الأشرار سعاياتهم، فكتب إلى أخيه الحسن يقول:

«أما بعد، فإن أبي وأباك علي بن أبي طالب، لا تَفْضُلني فيه ولا أفضلك، وأمّي امرأة من بني حنيفة وأمك فاطمة الزهراء بنت رسول اللَّه ﷺ. فلو مُلئت الأرض بمثل أمي لكانت أمك خيرًا منها. فإذا قرأتَ كتابي هذا فاقدم حتى ترضّاني، فإنك أحق بالفضل مني».

دين الحقائق

«من أتى عرّافًا أو كاهنًا فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد».
«حديث شريف»[١].

---

(١) صحيح الجامع (٥٩٣٩). (س).

حكمة العرب

خرج الزهري يوما من عند هشام بن عبد الملك فقال: ما رأيت كاليوم ولا سمعت كأربع كلمات تكلم بهنَّ رجلٌ عند هشام. دخل عليه فقال: يا أمير المؤمنين احفظ عني أربع كلمات فيهن صلاح ملكك واستقامة رعيتك.

قال: ما هن؟

قال: لا تَعِدْ عدةً لا تثق من نفسك بانجازها، ولا يغرنك المرتقى وإن كان سهلاً إذا كان المنحدر وعرًا، واعلم أن للأعمال جزاءً فاتق العواقب، وأن للأمور بغتات فكن على حذر.

قال عيسى بن دأب: فحدثتُ بهذا الحديث المهديَّ وفي يده لقمة قد رفعها إلى فيه، فأمسكها وقال: ويحك، أعد عليَّ!

فقلت: يا أمير المؤمنين، أسغ لقمتك.

فقال: حديثك أحب إلي!

أخلاق المأمون

قال يحيى بن أكثم: دخلت على المأمون وبين يديه طعام في طبق، فدعاني إليه، وكان لحما باردًا قليلاً، فخاف أن أستقله، فقال والشعر له:

اعرض طعامك وابذله لمن دخلا — احلف على من أبى واشكر لمن أكلا

ولا تكن سابري العرض محتشما — من القليل فلستَ الدهرَ محتفلا

حلم ملوك العرب

ثار ثائر على عبد الرحمن الأموي ملك الأندلس، فغزاه عبد الرحمن وظفر به، فبينما هو منصرف على فرسه وقد حُمل الثائر على بغل مكبلا، نظر إليه عبد الرحمن وقال:

يا بغل! ماذا تحمل من الشقاق والنفاق؟

فقال الثائر: يا فرس! ماذا تحملين من الرحمة والغفران؟

فقال عبد الرحمن: لا تذوق موتًا على يدي أبدًا.

عبدٌ له أخلاق الأشراف

مر عمر بن عبيد اللَّه بن معمر بزنجي يأكل عند حائط (بستان) في المدينة، وبين يديه كلب إذا أكل لقمة طرح له لقمة.

فقال له عمر بن عبيد الله:

أهذا الكلب كلبك؟

قال: لا.

قال: فلِمَ تطعمه مثلما تأكل؟

قال: إني أستحيي من ذي عينين ينظر إليَّ أن أستبدّ بمأكول دونه.

قال: أحر أنت أم عبد؟

قال: عبد لبعض بني عاصم، فأتى عمر ناديهم فاشتراه، واشترى الحائط، ثم جاءه فقال:

أشعرت أن اللَّه قد أعتقك؟

قال: الحمد لله وحده، ولمن أعتقني بعده.

قال: وهذا الحائط لك. قال: أشهد أنه وقف على فقراء المدينة.

قال: ويحك، تفعل هذا مع حاجتك؟

قال: إني أستحي من اللَّه أن يجود لي بشيء فأبخل به عليه.

ترجمان الشافعي

لما مرض الإمام الشافعي رحمه الله مرضه الذي مات فيه قال لقومه:

إذا أنا متُّ فقولوا لفلان يغسلني.

فلما توفي وبلغه الخبر قال: ائتوني بتذكرته. فجيء بها فوجد فيها: على الشافعي سبعين ألف درهم دينًا لفلان وفلان. فكتبها الرجل على نفسه وقال:

هذا هو الغَسل الذي أراده.

ذكاء الأعراب

قال أحد عمال الدولة لأعرابي: ما أحسبك تدري كم تصلي في كل يوم وليلة.

فقال له الأعرابي: إن أنبأتك بذلك تجعل لي عليك مسألة؟

قال: نعم.

فقال الأعرابي:

إن الصلاة أربعٌ وأربعُ ثم ثلاث بعدهن أربعُ
ثم صلاة الفجر لا تضيّعُ

قال: صدقت، فسل.

قال: كم فَقارُ ظهرك؟

قال: لا أدري.

قال: أفتحكم بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك!

الخمرة

تَوَخّ بهجرِ أمّ ليلى[(١)] فإنها عجوزٌ أضلت حيّ طَسْم ومارِبِ
دبيب نمال من عقار تخالها بجسمك شرٌّ من دبيب العقاربِ
ولو أنها كالماء طلق لأوجبتْ قلاها أصيلاتُ النهي والتجارِبِ
تحيي وجوه الشّرب فِعل مُسالم يضاحكه والكيد كيد محاربِ
عدوّة لبّ سلّتِ السيف واعتلت به القوم إلا أنها لم تُضاربِ
وما شامَتِ الهنديّ في الكفّ عنوةً ولكن ثنتْه في أنامل ضاربِ
تُعري الفتى من ثوبه وهو غافلٌ وتوقع حربَ الدهر بين الأقاربِ

أبو العلاء المعري

(١) كنية الخمر، والعجوز من أسمائها.

من الهداية الإسلامية

* ما كرهتَ أن تواجه به أخاك فهو غِيبة.

* ما كرهتَ أن يراه الناسُ منك، فلا تفعله بنفسك إذا خلوت.

الطالب المنتحر

ناشيءٌ في الورد من أيامهِ   حَسْبهُ اللهُ! أبِالوَرد عَثر
سدَّدَ السهمَ إلى صدر الصبا   ورماه في حواشيه الغرَر
بيدٍ لا تعرف الشرَّ ولا   صلحتْ إلا لتلهو بالأكر
بُسطت للسمّ والحبل، وما   بُسطت للقوس يومًا والوتر

نَشَأ الخير، رويدًا، قتلُكم   في الصبا النفس ضلالٌ وخسُر
لو عصيتُم كاذبَ اليأس، فما   في صباها يَنحرُ النفسَ الضجر
ليس يدري أحدٌ منكم بما   كان يعطَى لو تأنى وانتظر
فلكٌ جارٍ ودنيا لم يدُم   عندها السعد، ولا النحس استمر
سمح بالروح الفتى   ساعةَ الروع إذا الجمع اشتجر
فهناك الأجرُ والفخرُ معًا   من يعش يحمَد ومن ماتَ أجِر

أحمد شوقي

حكمة نبوية

«كفى بالمرء من الكذب أن يحدّث بكل ما سمع، وكفى بالمرء من الشحّ أن يقول: آخُذُ حقي لا أترك منه شيئًا»[١].

من هداية الإسلام

❑ الصلاة ❑

قال رسول اللَّه ﷺ لأصحابه: «أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ما تقولون: يُبقي ذلك من دَرَنه شيئًا؟ قالوا: لا يبقي ذلك من دَرَنه شيئًا. قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو اللَّه بها الخطايا». أخرجه البخاري ومسلم[٢].

❑ الإيثار ❑

جاء رجل إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: إني مجهود[٣]. فأرسل ﷺ إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندنا إلا ماء. ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك. فقال ﷺ: «من يضيفه يرحمه الله». فقام رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة فقال: أنا يا رسول الله. فانطلقَ إلى رحله فقال لامرأته: هل عندك

(١) ضعيف الجامع (٤١٨٢). (س).
(٢) أخرجه البخاري (٥٢٨) ومسلم (٦٦٧). (س).
(٣) أي: مهزول جائع.

شيء؟ فقالت: لا، إلا قوت صبياني. قال: فعلليهم بشيء ثم نوّميهم، فإذا دخل ضيفنا فأريه أنَّا نأكل، فإذا أهوى بيده ليأكل فقومي إلى السراج كي تصلحيه فأطفئيه. ففعلت. وقعدوا وأكل الضيف، وباتا طاويين. فلما أصبح غدا على رسول اللَّه ﷺ، فقال له ﷺ: «**قد عجب اللهُ البارحة من صنيعكما بضيفكما**»، فنزل قوله تعالى ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾. أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة(١).

❑ المنافق ❑

قال رسول اللَّه ﷺ: «**أربعٌ من كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا ومن كان فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدَعها: إذا ائتُمن خان، وإذا حَدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**». رواه البخاري ومسلم عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص(٢).

❑ مقابلة المسيء ❑

بينما رسول اللَّه ﷺ جالس في أصحابه ﷺ وَقَع رجل بأبي بكر فآذاه، فصمت عنه أبو بكر. ثم آذاه الثانية، فصمت عنه. ثم آذاه الثالثة، فانتصر أبو بكر ﷺ. فقام رسولُ اللَّه ﷺ. فقال أبو بكر: أَوَجدْتَ عليَّ يا رسول الله(٣)؟ قال: «**لا، ولكن نزل ملك من السماء يكذّبه بما قال لك، فلما انتصرتَ ذهب الملك وقعد الشيطان، فلم أكن لأجلس إذا قعد الشيطان**». أخرجه أبو داود عن سعيد بن المسيب(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٨٩) ومسلم (٢٠٥٤). (س).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٥٩) ومسلم (٥٨). (س).

(٣) أي: هل غضبت علي.

(٤) أخرجه أبوداود (٤٨٩٦)، وحسنه الألباني. (س).

❑ لا نذرَ في معصية ❑

* قال رسول الله ﷺ: «لا نذر في معصية، وكفارته كفارة يمين». رواه أبوداود عن عائشة(١).

* قال رسول اللَّه ﷺ: «لا نذر إلا فيما يُبتغى به وجه الله، ولا يمين في قطيعة رحم». أخرجه أبو داود عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص(٢).

* قال رسول اللَّه ﷺ: «لا نذر في معصية، ولا فيما لا يملك ابن آدم». أخرجه النسائي عن عمران بن حصين(٣).

❑ غنى النفس ❑

* قال رسول اللَّه ﷺ: «ليس الغِنَي عن كثرة العَرَض، ولكن الغنى غنى النفس». أخرجه الشيخان عن أبي هريرة(٤).

* قال ﷺ: «إذا نظر أحدُكم إلى من فُضّل عليه في المال والخَلق فلينظر إلى من هو أسفل منه، فذلك أجدرُ أن لا تزدَروا نعمة اللّه عليكم». أخرجه الشيخان عن أبي هريرة(٥).

* سمع عليٌّ ﷺ رجلا يسأل الناس يوم عرفة فقال له «أفي هذا اليوم، وفي هذا المكان، تسأل من غير الله»، وخفقه بالدِّرَّة. أخرجه رزين.

---

(١) أخرجه أبوداود (٣٢٩٠)، وصححه الألباني. (س).
(٢) أخرجه أبوداود (٣٢٧٣)، وحسنه الألباني. (س).
(٣) أخرجه النسائي (٣٨٥٠)، وصححه الألباني. (س).
(٤) أخرجه البخاري (٦٤٤٦) ومسلم (١٠٥١). (س).
(٥) أخرجه البخاري (٦٤٩٠) ومسلم (٢٩٦٣). (س).

الشعر في الإسلام

* قال رسول الله ﷺ: «**إن من الشعر حكمة**». أخرجه البخاري عن أبيّ بن كعب[١].

* كان النبي ﷺ يضع لحسّان رضي الله عنه منبرًا في المسجد يقوم عليه يفاخر، أو ينافح، عن رسول الله ﷺ.

وكان ﷺ يقول: «**إن الله يؤيد حسانًا بروح القدس ما نافح، أو فاخر، عن رسول الله ﷺ**». أخرجه أبوداود عن عائشة[٢].

* قال الشريد: ردفتُ رسول الله ﷺ يوما فقال: «**هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟**» قلت: نعم. قال: «هيه!» فأنشدته بيتًا. فقال: «هيه». ثم أنشدته بيتًا. فقال: «هيه». حتى أنشدته مائة بيت. أخرجه مسلم عن عمرو بن الشريد عن أبيه[٣].

العام الهجري الجديد ١٣٥٢

إذا لم يَلُح يا عامُ بدرُك باليُمْنِ ... فلا سَلَّتِ الدنيا سلاحَك من جَفنِ
أتأتي فتلقى المسلمين أذلةً ... إذا ما شكوا ضيمًا أحيلوا إلى غبنِ
أتأتي فتلفيهم تراثًا موزَّعا ... عليهم فجاجُ الأرض أضيق من سجنِ

(١) أخرجه البخاري (٦١٤٥). (س).
(٢) أخرجه أبوداود (٥٠١٥)، وصححه الألباني. (س).
(٣) أخرجه مسلم (٢٢٥٥). (س).

يعاملهم من كان أكبرَ همه ... رضاؤهُم عنه معاملةَ القِنِّ
فيحملهم طورا على ترك دينهم ... وفي ذاك عن باقي المصائب ما يُغني
غدوا عونَه لمّا تنكر بعضهم ... لبعض وكل العار في ذلك العونِ
إذا شئتَ نقبْ في البلاد فهل ترى ... خليطين منهم لم يبيتا على ضِغنِ
وقد صار حبُّ الذات فيهم غريزة ... تكاد تجبُّ العطب بين أبٍ وابنِ
به قُطعتْ أدنى العلاقات بينهم ... وماذا وراء الدين من رحم تدنى؟
يكابد جارى ما يكابد وحده ... ولم يَر أو يسمع مجاملةً مني
فإن جاء دوري بعد ذاك وأصبحت ... مساعدتي لا بد منها نأى عني
غريبَين مهما قرب الدين بيننا ... فلا همه همي ولا شأنه شأني
عصانا قد انشقت فما ذا يعيدها ... كسيرتها الأولى مؤدبةَ الكونِ
سوى سيرة الهادي نجدّد ذكرها ... فتشرق في تلك الدمامة بالحسنِ
وتطلع في داجي القنوط مضيئةً ... وتنهلُ في جدب الأمانيّ بالمزنِ
فيا أيها المرضى وفيها شفاؤكم ... أتبقون مختارين في المرضى المضني
فلا تنشدوا في صيدلية غيرها ... دواء ينقى القلب من دَرَن الجبنِ
وموضعها منكم قريب وإنما ... عمى القلب قد نحّاكُمُ لا عمى العينِ
كفاها سنة أن تشمل الهجرة التي ... بها أصبح الإسلام مرتفع الركنِ
هي الدرس في الصبر الجميل على الأذى ... إذا كان من يُؤذَي رضا ربه يعني
تحمَّل طه الضرّ في نفع أمة ... غدت من هداه الحق خالية الذهنِ
تحمّل في أعوامه العشر شدة ... ترُدّ جلاميد الصخور إلى عهنِ
أذاقوه ألوانًا من الشرّ جمة ... فيمسي بلون ثم يصبح في لونِ
ولما أراد اللّه إظهار دينه ... بهجرته وافاه جبريل بالإذنِ
فخلَّف في الدار الجوادَ بنفسه ... عليًّا يُفَدّيه بها غير ممتنّ

وسار مع الصدّيق أكرم صاحب — إلى قصده والله صاحب الاثنينِ
فيا غار ثوْر كان أفقك مَشرقًا — لبدرٍ مَحَا ما في البرية من دجنِ
فحدّث عن السرّ الذي قد كتمتَه — وعن يدك الطولى على الإنس والجنِ
وعن موقف فيه أبو بكر ارتقى — ثنيةَ مَجْد لم تُجَز - غير مستثنِ
على نمط الصدّيق في بذل روحه — وأمواله باني المكارم فليبنِ
إلى كل ما يُبغي طريق مُوصل — وما من طريق للمعالي سوى ذَينِ
فلما ضننا بدَّد اللَّه شملنا — جزاءً فداك الذل من أثر الضنِ
فواحرَّ قلبي من تصوّر حلة — هبطنا إليها مسرعين وواحزني
أليس من المعقول أدرك عزة — تولت وما كانت على نية الظعنِ
نعم هو في الإمكان لو أن قادة — أرونا من الخيم الزكية ما نجني

محمد صادق عرنوس

من حضارة العرب

* قال كوندي الإسباني: استعمل العرب البارود عام ٩٠٦م (٢٨٩هـ)، وهم الذين نقلوه إلى الأندلس، وعنهم أخذه الإفرنج، وهو يعدّ من أكبر منح الحضارة التي كسبوها.

* عرب الأندلس أول من صنع المدافع، ولا تزال مدافعهم التي دافعوا بها عن غرناطة محفوظة في أحد متاحف إسبانيا إلى اليوم.

* كان بإشبيلية في عهدها العربي ١٦ ألف دار لصناعة الحرير يشتغل فيها مائة وثلاثون ألف عامل.

* أول من اخترع الساعة الدقاقة عرب المشرق، وعنهم أخذها عرب المغرب والأندلس، وعن هؤلاء أخذها الأوربيون، وكان عرب المشرق يسمونها (الميقاتية)، وسماها المغاربة (المنجانة)، وتجد في الجزء الأول من الحديقة (ص ١٤٨) وصفًا دقيقًا للميقاتية التي كانت عند باب جيرون من أبواب مسجد بني أمية بدمشق بقلم ابن جبير الأندلسي عند رحلته إلى عاصمة الشام. وفي الجزء الثاني (ص ١٢٣) من الحديقة وصف للمنجانة التي كانت في تلمسان بقلم أبي عبد اللّٰه التنسي.

* كان عبد الرحمن بن بدر وزير الناصر أمير الأندلس تُكتب السجلات في داره، ثم يطبعها فترسل إلى العمال مطبوعة، وكان ذلك قبل غوتنبرغ الألماني الذي يعزى إليه اختراع الطباعة.

* قال مسيو لاجير: أخذت فرنسا عن عرب الأندلس العلوم المختلفة وأساليب الزراعة وحفر الترع وشق الخلجان ونظام الري. وإن افتتان الأوروبيين اليوم في زروعهم لهو صورة تماثل افتتان الأندلسيين فيها من قبل.

* كان عبد الرحمن الناصر أوّل من أعدّ حديقة للحيوان، فقد جمع فيها أسرابًا من الطير ورسلا من الوحش، وأنشأ بها مراتع للحيوان ومسارح للطير مظللة بالشباك في مدينة الزهراء، كما اتّخذ حديقة فيحاء جمعت صنوف النبات وأزواج الزهر.

* أول مدرسة للطب أنشئت في أوربا هي التي أنشأها أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر في قرطبة، وقد امتلأت الأندلس بالمدارس لجميع العلوم على عهد العرب. بل يقال إن جامعة (مونبليه) الطبية في جنوب فرنسا كان الفضل في تأسيسها للعرب.

* أخذ الأسبانيون القافية في صناعة الشعر عن شعراء العرب، ثم وصلت

هذه الصناعة إلى مرسيليا وطولون بواسطة التجار الاسبانيين الذين كانوا يجيئون إلى فرنسا.

* في كنيسة باريس الكبرى بقايا أثر الاقتباس عن البناء العربي، وقصر مدينة سدنهام بناه الانكليز تقليدًا لقصر الحمراء.

* كان عبد الرحمن الناصر أول من أنشأ في أوربا دارًا للصناعة تُصنع فيها الأسلحة. ونقل من المشرق إلى المغرب صناعة العاج والأبنوس ومواد التلبيس والترصيع والتطعيم بالفضة والذهب والتطريز والوشي، وكان الصوف والحرير والأجواخ تنسج كلها في مصانع مملكته.

بنو رحم

من قصيدة لشاعر الحجاز السيد أحمد إبراهيم غزاوي

ألقاها بين يدي الملك عبدالعزيز بن سعود يوم وصوله من نجد إلى مكة

إن الجزيرة من أقصى الشمال إلى ... أقصى الجنوب لأهل الضاد أوطانُ
لا فرق في الحسّ والنجوى، وإن شحطت ... بنا الموامي ودسَّ الحقدَ خوّانُ
فما الرياضُ سوى أم القرى وطنًا ... ولا دمشق سوى صنعا وبغدانُ
ونحن في الدين والفصحى بنو رحم ... وفي المطالب والآمال أخدانُ
فإن توحَّد منها اليوم معظمها ... فإن سائرها لا شك لهفانُ
عهدٌ ولو ماد رُضوى أو هوى حضَن ... واندكَّ دون اتحاد العُرب ثَهْلانُ
ونحن بالله نرجو أن يدوم لنا ... عزّ دعائمه عدلٌ وإحسانُ

فلا حياة لنا إلا بنصرته ... ولن يَدِل على الإخلاص غيرانُ

❁ ❁ ❁

ما المجد لهوٌ وتخريف وشنشنة ... ولا ادّعاءٌ وتقريظٌ وإذعانُ
المجدُ سيفٌ وإقدام وتضحية ... والمجد عدل وإصلاح وعُمرانُ
المجد دينٌ وتوحيد على سَنن ... مضى عليه الألى بالفتح قد بانوا
كانوا ولا شيء من غلّ ومن حسد ... عونًا على الحق مهما لاح طغيانُ

❁ ❁ ❁

يا من أناط الثريا في حمائله ... ومن تسامت به في المجد عدنانُ
ما إن رَميت ولكنَّ الإله رَمى ... فاحفظه يحفظك مهما ضلَّ حيرانُ
وإن قومك بالطاعات قد ظفروا ... فلن يخيفهم في الروع عصيانُ
لا يذهبون مع الأحلام في سنة ... ولا تطير بهم في الجور غربانُ
تلك العزائم في الإسلام بالغة ... بالله ما شهدت صَبيا وجيزانُ

أموال الفتوح بين أيدي أصحاب رسول الله ﷺ

قال أبو هريرة: قدمتُ من البحرين بخمسمائة ألف درهم فأتيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ممسيًا فقلت:

يا أمير المؤمنين، اقبض هذا المال.

قال: وكم هو؟

قلت: خمسمائة ألف درهم.

قال: وتدري كم خمسمائة ألف؟

قال: قلت: نعم مائة ألف، ومائة ألف، خمس مرات.

قال: أنت ناعس، اذهب فبت الليلة حتى تُصبح.

فلما أصبحت أتيته فقلت: اقبض مني هذا المال.

قال: وكم هو؟

قلت: خمسمائة ألف درهم.

قال: أمن طيب هو؟ قال: قلت: لا أعلم إلا ذاك.

فقال عمر ﷺ: أيها الناس إنه قد جاء مال كثير، فإن شئتم أن نكيل لكم كلنا، وإن شئتم أن نعدَّ لكم عددنا، وإن شئتم أن نزن لكم وزنًا لكم.

فقال رجل من القوم: يا أمير المؤمنين دوّن للناس دواوين يُعطون عليها.

فاشتهي عمر ذلك، ففرض للمهاجرين خمسة آلاف خمسة آلاف، وللأنصار ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف، ولأزواج النبي ﷺ اثني عشر ألفًا. قال: فلما أتى زينب ابنة جحش مالها، ظنت أن هذا نصيب جميع أزواج النبي ﷺ فقالت:

غفر اللّه لأمير المؤمنين، لقد كان في صواحباتي من هو أقوى على قسمة هذا المال مني.

فقيل لها: إن هذا كله لك.

فأمرت به فصبَّ، وغطَّته بثوب، ثم قالت لامرأة كانت عندها:

أدخلي يدك لآل فلان وآل فلان.

فلم تزل تعطي لآل فلان وآل فلان، حتى قالت لها التي تدخل يدها:

لا أراك تذكريني، ولي عليك حق!

فقالت: لك ما تحت الثوب!

قال: فكشفت الثوب فإذا ثم خمسة وثمانون درهمًا. قال: ثم رفعت يدها فقالت: «اللهم لا يدركني عطاء عمر بن الخطاب بعد عامي هذا أبدًا».

قال: فكانت رضي اللَّه تعالي عنها أول أزواج النبي لحوقًا به ﷺ.

❁ ❁ ❁

قال سعيد بن المسيب: لما قُدم على عمر رضي اللَّه تعالي عنه بأخماس فارس قال:

والله لا يُجنُّها سقف دون السماء حتى أقسمها بين الناس.

قال: فأمر بها فوُضعت بين صفي المسجد، وأمر عبد الرحمن ابن عوف وعبد اللَّه بن أرقم فباتا عليها، ثم غدا عمر رضي اللَّه تعالي عنه بالناس عليه فأمر بالجلابيب، فكُشفت عنها، فنظر عمر إلى شيء لم تر عيناه مثله من الجواهر واللؤلؤ والذهب والفضة، فبكى، فقال له عبد الرحمن بن عوف:

هذا من مواقف الشكر، فما يبكيك؟

فقال: أجل، ولكن اللَّه لم يعط قوما هذا إلا ألقي بينهم العداوة والبغضاء.

❁ ❁ ❁

وكان لعمر بن الخطاب رضي اللَّه تعالى عنه أربعة آلاف فرس موسومة في سبيل اللَّه تعالى، فإذا كان في عطاء الرجل خفة، أو كان محتاجًا، أعطاه الفرس وقال له:

أن أعييته أو ضيَّعته من علف أو شرب فأنت ضامن، وإن قاتلتَ عليه فأصيب أو أصبتَ فليس عليك شيء.

قال عمرو بن ميمون الأودي: شهدت عمر بن الخطاب رضي اللَّه تعالي عنه قبل أن يُصاب بثلاث أو أربع واقفًا على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف وهو يقول لهما:

لعلكما حملتما الأرض ما لا تطيق.

وكان عثمان عاملاً على شط الفرات، وحذيفة على ما وراء دجلة من جوخَى وما سقت. فقال عثمان:

حملتُ الأرض أمرًا هي له مطيقة، ولو شئت لأضعفت أرضي

وقال حذيفة: وضعتُ عليها أمرًا هي له محتملة، وما فيها كثير فضل.

فقال عمر رضي الله عنه: انظرا لا تكونا حملتما الأرض مالا تطيق، أما لئن بقيتُ لأرامل أهل العراق لأدعهن لا يحتجن إلى أحد بعدي.

قال: وأوصي عمر رضي الله عنه في وصيته بأهل الذمة أن يوفى لهم بعهدهم، ولا يكلفوا فوق طاقتهم، وأن يُقاتل من ورائهم.

❊ ❊ ❊

قال عامر الشعبي: لما أراد عمر بن الخطاب رضي اللَّه تعالى عنه أن يمسح السواد أرسل إلى حذيفة: أن أبعث إليَّ بدهقان من جوخَى. وبعث إلى عثمان بن حنيف: أن أبعث إليَّ بدهقان من قبل العراق. فبعث إليه كل واحد منهما بواحد، ومعه ترجمان من أهل الحيرة

فلما قدموا على عمر رضي اللَّه تعالي عنه قال:

كيف كنتم تؤدون إلى الأعاجم في أرضهم؟

قالوا: سبعة وعشرين درهما.

فقال عمر رضي اللَّه تعالى عنه: لا أرضى بهذا منكم.

ووضع على كل جريب عامر أو غامر يناله الماء قفيزًا من حنطه، أو قفيزًا من شعير ودرهمًا، فمسحا على ذلك، فكانت مساحتهما مختلفة. كان عثمان عالمًا

بالخراج فمسحها مساحة الديباج، وأما حذيفة فكان أهل جوخى قومًا مناكير فلعبوا به في مساحته، وكان جوخى يومئذ عامرة، فخربت بعد ذلك، وغارت مياهها، وقلّت منافعها، وصارت وظيفتها يومئذ هينة لما كانوا عملوا على حذيفة في مساحته.

من كلام بنيامين فرانكلين

* المال ليس لمن يجمعه، بل لمن يحسن التصرُّف فيه.
* لا تعجل في اختيار الصديق، ولا تعجل في الازورار عنه.
* يمتحن الذهب بالنار، والمرأة بالذهب، والرجل بالمرأة.
* مثَل الغنيّ اللئيم كمثل الخنزير السمين لا ينتفع منه إلا بعد موته.
* ليس شجاعًا من يطعن الأسد في قفاه ويهرب من وجه الفأر.

يا فاتح القدس

يا فاتح القدس خلّ السيف ناحية ... ليس الصليب حديدًا كان، بل خشبا
فلو نظرت إلى أين انتهت يده ... وكيف جاوز في طغيانه القُطبا
علمتَ أن وراء الضعف مقدرة ... وأن للحق لا للقوة الغَلبا

أحمد شوقي

الإسلام ينتشر بنفسه لأنه يلائم الأوساط على اختلافها

ألقي الأستاذ ادوار مونتيه مدير جامعة جنيف محاضرة قال فيها: إن الإسلام دين سريع الانتشار، ينتشر من تلقاء نفسه، دون أي تشجيع تقدمه له مراكز منظمة، وذلك لأن كل مسلم مبشر بطبيعته.

المسلم شديد الإيمان، وشدة إيمانه تستولي على قلبه وعقله، وهذه ميزة في الإسلام ليست لدين سواه. ولهذا السبب تري المسلم الملتهب إيمانًا يبشر بدينه أينما ذهب وأنى حل، وينقل عدوي الإيمان الشديد لكل من يتصل به من الوثنيين.

ولعمري إن للإيمان الإسلامي الشديد أكبر فضل في نشره هذا الانتشار السريع. وفضلا عن الإيمان فالإسلام يتمشي مع الأحوال الاجتماعية والاقتصادية، وله قدرة عجيبة على التكيف بحسب المحيط، وعلى تكييف المحيط حسب ما يقتضيه هذا الدين القوي. ولا شك في أن الإسلام يُعد من أكبر وسائل تمدين الناس وترقية أحوالهم الاجتماعية والدينية والخلقية والاقتصادية.

الإسلام حضارة قائمة بنفسها، رغم انحطاط المسلمين في فترة من الزمن. إلا أنهم الآن ينتبهون مرة ثانية وينشرون المدنية والرقي في كل أنحاء العالم. ومسلمو أفريقيا أكبر دليل على ما أقول.

وقد قابل أحد المنصفين بين تأثير الدين الإسلامي في أفريقيا وبين تأثير النصرانية فقال، وهو صادق، إن تأثير الإسلام في السكان مفيد أكثر من تأثير

المسيحية. فالمسيحية ضعفها ظاهر في أفريقيا بينما قوة الإسلام وعظم تأثيره في الحالة الاجتماعية والدينية والخلقية والاقتصادية ظاهر جلي. وآخر ملاحظاتي هي أن للإسلام قوة اندماج وملاءمة للأوساط الأفريقية والأوساط الراقية والمدنية العالية، ليست هذه المزية لأي دين أو نظام اجتماعي غيره.

تقبيل اليد

* قال رجل: يا رسول الله، الرجل منا يلقى أخاه وصديقه أينحني له؟ قال: «لا». قال أفيَلْزمه ويقبّله؟ قال: «لا». قال: أفيأخذه بيده يصافحه؟ قال: «نعم». رواه الترمذي عن أنس وحسَّنه[1].

* قال ابن عبد البر: تقبيل اليد إحدى السجدتين.

طلاب الوظائف

قال النبيُّ ﷺ لعبد الرحمن بن سَمرة: «**يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أُوتيتها عن مسألة وُكِلْتَ إليها، وإن أُعطيتَها عن غير مسألة أُعنتَ عليها. وإذا حلفت على يمين فرأيتَ غيرها خيرًا منها فأتِ الذي هو خيرٌ وكفّر عن يمينك**»[2].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٧٢٨)، وحسنه الألباني. (س).

(٢) أخرجه البخاري (٧١٤٦) ومسلم (١٦٥٢). (س).

ذكرى عام هجري جديد

ضمنتْ مخايلُه بشير هلاله وجلت مطالُعه تفاؤلَ آله
عامٌ تخيم في الديار جماله فعسي الرخاء يكون فيض جماله
الهجرة الكبرى سماحُ يمينه وبياضُ غرتها صلاحُ شماله
أضفى عليه هدى الرسول سوابغًا من يُمْن طلعته وطُهر خصاله
وقضى له فضل الرسول مهابة من نبل حجته وصدق جلاله
واستنَّ بالتوحيد أقومَ سنةٍ تركتْ عتيَّ الشرك رهن عقاله
لما أخوه طوى الأسى إدبارُه نشرَ الرجاءَ المحض في إقباله
يا مرحبًا بالبشر في استهلاله مترفقًا واليُسرِ في استكماله
حيوا وليدَكم الجديد وكبّروا في وجهه، وتيمَّنوا بهلاله

❋ ❋ ❋

يا عُصبةَ الإيمان كبر فيهمُ صوتُ البشير تحيةَ استقلاله
هل جاءكم أن الحياة عزيزة قُصوَى كغُرَّته وبُعدِ مَناله
ما أن تنالوها وإن قرب المدى بسوى الجهاد الحقّ تحت ظلاله
لا، بل جهادكم عناء باطل و الخالفون عليه من قتّاله
سفهًا تريدون الحياة وفيكمُ داء الخلاف ينوشها بعضاله
هذا الحمى ما باله في عصركم وثبتْ ثَعالبه على رِئباله[1]
والوافدونَ على طريق ضيوفه ما شأنهم ماضون في استذلاله
والهاتفون على مثال حُماته ما ذنبه يلهون باستقلاله

---

(١) الرئبال: اسم من أسامي الأسد.

أَلِفوا مصانعه المغير فحفَّهمْ بدهائه واقتادهم بحباله
وأقام منهم مَلعبا يلهو به واستاقهم للوثب بين مجاله
أخذ المغانمَ في يديه وردها تختال بين سيوفه ونصاله
وأهاب بالأمجاد من أبطالنا فإذا همُ بالسبق من أبطاله
أغنَوْه عن أرق الهموم وأقبلوا هم ينهضون له بكل فعاله
ما حاجة المغتال ينتهك الحمى إن كان منتهكُ الحمى من آله
هيهات لا المجد الممنَّع هكذا يدنو ولا يسخو بطيف خياله
عودوا إلى أوكاركم أو فاخجلوا أو فاسبحوا في الحمى بين صلاله
كان الشباب حُماته في يومه ومؤمّنوه غدًا على آماله

❀ ❀ ❀

فتيانَ مصر وقد دعوت قلوبكم الناجيات من الهوى وضلاله
هبطتْ عليكم من سوالف مجدكم روحُ الأسير يموج في أغلاله
حينًا ترفقُ في العتاب وتارة تَقسوا فتشكوكم شكاة الواله
لا أهله النوّام يستحيونه رفقًا ولا الأيقاظ من عذّاله
وانفضّ عنه الأقربون مودّة المنتمون إليه من أشباله
فونت رواحله الموفّقة الخُطا واعتاده عَبَثُ الردى برجاله
سأل البنين من الخلائفِ: أيكم أنقي دما، وأبرُّ يوم نضاله؟
رُدُّوا جوابَ سؤاله يا فتية الـ وادي، فكلكمُ مراد سؤاله
وصِلوا جديدَ تراثكم بقديمه وابنوا رواسيه على أطلاله
ما أنتمُ والفخر بالماضي إذا كنتم على الماضي مثال عياله
إن السيادة ذمةٌ لمحمد وشعارُها فيكم أذان بلاله
فخذوا سيادَتكم عن الوحي الذي جمع الأذان له قلوبَ رجاله

أعطاهمُ في الكون أمرَ مدبّر يمضيه بين جَنوبه وشَماله
فأجابهم من في وهاد سهوله وأطاعهم من في شعاف جباله

❀ ❀ ❀

أرأيتمُ الجيل المنكّر نفسه للنيل فهو المسخ من أجياله
كانت خصائص جنسه ولسانه وفنونه أبدًا حجابَ زواله
فالآن أين هو الحجاب وما له يبدي نذير السوء من هلهاله
ما للطهور العذب من أخلاقكم يلويكم التقليدُ عن سَلساله
ما للوضئ السمح من آدابكم يلهيكم (التجديدُ) عن إجلاله
فنيتْ مواسمكم على يد جيلكم في الذكريات إذا خطرن بباله
فإذا (ربيعكمُ) الزكي تجارة تحت العقوق يلوح في أسماله
وإذا (محرّمكم) وراء (يناير) متعثرُ الخطوات في أذياله
أزرى بكم يومَ الفخار تنكبٌ لمعينكم وتنكر لزُلاله
وسقايةٌ يردون منها مشرعًا للغرب يرتشفون من أوشاله
لم تستسيغوا العذب من مسكوبه وشرقتمُ بالغمر من هطّاله
الغرب فيه الحسنيان ودونها ما دونها من ويله ونكاله
فحذارِ من منهاجه في لهوه ما كان نصّ حرامه وحلاله
ومن الهوى المغري بفتنة وجدهِ ما راح بين جفائه ووصاله
حسبُ العُلى أن يهتدوا بالعلم في ضحوات مطلعة وفي آصاله
كنتم هداةَ نواله، ما خطبكم يا أهله صرتم عُفاة نواله؟
إن تكرموا بالخلق حسنَ مآبه تكرِمْكم الدنيا بحسن مآله

محمد الههياوي

التضحية بالنفس والمال

قال رسول اللَّه ﷺ: «لا يجتمع غبار في سبيل اللَّه ودخان جهنم في منخرَيْ رجل مسلم، ولا يجتمع شحّ وإيمان في قلب رجل مسلم»[١].

حفيد خليفة - ينصح خليفة

كان عبد اللَّه بن عبد العزيز العُمري (حفيد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الأموي) يسعى في مكة بين الصفا والمروة، وكان هارون الرشيد أمير ممن شهد الموسم ذلك العام، فأقبل الرشيد بموكبه يسعى، فلما رقى هارون درجات الصفا هتف به ابنُ عمه سليل بني أمية:

يا أمير المؤمنين، أنظر بطرفك إلى البيت.

ولم يكن يومئذ بين البيت والمسعى هذه الجدران القائمة فالتفت أعظم ملوك الدنيا يومئذ إلى جهة الحرم المكي وأجاب مُخاطبه قائلا: قد فعلتُ...

قال العُمري:

كم من الناس ترى؟

قال الرشيد:-

ومَن يحصيهم إلا الله!

(١) أخرجه أحمد (٨٤٦٠)، وحسنه الألباني. (س).

قال العمري: اعلم يا أمير المؤمنين أن كل واحد من هؤلاء يُسأل في القيامة عن خاصَّة نفسه، وأنت وحدك مسئول عن الجميع، فانظر كيف تكون...

فبكى هارون بكاءً مرًّا لم يبك مثله في حياته.

تعرُّف أحوال الرعية

قال محمد بن طلحة الوزير:

كان معاوية بن أبي سفيان ﷺ قد أخذ نفسه بالتطلع إلى استعلاء بواطن الأمور والرعايا، وسلك طريق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ في ذلك. وكان زياد ابن أبيه يسلك مسلك معاوية في ذلك، فنقل عنه أن رجلاً كلمه في حاجة وجعل يتعرَّف إليه، ويظن أن زيادًا لا يعرفه.

فتبسم زياد وقال له:

أتتعرف إليَّ وأنا أعرف منك بنفسك؟ والله إني لأعرفك وأعرف أباك وأمك، وأعرف هذا البُرْد الذي عليك وهو لفلان وقد أعارك إياه!

فبهت الرجل. ثم جاء من بعدهم من اقتدى بهم: عبد الملك بن مروان، والحجاج. ولم يسلك أحد بعدهم ذلك إلى أن ولى المنصور فبث في البلاد والنواحي من يكشف حقائق الأمر والرعايا فدانت له الجهات. ولقد ابتلي في أيام خلافته بأقوام لا يبرد شَرارُهم ولا تردّ أشرارهم، ولولا أن اللَّه أعانه بيقظة لا تهجع، لما ثبت له في الخلافة قدم، ولا رُفع له مع بعض قصد أولئك القاصدين عَلَم.

المرأة

قال رسول اللَّه ﷺ: «لا تستقيم لك المرأة على خليقة واحدة، إنما هي كالضِلَع أن تُقيمها تكسرها، وإن تتركها تستمتع بها وفيها عوج»(١).

الحديقة في اليمن

علم أحد أدباء اليمن بأن في جزيرة ميون الواقعة في باب المندب نسخة كاملة من (الحديقة) عند الأديب الفاضل عبد الملك ابن عبد اللَّه ثابت الأصبحى، فطلبها منه، وضنّ عليه صاحبها بها؛ لأنها أنيسه وسميرة في تلك الجزيرة النائية عن عواصم الأدب، فبعث الأديب اليمني بهذه الأبيات إلى صديقه السيد عبد الملك الأصبحي:

يا سالكا سبل العلوم ... وقاصدًا كنه الحقيقهْ
بُشراك قد نلت المنى ... بشروق أنوار (الحديقهْ)
جمعتْ لبانات الفتى ... وزهت معانيها الرشيقهْ
هي سلوة المحزون، بل ... هي بغية النفس المشوقهْ
منع الصديق صديقه ... ثمر الجنان بأن يذوقهْ
ما كان ظني أن يضنَّ ... بها عليَّ ولا دقيقهْ
أنسيتَ فرط مودّتي ... أم قد عدلت عن الطريقهْ

(١) أخرجه أحمد (٩٧٩٤)، وصححه الأرنؤوط. (س).

ما هكذا كنّا ولا كانت مودّتنا الوثيقهْ
عودوا كما كنتم لنا واسمح وجدْ لي بالحديقهْ!

ولما رأى السيد عبد الملك أنه أصبح بين أن يفقد صداقة صديقه وهي لا تعوَّض وبين أن يفارق سميرته أيامًا إلى أن يأتيه غيرها من مصر، آثر أهون الخطبين، وبعث إلى مصر في طلب نسخة ثانية من هذه المجموعة الأدبية التي لا يغني عنها غيرها.

الشيخوخة

قيل لشيخ من الأعراب: ما بقي منك؟

فقال: يسبقني مَن بين يَديَّ، ويُدركني مَن خلفي، وأنسى الحديث، وأذكرُ القديم، وأنعُس في الملا، وأسهر في الخَلا. وإذا قمتُ قرُبَتِ الأرضُ مني، وإذا قعدتُ تباعدَتْ عنّي.

الجهاد المحمدي
اليهود يؤلّبون الحجاز ونجدًا على الهادي الأعظم ﷺ(١)

لما غدر بنو عامر بسبعين من الصحابة، بعثهم رسول اللَّه ﷺ لينشروا دعوة الإسلام فقتلوهم، كان في سرْحهم عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه، فنجا من هذا الغَدْر، وعاد إلى المدينة ليُخبر رسول اللَّه ﷺ بما وقع. وفيما هو في الطريق لقي اثنين من بني عامر كان معهما عهد من النبي ﷺ وجوارٌ لم يعلمه عمرو بن أمية، فقتلهما وهو يرى أنْ قد أصاب بهما ثأرًا من بني عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول اللَّه ﷺ. فلما قدم عمرو بن أمية على رسول اللَّه ﷺ أخبره الخبر، فقال له ﷺ: «**لقد قتلتَ قتيلين لأدينَّهما**».

وخرج ﷺ إلى اليهود من بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين، فأحسن اليهود استقباله وقالوا:

نعم يا أبا القاسم، نُعينك على ما أحببت.

ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا:

إنكم لن تجدوا الرجلَ على مثل حاله هذه (ورسول اللَّه ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعدا) فمَنْ رجلٌ يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة ويريحنا منه؟

فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، وصعد ليلقي الصخرة، فأعلم اللهُ نبيَّه بما يكيد له اليهود، فقام وخرج راجعًا إلى المدينة. ثم بعث إليهم يطلب منهم الخروج من جواره، فأبَوا.

(١) يُنظر: «زاد المعاد» (٣/ ٢٦٩ - ٢٧٦) عن أحداث قصة غزوة الأحزاب، والعبر التي تُستنبط منها. (س).

وكانت هذه الحادثة سبب محاصرة النبي ﷺ ديار بني النضير، وتأديبهم وإجلائهم عن المدينة. فهابته يهود بني قُرَيظة وعاهدَتْه على أن لا يكون منها له ما يسوؤه.

وفيما كان هذا موقفَ بني قريظة؛ كان رؤساء الفريق الثاني من اليهود وهم بنو النضير يتآمرون فيما بينهم على بث سموم الفساد في جزيرة العرب، فقر رأيهم على تأليف جيش عظيم من عرب الحجاز وعرب نجد وشراذم اليهود، والإطباق به على المسلمين في المدينة من كل النواحي؛ لاجتثاث شجرة الإسلام من أصولها وإزالة المسلمين جميعًا من الوجود. وقد اشترك في هذه المؤامرة حُيَيُّ بن أخطب، وسلام بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبو عمار الوائلي.

فذهبوا أولاً إلى صناديد قريش، ودعوهم إلى حرب النبي ﷺ، ووعدوهم بأن يكونوا معهم حتى يستأصلوا المسلمين، وكذبوا على الله، فزعموا لقريش أن دين الأوثان والشرك خير مما يدعو إليه محمد ﷺ من التوحيد والإيمان بموسى وعيسى وبكتبِ اللّه واليوم الآخر. فهم كدعاة النصرانية الآن يُفضلون أن ينتقل شبابُ الإسلام من الإيمان بالله ويوم الدين إلى الإلحاد وجحود الخالق، تعصبًا منهم على الإسلام وكراهية ما جاء به من الحق.

ثم خرج اليهود إلى نجد، فاجتمعوا برؤساء غطفان من قيس عيلان، فدعوهم إلى حرب النبي ﷺ، وأخبروهم بما عزمت عليه قريش، ووعدوهم بأن يكونوا معهم.

وأخذت كتائب قريش تنفر للزحف وعلى رأسها أبو سفيان، وخرجت غطَفان وقائدها عيينة بن حصن في بني فَزارة، والحارث ابن عوف في بني مرَّة، ومسعر بن رُخَيلة فيمن تابعه من قومه من أشجع.

ولما سمع النبي ﷺ بأن اليهود تُحزّب الأحزاب عليه، وما أجمعوا له من الأمر، ضرب الخندق على المدينة، وعمل فيه ﷺ بنفسه ترغيبًا للمسلمين في الأجر، حتى كان الغبار يواري جلدة بطنه ﷺ. وحدث ذلك في زمن قحط وشدَّة وفقر، فتحمل فيه المسلمون من الجوع والتعب ما لا يتحمله إلا أصحاب الإيمان الصادق. وكانوا يلبثون ثلاثة أيام لا يذوقون ذواقًا، ويعصبون الأحجار على بطونهم من الجوع. وكانوا يستمدون الصبر من معلم الخير ﷺ، فإذا خارت قواهم ذكّرهم ﷺ بما وعد اللّٰه به المؤمنين، وأكد لهم أن اللّٰه سيعطيه مفاتيح الكعبة، وأن قصور الحِيرة ومدائن كسرى وصروح الروم تلوح له أنوارها من الخندق، بشارةً له من اللّٰه بأنها ستُفتح على أصحابه وستأخذ بهدايته.

وطلعت الأحزاب بعد ذلك من آفاق المدينة، فنزلت قريش بأحابيشها ومن تبعها من بني كنانة وأهلِ تهامة في مجتمع الأسيال بين الجرف وزغابة، وكان عددها عشرة آلاف، ونزلت غطَفان ومن تبعهم من أهل نجد بذنب نقمى إلى جانب أُحد، وكان عددهم ألوفًا كثيرة، وجاء حُيي بن أخطب إلى حصن بني قريظة، فراود رئيسها كعب بن أسد القرظي، وما زال به حتى نقض عهده لرسول اللّٰه ﷺ، ومزَّق الصحيفة التي كان فيها العهد، وانضم إلى الأحزاب.

فأرسل إليهم النبي ﷺ سيدَي الأوس والخزرج: سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، ومعهما عبد اللّٰه بن رواحة وخوات بن جبير، فوجدوهم مصممين على الخيانة والغدر، وكان بنو قريظة حلفاء الخزرج، فاجتهد سيد الخزرج سعد بن معاذ في تحذيرهم ونصحهم، فأغلظوا عليه. وحينئذ عاد الوفد فنقل إلى النبي ﷺ ما رأى.

وتقنّع رسول اللّٰه ﷺ بثوبه حين جاءه الخبر عن خيانة بني قريظة، فاضطجع، ومكث طويلا. فاشتد على الناس البلاء والخوف حين رأوه اضطجع؛ وعرفوا

أنه لم يأته عن بني قريظة خير. ثم إنه رفع رأسه وقال: «**أبشروا بفتح اللَّه ونصره!**».

فلما أن أصبحوا دنا المشركون من المدينة، وكان بينهم وبين المسلمين رمي بالنبل والحجارة، فكان رسول اللَّه ﷺ يقول «**اللهم إني أسألك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تُعبَد**».

وعظم عند ذلك البلاء، واشتدَّ على المسلمين الخوف، وأتاهم عدوّهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظنَّ المؤمنون كل ظن.

ونجم قرن النفاق، فقال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف:

كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط!

وحتى قال أوس بن قيظي:

يا رسول اللَّه إن بيوتنا عورة من العدو (وذلك على ملأ من رجال قومه) فائذَن لنا أن نرجع إلى دارنا خارج المدينة.

أقام رسول اللَّه ﷺ مرابطا، وأقام المشركون يحاصرونه بضعًا وعشرين ليلة؛ فلما اشتد على المسلمين الأمر أرسل النبيُّ ﷺ إلى قائدَي غطفان- عيينة بن حصن والحارث بن عوف- يفاوضهما في صلح منفرد، على قاعدة أن تنسحب غطفان من الأحزاب ولها في مقابل ذلك ثلث ثمار المدينة. ، وكتبوا مسودة كتاب الصلح على ذلك. وقبل إمضاء الكتاب والشهادة عليه، وقبل وقوع عزيمة الصلح دعا النبي ﷺ سيدَي الأنصار - سعد ابن معاذ وسعد بن عبادة، وذكر لهما ما فاوض عليه قائدي غطفان، فقالا له:

أمرًا تحبه فتصنعه، أم شيئًا أمرك اللَّه به لا بد من العمل به، أم شيئا تصنعه لنا؟

فقال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيتُ العرب رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب، فأردتُ أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمرٍ مَّا.

فقال سعد بن معاذ: يا رسول اللَّه قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد اللَّه ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة إلا قِرى أو بيعًا؛ أفحين أكرمنا اللَّه بالإسلام وهدانا له وأعزَّنا بك وبه نعطيهم أموالنا؟ ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم اللَّه بيننا وبينهم. فقال النبي ﷺ: **أنت وذاك**.

فتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال:

ليجهدوا علينا!

ثم أقام النبي ﷺ وأصحابه محاصرين.

❁ ❁ ❁

وأحاط المشركون بالمسلمين حتى جعلوهم في مثل الحصن من كتائبهم، فحاصروهم قريبًا من عشرين ليلة، وأخذوا بكل ناحية، ووجهوا نحو منزل رسول اللَّه ﷺ كتيبة غليظة، فقاتلوهم يومًا إلى الليل، فلما حانت صلاة العصر، دنت الكتيبة فلم يقدر النبي ﷺ ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا الصلاة على نحو ما أرادوا، فانكفأت الكتيبة مع الليل، فزعموا أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**شغلونا عن صلاة العصر، ملأ اللَّه بطونهم وقبورهم نارا**».

فلما اشتد البلاء: نافق ناس كثير، وتكلموا بكلام قبيح، فلما رأى رسول اللَّه ﷺ ما بالناس من البلاء والكرب جعل يبشرهم ويقول: «**والذي نفسي بيده ليفرّجن عنكم ما ترون من الشدة، وإني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق**

آمنًا، وأن يدفع اللَّه إليَّ مفاتيح الكعبة، وليهلكن اللَّه كسرى وقيصر، ولتنفقُن كنوزهما في سبيل الله».

ولما بلغت الشدة مبلغها، قال الصحابة: يا رسول الله، هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر، قال: «**نعم، اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا**»، وأتى النبي ﷺ مسجد الأحزاب فوضع رداءه، وقام ورفع يديه مدًا يدعو عليهم، فقال: «**اللهم منزل الكتاب سريع الحساب أهزم الأحزاب. اللهم اهزمهم وزلزلهم وانصرنا عليهم**». وكان يقول: «**لا إله إلا اللَّه وحده، أعز جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، فلا شيء بعده**».

وأقام رسول اللَّه ﷺ وأصحابه فيما وصف اللَّه من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم عليهم وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم.

❀ ❀ ❀

ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاوه بن أشجع بن ريث بن غطفان أتى رسول اللَّه ﷺ فقال:

يا رسول اللَّه أني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت.

فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إنما أنت فينا رجل واحد، فَخَذِّل عنا إن استطعت، فإن الحرب خُدعة**».

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة - وكان لهم نديما في الجاهلية - فقال:

يا بني قريظة قد عرفتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم

قالوا: صدقت، لستَ عندنا بمتهم.

فقال لهم: إن قريشًا وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره، وإن قريشًا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدُهم ونساؤهم وأموالهم بغيره، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نهزة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم. فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنًا من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدًا حتى تناجزوه.

قالوا: لقد أشرت بالرأي.

ثم خرج حتى أتى قريشًا، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش:

قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمدًا. وإنه قد بلغني أمر قد رأيتُ عليّ حقًا أن أبلغكموه، نصحًا لكم، فاكتموا عني.

قالوا: نفعل.

قال: تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه: إنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى تستأصلهم؟ فأرسل إليهم أن نعم. فإن بعثتْ إليكم يهود يلتمسون منكم رهنًا من رجالكم، فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحدًا.

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال:

يا معشر غطفان، إنكم أصلي وعشيرتي وأحبُّ الناس إلي، ولا أراكم تتهموني.

قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم.

قال: فاكتموا عني.

قالوا: نفعل.

ثم قال لهم مثل ما قال لقريش، وحذرهم ما حذرهم.

وفي السبت من شوال سنة خمس كان من صنيع اللّه تعالى لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان فقال لهم:

إنا لسنا بدار مُقام، هلك الخف والحافر، فأعدّوا للقتال حتى نناجز محمدًا ونفرغ مما بيننا وبينه.

فأرسَلوا إليهم: إن اليوم يوم السبت، وهو يوم لا نعمل فيه شيئًا، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثًا فأصابهم ما لم يخفَ عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدًا حتى تعطونا رهنًا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدًا، فإنا نخشى إن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا، والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا بذلك منه.

فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان:

والله إن الذي حدَّثكم نعيم بن مسعود لحقّ.

فأرسلوا إلى بني قريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحدًا من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا.

فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحقّ، ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا، فإن رأوا فرصة انتهزوها وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم.

فأرسلوا إلى قريش وغطفان:

إنا والله ما نقاتل معكم حتى تعطونا رهنًا.

فأبوا عليهم، وخذل اللَّه بينهم، وبعث اللَّه الريح في ليلة شاتية شديدة البر، فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم.

❁ ❁ ❁

قال حذيفة بن اليمان:

وفيما نحن صافّون قعود، وأبو سفيان ومن معه فوقنا، وقريظة اليهود أسفل منا، نخافهم على ذرارينا، وما أتت علينا ليلة قط أشد بردًا ولا أشد ريحًا منها في أصوات ريحها أمثال الصواعق، وفي ظلمة ما يرى أحدنا إصبعه، فجعل المنافقون يستأذنون النبي ﷺ ويقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة، فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له، ويأذن لهم ويتسللون، ونحن ثلاثمائة ونحو ذلك.

وكان رسول اللَّه ﷺ قد انتهى إليه ما اختلف من أمر أعدائه، وما فرّق اللَّه من جمعهم، وما فعله نعيم بن مسعود؛ فقام ﷺ يصلّي هويّا من الليل.

ثم استقبلَنا رسول اللَّه ﷺ رجلاً رجلاً وهو يقول: «**مَن رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع** -فشرط له رسول اللَّه ﷺ الرجعة- **أسأل اللَّه أن يكون رفيقي في الجنة**».

فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع والبرد، فلما لم يقم أحد دعاني، فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني، فقال: «**يا حذيفة اذهب فادخل في القوم، فانظر ماذا يفعلون، ولا تذعرهم عليّ، ولا تحدثن شيئًا حتى تأتينا**».

قال حذيفة: فمضيت كأنما أمشي في حَمّام، حتى أتيتهم، والريح وجنود اللَّه تفعل بهم ما تفعل لا تُقرّ لهم قِدرًا ولا نارًا ولا بناء. فإذا أبو سفيان يُصْلى ظهره

بالنار. فوضعتُ سهمًا في كبد قوسي وأردت أن أرميه، ثم ذكرت قول النبي ﷺ: «**لا تُذعرهم علي**»، ولو رميته لأصبته. ثم قام أبو سفيان فقال:

يا معشر قريش لينظر امرؤ مَن جليسه!

قال حذيفة: فأخذتُ بيد الرجل الذي كان إلى جنبي فقلت:

من أنت؟

قال: فلان ابن فلان.

ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكُراع والخف، وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون. ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل.

ثم قام إلى جمله وهو معقول، فجلس عليه، ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول اللّه ﷺ إلي «**لا تُحدث شيئا حتى تأتيني**» لقتلته بسهم.

قال حذيفة: فرجعت كأنما أمشي في حمّام، فأتيت رسول اللّه ﷺ، فأصابني البرد حين رجعت وقررت، فأخبرت رسول اللّه ﷺ أني تركتهم يرتحلون، وألبسني من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها، فلم أبرح نائما حتى الصبح، فلما أن أصبحت قال رسول اللّه ﷺ: «**قم يا نومان**»!

فلما رحلتْ قريش ورحلت بعدهم غطفان وانصرف أهل الخندق عن الخندق، قال رسول اللّه ﷺ: «**لن تغزوكم قريش بعد عامكم، ولكنكم تغزونهم**»، فكان ﷺ يغزوهم بعد ذلك حتى فتح اللّه عليه مكة.

ولما أصبح رسول اللّه ﷺ انصرف عن الخندق راجعًا إلى المدينة والمسلمون

ووضعوا السلاح، فلما كانت الظهر أتى جبريل رسول اللَّه ﷺ فقال: إن اللَّه يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة، فأمر رسول اللَّه ﷺ مؤذنًا فأذن في الناس: «**منْ كان سامعًا مطيعًا فلا يُصلينَّ العصر إلا في بني قريظة**».

وقدَّم رسول اللَّه ﷺ عليّ بن أبي طالب ومعه رايته، وابتدرها الناس. فلما رأى عليٌّ بن أبي طالب رسول اللَّه ﷺ مقبلاً تلقاه وقال:

ارجع يا رسول الله، فإن اللَّه كافيك اليهود (وكان عليّ قد سمع منهم قولاً سيئًا لرسول اللَّه ﷺ وأزواجه رضي الله عنهن، فكره أن يسمع ذلك رسول اللَّه ﷺ).

فقال رسول اللَّه ﷺ: «**لمَ تأمرني بالرجوع؟**» فكتمه ما سمع منهم فقال: أظنك سمعت فيَّ منهم أذى، فامض فإن أعداء اللَّه لو رأوني لم يقولوا شيئًا مما سمعت.

فلما نزل رسول اللَّه ﷺ بحصنهم، وكانوا في أعلاه، أمر أصحابه أن يستروه بالجُحف، ونادى بأعلى صوته نفرًا من أشرافهم، حتى أسمعهم فقال: «**يا إخوة القردة والخنازير**» (يشير إلى ما اشتهر من وقوع المسخ فيهم ما لم يحفظوا السبت).

فقالوا: يا أبا القاسم لم تكن فحاشًا.

فحاصرهم رسول اللَّه ﷺ، ونزل على بئر من آبار بني قريظة من ناحية أموالهم يقال لها بئر أنى، فحاصرهم خمسًا وعشرين ليلة، حتى جهدهم الحصار، وقذف في قلوبهم الرعب. وقد كان حيي بن أخطب دخل معهم حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان، وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه. فلما أيقنوا أن رسول اللَّه ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد:

يا معشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني عارض عليكم خلالاً ثلاثًا، فخذوا بما شئتم منها.

قالوا: وما هن؟

قال: نتابع هذا الرجل ونصدقه، فوالله لقد تبين لكم أنه لنبيٌّ مرسل، وأنه للَذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون به على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم.

قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبدًا، ولا نستبدل به غيره.

قال: فإذا أبيتم عليَّ هذه، فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين بالسيوف، لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم اللَّه بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك، ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه، وإن نظهر فلعمري لنجدن النساء والأبناء.

قالوا: أنقتل هؤلاء المساكين؟ فما خير العيش بعدهم؟

قال: فإن أبيتم عليّ هذه، فالليلة ليلة السبت وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة.

قالوا: أنُفسد سبتنا ونُحدث فيه ما لم يُحدِث فيه من كان قبلنا، إلا من قد علمت فأصابه ما لم يخفَ عنك من المسخ!

فقال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمة ليلة من الدهر حازمًا!

ثم إنهم بعثوا إلى رسول اللَّه ﷺ أن ابعث إلينا أبا لبابه ابن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف (وكانوا حلفاء الأوس)، نستشيره في أمرنا.

فأرسله رسول اللَّه ﷺ. فلما رأوه قام إليه الرجال، وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه، فرقّ لهم، وقالوا:

يا أبا لبابة، أترى أن ننزل على حكم محمد؟

فلما طرق هذا السؤال سمع أبي لبابة، جال فكره فيما يحيط به من ظروف، فذكر ما يجب على المستشار من صدق المشورة لمن يستشيره، وذكر أن بني قريظة كانوا حلفاء قومه، ونظر إلى ما فيه صغارهم ونساؤهم من كرب وذل، ولم يخف عليه مع ذلك أنهم أعداء محاربون كادوا للإسلام، ونقضوا عهدهم مع رسول اللَّه ﷺ وانضموا إلى أعدائه بلا سبب. فصدرت من لسانه كلمة «نعم» جوابًا على سؤالهم. لأنه يعلم أن النزول على حكم النبي ﷺ لا يكون معه إلا ما يرضي الله. وذكر أن نزولهم على حكمه ﷺ تصحبه العقوبة العادلة التي تليق بأمثالهم، فأشار بيده إلى حلقه إنه الذبح!

قال أبو لبابه: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت اللَّه ورسوله.

ثم انطلق أبو لبابة على وجهه، ولم يأت رسول اللَّه ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده وقال:

لا أبرح مكاني حتى يتوب اللَّه عليَّ مما صنعت.

وعاهد اللَّه أن لا أطأ بني قريظة أبدًا، ولا أُرَى في بلد خنت اللَّه ورسوله فيه أبدًا. وأنزل اللَّه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

أقام مرتبطا ست ليال تأتيه امرأته في وقت كل صلاة فتُحله حتى يتوضأ ويصلي، ثم يرتبط حتى نزلت توبته في قوله تعالى ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ثم أن اللَّه أنزل توبته على رسوله من آخر الليل وهو في بيت أم سلمة، فجعل يبتسم، فسألته أم سلمة، فأخبرها بتوبة اللَّه على أبي لبابة، فاستأذنته أن تبشره فأذن لها، فخرجت فبشرته، فثار الناس إليه يبشرونه، وأرادوا أن يحلوه من رباطه فقال:

والله لا يحلني منه إلا رسول اللّٰه ﷺ.

فلما خرج رسول اللّٰه ﷺ إلى صلاة الفجر، حله من رباطه، ﷺ وأرضاه.

ولما أصبح اليهود بعد اجتماعهم بأبي لبابة، نزلوا على حكم رسول اللّٰه ﷺ، فتواثبت الأوس فقالوا:

يا رسول اللّٰه إنهم كانوا موالينا دون الخزرج، وقد فعلتَ في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت (يعنون عفوه عن بني قينقاع حين سأله فيهم عبد اللّٰه بن أبيّ)، فقال رسول اللّٰه ﷺ: «**يا معشر الأوس، ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟**».

قالوا: بلى.

قال: فذلك إلى سعد بن معاذ.

وكان رسول اللّٰه ﷺ قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها رفيدة في مسجده، وكانت تداوي الجرحى، فلما حكّمه في بني قريظة، أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطأوا له بوسادة من أدم، وكان رجلاً جسيمًا جميلاً، ثم أقبلوا معه إلى رسول اللّٰه ﷺ وهم يقولون:

يا أبا عمرو، أحسن في مواليك، فإن رسول اللّٰه ﷺ إنما ولاك ذلك لتُحسن فيهم.

فلما أكثروا عليه قال: قد آن لسعد لا تأخذه في اللّٰه لومة لائم.

فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل، فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد، عن كلمته التي سمع منه. فلما انتهى سعد إلى رسول اللّٰه ﷺ والمسلمين، قال رسول اللّٰه ﷺ: «**قوموا إلى سيدكم**».

فقاموا إليه فقالوا: يا أبا عمرو، إن رسول اللّٰه ﷺ قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم.

فقال سعد: عليكم عهد اللّه وميثاقه أن الحكم فيهم لما حكمت؟

قالوا: نعم.

قال: وعلى من هاهنا؟ (في الناحية التي فيها رسول اللّه ﷺ، وهو معرض عن رسول اللّه ﷺ إجلالاً له).

فقال رسول اللّه ﷺ: «**نعم**».

قال سعد: فإني أحكم فيهم أن يُقتل الرجال، وتُقسم الأموال، وتُسبى الذراري والنساء.

فقال النبي ﷺ: «**لقد حكمتَ فيهم بحكم اللّه وحكم رسوله**».

ثم دعا سعد فقال: اللهم إن كنتَ أبقيت على نبيك من حرب قريش شيئًا فأبقني لها، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك.

فانفجر كَلْمُهُ، وكان قد بريء، حتى لا يُرى منه إلا مثل الخرص، ورجع إلى قبته التي ضرب عليه رسول اللّه ﷺ. قالت عائشة: فحضره رسول اللّه ﷺ وأبو بكر وعمر. قالت: فو الذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي، وكانوا كما قال اللّه ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾.

قال علقمة: فقلت يا أمَّه، فكيف كان رسول اللّه ﷺ يصنع؟

قالت: كانت عينه لا تدمع على أحد، ولكنه كان إذا وَجد فإنما هو آخذ بلحيته.

ثم استُنزل بنو قريظة، فحبسهم رسول اللّه ﷺ بالمدينة في دار بنت الحارث - امرأة من بني النجار-، ثم خرج ﷺ إلى سوق المدينة فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم، فخُرج بهم إليه أرسالاً، وفيهم عدو اللّه حيي بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم، وهم ستمائة أو سبعمائة، فضرب أعناقهم في تلك الخنادق.

وأتي بحيي بن أخطب مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، ولما نظر إلى رسول اللَّه ﷺ قال:

أما والله ما لمت نفسي في عداوتك، ولكنه من يخذل اللَّه يُخذل.

ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر وملحمة كتبها اللَّه على بني إسرائيل.

ثم جلس، فضُربت عنقه، فقال جبل بن جوّال الثعلبي:

لعمرك ما لامَ ابنُ أخطب نفسه ولكنه من يخذل اللَّه يُخذل

التجديد في الأدب

التجديد في الأدب إنما يكون من طريقتين:

فأما واحدة؛ فإبداع الأديب الحيّ في آثار تفكيره بما يخلق من الصور الجديدة في اللغة والبيان.

وأما الأخرى؛ فإبداع الحي في آثار الميت بما يتناولها به من مذاهب النقد المستحدثة، وأساليب الفن الجديدة.

وفي الإبداع الأول إيجاد ما لم يوجد، وفي الثاني إتمام ما لم يتمّ.

فلا جرم كانت فيهما معًا حقيقة التجديد بكل معانيها؛ ولا تجديد إلا من ثمة، فلا جديد إلا مع القديم.

الرافعي

الحديقة

مجموعة أدب بارع، وحكمة بليغة

الجزء الثاني عشر

انتقاها

الكاتب الإسلامي الكبير

محب الدين الخطيب رحمه الله

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى اللَّه وسلم على سيدنا محمد.

وبعد؛ فإن التيسير من اللَّه دليل الرضا، وقد لقيتُ من تيسير اللَّه ﷻ في جمع هذه المجموعة، ونشر أجزائها، وإقبال القراء عليها في جميع الأقطار العربية والأوطان الإسلامية، ما أوجب عليّ حمده على هذه النعمة، مضافة إلى سائر نعمه التي لا نستطيع إحصاءها، وأن أدناها منا هذه الأنفاس التي نحيا بها، فالحمد لله أولاً وآخرًا وفي كل حال.

غرة رجب ١٣٥٣

محب الدين الخطيب

عمر بن عبد العزيز
عجزت أمم الأرض أن تجيء بمثله(١)

كان عمر بن عبد العزيز -قبل ولايته الخلافة- يتألم من انصراف بعض قادة الأمة إلى نزعات الهوى، ويقول:

الوليد بالشام، والحجاج بالعراق، ومحمد بن يوسف -(أخو الحجاج)- باليمن، وعثمان بن حيان بالحجاز، وقرة بن شريك بمصر، ويزيد بن أبي مسلم بالمغرب، امتلأت الأرض والله جورًا!

فلما آلت إليه الخلافة كان أول ما بدأ به عهده -بعد دفن الخليفة سليمان بن عبد الملك- المبادرة إلى إصلاح القيادة، فدعا بدواة وقرطاس عقب دفن سليمان، فكتب ثلاثة كتب لم يسعه فيما بينه وبين اللّه ﷻ أن يؤخرها لحظة، وأمضاها من فوره، والناس في عجب من كتابته إياها في تلك الساعة، فجعلوا يقولون:

ما هذه العجلة؟ أما كان يصبر حتى يرجع إلى منزله؟ هذا حب السلطان! هذا الذي يقول إنه كاره لما دخل فيه..

---

(١) كان من نصيب مؤلف «الحديقة» أن يكون أول ناشر لسيرة خليفة اللّه على عباده في أرضه: عمر بن عبد العزيز، فنشر قبل نحو ربع قرن سيرته التي ألفها المرشد الناصح الكبير أبو الفرج بن الجوزي. ثم نشر صديقنا الأديب الضليع السيد أحمد عبيد الدمشقي «سيرة عمر»، التي ألفها الإمام الكبير ابن عبد الحكم تلميذ إمام دار الهجرة مالك بن أنس. وقد تأخرنا في اقتطاف شيء من هذه السيرة العظيمة في أجزاء الحديقة السابقة، فتذكرنا هذا الواجب الآن عندما نشر صديقنا الأستاذ إبراهيم حسن محمد خطاب مقالة عنه في السنة الخامسة من «مجلة الشبان المسلمين».

ولم يكن بعمر عجلة، ولا محبة لما صار إليه، ولكنه حاسب نفسه، ورأى أن تأخير ذلك ساعة مضر بالرعية، وربما أهدر ظلم الولاة دماء بريئة، أو ربما أضاعوا في تلك الساعة على الناس شيئًا كثيرًا من الحقوق.

أما كتابه الأول؛ فكان لمسلمة بن عبد الملك، يأمره بالعودة وفك الحصار عن القسطنطينية، وقد كان أخوه -سليمان بن عبد الملك- أمره بغزوها برًّا وبحرًا، وأوشك على فتحها، ثم خدع حتى أحرز المحاصرون طعامهم وحوائجهم ثم أغلقوها دونه، فبلغ ذلك الخليفة سليمان، فغضب عليه، وحلف ألا يعيده منها ما دام حيًّا، فاشتد على جيش المسلمين المقام هناك من الجهد والجوع، فلما ولي عمر رأي أن لا يؤخرهم ساعة.

وأما الكتاب الثاني؛ فكان بعزل أسامة بن زيد عن ولاية مصر، وأمر به أن يُحبس ويُقيد، ويُحل عنه القيد عند كل صلاة، ثم يُرد في القيد، وكان أسامة ظالمًا غاشمًا مسرفًا في العقوبات، فحُبس بمصر سنة، ثم نُقل إلى فلسطين فحُبس بها سنة، ثم مات عمر وولي يزيد بن عبد الملك، فأطلقه ورده إلى ولاية مصر!

وأما الكتاب الثالث؛ فكان بعزل يزيد بن أبي مسلم عن المغرب، وكان جبارًا يأمر القوم فيكونوا بين يديه يُعذبون وهو يقول: سبحان اللَّه والحمد لله، شد يا غلام موضع كذا وكذا (لبعض مواضع العذاب)، فكانت حالته موجبة للمبادرة بعزله؛ إراحة لخلق اللَّه من شره..

كتب كتبه الثلاثة، ثم عاد فقُربت إليه ركائب الخلافة، فقال لغلامه مزاحم:

ضم هذه الركائب إلى بيت مال المسلمين.

وفعل كذلك بالسرادقات وبالفرش وبالوطاء وبالطيب حين قدموها إليه، ولم يشأ أن يقيم في دار الخلافة -وكانت تسمى (الخضراء)-، وتقع باتصال حائط

القبلة من مسجد بني أمية، وتمتد إلى سوق السلاح والبزورية، ويدخل فيها من الأماكن القائمة الآن قصر أسعد باشا العظم والقباقيبية، والمصبغة التي لا تزال تدعى إلى الآن باسم (الخضراء)، فعدل عن دار الخلافة هذه إلى دار صغيرة متصلة بالحائط الشمالي من مسجد بني أمية، وهي التي أقيم عليها فيما بعد مدرسة الشميصاتية.

وخطب الناس على منبر مسجد بني أمية في دمشق عقب ولايته، فكان مما يقوله في خطبه:

أيها الناس، ليس بعد نبيكم نبي، وليس بعد الكتاب الذي أُنزل عليكم كتاب؛ فما أحل اللَّه على لسان نبيه فهو حلال إلى يوم القيامة، وما حرم اللَّه على لسان نبيه فهو حرام إلى يوم القيامة.

ألا إني لست بقاضٍ وإنما أنا مُنفذ، ولست بمبتدعٍ ولكني متبع، لست بخيركم وإنما أنا رجل منكم إلا أني أثقلكم حملاً.

يا أيها الناس، إن أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم.

أيها الناس، الحقوا ببلادكم فإني أنساكم عندي وأذكركم ببلادكم، ألا وإني قد استعملت عليكم رجالاً لا أقول هم خياركم، ألا فمن ظلمه إمامه مظلمة فلا إذن له علي.

ألا لا سلامة لامرئ في خلاف السنة، ولا طاعة لمخلوق في معصية الله، ألا وإنكم تعدون الهارب من ظلم إمامه عاصيًا، ألا وأن أولاهما بالمعصية الإمام الظالم.

إنه لحبيب إليّ أن أوفر أموالكم وأعراضكم إلا بحقها ولا قوة إلا بالله.

أيها الناس، عليكم بتقوى الله، فإن تقوى الله، خلف من كل شيء.

وقد كان قبلي ولاة تشترون مودتهم بأن تدفعوا بذلك ظلمهم عنكم.

أيها الناس، إني لست بخازن، ولكني أضع الشيء حيث أمرت، ألا ولا طاعة لمخلوق في معصية الله، أقول قولي هذا، وأستغفر اللَّه العظيم لي ولكم.

وكان من عادة الخليفة الجديد أن يأمر عند ولايته بصرف عطاء عظيم للجند وأمراء البيت المالك، فكان ما أمر به عمر للأمراء يسيرًا جدًّا، لا يساوي ما يعطى عادة لغلمانهم.

فلما رأى وزراء الخليفة الماضي سليمان ما جنح إليه الخليفة الجديد من التقشف والزهد، عقدوا اجتماعًا تذاكروا فيه هذا الأمر، وقالوا: أما الركائب والسرادقات والحجر والشوار والوطاء فليس فيه رجاء بعد، وبقيت الجواري نعرضهن عليه، فعسى أن يكون ما تريدون فيهن، فإن كان وإلا فلا طمع لكم عنده.

فأتي بالجواري، فُعرضن عليه كأمثال الدمى، فلما نظر إليهن جعل يسألهن واحدة واحدة:

من أنتِ؟ ومن أين أتيتِ؟

فتخبره بقصتها، فيأمر بردها إلى أهلها، فحُملن إلى بلادهن، ولم يؤخر منهن واحدة. فلما رأى الوزراء ذلك يئسوا منه، وعلموا أنه سيحمل الناس على الحق..

ثم احتجب عن الناس ثلاثة أيام لا يدخل عليه أحد، ووجوه بني أمية وأشراف العرب وأمراء الأجناد ببابه ينتظرونه، فلما خرج إليهم، قام الناس بين يديه كعادتهم في إجلال الخلفاء قبله، فقال لهم:

يا معشر الناس، إن تقوموا نقم، وإن تقعدوا نقعد، فإنما يقوم الناس لرب

العالمين. إن اللّه فرض فرائض وسن سننًا، فمن أخذ بها لحق، ومن تركها محق، فمن أراد أن يصحبنا فليصحبنا بخمس:

يوصل إلينا حاجة من لا تصل إلينا حاجته، ويدلنا من العدل إلى ما لا نهتدي إليه، ويكون عونًا لنا على الحق، ويؤدي الأمانة إلينا وإلى الناس، ولا يغتب عندنا أحدًا. ومن لم يفعل فهو في حرج من صحبتنا والدخول علينا.

ثم أمر الحرس إذا خرج إليهم أن لا يقوموا له، وقال لهم:

لا تبتدئوني بالسلام، إنما السلام علينا لكم.

ثم بدأ يتفرغ لتدبير شؤون الدولة، لا يؤخر عمل اليوم للغد، حتى أرهق نفسه وأضر بصحته. فقال له بعض إخوته:

يا أمير المؤمنين، هلا ركبت فتروحت؟

قال: فمن يجزئ عني عمل ذلك اليوم؟

قال: تجزئه من الغد.

قال: فدَحنى عمل يوم واحد، فكيف إذا اجتمع عليَّ عمل يومين؟!

قيل له: فإن سليمان قد كان يركب وينتعش ويجزئ عمله.

قال عمر: ولا يوم واحد من الدنيا ما أجزأه سليمان.

ثم بدأ هذا الخليفة العظيم برد المظالم إلى أهلها، فأول ما بدأ به الخروج من ماله، فرده في مال المسلمين، وخرق سجلات مزارعه، حتى انتهى إلى مزرعة خيبر، فسأل عنها من أين كانت لأبيه؟ قيل له:

إنها كانت في نخل رسول اللّه ﷺ، فتركها رسول اللّه ﷺ فيئًا للمسلمين، ثم صارت إلى مروان، فأعطاها مروان أباك.

فخرق عمر سجلها، وقال: أتركها حيث تركها رسول اللَّه ﷺ، ولم يُبق إلا مزرعة السويداء؛ لأنها كما قال رحمه الله: (ما من شيء إلا رددته في مال المسلمين إلا العين التي بالسويداء. فإنها كانت أرض براح ليس فيها لأحد ضربة سوط، فأصلحتها من صُلب عطائي الذي يُجمع لي مع جماعة المسلمين). وكانت تلك المزرعة تنتج من المحصول ما يقدر ثمنه بمائتي دينار في السنة، يخرج زكاتها ويتصدق ببعض الباقي، ثم يعطي ما بقي للذي يقوم على نفقة أهله، ويقول له:

خذ هذا الذهب فأنفقه على عيالنا إلى أن يخرج لي عطائي مع المسلمين، أو يقضي اللَّه قبل ذلك.

وبعد أن بدأ بنفسه ونزل عن أملاكه للمسلمين تحول إلى المظالم يردها، ولبني أمية يستخلص منهم كل ما ملكوه بغير حق، ويقتر عليهم في العطاء.

كان الوليد بن عبد الملك قد أقطع ابنًا له يقال له (روح) حوانيت بحمص، فلما ولي عمر بن عبد العزيز جاءه نفر من أهل حمص يطالبون روحًا بالحوانيت، وأقاموا البينة، فقال لروح:

خل لهم حوانيتهم؟

فقال: ولكن هي معي بسجل الوليد.

قال عمر: وما يغني عنك سجل الوليد والحوانيت حوانيتهم؟

قد قامت لهم البينة عليها، خل لهم حوانيتهم.

فلما خرج روح توعد أحدهم، فرجع الحمصي إلى عمر، فقال:

هو يتوعدني يا أمير المؤمنين.

فقال عمر لكعب بن حامد (رئيس حرسه):

اخرج إليه، فإن سلم الحوانيت فذلك، وإن لم يفعل فأتني برأسه، فبادر بعض من سمع ذلك ممن يعنيه أمر روح بن الوليد، فحذره من الذي أمر به عمر.

وكان سليمان بن عبد الملك قد أمر قبل وفاته بعشرين ألف دينار لعنبسة بن سعيد بن العاص، فدارت الورقة في الدواوين، حتى انتهت إلى ديوان الختم، فلم يبق إلا قبضها، فتوفي سليمان قبل أن يقبضها عنبسة، وكان عنبسة صديقًا لعمر بن عبد العزيز قبل الخلافة، فلما جاء يريد التكلم معه فيما أمر له بن سليمان، وجد بني أمية حضورًا بالباب يريدون مقابلته ليكلموه في أمورهم، فلما رأوا عنبسة قالوا: ننظر ما يصنع معه قبل أن نكلمه، ثم قالوا لعنبسة:

أعلم أمير المؤمنين بوجودنا، وأعلمنا ما يصنع في مسألتك، فدخل عنبسة، فقال: يا أمير المؤمنين: إن أمير المؤمنين سليمان كان قد أمر لي بعشرين ألف دينار حتى انتهت إلى ديوان الختم ولم يبق إلا قبضتها، فتوفى على ذلك، وأمير المؤمنين أولى بإتمام الصنيعة، وما بيني وبينه أعظم مما كان بيني وبين أمير المؤمنين سليمان.

فقال له عمر: كم ذلك؟

قال: عشرون ألف دينار.

فقال عمر: عشرون ألف دينار تغني أربعة آلاف بيت من المسلمين، وأدفعها إلى رجل واحد! ما لي إلى ذلك من سبيل.

قال عنبسة: فخرجت فأعلمت بني أمية بما كان منه، فقالوا لي: ادخل عليه أعلمه بأننا نعتب عليه أن بعث إلينا بعشرة آلاف دينار، فما خص الواحد منا فيها سوى عشرة دنانير.

وقال يزيد بن عبد الملك -(ولي العهد)- وكان حاضرًا معهم:

كأنه يظن أني لا أكون من بعده!

فدخل عنبسة وأخبره بمقالهم، فقال:

أجل لقد قسمتها فيهم والله، وقد ندمت عليها أن لا أكون منعتهم منها، فكانت كافية أربعة آلاف بيت من المسلمين، فخرج عنبسة وأعلمهم بخبره، ثم قال لهم:

يا بني أمية زوجتم صاحبكم -(يقصد أباه عبد العزيز بن مروان)- بنت عمر بن الخطاب، فجاءتكم بعمر ملفوفًا في ثيابه، فلا تلوموا إلا أنفسكم.

ولقد بلغ الأمر بعمر بن عبد العزيز في الضن بمال المسلمين أن ينفق إلا على المسلمين، أو ما ينفع المسلمين أنه اكتفى من اللباس بثوب واحد.

ولقد حدث مرة أنه أبطأ عن الجمعة قليلاً، فعوتب في ذلك، فقال: إنما انتظرت قميصي وقد غسلته أن يجف.

ودخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز في مرضه، فقال لفاطمة زوجة عمر وهي أخت مسلمة:

ألا تغسلون قميصه؟

قالت: والله ما له غيره، وإن غسلناه بقي لا قميص له.

وأتاه رجل بتفاحات فأبى أن يقبلها، فقيل له:

كان رسول اللَّه ﷺ يقبل الهدية.

فقال عمر: هي لرسول اللَّه ﷺ هدية، وهي لنا رشوة، ودخل عليه ابن أبي زكريا، فقال:

يا أمير المؤمنين إني أريد أن أكلمك بشيء؟

قال: قل.

قال: بلغني أنك ترزق العامل من عمالك (أي ولاة الأمصار وأمراء الأقطار) ثلاثمائة دينار؟

قال: نعم، قال: ولم ذلك؟ قال: أردت أن أغنيهم عن الخيانة.

قال: فأنت يا أمير المؤمنين أولى بذلك.

فأخرج ذراعه، وقال: يا ابن أبي زكريا، إن هذا نبت من الفيء (الخراج والغنيمة) ولست معيدًا إليه منه شيئًا.

وقال لزوجته -فاطمة بنت عبد الملك-: قد علمت حال هذه الجواهر (حليها)، وما صنع فيه أبوك، ومن أين أصابه، فهل لك أن أجعله في تابوت، ثم أطبع عليه، وأجعله في أقصى بيت مال المسلمين، وأنفق ما أردته، فإن احتجت إليه أنفقه، وإن مت قبل ذلك فلعمري ليردنه إليك.

قالت له: افعل ما شئت.

ففعل، ولكنه مات ولم يصل إليه، فرده عليها أخوها الخليفة يزيد بن عبد الملك، فامتنعت عن أخذه، فقسمه بين نسائه ونساء بيته.

شمم العرب

دخل عمارة بن حمزة على أمير المؤمنين -المنصور- وقعد في مجلسه وكان ذا عزة وثروة ونفس أبية، فقام رجل وقال:

مظلوم يا أمير المؤمنين.

قال: من ظلمك؟

قال: عمارة بن حمزة غصبني ضيعتي.

فقال المنصور: يا عمارة قم فاقعد مع خصمك.

فقال: يا أمير المؤمنين ما هو لي بخصم، إن كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها، وإن كانت لي فقد وهبتها له، ولا أنزل عن مقام شرفني به أمير المؤمنين لأجل ضيعة.

الدين

حق العلاء لأنفس طهرت ... عنها تناءى الفحش والفندُ
لبست دثار العلم وادرعت ... بالدين، فهو لمجدها عمدُ
فالدين لولاه لما انقطعت ... عن عقل هذا العالم العقدُ
ولما استقام لأمرهم عوج ... ولما أقيم لميلهم أودُ
ولأنجدوا بعلوهم غطش[1] ... ولأتهموا يجنوهم الرشدُ

مصطفى الغلاييني

(١) ظلام.

نكبة فلسطين

في حمى الحق، ومن حول (الحرم) أمة تؤذى، وشعب يُهتضم
فزع (القدس) وضجت (مكة) وبكت (يثرب) من فرط الألم
ومضى الظلم خليًّا ناعمًا يسحب البُردين من نار ودم
يأخذ الأرواح ما يعصمها معقل الحق إذا ما تعتصم
ويرى الناس إذا أعجبه أن يبيدوا كأقاطيع البَهم
بعثته شهوة وحشية تتلظى مثل أجواف الأطم
ما تبالي إن مضت ويلاتها ما أصابت من شعوب وأمم
أهون الأشياء في شرعتها أمة تُمحى، وشعب يُلتهم
هي من روح الدهاقين الألى نشروا النور، وطاحوا بالظلم
أنقذوا العالم من أرجائه للأوالي من قبور ورمم
فإذا الدنيا جمال يُجتنى وإذا العيش سلام يُغتنم
زينوها قصة ناعقة زينت الناس مكروه الصمم
كشف التجريب عن سوآتها ومضت عارية ما تحتشم

❊ ❊ ❊

أفسدوا العالم مما عبثوا بالدساتير القدامى والنظم
نفض الأرسان، واستن العمى فهو يمضي جامحًا، أو يرتطم
سلبوه العقل مما عربدوا وسقوه من خيال ولمم
الحياة البغي، والدين الهوى والضعيف الخصم، والسيف الحكم
زمن تصدق إن سمّيته زمن (الطاغوت) أو عصر (الصنم)

❊ ❊ ❊

يا (فلسطين) اصطليها نكبة هاجها للقوم عهد مضطرم
واشهديه في حماهم مأتمًا لو رعوا للضعف حقًّا لم يقم
واشربي كأسك مما عصروا من زعاف حائل في كل فم
اذكري يومك في أفيائهم ودعى الأمس، فما يغني الندم
آية للبغي، من أسمائها حكمة الأقدار، أو عدل القسم
اكشفيها غمة ليس لها من كفاء غير كشاف الغمم
الجهاد الحر يقضي حقه سؤدد العُرب، ويحميه (العلم)
لا تنامي للعوادي، وادأبي واذهبي طامحة في المزدحم
ليس بالمدرك حقًّا غافل نام، والأحداث يقظى لم تنم

❁ ❁ ❁

في فؤادي جرحك الدامي وفي كبدي ما فيك من حزن وهم
كم صريع لك في أشلائه مصرع القربى، وأشلاء الرحم
فجعوني فيه بابنٍ صالح وأخٍ حر السجايا، وابن عم
(شهداء الحق) ماتوا دونه وهو حي العز موفور الشمم
واشتروه بنفوس حرة بذلوها من سخاء وكرم
نهض الملك على أمثالها واستتب الأمر فيه وانتظم
إن رسا البنيان يومًا، أو سما فهي الأركان فيه والدعم
ذهبوا للشرق في مأتمهم مرح الخالي، وبشر المبتسم
سره أن هب من أبنائه قضب الهند، وآساد الأجم
وانتضى من بين جنبيه الأسى ما انتضى العدوان من تلك الهمم
همم الأحرار تحمي وطنًا عربيًّا، سيم خسفًا وظلم
باعه ذئب لذئب غيلة فهو للذئبين نهب مقتسم

تـنـزع الأرزاق مـن أبـنـائـه ... وتسل الأرض من فرط النهم
يرهق القوم، فإن هم غضبوا ... راحت الأرواح منهم تُخترم
أخـذتـهـم لـلأذى عـاصـفـة ... هاجها البغي، فهبت من أمم
وارتمت هوجاء، ما يردعها ... فاجع الثكل، ولا عادى اليتم
عصفت ظمأى إلى آجالهم ... فـتـروت مـن شـبـاب وهـرم
وأراهـا مـن تـلـظـي جـوفـهـا ... تتداعى كالشواظ المحتدم
تتمنى من تباريح الصدى ... لو يكون الدم كالبحر الخضم

❀ ❀ ❀

(شعب إسرائيل) ما نال الألى ... حفظوا العهد، وبروا بالقسم؟
ذكروكم، ونسوا ما عقدوا ... لـسـواكـم مـن عـهـود وذمـم
اذكروا (بلفور) في (تلمودكم) ... واغفروا اليوم (لعيسى) ما اجترم
واسألوا (موسى) أطابت نفسه ... أم أبى ما كان منكم فنقم؟
ليس من مال عن الحق كمن ... جـعـل الحق سـبـيـلاً يُلـتـزم
هدم (التيه) قديمًا ملككم ... فبنى (بلفور) منه ما هدم
أبت الأرض، فكنتم شعثًا ... طائرًا في كل وادٍ ما يُلم
فـرمـى أشـتـاتـكـم فـي وطـن ... راعه منكم بشعب ملتئم
نبئوا الغرقى، وإن لم يسمعوا ... أهو (الطوفان) أم سيل العرم؟

❀ ❀ ❀

(مصر) ناجي من (فلسطين) الربى ... وابعثي صوتك من أعلى (الهرم)
وإذا أعـوز هـمٌّ أو أسـى ... فاستمدي الهم من هذا القلم
وخذي معنى الأسى عنه، فما ... لك من معناه إلا ما نظم
نـبـئـيـهـا أنـنـا مـن وَجـدهـا ... نجد العلقم في العذب الشيم

نشتكي الليل، ويرمينا الأسى ... إن مضى الليل بصبح مدلهم
فكأنا منهما في ملتقى ... نكبة تطغى، وأخرى تستجم
أختك الولهى عناها شجوها ... ودهى أبناءها الخطبُ الملم
فزعت تدعوك في محنتها ... مصر!اجل الخطب! هبي لاجرم
اذكريني - أدركيني- خففي ... ألمي - بوركت من أخت وأم
هد قومي باسم (موسى) ظالم ... لو رأى في القوم (موسى) ما رحم
زعم (التوراة) من أنصاره ... فهي تشكو خطبها مما زعم
هل رأى (الألواح) فاستهدى بما ... جاء فيها من عظات وحكم؟؟
أم تلقى الوحي، أم كان أمرءًا ... جهل الناس جميعًا، وعلم؟؟

❁ ❁ ❁

ربِ هل قدرت ألا ينجلي ... ما أصاب الشرق من خطب عمم؟
عاث فيه القوم، حتى ما له ... حُرمة ترعى، وحق يُحترم
اكشف البأساء، وارحم أممًا ... تتلوى من ملال وسأم
عمل الناس، فسادوا وعلوا ... وهي فوضى، من عبيد وخدم
تحمل الضيم، ولولا أنها ... تحسب الموت حياة لم تضم
ما لنا من هذه الدنيا سوى ... غارة العادي، وعسف المحتكم
ساءنا من شرها ما نجتوي ... وعنانا من أذاها ما نذم
فسئمناها حياة مرة ... ومللناه وجودًا كألم؟
ربِ أنت العون إن طاف بنا ... طائف البغي، وأنت المنتقم
من يجير القوم إن صبحهم ... خطب (عاد) و(ثمود) في القِدم
لا يغرن قويًا جنده ... قوة صرعى، وجند منهزم

أحمد محرم

من كلام نابليون بونابرت

* الصداقة كلمة فارغة من المعنى.

* حيث تكون الحكومة ضعيفة يقبض الجيش على أزمة السلطة.

* الإنسان المخلوق للأعمال والسلطة لا ينظر أبدًا إلى الأشخاص، بل إلى الأشياء وأهميتها ونتائجها.

* الأخلاق الحقيقية تظهر دائمًا في الحوادث الكبيرة.

حِكم وأمثال

حسبك من شرٍ سماعه.

أنفك منك وإن كان أجدع، وساعدك منك وإن كان أقطع.

إذا تم العقل نقص الكلام.

بجيرانها تغلو الديار وترخص.

صديقك من صدَقَك لا من صدَّقك.

شبيه الشيء منجذب إليه.

رب أخ لك لم تلده أمك.

ذكاء المرء محسوب عليه.

صغير الشر يوشك أن يكبر.

ربما كان السكوت جوابًا.

ظاهر العتاب خير من باطن الحقد.

ذر مشكل الكلام وإن كان حقًّا.

لسان الجاهل مفتاح حتفه.

من قال ما لا ينبغي، سمع ما لا يشتهي.

المروءة شيمة الصحراء

كان فارسٌ من العرب يجتاز على جواده بادية اشتد فيها القيظ، وتحولت رمالها إلى مثل الجمر، فلقي في طريقه رجلاً يمشي على قدميه، ينتعل تلك الرمال المحرقة، وبعد أن قطع مسافة ترجل الفارس، ودعا الرجل الماشي إلى ركوب الجواد ليستريح جسمه من التعب الذي ألم به، وكان الماشي لصًّا من لصوص الخيل، فما تمكن من ظهر الجواد حتى عدا به لا يلوي على شيء، فناداه صاحب الجواد وقال له:

لقد وهبتك الجواد، فلن أسأل عنه بعد اليوم، ولكني أطلب منك أن تكتم هذا الأمر عن الناس؛ لئلا ينتشر بين قبائل العرب فلا يغيث القوي الضعيف، ولا يرق الراكب للماشي، فتزول المروءة من هذه الصحراء، فيزول بها أجمل ما فيها.

فلما سمع اللص هذا القول استحى، وأعاد الجواد إلى صاحبه، ولم يرض أن يكون أول داع إلى القضاء على المروءة بين العرب.

سياسة الطب في العصر العباسي

قال ابن ماسويه -رئيس (بيت الحكمة) الذي أنشأه الخليفة المأمون-:

الحقيقة في الطب غاية لا تدرك، والعلاج بما تنصه الكتب دون إعمال الحكيم الماهر رأيه خطر.

ينبغي للطبيب أن يوهم المريض أبدًا الصحة، ويرجيه بها، وإن كان غير واثق بذلك؛ فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس.

من ساءل في مرضه كثيرًا من الأطباء يوشك أن يقع في خطأ كل واحد منهم.

إذا لم يشاهد الطبيب مزاج المريض في حال صحته، لم يعرف قوة مرضه من ضعفه، ولا جرى في علاجه على ما ينبغي.

ينبغي للأطباء أن يتعرفوا أخلاق العليل في حال صحته ومواضع آماله، ثم يصوروها له، ويرجوه فيها وينشطوه إليها.

إن استطاع الطبيب أن يعالج بالأغذية دون الأدوية فقد وافق السعادة.

كنت أحسب فوجدت

كنت أحسب أن الأشخاص ينجحون في حياتهم على أساس من الفضل والعلم، فوجدت أن هناك أشياء أخرى ألزم للرقي، وهي أبعد ما تكون عن الفضل والعلم!

وكنت أحسب أن الوفاء بين المتعلمين، فوجدت أن اتساع رقعة المطامع لديهم لا تمكن للوفاء، ولا تمهد للعطف!

وكنت أحسب المروءة بين القادرين من ذوي الغنى والجاه، فوجدت المروءة بينهم تمثل دور السلع والدراهم بين طائفة التجار.

فمن عجز عن أن يكون ذا يد فلا أمل له في يد تُبسط لمعونته!

أكثر الناس قولاً أقلهم فعلاً وأعجزهم عن القيام بالعمل العظيم!

وكنت أحسب الكذب والنفاق والغش من صفات الجاهلين، فوجدت أن هذه وغيرها ملك شائع يتناول منه الناس على اختلاف مشاربهم، وألا شأن لغير النفوس في الاقتصاد منها والغلو فيها، وأن في رأى أبي نواس بعض الصدق حين يقول:

لا ترجع الأنفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر!

وهكذا ولجتُ الحياة، وسرت في موكبها، فتغير كثير مما وقر في النفس الساذجة. وما الحياة إلا مجموعة من الحوادث مثلها الناس أنفسهم، ويستفيد منها كل امريء بمقدار من استعداده ودرجة تفكيره، ذلك ما يسمونه تجارب الزمان.

عبد الوكيل جابر

من كلام ابن المقفع

إن العاقل لا يخفى فضله وإن هو أخفاه، كالمسك الذي يُكتم ثم لا يمنعه ذلك من النشر الطيب، والأرج الفائح.

لا يزال الإنسان مستمرًا في إقباله ما لم يعثر، فإذا عثر لج العثار، وإن مشى في جدد من الأرض.

قارب عدوك بعض المقاربة لتنال حاجتك، ولا تقاربه كل المقاربة فيجتريء عليك.

الباقي

قال ورقة بن نوفل:

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم ... أنا النذير فلا يغرركم أحدُ
لا تعبدن إلهًا غير خالقكم ... فإن دعيتم فقولوا دونه حددُ
سبحان ذي العرش، لا شيء يعادله ... رب البرية فرد واحد صمدُ
مسخر كل ما تحت السماء له ... لا ينبغي أن يناوي ملكه أحدُ
لم تُغن عن هرمز يومًا خزائنه ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ دان الشعوب له ... والجن والإنس تجري بينها البُردُ
لا شيء مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الإله ويودى المال والولدُ

الأزمة في زمن هشام

دخل أعرابي على هشام بن عبد الملك في زمن ضائقة عم الناس وبالها، فقال له:

يا أمير المؤمنين أتت علينا ثلاثة أعوام: فعام أذاب الشحم، وعام أكل اللحم، وعام انتقى العظم، وعندكم فضول أموال، فإن تكن لله فبثوها في عباد

الله، وإن تكن للناس فلمَ تحجب عنهم، وإن كانت لكم فتصدقوا بها، إن اللَّه يحب المتصدقين.

قال هشام:

هل من حاجة غير هذه يا أعرابي؟

قال: ما ضربت إليك أكباد الإبل: أدرع الهجير، وأخوض الدجى، لخاص دون عام.

فأمر هشام بأموال فُرقت في الناس تخفيفًا لضائقتهم، وأمر للأعرابي بمال فرقه في قومه.

الدعاء

من دعاء النبي ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، ودعاء لا يسمع**»(١).

كان من دعاء أبي الدرداء رضي الله عنه: (اللهم متعنا بخيارنا، وأعنا على شرارنا، واجعلنا خيرًا كلنا).

مر عمر بن عبد العزيز برجل يُسبح بالحصى، فقال له عمر: ألق الحصى وأخلص الدعاء.

قال سعيد بن المسيب: مر بي صلة بن أشيم، فما تمالكت أن نهضت إليه، فقلت له: يا أبا الصهباء ادع اللَّه لي، فقال: رغّبك اللَّه فيما يبقى، وزهّدك فيما

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٢) - بنحوه -.

يفنى؛ ووهب لك اليقين الذي لا تسكن النفس إلا إليه، ولا تُعول في الدين إلا عليه.

قال قوم ليزيد بن أسد:

أطال اللَّه بقاءك، فقال لهم: دعوني أمت وفيّ بقية تبكون بها علي.

سمع رجل بمكة رجلاً يدعو لأمه، فقال له:

ما بال أبيك؟

قال: هو رجل يحتال لنفسه!

قال غيلان:

إذا أرت أن تتعلم الدعاء فاسمع دعاء الأعراب.

إلى النفس الأمارة

نهيتك عن هواك فما انتهيت ... ولكن قد فعلت كما اشتهيت

فيا نفسي عن الشهوات كفي ... فأنت عليك يا نفسي جنيت

وما أمارة بالسوء يومًا ... سعت في المنكرات كما سعيت

إذا ما حلبة الحسنات جاءت ... رأيتك أنت صاحبة السُكيت

فإن أسدى الإله عليك عفوًا ... وإلا يا فَجارِ فقد هويت

الرصافي

أمير المؤمنين وعمته

دخلت أم عمر بنت مروان على ابن أخيها أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، فإذا بين يديه أقراص وشيء من ملح وزيت وهو يتعشى، فقالت:

يا أمير المؤمنين أتيت لحاجة، ثم رأيت أن أبدأ بك قبل حاجتي.

قال: وما ذاك يا عمة؟

قالت: لو اتخذت لك طعاما ألين من هذا؟

قال: لو كان عندي لفعلت.

قالت: يا أمير المؤمنين، كان عمك عبد الملك بن مروان يجري عليّ كذا وكذا، ثم كان أخوك الوليد فزادني، ثم كان أخوك سليمان فزادني، ثم وليت أنت فقطعته عني.

قال: يا عمة، كانوا يعطونك من مال المسلمين، وليس ذلك المال لي فأعطيك، ولكني أعطيك مالي إن شئت.

قالت: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟

قال: مائتا دينار.

قالت: وما يبلغ مني عطاؤك؟

قال: فليس أملك غيره.

فانصرفت.

لا أعود إلى مثلها

دخل زيان بن عبد العزيز على أمير المؤمنين -عمر بن عبد العزيز- فشكا له عمر وقال:

قل نومي هذه الليلة، فاتهمت عشاء تعشيت به.

فقال: وما هو؟

فقال: عدس وبصل.

فقال زيان: لقد وسع اللَّه عليك، وتضيق على نفسك!

فقال عمر: أطلعتك على سري فوجدتك غاشًّا غير ناصح، أما والله لا أعود إلى مثلها أبدًا.

يا شباب الله!

إيـه يــا دهــر تــأن واروِ لـلـمـسـتـضـعـفـيـنَ
فــي خـشـوع كـيـف كـنـا تــاج رأس الـعـالـمـيـنَ
صـف لـنـا كـيـف اسـتـطـعـنـا أن نـسـوس الأرض حـيـنـا
وابـكـنـا أو فـابـك عـنـا واذرف الـدمـع الـسـخـيـنـا
حـدِّثِ الأغـرار مـنـا كـيـف ربـانـا مـحـمـدْ
هـل روى الـتـاريـخ عـنـا غـيـر أفـضـال وسـؤودْ
لـم نـكـن يـومًـا لـئـامًـا نـرهـق الـعـالـم ظـلـمـا

إنما كنا كرامًا ... نملأ الآفاق سلما
قد ملكنا الأرض حينا ... فأحللناها سلاما
مذ تخذنا العدل دينا ... وجعلناه الإماما
ما لنا يا دهر ضعنا ... في ميادين الحياه
ومن الموت جزعنا ... وهو للضارع جاه
ما لنا يا دهر أمسى ... شأننا شأن اليتامى
نشتكي الآلام همسا ... ونرى الجهر حِماما
أثخنونا بالجراح ... ثم قالوا لا تصيحوا
إن في هذا الصياح ... بعض ما يبغي الجريحُ
ويحنا ماذا دهانا ... فاستكنا للرزايا
ويلنا ماذا عرانا ... فاستجبنا للدنايا
يا شباب الله! هيا ... نُحيي مجد المسلمين
نجرع الموت شهيًا ... أو نُرى في الظافرين

أحمد حسن الباقوري

معرض الأفكار

قد أسكت عن بعض الحق، ولكني لا أقول ما ليس بحق.

يسرني رضا الأمة، أكثر من إقبال الدولة.

محمد الخضر حسين

شر الأفكار الدخيلة أخفاها دخولاً، كما أن أكبر الأعداء أخفاهم معاداة.

شيخ الإسلام مصطفى صبري أفندي

كلما أظهر المسلم عواطفه نحو المسلم أقام الغرب القيامة بدعوى أن ذلك هو التعصب الديني، وهو عارف تأثيره على مطامعه الاستعمارية. وعندي أن هذا التعصب الديني الذي بدأ الأغرار ينفضون منه أيديهم هو أول ما يجب علينا احترامه، سواء أغضبَ الغرب أم أرضاه.

سعيد أبو بكر التونسي

وطن وعشيرة

الله أكبر!

هذا هو الوطن الإسلامي العظيم يجمع الأخوة، ويقرب العشيرة على ما بينها من بعد الدار وشط المزار.

وهذا هو الروح الإسلامي القوي يسري في القلوب فيحركها بالود، ويعطفها بالحب، وأن أوثق القربين قرب القلبين.

وهذه كلمة التوحيد تنفذ إلى أعماق السرائر فتجمع الموحدين إلى غاية واحدة، وتنصبهم إلى قبلة واحدة، وتحشدهم تحت لواء واحد وهو لواء القرآن، وترويهم من معين واحد وهو معين الإيمان.

وهؤلاء المسلمون يستيقظون، فإذا هم كعهدهم القديم، إخوة في الله، أعزة بالله، أحبة في ذات الله، لا تحدهم حدود الأرض، و لا تصدهم عقبات

الطريق، ولا تفرقهم فوارق الأمم، ولا تعبد بينهم مآرب الطامعين، ولا تعبث بهم أهواء المتغلبين.

ولسوف يرى الراؤون هذا الدين المبين، وقد ورف ظله على بقاع الدنيا، وضمت أواصره أشتات الإنسان، وانتظمت مبادئه مناخي العالم، لأنه دين الفطرة السليمة، ودين التفكير الحر، ودين المنطق الواضح، ودين المدنية البريئة، ودين الفضيلة المهذبة، ودين الإخاء الشامل الصريح.

الإسلام والعروبة لزيمان لا يفترقان ولو كره المنافقون، حياة أحدهما مرتهنة بحياة صاحبه: لا بقاء للإسلام إلا بالعروبة، ولا بقاء للعروبة إلا بالإسلام؛ هما كجناحي الطائر إذا هيض أحدهما انخفض الآخر، فالقرآن وهو الوحي الإلهي بالدين الإسلامي، لا يبين إلا بالعروبة، ولا يذيع إلا بالعروبة، ولا تنكشف أسراره إلا بالعروبة، ولا ينفذ تأثيره إلا بالعروبة وكل من سوى العرب من المسلمين فهو محسوب بإسلامه على العرب، والعرب جميعًا محسوبون بحياتهم على الإسلام، فهو ملاك قوتهم، ومعقد عزتهم، ومناط وجودهم، ومنار مستقبلهم؛ فإذا ضاع إسلامهم أكلتهم الأمم، ثم هضمتهم خلقًا آخر: لا ميت ولا هو حي، ولا هو شرقي، ولا هو غربي ولا هو شعب ولا هو أمة، بل هو شتيت من الخلق، دخيل منبوذ.

وهذا الشتيت المنبوذ لا يزال يتضع قلة وذلة حتى يفنى فناء لا رجعة منه إلى يوم البعث والنشور، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾.

وأصحابنا الذين ينبذون العروبة إنما يهاجمون الإسلام من بابه الخلفي، لأنهم يئسوا أن يهاجموه من الأمام.

كانوا يهاجمون الإسلام عن طريق العيث الوضيع في كتاب الله، والبهتان القبيح على رسول الله ﷺ، فلما صاح المسلمون في وجوههم صيحة أفقدتهم

كيانهم، هاجموه عن طريق العرب والعروبة، فأنكروا على مصر نسبها العربي، وأنكروا على العروبة أدبها العربي، ونوهوا للناس بالأدب الدخيل ليشغلوهم عن الأدب الأصيل، وفتنوا الصبية والشبان بأسماء طائفة من أبطال الفرنج، وسُواس الفرنج، وكتاب الفرنج، وشعراء الفرنج -فتنوهم بهؤلاء جميعًا عن أعلام العرب والإسلام الذين غيروا رقعة الأرض، ودكوا معالم الظلم، ورفعوا دعائم العمل، وشرعوا مناهج الحكمة، وأجروا مناهل الأدب، وطهروا جوانب الحياة، حتى لقد أصبح نشء العرب المحدثين يعلمون الخفي المستور عن إحدى خليلات نابليون، ولا يعلمون الجلي المشهور عن خديجة أم المؤمنين- بل لقد شغلوهم بمعبودات اليونان والرومان والفراعنة من إله الحب، إلى إله الحرب، إلى إله الطب، إلى أشباه هذا الهذر، وهذا السخف شغلوهم عن إله السماء والأرض، وعما أرسل إلى الناس من نور، وما أنزل عليهم من كتاب.

هذا هو الباب الخلفي -باب العروبة؛ وأدب العروبة- يكسره أعداء الإسلام ليصلوا منه إلى صميم قلب الإسلام، وهو والله أوفى بالقصد وأبلغ بالغرض مما يقوم به جهلة المبشرين فهل يستيقظ العرب؟ وهل ينتبه المسلمون؟

هذه زفرة جاشت بالصدر، وعبرة سالت على القلم حين علمت أن المجاهدين من أبناء الأفغان، وأحفاد المجاهدين الأولين من أبطال العرب والإسلام؛ قد ذكروا أخاهم بالخير في سبيل العرب والإسلام، ولمَ لا يكون أهل الأفغان أغير الناس على العرب وأرعاهم على الإسلام؟

أليسوا هم سلالة الرعيل الأول من حماة الدين الذين سالت دماؤهم الزكية على بطاح مرو وكابل وقندهار؟ هؤلاء هم الذين جاهدوا في اللَّه حق جهاده، وأدوا أمانة اللَّه حق أدائها، ونزحوا في سبيل اللَّه خالصين مخلصين، إلى الطرف الأقصى من ديار الإسلام، وكان اللَّه ورسوله أحب إليهم من أبنائهم،

وأزواجهم، وعشائرهم، وأوطانهم وأموالهم، وهنالك في أرض الهجرة دافعوا الأهوال، واحتملوا الأثقال وصابروا وصبروا، وقاتلوا وقتلوا حتى ظفروا بإحدى الحسنيين، ورحم اللَّه هؤلاء الذين قال فيهم يزيد بن مفرغ:

كم بالجروم وأرض الهند من قَرم   ومن سرابيل قتلى ليتهم قُبروا
بقندهار ومن تُكتب منيته   بقندهار يرجم دونه الخبرُ

وروى اللَّه تراب من يقول:

ليالي مرو الشاهجان وشملنا   جميع سقاك اللَّه صوب عبادِ
سرقناك من ريب الزمان وصرفه   وعين النوى مكحولة برقادِ
تنبه صرف الدهر فاستحدث النوى   وصيرنا شتى بكل بلادِ

بارك اللَّه في الأفغان وأهلها، ورفع إلى أعلى الدرجات روح فقيدها وشهيدها، ورد عنها بغي الباغين وكيد الكائدين.

وعلى ذكر الإسلام يحزنني - والله - ألا يكون للمسلمين صحيفة جامعة تُذيع آلامهم وآمالهم، وتبث شكواهم ونجواهم، وتؤكد ألفتهم وإخاءهم وتنشر الدراسة الإسلامية والثقافة الإسلامية، وترد كيد المبشرين وسخف الملحدين، وتنشر الدعاية الإسلامية في أرجاء العالمين، كل ذلك بينا تجد لليهود والنصارى من ذلك النوع أشتاتًا من الصحف وأكبر همها أن تنشر المقالة السيئة عن الإسلام والمسلمين.

فهل تنشيء جماعة الدفاع عن الإسلام هذه الصحيفة؟ إني والله كبير الأمل في عميدها الكبير وأعضائها الأوفياء للإسلام.

٤٠٤

من كلام المهلب

أناة في عواقبها فوت، أحب إليّ من عجلة في عواقبها ظفر.

لأن أرى لعقل الرجل فضلاً على لسانه، أحب إلي من أن أرى للسانه فضلاً على عقله.

وقال لبنيه: أحسن ثيابكم ما كان على غيركم، وخير دوابكم ما كان تحت رجالكم.

وقيل له: بم نلت هذا الظفر؟ فقال بطاعة الرأي، وعصيان الهوى.

قوة العرب المعطلة

ما ذل الشرق وانقطعت صلته بينبوع قوته، ومادة حياته؛ إلا يوم جهل الناطقون بالضاد قدر أنفسهم، ونسوا رسالتهم العلوية التي كانوا بها ملح الأرض؛ فرفعوا يدهم عن دفة السفينة، وتعطلت ألبابهم عن هداية القافلة؛ وهنالك استعجم الإسلام.

ولا تعود إلى الشرق قوته وحياته، إلا إذا عاد إلى اغتراف إيمانه المحمدي من ينبوعه الأول، من بين الصخور التي انفجرت عن معينه، وصفق عليها برحيقه السلسل؛ ولا يكون ذلك إلا إذا اشتركت في حمل مشعله سواعد العرب، وسمع في حداء قافلته صوت أبناء العرب.

بالإسلام يلم الشرق شعثه، ويستعيد قوته، وتنمو فيه أخلاق الرجولة، ويتأهل لمشاركة الأمم في حمل عبء الحضارة، واحتلال المحل الشريف من

صف القيادة، وإذا دبت في الإسلام روح الحياة، فعاد إلى ما كان عليه من صفاء وبهاء وصراحة في عصر السعادة وفي أيام التابعين، فستجد فيه الإنسانية دواءها من أوصابها، وسيتقي به البشر طغيان القوميات الذي يتمخص بمذبحة جهنمية تحترق بها الأرض، وإذا بقيت منها بقية بعد الحرب المقبلة فستسعد لشر منها، وإذا أبطأ على الناس شر القوميات وملاحمها فسيكتسحهم وباء الشوعية الذي يتغلغل في أحشاء الأمم وتقاومه الأمم بالعصبيات الحقودة الباغية؛ وهكذا يستشفي الناس من داء بداء، ما لم يهتدوا إلى الإسلام ويستشفوا به، وكيف يهتدون إلى الإسلام، والمسلمون واقفون في طريقه يصدون الأمم عنه بمخازيهم وجرائمهم وضعفهم ونفاقهم وشحهم وحسدهم وشحنائهم، وكذبهم على الإسلام بأنهم أهله ودعاته...

تجربة جربها آباؤنا مرة يوم باعوا نفوسهم للهداية المحمدية، ووقفوا عليها مداركهم وأفئدتهم وسواعدهم ونقودهم وأسلحتهم، وسروا على ضوئها إلى مقاصدهم، ورجعوا إلى ميزانها في تقدير الأمور، فنجحت تلك التجربة النجاح كله، وما لبثوا أن رأوا النفوس التي باعوها لله -وكانت نفوس رجال من عامة الناس- عادت إليهم وهي نفوس ملوك، ورأوا مداركهم التي وقفوها في سبيل اللّٰه صارت من أغزر ينابيع الحكمة، وأفئدتهم التي عمروها بالإيمان بالله أهلتهم لاقتحام العقبات واختراق الآفاق، وسواعدهم التي حملوا بها ألوية الإسلام إلى أمم الأرض تقدمت أمم الأرض لمصافحتها ومسالمتها، ونقودهم التي بذلوها لإعلاء كلمة الحق عوضهم اللّٰه منها كنوز كسرى وقيصر، وأسلحتهم التي جردوها لنصرة اليقين غدت ملاذ العز وعنوان الفوز ونقمة اللّٰه على الظالمين.

وبينما كان أباؤنا يجربون افتتاح كنوز السعادة بمفتاح الإيمان المحمدي، كان الدهر يجرب مواهبهم، ويقيس طول باعهم، ويسبر غور أخلاقهم، إذا انطوت أفئدتهم على ذلك الكنز؛ فوجدهم أمة ضربت الرقم القياسي في الحكمة والحكم، وفي الفراسة والفروسية، وفي الرفق وحسن الارتفاق، ووقف الحكيم الفرنسي (غوستاف لوبون) يراقب بعض ما استطاع أن يراقبه من تصرفاتهم في أدوار التاريخ، فهتف بملء فيه يقول: (ما عرفت الإنسانية فاتحًا أحكم ولا أعدل من العرب).

تركوا وراءهم في آفاق الأندلس من بدائع الفن، وآيات العمران، وآثار الحضارة، ما يشهد لهم بأنهم أدق الأمم حسًّا، وألطفهم ذوقًا، وأبعدهم نظرًا، وأقلهم غطرسة ودعوى.

تركوا وراءهم في مكتبة الإنسانية معارف، في كل ضرب من ضروب الحكمة والتفكير والعلم، عجزت جهالة أعدائهم من التتار والصليبيين والإسبانيين عن تبديدها في مياه دجلة ونيران طرابلس والقدس ومحاكم التفتيش، فبقيت من بقاياها آثاره لا تزال مطابع المستشرقين في أوربا، وهمم الشرقيين في الهند وإيران وبلاد العرب، تجد في نشر الألوف منها في أكثر من مائة عام، وكل ما نشر منها لا يساوي قطرة من بحر علم العرب الذي لا يزال مطويًّا في مخطوطات دور الكتب الشرقية والغربية، مما عرفه الناس ومما لم يسمعوا به.

وتركوا وراءهم هداية لو تجرد الغرب من تعصبه الأعمى للكنيسة وأخذ بهداية الإسلام لشفاه اللَّه من كل أمراضه، ولتمتع بالسعادة التي يبحث عنها في الظلام ولا يجدها، بل لو تجردنا نحن أحفاد العرب من جهالتنا الكسيحة، وانصرفنا عن قشور تلك الهداية إلى لبابها، ووطنا النفوس على العمل بقواعدها، وعملنا

على إحياء تكاليفها الاجتماعية التي لا تكون الأمة أمة إلا بها؛ لظهرت حقيقة الإسلام في سيرتنا وسريرتنا، وتجلت محاسنه في أعمالنا ومعاملاتنا؛ ويومئذ نكون حجة للإسلام لا عليه، ومبشرين به لا منفرين عنه، وقبل أن ينتفع الإسلام بنا ذيوعًا وانتشارًا، ننتفع نحن به تقدمًا واعتلاء، هنالك تعرف الأمم الإسلام بنا، وتعرفنا بالإسلام؛ وهنالك تُقبل شعوب الأرض على الإيمان به، أمة بعد أمة؛ كما يُقبل الأفراد الآن على الدخول فيه واحدًا بعد واحد.

في أعناقنا نحن العرب جريمة إعراض أمم الأرض عن معرفة هداية الإسلام، وفي أعناقنا نحن العرب جريمة خذلاننا وضعفنا واستخذائنا لكثير من أمم الأرض، حتى اليهود، وما دام ناشئ الفتيان منا ينشأ على حب الشهوات، والظن بأن الإسلام دين لا فائدة له في سعادة الدنيا، ويجهل نفسه بأنه من سلالة أمة اختصها اللّه بالرسالة إلى الإنسانية لو أهلت نفسها لأدائها لتغيرت الأرض بذلك غير الأرض؛ ما دام ناشئ الفتيان منا ينشأ على ذلك فبطن الأرض أولى له من ظهرها.

نحن العرب نصلح لأن نكون خير الأمم أو شر الأمم، أما التوسط بين ذاك وهذا فلم يقع في دور من أدوار التاريخ.

نكون في سبات عميق، وفي غفلة تأخذ علينا السبل؛ فإذا استيقظنا قفزنا قفزتنا من سمت القدم إلى سمت الرأس، وأصبحنا ملح الأرض، وتاج الإنسانية، وقادة الدنيا.

ولكن كيف نستيقظ؟ ومن الذي يوقظنا؟

كنت في يأس أغالط نفسي فيه لأسعد بالأمل، كنت أعلم أن اليقظة يجب أن تكون في مصر، وأن دعاتها يجب أن يكونوا من مصر، ولكن كلما قيلت كلمة (عرب) فهم القراء في مصر أن المعنى بهذه الكلمة غيرهم، وأن العربي لا يكون

إلا أعرابيًا حافي القدمين، فلما قرأت في أسبوع واحد كلمة الأديب الكبير الأستاذ الشيخ عبد اللَّه عفيفي التي عنوانها (وطن وعشيرة).

وقد اقتطفت باقة منها في هذا الجزء من «الحديقة»، وقرأت فقرات من محاضرة الأستاذ عبد الرحمن عزام عن (وحدة الثقافة الإسلامية)، ورأيت «جريدة الاستعمار» البريطاني «المورنن بوست» في جزع من أن تعرف مصر أنها عربية فتهب لإيقاظ العرب؛ تحول حينئذ يأسي الذي كنت أغالط نفسي فيه إلى أمل كنت أعال نفسي به، ولكن الغطيط أعظم من أن يؤثر فيه صرير قلم كاتب واحد، ونبرات صوت خطيب واحد، ولابد من إفراغ هذا الإيمان في قلوب رجال آخرين من أهل الاستعداد للخير، ممن لم تكن لهم سابقة في الالحاد والتفرنج وحب الشهوات، فعن هؤلاء يجب أن نبحث وفي قلوب هؤلاء يجب أن نبث هذا الإيمان، ثم يهتف المؤذنون بصوت واحد بحي على الفلاح، حتى يستيقظ الناطقون بالضاد جميعًا ويعرفوا طريقهم، ويهبوا لأداء رسالتهم في العالمين.

محب الدين الخطيب

العربية المصرية

لما كان مهرجان شاعر العربية الأكبر أحمد شوقي رَحِمَهُ اللَّهُ في شوال سنة ١٣٤٥هـ وجئت (القاهرة) الحاضرة اللغوية للأمم العربية، كيما أجهر بكلمتي في ذلك اليوم المشهود، استهللتها بهذا القول:

(ليست دار العربية رمال الدهناء، أو هضبات نجد أو الحجاز، أو إقليم الشام، أو أرض العراق، بل دارها كل مكان ينطق بالضاد أهله، ويتلو فيه كتاب

محمد -صلوات اللّه عليه- قراؤه. وأقوى القوم عربية -بل العرب العرباء- أعرفهم بأدب العربية، فأهل مصر إذن هم القبيل المقدم في العربية، وهم سادات العرب).

وهذا التاريخ المصري، وهذي أحاديثه؛ وهذه الإسلامية المشرقة في مصر، وهذه العربية المنورة في مصر؛ وتلكم الأيادي البيض، وتلكم الآثار: وهذه المساعي في هذا الزمان تقول لي: صدقت صدقت!

فقد ساندت مصر العاملين في إعزاز العربية وإعلائها يوم كانوا يعملون، وقد حمت مصر هذه العربية حين لا أباة ضيم، ولا حماة يحمون:

حملت مصر دونهم هيكل الد ين وروح البيان من فرقانه

وإن كانت إنما وقت عربيتها، وحمت إسلاميتها، إذ الإسلامية والعربية والمصرية كلمات في هذا الوجود مترادفات.

وما يجادل في عربية المصرية، ومصرية العربية؛ إلا كافر بالشريعة الكونية، وإلا محترق محتقد على هذه الإسلامية، وإلا ناشيء أضلته على علم (وهو غافل) هذه المدرسة الغربية، وإلا وغد سمسار باع الشرف الغالي رخيصًا في سوق العلوج والفرنج والحكومات الأجنبية، وإلا غبي جاهل، ولهذا يقال:

قد اطلعت على سري وإعلاني فاذهب لشأنك ليس الجهل من شأني(١)

وإن مصريًّا يجهد أن ينسلخ من عربيته لطالب في الدنيا محالاً، ولن يكون مرغبه إلا من بعد أن يفارق نحلته وينسى لغته، ويضمحل أدبه؛ ويفنى مجده في ثلاثة عشر عصرًا، ويمحي حسبه؛ فكون مراده بعدمه، ولن يكون هذا إلا ألا يكون هو:

---

(١) مسلم بن الوليد.

ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار[١]

وإذا ذكرنا العربية، فإنما نعني هذه العبقرية ذات التعاجيب المحمدية، وهذه القوة الخلقية، وهذه المقاصد القرآنية، وهذه الآداب الإلهية، وتلك الحضارة والمدنية.

هذه هي العربية، وأن أظل وهن، وإن جاء ضيم فالقوة في النفوس ما بادت، والعزة في غد، وإن درج أهلها الأولون أنشد المصريين المنشدون:

فإن يك سيار بن مكرم انقضى فإنك ماء الورد إن ذهب الورد[٢]

وإن قال عربي منتم إلى العربية، ما معه من العربية شيء: لست بعربي، فليس لمصري أن يقول مقاله، ويضل وارثه العربية، وإن لم يكن المصري هو العربي، فليت شعري من يكون العربي، وإن لم تكن مصر دار العربية فأين (يا قوم) في الدنيا دارها؟!.

وإن قال زنيم نيط بالمصرية: لست في شيء من العربية. قالت له المصرية: ولست في شيء من المصرية؛ أنكر العربية. فأنكرته المصرية.

وأنت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدَحُ الفردُ[٣]

إذا لم يكن المصري هو العربي فهل العربي هو المغربي أو العراقي أو الشام[٤] أو الحجازي أو النجدي أو اليمان[٥] أو العماني أو ذلك البدوي أو ذلك الأعرابي؟

---

(١) التهامي.
(٢) المتنبي.
(٣) حسان.
(٤) من النسبة إلى ذلك الإقليم.
(٥) نسبة إلى اليمن.

هل ذهب كل هؤلاء بمنقبة العربية وقعد المصري حجرة[١]؛ العربية حجرة[٢] عليه؟

إن العربية لن تنكر بنيها كبروا أو حقروا، نأوا في الدار أو قربوا، قل عديدهم أو كثروا، فكلهم بنوها، ولكن يُحزنها ويُغضبها عقوق في بنيها، وأقرب الأبناء إلى الآباء ابن في الدنيا بر.

وليست العربية بالعزوة، ليست العربية نسبة، ولكنها عقيدة ونِحلة وملة، ولكنها خليقة وأدب ولغة. ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾.

ليست العربية نسبة، ولكنها جامعة تُؤلف بين القلوب، وفيها الحرية؛ وليست كمثل جامعة غربية، لأهلها ضجيج وعجيج ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ﴾.

فالعربي هو ذلك المتمدن المتحضر المهذب المثقف، المتعلم العالم العزيز الأبي الناطق بلسانها، وليس بعرب (خُراب بادية، غرث بطونهم[٣] ولا قراضيب[٤] (في الجزيرة) ولا مدلغفّون)[٥].

وآنف من أخي لأبي وأمي إذا ما لم أجده من الكرام[٦]

---

(١) ناحية.

(٢) مثلثة، حرام

(٣) المتنبي. والخارب اللص، وخصه الأصمعي بسارق البعران، قال المعري:

في البدو خُراب أزواد مسومة ....

إلى آخر البيتين.

(٤) القراضيب: اللصوص، والقرضوب أيضا الغفير.

(٥) الادلغفاف: المجيء للسرقة في ختل واستتار.

(٦) المتنبي.

ولي في خطبة قِدمًا: (ألا إننا كلنا أجمعين عرب، وإنه ليحق هذا لهجة عربية الهجنا منذ الدهر الأقدم بها، وأدب عربي نجعنا به[١]، وتروينا منه، وخلق عربي اشتملنا عليه[٢]، وما الأمة إلا لغتها وأدبها وخلقها.

وكفى بذلك جامعًا؛ وإن النسب الواشج، ما النسب الواشج إلا زائدة، ولو عزا العازي كل أمة لتشظت وراحت أممًا).

وهو قول لم يلاق مكذبًا ولم يجد أحد عنه متعقبًا[٣]

وإن هذه العربية أم العلم: ﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وربة التفكير: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

وزعيمة البحث والنظر: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾.

إن هذه العربية العالمة المفكرة الباحثة الناظرة - لن تقول لمصري من أبنائها- وهناك في وادي النيل ما هنالك، وهناك التاريخ الناطق، وهناك مجد باسق، فلن تقول له، وما قال من قبلُ عَمرُها[٤]: طَلِّس وطَرِّس[٥]، بل تقول: مَجِّد

---

(١) غذينا به.

(٢) الزمخشري: من المجاز: عجبت من حاله واشتماله على أخلاق جميلة.

(٣) متفحصًا: يعني أنه من السداد والصحة بحيث لا يحتاج إلى تعقب.

(٤) سيدنا أبو عبد الله، عمرو بن العاص، الصحابي العربي المصري، ﷺ، قال رسول اللَّه صلوات اللَّه عليه: «أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص». عن عامر بن عقبة. رواه الترمذي.

(٥) قال الأساس: طلستَ الكتاب تطليسًا، وهو أن تمحوه لتُفسد خطه. فإذا أنعمت محوه وصيرته من الفضول التي يُستغنى عنها، وصيرته طرسًا فقد طرسته. ومحا اللوح بالطلاسة، وهي الخرقة.

وقَدِّس؛ إنك قد سكنت جنتين، وكنت ذا المنقبتين، وكانت دارك مصدر المدنية، وموئل العربية:

قد جمعتَ العز من أطرافه سؤدد المصري، ومجد العربي[(١)]

مصر مصدر العلم والمدنية، مصر موئل العرب والعربية.

مصر، حيا اللّه مصر، حيا اللّه رَبعها.

بيت المقدس، ٢٤ رمضان/ ١٣٥٢

محمد إسعاف النشاشيبي

محاكمة مسلم أندلسي أمام محكمة التفتيش

قُبض في بلاد البرتغال على مسلم من بقايا مسلمي الأندلس، وسيق إلى المحاكم أمام محكمة التفتيش المؤلفة من أحبار الكنيسة، ورجال دين المحبة والرحمة والسلام، وكان ثبات ذلك الرجل أمام هيئة المحكمة مما دعا إلى زيادة عنايتهم به، والمبالغة في تعذيبه.

جيء بذلك الرجل أمام المحكمة، فقال رئيس المحكمة لجنود التفتيش:

ضعوا الحديد في أصابعه الآن وقدموه إلينا.

فجيء بذلك المسكين أمام المحكمة، وقد أعياه الألم، وما لبث أن سقط مغشيًّا عليه، فقال الرئيس:

---

(١) من مهيار.

أوقفوه.

فأجاب أحد الحراس:

إنه لا يقوى على الوقوف.

فقال رئيس المحكمة:

إذن فضعوه في التابوت فإنه يقف فيه.

فوضعوه في صندوق مربع فيه مسامير من الداخل، فاضطر المعذب أن يقف رغم ما به من إعياء وضعف، ثم رفعوا الكمامة التي كانت على فمه ليتمكن من الإجابة على الأسئلة، وعندها تنفس المسكين الصعداء طويلاً.. فوجه إليه الرئيس الأسئلة الآتية، وكان يجيب عليها كما ترى:

قال الرئيس:

ما اسمك؟

أنا مسلم مغربي.

كلا، بل أذكر اسمك المسيحي الجديد.

صموئيل فرناندس.

إن صموئيل هذا اسم يهودي.

لقد كان المسيح يهوديًا أيضًا.

قل صدقًا: كم عمرك؟

ثلاث وثلاثون سنة مثل عمر المسيح.

إذن أنت مستعد للتضحية؟

بإذن الله.

أتقْبلُ ذلك وأنت راضٍ؟

نعم.

إذن قل من هو إلهك؟

هو إلهكم نفسه.

وما اسمه؟

الله في سماء ملكوته.

بل قل معي: يسوع المسيح.

فأجاب الرجل وهو يرتعد:

يسوع المسيح!

يظهر عليك أنك تأثرت من ذكر هذا الاسم، أليس كذلك؟

أجل!

وما نوع ذلك التأثير؟

تأثير داخلي.

وماذا قال لك هذا الصوت الداخلي؟

لا أدري، فإني الآن لا أدري ماذا أقول.

قل ما فكرت فيه بصوت مسموع.

لا أقدر على الكلام؛ لأني متألم جدًّا من الضرب على صدري، والكلام لا يكون حسب الأمر، بل حسب الاستطاعة.

ستنظر ذلك جيدًا جدًّا.

ونظر الكاتب إلى الرئيس مستفهمًا فقال الرئيس: أظن أن ضرب وجهه بالسوط يمكنه من الكلام، وسرعان ما جذبه أحد رجال التعذيب، وجعل يجلده على وجهه بجلدة سميكة مبللة بالماء، فاحمر جلد وجهه، وكاد يخرج منه الدم، وجعل يتلوى من الألم، فقال له كاهن:

تعال يا صموئيل تقدم واعترف أمامي بخطاياك وقل لي:

بماذا تفكر الآن؟ قل الحق قبلما يحل بك القصاص، تقدم يا بني، الحق بيدك يا محمد، لقد كان هذا اسمك قبل اعتناقك المسيحية، فلماذا سميت نفسك صموئيل ولم تختر اسم قديس مسيحي كبطرس أو بولص؟

ثم نظر إلى الكاتب وقال: اكتب:

أين ولدت؟

في طنجة.

أأسباني أنت؟

كنت أسبانيا.

ولماذا تقول كنت؟

أقول هذا لأني لا أظل أسبانيا إلى الأبد.

وأبوك؟

ليس لي أب فإنه قد مات.

وأمك؟

ماتت أيضًا.

وأين ماتا؟

في سجون ديوان التفتيش.

أحرقا؟

كلا بل تعذيبًا، حتى تهرأت أجسادهما فماتا من شدة العذاب.

وبماذا اتُهما؟

لقد كانا بريئين.

هل لك إخوة؟

أظن ذلك.

كيف تظن! أين إخوتك وأين يقيمون؟!

بل قل أولاً أين ماتوا وأين قبورهم؟ يظهر أنك تريد أن ينفد صبرنا معك، فسنبدأ بتعذيبك...

يسوءني هذا.

إذن أنت لا تريد أن تدلنا على البقية الباقية من إخوتك، ولا عن مكان إقامتهم، إن الديوان المقدس لا يخفى عليه أن لك إخوة هم على قيد الحياة وهم يُصلون في مساجد خفية، ألا تعلم أين هم؟

لا أعلم.

لما صدر الأمر بسجنهم هربوا، أفلا تعلم إلى أين؟

كلا.

تذكر جيدًا علك تعلم.

كيف يمكنني أن أتذكر وأنا مضطرب الفكر ضائع العقل؟!

يجب أن تساعدنا على معرفة مقرهم حتى تُخلص نفوسهم.

على غرار ما تفعلون معي الآن.

أنت تسكن مع امرأة، فمن تكون هذه؟

زوجي.

كيف يمكنك ادعاء هذا؟

هي تريد أن يكون الأمر كذلك.

علمنا أنها مسيحية، وأنت بهذا العمل تخالف آداب ديننا المسيحي وتنبذ العفاف، فيجب عليك أن تسلم زوجك للديوان المقدس.

هل هذا هو العفاف والدين عندكم؟

نحن لا نجادلك، بل نأمرك.

إذا كنتم تأمرونني، فأولى بكم أن تقتلوني، وهذا أقصى ما يمكن أن تفعلوه، وعندئذ سوف تصلي زوجي من أجلي.

ويلك يا شقي ألا تزال مصرًّا على إنكارك؟! أصلح هفواتك وخطأك يا هذا، وإلا فإنك سوف تدفع ثمنًا لعنادك باهظًا. والآن فلنتم أعمالنا.

قل لنا أين إخوتك، وأين زوجك؟

هم في مكان أمين.

ألا تريد أن تعترف بأكثر من هذا؟

إني أعترف إلى اللّه خالقي فحسب، أنتم تعذبونني والله يعلم أني بريء.

سوف تساق إلى التعذيب الآن، فالأولى لك الإقرار.

لا يعنيني العذاب فإن جسمي مخدر لا يشعر.

إذا لم تجب على ما سألناك الآن فسوف تُسقى الماء رغم أنفك، يُدفع إليك من حلقك، حتى يقضى عليك.

لقد احترقت رجلاي أولاً بناركم فلم أمت حتى الآن.

فقال أحد القسس وهو يتصنع الرقة والعطف عليه بصوت متكلف:

اعلم يا بني أننا لا نرمي من وراء تعذيبك إلا إلى الإقرار عن بقية أهلك الذين تحبهم، وبذا تنجي نفسك ونفوسهم ونصعد بكم إلى السماء.

فأجاب الرجل:

إذا صعدنا نحن إلى السماء، فمن يهوى بكم أنتم إلى الجحيم وبئس القرار؟!

وعندئذ أشار أحد رؤساء المحكمة بيده إشارة سريعة إلى المعذبين المرتدين الثياب السود الواقفين أمام آلات التعذيب، فهجموا عليه، وأخذ البعض منهم يضع الحبال في يديه وصدره معا ويلفها لفًّا، وآخرون ربطوا رجليه بحبل دقيق، ثم وضعوه على مائدة خاصة وأعادوا ربطه عليها ربطًا وثيقًا، وتقدم أحد هؤلاء المعذبين وهو يحمل جرة ملأى بالماء، وتقدم آخر وفي يده قمع، فقال الكاهن الموكل بعظة الخاطئين (!) والصلاة لأجلهم:

والآن يا صموئيل لماذا تضطرنا يا بني إلى تعذيبك وإحداث هذه الآلام لك، ما دمت قادرًا على الخلاص من هذا كله إذا ما قلت لنا أين إخوتك وأين زوجك!؟

فأجاب الرجل:

لا يمكنني أن أقول لكم شيئًا عنهم، لأني قد وعدتهم وأقسمت لهم بأن لا أخونهم وأسلمهم للديوان التفتيش.

فقال الكاهن:

ولكنا لا نعتقد أنهم يرضون لك هذا الحال وهذا العذاب الأليم، إن هذا السكوت لا يعد أمانة الآن بل يعد جنونًا.. قل قبل أن يبدأ الرجال بتعذيبك.

إنني أشكر لكم إذا ما قتلتموني مرة واحدة.

دع عنك هذا العناد يا رجل، واعلم جيدًا أنك سوف تموت دون أن يعلموا بأنك مت فداء لهم، والمحكمة سوف تقبض عليهم إن عاجلاً وإن آجلاً فتكون قد مت أنت من غير فائدة.

ومع هذا فإن زوجك هذه سوف تنساك لا محالة وتتزوج سواك، وربما تكون قد خانتك الآن.

فصاح الرجل قائلاً:

صه أيها الحقير، واعلم جيدًا أن عذابكم لجسدي لا يعنيني قدر تعذيبكم روحي بكلامكم هذا الذي تلفظه ألسنة سامة!

وبكى الرجل، و بدأوا بتعذيبه فكان صراخه يملأ القاعة، ولكن ليس من منقذ، بيد أن القسس كانوا وقوفًا يصلون، وبيدهم كتبهم يرتلون منها الأناشيد باسم السيد المسيح!

وبينا هم يعذبون المسكين على هذه الصورة، سيقت سيدة أمام المحكمة وكانت رابطة الجأش ذات شجاعة مدهشة، ونظر إليها رئيس المحكمة بنظرات حادة كلها الحقد والغضب والانتقام وسألها قائلاً:

ما اسمك يا هذه؟

سوزانا فرناندس.

وسمع زوجها المعذب ذلك، فأَنَّ أنينًا طويلاً محزنًا إذ عرف أنهم قبضوا على زوجه المسكينة، وأنها وقعت بين برائن أولئك الوحوش العتاة، أما هي فلم تتمكن من معرفة مَن يُعذب لما استولى على القاعة من ظلام، ولكنها عندما سمعت الأنين التفتت لترى من يئن، وعندها أخذ رئيس المحكمة في استجوابها وعيناه تتقدان شررًا، وينبعث منها الشر لالتفاتها، واستمر يسألها قائلاً:

بنت من أنت؟

لا أعلم.

ألا تعلمين من هما أبواك؟!

كلا إنما رأيت ذات مرة رجلاً مارًّا بحي تريانا، فقالوا لي أن هذا أبي

أهذا كل شيء؟!

نعم.

وما اسم ذلك الرجل؟

فأجابت إجابة ساذجة قائلة:

قيل لي أن له اسمين: الأول الراهب، والثاني الرجل المهيج

وأمك من تكون؟

هي أمي.

وأين هي؟

ماتت.

وأين ماتت؟ هل سقطت في الوادي الكبير؟

كلا بل قتلت قتل العمد.

وكيف كان هذا؟

أنها ماتت جوعًا في سجون ديوان التفتيش.

وأين كانت تسكن قبل أن تسجن؟

مع رجل من بقايا العرب كان يمر ببابنا كل يوم، وقد عزم أخيرًا على أن يسكن معها إلى الأبد، فسكن وسأنضم أنا أيضًا إليهما.

وهل مات ذلك الرجل؟

نعم مات في سجون ديوان التفتيش.

أكان مسيحيًّا؟

لا أدري، ومع هذا فلمَ تسألونني عن المسيحية كثيرًا؟! وما هو دخل الديانة المسيحية في ديوان التفتيش؟!

وما كادت السيدة تُتم كلامها، حتى بدأ الزبانية بتعذيبها تعذيبًا مخيفًا تقشعر من ذكره الأبدان

دكتور/ على مظهر

مشروع القرش

❑ الطفل الموؤود ❑

قومي انظري يا مصر في ابتسام ... قومي فتلك ساعة القيام

تراشق الشباب بالسهام ... وأسرف الشيوخ في الخصام

واحتدمت معركة الكلام وشرعت أسنة الأقلام
ووطيء المشروع بالأقدام فخر ميتًا ليلة الفطام
وعمره عام وبعض عام قد ضيعوه ضيعة الأيتام
وهم على موائد الكرام ونحروه عقب الصيام
في العيد نحر الشاء والأنعام وارحمتاه من فؤاد دام
للطفل بين فكي الحِمام ممزق الأوصال والعظام
راح مبرءًا من الآثام ضحية الخلف والانقسام
فرحمة اللَّه على الغلام ماتت بموته مني أقوام
لا ترتدوا «طربوشه» أمامي وإن يكن كالتاج فوق الهام
قد كان رمز الجد والإقدام واليوم صار مبعث الآلام
قوضت الشهوة في أيام ما شادت الحكمة في أعوام
الآن قد صحوت من منامي وانهار ما شيدت في الأحلام
أين أنا؟ بمصر، لا بالشام قد كدت أنسى، أنها مقامي
وهكذا مصر على الدوام تهب مثل الأُسد في الآجام
وتنثني في خفة النعام شبيبة النيل، لك احترامي
فأخْلدي حينًا إلى السلام إلى الوراء، لا إلى الأمام

محمود غنيم

مؤامرة على عمر
تشترك فيها بنته وعثمان وعلي
وطلحة والزبير أعلى الله مقامهم في جنة الخلد

رأى بعض أصحاب رسول اللّٰه ﷺ ما يعانيه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من جهد العيش-وليس ذلك من قلة الأموال وقد بسط الإسلام نفوذه على ملك كسرى والروم وذهبت الدنيا وأقبلت-، وإنما كان ذلك لعفة عمر عن مال المسلمين. فاجتمع نفر فيهم عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وطلحة والزبير وقالوا:

لو قلنا لعمر في زيادة نزيده إياها في رزقه (راتبه).

فقال عثمان: هلم نعلم ما عنده من وراء وراء.

فأتوا أم المؤمنين حفصة بنت عمر، وحدثوها بما اعتزموا عليه، وأوصوها ألا تخبر بهم عمر، فلقيته حفصة، وقالت له في ذلك، فغضب، وقال:

من هؤلاء؟ لأسومنهم!

قالت: لا سبيل إلى علمهم.

قال: أنتِ بيني وبينهم، ما أفضل ما اقتنى رسول اللّٰه ﷺ من الملبس؟

قالت: ثوبين ممشقين كان يلبسهما للوفد والجمع.

قال: فأي الطعام ناله عندك أرفع؟

قالت: قرصًا من شعير، فصببنا عليه وهو حار أسفل عكة -(أي حثالة إناء السمن)-، فجعلتها دسمة حلوة، فأكل منها.

قال: فأي البُسط كان عندك أوطأ؟

قالت: كساء ثخين نربعه في الصيف، فإذا جاء الشتاء بسطنا نصفه، وتدثرنا بنصفه.

قال: يا حفصة، فأبلغيهم أن رسول اللَّه ﷺ قدر فوضع الفضول مواضعها، وتبلَّغ بالترجية، وإنما مثلي ومثل صاحبي كثلاثة سلكوا طريقًا: فمضى الأول لسبيله، وقد تزود فبلغ المنزل، ثم اتبعه الآخر -(يريد أبا بكر)- فسلك سبيله فأفضى إليه، ثم اتبعهما الثالث، فإن لزم طريقهما ورضي بزادهما لحق بهما، وإن سلك طريقًا غير طريقهما لم يلقهما.

حكم العرب في مصر
ولاية عبد الحميد بن سعد

لما أجدب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد أميرهم، قال:

والله لأعلمن الشيطان أني عدوه.

فعال محاويجهم، وواسى فقيرهم، إلى أن رخصت الأسعار، ثم عُزل، فرحل وللتجار عليه ألف ألف درهم، فرهنهم بها حلي نسائه، وقيمتها خمسمائة ألف ألف، فلما تعذر عليه ارتجاعها، كتب إليهم ببيعها، ودفع الفضل منها إلى من لم تنله صِلاته.

ذكاء زياد

دخل حارثة بن بدر على زياد وفي وجهه أثر، فقاله له زياد:

ما هذا الأثر الذي في وجهك؟

قال: ركبت فرسي الأشقر (يعني النبيذ) فجمح بي!

ففهم زياد معنى كنايته، وأنبه ببيان من جنس بيانه، فقال:

أما إنك لو ركبت الأشهب (وكنى به عن اللبن)، لما فعل، فخجل حارثة وسكت ذلك.

حياة الفرد المسلم وحياة الجماعة الإسلامية الضرورة الفردية والضرورة الاجتماعية

الدين المسيحي دين أفراد، والدين الإسلامي دين جماعة، وما برح المسيحيون يعالجون حياتهم المشتركة ويحوطونها بأسباب القوة، حتى تحولوا عن طبيعة دينهم الذي يزهدهم بكل ما في الدنيا، فقبضوا على ناصية المجتمع، واستولوا على كل ما في الدنيا. وما زال المسلمون يُهملون أمر حياتهم المشتركة، ويحولون بينها وبين بواعث الحياة، حتى تحولوا عن طبيعة دينهم الذي يستفزهم للتخلق بخلُق الكرامة، والتحلي بحلية العز، ويعدهم للاستيلاء على الدنيا؛ فصاروا أذل من اليهود.

المسيحي ترك دينه فخسر الآخرة، ولكنه كسب الدنيا، والمسلم ترك دينه فخسر الآخرة وخسر معها الدنيا.

يقول المسيح للمسيحي: (لأن يدخل الجمل في سم الخياط، أهون من أن يدخل غني ملكوت السماء)، ولا نعرف على ظهر الأرض مسيحيًا واحدًا لا يطلب أن يكون غنيًا، ثم لا يبالي أن يخسر في سبيل ذلك ملكوت السماء، والمسلم يأمره إسلامه بإعداد ما يستطيعه من أسباب القوة، وقد أهمل جميع أسباب القوة، فصار لا يقوى حتى على شهواته.

وقد يسلي المسلم نفسه بأنه يصلي ويصوم، وأنه قائم لله بفروض العبادة، وهو غافل عن أن الإسلام يطالب المسلمين بأن يعيدوا له أسباب العزة، وبأن يحموا دعوته ويقوموا بها في الآفاق، وبأن ينزلوا إلى ميدان الكفاح؛ ليدرأوا عن دينهم هذه الهجمات العنيفة الملحة التي تكتسحهم، وتكتسح دينهم من كل جانب، وبأن يقيموا شريعته، ويعلوا كلمته، ويبينوه للأمم بأذواقها، وبالأساليب المحببة إلى نفوس أبنائها، حتى يجلوا هذا الصدأ عن حقائقه، فيرفعوا مشعلها في ليل الضلالة المدلهم، ويراه الناس من جميع الآفاق فيعشو إلى ضوئه كل عاقل منصف، وينجر وراء العاقل المنصف كل من ينقاد له، ويُذعن لرأيه من ذويه ومحبيه.

كل فردٍ منا احتاط لنفسه من كل الوجوه، فالتمس لنفسه وذويه بابًا من أبواب الرزق، ووقى نفسه وذويه أسباب المرض وعوادي الجو، وقام على حقوقه فعمل على صيانتها، مستعينًا بأحبابه تارة، وبالمحاكم والحكام تارة أخرى، ونظر أيضًا لآخرته، فقام لله بالفروض والنوافل.

فحياة الفرد المسلم قد احتاط لها صاحبها بقدر الطاقة، ولكن الفرد المسلم لا يعيش لنفسه فقط، بل هو عضو في كيان آخر هو المجتمع الإسلامي، وللمجتمع الإسلامي حياة تقوى وتضعف تبعًا لما يقوم به الأفراد المسلمون لمجتمعهم الإسلامي من أسباب العناية، فإذا تهاونوا في حياطة كيانهم الملِّي،

انهار بناء الإسلام أو اعتراه الخلل، فكان ذلك من أسباب انصراف النفوس عنه.

كلنا نرى كيف أضحى الكيان الإسلامي مهددًا بالقذائف والدسائس، تُرسل عليه من قلاع أعدائه التي بنيت حوله، وكيف طمع فيه كل مخالف له، وكيف تعرض النشء من أبنائه لسموم أعدائه، فصار العالم من علماء الأزهر في وجل من أن ينشأ ابنه عدوًّا لما كان عليه آباؤه.

هذه حقيقة واقعة، ومن لا يراها فهو أعمى.

وحقيقة أخرى لا يرتاب فيها اثنان: وهي أن الفرد المسلم يُعْنى بحياته الفردية، ويقوم عليها بجد واهتمام؛ ويتهاون في نصيبه من واجب الحياطة والصيانة للكيان الإسلامي حتى أشرف على الخطر؛ لأنه غزي في عقر داره، وقديمًا حلف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بأنه ما غُزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا.

امرأة مسيحية تبرعت لإنشاء قاعة يورت في الجامعة الأمريكية بالقاهرة بأكثر مما استطاع أن يحصل عليه وفد المؤتمر الإسلامي في رحلته الطويلة إلى العراق والهند وإيران، وبأكثر مما دخل إلى صندوق جمعية المؤاساة الإسلامية في الإسكندرية منذ بدأت بإنشاء مستشفاها إلى يومنا هذا، وليس ذلك ناشئًا عن فقر المسلمين وغنى النصارى، فإن بين المسلمين الذين مر عليهم، وفد المؤتمر الإسلامي من هم أغنى من أغنياء النصارى، وفي مصر من أغنياء المسلمين الذين يجب عليهم المساعدة في إنشاء مستشفى المؤاساة من هم أغنى من المرأة التي أنشأت قاعة يورت.

فالمسألة مسألة عناية من الفرد المسلم بنفسه وتقصير منه نحو الكيان الإسلامي.

قلت في مقالة (صاحبة القصور في الفردوس): (لو اقتصر الأمر في بناء مستشفى المواساة على تبرعات أغنيائنا، ما ارتفعت جدران المستشفى شبرًا واحدًا فوق الأساس، وهذه الفضيحة ألجأت جمعية المواساة إلى إصدار أوراق اليانصيب، كما يلتجيء المشرف على الموت من الجوع إلى لحم الميتة)، فسألني حضرة الشيخ قاسم أبو غدير: هل هذا التشبيه في الجواز؟

وأنا أجيبه: إن الفتح ليست كتاب فقه، ولكنها صحيفة تدرس أمراض المسلمين الاجتماعية، وتبحث عن علاج لهذه الأمراض، وكما يعتمد الفقيه في فتواه على علم الطبيب المسلم النصوح في أمراض الأفراد المسلمين، لا شك أنه يعتمد على مثل ذلك في أمراض المجتمع الإسلامي، وأنا أقول وأؤذن على أعلى منارة في الدنيا بأننا إذا لم تكن لنا مستشفيات تغني الأربعة عشر مليونًا من مسلمي مصر عن مستشفى الهرمل، وعشرات كثيرة من أمثاله، فإن إسلام عوام المسلمين وفلاحيهم وجهالهم نساء ورجالاً وأطفالاً مهدد بالخطر، وإذا لم تكن للشبان المسلمين أندية تستكمل أسباب النماء والبقاء كأندية الشبان المسيحيين، فإن أبناءنا سيُختطفون من بين أيدينا، وسيكونون إلبًا لأعدائنا علينا.

وإذا لم يبادر الأزهر في الحال إلى تخصيص رجال من رجاله بدرس البهائية والقاديانية بقسميها، وسائر هذه البلايا المحيطة بنا، فيتمحضوا لمعرفة أماكن قوتها وأماكن ضعفها، ويتفرغوا للقضاء عليها؛ فإنها ستجند المسلمين في جيوشها وستقاتلنا بهم بين عشية وضحاها، وإذا لم يأخذ المسلمون بيد كل من يعالج أمراضهم الاجتماعية فيؤيدونه ويساعدونه، ويوسّعوا دائرة جهاده، فإن قواه ستنفد، وإذا سقط كان غيره أجبنَ من أن يُقْدم على مثل تجربته مرَّة أخرى.

كل هذه المرافق الإسلامية محتاجة إلى مساعدة وتشجيع، والأغنياء لا يخطر على بالهم أن يُخرجوا من صناديقهم ما لله فيها من حقّ وما لحياة المسلمين الاجتماعية فيها من نصيب. وإذا لم يفعلوا فخطر ذلك من الوجهة الشرعية الإسلامية أعظم من الخطر الذي يترتب على موت فرد واحد، أو أفراد معدودين جوعًا وظمأ.

هذه الحالة نحن نُشخصها للمسلمين كما يُشخص الطبيب مرض المريض، فعلى الفقهاء أن يُفتوا المسلمين بعد ذلك بما يجب أن يعملوه لاستخراج المال من أيدي الأغنياء، أو لإمداد المرافق الإسلامية بما تحتاج إليه من مساعدة.

أنا لست بفقيه، ولكنى خبير بما أصفه من مرض وعلاج، فيطلب المسلمون الفتوى من رجالها، ولينفّذوا بعد ذلك حكمها في الحال، قبل أن يندموا ولات ساعة مَنْدَم.

محب الدين الخطيب

صفة العالم

كان أسلافنا يقولون:

لا يكون العالم عالمًا حتى تكون فيه ثلاث خصال:

لا يحتقر مَن دونه، ولا يحسد من فوقه، ولا يأخذ ثمنًا على العلم.

من كلام الأحنف بن قيس

* ثلاث خصال تُجتَلب بهن المحبة: الإنصاف في المعاشرة، والمواساة في الشدة، والانطواء على المودة.

* الجزع شرُّ الحالتين: يباعد المطلوب، ويورث الحسرة، ويَبقى على ظهر صاحبه عارًا وندمًا.

* هيبة العاقبة تورث جبنًا، وهيبة الزَّلل توجب حَصَرًا.

* الإنصاف يثبت المودة.

* خير الإخوان من أن استغنيت عنه لم يزدك في المودة، وإن احتجت إليه لم ينقصك منها.

* من حق الصديق أن تحتمل له ثلاثًا: ظلم الغضب، وظلم الدالة، وظلم الهفوة.

* الرفق والأناة محبوبة إلا في ثلاث: تبادر بالعمل الصالح، وتعجل إخراج ميتك، وتنكح الكفء أيمك.

* أنصف من نفسك قبل أن يُنتصف منك.

* لا تكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان.

* أنفق في حق، ولا تكونن خازنًا لغيرك.

* إذا كان الغدر في الناس موجودًا فالثقة بكل أحد عجز.

* اعرف الحق لمن عرفه لك.

* قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل.

* العتاب خير من الحقد.

* من أظهر شكرك فيما لم تأته إليه، فاحذره أن يكفر عملك.

* لا خير في لذة تُعقب ندمًا.

* رب هزل قد عاد جدًا.

* من أسرع إلى الناس بما يكرهون، قالوا فيه ما يعلمون.

* مَن أمن الدهر خانه.

* دعوا المزاح فإنه يُورث الضغائن.

* خير القول ما صدّقه الفعل.

* العقل خير قرين.

* لا خير في فقه إلا في ورع.

* محادثة الرجال تلقيح لألبابها.

* ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة: شريف من دنيء، وبَر من فاجر، وحليم من أحمق.

* ليس لكذوب مروءة، ولا لحسود راحة، ولا لسيء الخلق سؤدد.

* ما أقرب النقمة من أهل البغي.

* لا إخاء لملول، ولا خلة لبخيل.

* من الكرم، منع الحُرَم.

* لأفعى تحكك في جوانب بيتي، أحبُّ إلى من أيم قد رددت عنها كفوًا.

* ما خان شريف، ولا احتجب كريم، ولا كذَب عاقل، ولا اغتاب مؤمن.

* وقيل له: ما أحلمك! فقال: لست بحليم، ولكنى أتحالم.

والله إني لأسمع الكلمة فأَحَمُّ لها ثلاثًا، وما يمنعني من الجواب عنها إلا خوفي من أن أسمع شرًا منها.

* أحسن الناس عيشًا من حسُن عيشُ مَن هو دونه في عيشه، وأسوأ الناس عيشًا من لا يعيش معه أحد.

* إذا دعتكَ نفسُك إلى ظلم الناس، فاذكر قوة اللّه على عقوبتك، وانتقام اللّه لهم منك، وذهاب ما أتيت لهم عنهم، وبقاء ما أتيت لهم عليك.

* كفى بالحلم ناصرًا.

* لو جلس إليّ مائة، لأحببت أن ألتمس رضا كل واحد بما يسره.

* جنّبوا مجالسنا ذكر النساء والطعام، فإني أبغض الرجل أن يكون وصافًا لفرجه وبطنه.

* لا ينبغي للوالي أن يكذب، لأنه لا يقدر أحد على سنكرهه على غير ما يريده.

* أحزم الولاة من لا يكابد مكابدة عدوّه بالقتال، ما وجد إلى غير القتال سبيلا.

* إياك والغضب، فإنه ممحقة لفؤاد الحكيم.

* ما مضى من الدنيا فحلم، وما بقى منها فأماني.

* الأخ الموافق خير من الولد المخالف.

* ليس فضل الحلم أن تُظلَم، حتى إذا قدرت انتقمت، ولكنه إذا ظُلمت فحلمت، ثم قدرت فعفوت.

* لا يتبين حلم الرجل حتى يغضب، إن الحلم لا يكون إلا عند الغضب.

الداء الذي أعيى الأطباء اللسان البذيء، والعقل الرديء.

وأدوأ الداء اكتساب الذمّ بلا منفعة.

* المروءة أن لا تعمل في السر شيئًا تستحي منه في العلانية.

* المروءة العفة والحرفة.

* المروءة الحزم، وهو مع العقل.

* لا يصلح المروءة إلا التواضع.

* الأدب خير ميراث.

* لا خير في منظر، إلا بمَخْبر.

* فضل الصمت لا يعدو صاحبه، وفضل المنطق ينتفع به من سمعه.

آية الله في زلزال الهند والعبرة فيه

أتُراها قد شفت غيظَ الفؤادِ ... وعفت أجفانُها بعدَ السُّهاد[1]
واستراحت بعد أن ألقت بما ... في حشاها من طريفٍ وتلاد
نـاءت الأرض بـأوزار الـورى ... وشجاها في الهوى هذا التمادي
واستثار السخط منها ما ترى ... مـن تـعـدٍ كـل يـوم وتـعَـادى
واعـتـنـاق لـلـمـخـازي مـرعـبٍ ... مد في الآفاق أعناق الفساد

(١) الضمير يعود على الأرض المذكورة فيما بعد.

واجتناب للهدى أمسى به | يخمع الحقُ على شوك القتاد[١]
فتمطى صُلبها عن نكبة | لبس الهند بها ثوب الحداد
فغرَت شدقين ألقت فيهما | ما عليها من حياة وجماد[٢]
من قصور خرَّ ما ناصى السها | من أعاليها على هام العباد
ومغان غنِي الحسن بها | قفزت في النار من فوق العماد
لم يبال الدهر من غاداتها | جنة القرب ولا نار البعاد
نثر اللؤلؤ عن أجياده | وشوى الأجساد تَندَى بالجساد[٣]
وزروع حفي الغيث بها | حصدت غلاتها قبل الحصاد
ذهب الخسف بجدوى أرضها | فاستحالت حرة في بطن واد[٤]
وعيون برك الرمل بها | مبرك الماء فصدت كل صاد
وعيون[٥] من أسود ومهى | بوغتت بالحشر من قبل المعَاد
ربَّ وجه كان كالبدر سنًا | فاته الجمر إطارًا من سواد
وجفون فتن الكحل بها | كحّلتها راحتاه بالرماد
صيحة للدهر ما أروعها | ملأت بالرعب أحشاء البلاد
هاجت الأرض على أبنائها | فَنَزت تلوي بحبات الفؤاد[٦]

---

(١) يخمع: يغمز في مشيته كالأعرج.

(٢) ورد من أخبار هذا الزلزال ما يُذهل اللب ويفقد الرشد، من ذلك أنه تناول مقاطعة بهار كلها، فدمر بها أكثر من مدينة تدميراً تاماً، لم يُبق فيه على إنسان ولا حيوان، وجاوزها إلى النيبال والبنغال وغيرها، فأتلف ودمر كثيراً.

(٣) الجساد: المسك أو الطيب.

(٤) الحَرة: أرض ذات حجارة سوداء نخرة كأنها أُحرقت بالنار، وقد أصبح ما حول البلاد المخسوفة من الأرض الخصبة غير صالح لاستحالته إلى صحراء.

(٥) المراد بالعيون: العظماء.

(٦) ترث وهبته.

أمعنت في قتلهم، ما عاقها ... ما تحس الأم من فرط الوداد
لفظتهم بعد أن لاكت، فهل ... حالت الرحمة دون الازدراد
أم تُراها قذِرتهم فرمى ... بأذاهم بطنها ظهرَ الوهاد(١)
مادرت درْبنْج(٢) لما نوديت ... أنها تدعى إلى يوم التناد
سقطت خائرة بين يديْ ... مخلب الخسف ونابيه الحداد
فسل المهراجَ عن دنياه هل ... ذهبت أضحيةَ الحتف المغادى(٣)
وهل استبقت له بعضَ الذي ... زادَ يومَ «الكلب» من ماء وزاد(٤)

❊ ❊ ❊

«قُتل الإنسان ما أكفرَه» ... عاث حتى هاج أحقاد العوادي(٥)
أثقل الأرض فغارت تحته ... تنسف الدور وتلقي بالعتاد
تُرسل النيران من أشداقها ... يرَكض الناس بها ركض الجياد
وشذى(٦) الكبريت من آباطها ... يزحم الجو بأنفاس شداد
نُذُر لله لم يفتأ بها ... يلفت الناس إلى نهج السداد(٧)

---

(١) من أنباء هذا الزلزال أن الأرض انشقت فابتلعت الناس، ثم لفظتهم على ظهرها بحالة لا يمكن وصفها.

(٢) إحدى المدن التي دُمرت تدميراً تاماً.

(٣) غاداه: صحبه.

(٤) المهراجا أمير دربنجة المذكورة بالقصيدة، وقد ذكرت البلاغ عن مكاتبها بالهند أن هذا المهراجا أنفق منذ سنوات ١٠٠٠٠٠ روبية على عرس أقامه لكلب عزيز عليه في قصره، لعقد قرانه بكلبة!! واليوم يعلن في الصحف أنه لا يجد مسكناً، وأنه يقيم في العراء مع المنكوبين.

(٥) المصائب.

(٦) الرائحة الكريهة.

(٧) إن هذه الظواهر الطبيعية وإن عللها الطبيعيون بما هو معلوم، فإننا مع تسليمنا بهذا التعليل =

ويح عصر النور ما أبعده عن طريق الحق أو نهج الرشاد
ساده ضوء أضل العقل عن نفسه، فاعجب لنور غير هاد
هل محت آياته في زهوها آية الجبار في إخوان عاد(١)
هل درى أن الذي شاد السما لم يمدّ الأرض دارًا للفساد

محمد حسن النجمي

أجناس الخطوب

لا تسلني ماذا نظمتُ من الشعـ ـر، وسلني ماذا عملتُ لنفسي
خابَ في موقع الإصابة سهمي وذوى في مخيلة الخصبِ غرسي
ضاع في باطل الأحاديث يومي وتولى بحاجة النفس أمسي
روّع اللّه سربها من ليال ورمى جَدها الطموح بتعس
هنَّ روعنني وعلقن حظي في جناحي طير من العيش نحس
أخرستْ ألسن الفصاح خطوب يتعاقبن من فصاح وخرس
إن أجناسها لشتى، وإني لمصاب منها بأخبث جنس
تُصبح النفس في الهموم وتمسي ما أمر الحياة لولا التأسي

= لا نرى حدوثها إلا علامة سخط وغضب على الناس من الخالق ﷻ، وجزاء لهم بما كسبت أيديهم، فإنه هو الخالق للأسباب ومسبباتها، والميسر الناس والأشياء لما خُلقوا له.

(١) لم نُرد تشبيه من حلت بهم هذه النكبة بعاد في كفرهم وطغيانهم، وفيهم الصالحون والقانتون من إخواننا المسلمين الذين عز علينا مصابهم، وأحزننا ماحل بهم، ولكنا أردنا تشبيه الكارثة بكارثة عاد، ولم نرد أيضاً بكل ما ورد في القصيدة إلا النعي على الدنيا جمعاء فساد أهلها وماديتهم، وتهافتهم على القبيح، لا على قطر خاص، والتذرع لذلك بهذه الحادثة الخاصة كما يُفهم، بما فيها من التعميم.

غمستني مجاهدات الليالي في غمار الخطوب أعظم غمس
فابتليت الزمان أي ابتلاء ودرست النفوس أطول درس
يتقى الدهر ما يرى كل حين من يقيني في كل أمر وحدسي
صيرتني النُهى بحيث تراني يوحش العالمينَ ما فيه أنسي

أحمد محرم

كامل

كامل أخ من الإخوان المسلمين، تشبعت نفسه بمبادئ الإسلام وقواعده، فهو عزيز النفس؛ لأن المسلم يجب أن يكون كذلك يحافظ على كرامته؛ لأن المحافظة على الكرامة من الدين، هو صانع بسيط يحترف النجارة، وهو فقير لا يزيد ما يكتسبه من حرفته على الكفاف.

ولكن ذلك لا يمنعه من أن يكون عزيز النفس، محافظًا على شرفه وكرامته، والمسيو (كليف) موظف كبير في مصلحة راقية، يتقاضى راتبًا ضخمًا، ويبدو في مظهر عظيم يزيد في عظمته وأبهته أنه (خواجه).

ومن المصادفات أن المسيو (كليف) استدعى الأخ (كاملاً) ليقوم له ببعض أعمال صناعية، وأجاب (كامل) دعوته، وأخذ يشتغل فعلاً في إنجاز الطلب، وبينما هو يعمل سأله المسيو عن التكاليف التي سيتكلفها هذا الشغل، فأجابه الأخ عنها بصدق وإخلاص، فما كان من المسيو إلا أن قاله له: (أنت حرامي).
هي كلمة قالها الرجل وكان يظن أنها ستمر عادية، لا يهتم بها هذا الصانع البسيط، ولكن الأخ الأبي النفس لم يدعها تفوت بسهولة كما كان يظن

الخواجة، بل حاسبه حسابًا عسيرًا، عماده الرزانة والمنطق، والاحتفاظ بالشرف والكرامة، والاستمساك بهما إلى أبعد حدود الاستمساك.

إنه وضع أداة عمله في هدوء وثبات، والتفت إلى ذلك المسيو المغرور، قال له في حزم وجد: (أنت تعرف معنى حرامي إيه باللغة العربية يا مسيو كليف؟)، فكان جواب المسيو: نعم حرامي -يعني: ياخد الحاجة إللي مش بتاعته.

فقال الأخ: جميل وأنا لم آخذ منك شيئًا، بل أنت الذي أخذت بضاعتي ومجهودي،فأينا ينطبق عليه هذا الوصف؟

فقال الخواجه: (ولكنك طلبت نقودًا كثيرة، فكأنك عاوز تأخذ حاجة مش بتاعتك). فقال الأخ: أحضر من يُقدر هذه الأشياء، وأنا مستعد لقبول تقديره، ولي معك بعد ذلك التقدير كلام آخر.

وكان أن أحضر الخواجة شخصًا من أبناء جلدته، فقدر العمل وزاد في التكاليف عما طلبه (كامل)، فقال له الخواجة: اشتغل وخد ما طلبت. فقال كامل: من حقي أن أشتغل وآخذ ما قدره هذا الحكم، ولكنني لا آخذ إلا ما طلبت أولاً، وهذا جميل مني لك، وبقي لي أن أحاسبك على الكلمة الأولى، فأنا أطالبك الآن بأن تعتذر، وتسحب كلمتك الأولى.

عظمت هذه الكلمة على نفس الخواجة الذي لم يتعود أن يسمعها من (ابن عرب) وغضب، وقال في حدة: أنا لا أعتذر لك، فقال الأخ كامل: وأنا متمسك بحقي في اعتذارك، وإذا لم تعتذر فسأشكوك إلى قنصلك، فزاد استغراب الخواجة، وقال له بلهجة المدهش: أنت صانع بسيط، وتطلب مني وأنا موظف في. .أن أعتذر لك وأسحب كلمتي، هذا كثير! فكان جواب كامل في كل هدوء وبساطة: لا ليس هذا كثيرًا؛ لأني إنسان، وأنت إنسان، ولي شرف وكرامة أحافظ عليهما، وأنت قد أخطأت باتهامي بغير حق، فعليك أن تدفع ثمن هذه الإهانة، وهو الاعتذار.

وعبثًا حاول الرجل أن يحمل كاملاً على العمل أو تركه، وتدخلت زوجه (الخواجة) في الأمر، فلم يفد كل ذلك، وصمم كامل على اقتضاء حقه مهما كلفه ذلك.

وساد السكون فترة، وأمام هذا التصميم، تقدم الخواجة ونقر بيده ثلاث نقرات تصاحبها هذه الكلمات: بردون، بردون، بردون سحبتها، ثم نظر إلى كامل قائلاً: كفايه كده يا كامل، وإلا عاوز حاجة كمان؟ فكان جواب كامل في هدوء وبساطة لازماه طول الوقت: يكفي هذا يا مسيو كليف، ورجائي ألا تمس كرامة الناس بعد ذلك، وتناول أداته وشرع يباشر عمله.

وحينئذ تقدم إليه المسيو قائلاً: لم أر أحدًا قبل الآن حملني على مثل ما حملتني عليه، فلماذا انفردت أنت بهذا الخلق؟ فأجابه كامل بكلمتين اثنتين فيهما كل معاني الكمال الخلقي، والرجولة الناضجة الصحيحة، والكرامة النبيلة العزيزة، إنه قال: (لأني مسلم)!

أبو الوفاء

شاعر متعفف

أيريب عينك أن تراني كالذي ... سقط الجراد فغال ناضر غرسه؟

أو كالذي صحب السنين، فبعضه ... عانى الحياة، وبعضه في رمسه؟

ماذا تظن بشاعر متعفف ... لا يستعز بأمة من جنسه؟

المرء يُسأل عن عوارف علمه ... وأراه يُسأل ها هنا عن فلسه

أرني أديبًا صافحت يده الغنى ... أو فاضلاً صدقت أماني نفسه

اصبر إذا دار الزمان بسيء   فعساه يومًا أن يدور بعكسه
لو أن دهرك دام طالع سعده   في العالمين لدام رائع نحسه

أحمد محرم

الدنيا

إذا لم يكن للمرء من عيشه غنى   فلا بد من يسر ولا بد من عسرِ
ومن يخبر الدنيا ويشرب بكأسها   يجد مرها في الحلو والحلو في المرِ

أحمد شوقي

من كلام أبي الحسن العامري في كتابه «النسك العقلي»

نقله عنه أبو حيان التوحيدي في «المقابسات»:

ليس اللطف في تزيين الشيء، بل اللطف في تأنيق الزيين، وليست المهنة تأدية الصناعة، بل المهنة سهولة التأدية، وليس الكمال المطلق باقتناء الفضيلة الإنسية، بل بما يتبع اقتناءها من الجود المزين لها.

أجل النعم هي الاستقبال بشكر المنعم، وشرف المواهب هو الفوز بالخلوص لرب المواهب، ومن لم يؤيد من نفسه بإحكام الحكمة وبأمان العقل فقد صيرهما حجة عليه لا له.

حياة الخلود

خلق الناس للبقاء فضلت أمة يحسبونهم للنفاد
إنما يُنقلون من دار أعما ل إلى دار شقوة أو رشاد

المعري

يتزيد المتزيد لنقص يجده في نفسه

وقف الأحنف بن قيس ومحمد بن الأشعث بباب معاوية رضي الله عنه، فأذن للأحنف ثم لمحمد بن الأشعث، فأسرع محمد في مشيته حتى دخل قبل الأحنف، فلما رآه معاوية قال له:

والله إني ما أذنت له قبلك، وأنا أريد أن تدخل قبله.

إنا كما نلي أمركم كذلك نلي أدبكم، ما تزيّد متزيد في أمره إلا لنقص يجده في نفسه.

ضلال الظواهر

رأوك بالعين فاستغوتهم ظنن ولم يروك بفكر صادق الخبر
والنجم تستصغر الأبصار رؤيته والذنب للطرْف لا للنجم في الصغر

أبو العلاء المعري

كيف أصلي؟

سئل حاتم الأصم عن صلاته، فقال:

إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء، وأتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه، فأقعد حتى تجتمع جوارحي، ثم أقوم إلى صلاتي، وأجعل الكعبة بين حاجبي، والصراط تحت قدمي، والجنة عن يميني، والنار على شمالي، وملك الموت ورائي، وأظنها آخر صلاتي، ثم أقوم بين الرجاء والخوف، وأكبر تكبيرًا بتحقيق، وأقعد وأقرأ قراءة بترتيل، وأركع ركوعًا بتواضع، وأسجد سجودًا بتخشع على الورك الأيسر، وأفرش ظهر قدمها وأنصب القدم اليمنى على الإبهام، وأُتبعها الإخلاص، ثم لا أدري أقبلت مني أم لا؟!.

الكبر والحمد

والكبر والحمد ضدان، اتفاقهما مثل اتفاق فتاء السن والكِبَر

يُجنى تزايد هذا من تناقص ذا والليل إن طال غال اليوم بالقِصَر

أبو العلاء المعري

العفة والدنس

ما يروع الناس من مقدامة غير غايات العلى ما التمسا؟

شامخ العرنين عال جده ... ينفض الشعرى إذا ما عطسا
ثابت الأركان في زلزلة ... ماد ركن الدهر فيها ورسا
صادق الأخلاق إن ذو ريبة ... كذبت أخلاقه، أو دلسا
يتخطى نضرة العيش إلى ... نضرة الذكر، يريد الأنفا
فهو لم يعثر في مكرمة ... بحمام رابض؛ ما احترسا
وهو لو يُبصر أقطار الدُنى ... سابحات في دم، ما عبسا
وجد العلياء سمًّا ناقعا ... ورأى الندمان صرعى فاحتسى
إن في العفة للمرء أذى ... غير أن الحر يأبى الدنسا

أحمد محرم

النبيذ

تركت النبيذ وشُرّابه ... وصرت صديقًا لمن عابه
شراب يُضل طريق الهدى ... ويفتح للشر أبوابه

أبو الفضل عبد الله

جمع المال

قال عبد الرحمن بن عوف:

يا حبذا المال أصون به عرضي، وأتقرب به إلى ربي.

وقال جعفر الصادق: لا خير فيمن لا يحب جمع المال، لخلال: يصون به وجهه، ويقضي به دينه، ويصل به رحمه.

وقال داود بن علي: لأن يجمع المرء مالاً فيُخلفه لأعدائه، خير له من الحاجة في حياته لأصدقائه.

وقال الحصين بن المنذر: وددت أن لي مثل أحد ذهبًا، ولا أنتفع منه بقيراط، قيل: فما تصنع به؟ قال: لكثرة من يخدمني.

الفضل كالمسك

تبوح بفضلك الدنيا لتحظى ... بذاك وأنت تكره أن تبوحا
وما للمسك في أن فاح حظ ... ولكن حظنا في أن يفوحا

أبو العلاء

خطرات

❑ الأغنياء والوظائف ❑

دعوها للفقير يرم كوخًا ... بها، أو يكسُ عارية لديه
دعوها للفقير ولا تكونوا ... وأنتم عونه عبئًا عليه
قبيح أن تذودوا الكفء عنها ... وقد خُلقت لتثمر في يديه
حبستم ماءها، وهناك صاد ... لها، فدعوا الحياة تصل إليه

ورثتم عن ذويكم ما ورثتم ... وما هو للبصير كمقلتيه
وما ورث الفتى إلا صغارًا ... يعولهم، وإلا أصغريه
تراث جدودكم ضاقت يداكم ... به، فدعوا الفتات بأصبعيه

محمد الأسمر

الإنسان والأقدار

ويقول داري من يقول وأعبدي ... مه فالعبيد لربها والدارُ
تقفون والفلك المسخر دائر ... وتُقَدرون فتضحك الأقدارُ

أبو العلاء المعري

إجلال العلماء

قال الرشيد للكسائي -وكان معلم ولديه الأمين والمأمون-:

أتدري من أشرف الناس؟ قال: أنت يا أمير المؤمنين.

قال: لا، بل أشرف الناس من إذا هم بلبس نعليه تزاحم على تقديمهما له وليًا عهد أمير المؤمنين.

وذلك أن الكسائي أراد مرة أن يقوم من مجلسه، فتزاحم الأمين والمأمون على أن يكون كل منهما أسبق من أخيه بتقديم نعلي الكسائي ليلبسهما في رجليه.

من كلام النعمان بن المنذر

خير العفو ما كان مع القدرة.

الرفق يُمن، والخرق شؤم.

من سأل فوق قدره استحق الحرمان، ومن ألحف في المسألة استحق الرد.

خير الطاعة ما وافق الحاجة.

من كلام الأعراب

قال الأصمعي: سمعت أعرابيًّا يقول: أقبح أعمال المقتدرين الانتقام، وما استُنبط الصواب بمثل المشاورة، ولا اكتُسبت البغضاء بمثل الكبر.

وقال سمعت أعرابيًّا يقول: لا يوجد العجول محمودًا ولا الحسود مسرورًا، ولا الملول ذا إخوان، ولا الحريص حرًّا ولا الشره غنيًّا.

وقال العُتبي: سمعت أعرابيًّا يقول لآخر: إن فلانًا وإن خف عليك فإن عقاربه تسري إليك، فإن لم تجعله عدوًّا في علانيتك، فلا تجعله صديقًا في سريرتك.

قيل لأعرابي: لم قطعت أخاك وهو من أبيك وأمك؟

قال: إني لأقطع العضو الفاسد، وهو أقرب إليّ منه، إذا رأيت في ذلك الصلاح.

وقيل لأعرابي: ما تقول في ابن العم؟ فقال: عدوك عدو عدوك.

وقال أعرابي لآخر: اصحب من يتناسى معروفه عندك، ويتذكر حقوقك عليه.

حكم

قال نصر بن سيار: كل شيء يبدو صغيرًا ثم يكبر، إلا المصيبة فإنها تبدو كبيرة ثم تصغر، وكل شيء إذا كثر رخص، إلا الأدب فإنه إذا كثر غلا.

وقال محمد بن عبد الملك الزيات: احذروا الصديق الجاهل أكثر من حذركم العدو العاقل، فليس من أساء وهو يعلم أنه مسيء، كمن أساء وهو يظن أنه محسن.

قال ابن المعتز: الحوادث الممضة مكسبة لحظوظ جزيلة.

منها ثواب مدخور، وتطهير من ذنب، وتنبيه عن غفلة، وتعريف بقدر النعمة، ومرون على مقارعة الدهر.

قال أبو عبيدة بن معمر المثنى: قال لي أبي: يا بني لا تردن على أحمق خطأ، فإنه يستفيد منك علمًا، ويتخذك عدوًّا.

الجيش

شد ما تشيد بصعدة وحسام ... ودع الخيال لهذه الأقلام
وإذا الصوارم واليراع تناظرا ... فرقت بين الحق والأوهام
الأرض للأقوى فخُض لجج الوغى ... واضرب بقسطلها عزيز الهاج
وإذا امرؤ هز الحسام فقد صحا ... من نومه بمعبر الأحلام
أي البلاد قد استقل بصيحة ... أو نال بالأقلام أي مرام
ما تفعل الزعماء والنواب في ... بلد تناوله كرشفة جام
ما زال من ماضي السنين يجره ... هذا وذاك وراءه بزمام

سهل المآخذ والبلاد منيعة بالماخرات اللاء كالأحلام
أقسمتُ ما رد البلاد طليقة شيء كجيش للبلاد لهام
قودوا لنا جيش البلاد فإنه سر الحياة تدب في الأجسام
لو أن للآرام نابًا أصبحت وكُناسها أجم من الآجام

محمد الأسمر

الأمل

يقولون طال عليك السُّرى أما آن للعيس أن تستريح
وقد هِمت دهرًا بنيل المنى وحظك منك بعيد جموح
أترجو الوصول إلى غاية ودهرك قاس عليك شحيح
فقلت هو الأمل المستطا ب كما قد تمنى الحياة الجريح
سعدتُ به حقبة والمنى بشير السعادة حين تلوح
لعل الزمان إذا ما صفا جرى الفلك في اليم من غير ريح
أأشقى بجدي وصبري وهم يقولون بالجد يحيا الطليح
وما ضرني بغي قومي عليّ ولي في الأنام أديم صحيح
إذا ما خلا العِرض من وصمة فإن الشقاء ملذ مريح

عبد الرحيم العدوي

وأعرق خلق اللّه في الذل أمة تُضام ومنها للذي ضامها جند
وما بعد هذا الذل إلا منية يئن لها لو ذاقها الحجر الصلد

رد تحية
إلى السيد الجليل الأستاذ محمد تقي الدين الهلالي

قل للتقي أطال ربي عمره ... وأدام في أفق العلاء هلاله
إني امرؤ ما زلت منذ عرفته ... في (الفتح) أذكر بالثناء فعاله
وأراه رمزًا للجهاد تشف لي ... عنه السطور إذا قرأت مقاله
فأكاد أُبصر بينها عزماته ... تسعى وألمس باليدين خلاله
فضل به نمت عليه رسائل ... قات البيان برِسلهن عياله(١)
كلف الربيع بزهرها فوحى إلى ... وسميه فأثابها سلساله
وهمامة فاء الزمان بسرها ... دهرًا وأدركه الكلال فقاله
وعزيمة ضرب الجهاد بسيفها ... في كل ملحمة فزاد صقاله
يلوى بهوج العاصفات مضاؤها ... ويدكّ من وعر الحياة جباله
رجل يود المرء لو رُزق الهدى ... في كل قطر سيدين مثاله
لطوى إذا برد الجمود وحققت ... في الأرض همة آله آماله
ولرد هذا الشرق حرياته ... وبنى على هضباتها استقلاله
أتقي هذا العصر لا عدم التقى ... من حسن فعلك ما يزيد جماله
كلا ولا برحت أفاويق الهدى ... تهدى إليك رحيقه وزلاله
أعليت قدر الشعر حين نظمته ... ورفعت من فوق المجرة آله
وحبوتني من بينهم مدحًا أرى ... نقصان فضلى لا يطيق كماله
ورفعت لي في الشرق قدرًا لم يكن ... جهدي الضئيل حرىً به فيناله

---
(١) قات: من القوت. الرسل: اللبن.

ماذا تراني قد صنعت لأمتي غير الكلام ترى الدموع خلاله
نبل يراش ولا مصاب، وصارم عرف العدو قصوره وكلاله
وصدى تكافأ ضعفه وغناؤه فهوى وحلّق لا عليه ولا له
ماذا عسى يجدي الكلام ولو حكى ضحك الربيع إذا السحاب بكى له
أيعيد للإسلام مجدًا قطعت أيدي التخاذل والْوَنَى أوصاله
وعريض ملك كان يرهف بأسه ويزيد في عين الخصوم جلاله
يتلو مثانيه ويمضي حكمه في الخافقين حرامه وحلاله
ويبث دعوته التي بصفائها وضع الضلال عن الحجى أثقاله
فإذا به حر الجناح محلق في الكون يفتح للورى أقفاله
حتى لمدّ يدًا إلى مستوره هتك الحجاب ضياؤها وأزاله
ومضى يسيرها مراكب في الهوا ملكت على صقر الجواء مجاله
وبوارجًا رزح العباب بعبئها والقاع ودع عندها أهواله
ثل العدو عروشنا بقروشنا وبعلمنا استهدى فأصلح حاله
وهوى الجمود بنا لأخمصه ألم تر كيف يعمل في الرؤوس نعاله
فاعجب لحي مات من ظمأ على نهر وميت حي حين بدا له
وسل الشفاء لأمة موقوذة أغرى بها داء الشعوب عضاله
وإليك في الأخيار خير تحية مني يجر بها الصبا أذياله
وكبير أعجاب عييت بشرحه فقبست من تفصيله إجماله

نجع حمادى: ٢٢ شوال ١٣٥٢هـ

محمد النجمي

أخلاق الأمراء

قال عبد اللَّه بن طاهر: كنت عند المأمون يومًا فنادى الخادم قائلاً: يا غلام! فدخل غلام تركي وهو يقول: كلما خرجنا من عندك تصيح يا غلام! إلي كم يا غلام يا غلام؟ أما ينبغي للغلام أن يأكل ويشرب!! فنكس الخليفة رأسه، قال عبد الله: فما شككت في أن يأمر بضرب عنقه، ثم رفع رأسه وقال للغلام: اذهب فأنت حر لوجه اللَّه تعالى، ثم قال: يا عبد اللَّه إن الرجل إذا حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خادمه، وإذا ساءت أخلاقه حسنت أخلاق خادمه، ولا ينبغي أن نسيء أخلاقنا لتحسن أخلاق خادمنا.

العيش الرغيد

من شاء عيشًا رغيدًا يستفيد به ... في دينه ثم في دنياه إقبالاً
فلينظرن إلى من فوقه أدبًا ... ولينظرن إلى من دونه مالاً

الموت نعمة

إن الحيوان والنبات هما اللذان يعتريهما الموت والحياة، وقد وضع اللَّه في طبيعة أكثر النبات وأكثر الحيوان كثرة الذرية كثرة مفرطة جدًا، وتلك الكثرة الطبيعية لحكمة، وهي أنها تكون ضمانًا لبقاء الأنواع على الأرض، فلولا هذه الكثرة المفرطة لانقرض كثير منها ولم يُعوض بمثله في الأرض، فلو تركت تلك

الذرية المتعاقبة حينًا من الدهر، لامتلأ وجه الأرض بالحيوان، فلم تعد الأرض تصلح لحيوان جديد، فموت هذه المخلوقات وسرعة فنائها هي النعمة العظمى؛ لأنها تخلي وجه الأرض لما بعدها، فالموت أشبه بالتخلية، والحياة أشبه بالتحلية، وهذا هو السر في تقديم ذكر الموت على ذكر الحياة في قول اللَّه ﷻ: ﴿الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوٰةَ﴾ من سورة الملك، ولأضرب ذلك مثلاً لذلك:

إذا نظرت إلى مقدار ما في النخل من لقاح، وما في الذرة مما ينتشر في الهواء أو يقع على الأرض، تجده لو صادف صلاحًا وأثمر كله لم تسعه الأرض.

كلنا نرى السمك وما في باطنه من المقادير الكبيرة من البيض الصغير الدقيق جدًّا، وهو عدد عزيز كثير يسمى (البطروخ) يأكله الناس ويباع في الأسواق، فلو أن هذا البيض كله صار سمكًا لأصبح البحر الملح قطعة جامدة.

ترى أن في البيوت من أنواع الحشرات كالبق والبراغيث وأمثالها ما لو تُركت ولم يُهلكها الناس، ولم يُسلط عليها البرد فيُهلكها، وغيرها من الحشرات كالجراد وغيره؛ لأصبحت الأرض كلها مغلفة بطبقة منها، فامتنعت الحياة عليها.

ذكر العلامة (وولاس) عشبًا ينتج من البذر كل سنة ثلاثة أرباع مليون بذرة، وقدر أنه لو عاش هذا النسل ثلاث سنين فقط، وأعقبت كل بذرة في هذه المدة ما بقي مكان في الأرض غير مغطى بها، وقال: لو أن كل نبات أنتج حبتين اثنتين في السنة، واستمر النسل على الإنتاج، لبلغ عدد الإنتاج في السنة الحادية والعشرين ١٠٤٨ ٥٧٦ .

إن بعض الحيوانات الدقيقة المسماة (ميكروبات) لو استمرت على التوالد مدة خمسة أيام بدون انقطاع لمليء المحيط كله بنسلها إلى عميق ميل.

وميكروب الوباء (الكوليرا) الذي يتضاعف كل عشرين دقيقة، لو مضى عليه يوم واحد، وهو يسير بهذا المعدل بلا عائق لبلغ وزنه ٧٣٦٦ طنًا، وبلغ عدده رقم ٥ وإلى يمينه ٢١ صفرًا.

والفيل معلوم أنه أبطأ الحيوان ولادة، فإن الفيلة لا تلد إلا مرة واحدة في كل عشرين سنة، وقد حسب أحد العلماء أنه لو استمر التناسل بدون عائق، لبلغ نسل الزوجين بعد ٧٥٠ سنة ١٩ مليون فيل.

الجراد كثيرًا ما يهجم على القرى والمزارع وهو كالسحاب، فيأكل ما أمامه، ومتى لم يجد ما يأكله أكل بعضه بعضًا.

السمك الذي يشرب الناس زيته لتقوية الجسم، تبيض الواحدة من أناثية مليون بيضة في العام الواحد، فلو أصبحت كل هذه البيضات المستخرجة من سمكة واحدة في سنة واحدة سمكًا لصار البحر كتلة جامدة.

بعض المحار في البحار تبيض الواحدة ستين مليونًا من البيض، وهذا النسل لو بقي كله ما بين عام وعامين لزاد على الكرة الأرضية.

الذباب الذي ينغص عيش الإنسان إذا تكاثر أمامه تبيض الأنثى منه خمس أو ست مرات، وفي كل مرة تبيض من ١٢٠ بيضة إلى ١٥٠ بيضة، فلو عاشت كلها لم يعش شيء على الأرض معها، هذا قل من كل من سرعة تكاثر الحيوان والنبات، فلولا الموت لم تكن حياة، هذا هو السر في تقديم الموت على الحياة.

ربما كان حيوان يعيش على آخر، فإذا انقرض ذلك الآخر مات الحيوان، مثال ذلك الثعابين تعيش في بعض البلاد على الجرذان، وبموت الجرذان

وانقراضها تموت الثعابين وتنقرض من تلك الجهة، فإذا كثرت القطط أكلت الجرذان، وبفنائها تفنى الثعابين، إذن تكون حياة القطط هلا كالنوعين الجرذان والثعابين، وذلك في بعض البلاد، وهذه رحمة عظمى.

جراثيم المرض المسمى (الملاريه) إنما تعيش في جسم البعوض، فإذا أزيل البعوض زال معه ذلك الحيوان المهلك.

لولا حياة البقر ما ابتلي الإنسان بالدودة الوحيدة، إنها تعيش أولاً في لحم البقر، ثم تنتقل إلى جسم الإنسان وتعيش في أمعائه؛ فلو لم يكن بقر لم تكن دودة وحيدة.

بهذا وأمثاله من الحكمة التي أشرقت بها الأرض وأضاء نورها؛ نعرف نعمة اللّه في الموت، ونعرف السر في تقديم الموت على الحياة في سورة الملك من كتاب اللّه الحكيم.

طنطاوي جوهري

العزة وبُعْد الهمة

من عرف منهل الذل فعافه، استعذب نقيع العز وزعافه، عزة النفس وبعد الهمة، الموت الأحمر، والخطوب المدلهمة.

الزمخشري

كبرياء الفقر

للأستاذ صلاح اللبابيدي

مشى يائسًا في الدهر ينهشه الفقر ... خصيب رياض العيش في عينه قفر
يعيش بهوج من أماني كلما ... تهب عليه راح يسكنها العسر
شديد مراس النفس يعطي ميولها ... ويعرض مئنافًا وليس به وقر
نسيم الصِبا إن هب يزهق روحه ... فيُطلق أنفاسًا يضيق بها الصدر
وما الليل في عينيه إلا حياته ... ولكنها ليل وليس له فجر
كأن مناط النجم آمال نفسه ... ويا بؤس من آماله إلا نجم الزهر
يضيء بعيدًا عن مراميه نورها ... وغاياته شتى ومسلكها وعر
فإن علقت عيناه حينًا بثاقب ... خبا النجم في عليائه وهوى الكبر
تراه وقد أودى به الفقر عابثًا ... بآلامه يطفو على يأسه بشر
كأني به في ساحل اليم صخرة ... سواء لديها هاج أو سكن البحر
تعانده الأقدار في كل مطلب ... ويهزأ بالأنواء -إن هبت- الصخر
عرفت به الكبر الذي لا تناله ... مطامح نفس دونها الطائر النسر
وليس بمكسال إذا لاح رزقه ... يجدُّ فتفنى فيه أنمله العشر
ولكنه يعطي قليلاً بسعيه ... فأعماله جلّى ومورده نزر
يطيب له القوت الذي من دمائه ... وإن هو يُعطى منةً طعمه مر
ولو أنه يُجزى على قدر سعيه ... مشى صاغرًا يسعى لحاجاته الدهر
فيبني له بيتًا من المجد شامخًا ... إذا شع منه النور ضاق به البر

حقيقة الكرم

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله ... ويُخصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القِرى ... ولكنما وجه الكريم خصيب

حاتم الطائي

❑ صفحة من تاريخنا ❑

دماء بني أمية

لما قدم عبد اللّه بن علي العباسي الشام -وقد قُتل من قتل من بني أمية بعد ذهاب دولتهم- استدعى الإمام عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي وهو في جنده وحشمه وقال له:

ما تقول في دماء بني أمية؟

قال الأوزاعي: قد كانت بينك وبينهم عهود، وكان ينبغي أن تفي بها.

قال الأمير: ويحك، اجعلني وإياهم لا عهد بيننا.

قال الأوزاعي: فأجهشت نفسي وكرهت القتل، فتذكرت مقامي بين يدي الله، فلفظتها فقلت:

دماؤهم عليك حرام!

فغضب عبد اللّه بن علي وانتفخت عيناه وأوداجه، فقال:

ويحك، ولم!

قلت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا يحل دم امريء مسلم إلا بإحدى ثلاث: ثيب زان، ونفس بنفس، وتاركٌ لدينه**».

قال: ويحك، أليس الأمر لنا ديانة؟

قلت: كيف ذاك؟

قال: أوليس كان رسول اللَّه ﷺ أوصى لعلي؟

قلت: لو أوصى لعلي ما حكّم الحكمين؟

فسكت وقد اجتمع غضبه، فجعلت أتوقع رأسي يسقط بين يديه، فأشار بيده هكذا، وأومأ أن أخرجوه، فخرجت.

وفي هذا الحادث فضيلة لعبد اللَّه بن علي، وهو في ساعة تأسيس ملكه، وانتصاره على خصمه، واجتماع الأمر له، واضطرام النار تحت الرماد من أنصار الحكم السابق الذين ينتظرون أملاً في النجاح، لينتفضوا ويثوروا، ، فإن العباسي احتمل هذه الصراحة العظيمة من ذلك الإمام الأعظم، ولو أن أكبر حكيم في فرنسا جادل وزيرًا فرنسيًّا عند نشوب الحرب العظمى في أمر الحرب وأن الألمان خير مما يزعمه فيهم ساسة الفرنسيس، لما احتمل ذلك منه، ولأسلمه إلى محكمة عسكرية.

وأعظم من فضيلة عبد اللَّه بن علي فضيلة الإمام الأوزاعي الذي كان يعلم بأن صراحته في الحق تُعرضه للقتل، وأجهشت نفسه وكرهت القتل، ثم لم يكتم حكم اللَّه عند ما تذكر مقامه غدًا بين يدي اللَّه ﷻ.

والأوزاعي هو ذلك الطود من أطواد الإسلام الذي لما علم الثوري بمقدمه

خرج إلى ملقاه، وأخذ بخطام بعيره من القطار ووضعه على رقبته، وجعل إذا مر بجماعة قال:

الطريق للشيخ!

تُرى لو بقيت هذه الجرأة في إعلان الحق في علماء الإسلام إلى اليوم، هل يبقى على وجه الأرض عاقل يتردد في قبول هذا الدين، والدخول في هدايته؟

أضاعوا الإسلام فأضاعهم، ونسوا اللَّه فأنساهم أنفسهم..

محب الدين الخطيب

الربيع
قصيدة الشاعر الكبير الأستاذ أحمد محرم

ألقيت في وقت الربيع (ذي الحجة ١٣٥٢هـ) بجمعية (الشبان المسلمين) بالإسكندرية

دنياك تضحك عن ودادٍ صاف … وتريك طيب العيش كيف يوافي
تزجي زخارفها إليك تحية … تشفيك من شوق بقلبك هاف
عجل لنفسك في الربيع سراحها … فلقد كفاك أذى السجينة كاف
واحلل عُرى عينيك في جنباته … بأنامل للزهر فيه لطاف
ريًّا منعمة يريك رفيفها … لين الشباب النضر بعد جفاف
مُلك الخمائل، يكتسبن نضارة … في جاهه، ويملن بالأعطاف
تجري المواكب حوله في لجة … للحسن، من غرق وآخر طاف

طلق الجلال، يسير بين جنوده … فوق الربى في ضجة وهتاف
أغفت معازفها، فلما جاءها … هبت تُنبه كل قلب غاف
بعث الحنين إلى الأحبة وفده … فطوى الديار، وطاف كل مطاف
دنيا محت رسم السلو وجددت … لذوي الصبابة كل أمر عاف
عكف الجريح على جوى أحشائه … ومضى بقلب والهٍ وشغاف
لم يبق من حق الحياة معطل … جنَح الزمان بنا إلى الإنصاف
قل للمفرط في لبانة نفسه … ضيّعت أمرك، فانطلق لتلاف
لك من تباشير الربيع رسالة … من روح ربك ذي البيان الوافي
ناج الحدائق، فهي شعرٌ ضاحك … واستنشد الأزهار، فهي قواف
صور العواطف والحياة تموج في … دنيا من الألوان والأوصاف
هذا يناولك الهموم، يديرها … حرىً، وهذا من همومك شاف
استوف حقك من مرارة علقم … يسقيكه الساقي؛ وطيب سُلاف
أو ما رأيت الأرض، تذبل تارة … وتعود أخرى غضة الأطراف؟
نزلت على الحكمين يَعْتَورانها … من ليّن سمح، وآخر جاف
تثرى من الحسن البديع فإن مضى … راحت بمنزلة القديم العافي
خُذ من عوارفها ومن آلائها … ما شئت، لأنك قانعًا بكفاف
تعطيك مسرفة، تعلّم ذا الغنى … شرف العطاء، وسؤدد الإسراف
كرمت على بخل الزمان وما جنى … بالأمس من ظلم ومن إجحاف
أسبغ ثناءك واجزها ما أسبغت … من كل واف في الصنائع ضاف
أتجرُ أفواف النعيم سنية … وتروح عارية من الأفواف؟
وفّ المجوّدة الصناعَ جزاءها … لا تجزينّ على يد بخلاف

أودى الجحود بمحسنين تنازعوا ... من عبقري الصنع كل طِراف(١)
فقدوا الرجال المنصفين، فشأوُهم ... شأو الضعاف، وما همو بضعاف
أرأيت من يزن الرجال، فيحتفي ... بمجردين من الحلوم خفاف؟
ما أنصف الهمج الجفال وإن همو ... نزلوا لديه منازل الأشراف
قل للسواجع في الغصون: ترنمي ... وصلي فنونك بعد طول تجاف
العُرس حولك والعروس ازينت ... لم يبق غيرك، فأذني بزفاف
زيدي على النسق القديم وجددي ... نسقًا يجدد هزة المشتاف(٢)
زمن القديم مضى وليس بمنصف ... من لا يزيد ذخائر الأسلاف
الفن وجدان العصور، وصورة ... مما يسبغ العالم المتنافي
حذق المنقب يستقل بما انطوى ... من سِره، وبراعة الكشاف
صلف المبرز في مذاهب غيره ... إذعان ممتهن، وعجز مضاف
يا طير ما ضاق البيان، وإنما ... ضاق الزمان، وضن بالإسعاف
غرّد، وإن هجت الهموم لطائر ... حمل الهموم كثيرة الأصناف
وزد النمير العذب غير مروّع ... مثلي بورد ما يطاق ذعاف
يا طير إن كنتَ اللبيب فلا تبت ... إلا سليب مروءة وعفاف
هان النفيس فضاع بين معاشر ... وضعوا اللآليء موضع الأصداف
غرّد وحي الضيف غير مقصر ... إن الربيع لأكرم الأضياف
يعطي جزافًا، لا كمن رزق الغنى ... فسخا، وليس عطاؤه بجزاف
حمل الطرائف والهدايا، تستحي ... منها هدايا المسرف المتلاف
لم تزجها (بلقيس) في سلطانها ... والملك أفيح واسع الأكناف

---

(١) الطراف: الشرف.

(٢) اشتاف إليه اشتيافًا: تطاول ونظر إليه.

تهدي الذخائر من نضار ساطع   شتى المئين كثيرة الآلاف
تبلو (سليمان النبي) لعله   ممن يعادي في الهوى ويصافي
قذفت (بعفريتٍ) تناول عرشها   بيدي أخي جبرية قذاف
يطوي الجواء به كريشة طائر   والريح تعجب، والرماد السافي
شعري رميت من الربيع بصاحب   سمح السهام مهذب الأهداف
سر البيان أذاعه عن قدرة   كالسحر يظهر كل سر خاف
سبحان ربك، إنها آياته   تشفي القلوب من العمى وتعافي
دع من يجادل في الحقائق واجتنب   ما اعتاد من كذب ومن إرجاف
ما المرء ينظر كل شيء ضاحيًا   كالمرء ينظر من وراء سجاف

أحمد محرم

المرء ضيف

أنت في الدنيا كضيف نازل   حل في الأحياء حينًا وانصرفْ
فاحيى بالذكر إذا العمر انقضى   واجعل الرسم من الجسم خلفْ

ضحكنا، وكان الضحك منا سفاهة   وحق لسكان البسيطة أن يبكوا
تحطمنا الأيام حتى كأننا   زجاج ولكن لا يُعاد لنا سبكُ

أبو العلاء المعري

كيف كان المسلمون يحكمون الأمم؟

قال الإمام أبو يوسف (صاحب الإمام أبي حنيفة) في كتاب «الخراج»:

بعث عمر بن الخطاب رضي اللّٰه تعالى عنه زياد بن حدير الأسدي على عشور العراق والشام؛ وأمره أن يأخذ من المسلمين ربع العشر، ومن أهل الذمة نصف العشر، ومن أهل الحرب العُشر، فمر عليه رجل من بني تغلب من نصارى العرب ومعه فرس فقوّموها بعشرين ألفًا، فقال: أعطني الفرس وخذ مني تسعة عشر ألفًا أو أمسك الفرس وأعطني ألفًا، قال: فأعطاه ألفًا وأمسك الفرس، قال: ثم مر عليه راجعًا في سننه فقال له: أعطني ألفًا أخرى، فقال له التغلبي: كلما مررت بك تأخذ مني ألفًا؟ قال: نعم، قال: فرجع التغلبي إلى عمر بن الخطاب، فوافاه بمكة وهو في بيت، فاستأذن عليه، فقال: من أنت؟ فقال: رجل من نصارى العرب (وقص عليه قصته)، فقال له عمر: كفيت، ولم يزده على ذلك، فرجع التغلبي إلى زياد بن حدير، وقد وطن نفسه على أن يعطيه ألفًا أخرى، فوجد كتاب عمر قد سبق إليه: من مر عليك فأخذت منه صدقة فلا تأخذ منه شيئًا إلى مثل ذلك اليوم من قابل، إلا أن تجد فضلاً. قال فقال الرجل: قد والله كانت نفسي طيبة أن أعطيك ألفًا، وإني أشهد اللّٰه أني بريء من النصرانية، وإني على دين الرجل الذي كتب إليك هذا الكتاب.

❁ ❁ ❁

وقال طلحة بن معدان العمري: خطبنا عمر بن الخطاب ﷺ فحمد اللّٰه وأثنى عليه، ثم صلى على النبي ﷺ، وذكر أبا بكر فاستغفر له، ثم قال:

(أيها الناس إنه لم يبلغ ذو حق في حقه أن يُطاع في معصية الله، وإني لا أجد هذا المال يُصلحه إلا خلال ثلاث: أن يؤخذ بالحق، ويُعطى في الحق، ويُمنع

من الباطل، وإنما أنا ومالكم كولي اليتيم، إن استغنيت استعففت، وأن افتقرت أكلت بالمعروف، ولست أدع أحدًا يظلم أحدًا ولا يعتدي عليه، حتى أضع خده على الأرض، وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يُذعن للحق، ولكم عليّ أيها الناس خصال أذكرها لكم، فخذوني بها: لكم عليّ أن لا أجتبي شيئًا من خراجكم ولا مما أفاء اللَّه عليكم إلا من وجهه، ولكم عليّ إذا وقع في يدي أن لا يخرج مني إلا في حقه، ولكم عليّ أن أزيد أعطياتكم وأرزاقكم إن شاء الله، وأسد ثغوركم، ولكم عليّ أن لا ألقيكم في المهالك ولا أجمركم في ثغوركم[١]، وقد اقترب منكم زمان قليل الأمناء، كثير القراء، قليل الفقهاء، كثير الأمل، يعمل فيه أقوام للآخرة يطلبون به دنيا عريضة تأكل دين صاحبها، كما تأكل النار الحطب، ألا كل من أدرك ذلك منكم فليتق اللَّه ربه وليصبر. . . .

أيها الناس، إن اللَّه عظّم حقه فوق حق خلقه، فقال فيما عظم من حقه: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، ألا وإني لم أبعثكم أمراء ولا جبارين، ولكن بعثتكم أئمة الهدى يهتدى بكم، فأدروا على المسلمين حقوقهم، ولا تضربوهم فتذلوهم، ولا تحمدوهم فتفتنوهم، ولا تُغلقوا الأبواب دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم، ولا تستأثروا عليهم فتظلموهم، ولا تجهلوا عليهم، وقاتلوا بهم الكفار طاقتهم، فإذا رأيتم بهم كلالة فكفوا عن ذلك، فإن ذلك أبلغ في جهاد عدوكم.

أيها الناس، إني أشهدكم على أمراء الأمصار أني لم أبعثهم إلا ليفقهوا الناس في دينهم، ويقسموا عليهم فيئهم، ويحكموا بينهم، فإن أشكل عليهم شيء رفعوه إلي).

---

(١) تجمير الجيش: جمعهم في الثغور وحبسهم عن العود إلى أهلهم.

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: لا يصلح هذا الأمر إلا بشدة في غير تجبر، ولين في غير وهن.

❁ ❁ ❁

وكتب علي بن أبي طالب ﷺ إلى كعب بن مالك -وهو عامله على الكوفة-: (أما بعد؛ فاستخلف على عملك، واخرج في طائفة من أصحابك حتى تمر بأرض السواد كورة كورة، فتسألهم عن عمالهم، وتنظر في سيرتهم، حتى تمر بمن كان منهم فيما بين دجلة والفرات، ثم راجع إلى البهقباذات(١) فتول معونتها، واعمل بطاعة اللَّه فيما ولاك منها. واعلم أن الدنيا فانية، وأن الآخرة آتية، وأن عمل ابن آدم محفوظ عليه، وأنك مجزي بما أسلفت، وقادم على ما قدمت من خير، فاصنع خيرًا تجد خيرًا.

❁ ❁ ❁

سلطان العلماء على الأمراء

لما ولي ابن هبيرة العراق، وأضيفت إليه خراسان في عهد يزيد بن عبد الملك، دعا إليه الحسن البصري في جماعة، ثم حادثهم في شأن الخلافة والخليفة والسلطان والطاعة، فقال الحسن:

(يا ابن هبيرة خف اللَّه في يزيد، ولا تخف يزيد في الله، إن اللَّه يمنعك من يزيد، وإن يزيد لا يمنعك من الله، وأوشك أن يبعث إليك ملَكًا، فيُزيلك عن سريرك، ويُخرجك من سعة الدهر إلى ضيق القبر، ثم لا ينجيك إلا عملك).

(١) بهقباذ: اسم لثلاث كور ببغداد من أعمال سقى الفرات، منسوبة إلى بهقباذ بن فيروز، والد أنو شروان العادل.

عمران حضرموت

من رواية تمثيلية شعرية للأستاذ علي بن أحمد باكثير

انظر إلى هذي السهول فقدُ ... كانت مزارع ما لها حدُّ
كانت جنانًا لا فجاء بها ... - غير الممر لراكب - تبدو[1]
من عدوة الوادي القصي إلى الـ ... أهضام من حدراء تمتدُّ
عَمَر الجدود بها مواطنهم ... فغنوا وعيشهم بها رغدُ
ما بعد عام الألف ما قدمت ... منه العهود وما بها بُعدُ
لما تجف بها مواطيء أقـ ... دام الأُلى اشتغلوا بها بعدُ
البر والسمراء، والذرة الـ ... بيضاء والأفواه والرندُ!
والنخل والأعناب حافلة ... بقطوفهن كأنها شَهدُ!
والسدر يفرش في الفضا بسطًا ... من سندس خضر فينسدُّ
فهنالك النعماء تخطر ما ... بين الحقول يزينها البردُ
لله عيشهم فلا كدر ... يعتاق صفوهم ولا جهدُ
دع عهدها العادي من قدم ... فلقد تقادم ذلك العهدُ
إذ كانت الأنهار جارية ... تحت الجنان كأنها الخلدُ!
تلك الحقائق لا يصدقها ... قوم عيون قلوبهم رمدُ
تلكم بقاياها تدل على ... ما كان سد دونه سدُّ!

---

(١) الفجاء: جمع فجوة. ورد في الرحلة المتوكلية وصف حضرموت على عهده حوالي سنة ١٠٦٠ أنها كانت بساتين ممتدة من حضرموت إلى المسفلة، لا فجوة بها خالية من الأشجار والزروع، إلا مقدار ما يمر الراكب.

يحتاز ماء القطر يقسمه ... بين الأراضي حكمها القصدُ
فنمت مزارعها فما فتئت ... فيها الغيوث تروح أو تغدو
هي سنة الباري فما كثر الـ ... أشجار فالأمطار تشتدُّ
قف سائل الآثار كيف ذوت ... تلك الخمائل فهي ذي جُردُ
تخبرك إن نطقت: وربما ... نطق الجماد وقوله الرشدُ
في بطن أرض أنت واطئها ... همم تصول فليس ترتدُّ
تصبو إلى العمل المفيد ترى ... أن السعادة ركنها الجدُّ
فتلاهم خلف كأنهم ... لا ساعد لهم ولا زندُ!
فسبيلنا ترديدنا أبدًا: ... نعم الجدود وبئست الولدُ!!

علي أحمد باكثير

طريق الذل

«إذا ضن الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعينة، وتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله، أدخل اللَّه تعالى عليهم ذلاً لا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم» (رواه الإمام أحمد في «مسنده»[١]، والطبراني في «الكبير»[٢]، والبيهقي في «شعب الإيمان»[٣] عن عبد اللَّه بن عمر، عن النبي ﷺ، وهو حديث حسن).

(١) برقم (٤٨٢٥).
(٢) برقم (١٣٥٨٣).
(٣) برقم (٤٢٢٤).

«إذا قال الرجل للمنافق: يا سيدي، فقد أغضب ربه» (رواه الحاكم في «المستدرك»[١]، والبيهقي في «شعب الإيمان»[٢] عن بريدة، عن النبي ﷺ، وهو حديث صحيح).

الشهيد

لشاعر فلسطين الأستاذ/ إبراهيم طوقان

عبس الخطب فابتسم ... وطغى الهول فاقتحم
رابط الجأش والنهى ... ثابت القلب والقدم
لم يبال الأذى ولم ... يثنه طارئ الألم
نفسه ضرع همة ... وجمت دونها الهمم
تلتقي الهائج الخضـ ... ـم إلى الراسخ الأشم
وهي من عنصر الفـ ... ـداء ومن جوهر الكرم
ومن الحق جذوة ... لفحها حرر الأمم
سار في منهج العلى ... يطرق الخلد منزلا
لا يبالي، مكبلا ... ناله أم مجندلا

فهو رهن بما عزم

ربما غاله الردى ... وهو في السجن مرتهن
لم يشيّع بدمعة ... من حبيب ولا سنن

---

(١) برقم (٧٨٦٥).

(٢) برقم (٤٨٨٤). وحسنه الألباني.

ربما أدرج التراب سليبًا من الكفن
لست تدري، بطاحها غيّبته أم القنن
لا تقل أين جسمه واسمه في فم الزمن
إنه كوكب الهدى لاح في غيهب المحن
أرسل النور في العيون، فما تعرف الوسن
ورمى النار في القلوب فما تملك الضغن
أي وجه تهللا يرد الموت مقبلا
صعد الروح مرسلا لحنه ينشد الملا
أنا لله والوطن(١)

العالم

قال رجل للشعبي: أيها العالم!

فقال: لسنا بعلماء، إنما العالم من يخشى الله.

(١) بل المسلم لله وحده، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾. (س).

من حكمة أبكتانوس الروماني

كان أبكتانوش الحكيم عبدًا لصاحب الشرطة في روما على عهد الإمبراطور نيرون في أواخر القرن الأول للمسيح، ولما أمر الإمبراطور الروماني فرمطيانوس بإخراج الفلاسفة من مملكة روما، هاجر أبكتانوس إلى بلاد اليونان ومات فيها، وكان أساس حكمته أن يُميز الإنسان بين ما هو مقدوره فيحتاط له، وبين ما هو مقدوره، فيصبر عليه ويرضى به. ومن أقواله:

* لا يكن حذرك إلا فيما هو في قدرتك، وكن مطمئن البال فيما سواه.

* أكثر ما تضطرب من أجله أفكار الناس ينشأ عما يتخيلونه في الحوادث لا عن الحوادث نفسها، فإذا أحسسنا في نفسنا القلق والحزن، فلنلم أنفسنا، أي: ما فينا من الظنون الكاذبة.

* من لام غيره على ما يطرأ له فهو جاهل، ومن لام نفسه دون غيره فقد شرع في الحكمة، وأما الحكيم فلا يلوم نفسه ولا غيره.

الفتح في عامها التاسع

أخذ الكَرى بعيون دهرك فاسهدي ... لم يبق إلا بعض يومك والغد[1]

وبدت طريق الفوز تلفت بالصوى[2] ... لسلوكها عين (المحب) المهتدي

---

(١) نوم الدهر: كناية عن هدوئه.

(٢) الصوى: أعلام الطريق.

يفري الحسام بها الضريبة مغمدًا ... ويصيب فيها السهم غير مسدّد
فاطوي مراحلها لباذِخة العلى ... وتبوإي منها مكان الفرقد
واستقبلي الخيرات في إقباله ... عامًا يروح بها عليك ويغتدي
أنتِ الخليقة بالثناء، وإن مضى ... بمذمة التقوى لسان الملحد
والمستقلة بالمحبب للنهى ... بالرغم من أنف الخليع المفسد
صاولتِ أقيال الضلال بعزمة ... رغم الوقوف أمامها لم تقعد
وصرعتِ أبطال المجون بصارم ... كتبت عليه يد الهدى: هذا يدي
ليت الألى جهلوا مكانك فانثنوا ... يتلمسون الكُحل عند الأرمد
وتنكبوا أَمَم[1] الطريق، وأوفضوا[2] ... يتهالكون على الطريق الأبعد
ألقوا إليك بنظرة، فتلقنوا ... درس الهداية عن لسان المرشد
أو ليت من حسبوا الجمال تجملاً ... بالثوب يوزن نسجه بالعسجد
وتوهموا حظ الحياة رقاعة ... وتحرشًا بالفاتنات الخُرد
وضراوة بالمخزيات، وجرعة ... تودي من الخمر العتيق ولا تدي[3]
راضوا النفوس عليك فانقلبوا وهم ... في الفضل أفضل قدوة للمقتدي
ليت الألى تركوا الطريق أمامنا ... بالشح للعلياء غير معبد
وتعبَّد الدينار منهم أنفسًا ... سجدت له في خشية المتعبد
فأصاب منها ذلك الخلق الذي ... بسواه لا يسمو الفتى للسؤدد
جارَوا كرام الناس في الجدوى كما ... سبقوا الزعانف في التبذل والدَّد[4]

---

(١) الأمم: القريب.
(٢) انطلقوا مسرعين.
(٣) تهلك.
(٤) الدد: اللعب واللهو.

قعدوا بأحساب البلاد، ووطأوا ... منها المناكب لافتئات المعتدي
وعدوا[1] على أمجادها؛ فهووا بها ... بعد السمو إلى الحضيض الأوهد
ورموا ميادين العلاءِ بمقلة ... لولا جمود أكفهم لم تجمد
ومن الغبينة أن ترى عبد الهوى ... منهم تكال له نعوت السيد
يا راكبًا متن البخار مولّيًا ... وجه المنى والشوق شطر المسجد
ترمي به شط العروبة همة ... شب الهوى في جمرها المتوقد
قل للأهلة من ذوي أرحامنا ... من منهم سمح اليدين ومنجد
لله أنتم معشر، كنَديِّهِ ... شهد التدبر أنه لم يشهد
أوصدتم للشر بابًا والأذى ... لولا الأناة وفضلها لم يوصد
أقعت ذئاب الشر تزعج دونه ... سمع النهى بعوائها المتردد
حتى لكاد اليأس يلقي بالرجا ... فلذا تروع بشملها المتبدد
وصفعتم الغرب الشحيح براحة ... بسوى المروءة والندى لم تُمدد
أورته أن الشرق أصفى فطرة ... منه وأنبل غاية في المقصد
واحمل لوفد المسلمين تحية ... حفلت بأعذار الثناء المجهد
وادخل إلى البيت العتيق وطف به ... واركع هناك لوجه ربك واسجد
وادع المهيمن أن يدع خصومنا ... دعا لهاوية الهوان السرمد
ويلم شمل بني الهدى ويقيهم ... عنت الزمان وشر كيد الحسد
ويزيدهم أخذًا بكل مثقف ... لنُهى الجماعة، للحياة مجدد
ويمد بالتأييد كل أخي ندى ... (للفتح) في شرف الجهاد مؤيِّد
أصحيفةَ (الفتح) المبين تحية ... من ضاحك النِّسرين والورد الندي

---

(١) وثبوا.

عن أمة التوحيد في مجموعها تُهدى لصاحبك الكريم المَحْتِد
رجل الجهاد المستمدّ عَتاده من صَبره ويقينه المتجدِّد
الزاهد الأوَّاب إن شحّ الحَيا[1] فمضى بصبر القانع المتزهّد
المُستعزِّ بربه وبدينه إن ذلّ للأغيار وجهُ المجتدي
والمستطيب أذى الجهاد، وإنها لفضائلٌ في غيره لم تُوجد
لا زلتِ للأفكار نجمًا تهتدي بسناه في هذا الزمان الأسود
من ثامنٍ تتقدّمين لتاسع خَصْبٍ، إلى ما لا يُعد على اليد
لا تضجرى، فالعسر ظل سحابة والنجح من حلف الثبات بمرصد
وتنظّري البشرى[2] فقد أخذ الكرى يلقى الغطاء عن العيون الهُجد
هذي فروعُ الفوز تفترع الجوا طولاً لتُؤتى أُكلَها وكأن قدِ

١٠ ربيع الأول سنة ١٣٥٣هـ

النجمي

من الحكم

بعض الحلم مذلة، وبعض الاستقامة مزلّة، فراسة الكرم لا تبطى، وقيافة الشرف لا تخطى، خير البر ما صفا وضفا، وشرّه ما تأخر وتكدر.

الصاحب بن عباد

---

(١) الحيا: المطر. والمراد به هنا مورد الكسب.

(٢) ارتقبيها.

إني لأرفع نفسي أن يكون ذنب أعظم من عفوي، وجهل أكثر من حلمي، أو عورة لا أورايها بستري، أو إساءة أكثر من إحساني.

معاوية رضي الله عنه

تحية الفتح في عامها التاسع

من شاعر مصر الكبير الأستاذ أحمد محرم

أمنارة الساري، وأمن الوادي ... هل بات حولكِ سامرٌ فأنادى؟
أسفُ الصّدى أن يضمحلَّ، وما قضى ... وطرًا من الأسماع والأكباد
ومن العناء، وقد بلوتُ صنوفه ... فشل الهداة، وخيبة القواد
في ذمة الذِّكر الحكيم رسالتي ... وإليكَ ربِّي مرجعي ومعادي
أنتَ العليم بما أريد وأبتغي ... وبما أُكابد من أذى وعناد
عِفتُ الصبي، وجعلتُ شيبي قُربةً ... أبغي الحياة لأمتي وبلادي
كلٌّ لوجهك، ليس شيءٌ غيره ... إلاّ يصير إلى بلى ونفاد
أغرى الخوراج بالعداوة أنهم ... وجدوا مرادك في الحياة مرادي
أنت الموفق، والنفوس رهينة ... بقضائك الجاري إلى الآباد
لك يا منورة البقاع تحية ... من رائحٍ في نور علمك غاد
سيري على نور (الكتاب) وهديه ... وعلى التي سن (الأمين الهادي)
لك في (بني الإسلام) أجر مجدد ... لشرائع الآباء والأجداد
أنصفتِ (دين الله) من أعدائه ... وهزمت دين الكفر والإلحاد
وغضبت للأخلاق غضبة حرة ... تأبى الحياة مشوبة بفساد

وجهدت تبنين (العروبة) كلما ... أبصرتِ حائطها بغير عماد
ردي الغواة إلى السبيل، وائذني ... في الجامحين بحكمة وسداد
وخذي العهود على الرجال فحسبهم ... ما كان من شغب وطول تعاد
الضعف أدركهم وكانوا قوة ... لا تُستباح بقوة وعتاد
يلقي إليها المستبد قياده ... والحق منها آخذ بقياد
إن أمسكت فعن الأذى، وإذا مضت ... مضت السيوف على هدىً ورشاد
عطفت على الأمم الضعاف وطوحت ... خلف الدروب بآخرين شداد
لم تتخذ ملكًا أزل[1] ولم تُقم ... حكمًا على شطط ولا استبداد
خُلقت سلامًا للشعوب ورحمة ... في عالم بادي الشراسة عادي
يرعى الضعاف به ويملك أمرهم ... غرثان يلتهم الممالك صادي
يرد الدماء بريئة ويخوضها ... ولهى ولم تك مطمح الوُراد
الله حرمها ودافع دونها ... من ذا يدافع ربه ويرادي؟[2]
نظر الهداة إلى الشعوب فما دروا ... أعقول وحش أم طباع جماد؟
وتعجبوا للأرض كيف يسوسها ... طغيان أرباب وجهل عباد
مرضت نفوس العالمين فعادها ... خير الأساة وأفضل العواد
طبٌّ من (الوحي المفصل) آخذ ... بمجامع الأرواح والأجساد
ما انفكت الأفهام في أصفادها ... حتى تداركها (الرسول الفادي)
إيهٍ (محب الدين) زده محبة ... في المؤمنين وزدْهُ صفوَ وداد
لي من يراعك في الصبابة مسعد ... فامزج مدادك في الهوى بمدادي
وتعال نقضِ الحق في ميعاده ... إن الحياة قريبة الميعاد

---

(١) غير ثابت.

(٢) المراداة: الرمي بالحجارة.

اليوم نملك أن نقول وإننا | لإلى رفات صامت ورماد
قل ما أردت وناد قومك أقبلوا | من حاضر يخشى الإله وبادي
الله يسأل أين غودر دينه | ويقول أين فوارسي وجيادي؟
أفيطمع النوام ملء عيونهم | أن يملكوا الدنيا بغير جهاد؟
سر يا دليل الركب مأمون الخطى | وارفع يديك تحية للحادي
المسلمون على هدىً من ربهم | ما دام نورك عن يمين الوادي

أحمد محرم

الفتح في سنتها التاسعة

أحقًّا خطوتِ إلى التاسعه | وأتممت شقتك الواسعه
قطعت مراحلها عنوة | سلاحك عزمتك القاطعه
وواصلت سيرك لم تثنه | صعاب تخطيتِها مانعه
لقد هاجمتك سنيً عجاف | تريدك شاةً لها خاضعه
فكنتِ اللباة ثوت بالعرين | فأيأست الفئة الطامعه
ومر بأفقك غيم كثيف | فما نال من شمسك الساطعه
لقد صادروك لكي يُسقطوك | فكانوا لك الآلة الرافعه!
ومن قبلُ أوصوا شياطينهم | بأن يجعلوك لهم تابعه
فكم لوّحوا ببريق النضا | ر وناهيك من فتنة خادعه
فإن لم تكوني صدى ظلمهم | فلا توقظي الأعين الهاجعه
ولكن رضيتِ بشوك القتا | د ولم تقبلي الزهرة اليانعه

فـلـلـه مـن مـوقـف رائـعٍ يـزيـن مـواقـفـك الـرائـعـه
وإن أنس لا أنسى إجماعهم عـلـى دفـن آثـارك الـذائـعـه
وكـيـف هـزأت بـمـا بـيـتـوا وأكـثـرت شيـعـتـك الـسـامـعـه
وقـاومـت قـارعـة أحـدثـوا ومـا كـان أهـولـهـا قـارعـه
نسوا أو تناسوا الذي سجلت صـحـيـفـة تـاريـخـك الـنـاصـعـه
وعـزة نـفـس إذا أعـطـيـت بها (منجمًا) لم تكن بائعه
فيا (فتحُ) خطتك استأنفي ودومـي بـآفـاقـنـا طـالـعـه
وروحي كـدأبـك لـلـمـسـلـمـين إلـى الـوثـبـة الـقـوة الـدافـعـه
وسيري بهم رغم هذا الشتا ت حثيثًا إلى الوحدة الجامعه
لـعـل بـعـامـك نـيـل الـمـنـى كـمـا شـمـت من بدئه طالعه
وما ثمّ يمن كحقن الدماء وكـادت تـراق سـدى ضـائـعـه
ولـكـن بـحـكـمـة عـبـد الـعـزيـز وهـمـتـه انـقـضـت الـفـاجـعـه
شـهـامـتـه رد إكـسـيـرهـا ثـمـار مـضـراتـهـا نـافـعـه
وكـانٍ لـنـصـحـك شـأن عـظـيـم وكـانـت عـقـاقـيـرك الـنـاجـعـه

محمد صادق عرنوس

من وصايا الآباء للأبناء

يا بني: أوصيك بتقوى اللّٰه ﷻ في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، والعدل في الصديق والعدو، والعمل في النشاط والكسل، والرضا عن اللّٰه تعالى في الشدة والرخاء.

علي رضي الله عنه

تغير الحال

ورب كـريـم تـعـتـريـه كـزازة كما قد رأيت الشوك في أكرم الشجر
ورب جواد يمسك اللَّه جوده كما يُمسك اللَّه السحاب عن المطر

أبو العلاء الأسدي

في الخمر

لعمرك ما يُحصى على الكأس شرها وإن كـان فـيـهـا لـذة ورخـاء
مرارًا تُريك الغي رشدًا وتارة تُخيل أن المحسنين أساءوا
وأن الصديق الماحض الود مبغض وأن مـديـح المـادحـيـن هـجـاء

يزيد بن محمد المهلبي

داعية الهدى

حي (الخطيب) ومجِّد (الفتحا) مرحى لداعية الهدى مرحى!
مرحى! أقول -على الدوام- لها ولقد أقول لغيرها: برحى!
لصحيفة الحق التي طلعت فغدا الظلام بنورها صُبحا
عـنـيـت بـجـد الـشـأن طـاويـة عن هـزلـه وفـضـولـه كـشـحـا

تخذت سبيل اللَّه مهيعها ... ورأت خسار معاشها ربحا!
تحنو على الإسلام تحضنه! ... لم تألُهُ حبًّا ولا نُصحا
وتحارب الإلحاد في ثقة ... أن الصبيحة تُعقب الجُنحا
تتتبع الإلحاد تنسفه ... نسفًا، وتكسح جذره كسحا
تفليه من شعر الصلاح أذى ... وتذيبه في مائها ملحا!
تأتي عليه، تدك عاليه ... أرأيت تحت قذيفة صرحا؟
أضحت بهاجرة الزمان على ... فئة الهدى الينبوع والسرحا!
يزهى بها الإسلام مغتبطًا ... وتتيه مائسة بها الفُصحى
قبس يؤججه بغيرته ... شهم بمهجته له ضحى
تخذ الجهاد شعاره، ومضى ... لم يكترث قدحًا ولا مدحا!
أواه! من ذل نكابده ... لا نستطيع لثقله طرحا!
إنا بني قحطان ذل بنا ... أنا نسينا السيف والرُمحا!
هل نستعيد قوى بها فتحت ... آباؤنا الشم الدُنى فتحًا؟
ونثور متخذين عدتنا ... دمنا الصريح، وديننا السمحا؟
ذخران لو في غيرنا اجتمعا ... بلغ السماء وصافح النطحا!!
قل للعروبة وهي باكية ... تذري الدموع وتشتكي البرحا:
قومي امسحي عينيك وامتثلي ... هذي الجزيرة تعقد الصلحا!
جري على قتلاك مغفرة ... وتحنني عطفًا على الجرحى!
وامضي إلى (عبد العزيز) يزل ... عنك السقام ويضمد القرحا!
أنت الحزينة، إن مضيت له ... أضحيت هانئة به فرحى
ملك كأن اللَّه أرسله ... ليقيم من أمجادك الصرحا!

فادعى له الرحمن سائلة ... أن لا يفارق سعيه النُجحا
أمل العروبة في قضيتها ... بين (الرياض) يجول و(البطحا)!

القاهرة: ٥ صفر ١٣٥٣هـ

علي أحمد باكثير

جبلة بن الأيهم ملك غسان بالشام

قال حسان بن ثابت:

أتيت جبلة بن الأيهم الغساني قبل البعثة وقد مدحته، فأذن لي، فجلست بين يديه، وعن يمينه رجل له ضفيرتان، وعن يساره رجل لا أعرفه، فقال:

أتعرف هذين؟

فقلت: أما هذا فأعرفه -وهو النابغة الذبياني-، وأما هذا فلا أعرفه.

قال: هو علقمة بن عبدة، فإن شئت استنشدتهما وسمعت منهما، ثم إن شئت أن تُنشد بعدهما أنشدت، وإن شئت أن تسكت سكت.

قلت: فذاك، فأنشده النابغة:

كِليني لهمٍّ يا أميمة ناصب ... وليلٍ أقاسيه بطيء الكواكب

قال: فذهب نصفي

ثم قال لعلقمة: أنشد، فأنشده:

طحا بك قلبٌ في الحسان طروب ... بُعيد الشباب عصرَ حان مشيب

فذهب نصفي الآخر، فقال لي:

أنت أعلم الآن، إن شئت سكت، وإن شئت أنشدت، فتشددت وأنشدت:

لله در عصابة نادمتهم ... يومًا بجَلِّقَ في الزمان الأول
أبناء جفنة عند قبر أبيهم ... قبر ابن مارية الجواد المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم ... كأسًا تُصفق بالرحيق السلسل
يُغشون حتى ما تهر كلابهم ... لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم ... شمُ الأنوف من الطراز الأول

فقال لي: ادن ادن، لعمري ما أنت بدونهما.

ثم أمر لي بثلثمائة دينار، وعشرة أقمصة، لها جيب واحد،

وقال: هذا لك عندنا في كل عام.

ولما أسلم جبلة، كتب إلى أمير المؤمنين عمر يستأذنه في القدوم عليه، فأذن له، فخرج إليه في خمسمائة من أهل بيتهن من علٍ وغسان، حتى إذا كان على مرحلتين كتب إلى عمر يُعلمه بقدومه، فسُرَّ بذلك، وأمر الناس باستقباله، وبعث إليه بأنزال، وأمر جبلة مائتي رجل من أصحابه، فلبسوا الديباج والحرير، وركبوا الخيل معقودة أذنابها، وألبسوها قلائد الذهب والفضة، ولبس جبلة تاجه وفيه قرطا مارية، وهي جدته، ودخل المدينة، فلم يبق بها بكر ولا عانس إلا خرجت تنظر إليه وإلى زيه، فلما انتهى إلى عمر، رحب به وألطفه وأدنى مجلسه، ثم أراد عمر الحج، فخرج معه جبلة، فبينا هو في الطواف إذا وطيء إزاره رجل من بني فزارة، فانحل، فرفع جبلة يده فهشم أنف الفزاري، فاستعدى عليه عمر، فبعث إلى جبلة، فأتاه فقال: ما هذا؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين، إنه تعمد حل إزاري، ولولا حُرمة الكعبة لضربت عنقه بالسيف!

قال عمر: قد أقررتَ، إما أن ترضي الرجل وإما أقدته.

قال جبلة: تصنع ماذا؟

قال: آمر بهشم أنفك.

قال: وكيف ذلك، هو سوقة وأنا ملك؟

قال: الإسلام جمعك وإياه، فليس تفضله إلا بالتقى والعافية؟

قال جبلة: قد ظننت أني أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية.

قال عمر: دع عنك هذا، فإنك إن لم ترضِ الرجل أقدته منك!

قال: إذن أتنصر!

قال: إن تنصرت ضربت عنقك!

فلما رأى جبلة الجد من عمر قال: أنا ناظر في ليلتي هذه -وقد اجتمع بباب عمر من حي هذا وحي هذا خلق حتى كادت أن تكون فتنة-، فلما أمسوا، أذن له عمر بالانصراف، حتى إذا نام الناس تحمل جبلة مع جماعته إلى الشام، فأصبحت مكة منهم بلاقع، فلما انتهى إلى الشام تحمل في خمسمائة من قومه حتى أتى القسطنطينية، فدخل إلى هرقل، فتنصر هو وقومه، فسُر هرقل بذلك جدًّا، وظن أنه فتح من الفتوح، وأقطعه حيث شاء، وجعله من محدثيه وسماره.

ثم إن عمر بدا له أن يكتب إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، ووجه إليه رسولاً -وهو جثامة بن مساحق الكناني- فلما انتهى إليه أجاب إلى كل شيء سوى الإسلام، فلما أراد الرسول الانصراف، قال له هرقل:

هل رأيت ابن عمك هذا الذي جاءنا راغبًا في ديننا؟

قلت: لا.

قال: فالْقه.

قال: فتوجهت إليه، فلما انتهيت إلى بابه رأيت من البهجة والحسن والسرور ما لم أر مثله بباب هرقل، فلما أُدخلت عليه إذا هو في بهو عظيم، وفيه من التصاوير ما لا أحسن وصفه، وإذا هو جالس على سرير من قوارير، قوائمه أربعة أُسد من ذهب، وقد أمر بمجلسه فاستُقبل به وجه الشمس، فما بين يديه من آنية الذهب والفضة تلوح، فما رأيت أحسن منه، فلما سلمت عليه رد السلام ورحب بي وألطفني، ولامني على تركي النزول عنده، ثم أقعدني على سرير لم أدر ما هو، فتبينته فإذا هو كرسي من ذهب، فانحدرت عنه، فقال: مالك؟

فقلت: إن رسول اللَّه ﷺ نهى عن هذا.

فقال جبلة أيضًا مثل قولي في النبي ﷺ حين ذكرته، وصلى عليه.

ثم قال: يا هذا، إنك إذا طهرت قلبك، لم يضرك ما لبسته ولا ما جلست عليه[1].

ثم سألني عن الناس، وألحف في السؤال عن عمر، ثم جعل يفكر حتى عرفت الحزن في وجهه، فقلت له:

ما يمنعك من الرجوع إلى قومك والإسلام؟

فقال: أبعد الذي قد كان؟

قلت: قد ارتد الأشعث بن قيس عن الإسلام، ومنعهم الزكاة، وضربهم بالسيف، ثم رجع إلى الإسلام.

---

(١) قلنا: ولكن غاب عن جبلة أن من مقاصد الإسلام استكمال الرجولة في رجاله، والابتعاد بهم عن خنوثة الترف ولين الدعة.

فتحدثنا مليًا، ثم أومأ إلى غلام على رأسه، فولى يُحضر، فما كان إلا هُنية حتى أقبلت الأخونة فوضعت، وجيء بخوان من ذهب فوُضع أمامي، فاستعفيت، ، فوُضع أمامي خوان من خلنج وجامات قوارير، وأديرت الخمر فاستعفيت منها، فلما فرغنا، دعا بكأس من ذهب فشرب منه خمسًا. ثم أومأ إلى غلام فولي يُحضر، فما شعرت إلا بعشر جوار يتكسرن في الحلي والحلل، فقعد خمس عن يمينه وخمس عن شماله، ثم سمعت وسوسة من ورائي، فإذا أنا بعشر أفضل من الأول، عليهن الوشي والحلي، فقعد خمس عن يمينه وخمس عن شماله، ثم أقبلت جارية على رأسها طائر أبيض كأنه لؤلؤة، مؤدب، وفي يدها اليمنى جام فيه مسك وعنبر قد خُلطا، وفي اليسرى جام فيه ماء ورد، فألقت الطائر في ماء الورد، فتمعك فيه بين جناحيه وظهره وبطنه، ثم أخرجته فألقته في جام المسك والعنبر، فتمعك فيهما حتى لم يدع فيه شيئًا، ثم نفرته فطار فسقط على رأس جبلة، ثم رفرف ونفض ريشه، فما بقي عليه إلا سقط على جبلة؛ ثم قال للجواري:

أطربنني!

فخففن بعيدانهن يغنين:

لله در عصابة نادمتهم ... يومًا بجَلّق في الزمان الأول

(الأبيات). فاستهل واستبشر وطرب، ثم قال: زدنني!

فاندفعن يغنين:

لمن الدار أقفرت بمعان ... بين شاطيء اليرموك فالصمان(١)

إلى آخر القصيدة.

---

(١) بلدة معان ونهر اليرموك في شرق الأردن.

فقال: أتعرف هذه المنازل؟

قلت: لا، قال: هذه منازلنا في ملكنا بأكناف دمشق، وهذا شعر ابن الفريعة حسان بن ثابت شاعر رسول اللَّه ﷺ.

قلت: أما إنه مضرور البصر، كبير السن!

قال: يا جارية، هاتي

فأتته بخمسمائة دينار، وخمسة أثواب ديباج، فقال: ادفع هذه إلى حسان، ثم راودني على مثلها، فأبيت، فبكى، ثم قال لجواريه:

أبكينني.

فوضعن عيدانهن، ثم أنشأن يقلن:

تنصرت الأشراف من عار لطمة	وما كان فيها لو صبرتُ لها ضرر
تكنفني فيها لجاج ونخوة	وكنت كمن باع الصحيحة بالعور
فيا ليت أمي لم تلدني وليتني	رجعت إلى القول الذي قاله عمر
ويا ليتني أرعى المخاض بقفرة	وكنت أسيرًا في ربيعة أو مضر
ويا ليت لي بالشام أدنى معيشة	أجالس قومي ذاهب السمع والبصر

ثم بكى وبكيت معه، حتى نظرت إلى دموعه تجول على لحيته، ثم سلمت عليه وانصرفت، فلما قدمت على عمر، سألني عن هرقل، وعن جبلة فقصصت عليه القصة، فقال:

أبعده الله، تعجل ثانية بباقية، فهل سرح معك شيئًا؟

قلت: سرح إلى حسان خمسمائة دينار وخمسة أثواب ديباج، فقال:

هاتها!

وبعث إلى حسان، فأقبل يقوده قائده حتى دنا فسلم، وقال:

يا أمير المؤمنين، إني لأجد أرواح آل جفنة!

فقال عمر رضي الله عنه: قد نزع اللَّه تعالى لك منه على رغم أنفه، وأتاك بمعونته.

فأخذها وانصرف وهو يقول:

إن ابن جفنة من بقية معشر لم يغذهم آباؤهم باللوم
لم ينسني بالشام إذ هو ربها كلا ولا متنصرًا، بالروم
يعطي الجزيل ولا يراه عنده إلا كبعض عطية المذموم

مجالس ملوك العرب أندية ثقافة وتهذيب

نصب عبد الملك بن مروان الموائد يطعم الناس في أحد الأيام، فجلس رجل من أهل العراق على بعض الموائد، فنظر إليه خادم لعبد الملك فأنكره، فقال:

أعراقي أنت؟

فقال: نعم!

فقال: بل أنت جاسوس!

قال: لا، ويحك دعني أتهَنَّأ طعام أمير المؤمنين ولا تنغصه عليَّ.

ثم إن عبد الملك أقبل يطوف على الموائد، فوقف على تلك المائدة، فقال: من القائل:

إذا الأرطى توسد أبرديه

وما معناه؟ ومن أجاب فيه أجزناه.

فقال العراقي للخادم: أتحب أن أشرح لك ذلك؟

قال: نعم!

فقال: هذا البيت يقوله عدي بن زيد في صفة البطيخ الرمسي، فنهض الخادم مسرورًا إلى عبد الملك فأخبره.

فضحك عبد الملك حتى سقط.

فقال له الخادم: أخطأت يا مولاي أم أصبت؟

فقال: بل أخطأت.

فقال: هذا العراقي لقنني إياه.

فقال أي الرجال هو؟

فأراه إياه، فقال: أأنت لقنته هذا؟

فقال: نعم.

فقال: صوابًا لقنته أم خطأ؟

فقال: بل خطأ.

فقال: ولم؟

قال لأني كنت متحرِّمًا بمائدتك، فقال لي كيت وكيت، وأردت أن أكفه عني وأضحكك منه.

فقال له عبد الملك: فكيف الصواب؟

فقال: هذا البيت يقوله الشماخ بن ضرار في صفة البقر الوحشية، التي جزأت بالرطب عن الماء.

فقال: صدقت!

وأمر له بجائزة، ثم قال له: ألك حاجة؟

قال: نعم.

قال: وما هي؟

قال: تنحي هذا عن بابك، فإنه يشينه!

هكذا كانت مجالس خلفاء العرب وملوكهم أندية ثقافة وتهذيب، يتصل فيها الشعب بولاة أمره، ليس بين قلوب هؤلاء وقلوب هؤلاء حجاب، فلما استعجمت الدولة بعد ذلك تولت بهجة الدنيا.

نصراني عربي يمدح المنقذ الأعظم ﷺ

صديقنا الأستاذ وصفي قرنفلي، هو الشاب النصراني الذي كانت له في بعض سنوات الفتح كلمات طيبة عن الإسلام، اعتاد أن يوقعها بتوقيع (فتى العرب)، والآن أُعلن اسمه للملأ مقرونًا بعقيدته في نبي الرحمة محمد ﷺ أنه رسول الله، وأن نصارى العرب لولاه لكانوا عبيدًا، وهذه قصيدة من نظمه في المديح النبوي:

قد يقولون شاعر نصراني ... يُرسل الحب في كذاب البيان
يتغنى هوى الرسول ويهذي ... بانبثاق الهدى من القرآن
ينتحي الجبهة القوية ... يحدوها رياء والشعر لا وجداني
كذبوا والرسول، لم يجر يومًا ... بخلاف الذي أكنّ لساني[1]

(١) الحلف بغير الله لا يجوز. قال ﷺ: «من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت». أخرجه البخاري (٢٦٧٩) ومسلم (١٦٤٦). (س).

ما تراءيت بالهوى، بل سقاني طائف الحب والهوي ما سقاني
أو عار على فتىً يعربي أن تغنى بالسيد العدناني؟
أوَ ليس الرسول منقذ هذا الـ شرق من ظلمة الهوى والهوان؟
صاح بالشرق واستثار بنيه فتنادوا بالفرس والرومان
ومشوا للحياة تحت رايته الشمـ ـاء، صفا ململم الأركان
وبنوا مجدنا المؤثل صرحًا من نثار العروش والتيجان
وأتوا قمة الزمان، فكانوا سادة الأرض في شباب الزمان
أفكنا لولا الرسول سوى العبـ ـدان؟ بئست معيشة العبدان؟
أو ليس الوفاء أن تُخلص المنـ ـقذ حبًّا إن كنتَ ذا وجدان؟
فالتحيات والسلام أبا القـ ـاسم تهدى إليك في كل آن
قل (لسمعان) أن ما في عروقي عربي، وأن ما في لساني
أتغنى بالحق والحق يا صاح لا مسلم ولا نصراني
إنما الشاعر الذي أنا منه فوق ذاك الإرجاف والبهتان
قد تعالى عن الرياء بريئًا من هوى الشيخ أو هوى المطران
كل هذي الأديان -لو عقل الناس- سبيل هادٍ إلى الرحمن(١)
أخذته الغايات فانشعب السير وضلت قوافل الركبان
فإذا الناس في مريج من الأمر حيارى مشلولة الأذهان
يترامون بالكبائر والإثم ويمضون طية الأضغان

---

(١) بل السبيل واحد! وهو دين الإسلام الذي ارتضاه اللّه خاتمًا للأديان، وناسخًا لها؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾. فماعداه أديان باطلة محرفة. ويُنظر للمزيد: رسالة «الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان»؛ للشيخ بكر أبوزيد رحمه الله. (س).

أيها الناس! ما أتى الرسل للتف ريق، لكن لوحدة الإنسان
كلنا مسلمون لله فحتى مَ الترامي بالكفر والبهتان؟
كلنا صائرون لله يومًا، يوم تنشق وردة كالدهان
منقذ الشرق قد أتيناك نشكو ضيعة الحق وانخذال الأماني
أحْيِ فينا ميت العزائم وابعث نائرات الهدى ودرس المباني
منقذ الشرق! أنت لم تنقذ المسلم دون المواطن النصراني
فجزاء الإحسان أن ينهض الشرق جميعا بواجب المهرجان؟

حمص - وصفي قرنفلي

من كلام غوستاف لوبون

* المرء مسير بخلقه لا بذكائه.
* ذوق المرأة في الفنون والأزياء مستعار.
* الحب أعمى فإذا أبصر أدبر.
* يستعيد العالم الإسلامي اليوم من قوته ما تضطر أوربا إلى أن تطأطئ له رأسها.

من أقوال السلف في العلم والعلماء

* العلم يمنع أهله أن يمنعوه أهله.
* البخل بالعلم على غير أهله قضاء لحقه ومعرفة لفضله.

* العلم أكثر من أن يحاط به، فخذوا من كل شيء أحسنه.

* العلماء غرباء لكثرة الجهال.

* الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك.

شعر الحكمة

حيل ابن آدم في الحياة كثيرة والموت يقطع حيلة المحتال
قستَ السؤال فكان أعظم قيمة من كل عارفة جرت بسؤال
فإذا ابتليت ببذل وجهك سائلاً فابذله للمتكرم المفضال
وإذا خشيت تعذرًا في بلدة فاشدد يديك بعاجل الترحال
واصبر على غِيَر الزمان فإنما فرج الشدائد مثلُ حل عقال

أبوالعتاهية

كرم أوس بن حارثة وعقل أمه سُعدى

كان أوس بن حارثة بن لأم الطائي سيدًا مقدمًا، وفد هو وحاتم بن عبد اللَّه الطائي على عمرو بن هند (وأبوه المنذر بن المنذر بن ماء السماء) فدعا أوسًا فقال:

أأنت أفضل أم حاتم؟

فقال: أبيتَ اللعن، لو ملكني حاتم وولدي ولُحمتي لوهبَنا في غداة واحدة!

ثم دعا حاتمًا فقال: أأنت أفضل أم أوس؟

فقال: أبيتَ اللعن إنما ذُكرت بأوس، ولأَحدُ ولده أفضل مني.

وكان النعمان بن المنذر دعا بحُلة -وعنده وفود العرب من كل حي- فقال:

احضروا في غد فإني ملبس هذه الحلة أكرمكم.

فحضر القوم جميعًا إلا أوسًا، فقيل له:

ولَمَ تتخلف؟

فقال: إن كان المراد غيري، فأجمل الأشياء ألا أكون حاضرًا، وإن كنت المراد فسأُطلب ويُعرف مكاني!

فلما جلس النعمان لم ير أوسًا، فقال:

اذهبوا إلى أوس فقولوا له: احضر آمنًا مما خفت، فحضر، فألبسه الحلة.

فحسده قوم من أهله فقالوا للحطيئة:

اهجه ولك ثلثمائة ناقة.

فقال الحطيئة: كيف أهجو رجلاً لا أرى في بيتي أثاثًا ولا مالاً إلا من عنده! ثم قال:

كيف الهجاء وما تنفك صالحة ... من آل لام بظهر الغيب تأتيني

فقال لهم بشر بن أبي خازم -أحد بني أسد بن خزيمة -:

أنا أهجوه لكم.

فأخذ الإبل وفعل، فأغار أوس عليها فاكتسحها، فجعل لا يستجير حيًا إلا قال: قد أجرتك إلا من أوس.

وكان في هجائه قد ذكر أمه، فأتي به، فدخل أوس على أمه.

فقال: قد أتينا ببشر الهاجي لك ولي!

قالت: أو تطيعني فيه؟

قال: نعم.

قالت: أرى أن ترد عليه ماله وتعفو عنه وتحبوه، فإنه لا يغسل هجاءه إلا مدحه!

فخرج فقال: إن أمي سُعدى التي كنت تهجوها، قد أمرت فيك بكذا وكذا!

فقال: لا جرم، والله لا مدحت حتى أموت أحدًا غيرك.

ففيه يقول:

إلى أوس بن حارثة بن لأم   ليقضي حاجتي فيمن قضاها
فما وطىء الثرى مثل ابن سُعدى   ولا لبس النعال ولا احتذاها

أدب الرشيد وسعة اطلاعه
أول ليلة للأصمعي في قصر الخلافة

روى السيد المرتضى في «أماليه: الدرر والغرر» بسنده إلى الأصمعي أنه قال:

تصرفت بي الأسباب على باب الرشيد مؤملاً للظفر به والوصول إليه، حتى إني صرت لبعض حرسه خدينًا في بعض ليلة، قد نثرت السعادة والتوفيق فيها الأرق بين أجفان الرشيد، إذ خرج خادم فقال:

أما بالحضرة أحد يُحسن الشعر؟

فقلت: اللَّه أكبر! رب قيد مضيق قد حله التيسير

فقال لي الخادم: ادخل، فلعلها أن تكون ليلة يُغرس في صباحها الغنى، إن فزتَ بالحظوة عند أمير المؤمنين.

فدخلت، فواجهت الرشيد في مجلسه، والفضل بن يحيى إلى جانبه، فوقف بي الخادم حيث يسمع التسليم، فسلمت فرد علي السلام، ثم قال:

يا غلام أرحه ليفرخ روعه، إن كان وجد لروعه حسًّا!

فدنوت قليلاً، ثم قلت: يا أمير المؤمنين، إضاءة مجدك وبهاء كرمك مجيران لمن نظر إليك من اعتراض أذية!

فقال: ادن. (فدنوت).

فقال: أشاعر أم راوية؟

فقلت: راوية لكل ذي جد وهزل، بعد أن يكون محسنًا!

فقال: تالله ما رأيت ادعاء أعظم من هذا!

فقلت: أنا على الميدان، فأطلق من عناني يا أمير المؤمنين!

فقال: (قد أنصف القارة من راماها).

ثم قال: ما المعنى في هذه الكلمة بديئًا؟

فقلت: فيها قولان: القارة هي الحَرة من الأرض، وزعمت الرواة أن القارة كانت رُماة للتبابعة، والملك إذ ذاك أبو حسان، فواقف عسكره عسكر السُغد، فخرج فارس من السُغد قد وضع سهمه في كبد قوسه، فقال:

أين رماة العرب؟

فقالت العرب: (قد أنصف القارة من راماها).

فقال لي الرشيد: أصبت!

ثم قال: أتروي لرؤبة بن العجاج، والعجاج شيئًا؟

فقلت: هما شاهدان لك بالقوافي وإن غيبا عن بصرك بالأشخاص..

فأخرج من ثنى فرشه رقعة، ثم قال: أنشدني:

أرقـنـي طـارق هـم أرقًـا

فمضيت فيها مضي الجواد في سنن ميدانه، تهدر بها أشداقي.

فلما صرت إلى مديحه لبني أمية، ثنيت لساني إلى امتداحه لأبي العباس في قوله:

قـلـت لـزبـر لـم تـصـلـه مـريـمـه

فلما رآني قد عدلت من أرجوزة إلى غيرها قال:

أعن حيرة أم عن عمد؟

قلت: عن عمد، تركت كذبه إلى صدقه فيما وصف به جدك من مجده!

فقال الفضل: أحسنت، بارك اللَّه فيك! مثلك يؤهل لمثل هذا المجلس!

فلما أتيت على آخرها قال لي الرشيد:

أتروي كلمة عدي بن الرقاع:

عـرف الـديـار تـوهـمًـا فـاعـتـادهـا؟

قلت: نعم.

قال: هات!

فمضيت فيها حتى إذا صرت إلى وصف الجمل قال لي الفضل:

ناشدتك اللَّه أن تقطع علينا ما أمتعنا به من السهر في ليلتنا هذه، بصفة جمل أجرب!

فقال له الرشيد: اسكت، فالإبل هي التي أخرجتك من دارك، واستلبت تاج ملكك، ثم ماتت، وعملت جلودها سياطًا ضربت بها أنت وقومك:

فقال الفضل: لقد عوقبت على غير ذنب، والحمد لله!

فقال الرشيد: أخطأت، الحمد لله على النعم، ولو قلت:

وأستغفر الله، كنتَ مصيبًا.

ثم قال لي: امض في أمرك!

فأنشدته، حتى إذا بلغت إلى قوله:

تـزجـي أغـن كـأن إبـرة روقـه

استوى جالسًا، ثم قال:

أتحفظ في هذا ذكرًا؟

قلت: نعم، ذكرت الرواة أن الفرزدق قال: كنت في المجلس، وجرير إلى جانبي، فلما ابتدأ عدي في قصيدته، قلت لجرير-مسرًّا إليه-: هلم نسخر من هذا الشامي، فلما ذقنا يئسنا منه، فلما قال:

تـزجـي أغـن كـأن إبـرة روقـه

وعدي كالمستريح، قال جرير:

أما تراه يستلب بها مثلا؟

فقال الفرزدق: يا لُكع، إنه يقول:

قـلـمٌ أصاب مـن الـدواة مـدادهـا

فقال عدي:

قلمٌ أصاب من الدواة مدادها!

فقال جرير: أكان سمعك مخبوءًا في صدره؟!

فقال له: اسكت، شغلني سبُّك عن جيد الكلام!

فلما بلغ إلي قوله:

ولقد أراد اللّه إذ ولاكها   من أمة إصلاحها ورشادها

قال الرشيد: ما تراه حين أنشده هذا البيت؟

قلت: قال: كذلك أراد الله.

فقال الرشيد: ما كان في جلالته ليقول هذا، أحسبه قال: ما شاء الله!

قلت: وكذا جاءت الرواية.

فلما أتيت على آخرها، قال:

أتروي لذي الرمة شيئًا؟.

قلت: الأكثر.

قال: فما أراد بقوله:

مُمر أمرت فتله أَسدية   ذِراعيَّة حلالةٌ بالمصانع

قلت: وصف حمار وحش أسمنه بقلُ روضةٍ، تواشجت أصوله وتشابكت فروعه، من مطر سحابة كانت بنوء الأسد، ثم في الذراع من ذلك.

فقال الرشيد: أرِحْ، فقد وجدناك ممتعًا، وعرفناك محسنًا.

ثم قال: أجد ملالة (ونهض).

فأخذ الخادم يُصلح عقب النعل في رجله وكانت عربية.

فقال الرشيد:

عقرتني يا غلام!

فقال الفضل: قاتل اللّه الأعاجم، أما إنها لو كانت سندية لما احتجت إلى هذه الكلمة.

فقال الرشيد: هذه نعلي ونعل آبائي، كم تعارض فلا تترك من جواب ممض!

ثم قال: يا غلام، يؤمر صالح الخادم، بتعجيل ثلاثين ألف درهم على هذا الرجل، في ليلته هذه، ولا يُحجب في المستأنف.

فقال الفضل: لولا أنه مجلس أمير المؤمنين ولا يأمر فيه غيره، لأمرت لك بمثل ما أمر لك، وقد أمرت لك به إلا ألف درهم، فتلقّ الخادم صباحًا.

قال الأصمعي: فما صليت من غد إلا وفي منزلي تسعة وخمسون ألف درهم.

كعب بن لؤي

قال لؤي بن غالب لامرأته:

أي بنيك أحب إليك؟

قالت: الذي اجتمعت فيه ثمان خلال: لا يخامر عقله جهل، ولا يخالط حلمه سفه، ولا يلوي لسانه عي، ولا يفسد يقينه ظن، ولا يغيّره عقوق، ولا يقبض يده بخل، ولا يكدر صنعه مَنّ، ولا يرد إقدامه جبن.

قال: ومن هو؟

قالت: ولدك كعب.

معن بن زائدة

دخل معن بن زائدة على أبي جعفر المنصور، فقارب خطوه، فقال المنصور: لقد كبرت سنك؟

قال: في طاعتك.

قال: وإنك لجلد؟

قال: على أعدائك.

قال: وأرى فيك بقية.

قال: هي لك!

بطل ميسلون الخالد
يوسف العظمة

من ثورة النبل أم من سَورة الشرف ... ذاك الأباء الذي ألقاك في التلف
يا يوسف الجود غالى المسرفون وما ... سموا إلى حد بذل النفس في السَّرف
بذلتها فدية للشرق خالصة ... وللهدى غير غضبان ولا أسِف(١)
تستهدف المجد في ظل الرصاص ألا ... رويد نزعك قد قُرطست في الهدف(٢)

---

(١) بل بذلها - إن شاء اللَّه - لله تعالى. (س).

(٢) نزع بالسهم: رمى به. وقرطس: أصاب.

رأيتَ (غورو) مُغيرًا في مُلملمة تموج كاليم بالخطّي والزعف[1]
والناس من أمرهم ما بين متفق على مجابهة البلوى ومختلف
وعزة الملك تمشي من منابرها ما بين مضطرب هاوٍ ومرتجف
فما تريثت حتى قمت في شرَفٍ ترمي، ومثلك أولى الناس بالشرف[2]
تُجابه الموت فردًا ليس يسعده إلا جنانٌ بما يُرضي العلاء حفي
وثاقبٌ من ضياء العبقرية لم يبرح يُرى فعله في الهول وهو خفي
يزجي بها في نحور الجيش نافذة إلى الجسوم جسوم اللام والجحف
حتى تخطيت في ثوب الشهيد كُدى هذي الحياة إلى الجنات والغرف
أقدمت لا آملاً فوزًا، وكيف به أمام سيل من الأعداء مجترف
وكان عذرك لو أحجمت منبسطًا فيما لدي القوم بالإذعان من شغف
لكنه ترف النبل استبد فلم يرفق، وللنُبل أخلاق من الترف
فنَم فدتك العوالي، أنها لبست من بعد يومك ثوب الزهد والقشف
وأطرق السيف يبكي فقد مضطلع بفضله في بناء المجد محترف
وليبقَ تاريخك الفياح مجمرة يضوع منها شذا الأسلاف للخلف
أبناء سوريّة الأخيار حسبكم أن المعالي لديكم حرفة الحرف
زاولتموها بمجهود الحِجى فعنت وخاب من راح يرجوها من الصدف
أهل الحفاظ إذا ما نكبة عرضت أنتم وأنتم رجال العلم والصُحف

٢٩ ربيع الثاني ١٣٥٣هـ

محمد النجمي

---

(١) الخطي: الرماح. والزعف: يقال: زَعَفَه يَزْعَفُه زَعْفاً وأَزْعَفَه: رَماه أو ضَرَبه فمات مكانه سريعاً.
(٢) الشرف الأول: المكان المرتفع. والثاني: الرفعة والعظمة.

إذا

* إذا اشتبه عليك أمران فاجتنب أقربهما من هواك.
* إذا اتسعت القدرة نقصت الشهوة.
* إذا قبح السؤال حسن المنع.
* إذا كنت أبطأهم خيرًا فلا تكن أسرعهم جوابًا.
* إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون.
* إذا لم تستح فاصنع ما شئت.
* إذا زل العالِم زل بزلته العالَم.

لو

* لو كان المزاح فحلاً لم ينتج إلا شرًّا.
* لو سكت من لا يعلم سقط الخلاف.
* لو جاز لوم الأحمق على ألا يعقل، لجاز لوم الأعمى على ألا يبصر.
* لو صُور الكذب لكان ثعلبًا.
* لو كانت الدنيا لقمة في يد الكريم لوضعها في فم ضيفه.
* لو عقل أهل الدنيا كلهم لخربت.
* لولا الحياء لهلك الأحياء.
* لولا ظلمة الخطأ ما أشرق نور الصواب.
* لو صُور الصدق لكان أسدًا.

* لولا التقاضي لقل التراضي.

* لولا السيف لكثر الحيف.

عيد استقلال لبنان

لبنانُ! عيد ما أرى أم مأتم؟ ... لله أنت وجرحك المتبسم
عصروا دموعك وهي جمر لاذع ... وتنوروا فيها فقالوا «أسهم!»
هذا حصيرك والحُبيبات التي ... كانت غذاءك واللحاف المبهم
بيعت لتهرق في الكؤوس مدامة ... هي في الحقيقة أنفسٌ تتألم
قل للرئيس إذا أتيت نعيمه ... إن يشقَ رهطك فالنعيم جهنم!
أيطوّف الساقي هنا بكؤوسه ... ويزمجر الجابي هناك ويرزم؟
تعرى الصدور هنا على قُبَل الهوى ... وهناك عارية تنوح وتلطم
والكهرباء هنا تشع شموعها ... وسراج أكثر من هناك الأنجم
لبنانُ يا بلد السذاجة والوفا ... حلمٌ!... وهل غير الطفولة يحلم؟
كبر الزمان ولا تزال كأمسه ... فعساك تكبر أو لعلك تُفطم!
زمنٌ به تشقى الفضائل أهلها ... الصديق يقتل والمروءة تعدم
ومن الخيانة ما يكرَّم ربه ... ويضام من يرعى الوفاء ويظلم
رفقًا فرنسا، فالبلاد أمانة ... أتضيع عندك والكرامة تثلم؟
ولأنتِ من حمل الطغاة على القنا ... وصفعت ناصية المتوَّج منهم
هذا ربيبك.. والوفاء شعاره ... أيظل جرح شقائه لا يلأم؟
نحن الألى طعنوا صميم إبائهم ... منا الجراح، فأين منك المرهم؟

بشاره الخوري

مباديء متواضعة!

أميل بطبعي إلى فاشيه تظللها عيشة راضيه
وإني لأهوى غليظ الثيا ب كلبس الأعاريب في الباديه
وأكره جهدي غليظ اللبا س ولا آلف الأذرع العاريه
فحسب ابن آدم من دهره خيوطٌ لأعضائه كاسيه
فإن كان لابد أن يكتسي ويرفل في حلة زاهيه
فإن الرجولة نعم الكسا ء وأجمل أثوابنا الضافيه
رأيت التنعم يوهي النفو س ويبعثها رخوة باليه

❀ ❀ ❀

وإني أحب بسيط الطعا م ففيه السلامة والعافيه
وما لذ عندي كمثل البكو ر ولا مثل ساعاته الغاليه
أحصّل كالطير حب المعا ش وأستشعر القصد في ماليه
فلليوم رزقه من حصة وللغد حصته الباقيه

❀ ❀ ❀

أحب النساء تزين البيو ت لتنشئها جنة عاليه
يرف عليها ظلال السلا م وتنشقُ بسمته الساريه
يلدن شبابًا شديد القوى ويُرضعنه همة ماضيه
ويُشربنه حب أوطانه فيحنو على أمه الثانيه
إليها يحن إذا ما نبت به الدار في غربة نائيه
وعنها يذود إذا مسها زمان بأظفاره القاسيه
يُقدس صنع البلاد التي روته ينابيعها الصافيه

ويؤثرها باصطناع الجميـ ـل وحفظ صناعاتها الفاشيه

خالد أحمد الجرنوسي

قال حسان بن تبع الحميري: لا تثقن بالملك فإنه ملول، ولا بالمرأة فإنها حرون، ولا بالدابة فإنها شرود.

نشيد الفلاح الصغير

بمناسبة طغيان النيل في صيف سنة ١٣٥٣هـ

جناني الثبت مخبول   وقلبي اليوم مشغول
على حقلي طغى النيل   كأن مياهه غول!
أماء النيل خبرني   وقد أغرقت لي قطني
أتحميني من الدَّين   وسيف الدَّين مسلول؟
وكيف سيأكل الطفل؟   وماذا يصنع الأهل؟
وقد أشقاهم السيل   وبيع القمح والفول
أراك تزخرف القولَ   كذوب الشهد أو أحلى
فإن لم تفعل الفعلا   فما ذا ينفع القيل؟
«عليك الجبر» يا ربي!   ومنك الصبر يا قلبي
وفيك الخير يا شعبي   فخير الشعب مأمول

عبد الله عبد المجيد الدشلوطي

عزة الأعرابي

عقيل بن علفة شاعر فصيح مجيد من شعراء الدولة الأموية.

وهو عقيل بن علفة بن الحارث بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر، وأمه عمرة بنت الحارث بن عوف المري، وأمها زينب بنت حصن بن حذيفة.

كان عقيل هذا جافيًا شديد الغيرة والعجرفية، وهو في بيت شرف في قومه من كلا طرفيه، وكان لا يرى أن له كفئًا، وكانت قريش ترغب في مصاهرته، وتُزوج إليه من خلفائها وأشرافها.

وخطب إليه عبد الملك بن مروان بعض بناته لبعض ولده، فأطرق ساعة ثم قال:

إن كان ولابد فجنبني هُجناءك!

فضحك عبد الملك وعجب من كبر نفسه، على ضيفته وشدة عيشته بالبادية.

ودخل على عثمان بن حيان -وهو أمير المدينة- فقال له عثمان:

زوجني بعض بناتك.

فقال: أبَكرة من إبلي تعني!

فقال له عثمان: أمجنون أنت؟

قال: أي شيء قلت لي؟

قال: قلت لك، زوجني ابنتك.

فقال: إن كنتَ تريد بَكرة من إبلي فنعم.

فأمر به فوجئت عنقه، فخرج وهو يقول:

لحا اللَّه دهرًا ذعذع المال كله وسوّد أبناء الإماء العوارك

وكان له جار جهني، فخطب إليه ابنته، فغضب عقيل وأخذه فكتفه، ودهن بعض جسمه بشحم أو زيت، وأدناه من قرية النمل، فأكل النمل منه حتى ورم جسده، ثم حله وقال:

يخطب إلي عبد الملك فأرده، وتجترىء أنت علي فتخطب ابنتي!

وروي أن عمر بن عبد العزيز عاتب رجلاً من قريش أمه أخت عقيل بن علفة، فقال له: قبحك الله، لقد أشبهت خالك في الجفاء!

فبلغت عقيلاً، فرحل من البادية حتى دخل على عمر فقال له:

أما وجدت لابن عمك شيئًا تعيره به إلا خؤولتي؟ قبح اللَّه شر كما خالاً!

فقال عمر: إنك لأعرابي جاف، أما لو كنتُ تقدمت إليك لأدبتك، والله ما أراك تقرأ شيئًا من كتاب الله.

فقال: بلى، إني لأقرأ، ثم قرأ: (إنا بعثنا نوحا إلى قومه).

فقال له عمر: ألم أقل إنك لا تقرأ؟

فقال: ألم أقرأ؟

فقال: إن اللَّه قال: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾.

فقال عقيل:

خذوا بطن هرشى أو قفاها، فإنه كلا جانبي هرشى لهن طريق!

فجعل القوم يضحكون من عجرفته ويعجبون.

وهرشى: ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة يُرى منها البحر. وهذا مثل في التخيير، ولهرشى طريقان، من سلك أيهما شاء أصاب. والمعنى: يا صاحبي سيرا في بطن هذه الثنية أو قفاها، فإن كلا جانبيها طريق للإبل، كأنه ظن أن التقديم والتأخير في هذا المقام لا يضر، وهو غفلة عن المزايا القرآنية.

وقدم عقيل المدينة فدخل المسجد، وعليه خفان غليظان، فجعل يضرب برجله، فضحكوا منه، فقال:

ما يضحككم؟

فقال له يحيى بن الحكم -وكانت ابنة عقيل عنده، وكان أميرًا على المدينة:

إنهم يضحكون من خفيك، وضربك برجليك، وجفائك.

فقال: لا، ولكنهم يضحكون من إمارتك، فإنها أعجب من خُفيَّ!

رُبَّ

* رُب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع.
* رُب عجلة تهب ريثًا.
* رُب طَرف أفصح من لسان.
* رُب ساعٍ لقاعد.
* رُب كلمة تقول لقائلها: دعني!
* رُب أكلة تمنع أكلات.
* ربما أخطأ البصير قصده.

* رُب مقال لا تقال عثرته.

* رُب منعٍ أنفع من عطاء.

* رُب حربٍ جنتها لفظة.

* رُب ساعٍ فيما يضره.

* رُب حرف أدنى إلى حتف.

* رُب جامع مال لزوج حليلته.

❑ شذرات ❑

نشيد الشام

نظم شاعر الشام خليل مردم بك

حماة الديار ... عليكم سلام
أبت أن تذل ... النفوس الكرام
عرين العروبة ... بيتٌ حرام
وعرش الشموس ... حِمىً لا يُضام
ربوع الشآم ... بروج العلاء
تحاكي السماء ... بعالي السناء
فأرضٌ زهت ... بالشموس الوضاء
سماء لعمرك ... أو كالسماء
رفيف الأماني ... وخفق الفؤاد
على علمٍ ... ضم شمل البلاد
أما فيه من ... كل عين سواد

ومـــن دم كـلِ شـهـيـد مداد
نــفــوس أبـــاة ومـــاض مجـيـــد
وروح الأضـــاحـــي رقـيـبٌ عـتـيـد
ومـــنـــا الـــوليد ومـــنـــا الـــرشيد
فـلِـمْ لا نـسـود ولِمْ لا نـشيد

من كلام المأمون

الرجال ثلاثة: فرجل كالغذاء لا يُستغنى عنه، ورجل كالدواء يُحتاج إليه في الأوقات، ورجل كالداء لا يُحتاج إليه أبدًا.

ثلاثة لا عار فيها: الفقر، والمرض، والموت.

التاجران بين الزركلي والمظفر

أحب الشاعر الكبير الأستاذ خير الدين الزركلي أن يداعب صديقه الأستاذ الشيخ عبد القادر المظفر مداعبة رقيقة، فكانت هذه الأبيات:

بيني وبينك يا مظفر نسـ بـة في بـعـض حـالـك
لـولا اضـطـرابـك فـي انتقالك واحتلالك وارتحالك
أنـا تـاجـر أجـنـي وأنـت - ولـسـت تـكـتـمـني- كـذلـك
لـكـن مـالـي رأس مـا لـي والـعـمـامـة رأس مـالـك

واتصلت هذه الأبيات بمسامع الأمير عادل أرسلان، فعلق عليها بالأبيات التالية:

إن المظفر يا زركلي تاجر جم المسالك
لم يشهد «الموسكي» له ندًّا ولا كبري الزمالك
هو تاجر وشريكه من دون خلق اللَّه هالك
هذي كمالات المظفـ ـر قد شهدن بما هنالك
من كان دلال الملو ك فمن بضاعته الممالك

وأخذت الحمية الوطنية الأستاذ المظفر، ورد على صديقه الأستاذ الزركلي بهذه الأبيات:

لو كنتُ مثلك تاجرًا لرأيتَ حالي مثل حالك
لكن خُلقتُ مجاهدًا أغشى المعارك والمهالك
أرضى بميسور الكفا ف ولا أبالي ما هنالك
أشقى لتسعد أمتي وأموت كي تحيا بذلك

❀ ❀ ❀

المال

لا أجعل المال لي ربًّا يصرفني لا بل أكون له ربًّا أصرفه
ما لي من المال إلا ما تقدمني فذاك لي ولغيري ما أُخلفه

أبو علي البصير

❀ ❀ ❀

الموت

نحن بنو الموتى، فما بالنا ... نعاف ما لابد من شربه
تبخل أيدينا بأرواحنا ... على زمان هي من كسبه
فهذه الأرواح من جوه ... وهذه الأجساد من تربه
لو فكر العاشق في منتهى ... حسن الذي يسبيه لم يسبه
لم يُر قرن الشموس في شرقه ... فشكت الأنفس في غربه
يموت راعي الضأن في جهله ... ميتة جالينوس في طبه
وربما زاد على غيره ... وزاد في الأمن على سربه
وغاية المفرط في سلمه ... كغاية المفرط في حربه
فلا قضى حاجته طالبٌ ... فؤاده يخفق من رعبه

أبو الطيب المتنبي

حِكمة علوية

قال علي رضي الله عنه: (أوصيكم بخمس، لو ضربتن إليها آباط الإبل لكان قليلاً: لا يرجونَّ أحدكم إلا ربه، ولا يخافنَّ إلا ذنبه، ولا يستحي -إذا سئل عما لا يعلم- أن يقول: لا أعلم، وإذا لم يعلم أن يتعلم. واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قُطع الرأس ذهب الجسد).

الخير في الحديث النبوي

* «خير الناس من طال عمره وحسن عمله»[١].

* «خير الناس أنفعهم للناس»[٢].

* «خير النكاح أيسره»[٣].

* «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُحسن إليه»[٤].

* «خير دينكم أيسره»[٥].

* «خير ما أعطي الناس خُلُق حسن»[٦].

* «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»[٧].

* «خياركم أحسنكم قضاءً للدين»[٨].

* «خير الكسب كسب يد العامل إذا نصح»[٩].

* «خير الناس في الفتن، رجلٌ آخذ بعنان فرسه خلف أعداء الله، يُخيفهم ويخيفونه، أو رجل معتزل في بادية يؤدي حق اللَّه الذي عليه»[١٠].

---

(١) صحيح الجامع (٣٢٩٦). (س).
(٢) صحيح الجامع (٣٢٨٩). (س).
(٣) صحيح الجامع (٣٣٠٠). (س).
(٤) ضعيف الجامع (٢٩٠٥). (س).
(٥) صحيح الجامع (٣٣٠٩). (س).
(٦) صحيح الجامع (٣٣٢١). (س).
(٧) صحيح الجامع (٣٣١٤). (س).
(٨) صحيح الجامع (٣٢٦١). (س).
(٩) صحيح الجامع (٣٢٨٣). (س).
(١٠) صحيح الجامع (٣٢٩٢). (س).

قصة الصعلوك والمتفرنجون

جلس على المقعد المجاور لمقعدي وأنا في الحديقة رجل شاحب اللون، أمرَهُ العينين، قد اتسخت أطماره، وتشعثت أشعاره، تأخذني عينه وتدعني، وكنت مع عجبي لشأنه كارهًا مخاطبته، غير راغب في التعرف إليه.

كنت حينئذ في انتظار صديق لي، وعدني اللقاء في ذلك المكان، فصرت أرقب مطلعه بفارغ الصبر، لأتعوذ بحسن طلعته وحلاوة منطقه، وكمال ظرفه، من كلوح ذلك الرجل ووجومه وثقل روحه.

وأنا لكذلك؛ إذ طلعت علينا برانيط غربية، على رؤوس شرقية، يتهادى تحتها أصحابها، حتى جلسوا على مقعد بالقرب منا، وأخذوا يتراطنون بلغة ما هي إلى قوميتهم بأقرب مما على رؤوسهم، فطرقوا في الكلام كل موضوع، وذكروا من الأخبار ما هو مقروء ومسموع.

ثم إنهم أجالوا طرفهم، فلم يجدوا غرضًا ينتضلون فيه سوى صاحبي المسكين، فاتفقوا على أن يقول كل واحد منهم فيه كلمة يتفكهون بها.

قال أحدهم: لولا أن يُقال متدين، لقلت شيطان رجيم، أو خازن من خزنة الجحيم.

وقال الآخر: وحياة سيدنا droين، إنه للحلقة المفقودة بين الإنس والقردة..

فقاطعه الثالث بقوله: لا، وعيش تيكم الحسناء الفاتنة، ذات العيون الخائنة، إني لأحسب أن لو تأملتموه بذهنية كوبرنيق، ورصدتموه بمرصد فلامَريون لما شككتم أنه كوكب شذ عن فلكه، أو سفير من سفراء المريخ.

وانبرى الرابع قائلاً: إن يصدق التنجيم، فإننا الساعة أمام حكيم من حكماء اليونان، أو جهبذ من جهابذة بني ساسان، أو فارس من فرسان المارستان.

وعند ذلك رفع الصعلوك رأسه، فارتسمت على فمه ابتسامة صفراء، ورماهم بنظرة حمراء وقال:

إن من انتكاس الدهر، وتشعث هذا العصر، أن تنام عنكم العواصف وتخطىء رؤوسكم القواصف!

أتعيرونني بالجنون وبكم منه فنون؟! وأي جنون أشد من تشدقكم بأمثال هذه الكلمات الباردة، في حق رجل بريء، أنتم بمرأى منه ومسمع؟!

أمّا ظنكم أن لن يفهم مثلي هذه اللغة التي شققتم بها أشداقكم، وتفاصحتم فيها تفاصح العبد المحاكي منطق سيده، فلعمري ما أنتم بأول معتوه هوى به حمقه إلى قعر اللعنات، أو ارتطم به شؤمه في مستنقع الصفعات.

ولئن ذقتم شيئًا من هذه المدنية التي عكفتم عليها عكوف العابد، وافتتنتم بها افتتان الواله الواجد، وبهركم بصيص زخرفها، وخلبكم وميض برقها، وخدعكم لمعان سرابها، فإني والله لقد أكلتها وشربتها، فعرفت غثها من سمينها، وعذبها من آجنها، وحلوها من مرها، عجينة عُجنت بسم، وطُحنت بسقم، من ذاقها ندم، ومن عافها سلم، لا والذي خلق النجوم، وكشف عنها الغيوم، ما زهدني فيها إلا اختيار السلامة، وإيثار الحكمة، وحب الغُنم، وخوف الغُرم.

اضرب بطرفك حيث شئت منهم، هل تبصر إلا رجلاً يحيف على امرأته، أو امرأة تخون بعلها، أو غنيًّا يتمشش عظام الفقير، أو فقيرًا يتربص بالغني سوء المصير، أحزاب متعاندة، ودول متحاقدة، لا دين يرشدهم، ولا ورع يردعهم،

معروفهم منكر، ومنكرهم معروف، قد عمرت أجسامهم وخربت قلوبهم، ترى منازلهم في أنوار، ونفوسهم في ظلمات، تعمى فيها تحوم الهدى والأبصار.

وما أصف من مدنية علمها كفر وإلحاد، وسياستها ظلم واضطهاد، وحريتها فسق وفساد، من استغنى فيها بطر وتجبر، ومن افتقر فيها كفر وانتحر، في سلمها عناء، وفي حربها شقاء، ما عقدت للصداقة عهدًا إلا وأعدت للغدر بها جندًا، ولا بنت للخير دارًا إلا وشيدت للشر دورًا. أمّا نعيمها؛ فحلم ليلة يعقبها فجر، وأما مُلكها فلعب ساعة ودمار دهر.

وهنا سكت الرجل كأنه ينتظر ردًّا أو سؤالاً ممن يخاطبهم، فانتهزتُ الفرصة وقلتُ له: ألا تسمح أن أقدم لك سؤالاً بهذه المناسبة؟

قال: أنت وذاك.

قلت: إن كان لهذه المدينة مفاسد لا نحصرها، فإن لها فوائد لا ننكرها، أفنحرم أنفسنا فوائدها إن كان لها مفاسد؟

قال: مثل ذلك فيما أرى، كمثل رجلين رأيا خلية نحل: أما أحدهما فسخى نفسه عما فيها من العسل، خوفًا من إبر النحل، وأما الآخر فاستنبط حيلة دفع بها الإبر عن نفسه، وفاز بالعسل.

فالأول غبي سالم، والثاني حكيم غانم، وإن لنا معشر المسلمين من كتاب اللّه تعالى وسنة رسوله ﷺ منخلاً ننخل به ما نصادفه في هذه الحياة من آراء وأقوال وأعمال، فنأخذ المنخول وندع النخالة.

وقد كان رجائي عظيمًا أن يتم ذلك لهذه الأمة، لولا أن جاء قوم هؤلاء منهم (وأشار إلى الجالسين)، فأخذوا ينازعونها المنخل ليتسلبوها إياه، جهلاً منهم وغرورًا. ثم لم يكفهم ذلك حتى ادعوا لأنفسهم القيادة، وسموا أنفسهم

الحكماء النافعين، أو الأحرار المجددين، ولكنك إذا حققت بنفسك كنه حريتهم وتجديدهم، لم تجد منهم -أخزاهم الله- سوى تقليد يخجل منه القرود، وتخريب يتنزه عنه الحسود، ولا رغبة لهم إلا أن تخلع الأمة عن نفسها ربقة هذا الدين، ليسلكوها في سلسلة هائلة من الأهواء والشهوات، أو يقيدوها بقيد وثيق من الكفر والإلحاد، فالحذر الحذر من جنود إبليس، قاتلهم اللَّه أنى يؤفكون.

وهنا تصدى أحدهم فأشار بسبابته إلى الصعلوك يحركها في وجهه غضبًا وحنقًا، وقال: أيها السخيف القذر الممقوت! إنا لا نفقه كثيرًا مما تقول! والله لتسكت أو لأريحن هذا الوجود من وجودك!!.

فأجابه قائلاً: أبالموت تخوفني، يا ابن الفاعلة! ما أنت وأصحابك والله إلا الحلقة المشؤومة في سلسلة هذه الحياة! فلتسقط عليكم السماء كسفًا! ولتسحق الصخور هذه الأدمغة السقيمة المشؤومة! فلا نامت عني عيون الفواجع، إن لم أسؤكم يا حفدة القرود والضفادع!

فما كان من المتفرنج إلا أن شد عليه بعصا كانت في يده، فالتوى الصعلوك في طرفها، وعطف على غريمه بلكمة قعقعت أسنانه، وقلقلت أركانه، وهم الفتية أن يحملوا عليه حملة رجل واحد، لولا أن سل خصمهم من وسطه خنجرًا، قد والله رأيت الموت الأحمر يسيل منه على الحديد الأخضر، فلما دل جد القرم على أن لا سبيل إلى السلم، قذف اللَّه في قلوب الأحرار الرعب الشديد، وفروا فرار العبيد، ثم دنوت من الصعلوك، ودنا هو مني، وكشف لي عن نفسه، فإذا هو والله صديقي المنتظر، متنكرًا في الأطمار.

فتبسمت ضاحكًا من فعله، وقلت له: يا هذا اتق اللَّه ويحك، ما هذه الأطوار؟ أفي كل يوم لون جديد، ولعب منك عجيب؟

فقال (ممازحًا ومجيبًا): يا ركيك! تخذل أخاك ثم تلومه؟

لا والله، ما أحب أن لي الدنيا بحذافيرها، وأني ما شفيت النفس من أولئك الأعبد.

قلت: لعمرك إن هذا لَمِمَّا يرغبني فيك، ويُزهدني في كثير من الناس.

جاوة - جمادى الآخرة ١٣٥٣هـ

عبد الله بن نوح الأندونيسي

الإيمان والحياة

إن هذه الحياة الحافلة بصنوف الشقاء، وأنواع الآلام، والتي لا يفيق المرء فيها من غمرة إلا إلى غمرة، ولا يَئِل من عثرة إلا إلى عثرة؛ لا يعين عليها إلا عقيدة راسخة، يلوذ بها الحائر كلما عثرت خطواته، وتداركت عثراته، ويستروح من أعطافها رائحة الجنة، كلما ضاق ذرعه باحتمال جحيم العذاب.

مصطفى لطفي المنفلوطي

الحديقة

مجموعة أدب بارع، وحكمة بليغة

الجزء الثالث عشر

انتقاها

الكاتب الإسلامي الكبير

محب الدين الخطيب رحمه الله

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله على توفيقه، وصلى اللّٰه على معلم الناس الخير وعلى من تابعه عليه إلى يوم الدين.

وبعد؛ فإني بما أصدرت من أجزاء (الحديقة) حتى اليوم، قد أقمت البرهان على خطأ من يذهب إلى أن قراءنا لا يحفلون بكتب الأدب ما لم تكن لسان الهوى، وصناجة الهزل، ومثيرة الشهوات والفضول، فعلم من لم يكن يعلم أن قراء العربية أكرم نفوسًا، وأقوم أخلاقًا، مما وصمهم به العابثون، فالحمد لله على ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

غرة رجب ١٣٥٤هـ

محب الدين الخطيب

رمضان يتكلم

رمضان ضيف قديم من ضيوف الإسلام: شهد عصر السعادة، وفيه هبط الوحي بكلام رب العزة على قلب الهادي الأعظم، فغيّر به وجهة التاريخ، وما زال هذا الضيف الكريم القديم يغادي المسلمين ويراوحهم شهرًا كاملًا في كل عام؛ ليرى موضع الأمانة المحمدية من نفوسهم، وليراقب قيامهم عليها.

هو يزورنا الآن للمرة الثالثة والخمسين بعد الثلاثمائة والألف، وأن سائحًا يغشى أفقًا من الآفاق كل هذه المرات، ويراقب ما حدث فيه من أحداث، وما انصبغ به من ألوان، لجدير أن يكون خبيرًا بدخائله، وأن يكون بمكنوناته جد عليم.

لقد جردت نفسي ليلة أمس من كل الشواغل، وخلوت برمضان أتلقى عنه العلم ببعض ما رأى، وأصغيت إليه بعقلي وقلبي وروحي، فسمعت منه كلامًا بينًا حمله إلي من وراء الأزمان، كالكلام البين الذي تنقله لنا آلة الراديو من وراء الآفاق، ورأيته يعرض على أهل البصيرة مشاهد العبر واضحة كوضوح المشاهد التي تعرضها آلة السينما على الشاشة البيضاء.

كان رمضان فيما مضى يزورنا ليرانا ويسمع بياننا، ويُدون مشاهداته وشهاداته في مذكراته، وقد أنعم اللَّه علي ليلة أمس بأن أراني رمضان، وأسمعني بيانه، فدونت ما رأيته منه، وما سمعت في مذكرات لي.

كم كنت أتمنى لو أن جميع المسلمين سمعوا من رمضان ما سمعته منه ليلة أمس، ورأوا معي العبر التي استفدتها من علمه واختباره.

لقد كان ذلك شيئًا عظيمًا من شأنه أن يطرح البركة في العمر، فيكون الإنسان كأنه عاش بضعة عشر قرنًا.

سمعت رمضان يقول: إن فرق ما بين مسلمي اليوم ومسلمي العصر الذي نزل به القرآن يرجع إلى أمر واحد قريب المدى، ولكن الوقوع في هذا الأمر يبعد ما بين المسلم والإسلام إلى أقصى مدى.

كان مسلمو عصر القرآن إذا اعتقدوا العقيدة: امتزجت بدمائهم، وجرت في دمائهم مع أنفاسهم، وكانت معيار تصرفاتهم في الغضب والرضا، والفاقة والغنى، والحرب والسلم، والعسر واليُسر، وقبل أن يكونوا مسلمين كانوا مشركين، وكانوا يتوهمون أن تتغير ما هم عليه هدم لكيانهم الاجتماعي، وتقويض لبنيانهم القومي؛ فقاوموا الإسلام ببيانهم وعقولهم، وبأموالهم وأنفسهم، وبكل ما ذكر اللَّه عنهم من دهاء ونكراء ولدد في الخصومة، وشجاعة في يوم الملحمة؛ حتى إذا رأوا الإسلام يبني في آفاقهمن كيانًا سامي الذرى عظيم الخطر خالد الأثر، ما غنموا أن أذعنوا لهدايته، فصار الواحد منهم كلما تبين له الحق واستنار به قلبه تقبله صادقًا مخلصًا، ووهب له لسانه وسيفه وخزائن أمواله.

إن الآية الواحدة من كتاب اللَّه ﷻ كانت تكفي الواحد منهم لإنارة بصيرته وإيقاظه مما هو فيه، وتغير مجرى حياته تغييرًا عمليًّا، فيخرج إلى قومه مبشرًا بالهدى الذي ملأ قلبه، ثم يخرج بالمهتدين من قومه متلمسًا آفاقًا أخرى يبشر أهلها بما أنعم اللَّه به على الإنسانية من خير، ولم يكن يبشر بما نعرفه من صنوف الجدل، ولا بما نلقيه على منابر مساجدنا وجمعياتنا من خطب كثيرة ومحاضرات طويلة، بل كان يُبشر بأخلاقه الكريمة ووفائه الصادق وسيرته المثلى وفضائله المحمدية، فيرى الناس من صدق المسلمين الأولين، ووفائهم وإنصافهم واستقامتهم وعدلهم وعفتهم ونبل أخلاقهم، ما يفهمون به مقاصد دعوتهم فهمًا عمليًّا لا يحتاج إلى محاضرات ولا إلى مناظرات ولا إلى

مؤلفات، فلا تلبث الشعوب أن تدخل في دين اللّٰه بالألوف وبمئات الألوف وألوف الألوف.

قال رمضان: وأما مسلمو اليوم، فلا هم صادقو العداوة للإسلام، كما كان مشركو العرب صادقين في العداوة، ولا هم صادقو الولاية والنصرة للإسلام، كما كان مسلمو عصر السعادة صادقين في الولاية والنصرة.

إن أثر الإيمان بالشرك ثم بالتوحيد كان ظاهرًا ملموسًا في العصر الذي نزل به القرآن، فكان المشرك مشركًا صادقًا في شركه إلى أن يهديه الله، وكان المسلم مسلمًا صادقًا في إسلامه إلى أن يلقى الله، وكان هذا الصدق في الحالتين واضحًا جليًّا في الغضب والرضا، وفي الفاقة والغنى، وفي الحرب والسلم، وفي العسر واليسر، وأما الآن فتسمع من المسلم كلامًا كثيرًا في محاسن الإسلام، وبراهين كثيرة على صحة الإسلام، وأخبارًا كثيرة عن أمجاد الإسلام، ثم لا تلبث أن تراه يخون ذلك لمصلحة حقيرة من مصالح الدنيا، أو لدرجة وضيعة من درجات الجاه القذر، أو لرآسة ذليلة على عشرات قليلة من الناس يخدعهم بأنه يرشدهم إلى اللّٰه وهو لا يبتغي منهم إلا أن ينعم بهم في دنياه.

لقد ترك أهل الصدر الأول أمانة الإسلام بين أيدي الأجيال الآتية، فخلفهم عليها في هذا العصر خلف اتخذوا من هذه الأمانة صندوقًا لأمانة أخرى هي المصالح الذاتية، فأمانة الإسلام وسيلة إليها، وصندوق يراد منه حفظ تلك المصالح، فهم يحرصون على صندوق الدين ما دامت فيه أمانة الدنيا، فإذا نقلتها يد القوة من صندوق الدين إلى صندوق آخر من صناديق الشيطان، رمى القائمون على صندوق الدين هذا الصندوق في الفرن ليكون وقودًا، وعكفوا على أمانتهم الدنيوية في صندوقها الجديد مهما كان نوعه.

آيات قليلة من كلام اللَّه الحكيم كانت كافية لنقل ابن الخطاب من عدو لدود للإسلام إلى صديق صادق الإيمان، وفينا مئات وألوف ممن يحفظون كتاب اللَّه جميعًا عن ظهر قلب، ما نزل منه قبل إسلام عمر، وما لم يكن قد سمع به عمر، ويرتلونه بقراءاته السبع والعشر، ولا يخطر على بالهم أن بين هدايته وبين تصرفاتهم اليومية رابطة، فهم حفظوا القرآن ليعيشوا في الدنيا على حساب معرفتهم به، ولم يحاسبوا أنفسهم في ساعة من ساعات تلاوته على مبلغهم من التخلق بأخلاق القرآن، وعلى أثرهم في حمل الناس على هدايته.

لما كنت صبيًّا في المدرسة الثانوية خلوت بنفسي في ليلة من ليالي رمضان، وجعلت أتأمل في معاني الآيات القرآنية، ثم تمنيت لو يتاح للمسلمين تأسيس نادٍ عظيم كثير الغرف تخصص كل غرفة من غرفة لخلق من أخلاق القرآن، فيكون شعار الفرقة الأولى آية من آيات الحض على الصدق أو الزجر عن الكذب، وما أكثر ذلك في كتاب الله، فتحفر آية من تلك الآيات على باب تلك الغرفة، وتتألف جمعية تتعاهد على الصدق، وتكون من أهل هذه الغرفة، ويربي أعضاؤها أنفسهم على ألا يكذبوا، ولو عُرضوا على السيف، وهكذا كل غرفة من الغرف، ثم تكون الغرفة التي في جوف هذا النادي خاصة بصادقي الإيمان، فيحفر على بابها قول اللَّه ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾.

إن الإسلام لا يقوم بكثرة عدد المسلمين الذين يتلون هذه الآية وسائر آيات القرآن؛ بل يقوم بالمسلمين الذين يربون أنفسهم على العمل بها، ويتمرنون على ذلك حتى يظهر أثره في أخلاقهم وتصرفاتهم، كما يتمرن المشتركون في الأندية الرياضية على الحركات البدنية إلى أن يظهر أثر ذلك في عضلاتهم ومجموع بدنهم.

لقد حل شهر رمضان لعامنا هذا، فكان مما قيده في مذكراته أننا نحن المحسوبين على الإسلام قد زاد عددنا على ثلاثمائة مليون، وأن الثلاثمائة الذين شهدوا بدرًا مع الهادي الأعظم -صلوات اللَّه عليه- كان الواحد منهم خيرًا من مليون إنسان من أمثالنا، أولئك كانوا صادقين في شركهم قبل أن يسلموا، ثم صاروا صادقين في إسلامهم بعد أن أسلموا، وأما نحن فغثاء السيل، ولست أدري كيف لا نستحي عندما نطمع أن يدخلنا اللَّه الجنة.

محب الدين الخطيب

حِكم

* المؤمن لا يحيف على من يبغض.
* إعلان الشماتة كيد العدو العاجز.
* أخلق بمن غدر ألا يوفى له.
* المفروح به هو المحزون عليه.
* العاقل يترك ما يحب خوفًا من العلاج بما يكره.

الناس

لعمرك ما الأخلاق إلا مواهب ... مقسمة بين الورى وفواضل
وما الناس إلا كادحان: فعالم ... يسير على قصد وآخر جاهل

فذو العلم مأخوذ بأسباب علمه وذو الجهل مقطوع القرينة جافل
فلا تطلبن في الناس مثقال ذرة من الود أم الود في الناس هابل
من العار أن يرضى الفتى غير طبعه وأن يصحب الإنسان من لا يشاكل

محمود سامي باشا البارودي

صحيفة كاتب

يراع أديب أم حبالة صائد يقلبها في كل مقتنص عشرا
يريد من الأوطار مصرع أمة تراه لها ركنًا، وتعتده ذخرا
إذا سامها المكروه سامته غيره وإن رامها بالسوء رامت له عذرا
تظن به الظن الجميل وقد جنى من الأمر ما يودي بآمالها الكبرى
فتى المال ألبست الصحائف خزية يجلل ضافيها الممالك والعصرا
تمد على دار الخلافة ردنها إذا غيبت ما بين أذيالها مصرا
عييت بما سن الهداة لقومهم ومثلك يستن الخيانة والغدرا
طحا[1] بك أمر يكذب الظن عنده وكنت امرءًا لا ألمعيًّا ولا حُرا
قصاراك أن تحيا بمصر ممولًا وأنك فيها لا تجوع ولا تعرى
حقيبة لص أم صحيفة كاتب وقائد شعب أنت، أم بائعٌ خمرا؟
دع الصحف والأقلام واعكف على التي ترى القوم صرعى في جوانبها سكرا
فإن تك ذا جهل فإني أنا الفتى تصيب له في كل صالحة ذكرا

---

(١) ذهب به في كل شيء.

كأني وبعض الناس حين أسيمهم[1] أسيم نعاجًا تتبع الذئب أو حُمُرا
سننت لهم أهدى السبيلين فابتغوا إلى ما وراء الحق مطلعا وعرا

أحمد محرم

مَن

* من تأنى أصاب أو كاد.
* من مشى مع ظالم فقد أجرم.
* من سلك مسالك السوء اتُّهم.
* من ضيعه الأقرب، أتيح له الأبعد.
* من حمل ما لا يطيق عجز.
* من كثر رضاه عن نفسه كثر الساخطون عليه.
* من مدح رجلًا بما ليس فيه فقد بالغ في ذمه.
* من كتم سره كان الخيار في يده، ومن أفشاه كثر المتآمرون عليه.
* من لم يعرف الشر كان أجدر أن يقع فيه.
* من سأل فوق حاجته استحق الحرمان.
* من لم ينه أخاه فقد أغراه.
* من جهل شيئًا عاداه.

(١) أسام الإبل: أرعاها أو أخرجها إلى المرعى.

* من عرف قدره لم يهلك.

* من استغنى بالله افتقر إليه الناس.

* من حكم لنفسه حكم اللَّه عليه.

* من أخطأ وجوه المطالب خذلته الحيل.

* من عرف نفسه لم يضره ما قال الناس فيه.

* من ركب ظهر البغى بلغ به دار الندامة.

* من عتب على الدهر طال عتبه.

* من أماله الباطل قوَّمه الحق.

* من لم يُحسن صهيلًا نهق.

* من اشترى ما لا يحتاج إليه باع ما يحتاج إليه.

* من لم يتعظ اتُعظ به.

* من ترك العقوبة فقد أغرى بالذنب.

* من أيقن بالخلَف جاد بالعطية.

* من خوفك حتى تلقى الأمن، خير لك ممن أمنك حتى تلقى الخوف.

* من كان عبدًا للحق فهو حر.

نهج الحياة

بقلم العلامة العبيدي مفتي الموصل

فـلـك دائـر ورب تـعـالـى ... وشـؤون بـأمـره تـتـوالـى
سيعـود الهلال بدرًا تمامًا ... مثلما عاد وهو بدر هلالا
يا سوار السماء هل صاغك الله ... لأمـر أم زيـنـة وجـمـالا
لا ترعك الأيام إن هي دالت ... وامش في موكب الدجى مختالا
إن نهج الحياة عود وبدء ... وهي حرب وما تزال سجالا
علمتنا الأقدار وهي قسيٌّ ... كيف ترمي يد القضاء النبالا
ربما يعقب الكمال زوالًا ... مثلما يعقب الزوال كمالا
ومن العجز ما يقال محال ... ليس في الكائنات شيء محالا
كم رأينا من الرجال نساء ... ورأينا من النساء الرجالا
رائد المرء عزمه في الليالي ... فامتط العزم تدرك الآمالا
وإذا استثقل الحمائل وإن ... فأخو العزم يستخف الجبالا
وإذا ما رضيت بالذل يومًا ... فاخلع التاج وألبس الخلخالا
إنما الكائنات ذرات فرد ... برزت في مرآته أشكالًا
رُب زهر قطفته كان خدًّا ... لكعاب ونقطه كان خالا
وغزال تحت الثرى عاد عشبًا ... فرعى فوقه الغزال غزالًا
ولعل الرُمان كان نهودًا ... كان كأسًا من قبل أو صلصالًا
رُب شاة رعت رفات أمير ... فلبسنا من وجنتيه نعالا
فرويدًا يا ابن التراب رويدًا ... حسبك الترب محتدًا ومآلا

إن هذي الحياة ثوب غرور فلبسناه نسحب الأذيالا
في حبالٍ بنو الثرى أسراءُ ويمدون للثريا الحبالا
ولعل الغرور خفف أعبا ء حياة لولاه كن ثقالا
ومن الجهل والغباوة فينا أن نطيع الطغاة والجهالا
أفيشقى جمعٌ ليسعد فرد؟ حسبنا في الحياة هذا ضلالا
وأضل الأنام من يعبد الأصـ ـنام لا يسمعون منه مقالا
دع غواة يحللون حرامًا وعتاة يحرمون الحلالا
قد أعدنا للجاهلية عهدًا وعبدنا من بيننا تمثالا
رَب رفقًا بأمة خدعو ها كفاحًا وقاست الأهوالا

الإسلام والمسلمون

بحثت عن الأديان في كل أمة وطفت بلاد اللّه غربًا ومشرقا
فلم أر كالإسلام أدعى لألفة ولا مثل أهليه هوى وتفرقا

أحمد عبيد

من إلهامات رمضان
ليلة القدر

في ليلة من ليالي هذا الأسبوع بلجة صافية ساكنة، لا حارة ولا باردة، كأن فيها قمرًا ساطعًا لا يرمي فيها بنجم، أطفأتُ مصباح مكتبي المتصل بحديقة

المنزل، وخرجت إلى الحديقة أقلب وجهي في الفلك الأعظم تارة، وأُراجع ترجمة حياة وردة كانت أمامي تارة أخرى؛ فرأيت من وراء بدائع صنع اللَّه بدائع في نظام خلقه يكاد قليل ما نعرفه من أسرارها يبهر عقول العقلاء منا، فتخر الجباه خاشعة لبديع السماوات والأرض. . .

فكرت في نسيج الوردة القائمة أمامي على غصنها تُسبح بحمد اللَّه خالق الأزل والأبد، وما بينهما من ملايين الدهور، ورحت أحلل في ذهني دقائق نسيجها، وأتذكر ما كنت تعلمته في المدرسة عن ملايين الذرات التي تتألف منها أنسجة الوردة، والحركات العجيبة التي تتحركها كل ذرة من تلك الذرات، والحياة المستقلة والمتضامنة التي تحياها الخلايا في غذائها ونكاحها وحملها وولادتها وموتها، بما لا يُعد شيئًا مذكورًا في جانبه كل ما وصل إليه حذق الإنسان في صناعاته ودقيق آلاته وعجيب مخترعاته، المسروقة من أسرار صنع الله، والمزورة عنها بطريق التقليد المفضوح، ورجعت إلى تاريخ الوردة أستعرض سيرة أجدادها، والصفات التي تتوارثها أمة الورد نسلًا بعد نسل، والمواهب التي تكتسبها بعض هذه الأنسال من بيئاتها ومصاهراتها، وتأملت في استعدادها للنمو والتوليد، وفي تذكرها أصولها، ورجوعها إلى سابق صفاتها بعد طروء التطورات الجديدة عليها، وكيف تسير في ذلك كله على أنظمة غاية في الدقة، وبأوضاع في منتهى الحكمة، فوقعت ساجدًا ذليلًا لعظمة الباريء الحكيم. . .

كانت ليلة مباركة خشعت فيها لمقدر أنظمة الوجود والفناء في صنوف كائناته الأرضية: من أمم الجراثيم، إلى عوالم النبات والشجر والثمر، إلى طوائف الحيوان، ساكنات التراب والهواء والماء، من زواحف ودواب، وسابحات وطائرات؛ وقلت: هذا كله في كرتنا الأرضية، وهي نجم صغير حقير، في كون

واحد من ملايين الأكوان الدائرة في أفلاكها بنظام دقيق، ومقادير محددة، وأبعاد معينة، وحركات مؤقتة ومقننة، وكل هذه الأجرام الهائلة المخيفة الهاوية في مداراتها، القاذفة بشررها، المسافرة أشعتها سفرًا أسرع من البرق في رحلات تستمر عشرات السنين بين مصدر تلك الأشعة ومواقع أضوائها وظلالها.

فكيف بالتدبير الإلهي لمجموع مخلوقاته!..

والحياة، الحياة، كيف وُجدت في كون كان سديمًا وغازًا، ثم اشتعل السديم والغاز ملايين السنين فكان جحيمًا، ثم برده صقيع الأجواء التي يتروح فيها فصار جمادًا؛ فكيف نشأت في الجماد الحياة، حياة الوردة، وحياة الهرة، وحياة النحلة، وحياة الببغاء، وحياة السمكة ذات الخراشيف اللاصقة وحياة النبات الجميلات اللائي يعملن في روايات السينما؟ كيف تحولت تلك السدم والغازات والمواد المتأججة حتى صار منها وردة وهرة ونحلة وببغاء وسمكة وغادة غضة بضة!

هذا تقدير عظيم، هذا تقدير الباريء العليم، هذا تقدير القادر الحكيم.

كل شيء قدره القادر الأعظم بقدره، ولكل خلق من بديع مخلوقاته سنن وأنظمة دقيقة لا يعرف منها هذا البشر الجاهل المغرور، إلا كما يعرف الطفل من حكمة انتقال الأصوات من وراء البحار إلى آلة الراديو، فيدور وراء صندوقها باحثًا عن الإنسان الذي يرسل صوته منها...

كل شيء بقدر، ولكل شيء نظام، وكلها أنظمة عادلة حكيمة محكمة، والناس منهم أعمى البصيرة، ومنهم البصير.

وأعمى البصيرة يحتقر البصير ويستصغره ويستهجنه، والإنسان عدو ما جهل..

لكل شيء قدر معلوم، وكل شيء بقدر، وكل ذلك قائم على العدل والحكمة، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

الليل والنهار بقدر وحساب ونظام.

الشمس والقمر بقدر وحساب ونظام.

الصحة والمرض بقدر وحساب ونظام.

الغنى والفقر بقدر وحساب ونظام.

الاستقلال والاستعباد بقدر وحساب ونظام.

النماء والفناء بقدر وحساب ونظام.

الهدى والضلال بقدر وحساب ونظام.

القضاء قضاء عادل دقيق لا يبلغه أعدل الأقضية التي يترنم الناس بمدحها وحمدها، والقدر حساب دقيق في مقاييسه وموازينه لا تبلغه في الدقة موازين الجواهر في الصاغة، ولا موازين السموم في الصيدليات.

ولكن دائرة القضاء والقدر الإلهي محيطة بما نعلم وما نجهل، محاسب في (حيثياتها) على ما قيدناه في دفاتر (تحقيق الشخصية) من وقائعنا وأعمالنا وتقوانا وإسرافنا، وعلى ما نسينا تقييده من ذلك.

أعرقُ وأقف في مجرى الهواء فأمرض، ثم أزعُم أن اللَّه قدر على المرض وقضى به، نعم إنه قدر على المرض وقضى به، ولكنه قدر بحق وقضى بعدل. وأسير بين خطى الترام، وأفكر في أمور أخرى غير ما أنا فيه، فتفجأني مركبة الترام وتفجع بي أولادي، وتقول الصحف في صباح اليوم التالي مات بقضاء وقدر، نعم بقضاء وقدر، ولكن الذنب ذنبي.

لكل شيء قدر، وكل شيء بقدر، ومن القدر أن لكل نجم فلكًا ومدارًا لا

يتعداه، وللسمك البحر، فإذا خرج منه إلى البر هلك، وللإنسان التقوى فإذا لم يضعها دائمًا بين عينيه زلت قدمه، وللنتائج مقدماتها وأسبابها، فإذا لم يتوصل إليها بها كانت العاقبة الفشل.

الصلاح كلمة ذات وجوه كثيرة، ولكل وجه حساب خاص في كتاب القضاء والقدر.

قد اتصف بالصلاح في زراعة أرضي، ولكني أكون غير صالح فيما أتصرف به من الأموال التي أجنيها من براعتي في الزراعة، فأضعها في غير مواضعه، إن اللَّه يكافئني على صلاحي في زراعة أرضي بتثميرها وتنمية حاصلاتها، ويعاقبني على سوء تصرفي بالنقود بإضاعتها من يدي.

قد تكون دولة من الدول بارعة في إنشاء الأساطيل والمحافظة عليها، وصالحة للقيام على خدمتها وإدارتها، ولكنها ظالمة لمن ائتمنها اللَّه عليهم من عباده، تسن الأنظمة لحرمان بعضهم من ثمرات كسبهم وتمتيع البعض الآخر بتلك الثمرات، ولا تخاف اللَّه في كثير مما تعلم أن به رضاه، فالله يكافئها على صلاحها في القيام على خدمة الأساطيل بالتفوق على غيرها في أمر الأساطيل، ويحرمها محبة الذين غمطتهم حقوقهم من عباد اللَّه الذين تحكمهم، ويعاقبها يوم الدين بما عصت اللَّه فيما تعلم أن به رضاه.

يكون الإنسان الواعد صالحًا في شيء وغير صالح في شيء آخر، وصلاحه في الشيء الأول لا ينافي عدم صلاحه في الشيء الثاني، وإذا رأينا اللَّه يورث الأرض بعض خلقه ممن يحسن القيام على إدارة الأرض، فليس هذا دليلًا على الصلاح في كل شيء، بل على الصلاح في الشيء الذي أدت مقدماته إلى نتائجه.

لكل شيء قدر، وكل شيء بقدر.

وكما أن هذا واقع بكل دقة في نظام الأكوان، وحياة النبات والحيوان، فهو كذلك في جميع أحوال الإنسان، ومن الكفر -الكفر بالنعمة أو بما هو أكثر من النعمة- أن يعترض الفقير على كونه فقيرًا، وأن يعترض المخفق في عمله على كونه مخفقًا، ومن اعتادت عينه أن ترى دقة صنع اللَّه في كل مخلوقاته، وحكمته في حركات أكوانه، فإنه يخجل من العقل ومن المعرفة إذا ذهب إلى أن حالة من حالات بنى آدم جاءت على خلاف ما كان ينبغي.

إن هداية القرآن الذي أنزله اللَّه ليلة القدر تُرشدنا إلى أن لكل شيء قدرًا، وأن كل شيء بقدر، ولكن الناس منهم الأعمى ومنهم البصير، ومنهم المؤمن ومنهم الجاحد بل الجاهل، ومنهم من يشم رائحة العلم بأسرار الأكوان شمًّا خفيفًا فيسكر بها ويكفر بالله، ومنهم من يزداد بالله يقينًا، كلما ازداد في علوم الكون إمعانًا وعلى النظر فيها إقبالًا، وأن الهدى هدى الله.

القاهرة: العشر الأخير من رمضان ١٣٥٣هـ

محب الدين الخطيب

الحسد

* قال معاوية ﵁: كل الناس أقدر على رضاهم، الإ حاسد نعمة: فإنه لا يرضيه إلا زوالها.

* وقال عمرو بن العاص ﵁: ما بلغني عن أحد شنآن قط إلا سللت سخيمة قلبه بجهدي، إلا حاسد النعمة فإنه لا يرضى إلا بزوالها.

* وقال الحسن البصري: ما رأيت ظالمًا أشبه بمظلوم من حاسد: نفس دائم، وحزن لازم، وعبرة لا تنفد.

في ظلال الغنى

لست أدري ولا المروءة تدري ما غناء الغنى إذا عاد ذلا
يجمع المال غيرنا فيباري ساريات الربيع جودًا وبذلا
غير أنا نثرى لنشقى، ونمسي في ظلال الغنى على الناس كلا
أي فضل -قل لي- لمثر بخيل ما على الناس منه أثقل ظلا
هل تراه إلا جبانًا إذا ما أقبل الناس للمفاخر ولى
ما لقومي والحال تستعجل البذ ل وتستصرخ الفقير المقلا
يقبضون الأكف في الجد بينا هم يكيلون في المهازل كيلا
أغدا الأخذ بالفضائل عارًا والتردي في هوة العار فضلا
أم يرى المظلم البصيرة صعبًا ما يرى الثاقب القريحة سهلا
قل لقومي إذا وجدت معافى من هوى النفس فيهم أو مُبلى
أين علم الحياة من جهل قوم حسبوا عزها شرابًا وأكلا
غني الناس بالمفيد فجاءوا بالذي ذلل الجماد فذلا
كلفوه الصعود في الجو فانصا ع وأن يهبط الثرى فتدلى
وانصرفنا إلى المجون فجئنا فيه بالمستحيل شرعًا وعقلا
أو ليس المحال أن يحسب المو ت حياة ويقلب العلم جهلا!

محمد النجمي

❏ قال نصر بن سيار:

كل شيء يبدأ صغيرًا ثم يكبر، إلا المصيبة، فإنها تبدأ كبيرة ثم تصغر، وكل شيء إذا كثر رخص، إلا الأدب إذا كثر غلا.

صوت القبر

يا من لهم في القبور أموات!

إن رؤية القبر زيادة في الشعور بقيمة الحياة، فيجب أن يكون معنى القبر من معاني السلام العقلي في هذه الدنيا.

القبر فم ينادي: أسرعوا أسرعوا، فهي مدة لو صُرفت كلها في الخير ما وفت به، فكيف يضيع منها ضائع في الشر أو الإثم! لو وُلد الإنسان ومشى وأيفع وشب واكتهل وهرم في يوم واحد، فما عساه كان يضيع من هذا اليوم الواحد؟ إن أطول الأعمار لا يراه صاحبه في ساعة موته إلا أقصر من يوم.

ينادي القبر: أصلحوا عيوبكم، فإنها إن جاءت إلى هنا كما هي بقيت كما هي إلى الأبد.

هنا قبر، وهناك قبر، وهنالك القبر أيضًا، فليس ينظر في هذا عاقل إلا كان نظره كأنه حكم محكمة على هذه الحياة كيف تنبغي وكيف تكون..

في القبر معنى إلغاء الزمان، فمن يفهم هذا استطاع أن ينتصر على أيامه، وأن يُسقط منها أوقات الشر والإثم، وأن يُميت في نفسه خواطر السوء، فمن معاني القبر ينشأ للإرادة عقلها القوي الثابت، وكل الأيام المكروهة لا تجد لها مكانًا في زمن هذا العقل، كما لا يجد الليل محلًّا في ساعات الشمس.

ثلاثة أرواح لا تصلح روح الإنسان في الأرض إلا بها:

روح الطبيعة في جمالها، وروح المعبد في طهارته، وروح القبر في موعظته.

الرافعي

الإسلام

هذه الفقرة صدّرت بها الليدي (إيفلين كوبولد) كتابها (الحج إلى مكة):

لقد تساءل (كيته): إذا كان هذا هو الإسلام، ألسنا كلنا مسلمين. ؟ . . فأجابه (كارليل): أجل. . . إن من يحيا بالروح، إنما يحيا على الإسلام. . [١]

التفكه بالحقائق

كان (شو بنهور) الفيلسوف الألماني يُحسن الفكاهة على كونه إمامًا للفلاسفة المتشائمين في العالم.

وكان في شبابه قد لبى اقتراح جامعة «كوبنهاجن»، فكتب رسالة في (أصول الأخلاق)، وعرضها على مجلس الأساتذة مع العارضين، فلم تظفر بالجائزة الكبرى، وظفرت بتلك الجائزة رسالة أخرى لا يقرأها الآن أحد، ولا تُذكر إلى جانب الرسالة التي كتبها (شو بنهور) في شبابه، ولم تزل إلى الآن مرجعًا في الفلسفة والاجتماع.

ومن ذلك الحين تظهر رسالة (شو بنهور) المطبوعة وعلى الصفحة الأولى منها بالخط الكبيرة: (لم تقبلها جامعة كوبنهاجن).

. . كأنما هذا الرفض من تلك الجامعة تزكية وتقريظ يستحقان الإثبات والتنويه!

(١) لكن لايكفي هذا للنجاة، بل لابد من اعتناق الإسلام، والتبرؤ من كل مايخالفه. (س).

إمارة الشعر الجديدة

خـدع الأعـمـى الـبـصـيـر إنــه لــهــو كــبــيــر!
أضـحـك الأطـفـال مـنـه إذ دعــاه بــالأمــيــر
لـيـت شـعـري والـلـيـالـي لـم تـزل تـبـدي الـكـثـيـر
هـل يُـرى فـي الـنـاس ثـانٍ مـثـل ذا الـرأي الـفـطـيـر؟
أيْ أطـبـاء الـقـوافـي إنْ عـرا الـداء الـخـطـيـر
وأسـاطـيـن الـمـعـانـي مـن ربـاطٍ لـلـعـسـيـر[1]
هـل رأيـتـم كـيـف يـخـطـئ سـنـن الـنـهـج الـضـريـر!
أصـبـح الـشـعـر شـعـيـرًا فـاطـرحـوه لـلـحـمـيـر

النجمي

من حِكم الفاروق رضي الله عنه

* ما عاقبتَ من عصى اللَّه فيك، بمثل أن تطيع اللَّه فيه.

* لا حرمة للنائحة، لأنها تأمر بالجزع، وقد نهى اللَّه عنه، وتنهى عن الصبر، وقد أمر اللَّه به، وتبكي شجية غيرها، وتأخذ الأجر على دمعها، وتحزن الحي، وتؤذي الميت.

---

(١) يسأل بلغاء الأمة العربية من رباط الفتح في أقصى المغرب إلى بلاد العسير في جوف جزيرة العرب.

* لا يصلح لهذا الأمر إلا اللّيِّن في غير ضعف، القوي في غير عنف.

* إياكم وذكر الناس فإنه داء، وعليكم بذكر اللَّه فإنه شفاء.

* ثلاث يثبتن لك الود في صدر أخيك، أن تبدأه بالسلام، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب الأسماء إليه.

* من عرّض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن.

* اعتزل عدوك، واحتفظ من خليلك إلا الأمين فإن الأمين من القوم لا يعادله أي شيء.

* إني أحب أن يكون الرجل في أهله كالصبي، فإذا احتيج إليه كان رجلًا.

الاقتصاد

إذا رمت أن تستقرض المال من أخ ... تعودت منه اليسر في زمن العسر
فسل نفسك الانفاق من كيس صبرها ... عليك وإنظارًا إلى ساعة اليسر
فإن أسعفت كنت الغني وإن أبت ... فكل ممنوع بعدها واسع الصدر

ضارب الرمل

أمسى يحدث عن غد ولو أنه ... يدريه لم يجثم على الطرقات
متدثر بالباليات خصاصة ... ويروح يسأله ذوو الخلجات
ويقي من الشيطان وهو أخ له ... ألقى شباك الرمل والنفثات

ما راعني -وله فرائس جمة- إلا أوانس مِسن في الحَبرات

محمد الأسمر

حِكم

* أحسن بصاحبك الظن ما لم يغلبك.
* إذا قام جناة الشر فاقعد.
* التجرِبة علم والأدب عون.
* البخيل خازن لأعدائه.
* الجاهل صغير وإن كان شيخًا
* نفاق المرء من ذله.
* من أعجب برأيه ضل.
* الصبر يُخفف المصائب، ويقرب الآمال.
* إذا لم تشغل النفس بما يصلحها شغلتك بما يفسدك.
* إذا رأيت رجلًا يتناول أعراض الناس، فاجهد أن لا يعرفك.
* من اليقظة إظهار الغفلة مع شدة الحذر.
* عقوبة الغضب تبدأ بالغضبان: فتُقبح وجهه، وتثلم دينه، وتُعجل ندمه.

من مصر إلى الهند

أنشأت مجلة (الضياء) الهندية مقالة بمناسبة احتفال الفرس بذكرى مرور ألف سنة على (الفردوسي والشاهنامة) التي تغنى فيها بمجد العجم.

وأشارت إلى ما فيها من نزعة شعوبية، وانتقدت اشتراك بعض أهل الدين والصلاح في هذا الاحتفال، وذكرت أن شاعر شباب مسلمي الهند (حفيظ) سار شوطًا في نظم (شاهنامة باللغة الأوردية) تغنى فيها بمحامد التاريخ الإسلامي، ثم نوهت بما أذاعته (الفتح) من بشرى قام شاعر مصر الكبير الأستاذ (أحمد محرم) بنظم ديوان للمفاخر الإسلامية بشعره البليغ، فلما قرأ الأستاذ أحمد محرم هذه المقالة، نظم القصيدة الآتية:

صوت تردد في الأقطار يهتف بي ... لا سرني هاتف إن لم يُجب أدبي

أجل هو الخطب إن أمسى أوائلنا ... في الهالكين، وهم منا على كثب

اليوم والغد منهم مشهد جلل ... يرمي الشاهد والأيام بالعجب

هم سادة الأرض ما انفكت ممالكها ... من بأسهم وجلال الملك في رهب

الدائبون عليها ما يجاوزهم ... ركب الدهور ولا سيارة الحقب

والغالبون فما يغشى لهم حرمًا ... من كان ذا قوة أو كان ذا غلب

إذا رموا وعوادي الدهر راكضة ... هدّوا الخطوب وردوا غارة النُوَب

آباؤنا ما أضاع القوم حرمتهم ... لكنهم قد أضاعوا حُرمة الحسب

(للشاعر الفارسي) العذر إن نزعت ... به النوازع تغشى موطن الكذب

أثنى على قومه يبني لهم شرفًا ... يرجو عمارته بالمنطق الخرب

إن الألى عصفوا (بالنوبهارِ[1]) همو ... كانوا الغياث لهم من عاصف اللهب

---

(١) بيت النار عند الفرس، وكان معبدهم من قبل.

ما كنت باللائم الباني لأمته فليبن من شاء ليس النوم كالدأب
إن كان للمدح يزجيه الفتى سبب ففي القرابة ما يغني من السبب
لو كان (للنمل) شعرٌ قال قائلها لمّا تولت سراعًا خيفة العطب
إنا أبينا فلم ندخل مساكننا حتى استبحنا حمى الهندية القضب
رعنا (سليمان) يمشي في مواكبه بين الجنود فلم نملك سوى الهرب
قال الوشاة وَفَى (للفرس) شاعرهم وما وَفَى (شاعر الإسلام والعرب)
مهلًا فإني لقومي إن هم التمسوا مستودع الود من نفسي لذو حدَب
لو لم يُطعني بياني حين أنصرهم نصرتهم ببيان من دمٍ سرب
ما فارقوني ولا جاوزت موضعهم في هاتف زجل[١] أو زاحف لَجب[٢]
هذا يردد دوني صوت مرتجز وذا يقلب حولي عين مرتقب
أكبرت (للشاعر الهندي) غضبته للحق يُنصفه من خصمه الشغب[٣]
على (الضياء) لحسان الهنود ولي حق له إن قضاه أجرُ محتسب
تلك التحية أزجيها على يده إليه أعتدها من أفضل القرب
لما رأيت ولاء (الفتح) منقبة جعلته بين قومي خير مكتسب
سيفٌ من الحق يجري في مضاربه نور من الوحي يجلو ظُلمة الريب
عرفته (علويًا) زانه نسب ما مثله في (سيوف الله) من نسب
إذا الفتوح انتمت راحت جلائلها تلوذ منه (ببدري) السنا ذرب[٤]

(١) من الزجل، وهو هنا الجلبة ورفع الصوت صفة لمحذوف، والمراد مجمع القوم ومنتداهم.
(٢) صفة للجيش العظيم.
(٣) الشغب: هو الذي يهيج الشر. والشاعر الهندي هو الأستاذ (حفيظ) شاعر شباب مسلمي الهند الذي بدأ بنظم (شاهنامه إسلام).
(٤) البدري: نسبة إلى بدر موضع الغزوة المشهورة.

اللـه أيـدنـي مـن جـنـده بـأخ ... لو غاب عني أخي في الرّوع لم يغَب

أحمد محرم

الطوفان في جبال نابلس
في شتاء عام ١٣٥٣هـ

من نظم شاعر فلسطين الأستاذ/ إبراهيم طوقان

من كان ينكر نوحًا أو سفينته ... فإن نوحًا بأمر اللَّه قد عادا
حل الوبال بعيبال فمال به ... يا هيبة اللَّه إبراقًا وإرعادا!
في جارف كعجيج البحر طاغية ... أمواجه تحمل الأسواق أمدادا
ولا تزال من الزلـزال باقيـة ... تذكارها يوقد الأكباد إيقادا[1]
منذ احتللتم وشؤم العيش يرهقنا ... فقرًا وجورًا واتعاسًا وإفسادا
بفضلكم قد طغى طوفان «هجرتهم» ... وكان «وعدًا» تلقيناه «إيعادا»
واليوم من شؤمكم نُبلى بكارثة ... هذا هو الطين والماء الذي زادا

كلنا عرب!

نشرت (الفتح) في العدد ٤٣٠ بعنوان (كلنا عرب) خبر ارتفاع قيود الجوازات

(١) يشير إلى الزلزال الذي وقع في نابلس قبل بضع سنوات.

بين مملكتي ابن سعود والعراق، فأوحى هذا العنوان إلى شاعر حضرموت - صديقنا- الأستاذ علي أحمد باكثير، هذه الأنشودة الموسيقية البارعة.

المحرر

علمَا يعرب جُمِعَا في علمْ ضم (بغداد) في ظله و(الحرمْ)
يا همومي ابْعدِي! يا سروري هلمْ! يقظة ما وعى مسمعي أم حُلمْ؟!

❊ ❊ ❊

بل هو الحق إن شئت فاسأل دمكْ ويك يا جاري الدم من أعلمكْ؟
أنت ذا تنبري راقصًا في العصبْ ويحك أرفق بقلبي فقلبي يَجبْ!

❊ ❊ ❊

فأجاب الدم ثائرًا محنقا مغضبًا يكظم نفَسًا محرقا
ما شككت به أيهذا الغبي قد أحس به دمك اليعربي!!
أعجيب: أخ ضم عطفًا أخاه؟ كبرت جملة حملتها الشفاه!
أو ليس العجب طامع في أخيه؟ مستعين على أهله صائديه!
أكمه لا يرى أنه أكمه ليس من يدعي مثل من يُبرِه
بأبي يعرب أتظل - الأبدْ أممًا تلعب والليالي تجدْ؟
تلك ألمانيا ائتلفت من أممْ شِيعٌ في هوى ولسان ودمْ
وبنو يعرب الأمة الواحدةْ نكِرت بينها (الوحدة) الخالدةْ
أو لم يجمع الضاد والعنصرُ؟ أو لم يجمع الوطن الأكبرُ؟
ما لهذي الحدود ارفعوها ارفعوا ويلهم! قطعونا لكي يبلعوا!!

❊ ❊ ❊

ياشجًا في لهاة العدو الألدْ ويحك اصلب فمثلك لن يزدردْ!
عَلَمَا يعرب جُمِعا في علمْ ضم (بغداد) في ظله و(الحرمْ)!

يا همومي ابعدِي يا سروري هلمْ   يقظة ما رأى ناظري أم حُلمْ؟

❁ ❁ ❁

حيِّ ليث العرب عاهل المكتينْ   عشت يا ابن النجب حاميَ المسجدينْ

يا أبا الناطقين باللسان المبينْ!

❁ ❁ ❁

حيِّ شبل العرب عاهل الرافدينْ   (فيصل) لم يغب يا حفيد الحسينْ

يا فتى الناطقين باللسان المبينْ!

❁ ❁ ❁

هذه خطوة والخطى بعدها!   لم تهن أمة ذكرت مجدها!

وطنٌ واحد أمة واحده   عنصر واحد لغة واحده

همنا واحدٌ في حياة وموتْ   من حدود الربا ط إلى حضرموتْ!

آن ما بيننا -نفدَ المرتقبْ-   أن تزال الحدود وتُطوى الحجبْ

علي أحمد باكثير

يا آسي الجرح!

الذكريات من التاريخ قد درست   وطارف المجد موءود وتالدُه

يا آسي الجرح بادر ضمد سائله   إذا تريثت لم تنجح ضمائده

دمشق /خليل مردم

الزكاة

عجبت لمعشر صلوا وصاموا ظواهرَ خشية وتقىً كِذابا
وتلفيهم حيال المال صمًّا إذا داعي الزكاة بهم أهابا
لقد كتموا نصيب اللَّه منه كأن اللَّه لم يُحص النصابا
ولولا البخل لم يهلك فريق على الأقدار تلقاهم غضابا

أحمد شوقي

أغنياؤنا وفلسطين

سلبت فلسطينَ الحوادثُ نومها والمسلمون كما عهدت رقود
يبتاع ثروتها العدو بماله والمال بين يديهمُ موجود
فاعجب لهم لا البخل يوقظ فيهم حرصَ البخيل ولا يُواتي الجود
إن يطمعوا فينا الخصوم فحسبهم أنّا على هذا المروق شهود
وليهنهم أنّا بفضل جهودهم ضعنا وضاع رجاؤنا المنشود
لم أدر ما فضل الغنيّ نحسه ما بيننا وكأنه مفقود
تدوي رعود الكارثات حَواله وصماخه عن قصفها مسدود
خُلق تمكن من نفوس سراتنا لا اللوم يخجله ولا التنديد
فكأنما يخشون أن يبقى لهم أثرٌ لدى أقوامهم محمود
ما ظن قوم يبخلون وملكهم بالنفس في كف المغير يجود
أيجادلون الخصم في تحريرهم وهم لأهواء النفوس عبيد

الذئب والحظيرة

لا تعيدوا إلى الحظيرة ذئبًا ... كفى الناس شره واستراحوا
واتركوه بحيث أنزله الله ... ففي تركه لقىً إصلاح
لا تقولوا أصيب ظلمًا وقولوا ... إنما أُخرس اللسان الوقاح
لم ينل باطل السياسة منه ... ما يرى الحق دونه والصلاح
إنه قائد الغواية والشـ ... ـك وداعي المجانة الملحاح
دون ما في كتابه من مخاز ... يقف العفو عاجزًا والسماح

النجمي

نشيد الأطفال في رمضان

«وحوي وحوي» مهد الأمل ... لصغار تمرح في جذل
فيهن قطاة تنشدها ... برنين عذب كالعسل
فيرددها سِربٌ مَرِحٌ ... يزهو ببهاءٍ في حُلل
بنشيدٍ رق على الأذن ... وحنينٍ كالخد الأثل
بين الأنوار كولدان ... يخطرن بفردوس الأمل
يا ليت زماني يسمح لي ... فارددها «وحوي وحوي»

بين الأنحاء على مهلٍ ... يمشين وطورًا في عجل
وبكل ثنية منعرج ... يخطرن كنشوان ثمل

فيهن عواطف حانية ... كحنين الثغر إلى القُبَل
وبهن حياة ضاحكة ... متمتعة بين النقل
ما أحلاها «وحوي وحوي» ... يا ليت زماني يسمح لي

❀ ❀ ❀

نغماتٌ من قلب مرح ... ونفوس تخفق بالأمل
ما بين العطف بقلب أبٍ ... وحنان الأم المشتعل
فوددت أقاسمها همي ... أملاً منها أن تبسم لي
وقربت ولكن في حذرٍ ... وبوجهي شارات الوجل
وهتفت بصوت ممتزج ... بهوى نفسي «وحوي وحوي»
لم يردعني مر الكِبر ... أو ينفعني بذل الحيل
إذ فر الجمع وفي قلبي ... زفرات من وقع الخجَل
يا ليت زماني يسمح لي ... فارددها «وحوي وحوي»

❀ ❀ ❀

لحنٌ يشجيني في طرب ... لكن في دمعٍ منهمل
ونشيد يسري في كبدي ... فيمر خداعًا في أجلي
أو كنتُ كذلك في صغري؟ ... أبدًا، لم يُكتب في الأزل
أو بات الماضي في عدَم ... فمضى ونأى أم سوف يلي؟
يا ليت زماني يسمح لي ... فارددها «وحوي وحوي»

فايد العمروسي

تفرق المسلمين

وارحمتا للمسلمين تفرقوا ... وتباعدوا في الأرض بعد تدان
فلئن بكيت لقد وجدت مصابهم ... في منكبي وجوانحي وجناني
ما بالدموع المستهلة ريبة ... هي في الجفون عصارة الوجدان
من كان أبصر خطبهم فأنا الذي ... ما رَسْتُهُ ولمسته ببناني
ما زلت أجمع بالقريض شتاتهم ... حتى انقضى أدبي وضاع زماني
انظر إلى الباني المهدّم واعتبر ... بالدهر تصدع شامخ البنيان

أحمد محرم

العرب

إذا كنت شريكًا لرجل أو أكثر في عمل مالي، فمن حق هذه الشركة ومن مصلحتك فيها، ومن واجبات الفضيلة أيضًا أن تكون أمينًا لها، حريصًا على حياتها ونمائها، عرف لك ذلك شركاؤك أو لم يعرفوا، أما إذا دب روح الأنانية في هذا العمل، ومالت نفس الشركاء أو بعضهم إلى الانفراد بشيء من النفع فتلك بداية الخراب.

وإذا كنت ساكنًا في حي من الأحياء، فمن حق ذلك الحي عليك أن تجيب دعوة التعاون على خيره إذا وجهت إليك، وأن توجه مثل هذه الدعوة إلى سكان ذلك الحي إذا شعرت قبلهم بحاجة الحي إليها، وإن الحي الذي تغلب على أهله

السكينة، ولا يتعاونون على الخير المشترك بينهم أولى به أن يسمى ميتًا؛ لأن الحركة والتعاون من أوضح مظاهر الحياة.

وإذا كنت في سفينة تمخر بك في البحر، وهي ملك لغيرك، وأنت بها عابر سبيل، وأراد أحد ركابها أن يخرقها، فإن لم تأخذ على يده على زعم أنها ليست لك، فإنها ستغرق وتغرق أنت معها.

كلنا ذلك المسافر المبحر في السفينة، أو الساكن مع غيره في الحي، أو الشريك لآخرين في المصالح.

فأنا بصفتي مسلمًا، شريك لكل محمدي في جامعة الإسلام(١)، وهي عندي أشرف الجامعات، لأنها تجمعني مع إخواني المسلمين بالروح والتفكير والاقتناع؛ فإن لم أقم بمصالح هذه الشركة بأمانة سبيل اتساعها وارتقائها، وحفظ كرامتها؛ كان ذلك خيانة مني لهذه الرابطة، وتقصيرًا في الواجب الاجتماعي، ودليلًا على أني عضو عاطل يتغذى من الجسم الذي هو فيه ولا يفيده شيئًا.

وأنا بصفتي متوطنًا في مصر، اخترتها من دون آفاق الدنيا لتكون مولد أبنائي، ونويت أن أموت في تربتها إذا شاء اللَّه ذلك لي؛ فإني شريك لكل مصري في جامعة الوطن، وهي من أقرب الجامعات إليَّ، لأني متصل بها مباشرة، وأنفعها بجهودي، وأنتفع منها في أعمالي؛ فإن لم أقم بمصالح هذه الشركة بأمانة وإخلاص، وأحرص على خيرها وعزها، كان ذلك منى تقصيرًا يصيبني قسط منه، وتقع علي في جملة من تقع عليهم نتائجه.

---

(١) وهذا يغنينا عن الروابط الجاهلية الأخرى؛ كالقومية. فليت الأستاذ الخطيب اقتصر عليه. (س).

وأنا بصفتي من أبناء هذه اللغة العربية ليس لي لغة غيرها، ولا تصح نسبتي لغير أهلها؛ أرى نفسي عربيًا يشارك كل عربي على وجه الأرض، في بيانه، وفي قوميته، وفي عزته ومفاخره ومصالحه، مهما اختلفت الألوان التي قضت السياسة بأن تتلون بها هذه الأقطار العربية على الخريطة؛ فهذه المقالة التي أكتبها على مقربة من ميدان السيدة زينب في القاهرة، سيقرؤها بعد بضعة أيام أبناء هذه اللغة في تونس والجزائر وما وراءهما، وسيقرؤها أبناء هذه اللغة في فلسطين والعراق والشام شمالًا، وفي الحجاز ونجد واليمن جنوبًا، وسيعدها كل ناطق بالضاد على وجه الأرض مادة من مواد صحافته العربية وبيانه العربي.

من الناس من يعد العربي من كان عربي النسب، فإن لم يكن له في قبيلة من قبائل العرب أو في أسرة من أسرهم نسب معروف لا يعد نفسه عربيًا. وقد كان هذا صوابًا يوم كان العرب يحيون حياة القبيلة، ويحافظون على أنسابهم فيها؛ فلما غمر سيل الحضارة أمة العرب، وتوطنت أمم منهم في بلاد العجم، والتحقت ببلادهم خلائق من غيرهم لا تحصى، صارت العبرة في الحضارة للمولد واللغة، ولم يبق حكم لرابطة النسب إلا في بيوت خاصة معروفة.

كما أن الفرنسي هو من ولد في فرنسا في بيت لغة أهله الفرنسية، وكما أن التركي هو من ولد في تركيا في بيت لغة أهله التركية، كذلك العربي هو من ولد في الوطن العربي في بيت لغة أهله العربية، وعلامة العربي الحرص على خير العرب وعز أوطانهم، فمن كان غير حريص على ذلك فالعربية بريئة منه، وإن كان من أعرق قبائلها، ومن اعتبر نفسه مجاهدًا لخير هذه القومية فهو رجلها، ولو كان أبو أبيه مهاجرًا إلى الوطن العربي من جزيرة قريطش.

كنت أشعر من زمان بأن هذه الحقيقة تحتاج إلى إعلان، فلما نظم صديقي

الأستاذ علي أحمد باكثير نشيدته العصماء (كلنا عرب)، رأيت أن أرسل هذه الكلمة في تعريف العربي، لأن هذا التعريف معروف في العراق والشام أكثر مما هو معروف في مصر، فصار من الخير أن أعلنه في مصر لنتعارف نحن الشركاء في البيان العربي بأنا شركاء أيضًا في الفخر بهذا التراث وجنود مكلفون بحمايته ووقايته من كل سوء.

إن أشد الترك عصبية للقومية التركية اليوم رئيس جمهوريتها، ومع ذلك فإنه لا يحمل لا هو ولا أي تركي آخر ورقة نسبة إلى خامس جد ليكون مطمئنًا بأن أجداده كانوا من الترك حقًّا لا من جنسية أخرى، ونابليون بونابرت المولود في جزيرة إيطالية من أبوين كانا يتكلمان الإيطالية، رأينا إيطاليا الآن تجرد جنود الحرس في جيشها من القبعة البونابرتية؛ لأنها اعتبرت بونابرت غريبًا عنها كما اعتبرته فرنسا من أبطالها، ولو رجع كلاهما إلى قاعدة الأنساب لاعتبراه إيطاليًّا لا فرنسيًّا، وفي دمشق جريدة يومية اسمها (فتى العرب) وهي تسمية تنم عن اتجاه عصبية صاحبها وهو الأستاذ (معروف الأرنؤوط) الذي بينه وبين الألبانية جد واحد أو جدَّان، ومع ذلك ما كان ليدعيه الألبانيون ولا لنتنازل نحن عن أدبه الذي نعده من ثروة لغتنا، وقد ألهمته العصبية العربية كتابات بارعة من أهمها كتاب (سيد قريش) الذي قلما كتب العصريون كتابًا مثله عن زمن البعثة النبوية.

وصديقي شاعر الشام الأستاذ (خير الدين الزركلي) لو نازعنا الأكراد عليه لقاتلنا دونه، وكم عدد شعرائنا الذين يشعرون شعوره بحرارة العصبية العربية الملتهبة.

القومية في الحضارة: مناطها اللغة والمولد والشعور المشترك.

هذا هو المعول عليه في أوربا، بل في أشد بلاد أوربا تعصبًا للقوميات، وهذا هو المعول عليه في الشام والعراق، فالعراقي عراقي وطنًا وعربي جنسًا من غير التفات إلى الأنساب، والسوري سوري وطنًا وعربي جنسًا من غير التفات إلى

الأنساب أيضًا، ورجال الحركة الفكرية في العراق والشام يحبون من صميم أفئدتهم أن يسمعوا رجال الحركة الفكرية في مصر، يعلنون بصراحة ووضوح أن المصري مصري وطنًا وعربي جنسًا، لأن الحضارة بوتقة كبوتقة الكيماوي تمزج فيها المعادن، ويكون منها معدن واحد هو المعدن الغالب، ومصر على رأس القيادة الفكرية في العالم العربي، ولا يخطر في وهم أحد فيها أنها ستعدل عن البيان العربي إلى غيره إلى يوم الدين، فالقومية العربية من عدن إلى ما وراء الموصل، ومن حدود إيران إلى منتهى المغرب الأقصى، تحب من صميم فؤادها أن تسمع الأمة المصرية، تقول عن نفسها أنها مصرية وطنًا، عربية جنسًا، ليكون ذلك زيادة في داعية الشعور المشترك، وهو مصدر عظيم من مصادر القوة، ينتفع به الناطقون بالضاد في مثل موقفهم اليوم من الأمم.

للعراق تراث من حضارة الكلدان وآثور، من بابل إلى نينوي، قد لا يقل -بعد أن تستثار دفائنه كلها- عن تراث مصر الذي حفظته هياكل الوثنية القديمة، ولكن وفاء العراق لعربيتها، واعتصامها بهذه القوة المملوءة حياة ومغناطيسية لم يجعل لأوهام الماضي المنقطع سبيلًا إلى إدخال الشك على نفسها في التعلق بأواصر قوميتها العزيزة الغالية، التي تتكهرب بها معها عشرات الملايين من أصحاب لغة القرآن الذين يملأون فضاء اللّٰه الواسع في غرب آسيا وشمال أفريقية، وفي ثياب كل رجل منهم نفس أمضى من نفس (هتلر) لو عرف أن وراءه أمة كالأمة التي يتكيء عليها هتلر؛ ولكنها الوحدة، وحدة الشعور، وحدة الإيمان، وحدة الأمل والمطمح، وحدة الثقة بالنفس، هي التي تكهرب معادن الأمم، وتوقظ فيها الحياة النابضة؛ فيذعن لحقها كل من كان ينكره عليها.

إن الناطقين بالضاد سائرون في الطريق، وقد تقارب شعورهم من بغداد إلى دمشق إلى بيت المقدس إلى شمال أفريقية، لولا أن مصر لا تزال واقفة تتفرج،

لأنها لا تزال تفهم أن العرب لا يكونون إلا أعرابًا، ولو أنها أخذت راية النهضة بيدها وسارت مع الأقطار الشقيقة في الطريق الذي يدلها عليه تاريخ الإسلام؛ لانفتح أمامها ما كان مغلقًا من آفاق الرجاء، وإذا هي لم تصدقني فلتجرب!

محب الدين الخطيب

حِكم

* من أحب الحمد أحسن السيرة.
* الملل من كواذب الأخلاق.
* الاختيار دليل العقل.
* إخوان السوء كشجرة النار يُحرق بعضها بعضًا.
* من أجدب انتجع.
* الهوى مفتاح السيئات.
* شرار الناس الذين يُكرمون اتقاء شرهم.

الجاهل إذا صار غنيًّا

كم جاهل نال مالًا بعد متربة ... فكان منه له بالإثم إغراء
فما تجلت له الدنيا بزينتها ... إلا كما تنجلي للبغي حسناء

أحمد الكاشف

السفور والخلاعة

زعم السفور والاختلاط وسيلة ... للمجد قوم في المجانة أغرقوا
كذبوا متى كان التعرض للخنا ... شيئًا تَعز به الشعوب وتسبق
أيكون كشف السوأتين فضيلة ... فيذيعها هذا الشباب الأحمق
ما بالهم والبنت قد فُتنت بما ... قالوا وحل بها الجنون المطبق
وبدت مقاتل عرضها لرُماته ... حتى لهمَّ به الجبان الأخرق
والقول أصبح في الخروج لها فلا ... كف تكف ولا رتاج يُغلق
كرهوا الزواج بها وباتت سوقها ... بعد التبذل عندهم لا تنفق
ما خطبهم كلفوا بنزع حجابها ... وتكلفوا فيه البيان ونمقوا
وتناولوا بالضعف من حاجاتنا ... واللين ما هو بالصرامة أخلق
أغدت مشاكلنا الكبيرة كلها ... ذيلًا يجرجره السفور المطلق
أم أنهم ضلوا السبيل وغرهم ... ببريقه هذا الجديد المخلق
أشبابنا المرجو صيحة جازع ... أغرى بها هذا البلاء المحدق
ونصيحة يفضي برائع سرها ... لقوام نهضتنا محب مشفق
لا ترهفوا سمع الحفي لقالة ... أبدًا بها بوم البطالة تنعق
لم يقصدوا خيرًا بها لكنهم ... رأوا القوي يسيغها فتملقوا
ولربما اجترح القوي خطيئة ... فمضى الضعيف بمدحها يتشدق
قوا أهلكم ونفوسكم عارًا إذا ... لم تتقوه بغيركم لا يعلق
وتناولوا بالزجر حُمُرًا كلما ... هيجت إلى متع الإباحة تنهق
ليس التمدن أن نرى روح الحيا ... بيد الخلاعة كل يوم تُزهق

والبنت يدفعها براحته الهوى ... فتروح تهوى من تشاء وتعشق
لكنه العلم اهتدى بضيائه ... غرب البسيطة حين ضل المشرق

النجمي

حِكم

* صاحب المعروف لا يقع، وإن وقع وجد متكأ.
* خير مالك ما وقاك، وشره ما وقيته.
* صبرك على الاكتساب خير من حاجتك إلى الأصحاب.
* ظلم الضعيف أفحش الظلم.
* جزاء من يكذب أن لا يُصدق.
* ظاهر العتاب خير من باطن الحقد.
* حتى يدك تضرك، وحتى عينك تكذبك.
* غضب الجاهل في قوله وغضب العاقل في فعله.
* اعرف صاحبك بصاحبه قبلك.
* لا تسأل البخيل، فإنه إن منعك أبغضته وإن أعطاك أبغضك.
* إذا قدمت المصيبة سمجت التعزية.
* لا تفتح بابًا يعييك سده.
* بشر مال البخيل بحادث أو وارث.

* اشتدي أزمة تنفرجي.

* صديق الوالد عم الولد.

* خطأ الجود أفضل من صواب المنع.

* لأن تبتلى بمجنون كامل خير لك من نصف مجنون.

من نصائح بتاح حتب الوزير المصري القديم لابنه

* إذا أردت أن تطيل عهد الصداقة في منزل أو مكان تدخله كسيد أو كأخ أو كصديق فحاذر القرب من النساء.

* إذا أصبحت رجلًا ممتازًا فكوّن لنفسك بيتًا، وأحب امرأتك كما يجب (أي أشبعها)، وأحضر لها ما تحتاج إليه، وقدم لها العطور، وأدخل على قلبها السرور ما دامت في حوزتك، لأنها مرعى خصيب لزوجها.

* إذا وصلت إلى مركز سام وكونت منزلًا، وأصبح لك ولد يرضي اللَّه ويعمل الحق، ويصل إلى تعاليمك، ويسمع نصائحك، ويُحسن كل ما يعمله في منزلك، فافتح له قلبك، وابحث له عن كل ما هو طيب وحسن، لأنه ابنك الذي هو قطعة من نفسك، فإذا سار في طريق الاعوجاج وتخطى ما رسمته له، ولم يعمل حسب إرشاداتك، وأصبحت تصرفاته في المنزل لا قيمة لها، فاطرده؛ لأنه ليس بابنك، ولم يولد لك.

* ما أحسن أن يستمع الابن لأبيه، وما أسعد الإنسان الذي يلقي مثل هذا الكلام، إذا استمع ابن لنصيحة أبيه فلن تخطيء فكرة من أفكاره.

* الرجل الذي يسير على منهج الحق يفتخر بأن ذلك منسوب لوالديه.

* الصدق حسن، وقيمته لم يتطرق إليها ضعف ولا وهن منذ الأزل، ومن يحد عن طريق الصدق ينل ما يستحق من العقاب.

* قد يجني الإنسان مالًا من الشر في بعض الأحيان، إلا أن قوة الحق كامنة في كونه مستديمًا.

* كن مخلصًا في نقل الرسائل، وقل الصدق إذا كنت رسولًا ممن يوثق بهم، وعليك أن تبلغ الرسالة كما قيلت لك، ولا تنس شيئًا، وحاذر من أن تكتم في نفسك شيئًا منها.

* إنك لا تستطيع أن تحصل على شيء في الحياة من طريق «التهويش»، وما يحدث إنما هو إرادة الله.

* غض طرفك حتى يحييك من هو أكبر منك، ولا تتكلم إلا إذا بدأك بالحديث.

* إذا جلست على مائدة رجل أعظم منك، فخذ ما يقدمه لك وضعه أمامك، ولا تنظر إلى ما أمامه، ولكن انظر إلى ما هو أمامك فقط، ولا تسدد إليه نظراتك لأن ذلك شيء تكرهه النفس.

* إذا أصبحت زعيمًا فادأب حتى تصل إلى الدرجة التي لا تجد لنفسك معها عيبًا.

* إذا كنت رجلًا متواضعًا، وكنت زميلًا لرجل مشهور يتصل بالملك، فتجاهل ماضيه الحقير، ولا تحسده أو تحقد عليه؛ لأنك تعرف شيئًا من ماضيه، بل احترم مركزه الحاضر، فإنها مشيئة الله.

* إذا كنت رجلًا ممن ينظرون في الشكاوي، فكن لينًا شفيقًا عندما تسمع إلى حديث متظلم، ولا تكن خشنًا معه لكي يقول كل ما في قلبه، لأن المظلوم يرتاح إلى الرجل الذي يستمع إلى حديثه.

* ليهبك اللَّه الحياة حتى تبلغ السن التي وصلت إليها، ويكون جسمك معافىً سليمًا، لقد بلغت مائة سنة وعشرًا، وكان الملك يرعاني فيها برعايته، ويهبني كثيرًا من نعمه، وبلغت عنده منزلة لم يبلغها كثير ممن سبقوني، لأني قمت بكل ما يجب علي، حتى رفعني إلى أرقى مراتب الرفعة والشرف.

الزهر

* الزهر أحلى مخلوقات الله، لولا أنه لم يهب له نفسًا ناطقة.

هـ. و. بتشر

* الزهر، شعر الأرض المطرب.

دي مونتغميري

* الأزهار كواكب الأرض، والكواكب أزهار السماء.

مسز بلفور

* خلق اللَّه الزهر زينة للأرض، وتعزية للبشر، وأسعد الناس حظًّا من يقرأ آيات الحكمة السماوية في زهرة واحدة.

وورد ورث

المسيء

بلوت بني الدنيا على كل حالة ... فلم أر فيهم للصنيعة شاكرا
إذا أنت أسديت الجميل سجية ... فلا تندمن إن أنت صادفت كافرا
ومن يفعل المعروف يرجو جزاءه ... يجد أسفًا جمًّا وداء مخامرا
أسيء فلا ألفى من القوم ناسيًا ... ولست إذا أحسنت ألفيت ذاكرا
كذلك دأب الناس لا الشر عندهم ... يضيع ولا تلفى على الخير قادرا
إذا شئت أطعمت المسيء بنانه ... وألبسته ليلًا من الهم ساهرا
ولكنني لا فاحش في خصومة ... ولا أنا ممن يؤثر الجهل ناصرا
رأيت حليم القوم يحكم أمره ... ولست أرى شيئًا سوى الجهل صائرا
إذا المرء لم يكفف بوادر غيظه ... شكا الدهر أو ألقى المقادة صاغرا
وإن هو لم يزجر عن الغي نفسه ... أصاب لها من حادث الدهر زاجرا
وما من فتى لا يُتبع الذنب توبة ... إذا ما جنى إلا سيلقى المعاذرا

أحمد محرم

حِكم

* يبصر القلب ما يعمى عنه البصر.
* من نام عن عدوه نبهته المكائد.
* لا خير في فقه إلا بورع.
* الفرصة سريعة الفوت، بطيئة العود.

* قد يُتوقى السيف وهو مغمد.

* الغنى اليأس مما في أيدي الناس.

* الهوى مفتاح السيئات.

* وجه عدوك يُعرب عن ضميره.

* الوفاء ضالة ناشدها كثير، وواجدها قليل.

* يُنصب لكل غادر لواء يعرف به.

* الزهر كتاب فتحه اللَّه أمام أنظار خلقه ليتعلموا منه اللطف والتسامح في كل شيء، حتى أنهم ليطأونها بأقدامهم فترفع لهم رأسها وعلى وجهها ابتسامة جميلة.

دي مونتغميري

إلهامات بيت المقدس

كتاب بعث به (غليوم الثاني) إمبراطور ألمانيا بتاريخ ٩ نوفمبر ١٨٩٨م إلى قريبه (نقولا الثاني) قيصر الروس يصف له فيه شعوره نحو النصرانية والإسلام عند زيارته بيت المقدس في ذلك الشهر من تلك السنة.

وهذه الوثيقة التاريخية العظيمة نشرها مسيو (موريس بالبولوغ) -سفير فرنسا الأسبق في روسيا وعضو الأكاديمية الفرنسية الآن- في كتاب له جديد عنوانه (غليوم الثاني ونقولا الثاني) تضمن طائفة من ذكريات المؤلف عن هذين القيصرين، وبعض الرسائل التي كانا يتبادلانها، ونقلته إلى العربية (جريدة المعلم في عددها الصادر يوم السبت ١٩ ذي القعدة ١٣٥٣هـ.

وهذا نص الوثيقة التاريخية:

إن القدس هي التي استوقفت نظري طبعًا بوجه خاص لما فيها من أماكن كثيرة مقرونة بذكرى مخلصنا (أي: السيد المسيح)، ومجرد الفكر أن نظرة وقع على هذه الآكام، وأن قدمه وطئت هذه الأرض، يحرك، أوتار القلب ويبعثه على الخفقان بقوة أعظم.

ولكنني مضطر إلى الاعتراف بإخلاص بأن جميع الأشياء التي رأيتها هنا ولها صلة بالإيمان المسيحي لا تساعد مطلقًا على توليد ذلك الشعور، فقد تعددت هنا طوائف ديننا المسيحي، وتعددت الكنائس والأديرة التي بنتها.

فنشأت عن ذلك منافسة معيبة، بل نشأ عن ذلك نضال الغرض منه التزاحم على بناء أعلى النواقيس وأجمل الكنائس، فجاءت غير ملائمة للجهات التي بنيت عليها حتى أنه يخيل للمرء أنه في معرض للكنائس.

ولقد أثر ذلك التنافس في كهنه الكنائس المختلفة، ويجد القسوس لذة وفي تنظيم المؤمرات السياسية، وهم يثيرون الأحقاد بدلًا من أن يبثوا الحب، ويسببون مشاجرات ومنازعات في الكنائس تحل محل التراتيل الدينية، والوئام الذي يجب أن يسود الجميع.

والأمر من ذلك أنهم ابتكروا عبادة الأحجار والأشجار، مع أن ذلك محظور في الوصية الثانية من الوصايا العشر حتى يمكن القول أن هذا الضرب من العبادة حل محل العبادة الإلهية، وقد قال لي رجل فرنسوي:

(إننا في هذه الأماكن التي يقال عنها مقدسة نعبد الحجارة، مع أنه من المتعذر إقامة الدليل على قدسيتها، أما العبادة الإلهية فلا مكان لها هنا)، وهذه الأقوال تطابق الحقيقة كل المطابقة ولو أنها مؤلمة جدًّا لعواطفنا المسيحية.

ولما غادرت الأماكن المقدسة كنت أشعر بخجل عظيم من المسلمين، وكنت أقول لنفسي في قرارة نفسي:

(لو لم يكن لي دين عند وصولي إلى القدس؛ لكنت قد اعتنقت حتمًا الدين الإسلامي!).

فراق دانلوب

كان حسين فخري باشا يتولى في وزارة فهمي باشا الثانية وزارتي المعارف والأشغال معًا، وكانت كل شئون المعارف في يد مستشارها مستر (دنلوب)، وكل شئون الأشغال في يد مستشارها مستر (جارستين)، وليس للوزير في كلتا الوزارتين غير التوقيع والختم، وبعد أن دام ذلك نحو عشر سنين أعطيت وزارة المعارف لـ(سعد باشا زغلول)، وانفرد (حسين فخري باشا) بوزارة الأشغال، وعلى أثر ذلك نشرت «المؤيد» رجزًا بليغًا يقال إنه من شعر (شوقي). وهو هذا:

تعزيتي لذي الوزارتين ... تعزية الشيعة في الحسين
قد كان يعطي الختم باليدين ... فصار يعطيه لـ(جارستين)
مطبعة في مثل حجم العين ... يديرها الكاتب دورتين
فيظفر الريُ بمليونين
زين الوزارات وأي زين ... قد استرحت بعد طول الأين
وكنت متعبا بالاثنتين ... كتعب الزوج بضَرتين
فراق «دنلوب» كسد الدين ... فلا تعد تلقاه بعد بين
لا يُلدغ المؤمن مرتين

جرأة علماء الإسلام على ملوكهم

دخل أحد العلماء على أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور -وكان أعظم ملوك الدنيا في عصره- فقال:

يا أمير المؤمنين، إن اللَّه ﷻ يقفك ويسائلك عن مثقال ذرة من الخير والشر: وإن الأمة خصماؤك يوم القيامة، وإن اللَّه ﷻ لا يرضى منك إلا بما ترضاه لنفسك؟ ألا وإنك لا ترضى لنفسك إلا بأن يعدل عليك، وإن اللَّه جل وعز لا يرضى منك إلا بأن تعدل على الرعية، يا أمير المؤمنين، إن وراء بابك نيرانًا تتأجج من الجور، والله يحكم ما وراء بابك بكتاب اللَّه ولا بسنة نبيه ﷺ.

قال فبكى المنصور، فقال سليمان بن مجالد -وهو واقف على رأس المنصور-:

قد شققتَ على أمير المؤمنين.

فقال: يا أمير المؤمنين من هذا؟

قال: أخوك سليمان بن مجالد.

قال: ويلك يا سليمان، إن أمير المؤمنين يموت، وإن كل ما تراه يفقد، وإنك جيفة غدًا بالفناء، لا ينفعك إلا عمل صالح قدمته: ولقُرب هذا الجدار أنفع لأمير المؤمنين من قربك إذ كنت تطوي عنه النصيحة، وتنهى من ينصحه، يا أمير المؤمنين إن هؤلاء اتخذوك سلمًا إلى شهواتهم.

قال المنصور: فأصنع ماذا؟ أدع لي أصحابك أو لهم.

قال: ادعهم أنت بعمل صالح تحدثه، ومر بهذا الخناق فليُرفع عن أعناق الناس؛ واستعمل في اليوم الواحد عمالًا كلما رابك منهم ريب أو أنكرت على

رجل أمرًا عزلته ووليت غيره، فو اللَّه لئن لم تقبل منهم إلا العدل، ليقربن به إليك من لا نية له فيه.

الزهر

* الزهر، عزاء الإنسانية، وكنز القروي المسكين.

رسكن

* عالمٌ لا زهر فيه، كالوجه الذي لا يبتسم، وكالوليمة يستقبل أصحابها ضيوفهم عابسين.

مسز بلفور

أجبن الناس وأحيل الناس وأشجع الناس

دخل عمرو بن معدي كرب الزبيدي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال عمر: أخبرني: من أجبن من لقيت؟ وأحيل من لقيت؟ وأشجع من لقيت؟

قال: يا أمير المؤمنين خرجت مرة أريد الغارة، فبينما أنا سائر، إذا بفرس مشدود، ورمح مركوز، وإذا رجل جالس كأعظم ما يكون الرجال خَلقًا، وهو محتبٍ بحمائل سيفه، فقلت:

خذ حذرك فإني قاتلك!

فقال: ومن أنت؟

قلت: أنا عمرو بن معدي كرب الزبيدي!

فشهق شهقة فمات، فهذا يا أمير المؤمنين أجبن من رأيت.

وخرجت مرة حتى انتهيت إلى حي، فإذا أنا بفرس مشدود، ورمح مركوز، وإذا صاحبه في وهدة يقضي له حاجة، فقلت:

خذ حذرك، فإني قاتلك!

فقال: ومن أنت؟

فأعلمته بي، فقال: يا أبا ثور، ما أنصفتني، أنت على ظهر فرسك وأنا على الأرض! فأعطني عهدًا أنك لا تقتلني حتى أركب فرسي...

فأعطيته عهدًا، فخرج من الموضع الذي كان فيه، واحتبى بحمائل سيفه؛ وجلس، فقلت:

ما هذا؟

فقال: ما أنا براكبٍ فرسي، ولا بمقاتلك، فإن نكثت عهدك فأنت أعلم بناكث العهد!

فتركته ومضيت، فهذا يا أمير المؤمنين أحيل من رأيت..

وخرجت مرة حتى انتهيت إلى موضع كنت أقطع فيه الطريق، فلم أر أحدًا، فأجريت فرسي يمينًا وشمالًا، وإذا أنا بفارس، فأما دنا مني فإذا هو غلام حسن، نبت عذاره من أجمل ما رأيت من الفتيان وأحسنهم، وإذا هو قد أقبل من نحو اليمامة، فلما قرب مني سلم علي فرددت عليه وقلت:

من الفتى؟

قال: الحارث بن سعد، فارس الشهباء!

فقلت: خذ حذرك، فإني قاتلك.

فقال: الويل لك، فمن أنت؟

قلت: عمرو بن معدي كرب الزبيدي.

قال: الذليل الحقير، والله ما يمنعني من قتلك إلا استصغارك.

فتصاغرت نفسي يا أمير المؤمنين، وعظم عندي ما استقبلني به، فقلت:

دع هذا وخذ حذرك، والله لا ينصرف إلا أحدنا.

فقال: ثكلتك أمك، فأنا من أهل ما أثكلنا فارس قط.

قلت: هو الذي تسمعه.

قال: اختر لنفسك، فأما أن تطرد لي، وإما أن أطرد لك.

فاغتنمتها منه، وقلت: اطرد لي.

فأطرد وحملت عليه، فظننت أني وضعت الرمح بين كتفيه؛ فإذا هو صار حزامًا لفرسه، ثم عطف علي فقنع بالقناة رأسي، وقال:

يا عمرو خذها إليك واحدة، ولولا أني أكره قتل مثلك لقتلتك.

فتصاغرت نفسي عندي؛ وكان الموت يا أمير المؤمنين أحب إلي مما رأيت، فقلت:

والله لا ينصرف إلا أحدنا.

فعرض علي مقالته الأولى، فقلت له: أطرد لي!

فأطرد، فظننت أني تمكنت منه فاتبعته حتى ظننت أني وضعت الرمح بين كتفيه فإذا هو صار لببا لفرسه؛ ثم عطف علي فقنع بالقناة رأسي، وقال:

خذها إليك يا عمرو ثانية.

فتصاغرت إلي نفسي، وقلت:

والله لا ينصرف إلا أحدنا، فاطرد لي.

فأطرد حتى ظننت أني وضعت الرمح بين كتفيه، فوثب عن فرسه، فإذا هو على الأرض فأخطأته، ثم استوى على فرسه، واتبعني حتى قنع بالقناة رأسي، وقال:

خذها إليك يا عمرو ثالثة، ولولا كراهتي لقتل مثلك لقتلتك.

فقلت: اقتلني أحب إلي، ولا تسمع فرسان العرب بهذا.

فقال: يا عمرو إنما العفو عن ثلاث، وإذا تمكنت منك في الرابعة قتلتك، وأنشد يقول:

وكّدتُ أغلاظًا من الأيمان إن عدتَ يا عمرو إلى الطعان

لتجدن لهب السنان أو لا فلستُ من بني شيبان

فهبته هيبة شديدة، وقلت له:

إن لي إليك حاجة.

قال: وما هي؟

قلت: أكون صاحبًا لك.

قال: لست من أصحابي، ويحك أتدري أين أريد؟

قلت: لا والله.

قال: أريد الموت الأحمر عيانًا.

قلت: أريد الموت معك.

قال: امض بنا.

فسرنا يومنا أجمع حتى أتانا الليل ومضى شطره، فوردنا على حي من أحياء العرب فقال لي:

يا عمرو في هذا الحي الموت الأحمر، فأما أن تمسك على فرسي فأنزل وآتى بحاجتي، وإما أن تنزل وأمسك بفرسك فتأتيني بحاجتي.

فقلت: بل انزل أنت؛ فأنت أخبر بحاجتك مني.

فرمى إليّ بعنان فرسه، ورضيت والله يا أمير المؤمنين بأن أكون له سائسًا. ثم مضى إلى قبة فأخرج منها جارية لم تر عيناي أحسن منها حسنًا وجمالًا، فحملها على ناقة ثم قال:

يا عمرو إما أن تحميني وأقود الناقة، أو أحميك وتقودها أنت.

قلت: لا بل أقودها وتحميني أنت.

فرمى إليّ بزمام الناقة، ثم سرنا حتى أصبحنا، قال:

يا عمرو!

قلت: ما تشاء؟

قال: التفت فانظر، هل ترى أحدًا؟

فالتفت فرأيت جمالًا.

فقلت: اغذذ السير.

قال: انظر، إن كانوا قليلًا فالجلد والقوة وهو الموت الأحمر، وإن كانوا كثيرًا فليسوا بشيء.

قلت: هم أربعة أو خمسة.

قال: اغذذ السير!

ففعلت ووقف وسمع وقع حوافر الخيل عن قرب فقال:

يا عمرو كن عن يمين الطريق، وقف، وحول وجه دوابنا إلى الطريق.

ففعلت ووقفت عن يمين الراحلة ووقف عن يسارها ودنا القوم منا، وإذا هم ثلاثة نفر شابان وشيخ كبير، وهو أبو الجاربة والشابان أخواها، فسلموا فرددنا السلام، فقال الشيخ:

خل عن الجارية يا ابن أخي.

- فقال: ما كنت لأخليها ولا لهذا أخذتها.

فقال لأحد بنيه: أخرج إليه.

فخرج وهو يجر رمحه فحمل عليه الحارث وهو يقول:

من دون ما ترجوه خطب الزائل　　　من فارس ملثم مقاتل

ينمى إلى شيبان خير وائل　　　ما كان يسري نحوها بباطل

ثم شد على ابن الشيخ بطعنة قد بها صُلبه فسقط ميتًا، فقال الشيخ لابنه الآخر:

اخرج إليه فلا خير في الحياة على الذل.

فأقبل الحارث وهو يقول:

لقد رأيتَ كيف كانت طعنتي　　　والطعن للقوم الشديد الهمة

والموت خيرٌ من فراق خلتي　　　فقتلتي اليوم ولا مذلتي

ثم شد على ابن الشيخ بطعنة سقط منها ميتًا، فقال له الشيخ:

خل عن الظعينة يا ابن أخي فإني لست كمن رأيت.

فقال: ما كنت لأخليها، ولا لهذا قصدت.

فقال الشيخ: يا ابن أخي اختر لنفسك، فإن شئت نازلتك، وإن شئت طاردتك.

فاغتمنها الفتى ونزل، فنزل الشيخ وهو يقول:

ما أرتجي عند فناء عمري سأجعل التسعين مثل شهر
يخافني الشجعان طول دهري إن استباح البِيض قصم الظهر

فأقبل الحارث وهو ينشد:

بعد ارتحالي وطويل صبري وقد ظفرت وشفيت صدري
فالموت خير من لباس الغدرِ والعار أهديه لحي بكرِ

ثم دنا، فقال له الشيخ:

يا ابن أخي، إن شئتُ ضربتك فإن أبقيت فيك بقية فاضربني، وإن شئت فاضربني، فإن أبقيت في بقية ضربتك، فاغتمنها الفتى وقال:

أنا أبدأ.

فقال الشيخ: هات.

فرفع الحارث يده بالسيف، فلما نظر الشيخ أنه قد أهوى إلى رأسه ضرب له بطنه قدّ بها أمعاءه، ووقعت ضربة الفتى على رأس الشيخ، فسقطا ميتين. فأخذت يا أمير المؤمنين أربعة أسياف وأربعة أفراس، ثم أقبلت إلى الناقة، فقالت الجارية:

يا عمرو إلى أين، ولست بصاحبتك ولستَ لي بصاحب، ولست كمن رأيت.

فقلت: اسكتي.

قالت: إن كنتَ لي صاحبًا فأعطني سيفًا أو رمحًا، فإن غلبتني فأنا لك، وإن غلبتك قتلتك.

فقلت: ما أنا بمعطٍ ذلك، وقد عرفت أهلك وجرأة قومك وشجاعتهم!

فرمت نفسها عن البعير، ثم أقبلت تقول:

أبعد شيخي ثم بعد إخوتي يطيب عيشي بعدهم ولذتي
وأصحبن من لم يكن ذا همة هلا تكون قبل ذا منيتي

ثم أهوت إلى الرمح، وكادت تنزعه من يدي، فلما رأيت ذلك منها خفت إن ظفرت بي قتلتني، فقتلتها.

فهذا يا أمير المؤمنين أشجع من رأيت.

فكاهات

* سأل رجل آخر: هل الظبي معرفة أم نكرة؟

فأجاب: إذا كان مشويًا على المائدة فهو معرفة، وإذا كان في الصحراء يعدو فهو نكرة.

* قيل لأعرابي:

- ما اسم المرق عندكم؟

فأجاب: «السخين».

قالوا: فإذا برد؟

قال: لا ندعه يبرد!

* سئل إمام العبد الشاعر (وكان أسود):

- لماذا تختار ربطة عنقك بيضاء؟

فأجاب:

- ليعرف الناس أين ينتهي جسمي، وأين يبتديء رأسي!

* وجلس مرة يكتب، فسقطت نقطة حبر على الورق، فقال له أديب كان جليسه:

- نشف عرقك!

* وقابله آخر وقد لبس ربطة سوداء فوق قميص أبيض.

فقال له: يا إمام، زرر قميصك!

* وكان إمام جالسًا مرة مع (حافظ إبراهيم) في قهوة فمر بهما (شوقي بك)، فقال يمازحهما:

- إن من يراكما يحسبكما آنية الملح والفلفل.

حق الشرع وحق الأدب في دولة الإسلام

روى عمر بن هياج بن سعيد قال:

أتت امرأة يومًا شريك بن عبد اللَّه -قاضي الكوفة وهو في مجلس الحكم- فقالت:

أنا بالله ثم بالقاضي!

قال: من ظلمك؟

قالت: الأمير موسى بن عيسى بن عمر أمير المؤمنين(١).

(١) وفضلًا عن كونه ابن عم أمير المؤمنين، كان أيضًا حاكم الكوفة.

كان لي بستان على شاطيء الفرات فيه نخل ورثته عن أبي، وقاسمت إخوتي وبنيت بيني وبينهم حائطًا، وجعلت فيه رجلًا فارسيًّا يحفظ النخل ويقوم به، فاشترى الأمير موسى بن عيسى من جميع إخوتي وساومني ورغّبني، فلم أبعه، فلما كان هذه الليلة بعث بخمسمائة غلام وفاعل فاقتلعوا الحائط، وأصبحت لا أعرف من نخلي شيئًا، واختلط بنخل إخوتي.

فقال: يا غلام أحضر طينة.

فأحضرها، فختمها، وقال لها:

امض إلى بابه بالختم حتى يحضر معك.

فجاءت المرأة بالطينة المختومة فأخذها الحاجب ودخل على موسى فقال:

قد أعدى القاضي عليك، وهذا ختمه.

فقال: ادع لي صاحب الشرطة!

فدعا به، فقال:

امض إلى شريك، وقل: يا سبحان الله، ما رأيت أعجب من أمرك، ادعت دعوى لم تصح أعديتها علي؟

قال صاحب الشرطة: إن رأى الأمير أن يعفيني من ذلك؟

فقال: امض ويلك، فخرج وقال لغلمانه: اذهبوا وأدخلوا لي إلى حبس القاضي بساطًا وفراشًا، وما تدعو الحاجة إليه.

ثم مضى إلى شريك، فلما وقف بين يديه أدى الرسالة.

فقال القاضي لغلام المجلس:

خذ بيده فضعه في الحبس.

فقال صاحب الشرطة: والله قد علمت أنك تحبسني فقدمت ما أحتاج إليه إلى الحبس.

وبلغ موسى بن عيسى الخبر، فوجه الحاجب إلى القاضي وقال له:

رسول أدى رسالة، أي شيء عليه؟

فقال شريك، اذهبوا به إلى رفيقه، إلى الحبس فجلس، فلما صلى الأمير موسى العصر، بعث إلى إسحاق بن الصياح الأشعثي وإلى جماعة من وجوه الكوفة من أصدقاء القاضي شريك، وقال لهم:

امضوا إلى القاضي وأبلغوه السلام وأعلموه أنه استخف بي، وأني لست كالعامة.

فمضوا إليه وهو جالس في مسجده بعد صلاة العصر؛ فأبلغوه الرسالة؛ فلما انقضى كلامهم، قال لهم:

ما لي أراكم جئتموني في غثرة من الناس فكلمتموني؟

ثم سأل من في المسجد فقال: من هاهنا من فتيان الحي؟

فأجابه جماعة من الفتيان، فقال:

ليأخذ كل واحد منكم بيد رجل فيذهب به إلى الحبس!

وقال لأصدقائه وجوه الكوفة: ما أنتم إلا فتنة، وجزاؤكم الحبس.

قالوا له: أجاد أنت؟

قال: حقًّا حتى لا تعودوا برسالة ظالم.

فحبسهم، فركب موسى بن عيسى في الليل إلى باب السجن وفتح الباب وأخرجهم كلهم، فلما كان الغد وجلس شريك للقضاء، جاءه السجان فأخبره، فدعا بالقمطر فختمه ووجه به إلى منزله، وقال لغلامه:

الحق بثقلي إلى بغداد، والله ما طلبنا هذا الأمر منهم، ولكن أكرهونا عليه، ولقد ضمنوا لنا فيه الإعزاز إذ تقلدناه لهم.

ومضى نحو قنطرة الكوفة إلى بغداد، وبلغ الخبر إلى موسى بن عيسى، فركب في موكبه ولحقه، وجعل يناشده اللَّه ويقول:

يا أبا عبد اللَّه تثبت، انظر، إخوانك تحبسهم! دع أعواني.

قال: نعم، لأنهم مشوا لك في أمر لم يجز لهم المشي فيه، ولست ببارح أو يردوا جميعًا إلى الحبس، وإلا مضيت إلى أمير المؤمنين المهدي فاستعفيه مما قلدني.

فأمر موسى بردهم جميعًا إلى الحبس، والقاضي واقف والله مكانه، حتى جاءه السجان فقال:

قد رجعوا جميعًا إلى السجن.

فقال القاضي لأعوان الأمير: خذوا بلجام دابته بين يدي إلى مجلس الحكم.

فمروا بين يديه حتى أدخل المسجد، وجلس في مجلس القضاء، فجاءت المرأة المتظلمة، فقال:

هذا خصمك وقد حضر.

فقال موسى وهو مع المرأة بين يديه: قبل كل أمر أنا قد حضرت، أولئك يخرجون من الحبس.

فقال شريك: أما الآن فنعم، أخرجوهم من الحبس، ثم قال للأمير: ما تقول فيما تدعيه هذه المرأة؟

قال: صدقت.

قال: ترد ما أخذت منها، وتبني حائطها سريعًا كما كان.

قال لها: أبقي لكِ عليه دعوى!

قالت: بيت الرجل الفارسي ومتاعه.

قال موسى بن عيسى: ويرد ذلك كله.

قال القاضي: أبقي لكِ عليه دعوى!

قالت: لا، وبارك اللَّه عليك وجزاك خيرًا.

قال: قومي.

فقامت من مجلسه، فلما فرغ قام وأخذ بيد موسى ابن عيسى وأجلسه في مجلسه، وقال:

السلام عليك أيها الأمير، أتأمر بشيء؟

فقال الأمير: أي شيء آخر؟ (وضحك).

فقال له شريك: أيها الأمير ذاك الفعل حق الشرع، وهذا القول الآن حق الأدب.

فقام الأمير وانصرف إلى منزله وهو يقول، من عظّم أمر اللَّه أذل اللَّه له عظماء خلقه.

دفاع فولتير عن الإسلام

قال (فولتير) في مقالة (القرآن) من «معجم الفسلفة»:

إن مؤلفينا الذين كثروا كثرة الانكشارية يجدون من السهل أن يجعلوا نساءنا من حزبهم بإقناعهن أن محمدًا اعتبرهن حيوانات ذات ذكاء، وأنهن في نظر

الشريعة الإسلامية بمثابة الأرقاء، لا يملكن شيئًا من دنياهن أو لا نصيب لهن في أخراهن، وبديهي أن هذا الكلام باطل، ومع ذلك فقد كان الناس يصدقونه.

نحن لا نجهل أن القرآن يميز الرجل تلك الميزة المطلقة المعطاة له من الطبيعة، ولكن القرآن يختلف عن التوراة في أنه لا يجعل ضعف المرأة عقابًا إلهيًّا لها كما ورد في «سفر التكوين» (٣: ١٦).

ومن الخلط أن ينسب إلى شارع عظيم نظير محمد مثل تلك المعاملة المنكرة للنساء، والحقيقة أن القرآن يقول: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. ويقول: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أ هـ.

عيد بنك مصر

لشاعر مصر الكبير الأستاذ/ أحمد محرم

وهي القصيدة التي نالت الجائزة الأولى في مباراة الشعر في ذلك العيد:

وفت الظنون وبرت الآمال ... ما بعد ذلك للخصوم مقال
إن يذكروا همم الرجال فحسبهم ... هممٌ بمصر أبية ورجال
الخير في (الوادي) وفي أبنائه ... ما بان عنه ولا عراه زوال
أرض مطهرة وجو مشرق ... صاف وماء سائغ وظلال
وطن الألى وردوا الحياة شهية ... والأرض عطشى والشعوب نهال
لولا العوائق وهي من أدوائه ... ما ضاق بالنفر الكرام مجال
يتطلعون إلى الحياة بأعين ... حيرى اللحاظ ودونها أهوال

ما تصنع الأيدي نَهُدُّ عظامها … وتُشد في أرساغها الأغلال
أخذ السبيل على الرجال مسلط … يلقي إليه قنيصه الرئبال
متحكم يبغي الحياة بأسرها … ويخال أنا في يديه نبال
جهل الحياة لكل شعب حقه … ورضى الشعوب بأن تموت محال
قل (للكنانة): ما لمجدك هادم … نشط البناة وغامر الأبطال
رمت المضاجع بالنيام وهاجم … دأب يشب ضرامه ونضال
فإذا الجنوب كأنهن جواشن … وإذا الأكف كأنهن نصال
نبني فتحتفل (المشارق) حولنا … وتقول (مصر) فتهتف الأجيال
طال البناه وما يزال يريده … بأن أشم المنكبين طوال
سامٍ يمد إلى السماك يمينه … ويريك شأو النسر كيف ينال
أرأيت (طامت) بانيًا ومعلمًا … ورأيته علمًا عليه جلال
فقه الحياة أصاب فيه إمامه … وإلى الأئمة يرجع الجهال
كانت بمصر مقالة مطموسة … حتى جلاها القائل الفصال
حرب على خلق الجمود وأهله … صدق الرجاء به وصح الفال
حشد الحواريين حول جموعه … ورمى، فتلك صروحه تنهال
حملوا تكاليف الجهاد تظاهرت … أعباؤها وتوالت الأثقال
من كل مطّرد الكفاح مظفر … مل السلاح وما عراه ملال
تلك الحياة (الخمس عشرة حجة) … للنيل منها نضرة وجمال
هي في صباها المرتجى وشبابها … فرحى على إيمانهم تختال
(السابح الجواب) مما استحدثوا … لبلادهم و (الطائر الجوال)
هذا على متن العباب علامة … لهمُ وهذا في الجواء مثال
وسل المصانع هل يسير نسيجها … خلل البلاد وهل يسيل المال

من ذا يفاوضها فليس لقومنا ... وبلادنا من دونها استقلال
زعموه من نسج اللسان وأنه ... مما يحوك وينسج (المنوال)
جعلوا الخيال من الحياة نصيبهم ... ومن الحياة حقيقة وخيال
فاجعل لباسك من طرائف صنعها ... نعم اللباس وبورك السربال
وارغب بنفسك عن سواها إن دنا ... منك الرواح وآذن الترحال
لولا شفاعتها وأنت رهينها ... ما طاب مضطجع وخف سؤال
الله ألبسها السناء وخصها ... بالسر يشفى الداء وهو عضال
هي كالقميص (قميص يوسف) إذا أتى ... (يعقوب) فانظر كيف كان الحال
(البردة الغراء) يعبق طيبها ... بين (المناسج) ليس فيه جدال
عبق (النبوة) ما له من جاحد ... إلا إذا طمس العقول خبال
قل للعروس تعاف صنع بلادها ... أزري بقومك حسنك المعطال
فاز (الأجانب) واستبد غلاتهم ... أفما يسرك أن يفوز (الآل)
مصر التي ولدتك أعظم حرمة ... والعم أكرم ذمة والخال
ما ضاع من مال الفتى وعناده ... ما تستعير من اليمين شمال
لا ينكرن الضيم شعبٌ عاجز ... فالعاجزون على الشعوب عيال
من يبعث الهمم الكبار تعينها ... منا نفوس برة وخلال
من لي بهن فإنهن مناهج ... كل المناهج بعدهن ضلال
هذا (زعيم العاملين) أقامها ... دنيا لمصر عمادها الأعمال
طابت بوادرها على يده لنا ... وهو الضمين بأن يطيب مآل

أحمد محرم

خطبة لأبي بكر الصديق حين أشار عليه الصحابة بترك الجهاد

أيها الناس! أئن كثر أعداؤكم؟ وقل عددكم، ركب الشيطان منكم هذا المركب؟ والله ليظهرنّ اللَّه هذا الدين على الأديان كلها، ولو كره المشركون، قوله الحق، ووعده الصدق، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ و ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

أيها الناس! لو أُفردت من جمعكم لجاهدتم في اللَّه حق جهاده، حتى أبلغ من نفسي عذراً أو أقتل مقتلًا، والله -أيها الناس- لو منعوني عقالًا لجاهدتهم عليه، واستعنت بالله خير معين.

عالمٌ لم تستعبده الدنيا

روى أبو محمد الدارمي في مسنده قال: أخبرنا يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا محمد بن عمر بن الكميت، قال: حدثنا على بن وهب الهمداني، قال: أخبرنا الضحاك بن موسي، قال:

مر سليمان بن عبد الملك بالمدينة -وهو يريد مكة- فأقام بها أيامًا، فقال: هل بالمدينة أحدًا أدرك أحدًا من أصحاب النبي ﷺ؟

قالوا له: أبو حازم.

فأرسل إليه، فلما دخل عليه قال له:

يا أبا حازم ما هذا الجفاء؟

قال أبو حازم: يا أمير المؤمنين وأي جفاء رأيت مني؟

قال: أتاني وجوه أهل المدينة ولم تأتني.

قال: يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن تقول ما لم يكن، ما عرفتني قبل هذا اليوم ولا أنا رأيتك.

فالتفت أمير المؤمنين إلى محمد بن شهاب الزهري، فقال:

أصاب الشيخ وأخطأت.

قال سليمان: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟

قال: لأنكم أخربتم الآخرة وعمرتم الدنيا، فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب.

قال: أصبت يا أبا حازم، فكيف القدوم غدًا على اللَّه تعالي؟

قال: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه.

فبكى سليمان، وقال: يا ليت شعري! ما لنا عند الله؟

قال: اعرض عملك على كتاب الله.

قال: وأي مكان أجده؟

قال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾.

قال سليمان: فأين رحمة اللَّه يا أبا حازم؟

قال أبو حازم: رحمة اللَّه قريب من المحسنين.

قال له سليمان: يا أبا حازم: فأي عباد اللَّه أكرم؟

قال: أولو المروءة والنهي.

قال له سليمان: فأي الأعمال أفضل؟

قال أبو حازم: أداء الفرائض مع اجتناب المحارم.

قال سليمان: فأي الدعاء أسمع؟

قال: دعاء المحسن إليه للمحسن.

فقال: أي الصدقة أفضل؟

قال: للسائل البائس، وجهد المقل، ليس فيها منٌ ولا أذي.

قال: فأي القول أعدل؟

قال: قول الحق عند من تخافه أو ترجوه.

قال: فأي المؤمنين أكيس؟

قال: رجل عمل بطاعة اللَّه ودل الناس عليها.

قال: فأي المؤمنين أحمق؟

قال: رجل انحط في هوي أخيه وهو ظالم، فباع آخرته بدنيا غيره.

قال له سليمان: أصبت، فما تقول فيما نحن فيه؟

قال: يا أمير المؤمنين أو تعفيني؟

قال له سليمان: لا ولكن نصيحة تلقيها إليَّ.

قال: يا أمير المؤمنين إن آباءك قهروا الناس بالسيف، وأخذوا هذا الملك عنوة على غير مشورة من المسلمين ولا رضاهم، حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة، ولقد ارتحلوا عنها فلو شعرت ما قالوه وما قيل لهم؟

فقال له رجل من مجلسه: بئس ما قلت يا أبا حازم.

قال أبو حازم: كذبت، إن اللَّه أخذ ميثاق العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه.

قال له سليمان: فكيف لنا أن نصلح؟

قال: تدَعون الصَّلف، وتمسّكون بالمروءة، وتقسمون بالسوية.

قال له سليمان: فكيف لنا بالمأخذ به؟

قال أبو حازم: تأخذ من حله وتضعه في أهله.

قال سليمان: هل لك يا أبا حازم أن تصحبنا فتصيب منا ونصيب منك؟

قال: أعوذ بالله!

قال له سليمان: ولمَ ذاك؟

قال: أخشي أن أركن إليكم شيئًا قليلًا، فيذيقني اللَّه ضعف الحياة وضعف الممات.

قال له سليمان: ارفع إلينا حوائجك.

قال: تنجيني من النار وتدخلني الجنة!

قال سليمان: ليس ذلك إليّ.

قال له أبو حازم: فما لى حاجة غيرها.

قال: فادع لي.

قال أبو حازم: اللهم إن كان سليمان وليك فيسره لخير الدنيا والآخرة، وإن كان عدوك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضي.

وقال له سليمان: قط!

قال أبو حازم: قد أوجزتُ وأكثرتُ إن كنت من أهله، وإن لم تكن من أهله فما ينبغي أن أرمي عن قوس ليس لها وتر.

قال له سليمان: أوصني.

قال: سأوصيك وأُوجز: عظّم ربك، ونزهه أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك.

فلما خرج من عنده بعث إليه بمائة دينار، وكتب إليه أن أنفقها ولك عندى مثلها كثير، قال: فردها عليه وكتب إليه:

(يا أمير المؤمنين، أعيذك بالله أن يكون سؤالك إياي هزلًا، أو ردي عليك بذلًا، وما أرضاها لك، فكيف أرضاها لنفسي!).

خالد بن الوليد

قال عبد اللَّه بن أبي أوفي: شكا عبد الرحمن بن عوف خالد بن الوليد إلى رسول اللَّه ﷺ، فقال ﷺ: «**يا خالد، لمَ تؤذ رجلًا من أهل بدر، لو أنفقت مثل أحد ذهبًا لم تدرك عمله؟**» فقال: يا رسول الله: يقعون فيَّ فأرد عليهم، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تؤذوا خالدًا فإنه سيف من سيوف اللَّه صبه اللَّه على الكفار**». **أخرجه ابن حبان والحاكم**[1].

قال أبو هريرة: نزلنا مع رسول اللَّه ﷺ منزلًا، فجعل الناس يمرون، فيقول رسول اللَّه ﷺ: «**من هذا يا أبا هريرة؟**»، فأقول: فلان، فيقول: «**نعم عبد اللَّه**

(١) أخرجه ابن حبان (٧٠٩١) والحاكم في المستدرك (٥٢٩٧)، وصححه الأرنؤوط. (س).

هذا»، ويقول: «من هذا؟» فأقول: فلان، فيقول: «بئس عبد اللَّه هذا»، حتى مر خالد بن الوليد فقال: «نعم عبد اللَّه خالد بن الوليد، سيف من سيوف الله». رواه الترمذي[١].

* قال أبو عبيدة بن الجراح: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «خالد سيف من سيوف اللَّه ﷺ، ونعم فتي العشيرة». مسند أحمد[٢].

بنت الإسلام

للشاعر الإسلامي الكبير الأستاذ النجمي

أجِدّكِ هل حسبت من الرُّقي ... طوافك بالغداة وبالعشي
ونبذك كل شرقي قديم ... وأخذك بالجديد الأجنبي
خُدعت فما الرقي الحق إلا ... مسايرة الهدى في كل شيء
برمتِ بكسر بيتك وهو زيغ ... نكبت به عن النهج السوي[٣]
ولجّ بك الخروج لغير داع ... يبرره ولا عذر قوي
وألهب فيك عاطفه التمادي ... ضلال الزوج أو جهل الولي
سلختِ أديم ليلك في الملاهي ... فمن يُعنى بتربية الصبي؟
ومن يرعي بمقتله ويحمي ... مرافق ذلك الزوج الشقي؟
أقال لك الغواة: البيت سجن ... فجاز عليك تضليل الغوي!

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٤٦)، وصححه الألباني. (س).
(٢) أخرجه أحمد (١٦٨٦٩)، وصححه الألباني. (س).
(٣) كسر البيت: فناؤه.

وعادَ لديك هذيُ الحمق أولى ... ببنت الشرق من هدي النبي[١]
مجونٌ إن تمادى الشرق فيه ... فقد وجد الوسيلة للهوي
ومهزلة لها ما بعد هذا ... من التدمير والموت الوحي[٢]
إذا كانت حياة البيت عارًا ... فكيف يعيش ذو الأنف الحمي
وإن كان التمدن في التعري ... فما فضل الحَصان على البغي[٣]

١١ صفر ١٣٥٤هـ

محمد النجمي

عرب الإسلام

قال أبو الريحان البيروني في كتاب «الصيدنة»:

ديننا والدولة عربيان وتوأمان، يرفرف على أحدهما القوة الإلهية وعلى الآخر اليد السماوية، وكم احتشد طوائف من التوابع وخاصة منهم الجيل والديلم في إلباس الدولة جلابيب العجمة، فلم يتفق لهم في المراد سوق، وما دام الأذان يقرع آذانهم كل يوم خمسًا، وتُقام الصلوات بالقرآن العربي المبين خلف الأئمة صفًا صفًا، ويخطب به لهم في الجوامع بالإصلاح كانوا لليدين وللفم، وحبل الإسلام غير منفصم، وحصنه غير منثلم.

---

(١) الهذي: الهجر والتخريف.

(٢) الوحي: السريع.

(٣) الحَصان: بفتح الحاء المرأة العفيفة.

وإلى لسان العرب نُقلت العلوم من أقطار العالم فازدانت، وحلت في الأفئدة، وسرت محاسن اللغة منها في الشرايين والأوردة

وإن كانت كل أمة تستحلي لغتها التي ألفتها واعتادتها واستعملتها في مآرب مع أُلّافها وأشكالها، وأقيس هذا بنفسي، وهي مطبوعة على لغة لو خُلد بها علم لاستغرب استغراب البعير على الميزاب، والزرافة في العِراب، ثم منتقلة إلى العربية والفارسية، فأنا في كل واحدة دخيل، ولها متكلف، والهجو بالعربية أحب إلي من المدح بالفارسية، وسيعرف مصداق قولي من تأمل كتاب علم قد نُقل إلى الفارسي كيف ذهب رونقه، وكسف باله، واسود وجهه، وزال الانتفاع به؛ إذ لا تصلح هذه اللغة إلا للأخبار الكسروية، والأسمار الليلية.

وكان الأمير (يمين الدولة ﷺ) على بغضه للعربية باحثَ أحد بطانته يومًا في أمر أطبائه ودرجاتهم، فأجابه المخاطب بأن معين كل واحد من أستاذه المفيد وتلميذه المستفيد هو الكتب، منها يستقون وإليها يرجعون ويفزعون، وكانت باليونانية والسريانية، ولا يهتدي لهما سوى النصارى، فنُقلت إلى العربية حتى احتظى المسلمون بها، وتخرجوا فيها، فالمتقدم منهم في الصناعة من كان للغة أشد هداية، ليكون بها في الكتب أتم إحاطة، ويُباين في استقلاله بها من يتحكم بتخابيلها، ويتصور منها غير ما فيها، قال: كأنك تعني طاهرًا السجزى؟ قال: إي والله؛ إلا أن جوابي كان غير جزؤي، والعرب في مباديهم بالبادية قوم أميون يعولون في التخليد على الحفظ، والتلقف من الألسنة، ولهذا صار الشعر دواوينهم للمعارف، وتذاكيرهم للأيام والأنساب، ومن أجل هذا ربما رجعنا في التعرف والاستشهاد إلى أشعارهم، واستشففنا المطاب منها، إما لما ذكرناه إن صدقنا فيه، وإن لم تصدق فللترويحة بين التراويح، والإجمام في بعض مناهج المراحل، وإما لتنبيه من ألقى السمع و هو شهيد من حاملي الأسفار على

الأنفة من وصمة (لا أدري ما في الكتاب)، إذا لم يكن باللغة التي سموا فيها كتبه (محيطًا؟) في هذه الشفقة فالحق من بيننا الإرغام، والإلجاء إلى الاعتراف بالجهل[١].

فإن نشط بعد ذلك للاستفهام والتعلم فبتوفيق من الله، وإن أعرض وتولى ورجع إلى أهله يتمطى، فإلى نار اللَّه الموقدة التي تطلع على الأفئدة.

إلى لبنان[٢]

نبه جفونك من لذيذ منام ... طلع الصباح على ربوع الشام
ما ضر من أفنى الحياة مسهَدًا ... أن بات يُوقظ مرة في العام
لبنان يا وطن الجمال ومنجب الـ ... أبطال والصيَّابة الأعلام
كم قد نصحتك فاتهمت نصيحتي ... أفأقنعتك حوادث الأيام؟
يهديك نور العلم يا أعمى، ولا ... يهديك غير اللَّه يا متعامي
أسلمت (للأم الحنون) فقل لنا ... أوجدتها خيرًا من الإسلام؟
يمشي الغريب إلى خوانك ساخرًا ... ويؤوب بالإجلال والإكرام
كرم الخلال جنى على أربابه ... يا ليت أهل الشرق غير كرام!
أنا ما رأيت فضيلة مكروهة ... كتواضع الأعراب للأعجام[٣]
أفتى الشمال وفي يمينك مصحف ... للمجد خُط بشفرة الصمصام

(١) هذه العبارة مضطربة. والأصل الذي يُطبع منه كتاب البيروني كثير التحريف.
(٢) أُنشدت في حفلة سورية لبنانية، أقيمت في سان باولو عاصمة البرازيل.
(٣) أي للمستعمرين الإفرنج.

بجراحك اشف جراح نفسك في العلى ... ما الجلد خير من فؤاد دامي
هب كان راعيك المسيح وداعة ... أيرد عنك شراسة الضرغام؟
أنا لست أتهم الزعيم وطالما ... كان النصوح مظنة الاتهام
إن الأسود إذا تولى أمرها ... راعٍ فقد حُشرت مع الأغنام!
كم ذا تُشيد على أساس واهن ... والبيت مفتقر إلى هدام
قصر الذليل مقمة ولو أنه ... أوفى سرادقه على الأجرام
لا ترجونّ بالانتداب تقدمًا ... ما في بلاد النور غير ظلام
حتى مَ تستجدي وأرضك جنة! ... وإلى مَ تستندي وغيثك هامي؟
تبدي الكساح وأنت إن يدع الغنى ... تطو الدُنى عشرًا على الأقدام
فاحمل على الظلام حملة باسل ... لن تنفع الشكوى إلى الظلام
من شط بحر الكنج زأر غضنفر ... أحلى بسمعي من هديل حمام
صوت يردده حكيم الهند ... في دهلي لتسمع يا حكيم الشام:
ذد عن حماك وناد باستقلاله ... لا ترعُ فيه خواطر الحكام
حرره من رق السياسة أولًا ... ينجب محرره من الأوهام
ما يستطيع من الفعال مقيد ... بزمام غير مقيد بذمام؟
جرد لهم غصن السلام فربما ... أغناك عن تجريد ألف حسام
إن كلّ زند لا تكل إرادة ... والعزم في الأرواح لا الاجسام
أفنيت أعدائي بسيف تجلدي ... وبرئت عند اللّه من إجرامي
إن عفتَ تِبغك في القصور فإنني ... قد عفتُ قبلك في السجون طعامي

الشاعر القروي

الأمومة - الطفولة

قال (برنارد شو): لست معلمًا للأمهات ولست مدربًا للأطفال، ولكنني أحتقر المرأة إذا تزوجت ولم تقم بواجبها كأم وزوجة في آن معًا، وأحارب الرجال إذا تزوجوا ورزقوا أبناء وجعلوا حياة أبنائهم كالجحيم، فالأمومة والأبوة يجب على من لا يستطيع القيام بهما أن يتجنب الوقوع فيهما.

وقال (إسكندر دوماس) الأب: من الجرائم التي تستحق الضرب والإعدام معاقبة الأطفال بحرمانهم من الهواء والنوم والطعام، فإن الآباء الذين يعمدون إلى معاقبة أطفالهم بحرمانهم من الطعام، وتقديم الخبز اليابس يرتكبون جرمًا لا يقل عن جرم قطاع الطرق وقاتلي النفوس البريئة.

وقال (نابليون): لا أفهم حياة الرجال بلا زواج، ولا أفهم الزواج بلا أبناء، ولا أفهم الأبوة والأمومة بلا حنان، ولا أحب المرأة التي تريد أن تقوم في هذه الحياة بما يجب على الرجل وحده أن يقوم به، فالمرأة المسترجلة في نظري كالرجل المخنث.

وقال (فردريك الأكبر): إذا تزوجتَ فعليك أن تستولد امرأتك أبناء، وعلى امرأتك أن تربيهم تربية وطنية، فتجعل منهم رجالًا مثلك يقومون في المستقبل بما قمت به أنت، ويعيدون تمثيل الدور الذي مثلته أنت.

حيطة عالم حكيم
لإنقاذ قائد عربي من مكيدة قائد حسود

قال ابن خِلكان (جـ ١ ص ٣٧):

كان الإفشين يحسد أبا دُلَف -القاسم بن عيسى العجلي- للعربية والشجاعة، فاحتال عليه حتى شهد عليه بجناية قتل، فأخذه ببعض أسبابه، فجلس له وأحضره وأحضر السياف ليقتله.

وبلغ أحد العلماء الخبر، فركب في وفد مع من حضر من عدو له، فدخل على الإخشيد وقد جيء بأبي دُلَف ليُقتل، فوقف، ثم قال:

إني رسول أمير المؤمنين إليك، وقد أمرك ألا تُحدث في القاسم بن عيسى حدثًا حتى تسلمه إليّ.

ثم التفت إلى العدول وقال:

اشهدوا أني أديت الرسالة إليك عن أمير المؤمنين، والقاسم حر معافي، فقالوا: قد شهدنا.

وخرج، فلم يقدر الإفشين عليه، وصار العالم إلى المعتصم من وقته، وقال:

يا أمير المؤمنين قد أديت عنك رسالة لم تقلها لي. ما أعتدُ بعمل خيرٍ منها، وإني لأرجو لك الجنة بها.

ثم أخبره الخبر، فصوّب رأيه ووجه من أحضر القاسم فأطلقه، ووهب له وعنف الإفشين فيما عزم عليه.

اللقيط

تری من رماك بهذا الهوان وباعك بخسًا لذل الزمان
تُری یا بني من المعتدي عليك فخلاك نضوَ امتهان
يری الناس أنك رمز الخنا ولا ذنب منك جنته اليدان
ظُلمت وما أنت إلا فتى ضحية وغد دنيء جبان
ضحية أنثى دعاها الفجو ر فلبت وأرخت له في العنان

❀ ❀ ❀

بريء أُخذت بذنب المسـ ـيء بغير اعتداء ولا مأثم
رمتك الحياة بأرزائها ولم تأت جرمًا ولم تظلم
ترى الأب يحنو على طفله فتبكي بدمع كلون الدم
وتنظر للأم ترعى ابنها فترتاع للمنظر المؤلم
شقيتَ جنينًا بظلم الحيا ة! فيا للشقي ولم ينجم

❀ ❀ ❀

تظن الرجال جميعًا أبا ك وهم عنك في عزة ينفرون
وتنشد أمك بين النسا ء فيُغمضن عنك وسيع العيون
وترجو زيارة أهلٍ عسى يزيحون عنك الأسى والشجون
فترتد في حسرة واكتئا ب ولا من شفيقٍ ولا من حنون
لك اللَّه فاصبر ولا تبتئس فكل المصائب يومًا تهون

علي متولي صلاح

كتابي

كتابي أنت لي نعم الرفيق وأنت لي المسامر والصديق
عرفتُك صاحبًا ما خان يومًا لديك يُصان عهدي والحقوق
رأيتك خير خلاني جميعًا أُحملك الهموم فلا تضيق
ولا تشكو عناء أو سهادًا ولا غدرٌ لديك ولا عقوق!
وهبتك يا كتابي كل قلبي وحبك في مدى نفسي عميق
كتابي أنت تهذيب ونور وأنت لنفسي الظمأى رحيق
أطالع فيك آدابًا وعلمًا وأقرأ ما يلذ وما يشوق
ففيك لذي الضلال هدى ورشد وفيك لكل حيران طريق
سكت فلا تقول أذى وعيبًا وصنت النفس عما لا يليق!
كتابي: خذ عظيم الشكر مني فأنت بكل إكبار خليق

علي متولي صلاح

فوز العروبة وفشل أعدائها

بمناسبة نجاة الملك عبدالعزيز من محاولة الاعتداء(١)

أطعنًا بالخناجر في المطاف؟ ... لقد عدتم بأخلاق الضعافِ
وكنتم أبعد الناس اهتداء ... إلى سبل المودة والتعافي
نفختم قبلُ في بوق التجني ... وهجتم بالأذى نار الخلافِ
وأحفظتم من الإسلام قلبًا ... به من قبلُ كنتم في الشغافِ
فإما نالت اللأواء منكم ... وحط الموت في البقر العجافِ
أقال العفو عثرتكم وكنتم ... على وشكٍ من الخطر الموافي
أنقضًا للمواثيق اللواتي ... طوت بالود أسباب التجافي
أيهمل نص رقعتها ولما ... تنل من حبرها أيدي الجفافِ
أكفرًا بالعروبة وهي ظل ... على الإسلام في الرمضاء ضافِ
أغدرًا بالهدى في عاهليه ... لقد جئتم بثالثة الأثافي
دعاة الشر ما للداء حسم ... إذا استشرى ولا للرتق رافي
فخافوها بوادر إن تلظت ... تعذر في مصائبها التلافي
رويدَ بني الزيود فقد أتيتم ... بما لا يفعل الخصم المجافي
قصدتم بالأذية ليث غاب ... به جفخت على المَدر الفيافي
يعوج الآمل المحتاج منه ... بنجعة رائد ومثال عافِ
أزاح عن العروبة كل إصر ... وجدد من قواها كل عافي

(١) حيث اعتدى ثلاثة أشقياء من «زيود» اليمن على الملك عبدالعزيز رحمه الله، وهو يطوف بالكعبة! لكنهم باؤوا بالخيبة، وقضي عليهم. انظر: «الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز»؛ للزركلي (ص ١٧٩ - ١٨٠). (س).

وقوّم من قناها كل ميل ... وهذّب من بنيها كل جافِ
وبث لأهلها في الناس ذكرًا ... به انتعل الكرامة كل حافِ
وثاب بنوره للرشد غاو ... وأقبل مدبرٌ وأفاق غافي
وشاد لها على الجوزاء ملكًا ... رفيع السمك منبسط الحوافي
يلوذ الدين في الأحداث منه ... بركن لا تزعزعه السوافي
ويقدم صف ذادته حكيم ... يكبر للصلاة على الرعافِ
تحكم في القلوب فكل قلب ... إليه بالولاء الحق هافِ
كأنا من هواه أمام نص ... كفينا فيه شر الاختلافِ
كأن سريره للخير أفق ... يصوب على المداجي والمصافي
ولما صار للآمال ركنًا ... قضينا حوله ركن الطوافِ
أخلتم أنكم بالفضل أولى ... وأخلق منه بالمنن اللطافِ
وآثر عند أهل الرأي منه ... وأولى بالولاء والالتفافِ
كذبتم إن شيعتكم شبابًا ... وشيبًا منه ظفرًا لا تكافي
وإن البون بينكما شبيه ... بما بين الغضافر والخرافِ
فلو طار ابن فيصل كان صقرًا ... وكنتم خلفه مثل الغدافِ
لأنتم للمروءة شر جار ... على الإحسان بالسوأى يكافي

❀ ❀ ❀

أُسَارى القات لا تبغوا على من ... يرى في القات طبًا غير شافِ
وقوا سفهاءكم جيشات وكر ... قوادمكم لباشقه خوافي
ألا شغلتكم الأغيار عنه ... بترديد التحية والهتافِ
لئن وجدوا بكم في الشرق عونًا ... فهذا القدر عند الناس كافي

❀ ❀ ❀

أبا الأقيال من أمراء نجد أساطين المروءة والعفافِ
بحسب الدين عزًّا وانتصارًا له تهتز أعطاف القوافي
نجاتك فهي أفضل ما تمنى أخو نظر من الأقذاء صافي
وحسبك أنت ربك من نصيرٍ أليس اللهُ راجيَه بكافي

محمد حسن النجمي

وزير مسيحي يصف الشريعة الإسلامية

خطب الأستاذ (فارس بك الخوري) -الوزير السوري الأسبق ومن كبار مسيحي سوريا- في إحدى الحفلات التي أقيمت بدمشق (عام ١٣٥٤هـ)، ومما قاله:

(إن محمدا أعظم عظماء العالم، ولم يجد الدهر بعد مثله، والدين الذي جاء به أوفى الأديان وأتمها وأكملها، وإن محمدًا أودع شريعته المطهرة أربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية وتشريعية، ولم يستطع علماء القانون المنصفون إلا الاعتراف بفضل الذي دعا الناس إليها باسم الله، وبأنها متفقة مع العلم مطابقة لأرقى النظم والحقائق العلمية.

إن محمدا الذي تحتفلون به وتكرمون ذكراه أعظم عظماء الأرض سابقهم ولاحقهم، فلقد استطاع توحيد العرب بعد شتاتهم، وأنشأ منهم أمة موحدة فتحت العالم المعروف يومئذ، وجاء لها بأعظم ديانة عينت للناس حقوقهم وواجباتهم، وأصول تعاملهم على أسس تعد من أرقى دساتير العالم وأكملها).

العلم والعمل في تاريخ الإسلام
مقتطف من كتاب «من أخلاق العلماء»

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد سليمان

نائب المحكمة العليا الشرعية

انفردت العربية وحدها دون سائر اللغات بأن جعلت مادة العلم والعمل واحدة (ع ل م)، فلا علم عندهم إلا بالعمل، ولا عمل إلا بالخلق؛ فهم في هذا وهم المسلمون قد جعلوا الثلاثة واحدًا، ومن هذا الواحد انتشر دين التوحيد وحقت كلمة صاحبه ليُظهره على الدين كله.

هي التربية الاستقلالية التي جعلت من الحجاج معلم الصبيان بالزعفان حاكمًا تسير بذكره الركبان، ومن حمامة المسجد عبد الملك بن مروان خليفة يخضع له الزمان، ومن حامل الحطب على رأسه معز الدولة بن بويه ركن دولة آل بويه، ومن الحسن بن محمد القائل، وقد اشتدت عليه الضرورة وألح الفقر:

ألا موتٌ يُباع فأشتريه ... فهذا العيش ما لا خير فيه

ولقد اتبع المسلمون هذه السنة العملية، فتعهدوا ملكات العمل في بنيهم، وصقلوها بتربية الاستقلال، فنشأ النابتون ينتفعون بها، ويصلحون لكل عمل يتولونه، فترى طبيبًا يتولى العمل في المستشفى العسكري الذي كان يحمل على أربعين بغلًا في القرن السادس، ويتولى الفصادة به أيضًا، فإذا هو قد صار قاضي القضاة في بغداد أيام المقتفي، وهو القاضي ابن المرخم -يحيى بن سعيد المشهور-.

وسفيان الثوري المحدث يسافر في تجارته، وأبو حنيفة المجتهد يقعد في دكانه، وحمزة بن حبيب الذي يقرأ المسلمون إلى اليوم القرآن بقراءته، قيل له (الزيات)؛ لأنه كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان، ويجلب من حلوان الجبن والجوز إلى الكوفة، وأخبرني صديقنا العالم الدكتور أحمد بك عيسى أنه جمع تراجم لأكثر من ثلاثين طبيبًا كانوا محدثين، وبينا ترى ابن المبارك متبنكًا مع الملوك، إذا به متزمل مع العلماء، إذا به شاكي السلاح في صفوف القتال.

وبسر بن أرطاة المعدود من فطاحل العلماء، هو معدود أيضًا من فطاحل الولاة، وأحمد بن حنبل يعمل بيده، ويخرج بالقدوم فيُصلح منازل السكان، وهكذا ظل العلماء يعملون بأيديهم لدولتهم ولأنفسهم، فيحيى القرطبي العالم المشهور في الشرق والغرب، كان إذا فرغ من درسه جاءه رجل بشيء ملفوف، فوضعه أمامه، ويقوم الشيخ به ويتتبعه راوي الخبر، فإذا به فرخة مسموطة يشتريها السوقي للشيخ كل يوم وقد كلفه بها، فإذا خلا بداره طبخها بنفسه وهيأها.

وقد بقيت هذه الشنشنة العملية معروفة في العلماء، فأخونا القاضي الفاضل محمد أحمد حافظ يروي لي: أنه كان جارًا للشيخ «الشربيني»، يراه كل يوم يُخرج القمامة من داره، ويهيء حماره بيده، ويُصلحه فيركبه إلى المسجد، وكذلك حدثني المرحوم يوسف بك المويلحي عن العالم المرحوم الشيخ «النجدي» أنه كان يقضي حوائج منزله بيده.

وهي التربية الأخلاقية التي سمينا كتابنا باسمها، وصدرناه بآثارها، إذ كانت الأخلاق هي لب لباب العلم وروحه وما يرجى منه، وبالأخلاق تبنى الممالك، وعلى أساسها يرتفع ذووها، وظاهرة الأخلاق في التربية الإسلامية هي الظاهرة اللامعة من أقطارها، وكفى بصاحب هذا الدين أن يحصر بعثته في إتمام مكارم

الأخلاق وأن يضع الحق تعالى على رأس شهادته لعبده قوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، والأخلاق هي البقية الباقية لما يرجى من العلم، والهدف العريض لبعثة الرسل والأنبياء، والمحور الثابت لسير المجتمع إلى مستقر الصلاح، وإنها لصفحة مشرقة تلمع بها التربية الإسلامية، ويسير القلم في أنحائها، فيجد منها الغرر الواضحة، والمثل العليا في سلفنا الصالح، زانوا بها نفوسهم فزينت بهم الدنيا، وطلعوا بها شموسًا أضاءت لهم كنوز (بُصرى)، وحووا بفضلها هذا الملك العريض الذي سوروه بسور حصين من أخلاق هذا الدين، حتى إذا فتر في صدر الخلف نبضه، دخلت الأمم عليهم من أقطارهم، وانتقصوا أطرافهم، وأخذوا يحزمون المخلفين فيه حزم السلع، ويحيطونهم خبط الورق تتجات من أغصانها، وقد ذبلت وتهشمت فهم في أمر مريج.

ولقد يخيل إليّ أن التربية الأخلاقية تمكنت من أسلافنا تمكنًا ظننت أنهم قد غيروا الأحكام من أجلها، ففي كتاب «نفح الطيب» أن أميرها عبد الرحمن ابن الحكم، جمع الفقهاء في قصره، وكان وقع على جارية من جواريه يحبها في رمضان، ثم ندم أشد ندم، فسألهم عن التوبة والكفارة، فقال يحيى: تكفر بصوم شهرين متتابعين، فلما بادر يحيى بهذه الفتيا سكت الفقهاء، حتى خرجوا فقال بعضهم له: لِمَ لم تُفت بمذهب مالك بالتخيير؟

فقال: لو فتحنا له هذا الباب سهل عليه أن يطأ كل يوم ويعتق رقبة، ولكن حملته على أصعب الأمور لئلا يعود!

هذه هي التربية الإسلامية، نراها قامت بالعلم والخلق والعمل على أساس الاستقلال الصحيح قيام خير للفرد، وخير للمجموع، فالفرد مستقل بها لنفع نفسه ونفع جنسه، والمجموع مستقل بهذا الفرد على أنه عضو من جسده، إن اشتكى يومًا تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر، ومن هذا المزج كان السر

في تقدم المسلمين الأولين، وكما يقول علماء الكيمياء: إن قوة الاتحاد تقاس بكمية الحرارة الصاعدة منه، فيظهر لي أن أعظم حرارة كونية لاتحادٍ حادث هي التي ظهرت من بضعة عشر قرنًا في بطحاء مكة ظهورًا انتشر في الآفاق، وظهورًا ظل يلمع ويضيء على مر القرون وكر الأيام.

لما بدت هذه الظاهرة الكونية تعصف بمملكتي الروم والفرس، وأخذ أبناء التربية الإسلامية يبسطون أيديهم ذات اليمين وذات الشمال، وقد خرجوا من صحرائهم يهدمون في هاتين المملكتين وهم بعدة الظفر والانتصار، وتابعتهم الحوادث سراعًا تجري على أهوائهم، وتكشف الأيام عن تحقيق آمالهم، وريع الفرس وريع الروم، وأخذ كل فريق يأرز إلى مركزه؛ إذ ذاك رأى عاهل الروم وعاهل الفرس أن يبحثا السر في هذا الانقلاب الفجائي، فأرسلوا جواسيسهم إلى المسلمين يتعرفونهم وينقلون إلى عاهلهم، قال الرومي لهرقل -وهو مُدْرب إلى القسطنطينية هربًا-: أحدثك كأنك تنظر إليهم، فرسان بالنهار رهبان بالليل، ما يأكلون في ذمتهم إلا بثمن، ولا يدخلون إلا بسلام، يقفون على من حاربهم حتى يأتوا عليه، فقال هرقل: لئن كنت صدقتني، ليرثن ما تحت قدميّ هاتين، وأما عين (رستم) الفارسي فقد انغمس في المسلمين في القادسية كبعض من ندّ منهم، فرآهم يستاكون عند كل صلاة، ثم يصلون، فيفترقون إلى مواقفهم، فرجع إليه فأخبره بخبرهم وسيرتهم، حتى سأله ما طعامهم؟ قال مكثت فيهم ليلة، لا والله ما رأيت أحدًا منهم يأكل شيئًا إلا أن يمصوا عيدانًا لهم، حين يُمسون وحين ينامون، وقبيل أن يصبحوا، فلما سار فنزل بين (الحصن والعتيق) واقفهم، وقد أذن مؤذنهم الغداة، فرآهم رستم يتحشحشون، فنادى في أهل فارس أن اركبوا، فقيل له: ولِمَ؟ قال: أما ترون إلى عدوكم قد نودي فيه فتحشحشوا؟ فقال جاسوسه: إنما تحشحشهم هذا للصلاة؟ فقال بالفارسية وهذا

تفسيره بالعربية: أتاني صوت عند الغداة، وإنما هو عمر الذي يكلّم الكلاب فيعلمهم العقل، فلما عبروا وتواقفوا، وأذن مؤذن سعد بن أبي وقاص للصلاة فصلى سعد، قال رستم: أكل عمر كبدي، وقد صدق رستم، فإن التربية الإسلامية وقد قامت على قواعدها الصحيحة، أوتيت معلمين صحاحًا، وقادة مخلصين، ومربين رأوها حقا، فكانوا فيها مثال حقها أخذه عنهم من أحاط بهم، وانتشر حقها فيهم، فكانت البيئة كلها بيئة حق مدملجة صلبة، لا ينفذ فيها الباطل ولا تهن، ومثل هذه البيئة تنبت أكالي أكباد المبطلين، وشاربي دماء الضالين، وهي وسط البيئات الفاسدة تخبطها وتهشمها وتذروها في ريح عاصف، وتسود أصحابها وتستولى على أمكنتهم، وهذا سر واضح، منه كانت الهبوة الأولى لانتشار الإسلام، وقد ظل قائمًا بقواعده تلف جذوره على أنواط القلوب، واستحوذت عقيدته على ثنايا النفوس، فتناسلت الذرية ولد ولم المسلم مسلمًا، حتى كانت القرون الوسطى، وفيها أعيد امتحان هذه التربية مرة أخرى على أشد ما يكون امتحان وأصعبه: نسل التتار على المسلمين من كل حدب في الشرق، وخرج الفرنجة عليهم من كل مملكة في الغرب، وكان المسلمون إذ ذاك قد تمزقوا شيعًا وتفرقوا دولًا، ولكن المسلم بقي هو المسلم صاحب هذه التربية الاستقلالية، وولي العقيدة الإسلامية التي تقيم من الفرد أمة يجب عليها أن تدفع بنفسها عن المجموع أيان كان صاحبها، فهب الفرد المسلم هبة صارخة من أعماق كل قلب مسلم، فكانت مظاهرة أخرى حشدت فيها التربية الإسلامية أبناءها، فأخذوا يدفعون صدور أعدائها صدرًا صدرًا، كأنما كانوا على ميعاد، وكأنما وحدة الخلافة الأولى لم تنفصم عروتها ولا تعددت ألويتها، إذ كان داعي الدين قائمًا يصرخ في قلب كل مؤمن، فما هي إلا قرون ظل المسلمون وأعداءهم يعتلجون فيها، ثم كانت العاقبة لتربية المسلمين، لوّوا

التتار، فمنهم من أسلم، ومنهم من استسلم، ودفعوا الفرنجة فركبوا رؤوسهم إلى بلادهم، وركبوا هم على أقفيتهم بالسيف إلى أواسط أوربا، وهنا يقول (المؤلف) كلمة الحق ولا يبالي، في أمة تستولى اليوم على الدنيا، ولا تغيب الشمس عن أملاكها، هي أمة الإنكليز، أقول: كأنما نسخ الإنكليز عن المسلمين كتاب تربيتهم، ووقفوا عليه، وعملوا به فنعموا بما نعم به أصحابه من قبل: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ ، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ إلا أن هناك فروقًا كثيرة أهمها:

(١) أن المسلمين لما قاموا بدعوتهم، ملكوا ما حولهم، وأخذوا يزيدونه ويوسعون ملكهم، حتى انتظم رقعة من بلاد اللَّه هي مجمع القارات الثلاث، لا خلال فيها لغيرهم، ولا ملك بها لغريب، أما الإنكليز، فأملاكهم أقاصي وأطراف تقصوها، ووقعوا على ما غفل عنه أهلوه، فهو ملك منتثر منتشر.

والعرب أسسوا ملكهم على دعوة دينية، جاء بها نبيهم، أساسها الخير والصلاح، من دخله كان منهم، ومن أبى وعاهدهم تركوه حرًّا في معتقده، وربطوه بذمتهم، فآخوه وساووه وقالوا لهم: (لكم ما لنا وعليكم ما علينا) وصدقوا فيما قالوا، فإذا تقرأ أسماء موظفي الحكومة الإسلامية، ترى بينها كثيرًا من أهل هذه الذمة، رقوا في درجات الدولة حتى تسنموا غاربها، وعملهم فيها كعمل المسلم سواء بسواء الحق يقابل الواجب، مما يبين خير هذه الدعوة، وأنها ليست دعوة ربح ومادة[1]، إنما هي دعوة أدب وإصلاح مجتمع.

---

(١) روى البلاذري قال: بلغني أنه لما جمع «هرقل» للمسلمين الجموع، وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لوقعة «اليرموك»، ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج، وقالوا: قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم، فأنتم على أمركم، فقال أهل حمص: لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم، ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع =

(٢) أن المسلمين فيما قاموا به، أدخلوا دعوتهم قلوب المدعوين سواء منهم من آمن ومن عاهد، أما ملك المستعمرين، فلا دخل له بالقلوب، وموقفه لا يزال عند الحدود يوشك أن أعاد اللَّه الروح في تربية الإسلام أن يعود لأبنائها عز هاتيك الأيام؛ ولا شك أن تغلب دعوة السماء دعوة الأرض، وأن تكون كلمة اللَّه هي العليا، غير أن الاجتماع له نواميس وقوانين تسري فيه بأحكامها، ولا يُدخل عليه إلا من أبوابها، فمريدو الانتفاع بسنته، عليهم أن يتبعوا آثار سننه في تطلب النفع بها، وفي توجيهها إلى خيرهم، وهذه سنة إلهية، ماض حكمها، نافذ على المسلم وغير المسلم، لا مرد له ولا نقض فيه ولا إبرام.

(٣) - إن إنكلترا لم تتحد أقسامها إلا أخيرًا، وقد ملكت بتربيتها هذا الملك الكبير، ولو أنه قيس بما كان للعرب في أول أمرهم وفي عز اتحادهم لكان الفرق كثيرًا، ولكن هم على ما يقول المثل العربي (المرق أحد اللحمين).

ولما ترجم المرحوم أحمد فتحي زغلول باشا كتاب «أدمون دي مولان في سر تقدم الانكليز السكسونيين» قرأته، فرأيت صاحبه الإفرنسي، بحث تربية الإنكليز، وتربيات أمم أخرى، بحث ذي نظر اجتماعي، مبني على الشواهد والأمثال، وخرج من بحثه بحكم أصدره للإنكليز السكسونيين، أن تربيتهم هي صاحبة النصر على التربية الأخرى، فلما وقعت الحرب الكبرى، وتمت بالنصر للإنكليز وحلفائهم، كتبت أقول: (إن النصر في هذه الحرب، قبل أن يكون

= عاملكم. ونهض اليهود فقالوا: والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن نُغلب ونجهد، فأغلقوا الأبواب وحرسوها، وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود وقالوا: إن ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا إلى ما كنا عليه، وإلا فإنا على أمرنا ما بقي للمسلمين عدد، فلما هُزم الكفرة، وأظهر المسلمين فتحوا مدنهم وأخرجوا المقلسين (التقليس استقبال الولاة بأصناف اللهو)، فلعبوا وأدوا الخراج.

نصرًا للسيف، كان نصرًا لقلم أدمون دي مولان، صاحب النظر الصائب الذي اخترق الحجب قبل الحرب بسنين، وعرف نتيجتها قبل أن تخطر لأحد).

النور والحكمة

املأ الأرض يا محمد نورًا ... واغمر الناس حكمة والدهورا
حجبتك الغيوب سرًّا تجلى ... يكشف الحجب كلها والستورا
عب سيل الفساد في كل واد ... فتدفق عليه حتى يغورا
جئت ترمي عبابه بعباب ... راح يطوي ميوله والبحورا
ينقذ العالم الغريق ويحمي ... أمم الأرض أن تذوق الثبورا
زاخرًا يشمل البسيطة مدًّا ... ويعم السبع الطباق هديرا
أنكر الناس ربهم وتولوا ... يحسبون الحياة افكًا وزورا

أحمد محرم

المُلك المضَيّع

أأيامنا والعيش فيتان غضة ... مكاسره، والدهر خضر جوانبه
سقيت الحيا : أين العهود التي خلت ... نجاذب منها في الهوى ما نجاذبه
مضت غير ذكرى تُلهب القلب والحشا ... ومال عمود المجد وانهال كاثبُه
ولم يبق غير الدمع تجري غروبه ... وهل نافع أن يسكب الدمع ساكبه

ولو رَد دمعُ العين ملكًا مضيعًا لرَدت على الميت الحياة نوادبه
أيبقى سنام المجد فينا مفرقًا وذروتـه لـلـنـاهـبـيـن وغـاربـه
ألا هل أتى الإسلام أن تراثه أذيل، وأن الغرب غادٍ فسالبه
ومن عجب نستوهب الحق غاصبًا وهل يهب المغصوب من هو غاصبه
أسيت وما آسى لدنيا فقدتها ولكنّ هذا الدهر شتى مصائبه
أعد نظرًا في الشرق والغرب هل ترى لـنـا كـنـفًا إلا ولـلـذل جانـبـه
وهل يرهب الأعداء في الجو راية إذا لم تصن ذاك اللواء قواضبه
ألا إنها الدنيا سبيل مجاهد يحارب في آفاقها من يحاربه
إذا أنا أخصلت النصيحة صادقًا فلست أبالي اللوم إن لج صاحبه

يوسف عبد الرزاق

المدرس بالمعهد الأزهري

من كلمات الصدّيق رضي الله عنه

* طوبى لمن مات في النأنأة (أي: في بدء الإسلام قبل أن يكثر أنصاره).
* كن حِلس بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية.
* يُقبض الصالحون الأول فالأول، حتى يبقى من الناس حثالة كحثالة التمر والشعير، لا يبالي اللّه بهم.

الفتح في عامه العاشر

لشاعر مصر الكبير الأستاذ/ أحمد محرّم

أمل يزف مع السنين عروسًا فيشوقهن أهلة وشموسا
موفٍ على أمم الحياة يريكها دنيا تطلّع أعينًا ورؤوسا
يتبسم الإسلام في نظراته بينا يراه الناظرون عبوسا
أو ما رأيت (محمدًا) في نوره وشهدت رفقته الكماة الشوسا؟
انظر إلى الرهج المثار وحيّه قلمًا أحر من السيوف وطيسا
واسأل عن (الفتح المبين) أما شفى مُهجًا يهيج غليلها ونفوسا؟
لا تعجلن فللبقية حينها واصبر فما خلق الأبي يؤوسا
المسلمون على جهالة بعضهم عرفوا الحياة نعيمها والبوسا
أخذوا عن الزمن المشاغب علمها وتجرعوه من الخطوب دروسا
أفيبلغون مدى العواصف نومًا أم يُدركون سنا البروق جلوسا؟
ليس الذي لبس السلاح كعاجز جعل التهيب والنكول لبوسا
يا (فتح) والدنيا مجال مغامر يزجى خميسًا للوغي فخميسا
قل للألى جهلوا الجهاد وحكمه لا تأخذوه محرفًا معكوسا
خوضوا الغمار فلن تنالوا مأربًا حتى تروها تستطير ضروسا
إلا يكن إلا المنايا فاطلبوا بين الأسنة والسيوف رموسا
لو ضن معتنق الحتوف بنفسه ما نال من دنيا الرجال نفيسا
لا تلتمس عدمًا فلست بواجد من ليس يوجد في دم مغموسا

ودع الخسيس من المطالب والمنى ... إن كنت تأنف أن تكون خسيسا
الكون منطلق لعزمك واسعٌ ... فاربأ بنفسك أن تكون حبيسا
أرأيتَ من جعل الرئاسة همه ... وسألت قومك كيف صار رئيسا
الدين والدنيا وراء ضجيجه ... يستشرفان.. أيسمعان حسيسا
يعيا بذكرهما ويُعرض عنهما ... إلا وساوس تخدع المسلوسا[1]
ساس الجماهير الخفاف ولم يكن ... لولا رفيق حلومها ليسوسا
خذلته تجربة الأمور ولم يزل ... يستنصر التمويه والتدليسا
قتل النفوس وراح يزعم أنه ... (عيسي ابن مريم) أو خليفة (عيسى)
خير (الحواريين) في (إنجيله) ... من يزلف التعظيم والتقديسا
دينٌ من البهتان ليس يحله ... دين (المسيح) ولا شريعة (موسى)
يا(فتح) داو الداء بالطب الذي ... أعيا(الرئيس)[2] وفات (جالينوسا)
لا تبتئس بالجُرح أفرط شره ... وطغى أذاه فكل جرح يوسى
أقم المنار لمدلجين تنكبوا ... سبل الرشاد وجدد (الناموسا)[3]
آثار قومك للحياة معالم ... غر تضيء المجهَل الأدموسا[4]
انظر أيستهدى الغوي مُبينها ... أم يستبين الدارس المطموسا
صدأ النواظر والقلوب أشد من ... صدإ الحديد مضرة إن قيسا؟
أنت المؤمّل للجلاء فهاته ... قبسًا يُدار على يديك طروسا
طف بالبيان الطلق عذبًا سائغًا ... إنا شربنا الدين فيه كؤوسا

---

(١) المجنون.
(٢) ابن سينا.
(٣) الشريعة. يونانية الأصل.
(٤) الشديد الظلام.

واطوِ السنين بهمة قرشية | تقتاد منها ريِّضًا[1] وشموسا[2]
الله ثبت جانبيك بمؤمن | شد البناء وأحكم التأسيسا
ولدته مأسدة النبوة قسورًا[3] | لم يتخذ غير المصاحف خِيسا[4]
جربت منه الفاضل النزه الهوى | وعرفت فيه الباسل الدِّعيسا[5]
الله ألهمني الهدى وأعد لي | منه نجيًّا صالحًا وأنيسا
يا حارس الإسلام حسبك أن ترى | من كيد كل مناجز محروسا
واطرد دعاة السوء عنه ولا تدع | في المؤمنين الصادقين دسيسا
اعمل لربك لا يرُعك مضلل | يجفو الإله ويصطفى إبليسا
سبحان ربك لن يغادر عدله | بين البرية عاملًا مبخوسا

أيهما المعتدي؟

لو كنتُ قاضيًا، ورُفع إليّ شاب تجرأ على امرأةّ، فمسها أو احتك بها أو طاردها أو أسمعها، وتحقق عندي أن المرأة كانت سافرة مدهونة مصقولة متعطرة متبرجة؛ لعاقبت هذه المرأة عقوبتين:

إحداهما: بأنها اعتدت على عفة الشاب.

(١) ما ينقاد.
(٢) ما لا ينقاد.
(٣) المأسدة: المكان تكثر فيه الأسود أو تربى.
(٤) غابة الأسد.
(٥) المقدام.

والثانية: بأنها خرقاء كشفت اللحم للهر.

مصطفى صادق الرافعي

فكاهات عربية

* أحب الرشيد أن ينظر إلى شُعيب القلاّل، فأُدخل القصر وأُتي بكل ما يحتاج إليه من آلة العمل، فبينا هو يعمل إذ بصر بالرشيد، فنهض قائمًا، فقال له الرشيد: دونك وما دعيتَ له، فإني لم آتك لتقوم إليَّ، بل لتعمل بين يدي، فقال له: وأنا أصلحك اللَّه لم آتك ليسوء أدبي، وإنما أتيتك لأزداد أدبًا، فأُعجب الرشيد به، وقال له: بلغني أنك إنما تعرضت لي حين كسدت صناعتك؟ فقال: يا سيدي، وما كساد عملي في خلال وجهك؟! فضحك الرشيد حتى غطى وجهه، وقال: ما رأيت أنطق منه، ولا أعيا منه، ينبغي أن يكون أعقل الناس، وأجهل الناس.

* ابتاع أعرابي غلامًا فقالوا له: إنا نبرأ إليك من عيب فيه، قال: وما هو؟! قالوا: يبول في الفراش، فقال: إن وجد فراشًا فليفعل.

* دخل ابن الجصاص على ابنٍ له، وقد احتُضر، فبكى عند رأسه، وقال: كفاك اللَّه يا ابني الليلة مؤونة هاروت وماروت، قالوا: وما هاروت وماروت؟ قال: لعن اللَّه النسيان، إنما أردت يأجوج ومأجوج، قالوا: وما يأجوج ومأجوج؟

قال: فطالوت وجالوت! قالوا: فلعلك أردت منكرًا ونكيرًا؟ فقال: والله ما أردت إلا غيرهما! (يريد ما أردت غيرهما).

* جاء رجل إلى أبي ضمضم يستعدي على رجل في دابة اشتراها منه، وظهر بها عيب، فقال له أبو ضمضم، وما عيبها؟ قال: في أصل ذنبها مثل الرمانة، وفي ظهرها مثل التفاحة، وفي عجيزتها مثل الجوزة، وفي بطنها مثل الموزة، وفي حلقها مثل الأترجة.

فقال أبو ضمضم:

مرّ عنا يا بارد، هذه صفة بستان، وليست بصفة دابة!

* رأى أعرابي سراويل في فلاة، فأخذه يظنه قميصًا، فلم يعرف كيف يلبسه، فمر يعدو ورماه، فلقيه رجل، فقال: مالك يا أعرابي؟

فقال: أصبت قميصًا للشيطان، وأخاف أن يلحقني، فيقول: لمَ أخذت قميصي؟

* قال رجل للحسن البصري رحمه الله: ما تقول في رجل مات وترك أبيه وأخيه؟ فقال: أغيلمة إن فهمناهم لم يفهموا، وإن علمناهم لم يعلموا، قل: ترك أباه وأخاه، فقال الرجل: فما لأباه وأخاه؟ فقال الحسن: قل لأبيه وأخيه! فقال الرجل: كلما تابعتك خالفتني!

* رؤي قبران مكتوب على أحدهما: من رآني فلا يغتر بالدنيا، فإني كنت من ملوكها أُصرف الريح كيف شئت، وعلى الآخر مكتوب: كذب، إنما كان حدادًا ينفخ بالزِق.

* طلب العُتبي بعد ثمانين سنة أن يتزوج، فقيل له في ذلك، فقال: أولاد الزمان فسدوا، فأردت أن أذلهم باليتم قبل أن يذلوني بالعقوق!

الناس...

حكي عن ابن المعتمر السلمي قال:

الناس ثلاثة أصناف: أغنياء وفقراء وأوساط، فالفقراء موتى إلا من أغناه اللَّه بعز القناعة، والأغنياء سكارى إلا من عصمه اللَّه تعالى بتوقع الغير، وأكثر الخير مع أكثر الأوساط، وأكثر الشر مع أكثر الفقراء والأغنياء، لسخف الفقر وبطر الغنى.

بهذا قامت السماوات والأرض

سقطت يوم خيبر درع لعلي بن أبي طالب ﵁، فالتقطها رجل من اليهود، ثم لما وجدها علي مع اليهودي تحاكما إلى قاضي المسلمين -وهو من جملة الرعية، وعلي يومئذ أمير على الناس، ولم يكن معه بينة على درعه إلا ابنه الحسن.

فقال القاضي:

أنا أعلم أنك صادق أيها الأمير، ولكن لا بينة عندك، ولا تصح شهادة ابنك لك، واليهودى هو واضع اليد.

وحكم القاضي بالدرع لليهودى عملًا بظاهر الأمر، فامتثل عليٌّ وخرج.

فقال اليهودى:

أنا أشهد أن هذه أخلاق الأنبياء؛ وأن هذا هو الدين الحق، وأن الدرع درع علي، وأنا أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأشهد أن محمدًا رسول الله.

موسوليني وموسم الحصاد

نقلت صحف مصر عن صحف أوربا صورة لموسم الحصاد في إيطاليا، وفيها السنيور (موسوليني) عاري الصدر، يقوم بحصد القمح في أحد حقول إيطاليا الخصيبة، وعلى رأسه قبعة كبيرة من الخوص تقيه أشعة الشمس المحرقة. . .

وفاءً كان حصدك أم رياء ... وعطفًا كان ذلك أم دهاء؟
وسلمًا كان أم حربًا عوانًا ... تثير بها على الأرض الشقاء؟
ومنجلك المسلط فوق نبت ... به تبغي الحياة أم الفناء؟
وصدرك عاريًا هل بات يذكي ... على الدنيا القطيعة والجفاء؟
أم الشمس التي لفحته حينًا ... ستكسبه الهوادة والرثاء؟
وهل أحسست بالآلام تغلي ... برأسك فابتغيت لها الغطاء؟
وهل أسديت للفلاح نعمى ... بحصدك تستحق بها الثناء؟
أما والله إنك في دهاء ... تجرعه المتاعب والعناء
تعاونه بموسمه ليسعى ... إلى الهيجا متى سمع النداء
فيحصد في ظلالك مستكينًا ... كِرامًا من عداتك أبرياء
أرادوا السلم في الدنيا وراحوا ... يوالون المودة والصفاء
فلم تسمع نداءهم، عنّوا ... ولم ترحم شقاءهم ازدراء
كأنك في الحياة خُلقت فردًا ... بها ضمن الهناءة والبقاء
شديد البطش، إن اللّه أقوى ... فلا تأمن من اللّه الجزاء
شديد الزهو، إن اللّه أسمى ... فلا تختل بدنياك ازدهاء
بربك لا تموّه بين شعب ... بأنك قائد حمل اللواء

وخف إلى المزارع حيث يحيا　　جميع الحاصدين بها سواه
بربك لا تخاتل أن عارًا　　على القواد ختلهم الرعاء
وقُد أبناء شعبك نحو سلم　　تحققْ -إن أردتَ- له الرخاء

محمد يوسف المحجوب

* إياكم والكذب؛ فإن الكذب مجانب للإيمان.
* احرص على الموت توهب لك الحياة.

من أقوال أناتول فرانس

* المستقبل ينبت أبدًا على أساس الماضي.
* كلٌ منا يحلم حلم الحياة على طريقته الخاصة.
* فكر جيدًا في الأمور المهمة، واعلم أن فكرك هو برهان وجودك.
* الفكر هو الحقيقة الوحيدة في الكون.
* التعليم الذي لا يهذب الإرادة تعليمٌ يُفسد العقل.
* كن دائمًا على فطرتك وسجيتك، وحذار أن تتكلف.
* البؤس قد يلقي على الناس هيئة البلادة.
* ما الكون في الحقيقة إلا انعكاس عن صورة نفوسنا.

المرأة

* لا شيء يشرف المرأة مثل صبرها، ولا شيء يشينها مثل صبر زوجها عليها.

(جوبير)

* المرأة أفقدتنا الفردوس وهي وحدها قادرة أن تعيده إلينا.

(هوتير)

* خيرٌ للمرأة أن تنظر في شأن منزلها وأطفالها من أن تبحث في أمور لا شأن لها بها.

(نابليون)

* أصعب شيء على المرأة أن تكتم أمرًا.

(شكسبير)

* بلاغة المرأة في دموعها.

(جول سيمون)

* يُختبر الذهب بالنار، وتُختبر المرأة بالذهب، ويُختبر الرجل بالمرأة.

(شيلون)

* امرأة كسيحة في البيت خير من امرأة طائشة متسكعة في الطرقات.

(برودون)

* النساء مدينات لنا بأغلب عيوبهن؛ ونحن مدينون لهن بأغلب فضائلنا.

(لارو شفوكو)

* ليس العقل هو الذي يقود المرأة، بل القلب.

(هيولت لوكاس)

* حالة المرأة مقياس التقدم الاجتماعي.

(أ. لتريه)

* أعدى أعداء المرأة الضجر.

(ب. جانيه)

* حب الوطن يبدأ بحب الأسرة.

(باكون)

* فكر المرأة في دموعها.

(سان أفرمون)

* يكاد يكون لعظماء الرجال جميعًا أمهات ممتازات.

(مدام مونمارسو)

* فتش عن المرأة.

(نابليون)

* دموع النساء أسلحة بتارة، ولا تكلفهن مع ذلك حربًا.

(نابليون)

* أشد ما يخافه الرجل من تطور المرأة وتقدمها هو أن يضطره إلى التعلم.

(سوزان دوشاتل)

* الرجل يصنعون القوانين والنساء يصنعن الأخلاق.

(كونت دي سيجور)

* في رؤوس النساء شيء ناقص وفي قلوبهن شيء زائد.

(شامفور)

الأدب

* الأدب حال قائمة بالنفس تمنع صاحبها أن يُقدم على شر، أو يُحدث نفسه به، أو يكون عونًا لفاعليه.

مصطفى لطفي المنفلوطي

الفتح على رأس عقدها الأول

أمامِ، ولا يقال سوى أمامِ ... لمثلك يا منوِّرة الظلام
وطوبى «للمحب» وما سواها ... بمأوى «للخطيب» ولا مقامِ
وسقيًا للحياة تفيض حتى ... يعد الفرد بالجيش اللهامِ
ويأتي ما يقصر عنه شعب ... يضيق الرحب منه بالزحامِ
فعال المرء مرشدة إليه ... فلا يخدعك تنميق الكلامِ
وما السيف الحسام إذا أشرأبت ... رقاب الحتف كالسيف الكهامِ
ولا السُحب الثقال إذا اكفهرت ... وجوه الأرض كالسحب الجهامِ

فوارق ليس منها من محيص   بها عُرف السراة من الطغامِ
تُلقب حين تسمو بالمزايا   وتُحصى حين تسفل في المذامِ
وكائن في الصحافة من مجال   لأكل السحت والكسب الحرامِ
يقوم على جوانبه ذئاب   جراحات الهدى منهم دوامِ
لهم في كل نازلة مراء   تضيق به حيازيم الكرامِ
يريك إذا ركضت العين فيه   حياة النقص تعمل للتمامِ
وإن تفحصه تفحص منه سخرًا   برجلك ضاحكًا وجه الرغامِ
لهم عن كل صالحة قعود   إذا همّ الموفق بالقيامِ
وفي التغرير بالألباب سحرٌ   يُريك المجد في طرف التمامِ
يحثون الفتاة على التعري   ويغرون التوقح بالغلامِ
ويدعون الشباب إلى التدلي   لأخلاق الزعانف واللئامِ
كأن لهم على الأخلاق ثأرًا   فلا يرضون غير الانتقامِ
ومن خرق الحوادث أن تراهم   لدى الغوغاء محمودي المقامِ
فلا يعبث بفهمك وُد قالٍ   يدير الخُلف في كأس الوئامِ
ولا يذهب بلبك لينُ عاتٍ   يلف الحرب في ثوب السلامِ
وحيّهلا بمن نصت إليه   ركاب الحب أفئدة الأنامِ
محب الدين والحاني عليه   وناقع غله عند الأوامِ
وغيظ عداته من سُؤر عادٍ   وشيخ دعاته من عرق سامِ
له لسَنٌ يخاف الخصم منه   ويخشى ما يخاف من الحسامِ
وصبر فت في عضد الليالي   ونهنه من نوائبها العظامِ
همامٌ يعتزي للجِد حينًا   وأحيانا إلى جَد همامِ
تبحبح في الذوائب من قريش   وفي الذروات منها والسنامِ

أقام على ثغور المجد جندًا ... من الأقلام مرهوب النظامِ
يكر فلا ترى إلا جسومًا ... مهشمة الجماجم والعظامِ
يُبكيها المباعدُ من وراء ... وينعاها المقارب من أمامِ
وخاصم في العروبة كل خصم ... قوي النزع مسموم السهامِ
فقل للحاقدين عليه: أنى ... تحس الحقد أكبادُ السوامِ
وللحِزبين رجعيٌّ وغال: ... «ملومكما يجل عن الملامِ»(١)
لسان الحق ضاق الشرق ذرعًا ... وأنضى عليه قطعُ الموامي(٢)
وأفسد أمره عبث التلاحي ... وأذهب ريحه حب الحطامِ
فذودي عن موائده جياعًا ... أسال لعابها ريح الطعامِ
وهاج لوافح الأطماع منها ... بلوغ الضعف من نفس المحامي
ولا يقعد بصاحبك المجلي ... عن الإقدام إحجام العوامِ
فإن ينصب فليس المجد طيفًا ... من الأطياف يطرق في المنامِ
ولكن شقة بعُدت وشقت ... على غير المغامر والعصامي
وفيما يشغل الدنيا كفيل ... من البلوى بأيقاظ النيامِ
أأختَ الشمس منفعة وجدوى ... وتِرب البدر في أوج التمامِ
أزف إليك من أعماق قلبي ... تحيات الصبابة والغرامِ
وأهدي (للخطيب) ثناء مصر ... على مجهود أبناء الشآمِ
حبتهم روضها نزلًا فكانوا ... لتربته كأخلاف الغمامِ
وكانوا للعروبة في ذراها ... صوارم لا تفل من الصدامِ
وما وطن الهداية غير دار ... تذوب حيال وحدتها الأسامي

---

(١) اقتباس من بيت للمتنبي.

(٢) الموامي: الصحاري.

فحيا اللَّه عصبتهم وبيًّا ووفق في البداءة والختامِ
وأبقى (الفتح) للدنيا هلالًا بنور اللَّه متصل الدوامِ
تُهنأ من تنقُّله بِعيدٍ تُدق له البشائر كل عامِ

محمد النجمي

السياسة

* أرادوا مرة امتحان السياسيين في بلاغة السياسة، فطرحوا عليهم هذا الموضوع:

سَرقتَ حقوق أمة ضعيفة، فاكتب كيف تشكرها على هديتها...

* قالوا: نظم الصقر قصيدة من الغزل في عصفور جميل مصبغ الريش، فكان مطلعها:

«ما ألذ» ريشك أيها العصفور!

هكذا لغة السياسة.

* قد يُبطل المنطق كل الحجج إلا اثنتين: حجة السياسي القوي حين يغتصب الضعيف، وأختها حجة اللص الفاتك حين يُسأل من أين اشترى؟ فيقول: اشترت يميني من شمالي..

* لو سئل السياسي العظيم: أي شيء هو أثقل عليك؟ لقال: إنسانيتي..!

* عندما يشرب الضعفاء من السراب الذي تخيله السياسة لأعينهم، يقدمون لهم المناديل النظيفة ليمسحوا أفواههم.

* إذا رأيتَ شباب أمة يتنبلون بالثياب والزينة، فاعلم أنها أمة كذب ونفاق: يغطون الحقيقة الرخيصة بالثوب الغالي، ويكذبون حتى على الأعين.

مصطفى صادق الرافعي

كلمات لجبران خليل جبران

* الإيمان واحة مخضلة الجوانب في صحراء القلب، لا تبلغ إليها قوافل الفكر.

* ليس الشعر رأيًا تُعبر الألفاظ عنه، بل هو أنشودة تتصاعد من جُرح دام، أو فم باسم.

* ليس لي أعداء يا رب، ولكن إذا كان لا بد من وجود عدوٍ لي، فاجعل يا رب قوته مضارعة لقوتي، لكي لا تكون الغلبة إلا للحق!

* إنني سائح وملاح في وقت واحد، وفي كل صباح أكتشف قارة جديدة في نفسي.

* ويل لأمة كل قبيلة فيها أمة!

* الحياة موكب عظيم: ينظر إليه بطيء الحركة فيحسبه سريعًا جدًّا، ولذلك يهرب منه، وينظر إليه السريع الخُطى فيحسبه بطيئًا، فيهرب منه!

* يحتاج الحق إلى رجلين: الواحد لينطق به، والآخر ليفهمه!

* كثيرًا ما نغني لأولادنا لننام نحن أنفسنا.

* احفر أين شئت في الأرض تجد كنزًا، ولكن عليك أن تحفر بإيمان الفلاح..

* كثير من المذاهب كزجاج النافذة نرى الحقيقة من خلاله، ولكنه يفصلنا عن الحقيقة!

* لا تنبت الحرية إلا في أرض رويت بالدماء!

* الناس رجلان: رجل يستيقظ في الظلام، ورجل ينام في النور.

* ما عساي أن أقول في من يستدين مالي ليشتري سيفًا يحاربني به..!

آراء العظماء في المرأة والزواج

ما فائدة المرأة من التبرج والإسراف فيه، وتوجيه العناية الشديدة إليه؟

إن التبرج لا يخدمها إذا كانت فتاة، بل على النقيض ينفر منها طلاب الزواج، ويقصيهم عنها، ويجعل البعض منهم يرتابون في سلوكها، أما إذا كانت زوجة فإنما أسألها لمن تريد أن تتبرج؟ لقد تزوجتْ وانتهى الأمر، فعليها أن تكون بسيطة في مظهرها، وإلا ولدت الشكوك في قلب زوجها.

«ليون تولستوي»

لماذا تألم المرأة أفظع الألم عندما يخدعها الرجل، ولماذا يُحس الرجل بنفس هذا الألم عندما تخدعه المرأة؟

الجواب على ذلك: أن المرأة تعطي كل شيء، تعطي نفسها، أما الرجل فلا يعطي نفسه، بل يعيرها كي يستردها متى أراد إذا كان وضيع الخلق منحط

العاطفة والضمير، ولذلك يجب أن تحرص المرأة على عرضها ما استطاعت، وتُدرك هذه الحقيقة حق الإدراك.

«بيير بنوا»

الحب لا يُفقد الرجل شيئًا، ولكنه يُفقد المرأة كل شيء، فإذا ما رغبت المرأة في الانتفاع بالحب فعليها ألا تُحب غير زوجها الذي يضمن حياتها ويحيطها بإطار ناصع، يرضى عنه المجتمع، ويمتعها بعاطفة الأمومة التي خُلقت لها.

«أندريه مرورا»

المرأة

* قلب المرأة أعظم مصدر للحنان والعطف.

«لوثر»

* الرجال من صنع المرأة، فإذا أردتم رجالًا عظامًا أفاضل، فعلموا المرأة ما هي عظمة النفس، وما هي الفضيلة.

«روسو»

* كل عمل مجيد وعظيم أساسه المرأة.

«لامارتين»

* في نظرات المرأة نعيم الحياة، وفي نبرات صوتها أناشيد الخلود.

«أناتول فرانس»

* المرأة راحة الجندي بعد المعركة.

«نيتشه»

حِكم تولستوي

* الإيمان قوة الحياة.

* كما انه لا يمكن لإنسان أن يحيا بغير قلب، كذلك لا يمكن لإنسان أن يحيا بغير دين.

* دلتني خبرة عشرين عامًا أن السبب الأساسي لتفشي المجون والفساد سوء طريقة تلقين التعاليم الدينية.

* أصبحت محبة الوطن مجلبة لكثير من آلام هذا العالم.

* للحياة غرض فوق الآلام واللذة.

حق الجار

* قال رسول اللَّه ﷺ: **«أتدرون ما حق الجار؟ إذا استعان بك أعنته، وإن استنصرك نصرته، وإن استقرضك أقرضته، وإن مرض عدته، وإن مات شيعت جنازته، وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيته، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذه، وإذا اشتريت فاكهة فأهد له، وإن لم تفعل فأدخلها سرًّا، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده، ولا تؤذه بقتار قدرك**

إلا أن تغرف له منها»[١].

* وقال: «أتدرون ما حق الجار؟ والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله»[٢].

* وقال عليه الصلاة والسلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم جاره»[٣].

□ في ذكرى المتنبي □

من شاعر إلى شاعر

بقلم شاعر مصر الأستاذ أحمد محرّم

انظر إلى الدنيا عليك ترفرف ... واسمع شعوبك في الممالك تهتف
ضجوا بذكرك فالقياصر خشّعٌ ... بين المواكب والأرائك رُجّف
تقف العواصف دون عرشك ركدًا ... والدهر يرمي بالعروش ويعصف
ويظل تاجك ماله من خاطف ... والناس والتيجان حولك تخطف
ملك البيان إليك فوض أمره ... فاحكم فأنت المالك المتصرف
تعب الخلود وما تعبت وإنني ... لأرى الخلود يضيق عنك ويضعف
أنت ابتدعت الشعر مالجديده ... مثلٌ يُعد ولا طراز يُعرف
تلقى على المعنى المحجب نظرة ... فإذا الروائع وُضَّحٌ تتكشف

(١) أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢٤٣٠)، وضعفه محققه: الشيخ حمدي السلفي. (س).
(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٦٦٠). (س).
(٣) أخرجه البخاري (٦٠١٩) ومسلم (٤٧). (س).

الحكمة الغراء حف جلالها ... سور عليه من البراعة زخرف
والمدح يستهوى الرجال فمحجمٌ ... يلقى الفوارس أو بخيلٌ يُسرف
والوصف تشربه النفوس وتنتشي ... من حُسنه الأشياء ساعة توصف
والفخر يأنف أن تُقيم بمنزل ... حتى يكون لك المقام الأشرف
شعرٌ نظمت به الجمال مصورًا ... والنفس تُولع بالجمال وتشغف
أبقى (لسيف الدولة) الشرف الذي ... ترك السيوف مشوقة تتشوف
شرفٌ تخلف بعده فكأنه ... باقٍ على طول المدى متخلف
نجاه من غول الفناء فهذه ... دنياه مونقة ترفُ وتنطف
انزل بساحته فتلك ثمارها ... تُجنى بأيدي الراغبين وتُقطف
الملك أفيح والجنود مغيرة ... والخيل تصهل والقواضب تَرعف
والفتح غادٍ في اللواء ورائح ... لا أنت تخطئه ولا هو يُخلف
لما رضيت عن (السواد) جعلته ... نورًا يغار النور منه فيكسف
ولقد رأيتك غاضبًا فإذا الدجى ... متبرم بسواده مستنكف
(كافور) من حنقٍ عليك وإحنة ... يهذي بذكرك ناقمًا يتأفف
أوردته العذب الفرات فما ارتوى ... حتى أحاط به الأجاج المتلف
لم ترض يومًا في حياتك موقفًا ... يعلوه في الدنيا لغيرك موقف
(الأبيض الطماح) لم تحفل به ... لما رمي[1] و (الأسود المتعسف)
كنتَ العزيز الحر يُكرم نفسه ... ويعاف منزلة الذليل ويأنف
رمتَ (الولاية) بالقريض وأنه ... لك في النفوس ولاية ما تُصرف

---

(١) المراد به سيف الدولة، ورميه بالدواة في وجه المتنبي وهو ينشده قصيدته:

«واحر قلباه ممن قلبه شبِم»

(المضحكات بمصر) حيث رأيتها[١] وأرى (الثعالب) مثل عهدك تزحف[٢]
نظمت بدائعك المواكب فخمة ومشت تغني في البلاد وتعزف
اليوم تُنصفك الدهور وما لنا غير الدهور لدى الحكومة منصف

أحمد محرّم

النصائح العشر للزوجات

نشرت الكاتبة الانكليزية (مرغريت كندي) نصائح: زعمت أن سيدة إنكليزية أسدتها إلى ابنتها ليلة زواجها وهي:

١- وطدي النفس على اللحاق بزوجك إلى كل مكان، واستعدي لاحتمال مختلف ضروب الحياة غير متبرمة بها.

٢- اعلمي أنك مساوية لزوجك في الواجبات أيضًا لا في الحقوق وحدها. واعلمي أن عقله أوسع من عقلك، وإدراكه أدق من إدراكك، وأن من واجبك إطاعته.

٣- وإياك والغيرة فإنها إهانة لزوجك، وإهانة لشخصك أيضًا، وينبغي أن

(١) إشارة إلى قوله:

«وكم ذا بمصر من المضحكات»

البيت.

(٢) إشارة إلى قوله من قصيدة في كافور:

«نامت نواطير مصر عن ثعالبها»

البيت.

تثقي بزوجك، وتعتمدي على كلمته، وتشعريه بمسؤولياته، وذلك باحترامك إياه، وتأدية فروضك البيتية.

٤- لا تكذبي على زوجك، فالكذب مجبلة الاحتقار، ولا تكوني مثالًا سيئًا لأبنائك.

٥- لا تناقشي زوجك ولا تجادليه، ولا تحاولي التسلط عليه بعقلك، وأعربي له عن أفكارك وآرائك، ممزوجة بالعطف والحنان، فالحنان هو سلاح المرأة.

٦- اهتمي ببيتك أولًا، فالاهتمام بالبيت هو أول ما يُطلب من السيدة، ومتى كنت سيدة بيت كاملة تضاعف حب زوجك لك، وشعر بأنه لا يستطيع الاستغناء عنك.

٧- اغرسي في قلوب أبنائك حب قومهم وأهليهم إلى الحوادث الجيدة التي يتلى بها تاريخ بلادهم، واجعلي من حياة العظماء أمثلة عليا لهم.

٨- دعي ابنك يعالج الصعاب التي تعترضه في حياته بنفسه من دون مساعدتك، ليشعر باستقلاله الشخصي، وراقبيه عن بعد، وسددي خطواته.

٩- إياك ومعاقبة ابنك بالضرب؛ لأن الضرب يُذل النفس، ويُفقد الكرامة، ويغري بالكذب والجبن.

١٠- يجب أن تعيشي بفكرة أنك أنت وزوجك وأبناءك قطعة حية من أمتكم، وعلى قدر احترامك لنفسك وأسرتك يكون احترام الناس لشخصك وأسرتك، والجامعة التي تنتسبين إليها.

لماذا أحب زوجتي؟

بقلم الصحفي روجيه لينوار

أود في هذا المقال أن أُطلع الفتيات على الفضائل التي أُقدرها في زوجتي والتي تحببها إليّ، علهن ينتفعن بها في حياتهن الزوجية المقبلة.

استطاعت زوجتي أن تحتل من قلبي المكان الأول لأنها:

أولًا: تجتهد في الاقتصاد والادخار بدون أن تُشعرني بأي نقص في نظام حياتنا المادية.

ثانيا: تحاول أن تكون باشة الوجه، متطلقة الأسارير، عندما أدخل البيت كائنًا ما كانت همومها وأحزانها.

ثالثًا: تبذل قصاراها للاهتمام بشؤوني الخاصة، والاشتراك في عملي اليومي.

رابعًا: تطالع لي مختلف المجلات والصحف والكتب لما أكون متعبًا أو مريضًا.

خامسًا: تتجنب مناقشتي وإثارة أعصابي في اللحظة التي أكون فيها متبرمًا بالحياة، أو غاضبًا عليها هي، أو ناقمًا على واجبات مهنتي المرهقة.

سادسا: تُشعرني في كل لحظة بأن بيتي جميل، وحوائجي مرتبة، والنظام التام يسود الحياة من حولي.

سابعًا: تهتم أعظم اهتمام بنظافة ولدنا الصغير وصحته، ومراجعة شتى الدروس التي يتلقاها في المدرسة.

ثامنا: تحاول أن تربي ولدنا تربية أساسها العقل والملاحظة والاقناع، لا التوبيخ الغليظ والعقاب البدني الوحشي.

تاسعا: تجتهد على الدوام في دراسة أخلاقي كي تعرف ما أرغب فيه قبل أن أُعرب عنه.

عاشرا: تطيعني طاعة عاقلة رشيدة، تنم عن قلب طيب، ونفس سمحة، هذه هي الفضائل التي أُقدرها في زوجتي وأحبها من أجلها.

أحب الزوجات إلى الرجل

سألتْ إحدى المجلات الفرنسوية نفرًا من كبار الأدباء عن أحب الزوجات إليهم، فقال (هنري دي مونترلان):

أحب الزوجات إليّ هي التي لا تحبني لمالي، ولا يفتر حبها لي إذا عصفت بي عواصف الفقر.

وقال (أندريه موروي):

أحب الزوجة التي تعاونني في عملي، وتُسهل لي سبيل التفكير والإنتاج.

وقال (بول موران):

أُفضل الزوجة التي تقابل غضبي بالصمت، وكبريائي بالتواضع، وإخلاصي بالأمانة، وعرفان الجميل والطاعة.

نصائح إلى الأمهات

بقلم الصحفية سوزان نورمان

إليكن أيتها الأمهات عشر نصائح، لو عملتن بها لاستطاعت أقلكن تعليمًا وثقافة أن تنشيء أبناءها نشأة حسنة، تعود على البيت كله بالرغد والسعادة:

أولًا: دعي المدرسة تهتم بحشد المعلومات في رأس ولدك، وخذي أنت بمبدأ التربية عن طريق الملاحظة والتجربة، حاولي أن تكشفي لولدك عن حقائق هذه الدنيا لا بواسطة الآراء والمباديء النظرية، بل من طرق لفت نظره إلى الواقع، فإذا ما أردت العدول به عن ارتكاب فعلة وضيعة، فلا تكتفي بأن تشرحي له نتائجها، بل تناولي حادثة بارزة من الحوادث اليومية، تتجلى فيها تلك النتائج واضحة جلية، وهكذا ينتفع ابنك بنصيحتك، واعلمي أن القوة المسيطرة على الصبي هي قوة الواقع المحسوس، أما الإرشادات النظرية فلا تؤثر فيه فتيلًا.

ثانيًا: تجنبي العقوبات البدنية ما استطعت، فإنها تُذل النفس، وتبتلي الصبي بداء الخوف والنفاق وفقد الكرامة.

ثالثًا: وازني بين الحنان والصرامة في تربية ولدك، واعلمي أنه لن يحترمك في المستقبل إذا أسرفت في الحنان، أو إذا أسرفت في الشدة والصرامة.

رابعًا: إياك وإشعار ولدك بالخلافات التي تدب بينك وبين زوجك، فلا شيء يفسد نفس الصبي مثل رؤية الشجار ينشب بين المخلوقَين اللّذَين يعتقد أنهما المثل الأعلى.

خامسًا: دربي أولادك على الاقتصاد، فإن من يقتصد في نفقاته وهو صبي يقتصد في عواطفه وغرائزه وهو كبير.

سادسًا: اشرحي لأبنائك في إسهاب تاريخ وطنهم، وتخيري أمجد الحوادث وأروعها، واتخذي منها مادة حديثك اليومي، أما أبطال التاريخ فيجب أن تُشعري أولادك بأنهم بشر مثلنا، وأن في وسعنا جميعا الاقتداء بهم.

سابعًا: لا تكذبي أبدًا، ولا تكذبي على الأخص أمام أحد أبنائك، فالكذبة الصغيرة تخرج من شفتي الأم تكفي لتسميم أخلاق الصبي إلى الأبد.

ثامنًا: أطيعي زوجك يدن أولادك لك بالطاعة، ويشعروا أن للبيت رئيسًا يجب أن يُحترم ويطاع.

تاسعًا: إياك والتسامح مع أبنائك في هفوة من الهفوات مهما كانت بسيطة، إذ التسامح يشجع على الاستخفاف، وهو في الحقيقة رأس الرذائل.

عاشرًا: علمي أبنائك أن النظافة هي التي تميز الإنسان عن الحيوان بعد الإدراك والعقل.

الحادي عشر: اغرسي في قلوب أبنائك خوف الله.

بناء الأسرة
ما هو الغرض من الزواج؟

وجهت إحدى الصحف الباريسية هذا السؤال إلى طائفة من مشاهير الأدباء والأديبات، وإليك بعض ما أجابوا به:

قالت مدام جان بالد: أعتقد أن الفتيات لو فهمن الغرض الحقيقي من الزواج؛ لتوطدت صروح معظم الأسر، ولم تعصف بها عواصف الشقاء.

وعندي أن الغرض من الزواج هو السمو بالنفس إلى أوج التضحية، هو تدريب النفس على التضحية واستعذابها.

والواقع أن كلا من الزوجين يجب أن يضحي بنفسه في سبيل التعاون والتفاهم مع الآخر، وفي سبيل تربية الأبناء، فكل من يقدم على الزواج غير موطن نفسه على قبول التضحية، يستحيل عليه أن يشعر بالسعادة العظيمة التي ينطوي عليها هذا النظام الأبدي المقدس.

وقال الروائي أدمون جالو:

الغرض من الزواج في عرفي هو خدمة المجتمع عن طريق خدمة النفس وتنظيم غرائزها وميولها والاتجاه بها في الطريق السوي.

وحيث أن الأسرة صورة مصغرة للأمة، فغرض الزواج هو إنبات عناصر صالحة لخدمة الأمة، وعليه فغاية الزواج هي النسل وإنكار الذات في سبيل النسل.

وقالت الكاتبة الاجتماعية مدام سوزان نورمان:

للزواج أغراض كثيرة: أهمها التعاون على الحياة المادية، والشعور اليومي بالصداقة الوثيقة بين مخلوقين متفاهمين، وتنظيم الميول والأهواء الجنسية، وإنتاج نسل قوي صحيح سليم، ولكن أهم هذه الأغراض في نظري هو شعور الفرد بمعنى المسئولية الذي يخلق منه بطلًا من أبطال الحياة اليومية.

الجنة الضائعة

لفقيد الأدب التونسي الأستاذ أبي القاسم الشابي

كم من عهود عذبة في عدوة الوادي النضير
فضية الأسحار مُذهبة الأصائل والبكور
كانت أرق من الزهور ومن أغاريد الطيور
وألذ من سحر الصبا في بسمة الطفل الغرير
قضّيتها ومعي الحبيبة لا رقيب ولا نذير
إلا الطفولة حولنا تلهو مع الحب الصغير
أيام كانت للحياة حلاوة الروض المطير
وطهارة الموج الجميل وسحر شاطئه المنير
ووداعة العصفور بين جداول الماء النمير
أيام لم نعرف من الدنيا سوى مرح السرور
وتتبع النحل الأنيق وقطف تيجان الزهور
وتسلق الجبل المكلَّل بالصنوبر والصخور
وبناء أكواخ الطفولة تحت أعشاش الطيور
مسقوفة بالورد والأعشاب والورق الغضير
نبني فتهدمها الرياح فلا نضج ولا نثور
ونعود نضحك للمروج وللزنابق والغدير

ونخاطب الأصداء وهي ترف في الوادي المنير
ونعيد أغنية السواقي وهي تلغو بالخرير
ونظل نركض خلف أسراب الفراش المستطير
ونمر ما بين المروج الخضر في سكر الشعور
نشدو ونرقص -كالبلابل- للحياة وللحبور
ونظل ننثر للفضاء الرحب والنهر الكبير
ما في فؤادينا من الأحلام أو حلو الغرور
ونُشيد في الأفق المنور من أمانينا قصور
أزهى من الشفق الجميل ورونق المرج الحضير
وأجل من هذا الوجود وكل أمجاد الدهور
أبدًا تدللنا الحياة بكل أنواع السرور
وتبث فينا من مراح الكون ما يغوى الوقور
فنسير ننشد لهونا المحبوب في كل الأمور
ونظل نبعث بالجليل من الوجود وبالحقير:
بالسائل الأعمى وبالمعتوه والشيخ الكبير
بالقطة البيضاء بالشاة الوديعة بالحمير
بالعشب فالفنن المنور بالسنابل بالسفير[1]
بالرمل بالصخر المحطم بالجداول بالغدير

(١) السفير: ما تساقط من أوراق الشجر.

واللهو والعبث البريء الخلو مطمحنا الأخير

ونظل نقفز أو نغني أو نثرثر أو ندور

لا نسأم اللهو الجميل وليس يُدركنا الفتور

فكأننا نحيا بأعصاب من المرح المثير

وكأننا نمشي بأقدام مجنحة تطير

أيام كنا لب هذا الكون والباقي قشور

أيام تفرش سبلنا الدنيا بأوراق الزهور

وتمر أيام الحياة بنا كأسراب الطيور

بيضاء، لاعبة مغردة مجنّحة بنور

وترفرف الأفراح فوق رؤوسنا أنى نسير!

آهٍ توارى فجري القدسي في ليل الدبور

وفنى كما يفنى النشيد الحلو في صمت الأثير

أواه قد ضاعت عليّ سعادة القلب الغرير

وبقيتُ في وادي الزمان الجهم أدأب في المسير

وأدوس أشواك الحياة بقلبي الدامي الكسير

وأرى الأباطيل الكثيرة والمآتم والشرور

وتصادم الأهواء بالأهواء في كل الأمور

ومذلة الحق الضعيف وعزة الظلم القدير!

وأرى ابن آدم سائرًا في رحلة العمر القصير

ما بين أهوال الوجود وتحت أعباء الضمير
متسلقًا جبل الحياة الوعر كالشيخ الضرير
دامي الأكف ممزق الأقدام مغبر الشعور
مترنح الخطوات ما بين المزالق والصخور
هالته أشباح الظلام وراعه صوت القبور
ودويُ أعصار الأسى والموت في تلك الوعور!
ماذا جنيتُ من الحياة ومن تجاريب الدهور
غير الندامة والأسى واليأس والدمع الغزير
هذا حصادي من حقول العالم الرحب الخطير
هذا حصادي كله في يقظة العهد الأخير
قد كنتُ في زمن الطفولة والسذاجة والطهور
أحيا كما تحيا البلابل والجداول والزهور
لا تحفل الدنيا تدور بأهلها أو لا تدور
واليوم أحيا مرهق الأعصاب مشبوب الشعور
متأجج الإحساس أحفل بالعظيم وبالحقير
تمشي على قلبي الحياة ويزحف الكون الكبير
هذا مصيري يا بني الدنيا فما أشقى المصير

رجال التاريخ

* إذا أردت أن تتكلم عن ميت، فضع نفسك في موضعه ثم تكلم.

* لو اجتمع الذين ملأوا الدنيا بشهرتهم، ما ملأوا دارًا صغيرة.

* للتاريخ حدود كممالك الأرض، فلا يتسع إلا لعدد محدود.

* ليس المصلح من استطاع أن يُفسد عمل التاريخ، فهذا سهل ميسر حتى للحمقى، ولكن المصلح من لم يستطع التاريخ أن يُفسد عمله من بعده.

* إذا كنتَ قائدًا عظيمًا في أمة ذليلة فقيرة، استطعت أن تكون نبيًّا فيها بنصب شناقتين، وما أسرع ما يعتقدون أن الذي معه عزرائيل كالذي معه جبرائيل..

* هنا مسألة اقتصادية: فهذا مسجد واسع مفتوح لا يؤجر بإيجار ينتفع به، أفليس الإصلاح أن يحول المسجد دار صناعة مثلًا؟ بلى أيها الحاكم، إن هذا هو إصلاحك الطبيعي، ما دام عقلك كيس دراهم، وما دامت بلادك بلاد إفلاس..!

مصطفى صادق الرافعي

خداع الظواهر!

دخلتُ صيدلية، ورأيت بأحد أجنحتها مجموعة من القوارير البديعة المنظومة المنسقة المنسجمة، وعلمت مما هو مرقوم عليها أنها سموم.

وقد تبادر إلى ذهني فورا خداع الظواهر، فلو كنتُ أميًا لوددت أن أقتني هذه المجموعة النادرة في منزلي دون أن أعلم أنها تحمل الموت الزؤام!

نحن نعيش في الحياة أميين، لأن صيدلية الحياة غير منسقة ولا مرتبة، والعقاقير التي فيها غير مرقومة حتى نعرف خيرها من شرها.

وقد نشأ عن ذلك أن العالم والجاهل يعيشان فيها على قدم المساواة! ولولا شيء من التجارب والاختبارات الموروثة لكنا فيها كالأطفال الرُضع: لا نعرف التمر من الجمر!

إن الأشياء تخدعنا بظواهرها وألوانها: النار تُحرقنا وهي جميلة، والماء يُغرقنا بأسلاك قاهرة يجرنا منها حتى يردينا، ويجعلنا مضغة في الأفواه! وكل شيء فاتن ساحر، يجرب فينا فتنته وسحره، فينجح في كل تجربة! دون أن يجد منا تمنعًا أو تحفظًا أو احتياطًا.

وليس خداع الظواهر مقتصرًا على الأشياء وحدها والظروف والحوادث، ولكن الناس أنفسهم يخدع بعضهم بعضًا: الشكل، والهندام، والقوام، والريش، وحسن البزة، كثيرًا ما تكون صمامات جميلة لقوارير مفعمة بالسم الفتاك!

كثيرًا ما سمعنا بالدجالين والنصابين من كل شكل ولون؛ وظننا أن الدجل، والنصب، والحيلة، أصبحت أمورًا مفهومة للكافة، ولكننا لا نلبث أن نرى الناس يقعون فيها فريسة بعد فريسة، كأننا لم نسمع بها من قبل.

يجب أن نحترس من الظواهر، حتى لا يخدعنا شكل فاخر، أو لون جميل. ولا تغرينا ملذة تجرنا في النهاية إلى الندم والحسرة، ولا تبسم لنا المحرمات، وهي جماع الخداع والغش والغرور، فتقابل البسمة بالبسمة، ثم ننظر في المرآة فنجد عيوننا تذرف الدموع!

يجب أن نجمع كل ما في أنفسنا من شك وريبة ووسوسة، فنلقى بها جميعًا

حيث توجد الخلابة، والفتنة، والمغريات، والألوان البهيجة، المزخرفة، الموشاة!

محمد محمد الصبحي

الصديق الزائغ

قال الشريف الرضي:

وكم صاحب كالرمح زاغت كعوبه ... أبى بعد طول الغمز أن يتقوما
تقبلت منه ظاهرًا متبلجًا ... وأدمج دوني باطنًا متجهما
فأبدى كروض الحَزن رقت فروعه ... وأضمر كالليل الخداريّ مظلما
ولو أنني كشفته عن ضميره ... أقمت على ما بيننا اليوم مأتما
فلا باسطا بالسوء-إن ساءني- يدًا ... ولا فاغرًا بالذم- إن رابني- فما
كعضوٍ رمت فيه الليالي بفادح ... ومن حمل العضو الأليم تألما
إذا أمر الطب اللبيب بقطعه ... أقول عسى-ضنا به- ولعل ما
صبرت على إيلامه خوف نقصه ... ومن لام من لا يرعوى كان ألوما
هي الكف مضٌ تركها بعد دائها ... وإن قُطعت شانت ذراعًا ومعصما
أراك على قلبي وإن كنتَ عاصيًا ... أعز من القلب المطيع وأكرما
حملتك حمل العين لج بها القذى ... فلا تنجلي يومًا ولا تبلغ العمى
دع المرء مطويًا على ما ذممته ... ولا تنشر الداء العضال فتندما
إذا العضو لم يؤلمك إلا قطعته ... على مضض لم تُبق لحمًا ولا دما
ومن لم يُوطن للصغير من الأذى ... تعرض أن يلقى أجل وأعظما

الحديقة

مجموعة أدب بارع وحكمة بليغة

الجزء الرابع عشر

انتقاها
الكاتب الإسلامي الكبير
محب الدين الخطيب
رحمه الله

اعتنى بها
سليمان بن صالح الخراشي

المجلد الرابع

دار العاصمة
الرياض

المكتبة السلفية
القاهرة

الطَّبعَةُ الثَّانِيَةُ
١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م

رقم إيداع دار الكتب المصرية : ٢٤٩٩٥/ ٢٠١٠

المكتبة السلفية
ميدان عمان - الدقي - الجيزة - مصر
هاتف: ٣٧٦١٠٧٧٢ - ٠٠٢٠٢٣٧٦١٥٤٩٤
بريد الكتروني: alsalafeya@hotmail.com

توزيع
دار العاصمة
المملكة العربية السعودية
الرياض - ص ب : ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي : ١١٥٥١
المركز الرئيسي : شارع السويدي العام
هاتف : ٤٤٩٧٢٢٤ / فاكس : ٤٤٩٧٢٢٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا إلى دعوة الحق والخير وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وبعد؛ فقد مرت سنوات عديدة على طبع آخر جزء من الحديقة، وها قد حان أوان تقديم الجزء الرابع عشر من هذه المجموعة المباركة[١]، وقد كانت معدة للنشر لولا مصابنا في وفاة السيد الوالد تغمده الله برحمته.

وأرجو من المولى القدير أن يتقبل مني ما صلح من عملي وهو ولي التوفيق.

روضة الفسطاط

في النصف من شعبان سنة ١٣٦٠

قصي محب الدين الخطيب

(١) طُبعت بعد وفاة الشيخ محب الدين الخطيب - رحمه الله -. ولم أتمكن من إرفاقها بالطبعة السابقة من «الحديقة»؛ لعدم توفرها ضمن الأجزاء المتداولة من «الحديقة» في المكتبات العامة. وقد أكرمني بها أخي الشيخ الكريم: محمد بن سعود الحمد - حفظه الله، وجزاه خير الجزاء عن خدمته للعلم وأهله.

سكان لبنان بعد الحرب
لشاعر عربيّ كبير ينمُّ عليه بيانه

عقدٌ من الأعوامِ مرَّ وسبعةٌ ... وشهورهُ وشهورُها أشجانُ(١)
ما لاح وجهُ الخيرِ فيها لامرئٍ ... حُرٍّ، ولا عرفَ الرخاءَ مكانُ
لم يبقَ من لبنانَ إلا فقرُه ... فكأنَّ طاعةَ أهلهِ عصيانُ
ما ذنبه إلا السكونُ وأنه ... سَلِسُ المقادةِ شأنه الإذعانُ
لم يتَّقِ الديّانَ فيه ولاتُه ... فهو الفقيرُ وما له مِعْوانُ
ذهبتْ بثروتهِ الضرائبُ مثلما ... ذهبتْ بوحدةِ أهله الأديانُ
وأضاعَ أهلوه عدا ثرواتهم ... أخلاقَهم، فكأنهم ما كانوا
جحدوا عروبتهم، وذي عاداتهم ... لم يدرها مُضَرٌ ولا غسَّانُ
وتصاغروا، فأنوفُهم مخزومةٌ ... وتخنثوا، فرجالهم غلمانُ
وتعوَّدوا دسَّ النمائمِ، وازدروا ... صدقاً، فمعظمُ قولهم بهتانُ
ومضى الوفاءُ، فإن اتخذتَ صنيعةً ... عند امرئٍ فجزاؤها الكفرانُ
وفشا الغرور، فكلُّ ناظم قطعةٍ ... فحلٌ، وكلٌّ مخلّط سَحْبانُ
وسخافةُ المتفاصحين بلاغةٌ ... ورطانةُ المتفرنجينَ بيانُ
وطغى الفسادُ على الفلاح وعُطلت ... سبلُ الهدى وتُنوسي الديَّانُ

---

(١) العقد: عشرة أعوام. الأشجان: الأحزان.

واعتادت المتصوِّنات تهتكا   وخلاعةً، فكأنهنَّ قيانُ[1]
مزَّقن أقنعةَ الحياءِ وقاحةً   وجمحن لم يحبسْ لهن عنانُ
مستودقات كالحجور صبابة[2]   فلهنَّ في ساح الفجور رهانُ
ورجالهنَّ يرونهنَّ ولا يُرى   فيهم أخو شمم ولا غيرانُ
أن يشتكوا فقراً فقل لهمُ أما   أغنتكم (الملكات) والسيقانُ[3]
ليتَ الوباءَ أتى عليهم قبل أن   بغتِ الإناثُ وأخزي الذكرانُ
فالميت ذو الخلق الشريفِ مكرَّمٌ   والحيُّ ذو الخلقِ الدنيء مهانُ
والبحر يشهد أن حماماته   للموبقاتِ وللخنا أكنانُ
لو لم يكن ملحاً لأفسد ماءَه   دنسُ الفسوقِ فعافه الحيتانُ
ولو استطاع لردَّ طامي موجهِ   ناراً لها لهبُ الجحيم لسانُ
في كلِّ حمّامٍ فتاةٌ بالهوى   نشوى، يضاجعها فتى نشوانُ
طوراً تجنهما المياه، وتارةً   لهما عليها نزوةٌ وقِرانُ
كَستِ العلى لبنانَ ثوباً هُدْبه   محض الهدى وطِرازه الإيمانُ
ما زال يلبسه إلى أن أقبلت   (مدنيَّةٌ) أفتى بها الشيطانُ
فنضاه غير مفكِّر، عن جسمه   فإذا هو (المتمدِّن) العريانُ
وإذا بنوه أمامه وبناتُه   فئةٌ على فئةٍ لها نزوانُ
وكتابهم سِفْر الخلاعةِ حين لا   انجيل يردعهم ولا قرآنُ

---

(١) القيان: المغنيات، والفتيات يقتنين للمتعة.
(٢) المستودقات: ذوات الحافر يطلبن الفحول. والحجور جمع حِجْر وهي أنثى الخيل.
(٣) الملكات: ملكات الجمال، ولا يعرضن للانتخاب إلا بعد أن يعرضن سيقانهن على رجال لجنة التحكيم فيفحصونها بالجس والقياس والمعاينة.

لن يرحم الديّانُ فجاراً غووا   إن الغويَّ كما يَدين يُدانُ
وعقوبة التاريخ مرصدةٌ لمن   أُمنوا على الشرفِ الرفيع فخانوا

الصفا - «أبو عباد»

عمر وعبدالله بن الزبير

مَرّ أميرُ المُؤمنِينَ عُمَرُ بْنُ الخَطّابِ ﷺ بِصِبْيَانٍ يَلْعَبُونَ، وَفِيهِمْ عبدُ اللهِ ابنُ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ، فَلَمَّا رَأَوْهُ فَرُّوا مِنْ وَجْهِهِ إلا عَبْدَاللهِ فَقَدْ ثَبَتَ مكانهُ ولَمْ يَفِرَّ، فقالَ لهُ عُمَرُ:

- ما لَكَ لَمْ تَهْرُبْ مَعَ رُفَقَائِكَ؟

- قالَ: يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، لَمْ أَكُ عَلَى رِيبَةٍ فأَخافَ سَطْوَتَكَ، وَلَيْسَتِ الطريقُ ضَيِّقَةً حتى أَوَسِّعَ لكَ.

- فَعَجِبَ عُمَرُ من فَطَانَتِهِ وَشَجَاعَتِهِ وسُرْعَةِ خَاطِرِهِ.

أخلاق العرب

حديث في الخيال مع سَفّانة بنت حاتم

أخذوا «سَفَّانَةَ» سَبْياً، فأخذتها العيون من كل جانب، وتمنّاها كل طامع في الإنجاب، لجمالها وشمائلها.

قالوا: مَن الفتاة؟

فقالت وقد تلفتت إلى سيد القوم:

- أنا ابنة الرجل الجواد! أنا (سَفّانة) بنت (حاتم الطائيّ).

فأقصر كل طامع، وأتلعت الأعناق إلى سيد القوم.

فما لبث غير قليل حتى قال:

- اتركوها، فإن أباها كان يحبُّ مكارم الأخلاق.

وهزّت مروءة (حاتم) أريحيةَ الناس حيّاً وميتاً؛ فتباروا في إغداق العروض، واتقاء الأعراض.

وغضَّت من بصرها وقد ترنحت أعطافها زهواً، فاقتربتُ منها في غفلة إلا من التقى والحياء! وقلت:

- يزيدكِ الله صباحة وفصاحة يا سيدتي إذا حدّثتني عن أبيك.

قالت: بل أحدّثك عن نوادره!

ذبح أبي فرسَهُ وأطعم صبية الجيران لحماً كالأهداب، وأنا وإخوتي نتضاغى من الجوع، فقالت أمي:

- هلا أطعمت عيالك؟

فاربدَّ وجهه وكاد يقول قولاً غير كريم. لولا أن سمع الصبية الجياع يتضاحكون غبطة وشبعاً، فسُرّي عنه، وعاد إلى وجهه البشر، وترقرقت في عينيه دموع الشكر!

ولو أنك يا «مصري»..

قلت: سيدتي!؟

قالت: لا تغضب! ولو أنك يا ابن «بُناة الأهرام».

قلت: إن فرس أبيكِ أَخْلَدُ دنيا وآخرةً من أهرام «خوفو» وأصحابه. فدعيني من النسب الذي ترشينني به وقولي «ولو أنك يا عربي!»، وإذا تلطفتِ أضفت إليها: «وأعني يا مصري!».

قالت: وسار أبي في مَهامِهِ قفر لا تتوسمه أصحابها ولا تنبحه كلابها! فإذا بأسير زائغ العين مرتعش البدن، يتلوَّى في قيدٍ ذرعُه الويل! إلى وَتِدٍ يُقعد الأسد! فإذا بالأسير يتعرف أبي فيهتف به:

- قتلني الأسار والقمل.

فأرقل أبي حياء من الفقر، فصاح الهالك:

- يا أبا «سَفّانة»!

فشك غير طويل، ثم هرع إليه فقال عاتباً:

- أسأتَ إذ نوّهت باسمي في هذا الموضع.

كان أبي مفلساً، وكان القوم لئاماً.

قلت: قفي يا سيدتي...

فوقفتْ!

قلت: قفي القول إذا أحببتِ! فإن عندي ما أقوله.

قالت: تكلم غير باغ ولا لائم.

قلت: لماذا لم يناده «يا أبا عَدِيّ» وأخوك يا سيدتي فخرُ (طيء) أسلافها وأخلافها؟

قالت: هو ما تقول، ولكن أبي وأضرابه - ممن تسموا أو تكنوا بأسماء القوارير منا - رغبوا في إفهام (التاريخ) أنه إذا كان في العرب من يئد البنات فإن فيهم من يتخيرهن على حُماة الدار، ودافعي العار! فها أنت ترى أن أبي وأضرابه محوا سطوراً من التاريخ لا تلين لها الأحداق، وأثبتوا سطوراً تسبح فيها الأناسيّ في رقة وعطف وإشفاق!

قلت: عافاك الله يا صبية.

قالت: أنا (سَفَّانة).

وكأنها رأتني خجلتُ فافترَّتْ ثناياها عن ابتسامة أدارت رأسي.

قالت: فتقدم أبي إلى القوم وقال لهم:

- أترونني بديلاً طيباً عن أسيركم؟ (أو قال شيئاً كهذا...).

فرأوا عوارف وشمائل، وتوسموا وفرة الندى فقالوا: هلم ووضعوا الأدهم في يَدَي أبي وفي قدميه، وقرنوه إلى الوتد وأطلق الأسير ساقيه الهزيلتين للريح، وكان رجلاً يؤثر المروءات، فطفق يمرّ بأمواه العرب يبدئ ويعيد.

قلت: ففزعوا فافتدوا أباكِ؟

قالت: بعشر ديات!

قلت: فدية الملوك؟

قالت: نعم.

قلت: وماذا أيضاً؟

قالت: ولطمته جارية لما أرادته لفصد بعيرها فذبحه!

قلت: ضلة لها! أو مثل (حاتم) يفصد الأباعر؟ ليتلقى الدم في إناء فيطبخه على النار الهادئة فيأكله إذا تقطع قطعاً هو وأضيافه؟

قالت: كان ذلك سائغاً في (الجاهلية الأولى والأخيرة) حتى حرّمه علينا هذا الذي منَّ عليَّ بالحياة! وحفظ عليَّ العفة!

قلت: ألا تعرفينه؟

قالت: عرفته.

قلت: من هو عليه الصلاة والسلام؟

قالت: أنت قلت!

فلما فصد بعير الجارية قال:

- هذا فَزْدِي إنه! (وهذه لغتنا).

قلت: ولغة نصف المصريين، ولعل هذا هو سبب الكرم والغفلة اللتين تنقَّلتا من (طيء) إلى أكثرنا! فصرنا «كرماء لضيوفنا» و«مغفلين أمام ذمامنا» فاستمرّي!

قالت: أستمر؟

قلت: تكرّمي.

قالت: فلطمته الأمة وَلَوَدَدْتُ أن الأرض كانت أنبتتني عندها!

فضحكتُ من الجمال الغاضب.

قالت: ولكنَّ أبي يعرف مواضع الإيلام في نفوس النسوة! قال: «لو ذات سوار لطمتني!».

قلت: نحفظها أو على الأصح يحفظها أكثرنا في رواية أخرى!

فقالت: أوَبعد ما سمعت مني؟

قلت: لا لا.

قالت: لن أحكي إذن.

قلت: أغضبتِ يا عزيزتي؟

قالت: أنا «سَفَّانة»!

قلت: يا «سَفَّانة»...

قالت: أراد أبي أن يؤلم الجارية فيشعرها بتعطلها من الحلي وبأن الحرائر شيء والإماء شيء!

قلت: لو أنه قتلها ما بلغ من كيدها ما بلغ!

قالت: ما أراد أبي ذلك، وإنما أراد أن يلقي عليها درساً خالداً يشلّ ذراعها ويقبض كفها عن الصفع واللطم!

ثم وهب لها بعيراً عظيماً جسيماً كأنه الفيل أو الزندبيل!

قلت: أو ماذا؟

قالت: الزندبيل! وهو الفيل المستوي الخلق، وإذا شئت يا هذا فقل عنه إنه كبير الفيلة وسابقها إلى المرعى وإلى الحرب.

ولم تكن خلاّت الإيلام - مهما لطفت وشفت - مِن طبيعتي ولا من طبع أبي، ولكنه أراد تهذيب الجارية، ونظر إلى رجل سيئ الطبع ربما بطش بها ولم يتعفف من الثدى والدمى!

قلت: هذه هي البلاغة.

قالت: مثلك من يقرظ مثلي!؟

قلت: إن مدحنا غضبتم، وإن سكتنا تمعّرتْ وجوهكم، وإن تهجمنا عليكم تصدّت لنا حروف العربية متوعدة مهددة!

قالت: وطلقتْ أمي أبي لما أتلف ماله ومالها على مكارم الأخلاق، ثم استعادته - أي أبي - لما لج في البذل! ولما قال: أماويَّ إن المال..

قالت: ومات أبي فرغب (أبو الخيبريّ) السليط المخاتل في فرية يخلد بها ذكره، فجاء إلى القبر فقال:

- أطعم أبا سفانة قراكا..

فتململ القبر لما وسع الجود ميتاً، ولو كان حياً...

قلت: لضاق حتى تصدّع!

قالت: بلى ورب البيت!

ثم قال السليط المخاتل:

- فسوف أنبي سائلي نتاكا!!

(يعني عجزك عن البذل! مع اشتهارك به...)!

قلت: ليتني لقيته!

قالت: أسكت! لقد أفزعه أبي إفزاعاً لا ينساه، ولو عمِّر ما عمر نوح! جاءه لما أخذه النوم وعيناه - عينا أبي - تقدحان بالشرر فقال:

أبا الخيبريّ وأنت امرؤ ظلومُ العشيرة شتَّامها
لماذا أتيت إلى رمة بدويّة صخبت هامها
وتبغي أذاها اعسارها وحولك طيٌّ وأنعامها

وكان أبي فارساً قليل الأكفاء وكان جميلاً، وسيماً، شرك القلوب وقيد العيون و...

قلت: وكان يحب مكارم الأخلاق!

❋ ❋ ❋

أما بعد فهذا الفضل كله لرجل «كان يحب مكارم الأخلاق» فيا ليت شعري ما الذي تقوله عنا يا... عليك الصلاة والسلام!؟

«أديب»

في المجتمع

* فضيلة الملائكة عند الناس أنهم لا يكابدون ولا يحزنون؟ أفلا تكون فضيلة الناس عند الملائكة أنهم يكابدون ويحزنون؟

* أعظم الشعراء وأعظم الفلاسفة من بلغ درجة الطفل... في أن جل حكمه على الدنيا من الشعور لا من الفكر.

الرافعي

التائه في الصحراء

ضَلَّ رَجُلٌ الطَّرِيقَ، وَهُوَ مُسَافِرٌ في الصَّحْرَاءِ فَهَامَ على وَجْهِهِ أَيَّاماً، لا يَجِدُ طَعَاماً ولا شَرَاباً، ولا أَنيساً وَلا دَلِيلاً، وَلَمَّا أَشْرَفَ على الهَلَاكِ، شَرَعَ يَحْفِرُ الرَّمْلَ باحِثاً عنْ شَرْبَةِ ماءٍ يَدْفَعُ بهَا عَنْ نَفْسِهِ غائِلَةَ المَنُونِ، وَبَيْنَمَا هُوَ كَذلِكَ وَجَدَ كَنْزاً ثَميناً فَصَدَفَ عَنْهُ، ثُمَّ أَنْشَدَ:

أُرِيدُ مِنْ زَمَنِي ماءً فَيَمْنَحُنِي ... مالاً، فما ذلِكَ التَّنْغِيصُ يا زَمَنُ؟
أَيَنْفَعُ المالُ، وَالإنْسَانُ في ظَمَإٍ ... أَمَامَهُ الموتُ، لا قَبْرٌ ولا كَفَنُ؟
ما كلُّ ما يَتَمَنَّى المَرْءُ يُدْرِكُهُ ... تَأتِي الرِّياحُ بِما لا تَشْتَهي السُّفُنُ

شباب الرافدين والمثنى بن حارثة

شبابَ الرَّافِدَين لقد تغنَّى بمدحكمُ الوفاء هُنا وهِنَّا[١]
تمنيتُ السُّماك لكم مجالا لو أن المرء يُعطى ما تمنى
تعهّدتم أُبوّتكم ببرٍّ إليه الدينُ والدنيا اطمأنَّا
ولم تَدَعُوا العقوقَ ينال منكم كما أصمى دعاةَ الهزل منَّا
جروا وجريتمُ شوطا ففزتُم وخفُّوا هُمْ عن العلياء وزْنا
رجعتم عونَ أمتكم، وعادُوا على أمجادهم للخصم عونا
فكنتم منهمُ خيراً وأنقى أديمَ قريحةٍ وأحدَّ ذهنا
وما برٌّ بوالده حفيٌّ كمن يُنحى عليه أذى وطعنا
ولا متوقحٌ للشك يدعو كمن يبغي الهدى ويقول حُسْنا
وهل غاوٍ بنابليونَ يَهذِي كهادٍ يقتفي أثرَ (المثنَّى)
نحائزُ بعضها يرفضّ طيباً يضُوع، وبعضهن يفيض نَتْنا
وقد يسمو الشقيق على أخيه ويصبحُ سيِّداً وأخوه قنَّا[٢]
وهل منع اتحاد الأصل أن لا يعادلَ في الفروع الغصنُ غُصْنا

❁ ❁ ❁

(١) هناك.
(٢) عبدا.

شبابَ الرَّافدَين إلى المعالي فُرادَى من مَنادِحها ومَثنى
لقد نمَّ اتجاهكُمُ عليكم ومُوجزَه عن الإسهاب أغنى
رجوناكم لأمّتكم فكنتم لعمري عند ما نرجُو وأسنى(١)

محمد النجمي

في الأسرة

● كل أب يضرب أولاده المساكين هو نابليون، ولكنه نابليون داره فقط.

● إذا أصبت زوجين يتمنى أحدهما موت الآخر؛ فلن تجد لهذا الآخر عملاً إلا أن يغيظ صاحبه كل يوم بأنه لم يمت...

● أيهما الذي تحبه المرأة؟ الرجل القويّ بأنواع القوة يعجبها فتراه سيدها، أم الرجل الضعيف ترى نفسها سيدته؟ هذا هو جواب طبيعة المرأة على طلب المساواة بين الرجال والنساء.

مصطفى صادق الرافعي

(١) أكثر وأزيد.

آراء في الزواج

تزوج ابنةَ والدةٍ صالحة.

«فولتير»

من تزوج على عجل ندم على مهل.

«كونجريف»

يكون نصف خلق الرجل قبل الزواج، والنصف الآخر بعده.

«سيمونز»

متى تزوج الرجل والمرأة، انتهت روايتهما، وبدأ تاريخهما.

«روشيرون»

الرجل الذي يتزوج امرأة فوق مرتبته يبيع حريته.

«ماسنجر»

حُكم الرشيد وعلمه

كان الرشيد رغم اشتغاله بأمر الملك وانصرافه إلى تدبير شؤون دولته، أديباً بارعاً نادر الذكاء، قلما يخطئ ما تنطوي عليه بغية كل جليس يحادثه أو سائل يسأله.

دخلت عليه امرأة ذات يوم وهو بين جُلاسه من فحول الأدب وائمة البيان، فقالت:

- أتم الله أمرك، وفرَّحك بما أعطاك. لقد قسطت بما فعلت، زادك الله رفعة.

فلما سمع الرشيد قولها التفت إلى جلسائه وقال: أعلمتهم ما تقصده المرأة من كلامها؟ فقالوا: ما فهمنا من كلامها إلا دعاء لك بالخير. فقال: لا بل دعاء عليَّ. فقالوا: وكيف ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال: أما قولها: أتم الله أمرك، أرادت به قول الشاعر:

إذا تمَّ أمر بدا نقصه ... توقع زوالاً إذا قيل تم

وأما قولها: فرّحك الله بما أعطاك، أرادت به قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤].

وأما قولها: لقد قسطت بما فعلت، أرادت به قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥].

وأما قولها: وزادك رفعة، أرادت به قول الشاعر:

مـــا طـــار طـــيـــر وارتـــفـــع إلا كـــمـــا طـــار وقـــع

ثم التفت إلى المرأة وقال لها: ما حملك على هذا الكلام؟ قالت: إنك قتلت أهلي وقومي. فقال: ومن أهلك وقومك؟ فقالت: البرامكة. فأراد أن يجزيها ببعض المال، فأبت ومضت في حال سبيلها.

الزواج بالأجنبيات

قل للشباب، شباب مصر تحية ماذا جنت بنت الحمى فهجرتها؟
قاطعتها بالأجنبية، والتي قاطعتها إحدى يديك قطعتها
هبها أقل كما زعمت مداركا ما ضرّ لو أنصفتها فرفعتها
ربتك مصر ومذ دعتك عصيتها ودعتك نفسك للهوى فأطعتها
وطنية هزلت لدى أربابها وحمى على يد حافظيه قد انتهى

محمد الهراوي

خواطر صائم

للشاعر الكبير الأستاذ محمد النجمي

- ١ -

أين القوي؟

صاموا وهَا هي ذِي المساجدُ لم تَزلْ تَكْتَظُّ منهم بالصُّفُوف قياما
فعلامَ لا يمشون غيرَ القهقرى والنّاسُ دونهمُ تَسير أمَاما
وعلام يلقون القيادَ لغيرهم جبناً ويرضون الهوان مُقَاما
ما ذاك إلا أنهم جعلوا الهدى في وِجْهَتيه إقامةً وصيَاما
يا قوم حسبكُم فتلك وسائل لم تدركوا من غايهنَّ مراما
أين القُوى اللَّاتي يقومُ بها الهدى ويجل في عين الخصوم مقَاما
أين الجهادُ وأين منه شعوبكم ضَيَّعتم بضياعِهِ الإسْلاما
يا داعيَ الإسلام قدْك فإنما تدعو - فَتَشْقَى بالدّعاءِ - نِيَاما
أرأيت قبلَكَ داعياً شقّ الثرى يَوماً فرَدّ إلى الحياة رِماما
أغْرَوا بهمْ شرَه الأجانب حينما جعلوا الجهادَ شكايةً وكَلَاما
ما في الكلام سوى تَعِلَّة عَاجزٍ فإلامَ نلْهو بالكلام إلام

-٢-

خوف الردى

قهروا البلادَ بأهلها فجنودهم ... من خلْف أجناد البلادِ تقومُ
أيقاتلُ الأحباشَ من هو منهمُ ... طَوعاً لتنعمَ بالبقاءِ الرّومُ؟
ما كان يرمي ذو القرابة أهلَه ... بالنار لولا أنه مَظلومُ
يرضى الضعيفُ من الحياة بعارِها ... خوف الردى وهلاكه محتومُ
إن عاش عاش من الحياة بنجوةٍ ... أو مات مات وعِرِضُهُ مكلومُ
أدنى الشعوب من البهائم رتبةً ... شعب يقرُّ على الأذى ويُقيمُ
وأضلُّ خلق الله سعياً أحمقٌ ... يغري العدوَّ بنفسه ويلومُ
وأذلُّهم للذلّ ظهراً أمةٌ ... حبلُ التكاتف بينها مجذومُ
من يُعلمُ الزعماء أن نجاحهم ... والصدق يجمع بينهم معلومُ
رُوضوا النفوسَ على الوفاق فإنه ... بالفوز إن صَفَتِ النفوسُ زعيمُ

❁ ❁ ❁

أغرى بنا طمعَ الأجانب أنهم ... وجدوا نفوساً بالحياة تهيمُ
اللهو منها بالغٌ ما يشتهي ... والجدُّ في نزعاتها معدومُ
يا مُوليا حبَّ الحياة همومه ... رفقاً بنفسك فالحياة همومُ
قد كان عُذْرك في صنيعك قائماً ... لو أن مائدة الحياة تدومُ
ما بالُ منْ عرف المنيّة قَصْرَهُ ... يرضى الدَّنيَّةَ؟ إنه للئيمُ

- ٣ -

رزايا أمة

أهابك أن ترى رمضان ولَّى ... وما عرف الغواةُ له مَحلّا
أضاعوا ليله لعباً ولهواً ... وأفْنوا يومه شرباً وأكلا
وكانوا باجتناب الإثم فيه ... ونبذ اللهو والشهوات أولى
ولكنْ أنفسٌ بالشرّ هامت ... فولاها المهيمنُ ما تَولَّى[1]
وربَّ مُقارفٍ بالصوم جرماً ... يفوق جريمة الإفطار هولا
إذا مرَّ الذباب به تأذّى ... وكال لسانه الأقذار كيلا
وإن عاتبته انتحل اعتذارا ... إليك من الصيام به فأدلى
كأن الصوم أقرضه سلاحاً ... ينال به من الأعراض نيلا
وآخر يلبس التقوى شعاراً ... نهاراً حين يغشى الإثم ليلا
يشارك في المدامة كل شَرْبٍ[2] ... ويقلب حظرها بالفعل حلا
ويلهو بالقمار ولا يبالي ... أأَصعد في الخسارة أم تدلى
ويطرقها مواطِنَ موبقاتٍ ... ترد خصوبة الأخلاق محلا
وثمتَ من يصوم ولا يولِّي ... صحيفةَ وجهه شطرَ المصلّى

(١) تولى: بحذف إحدى تاءيه.
(٢) الجماعة يشربون.

وذو جِدةٍ يقوم بذا وهذا[١] ويمنع رفده قولاً وفعلا
فلو سيمَ الصلاة بنصف قرش لباعك زاهداً ما كان صلى[٢]
رزايا أمة[٣] سارت فجرَّت بهم من خلفها للضعف ذيلا
وسؤر جهالةٍ إن لم نرِقه فلسنا للعلا والعز أهلا

* * *

أجدَّك هل ترى رمضان يُجدي على أمثالهم بالصوم فضلا
وهل تُفْضِي محاسنه إليهم بما أفضت به للناس قبلا
فيا من ظن أن الصوم جوع وحسبُ، لقد حَسَبْتَ البعض كلا
فحسبك منه محضُ صدى وجوع ثواباً إن ربك كان عدلا
ويا عبدَ الطعام طعِمتَ ناراً بفطرك عامداً وشربت مُهلا
ألا تُرضى إله العرش شَهْراً وقد أرضيتَ حظ النفس حولا

محمد النجمي

---

(١) الجدة: الميسرة.

(٢) أي لو كلف أن يؤدي نصف قرش على كل صلاة يؤديها لما اكتفى بالرفض بل لباعك ما صلاه مقابل أن لا يدفع شيئاً.

(٣) المقصود بالرزية هنا: الناقة الهزيلة التي لا تصلح للركوب بل تعوق صاحبها عن السير.

صبية تغلب عدة من الشعراء

قال الأصمعي: اجتمع عدة من الشعراء - منهم حميد بن ثور ومزاحم بن مصرف العقيلي، والعجير السلولي - فقالوا: ايتوا بنا منزل يزيد بن الطَثَرِية نتهكم به. فأتوه، فلم يكن في منزله، فخرجت لهم صبية له تدرج، فقالت:

- ما أردتم؟

قالوا: أباكِ

قالت: وما تريدون منه؟

قالوا: أردنا أن نتهكم به.

فنظرت في وجوههم ثم قالت:

تجمعتمُ من كل أفقٍ وجانب ... على واحد، لا زلتُم قِرنَ واحدِ

قالوا: فغلبتنا واللهِ!

هلال العيد

بَدا كالنصل شارِقُه ولاحا فقلْ للصائمينَ عِمُوا صَباحا
وأينَ المفطرون الآن هلاَّ زَوَوْا عنا وجوهَهُم القِباحا
أَضاعوا فرصةً للخير كانوا بها خُلَقاء لو رُزقوا النجاحا
ولكنَّ النفوسَ إذا تمشّت مع الخُسران أخْطأَتِ الفلاح

❊ ❊ ❊

هلال العيد هل نبأٌ جديد يزيل الهمَّ أو يأسو الجراحا
ويُمكنُ مِن نَواصي الجدّ شَعباً لقد سَئم الفكاهة والمزاحا
ألا تنفك تشهدُ كل عامٍ تراثاً ضائعاً ودماً مُباحا
ومَهزلةً تمرّ وراء أخرى تزيد جوانبَ الهمِّ انفساحا
وهلاَّ يَسأَمُ الدهرُ المعادي فيُلقى ساعةً عنه السلاحا[(١)]
ينفس في مَداها عن نفوس لشذّاذ الهموم غدون ساحا
بناتِ الدهر هلْ طارتْ مساءً بهذا النحس طيرُكِ أم صباحا
وهل لم تُلْفِ دون الشرق مأوى رِكابك في البلاد ولا مراحا

❊ ❊ ❊

(١) سب الدهر لا يجوز - كما سبق في الأجزاء الأولى -؛ لقوله ﷺ: «لا تسبوا الدهر...» أخرجه البخاري (٧٤٩١) ومسلم (٢٢٤٦). (س).

أقلِّبُ في بلاد الشرق طرفاً ... على أَطلالها أَلِفَ النواحا
فلا أرمي به إلا ضياعاً ... تضيع سُدىً وملْكاً مستباحاً
وأسرَى في القيود لها ضجيج ... يَحورُ بسمع غالبهمْ نُباحا
أولي عَددٍ إذا ما انهلّ غطى ... سهولَ الأرض وانتظم البطاحا
وملك يذكر التاريخُ عنه ... عجائبَ عِطرها في الكون فاحا
تخلّوا للعدا عنه وراحوا ... يطيلون الشكاية والصِّياحا
وقد حفظوا الكتابَ لدفّتيه ... وأَملَوْا بعدَه الستَّ الصحاحا
وماذا يفعل القرآن إن لم ... يجدْ جيشاً يَصُولُ ولا سِلاحا
سلوا القرآن عمن أوطأُوه ... صدورَ الأرض يعمُرها صلاحا
أكانوا جِنة بالموت تهوي ... على الأعداء أم قدراً مُتاحا
سلوه عن أوائله وعمَّن ... غدا في المجد بعدهم وراحا
أكانوا حين تشتجر العوالي ... بأنفسهم على البلوى شِحاحا
قَعدتم بعدَهم ومضى سواكم ... وعاد عليكم يلقي القِداحا
فليت الدين وهو يُقلّ منكم ... روازحَ قد أطال بها الرِّزاحا
ويحمل عنكم عبئاً ثقيلاً ... رمى بكم المقابرَ واستراحا

* * *

هلالَ العيد كيف السيرُ إني ... أرى سُفناً ولا أَجد الرِّياحا
أعندك ما يزيلُ الروْعَ أو ما ... يُحرِّك في الصُّدور الانشراحا

غرة شوال، ١٣٥٤

محمد النجمي

يا عيد! . . .

إذا غربت الشمس فكله حتى الفجر ليل، وإن اختلفت الساعات وتباينت الأسماء.

وإذا ذهبت العافية فكله حتى عودتها داء، وإن كرَّت الأصباح والأمساء، ويسَّر الموتَ للمريض الدجالون من الأطباء.

وإذا أقيمت الأحراس، وأحصيت الأنفاس، فكله سجن، وإن اتسع الفِناء، وضخم البناء، حتى تُرَدُّ الأسلاب وتقرَّ في نصابها الأشياء.

يا عيد ليتك لم تطلع على أحد   أو ليتني أنا ما خُلِّفْتُ للعيد

يا عيد،

يا عيد، عيدَ الأعزَّة الأقوياء، أو الأذلة الأغبياء، أو الأولون، فيمرحون ويبطرون، أو يشكرون نعم الله لديهم! وأما الآخرون فيهذون، ويهزلون ويتخرقون، وتحقّ كلمة الله عليهم. وكلا الفريقين في التبعة سواء.

يا عيد،

نكذِبك، ونكذب أنفسنا، ونكذب العلم، إذا ادَّعينا أننا نحييك أحياء غبطة وجذل. فنحن لا نفرح، بل نحن لا نعرف الفرح. ذلك بأننا لا نحزن، ومن لا يحسن الحزن لم يحسن الفرح.

يكذبون.

يكذبون، يا عيد، إذا قالوا إنهم يفرحون، فوالله لو فرحوا لحزنوا، ولو حزنوا لفطنوا، ولو فطنوا لما أمِنوا ولو كانوا كذلك لما جبنوا، ولا وهنوا.

وكل ما ترى وتسمع منهم يا عيد، إنما هو أصداء، ومحاكاة واقتداء، والقوم أموات كأحياء، ورجال كنساء، وإن ضخم القول وعرض الادعاء.

يا عيد!

أعزز على الأسود بأن تنقلب حمائم تغريداً وهديلاً، وعلى العواصف والزعازع أن تستحيل نسائم برداً وطيباً وهواء بليلاً. وأعزز على هذا القلم أن لا يلهب حيث يسري، وأن لا يكتسح حيث يجري. وأن لا يصرّ بين يدي الحتوف، وفي ظلال السيوف، وحيث تتقوّض الصفوف فتقوم من ورائها الصفوف.

يا عيد!

ولو أن قومي أنطقتني سيوفهم نطقتُ، ولكن السيوف أجَرَّت

يا عيد!

لا أدري لم يسمونك عيداً، ألأصباغ والألوان، أم للجديد الزريّ، مما يحملون من أكفان، أو يجرون من أرسان. ألا شاهت النفوس، وشاهت الوجوه والأزياء.

يا عيد!

كان سلف هذا الخلف يحيون أيامك في بلاد أعدائهم فاتحين أقوياء، لكن خلفهم يحيي أعداؤهم أيامك في بلادهم سادة أصلاء، ويحيونك هم

في بلادهم وبلاد آبائهم غرباء طرداء. فأي عيد أنت، إلّا إذا بُدّلت الأرض غير الأرض وعادت السماء وردة كالدِهان، وما ذلك بعزيز على الله، ثم على المستبسلين الأقوياء.

سليمان التاجي الفاروقي

حكم

● خُلق الناس بعضهم لبعض، فيجب أن نعلمهم أو نحتملهم.

«لاروشفوكور»

● الأنظمة المبنية على الحكمة تُصلح أحوال البشر.

«بونالد»

● في الحرب تكون نسبة القوة الأدبية إلى القوة المادية ٣ إلى ٤.

صوم الشعر

أصائمٌ أنت يا شعري فأرتاحا ... مما ألاقيه أمساء وأصباحا
أجهدتُ فكريَ حتى كاد يجعلني ... نضوا، إذا الريح هاجت عوده طاحا
أمرُّ بالبؤس في ثوب فأرسمه ... بؤساً تطالعه الأبصار لماحا
وأشهد الضيق في دار فيؤسفني ... ألا تكون لها دارُ الرضا ساحا
وأسمع الجارَ يشكو حين أسمعه ... كأنما هو قلبي صار سحّاحا
وأرقبُ الطفلَ يبكي فقد والده ... فأحتسي من لظى وجدي به راحا
معنى من النار يا شعري أؤججه ... في أضلعي بيدي رمزاً وإفصاحا
أصائمٌ أنت يا شعري وما طعمت ... هذي الجوارحُ إلا الجوع ملحاحا
أم لا تزال لجوجاً ثائراً ولهاً ... إذن أقاسي عناء منك برَّاحا
قالوا: أتتركه والحرب ساعرة ... وذاك شؤم بنيها في الدُّنى لاحا
وليس إلا بيان الناس يلهبها ... بالشعر هلكا على أطلالها صاحا
والطعن بالطعن إبقاءً ومعدلةً ... والسيف بالسيف بتَّاراً وجرَّاحا
ومن ينمْ الليالي غافياً ثملاً ... جرَّتْ عليه الليالي البينَ نوَّاحا
فقلت: يا قوم، كفوا، إن حاجتنا ... للجيش في مصر غدَّاءً ورواحا

إبراهيم علي أبو الخشب

ما

- ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن.
- ما خيرٌ خير لا يُنال إلا بشرّ.
- ما مات من أحيا علماً.
- ما عفا عن الذنب من قَرّع به.
- ما رأيت تبذيراً إلا وإلى جنبه حق مضيَّع.
- ما السيف الصارم في يد الشجاع بأنجى له من الصدق.

أعرابيّ في حمام دمشق

صحبَنا في رحلتنا البرية إلى الحجاز، دليلٌ شيخ من أعراب نجد يقال له «صلبي» ما رأيت أعرابياً مثله قوة جنان، وفصاحة لسان، ولولا مكان النبرة البدوية من لسانه، لقلت قد انصرف الساعة من سوق عكاظ لبيان لهجته، وقوّة عارضته، وكثرة ما يدور على لسانه من الفصيح... وكان أبيّ النفس، أشم المعطس، عالي الهمة كريم الطباع، لكن فيه جفوة الأعرابي..

رافقنا أياماً وليالي، فما شئنا خلة من خلال الخير إلا وجدناها فيه: كان يواسينا إذا أُصبنا، ويؤثرنا إذا أضقنا، ويحمينا إذا هوجمنا، ويحرسنا إذا نمنا، ويقنع إذا قسمنا، ويشكر إذا أعطينا، ويصبر إذا منعنا، ويعذر إذا اعتذرنا، ويعفو إذا أسأنا، ويلين إذا اشتددنا، ولا يشتدّ إذا لنّا، على خفة روح، وسرعة جواب، ونكتة حاضرة، وشجاعة نادرة. قلنا له مرة:

- إن «صلبة» في عرب اليوم، «كباهلة» في عرب الأمس، قبيلة لئيمة خسيسة، يأنف الكرام من الانتساب إليها، وأنت فيما علمنا سيد كريم، من سادة كرام، وليس لك في هذه القبيلة نسب، فما بالك تدعى «صلبي» ولا تغضب؟

فقال: - صدقتم والله ما أنا من «صلبة» ولا «صلبة» مني، وإني لكريم العمّ والخال، ولكن لهذا الاسم قصة أنا قاصّها عليكم.

قلنا له: - هات.

قال: - كان أبواي مُشْكِلَين لا يعيش لهما ولد، فلما رُزقا بي تاسع تسعة ماتوا جميعاً، وأعجزتهما الحيلة، احتسبا عند الله مصيبتهما بذلّ الاسم، وسمياني صلبي.

قلنا: - أإن سمياك صلبي عشت؟

قال: - نعم! إن عزرائيل أكرم من أن يقبض روح صلبي؟ وأرفع من أن يمسه بيد[1]...

---

(١) لا يجوز الحديث عن ملائكة الله بهذه السخرية. والتسمية بصلبي أو غيره لا تمنع الموت؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف: ٣٤]. (س).

وسألناه مرة: - هل أنت متزوج يا صلبي؟

قال: - لقد كنت متزوجاً بشرّ امرأة تزوجها رجل، فما زلت أحسن إليها وتسيء إليّ حتى ضقت باحتمالها ذرعاً، فطلقتها ثلاثاً وثلاثين.

قلنا: - إنها تبين منك بثلاث، فلم الثلاثون؟

قال: - صدقة مني على الأزواج المساكين الذين لا يجدون ما يطلقون!...

وطال بنا الطريق إلى تبوك، وكاد ينفد ما كان معنا من ماء، وخشي القوم الموت، فأقبلوا كلهم على صلبي، يتذمرون من بُعد تبوك وطول الطريق، فتركهم حتى إذا نفض كلّ جعبته، قال لهم ضاحكاً:

- معكم الحق، إنها بعيدة، ولكني أقسم لكم بالله إني لم أضعها أنا هناك... وليس لي في بُعدها يدان.

ولم يكن صلبي يعرف المدن الكبيرة، ولم يفارق الصحراء قط إلا إلى حاضرته تبوك (وتبوك قرية فيها ستون بيتاً...) فلما بلغنا - قافلين - مشارف الشام، أغريناه بدخول المدينة، وجعلنا نصف له الشام: رياضها وأنهارها، وعظمها وعمرانها، فيأبى، وكنت صفيّه من القوم وخليله ونجيّه، فجعلت أحاوله وأداوره وبذلت في ذلك الجهد، فلم أصنع معه شيئاً؛ لما استقر في نفسه من كراهية المدن وسوء الظن بأهلها... فتركناه مرغمين، وودعناه آسفين.

وعدت إلى دمشق، فانغمست في لجة الحياة، وغصت فيها إلى أذنيّ، ونسيت صلبي وصحبته، وكدت أنسى الصحراء وأيامها، ومرت على ذلك

شهور. . . وكان أمس، فلمحت في «باب الجابية» وسط الزَّحم الهائل وجهاً أعرفه، فذهبت أنظر إليه فإذا هو وجه صلبي بعينه وأنفه. . فأقبلت عليه مسروراً:

- صلبي. . . هذا أنت؟

- قال: لا صلبي ولا ملبي. . .

- قلت: لم ويحك؟

- قال: أنا في طلبك منذ ثلاث: ثم لا تأتي إليّ.

- فقلت له ضاحكاً: وأي ثلاث، وأي أربع، وأي خمس؟ أتحسبها تبوك فيها ثلثمائة إنسان، إنها دمشق يا صلبي فيها ثلاثمائة ألف نسمة، فأين تجدني بين ثلثمائة ألف؟

قال: صدقت والله!

وأخذت بيده فاستخرجته من هذه الزحمة، وملت به إلى نديّ (مقهى) قريب، فجلسنا فيه، ودعوت له بالقهوة العربية والشاهي، فسُرَّ وانطلق يحدثني فقال:

- لما فارقتكم ورجعت أسير في هذه البادية وحيداً، شعرت بالوحشة وحنيت إلى هذه الأيام التي قضيتها معكم، فاستعبرت وجعلت ألوم نفسي وأقول: يا نفس ما كان ضرك لو أجبت القوم ووردت الشام فرأيت ما لم تري؟ وانصرفت إلى أهلي، فلبثت فيهم شهراً؛ ثم دعاني الأمير فارتحلت إليه، فإذا عنده رهط من أهل الحضر يريدون دليلاً، فسرت معهم أدلهم

حتى بلغت بهم مشارف الشام فدعوني وألحوا عليَّ، فاستجبت لهم فدخلوا بي دمشق . . .

فلما بلغنا «الميدان» وصرنا بين البيوت، رأيت سيارة كسياراتكم تلك، لكنها أكبر وأضخم، ولها نوافذ وفيها غرف، وقد خطّوا لها خطين من حديد فهي تمشي عليهما، فقال صاحبي: هذا هو الترام، فتعال نركب فيه.

قلت: لا والله ما أحب أن أركبه.

فزينوه لي وحببوه إليَّ، حتى استحييت منهم لطول ما يسألونني وآبى، فدخلت ويدي على خنجري إن رأيت من أحد ما أكره وجأته به، وعيني إلى النافذة إن رابني أمر قفزت إلى الطريق، وجلست حذراً، فما راعني إلا رجل بثياب عجيبة، قد شق إزاره شقاً منكراً، ثم خاطه حول فخذيه، وارتدى برداء ضيق، قد عمد إليه فصفف في صدره مرايا صغيرة من النحاس، ما رأيت أعجب منها فبدا كأنه قرد . . . ولم أدر ما هو، ثم رجع إليَّ ما غرب من عقلي، فقلت رومي مجنون من هؤلاء الروم الذين يحكمون الشام، وخفت إن أنا لنت له أن يسطو عليَّ، فسللت خنجري لأغمده في صدره إذا هو انتهى إليَّ، فقام إليَّ صاحبي يقول:

- ما لك يا صلبي، ماذا عراك؟

- قلت: - ألا ترى الرومي المجنون؟

قال: - أي روميّ يا صلبيّ؟ وأي مجنون؟

قلت: - هذا؟ أما تراه؟

قال: - هذا جابي الترام.

قلت: - جبّك الله!

وسكتُّ فقد أقبل هذا القرد على صاحبي، فمدّ إليه يداً كأنها حجر الرحى، فوضع فيها من جُبنه قرشين، فأعطاه بهما فتاتة ورق فما رأيت والله صفقة أخسر منها وعجبت من صاحبي إذ يشتري بقرشين اثنين ورقة ما تصلح لشيء، ولكني جلست صامتاً، وما هي إلا هنيهة أخرى حتى أقبل علينا رجل كالأول، رومي خبيث، إلا أنه أجمل ثياباً وأحسن بزة، فأخذ هذه الأوراق فمزقها... فثارت ثائرتي وقلت: هذا والله الذل، فقبح الله عربياً يقيم على الضيم، ويرضى أن يسام الخسف... وقمت إليه فَلَبَّبْتُه وقلت له: يا ابن الصانعة... أتعمد إلى شيء اشتريناه بأموالنا، ودفعنا فيه قروشنا وتمزقه! والله لأمزقنَّ جلدة وجهك.

وحسبت صاحبي سيدركه من الغضب لكرامته، والدفاع عن حقه مثل ما أدركني، فإذا هو يضحك، وإذا الناس يضحكون لما يرون مني، لأن عمل هذا الرجل - فيما زعموا - تمزيق أوراق الناس التي اشتروها بأموالهم!

ولما نزلنا من هذه الآفة قال لي صاحبي:

- هلم إلى الحمَّام!

قلت: - ما لي وللحمَّام؟

قال: - نغتسل وتلقي عنك أدران السفر.

قلت: - إن كان هذا هو الحمَّام، فما لي بالحمَّام من حاجة، حسبي هذا النهر أغطس فيه فأغتسل.

قال: - هيهات... إن الحمَّام لا يعدله شيء، أو ما سمعت أن الحمَّام نعيم الدنيا؟

قلت: - لا والله ما سمعت.

قال: - إذن تسمع وترى. وأخذني فأدخلني داراً قوراء في وسطها بركة يتدفق منها الماء فيذهب صعداً كأنه عمود من البلور، ثم ينثني ويتكسر ويهبط، وله بريق ولمعان، صنعة ما حسبت أن يكون مثلها إلا في الجنان، وعلى أطراف الدار دكك كثيرة مفروشة بالزرابي والآرائك والمتكآت كأنما هي خباء الأمير، فلم نكد نتوسطها حتى وثب إلينا أهلوها وثبة رجل واحد يصيحون علينا صياحاً غريباً، ويصرخون صراخ من به مسّ، فأدركت أنها مكيدة مدبرة. فانتضيت خنجري وصحت بهم: مكانكم فوالله لا يدنو مني رجل إلا قططت رقبته... فأحجموا وعجبوا ورعبوا. فقال صاحبي: إنه يمزح. ومال عليّ يعاتبني عتاباً شديداً، فقلت: أفلا ترى صنيعهم بنا، أفتحب أن ندعهم حتى يأخذونا؟ قال: إنهم يرحبون بنا ويسلمون علينا لا يريدون حرباً ولا قتالاً.

فصدقته وأغمدت الخنجر، وظن القوم أنه المزاح، فعادوا إلى حركتهم وضجّتهم، يدورون حولنا بقباقيبهم العالية. ويجيئون ويذهبون، وأنا لا أدري ما هم صانعون حتى قادونا إلى دكة من هذه الدكك، وجاؤوا ينزعون عنا ثيابنا، فتحققت أنها المكدة وأنهم سيسلبونني خنجري حتى أهون عليهم، فقد عجزوا أن ينالوني وبيدي الخنجر. فأبيت وهممت بالخروج. فجعل صاحبي يكلمني ويحلف لي حتى أجبت واستسلمت، وللموتُ أهون

عليّ من أن أنزل عن سلاحي، وأمنحهم سلبي حتى يسلبوني، ولكنها المدينة دار الذل والمهانة، وليست بالصحراء، ولو أني لقيتهم في الصحراء لجعلتهم طعمة الوحش والطير. . . حتى إذا تمَّ أمر الله ولم يبق عليّ إلا الإزار أرادوا نزعه عني، فقلت: أما من مسلم في هذا البلد؟ أما من عربي؟ أتكشف العورات فلا يغير أحد، ولا يغضب إنسان؟

فهدأني صاحبي، وقال: أفتغتسل وأنت متزر؟

قلت: لعن الله نظافة الجسم إذا كانت لا تأتي إلا مع نجاسة النفس، ويحك أتراني أضيع ديني وشرفي وأتكشف بعد هذه الشيبة، وتذهب عني في العرب، فتكون فضيحة الدنيا والآخرة؟

قال: ومن أنبأك أنك ستنكشف؟ هلا انتظرت؟

ودعا غلاماً من أغلمة الحمَّام فقام دوني يسترني ستره الله، حتى خلعت إزاري واتزرت بإزار أبيض أعطونيه. وكان صاحبي قد تعرّى كما تعريت فأخذ بيدي فأدخلن إلى باطن الحمَّام! فإذا غرف وسطها غرف، وساحات تفضي إلى ساحات ومداخل ومخارج ملتوية معوجّة يضلّ فيها الخريت وهي مظلمة كالقبر، قد انعقدت فوقه قباب فيها قوارير من زجاج تضيء كأنها النجوم في الليلة الداجية، وفي باطن الحمَّام أناس جالسون إلى أجران ضخمة من الصخر؛ عرى لا يسترهم شيء فعلمت أنهم من الجن، وتعوذت بالله من الشيطان الرجيم، وجعلت ألتمس آية الكرسي فلا أجدها. فأيقنت لما نسيتها أن جنياً منهم لا بدّ راكبني، وجعلت أبكي على هذه الشيبة أن تكون سخرية شبان المدن. . . وإني لكذلك وإذا بالخبيث

يعود إليّ يريد أن ينزع عني هذا الإزار الذي كسانيه... فقلت ويل أمهاتكم! ما ألأمكم! أتأخذون ثيابي وسلاحي؟ ثم تضنون عليَّ بثوب يسترني؟ الرحمة يا مسلمون، الشفقة يا مؤمنون، أأفتضح في الإنس والجن؟

ووثب الجن عليَّ وأحدقوا بي وهم عري، فقفَّ والله شعر بدني، وامتلأت فزعاً، فقال صاحبي وهو يضحك: أعطهم الإزار، لقد أضحكت الناس علينا.

قلت: ويحك، وهل أبقى عريان؟ قال: لا، سيعطيك غيره. إن هذا جديد يفسده الماء.

فاستخذيت وأطعت، وما خوفي إلا من هؤلاء الجن أن ينفخ عليَّ أحدهم فيحرقني، أو يدفعني دفعة فيلقيني وراء جبل قاف!

ودخلت إلى مقصورة من هذه المقاصير، فجلست إلى الجرن حزيناً كئيباً لا أعلم ماذا يجري عليَّ، فبينما أنا على تلك الحال - وإذا بجني عار كأنه قفص عظام، له لحية كشوك السعدان - وددت أنها عشاء لجملي... وقد تأبط ليفاً غليظاً - يا شرَّ ما تأبط! - وحمل ماعوناً كبيراً يفور فوراناً، فتشهدت واستغفرت وعلمت أنه السم، وأنه سيتناثر منه لحمي - وقصد الجني إليّ - فجعلت أفر منه، وأتوثب من جانب إلى جانب، كأنني دجاجة تفر من سكين الجزار وهو يلحق بي ضاحكاً؛ ويعجب من فعلي ويظن أني ألاعبه وأداعبه، وصاحبي يقسم لي أنه الصابون.

قلت: - وما الصابون لا أمَّ لك - أمصابون أنتم في عقولكم؟ هذا هو السم، لقد عرفته..

قال: - لا وأبيك إنه الصابون، ولا ينظف شيء مثله.

قلت: - ألا شيء من سدر؟ ألا قليل من أشنان؟

قال: - والله ما أغشك، فجرب.

ونطق الجنّي، فإذا هو والله كلام ككلام الناس، وإذا هو آدمي من أمثالنا، فاطمأننت وجلست بين يديه، وأقبل عليَّ يدلكني دلكاً شديداً، وأنا أنظر هل تساقط لحمي، هل تناثر جلدي، فلا أجد إلا خيراً، فظننت أنه قد أحسن إليّ، وهممت بشكره، لولا أن ظهر أنه شيخ سوء من القوم الذين أهلك الله، فقد كان يتغافلني ويمد يده من تحت الإزار، فيمس فخذي وساقي، فقلت: لو نجا منه أحد لأنجتني هذه الشيبة، وجعلت أهم بهشم أنفه، وهتم أسنانه ثم أدعه، حتى انتهى وصب علي الماء سخناً، فشعرت والله كأنما نشطت من عقال، وأحسست الزهو والخفة، فصحت فأنكرت صوتي فقلت: ما هذا؟ أينطق على لساني مغن من الجن؟ وأعدت الصيحة فازددت لصوتي إنكاراً، فاستخفني الطرب وجعلت أغني وأحدو، فقال لي صاحبي: هل استطبت صوتك؟

قلت: إي والله. قال: أفلا أدلك على باب القاضي؟

قلت: فض الله فاك. ما لي وللقاضي؟ هل أحدثت حدثاً؟ هل آويت محدثاً؟ هل...

قال: ألا تعرف قصة جحا؟

قلت: لا والله، فمن جحا؟ وما هي قصته؟

قال: كان جحا عالماً نحريراً، إلا أن فيه لوثة، وكان خفيف الروح فدخل الحمَّام مرة فغنى فأعجبه صوته فخرج من فوره إلى القاضي فسأله أن ينصبه مؤذناً، وزعم أن له صوتاً جميلاً، لا يدخل أذن رجل إلا حمله حملاً فوضعه في المسجد.

فقال له القاضي: فقم على المنارة فأذن نسمع، فقام فأذن؛ فلم يبق في المسجد أحد إلا خرج هارباً يتعوذ...

فقال له القاضي: أي صوت هذا؟ هذا الذي ذكره الله في الكتاب!

قال: أصلح الله القاضي، ما يمنعك أن تبني لي فوق المئذنة حماماً؟

ولمح «صلبي» أعرابياً من أهل نجد يمر في الطريق، فقال لي: انتظر! وخرج يعدو وراءه...

.... ثم لم يعد!

علي الطنطاوي

كلام الملوك

قال عمرو بن العاص: لا سلطان إلا برجال، ولا رجال إلا بمال، ولا مال إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بعدل.

وقال المنتصر بالله: والله ما ذلَّ ذو حق ولو اتفق العالم عليه، ولا عزَّ ذو باطل ولو طلع القمر في جبينه.

وقال هارون الرشيد لإسماعيل بن صبيح: إياك والدالَّة، فإنها تفسد الحرمة وتنقص الذمة، ومنها أتي البرامكة.

وقال عبدالله بن المعتزّ: ما أبين وجوه الخير والشّر في مرآة العقل إذا لم يصدَّها الهوى.

مصر العروس في نهضتها للحرية والاستقلال

قل ما أردتَ، فما عليكَ جُناحُ ... أسدىً كذلك تذهب الأرواحُ
يا للضحايا الحاملات جِراحها ... يُغدَى بها محمولة ويُراحُ
فتك السلاح بها حواسرَ ما لها ... غير النفوس الوالهات سلاحُ
هتْفت تُحيّي مصرَ في أتراحها ... فتخرَّمت وتوالتِ الأتراحُ
أودَى رصاصُ القاذفين بفتية ... هم بالنفوس لدى الفداء سماحُ
غضبوا لمصر تُصاب في آمالها ... ولحقّها الغالي المصون يُباحُ
عصفت بهم أيدي الرَدى، فكأنما ... عصفت بريحان الرياض رياحُ
يتساقطون مهذَّباً فمهذباً ... غضّ الشباب جبينه وضاحُ

النورُ في دمه المطهر مُشرق ... والطيب منتشر الشذَى فياحُ
يا للشباب جرى على آماله ... قدرٌ من الموت الزؤام مُتاحُ
ذُخرُ البلاد أضاعه أبناؤها ... فمضى يشيّعه أسى ونواحُ
خطبٌ تبيت له المدائن والقرى ... شتى الجراح، وما درى الجرّاحُ
لا الليلُ ليلٌ من تطاول همها ... للغائبين، ولا الصباح صباحُ
تبكي على الفتيان في آنافهم ... شممٌ، وفيهم نخوة وطماحُ
بِيض الصحائف والمواقف ما بهم ... خَوَرٌ، ولا هم بالنفوس شحاحُ
شهداء حرب، ليس من أبطالها ... من سلمه حرب لنا وكفاحُ
يُوحى فتنطلق السهام، وما رمى ... أيدي الرماة سهامه والراحُ
ملكَ السواعدَ والمناكب، فهي في ... يده سيوف للأذى ورماحُ
تلك الحلوم النازعات إلى الهوى ... ما للقضية أو تثوب نجاحُ

* * *

يا قوم جدّوا، لا حياة لمن يرى ... أن الحياة مجانة ومزاحُ
أنظل شتى، والبلاد أخيذة ... يُودَى بها من حولنا ويُطاحُ
أفما لكم أن قام شعب ناهض ... إلا خلافٌ قائم وصياحُ؟!
فبم الخلاف، وقد تبين أمركم ... أفتنكرون الحقَّ وهو صراحُ؟
مصر الحياة، فما لمن لا يتقي ... فيها الأبوة والبنين فلاحُ
داء الشعوب الفردُ ليس يضيره ... شعب يضام، وأمة تُجتاحُ
ما عذر من يأبى الحياة لقومه ... ويقول موتوا، والنفوس صحاحُ؟

الموت للمرضى الضعاف، وهذه — مصر الأبية قوة ومراحُ
نهضت تسدّ على المغير مجاله — وتريه سد الموت كيف يزاحُ
لم يثنها، والظلم يهدر حولها — كالرعد، صوبٌ للردى سحاحُ
نمشي كما مشت العروس، يزينها — من ساطعِ الدم مِطرف ووشاحُ
أغلى اللآلئ قيمة ما ضم من — تلك القذائف تاجُها اللماحُ
نشوَى، ولا غير النفوس مراقةً — من حولها خمرٌ ولا أقداحُ

* * *

أهي المآتم في البلاد مقامة — لشباب مصر، أم هي الأفراحُ
ضرَمُ الحمية يطفئ الضرمَ الذي — يجد الحزينُ ويشتكي الملتاحُ
أتهان مصر، ونحن حول لوائها — الموت أكرم، والقبور فساحُ
مهلاً فلا الحجاج في جبروته — يهوى بنا صبباً، ولا السفاحُ
إنا انطلقنا صاعدين لغاية — للمجد منطلَقٌ بها وسراحُ
ماذا يراد بنا؟ وأين حلومنا؟ — فسد الزمان، فما يرام صلاحُ!
أيطلُّ (هور)[1] على (الكنانة) ناعبا — فيقال غنى البلبل الصداحُ؟
أنروح صماً، والحوادث رجَّف؟ — أنظل بكماً، والخطوب فصاحُ؟
لسنا من الضأن الذليل، فترتوي — منا المدى، ويبيدنا الذباحُ
لا تنعم الأرواح في عليائها — إلا إذا شقيت بها الأشباحُ
ما للسياسة، لا المثالبُ عندها — سود الوجوه، ولا الذنوب قباحُ؟

(١) وزير خارجية بريطانيا في ذاك الوقت.

عرض يشق على الرماة، وراءه وجه يُبَرِّح بالهداة وقاحُ
تلد المظالم، ثم تزعم أنها للعدل بين العالمين لقاحُ
حكم الشريعة من حبائل مكرِها والسورة الغراء، والإصحاحُ
خجلت مسابحها، وتلك مسوحها كادت لطول عذابها تنصاحُ
زيدوا (ملائكة الحضارة) إنه عملٌ لكم ولعصركم فضّاحُ
أنتم (مصابيح الشعوب) وهذه (دنيا الظلام) أنارها المصباحُ
(الشرق) أبصر في الحياة سبيله ومضى، فنعم العامل الكداحُ
الله أكبر، من يكذب وعده ويظن أن الضيق لا ينداحُ
باب الحياة هداية من نوره ولمن يلوذ ببابه المفتاحُ
رب اهدنا، واجمع قوى زعمائنا فلعلنا نُكفَى الأذى ونُراحُ
أنظل صرعى، والمصائب حولنا سود رواكدُ، ما لهن براحُ؟

أحمد محرّم

❁ ❁ ❁

أيام كان الناسُ ناساً

حكى أشعبُ بن جُبَير أنه كان في بعض سكك المدينة، فلقيه رجل وقال له:

- كم عيالك؟

قال: فأخبرته، فقال لي:

- قد أُمرتُ أن أجريَ عليك وعلى عيالك ما كنتَ حياً.

فقلتُ: من أمرك؟

قال: لا أخبر.

قلت: إن هذا معروف يُشكر.

قال: الذي أمرني لا يريد شكرك.

قال أشعب بن جبير:

فمكثت آخذ ذلك إلى أن توفي خالد بن عبدالله بن عمر بن عثمان، فحفل له الناس فشهدته، فلقيني ذلك الرجل فقال:

- يا أشعب، هذا والله صاحبك الذي كان يُجرى عليك ما كنتُ أعطيك.

طفلٌ فارق أمه

قال محمد بن عبد الملك الزيات:

ألا مَن رأى الطفلَ المفارقَ أمَّهُ ... بعيد الكرى عيناه تَبتدِرانِ
أرى كلَّ أم وابنها غير أمه ... يبيتان تحت الليل ينتجيانِ
وبات وحيداً في الفراش تحثُّه ... بلابلُ قلبٍ دائمِ الخفقانِ

ألا أن سَجْلاً واحداً قد أرقتهُ من الدمع أو سَجْلَينِ قد شَفيَاني
فلا تلحياني إن بكيت، فإنما أداوي بهذا الدمع ما تريَانِ
وإنَّ مكاناً في الثرى خُطَّ لحدُه لمن كان في قلبي بكل مكانِ
أحقُّ مكان بالزيارة والهوى فهل أنتما إن عجبتُ مُنتظرانِ
فهبني عزمت الصبرَ عنها لأنني جليدٌ، فمن بالصبر لابن ثمانِ؟
ضعيفِ القوى لا يعرف الأجرَ حسبةً ولا يأتسي بالناس في الحدثانِ
ألا مَن أمنيه المنى فأعدُّه لعثرة أيامي وصرف زماني
ألا من إذا ما جئتُ أكرمَ مجلسي وإن غبت عنه حاطني ورعاني
فلم أر كالأقدار كيف تصيبني ولا مثل هذا الدهر كيف رماني(١)

❊ ❊ ❊

مذهب العرب في تربية الطفل

قال ابن خفاجة:

سدِّدْ مرامي الطفل في شأنه بلفظة - تشدُدْ بها أزرَهْ
واكتفِ باللمحة من فهمهِ إنَّ المبادئ أبداً نَزْوهْ
أما ترى النيرانَ من شعلةٍ والدوحةَ اللفَّاء من بزرَهْ

(١) سب الدهر لا يجوز؛ كما مرّ كثيراً وهو مما ابتلي به بعض الشعراء. (س).

من نوادر بشار

● كان بشار بن برد (الشاعر العربي الكبير) ضريراً من يوم ولدته أمه، ومع ذلك فإنه كان يحتفظ في داره بمرآة ويعتني بها كأنه سليم البصر، وفي يوم دخل عليه صديق فرأى المرآة، فأشار على بشار بتنظيفها، فأرسلها بشار إلى غلام ليجلوها له، فأحضرها له بعد قليل من الزمن وقد انتهى من جلائها ثم طلب منه عشرة دراهم أجراً، فصاح بشار قائلاً:

«والله ما في الدنيا أعجب من جلاء مرآة أعمى بعشرة دراهم، والله لو صدئت عين الشمس حتى يبقى العالم في ظلمة ما دفعت أجر من يجلوها عشرة دراهم!».

● ودخل يزيد بن منصور الحميري على المهدي فرأى بشاراً ينشد الخليفة قصيدة يمدحه بها، وكان يزيد على شيء من البله، فجعل ينصت إلى بشار كأنه يفهم ما يقول، حتى إذا انتهى بشار من إلقاء قصيدته سأله: «يا شيخ، ما صناعتك؟»، فقال: «أثقب اللؤلؤ»، فضحك المهدي ثم قال لبشار: «ويلك أتتنادر على خالي؟»، فقال بشار: «وما أصنع به؟ يرى شيخاً أعمى ينشد الخليفة شعراً ويسأله عن صناعته!».

● ومر بشار برجل قد رفسته بغلة فجعل يقول: الحمد لله شكراً! فقال له بشار: استزده يزدك.

● ومر به قوم يحملون جنازة وهم يسرعون المشي بها فقال: «ما لهم مسرعين؟ أتراهم سرقوا الميت فهم يخافون أن يلحقوا فيؤخذ منهم!».

فصاحة أعرابي

قال شبيب بن شيبة التميمي المنقري الخطيب الأديب الشريف الداهية جليس خلفاء بني أمية ووسيط المساكين عندهم:

خطبتُ إلى بعض أحياء بني تميم بالبادية، فوافق ذلك مني نشاطاً، فقلت وأطنبت حتى ظننت أني قد أبلغت. فرد علي أعرابي منهم ملتحف بعباءة له فأخرج يده منها وقال:

«توصلتَ بحرمة، واستقربتَ برحم ماسَّة، وأدللت بحق واجب، وحضضتَ على خير، ودعوتَ إلى سنَّة، وأنت كفوء كريم. فمرحباً بك وأهلاً: فرضك مقبول، والذي سألت مبذول، وبالله التوفيق».

قال شبيب: فلو كانَ قدّم في صدر كلامه الصلاة على النبي ﷺ لكان قد فضحني.

عظة من القبر

قل للشباب!

قل للشباب بمصر: عصركم بطلٌ ... بكلّ غاية إقدام له ولعُ
أس الممالك فيه همةٌ وحِجىً ... لا الترّهات لها أس ولا الخدَعُ
يعطي الشعوبَ على مقدار ما نبغوا ... وليس يبخسهم شيئاً إذا برعوا
ماذا تعدّون بعد البرلمان له ... إذا صِغاركم بالدولة اضطلعوا
البر ليس لكم في طوله لجم ... والبحرُ ليس لكم في عرضه شرعُ
هل تنهضون عساكم تلحقون به ... فليس يلحق أهل السير مضطجعُ
لا يعجبنكم ساع بتفرقة ... إن المقص خفيف حين يقتطعُ
قد أشهدوكم من الماضي وما نبشت ... منه الضغائن ما لم تشهد الضبعُ
ما للشباب وللماضي تمر بهم ... فيه على الجيف الأحزاب والشيعُ
إن الشباب غد، فليهدهم لغد ... وللمسالك فيه الناصح الورعُ
لا يمنعنَّكُم برُّ الأبوّة أن ... يكون صنعكم غيرَ الذي صنعوا
لا يعجبنّكمُ الجاهُ الذي بلغوا ... من الولاية والمالُ الذي جمعوا
ما الجاهُ والمال في الدنيا وإن حَسُنا ... إلا عَواريّ حظٌّ ثم تُرتجعُ
عليكم بخيال المجد فائتلفوا ... حياله، وعلى تمثاله اجتمعوا

شوقي

شذور

الكذب

● قال صفوان بن سليم:

قلنا: يا رسول الله، أيكون المؤمن جباناً؟ قال: نعم. قلنا: أفيكون بخيلاً؟ قال: نعم. قلنا: أفيكون كذّاباً؟ قال: لا.

(رواه مالك في الموطأ)

● قال رسول الله ﷺ:

«ويلٌ للذي يحدّث بالحديث ليضحك منه القوم فيكذب. ويلٌ له، ويلٌ له».

(رواه أبو داود والترمذي)

● قال رسول الله ﷺ:

«ليس بالكذاب الذي يصلح بين اثنين، فيقول خيراً أو يُنمي خيراً».

(رواه الخمسة إلا النسائي)

الغنى والفقر

قال المعلوط السعدي:

متى ما يرى الناس الغنيَّ وجاره　　فقيرٌ يقولوا عاجز وجليدُ
وليس الغنى والفقر من حيلة الغنى　　ولكنْ أحاظ قسّمت وجدودُ
إذا المرء أعيته السيادة ناشئاً　　فمطلبها كهلاً عليه شديدُ
وكائن رأينا من غنيٍ مذمَّم　　وصعلوك قوم مات وهو حميدُ

من مشاهد الريف

اغسلوا الماء

تعالوا نغسل الماء بدمع العين مسجوما
أنقضي العمر في الريفِ ضحايا الأنكلستوما؟
تعالوا نغسل الماءَ

صبرنا صبر أيوبٍ على الأمراض والعلل
وهذا المورد الموبي يسدّ مطالع الأمل
تعالوا نغسل الماءَ

موالينا بقريتنا أما من مجلس قروي؟
فنعرف في أعزتنا حنان المصلح الأبوي
تعالوا نغسل الماءَ

بنينا حاذروا الماءَ فإن الموت في المصرفْ
طوى من قبل آباء ومن عاش فقد أشرفْ
تعالوا نغسل الماءَ

رجـال الـحـكـم فـي مـصـرِ شـريـنـا الـمـاء مـسـمـومـا
وتـــــدرون ولا نـــــدري عـــلاج الأنـــكـــلـــســتـــومـا
تـعـالـوا فـاغـسـلـوا الـمـاءَ

عبد اللطيف النشار

الحكمة الإسلامية

● من كلام الماوردي: إن يسير المال مع حسن التقدير، وإصابة التدبير أجدى نفعاً وأحسن موقعاً من كثيره مع سوء التدبير وفساد التقدير؛ كالبذر في الأرض إذا روعي يسيره زكا، وإن أهمل كثيره اضمحل.

● وقال محمد بن علي رضي الله عنه: «الكمال في ثلاث: العفة في الدين، والصبر على النوائب، وحسن التدبير في المعيشة».

طاعة الأمهات

قال عبدالله بن المبارك: كل من ذكر لي عنه شيء وجدته دون ما ذكر عنه، إلا حَيْوَة بن شريح وأبا عون.

ومما أثر عن حَيْوَة هذا وخلد في سجل مناقبه أنه قد يكون في الدرس فتأتي أمه فتقول له: قم يا حيوة ألق الشعير للدجاج، فيقوم فيؤدي ما به طاعة أمه ورضاؤها ثم يعود إلى مذاكرة العلم. وهذا أبلغ ما عرف في طاعة الأمهات.

زمن سوء(١)

هذا الزمان الذي كنا نُحَذَّرُهُ ... فيما يحدّث كعبٌ وابن مسعود
إن دام ذا الدهر لم يُحزَن على أحد ... يموت منا، ولم يُفرح بمولود

ذكريات الهجرة

ذكرى البطولةِ والجهادِ العالي ... لا زال يومكِ مَشرق الآمال
يغشى العزائمَ نورُه فيمدّها ... بالأيدِ بعدَ تخاذُل وكلال
ويُزيح غاشية الكرى عن أعين ... نامت تظنُّ المجدَ طيفَ خيال
هجعتْ عيونُ المترفين وإنما ... بالنوم يَهنا ذو الفؤادِ الخالي
حتى إذا دَوتِ القوارع حولهم ... هبوا وهم يمشون في الأغلال
صَحّ المنام، أصحّ في أمثالهم ... ما قيلَ في السفهاء من أمثال
ذكرى الفتوّة في أجلّ صفاتها ... والعزم في تياره المتوالي
أرأيت كيف يقوم فردٌ أعزل ... إلّا من التقوى، قليلُ المال
فيعيد شمطاءَ الحياةِ فتية ... تجتاز إدباراً إلى إقبال

---

(١) سب الدهر لا يجوز - كما مضى كثيراً -. (س).

ويردّ تاريخَ الخليقة هديه ... للرُّشد بعدَ غواية وضَلال
هي قوَّة الإيمان لا يُلوى بها ... عن مقتضاه تفاقُمُ الأهوال
بل سَورةُ الحق المبين يقودها ... للانفجار تنكرُ الأحوال

❃ ❃ ❃

خرج النبيُّ وقام فوق فراشه ... حامي الحقيقة حامِلُ الأثقال
من كالفتى الكرَّار يُرخص نفسه ... ليشيد من صَرْح الحياةِ الغالي
يا من رأى ليثَ العرينةِ نائماً ... والموتُ يشحذ مديةَ المغتال
وأمام باب الدار مؤتمرٌ غلتْ ... أحشاؤه بحفائظ الجهال
ورأى الرسولَ يمر فوق رؤوسهم ... جمَّ السكينةِ ساكنَ البلبال
يحثو التراب كأن ما اجتمعوا له ... ما كان يخطرُ للرسول ببال
وكأنما كلُّ امرئ منهم لقي ... رسماً سفته الريح من تمثال
ورأى أبا بكر يقدم نفسه ... وجودُ بعدَ النفس بالأموال
اكرمْ بأسماءَ الكريمة إنما ... هي جروةٌ تنمى إلى رئبال[1]
الغار يشهد أنها اختلفت له ... بالزاد والأخبارِ بضعَ ليال

❃ ❃ ❃

(١) أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها -، وكانت فتاة. وفي رواية البخاري أن الذي كان يختلف إليهما بالأخبار في الغار إنما هو عبدالله بن أبي بكر. ولكن أورد ابن عبدالبر في الاستيعاب وابن حجر في الإصابة أن أسماء هي التي هيأت سفرة رسول الله ﷺ لما أراد الهجرة. واحتاجت إلى ما تشدّ به الطعام والسقاء، فشقت خمارها نصفين، شدت السفرة بنصفه، واتخذت النصف الآخر نطاقاً، فسميت «ذات النطاقين».

لبستْ على كفار مكة أمرهم ... ورقاء فوق الباب ذات حجال
قامت وقام العنكبوت حيالها ... بيد الصناع يزيد في الأشكال
فتراجعوا يتعثرون كأنما ... لبسوا من الإخفاق ثوب خبال
ومضى النبي تظله بجناحها ... طولَ الطريق رعايةُ المتعال
حتى إذا وافى قباءَ ركابه ... لبست بمقدمه ثياب جمال
وكأن مسجدهَا لمُذْهَبةِ الهدى ... والفتحِ كان براعة استهلال
غنتْ عوازف يثرب وتماوجت ... طرقاتها بكتائب الأبطال
يستقبلون البدرَ يأخذ سَمته ... في الأفق بين تألق وجلال
حتى استقرَّ به المقام بطيبةٍ ... ما بين ذي رَحم له وموال
فسل الإخاء الحقَّ هل ظفرت بما ... ظفرت يداه في الزمان الخالي
وسل العلاء المحض هل سنحت له ... من قبل هذا فرصة لكمال
وسل العدالة في الحكومة هل غدت ... شرط الرعية في اختيار الوالي
والعلمَ هل فتح الكتاب لعونه ... صدر الكريم وراحة المفضال
قسماً بمن بعث النبيّ محمدا ... بالحسنيين لأفضل الأجيال
ما دين أحمدَ في قويم أصوله ... إلا سبيل العز والإقبال

❊ ❊ ❊

في هجرة المختار ما يغري الفتى ... بجلائل الآثار والأعمال
فمتى يعوج بها الظِماء أما كفى ... ما جرَّبوه من خداع الآل

محمد النجمي

من أقوال الإمام الشافعي

● لو كانت الدنيا لي لبعتها برغيف، وذلك لما أعلم من عيوبها وآفاتها.

● أشد شدائد الدنيا رفيق يرافقك ولا يوافقك ولا يفارقك.

● من رغب في الدنيا حرم الحكمة.

حكم عربية

● حسبك من شر سماعه.

● السؤدد كرم الأخلاق وحسن الفعل.

● إنما الناس أحاديث، فإذا استطعت أن تكون أحسن الأحاديث حديثاً فافعل.

● إياك والكسل والضجر، فإنك إذا كسلت لم تؤد حقاً، وإذا ضجرت لم تصبر على حق.

● نُور الحقيقة أحسن من نور الحديقة.

● القلوب تحتاج إلى أقواتها من الحكمة كاحتياج الأبدان إلى أقواتها من الغذاء.

● علموا أولادكم العوم والرماية والفروسية، ورووهم ما سار من المثل وحسن من الشعر.

المال
لأمير الشعراء أحمد شوقي بك

يا مال،

الدنيا أنت، والناس حيث كنت. سحرتَ القرون، وسخرت من قارون، وسعرت النار يا نيرون[1]. تعوَّد الحقد أن يحالفك، وأبى الحسد أن يخالفك، وكتب على الشر أن يخالطك ويؤالفك. الفتنة إن تركتها رقدت، والحرب وهي الحَرب[2] تبعثها ذات لهب، منك الرياح ومنك الحطب. تزرى بالكرام، وتغري بالحرام، وتضرى بالإجرام[3]. فقدانك

(١) سعر النار أوقدها. ونيرون قيصر من قياصرة الرومان أشعل النار في روما، وأشرف عليها من جبل ليبتهج بمنظر الحريق، وقد ضرب به المثل من ذلك اليوم في القوة والطغيان.
(٢) الحرب: الهلاك.
(٣) أضرى فلاناً بالشر: أغراه به.

العر والضر(١)، ونكد الدنيا على الحر. حالك وحال الناس عجب: تملكهم من المهد، ويقولون أصبنا وملكنا، وترثهم عند اللحد، ويقولون ورثنا وتركنا! من عاش قوَّموه بما ملك، ومن هلك تساءلوا كما ترك؟ المحروم من أوثقك، والضائع من أطلقك، وهما فقيران من جَمَعَك ومن فرَّقك. كثيرك هم، وقليلك غم. ومع التوسط الخوف والطمع، والحرص والجشع. حذر النفاد، ورغبة في الازدياد. الملك سوقة إذا نزل إليك، والسوقة ملك إذا علا عليك. أرخصت الجمال ونقصت الكمال، وخطبت لهجن الرجال هجان ربات الحجال(٢). صويحباتك هن المفضلات، وغيرهن المتروكات المعضلات(٣). العريان من ليس دونك منه سترة، ومستضعف من ليس لك منه قدرة، فسبحان من قهر بك الخَلق، وقهرك برجال الخُلق.

شوقي

---

(١) العر: الجرب.

(٢) هجن: جمع هجين وهو اللئيم. والهجان من كلٍ خياره.

(٣) عضل المرأة حبسها عن الزواج.

حكم

- مقتل الرجل بين فكيه.
- لو لم يترك العاقل الكذب إلا للمروءة لكان حقيقاً بذلك، فكيف وفيه المأثم والعار.
- من اتكل على زاد غيره طال جوعه.

شذور

الرجل

الرجل بصراحته في القول وإخلاصه في العمل.

سعد زغلول

الرجل بأعماله فكلما عظمت كبر مقامه في أعين غيره وزادته قيمة.

مصطفى كامل

الرجل الحقيقي يظهر في أوقات الشدة وساعات الخطر.

گوت

الرجل إذا تكلم كثيراً لا يعمل إلا قليلاً.

فيكتور هيگو

الرجل العظيم ثابت الجنان يمدح كثيراً ويذم أكثر، لكنه لا ينظر إلى أحد، بل يصغي لصوت ضميره.

نابليون

الرجل الشجاع هو الذي يعرف أن يصفح.

ستيرن

الرجل الذي يعمل لمصلحته فقط لا يستحق الاحترام.

ميرابو

الرجل الذي لا يرضى بالقليل لا يرضيه شيء.

ابيقورس

المرأة

المرأة مخلوق بين الملائكة والبشر.

بلزاك

لا شيء في الوجود يرفع قدر المرأة كالعفة.

أديسون.

النساء طويلات الشعور قصيرات العقول.

مثل صيني

اعص النساء وهواك واصنع ما شئت.

حكيم

الحياء والصمت أجمل زينات المرأة

إن امرأتي هي التي جعلتني من أنا

بسمارك

امش وراء الأسد ولا تمش وراء المرأة

سليمان الحكيم

دموع الجميلة أحلى من ابتسامتها

كامبل

الرجل يضحك بقلبه أما المرأة فبفمها فقط

مثل ياباني

النساء كالجبال يجب أن ينظر إليهن الإنسان من بعيد ليتمتع بحسنهن.

مثل ياباني.

«كل شيء للحب وكل شيء بالحب» هذا هو شعار المرأة.

دوميس

قيل لبنت أرسطاطاليس: ما أجمل ما في المرأة؟ قالت: الحمرة التي تعلو وجهها من الحياء

المرأة
لغوستاف لوبون

● لا تغتفر المرأة للرجل أن يستنبط ما يجول بخاطرها من خلال كلامها.

● إما أن تسود وإما أن تساد، كذا شأن النساء، ولا وسط.

● من المتعسر الإعراب عن المشاعر بألفاظ مناط معانيها العقل، فمحاولة تعقل الحب ضرب من الهذيان.

● لو صح للنساء التمسك بفضيلة الإخلاص، لفقدن سلطانهن على الرجال.

● قلما يصدِّق الرجل المرأة إلا إذا كذبت، وهو بهذا يُلجئها إلى الكذب غالباً.

● اصرار النساء والسياسيين عادة على إنكار البديهيات، هو أهم الأسباب التي تحمل الناس على الشك فيما يقولون.

● يلوم النساء الرجال لأنهم لا يفهمونهن.

● الحب يرفع أو يخفض، ولا يدع المرء كما كان.

● لا تزال أفعال المرأة صادرة عن العاطفة، لذلك تفضل الحب وإن كان خاملاً على المجد وإن علا.

● بشر الحب إذا أبصر بالزوال.

● من يحاول استبقاء حب ينصرم، كمن يحاول استبطاء تعاقب الأيام.

● عجباً للحب يخاف الريب، والريب ينميه، واليقين يميته.

● أبقى المشاعر أكثرها اعتدالاً، والإفراط في الحب مهدد بسرعة الضجر منه.

حكم لابن المقفع
من كتاب كليلة ودمنة

● لا يواظب على باب السلطان إلا من يطرح الأنفة، ويحمل الأذى، ويكظم الغيظ، ويرفق بالناس، ويكتم السر. فإذا وصل إلى ذلك فقد بلغ مراده.

● من لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب.

● من ترك الأمر الذي لعله يبلغ فيه حاجته - هيبةً ومخافة لما لعلّه أن يتوقاه - فليس ببالغ جسيماً.

● خصال ثلاث لا يستطيعها أحد إلا بمعونةٍ من علوّ همة وعظيم خطر: صحبة السلطان، وتجارة البحر، ومناجزة العدوّ.

● لا ينبغي للرجل الفاضل الرشيد أن يُرى إلا في مكانين ولا يليق به غيرهما: إما مع الملوك مكرَّماً، أو مع النُّساك متعبداً.

إذا . . .
عن الشاعر رديارد كپلنج
ترجمها شعراً الشاعر الأديب م. ع. الهمشري
المحرر بمجلة التعاون

نظم الشاعر هذه القصيدة ينصح بها ابنه، ولكن الموت لم يمهل هذا الابن، فذهب به إلى لقاء ربه، فأصبحت هذه القصيدة نصيحة إلى أبناء الأمبراطورية الإنجليزية كلهم:

إذا اسطعتَ ألا تفقد العقل والحجا ... وظلتَ على رغم الحوادث حازما
وقد ضلّ كل الناس حولك وانثنوا ... على كلّ ما قد كان منك لوائما

❀ ❀ ❀

إذا أنت قد صدَّقت نفسك بينما ... ظنون الورى ترتاب في ذلك الصدق
وبالرغم من هذي الشكوك عذرتهم ... وقابلت هذا الشك باللين والرفق

❀ ❀ ❀

إذا اسطعت أن تلقى انتظارك دائماً ... صبوراً ولم تملل عذاب الترقب
إذا اسطعت أن تبقى صدوقاً مكرماً ... إذا كذبتك الناس لم تتكذب

❀ ❀ ❀

إذا ما قلاكَ الناس وازداد ضغنهم عليك فلم تحقد وأنت رحيم
وبالرغم لم تظهر وقوراً وطيباً وأنك في كل الأمور عليم

❁ ❁ ❁

بُنيَّ إذا ما اسطعت أن تتخيلا ولم تك عبداً يكبر الوهم والحلما
بني إذا ما اسطعت أن تتفكرا ولم تجعل الأفكار مقصدك الأسمى

❁ ❁ ❁

إذا أنت لاقيت انتصارك هادئا ولم تتذمر من هزيمتك الكبرى
وصاحبت ذين العاهلين كما هما سواسية لم تفتقد معهما أمرا

❁ ❁ ❁

إذا اسطعت أن تصغي إلى الحق قلته ليصبح في هذا الوجود ضياءَ
يحوّره الغوغاء إفكاً وضلة ليغدو شباكاً توقع البسطاءَ

❁ ❁ ❁

إذا اسطعت أن تلقى الذي قد بنيته وأنفقت فيه العمر وهو مهدّم
وعدت إليه من جديد تقيمه بمعولك البالي ولا تتبرم

❁ ❁ ❁

بُنيّ إذا جمعت مالك كله وكوّمت ما حصلته من مكاسب
وغامرت في أمر مروم مقامراً بمالك هذا كلّه غير حاسب

❁ ❁ ❁

ولكن خسرت القدح خسران جاهد فعدت لتبني بادئا غير يائس
ولم تك بكّاء على ما فقدته ولم تك شكّاء ولم تتنفس

❀ ❀ ❀

إذا أنت أجهدت الفؤاد مع القوى لتمضي في مسعاك والغنم سانح
وقد خارت الأعصاب منك ولم تعد بها فضلة تطوى عليها الجوانح

❀ ❀ ❀

مضيتَ بقلب واهن الخفق خائر تكر وجسم كاد يصبح هالكا
ولم تبق من هذي القوى غير عزمة تصيح: ألا سر جاهداً في نضالكا

❀ ❀ ❀

إذا أنت خالطت الجماهير صائنا فضائلك العليا ولم تتلوث
إذا أنت سايرت الملوك محافظا لطابعك الشعبي كالمتشبث

❀ ❀ ❀

إذا اسطعت أن تقصي عدوك عن أذى وتأمن حتى صاحباً لك وافيا
إذا أنت قدرت الرجال جميعهم ولم تك في هذا الحساب مغاليا

❀ ❀ ❀

بُنيَّ إذا حاسبت كل دقيقة من الوقت تمضي ليس ترحم، عاتيه
ملأت بها كل الثواني ولم تكن لتتركها - تمضي سدى - كل ثانيه

ستحكم في الدنيا بنيَّ جميعها وتصبح للدنيا العريضة مالكا
وأعظم من هذين شأناً ستغتدى بها رجلاً فوق الرجال لذلكا!!

حكم عربية

- أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك.
- السيد لا يكون بخيلاً.
- من عقل الرجل استصلاح معيشته.
- إنما الإنسان العقل.
- اللسان حية الفم.
- لا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له.
- لا طاعة في معصية، إنما الطاعة في معروف.
- لا ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه.
- من ظَلم لغيره ظلم نفسه.
- المعروف كنز، فانظر من تودعه.
- الملل من كواذب الأخلاق.

ادّكار الغربيين أدباءهم
للأستاذ عباس محمود العقاد

ادّكار الغربيين أدباءهم النابهين جميل.

وأجمل منه الأسلوب الذي يذكرون به أولئك الأدباء ويشتركون فيه على اختلاف الطوائف والصناعات. فكثيراً ما يكون الأسلوب نفسه عملاً من أعمال الفن والأدب يمتع الناظر إليه كما يمتعه عمل الفنان المحتفل بذكراه.

❀ ❀ ❀

ففي ذكرى شكسبير غرسوا حديقة من الزهر والشجر كتبوا على كل شجرة منها الأبيات التي ورد فيها ذكرها من ديوان شكسبير ورواياته المسرحية، وقصروا الحديقة على الأزهار والأشجار التي وردت في ذلك الديوان أو في تلك الروايات، فمن دخل الحديقة فهو في ديوان من الطبيعة يمده الفن والخيال، وهو يتنزه بقراءة شكسبير والنظر إلى الطبيعة كما كان ينظر إليها الشاعر العظيم.

❀ ❀ ❀

وفي ذكرى جيتي شاعر الألمان الكبير قام كل ألماني بنصيبه في تحية هذا الشاعر. حتى الخباز والصبان وطبيب الأسنان، وهم أصحاب

صناعات يلوح للسامع أول وهلة أنها أبعد ما تكون عن الشعر والشعراء. فالخبازون كانوا يصنعون العرائس والأبطال من الخبز على مثال من عرائس جيتي وابطاله، والصبانون كانوا ينشرون تماثيل الشاعر وصور الرجال والنساء في أشعاره وقصصه، ويكتبون عليها طرفاً من نظمه ونثره. وأطباء الأسنان كتبوا في مجلاتهم بحوثاً نافعة عن أسنان جيتي وعن ذكر الأسنان في كلامه؛ وهكذا فعل كل عامل وصانع وتاجر بحيث أصبحت ألمانيا كلها متحفاً أو ديواناً كبيراً لجيتي في فترة من الزمان.

❁ ❁ ❁

وفي هذا العام احتفل الإنجليز بذكرى «وردزورث» شاعر الطبيعة والأغاريد، فخطر للأميركيين من عشاق الشاعر أن يساهموا بالذكرى على نمط من أنماطهم المعهودة في هذه المناسبات، فأقاموا عند الخص الذي كان يأوي إليه «وردزورث» بين الأطيار والأشجار جهازاً للإذاعة ينقل إلى السامعين في أرجاء الأرض أغاريد الشحارير والبلابل والعصافير التي كان يحبها ويتغنى بها في قصيده، وينقل إليهم دقات جرس الكنيسة التي كان يتعبد فيها أيام حياته[1]، ودفن فيها بعد مماته، وينقل إليهم دقات الساعة التي كانت على درج الخص وفيها طائر يغني عند نهاية الساعات بالليل والنهار... وفي خلال ذلك يلقي بعض الفضلاء بحوثاً عن الشاعر وتمهيدات عما يسمعه الصاغون إلى أصداء ذلك المكان القدسي الطهور.

عباس محمود العقاد

---

(١) على دينه الباطل - والعياذ بالله -. (س).

شرف النفس

كان مما يتواصى به أهل البيوت العربية الشريفة، ويتناقله الأبناء عن آبائهم، أن من الخصال خصالاً لا يطيقها إلا من كانت نفسه شريفة:

- الثبات عند حدوث النعمة الجسيمة
- والصبر عند نزول المصيبة العظيمة
- وجذب النفس إلى العقل عند دواعي الشهوة
- وكتمان السر
- والصبر على الجوع
- واحتمال الجار
- ومرجع ذلك كله إلى تحكم العقل في الهوى والمقدرة على ضبط النفس وكبح جمالها وحسن تصريفها.

زين العابدين علي بن الحسين بن علي بعض أقواله ومناقبه

- اختصم علي بن الحسين وابن عمه الحسن بن الحسن - وكان بينهما

منافسة - فنال منه الحسن بن الحسن وعلي ساكت، فلما كان الليل ذهب علي إلى منزل الحسن فقال له: «يا ابن عم، إن كنت صادقاً يغفر الله لي، وإن كنتَ كاذباً يغفر الله لك. والسلام عليك» ثم رجع. فلحقه الحسن فصالحه.

● وخرج يوماً من المسجد فسبه رجل، فانتدب الناس إليه، فقال لهم: دعوه. ثم أقبل عليه فقال: ما ستره الله عنك من عيوبنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحى الرجل، فألقى إليه عليّ خميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم. فكان الرجل إذا رآه بعد ذلك يقول: إنك من أولاد الأنبياء.

● ونال منه رجل يوماً، فجعل يتغافل عنه يريه أنه لم يسمعه، فقال له الرجل: إياك أعني، فقال له عليّ: وعنك أغضي.

● وقيل له: مَن أعظم الناس خطراً؟ فقال: من لم ير الدنيا لنفسه قدراً.

● ومن أقواله: الفكرة مرآة تُري المؤمن حسناته وسيئاته.

● وقال: فقدُ الأحبَّة غربة.

● وقال: إن قوماً عبدوا الله رهبة، فتلك عبادة العبيد. وآخرون عبدوه رغبة، فتلك عبادة التجار. وآخرون عبدوه محبة وشكراً، فتلك عبادة الأحرار الأخيار(١).

● وقال لابنه: يا بني لا تصحب فاسقاً فإنه يبيعك بأكلة وأقل منها

---

(١) الصحيح أن المسلم يجمع في عبادته لله بين المحبة والرغبة والرهبة؛ كما هو فعل الأنبياء عليهم السلام (س).

يطمع فيها ثم لا ينالها، ولا بخيلاً فإنه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه، ولا كذاباً فإنه كالسراب يقرب منك البعيد ويباعد عنك القريب، ولا أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك.

● وقال: إني لأستحي من الله أن أرى الأخ من أخواني فأسأل الله له الجنة وأبخل عليه بالدنيا.

● وجلس قوم من أهل العراق فذكروا أبا بكر وعمر فنالوا منهما، ثم ابتدأوا في عثمان.. فقال لهم علي بن الحسين: أخبروني أأنتم من المهاجرين الأولين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله؟ قالوا: لا. قال: فأنتم من الذين تبوّأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم؟ قالوا: لا. فقال لهم: أما وقد أقررتم وشهدتم على أنفسكم أنكم لستم من هؤلاء ولا من هؤلاء فأنا اشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة الذين قال الله عَزَّوَجَلَّ فيهم ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر: ١٠] فقوموا عني لا بارك الله فيكم ولا قرب دوركم، أنتم مستهزئون بالإسلام ولستم من أهله(١).

---

(١) روى هذا الخبر الزبير بن بكار عن عبدالله بن إبراهيم بن قدامة اللخمي عن أبيه عن جده عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه رحمهم الله ورضي عنهم.

من كلام سعيد بن المسيب سيد التابعين

● ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه.

● من كان فضله أكثر من نقصه وُهب نقصه لفضله.

● كفى بالمرء نصرة من الله له أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله.

● من استغنى بالله افتقر الناس إليه.

● ما يئس الشيطان من شيء إلا أتاه من قبل النساء.

● لا تملأوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بالإنكار من قلوبكم لئلا تحبط أعمالكم الصالحة.

استعمال الخرائط في الفتوح الإسلامية

ذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في كتابه (تاريخ الأمم والملوك) في حوادث سنة ٨٩ (٢: ١١٩٩) طبع أوربا و (٨: ٦٧) طبع مصر) أن المجاهد الأعظم قتيبة بن مسلم رحمه الله غزا وردان خذاه ملك بخاري بأمر صدر إليه من الحجاج بن يوسف الثقفي أمير العراق، فلم يطقه قتيبة ولم يظفر من البلد بشيء، فرجع إلى مرو، وكتب إلى الحجاج بذلك، فكتب إليه الحجاج أن صوّرها لي، فبعث إليه بصورتها، فكتب إليه

الحجاج أن أرجع إلى مراغتك وتب إلى الله مما كان منك وائتها من مكان كذا وكذا، وإياك والتحويط ودعني من بنيات الطريق.

وهذا يدل على اعتياد الحجاج ورجال الدولة في الصدر الأول الاطلاع على مصورات البلدان (الخرائط) ودراسة الطرق الحربية المساعدة على الفتوح.

الرجل الصغير
للأديب الكبير الأستاذ صادق عنبر

أهو طفل وليد وضع لساعته، أم ملك. أم كوكب جديد طلع في هالته، من فلك. فهذه غرّته على رسم هلال، وهذه طرته تبارك الله ذو الجلال، وتلك بشرى شعره كأن يد الله لونته من ألم أمه ليلة وضعته، على جبين كأنه من لون فرحتها ساعة استقبلته.

وتان عيناه الجميلتان خلقهما الله كأنهما من المسك أجمل نقطتين، في أصغر سبيكتين بديعتين، من أصفى لجين.

وذياك ثغره ما أبدع وما أجمل. إنه يعد ابتسامة بل يوشك أن يرف عليه طيفها؛ فيذوب فيه هم قلبين، ويشتريها بالعمر كل محرومين، وبالدنيا كل مملكين غير معقبين.

وهاتان شفتاه كلتاهما جلَّ مصورهما على أتمها من وردة في كمها!

وذان خداه طبعا، شبه وردتين، لا تقطف واحدة منهما إلا بشفتين اثنتين.

وذاك إنسانه الحبيب إلى أبويه، لأنه من بين صلب الأب وترائب الأم خلقه المبدع وقدره، وفي الحشا كما أراد صوره.

هو لطف الله يخص به الأسرة المختارة وتحسد عليه الجارة الجارة.

هو وصلة إنسانية بين سلف وخلف، وحاضر بين ماض غبر ومستقبل منتظر.

وهو حلم الأم في نومها وشغلها في يومها، وحبها الذي تفخر فيه بعذلها ولومها.

وهو قلب الأب وعنوان كتابه، ورجاء شبابه، وضنه من بين أحبابه، يقظته لمستقبل عمل، ونوم في رجولته أمل.

وهو كون ضعيف ضعيف ولكنه أقوى ما في الكون، بل هو ضعف كمنت فيه القوة كمون النار في الزناد، واستسر فيه الصبا والفتوة كما يستسر النور من العين في سواد، وعزائم الشباب المرجوة يوم الكريهة والمجلاد.

وهو للأمومة عنوان مقالتها، وبيان رسالتها، وما رسالتها إلا أن تتفرق نفسها لتجتمع في بنين وبنات، يتساوقون في سنوات أو يتعاقبون في فترات.

وهو بذاته أستاذ أبويه، ومرشد كافليه، لأنه ساعة تضعه أمه يضع على

رأس أمه تاج الأمومة والأمومة معنى من السماء وبهذا تعتز الأم وتتخايل لأنها تبدأ به رسالتها في الحياة، وما رسالتها إلا أن تهيئ الفرد وهو وحدة الأسرة، وهذا يكون الأسرة وهي وحدة الجماعة، وهذه تكون الأمة وهي وحدة الإنسانية، ناهضة في سبيل ذلك ثقل عبء من الواجب وتبعاته، صابرة على نوائب الحق ومقتضياته وذلك لعمري معنى نبيل ينظر إلى معنى جليل، من الرسالة الإلهية التي تزف بها الأنبياء.

فهذا الطفل بل هذا الأستاذ الفنان الصناع يعلم أمه أول ما يعلمها الحنان، وهو أنبل معاني الحب، ويغرس في قلبها الرحمة، وهي خير خلال الخير، وينفث فيها الصبر، وهو أعقل العقل، ويطبعها على الإيثار، وهو أكرم مظهر من الكرم، ويغريها بالشجاعة، وهي من أداة البطولة، ويزين لها إنكار الذات، وهو أفضل ما في الفضيلة، ويحملها أن تعوّل على نفسها، والتعويل على النفس رأس النجح في الحياة، ورأس مال الأحياء. وهذه لعمري سبع خلال ينتهي إليها في الإنسانية والكمال.

وهو ينشئ في حمى أبيه طبقة من الرهافة والإلهام لم تكن في حسه من قبل أن يكون أباً. وهو على الإجمال يجعله بالمَلَك أشبه منه بالإنسان، بل يسمو بإنسانيته إلى مستوى يكاد يسمع فيه رفيف أجنحة الملائكة، وينفجر في نفسه بفضل طفله نبع سحري من السعادة لأسرته يفيض ولا يغيض، ويتفجر ولا يتغير.

ومن آية حنان الأم أنها تدع اسمها الذي كانت تسمى به وهي بعد فتاة، فلا تعود تتعرف إلا بالإضافة إليه.

ومن آية حب الأب لابنه، أنه يرى فيه أحب شخصية إليه، وعونه في غده، وخليفته في أهله من بعده، ولله در القائل:

وإنـــمـــا أولادنـــا بـــعـــدنـــا أكبادنا تمشي على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم لامتنعت عيني على الغمض

سعادة البيت

إذا كنتُ شعرت في هذه الحياة بشيء من السعادة ففي الأوقات التي قضيتها في بيتي مع زوجتي وأولادي.

«قاسم أمين»

عند عقد الزواج تنتهي الرواية ويبدأ التاريخ

لا تطلب الفتاة من الدنيا إلا زواجاً، فإذا جاء طلبت بعده كل شيء.

«شكسبير»

الزواج خير الأحوال التي يتقلب فيها الرجل، وكلما كان أهلاً له كان أرفع مرتبة.

«جونسن»

يجب على طالب الزواج أن يتجنب الجمال الفائق، فإن الجمال

يضمحل عقب الإملاك، ولا يلبث بعد قليل أن يزول، في حين أن أخطاره تبقى ما بقي.

«روسو»

نداء الحرب

«دعي الشاعر إلى التجنيد فأجاب الدعوة ونظم هذا النشيد»

بي ظمأ للدم يكوي دمي   فأهرقوه يرتشفه فمي
إذا وردت الماء لا أرتوي   وإن وردت الدم لم أسأم
الحرب الحرب، تنادى فمن   يسمع نداء الحرب فليقدم
عجيجها يصطك في مسمعي   ونارها توغل في أعظمي
فلأقدم!

القوة القوة شمس الخلود   فلتدفئن الروح شمس الخلود
وليتوقَّ اليوم مستضعف   زمجرة الحرب وبرق الحديد
فحسبه كوخ يذوق الكرى   كالغيد في جدرانه والعبيد
القوة القوة شمس الخلود   والحرب للقوة مهد جديد
فلأقدم!

وعذب موسيقاه ملء الفضاء تدفعني ألحانها للغناء
أحسست أني خضت في عيلم أمواجه قتلى تصبُّ الدماء
واللجب الجائش في مائه أنينهم منبعث في الفضاء
إذا الصدى برَّح بي خلتني أعبُّ من أمواجه ما أشاء

فلأقدم!

❁ ❁ ❁

رصاصة تدوي وأخرى تطن ومدفع يقصف قصف الزمن
مذهلة أعداءنا نارُه فلست تلقى مهجة في بدن
وخافق[1] في الجوّ نرنو له كأننا العُبَّاد وهو الوثن[2]
وإن سألت القوم قالوا: هنا نقابل الموت ونفدي الوطن

فلأقدم!

❁ ❁ ❁

هيا بنا، هيا بنا نستمع أغنية الموت ولحن الفناء
ففي فؤادي ظمأ خِلته لذعَ اللظى أو رعشة الكهرباء
فلاغتصب رياً له من دم صرف فما ترويه غير الدماء
الحرب الحرب تنادي فمن يسمع صداها فليلبّ النداء

وليقدم!

أحمد مخيمر

---

(١) اللواء.
(٢) هذا من الغلو في العادات المجلوبة من الغرب. (س).

نداء الجيل

قد أنى يا شباب ... أن نخوض العباب
أن نحيلَ الصخور ... قبضة من تراب
أن نذيع النماء ... في البِلى واليباب
أن نثير القلوب ... حرة لا تهاب
أن ننال النجوم ... أن نُذلَّ الصعاب
قد أنَى يا شباب!

قد أنَى يا جنود ... أن نعافَ الهجود
قد أنَى أن نعيش ... للعلا والخلود
فاشتروا بالنفوس ... كل مجد شَرود
وابعثوا للسماء ... في زئير الأسود
صرخةً لا تموت ... واهتفوا بالنشيد:
قد أنَى أن نسود

قد أنَى يا رفاق ... أن نفكَّ الوثاق
إنَّ عيش الهوان ... سُبَّة لا تطاقْ
كيف نحسو السمام ... مستطابَ المذاق
قد أنَى للضياء ... أن يثير المحاق

فـــالـــبـــدار الـــبـــدار والـــســـبـــاق الـــســـبـــاق
لـــلـــعـــلا يـــا رفـــاق!

حسن عبد الحليم اليماني

من أقوال عظماء الإفرنج في الإسلام وكتابه ونبيه ﷺ

الدستور الإسلامي دستور شامل وحَّد بين الجميع من الرأس المتوج إلى أبسط الأشخاص، لأنه يقوم على حكمة سايرت أوسع العقول معرفة وعلماً بهذه الحياة.

(جيبون)

كلما قلبنا النظر في (القرآن) تملكتنا الروعة والوجل، لكننا سرعان ما نشعر نحوه بجاذبية تنتهي بنا حتماً إلى الإكبار، فهو بين الكتب المقدسة نموذج عال رفيع، وسوف يحيا تأثيره في النفوس في جميع الأجيال والعصور.

(غوته)

هناك ظاهرة فريدة في التاريخ لمحمد، هي أنه تفرد بإنشاء ثلاث

مؤسسات: أمة، وأمبراطورية، ودين. مع أنه الأمي الذي لم يتعلم القراءة ولا الكتابة.

(بوزورث سمث)

نصائح وزارة معارف سوريا إلى طلاب مدارسها

أيها الطلاب والطالبات، تذكروا دائماً:

١) أنكم ورثة الأجيال الماضية وآمال المستقبل الذهبية.

٢) أن المدرسة هي عالمكم الخاص بكم، دخلتموه في هذا العهد الجديد لتتهيأوا، وتستعدوا، تتهيأون للقيام بأود الحياة، وتستعدون لخوض معارك المجتمع واجتياز الصعوبات.

٣) أن واجبات الحياة عديدة، وهي تزداد شأناً كلما انتقلتم من دور إلى دور (من دور الطفولة إلى دور الفتوة فدور الشباب فدور الرجولة فدور الكهولة فالشيخوخة)، أما المعارك فليست واحدة، كما أن الصعاب التي تعتور طريق نجاحكم ليست واحدة.

اعملوا لتكونوا جنوداً تؤدون الواجبات بإرادة جبارة وإيمان ثابت، وتجتازون الصعوبات والمعارك بعقل وصبر وطمأنينة.

٤) أن المدرسة لا تكون ناجحة ومفيدة لروّادها إلا إذا قام أساس بنيانها على:

(الإرادة، والعمل، والواجب).

وكان سقفها من: (العلم، والتربية).

وأنشئت جدرانها من (النظام، والطاعة، والشرف).

وفرشت أرضها (بالأدب، والنظافة).

فإذا شئتم الاستفادة من مدرستكم هذه، وكنتم حريصين على أن تبقى نقية من كل دنس كقلوبكم الطاهرة وأن تكون فردوس شرف لأرواحكم تملأها غبطة وحبوراً، فاعملوا بالمبادئ التي من أجلها تكونت.

ولا تلوثوها بكتابة مخجلة، أو تصوير مخل بالأدب. ولا تسيئوا إلى سمعتها بحادثة شاذة، أو عمل وضيع.

٥) أن الحديث الشريف: «الطهور شطر الإيمان»(١) يرشدكم بحكمته الفائقة ومعناه العميق إلى أهمية الطهارة، وما لها من ضرورة في حياة الإنسان، وما جعلها الدين جزءاً من الإيمان إلى لتشمل اللسان، والفكر، والعمل؛ كما تشمل الجسم، والمكان.

٦) يا أبناء المستقبل، ويا أمهات الغد، ويا جنود الوطن، إذا كنتم تتهيئون للعيش الحر، والكسب الحلال، والتمتع بسعادة الحرية والاستقلال فأول ما يطلب منكم:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣).

(الإيمان بصحة المبدأ، والمعرفة بطريق العمل، والاستعداد لإنجاز هذا العمل) .

وإذا كنتم تتهيئون للنجاح في معارك الحياة فأول ما يجب عليكم:

(الأمانة، والاعتماد على النفس، والشعور بالمسؤولية)

وإذا كنتم تتهيئون للتقدم فعدّتكم:

(الجرأة، والتضحية، والثبات، وانتهاز الفرص).

وإذا كنتم تريدون العزة والكرامة والدفاع عن وطنكم، فأفضل الخدمات:

(الطاعة، واحترام النظام، ورعاية القانون، وأداء الواجب).

لعلكم تشكون في صحة هذه الوصايا، أو تتردَّدون في تنفيذها، أو يصعب عليكم إجراؤها.

إننا نعيذكم من الشك والتردد والجبن، ونؤكد لكم أنها من أثمن تجارب الحياة وأصدقها، فاسألوا والديكم ومعلميكم ومرشديكم ثم اعملوا بها.

٧) إن الآباء والمعلمين والأصدقاء المخلصين لا يغشونكم، ومن يقف حياته وراحته لأجلكم لا يتعمد خداعكم ولا إضراركم.

٨) إن الله منحكم نعمة الحياة، ونعمة العقل، ونعمة التكوين. فلا تجحدوا نعمه، ولا تهملوا العناية بأمرها.

إنكم إذا حافظتم على صحتكم بالرياضة والاعتدال في العمل وحسن التغذية وراعيتم قواعد العلم عشتم بنشاط وقوة وشعرتم بالسرور.

هل رأيتم عليل الجسم والفكر يثبت أمام المتاعب ومشاق الطبيعة؟ هل وجدتموه سعيداً في حياته وبين أهله؟ هل نظرتموه يؤدي واجباته وينجز مسؤولياته؟ كلا!

٩) إن الشرور مصدرها اختلال العقل، واعتلال الجسم. وإن العقل الصحيح في الجسم الصحيح. وإن سلامة الوجدان - وهو مصدر الخير - لا تتأتى إلا عن حسن التربية وحسن التثقيف، فلا تجهدوا عقولكم أي لا تحملوها فوق طاقتها فتصاب بالعقم والسقوط. ومتى أحسستم بالتعب الفكري روّحوا أنفسكم بالعبادة والرياضة وتبديل العمل وتبديل الهواء.

وإذا استعصى عليكم حل مسألة أو فهم قضية جربوا أن تتشاوروا ثم راجعوا أساتذتكم ثم أعيدوا الكرة بأنفسكم.

لا تحجموا عن السؤال المعقول، ولا عن البحث الأصولي للوصول إلى معرفة الحقيقة، ولا تحتقروا المسائل مهما صغرت، ولا تؤجلوا واجبكم اليومي إلى الغد.

١٠) قدروا الحقائق ولاحظوا الحوادث. واعلموا أن كل دقيقة من حياتكم لها قيمتها، وأنها قوة إذا ذهبت من يدكم لن تعود. فلا تضيعوا أوقاتكم سدى، ولا تيأسوا من درس لم تنجحوا فيه، بل جربوا دائماً أن تعرفوا السبب، وتجنبوا الخطأ.

١١) تذكروا أن الحسن عدو الأحسن، فاطلبوا الثاني وتجاوزوا الأول. كوّنوا شخصيتكم بإبراز مواهبكم وتقوية إرادتكم. فلا تلينوا فيما

عزمتم عليه بعد تأكيد، واحرصوا على الحق والدفاع عن كرامتكم، واعتزوا بأدبكم ووطنكم وأمتكم.

١٢) ليس من العيب أن يعمل الإنسان واجبه، وأن يخلص لوطنه ودينه أينما كان وكيفما كان. وليس من العار ألا ينجح أحدكم في إقدامه وتجربته، بل العيب والعار أن تنجحوا بالاعتماد على الغير أو بالغش والخداع والتزوير.

يجب على كل منكم أن يدرك مقامه ويعزز شأنه ويخشى ربه جلّ وعلا في سرائه وفي ضرائه. واعلموا أن الإنسان إذا عثر مرة فالعثار من طبعه. ولا بد أن تقال عثرته، كالجواد يكبو مرة ثم ينهض فيقطع المسافات. فلا تفزعوا من العناء إذا كان في سبيل الواجب. وانهضوا وجددوا العزم، واقطعوا المسافات، وتخطوا الصعاب، وسيروا بإيمان وثبات، فتنجحوا.

❁ ❁ ❁

هذه وصايانا لكم، غايتنا منها نجاحكم. فشمروا عن سواعد الجد، فالوطن ملقى بين أيديكم، فإن أحسنتم فلأنفسكم، وإن أسأتم فلها. راجعوا معلميكم في شؤونكم وصعابكم، وأخبروهم بما تشكون منه، فهم أولى بإرشادكم والأخذ بيدكم. ومن يسع للشفاء يجد الدواء والسلام عليكم.

دمشق في ١٩ شعبان سنة ١٣٥٦

وزير المعارف / عبد الرحمن الكيالي

من كلام طاوس

كان طاوس بن كيسان من سادة التابعين في اليمن، مات بمكة حاجاً فحمل نعشه عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وبعث هشام بن عبدالملك ولي عهده حرساً في موكب جنازته، ولم يعلم بموته أحد من الحجاج إلا سار في موكبه، حتى لقد سقطت قلنسوة عبدالله بن الحسن وتقطع رداؤه وهو يحمل النعش لشدة الزحام.

ومن أقوال طاوس:

- لكل شيء غاية، وغاية المرء حسن عقله.
- الإقرار ببعض الظلم خير من القيام فيه.
- لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج.
- النساء فيهن كفر من مضى وكفر من بقي.
- لا يحرز دين المرء إلا حُفْرَته.
- من قال واتقى الله خير ممن سكت واتقى.
- البخل أن يبخل الإنسان بما في يده، والشح أن يحب أن يكون له ما في أيدي الناس.
- وقال له رجل: ادع الله لي. فقال له: ادع لنفسك، فإنه يجيب المضطر إذا دعاه.

● وقال آخر لطاوس: ادع الله لي. فقال: ما أجد بقلبي خشية فأدعو لك.

● ورأى رجلاً مسكيناً في عينه عمش وفي ثوبه وسخ. فقال له: عدّ، إن الفقر من الله، فأين أنت من الماء؟

● وقال الصلت بن راشد: كنا عند طاوس، فجاءه مسلم بن قتيبة بن مسلم صاحب خراسان فسأله عن شيء، فانتهره طاوس، فقلت: هذا مسلم بن قتيبة بن مسلم صاحب خراسان قال: ذاك أهون له عليَّ.

● سمع أحد أصحاب طاوس غراباً ينعب، فقال: خير. فقال له طاوس: أيُّ خير عند هذا أو شرّ؟ لا تصحبني، ولا تمش معي.

● لما مرض الإمام أحمد بن حنبل أنَّ، فقيل له: إن طاوس كان يكره أن يئنَّ المريض، فتركه.

● رأى طاوس فتية من قريش يرفلون في مشيتهم فقال لهم: إنكم لتلبسون لبسة ما كانت آباؤكم تلبسها، وتمشون مشية ما يحسن الزفافون أن يمشوها.

● حج طاوس فخرج على القافلة التي هو فيها أسد أزعجها طول الليل فلم ينم من أهلها أحد. فلما زال عنهم الخطر ساعة الفجر ناموا كلهم وقام طاوس يصلي ويتهجد. فقيل له: لقد بت لليلة متعباً فهلا تنام؟ فقال: هذه ساعة ما كنت أحسب أن أحداً ينام عنها، ولو أوتي بها مثل جبل أبي قبيس ذهباً.

فاجعة السيل في سوريا

أرأيتَ فاجعة السيولِ أسمعت ضوضاء العويل
هذي خيول الموت تعدو أم سيول كالخيول
فاصغ إلى صوت السيول تخاله صوت الصهيل
لم يبق من تلك الديار الآهلات سوى طلول
سيل الدموع من الثواكل ضاع ما بين السيول
ما رقَّ قلب السيل عطفا للشيوخ ولا الكهول
بكت الثكول لطفلها فطغى على الأم الثكول
نادى الخليل خليله فقضى الخليل مع الخليل
أضحت يبابا كل ها تيك الخمائل والحقول
جرف الصخورَ السيل أم هوت الجبال على السهول
صوتُ الصخور الصم أم صوت المدافع والطبول
ضاع العويل بصوتها وغدا عويلاً في عويل
كم من تلول هدها وبنا سواها من تلول
كم قد بكى القَلَمونُ من عطش ومن محل مهول
واليوم أصبح ثاكلا يبكي على زمن المحول
ساحات حرب أرضه مما عليها من قتيل

أحمد الصافي

زيارة عمرو بن العاص لمصر قبل الإسلام

قال الجلال السيوطي في كتابه حسن المحاضرة[١]:

«قدم عمرو إلى بيت المقدس، في نفر من قريش للتجارة. وإذا هم بشماس[٢] من شمامسة الروم من أهل الاسكندرية، قدم للصلاة في بيت المقدس. فخرج في بعض جبالها يسيح، وكان عمرو يرعى إبله وإبل أصحابه، وكانت رعية الإبل مناوبة بينهم.

فبينما عمرو يرعى إبله إذ مر به ذلك الشماس، وقد أصابه عطش شديد، وكان اليوم شديد الحر، فوقف على عمرو واستسقاه[٣]. فسقاه عمرو من قربة له، فشرب حتى ارتوى.

ثم نام الشماس مكانه، وكان إلى جانب هذا المكان حفرة خرجت منها حية عظيمة، فما أن أبصرها عمرو حتى نزع لها[٤] بسهم فقتلها.

ولما استيقظ الشماس رأى حية عظيمة قد أنجاه الله منها، فقال لعمرو: ما هذه؟ فأخبره عمرو أنه رماها بسهم فقتلها. فأقبل إلى عمرو يقبل رأسه ويقول:

---

(١) السيوطي عالم من أكبر علماء المسلمين توفي عام ٩١١هـ وله مؤلفات شتى، والمقال باختصار.

(٢) من رجال النصارى المنقطعين للعبادة ويحلق وسط رأسه غالباً.

(٣) طلب منه أن يسقيه.

(٤) رماها.

- لقد أحياني الله بك مرتين: مرة من شدة العطش، ومرة من هذه الحية. فكم تكون دية أحدكم بينكم؟

عمرو: مائة من الإبل.

الشماس: لسنا أصحاب إبل، ولكننا أصحاب دنانير.

عمرو: تكون ألفاً من الدنانير.

الشماس: إني رجل غريب عن هذه البلاد، وإنما قدمت لأصلي في كنيسة بيت المقدس، وكنت نذرت أن أسيح شهراً في جباله، فقضيت هذا النذر أيضاً. وهأنذا أريد الرجوع إلى بلادي. فهل لك في أن تصاحبني إليها؟ وعليَّ عهد الله وميثاقه أن أعطيك ديتين، لأن الله أحياني بك مرتين.

عمرو: وأين بلادك؟

الشماس: إنها مصر.

عمرو: إني لم أعرفها ولم أدخلها قط.

الشماس: لو دخلتها لعلمت أنك لم تدخل قط مثلها.

عمرو: أتفي لي بما تقول؛ وعليك بذلك العهد والميثاق؟

الشماس: عليَّ عهد الله وميثاقه أن أفي لك بما أقول، وأن أردّك إلى أصحابك.

عمرو: كم يكون مكثي هنالك؟

الشماس: شهراً، تنطلق معي ذاهباً عشراً، وتقيم عندنا عشراً، وترجع في عشر. ولك عليَّ أن أحفظك ذاهباً، وأن أبعث معك من يحفظك راجعاً.

عمرو: انتظرني حتى أشاور أصحابي.

وانطلق عمرو إلى أصحابه، فأخبرهم بما عاهده الشماس عليه، وقال لهم: أقيموا حتى أرجع إليكم، وعليَّ العهد أن أشاطركم ما عاهدني عليه[١]، على أن يصحبني منكم رجل آنس به.

فبعثوا معه رجلاً منهم. وانطلق عمرو وصاحبه مع الشماس إلى مصر؛ فرأى من عمارتها وما بها من الآثار والأموال وكثرة أهلها ما أعجبه، وجعله يقول: ما رأيت مثل مصر قط.

ثم انتهى إلى الإسكندرية فنظر إليها وازداد تعجباً، ووافق دخول عمرو الاسكندرية عيداً فيها عظيماً، تجتمع فيه حكامهم وأشرافهم، ولهم كرة من ذهب، يترامى بها حكامهم[٢]، وهم يدفعونها بأكمامهم، وفيما اختبروه من تلك الكرة أن كل من وقعت في كمه واستقرت فيه لم يمت حتى يملكهم. فلما قدم عمرو الإسكندرية أكرمه الشماس الإكرام كله، وكساه ثوب ديباج[٣] ألبسه إياه. وجلس عمرو مع الشماس في ذلك المجلس الذي اجتمع فيه الناس لمشاهدة لعب الكرة. وبينما هم يتلقونها وقعت في كم عمرو.

---

(١) أعطيكم نصفه.

(٢) يرمي بها بعضهم بعضاً.

(٣) الديباج: نوع من اللباس يُصنع من الحرير وغيره؛ فإذا كان الحرير نادراً فيه فيجوز لبسه. وعليه يُحمل حديث أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - في صحيح مسلم (٢٠٦٩): «فأخرجت إليَّ جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج، وفرجيها مكفوفين بالديباج... وقالت: كان النبي ﷺ يلبسها». (س).

ولقد مشى الشماس بعمرو إلى أهل الإسكندرية، وأخبرهم كيف أنه أنجاه من الموت مرتين.

ثم جمع له المال الذي تعهد به وانطلق عمرو وصاحبه مزوَّدين من الشماس، مكرمين الإكرام كله. ولقد بعث معهما دليلاً سار معهما حتى وصلا إلى أصحابهما».

علماؤنا في زمن الخير

لما حج هشام بن عبدالملك في خلافته دخل الكعبة، فإذا فيها سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب، فقال له الخليفة:

- يا سالم، سلني حاجة!

فأجابه: إني لأستحي من الله أن أسأل في بيته غيره.

فلما خرج سالم من جوف الكعبة خرج في اثره هشام - وهو كبير ملوك الأرض على الإطلاق - وقال له؟

- الآن قد خرجت من بيت الله، فسلني حاجة.

فقال سالم: من حوائج الدنيا، أم من حوائج الآخرة:

قال هشام: من حوائج الدنيا.

فقال سالم: إني ما سألت الدنيا من يملكها (أي الله عز وجل)، فكيف أسألها من لا يملكها؟!

كرم عبدالله بن جعفر

عبدالله بن جعفر بن أبي طالب صحابيّ قريشي هاشمي، ولد ونشأ في الإسلام، وكانت ولادته في الحبشة لما هاجر أبواه إليها، وهو أول مولود ولد فيها للمسلمين. وفي حروب عمه عليٍّ رضي الله عنه مع جيوش الشام كان أحد الأمراء في جيش عمه ولا سيما في صفين.

واشتهر بعد ذلك بكرمه الذي كان ينظر فيه إلى الخير والإحسان كأنهما الغنيمة التي يتزاحم أهل العقل والبصيرة على نيلها والسبق إليها، ويتلفون في سبيل ذلك كل ما يكون في يدهم من بيضاء وصفراء.

وبلغ من عرفان رجال قريش بكرمه المنقطع النظير أن كان معاوية يجري عليه ألف ألف درهم في كل عام، فكان ينفقها كلها على أهل الحاجة لا يبقى له منها في آخر العام شيء.

وولي بعد ذلك يزيد بن معاوية، فأبطأت على عبدالله بن جعفر الأموال التي كانت ترد عليه من دمشق، فجاءها من المدينة وافداً عليه وقال له:

- يا أمير المؤمنين، إن أباك كان يصلني في كل عام بألف ألف درهم.

فقال يزيد:

- وأنا أصلك بألف ألف، وألف ألف، وألف ألف (أي بثلاثة ملايين. ودرهمهم يومئذ يساوي بنقودنا اليوم أكثر من ثلاثة قروش مصرية).

قال عبدالله: بأبي أنت يا أمير المؤمنين وما قلتها لأحد قبلك.

قال يزيد:

- ونزيدها ألف ألف.

قيل: فخرج غلمان عبدالله بن جعفر بن أبي طالب يحملون أربعة آلاف ألف.

فقال جلساء يزيد:

- أتصل رجلاً واحداً في يوم واحد بأربعة آلاف ألف! إن بيوت الأموال لا تقوم بذلك.

فقال يزيد: - ما أعطيت هذا المال عبد الله بن جعفر، وإنما أعطيته أهل المدينة، فإني أعلم أنه سيفرّقها بينهم ولا يبقي منها على شيء.

ذكرى وعد بلفور

قصيدة شاعر مصر الكبير الأستاذ أحمد محرَّم ألقيت في احتفال المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين بذكرى وعد بلفور عام ١٩٣٧

تلك العروبةُ جُرحها يَجرِي دما مَن يمنعُ الإسلامَ أن يتألما؟
هذا تُراثُ (محمدٍ) في قومِهِ أمسىٰ بأيدي الناهبينَ مُقسما
أثرُ السيوفِ عليه والدمُ حَوله حَرّانُ يصرخُ: أين أبطال الحِمى؟
أين الأُلىٰ وَرِثوا الممالكَ حُرَّة تقضي القضاءَ على القياصِرِ مبرَما؟
ترمي فتهدِمُ كلَّ أرْعنَ شاهِق ويخافها رَيبُ الزمانِ إذا رَمى
تتلفتُ الدنيا إذا رَفعتْ يداً وتطيرُ من فزَعٍ إذا فتحتْ فما
دارَ الزمانُ فعاثَ في أرجائها من كان يَنزِلها فيمشي مُحرِما

❀ ❀ ❀

إيهٍ (فلسطينُ) اصبري أَو فاجزَعي وكفىٰ بصبركِ في الحوادثِ مَغنما
ظَلمَ (اليهودُ) بنيكِ حين تحكموا وأَرى الأُلىٰ باعوكِ كانوا أظلما
يا ويحهم، أفما رأوا مِن حَولِهم شعباً أعزَّ من اليهودِ وأكرما؟
شوكُ الشعوبِ رمتْ به أقدامُها ورَمَوا به منا العيونَ النوَّما
طَردَ الكرَى عنها وشكَّ سَوادَها فتفجرتْ بالدمع وانبجستْ دمَا

نظرتْ فلم ترَ في مَنازل قومِنا (بالقدسِ) إلا مصرَعا أو مَأتما
أثرُ (البراقِ) جَرَتْ عليه صَواعِقٌ لِلبغيِ مِن (حُلفائنا) فتضرَّما
عَقدوا لنا (العهدَ البغيضَ) وإنهم لا ضَرَّ مَن عَقدَ العهودَ فأحكما
ما العهدُ يُكتبُ للسلام على رضى كالعهدِ يُكتب بالسلاح مسمما

❊ ❊ ❊

بلفورُ بِئسَ الوعدُ وعدُكَ للأُلىٰ جَعلوكَ للأمل المخيبِ سُلما
خدَعوك حِينَ أطعتهم، وخَدَعتهم إذ طاوَعُوكَ وتلكَ مَنزلةُ العمى
لسنا وُلاةَ الحقِّ إن لم يندموا ولأنتَ أولى أن تتوبَ وتندما
تلك الإساءَةُ ما استقلَّ بمثلها في الدهر قَبلكَ ما اساءَ وأَجرما
أن الذينَ جَهلتَ حسنَ بَلائهم ضربوا لكَ الأمثالَ كيما تَعلما
إن جَلَّ ما أبصرتَ من أحداثِهم فستبصرُ الحدَثَ الأجلَّ الأعظما
الموتُ عند القوم أعذبُ مَشرَباً مما يُرادُ بهم، وأطيبُ مَطعما
إخوانُنا الأحرارُ ما ألفوا الأذَى مَرْعىً، ولا عَرَفوا المذلةَ مَجثما
نفرَ الحِفاظُ بهم فلستَ بواجد منهم بمُصطرع الفوارس مُحجما
وَرِثوا الكماةَ المُعلَمين، فما تَرَى بديارِهم إلا الكمَّى المُعلَما

❊ ❊ ❊

تلكَ الدِيارُ المُشرِقاتُ لو أنّها نَزَلتْ مَنازلها لكانت أنجما
ما انفكّ مَجرَى الوحي في جَنباتها يُلقي على الدنيا الشعاعَ الأقدَما
لولا جهالتها وباطلُ أهلها لأضاءَ مِن أقطارها ما أظلما

بكِ يا فلسطينُ البلادُ تعلمتْ ... أدبَ الجهادِ، وكان معنىً مُبهما
ماذا يَضيرُكِ إن تَوهم جاهلٌ ... وأبى عليه خَباله أن يَفهما؟
هذا كتابُكِ ليس يَبلغ شَأوه ... من نمَّق الكتبَ الحسانَ ونمنما
نِعمَ الكتابُ لمن يحبُّ بلادَه ... ولمن يضنُّ بحقها أن يُهضما
حُرُّ الصحائفِ مِن بدائعِ حُرَّةٍ ... حملتْ جلال العبقرية مِيسما
بَدَأتْه بالدَّمِ والحديد، وأنه ... بسواهما لن يستتمَّ ويختما
إيهٍ شعوبَ المسلمين، تنبهوا ... وتداركوا أسبابَكم أن تجذَما
اللّهَ في إخوانكم وبلادِكم ... أفما تَرَوْنَ الخطبَ كيف تجهما؟
حفظوا التراثَ لكم وصانوا عرضكم ... أفتكرَهونَ لعرضكم أن يسلما
لا تخذلوهم والملائكُ شُهد ... بالمسجدَين. كفى بذلك مأثما
إني وفيت لهم، ولست بمسلم ... إن خُنت في دنيايَ شعباً مسلما
أتبيتُ أُولى القبلتينِ حَزينة ... وأبيتُ وسَنانَ الجفونِ مُنعما؟

أحمد محرَّم

مزاح عبد الملك بن مروان وسَعة صدره

كان كُثيّر عَزة الشاعر المشهور قصيراً لا يزيد طوله على ثلاثة أشبار، فدخل يوماً على أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان، فقال له عبدالملك:

- طأطئ رأسك يا كثيّر، لا يؤذيك السقف!

❋ ❋ ❋

ودخل يوماً على عبدالملك وهو يتجهَّز للخروج إلى حرب مُصْعَب بن الزبير، فقال له عبدالملك:

- ويحك يا كثيِّر، لقد ذكرتُكَ الآن بشعر من شعرك، فإن أصبتَه أعطيتك حكمك.

فقال كثير:

- يا أمير المؤمنين كأنك لما ودَّعتَ عاتكة بنت يزيد بكت لفراقك، فبكى لبكائها حشمها، فذكرتَ قولي:

إذا ما أراد الغزوَ لم تثنِ عزمَه ... حَصانٌ عليها نظمُ دُرّ يَزِينها
نهته، فلما لم تر النهي عاقه ... بكت، فبكى مما عراها قطينها

قال عبدالملك: أصبت، فاحتكم!

قال: - مائة ناقة من نوقك المختارة..

قال: - هي لك.

فلما سار إلى العراق، نظر يوماً إلى كثيِّر عزة وهو مفكراً في أمره، فقال:

- عليَّ به!

فلما جيء به إليه قال له:

- أرأيتَ إن أخبرتك بما كنت تفكر به تعطيني حكمي؟

قال - نعم.

قال: - واللهِ؟

قال كثير: - والله.

فقال له عبدالملك (وكان يعلم أنه يتشيع، ولم يكن ذلك يمنع عبدالملك من الإحسان إليه والعطف عليه):

لقد كنتَ تقول في نفسك: هذا رجل ليس هو على مذهبي، وهو ذاهب إلى قتال رجل ليس هو على مذهبي، فإن أصابني سهمُ غربٍ من بينهما خسرتُ الدنيا والآخرة!

قال كثير: - إي والله يا أمير المؤمنين، فاحتكم!

قال عبدالملك: - أحتكم حكمي أن أردَّك إلى أهلك وأحسن جائزتك (فأعطاه مالاً، وأذن له بالعودة).

فانظر إلى احترام الأقدمين حرية الرأي والاعتقاد، وقد كانوا كذلك ما لم يتجاوز ذلك إلى تهديد ملكهم والائتمار عليه، وحينئذ يستبيحون كل شيء في سبيل صيانته والذود عنه(١).

(١) فعل عبد الملك بن مروان - رحمه الله - أو غيره ليس حجة على الشرع؛ حيث جاءت النصوص بالإنكار على المبتدعة، وبينت أحوال المسلم معهم. انظرها في رسالة: «موقف أهل السنة من أهل الأهواء والبدع»؛ للدكتور إبراهيم الرحيلي. (س).

علامة الخذلان

قال الأصمعيّ: حدثنا أبو المقدام هشام بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي أنه سُئل:

- ما علامة الخذلان؟

فقال: - أن يقبح الرجل ما كان يُستحسَن، ويَستحسن ما كان قبيحاً.

خصومة العظماء

قام رجل في أيام صفين إلى معاوية رضي الله عنه وقال له: اصطنعني فقد قصدتك من عند أجبن الناس وأبخلهم وألكنهم.

فقال معاوية: من الذي تعنيه؟

فقال الرجل: علي بن أبي طالب!

فقال معاوية: كذبت يا فاجر. أما الجبن فلم يك قط فيه، وأما البخل فلو كان له بيتان بيت من تبر وبيت من تبن لأنفق تبره قبل تبنه، وأما اللكن فما رأيت أحداً يخطب أحسن من عليّ إذا خطب. قم قبحك الله.

ومحا معاوية اسم الرجل من ديوانه.

مِلكٌ لتاريخ الوطن

في أيام حكم «فردريك الأكبر» ملك «پروسيا» كان على مقربة من قصر «سان سوسي» الذي يقيم فيه الملك طاحون تحجب مناظر الطبيعة عن بعض نوافذ القصر.

ولما رأى الملك أن هذه الطاحون تحول دون أن يستكمل القصر بهاءه ورونقه سأل صاحبها عما يطلبه ثمناً لها، فأجاب الطحان الپروسي أنه لا ينزل عنها بأي ثمن. فكان هذا الجواب الجاف باعثاً لأن يأمر الملك بهدمها في الحال.

وعندما بُدِئ بتنفيذ ذلك قال الطحان: يستطيع الملك أن يفعل هذا غير أن في «پروسيا» قانوناً سيعلم نبأه بعد حين.

ولما رفع أمره إلى القضاء حكم على الملك بأن يعيد على نفقته بناء الطاحون كما كان ويؤدي لصاحبها فوق ذلك قدراً كبيراً من المال على سبيل التعويض.

كان هذا الحكم - وإن جرح عزة الملك - مدعاة إلى مفاخرته بأن يرى في «پروسيا» قانوناً عادلاً يسهر على تنفيذه قضاة أشداء في الحق يقيمون حدوده حتى على الملك.

وبعد بضع سنين آلت ملكية الطاحون إلى أحد خلفاء ذلك الطحان. ولما وجد نفسه في عسرة مالية لا يمكنه احتمالها كتب إلى ملك «پروسيا»

في ذلك الحين يذكره بما كان من أمر جده الطحان السابق مع «فردريك الأكبر» ويعرض عليه - لما هو فيه من ضنك وشدة - نزوله عن الطاحون إذا رغب جلالته في ذلك مقابل قدر من المال.

ولكن الملك أرسل إليه في الحال رداً بخط يده يقول فيه:

جاري العزيز،

لا يمكنني أن أسمح لك ببيع هذه الطاحون التي يجب أن تبقى في حوزة أسرتك إلى ما شاء الله. لأن مبانيها أصبحت ملكاً لتاريخ «پروسيا» ويجب أن تظل قائمة تذكاراً لعدالة قضاتنا ونزاهتهم في تنفيذ القانون. وإنه ليسوءني أن أسمع أنك في ضائقة مالية. ولهذا أبعث إليك بستة آلاف ريال لتؤدي منها ديونك راجياً أن تفي بكل حاجتك، وأرجو أن تعتبرني جارك المحب.

«فردريك وليم»

❁ ❁ ❁

ولا تزال هذه الطاحون قائمة إلى اليوم رمزاً لهذه الذكريات في تاريخ پروسيا.

من كلام عمر بن عبد العزيز

- علم ولدك الفقه الأكبر: القناعة، وكفّ الأذى.
- أفضل العبادة أداء الفرائض، واجتناب المحارم.

● قيدوا العلم بالكتابة.

● قد أفلح من عُصم من المراء، والغضب، والطمع.

● لو أن المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى يُحكم أمر نفسه لتواكل الناس الخير، ولذهب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولقلّ الواعظون والساعون لهم بالنصيحة.

● الدنيا عدوَّة أولياء الله، وولية أعداء الله. أما الأولياء فغمتهم وأحزنتهم، وأما الأعداء فغرَّتهم وأبعدتهم عن الله.

● قيل له: يا أمير المؤمنين لو أتيت المدينة، فإن قضى الله موتاً دفنت في القبر الرابع مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر. فقال: والله لأن يعذّبني الله بكل عذاب (إلا النار فإنه لا صبر لي عليها) أحبُّ إليَّ من أن يَعلم الله من قلبي أني لذلك الموضع أهل.

● وقال لرجل: من سيد قومك؟ قال: أنا. قال: لو كنت كذلك لم تقله.

شذور

حلم هشام بن عبدالملك

أعظم الحلم أن يكون من ملك لا ملك في الأرض أعظم منه قوة وأوسع سلطاناً، وأن لا تكون في الدنيا قوة تحول بينه وبين أن يغضب لنفسه وهواه. وكذلك كان هشام بن عبدالملك بن مروان. روى عنه ابن كثير في تاريخه (٩: ٣٥١) أن لسانه سبقه مرة فشتم رجلاً من الأشراف. فقال له الشريف:

- أتشتمني وأنت خليفة الله في الأرض!

فاستحيا هشام وقال:

- اقتصّ مني بدلها!

فقال: إذن أكون سفيهاً...

قال: فخذ عوضاً.

قال: لا أفعل.

قال: فاتركها لله.

قال: هي لله ثم لك.

فقام هشام عند ذلك: والله لا أعود إلى مثلها.

وأغلظ رجل لهشام في مدة خلافته، فاكتفى هشام بأن قال له:

- ليس لك أن تقول هذا لإمامك.

ونحن لا نظن مثل ذلك يقع في أمة غير هذه الأمة العربية التي ثقفها الإسلام وصقلها.

من أقوال محمد بن مسلم بن هشام الزهري

- كنا نأتي العالم، فما نتعلم من أدبه أحب إلينا من علمه.
- ما أحدث الناس مروءة أحب إليّ من الفصاحة.
- ما عُبد الله بشيء أفضل من العلم.
- إن هذا العلم إن أخذته بالمكابرة غلبك ولم تظفر منه بشيء، ولكن خذه مع الأيام والليالي أخذاً رفيقاً تظفر به.
- الزاهد من لم يمنع الحلال شكره، ولم يغلب الحرام صبره.
- العبادة هي الورع والزهد، والعلم هو الحسنة والصبر هو احتمال المكاره، والدعوة إلى الله هي العمل الصالح.

متى تموت الشهوة؟

مما كان يتحدث به وهب بن منبه لأصحابه أن رجلاً من العُبَّاد قال لمعلمه:

- قطعتُ الهوى، فلست أهوى من الدنيا شيئاً.

فقال له معلمه: - أتفرّق بين النساء والدواب إذا رأيتهن معاً؟

قال - نعم.

قال: أتفرق بين الدنانير والدراهم والحصا؟

قال: نعم.

قال المعلم: - يا بني؛ إنك لم تقطع الهوى عنك، ولكنك قد أوثقته، فاحذر انفلاته وانقلابه.

فكاهة

دينار بين أشعب وامرأته يلد، ويموت في النفاس

وجدت امرأة أشعب ديناراً، فجاءت به إلى زوجها فقال:

- ادفعيه إليّ حتى يلد لك في كل أسبوع درهمين. فدفعته إليه، فصار يدفع إليها في كل أسبوع درهمين فلما كان الأسبوع الرابع طلبته منه، فقال لها:

- لقد مات الدينار في النفاس!

فقالت زوجته:

- ويلي عليك، وكيف يموت الدينار؟

فقال لها:

- الويل على أهلك، كيف تصدقين بولادته، وتنكرين موته في نفاسه!

ما هي عبادة الطاغوت؟

كان مما نقله وهب بن منبه من كتب اليهود والنصارى وتناقله عنه المسلمون أن سيدنا عيسى عليه السلام ومعه الحواريون مرّ بقرية أهلك الله أهلها، فقام عليها ينظر ساعة إلى آثار الهالكين. ثم نادى هؤلاء الأموات:

- يا أهل القرية ما كانت جنايتكم وسبب هلاككم؟

فأجابوه من جوف الأرض وقالوا:

- عبادة الطاغوت، وحب الدنيا!

قال: - وما كانت عبادتكم للطاغوت؟

قالوا: - طاعة أهل المعاصي هي عبادة الطاغوت.

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

قال فرات بنا السائب: سألت ميمون بن مهران:

- أعليٌّ أفضل عندك أم أبو بكر وعمر؟

فارتعد حتى سقطت عصاه من يده ثم قال:

- ما كنت أظن أن أبقى إلى زمان يعدل بهما غيرهما. إنهما كانا رداءي الإسلام، ورأس الإسلام، ورأس الجماعة.

فقلت: فأبو بكر كان أول إسلاماً أم عليٌّ؟

فقال: والله لقد آمن أبو بكر بالنبي ﷺ زمن بحيرا الراهب حين مرّ به، وكان أبو بكر هو الذي يختلف بينه وبين خديجة حتى أنكحها إياه. وذلك كله قبل أن يولد عليّ. وكان صديقه وصاحبه قبل ذلك.

من شعر سليمان بن عبد الملك

● قال يتسلى عن صديق له مات، ولعله شراحيل بن عبيدة بن قيس العقيلي القائد المجاهد الذي قاد جيش النجدة لمسلمة بن عبدالملك عندما غدر به ملك البلغار أثناء حصار القسطنطينية:

وهوّنَ وجدي عن شراحيل أنني ... متى شئت لاقيت امرءاً مات صاحبه

● ومن شعره أيضاً:

ومن شيمي ألا أفارق صاحبي ... وإن ملَّني، إلا سألت له رشدا

وإن دام لي بالود دمت ولم أكن ... كآخرَ لا يرعى ذماماً ولا عهداً

تأديب هشام بن عبدالملك لولده

تفقد أمير المؤمنين هشام بن عبدالملك أحد ولده في يوم جمعة فبعث إليه:

- ما لك لم تشهد الجمعة؟

فقال: بغلتي عجزت عني.

فبعث إليه: أما كان يمكنك المشي؟

ومنعه أن يركب سنة، وأمره أن يشهد الجمعة ماشياً.

وكانت دار هشام في دمشق عند باب الخواصين وبعضها اليوم المدرسة النورية الكبرى بجوار قبر نور الدين الشهيد. وكانت هذه الجهة تسمى دار القبابين، يعني الذين يبيعون القباب وهي الخيام، فكانت تلك المحلة دار هشام. وتسمى هذه الجهة الآن (المدينة) وبجوارها زقاق المحكمة.

عبدالله بن الزُّبَير في يوم سبيطلة

لأفراد الصحابة مناقب قلَّ من يعرفها من المسلمين وكان يجب أن لا يجهلها أطفالهم فضلاً عن علمائهم.

من ذلك بطولة عبدالله بن الزبير يوم كان - هو وعبدالله بن عمر بن الخطاب - في جيش عبدالله بن سعد ابن أبي سرح ببلد يقال له (سبيطلة) على يومين من القيروان من البلاد التونسية، وكان جيش ابن أبي سرح عشرين ألفاً، وجيش جرجير ملك البربر قريباً من مائتي ألف، وقد أمر جرجير جيشه فأحاطوا بالمسلمين هالة، ووقف المسلمون في موقف لم يُر أشنع ولا أخوف عليهم منه. قال عبدالله بن الزبير: فنظرتُ إلى الملك جرجير من وراء الصفوف وهو راكب على برذون، وجاريتان تظلّلانه بريش الطواويس، فذهبتُ إلى عبدالله بن سعد ابن أبي سرح فسألته أن يبعث معي من يحمي ظهري وأقصد الملك. فجهز معي جماعة من الشجعان وأمرهم فحموا ظهري، وذهبتُ حتى خرقت الصفوف إليه - وهم يظنون أني في رسالة إلى الملك - فلما اقتربتُ منه أحسَّ مني الشرَّ ففرَّ على برذونه، فلحقته فطعنته برمحي، وذففتُ عليه بسيفي، وأخذتُ رأسه فنصبته على رأس الرمح وكبّرتُ، فلما رأى ذلك البربرُ فرقوا وفروا كفرار القطا، وأتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ويغنمون.

قال ابن كثير في تاريخه (٧: ١٥٢): وكان ذلك أول موقف اشتهر فيه أمرُ عبدالله بن الزبير. وكان ذلك سنة ١٧ للهجرة.

الربيع

كلل الوسميُّ هامات الهضابْ وشـــدا الـــقـــمـــري
فاغتنم ما دمت في عهد الشباب غـــفـــلـــة الـــدهـــرِ

❀ ❀ ❀

وابـتـدر بـهـجـة أيـام الـربـيـع فـوق أحـضـان الـخـزامـى
بـــيـــن ورد وزهـــرِ

تحت ظل الأيك في روض بديع مـع صـحـب ونـدامـى
وســمـــاع وســمـــرِ

❀ ❀ ❀

والصبا قد ألبست درع الحباب صـــفـــحـــة الـــنـــهـــرِ
فجرى ينساب ما بين الرواب وســـنـــا الـــزهـــرِ

❀ ❀ ❀

دار بالمرج كعقد من جمان شـع فـي جـيـد فـتـاة
زانـــهـــا فـــي الـــخـــد خـــال

كاعب وجناء من حور الجنان إن رنت فهي مهاة
أوهفت فهي غزال

❀ ❀ ❀

وشحت شطيه أجفان السحاب بحلى النَّورِ
فبدا يغري شذاها المستطاب قالة الشعرِ

❀ ❀ ❀

باكر اللذة في ظل الخميلة ولتدع عين الرقيب
لعيون النرجس

❀ ❀ ❀

وارتشف من باقة الورد الجميلة وجنا الغصن الرطيب
كل ثغر ألعس

❀ ❀ ❀

فاتن المبسم معسول الرضاب عاطر النشرِ
تزدري أنفاسه العطر المذاب نكهة الخمرِ(١)

الطاهر القصار

---

(١) الخمر محرمة بنص القرآن، وهذا من تساهل الشعراء في التعبير. (س).

تحية العام - للفتح وصاحبها

أَطِلِّي بالضِّياءِ مَعَ الصَّباحِ ... وزيدِي كيفَ شِئْتِ عَلَى بَراحِ[1]
وجُوبِي الشرقَ أُفْقاً بَعد أفقٍ ... بأَجنحةِ البَواخِرِ والرِّيَاحِ
وقُودِي أهلَه شَعْباً فشعبا ... إلى سَنَنِ الهِدايةِ والصَّلاحِ
فقد طَلَبوا الحياةَ بغير سعيٍ ... وطارُوا للعَلاء بلا جَناحِ
ومُطَّلِبُ الحياةِ بلا عَتادٍ ... كمُقْتَحِمِ القتالِ بلا سِلاحِ
أرَى في الشرق فضلاً من حياةٍ ... خَليقاً أن يقودَ إلى الفلاحِ
وأخلاقاً تمُتُّ إلى المعالي ... بأسبابِ المُرُوءَةِ والسَّماحِ
ولكنْ لا يُتاحُ له زَعيمٌ ... قويُّ النفس مأمونُ الجِماحِ
يقودُ لساحةِ المجدِ المُرَجَّى ... كَتائِبَه المَشُوقَة للكفاحِ
وفي الفاروقِ بعدَ الله عَونٌ ... على استِكمال أسبابِ النجاحِ
فما للشرقِ كالفاروقِ سيفٌ ... عن الأمجادِ يَدفعُ أو يُلاحي
أدامَ اللهُ نِعمتَه عليهِ ... وبارَكَ في شمائلهِ المِلاحِ
أرَى للفَتْحِ في دُنيا المَعالِي ... جِهاداً عَمَّ مُختَلفِ النَّواحي
وَقَدْراً عند من قَدَر المَزايا ... يَكادُ يُذيبُ أحشاءَ الْلَواحي
فجُلْ منها برَوْضِ الحُسْنِ وأَنْعَمْ ... بخَدِّ الوَرْد أو ثَغْر الأقاحِ
رسائلُ في الصَميم تكادُ تَجرِي ... على الأكبادِ بالماءِ القَراحِ

(١) براح: اسم من أسماء الشمس كذكاء.

تَنَفَّسَ صبحُها والليلُ طِفْلٌ فهبَّ الديكُ يُمْعِنُ في الصِّياحِ
تُنَمْنِمُ وَشْيَها كفٌّ صَنَاعٌ تجولُ بماحِقٍ للغَيِّ ماحِ
له في كلِّ نازِلةٍ فَعَالٌ خَليقٌ بالثناءِ والامْتِداحِ
يَرُدُّ به مُحبُّ الدِّينِ عَنّا كِباشاً لا تَملُّ من النِّطاحِ
سَعَتْ لِلإثمِ وادَّرَعَتْ لَعَمْري له بالجهلِ والخُلُقِ الوَقاحِ
كلابٌ لا يُنَهْنِهُها حَياءٌ ولا زَجْرٌ يَطولُ عن النّباحِ
عَوَتْ خَلَفُ النساء فكَمْ أصابَتْ بِداءِ الكلبِ مِنْ خُودٍ رَداحِ
وكم تركتْ حَمِيَّ الأنفِ يبكي على حَوْض العَفافِ المُسْتباحِ

❁ ❁ ❁

مُحبَّ الدِّينِ بُوركَ في جِهادٍ جَمَعْتَ لهُ الغُدُوَّ إلى الرّواحِ
وبورِكَ في الحَياةِ إذا استَضاءَتْ بِوَجْهكَ في المساءِ وفي الصباحِ
وبُورِكَ في الصِّحافة ما اسْتَنارَتْ بِوَرْيِ من زِنادِكَ مُستَماحِ
سلكتَ بها على عَنَتِ الليالي طريقَ الحقِّ والجدِّ الصُّراحِ
فلم تُرْهِقْ كواهِلَها بشيءٍ يراهُ الحقُّ أجدرَ باطِّراحِ
ولم تنزِلْ بها كِسواكَ يَوماً إلى دَرَكِ المِراءِ أو التَّلاحي
قَنِعْتَ بحاجةِ الزُّهّادِ منها فلم تَبْغِ الحرامَ من المُباحِ(١)
ولو سَخَّرتَها للكسبِ جادَتْ بما فوقَ الرغائبِ والطِّماحِ
سُمُوُّ شَمائلٍ، وعُزُوفُ نفسٍ وفضلٌ مثلُ قَرْنِ الشمس صاحِ

(١) من بمعنى بدل. وفي القرآن الكريم: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [التوبة: ٣٨].

فلو راوَدْتَ نفسكَ ما استجابَتْ إلى غيرِ الفضيلةِ وَالصلاحِ

❊ ❊ ❊

مُحِبَّ الدِّينِ ما في الجُهْدِ بأسٌ إذا عَمَّ الضميرَ بالارْتِياحِ
ولا في الحقِّ تخدمُهُ فتَشْقىٰ به ما يَسْتَثِيرَ فُضُولَ لاحِ
دَعَوْتَ لِمَجْدِ قَوْمِكَ وهو عِبْءٌ يَؤُودُكَ بينَ ظَهْرانَيْ شِحاحِ(١)
فلا تَبْرَمْ به فَتَضِيقَ ذَرْعاً وَثِقْ من عند رَبِّكَ بالنَّجاحِ

ربيع الأول ١٣٥٧ محمد النجمي

منجِّم يهودي كذاب

رأى منجم يهودي في زمن هارون الرشيد أن دولة الإسلام ازدهرت وعظمت، فأراد أن ينغص على هارون الرشيد حياته، ويدخل الأوهام على نفسه فقال له: يا أمير المؤمنين إنك ستموت في هذه السنة. فاغتمَّ الرشيد لذلك. ولكن أحد رجاله أشار عليه باستدعاء اليهودي المنجم وسأله عن عمره هو، أي عن عمر اليهودي كم يعيش. فذكر أنه يعيش طويلاً، فأَمر هارون الرشيد بقطع رأسه. وتبين بذلك كذبه.

---

(١) يؤود: يعي ويعجز.

فكاهات عربية

اشتهر أبو دُلامة زيد بن الجون الكوفيّ الشاعر الماجن بظرفه ولطيف نكاته، وقد ارتفع بسبب ذلك حتى حظي عند أبي جعفر المنصور أمير المؤمنين وصار يضحكه عند حاجته إلى ترويح النفس.

حضر يوماً جنازة زوجة الخليفة - وكانت ابنةَ عمه واسمها حمادة بنت عيسى - والخليفة محزون عليها. فلما سووا عليها التراب قال المنصور لأبي دلامة:

- ويحك يا أبا دلامة، ما أعددت لهذا اليوم؟

فقال: ابنةَ عم أمير المؤمنين!

فضحك المنصور حتى استلقى، ثم قال له: ويحك، لقد فضحتنا!

❋ ❋ ❋

وعاد يوماً أمير المؤمنين المهدي بن المنصور من سفر، فدخل عليه أبو دلامة يهنئه بقدومه، وأنشده:

إني حلفتُ لئن رأيتكَ سالماً   بقُرَى العراق وأنت ذو وَفرِ
لتصلينّ على النبي محمد   ولتملأنَّ دراهماً حِجري

فقال المهدي: أما الأول فنعم، نصلي على النبي محمد ﷺ، وأما الثاني فلا.

فقال أبو دلامة: يا أمير المؤمنين، هما كلمتان فلا تفرِّق بينهما.

فأمر أن يملأ حجره دراهم. ثم قال له: قم. فقال: ينخرق منها قميصي، فأفرغت منه في أكياسها. ثم قام فحملها وذهب.

❁ ❁ ❁

ومرض ابن له فداواه طبيب. فلما عوفي قال أبو دلامة للطبيب: ليس عندنا ما نعطيك. ولكن ادَّع على فلان اليهودي بمبلغ ما تستحقه عندنا من أجرتك حتى أشهد أنا وولدي عليه بالمبلغ المذكور. فذهب الطبيب إلى قاضي الكوفة محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى فادَّعى عنده على اليهودي، فأنكر اليهودي. فشهد عليه أبو دلامة وابنه، فلم يستطع القاضي أن يردَّ شهادتهما وخاف من طلب التزكية، فأعطى الطبيب المدعي المال من عنده وأطلق اليهودي.

إلى الشباب

الحرب القادمة

السلاحَ، السلاح، ويحكمُ   إنها الحرب تنفث الشررا
لا تكن في لهيبها حطباً   إن تلظى الأتون واستعرا

(العقاد)

على الأفق قد لمحوا آلَهَا   وقيتِ أيا مصر أهوالها
فكم أمة أمنت شرها   فمزقت الحرب أوصالها
لقد سلبت أمة عرشها   وأخرى تقاتل مغتالها(١)
فيا للضعاف من الأقوياء   ويا للعدالة ما نالها
فتلك الشعوب تريد الحياة   وقد هيج العسف بلبالها
تناضل عن حقها المستباح، فأما عليها، وإما لها
فيا فتية النيل لا تستكينوا   إذا أزفت ساعة، يا لها!
إذا واجهت أمة أزمة   تكون الشبيبة آمالها

❁ ❁ ❁

(١) إشارة إلى الحبشة وفلسطين.

شباب المعاهد حييتمُ ... أتمضون في الحرب أعزالها
إذا واجهت أمة أزمة ... تكون الشبيبة آمالها

❁ ❁ ❁

يحث الخطى عالَم سائر ... لحرب ستنشق قطالها
كأني به فوق بركانها ... يدب ليلهب إشعالها
فقد دق في الغرب ناقوسها ... فهال البرية ما هالها

❁ ❁ ❁

كأني بالحرب أقصوصة ... غداً يشرح الدهر أمثالها
كأني بها فتنة للورى ... غداً يظهر الدهر قوالها
كأني بها: رواية هول ... غداً يكشف الشرق أسدالها
كأني بالحرب ديمة ماء ... غداً تشهد الأرض تهطالها

أحمد عبد المجيد الغزالي

حِكم ومواعظ من أَقوال أبي جعفر المنصور

● ليس بإنسان من أُسديَ إليه معروف فنسيه دون الموت.

● من فعل بغير تدبير، وقال عن غير تقدير، لم يعدم من الناس هازئاً أو لاحياً.

● الملوك تحتمل كل شيء من أصحابها إلا ثلاثاً: إفشاء السرّ، والتعرض للحرمة، والقدح في الملك.

● سرُّك من دمك، فانظر من تملّكه.

● عقوبة الحليم التعريض، وعقوبة السفيه التصريح.

● من صَنَع مثل ما صُنع إليه فقد كافأ، ومن أضعف فقد شكر، ومن شكر كان كريماً.

● من علم أنه إنما صنع إلى نفسه لم يستبطئ الناس في شكرهم، ولم يستزدهم من مودَّتهم.

● لا تلتمس من غيرك شكر ما آتيته إلى نفسك، ووقيت به عرضك.

● لا تبرم أمراً حتى تفكر فيه، فإن فكر العاقل مرآته: تريه حسنه وسيئه.

● طالب الحاجة إليك لم يكرم وجهه عن وجهك، فأكرم وجهك عن ردّه.

● ليس العاقل من يحتال للأمر الذي وقع فيه حتى يخرج منه، ولكن العاقل الذي يحتال للأمر الذي غشيه حتى لا يقع فيه.

● اللهم جنبني وبنيَّ التبذير فيما أنعمت به علينا من عطيتك.

● لولا أن الأموال حصنُ السلطان، ودعامة للدين والدنيا عزُّهما

وزينهما، ما بتُّ ليلةً وأنا أحرز منها ديناراً ولا درهماً، لما أجد لبذل المال من اللذاذة، ولما أعلم في إعطائه من جزيل المثوبة.

الفُرَص

● من أقوال الفيلسوف (سنيكا): «يتبسم الحظ للنفوس الجريئة الشجاعة، ولا يلبس جلد النمر إلا حيال الأشخاص الذين لا يعرفون في حياتهم سوى الوهن، والتردد، والجبن، وضعف الإرادة، وخوَر العزيمة، والتعثر كالأطفال، والتخبط في الحياة، دون أن يستطيعوا لأنفسهم نفعاً ولا ضراً».

● وقال (شوبان): «أفضل الناس وأعقلهم وأوسعهم خبرة بالحياة هم الذين يشقُّون طريقهم في الحياة، واضعين نصب أعينهم قهر الحظ والتقدم عليه، لا الذين ينزوون في دورهم انتظاراً لهذا الحظ الذي لا وجود له في الواقع إلا من الناحية التصورية».

● ويقول (هنري فورد): «إننا محاطون - منذ المهد - بفرص تمهد أمامنا سبيل التوفيق والنجاح، ولكننا في الحقيقة لا نعرف كيفية الاهتداء إلى كنه المصادفة».

وهذا الكلام صحيح إلى غير حد، إذ أن «الحظ» يزور كل الناس على

حد سواء، وإذا لم يجد «مضيفه» ولى هارباً من النافذة بعد أن دخل من الباب!

وأصرح ما يعبر عن هذه الحقيقة قول الإنكليز في أمثالهم: «نحن قوم لا نوجد الفرص ولا نضيعها».

من حكم أفلاطون

● الفضيلة صحة النفس وجمالها وسجيتها الصالحة، والرذيلة داؤها وفسادها. وليس للحياة قيمة إذا تهدمت أركان الصحة - خصوصاً صحة النفس - ولو توافرت الثروة والقوة.

● ليس أجمل في عين كل ذي لبّ وإدراك من الرجل الذي جمع بين جمال الظاهر وجمال النفس الباطن وقرن هذا بذاك.

● العدالة اقتصار الإنسان على ما يخصه، والشجاعة هي القوة التي تتمسك بالرأي السديد فيما يخشى وما لا يخشى، والعفاف نوع من الاتساق وامتلاك أعنة الرغائب، والحكمة ارتباط هذه الفضائل.

● كل الأشياء تكون أوفر مقداراً وأجود نوعاً وأسهل إنتاجاً إذا التزم العامل ما يميل إليه طبعه من الأعمال، وأتمه في وقته الخاص. والحاكم

الكفء من تسيره مواهبه نحو الكمال، فلسفيّ النزعة، عظيم الحماسة، سريع التنفيذ، شديد المراس.

● الدولة التي يحكمها أقل الناس رغبة في السلطة هي أسعد الدول حالاً وأكملها انتظاماً وأقلها نزاعاً. وإن الحكمة في المشورة، والرأي الفاسد يبرح العقل عفواً حين يقف صاحبه على خطئه.

● لا يعد حسبان الفوز فضيلة إن كان تعدياً، وإن أثقل مصائب الناس أن يحكمهم أسافلهم إذا رفض فضلاؤهم الأحكام، ويجب إغراء الأكفاء بالمال والشرف لقبول الوظيفة، وبالقصاص في حالة الرفض.

● الحرية أجمل ما في الديمقراطية، وقد تفضي الحرية الزائدة إلى العبودية إذا استعملت في غير وجوهها، وعندئذ تكون تعدياً. ويستحيل التعاون في العمل مع التعدي، لما ينشأ بين الناس من الشقاق والنزاع، بل إنه يجعل المرء عدوّ كل إنسان ولا سيما العادلين.

● اللذة الناجمة عن المال، واللذة الناجمة عن العلم، هباء إلا إذا كانت العظمة ثمرتهما. وكل أنواع الجزاء في الحياة لا يعد شيئاً إذا قيس بما أعد للعادل من الجزاء بعد موته. وأن الفترة من المهد إلى اللحد بُريهة إذا قيست بالأبدية.

من كلمات جبران خليل جبران

● قال ذئب مهذب لشاة غير مهذبة: «تفضلي وشرفي منزلنا»، فأجابت: «لو لم يكن منزلكم في بطنكم لتشرفنا».

● بين المعصرة وشارب الخمر سبيلان: سبيل لملائكة الوحي، وسبيل لشياطين العربدة...

● انظر إلى وجه المرأة مرة، وإلى يديها مرتين، ففي يديها معنى أدل على ذاتها الحقيقية من معاني وجهها.

● يفاخر بعضهم بعبوديته، فإذا ما حدثته عن الحرية ظن أنك تحطّ من قدره..

● أفضِّل أن أكون أحقر الناس ولي أحلام أرغب في تحقيقها على أن أكون أعظمهم ولكن بدون أحلام ولا رغبة.

● لم أجد في الحياة سوى قضيتين أوليتين، هما الجمال والحق.. أما الجمال ففي قلوب المحبين، وأما الحق ففي سواعد العمال..

● الاقتصاد في أن تكون كريماً وجواداً مع الناس جميعاً، إلا مع المقتصدين.

● أحق الناس بالشفقة أناس يشتاقون إلى السحب وهم غارقون في الأوحال.

● أصغر من رأيت بين الناس رجل يترجم أحلامه بلغة الفضة والذهب..

● قيل لثرثار بليد: حديثك يشفي العليل. فصمت وادَّعى علم الطب..

● لو لم يتماد الضعيف في ادِّعاء القوة لما عرفت ضعفه..

● يعيش الذكي على حساب الموهوب، والموهوب على حساب النابغة، والنابغة من عيال الله.

● تأتي أحكام الحياة مخالفة لما يقرّرونه رياضياً، ولكن رغم ذلك يظلون متمسكين بالرياضيات.

من أقوال التابعين

● لكل شيء أساس، وأساس الإسلام الخلق الحسن.

عكرمة

● لا يكون المرء تقياً حتى يكون تقيَّ الطمع تقيَّ الغضب.

بكر بن عبدالله المزني

● المرض ضربة سوط من ملك كريم، فأما أن يكون العليل بعد المرض فرساً جواداً، وأما أن يكون حماراً عثوراً معقوراً.

الحسن البصري

أسلوب من أساليب الوعظ

قال أحد الملوك للفضيل بن عياض: ما أَزهدك!

فقال له الفضيل: أنت أزهد مني، لأني زهدت في الدنيا التي هي أقل من جناح بعوضة، وأنت زهدت في الآخرة التي لا تقدَّر قيمتها، فأنا زاهد في الفاني، وأنت زاهد في الباقي، ومن زهد في درَّة أزهدُ ممن زهد في بعرة.

بنو أمية وبنو العباس

قال ابن كثير في تاريخه (١٠ : ٤٧) سأل هارون الرشيد أبا بكر بن عياش:

- من خير الخلفاء، نحن أو بنو أمية؟

فقال: - هم كانوا أنفع للناس، وأنتم أقوم للصلاة، فأعطاه ستة آلاف درهم[1].

(١) يُنظر لمعرفة فضل بني أمية، وما نالهم من تشويه على أيدي مؤرخي الشيعة: رسالة «الدولة الأموية المفترى عليها»؛ للدكتور حمدي شاهين. (س).

الإسلام ونصارى العرب[1]

هوىً بمحمد وتمسكا بقوميته وكلفاً بلغته
للأديب النصراني: أمين نخلة

(محمد) نغمة، لا كلمة. لفرط ما مسحت على شفاه الخلائق.

تأخذ بالسمع قبل الأخذ بالذهن، وليس على بسيط الأرض عربي لا ينتفخ لها صدره، ولا ترجّ جوانب نفسه. فمن لم تأخذه بالإسلام أخذته بالعروبة، ومن لم تأخذه بالعروبة أخذته بالعربية!

وفي هوى محمد - ولا حرج في التمسك بالقومية والكلف باللغة، كما لا حرج في الدين - تتلاقى ملتا العرب: ملة القرآن، وملة الإنجيل، حتى كأنما الإسلام إسلامان: واحد بالديانة، وواحد بالقومية واللغة. أو كأنما العرب مسلمون جميعاً - حينما يكون الإسلام هكذا: هوىً بمحمد، وتمسكاً بقوميته، وكلفا بلغته.

و(محمد) لا تستطيع طائفة في العرب أن تنفرد بالتباهي به. فهو فضلاً

(١) يراعى في هذا المقال أن الشيخ محب الدين الخطيب - رحمه الله - أورده ليُدلل على إنصاف قلة من نصارى العرب مع نبينا الكريم محمد ﷺ. مع ملاحظة ما في المقال من مؤاخذات لا تخفى على المسلم. (س).

عن كونه للخلق كلهم، حيث يتشبهون بأكرم الآدميين في حفظ النفس، وحفظ الجار، وحفظ الله، فبالأجدر أن يكون للعرب - كلهم - حيث نتشبه فوق ذلك بأبلغنا في الفصحى، وأنهضنا في الجلي، يوم حطّ الكفة بعرب، وشيلانها بأعجام!

وإن لغير المسلم في أرض العرب أن لا يدين بدين ابن عبدالله، وأن يخلب لبه - مثلاً - كتاب لابن مريم يقطر رفقاً[1]. وأما أن يكون فينا عربي من لحمنا ومن دمنا، ثم يغدو لا يمتُّ إلى محمد بعصبية، ولا إلى لغة محمد وقومية محمد. فهو ضيف ثقيل علينا، غريب الوجه بين بيوتنا.

وها إن أقوامنا العرب في الآفاق، كلما أطلق المؤذّن صوته بين السماء والأرض - عند تحرُّك الصبح في العتمة، أو تنقل الشمس بين مبزغها ومغربانها - أحسوا في تلك الصيحة بأن «شيئاً» من قوميتهم يحلّق في الجواء، ويمعن في المسير، من فج إلى فج... واستشعروا كبرياء العصبية لديانة من عندهم، تدق بشائرها بلغتهم، ويكبر بها على اسم صاحبهم، ويدخل فيها من باب تاريخهم!

روى لي واحد من الذين صرفوا طويلاً في باريس - وهو مسيحي من عندنا من (الجبل) - درس الطب هنالك، وتملأ من لغة الجماعة ومن تاريخهم وطرائق الأخذ والعطاء عندهم، أكثر بكثير مما يعرف من أشيائنا،

(١) بل الواجب عليه أن يدين بدين الإسلام خاتم الديانات السماوية، والذي لا يُقبل بعده دينٌ سواه؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. أما إن أصر على البقاء على نصرانيته أو يهوديته فله العيش في بلاد المسلمين - ما عدا جزيرة العرب - مستمتعاً بعدلهم. (س).

قال: إنه فيما هو يسير مرة في شارع كاتر فارج على مقربة من جامع باريس بعيد الخاطر عن هذه الأرض اللبنانية، إذا (تكبيرة) تنطلق من المأذنة وتتعالى على الجلبة الباريسية، فأخذ صاحبنا ببغتة حلوة ملأت فؤاده. قال: «وما تمالكت أن حوَّلت طريقي، وغشيتُ باحة المسجد، حيث قضيت بعض الساعة بين هاتيك القباب والقناطر، وكأني في سربي، في لبنان، أنظر إلى منازلهم، وأصغي إلى أحاديثهم، وبيني وبينهم سماوات ومفازات».

وهكذا جمع محمد إليه - بفضل العربية في رسالته، والعروبة في شرعته - هذه القلوب العربية من كل ديانة، حتى ليلقى صديقنا ذاك تحت مأذنة الجامع في دار الغربة - وهو ابن المسيحية كما رأيت - ما لا يجده تحت قبة الكنيسة. فمحمد إذن للعرب قاطبة، في لغة (الكتاب) و(الحديث) ونعرة الجنس وشدة الحفيظة على كرائم العنعنات، وفي تاريخٍ لفتح الممالك وفتح العقول ملألأً كرأد الضحى، وأحلاق عليها سلام الله! أما المسلمون فليس لهم من زيادة علينا - حيث الانتفاع به والأخذ عنه والتباهي بذكره - إلا الإسلام - وهي زيادة ترى المسيحيين من العرب - أردتُ الأقحاح منهم في النسب والأدب - يتلافون فقدانها في (محمديتهم)، فهم يستزيدون أكبادهم من هوى محمد، ويستزيدون ألسنتهم وأقلامهم من النصرة لشأنه، حتى ليكاد يتعادل النصيبان.

لذلك تتماوج أرض العرب اليوم(١) بمجد واحد العرب وحبه(٢)،

---

(١) أرض العرب اليوم هي كل أرض ليس للمولودين فيها من أهلها لغة قومية غير لغة العرب، فلبنان من أرض العرب، ومصر من أرض العرب، والخرطوم وفاس ومدينة الجزائر من أرض العرب.

(٢) يعني بواحد العرب واحد الدنيا وسيد الخلق محمداً صلوات الله وسلامه عليه.

وتتجاوب الأصداء فيه على رمل البيد ونبت الجبال وعلى كل شاطئ وخليج، من مطلع الشمس في الزرقة المشرقية إلى محطتها في الضحى عند حدود الصحو. . . حبٌّ لابن عبدالله، سواء فيه أبيض وأسود ومقيم وراحل ومسلم ونصراني، واعتزاز بابن عبدالله، وهزٌّ أعطاف على الأمم باسمه!

ويا محمد يميناً بديني، دين ابن مريم، إننا في هذا الحي من العرب نتطلع إليك من شبابيك البيعة، فعقولنا في الإنجيل، وعيوننا في القرآن. .

الأشجار: قصائد

أظن أنني لن أرى قصيدة تباري شجرة في جمالها،

شجرة مطبقة بثغرها الجائع على صدر الأرض الحلو الريان،

شجرة تتطلع إلى بارئها النهار كله رافعة بالدعاء ذراعيها المورقتين،

شجرة تستطيع أن تزين شعرها بعش العصافير صيفاً، ويضطجع الثلج على صدرها شتاء، وتعيش مع المطر عيشة ألفىٰ وقربىٰ.

القصائد ينظمها مجنون مثلي، وأما الأشجار فإن الله وحده الذي يبدعها.

جويس كيلمر

فهرس الجزء الرابع عشر

فهرس الموضوعات

هذا الكتاب

كما يُنتقى أطايب الثمر ، و بهيج الأزهار ، فقد انتقى جدنا العلامة الكبير / محب الدين الخطيب حديقته هذه من بطون المجلات ، وصفحات الكتب المتنوعة ، على مدى سنين عديدة ، فجاءت حاوية لكل مفيد وماتع من أطايب القول بنوعيه : الشعري والنثري ..

ونظراً لتقادم العهد بطبعة الحديقة الأولى ، فقد كانت النية متوجهة إلى بعثه من مرقده من جديد ، إلى أن تشرفنا بالتعاون الكريم مع شيخنا الفاضل / سليمان بن صالح الخراشي ، المحب لجدنا ونتاجه ، فآثر أن يشاركنا في هذه المهمة الشريفة ، تحت نظرنا ، فجزاه الله خيراً ، ونفع بجهده ، ورحم جدنا النبي وافق اسمه مسماه فهو (محبٌ) للدين ، ساع في نشره نقياً كما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، بعيداً عن زيادات البشر ، ولذا سمى مطبعته ومكتبته ، بـ (السلفية) .. فرحمه الله ورفع قدره ..

وكتبه الناشر

غيات بن قصي بن محب الدين الخطيب